السيرة النبوية

لابن هشام

"المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ"

علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها

أستاذ دكتور

عمر عبد السلام تدمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الجزء الأول

الناشر

دار الكتاب العربي

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الكتاب العربي

فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلكس: L.E.٤٠١٣٩ كتاب برقيا: الكتاب ص. ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

إنّ الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد، سيّد البشر، وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومن اهتدى بهدْيه إلى يوم الدّين.

وبعد، فقد استأثرت سيرة الرسول الكريم ومغازيه باهتمام المؤرّخين منذ صدر الإسلام، فكانت البواكير الأولى للروّاد في هذا الفنّ من الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين حفظوا لنا أخبار النبيّ ﷺ وسيرته الذاتيّة بكل جوانبها، وذلك عن طريق الخبر والرواية والحديث، في باديء الأمر، ثم تبع ذلك مرحلة التدوين والتصنيف.

وفي الواقع، إن حركة التدوين والكتابة للسيرة النبوية لم تتأخّر إلى أوائل العصر العباسي - كما يزعم بعضهم -، بل إنها بدأت منذ مطلع العهد الأموي، وفي أيام معاوية بن أبي سفيان، على وجه التحديد.

فعبد الله بن عباس (المتوفى سنة ٦٨ هـ). كان يحدّث عن نسب النبيّ ﷺ. ومن المعروف أنّ علم الأنساب - عند العرب والمسلمين - يدخل في علم التأريخ وفنّ السِيَر. فضلاً عن أنّ «ابن عباس» كان يدرّس «المغازي» حسبما ذُكر عنه. وهذا يعني أنّ السيرة النبويّة وجدت طريقها إلى التدوين في وقت مبكر - ولو بأخبار وأحاديث متفرّقة - على يد «ابن عباس» الذي يمكن أن نعتبره رائداً في هذا المجال.

وكذلك فعل ـ من قبل ـ «عبدالله بن عمرو بن العاص» المتوفى سنة ٦٣ هـ.

ثم جاء «البراء بن عازب» المتوفى سنة ٧٤ هـ. فكان يهتمّ بإملاء المغازي.

وتنتهي مرحلة الصحابة، لتبدأ مرحلة التابعين الذين ألّفوا في السيرة والمغازي، وكان في مقدّمتهم:

«عُرْوَة بن الزُّبير» المتوفّى سنة ٩٢ أو ٩٣ هـ. والذي ألّف في المغازي، وقد صدر كتابه «مغازي رسول الله ﷺ» محقّقاً في سنة ١٤٠١ هـ. /١٩٨١ م. برواية أبي الأسود المشهور بيتيم عُروة. وقام بتحقيقه الدكتور محمد مصطفى الأعظمي.

ومن التابعين الذين عَنَوْا بهذا الفنّ أيضاً:

«مقسم مولى ابن عباس» المتوفّى سنة ١٠١ هـ.

و«عامر بن شراحيل الشعبي» المتوفّى سنة ١٠٣ هـ.

و«أبان بن عثمان بن عفّان» المتوفّى سنة ١٠٥ هـ. وكأن أتمَّ تأليفه في السيرة والمغازي قبل سنة ٨٢ هـ.

و«وهْب بن منبّه اليمني» المتوفّى سنة ١١٠ هـ. وتوجد قطعة من كتابه «المغازي» في مدينة «هَيْدِلْبِرْغ» بألمانيا.

و«عاصم بن عمر بن قَتادة» المتوفّى سنة ١٢٠ هـ.

و«شُرَحْبيل بن سعد» المتوفّى سنة ١٢٣ هـ.

و«ابن شهاب الزُّهري» المتوفّى سنة ١٢٤ هـ. الذي ألّف كتاباً في المغازي.

و«عبد الله بن أبي بكر بن حزم» المتوفّى سنة ١٣٥ هـ.

و«موسى بن عُقْبة» المتوفّى سنة ١٤١ هـ. وله كتاب «المغازي» ومنه نسخة في مكتبة برلين، جمعها «يوسف بن محمد بن عمر» وتشتمل على

الغزوات النبويّة. وقد صدرت قطعة منتَخَبة منه في أوروبا سنة ١٩٠٤ م.

و«مَعْمَر بن راشد» المتوفّى سنة ١٥٠ هـ.

ومن طبقة تابعي التابعين:

«محمد بن إسحاق بن يَسار» شيخ رجال السيرة، المتوفّى سنة ١٥١ هـ. وله «السِيَر والمغازي» وقد نشرها الدكتور سهيل بن زكار.

و«زياد بن عبدالله البكّائي» المتوفّى سنة ١٨٣ هـ.

و«محمد بن عمر الواقدي» المتوفى سنة ٢٠٧ هـ. وهو صاحب كتاب «المغازي» المشهور، وهو مطبوع.

و«ابن هشام» المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ. وهو الذي انتهت إليه سيرة «ابن إسحاق»، واشتهرت على يديه.

و«محمد بن سعد» المعروف بكاتب الواقدي، صاحب كتاب «الطبقات الكبرى» والمتوفّى سنة ٢٣٠ هـ. وقد ضمّن السيرة والمغازي مجلّديه الأوَّلَين.

ابن هشام

هو الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَريّ المَعَافِريّ، المتوفّى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ. نشأ بالبصرة، ونزل مصر، واجتمع فيها بالإمام الشافعيّ، على ما قيل.

ومن الغريب، أنّ «ابن هشام» - على شُهرته في كتاب السيرة هذا - لم يجد حظّه الذي يستحقّه في كتب التراجم والطبقات، ولذا فإن معلوماتنا عن مراحل دراسته وحياته وتنقّلاته يسيرة، وإن كنّا نعرف أنه كان إماماً في النحو واللغة العربية، إلّا أنه في كثير من الأحيان ينقل عن «ابن إسحاق» أشعاراً فاسدة، ظاهرة الوضع، فلا يقطع فيها برأي، ويقول: «هكذا حدّثنا أهل العلم بالشعر»، ويقول في مواضع أخرى: «وأكثر أهل العِلم يُنكر هذا الشِعر لفلان».

أسلوبه في تدوين السيرة

وضع «ابن هشام» سيرة «ابن إسحاق» بين يديه، ثم تعقّب ما كتبه بالتحقيق والتمحيص والتعليق، فاختصر وحذف منها ما رأى أنه يخرج عن إطار السيرة النبويّة. وفي المقابل، أضاف إليها بعض الروايات والأخبار التي وقف عليها، وهو يرى أنها تخدم فكرته في وحدة الموضوع. وقد أوضح نهجه في تصنيفه للسيرة بهذه المقدّمة التي يقول فيها:

«.. وأنا إن شاء الله مبتدىءٌ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولَدَ رسولَ الله ﷺ مِن ولدِه، وأولادهم لأصلابهم، الأوّل فالأوّل، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارِكٌ ذِكْرَ غيرهم من ولد إسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتاركٌ بعض ما يذكره «ابن إسحاق» في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيءٍ من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لِما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العِلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشْنُع الحديث به، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكرُه، وبعضٌ لم يُقرّ لنا «البكّائيّ» بروايته، ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به».

ومن جهة أخرى، نرى ابن هشام يسترسل في سرد بعض الأنساب، وإن كان المقام ليس مقام الأنساب، وكثيراً ما يأتي ذلك معترضاً لسياق خبر، كما يقوم بشرح وتفسير بعض الألفاظ والمفردات في فقرات تعترض الخبر أيضاً، وكذلك يفعل في الشعر.

وكان «ابن هشام» أميناً ملتزماً جانب الصدق حين صنّف كتابه، حيث يُثبت النصوص التي نقلها عن «ابن إسحاق» بقوله: «قال ابن إسحاق». أما ما أضافه هو، فقد صرّح عنه بقوله: «قال ابن هشام».

عملي في السيرة

لقد اعتمدت في عملي هذا على عدّة نسخ من السيرة، يسّرت لي سُبُل المعارضة والمقارنة، وساعدتني في ضبط النص، وتصويب الأغلاط.

واستعنت بكتاب «الروض الأنف» للسُهَيْلي المتوفى سنة ٥٨١ هـ. في شرح وتفسير كثير من العبارات التي يغمض فهمها، وقمت بتخريج الأحاديث الشريفة، وتحريك الكلمات المشكِلة، والإشارة إلى المصادر والمراجع المساعدة، التي تؤكّد صحّة منقولات «ابن هشام» عن ابن إسحاق. وألحقت عدّة فهارس في آخر الكتاب، تساعد الباحثين على سرعة الوقوف على ضالّتهم من الأعلام والأماكن والآيات والأحاديث والأشعار وغيرها.

ولقد آثرت، أن لا أُثقِل على القاريء الكريم بمقدّمة مطوّلة، لن أجترح فيها جديداً عمّا سبق أن دبّجه يراع الكُتّاب والباحثين والمحقّقين في هذا المجال،

سائلاً المولى أن يكتب لي عملي في السيرة النبوية في صحائفي، ويمحو به من سيّئاتي، فهونِعم المولى ونِعم المجيب.

عمر عبد السلام تدمري

طرابلس الشام
الخميس - غرّة صفر ١٤٠٨ هـ
٢٤/٩/١٩٨٧ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وبه نستعين﴾

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكي[1]

من محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلم
إلى آدم عليه السلام.

قال أبو محمّد عبدُالملك بن هشام: هذا كتاب سيرة رسول الله ـ ﷺ ـ. محمدُ بنُ

---

(۱) اصطفى الله سبحانه وتعالى نبيّه محمداً ـ ﷺ ـ من أشرف الإنسان وأسماها، وأطهرها وأعلاها. ونسبه ﷺ في الأنبياء عريق، فهو من ذرية إسماعيل بن الخليل بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. ويتضح شرف نَسَبه ﷺ:

أ ـ من القرآن:

١ ـ قول الله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨). قرأ عبدالله بن قُسيط المكي بفتح الفاء. قال أبو الفتح بن جني: معناه من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفَس المَتَاع. أي: أجْوَده وخِياره. (المحتسب لابن جني ١/٣٠٧).

٢ ـ قول الله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رُسُلاً ومن النّاس إنّ الله سميع بصير﴾ (الحج: ٧٥).
والله يهيّيء لمن سيصطفيه ما يؤهّله لذلك.

٣ ـ قول الله تعالى: ﴿أم لم يعرفوا رسولَهم فهم له مُنْكِرُون﴾ (المؤمنون: ٦٩). وفي هذا دليل على معرفتهم إيّاه ﷺ بما فيه من فضائل ومن كريم خُلُق، وطهارة نَسَبه، إذ الاستفهام إنكاريّ، يُنكر عليهم سبحانه تجاهلهم للنبيّ ﷺ ـ مع أنّهم يعرفونه حقّ المعرفة.

ويتضمّن تعبير (يعرفوا) معاني عديدة كما تُلْهمه روح الآية، أي إنهم يعرفونه ـ ﷺ ـ بإيجابياته الشخصية والنَّسَبِيَّة، وما طُبع ونشأ من خير وعفّة. (السيرة النبوية د. عبدالمهدي بن عبدالهادي).

عبدِالله بنُ عبدالمطّلب ـ واسم عبدالمطّلب: شَيْبة[1] بن هاشم ـ واسم هاشم:

= ب ـ من السُّنَّة: هناك أحاديث كثيرة تبيّن شرف نَسَبه ـ ﷺ ـ ومنها قول أبي سفيان في صحيح البخاري: هو فينا ذو نسب. وانظر في نسب النبي ﷺ طبقات ابن سعد ١/٥٥ ـ ٥٩ وتاريخ الطبري ٢/٢٧٦ وعيون الأثر ١/٢١ ـ ٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (السيرة النبوية) وهي بتحقيقنا ـ طبعه دار الكتاب العربي ـ بيروت ١/١٧ ـ ٢٢ ومروج الذهب ٢/٢٧٣ والسيرة لابن كثير ١/١٨٣ ـ ١٨٩.

(١) قال ابن قتيبة: اسمه عامر.
والصحيح كما ذكر ابن إسحاق أنّ اسمه شيبة. وسُمّي بذلك:

١ ـ لشيبة كانت في رأسه وُلد بها.
٢ ـ وقيل: إن أباه أوصى أمه بذلك ففعلت.
٣ ـ وقيل: كانوا يسمّونه بذلك تفاؤلاً ببلوغ سنّ الحنكة.

وكانوا يقولون له: شيبة الحمد، لكثرة جوده.

ولكن هذا التعليل يصحّ إن كان لقّب بذلك كبيراً، وأما إن كان يُعرف به صغيراً، فإنّما ذلك رجاء أن يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له.

وعلّلوا إطلاق عبدالمطّلب عليه بأحد أمور:

١ ـ أن أباه هاشماً لما حضرته الوفاة قال لأخيه المطّلب بن عبد مَناف: أعدك عبدك. قاله استعطافاً، أو على عادة العرب في إطلاقهم على اليتيم المربّى في حجْر شخص أنه عبده.

٢ ـ أن عمّه المطّلب جاء به الى مكة رديفه، وهو بهيئة رثّة، فكان يسأل عنه فيقول: هو عبدي، حياء من أن يقول: ابن أخي، فلما أدخله مكة وأحسن من حاله، أظهر أنه ابن أخيه.

٣ ـ أن أباه هاشماً لما مرّ بالمدينة المنورة في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لَبِيد بن حرام الخزرجي البخاري ـ وكان سيد قومه ـ فأعجبته ابنته سلمى، فخطبها إلى أبيها فزوّجها منه، واشترط عليه مقامها عنده. وقيل: بل اشترط عليه أن لا تلد إلّا عنده بالمدينة، فلما رجع من الشام بنى بها، وأخذها معه إلى مكة، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى، فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة، ووضعت سلمى ولدها فسمّته: شيبة، فأقام عند أخواله بني عديّ بن النجّار سبع سنين، ثم جاء عمّه المطّلب بن عبدمَناف، فأخذه خفية من أمّه فذهب به إلى مكة، فلما رآه الناس وراءه على الراحلة قالوا: من هذا معك؟ فقال: عبدي ثم جاءوا فهنّأوه به، وجعلوا يقولون له: عبد المطّلب، لذلك، فغلب عليه.

عمرو[1] ـ بن عبد مَنَاف ـ واسم عبد مَناف: المغيرة[2]، بن قُصَيّ[3]، بن كِـلاب[4].

---

(١) عمرو: هو اسم منقول من أحد أربعة أشياء:
١ ـ من العَمْر الذي هو العُمْر.
٢ ـ أو العمر الذي من عمور الإنسان.
٣ ـ أو العمر الذي هو طرف الكُمّ، يقال: سجد على عُمريْه: أي على كُمَّيْه.
٤ ـ أو العمر الذي هو القِرْط، كما قال التنوخي
وعمرو هند كأنّ الله صوّره عمرو بن هند يوم الناس تعنيتاً
٥ ـ وزاد أبو حنيفة وجهاً خامساً فقال في العمر الذي هو اسم لنخل السُّكَّر: ويقال فيه: عمر أيضاً.

قال: يجوز أن يكون أحد الوجوه التي سُمّي بها الرجل عمراً، وقال: كان ابن أبي ليلى يستاك بعسيب العمر. (الروض الأنف ١/٧).

وإنَّما سُمّي هاشماً لهشْمه الثريد مع اللحم لقومه في سنيّ الجدْب، وهو أول من سنّ رحلتي الشتاء والصيف، وكانت إليه السقاية والرفادة بعد أبيه.

وإلى هاشم هذا وإلى أخيه المطّلب نُسب ذوو القربى فيقال: ذوو القربى قربى النبيّ ﷺ ـ هم بنو هاشم وبنو المطّلب.

(٢) المغيرة المنقول من الوصف والهاء فيه للمبالغة، أي: أنه مغير على الأعداء أو مغير، من أغار الحبل إذا أحكمه، ودخلته الهاء كما دخلت في علّامة ونسّابة، لأنهم قصدوا قصد الغاية. أو تكون الهاء للتأنيث وهو منقول من وصف كتيبة أو خيل مغيرة.

وكان عبد مَناف هذا يلقّب: قمر البطحاء، وذلك لشدّة جماله، وكان قد رأس في زمن والده وذهب به الشرف كل مذهب. (الروض ١/٧ ـ ٨).

(٣) اسم قُصيّ: زيد، وسُمّي بذلك لأنّ أمّه تزوّجت بعد أبيه بربيعة بن حرام فسافر بها ومعها ابنها صغير إلى بلاد قُضاعة، فنشأ بعيداً عن مكة فسُمّي بذلك لذلك.

عاد قصيّ إلى مكة وهو كبير، ولَمَّ شَعْث قريش وجمعها من متفرقات البلاد، وأزاح يد خُزاعة عن البيت وأجلاهم عن مكة، ورجع الحق إلى نصابه.

وصار رئيس قريش على الإطلاق، وله الرفادة والسقاية والسدانة والحجابة واللواء ودار الندوة. (الروض الأنف ١/٨/ والسيرة لابن كثير ١/٩٤).

(٤) كلاب ـ بكسر الكاف والتخفيف ـ منقول من المصدر بمعنى المكالبة، أو من الكلاب جمع كلب، لإرادة الكثرة، لُقّب به لِحُبِّهِ الصيد.

اسمه حكيم، أو حكيمة، أو عروة، وكنيته أبو زُرْعة.

وهو أول من حلّى السيوف بالنقد (الذهب أو الفضة).

ابن مُـرَّة[1]، بن كـعب[2]، بـن لُؤيّ[3]. بـن غـالـب، بـن فِهْـر[4]، بـن مـالـك[5]، بن النَّضْـر[6]، بن كِنـانـة[7]، بن خُـزَيـمـة[8]، بن مُـدْرِكـة ـ واسم مُـدْرِكـة:

---

(١) بضمّ الميم وتشديد الراء المفتوحة، كنيته أبويقظة، واسم مُرَّة يجوز في أصله ما يلي:
١ ـ منقول من وصف الحنظلة والعلقمة، وكثيراً ما يسمّون بحنظلة وعلقمة.
٢ـ الهاء فيه للمبالغة، منقول من وصف الرجل بالمرارة، وقد سُمّي بـ (مُر) من هؤلاء تميم.
٣ ـ مُسمًّى باسم نبات. قال في (الروض الأنف ١/٨): «وأحسبه من المُسَمّين بالنبات، لأنّ أبا حنيفة ـ الدينَوري ـ ذكر: أن المُرَّة بقْلة تُقلع فتؤكل بالخلّ والزيت، يشبه ورقها ورق الهندباء.

(٢) كعب: كنيته أبو هصيص.
وكعب منقول:
أ ـ إما من الكعب الذي هو قطعة من السمن.
ب ـ أو من كعب القدم، قال في الروض: وهو عندي أشبه لقولهم: ثبت ثبوت الكعب.
وجاء في خبر ابن الزبير: أنه كان يصلّي عند الكعبة يوم قتل، وحجارة المنجنيق تمرّ بأذنيه، وهو لا يلتفت كأنه كعب راتب. وكعب بن لُؤَيّ هذا أول من جمع يوم العروبة، ولم تسمَّ العروبة الجمعة إلّا مذ جاء الإسلام في قول بعضهم، وقيل: هو أول من سماها الجمعة، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكّرهم بمبعث النبي ﷺ ـ ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتّباعه والإيمان به، وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته ... إذا قريش تبغي الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأحكام له. (الروض ١/٨).

(٣) بضم اللام، وهمزة، وقد تسهّل، ولُؤَيّ:
أ ـ إما تصغير لأيٍ ـ بوزن عصا ـ وهو الثور الوحشي.
ب ـ وإما تصغير لأي ـ بوزن عبد ـ وهو البُطْء، كأنهم يريدون معنى الأناة وترك العجلة. (الروض ١/٩).

(٤) بكسر الفاء وسكون الهاء ـ اسمه قريش. وإليه تنسب قريش. فما كان فوقه فكناني، وقيل اسمه فهر ولقبه قريش والفِهْر من الحجارة. (الروض ١/٩، وشرح المواهب اللدنية ١/٧٥).

(٥) مالك: كنيته أبو الحارث.

(٦) النَّضْر: بفتح فسكون، اسمه قيس، ولقّب بالنضر لنضارة وجهه وجماله.

(٧) سُمّي بلفظ وعاء السهام إذا كان من جلد، لأنه كان ستراً على قومه كالكِنانة التي يصان فيها النبل. وذلك لأنه كان عظيم القدر، يحتاج إليه العرب لعلمه وفضله.

(٨) بوزن التصغير وهو تصغير خَزَمَة، واحده الخزم، وهو شجر تتخذ من لحائد الحبال، أو تصغير خزمة: المرة الواحدة من الخَزْم. وهو شدّ الشيء وإصلاحه، وكنيته أبو أسد.

عامر[1] ـ، بن الياس[2]، بن مُضَر[3] . بن نِزار[4]، بن مَعَدّ[5]، بن عدنان[6]، بن أُدّ[7] ـ ويقال: أُدَد ـ، بن مُقَوِّم، بن ناحور[8]، بن تَيرَح[9]، بن يَعْرُب، بن

---

(١) اسمه عمرو: وقال ابن إسحاق: عامر.
وإنما أطلق عليه مدركة لأنه أدرك أرنباً عجز عنه رفقاؤه. وكنيته أبو هذيل.

(٢) قال ابن الأنباري (ت: ٣٢٨): إلياس بكسر الهمزة ـ وهي أصلية ـ وجعله موافقاً لاسم إلياس النبي ﷺ ـ وجعل في اشتقاقه أقوالاً منها:
١ ـ فِعْيَال من الألْس، وهو الخديعة، أو اختلاط العقل.
٢ ـ إفْعَال من رجل أَلْيَس: شجاع لا يفرّ.
وذهب غير ابن الأنباري الى أنه الياس بهمزة وصل، واللام فيه للتعريف، سُمّي بضدّ الرجاء، وكنية الياس: أبو عمرو وهو أول من أهدى البُدن للبيت.
وصحح السهيلي. أنَّ الهمزة همزة وصل. (الروض الأنف ١/٩ ـ ١٠).

(٣) بضمٍّ ففتح، معدول عن ماضر، اسمه عمرو، وكنيته أبو الياس ومُضر من المضيرة وهي شيء يصنع من اللبن.
أو من اللبن الماضر، أي الحامض.
سُمّي بذلك لبياضه، أو لأنه كان يمضر القلوب أي يأخذها لحسنه وجماله، أو لأنه كان يحب اللبن الحامض.
وكان يعرف بـ (مُضر الحمراء) لأنّ العرب تسمي الأبيض أحمر، أو لأنّ أباه أوصى له بقُبّة حمراء، أو لأنه كان من نصيبه من تَرِكَة أبيه الذهب.
كان مُضر هذا أحسن الناس صوتاً ـ فيما زعموا ـ وكان صاحب فراسة وقيافة، وهو أول من علّم العرب حُداء الإبل. (الروض ١/١٠).

(٤) بكسر النون والتخفيف، من النزر وهو القليل، سمّي بذلك لأنه كان فريد عصره، أو سُمّي به لنحافته.

(٥) بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة.
مَفْعَل من العد، أو فَعَلّ من معد في الأرض: إذا أبعد في الذهاب، أو من المُعَدّين، وهما موضع عقبي الفارس من الفرس، وأصله على القول الثاني والثالث من المعْد ـ بسكون العين ـ وهو القوة، ومنه اشتقاق المعدة.

(٦) فعلان من عَدَن بالمكان، إذا أقام فيه.
وإلى هنا معلوم الصحة، مجمع عليه في نسبه، مُتَّفق عليه بين النّسّابين، وما فوق مختلَفٌ فيه. ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام.
(أنظر طبقات ابن سعد ١/٥٦ وتاريخ الاسلام ١/١٧ ـ ١٨ عيون الأثر ١/٢. وزاد المعاد ١/٧١ والروض ١/١١ والسيرة لابن كثير ١/١٨٨ ـ ١٨٩).

(٧) قال في الروض ١/١١: وأدد مصروف، قال ابن السراج: هو من الود وانصرف، لأنه مثل ثقب، وليس معدولاً كعمر. وهو معنى قول سيبويه.

(٨) من النحر.

(٩) تيرح: فيعل من الترحة، إن كان عربياً.

يَشْجُبَ[1]، بن نـابت، بن إسماعيـل[2]، بن إبـراهيم[3] ـ خليـل الـرحمن ـ، بـن تارح ـ وهو آزر[4] ـ، بن ناحور، بن سـاروغ[5]، بن راعو[6]، بن فـالخ، بن عيبر، بن شالـخ، بن أرفخشذ، بن سـام، بن نوح، بن لمـك، بن مَتُّو شَلَخ، بن أخنوخ ـ وهـو إدريس النبيّ ـ فيما يـزعمون والله أعلم ـ وكـان أول بني آدم أُعطي النبوة، وخطّ بالقلم[7] ـ ابن يَرْد، بن مهليـل، بن قَيْنَن[8]، بن يانِش[9]، ابن شيث[10]، بن آدم[11]، ﷺ[12].

---

(1) من الشجب كما في (الروض ١/١٢).

(2) تفسيره: مطيع الله.

(3) معناه: أب راحم. (انظر بصائر ذوي التمييز ٦/٣٢).

(4) قيل معناه: يا أعوج.
وقيل: هو اسم صنم. وانتصب على إضمار الفعل في التلاوة.
وقيـل: هو اسم لأبيـه، كان يُسمَّى تـارح وآزر، وهذا هـو الصحيح لمجيئـه في الحـديث منسوباً إلى آزر.

(5) قـال في (الروض الأنف ١/١٢ ـ ١٣): «ومـا بعد إبـراهيم أسماء سـريانيـة فسّـر أكثـرهـا بالعربية ابن هشام في غير هذا الكتاب، وذكر أن:
فالغ: معناها القسام.
وشالخ: معناها: الرسول، أو الوكيل.
وأرفخشذ تفسيره: مصباح مضيء».

(6) ويقال: راغوا بالغين وأرغوا كما في (طبقات ابن سعـد ١/٥٤ وعيون الأثـر ١/٢٢ ونهايـة الأرب ١٦/٤ وفي مروج الذهب ٢/٢٧٢ «أرعواء»).

(7) كما روى ذلك أحمد في المسند عن أبي ذَرّ الغِفاري مرفوعاً في حديث طويـل، والديلمي في (الفـردوس ١/٦٠ رقم (٥١) بتحقيق فـواز أحمـد الـزمـرلي ومحمـد المعتصم بـالله البغدادي، طبعة دار الكتاب العربي. وابن حبّان في الموارد ص ٥٣ ـ ٩٤. وانـظر كشف الخفاء ١/٣١٤ ومحاضرة الأوائل ص ٢٧ والوسائل في مسامرة الأوائل، ص ١١٣).

(8) قينن: وقيل: قينان، وتفسيره: المستوي.

(9) يانش: وقيل: أنوش، وتفسيره: الصادق.

(10) شيث: وهو بالسريانية: شاث، وتفسيره: عطية الله.

(11) فيه ثلاثة أقوال: ١ ـ قيل هو اسم سرياني. ٢ ـ وقيل: مشتق من الأُدْمة، وهي بياضُ اللون.
وقيل: لون بين البياض والسواد كلون الحنطة.
٣ ـ وقيل: أخذ من لفظ الأديم، لأنـه خُلق من أديم الأرض. (الروض ١/١٤ وبصـائر ذوي التمييز ٦/٢٢).

(12) ذكـره الـديلمي مـرفـوعـاً في الفـردوس عن ابن عبـاس رقم (٩٦) ١/٧٣ بتحقيق إزمـرلي والبغدادي.

=

= قال ابن حجر في (تسديد القوس (ق: ١١٧): «أسنده عن عبدوس كتابة عن أبي بكر الشيرازي: أنا أبو بكر بن مت، أنا الحسن بن صاحب بن عمران بن موسى بن أيوب بن أبي إسماعيل بن يحيى، عن الثوري، عن إسماعيل بن أمية، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس.

وأخرجه من وجه آخر عن أنس الى نزار، وزاد: وما افترق الناس فرقتين إلاّ كنت في خيرهما». اهـ.

قال ابن كثير في السيرة ١/١٨٩ عن رواية أنس إلى نزار، وفيها الزيادة: «وهذا حديث غريب جداً من حديث مالك، تفرّد به القدامي: وهو ضعيف، ولكن سنذكر له شواهد من وجوه آخر» اهـ.

وانظر (طبقات ابن سعد ١/٥٦ - ٥٧ وكتاب الفردوس ١/٧٣) فإنه يوجد بعض الاختلاف في الأسماء.

والكاتبون في السيرة ممن اطّلعت على كتبهم يجعلون الأئمة فريقين في موضوع رفع النسَب، فريق يرى ذلك - رفع النَسَب - وفريق يمنعه.

والمانعون لرفع النَسَب هو الإمام مالك، ولم يذكروا غيره. قال في (الروض الأنف ١/١٤ - ١٥): «وإنما تكلّمنا في رفع هذه الأنساب على مذهب من رأى ذلك من العلماء، ولم يكرهه، كابن إسحاق والطبري والبخاري والزبيريين وغيرهم.

وأما مالك رحمه الله، فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، قيل له: فإلى إسماعيل؟ فأنكر ذلك أيضاً.

وقال: ومن يخبره به؟!

وكره أيضاً أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم ابن فلان ابن فلان، قال: ومن يخبره به؟! وقع هذا الكلام لمالك في الكتاب الكبير المنسوب الى المعيطي، وإنما أصله لعبدالله بن محمد بن حنين، وتمّمه المعيطي» اهـ.

والظاهر أن الأمر أيسر من ذلك، فلا خلاف بين العلماء، غاية الأمر أن الإمام مالك يستبعد وجود من يعلم ذلك، ويجعل العلم شرطاً والثقة ضرورية في الحكم بذلك، ولا أظنّ أنّ أحداً يخالفه في ذلك.

فإذا وجد من يعلم، وتوفرت أسباب الثقة فلا يمنعه الإمام مالك كما لا يمنعه غيره.

ومن ثم يقول ابن عبد البر: والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا إليه، والمراد أن من ادّعى إحصاء بني آدم، فإنه لا يعلمهم إلاّ الله الذي خلقهم، وأما أنساب العرب فإنّ أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها، واختلفوا في بعض فروع ذلك.

ولعلّ سرّ قوْل مالك هذا أنه لم يكن من أهل العلم بالأنساب، سأله أبو نُعيم: ما كان اسم عبدالمطّلب؟ قال: شيبة، قال: فهاشم؟ قال: عمرو. قال: فعبدمَناف؟ قال: لا أدري. (انظر السيرة لابن كثير ١/٧٥ - ٧٧ والسيرة النبوية د. عبدالمهدي بن عبدالهادي ص ٦).

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي[1]، عن محمد بن إسحاق المطّلبي[2]، بهذا الذي ذكرت من نَسَب محمد رسول الله - ﷺ - إلى آدم عليه السلام، وما فيه من حديث إدريس وغيره.

قال ابن هشام: وحدّثني خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدوسي، عن شَيبان بن زُهير بن شقيق بن ثور، عن قَتادة بنِ دِعامة، أنه قال:

إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - ابن تارح - وهو آزر - بن ناحور، ابن أسرغ، بن أرغو، بن فالخ، بن عابر، بن شالخ، بن أرفخشذ، بن سام، بن نوح، بن لمك، بن مَتّوشلخ، بن أخنوخ، بن يرد، بن مهلائيل، بن قاين، بن أنوش، بن شيث، بن آدم - ﷺ -.

منهج ابن هشام في عرضه للسيرة: قال ابن هشام: وأنا - إن شاء الله - مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومَن ولدَ رسول الله - ﷺ - من ولده، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول، من إسماعيل إلى رسول الله - ﷺ - وما يعرض من حديثهم، وتارك ذِكْر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة؛ للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله - ﷺ - وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله - ﷺ - فيه ذِكْر، ولانزل فيه من

---

(١) هو زياد بن عبد الله الطُّفيل البكّائي الكوفي، صاحب ابن إسحاق. حدّث عن منصور، وعبدالملك بن عُمير والكبار، وعنه أحمد والفلّاس، والحسن بن عرفة وخلق.

قال أحمد: حديثه حديث أهل الصدق، وقال ابن مَعِين: لا بأس به في المغازي، وأما في غيرها فلا. وقال ابن المَدِيني: ضعيف، كتبت عنه وتركته. وقال أبو حاتم: لا يُحتَجّ به. وقال أبو زُرْعة: صدوق. وقد روى له البخاري حديثاً مقروناً بآخر.

وقال النسائي: ضعيف، وقال مرّة: ليس بالقويّ. وقال ابن سعد: كان عندهم ضعيفاً، وقد رووا عنه. وقال عبدالله بن إدريس: ما أحدٌ أثبت في ابن إسحاق من زياد البكائي، لأنه أملى عليه إملاءً مرتين. وقال صالح جزرة: هو في نفسه ضعيف، لكن هو من أثبتهم في المغازي.

قال ابن حجر: صدوق ثبت في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن اسحاق ليّن، ولم يثبت أنّ وكيعاً كذّبه. (انظر الميزان ٢/٩١ والتقريب ١/٢٦٨).

(٢) مرّت ترجمته في مقدّمة الكتاب.

القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لِما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنّع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذِكره، وبعض لم يقرّ لنا البكّائي بروايته، ومستقصٍ - إن شاء الله تعالى - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به.

سياقة النَّسَب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد اسماعيل عليه السلام:

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائيّ[1]، عن محمد بن إسحاق المُطّلبي قال:

ولد إسماعيلُ بن إبراهيم - عليهما السلام - اثني عشر رجلاً: نابتاً - وكان أكبرهم -، وقَيْذر[2]، وأذبُل، ومنشا، ومِسْمَعا، وماشي، ودِمَّا[3]، وأذر، وطيما[4]، ويطورا[5]، ونبش، وقَيذُما. وأُمُّهم: بنتُ مُضاض[6] بن عمرو الجُرهمي.

قال ابن هشام: ويقال: مِضاض، وجُرهم بن قحطان - وقحطان أبو

---

(١) مرّت ترجمته قريباً.

(٢) معناه: صاحب الإبل، وذلك أنه كان صاحب إبل إسماعيل.

(٣) قال السهيلي ١/١٥: ورأيت للبكري أن دومة الجندل عُرف بدوما بن إسماعيل، وكان نَزَلها، فلعلّ دما مغيَّر منه.

(٤) قال السهيلي ١/١٥: «وقيّده الدارقطني: ظميا، بظاء منقوطة بعدها ميم، كأنها تأنيث أظمى، والظمى مقصور: سمرة في الشفتين».

(٥) وقيل: إن جبل الطور سُمّي بيطُور بن إسماعيل، فلعلّه محذوف الياء، والله أعلم.
وأما الذي قاله أهل التفسير في الطور، فهو كل جبل ينبت الشجر، فإن لم ينبت شيئاً فليس بطور.

(٦) اسمها: السيدة، كما ذكره الدارقطني.

اليمن كلّها، وإليه يجتمع نسبها - ابن عابر، بن شالخ، بن أرفخشذ، بن سام، بن نوح.

قال ابن إسحاق: جُرهم، بن يقطن، بن عيْبر، بن شالخ، ويقطن هو: قحطان بن عيبر بن شالخ.

عمر اسماعيل وموطن أمه ووفاته: قال ابن إسحاق: وكان عمر إسماعيل - فيما يذكرون - مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات - رحمه الله وبركاته عليه - ودُفن في الحِجْر مع أمه هاجر - رحِمهمالله تعالى.

قال ابن هشام: تقول العرب: هاجر وآجر، فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا: هُراق الماء، وأراق الماء، وغيره، وهاجر من أهل مصر.

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها: قال ابن هشام: حدّثنا عبدالله بن وهْب(١)، عن عبدالله بن لَهِيعة(٢)، عن عمر(٣) مولى غُفْرة(٤): أن رسول الله - ﷺ - قال:

---

(١) عبدالله بن وهْب بن مسلم القرشي، أبو محمد المصري. الفقيه، ثقة عابد، حافظ. (التقريب ١/٤٦٠ والتهذيب ٦/٧١ - ٧٤).

(٢) عبد الله بن لهيعة بن عُقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري، القاضي، صدوق، خلّط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، وله في صحيح مسلم بعض شيء مقرون. (التقريب ١/٤٤٤).

(٣) هو عمر بن عبد الله المدني أبو حفص مولى غُفْرة - بضم المعجمة وسكون الفاء - أدرك ابن عباس، وسأل سعيد بن المسيّب والقاسم.
قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ليس به بأس، ولكن أكثر حديثه مراسيل.
وقال الدوري عن ابن مَعِين: لم يسمع من أحد من الصحابة، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ضعيف وكذا قال النسائي.
وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، ليس يكاد يُسْنِد وكان يرسل حديثه. مات سنة ١٤٥ هـ وقيل: ١٤٦ (أنظر التهذيب ٧/٤٧١ - ٤٧٢) وقال في التقريب (٢/٥٩: ١١) ضُعِّف، وكان كثير الإرسال». أهـ.

(٤) غُفْرة: بضم الغين وسكون الفاء كما في التقريب. وفي (الإصابة ٤/٣٦١) عُمير مولى غُفَيرة - بالتصغير. هكذا
وغُفرة: هذه أخت بلال بن رباح كما في (الإصابة ٤/٣٦١).

«الله الله في أهل الذمّة. أهل المَدَرة السوداء، السُّحْم الجِعاد[1]، فإنّ لهم نَسَباً وصِهراً»[2].

قال عمر مولى غُفْرة: نسبهم: أنّ أم إسماعيل النبيّ - ﷺ - منهم، وصهرهم، أنّ رسول الله - ﷺ - تسرّر فيهم[3].

قال ابن لَهِيعة: أم إسماعيل: هاجر، من «أم العرب» قرية كانت أمام الفَرَما[4] من مصر. وأم إبراهيم: مارية سرية النبيّ - ﷺ - التي أهداها له المقَوْقَسُ من حفن[5]، من كورة أنْصِنا[6].

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزُهري[7]: أنّ عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري، ثم

---

(١) المدرة: البلدة. والسحم: السود. والجعاد: يقال: فلان جعد الشعر: إذا كان فيه تكسير.

(٢) الحديث بهذا السند ضعيف مرسل، كما رأيت لضعف عمر هذا وإرساله الحديث.
وقد ورد بنحوه عند الطبراني عن أم سلمة أن رسول الله - ﷺ - أوصى عند وفاته فقال: الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله.
قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/٦٣): (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح).
وعن أبي هانيء حميد بن هانيء أنه سمع أبا عبدالرحمن الحبلي - وهو عبدالله بن يزيد - وعمرو بن حُريث وغيرهما يقولان: إن رسول الله - ﷺ - قال: إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم. فاستوصوا بهم خيراً، فإنهم قوّة لكم وإبلاغ إلى عدوّكم بإذن الله - يعني قبط مصر.
قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/٦٤): «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أي: اتخذ أمة - وهي مارية بنت شمعون التي أهداها إليه المقوقس - لفراشه.

(٤) الفَرَما: مدينة كانت تنسب إلى صاحبها الذي بناها، وهو الفرما بن قيلقوس، ويقال فيه: ابن قليس. ومعناه: محب الغرس. ويقال فيه: ابن بليس. ذكره المسعودي. والأول قول الطبري. (الروض ١/١٨).

(٥) حفن: هي قرية بالصعيد معروفة، وهي التي كلّم الحسن بن علي - رضي الله عنهما - معاوية - رضي الله عنه - أن يضع الخراج عن أهلها، ففعل معاوية ذلك حفظاً لوصية رسول الله - ﷺ - بهم، ورعاية لحرمة الصهر، ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال. (الروض ١/١٨).

(٦) قرية بالصعيد، يقال: إنها كانت مدينة السَّحَرَة، قال أبو حنيفة: ولا ينبت اللبخ إلاّ بأنصنا، وهو عود تنشر منه ألواح للسفن، وربما رعف ناشرها. (الروض ١/١٨).

(٧) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب=

السلمي[1]، حدّثه: أن رسـول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إذا فتحتم مصر؛ فـاستوصـوا بأهلها خيراً؛ فإنّ لهم ذمة ورَحِماً**». فقلت لمحمد بن مسلم الزُهري: ما الرحِم التي ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ لهم؟ فقال: كانت هاجر أم إسماعيل منهم[2].

أصل العرب: قال ابن هشام: فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهـل اليمن يقول: قحـطان من ولد إسـماعيل، ويقـول: إسماعيـل أبـو العرب كلّها[3].

= القرشي الزهـري، وكنيته أبـو بكر، الفقيـه الحافظ، متَّفَق على جلالته وإتقـانه. (التقـريب ٢/٢٠٧).

(١) عبد الرحمن بن عبـدالله بن كعب بن مالـك الأنصاري السلمي أبـو الخطاب المـدني. روى عن أبيه وجده وعمه عبيدالله وأبي هريرة وجابر. . . .

قل: إنه كان أعلم قومه وأوعاهم، وقال النسائي: ثقـة. وقال خليفـة بن خياط: مـات في خلافة هشام بن عبدالملك. (التهذيب ٦/٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) هذه الرواية التي ذكرها ابن إسحاق هنا مرسلة، فعبدالرحمن لم يـذكر من حـدّثه عن رسـول الله ـ ﷺ ـ قـال الذهبي في تـاريخ الإسـلام ١/٣٧٦ بعد أن ذكـر هذه الـرواية: «وقـد رواه مـوسى بن أعين، عن اسحـاق بن راشـد، عن ابن شهـاب، عن عبـدالـرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه متصلاً» أهـ. وانظر (هدي الساري ص ٣٦٣).

قال ابن حجر في (التهذيب ٦/٢١٥): «وقع في صحيـح البخاري في الجهـاد تصريحـه بالسماع من جده، وقال الذهلي في العلل: ما أظنه سمع من جدّه شيئاً. وقـال الدارقـطني: روايته عن جده مرسل» أهـ. وانظر (هدي الساري ص ٣٦٣).

والموضع الذي قصده ابن حجر هو في كتاب الجهاد، بـاب (١٠٣) من أراد غزوة فـورّى بغيرها، حديث رقم (٢٩٤٧) ٦/١١٢ ـ ١١٣.

وعن كعب بن مالك قـال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقـول: إذا فتحت مصر فـاستوصـوا بالقبط خيراً، فإن لهم دماً ورحماً.

وفي رواية: إن لهم ذمة ـ يعني أم إسماعيل كانت منهم. رواه الطبراني.

قـال في (مجمع الـزوائد ١٠/٦٣) «رواه الـطبـراني بـإسنـادين ورجـال أحـدهمـا رجـال الصحيح».

وقد روى الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابـة، باب (٥٦) وصيـة النبي ـ ﷺ ـ بأهـل مصر، حديث رقم (٢٥٤٣) ٤/١٩٧٠.

وأحمد في المسند ٥/١٧٤ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: إنكم ستفتحون مصـر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحِماً.

أو قال: ذمةٍ وصهراً، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها. . .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير ٩/٥٣١ ـ ٥٣٢: =

قال ابن إسحاق: عـاد بن عَوْص، بن إرَم، بن سـام، بن نوح، وثمـود وجـديس ابنا عـابر، بـن إرم، بن سـام، بن نوح، وطَسْم وعمـلاق وأُمَيم بنـو لاوذ، بن سـام بن نوح. عـرب كلّهم. فَوَلَـدَ نابتُ بن إسـماعيـل: يشجب بن نابت، فولد يشجبُ: يعربَ بن يشجب: فولد يعرب: تَيْرَح بن يعـرب، فولـد تيرح: ناحور بن تيرح، فولد ناحور: مقوّم بن ناحور، فولد مقوّم أدد بن مقـوّم، فولد أدد: عدنان بن أدد.

قال ابن هشام: ويقال: عدنان بن أُد.

قـال ابن إسحاق: فمن عـدنان تفـرّقت القبـائـلُ من ولـد إسـماعيـل بن إبـراهيم ـ عليهما السـلام ـ فولَـدَ عدنـان رجلين: معد بن عـدنـان، وعـك بن عدنان.

قـال ابن هشام: فصـارت عك في دار اليمن، وذلـك أنّ عكـاً تـزوج في الأشعـريين، فـأقام فيهم؛ فصـارت الدار واللغـة واحدة. والأشعـريـون: بنـو أشعـر، بن نبت، بن أدد، بن زيد، بن هَمَيسَـع، بن عمـرو، بن عـريب، بن يشجب، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ، بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان. ويقال: أشعر: نَبْت بن أدد. ويقال: أشعر: بن مالك، ومالك: مَذحِج بن أدد ابن زيد بن هميسع. ويقال: أشعر: بن سبأ بن يشجب.

= «واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من سلالة إرَم بن سام بن نوح.
واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق.

والثاني: أنه من سلالة عابر، وهو هود عليه الصلاة والسلام، واختلفوا ـ أيضاً ـ في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضاً.

والثالث: أنه من سلالة اسماعيل بن إبـراهيم الخليل عليهمـا الصلاة والسـلام، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه على ثلاث طـرائق أيضاً. وقـد ذكر ذلـك مستَقْصىً الإمام الحـافظ أبو عمر بن عبدالبـرّ النّمري ـ رحمـه الله تعالى ـ في كتـابه المسمّى: (الإنبـاه على ذكر أصـول القبائل والرواه)».

وأنشدني أبو مُحرز خَلَف الأحمر، وأبو عبيدة[1]، لعباس بن مرداس[2]، أحد بني سُليم، بن منصور، بن عكرمة، بن خَصَفة، بن قيس، بن عيلان، ابن مُضَر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، يفخر بعك:

وعك بن عدنان الذين تلقّبوا بغسان حتى طُرّدوا كل مطرَّد

وهذا البيت في قصيدة له. وغسان: ماء بسدّ مأرب باليمن، كان شِرباً لولد مازن بن الأسد، بن الغوث، فسُمُّوا به. ويقال: غسان: ماء بالمشُلل قريب من الجُحفة، والذين شربوا منه تحزّبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد، بن الغوث، بن نبت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ، بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان.

ذكر نسب الأنصار

قال حسّان بن ثابت الأنصاري[3] - والأنصار بنو الأوس والخزرج، ابنيْ

(١) هو أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى التيمي تيم قريش، أو تيم بني مُرّة. ولد على الأرجح سنة ١١٠ هـ له مجاز القرآن وغيره الكثير من الكتب.
(وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١٥٦، وتاريخ بغداد ١٣/٢٥٤).

(٢) هو عباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي أبو الهيثم، ويقال: أبو الفضل، له صحبة، أسلم قبل الفتح، وشهد فتح مكة، وهو من المؤلَّفة قلوبهم، وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية. ونزل ناحية البصرة.
ويقال: إنه نزل دمشق وابتنى بها داراً، وكأنه مات في خلافة عثمان.
ونسبه ابن عبد البَرّ: عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة، بن سليم. وذكره ابن سعد في طبقة الخندقيين.
وذكر ابن إسحاق في المغازي أن اسلامه كان بسبب رؤيا رآها في صنمه ضمار، وأنه أسلم بعد يوم الأحزاب. (التهذيب ٥/١٣٠ والتقريب ١/٣٩٩ والإصابة رقم (٤٥١١) والأغاني ١٣/٦٢ والاستيعاب ٣/١٠١).

(٣) هو الصحابي الجليل حسان بن ثابت بن المنذر، بن حَرَام، بن عمرو الأنصاري البخاري، أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو الحسام، ويقال: أبو الوليد، المدني شاعر رسول الله - ﷺ - وأمه الفُرَيْعة بنت خالد بن خُنَيْس. =

حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر، بن حارثة، بن امريء القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأسد، بن الغوث:

إمّا سألتَ فإنّا معشر نُجُب ... الأسدُ نسبتنا والماء غَسّان

وهذا البيت في أبيات له.

فقالت اليمن، وبعض عك، وهم الذين بخُراسان منهم: عك[1] بن عدنان، بن عبدالله، بن الأسد، بن الغوث. ويقال: عُدثان، بن الديث، بن عبدالله، بن الأسد، بن الغَوث.

قال ابن إسحاق: فولَدَ مَعَدّ بن عدنان أربعة نفر[2]: نزار بن معد، وقُضاعة بن معد، وكان قُضاعة بِكْر معد الذي به يُكنَّى - فيما يزعمون - وقنص ابن معد، وإياد بن معد.

فأما قُضاعة فتيامنت إلى حِمْيَر بن سبأ - وكان اسم سبأ: عبدشمس - وإنما سُمّي سبأ؛ لأنه أول من سَبَى في العرب - بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان.

قال ابن هشام: فقالت اليمن وقُضاعة: قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر.

= قال ابن سعد: كان قديم الإسلام، ولم يشهد مع النبي - ﷺ - مشهداً كان يجبن وكانت له سن عالية، توفي في خلافة معاوية، سنة أربع وخمسين. وله مائة وعشرون سنة. وقيل غير ذلك. أنظر (التهذيب ٢/٢٤٧ - ٢٤٨ والتقريب ١/١٦١).

(١) قال في الروض ١/١٨: «عك بن عدنان، وأن بعض أهل اليمن يقول فيه: عَكّ بن عدنان، بن عبدالله، بن الأزد.

وذكر الدارقطني في هذا الموضع عن ابن الحُباب أنه قال فيه: عكّ بن عبدالله، بن عُدْثان - بالثاء المثلثة - ولا خلاف في الأول أنه بنونين، كما لم يختلف في دوس بن عدثان أنه بالثاء، وهي قبيلة من الأزد أيضاً، واسم عك: عامر، والديث: هو بالثاء، وقال الزبير: الذيب بالذال والياء...».

(٢) قال في الروض ١/٢٣: «أما نزار فمتَّفَقٌ على أنه ابن مُعَدّ، وسائر ولد مَعَدّ فمختَلف فيه...».

وقـال عمـرو بن مُـرّة الجُهني[1] ـ وجُهينـة بن زيـد، بن ليث، بن سَـوْد، بن أسلُم، بن الحاف، بن قُضاعة:

نحن بنــو الشيخ الهِجــان الأزهـر قُضــاعــة بن مــالــك بن حِمْيَـر
النَّسَب المعــروف غيــر الـمنكـر في الحجر المنقوش تحت المنبـر[2]

قُنُص بن معدّ ونسب النعمان بن المنذر: قال ابن إسحاق: وأما قُنُص بن معد فهلكت بقيتهم ـ فيما يزعم نُسّاب معدّ ـ وكان منهم النعـمان بن المنذر ملك الحـيرة.

قـال ابن إسحـاق: حـدّثني محمـد بن مسلم بن عبـدالله بن شهـاب الزُهري[2]: أنّ النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معد.

قال ابن هشام: ويقال: قَنَص.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبـة بن المغيرة بن الأخنس[3]، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيق أنه حدّثه: أنّ عمر بن الخـطاب ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) هـو عمرو بن مُـرَّة بن عبس بن مالـك بن المحرث بن مـازن بن سعد بن مـالك بن رفـاعة بن نصر بن غطفان بن قيس بن جُهينة، نسبه ابن سعد وابن البرقي. وقال خليفـة بن خياط مثله، لكن سقط منه عبس وزاد فيه نصر وغطفان. . .
وقال ابن سعد: كان في عهد النبي ـ ﷺ ـ شيخاً كبيراً، وشهـد معه المشـاهد، يكنى أبـا طلحة وأبا مريم. وكان أول من ألحق قضاعة باليمن، وهو القائل:
نحن بنــو الشيخ الهجــان الأزهـر قضــاعــة بن مــالــك بن حميــر
في قصة جرت له مع معاوية، لما أمره أن ينسب في مصر ذكرها الزبير بن بكار.
مات في خلافة عبد الملك بن مروان. وقيل في خلافة معـاوية. أنـظر (الإصابـة للحافظ ابن حجر ٣/١٦).
والهجان: الكريم، والأزهر: المشهور.

(٢) مرّت ترجمته فيما سبق.

(٣) هو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي المدني.
قال ابن سعد: كان ثقة له أحاديث كثيرة، ورواية وعلم بالسيرة وغير ذلك.
قال ابن معين وأبو حاتم والنسائي والدارقطني: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.
مات سنة ثمان وعشرين ومائة. (التهذيب ١١/٣٩٢ والتقريب ٢/٣٧٦).

حين أُتِيَ بسيف النعمان بن المنذر، دعا جبير بن مطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف بن قُصَيّ ـ وكان جبير من أنسب قريش لقريش، وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وكان أبوبكر الصِّدِّيق أنسب العرب ـ فسلّحه إياه، ثم قال: ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر؟ فقال: كان من أشلاء قنص بن معد(1).

قال ابن إسحاق: فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من لَخْم، من ولد ربيعة بن نصر، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

لخم بن عديّ: **قال ابن هشام**: لخم: بن عديّ، بن الحارث، بن مُرّة، ابن أدد، بن زيد، بن هميسع، بن عمرو، بن عريب، بن يشجب، بن زيد، ابن كهلان، بن سبأ. ويقال: لخم: بن عديّ، بن عمرو، بن سبأ. ويقال: ربيعة، بن نصر، بن أبي حارثة، بن عمرو، بن عامر، وكان تخلّف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن.

---

(1) هذه الرواية فيها انقطاع لأنّ فيها رجلاً لم يُسَمّ: وهو الشيخ من الأنصار.
وفي الطبري زيادة: وهو ولد عُجم بن قنص. إلاّ أن الناس لم يدروا ما عجم فجعلوا مكانه لخماً. فقالوا: هو من لخم. ونُسبوا اليه. (الروض ١/٢٦).

أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سدّ مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن، فيما حدّثني أبو زيد الأنصاري، أنه رأى جُرُذاً يحفر في سدّ مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرّفونه حيث شاءوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسدّ على ذلك، فاعتزم على النُّقلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه، أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به. فقال عمرو: لا أقيم ببلدٍ لَطَم وجهي فيه أصغرُ ولدي، وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غضبة عمرو؛ فاشتروا منه أمواله، وانتقل في ولده وولد ولده. وقالت الأزد: لا نتخلّف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان. فحاربتهم عك، فكانت حربهم سجالاً. ففي ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذي كتبنا، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرّقوا في البلدان، فنزل آلُ جفنة بن عمرو بن عامر: الشام، ونزلت الأوس والخزرج: يثرب، ونزلت خُزاعة: مَرّاً، ونزلت أزد: السّراة السراة، ونزلت أزد: عمان عمانَ. ثم أرسل الله تعالى على السدّ السيل فهدمه، ففيه أنزل الله - تبارك وتعالى - على رسوله محمد - ﷺ -: **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ، وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ**

غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾[1].

والعرم: السدّ، واحدته: عرمة، فيما حدّثني أبو عبيدة[2].

قال: الأعشى - أعشى بني قيس، بن ثعلبة، بن عُكابة، بن صعب، بن علي، ابن بكر، بن وائل، بن هِنب، بن أفصى، بن جديلة، بن أسد، بن ربيعة، بن نزار، بن معد.

قال ابن هشام: ويقال: أفصى بن دُعمِيّ، بن جديلة، واسم الأعشى: ميمون بن قيس، بن جندل، بن شراحيل، بن عوف، بن سعد، بن ضُبَيْعة، ابن قيس، بن ثعلبة:

وفي ذاك للمؤتسي أُسوة ... ومأرب عفّى عليها العرم
رخام بَنَتْهُ لهم حِمْيَر ... إذا جاء مَوَّارُهُ لم يرم[3]

---

(1) سورة سبأ، الآية رقم ١٥ - ١٦. وانظر تفسير الآية في تفسير البغوي ٣/٥٥٤، وابن كثير ٣/٥٣٢ - ٥٣٣.

(2) مجاز القرآن لأبي عُبَيدة ٢/١٤٦ حيث قال: «سيل العَرِم: واحدها عرمة، وهو بناء مثل المشار يحبس به الماء ببناء فيشرف به على الماء في وسط الأرض، ويترك فيه سبيل للسفينة فتلك العرمات، واحدها عرمة، والمشار بلسان العجم.. ثم ذكر قول الأعشى، وفيه ومآرب قفي...: إذا جاش دفاعة لم يرم..

وفي العرم أقوال:

١ - قيل: هو المسنّاة أي: السد وهو قول قتادة

٢ - وقيل: هو اسم للوادي، وهو قول عطاء.

٣ - وقيل: هو الجرذ الذي خرب السد.

٤ - وقيل: هو صفة للسيل من العرامة. وهو معنى رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

٥ - وقال البخاري: العرم: ماء أحمر حفر في الأرض حتى ارتفعت عنه الجنتان، فلم يسقهما حتى يبست، وليس الماء الأحمر من السد، ولكنه كان عذاباً أرسل عليهم. أنظر (الروض الأنف للسهيلي ١/٢٢ وتفسير الإمام البغوي ٣/٥٥٤ وابن كثير ٣/٥٣٢ - ٥٣٣ والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٣٢).

(3) قول الأعشى «إذا جاء موّارُهُ لم يرم»

من قوله تعالى: ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ فهو مفتوح الميم. وبعضهم يرويه مضموم الميم، والفتح أصح.

ومنه قولهم: دم مائر، أي: سائل. وفي الحديث (أمر الدم بما شئت) أي أرسله. =

فــأروى الـزروع وأعــنــابــهــا   عــلى سعــة مــاؤهــم إذا قَســم
فـصـاروا أيـاديَ مـا يـقـدرو   ن منه عـلى شرب طفـل فُـطم[1]

وقال أُميَّة بن أبي الصلت[2] الثقفي ـ واسم ثقيف: قَسي بن منبِّه، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عِكْرِمة، بن خصَفة، بن قيس، بن عيلان، ابن مُضر، بن نزار، بن مَعَدّ، بن عدنان:

مـن سبـأ الحـاضريـن مـأرب إذ   يـبنـون مـن دون سَيْله العَـرِمـا[3]

وهذا البيت في قصيدة له. وتروى للنابغة الجعدي، واسمه: قيس بن عبدالله، أحد بني جعدة، بن كعب، بن ربيعة، بن عامر، بن صَعْصَعَة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن.

وهو حديث طويل، منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار.

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة: قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته، وفَظع بها، فلم يدع كاهناً، ولا ساحراً، ولا عائفاً[4]، ولامنجّماً من أهل مملكته إلاّجمعه إليه، فقال لهم: إنّي قد

= ورواه أبو عبيد أمر بسكون الميم، جعله من مريت الضرع، والنفس إلى الرواية الأولى أميل من طريق المعنى، وكذلك رواه النقاش وفسّره. (الروض ١/٢٢).

(١) ديوانه ص ٣٤ والطبري ٢٢/٤٧ ومعجم البلدان ٤/٣٨٧، ولسان العرب (عمم) ومجاز القرآن ٢/١٤٦

(٢) اسم أبي الصلت: ربيعة بن وهْب بن علاج الثقفي، وأمه رقية بنت عبدشمس بن عبدمَناف. (الروض ١/٢٢).

(٣) اختلفوا في عزو هذا البيت، فبعضهم نسبه إلى النابغة الجعدي، وبعضهم الى أميّة بن أبي الصلت. أنظر (ديوان أمية رقم (٥١) وملحق ديوان الأعشى ص ٢٥٨ والكتاب ٢/٢٦ والشعراء ص ١٦٢ والكامل للمبرد ص ٦١١ وجمهرة اللغة ٣/٢٠٥ ـ ٣٨٨ واللسان مادة (عرم) والقرطبي ١٤/٢٨٣ ومجاز القرآن ٢/١٤٧).

(٤) من يزجر الطير.

رأيت رؤيا هالتني[1]، وفظعت بها؛ فأخبروني بها وبتأويلها، قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها. قال: إنّي إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلاّ من عرفها قبل أن أخبره بها. فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشقٍّ، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

واسم سطيح: ربيع بن ربيعة، بن مسعود، بن مازن، بن ذئب، بن عدي، بن مازن بن غسان.

وشِقّ: بن صعب، بن يشكر، بن رُهْم، بن أفرَك، بن قَسر، بن عَبْقَر، ابن أنمار، بن نزار. وأنمار أبو بَجيلة وخثعم.

نسب بجيلة: قال ابن هشام: وقالت اليمن: وبجيلة: بنو أنمار، بن إراش، بن لحيان، بن عمرو، بن الغوث، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، ابن سبأ. ويقال: إراش بن عمرو، بن لحيان، بن الغوث. ودار بجيلة وخثعم يمانية.

قال ابن إسحاق: فبعث إليهما، فقدِم عليه سطيح قبل شقّ، فقال له: إنّي رأيت رؤيا هالتني، وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها.

قال: أفْعَلُ، رأيت حُمَمَة[2]، خرجت من ظُلمة[3]، فوقعت بأرض تَهَمَة[4]، فأكلت منها كل[5] ذات جمجمة»[6].

---

(١) انظر شرح هذه الرؤيا والكلام عليها في (الروض الأنف ١/٢٧).

(٢) الفحمة وأراد حينما تكون جمرة محرقة.

(٣) أي من ظُلْمة، وذلك أن الحممة قطعة من نار، وخروجها من ظلمة يشبه خروج عسكر الحبشة من السودان.

(٤) أي في أرض منخفضة، ومنه سُمّيت تِهامة.

(٥) نصب (كل) أصح في الرواية وفي المعنى، لأنّ الحممة نار، فهي تأكل، ولا تؤكل، على أنّ في رواية الشيخ برفع كل، ولها وجه، لكن في حاشية كتابه: أن في نسخة البرقي التي قرأها على ابن هشام: كلَّ ذات... بنصب اللام (الروض الأنف ١/٢٨).

(٦) لم يقل كل ذي جمجمة، وهو من باب قوله سبحانه: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى، وإن =

فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يـا سطيـح ؛ فما عنـدك في تأويلهـا؟ فقال: أحلف بما بـين الحَرّتـين من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش[1]، فليملكن ما بين أبين[2] إلى جُرَش. فقال له الملك: وأبيك يا سـطيح ، إن هـذا لنا لغـائظ موجع، فمتى هو كائن، أفي زمـاني هذا. أم بعـده؟ قال: لا، بـل بعده بحـين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين. قال: أفيـدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع لبضـع وسبعين من السنـين، ثم يقتلون ويخرجـون منها هاربـين. قال: ومن يـلي ذلك من قتلهم وإخـراجهم؟ قال: يليـه إرم ذي يَزَن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه، أم ينقطع؟

قال: لا، بل ينقطع.

قـال: ومن يقطعـه؟ قال: نبيّ زكيّ، يـأتيه الوحي من قِبل العليّ. قال: ومن هذا النبيّ؟

قال: رجل من ولد غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

قـال: وهـل للدهـر من آخـر؟ قـال: نعم، يـوم يُجمـع فيـه الأولـون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون. قال: أحقّ ما تخـبرني؟ قال: نعم. والشفق والغسق، والفلق إذا اتّسق، إنّ ما أنبأتك به لحق.

ثم قدِم عليه شقّ، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيـح، لينظر

= نـدع مثقلة إلى حملهـا لا يحمـل منه شيء﴾ لأن القصـد إلى النفس والنسمـة، فهـو أعم، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح، ولو جاء بالتذكير، لكان إما خاصاً بالانسان أو عاماً في كل شيء حي أو جماد. (الروض ١/٢٨).

(١) هم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح، وبه سميت الحبشة.

(٢) هو أُبْيَن بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حِمْيَر، أو من ابن حِمْيَـر، سُمِّيَت به البلدة. وقـد قال الطبري: إن أبين وعدن ابنا عدنان ـ سمِّيَت بهما البلدتان.

أيتفقان أم يختلفان. فقال: نعم، رأيت حُممه، خرجت من ظُلمة، فوقعت بين روضة وأكمة[1]، فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال: فلما قال له ذلك، عرف أنهما قد اتفقا، وأنّ قولهما واحد.

إلاّ أنّ سطيحاً قال: «وقعت بأرض تَهَمَة، فأكلت منها كل ذات جمجمة».

وقال شقّ: «وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة».

فقال له الملك: ماأخطأت يا شقّ منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟

قال: أحلف بما بين الحَرَّتين من إنسان، لينزلنَّ أرضكم السودان، فليغلبنّ على كل طَفْلَة البنان، وليملكنّ ما بين أبين إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك يا شقّ، إنّ هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني، أم بعده؟

قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، ويذيقهم أشدّ الهوان.

قال: ومن هذا العظيم الشان؟ قال: غلام، ليس بِدَنيّ، ولا مدَنّ[2]، يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل. قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تجزى فيه الولاة، ويدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

---

(١) لأنها وقعت بين صنعاء وأحوازها.
(٢) المدن: الذي جمع الضعف مع الدناءة. قاله صاحب العين.

قال: أحق ما تقول؟ قال: إي وربِّ السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك به لحق، ما فيه أمْض.

قال ابن هشام: أمض. يعني شكّاً: هذا بلغة حِمْيَر. وقال أبو عمرو: أمْض أي: باطل. فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا، فجهّز بنيه، وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له: سابور ابن خُرَّزاذ(1) فأسكنهم الحيرة.

نسب النعمان بن المنذر: فمن بقية ولد ربيعة بن نصر: النعمان بن المنذر، فهو في نسب اليمن وعلمهم: النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدِيّ بن ربيعة بن نصر، ذلك الملك.

قال ابن هشام: النعمان بن المنذر، بن المنذر، فيما أخبرني خَلَف الأحمر.

استيلاء أبي كرِب تُبَّان أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق: فلما هلك ربيعة بن نصر، رجع مُلك اليمن كله إلى حسّان بن تبّان(2) أسعد أبي كرب - وتبان أسعد هو: تبع الآخر - ابن كَلْكِي كَرِب بن زيد - وزيد هو تبع الأول - بن عمرو ذي الأذعار(3) ابن أبرهة ذي

---

(1) قال في (الروض الأنف ١/٣٠): «ولا يعرف خُرَّزاد في ملوك بني ساسان من الفرس، وهم من عهد أزدشير بن بابك إلى يزدجِرْد الذي قتل في أول خلافة عثمان - رضي الله عنه - معروفون مسمّون بأسمائهم، وبمقادير مددهم. مشهور ذلك عند الإخباريين والمؤرّخين، ولكنه يحتمل أن يكون ابن خرزاذ هذا ملكاً دون الملك الأعظم منهم، أو يكون أحد ملوك الطوائف، وهو الظاهر في مدة ربيعة بن نصر، لأنه جد عمرو بن عديّ وابن أخت جذيمة الأبرش، وكان ملك جذيمة أوله فيما أحسب في مدة ملوك الطوائف، وآخره في مدة الساسانيين. .» أهـ.

(2) تبان: من التبانة. وهي الذكاء والفطنة، يقال: رجل تبن وطبن.

(3) سمي بذا الأذعار لكثرة ما ذعر الناس منه لجوره.

المنار[1] ابن الرِّيش ـ قال ابن هشام: ويقال: الرائش[2] ـ قال ابن إسحاق: بن عديّ، بن صيفي، بن سبأ الأصغر، بن كعب، كهف الظلْم، ابن زيد، بن سهل، بن عمرو، بن قيس، بن معاوية، بن جُشَم، بن عبد شمس، بن وائل، بن الغوث، بن قطن، بن عريب، بن زهير، بن أيمن، بن الهميسع، ابن العَرَنْجَج[3] ـ والعرنجج: حِمْيَر بن سبأ الأكبر ـ بن يعرب، بن يَشْجُبْ، بن قحطان.

قال ابن هشام: يشجب: بن يعرب بن قحطان.

قال ابن إسحاق: وتبان أسعد أبو كرب الذي قدِم المدينة، وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمَّر البيت الحرام وكساه، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر.

قال ابن هشام: وهو الذي يقال له:

لیت حظّي من أبي كرب ... أن يسد خيرُه خبلَه

تبان يغضب على أهل المدينة: قال ابن إسحاق: وكان قد، جعل طريقه ـ حين أقبل من المشرق ـ على المدينة، وكان قد مرّ بها في بدأته، فلم يهج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابناً له، فقُتل غيلة؛ فقدِمها، وهو مجمع لإخرابها، واستئصال أهلها، وقطع نخلها[4]، فجمع له هذا الحيّ من الأنصار، ورئيسهم عمرو بن طلّة أخو بني النّجّار، ثم أحد بني عمرو بن

---

(١) سمّي بذلك لأنه رفع نيرانا في جبال ليهتدي بها. (الروض ١/٣٤).

(٢) سمّي الرائشي لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء. وقسّم فيهم من الغنائم. وكان أول مَنْ غنم. فيما ذكروا. (الروض ١/٣٤).

(٣) معناه بالحِميرية: العتيق. قاله ابن هشام. أنظر (الروض الأنف ١/٣٥).

(٤) ذكر ابن قتيبة أنّ تُبّع لم يقصد غزو المدينة، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها، وذلك أنّ الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم، فلم يفِ لهم بذلك يهود واستضاموهم، فاستغاثوا بتُبّع، فعند ذلك قدِمها.
وقد قيل: بل كان هذا الخبر لأبي جُبيلة الغساني، وهو الذي استصرخته الأوس والخزرج على يهود. فالله أعلم.

مبذول، واسم مبذول: عامر بن مالك، بن النجّار، واسم النّجّار: تَيْم الله ابن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر.

عمرو بن طلّة ونسبه: قال ابن هشام: عمرو بن طَلَّة: عمرو بن معاوية، بن عمرو، بن عامر، بن مالك، بن النّجّار - وطلّة: أمه: وهي بنت عامر بن زُريق، بن عامر، بن زُريق، بن عبد حارثة، بن مالك، بن غَضْب، ابن جُشَم، بن الخزرج.

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة: قال ابن إسحاق: وقد كان رجل من بني عديّ بن النّجّار يقال له: أحمر، عدا على رجل من أصحاب تُبّع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجده في عَذْق له يَجُده فضربه بمنجله فقتله، وقال: إنما التمر لمن أبره، فزاد ذلك تُبّعاً حنقاً عليهم، قال: فاقتتلوا، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويَقْرُونَه بالليل، فيعجبه ذُلك منهم، ويقول: والله إنّ قومنا لكرام!!

فبينا تُبّع على ذلك من قتالهم، إذ جاءه حَبْران من أحبار اليهود، من بني قُريظة - وقُريظة والنضير والنَّجَّام وعمرو - وهو هَدَل - بنو الخزرج، بن الصريح، بن التومان، بن السِّبط، بن اليسع، بن سعد، بن لاويّ، بن خير، ابن النَّجَّار، بن تَنْحوم، بن عازر، بن عِزْرَى، بن هارون، بن عمران، بن يصهر، بن قاهث، بن لاويّ، بن يعقوب - وهو إسرائيل - بن إسحاق، بن إبراهيم خليل الرحمن - صلّى الله عليهم - عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لاتفعل، فإنك إن أبيت إلاّ ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولِمَ ذلك؟ فقالا: هي مُهاجر نبيّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى عن ذلك، ورأى أنّ لهما علماً، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، وأتبعهما على دينهما، فقال

خالد بن عبد العُزَّى، بن غَزِيَّة، بن عمرو، بن عوف، بن غنم، بن مالك، ابن النجار يفخر بعمرو بن طلة:

أصحا أم قد نهى ذُكَرَه   أم قضى من لذّة وطره
أم تذكرتَ الشباب، وما   ذِكرك الشباب أو عُصُره
إنها حرب ربَاعيَّةٌ   مثلها آتي الفتى عِبَرَه[1]
فاسألا عمران، أو أسدا   إذ أتت عَدْواً مع الزَّهَرَه[2]
فيلق فيها أبو كَرِبٍ   سُبَّغ أبدانها ذَفِرَه[3]
ثم قالوا: من نؤمّ بها   أبني عوف، أم النَّجَرَه؟[4]
بل بني النّجّار إنّ لنا   فيهم قتلى، وإنَّ تِرَه[5]
فتلقّتهم مُسايفة   مَدُّها كالغيبة النَّثرة[6]
فيهم عمرو بن طلّة   ملّى الإله قومه عُمرَه[7]
سيد سام الملوك ومن   رام عمراً لا يكن قَدَرَه

وهذا الحَيّ من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تُبَّع على هذا الحيِّ من يهود الذين كانوا بين أظهرهم، وإنما أراد هلاكهم، فمنعوهم منه، حتى انصرف

---

(١) حرب رباعية. مَثَل. أي ليست بصغيرة ولا جذعة، بل هي فوق ذلك، وضُرب سن الرباعية مثلاً، كما يقال: حرب عوان؛ لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب. (الروض ١/٣٧).

(٢) يريد صبحهم بغلس ـ وهي ظلمة آخر الليل ـ قبل مغيب الزهرة.

(٣) سبغ: كاملة. والأبدان هنا: الدروع. وذَفِرة: من الذَّفر، وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة، وأما الدَّفر: فإنه فيما كره من الروائح، ومنه قيل للدنيا: أم دَفْر. (الروض ١/٣٧ ـ ٣٨).

(٤) النجرة: جمع ناجر، والناجر والنجار: بمعنى واحد، وهذا كما قيل المناذرة في بني المنذر والنجار، وهم: تيم الله، بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزوج، وسمي النجار لأنه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب. (الروض ١/٣٨).

(٥) فيهم قتلى وإنَّ تره: أظهر إن بعد الواو. أراد: إن لها قتلى وترة، والترة: الوتر. (الروض ١/٣٨).

(٦) مسايفة: أي كتيبة مسايفة. والغيبة: الدفعة من المطر. والنثرة: المنتشرة، وهي التي لا تمسك الماء.

(٧) ملّى: من قولهم: تمليته حيناً. أي عشت معه حيناً، وهو مأخوذ من الملاوة والملوين.

عنهم، ولذلك قال في شعره:

حنقاً على سبطين حلّاً يثربا   أولى لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن هشام: الشعر الذي في هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته[1].

تُبَّع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة: قال ابن إسحاق: وكان تُبَّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجّه إلى مكة - وهي طريقه الى اليمن - حتى إذا كان بين عُسفان وأَمَج، أتاه نفر من هُذَيل، بن مدركة، بن الياس، بن مُضَر، ابن نزار، بن معد؛ فقالوا له: أيها الملك ألا ندلّك على بيت مال دائر، أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضّة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبده أهله، ويصلّون عنده. وإنما أراد الهُذَليون هلاكه بذلك؛ لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده. فلما أجمع لما قالوا، أرسل إلى الحَبْرين، فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك. ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه، لتهلكنّ، ولْيهلكَنَّ من معك جميعاً، قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدِمْت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به وتعظّمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده وتذلّ له، حتى تخرج من عنده، قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكنّ أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهرقون عنده، وهم

---

(١) قال في (الروض الأنف ١/٣٩): «والشعر الذي زعم ابن هشام أنّه مصنوع قد ذكره في كتاب التيجان، وهو قصيد مطول أوله:

مابال عينك لا تنام كأنما   كُحِلت مآقيها بسمّ الأسود

وذكر في القصيدة ذا القرنين، وهو الصعب بن ذي مراثد، فقال فيه:

ولقد أذلّ الصعب صعب زمانه   وأناط عروة عزه بالفرقد

لم يدفع المقدور عنه قوّة   عند المنون، ولا سموّ المحتد

والصنعة بادية في هذا البيت. وفي أكثر شعره».

نجس أهل شِرْك ـ أو كما قالا له ـ فعرف نُصحهما وصِدق حديثهما فقرب النفر من هُذَيل، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدِم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ـ فيما يذكرون ـ ينحر بها للناس ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل، وأُري في المنام أن يكسوَ البيت، فكساه الخصف[1]، ثم أُرِيَ أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المعافر، ثم أُرِيَ أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء والوصائل[2]، فكان تُبَّع ـ فيما يزعمون ـ أول من كسا البيت[3]، وأوصى به وُلاته من جُرهم، وأمرهم بتطهيره، وألاّ يقربوه دماً، ولا ميتة، ولا مئلاتاً ـ وهي المحايض[4] ـ وجعل له باباً ومفتاحاً.

وقالت سُبَيعة بنت الأحبِّ، بن زبينة، بن جَذِيمة، بن عوف، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عِكْرِمة، بن خَصَفة، بن قيس، بن عيلان، وكانت عند عبد مَناف بن كعب، بن سعد، بن تَيْم، بن مُرَّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النضْر، بن كِنانة، لابنٍ لها منه يقال له؛ خالد؛ تعظّم عليه حُرمة مكة، وتنهاه عن البغي فيها، وتذكر تُبَّعاً وتذلّله لها، وما صنع بها:

أبُنَيَّ: لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبيرْ
واحفظ محارمها بنَيَّ ولا يغرنك الغَرور

---

(١) الخصف: جمع خصفة وهي شيء ينسج من الخوص والليف، والخصف أيضاً: ثياب غلاظ.

(٢) الوصائل: ثياب موصّلة من ثياب اليمن.
ويروى أن تُبَّعا لما كسا البيت المسوحَ والأنطاعَ انتقض البيت فزال ذلك عنه، وفعل ذلك حين كساه الخصف، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها وممن ذكر هذا الخبر: قاسم في الدلائل. (الروض الأنف ١/ ٤٠).

(٣) قال ابن إسحاق: أول من كسا الكعبة الديباج: الحَجَّاج، وذكر جماعة سواه منهم الدارقطني: أنها نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبدالمطّلب، كانت قد أضلّت العباس صغيراً. فنذرت: إن وجدته أن تكسوَ الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته. وقال الزبير النّسّابة: بل أول من كساها الديباج عبدالله بن الزبر. (الروض ١/ ٤٢).

(٤) لم يرد النساء الحيض؛ لأنّ حائضاً لا يجمع على محائض. وإنّما هي جمع محيضة، وهي خرقة المحيض، ويقال للخرقة أيضاً: مئلاة، وجمعها: المآلي. (الروض ١/ ٤٠).

أُبَـنَيَّ: مـن يـظلم بمـكـة يـلق أطـراف الشرور
أُبـني: يضرب وجـهـه ويَـلُحْ بـخـدّيـه الـسـعـير
أُبـني: قـد جـرّبـتـهـا فـوجـدت ظـالمهـا يبـور[1]
الله أمَّـنـهـا، ومـا بـنيـت بعَـرْصَتهـا قـصـور
والله آمـن طـيْرهـا والـعُصـم تـأمـن في ثـبـير[2]
ولـقـد غـزاهـا تُـبَّـع فكسـابَنِيَّتهـا الـحبـيـر[3]
وأذلّ ربّـي مُـلكـه فـيـهـا فـأوفـى بـالـنـذور
يمشي إلـيـهـا حـافِـيـاً بـفـنـائـهـا ألـفـا بـعـير
ويـظلّ يُـطعـم أهـلَهـا لحم المهـاري والـجَـزُور[4]
يسقيهم العسل المصفّى والـرحيض من الـشـعـير[5]
والـفيـل أُهـلك جيـشُـه يُـرْمَـون فيها بـالصخـور
والمـلْك في أقصى الـبـلا د وفي الأعـاجم والخـزيـر[6]
فـاسمـع إذا حُـدِّثْت، واف ـهـم كيف عـاقبـة الأمـور

قال ابن هشام: يوقف على قوافيها لاتُعْرَب.

أصـول اليهودية باليمن: ثم خـرج منها متـوجّهاً إلى اليمن بمن معـه من جنوده وبالحَبْرين، حتى إذا دخل اليمن دعـا قومـه إلى الدخـول فيما دخـل فيه، فأبَوْا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

قـال ابن إسحاق: حـدّثني أبو مـالك بن ثعلبـة بن أبي مالـك القُـرَظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيـد الله يحدّث: أن تُبّعـاً لما دنـا من اليمن ليدخلها حالت حِمْير بينه وبين ذلـك، وقالـوا: لاتدخلهـا علينا، وقـد

---

(١) يبور: يهلك.
(٢) العصم: الوعول تعتصم في الجبال. وثبير: جبل بمكة.
(٣) بَنِيَّتها: الكعبة. والحبير: نوع موشى من ثياب اليمن.
(٤) المهاري: الإبل النجيبة.
(٥) الرحيض: المنقى والمصفى.
(٦) الخزير: يريد الخزر، وهم أمّة من العجم.

فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال: إنه خير من دينكم، فقالوا: فحاكِمنا إلى النار قال: نعم. قال: وكانت باليمن ـ فيما يزعم أهل اليمن ـ نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرّبون به في دينهم، وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما متقلّديها، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذَمَرهم[1] من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشِيتهم، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حِمْيَر، وخرج الحَبْران بمصافحهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرّهما، فأصفقت عند ذلك حِمْيَر على دينه، فمن هنالك، وعن ذلك، كان أصل اليهودية باليمن.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محدّث أنّ الحَبْرين، ومن خرج من حِمْير، إنّما اتّبعوا النار ليردّوها، وقالوا: من ردّها فهو أولى بالحق، فدنا منها رجال من حِمْير، بأوثانهم ليردّوها، فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها، ودنا منها الحَبران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة. وتنكص عنهما، حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصفقت[2] عند ذلك حِمْيَر على دينهما. والله أعلم أيّ ذلك كان.

هدم البيت المسمّى رئام[3] : **قال ابن إسحاق**: وكان رئام بيتاً لهم يعظّمونه، وينحرون عنده، ويُكلَّمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحَبْران لتُبَّع: إنّما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلّ بيننا وبينه، قال: فشأنكما به، فاستخرجا منه ـ فيما يزعم أهل اليمن ـ كلباً أسود فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم ـ كما ذُكر لي ـ بها آثار الدماء التي كانت تُهراق عليه.

---

(١) ذمرهم: شجعهم وحضهم ليجدوا.

(٢) أصفقت: اجتمعت.

(٣) رئام: فعال من رئمت الأنثى ولدها ترأمه رئماً ورئاماً: إذا عطفت عليه ورحمته؛ فاشتقوا لهذا البيت اسماً لموضع الرحمة التي كانوا يلتمسون في عبادته. (الروض ١/٤٢).

مُلك حسّان بن تُبَّان وقتْله على يد أخيه عمرو

فلما مَلَك ابنه حسّان بن تُبّان أسعد أبي كرِب، سار بأهل اليمن، يريد أن يطأ بهم أرض العرب، وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق ـ قال ابن هشام: بالبحرين، فيما ذكر لي بعض أهل العلم ـ كرهت حِمْير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلّموا أخاً له يقال له: عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتل أخاك حسّان، ونملّكك علينا، وترجع بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعوا على ذلك إلاّ ذا رُعَين الحِمْيَري فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه. فقال ذو رُعَيْن[1]:

ألا من يشتري سَهَراً بنوم ... سعيد من يبيت قرير عين[2]
فإما حِمْيَر غدرت، وخانت ... فمعذرة الإله لذي رُعَين

ثم كتبهما في رقعة، وختم عليها، ثم أتى بها عمراً، فقال له: ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل، ثم قتل عمرو أخاه حسّان، ورجع بمن معه إلى اليمن. فقال رجل من حِمْير:

لاهِ عينا الذي رأى مثلي حسّان قتيلاً في سالف الأحقاب
قتلته مقاول خشية الحبس غداة قالوا: لبَابِ لبَاب[3]
ميْتُكم خيرنا وحيّكم ربٌّ علينا، وكلّكم أربابي

قال ابن إسحاق: وقوله: لبَاب لبَاب: لا بأس لا بأس، بلغة حِمْير.

---

(١) ذو رعين: تصغير رعْن، والرعن: أنف الجبل، ورعين: جبل باليمن قال صاحب (العين) وإليه ينسب ذو رعين. (الروض ١/٤٣).

(٢) معناه: أمَنْ يشتري، وحسن حذف ألف الاستفهام لتقدّم همزة ألاّ. وفي البيت حذف تقديره: بل من يبيت قرير عين هو السعيد، فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه. (الروض ١/٤٣).

(٣) المقاول: يريد الأقيال، وهم الذين دون التبابعة واحدهم قيْل، وأصله قيل مثل سيد، ثم خفف، واستعمل بالياء في إفراده وجمعه، وإن كان أصله الواو، لأن معناه: الذي يقول ويُسمع قوله. . . (الروض ١/٤٣ ـ ٤٤).

قال ابن هشام: ويُروى لِباب لِباب.

هلاك عمرو وتفرُّق حِمْير: **قال ابن إسحاق:** فلما نزل عمرو بن تُبّان اليمن مُنع منه النوم، وسُلّط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة[1] من الكُهَّان والعرّافين عما به فقال له قائل منهم: إنه ما قتل رجل قطّ أخاه، أو ذا رحِمه بغْياً على مثل ما قتلت أخاك عليه، إلاّ ذهب نومه، وسُلّط عليه السهر، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسّان من أشراف اليمن، حتى خلص إلى ذي رُعَين، فقال له ذو رُعَين: إنّ لي عندك براءة، فقال: وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعت إليك، فأخرجه فإذا البيتان، فتركه، ورأى أنه قد نصحه. وهلك عمرو، فمرج [2] أمر حِمْيَر عند ذلك وتفرقوا.

خبر لخنيعة وذي نوّاس[3]

فوثب عليهم رجل من حِمْيَر لم يكن من بيوت المملكة، يقال له: لَخَنْيعة[4] ينوف ذو شَناتر[5]، فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حِمْيَر للخنيعة:

تُقتِّلُ أبناها وتنفي سَراتها ... وتبني بأيديها لها الذلّ حِمْير
تدمّر دنياها بطيش حلومها ... وما ضيّعت من دينها فهو أكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها ... وإسرافها تأتي الشرورَ فتخسر

---

(١) الحُزاة: المنجّمون.

(٢) مرج: اختلط.

(٣) ذو نواس: اسمه زرعة، وهو من قولهم للغلام: زرعك الله، أي أنبتك، وسُمُّوا بزارع كما سُمُّوا بنابت، وسمي ذا نواس بغديرتين كانتا له تنوسان، أي ضفيرتان من شعر، والنوس: الحركة والاضطراب فيما كان متعلقاً. (الروض الأنف ١/٤٤ ـ ٤٥).

(٤) قال ابن دريد: لخنيعة، هو من اللخع، وهو استرخاء في الجسم.

(٥) الشناتر: الأصابع بلغة حمير. واحدها شنترة.

فسوق لخنيعة: وكان لخنيعة امرءاً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه في مَشْرَبة له قد صنعها لذلك. لئلا يُملَك بعد ذلك، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جُنده، قد أخذ مسواكاً، فجعله في فيه، أي: فيعلمهم أنه قد فرغ منه، حتى بعث إلى زُرعة ذي نواس بن تُبّان أسعد أخي حسّان، وكان صبيّاً صغيراً حين قتل حسّان، ثم شبّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسوله، عرف ما يريد منه، فأخذ سكّيناً حديداً لطيفاً، فخبّأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس، فوجأه حتى قتله، ثم حزّ رأسه، فوضعه في الكُوَّة التي كان يشرف منها، ووضع مسواكه في فيه، ثم خرج على الناس، فقالوا له: ذا نواس أَرَطْب أم يَباس؟ فقال: «سل نحماس استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس» .

قال ابن هشام: هذا كلام حِمْير. ونحماس: الرأس. فنظروا إلى الكُوَّة فإذا رأس لخنيعة مقطوع، فخرجوا في إثر ذي نواس حتى أدركوه؛ فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

ملك ذي نواس: فملّكوه، واجتمعت عليه حِمْير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حِمْير وهو صاحب الأخدود، وتَسَمَّى: يوسف، فأقام في ملكه زماناً.

سبب وجود النصرانية بنجران: وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل. أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له: عبدالله بن الثامر.

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أنّ رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين يقال له: فيميون، وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه، فدانوا به[1].

---

(١) أنظر السيرة لابن كثير ١/٢٦.

حديث فيميون: قال ابن إسحاق: حدّثني المغيرة بن أبي لَبِيد مولى الأخنس، عن وهْب بن منبّه اليماني[1] أنه حدّثهم: أنّ موقع ذلك الدين بنجران كان أنّ رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له: فيميون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا، مجاب الدعوة، وكان سائحاً ينزل بين القرى، لا يُعرف بقرية إلّا خرج منها إلى قرية لا يُعْرَفُ بها، وكان لا يأكل إلّا من كَسْب يديه، وكان بنّاء يعمل الطين، وكان يعظّم الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً. وخرج إلى فلاة من الأرض يصلّي بها حتى يُمسي.

قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له: صالح، فأحبّه صالح حباً لم يحبه شيئاً كان قبله. فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فيميون، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض ـ كما كان يصنع ـ وقد اتبعه صالح، وفيميون لا يدري؛ فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه، لا يحبّ أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلّي، فبينما هو يصلّي إذ أقبل نحوه التنّين ـ الحيّة ذات الرءوس السبعة[2] ـ فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح ولم يَدْرِ ما أصابها، فخافها عليه، فعِيلَ عَوْلُه[3]؛ فصرخ: يا فيميون! التنّين قد أقبل نحوك، فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها، وأمسى، فانصرف، وعرف أنه قد عُرِف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه. فقال له: يا فيميون! تعلم والله أني ما أحببتُ شيئاً قطُّ حُبَّكَ وقد أردتُ صُحْبَتَكَ، والكَيْنونة معك حيث كُنْتَ، فقال: ما شئت، أمري كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلَزِمه صالح، وقد كاد أهل القرية

---

(١) هو وهْب بن منبّه، أبو عبدالله اليماني، صاحب القصص، من أحبار علماء التابعين، وُلد في آخر خلافة عثمان، حديثه عن أخيه همام في الصحيحين، وكان ثقة صادقاً كثير النقل في كتب الاسرائيليات. (الميزان ٣٥٢/٤ ـ ٣٥٣ والتقريب ٣٣٩/٢ والتهذيب ١١/١٦٦ ـ ١٦٨).

(٢) أي القرون السبعة.

(٣) أي: غلب عليه صبره.

يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به الضرّ دعا له فشفي، وإذا دُعِي إلى أحد به ضرّ لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له: إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك، فوضعه في حجرته، وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له: يا فيميون، إنّي قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه فأشارطك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل في بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبيّ[1]، ثم قال له: يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له؛ فدعا له فيميون؛ فقام الصبيّ ليس به بأس.

وعَرف فيميون أنه قد عُرف، فخرج من القرية، واتّبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مرّ بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال: يا فيميون! قال: نعم. قال: ما زلت أنظرك، وأقول: متى هو جاء؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم عليّ فإنّي ميّت الآن. قال: فمات، وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف، وتبعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدوا عليهما، فاختطفتهما سيّارة من بعض العرب، فخرجوا بهما، حتى باعوهما بنجران، وأهل نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد في كل سنة، إذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كلَّ ثوبٍ حَسَنٍ وجدوه، وحليّ النساء، ثم خرجوا إليها، فعكفوا عليها يوماً.

فابتاع فيميونَ رجل من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخر، فكان فيميون إذا قام من الليل ـ يتهجّد في بيتٍ له أسكنه إياه سيّده ـ يصلّي، استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيّده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إنّ هذه النخلة لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له، قال: فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك،

---

(١) انتشط الثوب: رفعه بسرعة.

وتركنا ما نحن عليه. قال: فقام فيميون، فتطهّر وصلّى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحاً فجَعَفَتْها[1] من أصلها فألقتها؛ فاتّبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث وهْب بن مُنبِّه عن أهل نجران.

خبر عبد الله بن الثامر[2]

عبد الله بن الثامر والاسم الأعظم؛ قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن زياد[3]، عن محمد بن كعب القُرظي[4]، وحدثني - أيضاً - بعضُ أهل نجران عن أهلها[5]: أنّ أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية

---

(١) جعفتها: أسقطتها وقلعتها.

(٢) انظر السيرة لابن كثير ٢٧/١.

(٣) ويقال: ابن أبي زياد. ويقال: يزيد بن زياد بن أبي زياد، المدني مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، ويقال: اسم أبي زياد ميسرة. ويقال: إنهما اثنان.
قال الترمذي: مدني روى عنه مالك وغير واحد.
وقال النسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات.
وقال البخاري: لا يتابع على حديثه. (التهذيب ٣٢٨/١١ والتقريب ٣٦٥/٢ والميزان ٤٢٣/٤).

(٤) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي، المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة عالم. ولد سنة أربعين على الصحيح. ومات سنة مائة وعشرين. وقيل قبل ذلك. (التقريب ٢٠٣/٢).

(٥) حديث عبدالله بن الثامر، إنما رواه ابن إسحاق موقوفاً على محمد بن كعب القرظي، وعن بعض أهل نجران ليصل به حديث فيمثون، وهو حديث ثابت عن رسول الله - ﷺ - من طريق ابن أبي ليلى عن صهيب عن رسول الله - ﷺ - ومخرّج في الصحيح. رواه مسلم في كتاب الزهد، باب (١٧) قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم (٣٠٠٥) ٢٢٩٩/٤ - ٢٣٠١. والترمذي في كتاب التفسير، سورة البروج، حديث رقم (٣٣٣٩) ٤٣٧/٥ - ٤٣٩ فهو أولى أن يعتمد عليه، وهو يخالف حديث ابن إسحاق في ألفاظ كثيرة. (أنظر الروض ٥٢/١).

من قُراها قريباً من نجـران ـ ونجران: القـرية العـظمى التي إليها جمَـاع أهل تلك البلاد ـ ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيميـون ـ ولم يسمـوه ليَ باسمـه الذي سمّـاه به وهْب بن منبّـه ـ قالـوا: رجل نـزلها ـ ابتنى خيمـة بين نجران، وبين تلك القـرية التي بهـا الساحـر، فجعل أهـل نجـران يـرسلون غلمانهم إلى ذلـك الساحـر. يعلّمهم السحر، فبعث إليـه الثامـر ابنه عبدالله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مَرَّ بصاحب الخيمة أعجبه، ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليـه، ويسمع منـه حتى أسلم، فوحّد الله وعبده، وجعل يسـأله عن شـرائع الإسـلام حتى إذا فقِه فيـه، جعل يسـأله عن الاسم الأعـظم ـ وكان يعلّمـه ـ فكتمه إيـاه وقال لـه: يا ابن أخي! إنك لن تحمله، أخشى عليك ضعفك عنه. والثامر أبو عبدالله لا يـظنّ إلّا أنّ ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبدالله أنّ صاحبه قد ضَنَّ به عنه، وتخـوّف ضعفه فيـه، عمد إلى قِـداح[1] فجمعها، ثم لم يبقِ لله اسمـاً يعلمه إلّا كتبـه في قِدْح، لكـل اسم قِدْح، حتى إذا أحصـاها أوقـد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحاً قِدْحاً، حتى إذا مَرَّ بالاسم الأعظم قـذف فيها بقِدحه، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضرّه شيئاً، فـأخذه ثم أتى صـاحبه، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه، فقال: وما هو؟ قـال: وهو كـذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، قال: أي ابن أخي! قد أصبتـه فأمسِـكْ على نفسك، وما أظنّ أن تفعل.

عبدالله بن الثامر يدعو إلى التوحيـد: فجعل عبـدالله بن الثامـر إذا دخل نجران لم يَلْقَ أحداً به ضرٌّ إلّا قال: يا عبدالله، أتـوحّد الله، وتـدخل في ديني، وأدعو الله، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحّـد الله ويُسلم، ويدعو لـه فيُشفَى، حتى لم يَبْقَ بنجران أحـد به ضُرٌّ إلّا أتـاه فاتّبعـه على أمـره، ودعا له فعوفي، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت علـيّ

---

(١) القِداح: السهام.

أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأُمَثِّلَنَّ بك. قال: لا تقدر على ذلك. قال: فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل، فيُطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران - بحور لا يقع فيها شيء إلاّ هلَكَ - فيلقى فيها، فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه؛ قال له عبدالله بن الثامر: إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنتُ به، فإنك إن فعلتَ ذلك، سُلِّطْتَ عليّ فقتلتني، قال: فوحّد الله تعالى ذلك الملك، وشهد شهادة عبدالله بن الثامر، ثم ضربه بعصا في يده، فشجّه شجّة غير كبيرة، فقتله ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبدالله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكمه، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران، والله أعلم بذلك.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظي، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر، والله أعلم أيّ ذلك كان.

ذو نوّاس يدعو أهل نجران إلى اليهودية: فسار إليهم ذو نواس بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيّرهم بين ذلك والقتل؛ فاختاروا القتل، فَخَدَّ لهم الأخدود. فحرّق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف، ومثّل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد - ﷺ -: **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾**[1].

تفسير الأخدود: قال ابن هشام: الأخدود: الحفر المستطيل في الأرض، كالخندق والجدول ونحوه، وجَمْعُهُ: أخاديد. قال ذو الرمّة - واسمه: غيلان بن عُقبة، أحد بني عديّ، بن عبدمَناف، بن أدّ، بن طابخة، بن الياس، بن مُضَر -:

---

(١) سورة البروج، الآيات رقم ٤ - ٨.

مِن العـراقيـة الـلاتي يُحيـل لهـا   بـين الفَـلاةِ وبـين النخـل أخـدود

يعني: جـدولاً. وهذا البيت في قصيـدة لـه. قـال: ويقـال لأثـر السيف والسِّكِّين في الجلد، وأثر السوط ونحوه: أخدود، وجمعه أخاديد.

نهايـة عبدالله بن الثـامر: **قـال ابن إسحاق:** ويقـال: كان فيمن قتـل ذو نواس، عبدالله بن الثامر رأسهم وإمامهم.

قـال ابن إسحاق: حـدّثني عبدالله بن أبي بكـر بن عمرو بن حـزم[1] أنـه حُـدِّث: أن رجلاً من أهـل نجران كـان في زمان عمـر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حفر خَرِبة من خَرِب نجران لبعض حاجته، فوجدوا عبدالله بن الثامر تحت دَفنٍ منهـا قاعـداً، واضعاً يـده على ضربـة في رأسه، ممسكـاً عليها بيـده، فـإن أُخِّرت يده عنها تنبعث دماً، وإذا أرسلت يده ردّها عليها، فأمسكت دمها، وفي يده خاتم مكتوب فيه: «ربّي الله». فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يُخبر بـأمره، فكتب إليهم عمـر ـ رضي الله عنه ـ: أن أقـرّوه على حـاله، وردّوا عليـه الدفن الذي كان عليه، ففعلوا.

---

(١) عو عبدالله بن أبي بكر الأنصاري، أبو محمد، ويقال: أبو بكر، المدني.
قال مالك: كان كثير الأحاديث، وكان رجل صدق.
وقال أحمد: حديثه شفاء.
وقال أبو حاتم وابن معين: ثقة. وقال النسائي: ثقة ثبت. وقال ابن سعـد: كان ثقـة كثير الحديث عالماً.
وقال العجلي: مدني تابعي ثقة. وذكره ابن حبان في الثقـات. وقال ابن عبـد البر: كـان من أهل العلم، ثقة، فقيهاً محدّثاً، مأموناً، حافظاً، وهو حجة فيما نقل وحمل.
توفي سنة خمس وثـلاثين ومائـة، ويقال: سنـة ثلاثين. وهـو ابن سبعين سنة، وليس لـه عقب. (أنظر التهذيب ٥/١٦٤ ـ ١٦٥ والتقريب ١/٤٠٥).
وهـذه الروايـة فيها رجـل مبهم لم يسمَّ. ويغني عنها قـوله تعـالى: **﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذين قتلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بل أحياء﴾** وما وجد في صدر هـذه الأمة من شهـداء أحد وغيـرهم على هذه الصورة لم يتغيّروا بعد الدهور الطويلة كحمزة بن عبدالمطّلب... أنـظر في هذا: (الروض الأنف للسهيلي ١/٥٢).

فرار دوس ذي ثعلبان من ذوي نواس واستنجاده بقيصر

قال ابن إسحاق: وأفلت منهم رجل من سبأ، يقال له: دَوْس ذو ثُعْلبان على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصر ملك الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بَعُدَتْ بلادُك منّا، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذه الدِّين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بِنَصرِه والطلب بثأره.

النجاشيّ ينصر دَوْساً: فقدِم دَوْس على النَّجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة، وأمَّر عليهم رجلاً منهم يقال له: أرياط - ومعه في جُنده أبرهة الأشرم - فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دَوْس ذو ثعلبان.

نهاية ذي نواس: وسار إليه ذو نواس في حِمْير، ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه، وَجَّهَ فرسه في البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضَحْضاح[1] البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرِه[2]، فأدخله فيه، وكان آخر العهد به. ودخل أرياط اليمن، فملكها[3].

---

(١) الضحضاح من الماء: الذي يظهر قعره.

(٢) الغمر: الماء الكثير.

(٣) انظر السيرة لابن كثير ١/٢٧ - ٢٨

قال السهيلي في (الروض الأنف ١/٥٤): «وذكر غير ابن إسحاق أن ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن، حين رأى أن لا قِبَلَ له بهم، بعد أن استنفر جميع المقاول، ليكونوا معه يداً واحدة عليهم، فأبوا إلاّ أن يحمي كل واحد منهم حوزته على حدته، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله على أن يسالموه ومن معه. ولا يقتلوا أحداً، فكتبوا إلى النجاشي بذلك، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منهم، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح، وأمرهم أن يقبضوا ما في بلاده من خزائن أمواله، ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه: أن اقتلوا كل ثور أسود، فقتل أكثر الحبشة، فلما بلغ ذلك النجاشي وجّه جيشاً إلى أبرهة، وعليهم أرياط، وأمرهُ أن يقتل ذا نواس ويخرب ثلث بلاده، ويقتل ثلث الرجال، ويسبي ثلث النساء والذرية، ففعل ذلك أبرهة. . .».

فقال رجل من أهل اليمن ـ وهو يذكر ما ساق إليهم دَوْس من أمر الحبشة:

لا كدَوْس ولا كأعلاق رَحْلِه[١]

فهي مَثَل باليمن إلى هذا اليوم.

قول ذي جَدَن الحِمْيَري في هذه القصة: وقال ذو جَدَنِ الحِمْيَري:

هونك[٢] ليس يرد الدمع مافاتا ... لا تهلكي أسفاً في إثر من ماتا
أبعد بَيْنون لا عين ولا أثر ... وبعد سَلْحِين يبني الناس أبياتاً؟!

بينون وسلحين وغمدان: من حصون اليمن التي هدمها أرياط، ولم يكن في الناس مثلها.

وقال ذو جدن أيضاً:

دعيني ـ لا أبالك ـ لن تطيقي[٣] ... لَحَاكِ الله! قد أنزفْتِ ريقي[٤]
لدى عزف القِيان إذ انتشينا ... وإذ نُسقي من الخمر الرحيق[٥]
وشرب الخمر ليس عليّ عاراً ... إذا لم يَشكُني فيها رفيقي
فإنّ الموت لا ينهاه ناه ... ولو شرب الشفاء مع النُّشُوق[٦]
ولا مترهّب في أسطوان ... يناطح جُدره بَيْض الأنوق[٧]

---

(١) الأعلاق: النفائس.
(٢) هونك: أي: ترفّقي.
(٣) أي: لن تطيقي صرفي بالعذل عن شأني.
(٤) أي: أكثرت عليّ من العذل حتى أيبست ريقي في فمي، وقلة الرقيق من الْحَصَر، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش.
(٥) الرحيق: الخالص.
(٦) أي لو شرب كل دواء يستشفى به. وتنشّق كلَّ نشوق يُجعل في الأنف للتداوي به، ما نهى ذلك الموت عنه.
(٧) مترهب: يجوز أن يكون رفعه عطفاً على ناه. أي: لا يردّ الموت ناه ولا مترهب. أي: ولا دعاء مترهب يدعو لك. =

وغمدان الذي حُدِّثت عنه | بَنوْه مُسَمَّكاً في رأس نيق[1]
بِمَنْهَمَة، وأسفله جُرُون | وحُر المَوْحَلِ اللَّثق الزليق[2]
مصابيح السليط تلوح فيه | إذا يمسى كتوماض البروق
ونخلته التي غُرست إليه | يكاد البُسْر يَهصر بالعذوق[3]
فأصبح بعد جدّته رَماد | وغيَّر حُسْنَه لهبُ الحريق
وأسلم ذو نواس مستكيناً | وحذّر قومَهَ ضنك المضيق

قول ربيعة بن الذئبة الثقفي في هذه القصة: وقال عبدالله بن الذئبة

= ويجوز أن يكون مترهب رفعاً، على معنى: ولا ينجو منه مترهب.
والاسطوان: أفعول، وجمعه: أساطين.
وجدره: جمع جدار: حائط، والمراد هنا: المكان الذي يختلي فيه الراهب. والأنوق: الأنثى من الرخم، لأنها تبيض حيث لا يُدْرَك بيضها من شواهق الجبال. وهذا قول المبرد في الكامل. ولا يوافق عليه. فقد قال الخليل: الأنوق: الذكر من الرخم، وهذا أشبه بالمعنى، لأن الذكر لا يبيض، فمن أراد بيض الأنوق، فقد أراد المحال.
وقد قال القالي في الأمالي: الأنوق يقع على ذكر والأنثى من الرَّخَم.

(١) غمدان: هو الحصن الذي كان لهوذة بن علي ملك اليمامة، وممسكاً: مرفعاً، من قوله سمك السماء. والنيق: أعلى الجبل.

(٢) منهمة: هو موضع الرهبان. والراهب يقال له: النهامي وأسفله جرون: جمع جرن، وهو النقير من جرن الثوب إذا لان.
وفي رواية أبو الوليد الوقشي: جروب بالباء، وكذلك ذكره الطبري بالباء أيضاً.
والجروب: الحجارة السوداء أو من الجريب: المزرعة. (الروض ١/٥٨).
وحُرُ: بضم الحاء: هو خالص كل شيء.
والموحل: من الوحل.
وفي كتاب أبي بحر عن الوقشي: وحر الموجل - بفتح الحاء والجيم - من الموجل مفتوحة، وفسّر الموجل فقال: حجارة ملس لينة. قال في الروض الأنف: والذي أذهب إليه أن الموجل ههنا واحد المواجل، وهي: مناهل الماء... (الروض الأنف ١/٥٨).
واللثِق: من اللثَق، وهو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق. والزليق: الذي يزلق فيه.
وفي حاشية كتاب أبي بحر: اللبق بالباء. وذكر أنه هكذا وجد في أصل إبن هشام، ولا معنى للبق ههنا، وأظنه تصحيفاً من الراوي والله أعلم. (الروض ١/٥٨).

(٣) يهصر بالعذوق: تميل بها، والعذوق: جمع عذق بكسر العين، وهي الكباسة، أو بفتح العين: وهي النخلة، وهو أبلغ في وصفها بالايقار أن يكون جمع عذق بالفتح. (الروض الأنف ١/٥٨).

الثقفي في ذلك ـ قال ابن هشام: الذئبة أمه، واسمه: ربيعة بن عبدياليل، بن سالم، بن مالك، بن حُطيْط، بن جُشَم، بن قَسِيّ ـ:

لَعَمْرُكَ ما للفتى من مقرّ ... مع الموت يلحقه والكِبَرْ
لَعَمْرك ما للفتى صُحْرَة ... لعمرك ما إن له من وَزَرْ[1]
أبعد قبائل من حِمْيَر ... أبيدوا صباحاً بذات العَبَر[2]
بألف ألوف وحُرَّابة ... كمثل السماء قبيل المطر[3]
يصمّ صياحهم المقْرَبات ... وينفون من قاتلوا بالذفر[4]
سَعالِيَ مثل عديد الترا ... ب تيبس منهم رطاب الشجر[5]

قول عمرو بن معدي كرب[6] الزبيدي في هذه القصة: وقال عمرو بن

---

(١) الصحرة: المتسع؛ أخذ من لفظ الصحراء. والوزَر: الملجأ، ومنه اشتقّ: الوزير، لأنّ الملك يلجأ إلى رأيه، وقد قيل: من الوزْر؛ لأنه يحمل عن الملك أثقالاً، والوزْر: الثقل. (الروض ١/ ٥٩).

(٢) ذات العبر: أي ذات الحزن، يقال: عبر الرجل: إذا حزن، ويقال: لأمه العُبْر، كما يقال: لأمه الثُكل.

(٣) وقوله: كمثل السماء: أي كمثل السحاب لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر.

(٤) المقربات: الخيل العتاق التي لا تسرح في المرعى، ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو.

والذفر: تستعمل في قوة الريح الطيبة والخبيثة.

وقوله: وينفون من قاتلوا بالذفر: أي بريحهم وأنفاسهم ينفون من قاتلوا، وهذا إفراط في وصفهم بالكثرة.

قال البرقي: أراد ينفون من قاتلوا بذفر آباطهم. أي: بنتنها. (الروض الأنف ١/ ٦٠).

(٥) سعالي: شبّههم بالسعالي من الجن: جمع سعلاة، ويقال: بل هي الساحرة من الجن.

(٦) عمرو بن معدي يكرب بن عبدالله بن عمرو بن عاصم بن زبيد الأصغر ابن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن شيبة ـ وهو زبيد الأكبر ـ ابن ضعف بن سعد العشيرة الشاعر الفارس المشهور. يكنى أبا ثور. قال ابن منده: عداده في أهل الحجاز. وقال ابن ماكولا: له صحبة ورواية. قال أبو نعيم: له الوقائع المذكورة في الجاهلية وله في الإسلام بالقادسية بلاء حسن، فقد ذكر من أخباره الكثير. أنظر (الإصابة ٣/ ١٩ ـ ٢١) و(الروض الأنف ١/ ٦٠).

معدي كرب الزبيدي في شيء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادي[1]، فبلغه أن يتوعّده، فقال يذكر حِمْيَر وعزّها، وما زال من مُلكها عنها:

أتوعدني كأنك ذو رُعَيْنٍ ... بأفضل عيشة ـ أو ذو نواس
وكائنْ كان قبلك من نعيم ... وملك ثابت في الناس راسي
قديم عهده من عهد عاد ... عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهله بادوا، وأمسى ... يُحوَّل من أناس في أناس

نسب زبيد ومراد: قال ابن هشام: زبيد، بن سلمة، بن مازن، بن مُنَبِّه، ابن صعب، بن سعد العشيرة، بن مذحِج. ويقال: زبيد بن منبه، بن صعب، ابن سعد العشيرة. ويقال: زبيد بن صعب، بن سعد. ومراد: يحابر بن مذحج[2].

لماذا قال عمرو بن معدي كرِب هذا الشعر: قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة، قال: كتب عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ إلى سلمان بن ربيعة الباهلي ـ وباهلة بن يعصر، بن سعد، بن قيس، بن عيلان ـ وهو بإرمينية يأمره أن يفضِّل أصحاب الخيل العِراب على أصحاب الخيل المَقارف[3] في العطاء، فعرض الخيل، فَمَرَّ به فرسُ عمرو بن معدي كرب، فقال له سلمان: فرسك هذا مَقرِف، فغضب عمرو، وقال: هجين عرف هجيناً مثله، فوثب

---

(١) قيس بن المكشوح المرادي، يكنى أبا شداد، والمكشوح لقب لأبيه. واختلف في اسمه ونسبه:
فقال ابن الكلبي: هو هبيرة بن عبديغوث بن الغزيل بن بداء بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد.
وقال أبو عمر: هو عبد يغوث بن هبيرة بن هلال بن الحرث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن أنمار البجلي.
حليف مراد، قيل له المكشوح لأنه ضرب على كشحه أو كوي ـ واختلف في صحبته. (الإصابة ٣/٢٦١ والروض ١/٦٠).

(٢) مراد: هو يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج. (الروض ١/٦٠).

(٣) المقارف: جمع مقرف الذي دانى الهجنة، وهو الذي أمه عربية وأبوه ليس بعربي فالإقراف من جهة الأب والهجنة من جهة الأم.

إليه قيس فتوعّده، فقال عمرو هذه الأبيات.

تصديق قول شقّ وسَطِيح: قال ابن هشام: فهذا الذي عَنَى سطيح الكاهن بقوله: ليهبطنّ أرضكم الحبش، فليملكنّ ما بين أبين إلى جُرَش. والذي عَنَى شِقٌّ الكاهن بقوله: «لينزلنّ أرضكم السودان، فليغلبنّ على كلّ طفلة البنان، وليملكنّ ما بين أبْيَنَ إلى نجران».

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق: فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرّقت الحبشةُ عليهما، فانحازَ إلى كلٍّ واحد منهما طائفةٌ منهم، ثم سار أحدُهما إلى الآخر، فلما تقارب الناسُ أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئاً، فابرُزْ إليّ، وأبْرُز إليك، فأيُّنا أصاب صاحبَهُ انصرف إليه جنده، فأرسل إليه أرياط: أنصفتَ. فخرج إليه أبرهة ـ وكان رجلًا قصيراً لحيماً، وكان ذا دِين في النصرانية ـ وخرج إليه أرياط، وكان رجلًا جميلًا عظيماً طويلًا، وفي يده حربه له وخلْف أبرهة غلام له، يقال له: عَتْوَدَة[2]، يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة، فضرب أبرهة يريد يافوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته، فبذلك سُمِّي : أبرهة الأشرم، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وَوَدَى[3] أبرهةُ أرياط.

غضب النجاشيّ على أبرهة: فلما بلغ النجاشيّ غضب غضباً شديداً وقال: «عدا على أميري، فقتله بغير أمري، ثم حلف: لا يَدَعُ أبرهة حتى يطأ بلاده، ويَجُزُّ ناصيته. فحلق أبرهة رأسه وملأ جراباً من تراب اليمن، ثم بعث

---

(١) انظر السيرة لابن كثير ١/٢٨ ـ ٢٩.

(٢) العتودة: الشدة في الحرب.

(٣) وداه: تحمّل ديته.

به إلى النجاشيّ، ثم كتب إليه:

«أيها الملك، إنّما كان أرياط عبدَك، وأنا عبدُك، فاختلفنا في أمرك، وكلٌّ طاعتُه لك، إلاّ أنّي كنت أقوى على أمر الحبشة، وأضبط لها، وأسوس منه، وقد حلقتُ رأسي كلَّه حين بلغني قَسَمُ الملك، وبعثتُ إليه بجراب تراب من أرضي؛ ليضعه تحت قدميه، فيبرَّ قسمه فيَّ.».

فلما انتهى ذلك إلى النجاشيّ رضي عنه، وكتب إليه: أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري، فأقام أبرهة باليمن.

«القُلَّيْس[1]» أو كنيسة أبرهة: ثم إنّ أبرهة بنى القُلَّيْس بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُرَ مثلُها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشيّ: أنّي قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسة لم يُبْنَ مثلها لملك كان قبلك، ولست بمُنْتَهٍ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب، فلما تحدّثت العربُ بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشيّ، غضب رجل من النَّسأة، أحد بني فُقَيم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُضَر.

النسأة: والنَّسَأة: الذين كانوا يُنْسِئونَ الشهور على العرب في الجاهلية[2]،

---

(١) وهي الكنيسة التي أراد أن يصرف إليها حج العرب، وسميت هذه الكنيسة: القليس لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس، ويقال: تقلنس الرجل، وتقلّس: إذا لبس القلنسوة، وقلس طعاماً أي: ارتفع من معدته إلى فيه، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وجشمهم فيها أنواعاً من السُّخْر، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزّع، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان ـ عليه السلام ـ وكان من موضع هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة، ومنابر من العاج والآبنس، وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يشرف منها على عدن، وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده... (الروض الأنف ١/٦٣ وانظر السيرة لابن كثير ١/٣٠).

(٢) قال في الروض الأنف ١/٦٤ ذكر أبو علي القالي في الأمالي: أن الذي نسأ الشهور منهم: نعيم بن ثعلبة وليس هذا بمعروف. وأما نسؤهم للشهر فكان على ضربين:

١ ـ أحدها: ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم الى شنّ الغارات، وطلب الثارات. =

فيحلّون الشهـر من الأشهر الحـرم، ويحرّمـون مكانـه الشهـر من أشهـر الحـلّ، ليواطئوا عدّة ما حرّم الله، ويؤخّرون ذلك الشهر، ففيه أنزل الله تبـارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِـهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ عَـاماً، وَيُحَـرِّمُونَـهُ عَاماً؛ لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ﴾[1].

قال ابن هشام: ليواطئوا: ليوافقوا، والمواطأة: المـوافقة، تقـول العرب: واطأتك على هذا الأمر، أي: وافقتك عليه، والإيطاء في الشعر: الموافقـة، وهو اتفـاق القـافيتـين من لفظ واحـد وجنس واحـد، نحـو قـول العَجَّـاج ـ واسم العَجَّاج: عبدالله بن رُؤبة أحد بني سعد بن زيد، منـاة، بن تميم، بن مُرَّة، بن أدّ، بن طابخة، بن الياس، بن مُضَر، بن نزار ـ:

في أثعبان المنجنون المرسل[2]

ثم قال:

مدّ الخليج في الخليج المرسل

وهذان البيتان في أرجوزة له.

أول من ابتدع النَّسيء: قال ابن إسحاق: وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحلّت منها ما أحلّ، وحرّمت منها ما حرّم: القَلَمَّس[3]، وهو حُذَيفة، ابن عبد، بن فُقَيْم، بن عديّ، بن عامر، بن ثعلبـة، بن الحارث، بن مـالك،

= ٢ ـ **والثاني:** تأخيرهم الحج عن وقته تحرّيـاً منهم للسنة الشمسيـة، فكانـوا يؤخرونـه في كل عام أحد عشر يوماً، أو أكثر قليلاً، حتى يدور الدور إلى ثـلاث وثلاثين سنـة، فيعود إلى وقته، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع: (إنّ الـزمان قـد استدار كهيئتـه يوم خلق الله السموات والأرض) وكانت حجـة الوداع في السنـة التي عاد بهـا الحج إلى وقتـه، ولم يحج رسول الله ـ ﷺ ـ في المدينـة الى مكة غيـر تلك الحجة، وذلـك لإخراج الكفـار الحج عن وقته، ولطوافهم بالبيت عراة ـ والله أعلم، إذا كانت مكة بحكمهم حتى فتحهـا الله على نبيه ـ ﷺ ـ».

(١) سورة التوبة، آية: ٣٧.

(٢) الأثعبان ما يندفع من الماء من مثعبه، والمنجنون: أداة السافية. (الروض ١/٦٥). والمثعب: المجرى، وأداة السانية: الدولاب التي يستقى عليها.

(٣) سمّي القلمّس لجوده، إذ القلمّس من أسماء البحر. (الروض ١/٦٣).

ابن كِنانة، بن خُزيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد، بن حُذَيفة، ثم قام بعد عبّاد: قَلَع بن عباد، ثم قام بعد قلع: أُميَّة بن قلع، ثم قام بعد أمية: عوف بن أُميَّة، ثم قام بعد عوف: أبو ثُمامة، جُنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام، وكانت العرب إذا فرغت من حجّها اجتمعت إليه، فحرّم الأشهر الحرم الأربعة: رجباً، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرَّم. فإذا أراد أن يحلَّ شيئاً أحلَّ المحرّم، فأحلّوه، وحرّم مكانه صَفَر فحرّموه؛ ليواطِئوا عِدَّةَ الأربعة الأشهر الحرم. فإذا أرادوا الصَّدَر[1] قام فيهم فقال: اللهم إنّي قد أحللتُ لك أحد الصَّفَرَين، الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل. فقال في ذلك عُمير بن قيس، جَذْلُ الطّعان[2]، أحد بني فِراس، بن غَنْم، بن ثعلبة، بن مالك، بن كِنانة، يفخر بالنَّسَأة على العرب:

لقد علمتْ مَعَدّ أنّ قومي كرام الناس أنّ لهم كراما[3]
فأيّ الناس فاتونا بوِتْر وأيّ الناس لم نُعْلِك لجاما[4]
ألسنا النّاسئين على معدّ شهور الحلّ نجعلها حراما؟

قال ابن هشام: أول الأشهر الحرم: المحرّم[5].

---

(١) الصدر هنا: الرجوع من الحج.

(٢) كان عمير ـ هذا ـ من أطول الناس، وهو مذكور في مقبلي الظعن، وسمي جذل الطعان لثباته في الحرب، كأنه جذل شجرة واقف، وقيل: لأنه كان يستشفى برأيه، ويستراح اليه، كما تستريح البهيمة الجرباء الى الجذل تحتكّ به. (الروض الأنف ١/٦٥).

(٣) أي آباء كراماً، وأخلاقاً كراماً.

(٤) أي: لم نقدعهم ونكفهم، كما يقدع الفرس باللجام، تقول: أعلكت الفرس لجامه: إذا رددته عن تنزّعه، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه. (الروض ١/٦٥).

(٥) قال في الروض الأنف ١/٦٦: «وقول ابن هشام: أول الأشهر الحرم: المحرم. قول. وقد قيل: أولها ذي القعدة. لأن رسول الله ـ ﷺ ـ بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم، ومن قال: المحرم أولها: احتج بأنه أول السنة.

وفقه هذا الخلاف: أن من نذر صيام الأشهر الحرم، فيقال له على الأول: إبدأ بالمحرم، ثم برجب، ثم بذي القعدة، وذي الحجة.

وعلى القول الآخر يقال له: إبدأ بذي القعدة حتى يكون آخر صيامك في رجب من العام الثاني».

الكناني يحدث في القليس: قال ابن إسحاق: فخرج الكِناني حتى أتى القُلَّيْس فقعد[1] فيها ـ قال ابن هشام: يعني أحدث فيها ـ.

قال ابن إسحاق: ثم خرج فلحِق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة فقال: مَنْ صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكة لما سمع قوله: «أصرف إليها حجّ العرب» غضب فجاء؛ فقعد فيها، أي: أنها ليست لذلك بأَهْلٍ.

خروج أبرهة لهدم الكعبة: فغضب عند ذلك أبرهة وحلف: ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشةَ فتهيّأت وتجهّزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعتْ بذلك العرب، فأعظموه وفظعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة. بيت الله الحرام.

أشراف اليمن يدافعون عن البيت: فخرج إليه رجلٌ من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نَفْر، فدعا قومه، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدْمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك مَنْ أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهُزم ذو نفر وأصحابه، وأُخذ له ذو نفر، فأتي به أسيراً، فلما أراد قتله، قال له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلًا حليماً.

خثعم تجاهد أبرهة: ثم مضى أبرهةُ على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم[2] عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمي في قَبيلَيْ

---

(١) قال في الروض الأنف ١/٦٦: «فيه شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء في تفسير القعود على المقابر المنهي عنه، وأن ذلك للمذاهب كما قال مالك. والله أعلم».

(٢) خثعم: اسم جبل سمي به بنو عِفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار، لأنهم نزلوا عنده، وقيل: إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم، أي: تلطخوا. (الروض ١/٦٦).

خثعم: شهران وناهس[1]، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخذ له نفيل أسيراً، فأتي به، فلما هَمَّ بقتله قال له نُفَيل: أيها الملك، لا تقتلني فإنّي دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلَيْ خثعم: شهران وناهس بالسمع والطاعة، فخلّى سبيله.

وخرج به معه يدلّه، حتى إذا مَرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب، ابن مالك، بن كعب، بن عمرو، بن سعد، بن عوف، بن ثقيف في رجال ثقيف. ـ واسم ثقيف: قسي بن النَّبيت، بن منبّه، بن منصور، بن يقدم، بن أفصى، بن دُعْمِيّ، بن إياد، بن نزار، بن معد[2]، بن عدنان ـ.

قال أمية بنْ أبي الصلت الثقفي:

قومي إياد لو أنهم أمَم ... أولو أقاموا فتهزل النَّعَم[3]
قوم لهم ساحة العراق إذا ... ساروا جميعاً والقِط والقلم[4]

وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت ـ أيضاً ـ:

فإما تسألي عنّي ـ لُبَيْنَى ... وعن نسبي ـ أخبِّرك اليقينا

(١) وقيل: بل خثعم ثلاث: شهران وناهس وأكلب، غير أن أكلب عند أهل النسب هو: ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا في خثعم، وانتسبوا إليهم. فالله أعلم. (الروض ١/٦٦).

(٢) اختلف النسابون في نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى إياد، والبعض إلى قيس، وقد نُسبوا إلى ثمود أيضاً. (الروض ١/٦٦).

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف ١/٦٧: «ووقع في هذه النسخة في نسب ثقيف الأول: ابن إياد بن معد. وفي الحاشية: أن القاضي أبا الوليد غيَّره، فجعل مكان ابن معد: من معد، وذلك ـ والله أعلم ـ لأن إياد هذا هو ابن نزار، وليس بابن معد لصلبه. ولمعد ابنٌ اسمه إياد، وهو ابن لصلبه، وقد ذكره ابن إسحاق. وهو عم إياد، والإياد في اللغة: التراب الذي يضم إلى الخباء ليقيه من السيل ونحوه، وهو مأخوذ من الأيد، وهي القوة، لأن فيه قوة الخباء، وهو بين النُّؤي والخباء، والنُّؤي: يشتق من النائي، لأنه حفير ينأى به المطر، أي: يبعد عن الخباء» أهـ.

(٤) يريد: أي لو أقاموا بالحجاز، وإن هُزلت نعمهم لأنهم انتقلوا عنها، لأنها ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق، ولذلك قال: والقط والقلم، والقط: ماقط من الكاغد والرق ونحوه، وذلك أن الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا اليها، وقد قيل لقريش: ممن تعلمتم القط؟ فقالوا: تعلمناه من أهل الحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار..».

فـإنّـا لـلـنـبـيـت أبي قسي لمنصـور بـن يَقْـدُم الأقـدمينـا

قـال ابن هشـام: ثقيف: قسي بن منبّـه، بن بكـر، بن هـوازن، بن منصور، بن عِكرمـة، بن خَصَفة، بن قيس، بن عيـلان، بن مُضَر، بن نزار، ابن معدّ، بن عدنان، والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأُميَّة.

ثقيف تهادن أبرهة: قال ابن إسحـاق: فقالـوا له: أيهـا الملك، إنّما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لـك خلاف، وليس بيتنـا هذا البيت الذي تريد ـ يعنون اللات ـ إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلّك عليه، فتجاوز عنهم.

واللات: بيت لهم بالطائف كانوا يعظّمونه نحو تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة النحوي لضِرار بن الخطّاب الفِهْري:

وفـرّت ثـقـيـف إلى لاتهـا بمـنـقـلب الخـائـب الخـاسر

وهذا البيت في أبيات له.

أبو رغال ورَجْم قبره: قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رغـال يدلّـه على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبـو رغال حتى أنزله الْمُغَمِّس، فلما أنـزله بـه مـات أبو رغـال هناك، فـرجمت قبره العـرب، فهـو القبر الـذي يـرجم النـاس بالمغمس[1].

---

(١) قـال ابن كثير في السيـرة له ٣٢/١: «وفي قصـة ثمود أن أبـا رغال كـان رجلاً منهم، وكـان يمتنع بالحرم، فلما خرج منه أصابه حجر فقتله، وأن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لأصحابه: (وآية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب) فحفروا فوجدوهما.

قال: وهو أبو ثقيف.

قال ابن كثير: والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن إسحاق: أن أبا رغال هذا المتـأخر وافق اسمُـه اسمَ جده الأعلى، ورجمـه الناس كمـا رجموا قبـر الأول أيضاً والله أعلم. وقـد قـال جرير:

إذا مـات الـفـرزدق فـارجـمـوه كـرجـمـكـم لـقـبـر أبـي رغـال

الظاهر أنه الثاني» أهـ. وانظر (الروض الأنف ٦٨/١).

الأسود بن مقصود يهاجم مكة: فلما نزل أبرهةُ المغمَّس، بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود[1] على خيل له، حتى انتهى إلى مكـة، فساق إليـه أموال تِهـامة من قـريش وغيرهم وأصـاب فيها مـائتي بعير لعبـدالمطّلب بن هاشم، وهو يومئذ كبـير قريش وسيّـدها، فهمّت قـريش وكِنانـة وهُذَيـل، ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى مكة: وبعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيّد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل لـه: إنّ الملك يقول لـك: إنّي لم آت لحربكم، إنما جئت لهـدم هذا البيت، فـإن لم تتعرّضـوا دونه بحـرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يُرِدْ حربي فأتني به؛ فلما دخل حناطة مكة، سـأل عن سيّد قريش وشريفها؟ فقيل له: عبدالمطّلب بن هاشم، فجاءه، فقال لـه ما أمره به أبرهة، فقـال له عبـدالمطّلب: والله مـا نريـد حربـه، وما لنا بذلـك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ أو كما قـال ـ فإن يمنعه منه، فهو بيته وحرمه، وإن يُخَلّ بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفـع عنه. فقال له حناطة: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

أنيس يشفـع لعبدالمـطّلب: فانـطلق معه عبـدالمطّلب، ومعـه بعض بنيه، حتّى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفْر ـ وكان لـه صديقـاً ـ حتى دخل عليـه وهو في محبسه، فقال له: ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال لـه ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدَيْ ملك ينتظر أن يقتله غدوّاً أو عشياً؟! ما عندنا غَناء في شيء مما نزل بك، إلاّ أنّ أنيساً سائس الفيل صديق لي، وسيرسل إليه فـأوصيه بـك، وأُعظم عليـه حقَّك، وأسـأله أن يستـأذن لـك عـلى الملك، فتكلّمـه بمـا بدا لك، ويشفع لك عنـده بخير إن قـدر على ذلـك. فقال: حسبي. فبعث ذو نفـر إلى أنيس، فقال لـه: إنّ عبدالمـطّلب سيّد قـريش، وصاحب عـير[1] مكة،

---

(١) وهي (عير) بالراء في الطبري. وفي ابن كثير (عين) والمقصود بعين مكة: زمزم التي حفرهـا عبدالمطّلب.

يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلّم أنيسٌ أبرهةَ، فقال له: أيها الملك: هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عِير مكة، وهو يُطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذَنْ له عليك فيكلّمك في حاجته، قال: فأذِن له أبرهة.

قال: وكان عبدالمطّلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم[1]، فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال: حاجتي أن يردّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدتُ فيك حين كلّمتني، أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلّمني فيه؟ قال له عبدالمطّلب: **إنّي أنا ربّ الإبل وإنّ للبيت ربّاً سيمنعه**. قال: ما كان ليمتنع منّي. قال: أنت وذاك.

الوفد المرافق لعبدالمطّلب: وكان ـ فيما يزعم بعض أهل العلم ـ قد ذهب مع عبدالمطّلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حناطة، يَعمر بن نُفاثة بن عَدِيّ بن الدُّئل بن بكر بن مَناة بن كِنانة ـ وهو يومئذ سيّد بني بكر ـ وخُويلد بن واثلة الهُذَلي ـ وهو يومئذٍ سيّد هُذَيل ـ فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم. والله أعلم أكان ذلك، أم لا. فردّ أبرهة على عبدالمطّلب الإبل التي أصاب له.

فلما انصرفوا عنه، انصرف عبدالمطّلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرُّز في شعَف الجبال والشِّعاب تخوّفاً عليهم من

---

(١) ذكر السهيلي في الروض ١/٦٩ أن الرواية: أوسم الناس وأجمله وأعظمه. ثم ذكر وجه ذلك.

مَعَرَّة الجيش، ثم قام عبدالمطّلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبدالمطّلب وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة:

لاهُمَّ[1] إنّ العَبْدَ يمـ ... ـنع رَحْلَهُ فامنعْ حلالَكْ
لا يغلبنّ صَليبُهُم ... ومِحالُهم غَدْواً مِحالَكْ
إنّ كنتَ تاركهم وقبـ ... ـلتنا فأمر ما بدالك

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له منها.

قال ابن إسحاق: وقال عِكْرِمة بن عامر بن هاشم بن عبدمَناف بن عبد الدار بن قُصَيّ:

لاهُمَّ أخز الأسود بن مقصود ... الآخذ الهجمة فيها التقليدْ[2]
بين حِرَاء وثبير فالبيد ... يحبسها وهي أُولات التطريدْ
فَضَمَّها إلى طماطم سود ... أخفره ياربّ وأنت محمودْ[3]

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها، والطماطم: الأعلاج[4].

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبدالمطّلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

---

(١) العرب تحذف الألف واللام من (اللهم)، وتكتفي بما بقي. فـ لا همّ: أصلها: اللهم. أنظر (الروض الأنف ١/ ٧٠).
والحلال في هذا البيت: القوم الحلول في المكان، والحلال مركب من مراكب النساء، والحلال أيضاً: متاع البيت، وجائز أن يستعيره هنا. (الروض ١/ ٧٠).

(٢) الهجمة: هي ما بين التسعين الى المائة. والمائة منها: هنيدة. والمائتان: هند. وكأن اشتقاق الهجمة من الهجيمة: وهو الثخين من اللبن، لأنه لما كثر لبنها لكثرتها، لم يمزج بماء، وشرب صرفاً ثخيناً، ويقال للقدح الذي يحلب فيه إذا كان كبيراً: هجم. (الروض ١/ ٧١).

(٣) أي: انقض عزمه وعهده، فلا تؤمنه. يقال: أخفرت الرجل: إذا نقضت عهده، وخفرته أخفره: إذا أجرته.

(٤) كفّار العجم.

فلما أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكة، وهيّأ فِيَله، وعَبّى جيشه ـ وكان اسم الفيل محموداً ـ وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجّهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفَيل بن حبيب[1] حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأُذنه، فقال: ابرك محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنّك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أُذنه. فبرك الفيل[2]، وخرج نُفيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطَبْرزين؛ ليقم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مَرَاقّه فبزغوه[3] بها ليقوم فأبى، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى مكة فبرك.

عقاب الله لأبرهة وجُنده: فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان[4]، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحُمّص والعَدَس، لاتصيب منهم أحداً إلاّ

---

(١) قال السهيلي في (الروض الأنف ١/٧٢): «ونفيل الذي ذكره ـ أي ابن هشام ـ هو: نفيل بن عبدالله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب بن ربيعة بن عِفْرس بن خلف بن أفتل ـ وهو خثعم ـ كذلك نسبه البرقي. وفي الكتاب: نفيل بن حبيب. ونفيل من المسمّين بالنبات. قاله أبو حنيفة، وهو نبت مسلنطح على الأرض» اهـ.

(٢) قال السهيلي ١/٧١ ـ ٧٢: «قوله: فبرك الفيل. فيه نظر، لأن الفيل لايبرك، فيحتمل أن يكون بروكه: سقوطه إلى الأرض، لما جاءه من أمر الله سبحانه، ويحتمل أن يكون فعل فِعْلَ البارك الذي يلزم موضعه، ولا يبرح، فعبّر بالبروك عن ذلك. وقد سمعت من يقول: إن في الفيلة صنفاً منها يبرك كما يبرك الجمل، فإن صحّ وإلاّ فتأويله ما قدّمناه» اهـ. وانظر (السيرة لابن كثير ١/٣٥).

(٣) الطبرزين آلة معقفة من حديد، والمحاجن جمع محجن وهو عصا معوجّة قد يجعل فيها حديده.

وبزغوه: أي أدْمَوْه.

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق: أن الفيل ربض، فجعلوا يقسمون بالله أنهم رادّوه إلى اليمن، فحرّك لهم أذنيه، كأنه يأخذ عليهم عهداً بذلك، فإذا أقسموا له قام يهرول، فيردّونه إلى مكة، فيربض، فيحلفون له، فيحرّك لهم أذنيه كالمؤكّد عليهم، ففعلوا ذلك مراراً. أنظر (الروض الأنف ١/٧٢).

(٤) قال ابن الأثير في (النهاية ١/١١١): «قال عباد بن موسى: أظنها الزرازير.» اهـ.

هَلَك[1]، ـ وليس كلّهم أصابت[2] ـ وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفيل بن حبيب، ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أين المفرّ والإلٰه الطالب ... والأشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن هشام: قوله: «ليس الغالب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال نُفيل أيضاً:

ألا حُيّيت عنا يارُدَيْنا ... نَعِمْنَاكم مع الإصباح عينا[3]
ردينة لو رأيت ـ ولا ترَيْهِ ... لدى جنْب المحصَّبِ ما رأينا
إذاً لعذرتني وحمدت أمري ... ولم تأسَيْ على مافات بَيْنا
حمدتُ الله إذ أبصرتَ طيراً ... وخفتُ حجارةً تُلْقَى علينا
وكلُّ القوم يسأل عن نُفَيْل[4] ... كأنَّ عليَّ للحبشان دَيْنا

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون بكلّ مهلك، على كلّ منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة: كلّما سقطت أُنملة، أتّبعتها منه مِدَّة تَمُثُّ[5] قيحاً ودماً، حتى قدِموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق: حدّثني يعقوب بن عُتبة أنه حُدّث: أنّ أول ما رؤيت الحصبة والجُدَري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤي بها مرائر

---

(١) أنظر قصة قدوم أبرهة على مكة شرّفها الله ليهدمها بفيله. (تفسير البغوي ٤/٥٢٥ ـ ٥٢٩ وتفسير ابن كثير ٤/٥٤٨ ـ ٥٥٣ وسيرة ابن كثير ١/٢٩ ـ ٣٩).

(٢) هذا دعاء، أي: نعمنا بكم، وهذا كما تقول: أنعم الله بك عيناً.

وقوله: ألا حييت عنا يا ردينا: هو اسم امرأة، كأنها سميت بتصغير ردنة: وهي القطعة من الردن وهو الحرير، وفي تفسير ابن كثير ٤/٥٥٠ (ودينا) بالواو وهو خطأ.

(٣) في تفسير ابن كثير ٤/٥٥٠: فكل القوم تسأل عن نفيل.

(٤) أي: ينتثر: جسمه قطعة قطعة.

(٥) تمث قيحاً: أي: تسيل.

الشجر: الحرمل والحنظل والعُشَر[1] ذلك العام.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمداً ـ ﷺ ـ كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم، فقال الله تبارك وتعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾**. وقال: **﴿لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**. أي: لئلّا يغيّر شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

تفسير مفردات سورتي الفيل وقريش: قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلّم لها العرب بواحد علمناه[2]، وأما السِّجِّيل، فأخبرني يونس النحْوي وأبو عُبيدة[3]: أنه عند العرب: الشديد الصُّلْب، قال رُؤبة بن العَجّاج:

ومسَّهم ما مسَّ أصحاب الفيلْ ترميهم حجارة من سِجِّيلْ
ولعبت طير بهم أبابيل

وهذه الأبيات في أرجوزة له.

ذكر بعض المفسّرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة

---

(١) العشر: شجر مر يحمل ثمراً كالأترج وليس فيه منتفع.

(٢) وهذا قول الفراء كما ذكر ابن حجر في الفتح ٨/٧٢٩ وقول أبي عبيدة كما في مجاز القرآن له ٢/٣١٢.

وقد ذكر غيرهم أن واحدها: إبالة، بالتخفيف، وقيل: بالتشديد، وقيل: أبول كعجول وعجاجيل، وقيل: إبيل أنظر (فتح الباري ٨/٧٢٩ والروض الأنف ١/٧٥ وتفسير ابن كثير ٤/٥٥١).

(٣) أنظر مجاز القرآن له ٢/٣١٢ حيث قال: هو كل شيء شديد. وانظر (المفردات للراغب ص ٢٢٤ وبصائر ذوي التمييز ٣/١٩٣ وتفسير الطبري ٣٠/١٩٧ وتفسير مجاهد ٢ (٧٨٢ ـ ٧٨٤).

واحدة، وإنما هو سَنْج وجِلّ يعني بالسنج: الحجر، وبالجلّ: الطين، يعني الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين. والعصف: ورق الزرع الذي لم يُقصّب، وواحدته عصفة. قال: وأخبرني أبو عُبيدة النحْوي أنه يقال له: العُصافة والعَصيفة. وأنشدني لعلقمة بن عَبَدة أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم:

تَسقي مَذانب قد مالت عصيفتها   حَدُورُها من أَتِيِّ الماء مطموم[1]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الراجز:

فصُيِّروا مثلَ كعصف مأكول

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير في النحو[2].

وإيلاف قريش: إلفهم الخروج إلى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خَرْجتان: خرجة في الشتاء، وخرجة في الصيف. أخبرني أبو زيد الأنصاري: أنّ العرب تقول: أَلِفت الشيء إلفاً، وآلفته إيلافاً، في معنى واحد[3]. وأنشدني لذي الرُّمَّة:

من المُؤْلفات الرمل أدماء حُرة   شعاع الضحى في لونها يتوضّح

وهذا البيت في قصيدة له. وقال مطرود بن كعب الخُزاعي:

---

(١) مذانب: مسايل. حدورها: ما انحدر منها ويروي جدورها: أي الحواجز التي تحبس الماء. والأتي: الماء يأتي من بعيد. والمطموم: الماء المرتفع.

(٢) تفسيره: أن الكاف تكون حرف جر، وتكون اسماً بمعنى مثل، ويدلك أنها حرف وقوعها صلة للذي، لأنك تقول: رأيت الذي كزيد، ولو قلت: الذي مثل زيد، لم يحسن. ويدلك أنها تكون اسماً: دخول حرف الجر والكاف عليها. (الروض الأنف ١/٧٥).

(٣) قال السهيلي ١/٧٦: «جعله من الإلف للشيء، وفيه تفسير آخر أليق، لأن السفر قطعة من العذاب، ولا تألفه النفس، إنما تألف الدعة والكينونة مع الأهل، قال الهروي: هي حبال، أي: عهود كانت بينهم وبين ملوك العجم، فكان هاشم يؤالف إلى ملك الشام، وكان المطّلب يؤالف إلى كسرى، والآخران يؤالفان أحدهما الى ملك مصر، والآخر إلى ملك الحبشة، وهما: عبد شمس ونوفل. . =

المنعمين إذا النجوم تغيّرت والظاعنين لرحلة الإيلاف

وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى. والإيلاف أيضاً: أن يكون للإنسان ألف من الإبل، أو البقر، أو الغنم، أو غير ذلك. يقال: آلف فلان إيلافاً. قال الكُميت بن زيد ـ أحد بني أسد، بن خُزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مُضَر، بن نزار، بن معد:

بعام يقول له المؤلّفو ن هذا المُعِيم لنا المُرْجِلُ

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً: أن يصير القوم ألفاً، يقال: آلف القوم إيلافاً. قال الكُميت بن زيد:

وآل مُزَيقياء غداة لاقَوْا بني سعد بن ضبّة مؤلّفينا

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً: أن تؤلّف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه، يقال: آلفته إيّاه إيلافاً. والإيلاف أيضاً: أن تصير ما دون الألف ألفاً، يقال: آلفته إيلافاً.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبدالرحمن، بن سعد، بن زُرارة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعَدَيْن يستطعمان الناس.

= قال: ومعنى يؤالف: يعاهد ويصالح ونحو ذلك. فيكون الفعل منه أيضاً آلف على وزن فاعل. والمصدر إلافاً بغير ياء مثل: قتالاً، ويكون الفعل منه أيضاً آلف على وزن أفعل مثل: آمن، ويكون المصدر: إيلافاً بالياء، مثل: إيماناً. وقد قرىء لإلاف قريش بغير ياء، ولو كان من آلفت الشيء على وزن أفعلت إذا ألفته لم تكن هذه القراءة صحيحة، وقد قرأ ابن عامر، فدلّ هذا على صحة ما قاله الهروي، وقد حكاه عمن تقدّمه» أهـ.

وانظر في متعلّق اللام في قوله (لإيلاف قريش) (الروض الأنف ١/٧٦ وتفسير الطبري ٢٠/١٩٧ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤١٣ ـ ٤١٥). وحاشية الصاوي على الجلالين ٤/٣٥٥ وغير ذلك من التفاسير.

ما قيل في قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق: فلما ردَّ الله الحبشةَ عن مكـةَ، وأصابهم بمـا أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشاً، وقـالوا: هم أهـلُ الله، قاتـل الله عنهم وكفـاهم مؤونة عدوّهم، فقـالوا في ذلـك أشعاراً يـذكرون فيهـا مـا صنـع الله بالحبشةِ، وما ردّ عن قريش من كَيْدهم.

فقـال عبـدالله بن الـزِّبَعْـرى بن عـديّ، بن قيس، بن عـدِيّ، بن سعيـد[1]، بن سهـم، بن عـمـرو، بن هُـصَيص، بـن كعـب، بن لُـؤَيّ، بن غالب، بن فِهْر:

تَـنَكّـلوا عـن بـطن مكـة، إنـهـا ... كـانت قـديمـاً لا يُـرام حـريمهـا
لم تخلق الشِّعـرى ليالي حُـرِّمت ... إذ لا عـزيـز من الأنـام يـرومهـا
سـائِلْ أميـر الجيش[2] عنهـا مـا رأى ... ولســوف يُنْبي الجـاهلين عليمُهـا
ستُّـون ألفـاً لم يؤوبـوا أرضَهـم ... ولم يَعِشْ بعـد الإيـاب سَقيمُـهـا
كـانت بهـا عـادٌ وجُـرْهُمُ قَبْـلَهُمْ ... والله مِـنْ فـوقِ العبـادِ يقيـمـهـا

قال ابن إسحاق: يعني ابنُ الزِّبَعْرَي بقوله:
بعد الإياب سقيمها

أبرهة، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصنعاء.

شعـر بن الأسلت: وقال أبـو قيس بن الأسلت الأنصـاري ثم الخَـطْمِي واسمه: صيفيّ.

قال ابن هشام: أبو قيس: صيفيّ بن الأسلت، بن جُشَم، بن وائل، بن زيد. بن قيس، بن عامر، بن مُرَّة، بن مالك، بن الأوس:

---

(١) نسب ابن إسحـاق عبدالله بن الـزبعري إلى عـدي بن سُعيد بن سهم. والصـواب: سعد بن سهم، وإنما سُعيد: أخو سعد.
(٢) في سيرة ابن كثير ١/٣٩: أمير الحُبْش.

ومن صُنْعِهِ يوم فيل الحُبُو ش إذ كلّما بَعَثوه رَزَمْ[1]
مَحاجِنُهُمْ تحت أقرابه وقد شَرَّموا أَنْفَهُ فانْخَرمْ[2]
وقد جعلوا سَوْطَهُ مِغْولاً إذا يَمَّمُوهُ قفاه كُلِمْ[3]
فولَّى وأَدْبَرَ أدراجَهُ وقد باء بالظلم من كان ثَمّ
فأرسل من فوقهم حاصباً فَلَفَّهُمُ مثلَ لَفِّ القُزُمْ[4]
تحضُّ على الصبر أحبارُهُمْ وقد ثَأَجُوا كثُؤَاج الغَنَم[5]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له. والقصيدة أيضاً تروى لأمية بن أبي الصلت.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس بن الأسلت:

فقوموا فصَلُّوا رَبَّكُمْ، وتمسّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب[6]
فعندكم منه بلاءٌ مُصَدَّق غداة أبي يَكْسُوم هادِي الكتائبِ
كتيبته بالسهل تُمسي[7] ورَجْلهُ على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصبِ[8]
فولَّوْا سِراعاً هاربين ولم يَؤُبْ إلى أهله مِلْحِبْشِ غير عصائب[9]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله:

على القاذفات في رؤوس المناقب

(١) رزم: أقام مكانه لم يتحرك.
(٢) الأقراب: جمع قُرُب، وهو الخاصرة، أو من الشاكلة الى مراق البطن.
(٣) المغول: سكين كبيرة.
(٤) القُزُم: جمع قَزَم. وهو الضئيل الجسم: صغار الغنم.
(٥) ثأجوا: صاحوا.
(٦) صلُوا: ادعوا. والأخاشب: جبال مكة.
(٧) في سيرة ابن كثير ١/٤٠: تمشي.
(٨) السافي: الذي يرمي بالتراب، والحاصب: الذي يرمي بالحصباء.
(٩) ملحبش: أصلها من الحبش.

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس، سأذكرها في موضعها إن شاء الله.

وقوله: «غداة أبي يكسوم»: يعني: أبرهة، كان يُكْنَى أبا يكسوم.

شعر طالب بن أبي طالب: قال ابن إسحاق: وقال طالب بن أبي طالب بن عبدالمطّلب:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وجيش أبي يكسوم إذ ملئوا الشِّعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سَربا[1]

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

شعر أبي الصلت الثقفي: قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي في شأن الفيل، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

قال ابن هشام: تُروى لأُميَّة بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي:

إنَّ آياتِ ربِّنا ثاقباتٌ لا يُماري فيهنَّ إلّا الكَفُورُ
خَلَقَ الليلَ والنهارَ فكُلٌّ مُسْتَبِينٌ حسابُهُ مَقْدُورُ
ثم يَجْلُو النهارَ رَبٌّ رَحِيمٌ بِمَهَاةٍ شُعَاعها مَنْشُورُ[2]
حُبس الفيل بالمُغمَّسِ[3]، حتى ظل يَحْبُو كأنه مَعْقُورُ
لازماً حَلْقَةَ الجِران[4] كما قُطِّر[5] مِنْ صَخْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ[6]
حَوْلَهُ من مُلوك كِنْدة أبطا لٌ مَلَاويث في الحروب صُقور

---

(١) السرب بالفتح: المال الراعي، والسرب بالكسر: القطيع من البقر والظباء، ومن النساء أيضاً. (الروض ١ / ٨٠).

(٢) المهاة: الشمس، سميت بذلك لصفائها، والمها من الأجسام: الصافي الذي يرى باطنه من ظاهره. والمهاة: البلّورة، والمهاة: الظبية. (الروض ١ / ٨٠).

(٣) المغمس: والمسمو: كسر الميم الآخرة.

(٤) الجران: العنق، يريد: ألقى بجرانه إلى الأرض.

(٥) في سيرة ابن كثير ١ / ٤٠: كما قُدَّ...

(٦) من صخر كبكب: جبل. ومحدور: حجر حدر حتى بلغ الأرض. (الروض ١ / ٨٠).

خَلَّفُوه ثم ابذَعَرُّوا جميعاً   كلهم عَظْمُ ساقه مكسور[1]
كلّ دينٍ يومَ القيامة عند الله إلاّ دينَ الحنيفةِ بُورُ[2]

شعر الفرزدق: قال ابن هشام: وقال الفرزدق ـ واسمه همام، بن غالب، أحد بني مجاشع، بن دارم، بن مالك، بن حنظلة، بن مالك، بن زيد مَناة، بن تميم ـ يمدح سليمان بن عبدالملك بن مروان. ويهجو الحَجَّاج بن يوسف، ويذكر الفيل وجيشه:

فلما طغى الحَجَّاجُ حين طغى به   غِنَى قال: إني مُرتقٍ في السلالم[3]
فكان كما قال ابن نوح: سأرتقي   إلى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى   عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنوداً تسوق الفيل حتى أعادهم   هباءً، وكانوا مُطْرخمّي الطراخم[4]
نُصرتَ كنصر البيت إذ ساق فيله   إليه عظيمُ المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات في قصيدة له:

شعر ابن قيس الرُّقَيَّات: قال ابن هشام: وقال عبدُ الله بنُ قيس الرُّقَيَّات[5] ـ أحد بني عامر، بن لُؤَيّ، بن غالب، يذكر أبرهة ـ وهو الأشرم ـ والفيل:

كاده الأشرم الذي جاء بالفيـ   ـل فولّى وجيشه مهزومُ

---

(١) أبذعرّوا: تفرقوا من ذعر. وهو كلمة منحوتة من أصلين: البذر والذعر. (الروض ١/٨١).
(٢) يريد بالحنفية: الأمة الحنيفة، أي: المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف ـ ﷺ ـ وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية، أي: عدل عنها، فسُمّي حنيفاً. أو حنف عمّا كان يصد آباؤه وقومه. (الروض ١/٨١).
(٣) غنى: أي استغناء.
(٤) المطرخم: الممتلىء كبراً أو غضباً. والطراخم: جمع مطرخم على قياس الجمع.
(٥) اختلف في تلقيبه بـ قيس الرقيات. فقيل: كان له ثلاث جدات كلهن رقية.
فمن قال فيه: ابن الرقيات. فإنه نسبه إلى جداته. ومن قال: قيس الرقيات، دون ذكر ابن، فإنه نسبه. وقيل: بل شبب بثلاث نسوة كلهن تعمى: رقية. وقيل: بل ببيت قاله وهو: رقية ما رقية أيها الرجل. (الروض ١/٨١).

واستهلَّتْ عليهمُ الطيرُ بالجنْـ ـدلِ حتى كأنَّه مرجومُ[1]
ذاك من يَغْزُه من الناس يرجعْ، وهو فَلٌّ من الجيوش ذَمِيمُ
وهذه الأبيات في قصيدة له.

ولدا أبرهة: **قال ابن إسحاق:** فلما هلك أبرهة، ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة، وبه كان يُكْنىٰ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة، ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة.

خروج سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر: فلما طال البلاءُ على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن الحِمْيَري[2] وكان يُكْنىٰ بأبي مرة، حتى قدِم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُشْكِه[3].

النعمان يتشفع لسيف عند كسرى: فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر - وهو عامل كسرى على الحيرة، وما يليها من أرض العراق - فشكا إليه أَمْرَ الحبشة، فقال له النعمان: إنّ لي على كسرى وِفادة في كل عام، فأقم [عندي][4] حتى يكون ذلك، ففعل. ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان

---

(١) قال السهيلي في (الروض الأنف ١/٨١): «وقوله: حتى كأنه مرجوم. وهو قد رجم، فكيف شبهه بالمرجوم، وهو مرجوم بالحجارة؟ وهل يجوز أن يقال في مقتول: كأنه مقتول؟
فنقول: لما ذكر استهلال الطير، وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر، والمطر ليس برجم، وإنما الرجم بالأكف ونحوها. شبّهه بالمرجوم الذي يرجمه الآدميون، أو من يعقل ويتعمد الرجم من عدو ونحوه، فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوماً على الحقيقة، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك، وإنما أُمطروا حجارة، فمن ثم قال: كأنه مرجوم» أهـ.

(٢) وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبَح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قُطُن بن عريب بن زهير بن أيْمَن بن الهميسع بن العَرَنْجَج وهو: حِمْيَر بن سبأ. (الروض ١/٨٢، وسيرة ابن كثير ١/٤٢).

(٣) أي: لم يستجب لشكواه.

(٤) زيادة من سيرة ابن كثير ١/٤٢ نقلاً عن ابن إسحاق.

كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه مثل القَنْقَل العظيم[1] - فيما يزعمون - يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذَّهب والفضّة، معلّقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل تاجه، إنّما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يدخل رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك، إلّا برك هيبةً له، فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ سيفاً لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك: إنّ هذا الأحمق يدخل عليّ من هذا الباب الطويل، ثم يطأطيء رأسه؟! فقيل ذلك لسيف، فقال: إنما فعلت هذا لِهمِّي، لأنه يضيق عنه كل شيء.

قال ابن إسحاق: ثم قال له: أيها الملك، غَلَبَتْنَا على بلادنا الأغربةُ فقال له كسرى: أيُّ الأغربة: الحبشة أم السِّنْد؟ فقال: بل الحبشة، فجئتك لتنصرني، ويكون ملك بلادي لك، قال: بَعُدَتْ بلادُك مع قلّة خيرها، فلم أكن لأوَرّط جيشاً من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كسوة حسنة. فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر ذلك الوَرِقَ للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إنّ لهذا لشأناً، ثم

---

(١) القَنْقَل الذي شبّه به التاج هو مكيال عظيم. قال الراجز يصف الكمأة:

مالك لا تجرفها بالقنقل لا خير في الكمأة إن لم تفعل

وفي الغريبين للهروي: القنقل: مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منّاً ولم يذكر كم المنّ وأحسبه وزن رطلين، وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين استُلب من يَزْدَجِرْد بن شهريار، تصيَّر إليه من قِبل جده أنو شروان المذكور، فلما أُتي به عمر - رضي الله عنه - دعا سراقة بن مالك المُدْلِجي، فحلّاه بإسورة كسرى، وجعل التاج على رأسه، وقال له: «قل: الحمد لله الذي نزع تاج كسرى، ملك الأملاك من رأسه، ووضعه في رأس أعرابيّ من بني مُدْلج، وذلك بعزّ الإسلام وبركته لا بقوّتنا» وإنما خصّ عمر سراقة بهذا؛ لأن رسول الله - ﷺ - كان قال له: «يا سراق كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك وإسواره في يديك» أو كما قال - ﷺ -. (الروض الأنف ١/٨٢).

بعث اليـه، فقال: عمـدت إلى حِبَاء الملك تنثـره للناس. فقـال: وما أصنـع بهذا؟ ما جبـالُ أرضي التي جئت منها إلّا ذهب وفضّـة ـ يرغّبـه فيها ـ فجمـع كسرى مرازبته[1]، فقال لهم: مـاذا ترون في أمـر هذا الـرجل، ومـا جاء لـه؟ فقال قائل: أيها الملك، إن في سجونك رجـالاً قد حبستهم للقتـل، فلو أنك بعثتهم معـه، فإن يهلكـوا كان ذلـك الَّذي أردتَ بهم، وإن ظفـروا كان ملكـاً ازددتَهُ، فبعث معه كسرى من كان في سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل.

انتصـار سيف: واستعمل عليهم رجـلاً يقـال لـه وَهْـرِز، وكـان ذا سنّ فيهم، وأفضلهم حسبـاً وبيتاً، فخـرجوا في ثمـان سفائن، فغـرقت سفينتـان، ووصل إلى ساحـل عدن ست سفـائن[2]. فجمع سيـف إلى وهـرز من استطاع من قومه[3]، وقال له: رجلي مع رجلك حتى نموت جميعـاً، أو نظفـر جميعاً. قال له وهرز: أنصفْتَ. وخرجَ إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمـع إليه جنده، فأرسل اليهم وهرز ابناً له؛ ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقُتل ابنُ وهـرز، فزاده ذلك حنقاً عليهم، فلما تواقف الناس على مَصَافِّهم، قال وهـرز: أروني مَلكَهم، فقالوا له: أترى رجلاً على الفيل عاقداً تـاجه على رأسـه، بين عينيه ياقوتة حمراء؟ قال: نعم، قالـوا: ذاك ملكهم، فقال: اتـركوه، قـال: فوقفـوا طويلاً، ثم قـال: عَلام هـو؟ قالـوا: قد تحـوَّل على الفرس، قـال: اتركـوه. فوقفوا طويلاً، ثم قال: علام هو؟ قالـوا: قد تحـوّل على البغلة. قال وهـرز: بنت الحمار؟! ذَلَّ وذلَّ مُلْكه، إنّي سأرميه، فإن رأيتم أصحابـه لم يتحرّكـوا، فاثبتوا حتى أوذِنَكم، فإنّي قد أخطأتُ الرجـلَ، وإن رأيتم القوم قـد استداروا ولاثوا به، فقد أصبتُ الرجل، فاحملوا عليهم. ثم وتَّرَ قوسـه، وكانت ـ فيمـا يزعمـون ـ لا يوترهـا غيره من شـدّتها، وأمـر بحاجبيـه، فعُصّبا لـه، ثم رماه،

---

(١) مرازبته: وزراؤه.

(٢) انظر (سيرة ابن كثير ١/٤٣).

(٣) وذكـر ابن قتيبة أنهم كـانوا سبعـة آلاف وخمسمـائـة، وانضـافت إليهم قبـائـل من العـرب. (الروض ١/٨٣).

فصَكَّ الياقوتة التي بين عينيه، فَتَغَلْغلت النُشَّابة في رأسه حتى خرجت من قفاه، ونكِّس عن دابته، واستدارت الحبشة ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا، فقُتلوا وهربوا في كل وجه. وأقبل وهرز، ليدخل صنعاء[1]، حتى إذا أتى بابها، قال: لا تدخل رايتي مُنَكَّسَةً أبداً، إهدموا الباب، فهُدِم، ثم دخلها ناصباً رايته.

شعر سيف بن ذي يزن في هذه القصة: فقال سيف بن ذي يزن الحِميري:

يظنُّ الناسُ بالمَلْكَيْـ ... ـنِ أنهما قَدِ التَأَمَا
وَمَنْ يَسْمَعْ بِلأمِهما ... فإنَّ الخَطْبَ قد فَقُما[2]
قتلنا القَيْلَ مَسْرُوقاً ... ورَوَّيْنَا الكثيبَ دَمَا[3]
وإنَّ القَيْلَ قَيْلُ النا ... س وهرز مقسمٌ قَسَمَا
يذوقُ مُشَعْشَعاً حتى ... يُفِيءَ السَّبْيَ وَالنَّعما[4]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له. وأنشدني خلّاد بن قُرَّة

---

(١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرها.

قال ابن الكلبي: وسُمّيت: صنعاء لقول وهرز حين دخلها: صَنْعة صنعة، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها، قال ابن مقبل يذكر أوال:

عمد الحُداة بها لعارض قرية ... وكأنها سفن بسيف أوال

وقال جرير:

وشبهت الحدوج غداة قَوٍّ ... سفين الهند رَوَّح من أوالا

وقال الأخطل:

خوص كأن شكيمهن معلق ... بقنا ردينة، أو جذوع أوال

وقد قيل: إن صنعاء اسم الذي بناها، وهو: صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ، فكانت تعرف تارة بأوال، وتارة بصنعاء. (الروض الأنف ١/ ٨٣ ـ ٨٤).

(٢) فقم: اشتد وعظم.
(٣) القيل: الملك.
(٤) يذوق: يريد: لا يذوق. والمشعشع: الشراب الممزوج بالماء.

السدوسي آخرها بيتاً لأعشى بني قيس بن ثعلبة في قصيدة له، وغيره من أهل العلم بالشعر يُنْكِرها له.

شعر أبي الصلت: قال إبن إسحاق. وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي. **قال ابن هشام:** وتُروى لأميَّة بن أبي الصلت.

ليَطْلُبِ الوتْر أمثالُ ابن ذي يزن ... ريَّم في البحر للأعداء أحوالاً[(١)]
يَمَّمَ قيصر لما حانَ رحلتُه ... فلم يجد عنده بعض الذي سالاَ
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرةٍ ... من السنين يُهين النفسَ والمالاَ
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... إنك عُمْري لقد أسرعت قِلْقالاَ[(٢)]
لله دَرُّهم مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجوا ... ما إنْ أَرَى لهمُ في الناس أمثالاَ
بيضاً مرازبةً، غُلبْاً أساوِرَةً ... أسْداً تُرَبِّبُ في الغَيْضَاتِ أَشْبَالاً[(٣)]
يرمون عن شُدُف كأنها غُبُط ... بزمخر يُعجل المرميَّ إعجالا[(٤)]
أَرْسَلْتَ أُسْداً على سُود الكِلاب فقد ... أضحى شريدُهُم في الأرض فُلّالا[(٥)]
فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفِقاً ... في رأس غُمدان داراً منك مِحْلاَلاَ[(٦)]
واشرب هنيئاً فقد شَالَتْ نَعامَتُهم ... وأسْبِلِ اليومَ في بُرْدَيْك إسبالا[(٧)]
تلك المكارمُ لا قُعْبَان من لَبَنٍ ... شيباً بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا

---

(١) يريد: أنه أقام في البحر، أو غاب زماناً وأحوالاً ثم رجع للأعداء. أنظرا (الروض ١/ ٨٤).
(٢) القلقال: شدة الحركة.
(٣) في سيرة ابن كثير: غلباً مرازبة بيضاً أساورة. والغلب الشجعان.
(٤) الشدف: القوس العوجاء الفارسية. والغبط: الهوادج والزمخر: النّشّاب وقوله: يرمون عن شدف: أي: يدفعون عنها بالرمي.
(٥) الفلّال: المنهزمون.
(٦) قال ابن كثير (السيرة ١/ ٤٦): «يقال: إن غمدان قصر باليمن بناه يعرب بن قحطان، وكمله [وأكمله] بعده واحتله واثلة بن حِمْيَر بن سبأ. ويقال: كان ارتفاعه عشرين طبقة» اهـ. وانظر (الروض الأنف ١/ ٨٥).
(٧) قوله: شالت نعامتهم: أي: هلكوا والنعامة: باطن القدم، وشالت: ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رجلاه وانتكس رأسه، فظهرت نعامة قدمه. (الروض الأنف ١/ ٨٥).

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له مما روى ابن إسحاق منها، إلاّ آخرها بيتاً قوله:

تلك المكارم لا قعبان من لبن

فإنه للنابغة الجعدْي. واسمه: حِبَّان بن عبدالله بن قيس[1]، أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة، بن عامر، بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، في قصيدة له.

شعر عديّ بن زيد: قال ابن إسحاق: وقال عدِيّ بن زيد الْحِمْيَرِيّ. وكان أحد بني تميم.

قال ابن هشام: ثم أحد بني امريء القيس بن زيد مَناة بن تميم، ويقال: عديّ من العبّاد[2] من أهل الحيرة:

مـا بَعْدَ صنعـاء كـان يَعْمُـرهـا ... ولاةُ مُـلْكٍ جَـزْلٍ مَـوَاهِـبُـهـا

رَفَّعَهـا مـن بنـي لَـدَى قَـزَع الـ ... ـمُـزْنِ وتَنْـدَى مِسْكـاً مَحـارِبُهـا[3]

محفـوفةً بـالجبـال دون عـرى الكـا ... ئـد مـا تُـرْتَـقـى غَـوَارِبُـهـا[4]

---

(١) وقيل: قيس بن عبدالله، وقيل: حبان بن قيس بن عبدالله، وهو أحد النوابغ. أنظر (الروض ١/٨٦).

(٢) العِباد، وهم من عبد القيس بن أفصى بن دُعْميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة. قيل: إنهم انتسلوا من أربعة: عبدالمسيح، وعبدكُلال، وعبدالله، وعبدياليل، وكذلك سائرهم في اسم كل واحد منهم: عبد، وكانوا قدِموا على ملك فتسموا له، فقال: أنتم العِباد فسمّوا بذلك، وقد قيل غير هذا. وفي الحديث المسند: أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد، وأحسبهم هؤلاء؛ لأنهم تنصّروا، وهم من ربيعة، ثم من بني عبدالقيس، والله أعلم. والذي ذكره الطبري في نسب عديّ بن زيد أنه ابن زيد بن حمّاد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصَية بن امريء القيس بن زيد مناة بن تميم. وقد دخل بنو امريء القيس بن زيد مناة في العِباد. فلذلك ينسب عديّ إليهم. (الروض الأنف ١/٨٦).

(٣) قزع المزن: السحاب المتفرّق.

(٤) دون عُرى الكائد، يريد: عرى السماء وأسبابها، ووقع في نسخة الشيخ: عَرى بفتح العين، وهي الناحية، وأضافها إلى الكائد، وهو الذي كادهم، والباري ـ سبحانه وتعالى ـ كيده متين. (الروض ١/٨٦).

يَــأْنَسُ فـيهــا صــوتُ الـنُّهــام إذا جــاوبهــا بــالعَشِيِّ قــاصبُهــا[1]
ســاقت إليـه الأسبـابُ جنـدَ بني الـ ـأحــرار فــرســانُـهــا مَــواكبُهــا
وفَــوَّزَتْ بــالبغــال تُــوسَـقُ بــالـ ـحتف وتـسعـى بهــا تَــوَالـبُـهــا[2]
حتى رآهـا الأقـوال من طـرف الـمـ ـنْقَــل مُـخَـضَّــرَةً كـتــائـبـهــا[3]
يــوم يـنــادون آل بَــرْبَــر والـيَــكْـ ـسُــوم لا يُــفْـلحــنَّ هــاربُــهــا[4]
وكــان يــوم بــاقي الـحـديث وزا لــت إمَّــة ثــابـتٌ مــراتـبُــهــا[5]
وبُـدِّل الفَيْـجُ بــالـزرافـة والأيــا م جــون جَــمٌّ عــجــائـبــهــا[6]
بــعــد بــنــي تُــبَّــع نَــخَــاوِرَةٌ قــد اطـمــأنت بـهــا مَــرَازِبهــا[7]

قـال ابن هشـام: وهـذه الأبيـات في قصيـدة له. وأنشـدني أبـو زيـد الأنصاري، ورواه لي عن المفضل الضبيّ. قوله:

يوم ينادون آل بربر واليكسوم

وهذا الذي عنى سطيح بقـوله: «يليـه إرم ذي يزن، يخـرج عليهم من

---

(١) صوت النهام، يريد ذَكر البوم، وقاصبها: الذي يزمّر في القصب.
(٢) فَوَّزَت بالبغال أي: ركبت المفاوز. تُوسق بالحتف، أي: أوسق البغـال الحتوف، وتـوالبها: جمع تولب، وهو ولد الحمار، والتاء في تـولب بدل من واو، كمـا هي في توءم وتـولج وفي توراة على أحد القولين، لأنّ اشتقاق التـولب من الوالبـة، وهي ما يـولده الـزرع، وجمعها: أوالب. (الروض ١/ ٨٦).
(٣) من طرف المَنْقَل أي: من أعالي حصونها، والمنقال: الخِرج ينقل إلى الملوك من قـرية إلى قرية، فكأن المنقل من هذا ـ والله أعلم ـ وقوله: مخضرة كتائبها: يعني: من الحديد، ومنـه الكتيبة الخضراء. (الروض ١/ ٨٧).
(٤) ينـادون آل بربـر: لأن البربـر والحبشة من ولـد حام. وقـد قيل: إنهم من ولـد جـالـوت من العماليق.
وقد قيل في جالوت: إنه من الخزر، وإن أفـريقس لما خـرج من أرض كنعان سمـع لهم بربرة، وهي اختلاط الأصوات، فقـال: ما أكثـر بربـرتهم! فسموا بـذلك، وقيـل غير هـذا. (الروض الأنف ١/ ٨٧).
(٥) الإمة. أي: النعمة.
(٦) الفيج: المنفرد في مشيته، والزرافة: الجماعة. وفي سيرة ابن كثير ١/ ٤٧: خُونٌ جَمٌّ.
(٧) النخاورة: الكرام.

عَـدَن، فلا يترك أحداً منهم بـاليمن»، والذي عنى شقّ بقوله: «غـلام ليس بِدَنيّ ولا مُدَنٍّ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن»[1].

ذكْر ما انتهى إليه أمر الفُرس باليمن

مـدّة مكْث الحبشة بـاليمن: قال ابن إسحـاق: فأقـام وهـرز والفـرس بـاليمن، فمن بقية ذلـك الجيش من الفرس: الأبنـاء[2] الذين بـاليمن اليـوم. وكـان ملك الحبشة بـاليمن، فيما بين أن دخلهـا أريـاط إلى أن قتلت الفـرس مسروقَ بن أبرهـة وأخرجت الحبشـة، اثنتين وسبعين سنة، تـوارث ذلك منهم أربعة: أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

أمراء الفرس باليمن: قال ابن هشام: ثم مات وهرز، فأمّر كسرى[3] ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن، ثم مات المَرْزُبان، فأمَّر كسـرى ابنه التَيْنُجـان ابن المرزبان على اليمن، ثم مـات التينجان، فـأمَّر كسـرى ابن التينجان على اليمن، ثم عـزله وأمَّـر بـاذان، فلم يـزل بـاذان عليهـا حتى بعث الله محمـداً النَّبيّ ﷺ[4].

---

(١) انظر السيرة لابن كثير ١/٤٦ ـ ٤٧.

(٢) قال في النهاية: «ويقال لأولاد فارس: الأبناء، وهم الـذين أرسلهم كسرى مـع سيف بن ذي يـزن، فقيـل لأولادهم: الأبنـاء، وغلب عليهم هـذا الاسم، لأن أمهـاتهم من غيـر جنس آبائهم.» أهـ.

(٣) كسرى هذا هو: أبرويز بن هرمز بن أنو شروان، ومعني أبرويز بالعربية: المظفّر، وهـو الذي غلب الروم حين أنزل الله: ﴿الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو الـذي عُرض على الله في المنام، فقال له: سلّم ما في يديك إلى صاحب الهراوة، فلم يزل مذعوراً من ذلك، حتى كتب إليه النعمان بن المنـذر بظهـور النبي ـ ﷺ ـ بتهامة؛ فعلم أنّ الأمر سيصيـر إليه، حتى كان من أمره ما كان، وهو الذي كتب إليه النبيّ ـ ﷺ ـ وحفيده: يزدجِرْد بن شهـريار بن أبـرويز، وهـو آخـر ملوك الفـرس، وكـان سَلْب ملكـه، وهـدم سلطانـه على يـدي عمـر بن الخطاب، ثم قُتل هو في أول خلافة عثمان، وُجِـد مستخفياً في رحى فقُتـل وطُرح في قنـاة الرحى، وذلك بمرو من أرض فارس. انظر (الروض الأنف ١/٨٨).

(٤) أنظر السيرة لابن كثير ١/٤٨.

فبلغني عن الزُهْريّ أنه قال:

كتب كسرى إلى باذان: أنه بلغني أنّ رجلاً من قريش خرج بمكة، يزعم أنه نبيّ، فسِر إليه فاستَتِبْهُ، فإنْ تابَ، وإلّا فابعثْ إليّ برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله - ﷺ - فكتب إليه رسول الله - ﷺ: «**إنّ الله قد وعدني أن يُقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا**»[1] فلما أتى باذانَ الكتابُ توقّف لينظر، وقال: إنْ كان نبياً، فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسولُ الله ﷺ[2]

قال ابن هشام: قُتِلَ على يدي ابنه شيرويه[3]، وقال خالد بن حِق الشيباني:

وكسرى إذ تقسَّمَهُ بَنُوه ... بأسيافٍ كما اقْتُسِمَ اللِّحَامُ
تمخّضت المنونُ له بيومٍ ... أنى، ولكلٍ حاملة تِمام[4]

إسلام باذان: قال الزُهْري: فلمّا بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه، وإسلام من معه من الفُرس إلى رسول الله - ﷺ - فقالت الرسل من الفرس لرسول الله

---

(١) ورد نحوه عن أبي بكرة رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير أن فيه كثير بن زياد، وهو ثقة، وهو عند أحمد طرف منه وكذلك البزار. وفيه: أن ربي قتل كسرى ولا كسرى بعد اليوم. الحديث. انظر (مجمع الزوائد ٨/٢٨٧ - ٢٨٨) وانظر (سيرة ابن كثير ١/٤٨، والوفا بأحوال المصطفى ٢/٧٣٢ - ٧٣٤، وفتح الباري ٨/١٢٧ ومسند الإمام أحمد ٥/٤٣ وتاريخ الإسلام ٢/٣٧٦ - ٣٧٧). وفي كتاب الفردوس عن عمر مدفوعاً: أنّ ربّي عزّ وجلّ قد قتل ربكما الليلة في خمس ساعات مضين منه، قتله ابنه شيرويه، سلطه الله عليه... الحديث قاله لرسول كسرى عظيم الفرس. الديلمي رقم (١٩٣٤) ١/٢٩٥.

قال ابن حجر في تسديد القوس (ق ١٠٣) «رواه أحمد عن أبي بكرة، وأسنده أبو منصور عن عمر» أهـ.

(٢) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأول سنة سبع من الهجرة. وأسلم باذان باليمن في سنة عشر. وفيها بعث رسول الله - ﷺ- إلى الأبناء يدعوهم إلى الإسلام. أنظر (فتح الباري ٨/١٢٧)

(٣) قال ابن كثير في السيرة ١/٤٨: «وقال بعضهم: بنوه تمالأوا على قتله» أهـ.

(٤) تمخّضت: أي حملت، والمخاض الحمل. وأنى: أي حان. وفي سيرة ابن كثير ١/٤٩ خطأ: ألا ولكل... أنظر. (الروض الأنف ١/٨٩)

- ﷺ -: إلى مَنْ نحن يا رسول الله؟ قال: «أنتم منّا وإلينا أهل البيت»[1].

قال ابن هشام: فبلغني عن الزُهْري أنه قال: فمن ثمّ قال رسول الله - ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت»[2].

قال ابن هشام: فهو الذي عنى سطيح بقوله: «نبيٌّ زكيٌّ، يأتيه الوحي من قبل العليّ». والذي عنى شقّ بقوله: «بل ينقطع برسول مُرسل، يأتي بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل»[3].

كتاب الحجر الذي في اليمن: **قال ابن إسحاق:** وكان في حَجَر باليمن - فيما يزعمون - كتابٌ بالزبور كُتِبَ في الزمان الأول: «لمن مُلْك ذِمار[4] لحمير الأخيار[5]، لمن ملك ذمار؟ للحبشة الأشرار[6]، لمن ملك ذمار؟ لفارس

---

(١) أنظر سيرة ابن كثير.

(٢) رواية ابن هشام فيها انقطاع وإرسال. والحديث قد رواه الطبراني والحاكم ٣/٥٩٨ عن عمرو بن عوف. والديلمي في الفردوس رقم (٣٣٣٩) ٢/٤٧٦ عن علي بن أبي طالب.
جزم الحافظ العراقي بضعف سنده، وقال الهيثمي: فيه عند الطبراني كثير بن عبدالله المزني ضعّفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات» أهـ. وقال الألباني في ضعيف الجامع ٣/٢٢٠: «ضعيف جداً» ثم قال: وقد صحّ موقوفاً على علي رضي الله عنه.
قال ابن كثير في السيرة ١/٤٩: «والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ولهذا بعث الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم الى الله عزّ وجلّ، فبعث أولاً خالدَ بن الوليد وعليَّ بن أبي طالب، ثم أتبعهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل، ودانت اليمنُ وأهلها للإسلام.

(٣) أنظر سيرة ابن كثير ١/٤٩ - ٥٠.

(٤) حكى ابن هشام عن يونس ذَمار بفتح الذال، فدلّ على أنّ رواية ابن إسحاق بالكسر، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف؛ لأنه اسم لمدينة، والغالب عليه التأنيث، ويجوز صرفه أيضاً؛ لأنه اسم بلد، وإذا فتحت الذّال، فهو مبنيّ مثل: رَقاش وحَذام. (الروض ١/٨٩)
وذمار: من ذمرت الرجل، إذا حرّضته على الحرب.

(٥) وقوله: لحمير الأخيار؛ لأنهم كانوا أهل دين، كما تقدّم في حديث فيميون وابن الثامر.

(٦) وأما قوله للحبشة الأشرار: فلما أحدثوا في اليمن من العيْث والفساد وإخراب البلاد، حتى همّوا بهدم بيت الله الحرام، وسيهدمونه في آخر الزمان إذا رفع القرآن؛ وذهب من الصدور الإيمان.

الأحرار[1]، لمن ملك ذمار؟ لقريش التجار».

وذمار: اليمن أو صنعاء، قال ابن هشام: ذَمَار: بالفتح، فيما أخبرني يونس.

الأعشى يذكر نبوءة شقّ وسَطِيح: قال إبن إسحاق: وقال الأعشى - أعشى بن قيس بني قيس بن ثعلبة في وقوع قال سَطيح وصاحبه:

ما نظرتْ ذات أشفار[2] كنظرتها حقاً كما صدق الذئْبِيُّ إذ سجعا

وكانت العرب تقول لسطيح: الذئبيّ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

قصّة ملك الحَضْر[3]

قال ابن هشام: وحدّثني خَلّاد بن قُرّة بن خالد السدوسي، عن جَنّاد -

---

(١) وقوله: لفارس الأحرار؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت في زعمهم إلى أن جاء الإسلام، لم يدينوا لملك من غيرهم، ولا أدّوا الإتاوة لذي سلطان من سواهم، فكانوا أحَراراً لذلك.

(٢) يريد: زرقاء اليمامة، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام، وقبل البيت:

قالت: أرى رجلاً في كفّه كتِف أو يخصف النعل لهفي أيّة صنعا
فكذّبوها بما قالت، فصبّحهم ذو آل حسان يُزجي الموتَ والسَّلعا

انظر سبب ذلك في (الروض الأنف ١/٩١ وسيرة ابن كثير ١/٥٠).

(٣) قال ابن كثير في السيرة له ١/٥٠ - ٥١: «وقد ذكر قصة هاهنا عبدُالملك بن هشام لأجل ما قاله بعض علماء النسب: إن النعمان بن المنذر الذي تقدم ذكره في وروده سيف بن ذي يزن عليه، وسؤاله في مساعدته في رد ملك اليمن اليه، أنه من سلالة الساطرون صاحب الحضر.

وقد قدّمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر، وأنه روي عن جبير بن مطعم أنه من أشلاء قنص بن معد بن عدنان، فهذه ثلاثة أقوال في نسبه.

فاستطراد ابن هشام في ذكر صاحب الحضر، والحضر حصن عظيم بناه هذا الملك، وهو الساطرون على حافّة الفرات، وهو منيفٌ مرتفع البناء، واسع الرحبة والفناء، دوره بقدر مدينة عظيمة، وهو في غاية الإحكام والبهاء والحسن والسناء، وإليه يُجبى ما حوله من الأقطار والأرجاء» أهـ.

أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنَّسَب، أنه يقال: إنّ النُّعمان بن المنذر من ولد ساطِرون[1] ملك الحضر. والحضر: حصن عظيم كالمدينة، كان على شاطيء الفرات، وهو الذي ذكر عديّ بن زيد في قوله:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة يُجبي إليه والخابور[2]
شاده مرمراً وجلّله كلْساً فللطير في ذراه وكور
لم يَهَبْهُ رَيْب المَنُون فبان الملك عنه فبابه مهجور

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له:

والذي ذكره أبو دُواد الإيادي في قوله:

وأرى الموت قد تدلّى من الحضر على رب أهله السَاطُرون

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنها لخَلَف الأحمر، ويقال: لحمّاد الراوية.

سابور يستولي على الحضر: وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر[3]، فحصره سنتين[4]، فأشرفت بنت ساطرون[5] يوماً، فنظرت إلى سابور، وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلاً، فدسّت إليه: أتتزوّجني إن فتحت

---

(١) واسم الساطرون: الضيزن بن معاوية بن عبيد بن أجرم من بني سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاعة. كذا نسبه ابن الكلبي.
وقال غيره: كان من الجرامقة، وكان أحد ملوك الطوائف، وكان يَقْدُمهم إذا اجتمعوا لحرب عِدوّ من غيرهم، وكان حصنه بين دجلة والفرات» أهـ. انظر (السيرة لابن كثير ١/٥١ والروض الأنف ١/٩١ ـ ٩٢).

(٢) الخابور: واد معروف. وهو فاعول من خبرت الأرض إذا حرثتها. (الروض ١/٩٦).

(٣) وقال غير ابن هشام: أما الذي غزا صاحب الحضر سابور بن أردشير بن بابك، أول ملوك بني ساسان، أذلّ ملوك الطوائف، وردَّ المُلْكَ إلى الأكاسرة، وأما سابور ذو الأكتاف بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل. والله أعلم. ذكره السهيلي ١/٩٢ ـ ٩٣، وانظر السيرة لابن كثير ١/٥١.

(٤) وقال غير ابن هشام: أربع سنين.

(٥) وكان اسمها: النضيرة.

لك باب الحضْر؟ فقال: نعم. فلما أمسى ساطرون شرِب حتى سكِر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب[1]، فدخل سابور، فقتل ساطرون، واستباح الحضر وخرّبه[2]، وسار بها معه فتزوّجها، فبينا هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تتململ لا تنام، فدعا لها بشمع، ففتّش فراشها، فوجد عليها ورقة آس؛ فقال لها سابور: أهذا الذي أسْهَرَكِ؟! قالت: نعم، قال: فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج، ويُلبسني الحرير، ويُطعمني المخ، ويسقيني الخمر، قال: أفكان جزاء أبيك ما صنعت به؟! أنت إليّ بذلك أسرع، ثم أمر بها، فرُبطت قرون رأسها بذَنَب فَرَس، ثم ركض الفرس، حتى قتلها[2]، ففيه يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

قول أعشى قيس في قصة الحضر:

ألم تر للحضْر إذ أهلُه ... بنُعْمَى، وهل خالدٌ مَن نعِم
أقام به شاهبورُ الجنو ... دَحولين تضرب فيه القُدُمْ[3]
فلما دعا ربَّهُ دعوةً ... أناب إليه فلم ينتقم[3]

وهذه الأبيات في قصيدة له.

---

(١) وقال المسعودي: دلّته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر، فقطع لهم الماء، ودخلوا منه.
وقال الطبري: دلّته على طِلَّسم كان في الحضر، وكان في علمهم أنه لا يُفتح حتى تؤخذ حمامةٌ وُرْقاء، وتخضَّب رجلاها بحَيْض جارية بكْر زرقاء، ثم تُرسل الحمامة، فتنزل على سور الحَضْر، فيقع الطلسم، فيفتح الحضر. ففعل فانفتح الباب. انظر (الروض ١/٩٢ وسيرة ابن كثير ١/٥٢)

(٢) القدم: جمع قدوم، وهو الفأس ونحوه.

(٣) قد ذكر ابن كثير في السيرة ١/٥٣ والسهيلي في الروض الأنف زيادة على هذه الأبيات وهي:

فهل زاده ربُّه قوة ... ومثل مجاوره لم يقم
وكان دعا قومه دعوة ... هلُمُّوا إلى أمركم قد صُرِم
فموتوا كراماً بأسيافكم ... أرى الموت يُجْشِمه من جشم

قول عديّ بن زيد: وقال عديّ بن زيد في ذلك:

والحضر صابت عليه داهيةٌ ... من فوقه أيِّدٌ مناكِبُها[(١)]
ربيَّة لم تُوَقِّ والدَها ... لحَيْنها إذ أضاع راقبُها[(٢)]
إذ غَبَقَتْهُ صهباءَ صافيةً ... والخمرُ وَهْلٌ يَهيمُ شارِبُها[(٣)]
فأسلَمَتْ أهلَها بليلتها ... تظنُّ أن الرئيسَ خاطِبُها
فكان حظُّ العروسِ إذ جَشَر الصُّـ ... بْحُ دماءً تجري سبائبُها[(٤)]
وخُرِّب الحضْرُ، واستُبيح، وقد ... أحرِق في خدرها مشاجِبُها[(٥)]

وهذه الأبيات في قصيدة له.

ذِكْر ولد نزار بن مَعد

قال ابن إسحاق: فوَلد نزار بن مَعد ثلاثة نفر: مُضر بن نزار، وربيعة بن نزار، وأنمار بن نزار.

---

(١) أيد: شديدة.

(٢) رَبِيَّة لم تُوقِ والدها: يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت، إلاّ أنّ القياس في فَعِيلة بمعنى مفعولة أن تكون بغير هاء، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء، لأنها ربت في نعمة فتكون بمعنى فاعلة، ويكون البناء موافقاً للقياس، وأصحّ من هذين الوجهين أن يكون أراد: ربيئة بالهمز، وسهل الهمزة فصارت ياء، وجعلها ربيئة؛ لأنها كانت طليعة حيث اطلعت، حتى رأت سابور وجنوده، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى: ربيئة، ويقال له: رباء على وزن فعال وأنشدوا:

رباء شماء لا يأوي لقلتها ـ البيت

وقوله: أضاع راقبها، أي: أضاع المربأة الذي يرقبها ويحرسها، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أي: أضاعها حافظُها. (الروض ١/٩٦).

(٣) والخمر وَهْل: يقال: وهِل الرجل وهلاً ووهَلاً إذا أراد شيئاً، فذهب وهمه إلى غيره. ويقال فيه: وهم أيضاً بفتح الهاء، وأما وهم بالكسر، فمعناه: غلط، وأوهم بالألف معناه: أسقط. (الروض ١/٩٦)

(٤) جشر: ظهر ووضح، سبائبها: السبائب جمع: سبيبة، وهي كالعمامة أو نحوها، ومنه السِّب وهو: الخمار.

(٥) مشاجبها: المشاجب: جمع مشجب، وهو ما تعلق منه الثياب. وانظر السيرة لابن كثير١/٥٣.

قال ابن هشام: وإياد بن نزار. **قال** الحارث بن دوس الإيادي - ويُروى لأبي دُوَاد الإيادي - واسمه: جارية بن الحَجَّاج:

وفُتُوّ حسن أوجُههم ... من إياد بن نزار بن معد

وهذا البيت في أبيات له.

فأم مُضر وإياد: سَوْدَة بنت عك بن عدنان. وأم ربيعة وأنمار: شُقَيقة بنت عك بن عدنان، ويقال: جُمْعة بنت عك بن عدنان.

أولاد أنمار: قال ابن إسحاق: فأنمار[1]: أبو خثعم وبجيلة. قال جرير ابن عبدالله البجلي وكان سيّد بجيلة، وهو الذي يقول له القائل:

لولا جرير هلكت بُجَيْلة ... نعم الفتى، وبئست القبيلة!!

وهو ينافر[2] الفُرافِصة[3] الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي:

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ ... إنك إن تَصْرع أخاك تُصرعُ[4]

---

(١) وأما أنمار فسمي: بالأنمار جمع نَمِر، كما سُمُّوا بسباع وكلاب، وأم بنيه: بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غيرها أفتل وهو: خثعم، وولدت له عبقر في خمسة عشر، سمّاهم أبو الفرج، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم: وداعة وخُزيمة وصُهيبة والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهْم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو أنمار، ويقال: إنّ بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سَمَّينا، ولم تحضن أفتل، وهو: خثعم. فلم يُنْسبْ إليها. كذا في (الروض الأنف ١/٩٧).

(٢) ينافر: أي يحاكم. قال قاسم بن ثابت: لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفر، وكانوا إذا تنازع الرجلان، وادّعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه، تحاكموا إلى العلاّمة، فمن فضّل منهما قيل: نفره عليه أي: فضّل نفره على نفر الآخر: فمن هذا أخذت المنافرة. وقال زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نِفار أو جَلاء

(الروض ١/٩٨).

(٣) الفرافصة بالضم: اسم الأسد، وبالفتح اسم الرجل، وقد قيل: كل فُرافصة في العرب بالضم إلاّ الفَرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح. (الروض ١/٩٨)

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف ١/٩٨: «وجدت في حاشية أبي بحر: قال: الأشهر في الرواية: إن يُصرع أخوك، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط؛ لأنه في نية التقديم عند سيبويه. وهو على إضمار الفاء عند المبرد». أهـ

وقال:

ابْـنَـيْ نـزار انـصـرا أخـاكـما إنّ أبـي وجـدتـه أبـاكـما
لن يُغلب اليوم أخ والاكما

وقد تيامنت، فلحِقت باليمن.

قل ابن هشام: قالت اليمن: وبجيلة: أنمار، بن إراش، بن لحيان، ابن عمرو، بن الغوث، بن نبت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ. ويقال: إراش، بن عمرو، بن لحيان، بن الغوث. ودار بجيلة وخثعم: يمانية.

ولدا مُضر: **قال ابن إسحاق**: فولد مُضَر بن نزار رجلين: الياس بن مُضر، وعيلان[1] بن مُضر. **قال ابن هشام**: وأمّهما: جُرهمية[2].

أولاد الياس: **قال ابن إسحاق**: فولد الياس بن مُضر ثلاثة نفر: مُدركة ابن الياس، وطابخة بن الياس، وقمَعة بن الياس، وأمهم: خندف[3]، امرأة من اليمن.

قال ابن هشام: خندف بنت عمران بن الحاف بن قُضاعة.

---

(١) وأما عَيْلان أخو الياس، فقد قيل: إنه قيس نفسه لا أبوه، وسمي بفرس له اسمه: عيلان، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه، فُرِّق بينهما بهذه الإضافة، وقيل: عيلان اسم كلب له. وكان يقال له: الناس، ولأخيه: إلياس. (الروض ١/٩٨ ـ ٩٩)

(٢) وذكر ابن إسحاق أم الياس، وقال فيها: امرأة من جُرهم، ولم يسمها، وليست من جرهم، وإنما هي الرِّباب بنت حَيْدَة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبري، وقد قدمنا ذلك في نسب النبي ـ ﷺ ـ. كذا في (الروض الأنف ١/٩٨)

(٣) وخِندف التي عُرف بها بنو الياس. وهي التي ضربت الأمثال بحزنها على الياس، وذلك أنها تركت بنيها، وساحت في الأرض تبكيه: حتى ماتت كمداً، وكان مات يوم خميس، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره.

قال الزبير: وإنما نسب بنو الياس لأمهم؛ لأنها حين تركتهم شغلاً لحزنها على أبيهم، رحمهم الناس فقالوا: هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم، وهمّ صغار أيتام، حتى عرفوا ببني خندف. (الروض ١/٩٩) و(فتح الباري ٦/٥٤٨)

قال ابن إسحاق: وكان اسم مدركة عامراً، واسم طابخة عمراً، وزعموا أنهما كانا في إبلٍ لهما يرعيانها، فاقتنصا صيداً، فقعدا عليه يطبخانه، وعَدَتْ عادية على إبلهما، قال عامر لعمرو: أتدرك الإبل، أم تطبخ هذا الصيد؟ فقال عمرو: بل أطبخ، فلحِق عامر بالإبل فجاء بها، فلما راحا على أبيهما حدّثاه بشأنهما، فقال لعامر: أنت مدركة، وقال لعمرو: وأنت طابخة[1].

وأما قَمَعة فيزعم نُسّاب مُضر: أنّ خُزاعة من ولد عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن الياس[2].

---

(١) وفي الخبر زيادة، وهو أن الياس قال لأمهم ـ واسمها ليلى، وأمها: ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التي ينسب إليها: حِمَى ضرية، وقدْ أقبلت تُخَندف في مشيتها: ـ مالك تخندفين؟ فسمت: خندف، والخندفة: سرعة في مشي، وقال لمدركة:

وأنت قد أدركْتَ ما طلبتا

وقال لطابخه:

وأنت قد أنضجت ما طبختا

وقال لقَمَعة وهو عُمير:

وأنت قد قعدت فانقمعتا كذا في (الروض ١/٩٩)

(٢) والأظهر أنه منهم لا والدهم. وأنهم من حِمْير والله أعلم. (السيرة لابن كثير١/٦٤)
وانظر (فتح الباري ٦/٥٤٧ ـ ٥٤٨)

حديث عمرو بن لُحَيّ وذِكْر أصنام العرب

عمرو بن لُحَيّ يجرّ قصبه في النار: قال ابن إسحاق: وحـدّثني عبدالله ابن أبي بكر بن محمد بـن عمرو بن حزم(1)، عن أبيه(2) قال:

حُدِّثت أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قـال: «رأيت عمرو بن لُحَيّ يجـر قُصْبَه(3) في النار فسألته عمّن بيني وبينه من الناس؟ فقال: هلكوا»(4).

---

(1) هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمـرو بن حزم الأنصـاري، أبو محمـد ـ ويقال: أبـو بكر المدني.

قال مالك: كان كثير الأحاديث، وكان رجل صدق.

وقال أحمد: حديثه شفاء.

وقال ابن معـين وأبو حاتم: ثقة.

وقال النسائي: ثقة ثبت.

مـات سنة خمس وثـلاثين ومـائة، ويقـال سنة ثـلاثين ومـائة. (التهـذيب ٥/١٦٤ ـ ١٦٥ والتقريب ١/٤٠٥)

(2) وهو أبو بكر بن محمد بن عمـرو بن حزم الأنصـاري البخاري، المـدني القاضي، اسمـه وكنيته واحـد، وقيل: إنـه يكنى أبا محمـد، ثقة عـابد، مـات سنة عشرين ومـائة. وقيـل غير ذلـك. (التقريب ٢/٣٩٩ والتهذيب ١٢/٣٨ ـ ٤٠).

(3) أي أمعاءه.

(4) رواية ابن إسحاق هذه مرسلة. والحديث قد رواه البخاري في كتاب المنـاقب، باب (٩) قصـة خزاعة، حديث رقم (٣٥٢١) ٦/٥٤٧ وفي كتاب التفسير، سورة المائدة، بـاب (١٣) حديث رقم (٤٦٢٣) ٨/٢٨٣. ومسلم في كتاب الجنة، باب (١٣) النار يـدخلها الجبـارون، حديث =

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي[1]، أنّ أبا صالح السّمان[2]، حدّثه أنه سمع أبا هريرة - قال ابن هشام: واسم أبي هريرة: عبدالله بن عامر، ويقال اسمه: عبدالرحمن بن صخر[3] - يقول:

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لأكثم بن الجَوْن الخُزاعي: «يا أكثم، رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قَمعَة بن خِندف يجرّ قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به، ولا بك منه». فقال أكثم: عسى أن يضرّني شبَهه يا رسول الله؟ قال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غيّر دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البَحيرة، وسيَّب السائبة، ووصل الوصيلة، وحَمَى الحامي»[4].

أصل عبادة الأصنام في أرض العرب: قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم أنّ عمرو بن لُحَيّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما

= رقم (٢٨٥٦) ٤/٢١٩١ - ٢١٩٢. وأحمد ٢/٢٧٥ - ٣٦٦ و٣/٣١٨ - ٣٥٣ - ٣٧٤ و٥/١٣٧ وفتح الباري ٦/٥٤٨ - ٥٤٩

(١) هو محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي أبو عبدالله المدني. رأى سعد بن أبي وقاص. قال ابن معين وأبو حاتم والنسائي وابن خراش: ثقة. وقال ابن سعد: قال محمد بن عمرو: كان محمد بن ابراهيم يكنى أبا عبدالله، توفي سنة عشرين ومائة، وكان ثقة كثير الحديث. وقال العقيلي: عن عبدالله بن أحمد عن أبيه: في حديثه شيء يروي أحاديث مناكير - أو منكرة. (التهذيب ٩/٥ - ٧)

وقال في التقريب ٢/١٤٠: «ثقة له أفراد» أهـ.

(٢) هو ذكوان، أبو صالح السمان الزيات، المدني، ثقة ثبت. وكان يجلب الزيت الى الكوفة، مات سنة إحدى ومائة» أهـ.

(٣) أنظر الخلاف في اسمه وترجمته في التهذيب ١٢/٢٦٢ - ٢٦٧. والتقريب ٢/٤٨٤ والإصابة.

(٤) عزاه ابن حجر في الفتح ٦/٥٤٩ لابن إسحاق في السيرة الكبرى، وقال: ووقع لنا بعلو في (المعرفة) وعند ابن مردويه من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه نحوه، وللحاكم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي عن أبي هريرة. ولكنه قال: عمرو بن قمعة، فنسبه الى جده» أهـ.

وذكره أيضاً ابن كثير في السيرة له ١/٦٥ وقال: «ليس في الكتب من هذا الوجه».

وقد رواه ابن جرير عن هنّاد بن عبدة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي - ﷺ - بنحوه أو مثله، وليس في الكتب أيضاً أهـ.

قدِم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق ـ وهم ولد عملاق. ويقال: عمْليق، بن لاوذ، بن سام، بن نوح ـ رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً، فأسير به إلى أرض العرب، فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له: هُبَل، فقدِم به مكة، فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه(١).

سبب عبادة الأصنام: قال ابن إسحاق: ويزعمون أنّ أول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفُسَح في البلاد، إلّا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف الخُلوف، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل

---

(١) وكان عمرو بن لُحَيّ حين غلبت خُزاعة على البيت، ونفت جُرهم عن مكة، قد جعلته العرب ربّاً لا يبتدع لهم بدعة إلّا اتّخذوها شرعة؛ لأنه كان يطعم الناس، ويكسو في الموسم، فربّما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة، وكسا عشرة آلاف حلّة، حتى ليقال: إنه الّلاتّ الذي: يلتّ السويق للحجيج على صخرة معروفة تُسمَّى: صخرة اللات، ويقال: إنّ الذي يلتّ كان من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو: إنه لم يمت، ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتاً يسمى: اللات، ويقال: دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة؛ فلما هلك سُمّيت تلك الصخرة: اللات مخففة التاء، واتُّخذ صنماً يعبد، وقد ذكر ابن إسحاق؛ أنه أول من أدخل الأصنام الحرم، وحمل الناس على عبادتها.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/٥٤٩ سبباً آخر غير الذي ذكره ابن هشام لعبادة عمرو بن لحي الأصنام فقال: «وذكر محمد بن حبيب عن ابن الكلبي أن سبب ذلك أن عمرو بن لحي كان له تابع من الجن يقال له: أبو تمامة. فأتاه ليلة فقال: أجب أبا تمامة.

فقال: لبيك من تهامة.

فقال: ادخل بلا ملامة.

فقال: ايت سيف جدة، تجد آلهة معدة، فخذها ولا تهب، وادعُ إلى عبادتها تجب.

قال فتوجه إلى جدة فوجد الأصنام التي كانت تعبد في زمن نوح وإدريس، وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فحملها إلى مكة ودعا إلى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الأصنام في العرب.» أهـ. وانظر (السيرة لابن كثير ١/٦٢)

غيـرَه، فعبـدوا الأوثـان، وصـاروا إلى مـا كـانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسّكون بها: من تعـظيم البيت، والطواف به، والحجّ والعُمرة والوقوف على عَـرفة والمُـزْدَلِفة، وهَـدْي البُدْن، والإهلال بالحجّ والعُمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه. فكـانت كِنانـة وقريش إذا أَهَلُّوا قالوا: «لَبَّيك اللهم لَبَّيك، لبّيك لا شريك لـك، إلا شريـك هو لك، تملكـه وما ملك»، فيـوحّدونـه بالتلبيـة، ثم يدخلون معـه أصنامهم، ويجعلون ملكهـا بيده. يقـول الله تبـارك وتعـالى لمحمـد ـ ﷺ ـ ﴿وَمَـا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1] أي: ما يوحّـدونني لمعرفـة حقّي إلاّ جعلوا معي شريكاً من خلقي[2].

أصنام قوم نوح: وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليهـا، قصَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ خبـرها على رسـول الله ـ ﷺ ـ فقال: ﴿وَقَـالُوا: لا تَـذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَـذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعـاً، وَلا يَغُوثَ وَيَعُـوقَ وَنَسْـراً، وَقَـدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾[3].

---

(١) سورة يوسف، آية رقم /١٠٦.

(٢) وكانت التلبية من عهد إبراهيم: لبيك، لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثّل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال عمرو: لبيك لا شريـك لك، فقـال الشيخ: إلاّ شريكاً هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال: وما هذا؟ فقال الشيـخ قل: تملكـه وما مَلَك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت بها العرب. أنظر (الروض ١٠٢/١ وسيرة ابن كثير ٦٣/١)

(٣) سورة نوح، آية رقم /٢٣ ـ ٢٤.

وتلك هي الجاهلية الأولى التي ذكر الله في القرآن في قوله: ﴿ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولى﴾. وكان بدء ذلك في عهد مهلايل بن قَيْنان فيما ذكـروا. وقد ذكـر البخاري عن ابن عبـاس قال: «صـارت الأوثان التي كـانت في قوم نـوح في العـرب بعدُ، وهي أسمـاء قـوم صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قـومهم أن انصبوا في مجـالسهم التي كـانوا يجلسـونها أنصـاباً، وسمّـوها بـأسمـائهم، ففعلوا؛ فلم تعبـد، حتى إذا هلك أولئـك وتُنوسخ العلم عُبدت».

وذكر الطبري هذا المعنى وزاد: أنّ سُواعاً كان: ابن شيث، وأن يغوث كان: ابن سُواع، وكذلك يعوق ونَسْر، كلّما هلك الأول صوّرت صورته، وعُـظمت لموضعـه من الدين، ولمـا عهدوا في دعائه من الإجابة، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف، وقالوا: مـا عظم هؤلاء =

فكان الذين اتّخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم، وسمّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل: هُذَيل بن مُدركة بن الياس بن مُضَر، اتّخذوا سُواعاً، فكان لهم برهاط[1]. وكلب بن وبرة من قُضاعة، اتّخذوا وَدّا بدُومَة الجندل.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك الأنصاري:

ونـنـسـى الـلات والـعُـزى ووَدّا ونسْلبُهـا القـلائـد والـشُّنُـوفَـا[2]

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله.

قال ابن هشام: وكلب بن وَبْرة، بن تغلب، بن حُلوان، بن عمران، ابن الحاف، بن قُضاعة.

عبّاد يغوث: **قال ابن إسحاق:** وأنْعم من طَيٍّء، وأهل جُرش من مَذحج اتّخذوا يغوث بجرش.

قال ابن هشام: ويقال: أنعَم. وطَيٍّء بن أدد بن مالك، ومالك: مَذْحِج بن أُدَد، ويقال؛ طَيٍّء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ.

عُبّاد يعوق: **قال ابن إسحاق:** وخَيْوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن.

قال ابن هشام: وقال مالك بن نمط الهمداني[3]:

= آباؤنا إلّا لأنها ترزق وتنفع وتضرّ، واتّخذوها آلهة. وهذه أسماء سريانية وقعت إلى الهند، فسمَّوْا بها أصنامهم، التي زعموا أنها صور الدراري السبعة، وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحي كما ذكر أو غيره، وعلمهم تلك الأسماء؛ وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا في عهد نوح. (الروض الأنف ١٠٣/١)

(١) رهاط: من أرض ينبع.

(٢) الشنوفا: مفرده شنف: القرط.

(٣) وهو: أبو ثور، يلقب: ذا المِشْعَار، وهو من بني خارف، وقد قيل: إنه من يام بن أصي؛ وكلاهما من همدان. كذا في (الروض ١٠٣/١)

يــريش الله فــي الــدنيــا ويَبْــري ولا يــبــرى يــعــوقُ ولا يــريش[1]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: اسم همدان: أو سْلَة بن مالك، بن زيد، بن ربيعة، ابن أوسلة، بن الخيار، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ. ويقـال: أوسلة بن زيـد، بن أوسلة، بن الخيـار. ويقــال: همـدان بـن أوسلة، بن ربيعة، بن مالك، بن الخيار، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ.

عُبَّاد نَسْر: قال ابن إسحاق: وذو الكلاع من حِمْيَر، اتّخذوا نَسراً بأرض حِمْيَر.

عباد عميانس: وكان لخولان صنم يقال له: عُميانِس[2] بأرض خـولان، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بـزعمهم، فما دخـل في حقّ عميانس من حق الله تعالى الذي سمّوه له تركوه له، وما دخل في حقّ الله تعالى من حقّ عميانس ردّوه عليه. وهم بطن من خـولان، يقال لهم: الأديم، وفيهم أنـزل الله ـ تبارك وتعـالى ـ فيمـا يـذكـرون: ﴿**وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَٱلأنْعَامِ نَصِيباً، فَقَالُوا: هٰذا للهِ بِزَعْمِهِمْ، وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَـا، فَمَا كَـانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَـلا يَصِلُ إِلَىٰ ٱللهِ، وَمَـا كَانَ للهِ فَهُـوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُـرَكَائِهِمْ، سَـاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[3].

قال ابن هشام: خوْلان بن عمرو، بن الحـاف، بن قُضاعـة، ويقال: خولان، بن عمرو، بن مُرّة، بن أدد، بن زيد، بن مِهسَـع، بن عمرو، بن عَرِيب، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ. ويقال: خولان بن عمرو، بن سعد العشيرة، بن مَذْحِج.

---

(١) هو من رِشتُ السهم وبريته، استعير في النفع والضرّ. قال سويد:

فَرِشْني بـخيـر طـالـمـا قـد بَـرَيْـتَـنِـي وخيــر المـوالي مـن يـريش ولا يــبـري

انظر (الروض ١٠٣/١)

(٢) وكذا في الأصنام لابن الكلبي، وفي السيرة لابن كثير ٦٩/١: عم أنس.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٣٦، وانظر السيرة لابن كثير ٦٩/١.

عبّاد سعد: قال ابن إسحاق: وكان لبني مِلْكان - بن كِنانة، بن خُزيمة، بن مُدْرِكة، بن الياس، بن مُضَر - صنم، يقال له: سعد: صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مُؤَبَّلة؛ ليقِفَها عليه، التماس بركته - فيما يزعم - فلما رأته الإبل، وكانت مَرْعِيَّة لا تُرْكَب، وكان الصنم يُهراق عليه الدماء نفرت منه، فذهبت في كل وجه، وغضب ربها الملكاني، فأخذ حجراً فرماه به، ثم قال: لا بارك الله فيك، نفَّرت عليّ إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعد، ليجمع شملنا فَشَتَّتَنا سعدٌ، فلا نحن من سَعْد
وهل سَعْدُ إلا صخرةٌ بتَنُوفَةٍ[1] من الأرض لا تدعو لغيّ ولا رُشْد

دَوس وصنمهم: وكان في دَوْس صنم لعمرو بن حُمَمة الدوسي[2].

قال ابن هشام: سأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله.

ودوس بن عُدثان، بن عبدالله، بن زهران، بن كعب، بن الحارث، ابن كعب، بن عبدالله، بن مالك، بن نصر، بن الأسد، بن الغوث. ويقال: دوس بن عبدالله، بن زهران، بن الأسد، بن الغوث.

عبّاد هُبَل: قال ابن إسحاق: وكانت قريش قد اتّخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له: **هُبَل**[3].

قال ابن هشام: سأذكر حديثه إن شاء الله في موضعه.

إساف ونائلة: قال إبن إسحاق: واتّخذوا إسافاً ونائلة، على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جُرْهم - هو:

---

(١) بتنوفة: بأرض جرداء.

(٢) انظر سيرة ابن كثير ١/٦٩.

(٣) وأما هُبل فإن عمرو بن لحي جاء به من هيت، وهي من أرض الجزيرة حتى وضعه في الكعبة. وذكر الواقدي أن نائلة حين كسرها النبي - ﷺ - عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها، وتنادي بالويل والثبور... (الروض ١/١٠٥).

إسـاف بن بَغْي ونـائلة بنت دِيـك ـ فـوقـع إسـاف على نـائلة في الكعبـة: فمسخهما الله حجرين[1].

حديث عائشة عن إساف ونائلة: قال إبن إسحـاق: حدّثني عبـدالله بن أبي بكر بن محمد بـن عمرو بن حزم، عن عَمرة بنت عبد الرحمن بن سعد ابن زُرارة، أنها قالت: سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: ما زلنا نسمـع أنّ إسافاً ونائلة كانا رجلاً وامـرأة من جُرْهم، أُحْـدَثا[2] في الكعبـة: فمسخهما الله تعالى حَجَرَيْنِ. والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وحيث يُنِيـخُ الأشْعَـرُونَ ركـابَهُـمْ   بمُفْضَى السيـول من إسافٍ ونـائـلِ

قال ابن هشام: وهـذا البيت في قصيدة لـه، سأذكـرها في مـوضعها إن شاء الله تعالى.

فعل العرب مـع أصنامهم: قـال ابن إسحاق: واتّخـذ أهلُ كـل دارٍ في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد الرجلُ منهم سفراً تمسّح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجّه إلى سفره، وإذا قَدِمَ من سفره تمسّح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبـل أن يدخـل على أهله، فلما بعث الله رسـولَه محمـداً ـ ﷺ ـ بـالتوحيـد، قالت قـريش: أَجَعَلَ الآلهَـة إلهـاً واحـداً، إنّ هـذا لشيء عُجاب.

---

(١) وأخرجه رزين في فضائل مكة عن بعض السلف: ما أمهلهما الله إلى أن يفجرا فيهـا، ولكنه قَبَّلها، فمسخا حجرين، فأُخرجا إلى الصفا والمروة، فنصبا عليهما، ليكونا عبـرة وموعـظة، فلمـا كان عمـرو بن لحي نقلهما إلى الكعبـة، ونصبهما على زمـزم، فطاف النـاس بالكعبـة وبهمـا، حتى عُبـدا من دون الله. أنـظر (الـروض الأنف ١/١٠٥ وسيـرة ابن كثيـر ١/٦٩ ـ ٧٠).

(٢) أرادت عائشة ـ رضي الله عنها ـ الحدث الذي هو الفجـور كما قـال ـ عليه السـلام ـ : «من أحدث حدثاً، أو آوى محدثـاً، فعليه لعنـة الله» وقال عمـر ـ حين كانت الـزلزلـة بالمـدينة: أحدثتم. والله لئن عادت لأخرجنّ من بين أظهركم. (الروض ١/١٠٦)

الطواغيت: وكانت العرب قد اتّخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظّمها كتعظيم الكعبة، لها سدَنَة وحُجَّاب، وتُهدِي لها كما تهدي للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده.

العُزَّى وسَدَنتها وحجّابها: فكانت لقريش وبني كِنانة: العُزَّى بنخلة، وكان سَدَنتها وحجّابها بنو شيبان من سُليم، حلفاء بني هاشم.

قال ابن هشام: حلفاء بني أبي طالب خاصة، وسُليمٌ: سليم، بن منصور، بن عِكرمِة، بن خصفة، بن قيس، بن عيلان.

قال ابن إسحاق: فقال شاعر من العرب:

لقد أُنكحتْ أسماء رأس بُقَيْرة ... من الأُدْم أهداها امرؤ من بني غنمْ
رأى قدعاً في عينها إذ يسوقها ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع في القَسْم(1)

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْياً قسموه في مَنْ حضرهم. والغبغب: المنحر، ومُهراق الدماء.

قال ابن هشام: وهذان البيتان لأبي خراش الهُذلي واسمه: خُويلد بن مرة في أبيات له.

من هم السَّدَنة: والسدنة: الذين يقومون بأمر الكعبة. قال رؤبة بن العَجَّاج:

---

(1) والقدع: ضعف البصر من إدمان النظر.
وقوله في الغبغب: وهو المنحر ومراق الدم، كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه، ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم: بئر بُغبغ وبغيبغ إذا كانت كثيرة الماء. قال الراجز:
بُغيبغ قصيرة الرِّشاء
ومعنى هذا البيت: الذم كذا في (الروض الأنف للسهيلي ١/١٠٦ ـ ١٠٧)، وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها، فلا تصلح إلاّ للذبح والقسم.

فـلا وربِّ الآمـنـات الـقـطَّن   يعمـرن أمنـاً بـالحـرام المـأمن

بمحبس الهدي وبيت المَسدن

وهـذان البيتان في أرجـوزة له، وسـأذكر حـديثها إن شـاء الله تعالى في موضعه.

الـلات وسدنتهـا: قال ابن إسحـاق: وكانت الـلات لثقيف بالـطائف، وكان سدنتها وحُجّابها بنو معتِّب من ثقيف.

قال ابن هشام: وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه.

مناة وسدنتها: قال ابن إسحـاق: وكانت مَنـاة للأوس والخـزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بقُدَيْد.

قال ابن هشام: وقال الكميت بن زيد أحد بني أسد بن مدركة:

وقــد آلت قبـائــل لا تُــوليّ   مَنَـاةَ ظهـورهـا متحـرّفينـا

وهذا البيت في قصيدة له.

هدم مناة: قال ابن هشام: فبعث رسـولُ الله ـ ﷺ ـ إليها أبـا سفيان بـن حرب فهدمها، ويقال: عليّ بن أبي طالب.

ذو الخلصة وعُبّاده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكـان ذو الخَلَصَة لِـدَوْس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة.

قال ابن هشام: ويقال: ذو الخُلُصة. قال رجل من العرب:

لــو كنت يـا ذا الخلص المـوتـورا   مثلي وكـان شيخـك المقبـورا

لم تنه عن قتل العُداة زورا

قال: وكان أبوه قُتل، فـأراد الطلب بثـأره، فأتى ذا الخُلَصـة، فاستقسم عنده بالأزلام، فخرج السهم بنهيه عن ذلك، فقال هذه الأبياتِ. ومن النـاس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْر الكِنْديّ، فبعث إليـه رسول الله ـ ﷺ ـ جـرير

ابن عبد الله البجلي، فهدمه[1].

فِلْس وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكانت فِلْس[2] لطيء ومن يليها بجبلي طيء، يعنى سَلْمى وأجأ.

قال ابن هشام: فحدّثني بعض أهل العلم أنّ رسول الله - ﷺ - بعث إليها علي بن أبي طالب فهدمها، فوجد فيها سيفين، يقال لأحدهما: الرَّسوب، وللآخر: المُخْذَم. فأتى بهما رسول الله - ﷺ - فوهبهما له، فهما سيفا علي رضي الله عنه.

رئام: قال ابن اسحاق: وكان لِحِمْيَر وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: رئام.

قال ابن هشام: قد ذكرت حديثه فيما مضى.

رضاء وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة، ابن كعب، بن سعد، بن زيد مَناة، بن تميم، ولها يقول المستوغر بن

---

(١) أنظر قصة بعث النبي - ﷺ - لجرير من أجل هدم ذي الخلصة الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب (١٥٤) حرق الدور والنخيل، حديث رقم (٣٠٢٠) ٦/١٥٤. وباب (١٩٢) البشارة في الفتوح، حديث رقم (٣٠٧٦) ٦/١٨٩. وفي كتاب المغازي، باب (٦٢) وفي كتاب الأدب، باب (٦٨) وفي كتاب الدعوات، باب (١٩). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب (٢٩) من فضائل جرير بن عبدالله رضي الله تعالى عنه. حديث رقم (٢٤٧٥ - ٤٥٧٦)، ٤/١٩٢٥ - ١٩٢٦. والترمذي في كتاب المناقب، باب (٤٧) وابن ماجة في المقدمة، باب (١١). وأحمد في المسند ١/١٠٩ و٤/٢١٦ - ٣٦٢ - ٣٦٥ وفيه: ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده على صدري وقال: اللهم ثبّته واجعله هادياً مهدياً. . . وانظر ترجمة جرير بن عبدالله رضي الله عنه في الإصابة ١/٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) ويذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه، وهو: أجأ بن عبد الحي، وكان فَجَرَ بسلمى بنت حام، أو اتُّهم بذلك، فصُلبا في ذينك الجبلين، وعندهما جبل يقال له: العوجاء، وكانت العوجاء حاضِنة سلمى - فيما ذكر - وكانت السفير بينها وبين أجأ فصُلبت في الجبل الثالث، فسمي بها. كذا في (الروض ١/١٠٧، ١٠٨ والسيرة لابن كثير ١/٧٠).

ربيعة، بن كعب، بن سعد، حين هدمها في الإسلام:

ولقد شُدَدْتُ عَلَى رُضَاءٍ شَدَّةً　　فتركتُها بِقَاعٍ أسْحَمَا

قال ابن هشام: قوله:

فتركتها قفراً بقاع أسحما

عن رجل من بني سعد.

عمر المستوغر[1]: ويقال: إنّ المستوغر عمَّر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة، وكان أطول مُضَرٍ كلّها عُمْراً، وهو الذي يقول:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولِها　　وعَمَرْتُ من عَدَدِ السنين مئينا

مائة حَدَتْها بعدها مئتان لي　　وازددتُ من عَدَد الشهور سنينا

هل ما بَقِيَ إلا كما قد فاتنا　　يومٌ يَمُرُّ وليلةٌ تَحْدُونا

وبعض الناس يروي هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي[2].

ذو الكعبات وعُبّاده: قال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابَنْي وائل وإياد بِسَنْداد، وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

بين الخورْنَق والسدير وبارقٍ　　والبيتِ ذي الكعبات من سِنْدادِ[3]

---

(١) ذكر القتبي أنّ المستوغر حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنه، وقد هرم، والجد يقوده، فقال له رجل: ارفق بهذا الشيخ، فقد طال ما رفق بك، فقال: ومن تراه؟ فقال: هو أبوك أو جدك، فقال: ما هو إلاّ ابن ابني، فقال: ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة! فقال: أنا المستوغر. انظر (الروض الأنف ١/ ١٠٩).

(٢) وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة ـ أو عُذْرة ـ بن زيد اللات، بن رفيدة، بن ثور، بن كلب، بن وبرة. وزهير هذا من المعمَّرين، وهو الذي يقول:

أبُنَيَّ إنْ أهلك فإنّي　　قد بنيت لكم بنيَّه

وتركتكم أولاد سادا　　ت زنادهم وريّه

من كل ما نال الفتى　　قد نلته إلاّ التحيّه

انظر (الروض ١/ ١٠٩ ـ ١١٠ وسيرة ابن كثير ١/ ٧٢).

(٣) الخورنق: قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور، ليكون ولده فيه عنده، وبناه بنياناً =

قال ابن هشام: وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلي. نهشل بن دارم، بن مالك، بن زيد، مناة، بن تميم، في قصيدة له، وأنشدنيه أبو مُحْرِز خَلَفُ الأحمر:

أهل الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الشرفات من سنداد

البَحِيرة والسائبة والموصيلة والحامي

قال ابن إسحاق: فأما البحيرة فهي: بنت السائبة، والسائبة: الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهنّ ذكر، سُيبت فلم يُركب ظهرها، ولم يجزّ وبرها، ولم يشرب لبنها إلّا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقت أذنها، ثم خُلّي سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فُعل بأمّها، فهي البَحِيرة بنت السائبة. والوصيلة: الشاة إذا أتأمت[1] عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، ليس بينهنّ ذَكَر، جعلت وصيلة. قالوا: قد وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلّا أن يموت منها شيء، فيشتركوا في أكله، ذكورهم وإناثهم.

قال ابن هشام: ويروى: فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم.

= عجمياً لم تَرَ العربُ مثلَهُ، واسم الذي بناه له: سنمار، وهو الذي رُدِّي من أعلاه، حتى قالت العرب: جزائي جزاء سنمار، وذلك أنه لما تم الخورنق، وعجب الناس من حسنه، قال سنمار: أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت، فقال له الملك: أإنك لتحسن أن تبني أجمل من هذا؟ وغارت نفسه أن يبتني لغيره مثله، وأمر به فطرح من أعلاه، وكان بناه في عشرين سنة...

ومعنى السدير بالفارسية: بيت الملك. يقولون له: «سِهدليّ» أي: له ثلاث شعب، وقال البكري: سمي السدير؛ لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه، فتسدر من علوه، يقال: سدر بصره إذا تحير. والكعبات: المربعة، وكل بناء مربع فهو كعبة. كذا في (الروض الأنف للسهيلي ١/١١١ وانظر سيرة ابن كثير ١/٧٢ ـ ٧٣).

(١) أتأمت: جاءت باثنين في بطن واحد.

قال ابن إسحاق: والحامي: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهنّ ذَكَر، حمى ظهره فلم يركب، ولم يجز وبره، وخُلِّيَ في إبله يَضرب فيها، لا يُنتفع منه بغير ذلك.

ابن هشام يخالف ابن إسحاق: قال ابن هشام: وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامي، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق[1]. فالبَحِيرة عندهم: الناقة تُشقّ أذنها فلا يُرْكب ظهرها، ولا يُجَزّ وبرها، ولا يَشْرب لبنها إلا ضَيْفٌ، أو يتصدّق به، وتهمل لآلهتهم. والسائبة: التي ينذر الرجل أن يسيبها إن بريء من مرضه وإن أصاب أمراً يطلبه. فإذا كان أساب ناقة من إبله، أو جملاً لبعض آلهتهم، فسابت فرعت لا ينتفع بها. والوصيلة: التي تلد أمُّها اثنين في كل بطن، فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها، ولنفسه الذكور: فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن، فيقولون: وصلت أخاها؛ فيسيب أخوها معها، فلا يُنتفع به.

قال ابن هشام: حدّثني به يونس بن حبيب النحْوي[2] وغيره. روى بعضٌ ما لم يَرْو بعض.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ـ ﷺ ـ

---

(١) انظر في معنى هذه الألفاظ مجاز القرآن ١/١٧٧ ـ ١٨١، وفتح الباري ٨/٢١٣. والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٧ وص ١٣٢ ـ ١٣٣ وتفسير ابن كثير ٢/١٠٧ ـ ١٠٨ وغير ذلك من كتب التفسير الأخرى.

(٢) هو يونس بن حبيب بالولاء، المعروف بالنحوي. ولد سنة ٩٠ هـ، وقيل ٨٠ هـ، وقيل رأى الحجاح، عاش ١٠٢ سنة، وقيل غير ذلك.
يُكْنىٰ أبا عبد الرحمن، أديب نحوي، عالم بالشعر، عارف بطبقات شعراء العرب، من قرية الجبل على دجلة بين بغداد وواسط.
أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم. وكانت له حلقة بالبصرة يرتادها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ووفود البادية. وكان له في العربية مذاهب وأقيسة يتفرد بها، من تصانيفه: كتاب معاني القرآن الكبير، اللغات، النوادر، الأمثال، ومعاني الشعر. انظر وفيات الأعيان ٢/٥٥١ ـ ٥٥٢ معجم الأدباء ٢٠/٦٤ ـ ٦٧ وشذرات الذهب ١/٣٠١ ـ ٣٠٢ والاعلام ٩/٣٤٤ ومعجم المؤلفين ١٣/٣٤٧.

أنـزل عليه: ﴿مَـا جَعَلَ ٱللهُ مِنْ بَحِيـرَةٍ، وَلا سَائِبَـةٍ، وَلا وَصِيلَةٍ، وَلا حَـامٍ، وَلٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَىٰ ٱللهِ ٱلْكَذِبَ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1].

وأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا: مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا، وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ، سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ، إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وأنزل عليه: ﴿قُلْ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً، قُلْ: ٱللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَىٰ ٱللهِ تَفْتَرُونَ﴾[3].

وأنزل عليه: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ، وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ. قُلْ: ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ، أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنْثَيَيْنِ، نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ، وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ. قُلْ: ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ، أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنْثَيَيْنِ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ ٱللهُ بِهٰذَا. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَىٰ ٱللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾[4].

البَحيرة والوصيلة والحامي لغة: قال ابن هشام: قال الشاعر:

حُولُ الوصائل في شُرَيف حِقَّة　　والحاميات ظهورها والسُّيَّب

وقال تميم بن أبيّ بن مقبل أحد بني عامر بن صعصعة:

فيه من الأخرج المِرباعِ قَرْقَرة　　هَدْرَ الدّيافِيّ وسط الهجمة البُحُر[5]

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٣٩.

(٣) سورة يونس، آية: ٥٩.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٥) المرباع: هو الفحل الذي يبكر بالإلقاح.

يصف في هذا البيت حمار وحش يقول: فيه من الأخرج، وهو: الظليم الذي فيه بياض وسواد، أي: فيه منه قَرْقَرَةٌ أي: صوت وهدر مثل هدر الدِّيافي أي: الفحل المنسوب إلى دياف بلد بالشام، والهجمة من الإبل: دون المائة، وجعلها بُحراً لأنها تأمن من الغارات، =

وهذا البيت في قصيدة له. وجمع بَحيرة: بحائر وبُحر. وجمع وصيلة: وصائل ووصل. وجمع سائبة الأكثر: سوائب وسُيَّب، وجمع حام الأكثر: حوام.

= يصفها بالمنعة والحماية، كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر. ورأيت في شعر ابن مقبل: من الأخرج المرياع بالياء أخت الواو، وفسره في الشرح من راع يريع إذا أسرع الإجابة، كما قال طرفة: «تريع إلى صوت المهيب وتتقي». والنفس إلى الرواية الأولى أسكن. قاله في (الروض ١/١١٣).

عَوْد إلى النَّسَب

نسب خُزاعة[1]: **قال ابن إسحاق**: وخُـزاعة تقـول: نحن بنو عمـرو بن عامر من اليمن.

قال ابن هشام: وتقول خُزاعة: نحن بنو عمرو، بن ربيعة، بن حارثة، ابن عمرو، بـن عـامـر، بـن حـارثـة، بن امـريء القيس، بن ثعلبـة، بن مازن، بن الأسد، بن الغوث، وخِنْدَف[2] أمنا، فيما حدّثني أبو عبيـدة وغيره من أهل العلم. ويقال: خُزاعة: بنو حارثة بن عمرو بن عامر. وإنمـا سُمّيت خُزاعة، لأنهم تخزَّعوا من ولـد عمرو بن عـامر حين أقبلوا من اليمن يـريدون الشام، فنزلوا بمرِّ الظَّهْران، فأقاموا بها. قال عوف بن أيـوب الأنصاري أحـد بني عمرو بن سواد بـن غَنْم بن كعب بن سَلَمَة من الخزرج في الإسلام:

فلما هبطنا بطن مَـر[3] تخزّعت ... خُـزاعـة منّـا في خيـول كـرَاكِـر[4]

(١) انظر في نسب خزاعة، والاختلاف فيه، فتح الباري ٥٤٧/٦ ـ ٥٤٨.

(٢) خندف ـ بكسر المعجمة وسكون النون وفتح الدال بعدها فاء: اسم امـرأة الياس بن مضـر، واسمهـا ليلى بنت حلوان بن عمـران بن الحـاف بن قضـاعـة. لقبت بخنـدف لمشيتهـا، والخندفة: الهرولة. انظر (فتح الباري ٥٤٨/٦). وقد سبق ذكـر سبب اشتهار بنيهـا بالنسبـة اليها دون أبيهم.

(٣) يريد: مَرَّ الظهران، وسمي: مراً لأن في عرق من الوادي من غيـر لون الأرض شبـه (الميم) الممدودة، وبعدها (را) خلقت كذلك، ويذكر عن كثير أنه قال: سميت: مراً لمرارتها.

(٤) الخيول الكراكر: المجتمعة.

حمت كل واد من تِهامة واحتمت بصُمّ القَنا والمرهفات البواتر

وهذان البيتان في قصيدة له.

وقال أبو المطهَّر إسماعيل بن رافع الأنصاري، أحد بني حارثة، بن الحارث، بن الخزرج، بن عمرو، بن مالك، بن الأوس:

فلما هبطنا بطنَ مكة أحمدت خُزاعة دار الآكل المتحامل
فحلَّت أكاريساً، وشنّت قنابلاَ على كلّ حيّ بين نجد وساحل
نَفَوا جُرهماً عن بطن مكة، واحتَبوا بِعزٍّ خُزاعيّ شديد الكواهل

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له، وأنا إن شاء الله أذكر نفيها جُرهماً في موضعه.

أولاد مدركة وخُزيمة: قال ابن إسحاق: فولد مُدركة بن الياس رجلين: خُزيمة بن مُدركة، وهُذيل بن مدركة، وأمهما: امرأة من قُضاعة. فولد خُزيمة بن مُدركة أربعة نفر: كِنانة بن خُزيمة، وأسد بن خُزيمة، وأسدة ابن خُزيمة، والهُون بن خُزيمة. فأم كِنانة: عَوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر.

قال ابن هشام: ويقال الهوْن بن خُزيمة.

أولاد كِنانة وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد كِنانة بن خُزيمة أربعة نفر: النضر بن كنانة، ومالك بن كِنانة، وعبد مَناة بن كِنانة، ومِلْكان بن كِنانة[1]. فأم النضر: بَرّة بنت مُرّ، بن أد، بن طابخة، بن الياس، بن مُضر، وسائر بنيه لامرأة أخرى.

قال ابن هشام: أم النضر ومالك وملكان: بَرة بنت مُرّ، وأم عبد مَناة: هالة بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة. وشنوءة: عبدالله بن كعب بن

(١) وزاد الطبري في ولد كنانة: عامراً والحارث والنضير وغَنْماً وسعداً وعوفاً وجرول والحدال وغَزْوان. انظر (الروض الأنف ١/١١٥ والسيرة لابن كثير ١/٨٢ ـ ٨٣).

عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث، وإنّما سُمّوا شنوءة؛ لشنآنٍ كان بينهم. والشنآن: البُغْض.

من يُطْلَق عليه لقب قرشي[1]: **قال ابن هشام**: النضر: قريش، فمن كان من ولده فهو قُرشيّ، ومن لم يكن من ولده فليس بقُرشيّ.

قال جرير بن عطية أحد بني كُليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان:

فما الأم التي ولدت قريشاً بمقرفة النجار ولا عقيم[2]
وما قرم بأنجب من أبيكم وما خال بأكرم من تميم[3]

يعني: بَرّه بنت مُرّ، أخت تميم بن مر، أم النضر. وهذان البيتان في قصيدة له.

ويقال: فِهْر بن مالك: قريش، فمن كان من ولده فهو قُرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. وإنّما سُمّيت قريش قريشاً من التقرّش[4]،

---

(١) قريش: هم ولد النضر بن كنانة، وبذلك جزم أبو عبيدة. أخرجه ابن سعد عن أبي بكر بن الجهم. وروي عن هشام بن الكلبي عن أبيه: كان سكان مكة يزعمون أنهم قريش دون سائر بني النضر حتى رحلوا إلى النبي - ﷺ - فسألوه: من قريش؟
قال: من ولد النضر بن كنانة.
وقيل: إن قريشاً هم ولد فهر بن مالك بن النضر وهذا قول الأكثر، وبه جزم مصعب قال: ومن لم يلده فهر فليس قريشاً. وقد قال مثله ابن الكلبي. انظر (فتح الباري ٦/٥٣٤).

(٢) المقرفة: اللئيمة. والنجار: الأصل.

(٣) القرم هنا: السيد من الرجال.

(٤) قيل: أول من نسب إلى قريش قصيّ بن كلاب. فروى ابن سعد أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير: متى سميت قريش قريشاً؟
قال: حين اجتمعت إلى الحرم بعد تفرقها.
فقال: ما سمعت بهذا، ولكن سمعت أن قصياً كان يقال له القرشي، ولم يسمَّ أحد قريشاً قبله. وروى ابنُ سعد من طريق المقداد: لما فرغ قصي من نفي خزاعة من الحرم تجمّعت إليه قريش فسميت يومئذ قريشاً لحال تجمّعها. والتقرش: التجمع.
٢ - وقيل: لتلبّسهم بالتجارة.
٣ - وقيل: لأن الجد الأعلى جاء في ثوب واحد متجمعاً فيه، فسمي قريشاً.

والتقرّش: التجارة والاكتساب. قال رؤبة بن العَجّاج:

قـد كـان يغنيهـم عن الشُّغُـوش وَالـخشْـل مـن تسـاقط الـقـروش
شحم ومحض ليس بالمغشوش

قال ابن هشام: والشُّغوش: قمح يسمى: الشغـوش. والخشل: رؤوس الخلاخيل والأسورة ونحوه(1). والقروش: التجارة والاكتساب، يقول: قد كان

= ٤ ـ وقيل: من التقرش: وهو أخذ الشيء أولاً فأولاً. وقد أكثر ابن دحية من نقل الخلاف في سبب تسمية قريش قريشاً، ومن أول من تسمّى به.

وحكى الزبير بن بكار عن عمه مصعب: أن أول من تسمى قريشاً قريش بن بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة، وكان دليل بني كنانة في حروبهم، فكان يقال: قدمت عير قريش، فسميت قريش به قريشاً. وأبوه صاحب بدر: الموضع المعروف.

٥ ـ وقال المطرزي: سميت قريش بدابة في البحر هي سيدة الدواب البحرية، وكذلك قريش سادة الناس. قال الشاعر:

وقـريش هـي التي تسكـن البحـر بـهـا سـميـت قـريش قـريشـاً
تـأكـل الغث والسمين ولا تتـرك فـيـه لـذي جـنـاحـين ريـشـاً
هـكـذا في البـلاد حـي قـريش يـأكـلون البـلاد أكـلاً كـميـشـاً
ولـهـم آخـر الـزمـان نـبـيٌّ يـكثـر القـتـل فـيـهم الـخمـوشـاً

وقال صاحب (المحكم): قريش دابة في البحر، لا تدع دابة في البحر إلّا أكلتها، فجميع الدواب تخافها. وأنشد البيت الأول.

قلت: والذي سمعته من أفواه أهل البحر: القِرْش ـ بكسر القاف وسكون الراء ـ لكن البيت المذكور شاهد صحيح، فلعله من تغيير العامة. فإن البيت الأخير من الأبيات المذكورة يدلّ على أنه من شعر الجاهلية، ثم ظهر لي أنه مصغّر القِرش الذي بكسر القاف.

وقد أخرج البيهقي من طريق ابن عباس قال: قريش تصغير قرش، وهي دابة في البحر لا تمرّ بشيء من غث ولا سمين إلّا أكلته.

٦ ـ وقيل: سمي قريشاً لأنه كان يقرش عن خلّة الناس وحاجتهم ويسدّها. والتقريش: هو التفنيش.

٧ ـ وقيل: سموا بذلك لمعرفتهم بالطعان، والتقريش: وقع الأسنة.

٨ ـ وقيل: التقرش: التنزه عن رذائل الأمور.

٩ ـ وقيل: هو من أقرشت الشجة: إذا صدعت العظم ولم تهشمه.

١٠ ـ وقيل: أقرش بكذا: إذا سعى فيه فوقع له. وقيل غير ذلك. انظر (فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ٦/٥٣٤ والروض الأنف ١١٦ ـ ١١٧).

(١) ويقال: الخشل: حمل شجر الدوم، والقروش: ما تساقط من حتاته وتقشر منه.

يغنيهم عن هذا شحم ومحض، والمحض: اللبن الحليب الخالص.

وهذه الأبيات في أرجوزة له. وقال أبو جلدة اليشكُري، ويشكر: بن بكر بن وائل:

إخوة قَرّشوا الذنوب علينا ... في حديث من عمرنا وقديم

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: ويقال. إنّما سُمّيت قريش قريشاً: لتجمّعها من بعد تفرّقها. ويقال للتجمّع: التقرش.

أولاد النضر وأمهاتهم: فولد النضر بن كِنانة رجلين: مالك بن النضر، ويخلد بن النضر، فأم مالك: عاتكة بنت عَدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، ولا أدري أهي أم يخلد أم لا؟

قال ابن هشام: والصلت بن النضر - فيما قال أبو عمرو المدني - وأمّهم جميعاً: بنت سعد بن ظَرِب العَدْواني. وعدوان: بن عمرو بن قيس ابن عيلان. قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن - وهو كثير عزّة أحد بني مُلَيح بن عمرو، من خُزاعة:

أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي ... لكل هجّان من بني النضر أزهرا(١)

رأيت ثياب العَصْب مختلط السَّدَى ... بنا وبهم والحضرمي المُخَصَّرا(٢)

فإن لم تكونوا من بني النضر، فاتركوا ... أراكاً بأذناب الفوائج أخضرا(٣)

قال: وهذه الأبيات في قصيدة له.

---

(١) الهجان: الكريم. والأزهر: المشهور.

(٢) العَصب: برود اليمن، لأنها تصبغ بالعصب، ولا ينبت العصب ولا الورس إلّا باليمن وكذلك اللبان، يريد: إن قدودنا من قدودهم، فسدَى أثوابنا، مختلط بسدى أثوابهم. والحضرمي: النعال المخصَّرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين... انظر (الروض الأنف ١/١١٨).

(٣) الفوائج: رؤوس الأودية.

والذين يعزَوْن إلى الصلت بن النضر من خُزاعة: بنو مُلَيح بن عمرو، رهط كُثَيِّر عزّة.

أولاد مالك وفِهْر وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد مالك بن النضر: فِهر بن مالك. وأمه: جندلة بنت الحارث بن مضاض الجُرهميّ.

قال ابن هشام: وليس بابن مضاض الأكبر.

قال ابن إسحاق: فولد فِهْر بن مالك أربعة نفر: غالب بن فِهر، ومحارب بن فِهر، والحارث بن فِهر، وأسد بن فِهر، وأمّهم: ليلى بنت سعد بن هُذيل بن مدركة.

قال ابن هشام: وجَندلة بنت فِهر، وهي أم يربوع بن حنظلة، بن مالك، بن زيد مَناة، بن تميم. وأمها: ليلى بنت سعد. **قال جرير بن عطية** ابن الخطفي واسم الخطفي: حُذيفة بن بدر بن سلمَة بن عوف بن كليب ابن يربوع بن حنظله:

وإذا غضبتُ رمى ورائي بالحصى ... أبناء جندلة كخير الجندل

وهذا البيت في قصيدة له.

أولاد غالب وأمّهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد غالب بن فِهر رجلين: لُؤيّ بن غالب، وتَيْم بن غالب، وأمهما: سلمى بنت عمرو الخُزاعي ـ وَتَيْم ابن غالب الذين يقال لهم: بنو الأدْرَم[1].

قال ابن هشام: وقيس بن غالب، وأمه: سلمى بنت كعب بن عمرو

---

(١) الأدرم: المدفون الكعبين من اللحم، يقال: امرأة درماء وكعب أدرم. قال الراجز:

قامت تريه خشية أن تُصرما ... ساقاً بَخَنْداة وكعباً أدرما

وكَفَلا مثل النقا أو أعظَماً

والأدرم أيضاً: المنقوض الذقن، وكان تيم بن غالب كذلك، فسمي: الأدرم، قاله الزبير. وبنو الأدرم هؤلاء هم: أعراب مكة، وهم من قريش الظواهر (النازلون بظهر مكة)، لا من قريش البطاح، (قبائل عبدمَناف) وكذلك بنو محارب من فهر، وبنو معيص بن عامر. كذا في (الروض الأنف ١/١١٩).

الخُزاعي، وهي أم لُؤَيّ وتَيْم ابنَيْ غالب.

أولاد لُؤَيّ وأمّهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد لُؤَيّ بن غالب أربعة نفر: كعب بن لُؤَيّ، وعامر بن لُؤيّ، وسامة بن لُؤَيّ، وعوف بن لُؤَيّ، فأم كعب وعامر وسامة: ماوية[1] بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر، من قُضاعة.

قال ابن هشام: ويقال: والحارث بن لُؤَيّ، وهم: جُشم بن الحارث، في هِزّان من ربيعة. قال جرير:

بني جُشَم لستم لهِـزّان، فـانتَمـوا ... لأعلى الـروابي من لُؤَيّ بن غـالب
ولا تُنكحـوا في آل ضَـوْر نســاءكم ... ولا في شُكَيْس بئس مثوى الغرائب

وسعد بن لُؤَيّ، وهم بُنانة: في شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بـن وائل، من ربيعة.

وبنانة: حاضنة لهم من بني القَيْن بن جسـر بن شَيْع الله ويقـال: سعـ الله بن الأسـد بـن وَبْـرة بن ثعلبـة بن حُلوان بن عمـران بن الحـاف بن قُضاعة. ويقال: بنت النمر بن قاسط، من ربيعة. ويقال: بنت جَرْم بن ربَّان ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة.

وخُـزيمة بن لُؤَيّ بن غـالب، وهم عائـذة في شيبان بن ثعلبـة، وعائـذة امرأة من اليمن[2]، وهي أم بني عبيدة بن خُزيمة بن لُؤَيّ.

وأم بني لُؤَيّ كلهم ـ إلاّ عـامر بن لُؤَيّ: مـاوِيَـة بنت كعب بن القين

---

(١) سُمِّيت بالماوية، وهي: المرآة، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها، وقلبت همزة الماء واواً.
ويحتمل اسم المرآة أن يكون من أويته: إذا ضممته اليك. يقال: أويت مثل: ضممت، وآويته مثلي: آذيته. ثم يقال في المفعول من أويته على وزن فَعَلت: ماوى، والمرأة مأويّة ثم تسهّل الهمزة، فتكون ألفاً ساكنة. كذا في (الروض الأنف ١/١١٩).

(٢) وقال غيره: هي بنت الخِمْس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكاً وحارثاً، فهو بنو خزيمة عائذة، ومن بني خزيمة أيضاً: بنو حرب بن خـزيمة، قتلتهم المسَوِّدة في قريتهم بالشام، وهم يحسبونهم بني حرب بن أمية. كذا في (الروض-الأنف ١/١٠٢).

ابن جَسْر. وأم عامر بن لُؤَيّ: مَخْشِية بنت شيبان بن محارب بن فِهر، ويقال: ليلى بنت شيبان بن محارب بن فِهر.

أمر سامة بن لُؤَيّ

هروبه من أخيه وموته: قال ابن إسحاق: فأما سامة بن لُؤَيّ فخرج إلى عُمان، وكان بها. ويزعمون أنّ عامر بن لُؤَيّ أخرجه، وذلك أنه كان بينهما شيء، ففقأ سامةُ عين عامر، فأخافه عامر، فخرج إلى عُمان. فيزعمون أنّ سامة بن لُؤَيّ بينا هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها ترتع، فأخذت حية بمشفرها، فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقّها، ثم نهشت سامة فقتلته. فقال سامة حين أحسّ بالموت فيما يزعمون:

عين فابكي لسامة بن لُؤَيّ ... عَلِقت ما بسامة العلّاقه
لا أرى مثل سامة بن لُؤيّ ... يوم حلوا به قتيلاً لناقه
بلِّغا عامراً وكعباً رسولاً ... أن نفسي إليهما مشتاقه[1]
إن تكن في عُمان داري، فإنّي ... غالبيّ، خرجت من غير فاقه
ربّ كأس هُرقت يا ابن لُؤيّ ... حذر الموت لم تكن مُهراقه
رُمت دفع الحتوف يا ابن لُؤيّ ... ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه
وخروس السري تركْتَ ردِيا ... بعد جِدّ وجِدّة ورشاقه[2]

قال ابن هشام: وبلغني أنّ بعض ولده أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فانتسب

---

(١) بلِّغَا عامراً وكعباً رسولاً: يجوز أن يكون «رسولاً» مفعولاً: ببلغا إذا جعلت الرسول بمعنى: الرسالة، كما قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بليلى، ولا أرسلتهم برسول

أي: برسالة، وإنما سمّوا الرسالة: رسولاً إذا كانت كتاباً، أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم. ويجوز أن يكون (رسولاً) حالاً من قوله: بلغا عامراً... انظر (الروض ١/١٢١ ـ ١٢٢).

(٢) قوله: وخَروسِ السُّرى تركت ردياً يريد: ناقة صموتاً صبوراً على السري، لا تضجر منه، فسراها كالأخرّس، والردي التي سقطت من الأعياء... انظر (الروض الأنف ١/١٢٢).

إلى سامة بن لُؤيّ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: آ لشاعر؟ فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

ربّ كأس هُرقت يا ابن لُؤيّ حذر الموت لم تكن مهراقه

قال: أجل[1].

أمر عوف بن لُؤَيّ ونَقَلته

سبب انتمائه الى غطفان: **قال ابن إسحاق:** وأما عوف بن لُؤَيّ فإنه خرج ـ فيما يزعمون ـ في ركْبٍ من قريش، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، أُبطِىء به، فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبة بن سعد، وهو أخوه في نسب بني ذبيان ـ ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان. وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث ابن غطفان ـ فحبسه وزوّجه والتاطه[2] وآخاه، فشاع نسبه في بني ذبيان. وثعلبة ـ فيما يزعمون ـ الذي يقول لعوف حين أبطيء به، فتركه قومه:

احبس عليّ ابن لُؤَيّ جملك تركك القوم ولا متْرَكَ لك

مكانة مُرّة: **قال ابن إسحاق:** وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير[3]، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن حصين، أنّ عمر بن الخطاب قال: لو كنت مدّعياً حياً من العرب، أو مُلحِقَهم بنا، لادّعيت بني مُرّة بن عوف، إنّا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع، يعني: عوف بن لُؤَيّ.

نسب مُرّة: **قال ابن إسحاق:** فهو في نسب غطفان: مُرّة بن عوف،

---

(١) وسنده منقطع كما ترى.

(٢) أي: ألصقه به وألحقه بنسبه.

(٣) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي، المدني، ثقة، مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر (التقريب ٢/ ١٥٠ والتهذيب ٩/ ٩٣).

ابن سعد، بن ذبيان، بن بغيض، بن رَيْث، بن غطفان. وهم يقولون، إذا ذُكر لهم هذا النسب: ما ننكره، وما نجحده، وإنه لأحبّ النسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالم بن جَذِيمة بن يربوع ـ **قال ابن هشام**: أحد بني مُرّة بن عوف حين هرب من النعمان بن المنذر، فلحِق بقريش:

فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشُّعْر الرقابا
وقومي ـ إن سألت ـ بنو لُؤيّ بمكة علّموا مُضَر الضرابا
سفهنا باتّباع بني بغيضٍ وتَرْكِ الأقربين لنا انتسابا
سفاهة مُخْلِف لَمَّا تروَّى هراق الماء، واتّبع السَّرابا[1]
فلو طووعت ـ عمركَ ـ كنت فيهم وما أُلْفيتُ أنتجع السحابا[2]
وخشَّ رَوَاحة القُرشيّ رحلي بناجية ولم يطلب ثوابا[3]

قال ابن هشام هذا ما أنشدني أبو عُبيدة منها.

قال ابن إسحاق: فقال الحُصين بن الحُمام المُرّي، ثم أحد بني سهم بن مُرّة يردّ على الحارث بن ظالم، وينتمي إلى غطفان:

ألا لستُمُ منّا، ولسنا إليكم برئنا إليكم من لُؤيّ بن غالب
أقمنا على عزّ الحجاز، وأنتم بمُعتلج البطحاء بين الأخاشب[4]

يعني: قريشاً، ثم ندم الحصين على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن

(١) المخلف: المستقى للماء.
(٢) وما ألفيت انتجع السحابا. أي: كانوا يغنوني بِسَيْبهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب، وارتياد المراعي في البلاد. (الروض ١/١٢٣).
(٣) وخَشَّ رَوَاحة القرشي رحلي بناجية. أي: بناقة سريعة يقال: خش السهم بالريش، إذا راشه به، فأراد: راشني وأصلح رحلي بناجية، ولم يطلب ثواباً بمدحه بذلك. ورواحة هذا: هو رواحة بن مَنقذ بن مَعيص بن عامر كان قد ربع في الجاهلية أي: رأس، وأخذ المرباع. انظر (الروض الأنف السهيلي ١/١٢٣).
(٤) بمعتلج البطحاء: أي: حيث تعتلج السيول، والاعتلاج: عمل بقوة. والأخاشب: جبال مكة، وقد يقال لكل جبل: أخشب. (الروض ١/١٢٤).

ظالم، فانتمى إلى قريش، وأكذب نفسه، فقال:

ندمت على قولٍ مضى كنت قلته ... تبيّنت فيه أنه قول كاذب
فليت لساني كان نصفين منهما ... بكيم، ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كِنانيّ بمكة قبره ... بمعتلج البطحاء بين الأخاشب
لنا الرُّبع من بيت الحرام ورَاثة ... وربع البطاح عند دار ابن حاطب[1]

إي: إنّ بني لُؤيّ كانوا أربعة: كعباً، وعامراً، وسامة، وعوفاً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَنْ لا أتّهم أنّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لرجال من بني مُرّة: إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم، فارجعوا إليه[2].

أشراف مرة: **قال ابن إسحاق**: وكان القوم أشرافاً في غطفان، هم سادتهم وقادتهم. منهم: هرم بن سنان بن أبي حارثة، وخارجة[3] بن سنان بن أبي حارثة، والحارث بن عوف، والحُصَين بن الحمام، وهاشم بن حرملة الذي يقول له القائل:

أحيا أباه هاشم بن حرمله[4]
يوم الهباءات ويوم اليعمله
ترى الملوك عنده مغربله[5]

---

(١) قوله: لنا الربع بضم الراء، يريد: أن بني لؤي كانوا أربعة: أحدهم: أبوهم، وهو عوف، وبنو لؤي هم: أهل الحرم، ولهم وراثة البيت كذا في (الروض ١/١٢٤).

(٢) السند إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ منقطع. والله أعلم.

(٣) خارجة بن سنان الذي تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها لبراعته ونجدته. ونجابة نسله. (الروض ١/١٢٤).

(٤) هاشم بن حرملة هو: جد منظور بن زبّان بن يسار الذي كانت بنته زجلة عند ابن الزبير، فهو جدّ منظور لأمه، واسمها: قهْطِم بنت هاشم. كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين، وولدته بأضراسه، فسمي منظوراً لطول انتظارهم إياه. (الروض ١/١٢٥).

(٥) قيل معناه: منتفخة، وذكروا أنه يقال: غربل القتيل إذا انتفخ، وهذا غير معروف، وإن كان أبو عبيد قد ذكره في الغريب المصنف، وأيضاً: فإن الرواية بفتح الباء مغربَلة، وقال =

يقتل ذا الذنب، ومن لا ذنب لـه

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة هذه الأبيات لعامـر الخصفي: خصفة ابن قيس بن عيلان:

أحيـا أبـاه هـاشم بن حـرمله
يـوم الهبـاءات ويـوم الْـيَعْـمَله
تـرى الـملوك عـنـده مُغَـربـله
يقتل ذا الذنب،ومن لا ذنب له!!
ورمـحـه لـلوالـدات مُشْـكِـلة

وحدّثني أنّ هاشماً قال لعامر: قل فيَّ بيتاً جيداً أثبك عليـه، فقال عـامر البيت الأول، فلم يعجب هـاشمـاً، ثم قـال الثـاني، فلم يعجبـه، ثم قـال الثالث، فلم يعجبه، فلما قال الرابع:

يقتل ذا الذنب، ومن لا ذنب له!!

أعجبه، فأثابه عليه[1].

قال ابن هشام: وذلك الذي أراد الكُميت بن زيد في قوله:

وهـاشـم مُـرّة الـمـفـني مـلوكـاً   بـلا ذنــب إلـيــه ومــذنــبـيــنــا

وهذا البيت في قصيدة لـه. وقول عـامر: يـوم الهباءات. عن غيـر أبي عُبيدة.

قال ابن إسحاق: قوم لهم صيت وذِكر في غطفان وقِيس كلهـا، فأقـاموا على نسبهم، وفيهم كان البَسْل[2].

= بعضهم: معناه: يتخيّر الملوك فيقتلهم، والذي أراه في ذلك أنـه يريـد بالغـربلة استقصاءهم وتتبّعهم. (الروض ١/١٢٥).

(١) إنما أعجب هاشماً هذا البيت؛ لأنه وصفه فيه بالعز والامتناع، وأنـه لا يخاف حـاكماً يُعْـدِي عليه، ولا تِرَة من طالب ثأر. (الروض ١/١٢٥).

(٢) البسل: هو الحرام، والبسل أيضاً: الحلال، فهو من الأضداد ومنـه: بُسْلة الراقي، أي: مـا =

أمر البَسْل

تعريف البَسْل: والبَسْل ـ فيما يزعمون ـ نسيئهم ثمانية أشهر حُرُم، لهم من كل سنة من بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه، ولا يدفعونه، يسيرون به إلى أيّ بلاد العرب شاءوا، لا يخافون منهم شيئاً، قال زهير بن أبي سلمى، يعني بني مُرّة.

قال ابن هشام: زهير أحد بني مُزَيْنَة بن أد، بن طابخة، بن الياس، بن مُضَر، يقال: زهير بن أبي سلمى من غطفان، ويقال: حليف في غطفان:

تأمل، فإن تُقْوِ المَرَوْرَاة(1) منهم ... وداراتها لا تُقْوِ منهم إذاً نخل

بلاد بها نادمتهم وألفتهم ... فإن تُقْوِيا منهم فإنهم بسل

أي: حرام. يقول: ساروا في حرمهم.

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال أعشى بني قيس بن ثعلبة.

أجارتكم بسل علينا محرّم ... وجارتنا حِلّ لكم وحَلِيلها

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

أولاد كعب وأمّهم: قال ابن إسحاق: فولد كعب بن لُؤَيّ ثلاثة نفر: مُرّة بن كعب، وعدِيّ بن كعب، وهُصَيْص بن كعب، وأمّهم: وحشيّة بنت

= يحلّ له أن يأخذه على الرقية، وبسل في الدعاء بمعنى: آمين: قال الراجز:

لا خاب مِن نفعك من رجاك ... بَسْلاً، وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول في أثر الدعاء: آمين وبسلاً، أي: استجابة. كذا في (الروض ١/١٢٦).

(1) قال السهيلي في (الروض الأنف ١/١٢٦): «وقع في بعض النسخ المرورات بتاء ممدودة، كأنه جمْع مرَوْر، وليس في الكلام مثل هذا البناء، وإنما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام، فهو فَعَلْعَلَة مثل صمحمحة، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية، وهذا قول سيبويه جعل مثل: شَجَوْجاة. . . والمروراة اسم مكان كان فيه هذا اليوم.

شيبان بن محارب بن فِهْر بن مالك بن النضر.

أولاد مُرّة وأمهاتهم: فولد مُرّة بن كعب ثلاثة نفر: كِلاب بن مُرّة، وتَيْم ابن مُرّة، ويقظة بن مُرّة.

فأم كلاب: هند بنت سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن كِنانة بن خُزيمة. وأم يقظة: البارقية، امرأة من بارق، من الأسد من اليمن. ويقال: هي أم تيم. ويقال: تَيْم هند بنت سُرَير أمّ كلاب.

نسب بارق: قال ابن هشام: بارق: بنو عَدِيّ، بن حارثة، بن عمرو، ابن عامر، بن حارثة، بن امريء القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأسْد، بن الغوث، وهم في شَنُوءة. قال الكُمَيت بن زيد:

وأزْد شنوءة اندرءوا علينا ... بِجُمٍّ يحسبون لها قرونا[1]
فما قلنا لبارق: قد أسأتم ... وما قلنا لبارق: أعتبونا

وقال: وهذان البيتان في قصيدة له. وإنما سمّوا ببارق؛ لأنهم تَبِعوا البرق[2].

ولدا كلاب وأمّهما: قال ابن إسحاق: فولد كلاب بن مُرّة رجلين: قُصَيّ بن كلاب، وزُهرة بن كِلاب. وأمهما: فاطمة بنت سعد بن سَيَل أحد بني الجَدَرَة، من جُعْثُمَة الأزد، من اليمن، حلفاء في بني الدّيل[3] بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة.

---

(١) أي: يناطحون بلا عُدّة ولا قوة كالكباش الجم التي لا قرون لها، ويحسبون أن لهم قوة. (الروض ١/ ١٢٧).

(٢) وقد قيل: إنهم نزلوا عند جبل يقال له: بارق، فسموا به. كذا في (الروض الأنف ١/ ١٢٧).

(٣) المعروف عند أهل النسب: أن الديل في عبد القيس، وهو الديل بن عمرو بن وديعة، والديل أيضاً في الأزد، وهو ابن هدهاد بن زيد مناة، والديل أيضاً في تغلب وهو ابن زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب، والديل أيضاً في إياد، وهو ابن أمية بن حذافة بن زهير بن إياد، وأما الذي في كنانة، وهم الذين ينسب اليهم أبو الأسود الدؤلي، وهو ظالم بن عمرو، وهم=

نسب جُعثمة: قال ابن هشام: ويقال: جُعْثمة الأسْد، وجُعثمة الأزْد، وهو جُعثمة بن يشكر، بن مبشّر، بن صعب، بن دُهْمان، بن نصر، بن زهران، بن الحارث، بن كعب، بن عبد الله، بن مالك، بن نصر، بن الأسد، بن الغوث. ويقال: جعثمة بن يشكر، بن مُبشر، بن صعب، بن نصر بن زهران، بن الأسد بن الغوث.

وإنما سُمّوا الجدَرَة؛ لأنّ عامر بن عمرو بن جُعثمة تزوّج بنت الحارث ابن مُضاض الجُرْهمي، وكانت جُرْهم أصحاب الكعبة. فبنى للكعبة جداراً، فسمّي عامر بذلك: الجادر، فقيل لولده: الجدرة لذلك[1].

قال ابن إسحاق: ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر:

ما نرى في الناس شخصاً واحداً ... مَن علمناه كسعد بن سَيَل
فارساً أضبط، فيه عُسْرةٌ ... وإذا ما واقف القِرْن نزل[2]
فارساً يستدرج الخيل كما اسـ ... ـتدرج الحرُّ القَطامي الحجَل[3]

قال ابن هشام: قوله: كما استدرج الحرّ. عن بعض أهل العلم بالشعر.

نِعم بنت كلاب وأمّها وولداها: قال ابن هشام: ونِعَم بنت كلاب،

= حلفاء الجدرة، فابن الكلبي ومحمد بن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه: الدُئِل - بضم الدال وهمزة مكسورة - وينسبون اليه: دؤلي، وطائفة من أهل اللغة منهم الكسائي ويونس بن حبيب والأخفش يقولون فيه: الديل - بكسر الدال، وينسبون اليه: الديليّ، واختاره أبو عبيدة... والذي تقيد عن ابن إسحاق في الديل بن بكر - بكسر الدال والياء الساكنة، وقد وافقه على ذلك من النساب: العدوي وابن سالم الجمحي، ومن تقدم ذكره من أهل اللغة.

والديل فكأنه سمي بالفعل من ديل عليهم من الدولة على وزن ما لم يسمَّ فاعله، وقد قيل: إن الدئل بن بكر سمي بالدئل، وهي دويبة صغيرة.

(١) ذكر أنّ السيل دخل الكعبة ذات مرّة، وصدّع بنيانها، ففزعت لذلك قريش، وخافوا انهدادها إن جاء سيل آخر، وأن يذهب شرفهم ودينهم، فبنى عامر لها جدراً. (الروض ١/١٢٨).

(٢) الأضبط: الذي يعمل بكلتا يديه، والعسرة: الشدّة. والقرن: الشديد في الحرب.

(٣) الحر القطامي: الصقر.

وهي أم سعد وسعيد ابنَيْ سهم، بن عمرو، بن هُصيص، بن كعب، بن لُؤيّ. وأمها: فاطمة بنت سعد بن سَيَل.

أولاد قُصَيّ وأمّهم: **قال ابن إسحاق:** فولد قُصَيّ بن كِلاب أربعة نفر وامرأتين: عبد مَناف بن قُصَيّ، وعبد الدار بن قُصَيّ، وعبد العُزَّى بن قُصَيّ، وعبد قُصَيّ بن قُصَيّ، وتخمر بنت قُصيّ، وبَرَّة بنت قُصي. وأمهم: حُبيّ بنت حُلَيل بن حَبَشية بن سَلول بن كعب بن عمرو الخُزاعيّ.

قال ابن هشام: ويقال: حبْشيه بن سلول.

أولاد عبد مَناف وأمّهاتهم: **قال ابن إسحاق:** فولد عبد مَناف ـ واسمه: المغيرة بن قُصَيّ ـ أربعة نفر: هاشم بن عبد مَناف، وعبد شمس بن عبد مَناف، والمطّلب بن عبد مَناف. وأمّهم: عاتكة بنت مُرّة، بن هلال، بن فالج، بن ذكوان، بن ثعلبة، بن بُهْثة، بن سُلَيم، بن منصور، بن عكرمة، ونوفل بن عبد مَناف، وأمه: واقدة بنت عمرو المازنية. مازن: بن منصور بن عِكرمة.

قال ابن هشام: فبهذا النسب خالفهم عُتبة بن غزوان، بن جابر، بن وهب، بن نُسيْب، بن مالك، بن الحارث، بن مازن، بن منصور، بن عِكرِمة.

قال ابن هشام: وأبو عمرو، وتماضر، وقلابة، وحَيَّة، ورَيْطة، وأم الأختم، وأم سفيان: بنو عبد مَناف.

فأم أبي عمرو: ريطة، امرأة من ثقيف، وأم سائر النساء: عاتكة بنت مُرّة بن هلال أم هاشم بن عبد مَناف. وأمها صفيّة بنت حَوْزة، بن عمرو، بن سلول، بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن. وأم صفية: بنت عبدالله بن سعد العشيرة[1] بن مَذْحج.

---

(١) في هذا الكلام وهم لأنّ سعد العشيرة بن مَذْحِج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مَذْحِج إلاّ =

أولاد هاشم وأمّهاتهم: قال ابن هشام: فولد هاشم بن عبد مَناف أربعة نفر، وخمس نسوة: عبد المطّلب بن هاشم، وأسد بن هاشم، وأبا صَيْفيّ بن هاشم، ونضلة بن هاشم، والشِّفاء، وخالدة، وضعيفة، ورُقيّة، وحيّة. فأمّ عبد المطّلب ورُقيّة: سلمى[1] بنت عمرو، بن زيد، بن لَبِيد، بن خداش، بن عامر، بن غَنْم، بن عديّ، بن النجّار. واسم النجّار: تَيْم الله، بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر.

وأمها: عُميرة بنت صخر، بن حبيب، بن الحارث، بن ثعلبة، بن مازن، بن النّجار. وأم عميرة: سلمى بنت عبد الأشهل النجّارية. وأم أسد: قَيْلة بنت عامر بن مالك الخُزاعيّ. وأم أبي صيفي وَحَيّة: هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية. وأم نَضْلة والشّفاء: امرأة من قُضاعة. وأم خالدة وضعيفة: واقدة بنت أبي عديّ المازنية.

أولاد عبد المطّلب بن هاشم

أولاد عبد المطّلب وأمهاتهم: قال ابن هشام: فولد عبد المطّلب بن هاشم عشرة نفر، وست نسوة: العبّاس، وحمزة، وعبدالله، وأبا طالب - واسمه: عبد مَناف - والزبير[2]، والحارث، وجَحلا، والمقوّم، وضِرَارا، وأبا

= أقلّها، فيستحيل أن يكونْ في عصر هاشم من هو ابن له لصُلْبه، ولكن هكذا رواه البرقي عن ابن هشام ورواه غيره: بنت عبدالله من سعد العشيرة، وهي رواية الغساني. كذا في (الروض ١/١٢٩ - ١٣٠).

(١) وأمها: عُمَيرة بنت صَخْر المازنية، وابنها: عمرو بن أُحَيْحَة بن الجلاح، وأخوه: معبد، ولدتهما لأحيحة. (الروض ١/١٣٠).

(٢) الزبير، وهو أكبر أعمام النبيّ - ﷺ - وهو الذي كان يُرْقِص النبيّ - ﷺ - وهو طفل، ويقول:

محمد بن عَبْدَمِ ... عشت بعيش أنعم
في دولة ومغنم ... دام سجيس الأزلم

وبنته: ضباعة كانت تحت المقداد. وعبدالله ابنه: مذكور في الصحابة - رضي الله عنهم - وكان الزبير - رضي الله عنه - يُكَنّى أبا الطاهر بابنه: الطاهر، وكان من أظرف فتيان قريش، وبه سَمّى رسول الله - ﷺ - ابنه الطاهر. وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات، =

لهب[1] ـ واسمه عبد العُزَّى ـ وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأُميمة، وأروَى، وبَرّة.

فأم العباس وضرار: نُتَيلة بنت جناب، بن كُلَيب، بن مالك، بن عمرو، بن عامر، بن زيد مَناة، بن عامر ـ وهو الضحيان ـ بن سعد، بن الخزرج، بن تَيْم الّلات، بن النَّمِر، بن قاسط، بن هِنْب، بن أفصى، بن جديلة، بن أسد، بن ربيعة، بن نزار. ويقال: أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة.

وأم حمزة والمقوم وجَحْل ـ وكان يلقّب بالغيداق لكثرة خيره، وسعة ماله ـ وصفية: هالة بنت أهيب بن عبد مَناف بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

وأم عبدالله، وأبي طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفية: فاطمة بنت عمرو، بن عائذ، بن عمران، بن مخزوم، بن يقظة، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأمّها: صخرة بنت عبد، بن عمران، بن مخزوم، بن يقظة، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأم صخرة: تخمر بنت عبد، بن قُصَيّ، بن كلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأم الحارث بن عبد المطّلب: سمراء بنت جُندب، بن جُحَير، بن رئاب، بن حُبَيْب، بن سُوَاءة، بن عامر، بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عكرمة.

= فقال: بأيّ عقوبة كان موته؟ فقيل: مات حتف أنفه، فقال: وإن فلا بدّ من يوم ينصف الله فيه المظلومين، ففي هذا دليل على إقراره بالبعث. (الروض ١/١٣٢).

(١) واسمه: عبد العُزَّى، وكُنّي: أبا لهب لإشراق وجهه، وكان تَقْدِمة من الله ـ تعالى ـ لما صار إليه من اللهب، وأمه: لبنى بنت هاجِر بكسر الجيم من بني ضاطرة بضاد منقوطة. واللبنى في اللغة: شيء يتميّع من بعض الشجر. (الروض ١/١٣٢).

وأم أبي لهب: لُبنَى بنت هاجر، بن عبد مَناف، بن ضَاطِر، بن حُبْشية، بن سلول، بن كعب، بن عمرو الخُزاعيّ.

أم رسول الله ﷺ وأمهاتها: قال ابن هشام: فولد عبدُالله بن عبد المطّلب: رسول الله - ﷺ - سيّد ولد آدم، محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله.

وأمه: آمنة بنت وهْب، بن عبد مَناف، بن زُهرة، بن كِلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأمّها: بَرَّة بنت عبد العُزَّى، بن عثمان، بن عبدالدار، بن قُصَيّ، بن كِلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأمّ بَرة: أم حبيب بنت أسد، بن عبد العُزَّى، بن قُصَيّ، بن كِلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأم أم حبيب: بَرَّة[1] بنت عوف بن عُبيد، بن عُويج، بن عَدِيّ، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

قال ابن هشام: فرسول الله - ﷺ - أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قِبل أبيه، وأمه - ﷺ.

---

(١) ذكر في آخر أمّهاته ﷺ: بَرَّة بنت عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدِيّ وهنّ كلهن قرشيات؛ ولذلك وقف في بَرَّة، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا: أم بَرَّة، وأم أمها، وأمّ أمّ الأم، ولكنّهنّ من غير قريش، قال محمد بن حبيب: وأم بَرَّة: قِلابة بنت الحارث، بن مالك، ابن طابخة، بن صعصعة، بن غادية، بن كعب، بن طابخة، بن لحيان، بن هُذَيل، وأم قلابة: أُمَيمة بنت مالك، بن غَنْم، بن لحيان، بن غادية، بن كعب، وأم أُمَيْمة: دبَّة بنت الحارث، بن لحيان، بن غادية، وأمها: بنت كهف الظلم من ثقيف، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث، وزعم أن أباها الحارث كان يُكْنى: أبا قلابة، وأنه أقدم شعراء هذيل. كذا في (الروض الأنف للسهيلي ١/١٣٢).

حديث مولد رسول الله ﷺ

احتفار زمزم: قال: حدّثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام، قال: وكان من حديث رسول الله - ﷺ - ما حدّثنا به زيادُ بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي[1]: بينما عبد المطّلب بن هاشم نائم في الحِجْر، إذ أُتي؛ فأُمر بحفر زمزم، وهي دفن بين صنمَيْ قريش: إساف ونائلة، عند منحر قريش. وكانت جُرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة، وهي: بئر إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - التي سقاه الله حين ظميء وهو صغير، فالتمست له أمّه ماء فلم تجده، فقامت إلى الصفا تدعو الله، وتستغيثه لإسماعيل، ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك. وبعث الله ﷺ تعالى جبريل عليه السلام، فهمز له بعَقِبِه[2] في الأرض، فظهر الماء، وسمعت أمّه أصوات

---

(١) السير والمغازي لابن اسحاق ص ٢٣ وفيه: نائماً في الحجر وانظر (السيرة لابن كثير ١/١٦٧).

(٢) ولذلك زمزم تُسمّى: هَمْزَة جبريل بتقديم الميم على الزاي، ويقال فيها أيضاً: هزمة جبريل، لأنها هَزْمَة (أي: نقرة) في الأرض، وحكي في اسمها: زُمَازِمُ وزمزم. حكي ذلك عن المُطرز، وتسمّى أيضاً: طعام طُعْم، وشفاء سُقْم، وقال الجُرْبي: سميت زمزم، بزمزمة الماء: وهي صوته، وقال المسعودي: سُمّيت زمزم؛ لأن الفُرس كانت تحجّ إليها في الزمن الأول، فزمزمت عليها. والزمزمة: صوت تخرجه الفُرس من خياشيمها عند شرب الماء: وقد كتب عمر - رضي الله عنه - إلى عماله: أن انهوا الفرس عن الزمزمة، وأنشد المسعودي: =

السباع فخافتها عليه، فجاءت تشتدّ نحوه، فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خدّه ويشرب، فجعله حسياً[1].

أمر جُرهم ودفْن زمزم

وُلاة البيت من ولد إسماعيل: قال ابن هشام: وكان من حديث جُرهم، ودفْنها زمزم، وخروجها من مكة، ومن وليَ أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطّلب زمزم، ما حدّثنا به زياد بن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي، قال: لما تُوُفّي إسماعيل بن إبراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل ـ ما شاء الله أن يليه ـ ثم ولي البيت بعده: مُضاض بن عمرو الجُرْهُمي.

قال ابن هشام: ويقال: مِضاض بن عمرو الجُرْهمي.

بغْي جُرْهم وقاطوراء: قال ابن إسحاق: وبنو إسماعيل، وبنو نابت مع جدّهم: مضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرهم[2]، وجُرهم وقطوراء[3] يومئذٍ أهل مكة، وهما ابنا عمّ، وكانا ظعنا في اليمن، فأقبلا سيّارةً، وعلى جُرهم: مُضاض بن عمرو، وعلى قطوراء: السَّميدع[4] رجل منهم. وكانوا إذا خرجوا

= زمزمت الفرس على زمزم   وذاك في سالفها الأقدم

وذكر البرقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنها سميت: زمزم لأنها زُمّت بالتراب؛ لئلا يأخذ الماء يميناً وشمالاً، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء. وقال ابن هشام: والزمزمة عند العرب: الكثرة والاجتماع. (الروض ١/١٣٤ ـ ١٣٥، ومروج الذهب ١/٢٤٢، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، للقاضي الفاسي، بتحقيقنا ـ ج ١/٤٠٥).

(١) الحسى: الحفيرة الصغيرة، أو هو ما يختفي في الرمل، فإذا نبش ظهر.

(٢) هو قحطان بن عامر، بن شالخ، بن أرفخشذ، بن سام، بن نوح، ويقال؛ جُرهم بن عابر، وقد قيل: إنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة، وذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلّم إسماعيل العربية. وقيل: إن الله تعالى أنطقه بها إنطاقاً، وهو ابن أربع عشرة سنة. (الروض ١/١٣٥).

(٣) هو قطوراء: بن كَرْكر.

(٤) هو السميدع بن هوثر ـ بثاء مثلثة ـ قيّدها البكري ـ ابن لاي بن قطورا بن كركر بن =

من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم. فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجر، فأعجبهما فنزلا به. فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جُرهم بأعلى مكة بقُعَيقِعان، فما حاز. ونزل السَّمَيْدع بقطوراء، أسفل مكة بأجْياد، فما حاز. فكان مضاض يعشّر من دخل مكة من أعلاها، وكان السَّمَيدع يعشّر من دخل مكة من أسفلها، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه. ثم إنّ جُرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض، وتنافسوا المُلك بها، ومع مضاض يومئذ: بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السَّمَيْدع. فصار بعضهم إلى بعض، فخرج مضاض بن عمرو من قُعَيْقِعان في كتيبته سائراً إلى السَّمَيْدع، ومع كتيبته عُدّتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب، يقعقع بذلك معه، فيقال ما سُمّي قُعَيقِعان: بقُعَيْقِعان إلا لذلك[1]. وخرج السَّمَيدع من أجياد، ومعه الخيل والرجال، فيقال: ما سُمّي أجياد: إلا لخروج الجياد[2] من الخيل مع السَّمَيدع منه. فالتقوا بفاضح، واقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل السميدع، وفُضحت قطوراء. فيقال: ما سُمّي فاضح: فاضحاً إلا لذاك. ثم إنّ القوم تداعوا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ: شِعباً بأعلى مكة، واصطلحوا به، وأسلموا الأمر الى مُضاض. فلما جُمع إليه أمر مكة، فصار ملكها له نحر للناس فأطعمهم، فاطّبخ الناس وأكلوا، فيقال: ما

= عِملاق، ويقال: إنّ الزَّبّاء الملكة كانت من ذُرّيته، وهي بنت عمرو بن أُذَيْنَة بن ظَرِب بن حسان، وبين حسّان وبين السَّمَيدع آباء كثيرة، ولا يصح قول من قال: إنّ حسّان ابنه لصُلبه، لبعد زمن الزبّاء من السميدع. (الروض ١/١٣٦).

(١) وذكره غيره في أخبار مكة أنّ قعيقعان سُمّي بهذا الأسم حين نزل تُبع مكة، ونحر عندها وأطعم، ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان، فسُمِّيَ: قعيقعان بقعقعة السلاح فيه والله أعلم. كذا في (الروض الأنف ١/١٣٦).

(٢) لم يُسَّم بأجياد من أجل جياد الخيل، كما ذُكر لأنّ جياد الخيل لا يقال فيها: أجياد، وإنما أجياد: جمع جِيد.

وذكر أصحاب الأخبار أنّ مُضاضاً ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة، فسُمّي الموضع: بأجياد، وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب، ومن شِعب أجياد تخرج دابة الأرض التي تكلّم الناس قبل يوم القيامة، وكذلك روي عن صالح مولى التّوأمة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص. كذا في (الروض الأنف ١/١٣٦).

سُمّيت المطابخ إلا لذلك. وبعض أهل العلم يزعم أنها إنّما سُمّيت المطابخ، لما كان تُبّع نحر بها، وأطعم، وكانت منزله. فكان الذي كان بين مضاض والسَّمَيدع أول بغْي كان بمكة فيما يزعمون.

انتشار ولد إسماعيل: ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جُرهم وُلاة البيت والحكّام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك لخئولتهم وقرابتهم، وإعظاماً للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال. فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد، فلا يناوئون قوماً إلا أظهرهم الله عليهم - بدينهم - فوطئوهم.

بغي جُرْهم ونفْيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان يطردون جُرهما: ثم إنّ جرهماً بغوا بمكة، واستحلّوا خِلالاً من الحرمة، فظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدى لها[1]، فرقّ أمرهم. فلما رأت بنو بكر، بن عبد مَناة، بن كِنانة، وغبشان، من خُزاعة ذلك، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة؛ فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغبشان، فنفوهم من مكة. وكانت مكة في الجاهلية لا تقرّ فيها ظلماً ولا بغياً، ولا يبغي فيها أحد إلا أخرجته، فكانت تُسمّى: الناسّة، ولا يريدها ملك يستحّل حرمتها إلا هلك مكانه، فقال: إنها ما سُمّيت ببكّة إلا أنها كانت تبكّ[2] أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئاً.

---

(١) فمن ذلك أنّ إبراهيم عليه السلام، كان احتفر بئراً قريبة القَعْر عند باب الكعبة، كان يلقي فيها ما يُهدى إليها، فلما فسد أمر جُرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة، فيذكر أنّ رجلاً منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة، فسقط عليه حجر من شَفير البئر فحبسه فيها، ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدي. سوداء المتن. بيضاء البطن فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة، وقامت في البئر - فيما ذكروا - نحواً من خمسمائة عام. أنظر (الروض الأنف ١/١٣٧).

(٢) أي: تكسرهم وتَقْدَعهم، وقيل: من التَبَاكّ، وهو: الازدحام، ومكة من تمكّكت العظم، إذا اجتذبت ما فيه من المخ، وتمكك الفصيل ما في ضرع الناقة، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم. =

معنى بكّة: قال ابن هشام: أخبرني أبو عُبيدة: أنّ بكة اسم لبطن مكة؛ لأنهم يتباكّون فيها، أي: يزدحمون، وأنشدني:

إذا الشريب أخذته أكّه ... فخلّه حتى يبكّ بكّه

أي: فدعه حتى يبكّ إبله، أي: يخليها إلى الماء، فتزدحم عليه، وهو موضع البيت والمسجد. وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَناة بن تميم[1].

قال ابن إسحاق: فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالَي الكعبة وبحجر الركن، فدفنهما في زمزم وانطلق هو ومن معه من جُرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً، فقال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك[2]، وليس بمضاض الأكبر:

وقائلةٍ والدمع مُبادر سَكْب ... وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحَجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر[3]
فقلت لها والقلب منّي كأنّما ... يُلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنّا أهلها، فأزالنا ... صروف الليالي، والجُدود العواثر
وكنّا وُلاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت، والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت ... بعزّ، فما يحظى لدينا المكاثر

= وقيل: لما كانت في بطن واد، فهي تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر، وتنجذب إليها السيول. ومن أسماء مكة أيضاً: الرأس، وصَلاح، وأم رُحْم، وكُوثى.

(١) مجاز القرآن ١/٩٧.

(٢) وكان الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيّ بن نبت بن جُرهم الجرهمي قد نزل بقنّوْنَى من أرض الحجاز، فضلّت له إبل، فبغاها حتى أتى الحرم، فأراد دخوله، ليأخذ إبله، فنادى عمرو بن لحي: من وجد جرهمياً، فلم يقتله، قطعت يده، فسمع بذلك الحارث، وأشرف على جبل من جبال مكة، فرأى إبله تُنحر، ويُتوزع لحمها، فانصرف بائساً خائفاً ذليلاً، وأبعد في الأرض، وهي غربة الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل. كذا في (الروض الأنف ١/١٣٨).

(٣) الحَجُون: بفتح الحاء على فرسخ وثلث من مكة. والسامر: اسم الجماعة يتحدثون بالليل.

ملكنـا فعـززنـا فـأعـظمْ بملكنـا ... فـليس لحيّ غيـرنـا ثـم فـاخـر
ألم تُنكحـوا من خير شخص علمتـه ... فـأبنـاؤه منّـا، ونحن الأصـاهـر[1]
فـإن تَنْثَن الـدنيـا علينا بحـالهـا ... فـإنّ لهـا حـالاً، وفيهـا التشـاجـر
فـأخـرجنـا منها المليـك بقُـدرة ... كذلك - يا للناس - تجـري المقادر
أقـول إذا نـام الـخليّ - ولـم أنـم ... : إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر[2]
وبُـدّلت منهـا أوجهـاً لا أحبّهـا ... قبـائـلُ منهـا حِمْيَـر ويُحـابـر
وصـرنـا أحـاديث وكنّـا بـغبـطة ... بـذلـك عضّتنـا السنـون الغـوابـر
فسحّت دمـوع العين تـبكـي لبـلدة ... بهـا حَـرَم أمنٍ، وفيهـا المشـاعـر[3]
وتبكي لبيت لـيس يُؤذَى حَـمـامُـهُ ... يـظّل بـه أمنـاً، وفيـه العصـافـر[4]
وفيـه وحـوش - لا تُـرام - أنيسـة ... إذا خـرجت منـه، فليست تغـادر

قال ابن هشام: «فأبناؤه منّا»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن الحارث - أيضاً - يذكر بكـراً وغبشان، وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم:

يـا أيهـا النـاس سيـروا إنّ قصـركم ... أن تصبحـوا ذات يوم لا تسيـرونـا[5]
حُثـوا المـطيّ، وأرخـو من أزمّتهـا ... قبـل الممات، وقَضُّـوا مـا تقضـونـا
كنّـا أُنَـاسـاً كمـا كنتم، فغيَّـرنـا ... دهـرٌ، فـأنتم كمـا كنّا تكـونـونـا

قال ابن هشام: هـذا مـا صـحّ لـه منهـا. وحـدّثني بعضُ أهـل العلم بالشعر: أنّ هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب، وأنها وجـدت مكتوبـة في

---

(١) خير شخص: هو إسماعيل عليه السلام.
(٢) عامر: جبل من جبال مكة، يدل على ذلك قول بـلال رضي الله عنه: وهـل يبدُوَن لي عـامر وطَفيل.
(٣) المشاعر: أماكن التعبّد في الحجّ.
(٤) أراد: العصـافير، وحـذف اليـاء ضـرورة؛ ورفـع العصـافيـر على المعنى، أي: وتـأمن فيـه العصـافير، وتـظل به أمنـاً، أي: ذات أمن، ويجوز أن يكـون أمْنـاً جمـع آمن مثـل: ركْب جمع: راكب كذا في (الروض الأنف ١/١٣٨).
(٥) قصركم: نهايتكم.

حجر باليمن[1]، ولم يسمّ لي قائلها.

---

(١) قال السهيلي في الروض ١/١٣٩ ـ ١٤٠. «وألفيت في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبراً لهذه الأبيات، وأسنده أبو الحارث محمد بن أحمد الجعفي عن عبدالله بن عبد السلام البصري، قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن سليمان التّمار، قال: أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال: وُجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسْم وجَديس في قرية يقال لها: معنق، بينها وبين الحجر ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تبّع، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوباً:

يا أيّها الملك الذي ... بالملك ساعده زمانه
ما أنت أوّل من علا ... وعلا شئون الناس شانه
أقصِرْ عليك مراقباً ... فالدهر مخذول أمانه
كم من أشمّ مُعَصب ... بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزما ... ن، وكان ذا خَفْض جنانه
تجري الجداول حوله ... للجُنْد مُتْرعة جِفانه
قد فاجأته مَنيّة ... لم يُنجه منها اكتنانه
وتفرّقت أجناده ... عنه، وناح به قِيانه
والدهر من يَعْلِقْ به ... يطحنْه، مُفترشاً جِرانه
والناس شتّى في الهوى ... كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة ... والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى ... ولقد يُشرفه بيانه

ووجد في الحجر الثاني مكتوباً أبيات:

كل عيش تَعِلّةْ ... ليس للدهر خلّه
يوم بُؤسَى ونُعْمَى ... واجتماع وقلّه
حبّنا العيش والتكا ... ثر جهل وضِلّه
بينما المرء ناعم ... في قصور مُظلّه
في ظلال ونعمة ... ساحباً ذيل حلّه
لا يرى الشمس مِلْغضا ... رَة إذ زلّ زلّة
لم يُقلها، وبَدّلَتْ ... عِزّة المرء ذِلّه
آفة العيش والنعـ ... ـيم كُرور الأهِلّةْ
وصْل يومٍ بليلة ... واعتراض بِعِلّه
والمنايا جواثم ... كالصقور المدلّه
بالذي تكره النفـ ... ـوس عليها مُطلّه

وفي الحجر الثالث مكتوباً:

ياأيُّها الناس سيروا إنّ قِصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حُثُّوا الْمَطِيَّ، وارخوا من أزِمّتها ... قبل الممات وقَضُّوا ما تقضونا
كنّا أناساً كما كنتم فغيَّرنا ... دهرٌ فأنتم كما كنّا تكونونا

استبداد قومٍ من خُزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق: ثم إنّ غُبْشان من خُزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مَناة، وكان الذي يليه منهم: عمرو بن الحارث الغُبشاني، وقريش إذ ذاك حلول وصِرْم، وبيوتات متفرّقون في قومهم من بني كِنانة، فوليت خُزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كأن آخرهم حُليل بن حَبَشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخُزاعي.

قال ابن هشام: يقال: حُبْشية بن سلول.

تزوّج قُصَيّ بن كِلاب حُبي بنت حُلَيل

أولاد قُصَيّ وحُبيّ: قال ابن إسحاق: ثم إنّ قُصَيّ بن كِلاب خطب إلى حُليل بن حبشية بنته حُبي، فرغب فيه حُليل فزوَّجه، فولدت له عبد الدار، وعبد مَناف، وعبد العُزّى، وعبداً. فلما انتشر ولد قُصَيّ، وكثر ماله، وعظم شرفه، هلك حُليل.

مساعدة رزاح لقُصَيّ في تولّي أمر البيت: فرأى قُصَيّ أنه أَوْلى بالكعبة وبأمر مكة من خُزاعة وبني بكر، وأنّ قريشاً قُرعة[1] إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده. فكلّم رجالاً من قريش، وبني كِنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه. وكان ربيعة بن حرام من عُذرة بن سعد ابن زيد قد قدِم مكة بعدما هلك كِلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيَل، وزُهرة يومئذ رجل، وقُصَيّ فطيم، فاحتملها إلى بلاده، فحملت قُصَيّاً معها، وأقام زُهرة، فولدت لربيعة رِزاحاً. فلما بلغ قُصَيّ، وصار رجلاً أتى مكة[2]،

---

(١) هكذا بالقاف، وهي الرواية الصحيحة، وفي بعض النسخ: فرعة بالفاء، والقرعة بالقاف هي: نخبة الشيء، وخياره، وقريع الإبل: فحلها، وقريع القبيلة: سيدها، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمّي من العرب بالأقرع. كذا في (الروض الأنف ١/١٤٢).

(٢) كان قُصَيّ رضيعاً حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة، فنشأ ولا يعلم لنفسه أباً إلاّ ربيعة، ولا يدعى إلا له، فلما كان غلاماً يَفَعَه أو حَزَوَّراً (دون البلوغ) سابّه رجل من قضاعة، فعيّره =

فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمه، رزاح ابن ربيعة، يدعوه إلى نصرته، والقيام معه، فخرج رزاح بن ربيعة، ومعه إخوته: حنّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلْهُمة بن ربيعة، وهم لغير أمه فاطمة، فيمن تبعهم من قُضاعة في حاجّ العرب، وهم مجمعون لنصرة قُصَيّ. وخُزاعة تزعم أنّ حُليل بن حبشية أوصى بذلك قُصيّاً وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر. وقال: أنت أولى بالكعبة، وبالقيام عليها، وبأمر مكة من خُزاعة، فعند ذلك طلب قُصَيّ ما طلب[1]، ولم نسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

= بالدعوة، وقال: لست منّا، وإنّما أنت فينا ملصق، فدخل على أمه، وقد وجم لذلك، فقالت له: يا بني صدق، إنك لست منهم، ولكنّ رهطك خير من رهطه، وآباؤك أشرف من آبائه، وإنما أنت قرشي، وأخوك وبنو عمك بمكة، وهم جيران بيت الله الحرام، فدخل في سيارة حتى أتى مكة، والمعروف أنّ اسمه: زيد، وإنما كان قُصياً أي: بعيداً عن بلده فسُمّي: قُصَيّاً. (الروض الأنف ١/١٤٢ ـ ١٤٣).

(١) وذكر المؤرّخون أسباباً لانتقال ولاية البيت إلى قُصَيّ وهو أنّ حُلَيْلاً كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حبي، حين كبر وضعف، فكانت بيدها، وكان قُصَيّ ربما أخذها في بعض الأحيان، ففتح البيت للناس وأغلقه، ولما هلك حُليل أوصى بولاية البيت إلى قُصَيّ، فأبت خُزاعة أن تُمضي ذلك لقُصَيّ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خُزاعة، وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم.

ويذكر أيضاً أن أبا غُبْشَان من خُزاعة، واسمه: سليم ـ وكانت له ولاية الكعبة ـ باع مفاتيح الكعبة من قُصَيّ بزِقّ خمر، فقيل: أخسر من صفقة أبي غبشان. ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال.

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُضَر إلى خُزاعة أنّ الحرم حين ضاق عن ولد نزار، وبغت فيه إياد أخرجتهم بنو مُضر بن نزار، وأجلوهم عن مكة، فعمدوا في الليل إلى الحجر الأسود، فاقتلعوه، واحتملوه على بعير فرزح البعير به، وسقط إلى الأرض، وجعلوه على آخر، فرزح أيضاً، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا، فلما أصبح أهل مكة، ولم يروْه، وقعوا في كرب عظيم، وكانت امرأة من خُزاعة قد بَصُرت به حين دُفن، فأعلمت قومها بذلك، فحينئذ أخذت خُزاعة على وُلاة البيت أن يتخلّوا لهم عن ولاية البيت، ويدلّوهم على الحجر، ففعلوا ذلك، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخُزاعة إلى أن صيّرها أبو غُبْشَان إلى عبد مَناف، هذا معنى قول الزبير. كذا في (الروض الأنف ١/١٤٢).

ما كان يليه الغوث بن مُرّ من الإجازة للناس بالحجّ

وكـان الغوث بن مُـرّ، بن أد، بن طابخـة، بن الياس، بن مُضـر يلي الإجـازة للناس بـالحجّ من عَـرَفة، وولـدُه من بعده، وكـان يقال لـه ولولـده: صُوفة[1].

وإنّما ولي ذلك الغوث بن مُرّ، لأنّ أمّه كانت امرأة من جُرهم، وكـانت لا تلد. فنذرت لله إنْ هي ولدت رجـلًا: أن تَصَّدَّق بـه على الكعبة عبـداً لها يخدمها، ويقوم عليها، فولدت، فكان يقوم على الكعبـة في الدهـر الأول مع أخواله من جُرهم، فولي الإجازة بالناس من عرفـة، لمكانـه الذي كـان به من الكعبة، وولده من بعده حتى انقرضوا. فقال مُرّ بن أد لوفاء نذر أمه:

إنـي جعـلتُ رب مـن بَـنِـيّـه ... رَبـيـطةً بـمـكـة الـعـليّـه
فـبـارَكـنّ لـي بـهـا ألـيَّـه ... واجعله لي من صـالـح البـريّـة

وكان الغوث بن مُرّ ـ فيما زعموا ـ إذا دفع بالناس قال:

لا هُـمّ إنّـي تـابـع تَـبَـاعـه ... إن كـان إثـم فـعلى قُـضـاعـه[2]

---

(١) قال أبو عُبيدة: وصوفة وصوفان يقال لكلّ من ولي من البيت شيئاً من غير أهله، أو قام بشيء من خدمة البيت، أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم: صوفة وصوفان. قال أبو عبيـدة: لأنه بمنزلة الصوف، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر، ليسوا من قبيلة واحدة.
وذكر أبو عبدالله أنه حدّثه أبـو الحسن الأثرم، عن هشـام بن محمد بن السـائب الكلبي قـال: إنّما سُمّي الغـوث بن مُرّ: صـوفة، لأنـه كان لا يعيش لأمـه ولد، فنـذرت: لئن عاش لتعلقنّ برأسه صوفة، ولتجعلنّه رَبيطاً للكعبة، ففعلت، فقيل له: صوفـة، ولولـده من بعده، وهو: الربيط.
وحدّث إبراهيم بن المنذر، عن عمر بن عبدالعزيز بن عمران، قال: أخبرني عقـال بن شَبة قال: قالت أم تميم بن مُرّ ـ وولدت نسوة ـ فقالت: لله عليّ. لئن ولدت غلاماً لأعَبّدَنّه للبيت، فولدت، الغوث، وهو أكبر ولد مر، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر، فمـرت به ـ وقـد سقط وذوى واسترخى فقـالت: ما صـار ابني إلا صوفـة، فسُمّي صوفـة. عن (الروض الأنف ١/١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) سبب قوله: إن كان إثماً فعلى قُضاعة، إنما خصّ قُضاعـة بهذا؛ لأنّ منهم مُحلّين يستحلّون الأشهر الحُرُم، كما كانت خثعم وطيء تفعل، وكذلك كانت النسأة تقول إذا حرّمت صفراً أو =

صوفة ورمي الجمار: قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير[1] عن أبيه قال: كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجيز بهم إذا نفروا من مِنَى، فإذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار، ورجل من صوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي. فكان ذوو الحاجات المتعجّلون يأتونه، فيقولون له: قم فارْم حتى نرمي معك، فيقول: لا والله، حتى تميل الشمس، فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبّون التعجّل يرمونه بالحجارة، ويستعجلونه بذلك، ويقولون له: ويلك! قم فارم، فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس، قام فرمى الناس معه.

قال ابن إسحاق: فإذا فرغوا من رمي الجمار، وأرادوا النفر من مِنَى، أخذت صوفة بجانبي العقبة، فحبسوا الناس وقالوا: أجيزي صوفة، فلم يجز أحد من الناس حتى يمرّوا، فإذا نفرت صوفة ومضت، خلّي سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك، حتى انقرضوا، فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد[2] بنو سعد، بن زيد مَناة، بن تميم، وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث بن شِجنة.

نسب صفوان بن جناب: قال ابن هشام: صفوان بن جناب بن شجنة: عُطارد بن عوف، بن كعب، بن سعد، بن زيد مَناة، بن تميم.

صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحجّ: قال ابن إسحاق: وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحجّ من عَرَفة ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام: كرب بن صفوان. وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي:

= غيره من الأشهر بدلاً من الشهر الحرام ـ يقول قائلهم: قد حرمت عليكم الدماء إلا دماء المُحِلّين.

(١) وثقه ابن معين، ومات شاباً بعد المائة، وله ست وثلاثون سنة أنظر (ميزان الاعتدال ٣٨٨/٤، وتقريب التهذيب ٣٥٠/٢).

(٢) أي بالقرابة، وذلك أنّ سعداً هو: ابن زيد مَناة بن تميم بن عامر. وكان سعد أقعد بالغوث ابن مر من غيره من العرب (الروض ١٤٤/١).

لا يبرح الناس ما حجّوا مُعرَّفهم حتى يقال: أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام: هذا البيت في قصيدة لأوس بن مغراء.

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المُزْدَلِفة

ذو الأصبع يذكر هذه الافاضة: وأما قول ذي الإصبع العدواني - واسمه حرثان بن عمرو - وإنّما سُمّي ذا الإصبع؛ لأنه كان له إصبع فقطعها:

عذير الحيّ من عدوا ن كانوا حَية الأرض[1]
بغى بعضهم ظلماً فلم يُرْع على بعض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز النا س بالسُّنَّة والفرض
ومنهم حَكم يقضي فلا يُنقض ما يَقضي

وهذه الأبيات في قصيدة له - فلأنّ الإفاضة من المزدلفة[2] كانت في عدوان - فيما حدّثني زياد بن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق - يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيَّارة، عُمَيلة بن الأعزل[3]، ففيه يقول شاعر من العرب:

---

(١) يقال: فلان حية الأرض، وحية الوادي؛ إذا كان مَهيباً يُذْعَر منه، كما قيل:
يا مُحْكم بن طفيل قد أتيح لكم لله درّ أبيكم حية الوادي
يعني بحية الوادي: خالد بن الوليد رضي الله عنه.
وعذير الحيّ من عدوان. نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره، كأنه يقول: هاتوا عذيره، أي: من يعذره، فيكون العذير بمعنى: العاذر، ويكون أيضاً بمعنى: العذر مصدراً كالحديث ونحوه. (الروض ١/١٤٦).

(٢) المزدلفة: مفتعلة من الازدلاف: وهو الاجتماع، وفي التنزيل: (وازلفنا ثَمّ الآخرين) وقيل: بل الازدلاف: هو الاقتراب، والزلفة: القربة، فسميت مزدلفة: لأن الناس يزدلفون فيها الى الحرم وفي الخبر: أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض لم يزل يزدلف الى حواء وتزدلف، حتى تعارفا بعرفة واجتمعا بالمزدلفة، فسميت جمعاً، وسميت المزدلفة. عن (الروض الأنف ١/١٤٤).

(٣) وقال غيره: اسمه: العاصي. قاله الخطابي: واسم الأعزل: خالد، ذكره الأصبهاني، =

نحن دفعنا عن أبي سياره وعن مواليه بني فزاره
حتى أجاز سالماً حماره مستقبل القبلة يدعو جاره

قال: وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له: فلذلك يقول: «سالماً حماره».

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

ابن الظرب حاكم العرب: قال ابن إسحاق: وقوله: حَكَم يقضى يعني: عامر بن ظرب، بن عمرو، بن عياذ، بن يشكر، بن عدوان العدواني. وكانت العرب لا يكون بينها نائرة[1]، ولا عُضلة في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، فاختُصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه، في رجل خُنْثى، له ما للرجل، وله ما للمرأة، فقالوا: أنجعله رجلًا أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه. فقال: حتى أنظر في أمركم، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب! فاستأخروا عنه؛ فبات ليلته ساهراً يقلّب أمره، وينظر في شأنه، لا يتوجّه له منه وجه. وكانت له جارية يقال لها: سُخَيلة ترعى عليه غنمه، وكان يعاتبها إذا سرحت فيقول: صبَّحت والله يا سُخَيل! وإذا أراحت عليه، قال: مسَّيت والله يا سخيل! وذلك أنها كانت تؤخّر السرح حتى يسبقها بعض الناس، وتؤخّر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سهره وقلقه، وقلّة قراره على فراشه قالت: مالك لا

= وكانت له أتان عوراء خطامها ليف، يقال: إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة، وإياها يعني الراجز في قوله:

حتى يجيز سالما حماره

وكانت تلك الأتان سوداء؛ ولذلك يقول:

لا هُمّ مالي في الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أُحسد
فَقِ أبا سيارة المُحَسَّد من شر كل حاسد إذ يحسد

(عن الروض ١/١٤٦).

(١) النائرة: الكائنة الشنيعة بين القوم.

أبالك! ما عراك في ليلتك هذه؟ قال: ويلكِ! دعيني، أمر ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه: عسى أن تأتي مما أنا فيه بفرج، فقال: ويحك! اختصم إليّ في ميراث خُنثى، أأجعله رجلاً أو امرأة؟ فوالله ما أدري ما أصنع، وما يتوجّه لي فيه وجه؟ قال: فقالت: سبحان الله! لا أبالك! أتبع القضاء المَبال، أقعده، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبول المرأة، فهي امرأة. قال: مَسِّي سخيل بعدها أو صبحي، فرَّجْتِها والله! ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذي أشارت عليه به[1].

غلب قُصَيّ بن كلاب على أمر مكة وجمْعه أمر قريش ومعونة قُضاعة له

قُصَيّ يتغلّب على صوفة: قال ابن إسحاق: فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين في أنفسهم في عهد جُرهم وخُزاعة وولايتهم. فأتاهم قُصَيّ بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكِنانة وقُضاعة عند العقبة، فقال: لنحن أولى بهذا منكم، فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم انهزمت صوفة، وغلبهم قُصَيّ على ما كان بأيديهم من ذلك.

---

(١) وهو حكم معمول به في الشرع، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات، وله أصل في الشريعة، قال الله سبحانه: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ وجه الدلالة على الكذب في الدم أنَّ القميص المُدَمَّى لم يكن فيه خرْق ولا أثر لأنياب الذئب، وكذلك قوله: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾ الآية، وقول النبيّ - ﷺ - في المولود: «إن جاءت به أورق جعداً جُمَالِيّاً فهو للذي رميت به».

فالاستدلال بالإمارات أصل ينبني عليه كثير من الأحكام في الحدود والميراث، وغير ذلك، والحكم في الخنثى أن يعتبر المَبَال، ويعتبر بالحيض، فإن أشكل من كل وجه، حكم بأن يكون له في الميراث سهم امرأة ونصف، وفي الدية كذلك، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد. عن (الروض الأنف ١/١٤٧).

وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بكر عن قُصَيّ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة. فلما انحازوا عنه بادأهم، وأجمع لحربهم، وخرجت له خُزاعة وبنو بكر فالتقوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، وإلى أن يحكِّمُوا بينهم رجلاً من العرب، فحكّموا يعمر بن عوف، بن كعب، بن عامر، بن ليث، بن بكر، بن عبد مَناة، بن كِنانة، فقضى بينهم بأنّ قُصَيّاً أولى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة، وأنّ كل دم أصابه قُصَيّ من خُزاعة وبني بكر: موضوع يشدخه تحت قدميه، وأنّ ما أصابت خُزاعة وبنو بكر من قريش وكِنانة وقُضاعة، ففيه الدية مؤدّاة، وأن يخلّى بين قُصَيّ وبين الكعبة ومكة.

فسُمّي يعمر بن عوف يومئذ: الشدّاخ[1]، لما شدخ من الدماء ووضع منها.

قُصَيّ يتولّى أمر مكة: قال ابن إسحاق: فولِّي قُصَيّ البيت وأمر مكة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملّك على قومه وأهل مكة فملّكوه، إلا أنه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقرّ آل صفوان وعَدْوان والنسأة ومُرّة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كله. فكان قُصَيّ أول بني كعب بن لؤي أصاب مُلكاً أطاع له به قومُه، فكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة[2]،

---

(١) ويعمر الشدّاخ هو جدّ بني دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب وهم: عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، وأبوه؛ يزيد، وحُذيفة بن دأب، ودأب هو: ابن كرز بن أحمر من بني يعمر بن عوف الذي شدخ دماء خُزاعة، أي: أبطلها، وأصل الشدخ: الكسر والفضخ، ومنه الغُرَّة الشادخة، شبهت بالضربة الواسعة. عن (الروض ١/١٤٨).

(٢) وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور، ولفظها مأخوذ من لفظ النّديّ. والنادي والمنتدى: وهو مجلس القوم الذي يَندون حوله، أي: يذهبون قريباً منه، ثم يرجعون إليه، والتندية في الخيل: أن تصرف عن الورد إلى المرعى قريباً، ثم تعاد إلى الشرب، وهو المندّى، وهذه الدار تصيّرت بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خُويلد بن أسد =

واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة رِباعاً بين قومه، فأنزل كل قـوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها. ويزعم الناس أنّ قريشاً هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قُصَيّ بيده وأعوانه(۱)فسمّتـه قريش: مجمّعـاً لمـا جمع من أمـرها، وتيمنت بـأمره، فمـا تُنكح امرأة، ولا يتزوّج رجـلٌ من قـريش، وما يتشـاورون في أمر نـزل بهم، ولا يعقدون لـواء لحرب قـوم من غيـرهم إلّا في داره، يعقده لهم بعض ولـده، وما تـدَّرع جـاريـة إذا بلغت أن تدرع من قريش إلّا في داره، يشقّ عليها فيها درعها ثم تدرِّعه، ثم ينطلق بهـا إلى أهلها. فكان أمره في قومه من قريش في حياته، ومن بعد موتـه، كالـدِّين المتّبـع لا يعمل بغيـره. واتّخذ لنفســه دار الندوة، وجعـل بـابهـا إلى مسجـد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها.

قال ابن هشام: وقال الشاعر:

قُصَيّ لعمـرِي كـان يـدعى مُجَمِّعـاً ... بـه جمَّـع الله القبـائـل من فِهـر

= ابن عبـد العُزّى بن قُصَيّ، فباعها في الإسـلام بمائـة ألف درهم، وذلك في زمن معـاوية، فلامه معاوية في ذلك، وقال: أبعت مَكرُمة آبـائك وشـرفهم؟! فقال حكيم: ذهبت المكـارم إلا التقـوى. والله لقد اشتـريتها في الجـاهلية بـزقّ خمر، وقـد بعتهـا بمـائـة ألف درهم، وأشهـدكم أنّ ثمنها في سبيـل الله، فأيّنـا المغبون؟! ذكـر خبر حكيم هـذا: الدارقـطني في أسماء رجال الموطأ له. (الروض ١/١٤٩).

(١) قال الواقدي: الأصحّ في هذا الخبر أنّ قـريشاً حين أرادوا البنيـان قالـوا لقُصَيّ: كيف نصنع في شجر الحرم، فحذّرهم قطعها وخوّفهم العقوبة في ذلـك، فكان أحـدهم يحوف بـالبنيان حول الشجرة، حتى تكون في منزلـه. قال: فـأول من ترخص في قـطع شجر الحـرم للبنيان عبدالله بن الزبير حين ابتنى دوراً بقُعَيْقِعان، لكنّه جعل دية كل شجرة: بقرة. وكذلك يروى عن عمر - رضي الله عنه - أنـه قطع دوحـة كانت في دار أسـد بن عبد العُزّى، كانت تنـال أطرافها ثيـاب الطائفين بـالكعبة، وذلـك قبل أن يـوسّع المسجـد، فقطعهـا عمر - رضي الله عنه - ووداها بقرة، ومذهب مـالك - رحمـه الله - في ذلك: ألا ديـة في شجر الحـرم. قال: ولم يبلغني في ذلك شيء. وقد أساء من فعل ذلك، وأما الشـافعي - رحمه الله - فجعـل في الدوحة بقـرة، وفيما دونهـا شاة. وقـال أبو حنيفـة - رحمه الله -: إن كـانت الشجرة التي في الحرم مما يغـرسها النـاس، ويستنبتونهـا، فلا فـدية على من قـطع شيئاً منهـا، وإن كان من غيرها، ففيه القيمة بالغاً ما بلغت. (الروض الأنف ١/١٤٩).

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن حبَّاب[1] صاحب المقصورة يحدّث، أنه سمع رجلاً يحدّث عمر ابن الخطاب ـ وهو خليفة ـ حديث قُصَيّ بن كلاب، وما جمع من أمر قومه وإخراجه خُزاعة وبني بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة، فلم يردّ ذلك عليه ولم ينكره.

شعر رزاح بن ربيعة في هذه القصة: **قال ابن إسحاق**: فلما فرغ قُصَيّ من حربه، انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بِمَنْ معه من قومه، وقال رزاح في إجابته قُصياً:

لما أتى من قُصَيّ رسول ... فقال الرسول: أجيبوا الخليلا
نهضنا إليه نقود الجياد ... ونطرح عنا المَلول الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح ... ونكمي النهار؛ لئلا نزولا[2]
فهنّ سراع كوِرد القَطا ... يُجبْن بنا من قُصَيّ رسولا
جمعنا من السر من أشمذَيْنْ ... ومن كل حيّ جمعنا قبيلا[3]
فيالك حُلبة ما ليلة ... تزيد على الألف سَيْباً رسيلا[4]
فلما مررن على عسجر ... وأسهلن من مُستناخ سبيلا[5]
وجاوزن بالركن من وَرِقان ... وجاوزن بالعَرْج حيا حُلولا[6]
مررن على الحيل ما ذقنه ... وعالجن من مرّ ليلاً طويلاً[7]

(١) السائب بن خباب المدني أبو مسلم، صاحب المقصورة. قال البخاري: يقال: له صحبة، مات قبل ابن عمر. انظر (تهذيب التهذيب ٣/٤٤٦ ـ ٤٤٧، والتقريب ١/٢٨٣).

(٢) نكمي النهار، أي: نكمن ونستتر، والكَمِيُّ من الفرسان، الذي تَكَمّى بالحديد. وقيل: الذي يَكْمِي شجاعته، أي: يسترها، حتى يظهرها عند الوغى.

(٣) الأشمذان: جبلان، ويقال: اسم قبيلتين.

(٤) الحلبة: الجماعة من الخيل. والسيب: المشي السريع. والرسيل: الذي فيه تمهّل: أي تمشي سراعاً، ولكن في رفق كما تزحف الحية.

(٥) عسجر: اسم موضع. وكذلك ورقان: اسم جبل.

(٦) العرج: واد ناحية الطائف.

(٧) الحيل: هو الماء المستنقع في بطن واد، ووجدت في غير أصل الكتاب روايتين، إحداهما: =

نُــدَنــي مــن الــعــوُذ أفــلاءهــا   إرادة أن يــســتــرقــن الــصــهــيــلا[1]
فــلمــا انــتــهــيــنــا إلى مــكــة   أبــحــنــا الــرجــال قــبــيــلاً قــبــيــلا
نُــعــاورهــم ثــمّ حــدّ الــســيــوف   وفــي كــل أوب خلــســنــا الــعــقــولا
نُــخــبِّــزهــم بــصــلاب الــنــســو   ر خبَز القوي العزيز الــذليلا[2]
قــتــلــنــا خُــزاعــةَ فــي دارهــا   وبــكــراً قتــلــنــا وجــيــلاً فــجــيــلا
نــفــيــنــاهــم من بــلاد المــلــيــك   كــمــا لا يــحــلّون أرضــاً سُــهــولا
فــأصبــح سبْيهــم في الــحــديــد   ومــن كــل حيّ شــفــيــنــا الــغــلــيــلا

شعر ثعلبة القُضاعي في هذه القصة: وقال ثعلبة بن عبدالله، بن ذبيان، بن الحارث، بن سعد، بن هُذيم القُضاعي في ذلك من أمر قُصَيّ حين دعاهم فأجابوه:

جلبنــا الــخيــل مــضمــرة تَــغــالَى   من الأعــراف أعــراف الجنــاب[3]
إلى غَــوْريْ تهــامــة، فــالتقــيــنــا   مــن الــفــيــفــاء فــي قــاع يــبــاب
فــأمــا صــوفــة الــخنــثيّ، فــخلّوا   مــنــازلــهــم مــحــاذرة الــضِّــراب
وقــام بــنــو عــليّ إذ رأونــا   إلى الأسيــاف كــالإبــل الــطِّراب[4]

شعر قصي: وقال قُصَيّ:

أنــا ابــن الــعــاصــمــين بــنــي لُــؤَيّ   بــمــكــة مــنــزلــي، وبــهــا ربــيــت

= مررن على الحِلِّ والأخرى: مررن على الحِليْ، فأما الحل: فجمع حلة، وهي بقلة شاكة. ذكره ابن دريد في الجمهرة. وأما الحلي، فيقال: إنه ثمر القُلْقَلان وهو نبت. (الروض ١/١٥١).

(١) العوذ: الفرس التي لها أولاد. والأفلاء: جمع فلو المهر العظيم.

(٢) نخَبِّزهم: أي: نسوقهم سوقاً شديداً. (الروض ١/١٥١).

(٣) تغالي: ترتفع في سيرها. والأعراف: الرمل المرتفع. والجناب: موضع ببلاد قضاعة. (الروض ١/١٥١).

(٤) بنو عليّ، وهم بنو كِنانة، وإنّما سُمّوا ببني علي؛ لأنّ عبد مَناة بن كنانة كان ربيباً لعلي بن مازن من الأزد جدّ سطيح الكاهن، فقيل لبني كِنانة: بنو علي، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بكر بن عبد مَناة؛ لأنهم قاموا مع خُزاعة. (الروض ١/١٥١).

إلى البطحاء قد علمت معد ومَرْوَتها رضيت بها رَضيت
فلست لغالب إن لم تَأثَّل بها أولاد قيذر، والنبيت
رزاح ناصري، وبه أسامي فلست أخاف ضيماً ما حييت

فلما استقرّ رزاح بن ربيعة في بلاده، نشره الله ونشر حُنًّا، فهما قبيلا عُذرة[1] اليوم. وقد كان بين رزاح بن ربيعة، حين قدِم بلاده، وبين نهد بن زيد وحوْتكة بن أسلُم[2]، وهما بطنان من قُضاعة شيء، فأخافهم حتى لحِقوا باليمن، وأجلوا من بلاد قضاعة، فهم اليوم باليمن، فقال قُصَيّ بن كلاب - وكان يحبّ قُضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها، لما بينه وبين رزاح من الرحم، ولبلائهم عنده إذا أجابوه إذ دعاهم إلى نُصرته، وكره ما صنع بهم رزاح:

ألا من مبلّغ عنّي رزاحاً فإنّي قد لَحَيْتُك في اثنتين
لَحَيْتُك في بني نهد بن زيد كما فرَّقتَ بينهمُ وبيني
وحوتكة بن أسلم إن قوماً عنوهم بالمساءة قد عنوني

قال ابن هشام: وتُرْوَى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي.

قُصَيّ يفضّل عبد الدار على سائر ولده: **قال ابن إسحاق**: فلما كبر قُصَيّ ورقّ عظمه، وكان عبد الدار بكرَه، وكان عبد مَناف قد شرُف في زمان أبيه، وذهب كل مذهب، وعبد العُزّى وعبد. قال قُصَيّ لعبد الدار: أما والله يا بني لألحقنّك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك: لا يدخل رجل منهم الكعبة، حتى تكون أنت تفتحها له، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلّا أنت بيدك، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلّا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلّا من طعامك، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلّا في دارك، فأعطاه

---

(١) في قضاعة: عُذْرَتان: عذرة بن رفيدة، وهم من بني كلب بن وبرة. وعذرة بن سعد، بن سُود، بن أسلم، بن الحاف، بن قضاعة، وأسلُم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخي رزاح بن ربيعة. (الروض ١/١٥١).

داره دار الندوة، التي لا تقضي قريش أمراً من أمورها إلّا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة.

الرفادة: وكانت الرفادة خَرْجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قُصَيّ بن كلاب، فيصنع به طعاماً للحاجّ، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد، وذلك أنّ قُصَياً فرضه على قُريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإنّ الحاج ضيف الله وزوّار بيته، وهم أحقّ الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحجّ، حتى يصدروا عنكم، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خَرجاً، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيام مِنى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمِنى للناس حتى ينقضي الحجّ.

قال ابن إسحاق: حدّثني بهذا من أمر قُصَيّ بن كلاب، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده: أبو إسحاق بن يَسار، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنهم، قال: سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار يقال له: نُبَيْه بن وهب[2]، بن عامر، بن عكرمة، بن عامر، بن هاشم، بن عبد مَناف، بن عبد الدار، بن قُصَيّ.

قال الحسن: فجعل إليه قُصَيّ كل ما كان بيده من أمر قومه، وكان قُصَيّ لا يُخالف، ولا يُردّ عليه شيء صنعه.

---

(١) أبو محمد المدني، أبوه: ابن الحنفية، ثقة فقيه، مات سنة مائة، أو قبلها بسنة، انظر التقريب ١/١٧١.

(٢) أنظر تهذيب التهذيب ١٠/٤١٨ ـ ٤١٩ وتقريب التهذيب ٢/٢٩٧.

ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قُصَيّ وحلف المطيّبين[1]

النزاع بين بني عبد الدار وبني أعمامهم: قال ابن إسحاق: ثم إنّ قُصَيّ بن كلاب هلك، فأقام أمرَه في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده، فاختطوا مكة رِباعاً ـ بعد الذي كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها في قومهم، وفي غيرهم: من حلفائهم ويبيعونها. فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع، ثم إن بني عبد مناف بن قُصَيّ: عبد شمس وهاشماً والمطّلب ونوفلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصَيّ مما كان قُصَيّ جعل إلى عبد الدار، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرّقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف في رأيهم؛ يرون أنهم أحقّ به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم، وكانت طائفة مع بني عبد الدار، يرون أن لا ينزع منهم ما كان قُصَيّ جعل إليهم.

فكان صاحب أمر بني عبد مَناف: عبد شمس بن عبد مَناف، وذلك أنه كان أسنّ بني عبد مَناف.

وكان صاحب أمر بني عبد الدار: عامر بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار.

فكان بنو أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ، وبنو زُهرة بن كلاب، وبنو تَيْم بن مُرّة بن كعب، وبنو الحارث بن فِهر بن مالك بن النضر، مع بني عبد مَناف.

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مُرّة، وبنو سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصيص بن كعب، وبنو عَدِيّ بن كعب،

---

(١) أنظر فتح الباري ١٠/٥٠٢.

مع بني عبد الدار. وخرجت عامر بن لُؤَيّ ومحارب بن فِهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعقد كلُّ قوم على أمرهم حلفاً مؤكّداً على أن لا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بلّ بحر صوفة.

فأخرج بنو عبد مَناف جَفنة مملوءة طيباً، فيزعمون أنّ بعض نساء بني عبد مَناف[1]، أخرجتها لهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسُمُّوا المطيَّبين.

وتعاقد بنو عبد الدار، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً، على أن لا يتخاذلوا، ولا يسلّم بعضهم بعضاً، فسُمُّوا الأحلاف.

تقسيم القبائل في هذه الحرب: ثم سوند[2] بين القبائل، ولزّ[3] بعضها ببعض، فعبيت بنو عبد مَناف لبني سهم، وعبيت بنو أسد لبني عبد الدار، وعبيت زُهرة لبني جُمح، وعبيت بنو تَيْم لبني مخزوم، وعبيت بنو الحارث بن فِهر لبني عَدِيّ بن كعب. ثم قالوا: لتَفْن كل قبيلة من أسند إليها.

تصالح القبائل: فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح، على أن يعطوا بني عبد مَناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت، ففعلوا ورضي كلُّ واحد من

---

(١) قد سمّاها الزبير في موضعين من كتابه، فقال: هي أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطّلب عمة رسول الله ـ ﷺ ـ وتوأمة أبيه. قال: وكان المطيبون يسمون: الدافة: جمع دائف بتخفيف الفاء، لأنهم دافوا الطيب، أي خلطوه. عن (الروض ١/١٥٣ ـ ١٥٤).

(٢) سوند: من السناد، وهي المقابلة في الحرب بين كل فريق، وما يليه من عدوّه، ومنه أخذ سناد الشعر، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت، فيكون قبل حرف الروِيّ حرف مدّ ولين، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرف الرويّ حرف لِين، وهي ياء أو واو مفتوح ما قبلها.

(٣) لزّ: شدّ.

الفريقين بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، وثبت كلّ قوم مع من حالفوا. فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام، فقال رسول الله - ﷺ -: **«ما كان من حلف في الجاهلية، فإنّ الإسلام لم يزده إلا شدة»**(١).

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب (٥٠) مؤآخاة النبي ﷺ بين أصحابه، رضي الله عنهم، حديث رقم (٢٥٣٠) ٤/١٩٦١.

قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبدالله بن نمير وأبو أسامة، عن زكرياء، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا حلف في الاسلام، وأيّما حِلْفٍ كان في الجاهلية، لم يزده الإسلام إلا شدة».

ورواه أبو داود في كتاب الفرائض، باب (١٧) في الحلف، حديث رقم (٢٩٢٥) ٣/١٢٩

والترمذي في كتاب السير، باب (٢٩) ما جاء في الحلف، حديث رقم (١٥٨٥) ٤/١٤٦ ولفظه عند الترمذي: «أوفوا بحلف الجاهلية - فإنه لا يزيده - يعني الإسلام - إلا شدة، ولا تحدثوا حلفاً في الاسلام»، والدارمي في كتاب السير، باب (٨١) لا حلف في الاسلام. ٢/٢٤٣.

وأحمد في المسند ١/١٩٠ - ٣١٧ - ٣٢٩
و٢/١٨٠ - ٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢١٣ - ٢١٥
و٣/١٦٢ - ٢٨١ و٤/٨٣ و٥/٦١.

حلف الفضول

سبب تسميته: قال ابن هشام: وأما حلف الفضول[1] فحدّثني زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق، قال: تداعت قبائلُ من قريش إلى

---

(١) ذكر ابن قُتيبَة سبب تسمية هذا الحلف؛ فقال: كان قد سبق قريشاً إلى مثل هذا الحلف جُرهم في الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثة هم، ومن تبِعهم، أحدهم: الفضل بن فَضالة، والثاني: الفضل بن وَداعة، والثالث: فُضَيْل بن الحارث. هذا قول القتبي. وقال الزبير: الفضيل بن شُراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاعة، فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجُرْهميين سُمّي: حلف الفضول، والفضول: جمع فَضْل، وهي أسماء أولئك الذين تقدّم ذكرهم. وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن.

ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى. روى الحُمَيْديُّ، عن سفيان، عن عبدالله، عن محمد وعبدالرحمن ابنَيْ أبي بكر، قالا: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جُدعان حِلْفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن تُرَدّ الفضول على أهلها، وألا يَعُزَّ ظالم مظلوماً». ورواه في مسند الحارث بن عبدالله بن أبي أسامة التميمي، فقد بيّن هذا الحديث: لِم سُمّي حلف الفضول؟

وكان حلف الفضول بعد الفِجَار، وذلك أنّ حرب الفجار كانت في شعبان، وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة.

وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به، وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلّم به ودعا إليه: الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أنّ رجلاً من زُبيد قدِم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقّه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبد الدار ومخزوماً وجمَح وسَهْماً وعَدِيّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصي ابن وائل، وزَبَرُوه ـ أي: انتهروه ـ، فلما رأى الزبيدي الشرّ، أوفى على أبي قُبَيْس عند =

حِلف، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جُدعان، بن عمرو، بن كعب، بن سعد، بن تَيْم، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، لشرفه وسنّه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطّلب، وأسد بن عبدالعُزّى، وزُهرة بن كلاب، وتَيْم بن مُرّة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلّا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى تُردّ عليه مظلِمتُه، فسمّت قريش ذلك الحلف: حلف الفضول.

حديث رسول الله ﷺ فيه: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن زيد ابن المهاجر بن قُنْفُذ التيمي[1]، أنّه سمع طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري[2] يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لقد شهدتُ في دار عبدالله بن

= طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته:

يا آل فِهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومُحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا لَلرجال وبين الحِجر والحَجر
إنّ الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الْغُدر

فقال في ذلك الزبير بن عبدالمطّلب، وقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت هاشم وزُهرة وتَيم بن مرة في دار ابن جُدعان، فصنع لهم طعاماً، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياماً، فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله: ليكوننّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدّى إليه حقّه ما بلّ بحر صوفة، وما رسا حراء وثبير مكانهما، وعلى التأسّي في المعاش، فسمّت قريش ذلك الحلف: حلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاصي بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها إليه.

(١) هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنْفُذ بن عمير بن جدعان القرشي التيمي المدني، رأى ابن عمر، وروى عن أبيه وأمه أم حرام وعمير مولى آبي اللحم، وعبدالله بن عامر وأبي أمامة بن ثعلبة وسالم بن عبدالله بن عمر وسعيد بن المسيب وطلحة بن عبدالله بن عوف ومحمد بن المنكدر وابن سبلان وغيرهم.
وروى عنه الزهري ومالك وهشام بن سعد وعبدالرحمن بن عبدالله بن دينار وآخرون.
قال أحمد: شيخ ثقة. وقال ابن معين وأبو زرعة: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.
وقال أبو داود والعجلي: ثقة.
وعمّر حتى بلغ مائة سنة.
أنظر التهذيب ٩/١٧٣ ـ ١٧٤ والتقريب ٢/١٦٢.

(٢) هو طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري، المدني، القاضي، ابن أخي عبد الرحمن، أبو عبدالله، ويقال: أبو محمد، كان يقال له: طلحة الندى، ولي قضاء المدينة، وروى عن عمه وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعبدالرحمن بن عمرو بن سهل وابن عباس وأبي =

جـدعان[1] حِلْفـاً، ما أحبّ أن لي بـه حُمْر النعم، ولـو أُدْعىٰ بـه في الإسـلام لأجبتُ»[2].

الحسين يهـدّد الوليـد بالـدعوة إلى إحيـاء الحلف: قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني يـزيـد بن عبـد الله بن أسـامـة بن الهـادي الليثي[3] أنّ محمـد بن إبراهيم بن الحارث التيمي[4] حـدّثه: أنـه كان بين الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما[5]، وبين الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ـ والوليد يومئذ

= هريرة وعائشة وغيرهم. . .

قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي والعجلي: ثقة.

وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وتوفي بالمدينة سنة سبع وتسعين، وهـو ابن ٧٢ سنة وكذا قـال ابن حبان. وزاد: كـان يكتب الوثـائق بالمـدينـة. . أنـظر تهـذيب التهـذيب ١٩/٥.

(١) وعبدالله بن جدعان هذا تيْمي هو: ابن جدعـان بن عمرو، بن كعب، بن سعـد، بن تَيم، يُكَنّى: أبا زُهير ابن عم عائشة ـ رضي الله عنهـا ـ ولذلـك قالت لـرسول الله ـ ﷺ ـ: إنّ ابن جدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامـة؟ فقال: «لا إنـه لم يقل يوماً: ربّ إغفر لي خطيئتي يوم الدين» أخرجه مسلم.

قال ابن قتيبة: وكـانت جفنته يـأكل منهـا الراكب على البعيـر، وسقط فيها صبيّ، فغـرق فيها.

ومدحه أُميّة بن أبي الصلت فقال:

لـه داعٍ بـمـكـة مُـشْـمَـعِـلٌ ... وآخـر فـوق كـعبـتـهـا يـنـادي
إلى رُدُحٍ من الشِّيـزَى عليهـا ... لبـاب البـر يُلبـك بـالـشـهـاد

عن (الروض ١/١٥٨).

(٢) رواية ابن اسحاق مـرسلة. فطلحـة تابعي، وهـو يروي عن رسـول الله ـ ﷺ ـ دون أن يذكـر اسم الصحابي الذي حدّثه. والله أعلم.

ورواه الحميدي ـ كما مر آنفاً ـ عن سفيان، عن عبدالله، عن محمد وعبدالرحمن بن أبي بكر مرفوعاً.

والحارث في مسنده. أنظر (الروض الأنف ١/١٥٥ ـ ١٥٦).

(٣) أبو عبدالله المدني، ثقة، مكثر، مات سنة مائة وتسع وثلاثين. التقريب ٢/٣٦٧.

(٤) هو محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خـالد التيمي، أبـو عبدالله المـدني، ثقة، لـه أفراد، مات سنة عشرين ومائة على الصحيح. التقريب ٢/١٤٠.

(٥) هـو الحسين بن علي بن أبي طالب الهـاشمي أبو عبـدالله المـدني، سبط رسـول الله ـ ﷺ ـ وريحانته من الدنيا، وأحد سيدَيْ شباب أهل الجنة.

أنظر تهذيب التهذيب ٢/٣٤٥ ـ ٣٥٧.

أمير على المدينة، أمّره عليها عمّه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بذي المَرْوَة، فكان الوليد تحامل على الحسين في حقه - لسلطانه - فقال له الحسين: أحلف بالله لتنصفني من حقّي، أو لآخذنّ سيفي، ثم لأقومنّ في مسجد رسول الله - ﷺ - ثم لأدعوَنّ بحلف الفضول قال: فقال عبدالله بن الزبير، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضي الله عنه - ما قال: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنّ سيفي، ثم لأقومنّ معه، حتى يُنْصَفَ من حقّه أو نموت جميعاً. قال: فبلغت المِسْوَر بن مخرمة بن نوفل الزُهْري، فقال مثل ذلك، وبلغت عبدالرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي، فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عُتبة أنصف الحسين من حقّه حتى رضي.

خروج بني عبد شمس وبني نوفل من الحلف: قال ابن إسحاق: وحدّثني: يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهادي الليثي، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: قدِم محمد بن جبير بن مطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف - وكان محمد بن جُبير أعلم قريش - فدخل على عبدالملك بن مروان بن الحَكَم حين قُتل ابن الزبير، واجتمع الناس على عبدالملك، فلما دخل عليه قال له: يا أبا سعيد، ألم نكن نحن وأنتم - يعني بني عبد شمس بن عبد مَناف وبني نوفل بن عبد مَناف - في حلف الفضول؟ قال: أنت أعلمْ. قال عبدالملك: لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك فقال: لا والله، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، قال: صدقت.

هاشم يتولّى الرفادة والسقاية: قال ابن إسحاق: فولّي الرفادة[1] والسقاية: هاشم بن عبد مَناف، وذلك أنّ عبد شمس كان رجلاً سفّاراً قلّما

---

(١) الرفادة: هي إطعام الحاج في كل موسم وشرابهم. (أخبار مكة للأزرقي ٢/١٠٩) وقال الفاسي في شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٢٢: إن الرفادة كانت في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا (أي إلى عصر الفاسي في النصف الأول من القرن ٩ هـ.) فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمِنى للناس، حتى ينقضي الحاجّ.

يقيم بمكة. وكان مقلاً ذا ولد، وكان هاشم موسراً فكـان ـ فيما يـزعمون ـ إذا حضر الحج، قام في قريش فقال: «يا معشر قريش، إنكم جيـران الله، وأهل بيتـه، وإنه يـأتيكم في هذا المـوسم زوّار الله وحجّاج بيتـه، وهم ضيف الله، وأحقّ الضيف بالكرامة: ضيفه، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بدّ لهم من الإقامة بها؛ فإنه ـ والله ـ لو كان مالي يسـع لذلـك ما كلّفتكموه، فيخرجون لذلك خَرْجـاً من أموالهم، كـل امريءٍ بقـدْر ما عنـده، فيُصنع به للحجّاج طعامٌ، حتى يصدروا منها.

أفضـال هاشم على قـومه: وكـان هاشم ـ فيمـا يزعمـون ـ أول من سَنَّ الـرحلتين لقريش: رحلتي الشتـاء والصيف، وأول من أطعم الثريـد للحجّـاج بمكـة، وإنما كـان اسمه: عَمـراً، فما سُمّي هـاشماً إلا بهشْمـه الخبزَ بمكـة لقومه، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب[١]:

عمـرو الـذي هشَم الثـريـد لقــومـه ... قــوم بـمكــة مُـسْنِـتيـن[٢] عِجــافُ
سُنَّت إليــه الــرحلتــان كــلاهمــا ... سفــر الشتــاء، ورحلة الإيــلافُ[٣]

---

(١) هـو ابن الزِبَعْـرى وسبب هذا المـدح، وهو سهمي ـ أي من بني سعـد بن سهم ـ لبني عبـد مناف ـ فيما ذكره ابن إسحاق في رواية يونس ـ أنه كان قـد هجا قُصَيّـا بشعرٍ كتبـه في أستار الكعبة، أوله:

ألْهَى قصَيّاً عن المجد الأسـاطيـرُ ... ومِشيـة مثـل مـا تمشي الشقـاريـر

فـاستَعْدُوا عليـه بني سهم، فأسلمـوه إليهم، فضربـوه وحلقـوا شعـره، وربـطوه إلى صخـرة بالحجون، فاستغاث قومه فلم يغيثوه، فجعل يمدح قصياً ويسترضيهم، فأطلقه بنو عبد مناف منهم، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر، وبأشعار كثيرة. (الروض الأنف ١/١٦١).

(٢) المسنتون: الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة.

(٣) أنـظر البيتين أو أحدهمـا بألفـاظ مختلفة في كـلٍّ من: أخبار مكـة ١/١١٢ والعقـد الفـريـد ٣/٣٢٧، والمعارف لابن قتيبة ١١٧، وتـاريخ الـطبري ٢/٢٥١ و٢٥٢، وأمـالي المرتضى ٢/٢٦٩، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٤٥٣، وشرح شواهد العيني على حاشيـة خـزانة الأدب للبغـدادي ١/١٤٠، وشفـاء الغـرام (بتحقيقنـا) ٢/١٢٤، وأنسـاب الأشـراف للبـلاذري ١/٥٨، والروض الأنف ١/١٦١، نهـاية الأرب للنـويـري ١٦/٣٤، والـطبقـات الكبرى ١/٧٦، وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ٤٧، وجمهرة النسب لابن الكلبي ١/٩٢.

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز:

قوم بمكة مُسْنِتِين عِجاف

المطّلب يلي الرفادة والسقاية: قال ابن إسحاق: ثم هلك هاشم بن عبد مَناف بغزّة[1] من أرض الشام تاجراً، فوُلّي السقاية والرفادة من بعده المطّلب بن عبد مَناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف في قومه وفضل، وكانت قريش إنما تسمّيه: الفَيْض؛ لسماحته وفضله.

زواج هاشم بن عبد مَناف: وكان هاشم بن عبد مَناف قدِم المدينة، فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عديّ بن النّجّار[2]، وكانت قبله عند أُحَيحة بن الجُلاح بن الحَريش[3]. قال ابن هشام: ويقال: الحَريش بن جَحْجَبَى بن كُلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، فولدت له عمرو بن أُحيحة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلاً فارقته[4].

سبب تسمية عبدالمطّلب باسمه: فولدت لهاشم: عبدالمطّلب، فسمّته شيبة، فتركه هاشم عندها حتى كان وصِيفاً[5] أو فوق ذلك، ثم خرج إليه عمّه المطّلب؛ ليقبضه، فيلحقه ببلده وقومه، فقالت له سلمى: لست بمرسلته معك، فقال لها المطّلب: إنّي غير منصرف حتى أخرج به معي، إنّ ابن أخي قد بلغ، وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت شرفٍ في قومنا؛ نلي

---

(١) كان عمره يوم مات ٢٥ سنة وقبره بغزة، وقدِم بتركته ومتاعه أبو رهم بن عبد العُزّى بن أبي قيس. (أنساب الأشراف ١/٦٣ رقم ١٢٣).

(٢) ومن أجل هذا النسب قال سيف بن ذي يزن أو ابنه معدي كرب بن سيف مالك اليمن لعبدالمطّلب حين وفد عليه في ركْبٍ من قريش: مرحباً بابن أختنا، لأنَّ سلمى من الخزرج، وهم من اليمن من سبأ، وسيف من حِمْيَرٍ بن سبأ. (الروض الأنف ١/١٦١).

(٣) قال الدارقطني عن الزبير بن أبي بكر: إن كل ما في الأنصار فهو: حريس بالسين غير معجمة إلّا هذا. (الروض الأنف ١/١٦٢).

(٤) انظر المحبّر لابن حبيب ٣٩٨، نهاية الأرب، ١٦/٣٦.

(٥) الوصيف: الغلام دون المراهقة.

كثيراً من أمرهم، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم، أو كما قال.

وقال شيبة لعمّه المطّلب ـ فيما يزعمون ـ : لست بمفارِقها إلاّ أن تأذن لي، فأذِنت له، ودفعته إليه، فاحتمله، فدخل به مكة مردِفه معه على بعيره، فقالت قريش: عبدالمطّلب ابتاعه، فيها سُمّي شيبة: عبدالمطّلب. فقال المطّلب: ويحكم! إنما هو ابن أخي هاشم، قدِمْتُ به من المدينة[1].

وفاة المطّلب: ثم هلك المطّلب بردْمان من أرض اليمن، فقالِ رجل من العرب يبكيه:

قد ظميء الحجيج بعد المطّلب بعد الجفان والشراب المنثَغِب[2]
ليت قريشاً بعده على نَصب

مطرود يبكي المطّلب وبني عبد مَناف: وقال مطرود بن كعب الخُزاعيّ[3]، يبكي المطّلب وبني عبد مَناف جميعاً حين أتاه نعيّ نوفل بن عبد مَناف، وكان نوفل آخرهم هُلكا:

يا ليلةً هيَّجتِ ليلاتي إحدى ليالِيَّ القسِيَّات[4]
وما أقاسي من هموم، وما عالجت من رزء المنيّات
إذا تذكّرت أخي نوفلاً ذكّرني بالأوّليّات

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ٨٢/١، تاريخ الطبري ٢٤٦/٢ ـ ٢٤٨، أنساب الأشراف ٦٤/١، ٦٥، الكامل في التاريخ ١١/٢، نهاية الأرب ٤١/١٦، ٤٢.

(٢) ورد هذا البيت بألفاظ مختلفة في: أنساب الأشراف ٦١/١ رقم ١٢٢، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١٢٤/٢.

(٣) انظر بعض الأبيات بألفاظ مختلفة، في. المحبّر لابن حبيب ١٦٣، ١٦٤، والمنمّق له أيضاً ٢٥، وأنساب الأشراف ٦٢/١، ومعجم البلدان ٤٠/٣، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١٢٥/٢.

(٤) القسِيّات: فعيلات من القسوة: أي: لا لين عندهن، ولا رأفة فيهنّ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القَسي، وهو الزائف، وقد قيل في الدرهم القسي: إنه أعجميّ معرّب، وقيل: هو من القساوة، لأن الدرهم الطيّب ألْيَن من الزائف، والزائف أصلب منه، ونصب ليلةً على التمييز. (الروض الأنف ١٦٢/١).

ذكّرني بالأُزُرِ الحُمر والـ ـأردية الصُّفْر القشيبات
أربعة كلّهم سيّد أبناء سادات لسادات
ميت بردْمان وميت بَسلْـ ـمان وميت بين غَزّات[1]
وميت أُسكِن لَحْداً لدى الـ ـمحجوب شرقي البَنِيَّات[2]
أخلصهم عبد مَناف فهم من لوم مَنْ لام بمنجاة
إنَّ المغيرات[3] وأبناءها من خير أحياء وأموات

اسم عبد مَناف وترتيب أولاده موتاً: وكان اسم عبد مَناف: المغيرة، وكان أول بني عبد مَناف هُلكا: هاشم، بغزّة من أرض الشام، ثم عبد شمس بمكة، ثم المطّلب بِرَدْمان من أرض اليمن، ثم نوفلاً بسَلمان من ناحية العراق[4].

شعر آخر لمطرود: فقيل لمطرود ـ فيما يزعمون ـ لقد قلت فأحسنت، ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن، فقال: أنظِروني لياليَ، فمكث أياماً، ثم قال:

يا عين جُودي، وأذْرِي الدمع وانهمري وابكي على السرّ من كعب المُغيرات
يا عين، واسْحَنْفِري[5] بالدمع واحتفلي وابكي خبيئة نفسي في الملمات
وابكي على كلّ فيّاض أخي ثقة ضخم الدَّسيعة[6] وهَّاب الجزيلات

---

(١) بغزّات. هي: غزة، ولكنّهم يجعلون لكل ناحية أو لكل رَبَض من البلدة اسم البلدة، فيقولون: غزّات في غزّة، ويقولون في بغدان: بغادين، كما قال بعض المحدّثين:
شربنا في بغادين على تلك الميادين
ولهذا نظائر، (الروض ١/١٦٣).
(٢) البَنِيّات يعني: البنية، وهي: الكعبة، وهو نحو ما تقدّم في غزّات. (الروض ١/١٦٣).
(٣) المغيرات: بنو المغيرة، وهو عبد مَناف، كما قالوا: المناذرة في بني المنذر، والأشعرون في بني أشعر بن أدد، (الروض ١/١٦٣).
(٤) أنظر معجم البلدان ٣/٤٠، وأنساب الأشراف ١/٦٣.
(٥) اسحنفري: أديمي.
(٦) ضخم الدسيعة: كثير العطاء.

محض الضريبة، عالي الهمّ، مُختلق — جلد النحيزة، ناء بالعظيمات[1]
صعب البديهة لا نِكس[2] ولا وكل — ماضي العزيمة، متلاف الكريمات
صقر توسط من كعب إذا نُسبوا — بُحبوحة المجد والشمُّ الرفيعات
ثم اندبي الفيض والفياض مُطلبا — واستخرطي[3] بعد فيضات بجمات
أمسى بِرَدْمان عنّا اليوم مغترباً — يا لهف نفسي عليه بين أموات
وابكي ـ لك الويل ـ إما كنت باكية — لعبد شمس بشرقي الثنيّات
وهاشم في ضريح وسط بَلقعة — تسفي الرياح عليه بين غزّات
ونَوْفل كان دون القوم خالصتي — أمسى بسلْمان في رَمس بمومْاة[4]
لم ألق مثلهم عُجْماً ولا عرباً — إذا استقلّت بهم أُدم[5] المطيات
أمست ديارهُم منهم معطّلة — وقد يكونون زينا في السَّريّات[6]
أفناهم الدهر، أم كلّت سيوفهم — أم كل من عاش أزواد المنيّات
أصبحت أرضي من الأقوام بعدهم — بسط الوجوه وإلقاء التحيات
يا عين فابكي أبا الشُّعث الشجيات — يبكينه حسراً مثل البليّات[7]

---

(١) الضريبة: الطبيعة أي عظيم الخلْق. ناء بالعظيمات. ليس قوله: ناء من النأي، فتكون الهمزة فيه عين الفعل، وإنما هو من ناء ينوء إذا نهض، فالهمزة فيه لام الفعل، كما هو في جاء عند الخليل، فإنه عنده مقلوب، ووزنه: فالع، والياء التي بعد الهمزة هي: عين الفعل في جاء يجيء. (الروض ١/١٦٣).

(٢) النِكس: الدنيء.

(٣) استخرطي: استكثري.

(٤) المومَاة: القفر.

(٥) الأدم: الإبل الكرام.

(٦) السريات: جمع سرية. الجماعة من الجيش.

(٧) شدّد الياء من الشجيّات، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: ياء الشجي مخففة، وياء الخلي مشدّدة، وقد اعترض ابن قُتيبة على أبي تمام الطائي في قوله:

أيا ويح الشَّجيِّ من الخَليِّ — وويح الدمع من إحدى بَليّ

واحتجّ بقول يعقوب في ذلك، فقال له الطائي: ومن أفصح عندك: ابن الجرمُقانية يعقوب، أم أبو الأسود الدؤلي حيث يقول:

ويلي الشجيّ من الخلي فإنه — وَصِب الفؤاد بشجوه مغموم

وبيت مطرود أقوى في الحجّة من بيت أبي الأسود الدؤلي، لأنه جاهليّ محكّك، وأبو الأسود: =

يبكين أكـرم من يمشي عـلى قـدم ... يُعْـوِلنـه بـدمـوع بعـد عبـرات
يبكين شخصاً طويل الباع ذا فَجَـر[1] ... آبى الهضيمـة، فـراج الجليـلات
يبكين عمـرو العلا إذ حـان مصرعـه ... سمـح السجيـة، بسـام العشيّـات[2]
يبكينـه مـستكينـات على حَـزَن ... يـا طـول ذلـك من حـزن وعـوْلات
يبكين لمّـا جـلاهن الـزمـان لـه ... خضـر الخدود كـأمثـال الحمِيات[3]
محتـزمـات على أوسـاطهنّ لمـا ... جـرّ الزمـان من أحداث المصيبات
أبـيت لـيلي أراعـي النـجم مـن ألم ... أبكي، وتبكي معي شجـوى بُنيَّـاتي
مـا في القـروم لهم عِـدل ولا خـطر ... ولا لمن تـركـوا شَـروى بـقيـات
أبنـاؤهم خيـر أبنـاء، وأنـفسـهم ... خيـر النفـوس لـدى جَهـد الأليـات

= أول من صنع النحو، فشعره قريب من التوليد، ولا يمتنع في القياس أيضاً أن يقال: شجيّ وشَجٍ، لأنه في معنى: حزن وحزين، وقد قيل: من شدّد الياء، فهو فعيلٍ بمعنى مفعول. والبليّات مفردها البليَّة: الناقة التي كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات، حتى تموت جوعاً وعطشاً، ويقولـون: إنه يحشـر راكباً عليهـا، ومن لم يفعل معه هذا حشـر راجلاً، وهـذا على مذهب من كـان منهم يقول بالبعث، وهم الأقلّ، ومنهم زهير، فإنه قال:

يؤخَّـر فيـوضـع في كتـاب فيُـدَّخَـر ... لِيـوم الحســاب، أو يُعجـل فَيُنْقَم

وقال الشاعر في البلية:

والبـلايـا رؤوسهـا فـي الـولايـا ... مـانـحـات السَّمـوم حُـرَّ الخُـدود

والولايا: هي البراذع، وكانوا يثقبون البـرذعة، فيجعلونهـا في عنق البلية، وهي معقـولة، حتى تموت، وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا:

لا تـتـركـن أبـاك يـحشـر مـرة ... عَـدْوا يخـر على اليـدين، ويَنكُب

في أبيات ذكرها الخطابي. (الروض الأنف ١/١٦٤، ١٦٥).

(١) الفجر؛ الجود، شبه بانفجار الماء. ويروى ذا فَنَع، والفنع: كثرة المال.

(٢) بَسَّام العشيات: يعني: أنه يضحك لـلأضياف، ويبسم عنـد لقائهم، كمـا قال الآخـر، وهو حاتم الطائي:

أضـاحــك ضيفي قبـل إنـزال رحله ... ويَخصِب عنـدي، والمَحَـلّ جـديب
وما الخصب للأضيـاف أن يَكثُر الْقِـرى ... ولـكنـمـا وجـه الـكـريـم خصيـب

(٣) كأمثال الحميات. أي: محترقات الأكباد كـالبقر أو الـظباء التي حمِيت المـاء وهي عاطشة، فحمية بمعنى محمية. لكنها جاءت بالتاء، لأنهـا أجريت مجـرى الأسماء كـالرميـة والضحية والطريدة. وفي معنى الحمى قول رؤبة:

قَواطن مكة من وُرقِ الحِمي

يريد الحمام المحمي، أي: الممنوع. (الروض ١/١٦٥).

كم وهبوا من طِمِرّ سابح أرن ومن طِمِرَّة نهب في طمرات[1]
ومن سيوف من الهندي مُخلَصة ومن رماح كأشطان الركيات[2]
ومن توابع مما يُفضلون بها عند المسائل من بذل العطيات
فلو حسبتُ وأحصى الحاسبون معي لم أقض أفعالهم تلك الهنيات
هم المدلون إما معشر فخروا عند الفخار بأنساب نقيات
زين البيوت التي حلُّوا مساكنها فأصبحت منهم وحشا خليات
أقول والعين لا ترقا مدامعها: لا يُبْعد الله أصحاب الرزيات

قال ابن هشام: الفَجَر: العطاء.

قال أبو خراش الهذلي:

عَجَّف أضيافي جميل بن معمر بذي فَجَر تأوي إليه الأرامل

قال ابن إسحاق: أبو الشُّعث الشجيَّات: هاشم بن عبد مَناف.

عبد المطّلب يلي السقاية والرفادة: ثم وُلّي عبد المطّلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمّه المطّلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرُفَ في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبّه قومه وعظُم خطره فيهم[3].

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخُلْف فيها[4]

سبب حفر زمزم: ثم إنَّ عبدالمطّلب بينما هو نائم في الحجْر إذ أُتي، فأُمر بحفر زمزم.

---

(١) الطمر: الفرس الخفيف السريع.
(٢) أشطان الركيات: حبال الآبار.
(٣) شفاء الغرام (بتحقيقنا) ١٢٦/٢.
(٤) الطبقات الكبرى ٨٣/١، أخبار مكة للأزرقي ٤٢/٢، الكامل في التاريخ ١٢/٢، نهاية الأرب ٤٣/١٦، السيرة لابن كثير ١٦٧/١، تهذيب سيرة ابن هشام ٣١، شرح المواهب للزرقاني ٩٣/١، البدء والتاريخ ١١٣/٤.

قال ابن إسحاق: وكان أول ما ابتدىء به عبدالمطّلب من حفرها، كما حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصري، عن مَرثد بن عبد الله اليزني، عن عبد الله بن زُرَير الغافقي: أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحدّث حديث زمزم حين أُمر عبدالمطّلب بحفرها، قال:

قال عبدالمطّلب: إنّي لنائم في الحجْر، إذ أتاني آتٍ فقال: احفر طيبة. قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عنّي. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر بَرّة. قال: فقلت: وما برّة؟ قال: ثم ذهب عنّي، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة. قال: فقلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عنّي. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر زمزم[1]. قال: قلت: وما زمزم؟ قال لا تنزف أبداً ولا تذم[2]، تسقي الحجيج

---

(١) من أسماء زمزم: هزمة جبريل، وسقيا الله اسماعيل، لا شرق، ولا تدم، وهي بركة، وسيّدة، ونافعة، ومضنونة، وعونة، وبشرى، وصافية، وَبرَّة، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومغذّية، وطاهرة، ومفدّاة، وحرمية، ومروية، ومؤنسة، وطعام طعم، وشفاء سقم، وطيبة، وتكتم، وشبّاعة العيال، وشراب الأبرار، وقرية النمل، ونقرة الغراب، وهزمة إسماعيل وحفيرة العباس، وسابق، وغيره. (انظر: المشترك وضعاً لياقوت الحموي ١٤٠ و١٤١ وشفاء الغرام ـ بتحقيقنا ـ ١/٤٠٤ و٤٠٥).

(٢) لا تنزف أبداً: وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط، وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين، أقواها وأكثرها ماء: من ناحية الحجر الأسود، وذكر هذا الحديث الدارقطني. (الروض ١/١٧٠).

وقوله: ولا تذم، فيه نظر، وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمّها أحد، ولو كان من الذمّ لكان ماؤها أعذب المياه، ولتضلّع منه كل من يشربه، وقد ورد في الحديث أنه لا يتضلع منها منافق، فماؤها إذاً مذموم عندهم، وقد كان خالد بن عبدالله القسري أمير العراق يذمّها، ويسمّيها: أم جعلان، واحتفر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبدالملك، وجعل يفضّلها على زمزم، ويحمل الناس على التبرّك بها دون زمزم جرأة منه على الله ـ عزّ وجلّ ـ وقلّة حياء منه، وهو الذي يُعلن ويفصح بلعن علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ على المنبر، وإنما ذكرنا هذا، أنها قد ذمت، فقوله إذا: لا تذم، من قول العرب: بئر ذَمَّة أي: قليلة الماء، فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذمة: كما تقول: أجبنتُ الرجل: إذا وجدته جباناً، وأكذبته إذا وجدته كاذباً، وفي التنزيل: «فإنهم لا =

الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل[1].

قريش تنازع عبدَ المطّلب في زمزم: قال ابن إسحاق: فلما بُيّن له شأنها، ودُلّ على موضعها، وعرف أنه قد صُدق، غدا بِمِعْوَلِه ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطّلب، ليس له يومئذٍ ولد غيره، فحفر فيها. فلما بدا

= يكذّبونك» وقد فسّر أبو عُبَيد في غريب الحديث قوله حتّى مررنا ببئر ذمة: وأنشد:

مَخَيِّسَةً خُزْراً كأنّ عيونها ... ذِمام الرَّكايا أنكرتها المواتح

فهذا أولى ما حُمل عليه معنى قوله: ولا تذم؛ لأنه نفي مطلق، وخبر صادق - والله أعلم - (الروض ١/١٧٠) والموائح جمع مائحة وهو من ينزل البئر بدلوه فيملؤه وذلك من قلة مائها.

(١) فسُمّيت طيبة، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام وقيل له: احتفر بَرَّة، وهو اسم صادق عليها أيضاً، لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجّار، وقيل له: احفر المضنونة. قال وهب بن منبّه: سُمّيت زمزم: المضنونة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يَتَضَلَّع منها منافق، وروى الدارقطني ما يقوّي ذلك مسنداً عن النبيّ - ﷺ: «من شرب من زمزم فليتضلّع، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين، لا يستطيعون أن يتضلّعوا منها» أو كما قال. وفي تسميتها بالمضنونة رواية أخرى، رواها الزبير: أنّ عبدالمطلب قيل له: احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك. أما الفرث والدم، فإنّ ماءها طعام طُعْم، وشفاء سُقْم، وهي لما شُربت له، وقد تقوّت من مائها أبو ذرّ - رضي الله عنه - ثلاثين بين يوم وليلة، فسمن حتى تكسّرت عُكَنُه. (الروض ١/١٦٨). أما الغراب الأعصم، قال القتبي: الأعصم من الغربان الذي في جناحيه بياض، فالغراب في التأويل: فاسق، وهو أسود، فدلّت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشي بمعوله في أساس الكعبة يهدمها في آخر الزمان، فكان نقر الغراب في ذلك المكان يؤذِن بما يفعله الفاسق الأسود في آخر الزمان بقِبلة الرحمن، وسُقيا أهل الإيمان، وذلك عندما يرفع القرآن، وتحيا عبادة الأوثان. وفي الصحيح عن رسول الله - ﷺ - «ليخربنّ الكعبة ذو السُّوَيْقَتَيْن من الحبشة» وفي الصحيح أيضاً من صفته: أنه «أفْحَجُ» وهذا أيضاً ينظر إلى كون الغراب أعصم؛ إذ الفحج: تباعُدٌ في الرِّجلين، كما أن العَصَم اختلاف فيهما، والاختلاف: تباعد.

وأما قرية النمل، ففيها من المشاكلة أيضاً، والمناسبة: أنّ زمزم هي عين مكة التي يرِدُها الحجيج والعُمّار من كل جانب، فيحملون إليها البُرّ والشعير، وغير ذلك، وهي لا تُحرث ولا تُزرع، كما قال سبحانه خبراً عن إبراهيم عليه السلام: «ربنا إني أسكنت من ذرّيتي بوادٍ غير ذي زرع». إلى قوله: «وارزقهم من الثمرات» وقرية النمل لا تُحرث ولا تُبذر، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب، وفي مكة قال الله سبحانه: «وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان». (الروض ١/١٦٩).

لعبد المطّلب الطيّ[1]، كبّر.

التحاكم في بئر زمزم: فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبدالمطّلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقاً فأشْرِكنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إنَّ هذا الأمر قد خُصصت به دونكم، وأُعْطِيته من بينكم، فقالوا له: فأنصِفْنا، فإنّا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد هُذَيْم[2]، قال. نعم قال: وكان بأشراف الشام[3]، فركب عبدالمطّلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مَناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال: والأرض إذ ذاك مفاوز. قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فني ماء عبدالمطّلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم، وقالوا: إنّا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبدالمطّلب ما صنع القوم، وما يتخوّف على نفسه وأصحابه، قال: ما ترون؟ قالوا ما رأينا إلاّ تبع لرأيك، فمُرْنا بما شئت، قال: فإنّي أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوّة ـ فكلّما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروْه ـ حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضِيعة[4] رجل واحد أيسر من ضِيعة ركْب جميعاً قالوا: نِعم ما أمرت به. فقام كل واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إنَّ عبدالمطّلب قال لأصحابه: والله إنّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا، لَعَجْز،

---

(١) قال الخشني: الطيّ: الحجارة التي طويت بها البئر، سُمّيت بالمصدر. وفي طبقات ابن سعد ١/٨٣ «الطويّ: أي البئر المطويّة بالحجارة.

(٢) وقيل: «سعد ابن هذيم» ـ بإثبات الألف في ابن ـ بين سعد وهذيم، أبو قبيلة، وهو ابن زيد ابن ليث بن سود، لكن حضنه عبد حبشيّ أسود اسمه هذيم فغلبه عليه، ونُسب إليه، انظر الخشني ١/٥٠.

(٣) بأشراف الشام: أي ما ارتفع من أرضها.

(٤) ضِيعة: بكسر الضاد، أي غير مفتقد ولا متعهد.

فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحِلُوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ماهم فاعلون، تقدّم عبدالمطّلب إلى راحلته فركبها. فلما انبعثت به انفجرت من تحت خُفّها عين ماءٍ عذْب، فكبّر عبدالمطّلب، وكبّر أصحابه، ثم نزل فشرب، وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلمّ إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا. ثم قالوا: قد ـ والله ـ قُضي لك علينا يا عبدالمطّلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إنَّ الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبينها.

قال ابن إسحاق: فهذا الذي بلغني من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم، وقد سمعت من يحدّث عن عبدالمطّلب أنه قيل له حين أُمر بحفر زمزم:

ثم ادع بالماء الرَّويِّ غير الكَدِر يسقي حجيج الله في كل مَبَر[1]
ليس يخاف منه شيء ما عَمَر

فخرج عبدالمطّلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال: تعلّموا أنّي قد أُمرت أن أحفر لكم زمزم، فقالوا: فهل بُيّن لك أين هي؟ قال: لا. قالوا فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت، فإن يك حقّاً من الله يبيّن لك، وإنْ يك من الشيطان فلن يعود إليك. فرجع عبدالمطّلب إلى مضجعه، فنام فيه، فأُتي فقيل له: احفر زمزم، إنك إنْ حفرتها لم تندم، وهي تراث من أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم، مثل نعام جافل لم يُقسم، يَنْذِر فيها ناذر لمُنعِم، تكون ميراثاً وعقداً مُحكَم، ليست كبعض ما قد تعلم، وهي بين الفرث والدم.

---

(١) وقوله: ماء رويّ بالكسر والقصر، ورَواء بالفتح والمدّ. وفيه: مَبَر: هو مفعل من البرّ، يريد: في مناسك الحجّ ومواضع الطاعة.

قال ابن هشام: هذا الكلام، والكلام الذي قبله، من حديث عليّ في حفر زمزم من قوله: «لا تنزف أبداً ولا تذم» إلى قوله: «عند قرية النمل» عندنا سجع وليس شعراً.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين قيل له ذلك، قال: وأين هي؟ قيل له عند قرية النمل، حيث ينقر الغراب غدا. والله أعلم أيّ ذلك كان.

عبدالمطّلب يحفر زمزم: فغدا عبدالمطّلب ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذٍ ولد غيره، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين: إساف ونائلة(١)، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها. فجاء بالمِعْول وقام ليحفر حيث أُمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه، فقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبدالمطّلب لابنه الحارث: ذد عنّي حتى أحفر، فوالله لأمضينّ لما أُمِرت به. فلما عرفوا أنه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر، وكفّوا عنه، فلم يحفر إلّا يسيراً، حتى بدا له الطيّ، فكبّر وعرف أنه قد صُدِق، فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللّذان دفنت جُرْهم فيها حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافاً قَلْعيَّة(٢) وأدراعاً، فقالت له قريش: يا عبدالمطّلب، لنا معك في هذا شرك وحقّ، قال: لا، ولكن هلُمّ إلى أمر نصف بيني وبينكم، نضرب عليها بالقِداح، قالوا: وكيف تصنع: قال: أجعل للكعبةِ قِدْحين، ولي قِدْحين ولكم قِدْحين، فمن خرج له قدحاه على شيء كان له، ومن تخلّف قدحاه فلا شيء له. قالوا: أنصفت، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين

---

(١) في حديث لعائشة رضي الله عنها: «ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة ـ رجل وامرأة من جُرْهم ـ زَنَيا في الكعبة فمُسِخا حجرين». انظر: أخبار مكة ١/١١٩، الأصنام للكلبي ٢٩، مروج الذهب ٢/٥٠، تاريخ الإسلام (السيرة ـ بتحقيقنا) ٧٠، الروض الأنف ١/١٠٥، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٦٠.

(٢) أسيافاً قلعية: القلعية نسبة الى القلعة، بفتح فسكون، والمسمّى بالقلعة موضعان أحدهما بالهند، والثاني باليمن، وإليهما معاً تُنسب السيوف القلعية.

لعبدالمطّلب، وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا صاحب القداح الذي يضرب بها عند هُبَل ـ وهُبَل: صنم في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم، وهو الذي يعني أبو سفيان بن حرب يوم أُحُد حين قال: أعْلِ هُبَل أي: أظهرْ دينك ـ وقام عبدالمطّلب يدعو الله عزَّ وجلَّ، فضرب صاحب القِداح، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان في الأسياف، والادراع لعبدالمطّلب، وتخلّف قِدحا قريش. فضرب عبدالمطّلب الأسياف باباً للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أوّل ذهب حليته الكعبة ـ فيما يزعمون ـ ثم إنَّ عبدالمطّلب أقام سقاية زمزم للحجّاج.

ذكر بئار قبائل قريش

قال ابن هشام: وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئاراً بمكة[1]، فيما حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق، قال:

عبد شمس يحفر الطويّ: حفر عبد شمس بن عبد مَناف الطوِيّ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند البيضاء، دار محمد بن يوسف[2].

هاشم يحفر بـذّر: وحفر هاشم بن عبد مَناف بذّر[3]، وهي البئر التي

(١) ذكروا أنّ قُصَيّاً كان يسقي الحجيج في حياض من أدم، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها: بئر ميمون الحضرمي، وكان ينبذ لهم الزبيب.
ثم احتفر قُصيُّ العَجُولَ في دار أم هانيء بنت أبي طالب، وهي أول سقاية احتُفرت بمكة، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا، فقالوا:
نُروى على العجول، ثم ننطلق　　إنّ قُصَيّاً قد وفى وقد صدق
فلم تزل العجول قائمة حياةَ قُصَيّ، وبعد موته، حتى كبُر عبد مَناف بن قُصَيّ، فسقط فيها رجل من بني جُعَيْل، فعطّلوا العجول، واندفنت. (انظر الروض الأنف ١/١٧٢).

(٢) أخبار مكة ٢/٢١٧، ٢١٨ وفي فتوح البلدان للبلاذري ١/٦٥ أن سُبَيعة بنت عبد شمس قالت في الطويّ:
إنّ الطويّ إذا شربتم ماءها　　صوبُ الغمام عذوبةً وصفاءَ

(٣) لفظ بـذّر مأخوذ من التبذير، وهو التفريق، ولعلّ ماءها كان يخرج متفرقاً من غير مكان واحد.

عند المستنذر[1]، خطم الخَندَمة، على فم شِعْب أبي طالب، وزعموا أنه قال حين حفرها: لأجعلنّها بلاغاً للناس.

قال ابن هشام: وقال الشاعر.

سقى الله أمواهاً عرفتُ مكانها جُراباً ومَلْكُوماً وبذَّر والغَمْرا[2]

سجلة والاختلاف فيمن حفرهما: قال ابن إسحاق: وحفر سجْلة، وهي بئر المُطْعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف التي يسقون عليها اليوم. ويزعم بنو نوفل أنّ المُطْعِم ابتاعها من أسد بن هاشم، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم، فاستغنوا بها عن تلك الآبار[3].

أُميَّة بن عبد شمس يحفر الحَفْر: وحفر أميّة بن عبد شمس الحفْر[4] لنفسه.

بنو أسد تحفر سقية: وحفرت بنو أسد بن عبد العُزَّى: سُقَيَّة[5]، وهي

---

(1) المستنذر: جبل يسمّى أيضاً الأبيض قريب من الخندمة.

(2) وانظر: أخبار مكة ٢/٢١٦، ومعجم ما استعجم ١/٢٣٥، ٢٣٦، ومعجم البلدان ١/٣٦١. وشفاء الغرام ٢/١٤٢ (بتحقيقنا)، والروض الأنف ١/١٧٣.

(3) ويقال أن قصيّ هو الذي حفرها وقال في ذلك:

أنا قصيّ، وحفرت سجْله تروي الحجيج زُغلة فَزُغْلة

وقيل: بل حفرها هاشم، ووهبها أسد بن هاشم لعديّ بن نوفل، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم:

نحن وهبنا لعديّ سجْله تروي الحجيج زُغْلة فزُغْلة

(الروض ١/١٧٢، ١٧٣) والزغلة: الجرعة. وانظر: فتوح البلدان ١/٥٦، وأخبار مكة ٢/٢١٧، ومعجم ما استعجم ٣/٧٢٤، ومعجم البلدان ٣/١٩٣، وشفاء الغرام ١/٥٤٥ وفيه انها عند مسجد الراية. وانظر ١/٥٤٣ (بتحقيقنا).

(4) ذكرها ياقوت مرتين في المعجم ٢/٢٧٥ فقال: حَفْر: بئر لبني تميم بن مُرّة بمكة. وفي ٢/١٤٧ الجفْر: بالجيم. كذلك أثبتها في أخبار مكة ٢/٢١٨ بالجيم «الجفْر»، وفي فتوح البلدان ١/٥٦.

(5) هكذا في أصول السيرة، وأصول أخبار مكة ٢/٢١٨. وفي: فتوح البلدان ١/٥٧، ومعجم ما استعجم ٣/٧٢٥ و ٨٠٥، ومعجم البلدان ٣/٣٥٣، والروض الأنف ١/١٧٤ «شُفَيّة» بالشين المضمومة.

بئر بني أسد[1].

بنو عبد الدار تحفر أم أحْراد: وحفرت بنو عبد الدار: أم أحْراد[2].

بنو جُمَح تحفر السُنْبُلَة: وحفرت بنو جُمَح: السنبلة، وهي بئر خَلَف بن وهْب[3].

بنو سهم تحفر الغَمْر: وحفرت بنو سهم: الغَمْر، وهي بئر بني سهم[4].

---

(١) وهذه البئر تسمّى أيضاً شفيَّة بئر بني أسد، فقال فيها الحويرث بن أسد:

ماء شفية كماء المُزْن | وليس ماؤها بطرْق أجن

(الروض ١/ ١٧٤).

(٢) وأما أم أحراد، فأحراد: جمع: حرد، وهي قطعة من السنام، فكأنها سُمّيت بهذا، لأنها تنبت الشحم، أو تُسَمِّن الإبل، أو نحو هذا والحرْد: القَطا الواردة للماء، فكأنها تردها القطا والطير، فيكون أحراد جمع: حُرْد بالضمّ على هذا. وقالت أُميَّة بنت عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبدالدار امرأة العوّام بن خُوَيْلد حين حفرت بنو عبدالدار أم أحراد:

نحن حفرنا البحر أم أحراد | ليست كبَذر البرور الجماد

فأجابتها ضُرَّتُها: صفيّة بنت عبدالمطّلب أم الزبير بن العوّام رضي الله عنه:

نحن حفرنا بذَّرْ | نسقي الحجيج الأكبرْ
من مقبل ومدبر | وأم أحراد شَرّ

(الروض ١/ ١٧٣) وانظر: أخبار مكة ٢/ ٢٢٢.

(٣) وأما سُنْبُلَة: بئر بني جُمَح، وهي بئر بني خلف بن وهْب ـ فقال فيها شاعرهم:

نحن حفرنا للحجيج سُنْبُلَه | صوب سحاب ذو الجلال أنزله
ثم تركناها برأس القُنْبُلَه | تصبّ ماء مثل ماء المعبله
نحن سقينا الناس قبل المسئله

(الروض ١/ ١٧٥) وانظر: معجم البلدان ٣/ ٢٦١، وأخبار مكة ٢/ ٢١٩، وفتوح البلدان ١/ ٥٧، ومعجم ما استعجم ٣/ ٧٥٩.

(٤) وقال فيها بعضهم:

نحن حفرنا الغمر للحجيج | تثجّ ماءً أيما ثجيج

(الروض ١/ ١٧٥) وانظر: أخبار مكة ٢/ ٢٢٠، وفتوح البلدان ١/ ٥٨، ومعجم ما استعجم ٣/ ١١٠٣، ومعجم البلدان ٤/ ٢١١.

أصحاب رُمّ وخُمّ والحفرة: وكانت آبار حفائر خارجاً من مكة قديمة من عهد مُرَّة بن كعب، وكِلاب بن مُرَّة، وكُبراء قريش الأوائل منها يشربون وهي رُمّ[1]. ورُمّ: بئر مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ. وخُمّ[2]، وخُمّ: بئر بني كِلاب بنْ مُرَّة، والحَفْر.

قال حُذَيفة بن غانم أخو بني عديّ بن كعب بن لُؤَيّ:

قال ابن هشام: وهو أبو أبي جهْم بن حُذَيْفة:

وقِدْما غنينا قبل ذلك حِقبة ... ولا نستقي إلاّ بخُمّ أو الحَفر

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

فضل زمزم على سائر المياه: قال ابن إسحاق: فَعَفَّتْ[3] زمزم على المياه[4] التي كانت قبلها يسقي عليها الحاجّ، وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام؛ ولفضلها على ماسِواها من المياه؛ ولأنها بئر إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام[5].

بنو عبد مَناف يفتخرون بزمزم: وافتخرت بها بنو عبد مَناف على قريش

(١) رُمْ بئر بني كلاب بن مُرّة، فمن رممت الشيء إذا جمعته وأصلحته، ومنه الحديث: كنا أهل ثُمّة ورُمّة، ومنه: الرمان في قول سيبويه، لأنه عنده فُعلان، وأما الأخفش فيقول فيه: فعال، فيجعل فيه النّون أصلية، ويقول: إن سميت به رجلاً صرفته. ومن قول عبد شمس بن قُصَيّ:

حفرت رُمّاً، وحفرت خُمّا ... حتى ترى المجد بها قد تمّا

(الروض ١/١٧٤) وانظر: فتوح البلدان ١/٥٧، وأخبار مكة ٢/٢١٤، ومعجم البلدان ٣/٧٠.

(٢) وأما خُمّ وهي بئر مُرّة، فهي من خممت البيت إذا كنسته، ويقال؛ فلان مخموم القلب أي: نقيّه، فكأنها سُمّيت بذلك لنقائها. (الروض ١/١٧٤) وانظر: أخبار مكة ٢/٢١٤، وفتوح البلدان ١/٥٧، ومعجم البلدان ٢/٣٨٩، و٣/٧٠، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٤١.

(٣) عفّت على المياه: غطّت عليها وأذهبتها.

(٤) في نسخة الأبياري والسّقا ١/١٥٠ «البئار».

(٥) أنظر في فصل زمزم ٢/٤٩ وما بعدها، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٤٠٦ وما بعدها.

كلّها، وعلى سائر العرب، فقال مسافر[1] بن أبي عمرو[2] بن أُميَّة بن عبد مَناف، وهو يفخر على قريش بما وُلُّوا عليهم من السقاية والرفادة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبزمزم حين ظهرت لهم، وإنَّما كان بنو عبد مَناف أهل بيت واحد، بعضهم لبعض شرف، وفضل بعضهم لبعض فضل.

ورِثْنا المجدَ من آبا	ئنا فنَمَى بنا صُعُدا
ألم نسْقِ الحجيجَ ونن	حَرُ الدّلَّافَة[3] الرُّفُدا[4]
ونُلْقَى عند تصريف الـ	ـمنايا شُدَّدا رُفُدا[5]
فإنْ نهلِك، فلم نُمْلَك	ومن ذا خالداً[6] أبداً[7]
وزمزم في أُرومتنا	ونفقأ عينَ من حَسَدا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال حُذَيفة بن غانم أخو بني عديّ بن كعب بن لُؤَيّ:

وساقي الحجيج، ثم للخبز هاشم	وعبد مَناف ذلك السيد الفِهْري
طوى زمزماً عند المقام، فأصبحت	سقايته فخراً على كلّ ذي فخر

---

(١) مسافر: أحد شعراء قريش، كان يناقض عمارة بن الوليد. وله شعر في هند بنت عتبة بن ربيعة وكان يهواها. وكان سيّداً جواداً، وهو أحد أزواد الركب، وإنما سُمّوا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريباً ولا ماراً طريقاً ولا محتاجاً يجتاز بهم ألا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يظعن. (الأغاني ٨/٤٨ بولاق).

(٢) واسم أبي عمرو: ذكوان، وهو الذي يقول فيه أبو سفيان:

لَيْتَ شِعْرِي مسافر بن أبي عمـ	ـرو، ولَيْتٌ يقولها المحزون
بورك الميت الغريب كما بو	رك نضح الرمان والزيتون

في شعر يرثيه به، وكان مات من حبّ صَعْبَة بنت الحضرميّ. (الروض الأنف ١/١٧٥).

(٣) الدّلّافة: المراد بها الإبل التي تمشي متمهّلة لكثرة سمنها. وفي الأغاني ٩/٥٥ «المذلاقة».

(٤) الرفد: جمع رفود من الرِّفد، وهي التي تملأ إناءين عند الحلب. (الروض ١/١٧٥).

(٥) هو جمع رفود أيضاً من الرِّفد وهو: العون. (الروض ١/١٧٥)

(٦) وفي طبعة الابياري والسقّا ١/١٥١ «ومن ذا خالد».

(٧) في الأغاني ـ طبعة دار الكتب ٩/٥٥ «وهل من خالدٍ خلدا».

قال ابن هشام: يعني عبد المطّلب بن هاشم. وهذان البيتـان في قصيدة لحُذَيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

ذِكر نَذْر عبد المطّلب ذبْح ولده[1]

قـال ابن إسحاق: وكـان عبد المـطّلب بن هاشم ـ فيمـا يزعمـون والله أعلم ـ قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمـزم: لئن ولد لـه عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه؛ لينحرنَّ أحدّهم لله عنـد الكعبة. فلمـا توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم، ثم أخبرهم بنـذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالـوا: كيف نصنع؟ قـال: ليأخـذ كل رجـل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني. ففعلوا، ثم أتوه، فدخل بهم على هُبَل في جوف الكعبة، وكان هُبَل على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدَى للكعبة.

قِـداح هُبَل السبعـة: وكان عنـد هُبَل قِـداح سبعة، كـل قِدْح منهـا فيـه كتاب. قِدْح فيـه (العقل)، إذا اختلفـوا في العَقْل[2] من يحمله منهم، ضـربوا بـالقِداح السبعـة، فإنْ خـرج العقل فعلى من خـرج حَمله. وقِدح فيـه (نعم) للأمر إذا أرادوه يُضرب به القِداح، فإن خرج قِدح نعم، عملوا به. وقِدح فيـه (لا) إذا أرادوا أمـراً ضربـوا به في القِـداح، فإنْ خـرج ذلك القِـدْح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقِدْح فيه: (مِنكم) وقِدْح فيه (مُلْصَق): وقِـدْح فيه (مِن غيـرِكم) وقِدْح فيه: (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للمـاء ضربـوا بالقِـداح، وفيها ذلـك القِدْح، فحيثما خرج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً، أو يُنكحوا منكحاً، أو يَدفنوا ميتاً، أو

---

(١) الطبقات الكبرى ١/٨٨، نهاية الأرب ١٦/٥٠، شرح المواهب ١/٩٤، الروض الأنف ١/١٧٦، السيرة لابن كثير ١/١٧٤، تاريخ الطبري ٢/٢٣٩، أنساب الأشراف ١/٧٨، البدء والتاريخ ٤/١١٤.

(٢) العقل: الدِيَة.

شكّـوا في نَسَب أحدهم، ذهبـوا به إلى هُبَـل وبمئة دِرهم وجَـزُور، فأعـطوها صاحبَ القِداح الـذي يضرب بهـا، ثم قرّبـوا صاحبهم الـذي يريـدون به مـا يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كـذا وكذا، فـأخرج الحَقَّ فيه. ثم يقولـون لصاحب القِـداح: اضرب: فـإن خرج عليـه: (منكم) كان منهم وسيطاً. وإنْ خرج عليه: (من غيركم) كان حليفاً، وإن خرج عليه: (مُلصق) كان على منزلته فيهم، لانَسَب له، ولا حِلف، وإن خـرج فيه شيء، مما سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به، وإن خـرج: (لا) أخّروه عـامه وذلك حتّى يأتوه به مرّة أخرى، ينتهـون في أمورهم إلى ذلـك مما خـرجت به القِداح[1].

عبد المطّلب يحتكم إلى القِداح: فقال عبد المطّلب لصـاحب القِداح: اضرب على بَنيّ هؤلاء بقِداحهم هذه، وأخبره بنـذره الذي نـذر، فأعـطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذي فيـه اسمه، وكـان عبدالله بن عبـد المطّلب أصغـر بني أبيـه[2]، كان هـو والزبيـر وأبو طـالب لفاطمـة بنت عمرو بن عـائذ بن عبـد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم[3].

---

(١) أنـظر عن هذا المـوضوع: بلوغ الأرب في أحـوال العرب لـلألوسي ٣/ ٧٠ ـ ٧٥ والقِـدح: بالكسر: السهم قبل أن يراش ويُنصل.

(٢) وهـذا غير معـروف، ولعلّ الـرواية: أصغـر بني أمّه، وإلاّ فحمـزة كان أصغـر من عبـدالله، والعبّاس: أصغر من حمزة، وروي عن العباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: أذكر مولد رسـول الله ـ ﷺ ـ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحـوها، فجيء بي حتى نـظرت إليه، وجعـل النسوة يقلن لي: قبِّلْ أخاك، قبِّلْ أخاك، فقبّلتـه. فكيف يصح أن يكـون عبدالله هـو الأصغر مـع هذا؟! ولكن رواه البكّائي كما تقدّم، ولروايته وجه، وهو أن يكون أصغـر ولد أبيـه حين أراد نحره، ثم وُلد له بعد ذلك حمزة والعباس. (الروض الأنف ١/ ١٧٦).

(٣) والصحيح ما قاله ابن هشام؛ لأنّ الزُبَيريّين ذكروا أنّ عبداً هو أخو عائذ بن عمران، وأنّ بنت عبد هي: صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قـول ابن إسحاق؛ لأنهـا كانت لـه عمّة، لا بنت عمّ، فقد تكرّر هذا النَّسَب في السيرة مراراً، وفي كل ذلك يقول ابن اسحاق: عائذ بن عبد ابن عمران، يخالفه ابن هشام. وصخرة بنت عبد أمّ فاطمة أمّها تخمر بنت عبـد بن قُصَيّ، وأم تخمر سلمى بنت عُميرة بن وديعة بن الحارث بن فِهْر. (الروض ١/ ١٧٥).

خروج القِداح على عبدالله: قال ابن إسحاق: وكان عبدالله ـ فيما يزعمون ـ أحبّ ولد عبد المطّلب إليه، فكان عبد المطّلب يرى أنّ السهم إذا أخطأه فقد أشوى[1]. وهو أبو رسول الله ـ ﷺ ـ فلما أخذ صاحب القِداح ـ القِداح ـ ليضرب بها، قام عبد المطّلب عند هُبَل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القِداح، فخرج القِدْح على عبدالله.

عبد المطّلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له: فأخذه عبد المطّلب بيده وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطّلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً، حتى تُعذر فيه. لئن فعلتَ هذا لايزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا؟!.

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ـ وكان عبدالله ابن أخت القوم ـ : والله لا تذبحه أبداً، حتى تُعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه: لاتفعل، وانطلق به إلى الحجاز، فإنّ به عرّافة[2] لها تابع، فسَلْها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أَمَرتْك بذبحه ذبحته، وإنْ أَمَرَتْك بأمرٍ لك وله فيه فَرَج قبِلْتَه.

ما أشارت به عرّافة الحجاز: فانطلقوا حتى قدِموا المدينة، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر. فركبوا حتى جاءوها، فسألوها، وقصّ عليها عبدالمطّلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذْره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عنّي اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم غَدَوْا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدِية فيكم؟ قالوا: عشْر من الإبل، وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى

---

(١) أشوى: أبقى. يقال: أشويت من الطعام، إذا أبقيت.

(٢) اسمها: قطبة. ذكرها عبد الغني في كتاب الغوامض والمبهمات. وذكر ابن إسحاق في رواية يونس أن اسمها: سجاح. (الروض الأنف ١/١٧٧).

بلادكم، ثم قرِّبوا صاحبكم، وقرِّبوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح، فإنْ خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضي ربكم، ونجا صاحبكم[1].

تنفيذ وصيّة العرّافة ونجاة عبدالله: فخرجوا حتى قدِموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر، قام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم قرَّبوا عبدالله وعشراً من الإبل، وعبدالمطّلب قائم عند هُبَل يدعو الله عزَّ وجلَّ!! ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله عزَّ وجلَّ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا من الإبل، فبلغت الإبل أربعين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل سبعين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل تسعين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل مائة، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل، فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبدالمطّلب، فزعموا أنَّ

---

(١) ومن هنا يعلم أن الدية كانت بعشر من الأبل قبل هذه القصّة: وأول من وُدي بالمائة إذاً: عبدالله. وقد ذكر الأصبهانيّ عن أبي اليقظان أنّ أبا سَيَّارة هو أول من جعل الدية مائةً من الإبل، وأما أول من وُدي بالإبل من العرب: فزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جدّ بني عامر بن صعصعة. (الروض ١/١٧٦)

عبدالمطّلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات، فضربوا على عبدالله، وعلى الإبل، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، فخرج القِدْح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبدالمطّلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، ثم عادوا الثالثة، وعبدالمطّلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، فنُحِرت، ثم تُرِكَت لايُصَدّ عنها إنسان ولا يُمْنع.

قال ابن هشام: ويقال: إنسان لا سَبُع.

قال ابن هشام: وبين أضعاف هذا الحديث رَجز لم يصحّ عندنا عن أحدٍ من أهل العلم بالشعر.

ذِكْر المرأة المتعرّضة لنكاح عبدالله بن عبدالمطّلب[1]

عبد الله يرفضها: قال ابن إسحاق: ثم انصرف عبدالمطّلب آخذاً بيد عبدالله، فمرّ به ـ فيما يزعمون ـ على امرأة من بني أسد[2] بن عبد العُزَّى بن

(١) الطبقات الكبرى ١/٩٥، تاريخ الطبري ٢/٢٤٣، الكامل في التاريخ ٢/٧، نهاية الأرب ١٦/٥٨، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٣٩، السيرة لابن كثير ١/١٧٦، أنساب الأشراف ١/٧٩، عيون الأثر ١/٢٣.

(٢) ويروى أنّ عبدالله بن عبدالمطّلب حين دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت في وجهه من نور النّبوَّة، ورجت أن تحمل بهذا النبيّ، فتكون أمّه دون غيرها، فقال عبدالله حينئذ فيما ذكروا:

أما الحرام فالحِمام دونه ... والحِلّ لا حِلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه ... يحمي الكريم عِرْضه ودينه؟!

واسم هذه المرأة: رُقيّة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل، تُكنى: أم قَتّال، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس، عن ابن إسحاق، وذكر البَرْقيّ، عن هشام بن الكلْبي، قال: إنّما مَرّ على امرأة اسمها: فاطمة بنت مُرّ، كانت من أجمل النساء وأعفّهنّ، وكانت قرأت الكتب، فرأت نور النُّبوَّة في وجهه، فدعته إلى نكاحها، فأبى، فلما أبى قالت:

إنّي رأيت مُخِيلَةً نشأت ... فتلألأت بحناتم القطرِ
فلَمَاتُها نوراً يضيء به ... ما حوله كإضاءة الفجرِ
ورأيت سُقياها حيا بلد ... وَقَعَتْ به وعِمارة القفرِ
ورأيته شرفاً أبوء به ... ما كلّ قادحِ زنده يوري
لله ما زُهْريّة سَلَبَتْ ... منك الذي اسْتَلَبَتْ وما تدري =

قُصَيّ بن كِـلاب بن مُـرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غـالب بن فِهْـر: وهي أخت ورقـة بن نَوْفـل بن أسد بن عبـد العُزَّى؛ وهي عنـد الكعبـة. فقـالت لـه حين نـظرت إلى وجهه: أين تـذهب يا عبـدالله؟ قال: مـع أبي. قالت: لـك مثـل الإبـل التي نحرت عنـك، وقَعْ عليَّ الآن. قـال: أنا مـع أبي، ولا أستـطيـع خلافه. ولا فراقه.

عبـدالله يتزوج آمنـة بنت وهْب: فخرج بـه عبـدالمـطّلب حتى أتى بـه وهْب بن عبـد مَناف بن زُهْـرة بن كِلاب بن مُـرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر ـ وهو يومئذٍ سيِّـد بني زُهرة نسبـاً وشرفـاً ـ فزوَّجـه ابنته آمنـة بنت وهْب، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً.

أمّهـات آمنة: وهي لِبَـرَّة بنت عبـدالعُـزَّى بن عثمـان بن عبـد الـدّار بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وبَـرَّة: لأمّ حبيب بنت أسـد بن عبـد العُـزَّى بن قُصَيّ بن كِـلاب بن مُـرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غـالب بن فِهْر. وأم حبيب: لبَـرَّة بنت عَوف بن عُبَيـد بن عُوَيْـج بن عُـدَيّ بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

سبب زُهد المرأة المتعرّضة لعبد الله فيه: فزعموا أنـه دخل عليهـا حين أملكها مكانه، فوقع عليها، فحملت برسول الله ـ ﷺ ـ ثم خرج من عندهـا، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت، فقال لها: ما لكِ لا تعـرضين عليّ اليوم ما كنتِ عرضْتِ عليّ بالأمس؟ قالت له: فـارقك النـور الذي كـان معك بـالأمس، فليس لي بك اليـوم حاجـة. وقد كـانت تسمع من أخيهـا ورقـة بن نوفل، وكان قد تَنَصَّر واتّبع الكتب: أنه كائن في هذه الأمة نبيّ.

= وفي غريب ابن قتيبة: أنّ التي عرضت نفسها عليـه هي: ليلى العدويـة. (الروض الأنف ١/١٨٠). وانـظر: مجمـع الأمثـال للميـداني ٢/٢٥، ودلائـل النبـوّة لأبـي نعيم ١/٣٩، وتاريخ الـطبري ٢/٢٤٤، والكـامل لابن الأثيـر ٢/٨، وعيون الأثـر ١/٢٤، ونهايـة الأرب ١٦/٦٠، والبـداية والنهـاية ٢/٢٥٠، والسيـرة لابن كثير ١/١٧٨، والـطبقـات لابن سعـد ١/٩٦.

قصّة حمل آمنة برسول الله (ﷺ): قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار: أنه حُدّث، أنَّ عبدالله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهْب، وقد عمل في طين له، وبه آثار من الطّين، فدعاها إلى نفسه، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين، فخرج من عندها فتوضّأ وغسّل ما كان به من ذلك الطّين، ثم خرج عامداً إلى آمنة، فمرّ بها، فدعته إلى نفسها، فأبى عليها، وعمد إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد - ﷺ - ثم مرَّ بامرأته تلك: فقال لها: هل لك؟

قالت: لا، مررتَ بي وبين عينيك غُرّة، فدعوتك فأَبَيْتَ عليّ، ودخلت على آمنة فذهَبَتْ بها.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنّ امرأته تلك كانت تحدّث: أنه مَرَّ بها وبين عينيه غُرَّة مثل غُرَّة الفرس، قالت: فدعوتُهُ رجاء أن تكون تلك بي، فأبى عليّ، ودخل على آمنة، فأصابها؛ فحملت برسول الله - ﷺ - فكان رسول الله - ﷺ - أوسط قومه نَسَباً، وأعظمهم شرفاً من قِبل أبيه وأمّه - صلّى الله عليه وسلم.

ذكر ما قيل لآمنة عن حَمْلها برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

رؤيا آمنة: ويزعمون - فيما يتحدّث الناسُ والله أعلم - أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - كانت تحدّث:

أنها أُتِيَتْ، حين حملتْ برسول الله - ﷺ - فقيل لها: إنك قد حملتِ بسيّد هذه الأمّة، فإذا وقع إلى الأرض، فقولي: أُعيذه بالواحد، من شرّ كل حاسد، ثم سمّيه: محمداً[1]. ورأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأتْ به

(١) لا يُعرف في العرب من تسمَّى بهذا الاسم قبله - ﷺ - إلا ثلاثة طمع آباؤهم - حين سمعوا بذكر محمد - ﷺ - وبقرب زمانه، وأنه يبعث في الحجاز - أن يكون والداً لهم. ذكرهم ابن =

قصورَ بُصرى، من أرض الشام.

وفاة عبد الله: ثم لم يلبث عبدالله بن عبدالمطّلب، أبو رسول الله - ﷺ - أنْ هلك، وأم رسول الله - ﷺ - حامل به[1].

= فَوْرَك في كتاب الفصول، وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع، جدّ جدّ الفرزدق الشاعر. والآخر: محمد بن أُحيحة بن الجلاّح بن الحريش بن جُمَحي بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، والآخر: محمد بن حَمْران بن ربيعة، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبيّ - ﷺ - وباسمه، وكان كلّ واحد منهم قد خلّف امرأته حاملاً، فنذر كلّ واحد منهم: إنّ وُلِد له ذَكَر أن يسمّيه محمداً، ففعلوا ذلك.

وهذا الاسم منقول من الصفة، فالمحمَّد في اللغة هو الذي يُحمد حمْداً بعد حمد، ولا يكون مفَعَّل مثل: مضرَّب وممدَّح إلاّ لمن تكرر فيه الفِعل مرّة بعد مرّة. (الروض الأنف ١/١٨٢)

(١) أكثر العلماء على أنه كان في المهد. ذكره الدَّوْلابي وغيره، وقيل: ابن شهرين، ذكره ابن أبي خَيْثمة، وقيل: أكثر من ذلك، ومات أبوه عند أخواله بني النّجّار، ذهب ليمْتَارَ لأهله تمراً، وقد قيل: مات أبوه، وهو ابن ثمانٍ وعشرين شهراً. (الروض ١/١٨٤)

ولادة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم[1]

ابن إسحاق يحدّد الميلاد: قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق قال: وُلد رسول الله - ﷺ - يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خَلَت من شهر ربيع الأول، عام الفيل[2].

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٠٠، تاريخ الطبري ٢/١٥٥، أنساب الأشراف ١/٨٠، تاريخ دمشق (السيرة) ٥٣، تاريخ الخميس ١/١٩٧، عيون التواريخ ١/٨، المعارف ١٥٠، مروج الذهب ٢/٢٧٤، نهاية الأرب ١٦/٦٧، شرح المواهب ١/١٣٠، الروض الأنف ١/١٨٤، تاريخ الإسلام (السيرة - بتحقيقنا) ٢٢، تاريخ خليفة ٥٢، تهذيب الأسماء للنووي ١ ق ١/٢٢، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٠، المستدرك للحاكم ٢/٦٠٣، البداية والنهاية ٢/٢٦٢، السيرة لابن كثير ١/١٩٨، عيون الأثر ١/٢٦، البدء والتاريخ ٤/١٣١.

(٢) ذُكر أنّ مولده عليه السلام كان في ربيع الأول، وهو المعروف. وقال الزبير: كان مولده في رمضان، وهذا القول موافق لقول من قال: إنّ أمه حملت به في أيام التشريق، والله أعلم.

وذكروا أنّ الفيل جاء مكة في المحرَّم، وأنه - ﷺ - وُلد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً، وهو الأكثر والأشهر، وأهل الحساب يقولون: وافق مولده من الشهور الشمسيّة نيسان، فكانت لعشرين مضت منه، وولد بالغَفْر من المنازل، وهو مولد النبيّين، ولذلك قيل: خير منزلتين في الأبد بين الزنابا والأسد، لأنّ الغفر يليه من العقرب زُناباها، ولا ضرر في الزنابا إنما تضرّ العقرب بذنبها، ويليه من الأسد أَلْيَته، وهو السِّماك، والأسد لا يضرّ بأليته إنما يضرّ بمخلبه ونابه.

وولد بالشِّعب، وقيل بالدار التي عند الصّفا، وكانت بعدُ لمحمد بن يوسف أخي الحَجَّاج، ثم بنتها زُبيدة مسجداً حين حجّت. (الروض الأنف ١/١٨٤)

قال ابن إسحاق: وحدّثني المطّلب بن عبدالله بن قيس بن مَخْرَمَة، عن أبيه، عن جدّه قيس بن مخرمة. قال:

وُلِدْت أنا ورسول الله ـ ﷺ ـ عام الفيل: فنحن لِدَتَانِ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عَوف، عن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أسعد[2] بن زُرارة الأنصاري، قال: حدّثني مَنْ شئت من رجال قومي عن حسّان بن ثابت، قال: والله إنّي لَغُلام يفَعَة[3]، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذا سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطَمَة[4] بيثرب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما لك؟! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي وُلد به[5].

قال محمد بن إسحاق: فسألت سعيد بن عبدالرحمن بن حسّان بن ثابت، فقلت: ابن كم كان حسّان بن ثابت مقْدَمَ رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة؟

فقال: ابن ستين، وقدِمها رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ابن ثلاثٍ وخمسين سنة، فسمع حسّان ما سمع، وهو ابن سبع سنين.

إعلام جدّه بولادته وما فعله به: **قال ابن إسحاق**: فلما وضعته أمه ـ ﷺ ـ أرسلت إلى جدّه عبدالمطّلب: أنه قد وُلد لك غلام، فأتِه فانظرْ إليه، فأتاه فنظر إليه، وحدّثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أُمِرَتْ به أن تسمّيه.

---

(١) إسناده حَسَن. أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ٥/٢٤٩ (٢٣) باب ما جاء في ميلاد النبيّ ـ ﷺ ـ، رقم(٣٦٩٨) وهو أطول من هنا. وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث محمد بن إسحاق.
وأخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة ـ بتحقيقنا) ٢٣.

(٢) في المطبوع «سعد» والصحيح ما أثبتناه.

(٣) اليفعة: الصبيّ إذا ارتفع ولم يبلغ الاحتلام.

(٤) أطمة: حصن.

(٥) تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٦.

فيزعمون أنّ عبدالمطّلب أخذه، فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه[١] ثم خرج به إلى أمّه فدفعه إليها، والتمس لرسول الله - ﷺ - الرُّضَعاء[٢].

قالَ ابن هشام: المراضع. وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾[٣] (سورة القصص - الآية ١٢).

---

(١) الخبر في الطبقات الكبرى ١/١٠٣ وانظر: أنساب الأشراف ١/٨١ رقم ١٤١
وفي غير رواية ابن هشام أنّ عبدالمطّلب قال وهو يعوِّذه:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيّب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... أعيذه بالبيت ذي الأركان
حين يكون بُلْغَة الفتيان ... حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شنآن ... من حاسد مضطرب العِنان
ذي همّة ليس له عينان ... حتى أراه رافع الشان
أنت الذي سمّيت في القرآن ... في كتب ثابتة المثاني
أحمد مكتوب على البيان

(الروض الأنف ١/١٨٤) وانظر: الطبقات الكبرى ١/١٠٣، وأنساب الأشراف ١/٨١، وتاريخ دمشق (السيرة)٦٩، والسير والمغازي ٤٥، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٥١، والبداية والنهاية ٢/٢٦٤، ونهاية الأرب ١٦/٧١.

(٢) وسبب دفْع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع، فقد يكون ذلك لوجوه. أحدها: تفريغ النساء إلى الأزواج، كما قال عمّار بن ياسر لأمّ سَلَمَة - رضي الله عنها - وكان أخاها من الرضاعة، حين انتزع من حجْرها زينب بنت أبي سَلَمَة، فقال: «دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول الله - ﷺ -» وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه، وأجلد لجسمه، وأجدر أن لا يفارق الهيئة المَعَدِّيَّة كما قال عمر رضي الله عنه: تمعدَدُوا وتمعززوا واخشوشنوا. وقد قال - عليه السلام - لأبي بكر - رضي الله عنه - حين قال له: ما رأيت أفصح منك يا رسول الله، فقال: «وما يمنعني، وأنا من قريش، وأرضعت في بني سعد؟!» فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرُّضَعاء إلى المراضع الأعرابيات.

وقد ذُكر أنّ عبدالملك بن مروان كان يقول: أضرّ بنا حب الوليد؛ لأنّ الوليد كان لحّاناً، وكان سليمان فصيحاً؛ لأنّ الوليد أقام مع أمه، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية، فتعرّبوا، ثم أدّبوا فتأدّبوا. وكان من قريش أعراب، ومنهم حضر، فالأعراب منهم: بنو الأدرم وبنو محارب، وأحسب بني عامر بن لُؤَيّ كذلك؛ لأنهم من أهل الظواهر، وليسوا من أهل البطاح: (الروض الأنف ١/١٨٧، ١٨٨)

(٣) الذي قاله ابن هشام ظاهر؛ لأنّ المراضع جمع: مُرْضِع، والرُّضَعَاءُ: جمع رضيع، ولكن

مُرضعته حليمة: قال ابن إسحاق: فاسترضع لـه امرأةً من بني سعـد بن بكر. يقال لها: حليمة ابنة أبي ذُؤَيْب.

نَسَب مرضعته: وأبو ذُؤَيب: عبدالله بن الحارث بن شِجْنة بن جـابر بن رِزَام بن ناصرة بن قُصَيَّـة[1] بن نصر بن سعـد بن بكر بن هـوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان.

زوج حليمـة ونسبه: واسم أبيـه الـذي أرضعـه ـ ﷺ ـ الحـارث بن عبد العُزّى بن رفاعة بن مَلان بن ناصرة بن قُصيّة بن نصر بن سعد بن بكـر بن هوازن[2].

قال ابن هشام ويقال: هلال بن ناصرة.

أولاد حليمـة: قال ابن إسحـاق: وإخوتـه من الـرضـاعـة: عبـدالله بن

= لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين، أحدهما: حذف المضاف كأنه قال: ذوات الرضعاء، والثاني: أن يكون أراد بالرضعاء: الأطفال على حقيقـة اللفظ؛ لأنهم إذا وجدوا لـه مُرضعـة ترضعه، فقد وجدوا له رضيعاً، يرضع معه، فلا يبعد أن يقال: التمسوا له رضيعاً، عِلماً بأنّ الرضيع لا بدّ له من مرضع. (الروض الأنف ١/١٨٦)

(١) وقيل: «فُصَيَّة» بالفاء تصغير: فصاة، وهي النواة، ووقع في الأصل في جميع النسـخ: قصيّة بالقاف. وقال أبو حنيفة أيضاً: الفَصَا: حَبّ الزبيب، وهو من هذا المعنى. (الـروض الأنف ١/١٨٦)

(٢) لم يذكر لـه إسلامـاً، ولا ذكره كثيـر ممن ألّف في الصحابـة، وقد ذكـره يونس بن بُكَيْـر في روايته، فقال: حدّثنا ابن إسحاق قال: حدّثني والدي إسحـاق بن يَسَار، عن رجـالٍ من بني سعـد بن بكر قـال: قدِم الحـارث بن عبد العُـزَّى، أبو رسـول الله ـ ﷺ ـ من الرضـاعة على رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة حين أُنزل عليه القرآن، فقالت له قريش: ألا تسمع يا حـار ما يقـول ابنك هذا؟ فقال: وما يقـول؟ قالـوا: يزعم أنّ الله يبعث بعـد الموت، وأنّ لله دارَين يعـذّب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شتّت أمرنا، وفرّق جماعتنا. فأتاه، فقال: أي بنيّ مـالك ولقـومك يشكـونك، ويـزعمون أنـك تقول: إنّ النـاس يبعثون بعـد المـوت، ثم يصيرون إلى جنة ونار؟! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: نعم أنا أزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت، لقد أخذت بيدك، حتى أعرِّفك حديثك اليوم، فأسلم الحـارث بعد ذلـك، وحسُن إسلامه، وكان يقول حين أسلم: لو قد أخذ ابني بيدي، فعرّفني ما قال، لم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة. (الروض ١/١٨٥)

الحـارث، وأُنَيْسة بنت الحـارث، وخِذامـة[1] بنت الحـارث، وهي الشَّيْمَـاءُ، غلب ذلـك على اسمها فـلا تُعرف في قـومهـا إلاّ بـه . وهم لحليمـة بنت أبي ذُؤَيب، عبدالله بن الحارث، أمّ رسول الله ـ ﷺ ـ ويذكرون أنّ الشَّيماء كـانت تحضنه مع أمّها إذا كان عندهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني جَهْم بن أبي جهم مولى الحـارث بن حاطب الجُمحي، عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، أو عمّن حدّثه عنه قال:

حديث حليمة: كـانت حليمة بنت أبي ذُؤَيب السَّعْـدِيَّة، أمّ رسـول الله ـ ﷺ ـ التي أرضعته[2]، تحدّث: أنها خرجت من بلدها مع زوجهـا، وابن لها صغير تُرضعه في نِسْوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرُضَعاء، قـالت: وذلك في سنة شهباء[3]، لم تُبق لنـا شيئاً. قـالت: فخرجت على أتـان لي قَمْراء[4]، معنا شارف[5] لنا، والله ما تبضّ[6] بقَطْرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبيّنا الـذي معنا، من بُكائه من الجوع، ما في ثدييّ ما يُغنيه، وما في شارفنـا ما يغَـدّيه ـ قال ابن هشام: ويقال: يغذّيـه[7] ـ ولكنّا كنّـا نرجـو الغيث والفرج، فخـرجت

---

(١) خِذامة بكسر الخاء المنقوطة، وقال غيره: حُـذَافة بـالحاء المضمـومة وبـالفاء مكـان الميم، وكذلك ذكره يونس في روايته، عن ابن إسحاق، وكـذلك ذكـره أبو عمـر في كتاب النّسـاء. (الروض الأنف ٢/١٨٦)

(٢) وأرضعته ـ عليه السـلام ـ ثُوَيْبـة قبل حليمـة. أرضعته، وعمّـه حمزة، وعبـدالله بن جحش، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يعرف ذلك لثويبة، ويصلها من المدينـة، فلما افتتـح مكة سـأل عنها وعن ابنها مسروح، فأُخبر أنّهما ماتا، وسأل عن قرابتها، فلم يجـد أحداً منهم حيّـاً. وثُويبـة كانت جارية لأبي لهب. (الروض الأنف ١/١٨٦)

(٣) شهباء: أي سنة قحط وجدْب.

(٤) قمراء: شديدة البياض.

(٥) الشارف: الناقة المسنّة.

(٦) تبضّ: ترشح.

(٧) قول ابن هشام: مـا يغذّيـه بالـذال المنقوطـة، أتمّ في المعنى من الاقتصار على ذكـر الغداء دون العشاء، وليس في أصل الشيخ رواية ثـالثة، وعنـد بعض الناس روايـة غير هـاتين وهي يُعْذِبه بعين مهملة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة، ومعنـاها عنـدهم: ما يقنعـه حتى يرفـع رأسـه، وينقطع عن الـرضاع، يقـال منه: عـذبته وأعـذبته: إذا قـطعته عن الشـرب ونحوه، =

على أتاني تلك، فلقد أَدَمْتُ[1] بالرَّكْب، حتى شقّ ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً، حتى قـدِمنا مكـة نلتمس الرُّضَعـاء، فما منّـا امرأة وقـد عُـرض عليهـا رسـول الله ـ ﷺ ـ فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك: أنّا إنّما كنّا نرجو المعروف من أبي الصبيّ[2]، فكنّا نقول: يتيم؟! وما عسى أن تصنع أمه وجَدّه؟ فكنّا نكرهـه لذلك، فمـا بقيت امرأة قـدِمت معي إلاّ أخذت رضيعـاً غيري، فلمـا أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إنّي لأكره أن أرجع من بين صـواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم، فلآخذنّـه، قال: لا عليـك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيـه بركـة. قالت: فـذهبتُ إليه فـأخذتـه، وما حملني على أخْذه إلاّ أنّي لم أجد غيره.

الخير الذي أصاب حليمة: قالت: فلما أخذته، رجعت به إلى رَحْلي، فلمـا وضعته في حجْـري أقبل عليـه ثديـاي بما شـاء من لبن[3]، فشرب حتى

= والعَذُوب: الرافع رأسه عن المـاء، وجمعه: عُـذوب بالضمّ، ولا يعـرف فَعُول جمـع على فُعول غيره: قاله أبو عبيد، والذي في الأصل أصحّ في المعنى والنقل. (الروض ١/١٨٦)

(١) أي أطلت عليهم المسافة، وتُروَى أَدْمَمْتُ بالـركب. تريـد: أنّها حبستهم، وكـأنه من المـاء الدائم، وهو الواقف، ويُروَى: حتى أذَمّتْ. أي: أذمت الأتان، أي: جاءت بما تُذَمّ عليـه، أو يكون من قولهم: بئر ذَمّةٌ، أي: قليلة الماء، وليست هذه عنـد أبي الوليـد، ولا في أصل الشيخ أبي بحر، وقد ذكرها قاسم في الدلائل، ولم يذكر روايـة أخرى، وذكـر تفسيرهـا عن أبي عُبيـدة: أذمّ بالـركب: إذا أبطأ، حتى جبستهم: من البئـر الـذمّـةِ، وهي القليلة المـاء. (الروض الأنف ١/١٨٧)

(٢) والتماس الأجر على الـرضاع لم يكن محمـوداً عند أكثـر نساء العـرب، حتى جرى المثـل: تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها، وكان عند بعضهنّ لا بأس به، فقـد كانت حليمـة وسيطة في بني سعد، كريمة من كرائم قومها، بدليل اختيار الله ـ تعالى ـ إيّاها لـرضاع نبيّـه ـ ﷺ ـ كما اختار له أشرف البطون والأصلاب. والرضاع كالنسب؛ لأنه يغيّر الطباع.
وفي المُسْنَـد عن عائشـة ـ رضي الله عنها ـ تـرفعه: «لاتستـرضِعـوا الحمقى؛ فـإنّ اللبن يورث» ويُحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرُضعـاء اضطراراً لـلأزمة التي أصـابتهم والسنة الشهباء التي اقتحمتهم. (الروض الأنف ١/١٨٧)

(٣) وذكـر غير ابن إسحـاق أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كـان لا يُقبل إلاّ على ثـدْيها الـواحـد، وكـانت تعرض عليه الثّدي الآخر، فيأباه كأنه قـد أشعر ـ عليـه السلام ـ أنّ معـه شريكـاً في لبانهـا، وكان مفطوراً على العدل، مجبولاً على المشاركة والفضل ـ ﷺ .

رُوِي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنّها لَحَافِل، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا ريّاً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تَعلّمي والله يا حليمة، لقد أخذت نَسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إنّي لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعتْ بالرَّكب ما يقدر عليها شيء من حُمُرهم، حتى إنّ صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذُؤَيْب، ويحك! أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهنّ: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إنّ لها لشأناً. قالت: ثم قدِمنا منازلَنا من بلاد بني سعد. وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدِمنا به معنا شِباعاً لُبَّنا. فنحلب ونشرب. وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع. حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذُؤَيْب فتروح أغنامهم جياعاً ما تَبِضّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لُبْناً، فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته؛ وكان بشبّ شَباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفراً.

رجوع حليمة به إلى مكة أول مرّة: قالت: فقدِمْنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا؛ لما كنّا نرى من بركته؛ فكلّمنا أمّه، وقلت لها: لو تركتُ بُنَي عندي حتى يغلظ، فإنّي أخشى عليه وبأ مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردّته معنا.

حديث المَلَكَين اللَّذَين شقّا بطنه: قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدَمنا بشهر مع أخيه لفي بَهْم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتدّ[1]، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القُرَشيّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بِيض، فأضجعاه،

---

(١) يشتدّ: يسرع في عدْوه.

فشقّا بطنه، فهما يسوطانه[1]، قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائماً مُنْتَقِعاً وجهه. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بُنيّ، قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بِيض، فأضجعاني وشقّا بطني، فالتمسا شيئاً لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا إلى خبائنا.

حليمة تردّ محمداً (ﷺ) إلى أمّه: قالت: وقال لي أبوه: يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحِقِيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه، فقدِمْنا به على أمّه، فقالت: ما أقدمك به يا ظِئْر[2]، وقد كنت حريصةً عليه، وعلى مُكْثه عندك؟ فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليّ، وتخوّفت الأحداث عليه، فأدّيته إليكِ كما تحبّين. قالت: ما هذا شأنك، فاصْدِقيني خبرك. قالت: فلم تدعني حتّى أخبرتها. قالت: أفتخوّفت عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كلّا. واللهِ ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبُنَيّ لشأناً، أفلا أخبرك خبره. قالت: قلت: بلى. قلت: رأيت حين حملت به: أنه خرج منّي نور أضاء قصور بُصْرَى من أرض الشام. ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قطّ كان أخفّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدتُه وإنه لواضعٌ يديه بالأرض، رافعٌ رأسَه إلى السماء. دعيه عنك، وانطلقي راشدة[3].

---

(١) يقال: سطت اللبن أو الدم، أو غيرهما، أسوطه: إذا ضربت بعضه ببعض. والمِسْوَطُ: عود يُضرب به.
وفي رواية أخرى عن ابن إسحاق أنه نزل عليه كُرْكِيَّان، فشقّ أحدهما بمنقاره جوفه، ومجّ الآخر بمنقاره فيه ثلجاً، أو بَرَداً، أو نحو هذا، وهي رواية غريبة ذكرها يونس عنه، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه، وهو أطول من هذا. (الروض الأنف ١/١٨٨)

(٢) الظِئر: بالكسر، العاطفة على ولد غيرها المرضعة له.

(٣) قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٤٨: «هذا حديث جيّد الإسناد». وانظر: الطبقات الكبرى ١/١١١، ١١٢، نهاية الأرب ١٦/٨١ ـ ٨٤، سيرة ابن كثير ١/٢٢٥ ـ ٢٢٨، عيون الأثر ١/٢٣، ٢٤، شرح المواهب اللدنية ١/١٤١ ـ ١٥٠، أنساب الأشراف ١/٩٣، ٩٤ رقم ١٦٢، تاريخ دمشق (السيرة) ٧٧ ـ ٧٩، السير والمغازي لابن إسحاق ٤٨، ٤٩، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٧٤ ـ ٧٧.

الرسول يُسأل عن نفسه وإجابته (ﷺ): قال ابن إسحاق: وحدّثني ثَور بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلّا عن خالد بن مَعدان الكَلاعيّ: أنّ نفراً من أصحاب رسول الله - ﷺ - قالوا له: يا رسول الله. أخْبِرنا عن نفسك؟ قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرى أخي عيسى، ورأت أمّي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام[1]، واستُرْضِعتُ في بني سعد بن بكر. فبينا أنا مع أخٍ لي خلف بيوتنا نرعى بَهْماً لنا: إذا أتاني رجلان عليهما ثياب بِيض بطَسْت من ذهبٍ مملوءةٍ ثلجاً. ثم أخذاني فشقّا بطني، واستخرجا قلبي، فشقّاه فاستخرجا منه عَلَقةً سوداء فطرحاها. ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه[2]، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمّته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمئة من أمّته. فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألفٍ من أمّته، فوزنني بهم فوزنتهم. فقال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمّته لوزنها»[3].

رعْيه (ﷺ) للغنم وافتخاره بقُرَشيّته: قال ابن إسحاق: وكان رسول

---

(١) وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد، حتّى كانت الخلافة فيها مدّة بني أميّة، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره - ﷺ - وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاصي قبل المبعث بيسير نوراً يخرج من زمزم، حتى ظهرت له البُسْر في نخيل يثرب، فقصّها على أخيه عمرو، فقال له: إنّها حفيرة عبدالمطّلب، وإنّ هذا النّور منهم، فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام. (الروض الأنف ١/١٩٢)

(٢) كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين:
الأولى: في حال الطفولية لينقّى قلبه من مغمز الشيطان، وليطهَّر ويقدَّس من كل خلق ذميم، حتى لا يتلبّس بشيء ممّا يعاب على الرجال، وحتى لا يكون في قلبه شيء إلّا التوحيد؛ ولذلك قال: فولّيا عنّي، يعني: المَلَكين، وكأنّي أعاين الأمر معاينة.
والثانية: في حال الاكتهال، وبعد ما نُبِّيء، وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدَّسة التي لا يصعد إليها إلّا مقدّس، وعُرج به هنالك لتفرض عليه الصلاة، وليصلي بملائكة السموات، ومن شأن الصلاة: الطهور، فقدِّس ظاهراً وباطناً وغُسّل بماء زمزم. (الروض الأنف ١/١٩٠)

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٢٧ و١٢٨ في المرتين عن عرباض بن سارية و ٥/٢٦٢ عن أبي أمامة، وانظر تهذيب تاريخ دمشق ١/٢٨٣، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٤٢.

الله ـ ﷺ ـ يقول: «ما من نبيّ إلاّ وقد رعى الغنم»، قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا»[١].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لأصحابه: «أنا أعربكم، أنا قُرَشيّ، واستُرْضِعتُ في بني سعد بن بكر»[٢].

افتقاد حليمة له (ﷺ): قال ابن إسحاق: وزعم الناس فيما يتحدّثون ـ والله أعلم ـ أنّ أمّه السعديّة لما قدِمت به مكةَ أضلَّها في الناس، وهي مقبلة به نحو أهله، فالتمسته فلم تجده، فأتت عبدَالمطّلب، فقالت له: إنّي قد قدِمتُ بمحمدٍ هذه الليلة، فلما كنت بأعلى مكة أضلّني، فوالله ما أدري أين هو، فقام عبدالمطّلب عند الكعبة يدعو الله أن يردّه، فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد، ورجل آخر من قريش، فأتيا به عبدَالمطّلب، فقالا له: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه عبدالمطّلب، فجعله على عنقه، وهو يطوف بالكعبة يُعوّذه ويدعو له، ثم أرسل به إلى أمّه آمنة.

سبب آخر لرجوع حليمة به ﷺ إلى مكة: قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم، أنّ مما هاج أمّه السَّعديّة على ردّه إلى أمه، مع ما ذكَرَتْ لأمّه مما أخبرتها عنه، أنّ نفراً من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه، وسألوها عنه وقلّبوه، ثم قالوا لها: لنأخذنّ هذا الغلام، فلنذهبنّ به إلى مَلِكنا وبلدنا؛ فإنّ هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فزعم الذي حدّثني أنها لم تكد تنفلت به منهم[٣].

---

(١) وإنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم في بني سعد مع أخيه من الرضاعة، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكة أيضاً على قراريط لأهل مكة. (الروض ١/١٩٢). فقد روى البخاري هذا الحديث في كتاب الإجارة من طريق عمرو بن يحيى بن سعيد، عن جدّه، عن أبي هريرة، في باب رعي الغنم على قراريط ٣/٤٨، وأخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الصناعات (٢١٤٩)، والذهبي في تاريخ الاسلام (السيرة) ٥٤.

(٢) أنظر الطبقات الكبرى ١/١١٣ حيث رواه عن محمد بن عمر (الواقدي) عن زكريا بن يحيى بن يزيد السعدي، عن أبيه. والواقدي متروك وضعيف في الحديث.

(٣) وكان ردّ حليمة إيّاه إلى أمّه وهو ابن خمس سنين وشهر، فيما ذكر أبو عمر، ثم لم تره بعد ذلك إلاّ مرّتين: إحداهما بعد تزويجه خديجة ـ رضي الله عنها ـ جاءته تشكو إليه السنة، =

وفاة آمنة
وحال رسول الله ﷺ مع جدّه عبدالمطّلب بعدها[1]

وفاة أمّه (ﷺ): قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - مع أمّه آمنة بنت وهْب، وجدّه عبدالمطّلب بن هاشم في كلاءة الله وحِفظه، ينبته الله نباتاً حسناً، لِما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله - ﷺ - ستّ سنين، تُوفِّيَت أمّه آمنة بنت وهْب.

عُمر رسول الله (ﷺ) حين وفاة أمّه: قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم:

أنّ أمّ رسول الله - ﷺ - آمنة تُوُفِّيت ورسول الله - ﷺ - ابن ستّ سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدِيّ بن النّجّار تُزيره إيّاهم، فماتت، وهي راجعة به إلى مكة[2].

= وأنّ قومها قد أسنتوا فكلّم لها خديجة، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات، والمرة الثانية: يوم حُنَيْن، وسيأتي ذكرها إن شاء الله. (الروض الأنف ١/١٩٢).

(١) أنساب الأشراف ١/٩٦، الطبقات الكبرى ١/١١٦، السير والمغازي ٢٦٥ تاريخ الطبري ٢/١٦٥، تاريخ دمشق (السيرة) ٦٧، نهاية الأرب ١٦/٨٧، شرح المواهب ١/١٦٣، السيرة الحلبية ١/١٠٥، عيون التواريخ ١/٢١، السيرة لابن كثير ١/٢٣٥، عيون الأثر ١/٣٧، تاريخ الإسلام ٥٠.

(٢) قال القُرْطُبي في تذكرته: جزم أبو بكر الخطيب في كتاب: السابق واللاحق، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له في الحديث بإسنادَيهما عن عائشة - رضي =

قال ابن هشام: أمّ عبدالمطّلب بن هاشم: سلمى بنت عمرو النّجّارية، فهذه الخئولة التي ذكرها ابن إسحاق لرسول الله - ﷺ - فيهم.

إجلال عبدالمطّلب له (ﷺ): قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - مع جدّه عبدالمطّلب بن هاشم، وكان يوضع لعبدالمطّلب فراش في ظلّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال: فكان رسول الله - ﷺ - يأتي، وهو غلام جَفْر، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه، ليؤخّروه عنه، فيقول عبدالمطّلب - إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله، إنَّ له لشأناً، ثم يُجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده، ويسرّه ما يراه يصنع(١).

وفاة عبدالمطّلب وما رُثي به من الشِّعر(٢)

فلما بلغ رسول الله - ﷺ - ثماني سنين هلك عبدالمطّلب بن هاشم، وذلك بعد الفيل بثماني سنين.

قال ابن إسحاق: وحدّثني العبّاس بن عبدالله بن مَعْبد بن عبّاس، عن بعض أهله: أنّ عبدالمطّلب تُوُفّي ورسول الله - ﷺ - ابن ثماني سنين.

= الله عنها - قالت: حجّ بنا رسول الله - ﷺ - حجّة الوداع؛ فمرّ على قبر أمّه، وهو باكٍ حزين مغتمّ، فبكيت لبكائه - ﷺ - ثم إنه نزل فقال: يا حُمَيراء استمسكي، فاستندْتُ إلى جنب البعير، فمكث عنّي طويلاً مليّاً، ثم إنه عاد إليّ، وهو فرح متبسّم، فقلت له: بأبي أنت وأميّ يا رسول الله نزلت من عندي، وأنت باكٍ حزين مُغْتَمّ؛ فبكيت لبكائك، ثم عدت إليّ، وأنت فرح مبتسم، فَمِمَّ ذا يا رسول الله، فقال: ذهبت لقبر آمنة أميّ، فسألت أن يُحييها، فأحياها فآمنت بي؛ أو قال: فآمنت. وردّها الله عزّ وجلّ. (الروض الأنف ١/١٩٥).

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ١/١١٨، ونهاية الأرب ١٦/٨٨، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤، السيرة لابن كثير ١/٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى ١/١١٧، عيون الأثر ١/٣٩، السيرة لابن كثير ١/٢٤١، عيون التواريخ ١/٢٧، الروض الأنف ١/١٩٥.

عبدالمطّلب يطلب من بناته أن يرثينه: قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن سعيد بن المسّيب: أنّ عبدالمطّلب لما حضرته الوفاة، وعرف أنه ميّت جمع بناته، وكنَّ ستّ نِسْوة: صفيّة، وبَرّة، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء، وأُميمة، وأرْوَى، فقال لهنّ: ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت.

قال ابن هشام: ولم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلّا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيّب، كتبناه.

رثاء صفية بنت عبدالمطّلب لأبيها: فقالت صفيّة بنت عبدالمطّلب تبكي أباها:

أرِقْتُ لصوتِ نائحةٍ بلَيلٍ ... على رجلٍ بقارعة الصَّعيدِ
ففاضت عند ذلكمُ دموعي ... على خدّي كمنحدِرِ الفريدِ[1]
على رجلٍ كريمٍ غيرِ وَغْلٍ[2] ... له الفضلُ المُبينُ على العبيدِ
على الفَيّاض شَيْبَةَ ذي المعالي ... أبيكِ الخيرِ[3] وارثِ كلّ جودِ
صَدُوقٌ في المواطن غير نِكْس ... ولا شَخْت المقام ولا سنيدِ[4]
طويل الباع، أرْوَع شَيظَمِيّ[5] ... مُطاعٍ في عشيرته حميدِ
رفيع البيت أبلجَ ذي فُضول ... وغيثِ الناس في الزمن الحَرُودِ
كريم الجدّ ليس بذي وُصُوم[6] ... يروق على المُسوَّد والمَسودِ

---

(١) يُروَى: كمنحدِرِ بكسر الدال أي: كالدّرّ المنحدر، ومنحدَر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض، فعلى رواية الكسر: شبّهت الدمع بالدُّرّ الفريد، وعلى رواية الفتح شبّهت للفيض بالانحدار. (الروض الأنف ١/١٩٥).

(٢) الوغْل: الضعيف النذل الساقط المقصّر في الأشياء.

(٣) قولها: أبيك الخيْر. أرادت: الخيِّر فخففت، كما يقال: هيْن وهيِّن، وفي التنزيل: «خيْرات حسان». (الروض الأنف ١/١٩٦).

(٤) الشخت: ضدّ الضخم، تقول: ليس كذلك، ولكنه ضخم المقام ظاهره. والسنيد: للضعيف الذي لا يستقلّ بنفسه، حتى يسند رأيه إلى غيره. (الروض الأنف ١/١٩٦).

(٥) الشيظميّ: الفتى الجسيم.

(٦) الوصوم: جمع وصم، وهو العار.

عـظيـم الـحِلْم مـن نَـفَـرٍ كِـرام خـضـارمـةٍ مَـلاوِثـةٍ أُسُـودِ[1]
فـلو خَـلَدَ امـرؤٌ لِقـديـمِ مـجـدٍ ولـكـن لا سـبـيـلَ إلـى الـخُـلُودِ
لـكـان مخَـلَّداً أُخْـرى الـليـالـي لِفَضْـلِ المجـدِ والحَسَبِ التليـدِ

رثـاء بَرّة بنت عبـدالمطّلب لأبيهـا: وقالت بَـرَّة بنت عبدالمـطّلب تبكي أباها:

أعَـيْـنـيّ جُـودا بـدمـعٍ دِرَرْ عـلى طيّب الخِيمِ والمُعْـتَـصَـرْ
على مـاجـدِ الجـدّ واری الـزّنـاد جميـل المُحَـيَّـا عـظيم الـخَـطَرْ
على شيبـةِ الحمـدِ ذي المَكْـرُمـات وذي المجـدِ والـعـزّ والمـفتـخـرْ
وذي الحِلْم والفَضْل في النّـائبـات كـثيـرِ المكـارِم، جَـمّ الفَـجَـر[2]
لـه فـضـل مـجـدٍ عـلى قـومـه مُـنـيـر، يـلُوح كـضـوء الـقـمـرْ
اتـتـهُ الـمـنـايـا، فـلم تُـشْـوِه[3] بصـرف الليـالـي، ورَيْب الـقـدرْ

رثاء عاتكـة بنت عبدالمـطّلب لأبيها: وقـالت عاتكـة بنت عبدالمـطّلب تبكي أباها:

أعَـيْـنَـيَّ جُـودا، ولا تـبـخـلا بـدمـعكـمـا بعـد نـوم الـنّيـامْ
أعَيْنيّ واسْـحَـنْفِـرا[4] واسـكُـبـا وشُـوبـا بكـاءكمـا بـالـتـدام[5]

---

(١) ملاوثة: جمع ملواث من اللوثة، وهي القوة، كما قال المُكَعْبَر:
عند الحفيظة إنّ ذو لوثة لاثا
وقد قيل: إنّ اسم الليث منه أُخذ، إلاّ أنّ واوه انقلبت ياء؛ لأنه فيعل، فخُفّف. (الروض ١٩٦/١).

(٢) الفَجَر: العطاء والكرم والجود والمعروف.

(٣) لم تشوه: أي: لم تصب الشوى، بل أصابت المقتل، وقد تقدّم في حديث عبد المطلب وضرْبه بالقِداح على عبدالله، وكان يرى أنّ السهم إذا خرج على غيره أنه قد أُشْرِي، أي: قد أخطأ مقتله، أي: مقتل عبدالمطّلب وابنه، ومن رواه: أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذي أشوى وأخطأ، وبكلا الضبطين وجدته، ويقال أيضاً: أشوى الزرع: إذا أفرك فالأول من الشوى، وهذا من الشيّ بالنار، قاله أبو حنيفة. (الروض الأنف ١٩٧/١). والأبيات في: الطبقات الكبرى ١١٨/١، ١١٩، وتاريخ دمشق (السيرة) ٧١، وعيون التواريخ ٢٧/١.

(٤) اسحنفر المطر وغيره: كثر صبّه.

(٥) الالتدام: ضرب النساء وجوههن في النياحة.

أَعَيْنَيَّ، واستخرطا[1] واسجُما | على رجلٍ غير نِكْس كَهَام[2]
على الجحْفَلِ[3] الغَمر في النّائبات | كريم المساعي، وفيّ الذمام
على شَيْبة الحَمد، وارى الزّناد | وذي مَصْدق بعدُ ثبت المقامْ
وسيفٍ لدى الحرب صَمْصَامة | ومُرْدى[4] المخاصم عند الخصام
وسهل الخليقة طَلْق اليدين | وَفٍ عُذْمُلِيٍّ صميم لُهَام[5]
تَبَنَّكَ في باذخ بيته | رفيع الذؤابة صعب المرام

رثاء أم حكيم بنت عبدالمطّلب لأبيها: وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطّلب تبكي أباها:

ألا يا عين جودي واستهلّي | وبَكّي ذا النَّدَى والمكرُماتِ
ألا يا عين ويحك أسعفيني | بدمع من دموعٍ هاطلاتِ
وبكّي خيرَ من ركب المطايا | أباكِ الخيْرَ تيّار الفُراتِ[6]
طويلَ الباع شيبة ذا المعالي | كريمَ الخيمِ[7] محمود الهِبات
وَصُولاً للقرابة هِبْرِزِيّاً[8] | وغيثاً في السنين المُمْحِلات

---

(١) استخرط الرجل في البكاء: لجّ فيه.

(٢) الكهام: الرجل الكليل المسنّ.

(٣) على الجحفل. جعلته كالجحفل، أي: يقوم وحده مقامه، والجحفل: لفظ منحوت من أصلين، من: جحف وجفل، وذلك أنه يجحف ما يمرّ عليه أي: يقشره، ويجفل: أي يقلع، ونظيره نهشل الذئب، هو عندهم منحوت من أصلين أيضاً، من نهشت اللحم ونشلته. (الروض ١/١٩٨).

(٤) المُرْدَى: مُفْعَل من الرَّدى، وهو الحجر الذي يقتل من أُصيب به، وفي المثل: «كل ضبّ عنده مِرْدَاته». (الروض ١/١٩٧).

(٥) قولها: وَف. أي: وَفِّي، وخُفّف للضرورة، وقولها: عُذْمُلِيّ. العُذْمليّ: الشديد. واللهام: فعال من لهمت الشيء ألهمه: إذا ابتلعته، قال الراجز:

كالحوت لا يرويه شيء يلهمه | يصبح عطشاناً وفي البحر فمه

ومنه سُمّي الجيش: لُهاماً. (الروض ١/١٩٧).

(٦) تيّار الفرات: معظم الماء العذب.

(٧) الخِيم: الطبيعة والسجيّة.

(٨) الهبرزيّ: الجميل الوسيم.

وليثاً حين تشتجرُ العوالي تروقُ له عيونُ النّاظرات
عقيلَ بني كِنانة والمُرَجَّى إذا ما الدَّهْر أقبل بالهِنات
ومَفْزَعَها إذا ما هاج هَيْجٌ بداهِية، وخَصمَ المُعْضِلات
فبكِّيه ولا تَسَمِي[1] بحزْن وبكّي، ما بَقيتِ، الباكيات

رثاء أُمَيمة بنت عبدالمطّلب لأبيها: وقالت أُميمة بنت عبدالمطّلب تبكي أباها:

ألا هلك الرّاعي العشيرةَ ذو الفَقْدِ[2] وساقي الحجيج ِ،والمحامي عن المَجْدِ
ومن يؤلف الضيفَ الغريبَ بيوتَه إذا ما سماء الناس تبخَلُ بالرَّعد
كسبتَ وليداً خير ما يكسِبُ الفتى فلم تَنْفكك تزدادُ يا شيبة الحمد
أبو الحارث الفيّاض، خلّى مكانه فلا تبعدنْ، فكلّ حيّ إلى بُعد
فإنّي لَباكٍ ـ ما بقيتُ ـ ومُوجَعٌ وكان له أهلاً لما كان من وجدي
سقاكَ وَلِيُّ الناسِ في القبر مُمْطِراً فسوف أُبكّيه، وإنْ كان في اللّحد
فقد كان زَيْناً للعشيرة كلّها وكان حميداً حيث ما كان من حمد

رثاء أروى بنت عبدالمطّلب لأبيها: وقالت أروى بنت عبدالمطّلب تبكي أباها:

بكت عيني، وحُقَّ لها البكاءُ على سَمحٍ، سجيّته الحياءُ
على سهلِ الخليقةِ أبطحيٍّ[3] كريم الخِيم، نيّتُه العَلاءُ
على الفيّاضِ شَيبة ذي المعالي أبيكِ الخيْر ليس له كِفاءُ
طويل الباع أملس، شَيْظَمِيّ أغرّ كأن غُرّته ضياء
أقَبّ الكشْح[4]، أروع ذي فُضول له المجدُ المقدَّم والسناء

---

(١) ولا تَسَمِي: أي لا تسأمي، سهّل الهمزة بالنقل ثم حذفها.
(٢) ذو الفَقْد: أي الذي يُفقد.
(٣) أبطحيّ: أي من قريش البطاح، وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة.
(٤) أقبّ الكشح: ضامر الخصر.

أبيِّ الضَّيْم، أبْلج هِبْرِزِيّ   قديم المجد ليس له خَفاء
ومَعقل مالك، وربيع فِهْر[1]   وفاصِلها إذا التُمس القضاء
وكان هو الفتى كرماً وجُوداً   وبأساً حين تَنْسَكِب الدماء
إذا هاب الكُماة الموتَ حتّى   كأنّ قلوب أكثرهم هَواء
مضى قُدُماً بذي رُبَد خَشيب[2]   عليه - حين تبصره - البهاء[3]

إعجاب عبدالمطّلب بالرثاء: **قال ابن إسحاق:** فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيِّب أنه أشار برأسه، وقد أصْمَتَ[4]: أنْ هكذا فابكينني.

نسب المسيِّب بن حَزْنٍ: **قال ابن هشام:** المسيِّب بن حَزْن بن أبي وهْب بن عمرو بن عائذ بن عِمران بن مخزوم.

رثاء حُذَيفة بن غانم لعبدالمطّلب: **قال ابن إسحاق:** وقال حُذيفة[5] بن غانم أخو بني عديّ بن كعب بن لُؤيّ يبكي عبدَالمطّلب بن هاشم بن عبد مَناف، ويذكر فضله، وفضل قُصيّ على قريش، وفضل ولده من بعده عليهم، وذلك أنه أخذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة، فوقف بها فمرّ به أبولهب عبدالعُزّى بن عبدالمطّلب، فافْتَكّه:

---

(١) ومَعْقِل مالك وربيع فهر. تريد: بني مالك بن النضر بن كِنانة.

(٢) قولها: بذي رُبَد. تريد: سيفاً ذا طرائق، والربد: الطرائق. وقال صخر الْغَي:

وصارم اخلصت خشيبته   أبيض مَهْو في متنه ربد

(الروض ١/١٩٨).

(٣) ويروى: «الهباء». يريد به ما يظهر على السيف المجوهر تشبيهاً بالغبار.

(٤) أصْمَتَ العليل: اعتُقل لسانه.

(٥) وهو والد أبي جَهْم بن حُذيفة، واسم أبي جَهم: عُبيد، وهو الذي أهدى الخميصة لرسول الله - ﷺ - فنظر إلى عَلَمها. الحديث. وقد روي أيضاً هذا الحديث على وجهٍ آخر، وهو: أنّ رسول الله - ﷺ - أُتي بخميصتين، فأعطى إحداهما أبا جهم، وأمسك الأخرى، وفيها عَلَم، فلما نظر إلى عَلَمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جَهم، وأخذ الأخرى بدلاً منها، هكذا رواه الزُبير: وأم أبي جَهم: يُسَيْرة بنت عبدالله بن أذَاة بن رياح، وابن أذاة: هو خال أبي قُحافة، وسيأتي نَسَب أمّه، وقد قيل: إنّ الشِعر لحُذافة بن غانم، وهو أخو حُذيفة والدخارجة بن حُذافة. (الروض الأنف ١/١٩٩).

أعينيّ جُودا بالدموع على الصدر ... ولاتسأما أُسْقِيتُما سَبَل[1] القَطْرِ
وجُودا بدمع، واسفَحا كلَّ شارق[2] ... بكاء امريءٍ لم يشْوِه[3] نائبُ الدهر
وسُحَّا[4]، وجُمَّا[5]، واسجُما ما بقيتما ... على ذي حياء من قريش، وذي سِتر
على رجل جَلْد القُوى، ذي حَفيظة ... جميل المُحَيّا غير نِكْسٍ[6] ولاهَذْر
على الماجد البُهْلُول ذي الباع واللُّهَى[7] ... ربيع لُؤَى القُحُوطِ وفي العُسْر
على خَيْر حافٍ من مَعدّ وناعلٍ ... كريمَ المساعي، طيِّبَ الخِيم والنَّجْر[8]
وخيرُهُم أصلاً وفرعاً ومعدناً ... وأحظاهُمُ بالمُكْرَمات وبالذِّكْر
وأولاهُمُ بالمجد والحِلْم والنُّهَى ... وبالفضل عند المُجْحِفات[9] من الغُبْر[10]
على شَيْبة الحمْد الذي كان وجهُه ... يضيء سوادَ الليل كالقمر البدر
وساقي الحجيج ثمّ للخبز[11] هاشمٌ ... وعبد مَناف، ذلك السيد الفهْري[12]
طوى زمزماً عند المقام، فأصبحتْ ... سقايتُه فخراً على كل ذي فخر
لِيَبْكِ عليه كل عانٍ[13] بكُرْبةٍ ... وآلُ قُصَيٍّ من مُقلٍّ وذي وَفْر
بَنوه سَراةٌ، كَهْلُهُم وشبابُهُم ... تفلّق عنهمْ بيضة الطائر الصَّقْر
قُصَيٌّ الذي عادى كِنانة كلَّها ... ورابطَ بيتَ الله في العُسر واليُسر

---

(١) السَبَل: المطر.
(٢) كل شارق: أي عند شروق الشمس.
(٣) يشْوه: يخطئه.
(٤) سُحَّا: صُبّا.
(٥) جُمَّا: إجمعا وأكثِرا.
(٦) النِّكسُ من السهام: الذي نُكس في الكِنانة ليميِّزه الرامي، فلا يأخذه لرداءته. وقيل: الذي انكسر أعلاه؛ فنُكِس ورُد أعلاه أسفله، وهو غير جيّد للرمي. (الروض الأنف ١/١٩٩).
(٧) اللُّهي: العطايا. وفي أكثر الأصول «الندى» وفي رواية «النُهى».
(٨) النَّجْر: الأصل.
(٩) المجحفات: التي تذهب بالأموال.
(١٠) الغبر: السنون المقحطات.
(١١) كذا في سائر الأصول. وفي رواية «للخير».
(١٢) كذا في الأصول. وفي شرح السيرة: «القهر» بالقاف. أي الذي يقهر الناس، فوصفه بالمصدر، كما تقول: رجل عدل، أو رجل صوم.
(١٣) العاني: الأسير.

فإنْ تك غالته المنايا وصَرْفُها فقد عاش ميمون النقيبة والأمر
وأبقى رجالاً سادةً غيرَ عُزَّل مَصاليتَ، أمثال الرُّدَيْنِيَّة السُّمْر
أبو عُتبة المُلْقَى إليَّ حِباؤهُ أغرُّ، هِجانُ اللَّوْن[1] من نَفَر غر
وحمزةُ مِثلُ البدر، يهتزُّ للنَّدَى نقيّ الثياب والذِّمام من الغدر
وعبدُ مَناف ماجد ذو حَفيظة وصولٌ لذي القُرْبَى رحيم بذي الصهر
كُهُولُهُمْ خيرُ الكُهول، ونَسْلُهم كنَسْل الملوكِ، لا تَبور ولاتحري[2]
متى ما تُلاقي منهمُ الدَّهرَ ناشِئاً تجِدْه بإجْرِيًّا[3] أوائله يجري
هُمُ ملأوا البطْحاء مَجْداً وعِزَّةً إذا استُبِق الخيرات في سالف العصر
وفيهم بُناةٌ للعُلا وعِمارةٌ وعبدُ مَناف جدّهم، جابر الكَسْر
بإنْكاح عَوْف بنتَه ليُجيرنا من أعدائنا إذا أسْلَمتنا بنو فِهْر
فسِرنا تِهامِيّ البلادِ ونَجْدَها بأمنه حتى خاضت العِيرُ في البحر
وهم حضروا والناسُ بادٍ فريقُهُم وليس بها إلاّ شُيُوخ بني عمرو[4]
بنَوْها دياراً جَمَّة، وَطَوَوْا بها بئاراً تسحّ الماء من ثَبَج البحر[5]
لكي يشرب الحُجَّاجُ منها، وغيرُهم إذا ابتدروها صُبْح تابعة النحْر
ثلاثةُ أيامٍ تظلّ رِكابُهم مُخيَّسةً[6] بين الأخاشب والحِجْر
وقِدْما غَنِينا قبل ذلك حِقبةً ولانَسْتَقي إلّا بخُمّ أو الحَفْر[7]
وهم يغفِرونَ الذَّنْبَ يُنقَم دُونَه ويَعْفُون عن قول السَّفاهة والهُجر[8]

---

(١) هجان اللون: أبيض.
(٢) لا تبور ولا تحْرى، أي: لا تهلك ولا تنقص، ويقال للأفعى: حارية لرقتها، وفي الحديث: ما زال جسم أبي بكر يحرى حزناً على رسول الله ـ ﷺ ـ، أي: ينقص لحمه، حتى مات.
(٣) الإجريا: بالقصر والمدّ: الوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه.
(٤) يريد: بني هاشم؛ لأنّ اسمه عمرو.
(٥) ثبج البحر: أي معظمه.
(٦) مخيَّسة: مذلّلة. ويروى «محبسة».
(٧) الخمّ والحفر: اسما بئرين تقدّم الكلام عنهما في بئار قريش.
(٨) الهُجْر: القبيح من الكلام الفاحش.

وهم جمعوا حلف الأحابيش[1] كلّها ... وهم نكّلوا[2] عنّا غُواة بني بكر
فخارجَ، إمّا أهلكنّ، فلا تزلْ ... لهم شاكراً حتى تُغيَّب في القبر
ولا ننسَ ما أسدى ابنُ لُبنَى؛ فإنه ... قد أسدى يداً محقوقة منك بالشكر
وأنت ابنُ لُبنَى من قُصَيٍّ إذا انتموا ... بحيث انتهى قصدُ الفؤاد من الصدر
وأنت تناولتَ العُلا، فجمعتها ... إلى مَحْتدٍ للمجد ذي ثَبَج جَسْر[3]
سبقتَ وفُتَّ القومَ بذْلاً ونائلاً ... وسُدْت وليداً كل ذي سُؤددٍ غَمْر
وأُمُّك سر[4] مِنْ خُزاعة جَوْهَر ... إذا حصَّل الأنسابَ يوماً ذوو الخبر
إلى سبأ الأبطال تُنمى، وتَنْتمي ... فأكْرِمْ بها منسوبةً في ذُرا الزُّهر
أبو شمِر منهم، وعمرو بنُ مالِك ... وذو جَدَن من قومها وأبو الجبْر[5]
وأسعد قاد الناس عشرين حِجَّةً ... يُؤيَّد في تلك المواطن بالنصر[6]

قال ابن هشام: «أمك سرّ من خُزاعة»، يعني: أبا لهب، أمّه: لُبنَى بنت هاجر الخُزاعيّ. وقوله: «بإجْريّا أوائله» عن غير ابن إسحاق.

رثاء مطرود الخُزاعيّ لعبدالمطّلب: قال ابن إسحاق: وقال مطرود بن كعب الخُزاعيّ يبكي عبدَالمطّلب وبني عبدمَناف:

---

(١) الأحابيش: أحياء القارة، انضمّوا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً، وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمّى حبشيا، فسُمّوا بذلك.
(٢) نكّلوا: صرفوا وزجروا.
(٣) الجَسْر: بالفتح. الماضي في أموره القويّ عليها.
(٤) سر: خالصة النسب.
(٥) أبو شمِر، وهو شمِر الذي بنى سمرقند، وأبوه: مالك، يقال له: الأمْلُوك، ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغسّاني والد الحارث بن أبي شمر.
وعمرو بن مالك الذي ذُكر: أحسبه عمراً ذا الأذعار، وقد تقدّم في التبابعة، وهو من ملوك اليمن، وإنّما جعلهم مفخراً لأبي لهب؛ لأنّ أمه خُزاعية من سبأ، والتبابعة كلهم من حِمْيَر بن سبأ.
وأبو جبْر الذي ذكره في هذا الشعر: ملك من ملوك اليمن، ذكر القتبي أنّ سُمَيَّة أم زياد، كانت لأبي جبْر ملك من ملوك اليمن، دفعها إلى الحارث بن كِلْدة المتطبّب في طبِّ طبّه. (الروض ١/٢٠٢).
(٦) أسعد أبو حسّان بن أسعد، وقد تقدّم في التبابعة.

يـا أيهـا الـرجُــلُ المُحَــوِّلُ رَحْلَهُ ... هَــلَّا ســألتَ عن آل عـبــدمَنــافِ
هَبَلَتْـكَ[1] أُمُّـكَ، لـوحَلَلْتَ بـدارهم ... ضَمِنُــوكَ من جُـرمٍ ومن إقــراف[2]
الـخـالـطينَ غـنيـهمُ بـفقيـرهـم ... حتى يعـود فقيـرُهُمْ كـالـكـافي
الـمنـعِمِين إذا الـنجـومُ تـغيَّـرتْ ... والـظاعـنيـن لـرحـلة الإيـلاف
والمنعِمِين إذا الـريـاحُ تـنـاوحت ... حتى تغيبَ الشمسُ في الـرَّجَّـاف[3]
إمَّا هلكْتَ أبـا الفِعـال فمـا جَـرَى ... من فـوق مثلك عِقْـد ذاتِ نِـطاف[4]
إلّا أبيـك أخي الـمكـارمِ وحـدَه ... والفيض مُـطَّلب أبـي الأضيـاف[5]

قال ابن إسحاق: فلما هلك عبدالمطّلب بن هاشم وُلّي زمـزمَ والسقايـةَ عليها بعده العباس بن عبدالمطّلب، وهو يومئذٍ من أحدث إخوتـه سنّاً[6]، فلم تـزل إليه، حتى قـام الإسلام، وهي بيـده. فأقـرّها رسـول الله ـ ﷺ ـ على ما مضى من ولايته، فهي إلى آل العباس، بولاية العباس إيّاها، إلى اليوم.

---

(١) هَبَلَتْك: فقدتك. وهو على جهة الإغراء، لا على جهة الدعاء، كما تقول: تربت يداك.

(٢) أي: منعوك من أن تُنكح بناتك أو أخـواتك من لئيم، فيكـون الابن مقرفاً للؤم أبيه، وكـرم أمه، فيلحقك وصم من ذلك، ونحوٌ من قول مهلهل:

أنـكحَـهـا فـقـدُهـا الأراقـم فـي ... جـنـب، وكـان الـحبـاء مـن أدم

أي: أنكحت لغربتها من غير كفء. (الروض الأنف ١/٢٠٣).

(٣) يعني: البحـر لأنه يـرجف. ومن أسمائـه أيضاً: خضَـارَة، والدأمـاء وأبـو خـالـد. (الـروض ١/٢٠٤).

(٤) النطَف: اللؤلؤ الصافي. ووصيفة منطّفة أي: مقرّطة بتوأمتين والنـطف في غير هـذا: التلطّخ بالعيب، وكلاهما من أصلٍ واحد، وإنْ كانـا في الظاهـر متضادَّين في المعنى؛ لأنّ النـطفة هي الماء القليل، وقد يكونُ الكثيـر، وكأن اللؤلؤ الصـافي أخذ من صفـاء النطفـة. والنطف الـذي هو العيب: أخـذ من نُطفـة الإنسـان، وهي مـاؤه، أي: كـأنـه لـطّخ بهـا. (الـروض ١/٢٠٤).

(٥) والفيض مطلب أبي الأضياف. يريد: أنه كان لأضيافه كالأب. والعرب تقول لكل جواد: أبو الأضياف. كما قال مُرّة بن محكان:

أدْعى أبـاهـم، ولم أقـرِف بـأمّهم ... وقـد عَمِـرْت ولم أعـرف لهم نسبـاً

(الروض ١/٢٠٤).

(٦) يقول السهيلي مما منعه النحويون أن يقال: زيد أفضل اخـوته. وليس بممتنـع، وهو مـوجود في مـواضع كثيـرة من هذا الكتـاب، وغيره، وحسن، لأنّ المعنى: زيـد يَفْضُل إخـوتَـه، أو يفضُلُ قومَه؛ ولذلك ساغ فيه التنكير، وإنما الذي يمتنـع بإجمـاع: إضافـة أفعل إلى التثنيـة مثل أن تقول: هو أكرم أخويه، إلا أن تقول: الأخوين، بغير إضافة. (الروض ١/٢٠٣).

كفالة أبي طالب لرسول الله صلّى الله عليه وسلم

وكان رسول الله - ﷺ - بعد عبدالمطّلب مع عمّه أبي طالب، وكان عبدالمطّلب - فيما يزعمون - يوصي به عمَّه أبا طالب، وذلك لأنّ عبدالله أبا رسول الله - ﷺ - وأبا طالب أَخَوان لأبٍ وأم. أمّهما: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذ بن عِمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وكان أبو طالب هو الذي يلي أمرَ رسول الله - ﷺ - بعد جدّه، فكان إليه ومعه.

اللّهبي العائف: قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، أنّ أباه حدّثه: أنّ رجلاً من لهْب - قال ابن هشام: ولهب: من أزْدشَنُوءة[1] - كان عائفاً، فكان إذا قدِم مكةَ أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم، ويعتاف[2] لهم فيهم. قال: فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع مَن يأتيه فنظر إلى رسول الله - ﷺ - ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: الغلام. عليّ به، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيَّبه عنه، فجعل يقول: ويلكم! ردّوا عليّ الغلام الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكوننّ له شأن. قال: فانطلق أبو طالب.

قصة بَحِيرَى[3]

محمد(ﷺ) يخرج مع عمّه إلى الشام: قال ابن إسحاق: ثم إنّ أبا طالب خرج في ركْبٍ تاجراً إلى الشام، فلما تهيّأ للرحيل، وأجمع المسيرَ

(١) وقال غيره: وهو لهب بن أحجن بن كعب، بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. وهي القبيلة التي تُعرف بالعيافة والزجر. (الروض ١/٢٠٤).

(٢) يعتاف لهم: هو يفتعل من العيف: يقال: عِفْتُ الطير. واعْتَفْتُها عيلفة واعتيافاً: وعِفت الطعام أعافه عَيْفاً. وعافت الطير الماء عيافاً. (الروض ١/٢٠٥).

(٣) الطبقات الكبرى ١/١٢١، أنساب الأشراف ١/٩٦ رقم ١٧٢، تاريخ الطبري ٢/٢٧٧، =

صَبَّ[1] به رسول الله - ﷺ - فيما يزعمون - فرقّ له، وقال: والله لأخرجنّ به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً، أو كما قال. فخرج به معه[2].

بَحِيرَى يحتفي بتجّار قريش: فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهب يقال له: بَحِيرَى[3] في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قطّ راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون - يتوارثونه كابراً عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرَى، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك، فلا يكلّمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون أنّه رأى رسول الله - ﷺ - وهو في صومعته في الرّكْب حين أقبلوا، وغمامة تُظلّه من بين القوم. قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظلّ شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشجرة، وتهصّرت أغصان الشجرة على رسول الله - ﷺ - حتى استظلّ

= الكامل في التاريخ ٢/٣٧، تاريخ دمشق (السيرة) ١ - ٨، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٣٧١، المستدرك للحاكم ٢/٦١٥، سيرة ابن كثير ١/٢٤٦، سنن الترمذي ٩/٢٤٢، نهاية الأرب ١٦/٩٠، السيرة الحلبية ١/١١٤، شرح المواهب ١/١٩٣، عيون الأثر ١/٤٠، الروض الأنف ١/٢٠٧، عيون التواريخ ١/٣٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥، سبل الهدى ٢/١٨٩، السير والمغازي لابن إسحاق ٧٤، الخصائص الكبرى للسيوطي ١/٨٤.

(١) الصبابة: رقّة الشوق، يقال: صَبِبْت - بكسر الباء - أصَب، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ: «أَصَبُّ إليهنّ وأكنْ من الجاهلين» وفي غير رواية أبي بحر: ضبث به رسول الله - ﷺ - أي: لزمه. قال الشاعر:

كأنّ فؤادي في يد ضَبَثَتْ به ... مُحاذرة أن يَقضب الحبل قاضبه

(الروض ١/٢٠٦).

(٢) كان رسول الله - ﷺ - إذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض من ألّف في السِيَر، وقال الطبري: ابن ثنتي عشرة سنة. (الروض ١/٢٠٦).

(٣) وقع في سِيَر الزُّهْري أنّ بَحِيرَى كان حَبْراً من يهود تَيْماء، وفي المسعودي: أنه كان من عبد القيس. واسمه: سَرْجِس، وفي المعارف لابن قُتَيبة، قال: سُمِعَ قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف: ألا إنّ خير أهل الأرض ثلاثة: بَحِيرَى، ورباب بن البراء الشنّي، والثالث: المنتظر، فكان الثالث رسول الله - ﷺ - قال القُتبي: وكان قبر رباب الشني، وقبر ولده من بعده، لا يزال يرى عليها طَش، والطشّ: المطر الضعيف. (الروض ١/٢٠٥، ٢٠٦).

تحتهـا، فلما رأى ذلـك بَحِيرى نـزل من صومعتـه، وقد أمـر بذلـك الـطعـام فصُنع، ثم أرسل إليهم، فقال: إنّي قد صنعت لكُم طعـاماً يـا معشر قـريش، فأنا أحب أن تحضروا كلّكم، صغيركم وكبيـركم، وعبدكم وحُـرّكم، فقال لـه رجل منهم: والله يا بَحِيرَى إنّ لك لشأناً اليـوم! ما كنت تصنـع هذا بنـا، وقد كنّا نمرّ بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟! قـال له بَحِيـرَى: صدقت، قـد كان مـا تقول، ولكنّكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعـاماً، فتـأكلوا منـه كلّكم. فاجتمعـوا إليه وتخلّف رسـول الله ـ ﷺ ـ من بين القوم، لحـداثة سِنّه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بَحِيرَى في القوم لم يـرَ الصفة التي يعـرف ويجد عنـده، فقال: يـامعشـر قـريش! لايتخلفنّ أحـد منكم عن طعـامي، قالـوا له: يـا بَحِيرَى، مـا تخلّف عنك أحـد ينبغي له أن يـأتيك إلاّ غلام، وهو أحدث القوم سنّاً، فتخلّف في رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه، فليحضرْ هذا الطعام معكم. قال: فقال رجـل من قريش مـع القوم: والّـلاتِ والعُزَّى، إن كان للؤم بنا أن يتخلّف ابن عبدالله بن عبدالمطّلب عن طعامٍ من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه، وأجلسه مع القوم.

بَحِيرَى يتثبّت من محمد (ﷺ): فلما رآه بَحِيرَى، جعـل يلحظه لحـظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كـان يجدهـا عنده من صفتـه، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا، قام إليه بَحِيرَى، فقال: يا غـلام، أسألـك بحقّ الّـلات والعُزَّى إلاّ مـا أخبرتني عمّـا أسألـك عنه، وإنمـا قال لـه بَحِيرَى ذلك؛ لأنه سمع قومـه يحلفون بهمـا. فزعمـوا أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قـال: لا تسألني بالّـلات والعُزَّى شيئـاً، فوالله مـا أبغضت شيئاً قطّ بغضهمـا، فقال لـه بَحِيرَى: فبالله إلاّ ما أخبرتني عمّا أسألك عنه، فقال له: سلني عمّا بدا لـك. فجعـل يسألـه عن أشياء من حـاله: من نـومه وهيئتـه وأموره، فجعـل رسـول الله ـ ﷺ ـ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بَحِيرَى من صفته، ثم نظر إلى ظهـره؛ فرأى خاتم النّبوَّة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.[1].

(١) رواه ابن عساكر بسنده الى أحمد بن عبـد الجبار العـطاردي، عن يونس بن بكيـر الشيباني، =

قال ابن هشام: وكان مثل أثر المحجم[1].

بَحِيرَى يوصي أبا طالب بحمد (ﷺ)؛ قال ابن إسحاق: فلما فرغ، أقبل على عمّه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بَحِيرَى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمُّه حُبْلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فواللهِ لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده.

بعضٌ من أهل الكتاب يريدون بمحمد (ﷺ) الشرَّ: فخرج به عمّه أبو طالب سريعاً، حتى أقدمه مكةَ حين فرغ من تجارته بالشام، فزعموا فيما روى الناس: أنّ زُرَيْراً وتَمّاماً ودَريساً ـ وهم نفر من أهل الكتاب ـ قد كانوا رأوا من رسول الله ـ ﷺ ـ مثل ما رآه بَحِيرَى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمّه أبي طالب، فأرادوه، فردّهم عنه بَحِيرَى، وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إنْ أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه، ولم يزل بهم. حتى عرفوا ما قال لهم، وصدّقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه[2].

محمد (ﷺ) يشبّ على مكارم الأخلاق: فشبّ رسول الله ـ ﷺ ـ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقاً، وأكرمهم حَسَباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً،

= عن ابن اسحاق. (تاريخ دمشق ـ السيرة) ٧، ٨، والسير والمغازي ٧٣، وتاريخ الطبري ٢/٢٧٧، ودلائل النبوّة ١/٣٧٣، تاريخ الإسلام ٥٨.

(١) يعني: أثر المحجمة القابضة على اللحم، حتى يكون ناتئاً. وفي الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سُود. وفي صفته أيضاً أنه كان كالتفاحة، وكزر الحجلة. وفي حديث آخر: كان كبيضة الحمامة، وفي حديث عَيَّاذ بن عبد عمرو: قال: رأيت خاتم النبوة، وكان كركبة العنز. (الروض الأنف ١/٢٠٦).

(٢) السير والمغازي ٧٥، ٧٦.

وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنّس الرجال، تنزُّهاً وتكرُّماً، حتى ما اسمه في قومه إلّا الأمين، لِما جمع الله فيه من الأمور الصالحة[1].

رسول الله (ﷺ) يحدّث عن حِفظ الله له: وكان رسول الله - ﷺ - فيما ذُكر لي يحدّث عمّا كان الله يحفظه به في صِغره وأمر جاهليّته، أنه قال:

لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلّنا قد تعرّى، وأخذ إزاره، فجعله على رقبته، يحمل عليه الحجارة، فإنّي لأُقبِل معهم كذلك وأُدْبِر، إذ لَكَمَني لاكم ما أراه، لكمةً وجيعةً، ثم قال: شُدَّ عليك إزارك. قال: فأخذته وشددْتُه عليّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي[2].

حرب الفِجار[3]

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله - ﷺ - أربع عشرة سنة، أو خمس عشرة سنة - فيما حدّثني أبو عبيدة النحْوي، عن أبي عمرو بن العلاء -

---

(١) السير والمغازي ٧٨.

(٢) وهذه القصة إنّما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة، وكان رسول الله - ﷺ - ينقل الحجارة مع قومه إليها، وكانوا يجعلون أُزُرَهم على عواتقهم لتقِيهم الحجارة، وكان رسول الله - ﷺ - يحملها على عاتقه، وإزاره مشدود به، فقال له العباس رضي الله عنه: يا ابن أخي! لو جعلت إزارك على عاتقك، ففعل فسقط مغشيّاً عليه، ثم قال: إزاري إزاري! فشدّ عليه إزاره، وقام يحمل الحجارة، وفي حديث آخر: أنه لما سقط، ضمّه العباس إلى نفسه، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودي من السماء: أن اشدُدْ عليك إزارك يا محمد، قال: وإنه لأول ما نودي، وحديث ابن إسحاق إنْ صح أنه كان في حال صغره إذ كان يلعب مع الغلمان فمحمله أنّ هذا الأمر كان مرتين، مرة في حال صِغره ومرّة في أول اكتهاله عند بنيان الكعبة. (انظر الروض الأنف ص ٢٠٨ - ٢٠٩). وانظر: السير والمغازي لابن إسحاق ٧٩.

(٣) الطبقات الكبرى ١/١٢٦، نهاية الأرب ١٥/٤٢٣، و١٦/٩٣، الروض الأنف ١/٢٠٩، تاريخ الإسلام (السيرة) ٦١، مروج الذهب ٢/٢٧٥، عيون الأثر ١/٤٦، السيرة لابن كثير ١/٢٥٥، عيون التواريخ ١/٣١، سبل الهدى ٢/٢٠٥، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٤٧.

هاجت حرب الفِجار[1] بين قريش ومن معها من كِنانة، وبين قيْس عيْلان.

سببها: وكان الذي هاجها أنَّ عُروة الرَّحَّال بن عُتبة بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن، أجار لَطِيمةً[2] للنُّعمان بن المنذر، فقال له البرَّاض بن قيس، أحد بني ضَمْرة بن بكر بن عبدمَناة بن كِنانة: أتُجيرها على كِنانة؟ قال: نعم، وعلى الخلْق، فخرج فيها عُروة الرَّحّال، وخرج البرّاض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتَيْمنَ ذي طَلَّال بالعالية، غفل عُروة، فوثب عليه البرّاض، فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سُمّي: الفِجَار. وقال البرّاض في ذلك:

وداهيةٍ تُهِمُّ[3] الناسَ قبلي … شددتُ لها - بني بكر - ضُلوعي
هدمت[4] بها بيوتَ بني كلاب … وأرضعت الموالِيَ بالضروع[5]
رفعت له بذي طلَّالَ كفّي … فخرّ يَميد كالجِذع الصّريع[6]

(١) الفِجار بكسر الفاء بمعنى: المُفَاجَرة كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام، ففجروا فيه جميعاً، فسُمّي: الفِجار. (الروض ١/٢٠٩).
فجارات العرب: وكانت للعرب فجارات أربع، ذكرها المسعودي في مروج الذهب ٢/٢٧٥، آخرها: فِجار البراض المذكور في السيرة، وكان لكِنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة: يوم شَمْطة، ويوم العبلاء، وهما عند عُكاظ، ويوم الشَّرب، وهو أعظمها يوماً، وفيه قيَّد حربُ بنُ أُميّة وسفيان وأبو سفيان أبناء أُميّة أنفسَهم كي لا يفرّوا، فسُمُّوا: العنابس، ويوم الحريرة عند نخلة، ويوم الشرب انهزمت قيس إلّا بني نصْر منهم، فإنهم ثبتوا، ولم يقاتل رسول الله - ﷺ - مع أعمامه، وكان ينبل عليهم، وقد كان بلغ سنَّ القتال؛ لأنها كانت حرب فِجار، وكانوا أيضاً كلّهم كُفّاراً، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلّا لتكون كلمة الله هي العليا. (الروض الأنف ١/٢٠٩).
(٢) اللطيمة: عير تحمل البزّ والعطر. (الروض ١/٢٠٩).
(٣) في العقد الفريد «يُهال». وكذا في الأغاني.
(٤) في العقد الفريد «هتكت».
(٥) الضروع. جمع ضرِع، هو في معنى قولهم: لئيم راضع، أي: ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورَضاع الضُّروع، وأظهرت رذالتهم وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم. (الروض ١/٢١٠).
(٦) قول البرّاض: رفعت له بذي طَلَّالَ كفّي. فلم يصرفه، يجوز أن يكون جعله اسم بقعة، فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف، فإن قلت: كان يجب أن يقول: بذات طلال، أي:

وقال لَبيد بن مالك بن جعفر بن كِلاب:

أبـلِغْ - إنْ عـرضت - بـني كـلابٍ ... وعـامـرَ والخُـطُوبُ لهـا مَـوَالي
وبـلغ - إنْ عـرضت - بـني نُـمَيْـر ... وأخـوالَ الـقـتـيـل بـنـي هِـلال
بـأنّ الـوافـد الـرَّحّـال أمـسـى ... مُقيمـاً عنـد تَـيْمَـن ذي طِـلَال[1]

وهذه الأبيات في أبياتٍ له فيما ذكر ابن هشام.

قتال هوازن لقريش: قال ابن هشام؛ فأتى آتٍ قريشاً، فقال: إنّ البرّاض قد قتل عُـرْوة، وهم في الشهر الحرام بعُكاظ، وهوازن لاتشعر، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحَرَم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً، والقوم متساندون، على كل قَبِيل من قريش وكِنانة رئيس منهم، وعلى كلّ قَبيل من قيس رئيس منهم.

الرسول ﷺ يشهد القتال وهو صغير: وشهد رسول الله ﷺ - بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله - ﷺ -: «كنت أُنَبِّل على أعمامي»، أي: أردّ عنهم، نَبْل عدوّهم، إذا رمَوهم بها[2].

= ذات هذا الاسم للمؤنّث، كما قالوا: ذو عمرو أي: صاحب هذا الاسم، ولو كانت أنثى، لقالوا: ذات هند (مثلاً)، فالجواب: أنّ قوله: بذي يجوز أن يكون وصفاً لطريق، أو جانب مُضاف إلى طلال اسم البقعة. وأحسن من هذا كلّه أن يكون طلال اسماً مذكّراً عَلَماً، والأسم العَلَم يجوز ترك صرفه في الشعر كثيراً. ووقع في شعر البرّاض مشدَّداً، وفي شعر لَبِيد الذي بعد هذا مخفّفاً؛ نقول: إنّ لَبِيداً خفّفه للضرورة، ولم نقل: إنه شدّد للضرورة، وإنّ الأصل فيه التخفيف، لأنه فَعال من الطَلّ، كأنه موضع يكثر فيه الطلّ، فطلال بالتخفيف لا معنى له، وأيضاً؛ فإنّا وجدناه في الكلام المنثور مشدّداً. (الروض ١/٢٠٩، ٢١٠) وورد هذا البيت في العقد الفريد ٥/٢٥٤ وفي الأغاني ٢٢/٥٨

جمعت لها يـديّ بـنصْـل سيفٍ ... أفَـلّ فخرّ كـالجِـذْع الصَّـريـع

(١) وقول لبيد: بين تَيْمِن ذي طلال، بكسر الميم وفتحها، ولم يصرفه لوزن الفعل، والتعريف لأنه تَفْعِل، أو تفعل من اليُمْن أو اليمين.

(٢) تاريخ الإسلام (السيرة) ٦١.

سنّ رسول الله ﷺ ـ في هذه الحرب: قال ابن إسحاق: هاجت حرب الفِجار، ورسول الله ـ ﷺ ـ ابن عشرين سنة[1].

سبب تسمية هذا اليوم بالفِجار: وإنّما سُمّي يوم الفِجار، بما استحلّ هذان الحيّان: كِنانة وقيس عيلان فيه من المَحَارِم بينهم.

قائد قريش وكِنانة: وكان قائد قريش وكِنانة حرب بن أُميَّة بن عبد شمس، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كِنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكِنانة على قيس.

قال ابن هشام: وحديث الفِجار أطول مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه قطْعه حديث رسول الله ﷺ[2].

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٢٨.

(٢) وكان آخر أمر الفِجار أنّ هوازن وكِنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للوعد. وكان حرب بن أميّة رئيس قريش وكِنانة، وكان عُتبة بن ربيعة يتيماً في حجْره، فضَنّ به حرب، وأشفق من خروجه معه، فخرج عُتبة بغير إذنه، فلم يشعروا إلاّ وهو على بعيره بين الصَّفين ينادي: يا معشر مُضَر، عَلاَم تقاتلون؟ فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ فقال: الصلح؛ على أن ندفع إليكم دِية قتلاكم، ونعفو عن دمائنا، قالوا: وكيف؟ قال: ندفع إليكم رهناً منّا، قالوا: ومن لنا بهذا؟ قال: أنا. قالوا: ومن أنت؟ قال: عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فرضوا ورضيت كِنانة. ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً، فيهم: حكيم بن حِزام، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم، عفَوْا من الدماء، وأطلقوهم وانقضت حرب الفِجار، وكان يقال: لم يسُدْ من قريش مُمْلق إلاّ عُتبة وأبو طالب، فإنّهما سادا بغير مال. (الروض الأنف ١/٢١١).

حديث تزويج رسول الله صلّى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها[1]

سِنّه - ﷺ - حين زواجه: قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله - ﷺ - خمساً وعشرين سنة[2]، تزوّج خديجة[3] بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى ابن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب، فيما حدّثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المدني.

خروجه (ﷺ) إلى التجارة بمال خديجة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خُوَيلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها،

---

(١) السير والمغازي لابن إسحاق ٨١، أنساب الأشراف ١/٩٧ رقم ١٧٣، الطبقات الكبرى ١/١٣١، تاريخ الطبري ٢/٢٨٠، تاريخ دمشق (السيرة) ١٣٦، نهاية الأرب ١٦/٩٧، السيرة الحلبية ١/١٣٧، شرح المواهب ١/٢٠١، عيون الأثر ١/٤٧، السيرة لابن كثير ١/٢٦٢، تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ٦٣، الكامل في التاريخ ٢/٣٩، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٣، الروض الأنف ١/٢١١، عيون التواريخ ١/٣٧، سبل الهداية ٢/٢٢٢.

(٢) وقيل كان سنّه - ﷺ - إحدى وعشرين سنة، وقيل ثلاثين.

(٣) خديجة بنت خُوَيلد تُسَمّى: الطاهرة في الجاهلية والإسلام، وفي سِيَر التيمي: أنها كانت تُسَمّى: سيّدة نساء قريش. وكانت قبل رسول الله - ﷺ -. عند هند بن زُرارة، وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، ولدت له عبد مَناف بن عتيق، وقال الزبير: ولدت لعتيق جارية اسمها: هند، وولدت لهند: ابناً اسمه: هند أيضاً، مات بالطاعون: طاعون البصرة، ولخديجة من هند ابنان غير هذا، اسم أحدهما: الطاهر، واسم الآخر: هالة. (الروض الأنف ١/٢١٥)

وتضاربهم إيّاه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تِجَاراً، فلما بلغها عن رسول الله - ﷺ - ما بلغها: من صدق حديثه، وعظيم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيرَه من التجّار، مع غلام لها يقال له: مَيْسَرة، فقبِلَه رسول الله - ﷺ - منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها مَيْسَرة، حتى قدِم الشام.

حديثه (ﷺ) مع الراهب: فنزل رسول الله - ﷺ - في ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان. فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلّا نبيّ[1].

ثم باع رسول الله - ﷺ - سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافِلاً إلى مكة، ومع مَيْسَرة، فكان مَيْسَرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجِرة، واشتدّ الحَرّ، يرى مَلَكين يُظِلّانه من الشمس - وهو يسير على بعيره، فلما قدِم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريباً. وحدّثها مَيْسَرة عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إظلال المَلَكين إياه.

خديجة ترغب في الزواج منه (ﷺ): وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله به من كرامته، فلما أخبرها مَيْسَرة بما أخبرها به، بعثت

---

(١) ما نزل تحت هذه الشجرة إلّا نبيّ. يريد: ما نزل تحتها هذه الساعة إلّا نبيّ، ولم يرد: ما نزل تحتها قطّ إلا نبيّ؛ لبُعْد العهد بالأنبياء قبل ذلك، وإن كان في لفظ الخبر: قط، فقد تكلّم بها على جهة التوكيد، والشجرة لا تعمّر في العادة هذا العمر الطويل حتى يُدْرَى أنه لم ينزل تحتها إلّا عيسى، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - ويبعد في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد، حتى يجيء نبيّ، إلّا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث؛ لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - وهي رواية عن غير ابن إسحاق، فالشجرة على هذه مخصوصة بهذه الآية والله أعلم. وهذا الراهب ذكروا أنّ اسمه نسطورا وليس هو بَحِيرا المتقدّم ذكره. (الروض الأنف ١/٢١١، ٢١٢).

إلى رسول الله - ﷺ - فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عَمٍّ، إنّي قد رغبت فيك لقرابتك، وَسِطَتِك[1] في قومك وأمانتك، وحسن خُلقك، وصدْق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذٍ أوسط نساء قريش نَسَباً، وأعظمهنَّ شرفاً، وأكثرهنّ مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه[2].

نسب خديجة رضي الله عنها: وهي خديجة بنت خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهر. وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ بن رَوَاحة بن حَجَر بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأم فاطمة هالة بنت عبد مَناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأمّ

---

(١) السِّطَةُ: من الوسط، مصدر كالعِدة والزِّنة، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل، ولكن في مقامين: في ذكر النَّسب، وفي ذكر الشهادة. أما النسب؛ فلأنّ أوسط القبيلة أعرفها، وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة؛ لأنّ الآباء والأمّهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكان الوسط من أجل هذا مدحاً في النَّسب بهذا السبب. وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه: «قال أوسطهم» وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فكان هذا مدحاً في الشهادة، لأنها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وَسَطاً كالميزان، لا يميل مع أحد، بل يصمّم على الحق تصميماً، لا يجذبه هوى، ولا يميل به رغبة، ولا رهبة، من ها هنا، ولا من ها هنا، فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل. وظنّ كثير من الناس أنّ معنى الأوسط: الأفضل على الاطلاق، وقالوا: معنى الصلاة الوسطى: الفُضْلى، وليس كذلك، بل هو في جميع الأوصاف لا مدح ولا ذمّ، كما يقتضي لفظ التوسّط، فإذا كان وسطاً في السِّمَن، فهي بين المُمِخَّةِ والعجفاء، والوسط في الجمال بين الحسناء والشَّوْهاء، إلى غير ذلك من الأوصاف، لا يعطي مدحاً، ولا ذمّاً، غير أنهم قد قالوا في المثل: أثقل من مُغنّ وسط على الذمّ؛ لأنّ المغنّي إن كان مجيداً جدّاً أمتع وأطرب، وإن كان بارداً جدّاً أضحك وألهى، وذلك أيضاً مما يُمْتِع. قال الجاحظ: وإنما الكرْب الذي يجْثُم على القلوب، ويأخذ بالأنفاس، الغناء الفاتِر الوسط الذي لا يمتع بحسن، ولا يضحك بلهو، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله - ﷺ - هو: أوسط الناس. أي: أفضلهم، ولا يوصف بأنه وسط في العلم، ولا في الجود، ولا في غير ذلك إلا في النسب والشهادة، كما تقدّم، والحمد لله، والله المحمود. (الروض الأنف ٢١٢/٢١٣).

(٢) الخبر في: السير والمغازي ٨١، ٨٢، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٨٠، ٢٨١، وبعضه في تاريخ الإسلام (السيرة) ٦٣، ٦٤.

هـالة: قـلابة بنت سُعَيـد بن سعد بن سهم بن عمـرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

الرسول ﷺ يتزوّج من خديجة بعد استشارة أعمامـه: فلما قـالت ذلك لـرسـول الله - ﷺ - ذكـر ذلـك لأعمــامـه، فخــرج معـه عمّـه حمـزة[1] بن عبدالمطلب - رحمـه الله - حتى دخل على خُـويلد[2] بن أسد فخـطبها إليـه، فتزوّجها.

صَدَاق خديجـة: قال ابن هشـام: وأصدقهـا رسول الله - ﷺ - عشـرين بكْرة، وكانت أول امرأة تزوّجها رسول الله - ﷺ - ولم يتزوّج عليها غيرها حتى ماتت، رضي الله عنها.

أولاده ﷺ من خـديجة: قـال ابن إسحاق: فـولدت لـرسول الله - ﷺ - ولده كلّهم إلاّ إبراهيم: القـاسم، وبه كـان يُكنى ﷺ، والطاهـر، والطّيّب[3]، وزينب، وَرُقيَّة، وأمّ كلثوم، وفاطمة، عليهم السلام.

ترتيب ولادتهم: قال ابن هشـام: أكبر بنيـه: القـاسم، ثم الـطّيّب، ثم

---

(١) ويقال: إنّ أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله - ﷺ - وهو الـذي خطب خـطبة النكـاح، وكان مما قاله في الخطبة: «أما بعد: فإنّ محمداً ممن لا يُـوازَن به فتى من قـريش إلاّ رجح بـه شرفـاً ونُبْلاً وفضـلاً وعقلاً، وإن كـان في المال قـلّ، فإنّمـا المال ظـلّ زائـل، وعـاريـة مُسترجعة، ولـه في خـديجـة بنت خُـويلد رغبـة، ولهـا فيـه مثـل ذلـك». (الـروض الأنف ٢١٣/١).

(٢) وعن ابن عبـاس، وعن عائشـة - رضي الله عنهم كلهم - قال: إنّ عمـرو بن أسد هـو الذي أنكح خديجة رسول الله - ﷺ - وأنّ خُويلداً كان قد هلك قبل الفِجار. (الروض ٢١٣/١).

(٣) الطاهر والطّيّب لقبان للقاسم، سُمّي بالـطّاهر والـطّيب؛ لأنه وُلـد بعد النُّبـوّة، واسمه الـذي سُمّي به أوّلَ هو: عبدالله، وبلغ القاسم المشي، غيـر أنّ رضاعتـه لم تكن كملت وقد وقـع في مسند الفِرْيابي أنّ خديجة دخل عليها رسول الله - ﷺ - بعد موت القـاسم، وهي تبكي: فقالت: يا رسول الله دَرّت لُبَيْنَة القاسم، فلو كان عـاش حتى يستكمل رضـاعة لهـوّن عليّ، فقال: إنّ له مرضعاً في الجنّة تستكمل رضاعته، فقالت: لو أعلم ذلـك لهوّن عليّ، فقـال: إنْ شئت أسمعتـك صوتـه في الجنّـة، فقـالت: بـل أصـدّق الله ورسـولـه. (الـروض الأنف ٢١٤/١).

الطّاهر، وأكبر بناته: رُقَيّة، ثم زينب، ثم أمّ كلثوم، ثم فاطمة.

قال ابن إسحاق: فأمّا القاسم، والطيّب، والطاهر فهلكوا في الجاهلية.

وأما بناته فكلهنّ أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه - ﷺ -.

إبراهيم وأمه: قال ابن هشام: وأما إبراهيم فأمه: مارية القبطية. حدّثنا عبدالله بن وهْب، عن ابن لَهِيعة، قال: أم إبراهيم: مارية سَرِيّة النّبي - ﷺ - التي أهداها إليه المقوقس من حَفْن من كُورَة أنْصِنَا.

ورقة يتنبأ له ﷺ بالنبوّة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خُوَيلد قد ذكرت لورقة[1] بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى - وكان ابن عمّها، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها مَيْسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكان يُظلاّنه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقّاً يا خديجة، إنّ محمداً لنبيّ هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيّ يُنتَظر، هذا زمانه، أو كما قال.

شعر لورقة: فجعل ورقة يستبطيء الأمر ويقول: حتى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لَجِجْتُ وكنت في الذّكرى لَجُوجا ... لِهَمٍّ طالما بعث النشيجا[2]
ووصف من خديجةَ بعدَ وصفٍ ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطنِ المكّتَيْن[3] على رجائي ... حديثك أن أرى منه خُروجا

(۱) وأم ورقة: هند بنت أبي كبير بن عبد بن قُصَيّ، ولا عقب له، وهو أحد من آمن وسلم - قبل البعث. (راجع الروض الأنف ٢١٦، ٢١٧).

(۲) النشيج: البكاء مع صوت.

(۳) ثنّى مكة، وهي واحدة؛ لأنّ لها بِطاحاً وظواهر، على أنّ للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة، وجمْعها، نحو قوله: وميت بغزّات، يريد: بغزّة، وبغادين في بغداد، وأما التثنية فكثير نحو قوله:

بالرقمتين له أجر وأعراس ... والحُمّتين سقاك الله من دار

وقول زهير «ودار لها بالرقمتين» وقول ورقة من هذا: ببطن المكّتَين. لا معنى لإدخال =

بـمـا خَبَّـرْتـنـا مـن قـول قَسّ ... من الـرهبـان أكـره أن يَعُـوجـا
بـأنّ محـمـداً سيـسـود فـيـنـا ... ويخْصِم من يكـون لـه حَجِيجـا
ويـظهـر في البـلاد ضيـاءُ نـور ... يُقيم بـه البـريّـةَ أنْ تَمـوجـا(1)

= الظواهر تحت هذا اللفظ، وقد أضاف إليها البطن، كما أضافه المبرّق حين قال:

ببطن مكة مقهور ومفتون

وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كلّ بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى، وقد قالوا: صدنا بقنوين، وهو هنا اسم جبل، وقال عنترة.

شربَت بماء الدُّحْر ضَيْن

وهو من هذا الباب في أصحّ القولين، وقال عنترة أيضاً:

بعُنَيْزَتَيْن وأهلنا بالعَيْلم

وعُنيزة اسم موضع، وقال الفرزْدق:

عشيّة سال الْمِرْبَدان كلاهما

وإنّما هو مِرْبد البصرة. وقولهم:

تسألني برامَتَين سَلْجَمَا

وإنما هو رامة. وهذا كثير. وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنّة وبستان، فتسمّيها جنّتين في فصيح الكلام، إشعاراً بأنّ لها وجهين، وأنك إذا دخلتها، ونظرت إليها يميناً وشمالاً رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قرّة، وصدرك مسرة، وفي التنزيل: «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية: جنّتان عن يمين وشمال» إلى قوله سبحانه: «وبدّلناهم بجنّتَيْهم جنّتين» وفيه: «جعلنا لأحدهما جنّتين» الآية. وفي آخرها: «ودخل جنّته» فأفرد بعد ما ثنّى، وهي هي، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» والقول في هذه الآية يتّسع. (الروض الأنف ١/٢١٨، ٢١٩) وانظر ج ٢/٢٧٣)، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٨٢ و٨٣.

وفي البيت: حديثك أن أرى منه خروجاً. قوله منه: الهاء راجعة على الحديث، وحرف الجرّ متعلّق بالخروج، وإن كره النحْويون؛ ذلك لأنّ ما كان من صلة المصدر عندهم. فلا يتقدّم عليه؛ لأنّ المصدر مقدّر بأنْ والفِعل، فما يعمل فيه هو من صلة أن، فلا يتقدّم، فمن أطلق القول في هذا الأصل، ولم يخصّص مصدراً من مصدر، فقد أخطأ المَفْصل، وتاه في تضلّل؛ ففي التنزيل: «أكانَ للناس عَجَباً أنْ أوْحَينا إلى رجلٍ منهم» ومعناه: أكان عجباً للناس أنْ أوحينا، ولا بدّ للام ها هنا أن تتعلّق بعجب؛ لأنها ليست في موضع صفة، ولا موضع حال لعدم العامل فيها. (الروض الأنف ١/٢١٨ ـ ٢٢٠).

(١) هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء، وأنّ الضياء هو المنتشر عن النور، وأنّ النور هو الأصل للضوء، ومنه مبدؤه، وعنه يصدر، وفي التنزيل: «فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم». وفيه: «جعل الشمس ضياء، والقمر نوراً» لأنّ نور القمر لا ينتشر عنه من =

فيلقى من يحاربُه خَساراً ... ويَلقى من يسالمه فُلُوجا[1]
فياليتني إذا ما كان ذا كُمُ ... شهِدْت فكنتُ أوَّلَهم وُلوجا
وُلوجاً في الذي كرهَتْ قريشٌ ... ولو عجَّتْ[2] بمكّتها عجيجا
أُرَجِّي بالذي كَرِهوا جميعاً ... إلى ذي العرش إن سفلوا عُرُوجا[3]
وهل أمرُ السَّفالَة غيرُ كفْر ... بمن يخْتار من سَمك البُرُوجا
فإنْ يبقَوا وَأبْقَ تكن أمورٌ ... يضجّ الكافرون لها ضجيجا
وإنْ أهلِكْ فكلّ فتى سَيَلْقَى ... من الأقدار مَتْلَفةً حَرُوجا[4]

حديث بنيان الكعبة وحُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش في وضع الحجر[5]

سبب هذا البنيان: قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله - ﷺ - خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة[6]، وكانوا يهمُّون بذلك، ليسقفوها

= الضياء ما ينتشر من الشمس، ولا سيما في طرفي الشهر. وفي الصحيح: «الصلاة نور، والصبر ضياء» وذلك أنّ الصلاة هي عمود الإسلام، وهي ذكر وقرآن، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصبر عن المنكرات، والصبر على الطاعات هو: الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن، والذكر. وفي أسماء الباري سبحانه «الله نور السموات والأرض» ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه سبحانه. (الروض الأنف ١/٢١٩).

(١) الفلوج: الظهور على الخصم والعدو.

(٢) عجّت: ارتفعت أصواتها.

(٣) العُرُوج: الصعود والعلوّ.

(٤) المتلفة: المهلكة. والحروج: الكثيرة التصرف.

(٥) الطبقات الكبرى ١/١٤٥، السير والمغازي لابن إسحاق ١٠٣، تاريخ الطبري ٢/٢٨٩، أنساب الأشراف ١/٩٩، البدء والتاريخ ٤/٨٤، الكامل في التاريخ ٢/٤٢، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٢، أخبار مكة ١/١٥٧، نهاية الأرب ١٦/٩٩، شرح المواهب ١/٢٠٣، عيون الأثر ١/٥١، السيرة لابن كثير ١/٢٧٠، الروض الأنف ١/٢٢١، عيون التواريخ ١/٣٩، سبل الهدى ٢/٢٢٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ٦٦، مروج الذهب ٢/٢٧٨.

(٦) وكان بناؤها في الدهر خمس مرات. الأولى: حين بناها شيث بن آدم، والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى، والثالثة: حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزُبير بشرارة طارت من أبي قبَيْس، فوقعت في =

ويهابون هدْمها، وإنّما كانت رَضْماً[1] فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أنّ نفراً سرقوا كنزاً للكعبة، وإنّما كان يكون في بئرٍ في جوف الكعبة، وكان الذي وجد عنده الكنز دويكاً مولى لبني مليح بن عمرو من خُزاعة. قال ابن هشام: فقطعت قريش يده. وتزعم قريش أنّ الذين سرقوه وضعوه عند دويك، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدّةَ لرجل من تجّار الروم، فتحطّمت، فأخذوا خشبها فأعدّوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطيّ نجار[2]، فتهيّأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها ما يُهدَى لها كل يوم، فتَتَشَرَّقُ[3] على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَألّت وَكشّت[4]، وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبينا هي ذات يوم تتشرّق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع؛ بعث الله اليها طائراً فاختطفها، فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب،

= أستارها، فاحترقت، وقيل إنّ امرأة أرادت أن تجمّرها، فطارت شرارة من المجمر في أستارها. فلما قام عبدالملك بن مروان، قال: لسنا من تخليط أبي خبيث بشيء، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله - ﷺ - وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر ابن الخطاب، وذلك أنّ الناس ضيّقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر: إنّ الكعبة بيت الله، ولا بدّ للبيت من فناء، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها، وبنى المسجد المحيط بها، ثم كان عثمان، فاشترى دوراً أخرى، وأغلى في ثمنها، وزاد في سعة المسجد، فلما كان ابن الزبير زاد في إتقانه، لا في سَعَته، وجعل فيه عَمَداً من الرخام، وزاد في أبوابه، وحسّنها، فلما كان عبدالملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد، وحمل إليه السواري في البحر إلى جُدة. (الروض الأنف ١/٢٢١، ٢٢٢).

(١) الرضْم: أن تنضّد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال:

رُزِئْتُهم في ساعة جرّعتَهُم ... كؤوس المنايا تحت صخر مُرَضَّمِ

(الروض الأنف ١/٢٢١).

(٢) وذكر غيره أنه كان علْجاً في السفينة التي خَجتها الريح إلى الشُّعَيْبة، وأنّ اسم ذلك النجّار: ياقوم، وكذلك رُوي أيضاً في اسم النجّار الذي عمل منبر رسول الله - ﷺ - من طَرْفاء الغابة، ولعله أن يكون هذا، فالله أعلم. (الروض الأنف ١/٢٢٥).

(٣) تتشرّق: تبرز للشمس.

(٤) احْزَألّت، أي: رفعت ذنبها، وكشّت، أي: صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض. (الروض ٢٥/١).

وقد كفانا الله الحيّة[1].

أبو وهْب ـ خال أبي رسول الله ـ وما حدث له عند بناء الكعبة: فلما أجمعوا أمرهم في هدْمها وبنائها، قام أبو وهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد ابن عِمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذ بن عِمران بن مخزوم. فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه. فقال: يا معشر قريش، لا تُدْخِلوا في بنائها من كسبكم إلّا طيباً، لا يدخل فيها سهر بغيّ، ولا بيع رِبا، ولا مظلمة أحد من الناس. والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبدالله ابن عُمر بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح المكّي أنه حدّث عن عبدالله بن صفوان بن أُميّة بن خلف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ. أنه رأى ابناً لجعدة بن هُبَيرة بن أبي وهْب بن عمرو يطوف بالبيت، فسأل عنه، فقيل: هذا ابن لجعدة بن هُبيرة، فقال عبدالله بن صفوان عند ذلك: جَد هذا، يعني: أبا وهْب الذي أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يا معشر قريش: لا تُدخِلوا في بنائها من كسبكم إلّا طيّباً. لا تُدخِلوا فيها مهر بغيّ، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس[2].

شعر في أبي وهْب: قال ابن اسحاق: وأبو وهْب: خال أبي رسول الله ـ ﷺ ـ وكان شريفاً، وله يقول شاعر من العرب:

ولو بأبي وهْب أنختُ مطيّتي غَدَتْ من نَداه رحْلُها غيرُ خائب[3]

---

(1) الخبر في السير والمغازي ١٠٤، وتاريخ الطبري، ٢/٢٨٧.

(2) الخبر في السير والمغازي ١٠٤، ١٠٥، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٧، ٢٨٨.

(3) ورد الشطر الثاني في السير والمغازي

لرحت وراحت رحلها غير خائب

بِـأبيضَ من فَـرْعَيْ لُؤَيِّ بن غـالب إذا حُصِّلت أنسـابُها في الـذوائب[1]
أبيٌّ لأخْـذِ الضَّيْم يـرتـاح للنَّـدى تـوسَّط جَـدّاه فُـروعَ الأطـايِـب
عـظيم رَمـاد القِـدْر يمـلا جِفـانَـه من الخُبـز يَعْلوهنّ مثـل السبـائب[2]

نصيب قبائل قـريش في تجزئـة الكعبة: ثم إنّ قـريشاً تجـزأت الكعبة، فكان شقّ الباب لبني عبـد مَناف وزُهْـرة، وكان مـا بين الركن الأسـود والرُكن اليَماني لبني مخزوم، وقبائل من قريش انضمّوا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَح وسَهْم، ابني عمرو بن هصيص بن كعب بن لُؤَيّ، وكـان شقُّ الحِجْر لبني عبـد الدار بن قُصَيّ، ولبني أسـد بن عبد العُـزَّى بن قُصَيّ، ولبني عديّ بن كعب بن لُؤَيّ وهو الحطيم[3].

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة: ثم إنّ الناس هابـوا هدْمهـا وفَرِقُـوا منه. فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدْمهـا، فأخـذ المِعْوَل، ثم قـام عليها، وهو يقول: اللهم لم تُرَعْ[4] ـ قـال ابن هشام: ويقـال: لم نزغ ـ اللهم إنّا لا نريد إلاّ الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتـربّص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننـظر، فإنْ أصيب لم نهـدم منها شيئـاً ورددناهـا كما كـانت، وإنْ لم يصبه شيء، فقد رضي الله صُنْعَنـا، فهدمنـا!! فأصبـح الوليـد من ليلته غـادياً على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدْم بهم إلى الأساس: أساس إبراهيم عليهم السلام أفْضَوْا إلى حجارة خُضْر كالأسنمة[5] آخذ بعضها

---

(١) الذوائب: الأعالي، وأراد بها الأنساب الكريمة.

(٢) السبائب: جمع سبيبة، وهي ثياب رقاق بيض، فشبّه الشحم الذي يعلو الجفان بها.

(٣) أنظر: السير والمغازي ١٠٥، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٨، والطبقات ١/١٤٦ أما عن الحـطيم فانظر: شفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٣١٨، ٣١٩.

(٤) اللهم لم تُرَعْ، وهي كلمة تقال عند تسكين الرَّوع، وإظهار اللين والبـرّ في القول، ولا روع في هذا الموطن فيُنْفى، ولكنّ الكلمة تقتضي إظهار قصـد البرّ؛ فلذلـك تكلّموا بهـا، وعلى هذا يجوز التكلّم بها في الإسلام، وإن كان فيها ذِكر الروع الـذي هو محـال في حقّ الباري تعالى، ولكنْ لما كان المقصود ما ذكرنا، جاز النطق بها. (الروض الأنف ١/٢٢٥).

(٥) وليست هذه رواية السيرة الأصلية: إنّمـا الصحيح في الكتـاب: كالأسنة وهو وهم من بعض=

بعضاً[1].

امتناع قريش عن هدْم الأساس وسببه: قال ابن إسحاق: فحدّثني بعض من يروي الحديث: أنّ رجلًا من قريش، ممن كان يهدمها، أدخل عَتَلَةً بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرّك الحجر تنقضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس[2].

الكتاب الذي وُجد في الركن: قال ابن إسحاق: وحُدِّثْت أنّ قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية، فلم يدروا ما هو، حتى قرأه لهم رجل من يهود، فإذا هو: «أنا الله ذو بكّة، خلقتها يومَ خلقْت السموات والأرض، وصوّرت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، لا تزول حتى يزول أخشباها، مبارك لأهلها في الماء واللبن[3]».

قال ابن هشام: أخشباها: جبلاها[4].

الكتاب الذي وُجد في المقام: قال ابن إسحاق: وحُدِّثْتُ أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه: «مكّة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سُبُل، لا

= النَّقلة عن ابن إسحاق والله أعلم؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره، وقد ذكر البخاري في بنيان الكعبة هذا الخبر، فقال فيه عن يزيد بن رُومان: فنظرت إليها، فإذا هي كأسنِمة الإبل، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلاّ في الزُّرقة، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى، لعظَمها. (الروض الأنف ١/٢٢٨، ٢٢٩).

(١) الخبر في السير والمغازي ١٠٥، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٨، ٢٨٩، وانظر الطبقات الكبرى ١/١٤٥.

(٢) السير والمغازي ١٠٥، تاريخ الطبري ٢/٢٨٩.

(٣) روى مَعْمَر بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال: بلغني أنّ قريشاً حين بَنَوْا الكعبة، وجدوا فيها حجراً، وفيه ثلاثة صُفُوح، في الصفح الأول: أنا الله ذو بكّة صُغْتها يوم صغت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحاق، وفي الصفح الثاني: أنا الله ذو بكّة، خلقت الرَّحِم، واشتققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بَتَتُّه، وفي الصفح الثالث: أنا الله ذو بكّة، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن كان الخير على يديه، وويل لمن كان الشرّ على يديه. (الروض الأنف ١/٢٢٧) والخبر في السير والمغازي ١٠٦.

(٤) الأخشبان: هما أبو قُبيس والجبل الأحمر، على ما ذكر الأزرقي. (أخبار مكة ٢/٢٦٦، شفاء الغرام ١/٢٨).

يُحلّها أوّلُ مِنْ أهلها[1]».

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة: قال ابن إسحاق: وزعم ليث بن أبي سُلَيم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مبعث النّبيّ ﷺ بأربعين سنة ـ إنْ كان ما ذكر حقّاً ـ مكتوباً فيه: «من يزرع خيراً، يحصد غبطة، ومن يزرع شرّاً، يحصد ندامة، تعملون السّيّئات، وتُجْزَوْن الحسنات؟! أجل، كما لا يُجتَنَى من الشوك العنب».

الاختلاف بين قريش في وضع الحجر: قال ابن إسحاق: ثم إنّ القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حِدة، ثم بنوْها، حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاورو[2] وتحالفوا؛ وأعدّوا للقتال.

لَعَقة الدم: فقرّبت بنو عبدالدّار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسُمُّوا: لَعَقَة الدم، فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، وتشاوروا وتناصفوا.

أبو أميّة بن المغيرة يجد حلاًّ: فزعم بعض أهل الرواية: أنّ أبا أميّة ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذٍ أسنّ قريش كلّها، قال: يا معشر قريش! اجعلوا بينكم ـ فيما تختلفون فيه ـ أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا.

الرسول ﷺ يضع الحجر: فكان أول داخل عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ

---

(١) لا يُحِلها أولُ من أهلها، يريد ـ والله أعلم ـ ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير، وحُصَيْنِ بن نُمَيْر، ثم الحَجّاج بعده، ولذلك قال ابن أبي ربيعة:

ألا مَن لقلبٍ مُعَنى غَزِلْ ... بحبِّ المُحِلَّة أخت المُحِلّ

يعني بالمحلّ: عبدالله بن الزبير؛ لقتاله في الحَرَم. (الروض الأنف ١/٢٢٧) والخبر في السير والمغازي ١٠٦.

(٢) في السير والمغازي ١٠٧ «تحازبوا»، وفي تاريخ الطبري ٢/٢٨٩ «تحاوزوا».

فلما رأوْه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال - ﷺ: هَلُمَّ إليَّ ثوباً، فأُتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال؛ لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه[1].

وكانت قريش تُسمّي رسولَ الله - ﷺ - قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين.

شعر الزُبير في الحيّة التي كانت تمنع قريش من بنيان الكعبة: فلما فرغوا من البنيان، وبنَوْها على ما أرادوا، قال الزُبير بن عبدالمُطلب، فيما كان من أمر الحيّة التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

عجبت لما تَصَوَّبَتِ العُقَاب ... إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كَشِيش ... وأحياناً يكون لها وِثاب
إذا قمنا إلى التأسيس[2] شدت ... تهيّبنا البناء وقد تُهاب
فلما أنْ خشينا الرِّجز جاءت ... عقاب تَتْلَئِبُّ[3] لها انصباب[4]
فضمّتها إليها ثم خلَّتْ ... لنا البُنْيان ليس لها حِجاب
فقُمنا حاشِدين إلى[5] بناءٍ ... لنا منه القواعد والتُراب

---

(١) وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجْديّ، وأنه صاح بأعلى صوْته: يا معشر قريش: أرضيتم أن يضع هذا الركن - وهو شرفكم - غلام يتيم دون ذوي أسنانكم؟ فكان يثير شراً فيما بينهم، ثم سكّنوا ذلك.

وأما وضع الركن حين بُنِيت الكعبة في أيام الزُبير، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبدالله بن الزُبير، وأبوه يصلّي بالناس في المسجد، اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحسّ منهم التنافس في ذلك، وخاف الخلاف، فأقرّه أبوه. (الروض الأنف ١/٢٢٨)، والخبر في: السير والمغازي ١٠٧ - ١٠٩، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) في السير والمغازي «البنيان».

(٣) تتلئب، يقال: اتلأب على طريقه إذا لم يعرّج يمنة ويسرة، وكأنه منحوت من أصلين، من تلا، إذا تبع، وألب: إذا أقام.

(٤) في السير والمغازي ورد هذا الشطر:

عقاب قد يظل لها الضباب

(٥) في السير «على».

غـداةَ نُـرَفِّـع التـأسيس مـنــه ... وليس على مُسَـوِّينـا[1] ثيـاب[2]

أعـزّ بـه الـمليـك بـنـي لُـؤَيٍّ ... فـليس لأصـلـه مـنـهـم ذهـاب

وقـد حشـدت هنـاك بنـو عـديّ ... ومُـرَّة قـد تـقـدّمـهـا كِـلاب

فَبـوّأنـا المـليـك بــذاك عـزّاً ... وعـنـد الله يُـلتـمـس الـثـواب

قال ابن هشام: ويُروَى:

وليس على مَساوِينا ثياب[3]

ارتفاع الكعبة وكسوتها: وكانت الكعبة على عهد رسول الله - ﷺ - ثماني عشرة ذراعاً، وكانت تُكسى القباطي، ثم كُسِيت البرود، وأول من كساها الديباج: الحَجّاج بن يوسف[4].

حديث الحُمْس

قريش تبتدع الحُمْس: قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش - لا أدري أَقَبْل الفيل أم بعده - ابتدعت رأي الحُمْس[5] رأياً رأوه وأداروه، فقالوا: نحن بني إبراهيم، وأهل الحُرمة، ووُلاة البيت، وقطّان مكة وساكنها، فليس لأحدٍ من العرب مثل حقّنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا،

(١) في السير «مساوينا».

(٢) أي: مُسَوّى البنيان. وهو في معنى الحديث الصحيح في نقلانهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عُراة، ويرون ذلك دِيناً، وأنه من باب التشهير والجدّ في الطاعة. (الروض الأنف ١/ ٢٢٩).

(٣) وقول ابن هشام: ويروى: على مساوينا، يريد: السوءات، فهو جمع مساءة، مفعلة من السُّوءة والأصل مساويء، فسُهّلت الهمزة. (الروض ١/ ٢٢٩).

(٤) انظر: أخبار مكة ١/ ٢٥٣، ٢٥٤، شفاء الغرام ١/ ١٩٤، ١٩٥.

(٥) والتحمّس: التشدّد، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهّد والتألّه، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر، وكانوا لا يَسْلَئُون السمن، وسلأ السمن أن يُطْبخ الزبد، حتى يصير سمناً، قال أبرهة:

إنّ لـنـا صـرْمَـةً مُـخَـيَّـسَـة ... نـشـرب ألـبـانـهـا ونـسـلـؤهـا

(الروض الأنف ١/ ٢٢٩) وانظر: شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/ ٦٨ - ٧٠.

فـلا تعظّمـوا شيئـاً من الحـل كمـا تعـظّمـون الحـرم، فـإنّكم إن فعلتم ذلـك استخفّت العرب بحُرْمتكم، وقالوا: قـد عظّمـوا من الحلّ مثـل ما عـظّموا من الحرم. فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يعـرفون ويقـرّون أنها من المشاعر والحجّ ودين إبراهيم - ﷺ - ويَروْن لسائر العرب أن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغي لنـا أن نخرج من الحُـرمة، ولا نعظّم غيرها، كما نعظّمها نحن الحُمْس، والحُمس: أهـل الحرم، ثم جعلوا لمن وَلـدوا من العربَ من سـاكن الحِـلّ والحـرم مثـل الـذي لهم، بـولادتهم إياهم، يحلّ لهم ما يحلّ لهم، ويحرّم عليهم ما يحرّم عليهم.

القبائل التي آمنت مع قريش بالحُمس: وكانت كِنانة وخُزاعة قـد دخلوا معهم في ذلك.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة النحْوي: أنّ بني عامر بن صعصعـة ابن معاوية بن بكـر بن هوازن دخلوا معهم في ذلـك، وأنشـدني لعمـرو بن معد يكرِب:

أعبّـاسُ لـو كـانت شِيـاراً جِيـادُنـا ... بتثليث ما ناصَيْتَ[1] بعدي الأحامسا

قال ابن هشام: تثليث: موضع من بـلادهم. والشِيار: الحِسـان. يعني بالإحساس: بني عامر بن صعصعـة. وبعباس: عبـاس بن مرداس السُّلَمِي، وكان أغار على بني زُبَيد بتثليث. وهذا البيت في قصيدة لعمرو.

وأنشدني للقيط بن زُرَارة الدَّارِمي في يوم جَبَلَة[2]:

---

(١) ناصيت: أخذت بناصيتهم ونازعتهم. ومنه حديث عائشة: لم تكن واحدة من نساء النبيّ ﷺ تناصيني غير زينب أي تنازعني وتباريني.

(٢) وجَبَلَة هضبة عالية، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم، وكان معهم في ذلك اليـوم رئيس نجران، وهو ابن الجَوْنِ الكِنْدي، وأخ للنعمـان بن المنذر، اسمـه: حسّان بن وبْـرة، وهو أخو النعمان لأمّه، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله - ﷺ - (الروض الأنف ١/ ٢٣٠).

أَجْـذِمْ[1] إلـيـك إنهـا بـنــو عَبْس المَعْشَــرُ الحِلَّةُ في القــوم الحمس

لأنّ بني عبْس كانوا يوم جَبلة حلفاء في بني عامر بن صعصعة.

يوم جبلة: ويوم جبلة: يوم كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مَناة ابن تميم، وبين بني عـامر بن صعصعـة، فكـان الـظفـر فيـه لبني عـامـر بن صعصعـة على بني حنظلة، وقُتـل يـومئـذ لقيط بن زُرارة بن عُـدُس، وأسـر حـاجب بن زُرارة بن عُدُس[2]، وانهـزم عمرو بن عمـرو بن عدس بن زيـد ابن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة. ففيه يقول جرير للفرزدق:

كـأنـك لم تشهــد لقيـطاً وحــاجبـاً وعمرو بن عمرو إذ دعوْا: يا لَدَارمِ[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

يوم ذي نَجَب: ثم التقوا يـوم ذي نَجَب فكان الـظفر لحنـظلة علي بني عامر، وقتل يومئذ حسّان بن معاوية الكِنْدي، وهو أبو كَبْشة. وأسـر يزيـد بن الصَّعِق الكلابيّ، وانهزم الطُّفَيل بن مـالك بن جعفـر بن كِلاب، أبـو عامـر ابن الطفيل. ففيه يقول الفرزدق:

ومنهنّ إذ نجَّى طُفَيــل بن مــالــك على قُـرْزُل[4] رَجْلا ركـوضَ الهزائم

---

(١) أجْـذِمَ: زَجْرٌ معـروف للخيـل وكـذلـك: أرحب، وهب، وهِقِطْ، وهِقَط وهقَبْ. (الـروض ١/٢٣٠).

(٢) هو: عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة، فإنه كان يفتح الدال منه، وكل عدس في العرب سواه فإنه مفتوح الدال. (الروض ١/٢٣١).

(٣) العقد الفريد ٥/١٤٣.

(٤) قُرْزُل: اسم فرسه، وكان طُفيل يسمّى: فارس قُرْزُل، وقُرْزُل: القيد سُمّي الفَرَس به، كأنـه يقيّد ما يسابقه، كما قال امرؤ القيس:

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(الـروض الأنف ١/٢٣٢) وقـد ورد هـذا البيت في معجم البلدان ٥/٢٦١ منسـوبـاً إلى «سُحَيم بن وُثَيل الرياحي»، على هذا النحو:

ونحن ضـربنـا هــامـة ابن خـويلد يــزيـدَ وضَــرّجنـا عُبيــدة بـالــدّم

ونحن ضـربنـا هــامـةَ ابن خُــوَيْلد نــزيـد على أمّ الفِــراخ الجـواثم(1)

وهذان البيتان في قصيدة له:

فقال جرير:

ونحن خَضبْنــا لابن كَبْشـة تــاجَــه ولاقى امرءاً في ضمَّة الخيل مِصْقَعا(2)

وهذا البيت في قصيدة له.

وحديث يوم جَبَلة، ويـوم ذي نَجَب أطول ممـا ذكرنـا. وإنّما منعني من استقصائه ما ذكرتُ في حديث يوم الفِجار.

مـا زادته قـريش في الحُمْس: **قال ابن إسحـاق:** ثم ابتدعـوا في ذلـك أمـوراً لم تكن لهم، حتى قـالـوا: لا ينبغي للحُمْس أن يَـأْتَقِطـوا الأقِطَ، ولـم يَسْلَئوا السمن وهم حُرُم، ولا يدخلوا بيتاً من شَعَرٍ، ولا يستظلّوا ـ إن استـظلّوا ـ إلاّ في بيوت الأدم ما كانوا ثم رفعوا في ذلك، فقالوا: لا ينبغي لأهـل الحِلّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحِـلّ إلى الحَرَم إذا جـاءوا حُجّاجـاً أو عُمّاراً، ولا يطوفوا بالبيت إذا قـدِموا أول طـوافهم إلاّ في ثياب الحُمس. فـإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراة.

اللقى عند الحُمْس؛ فإن تكرّم منهم متكرّم من رجل أو امرأة، ولم يجد ثياب الحُمْس؛ فطاف في ثيـابه التي جـاء بها من الحِـلّ، ألقاهـا إذا فرغ من طوافه، ثم لم يُنتفع بها، ولم يمسّها هو، ولا أحد غيره أبداً.

---

(1) على أم الفراخ الجواثم. يعني: الهـامة، وهي البُـوم، وكانـوا يعتقدون أن الـرجل إذا قُتـل خـرجت من رأسـه هـامـة تصيح: اسقـوني اسقـوني، حتى يؤخذ بثـأره. قـال ذو الإصبع العدواني:

أَضْرِبْكَ حتى تقول الهامة: اسقوني

(الروض ١/٢٣٣).

(2) المعـروف في اللغة أن ـ المِصقَـع: الخطيب البليـغ، وليس هـذا مـوضعـه، لكن يقـال في اللغة: صقعه: إذا ضربه على شيء مصمت يابس، قاله الأصمعيّ. (الروض ١/٢٣٣).

وكـانت العـرب تُسمّي تلك الثيـاب: اللَّقى[1]، فحمـلوا على ذلـك العرب. فدانت به، ووقفوا على عرفات، وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عُراة، أما الرجـال فيطوفـون عُراة. وأمـا النساء فتضـع إحداهنّ ثيـابها كلَّهـا إلاّ دِرْعاً مُفَرَّجاً عليها[2]، ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب[3]، وهي كذلك تـطوف بالبيت:

اليـوم يبـدو بَعْضُـهُ، أو كـلّهُ ... ومـا بـدا منـه فـلا أحِـلّه

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلّ ألقاها، فلم ينتفـع بها هو ولا غيره. فقال قائل من العرب يذكّر شيئاً تركه من ثيابه، فلا يقربه ـ وهـو يحبّه:

كفى حَـزَنـاً كَـرِّي عليها كـأنّهـا ... لَقىً بين أَيْـدي الـطائفيـن حَـريمُ

يقول: لا تُمَسّ[4].

الإسـلام يبطل عـادات الحُمْس: فكانـوا كـذلـك حتى بعث الله تعـالى محمداً ـ ﷺ ـ فأنـزل عليه حين أحكم لـه دينه، وشـرع له سُنَن حجّـه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّـاسُ وَاسْتَغْفِرُوا ٱللهَ. إِنَّ ٱللهَ غَفُـورٌ رَحِيمٌ﴾[5] يعني

---

(١) اللقى: الشيء الملقى المطروح.

(٢) المفرَّج: المشقوق من قدّام أو خلف.

(٣) هذه المرأة هي: ضُباعة بنت عامر بن صعصعة، ثم من بني سَلَمَة بن قشيْر.
وذكـر محمد بن حبيب أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ خطبهـا، فذكـرت له عنهـا كبرة، فتـركها، فقيل: إنها ماتت كمداً وحُزناً على ذلك. قال ابن حبيب: إنْ كان صحّ هذا، فما أخّرها عن أن تكون أماً للمؤمنين، وزوجـاً لرسـول رب العالمين إلاّ قـولها: اليـوم يبدو بعضـه أو كلّه. تَكرِمةً من الله لنبيّه وعِلماً منه بغَيْرته، والله أغير منه. (الروض الأنف ١/٢٣٢).

(٤) ومن اللَّقَى: حديث فاختة أم حكيم بن حِزام، وكانت دخلت الكعبة وهي حـامل متِم بحكِيم ابن حزام، فأجاءها المخـاض، فلم تستطع الخـروج من الكعبة، فـوضعته فيهـا، فلفت في الأنطاع هي وجنينها، وطرح مثبرها وثيابتها التي كانت عليها، فجعلت لَقَى لا تُقرب.
ولم يـذكر الـطلْسَ من العرب، وهم صنف ثـالث غير الحلة والحُمْس، كـانوا يـأتون من أقصى اليمن طلْساً من الغبار، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلْس، فسموا بذلك. ذكره محمد بن حبيب. (الروض الأنف ١/٢٣١).

(٥) سورة البقرة ـ الآية ١٩٩.

قريشاً، والناس: العرب، فرفعهم في سنة الحجّ إلى عرفات، والوقوف عليها والإفاضة منها.

وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرَّموا على الناس من طعامهم ولُبوسهم عند البيت. حين طافوا عُراة، وحرّموا ما جاءوا به من الحِلّ من الطعام:[1] ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا. إِنَّهُ لا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ. قُلْ: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ. قُلْ: هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ. كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[2]﴾. فوضع الله تعالى أمر الحُمْس ـ وما كانت قريش ابتدعت منه ـ عن الناس بالإسلام، حيث بعث الله به رسوله ﷺ.

الرسول ﷺ يخالف الحُمْس قبل الرسالة: قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم، عن عثمان بن أبي سليمان بن جُبير بن مُطْعِم، عن عمّه نافع بن جُبَيْر، عن أبيه جُبير بن مطعِم. قال: لقد رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ قبل أن ينزل عليه الوحي، وإنه لواقف على بعيرٍ له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقاً من الله له، ﷺ تسليماً كثيراً[3].

إخبار الكُهان من العرب، والأحبار من يهود والرُّهبان من النّصارَى

الكُهّان والأحبار والرُّهبان يتحدّثون بمبعثه: قال ابن إسحاق: وكانت

(١) سورة الأعراف ـ الآيتان ٣١ و٣٢.

(٢) قوله: وكلوا واشربوا إشارة إلى ما كانت الحُمس حرّمته من طعام الحجّ إلا طعام الحُمس، وخذوا زينتكم: يعني اللباس، ولا تتعرّوا، ولذلك افتتح بقوله؛ يا بني آدم، بعد أن قصّ خبر آدم وزوجه، إذ يخصفان عليهما من ورق الجنة، أي: إن كنتم تحتجّون بأنه دين آبائكم، فآدم أبوكم، ودينه: ستر العورة. (الروض الأنف ١/٢٣٣).

(٣) حتى لا يفوته ثواب الحج، والوقوف بعرفة. قال جبير بن مُطْعِم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس: هذا رجل أحمس، فما باله لا يقف مع الحُمْس حين يقفون؟! (الروض ١/٢٣٤).

الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكُهّان من العرب، قد تحدّثوا بأمر رسول الله - ﷺ - قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه.

أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعَمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. وأما الكُهّان من العرب: فأتتهم به الشياطين من الجنّ فيما تسترق من السمع إذ كانت هي لا تُحجَب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره، لا تُلْقي العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون؛ فعرفوها.

قذف الجنّ بالشُهُب دلالةً على مبعثه ﷺ: فلما تقارب أمر رسول الله - ﷺ - وحضر مبعثه. حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فَرُمُوا بالنجوم، فعرفت الجنّ أنّ ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد[1]. يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه محمد - ﷺ - حين بعثه، وهو يقصّ عليه خبر الجنّ إذ حجبوا عن السمع، فعرفوا ما عرفوا، وما أنكروا من ذلك حين رأوْا ما رأوْا: **﴿قُلْ: أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلجِنِّ[2]. فَقَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَىٰ ٱلرُّشْدِ، فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا؛ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً. وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَىٰ ٱللهِ شَطَطاً، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ ٱلإِنْسُ وَٱلجِنُّ عَلَىٰ ٱللهِ كَذِباً. وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلجِنِّ،**

---

(١) رُوي في مأثور الأخبار أنّ إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى، فلما بُعث عيسى، أو وُلد، حُجب عن ثلاث سموات، فلما ولد محمد حُجب عنها كلّها، وقذفت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش حين كثُر القذف بالنجوم: قامت الساعة، فقال عُتبة بن ربيعة: انظروا إلى العيّوق فإنْ كان رمى به، فقد آن قيام الساعة، وإلاّ فلا، وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر. (الروض الأنف ١/٢٣٤).

(٢) وفي الحديث أنهم كانوا من جنّ نَصيبين. وفي التفسير أنهم كانوا يهوداً؛ ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا من بعد عيسى، ذكره ابن سلام، وكانوا سبعة، قد ذُكروا بأسمائهم في التفاسير والمسندات، وهم: شاصر، وماصر، ومنشى، ولاشى، والأحقاب، وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن درَيد. وسرق وعمرو. (الروض الأنف ١/٢٣٦)

فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾. . إلى قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً. وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾[1].

فلما سمعت الجنّ القرآن عرفت أنّها إنّما مُنعت من السمع قبل ذلك، لئلا يُشْكل الوحي بشيءٍ من خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوقوع الحجّة، وقطع الشبهة[2]. فآمنوا وصدّقوا، ثم: ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]. . الآية.

وكان قول الجنّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ، فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾[4]. أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر فنَزَل بطن وادٍ من الأرض ليبيت فيه، قال: إنّي أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجنّ الليلة من شرّ ما فيه.

قال ابن هشام: الرَّهَق: الطُّغْيان والسَّفَه. قال رؤبة بن العجّاج[5].

---

(١) سورة الجنّ ـ الآيات ١ ـ ١٠.

(٢) الذي يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم ـ وجد بظهور الإسلام، لكنّ القذف بالنجوم قد كان قديماً، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية. منهم: عوف بن الجزْع، وأوس بن حجر، وبشر بن أبي خازم، وكلّهم جاهليّ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مُشْكل ابن قُتَيبة في تفسير سورة الجنّ، وذكر عبدالرزاق في تفسيره، عن مَعْمَر، عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم: أكان في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنّه إذ جاء الإسلام غُلِّظَ وشُدِّد، وفي قول الله سبحانه: «وأنّا لمسنا السماء فوجدناها مُلِئَت حرساً شديداً وشهباً» ولم يقل: حُرست دليل على أنه قد كان منه شيء، فلما بعث رسول الله ـ ﷺ ـ ملئت حرساً شديداً وشُهباً، وذلك لينحسم أمر الشياطين، وتخليطهم، ولتكون الآية أبيَن، والحجّة أقطع. (الروض الأنف ١/٢٣٤، ٢٣٥)

(٣) سورة الأحقاف ـ الآيتان ٢٩ و ٣٠.

(٤) سورة الجن ـ الآية ٦.

(٥) هو أبو الجّحاف ويقال أبو العَجاج التميمي الراجز المشهور، من أعراب البصرة، مخضرم. توفي سنة ١٤٥ هـ. وكان لغويّاً علاّمة. أنظر عنه في: الأغاني ٢٠/٣٤٥، معجم الأدباء ١١/١٤٩ رقم ٤٠، الشعر والشعراء ٣٧٦، تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٣١، وفيات الأعيان ٢/٦٣ رقم ٢٢٤، الوافي بالوفيات ١٤/١٤٧ رقم ١٩٧، خزانة الأدب ١/٩١.

إذ تَسْتَبي الهيّامة المُرَهَّقا

وهـذا البيت في أُرجوزة لـه. والرهق أيضـاً: طلبك الشيء حتى تـدنـو منه، فتأخذه، أو لا تأخذه. قال رؤبة بن العجّاج يصف حمير وحش:

بصْبَصْن واقْشَعرَرْن من خوف الرّهقْ

وهذا البيت في أرجوزةٍ له. والرهق أيضاً: مصدر لقول الرجل: رَهِقت الإثم أو العُسرَ الذي أُرهقتني رهقاً شديداً، أي: حملت الإثم أو العسر الـذي حملتني حملاً شديـداً، وفي كتاب الله تعـالى: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُـرْهِقَهُمَا طُغْيَـاناً وَكُفْراً﴾[1] وقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾[2].

ثقيف أول من فزعت برمي الجنّ: قـال ابن إسحاق: وحـدّثني يعقوب ابن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدّث أنّ أول العرب فزع للرمي بالنجوم - حين رُمي بها - هذا الحيّ من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أُميّة أحد بني عِلاج - قال؛ وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً - فقـالوا له؛ يا عمرو: ألم تر ما حدث في السماء من القذْف بهذه النجوم. قال: بلى فانظروا، فإنْ كانت معالم النجوم التي يُهتَدى بها في البرّ والبحر، وتعـرف بها الأنـواء من الصيف والشتاء لمـا يُصلح الناس في معـايشهم، هي التي يـرمى بها، فهو والله طيّ الدنيا، وهـلاك هذا الخلق الـذي فيها، وإن كـانت نجومـاً غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق، فما هو[3]؟

الـرسول يسـأل الأنصار عن قـولهم في رجم الجنّ بالشُهُب وتـوضيحه للأمر: قـال ابن إسحاق: وذكـر محمد بن مسلم بن شهـاب الزُهْـري، عن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن عبدالله بن العبـاس، عن نفر

---

(١) سورة الكهف - الآية ٨٠.

(٢) سورة الكهف - الآية ٧٣.

(٣) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لهْب عند فزعهم للرمي بالنجوم، فاجتمعوا إلى كـاهن لهم يقال له: خطر، فبيّن لهم الخبر، وما حدث من أمر النبوّة.

من الأنصار: أنَّ رسول الله ﷺ، قال لهم: «ماذا كنتم تقولون في هذا النجم الذي يُرمى به قالوا: يا نبيّ الله كنّا نقول حين رأيناها يرمى بها: مات مَلِك، مُلك مَلكٌ، ولد مولود، مات مولود، فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك كذلك، ولكنّ الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خلْقه أمراً سمعه حَمَلَةُ العرش، فسبّحوا، فسبّح مَن تحتهم، فسبّح لتسبيحهم من تحت ذلك، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فيسبّحوا ثم يقول بعضهم لبعض: ممّ سبّحتم؟ فيقولون: سبّح من فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم، فيقولون: ألا تسألون من فوقكم: ممّ سبحوا؟ فيقولون مثل ذلك، حتى ينتهوا إلى حَمَلَة العرش، فيقال لهم: ممّ سبّحتم؟ فيقولون: قضى الله في خلْقه كذا وكذا، للأمر الذي كان، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فيتحدّثوا به، فتسترقه الشياطين بالسمع، على توهُّم واختلاف، ثم يأتوا به الكُهّان من أهل الأرض فيحدّثوهم به فيخطئون ويصيبون، فيتحدّث به الكُهّان فيصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً، ثم إنّ الله عزّ وجلّ حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها، فانقطعت الكهانة اليوم، فلا كهانة[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن أبي جعفر، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي لبيبة، عن عليّ بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، بمثل حديث ابن شهاب عنه.

الغَيْطَلَة وصاحبها: قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ امرأة من بني سهم يقال لها الغَيْطَلَة كانت كاهنة في الجاهلية، فلما جاءها

(١) والذي انقطع اليوم، وإلى يوم القيامة، أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهلاء، وعند تمكّنها من سماع أخبار السماء، وما يوجد اليوم من كلام الجنّ على ألسنة المجانين إنّما هو خبر منهم عما يَرَوْنه في الأرض، مما لا نراه نحن كسرقة سارق، أو خبيئة في مكان خفيّ، أو نحو ذلك، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرُّصاً وتظنِّياً، فيصيبون قليلاً، ويخطئون كثيراً. وذلك القليل الذين يصيبون هو ما يتكلّم به الملائكة في الْعَنان، كما في حديث البخاري، فيُطرَدُون بالنجوم، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة. (الروض الأنف ١/ ٢٣٥)

صاحبها في ليلةٍ من الليـالي، فأنْقَض تحتهـا، ثم قال: أدْرِ مـا أدْرِ، يوم عقْـر ونَحْـر، فقالت قـريش حين بلغها ذلـك: ما يـريـد؟ ثم جـاءهـا ليلة أخـرى، فأنقض تحتها، ثم قال: شُعوب، ما شُعوب، تُصرع فيه كَعْبٌ لِجُنُـوب. فلما بلغ ذلك قريشاً، قالوا: ماذا يريد؟ إنّ هذا لأمر هو كائن، فانظروا ما هو؟ فمـا عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأُحُد بالشعب، فعرفوا أنه الـذي كان جـاء به إلى صاحبته.

نسب الغَيْطَلة: قال ابن هشام: الغَيْطَلَةُ: من بني مُرّة بن عبد مَنـاة بن كِنانة، إخوة مُدْلِج بن مُرّة[1]، وهي أمّ الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله:

لقــد سَفُهَت أحـلام قــوم تبـدّلــوا بني خَلَفَ قَيْضــاً[2] بنـا والغيــاطـل

فقيـل لولـدها: الغيـاطل، وهم من بني سهم بن عمـرو بن هُصيْص. وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

كاهن جَنْب يذكر خبر الـرسول ﷺ: قـال ابن إسحاق: وحـدّثني عليّ ابن نافع الجُرَشِيّ: أنّ جَنباً[3] بطناً من اليمن، كـان لهم كاهن في الجـاهلية، فلما ذُكر أمر رسول الله ـ ﷺ ـ وانتشر في العرب، قالت له جَنْب: انظر لنا في أمـر هذا الـرجـل، واجتمعـوا لـه في أسفـل جبله، فنـزل عليهم حين طلعت

---

(١) يقال في نَسَبها: الغبطلة بنت مالـك بن الحارث بن عمـرو بن الصِّعِق بن شنوق بن مُـرَّة، وشنوق أخو مُدْلج.

وذكر قولها: شُعُوب وما شُعُوب، تُصرَع فيها كَعْبٌ لجُنُـوب. كعب ها هنـا هو: كعب بن لُؤَيّ، والذين صُرِعوا لجنوبهم ببدر وأُحُد من أشراف قريش، معـظمهم من كعب بن لُؤيّ، وشُعوب ها هنا بضمّ الشين، وكأنه جمع شُعب، وقول ابن إسحاق يدلّ على هذا حين قال: فلم يُدْرَ ما قالت، حتى قُتل من قُتل ببدر وأُحُد بالشعب. (الـروض الأنف ١/٢٣٩) وانظر: أنساب الأشراف ١/١٣٢ رقم ٢٧١.

(٢) قيضاً: عوضاً.

(٣) جنب هم من مَـذْحِـج، وهم: عَيـذ الله، وأنس الله، وزيــد الله، وأوس الله، وجُـعْفـى، والحَكَم، وجِرْوة، بنو سعد العشيرة بن مَذْحِج، ومَذْحِج هو: مالك بن اذد، وسُمّوا: جنبـاً لأنهم جـانبوا بني عمهم صُـدَاء ويـزيـد ابني سعـد العشيـرة بن مـذحـج. (الـروض الأنف ١/٢٤١)

الشمس، فوقف لهم قائماً متّكئاً على قوس له، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً، ثم جعل يَنْزوُ[1]، ثم قال؛ أيها الناس، إنّ الله أكرم محمّداً واصطفاه، وطهّر قلبه وحشاه، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل، ثم اشتدّ في جبله راجعاً من حيث جاء.

سواد بن قارب يحدّث عمر بن الخطّاب عن صاحبه من الجنّ: قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن عبدالله بن كعب، مولى عثمان بن عفان، أنه حُدِّث: أنّ عمر بن الخطّاب، بينا هو جالس في مسجد رسول الله - ﷺ - ، إذ أقبل رجل[2] من العرب داخلاً المسجد، يريد عمر بن الخطّاب، فلما نظر إليه عمر رضي الله عنه، قال: إنّ هذا الرجل لَعَلى شِرْكه ما فارقه بعد، ولقد كان كاهناً في الجاهلية. فسلّم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر رضي الله عنه: هل أسلمت؟قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له: فهل كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خِلْت فيّ[3]، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيّتك منذ وليتَ ما وليتَ، فقال عمر: اللهم غفراً، قد كنّا في الجاهلية على شرّ من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرَمَنا الله برسوله وبالإسلام، قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية، قال: فأخبرني ما جاءك به صاحبك، قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه[4]، فقال؛ ألم تر إلى الجنّ

---

(١) ينزو: يثب.

(٢) هو سواد بن قارب الدَّوْسي في قول ابن الكلبي، وقال غيره: هو سدوسيّ. (الروض ٢٤٢/١)

(٣) خِلْت فيّ: هو من باب حذْف الجملة الواقعة بعد خلْت وظننت، كقولهم في المثل: من يسمع يَخل، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر، لأنّ حكمهما حكم الابتداء والخبر، فإذا حذفت الجملة كلها جاز؛ لأن حكمهما حكم المفعول، والمفعول قد يجوز حذْفه، ولكن لا بد من قرينة تدلّ على المراد، ففي قولهم: من يسمع يخل دليل يدلّ على المفعول، وهو يسمع، وفي قوله، خلت في دليل أيضاً، وهو قوله: فيَّ، كأنه قال: خلت الشرّ في أو نحو هذا. (الروض الأنف ٢٤٢/١).

(٤) شَيْعه أي: دونه بقليل، وشَيْع كل شيء: ما هو تَبَعٌ له، وهو من الشّياع وهي: حَطَب صغار =

وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولحوقها بالقلاص وأحلامها.

قال ابن هشام: هذا الكلام سجع، وليس بشعر.

قال عبدالله بن كعب: فقال عمر بن الخطّاب عند ذلك يحدّث الناس: والله إنّي لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفرٍ من قريش، قد ذبح له رجل من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قطّ أنفذ منه، وذلك قُبيل الإسلام بشهر أو شَيّعه، يقول: يا ذَرِيح[1]، أمر نَجِيح، رجل يصيح، يقول: لا إله إلا الله.

قال ابن هشام: ويقال: رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول: لا إله إلا الله. وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر:

عَجِبتُ للجنّ وإبلاسِهَا[2] ... وشدِّها العِيسَ بأحلاسِها[3]
تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ما مؤمنو الجنّ كأنجاسِها[4]

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا من الكُهّان من العرب.

= تجعل مع الكبار تبعاً لها، ومنه: المُشَيِّعة، وهي: الشاة تتبع الغنم، لأنها دونها في القوّة. (الروض ١/٢٤٢)

(١) ويُروَى أنّ الصوت الذي سمعه عمر من العجل: يا جليح: وهو اسم شيطان، والجليح في اللغة: ما تطاير من رؤوس النبات وخفّ، نحو القطن وشبهه، والواحدة: جليحة، والذي وقع في السيرة: يا ذَرِيح، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم. أحمر ذَرِيحِيٌّ، أي: شديد الحمرة، فصار وصفاً للعجل الذبيح من أجل الدم: ومن رواه: يا جليح، فمآله إلى هذا المعنى؛ لأنّ العجل قد جُلح أي: كشف عنه الجلد. (الروض الأنف ١/٢٤٢)

(٢) في تاريخ الإسلام (السيرة ـ بتحقيقنا) «وأنجاسها».

(٣) العيس: الإبل البيض. والحلس: الكساء الذي يوضع على ظهر الجمل.

(٤) في تاريخ الإسلام ٢٠٤.

«ما مؤمنوها مثل أرجاسها»

ويروى بلفظ آخر (٢٠٥)

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ليس قداماها كأذنابها

وقد أخرج البخاري في صحيحه حديث عمر رضي الله عنه (٤/٢٤٢، ٢٤٣) كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود ـ لعنهم الله ـ يعرفونه ويكفرون به: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن رجالٍ من قومه. قالوا: إنّ مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهُداه، لِمَا كنا نسمع من رجال يهود، كنّا أهل شِرْك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبيّ يُبعَث الآن نقتلكم معه قتْل عادٍ وإرَم، فكنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث الله رسوله ـ ﷺ ـ أجبناه، حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعَّدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ**﴾[1].

قال ابن هشام: يستفتحون: يستنصرون، ويستفتحون أيضاً: يتحاكمون، وفي كتاب الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ**﴾[2].

سُلَمَة يذكر حديث اليهوديّ الذي أنذر بالرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، عن محمود بن لَبِيد أخي بني عبد الأشهل، عن سُلَمَةَ بن سلامة بن وقش[3] ـ وكان سُلَمَة من أصحاب بدر ـ قال: كان لنا جار من يَهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته، حتى وقف على بني عبدَ الأشهل ـ قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنّاً، عليَّ بُرْدة لي، مضطّجع فيها بفناء

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٣) وقش بتحريك القاف وتسكينها، والوقش: الحركة.

أهلي ـ فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال: فقال ذلك لقوم أهل شِرْك أصحاب أوثان، لا يَروْن أنّ بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان!! أو ترى هذا كائناً، أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يُجزَون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يُحلَف به، ويُوَدُّ أنّ له بحظّه من تلك النار أعظم تَنُّورٍ في الدار، يحمونه ثم يدخلونه إيّاه فيطيِّنونه عليه، بأن ينجوَ من تلك النار غداً، فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آية ذلك؟ قال: نبيٌّ مبعوث من نحو هذه البلاد ـ وأشار بيده إلى مكة واليمن ـ فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلي، وأنا من أحدثهم سنّاً، فقال: إن يَسْتنفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسولَه ـ ﷺ ـ وهو حيّ بين أظهرنا، فآمنّا به، وكفر به بغياً وحسداً. قال: فقلنا له. ويحك يا فلان!! ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكن ليس به[1].

ابن الهَيّبان اليهوديّ يتسبّب في إسلام ثعلبة وأُسِيد ابني سَعْية وأسد بن عُبَيد: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن شيخ من بني قُرَيظة قال: قال لي: هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْية، وأسِيد بن سعية[2]، وأسد بن عُبيد نفر من بني هَدْل، إخوة بني قُرَيظة، كانوا معهم في جاهليّتهم، ثم كانوا ساداتهم في الإسلام. قال: قلت: لا، قال: فإنّ رجلاً من يهود من أهل الشام، يقال له: ابن الهَيِّبان[3]، قدِم علينا قُبيل الإسلام

---

(١) تاريخ الإسلام «السيرة» ١٢٢، ١٢٣، عيون الأثر ١/٥٦، ٥٧.

(٢) قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف المدني، عن ابن إسحاق، وهو أحد رواة المغازي عنه: أسيد بن سعية بضمّ الألف، وقال يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق، وهو قول الواقدي. وغيره: أسيد بفتحها قال الدارقطني: وهذا هو الصواب، ولا يصحّ ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق، وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ الآية، وسَعْية أبوهم يقال له: ابن العريض، وهو بالسين المهملة، والياء المنقوطة باثنتين. (الروض الأنف ١/٢٤٧).

(٣) والهيّبان من المُسَمّين بالصفات، قال: قُطْن هَيَّبان أي: منتفش، وأنشد أبو حنيفة: =

بسنين، فحلّ بين أظْهُرنا، لا والله ما رأينـا رجلاً قطّ لا يصلّي الخمس أفضـل منه، فأقام عندنا فكنّا إذا قَحَطَ عنّا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيّبـان فاستسق لنـا، فيقول. لا والله، حتى تُقـدِّموا بين يـدي مخرجكم صـدقة، فنقـول له: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر: أو مُدَّيْن من شعير. قـال: فنخرجهـا، ثم يخرج بنـا إلى ظاهـر حَرّتنـا؛ فيستسقي الله لنا، فـوالله ما يبـرح مجلسـه، حتى تمـرّ السحابة ونسقي، قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرّتين ولا ثلاث. قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميّت، قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخـرجني من أرض الخمـر والخميـر إلى أرض البؤس والجـوع؟ قـال: قلنـا: إنّـك أعلم، قال: فإنّي إنّما قدِمتُ هذه البلدة أتوكّف[1] خـروج نبيّ قد أظـلّ زمانـه، وهذا البلدة مُهاجَرُه، فكنت أرجو أن يُبعث، فأتْبعه، وقد أظلّكم زمانه، فـلا تُسْبَقنّ إليه يا معشـر يهود، فـإنه يُبعث بسفـك الدمـاء، وسبي الذّراري والنسـاء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلمـا بُعث رسـول الله ـ ﷺ ـ وحـاصر بني قُـرَيظة، قـال هؤلاء الفتيـة، وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قُرَيـظة، والله إنه للنبيّ الـذي كان عهِـد إليكم فيه ابن الهَيِّبـان، قالـوا: ليس بـه، قـالـوا: بلى والله، إنـه لهـو بصفتـه، فنـزلـوا وأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[2].

قال ابن إسحاق: فهذا ما بَلَغَنا عن أخبار يهود.

= تـطيـر اللغَـامَ الهَيِّـبـان، كـأنـه ... جَنَى عُشَـرٍ تنفيـه أشـداقهـا الهَـدْل

والهيّبَان أيضاً: الجبان. (الروض الأنف ١/٢٤٦، ٢٤٧).

(١) أتوكّف: أتوقّع.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٨٥، ٥٨٦، نهـاية الارب ١٦/١٤٤، ١٤٥، تـاريخ الإسـلام (السيرة - بتحقيقنـا) ١٢٣، ١٢٤، عيـون الأثـر ١/٥٨، ٥٩، السيـرة الحلبيـة: ١/١٨٥، الـطبقـات الكبرى ١/١٦٠، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٤٣١، الاكتفاء للكـلاعي ١/٢٣٤، سبل الهـدى ٢/٢٦١، ابن كثير ١/٢٩٤.

حديث إسلام سَلْمان رضي الله عنه[1].

سلمان ـ رضي الله عنه ـ يتشوّف إلى النصرانية بعد المجوسية: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري. عن محمود بن لَبِيد،

---

(١) أنظر عنه: مسند أحمد ٥/٤٣٧ ـ ٤٤٤، السير والمغازي لابن إسحاق ٨٧ ـ ٩٣، الطبقات الكبرى ٤/٧٥ ـ ٩٣، طبقات خليفة ٧ و١٤٠ و١٨٩، المحبَّر لابن حبيب ٧٥، تاريخ خليفة ٩٠، التاريخ الكبير ٤/١٣٥، ١٣٦، المعارف لابن قتيبة ٢٧٠، ٢٧١، الجرح والتعديل ٤/٢٩٦، ٢٩٧، الكنى والأسماء للدولابي ١/٧٨، المعرفة والتاريخ ٣/٢٧٢ ـ ٢٧٤، مشاهير علماء الأمصار ٤٤ رقم ٢٧٤، تاريخ أبي زرعة ١/٦٤٨، ٦٤٩، حلية الأولياء ١/١٨٥ ـ ٢٠٨، ذكر أخبار أصبهان ١/٤٨ ـ ٥٧، الاستيعاب ٢/٥٦ ـ ٦١، مقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٨٥ رقم ٥٦، تاريخ الطبري ١/٩٣ وما بعدها و٢/٥٦٦ وما بعدها و٣/١٧١ وما بعدها و٤/١١ وما بعدها، أنساب الأشراف ١/٤٨٨، تاريخ بغداد ١/١٦٣ ـ ١٧١، الكامل في التاريخ ٣/٢٨٧، الروض الأنف ١/٢٥٠، ٢٥١، صفة الصفوة ١/٥٢٣ ـ ٥٥٥ رقم ٥٩، التذكرة الحمدونية ١/١٣٠ و١٣٨ و١٤٤، تهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٢٦ ـ ٢٢٨، تهذيب الكمال ١/٥٢٣، أسد الغابة ٢/٤١٧، دول الإسلام ١/٣١، المعين في طبقات المحدّثين ٢١ رقم ٤٩، تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ٩٥ ـ ١١٥، الكاشف ١/٣٠٤ رقم ٢٠٣٨، سير أعلام النبلاء ١/٥٠٥ ـ ٥٥٨ رقم ٩١، مجمع الزوائد ٩/٣٣٢ ـ ٣٣٤، الوافي بالوفيات ١٥/٣٠٩، ٣١٠ رقم ٤٣٣، مرآة الجنان ١/١٠٠، عيون الأثر ١/٦٠ ـ ٦٨، الوفيات لابن قنفذ ٥٤، تهذيب التهذيب ٤/١٣٧، تقريب التهذيب ١/٣١٥ رقم ٣٤٦، الإصابة ٢/٦٢، ٦٣ رقم ٣٣٥٧، خلاصة تذهيب التهذيب ١٤٧، كنز العمال ١٣/٤٢١، شذرات الذهب ١/٤٤، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان (من إعدادنا) ٢/٢٩٧ ـ ٢٩٩ رقم ٦٤١.

عن عبدالله بن عباس، قال: حدّثني سلمان الفارسيّ من فيه قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل إصْبَهان[1] من أهل قرية يقال لها: جَيّ[2]، وكان أبي دِهْقـان[3] قريته، وكنت أحبَّ خلْق الله إليه، لم يزل بـه حبّه إيّـاي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجـوسيّة حتى كنت قَـطن النار[4] الـذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبي ضَيْعـة عظيمـة، قال: فشُغـل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بنّي، إنّي قـد شُغلت في بنياني هـذا اليوم عن ضَيعتي فاذْهب إليها، فاطّلعها ـ وأمرني فيها ببعض ما يريد ـ ثم قال لي: ولا تحتبس عنّي؛ فـإنّـك إن احتبست عنّي كنتَ أهمّ إليّ من ضيعتي، وشغلتني عن كـل شيء من أمـري. قـال: فخـرجت أريـد ضيعتـه التي بعثني إليهـا، فمـررت بكنيسة من كنـائس النصارى، فسمعت أصـواتهم فيها وهم يصلّون، وكنت لا أدري مـا أمـر النـاس، لحبْس أبي إيّـاي في بيتـه، فلمـا سمعت أصواتهم دخلت عليهم، انظر ما يصنعون، فلمـا رأيتهم، أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الـذي نحن عليه، فـوالله ما برحتهم حتى غـربت الشمس، وتركت ضيعـة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصْل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كلّه، فلما جئته قال: أيْ بنيّ أين كنت؟ أو لم أكن عَهِـدْتُ إليـك ما عهـدتُ؟ قال: قلت لـه: يا أبت، مـررت بأنـاس يصلّون في كنيسة لهم، فـأعجبني مـا رأيت من دينهم، فـوالله مـا زلت عنـدهم حتى غـربت الشمس، قال: أي بُنَيّ، ليس في ذلك الـدّين خير، دينـك ودين آبائـك خير

(١) إصبهان: هكذا قيّده البكري في كتاب المعجم بالكسر في الهمزة، وإصْبَه بالعربية: فَـرَس، وقيل: هو العسكر، فمعنى الكلمة: موضع العسكر أو الخيل، أو نحو هذا. (الروض الأنف ١/٢٥٠) وانظر: معجم ما استعجم ١/١٦٣.

(٢) جيّ: بفتح الجيم وياء مشدّدة. مدينة ناحيـة إصبهان، تسمّى عنـد العجم شهرستـان، وعند المحـدّثين: المدينـة، وقـد نُسب اليهـا المـديني عـالم من أهـل إصبهـان. (معجم البلدان ٢/٢٠٢).

(٣) دهقان: رئيس.

(٤) قَطَن النار: مقيم عندها.

منه، قال: قلت له: كلّا والله، إنه لخير من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رِجلي قيداً؛ ثم حبسني في بيته.

سلمان يهرب إلى الشام: قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدِم عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدِم عليهم ركب من الشام تجّار من النصارى، فأخبروني بهم فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فآذِنوني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم، حتى قدِمت الشام فلما قدِمْتُها قلت: من أفضل أهل هذا الدّين علماً؟ قالوا: الأسقُفّ في الكنيسة.

سلمان مع أسقفّ النصارى السيّء: قال: فجئته، فقلت له: إنّي قد رغبت في هذا الدّين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، فأتعلّم منك، وأصلّي معك، قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغّبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه، ولم يعطه للمساكين، حتى جمع سبع قِلال من ذهب ووَرِق. قال. فأبغضته بُغضاً شديداً، لِما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعتْ إليه النصارى، ليدفنوه، فقلت لهم: إنّ هذا كان رجل سَوْء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً. قال: فقالوا لي: وما علْمُك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدُلّنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً ووَرِقاً[1]. قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً. قال: فصلبوه[2]، ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه.

سلمان مع أسقفّ النصاري الصالح: قال: يقول سلمان: فما رأيت

---

(١) الورِق: الفضة.

(٢) في السير والمغازي «فصلبوه على خشبة».

رجـلًا لا يصلّي الخمس، أرى أنه كـان أفضل منـه، وأزهـد في الـدنيـا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلًا ولا نهـاراً منه. قـال: فأحببتـه حبّاً لم أحبّـه شيئـاً قبله مثله. قال: فـأقمت معه زمـاناً. ثم حَضَـرَتْه الـوفاة، فقلت لـه: يـا فلان، إنّي قد كنت معك، وأحببتك حبّاً لم أحبّه شيئاً قبلك، وقد حضـرك ما تـرى من أمر الله تعـالى، فإلى من تـوصي بي؟ وبم تأمـرني؟ قال: أي بُنَيّ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه، فقد هلك الناس، وبدّلـوا وتركـوا أكثر ما كانوا عليه، إلاّ رجلًا بالمَوصِل، وهو على ما كنت عليه فالحَقْ به.

سلمـان يلحق بأسقفّ المـوصـل: فلمـا مـات وغُيِّب لحِقْت بصـاحب المَـوصل، فقلت لـه: يا فـلان، إنّ فلانـاً أوصاني عنـد موتـه أنّ ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده، فـوجدتـه خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات. فلما حَضَرَتْه الوفـاة، قلت له يا فلان: إنّ فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فـإلى من توصي بي؟ وبم تـأمرني؟ قـال: يا بُنَيّ، والله مـا أعلم رجلًا على مثل ما كّنا عليه، إلاّ رجلًا بنَصِيبين، وهو فلان، فالحقْ به.

سلمـــان يلحق بـأسقف نصيبين: فلمـــا مـات وغُيِّب لحِقْتُ بصـــاحب نَصِيبين[1]، فـأخبرتـه خبري، ومـا أمرني بـه صاحبـاي، فقـال: أقِم عنـدي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خيـر رجل، فـوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حُضِـر، قلت له: يـا فلان! إنّ فـلاناً كـان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بُنَيّ، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلاّ رجلًا بعَمُّورِيَة من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا.

سلمـان يلحق بصاحب عمـوريـة: فلمـا مـات وغُيِّب لحِقْتُ بصـاحب عمّورية، فأخبرتـه خبري، فقـال: أقِم عندي، فـأقمت عند خيـر رجل، على

---

(١) نصِيبين: من بلاد على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام. (معجم البلدان ٥/٢٨٨).

هَذْي أصحابه وأمرهم. قال: واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنيمة. قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حُضر، قلت له: يا فلان، إنّي كنت مع فلان، فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بُنَيّ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنّا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظلّ زمان نبيّ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مُهاجَرَه إلى أرض بين حرّتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

سلمان يذهب إلى وادي القرى: قال: ثم مات وغُيّب، ومكثت بعمُّورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مرّ بي نفر من كلب تجّار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه، قالوا: نعم فَأَعْطَيْتُهُموها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجل يهوديّ عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحقّ في نفسي[1].

سلمان يذهب إلى المدينة: فبينا أنا عنده، إذ قدم عليه ابن عم له من بني قُرَيْظَة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبُعث رسول الله - ﷺ - فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذِكْر مع ما أنا فيه من شغل الرّقّ، ثم هاجر إلى المدينة.

سلمان يسمع بهجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة: فوالله إنّي لفي رأس عَذْق لسيّدي أعمل له فيه بعض العمل وسيّدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عمّ له، حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلة، والله إنهم الآن

(١) قارن مع السير والمغازي ٨٧ - ٩٣، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٩٥ - ١٠٠.

لمجتمعون بقُبَاء على رجل قَدِم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبيّ.

نسب قَيْلَة: قال ابن هشام: قَيْلَة: بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سَوْد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، أم الأوس والخزرج.

قال النُّعمان بن بشير الأنصاريّ يمدح الأوس والخزرج:

بهاليل[1] من أولاد قَيْلة لم يجدْ عليهم خليطٌ في مُخالطة عَتْبا
مساميح[2] أبطال يُراحُون[3] للنَّدَى يَرَوْنَ عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبَا[4]

وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة الأنصاري، عن محمود بن لَبِيد، عن عبدالله بن عباس، قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العُرواء. قال ابن هشام: العرواء: الرِّعدة من البرد والانتفاض، فإنْ كان مع ذلك عرق فهي الرُّحَضاء، وكلاهما ممدود - حتى ظننت أنّي سأسقط على سيّدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمّه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيّدي، فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبِلْ على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنّما أردت أن أسْتَثبته عما قال.

سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ: قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله - ﷺ - وهو بقُباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة. فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، قال: فقرّبته إليه، فقال رسول الله - ﷺ - لأصحابه: كلوا، وأمسك

---

(١) بهاليل: جمع بهلول وهو السيد.
(٢) المساميح: الأجواد الكرام.
(٣) يُراحون: يهتزّون.
(٤) النحْب: النذر، وما يجعله الإنسان على نفسه.

يده، فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً، وتحوّل رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت له: إنّي قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هَديّة أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله - ﷺ - منها، وأمر أصحابه، فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان ثِنتان، قال: ثم جئت رسول الله - ﷺ - وهو ببقيع الغَرْقد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه، عليّ شملتان لي، وهو جالس في أصحابه، فسلّمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله - ﷺ - استدبرته، عرف أنّي استثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره. فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبّله، وأبكي، فقال لي رسول الله - ﷺ -: تحوّل، فتحوّلت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي، كما حدّثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله - ﷺ - أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرِّق حتى فاته مع رسول الله - ﷺ - بدر وأُحُد.

سلمان يفتكّ نفسه من الرقّ بأمر رسول الله ومساعدته ﷺ: قال سلمان: ثم قال لي رسول الله - ﷺ -: «كاتب يا سلمان»، فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفَقِير[1]، وأربعين أوقيّة. فقال رسول الله - ﷺ - لأصحابه: «أعينوا أخاكم»، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيّة، والرجل بعشرين ودِيّة. والرجل بخمس عشرة ودِيّة، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودِيّة، فقال لي رسول الله - ﷺ -: «اذهب

(١) الوجه. التفقير للنخلة. يقال لها في الكَرْمَة: حَبية، وجمعها: حيَايا، وهي. الحفيرة، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي: عَرِيسة، ثم يقال لها: ودِيّة، ثم فَسِيلة، ثم أشَاءَة، فإذا فاتت اليد فهي: جَبَّارة، وهي العضيد، والكتيلة، ويقال للتي لم تخرج من النواة، لكنها اجتثت من جنب أمها: قلعة وجثيثة، وهي الجثائث والهِرَاء، ويقال للنخلة الطويلة: عَوَانة بلغة عمان، وعَيْدَانة بلغة غيرهم، وهي فيْعالة من عدن بالمكان، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين، فجعلها تارة: فَيْعالة من عدن، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعْلانة. (الروض الأنف ١/٢٥٠، ٢٥١)

يـا سلمـان فَفَقِّـر لهـا، فـإذا فـرغت فـأتِني، أكن أنـا أضعُهـا بيـدي». قـال: ففقرت[1]، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته، فأخبـرته، فخـرج رسـول الله ـ ﷺ ـ معي إليهـا، فجعلنا نقـرّب إليه الـودِيّ، ويضعه رسـول الله ـ ﷺ ـ بيده، حتى فرغنا. فوالذي نفسُ سَلمانَ بيده، ما ماتت منها ودِية واحدة[2].

قال؛ فأدَّيت النخـل، وبقي عليّ المال. فـأُتِيَ رسول الله ـ ﷺ ـ بمثـل بيضـة الـدجـاجـة من ذهب، من بعض المعـادن، فقـال: مـا فعـل الفـارسيّ المُكاتَب؟ قال: فدُعيت له، فقال: خذ هـذه، فأدِّهـا مما عليـك يا سلمـان. قـال: قلت: وأين تقع هـذه يا رسـول الله مما عليّ؟ فقـال: خذهـا، فإنّ الله سيؤدّي بها عنك. قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقيـة، فأوفيتهم حقّهم منهـا، وعتق سلمـان. فشهـدت مـع رسـول الله ـ ﷺ ـ الخندق حُرّاً، ثم لم يفُتني معه مشهد[3].

قـال ابن إسحاق: وحـدّثني يـزيـد بن أبي حبيب، عن رجـل من عبـد القيس، عن سلمـان: أنه قـال: لما قلت: وأين تقـع هذه من الـذي عليّ يـا رسـول الله؟ أخذهـا رسول الله ـ ﷺ ـ فقلّبهـا على لسانـه، ثم قـال: خـذهـا فأوْفِهم منها، فأخذتها، فأوفيتهم منها حقّهم كلَّه، أربعين أوقية.

---

(١) أي حفرت لها موضعاً تغرس فيه. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٤٦٣)

(٢) وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق. غير أنه ذكر أنّ سلمان غرس بيـده ودية واحدة، وغرس رسول الله ـ ﷺ ـ سائـرها، فعـاشت كلها إلا التي غـرس سلمان. (الـروض الأنف ١/٢٥٢)

(٣) أنظر الحديث بطوله في: السيـر والمغازي لابن إسحـاق ٨٧ ـ ٩١، الطبقـات الكبرى لابن سعـد ٤/٧٥ ـ ٨٠، المعرفـة والتـاريـخ ٣/٢٧٣، ٢٧٤، صفـة الصفـوة ١/٥٢٣ ـ ٥٣٣، دلائـل النبوّة للبيهقي (رقم ١٩٩). حليـة الأولياء ١/١٩٣ ـ ١٩٥، تـاريخ بغـداد ١/١٦٥ ـ ١٦٩، تهـذيب تاريـخ دمشق ٦/١٩١ ـ ١٩٣، أسد الغـابة ٢/٤١٧ ـ ٤١٩، نهـايـة الأرب ١٦/١٢٩ ـ ١٣٥، سيـر أعـلام النبـلاء ١/٥٠٦ ـ ٥١١، تـاريـخ الإسـلام (السيـرة) ٩٥ ـ ١٠٢، مجمع الزوائد ٩/٣٣٢ ـ ٣٣٧، الخصائص الكبرى للسيوطي ١/٤٨.

والحـديث رجالـه ثقات، وإسنـاده قويّ. أخـرجـه أحمـد في المسنـد ٥/٤٤١ ـ ٤٤٤، والطبراني في المعجم الكبير ٦/٢٧٢ ـ ٢٧٧ رقم ٦٠٦٥.

حديث سلمان مع الرجل الذي بعمّورية: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، قال: حدّثني من لا أتّهم، عن عمر بن عبدالعزيز ابن مروان، قال: حُدِّثْت عن سلمان الفارسي: أنّه قال لرسول الله ـ ﷺ ـ حين أخبره خبره: إنّ صاحب عمُّوريَّة قال له: أئت كذا وكذا من أرض الشام، فإنّ بها رجلاً[1] بين غيضتين، يخرج في كل سنة من هذه الغَيْضة إلى هذه الغَيْضة مستجيزاً، يعترضه ذوو الأسقام، فلا يدعو لأحد منهم إلاّ شُفي، فاسأله عن هذا الدِّين الذي تبتغي، فهو يخبرك عنه، قال سلمان: فخرجت حتى أتيت حيث وُصف لي، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، فغشيه الناس بمرضاهم، لا يدعو لمريض إلاّ شُفي، وغلبوني عليه، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل، إلا مِنكبه. قال: فتناولته. فقال: من هذا؟ والتفت إليّ، فقلت: يرحمك الله، أخْبرني عن الحَنِيفِيَّة دين إبراهيم. قال: إنك لتسألني عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلّك زمان نبيّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فأْتِه فهو يحملك عليه. قال: ثم دخل. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لسلمان: «لئن كنت صدقتني يا سلمان، لقد لقيت عيسى[2] بن مريم على نبيّنا وعليه السلام»[3].

---

(١) ذكر داود بن الحُصَين قال: حدّثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال: قال سلمان للنبيّ ـ ﷺ وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مستجيزاً من غيضة إلى غيضة، ويلقاه الناس بمرضاهم، فلا يدعو لمريض إلا شفي، وأنّ النبيّ ـ ﷺ ـ قال: إن كنت صدقتني يا سلمان، فقد رأيت عيسى بن مريم. إسناد هذا الحديث مقطوع، وفيه رجل مجهول، ويقال: إن ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة، وهو ضعيف بإجماع منهم. (الروض الأنف ١/٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) في تهذيب تاريخ دمشق ٦/١٩٧ «لقد رأيت حواريَّ عيسى».

(٣) أنظر الحديث في السير والمغازي لابن إسحاق ٩٢، والطبقات الكبرى ٤/٨٠، ٨١، ونهاية الأرب ١٦/١٣٥، ١٣٦، سير أعلام النبلاء ١/٥١٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٠٣، ١٠٤، وفي هذه الرواية جهالة، أنظر عنها في البداية والنهاية ٢/٢١٤.

ذِكْر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وعُبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحُوَيرث وزيد بن عمرو بن نُفَيْل

تشكُّكُهم في الوثنية: قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظّمونه وينحرون له، ويعكِفُون عنده، ويُديرون به، وكان ذلك عيداً لهم، في كل سنة يوماً، فخلص منهم أربعة نفر نَجِيّاً، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا، وليكتم بعضكم على بعض، قالوا: أجل، وهم: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعُزّى بن قصَيّ بن كِلاب بن مُرَة بن كعب بن لُؤَيّ. وعُبيدالله بن جحش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبْرة ابن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة، وكانت أمّه أُميمة بنت عبدالمّطلب. وعثمان بن الحُوَيْرث بن أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ. وزيد[1] بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبدالله بن قرط بن رياح بن

(١) وأم زيد هي: الحيداء، بنت خَالد الفَهْمية، وهي امرأة جده نُفيل، ولدت له الخطّاب فهو أخو الخطّاب لأمه، وابن أخيه، وكان ذلك مباحاً في الجاهلية بشرع متقدّم، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله - ﷺ - فكنانة تزوج امرأة أبيه خُزيمة، وهي بَرَّة بنت مُرّ، فولدت له النضر بن كِنانة، وهاشم أيضاً قد تزوّج امرأة أبيه وافدة فولدت له ضعيفة، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله - ﷺ - لأنها لم تلد جدّاً له، أعني: واقدة، وقد قال عليه السلام: أنا من نكاح لا من سفاح، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ ٱلنِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: إلّا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام. (الروض الأنف ١/٢٥٤، ٢٥٥)

رزاح بن عَـدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ[1]. فقال بعضهم لبعض: تعلَّمـوا والله مـا قـومكم على شيء! لقد أخـطأوا دين أبيهم إبراهيم، مـا حجر نُـطيف بـه، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضرّ ولا ينفع؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنّكم والله ما أنتم على شيء، فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم[2].

تنصّر ورقة وابن جحش: فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصـرانية، واتّبع الكتب من أهلها، حتى علم علماً من أهل الكتـاب. وأما عُبيـد الله بن جحش، فـأقـام على مـا هـو عليـه من الالتبـاس حتى أسلم، ثم هـاجـر مـع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امـرأته أم حبيبـة بنت أبي سفيان مسلمـة، فلما قدِمَها تنصّر، وفارق الإسلام، حتى هلك هنالك نصرانيّاً.

ابن جحش يُغـري مهاجـري الحبشة على التنصّـر: قـال ابن إسحـاق: فحّدثني محمد بن جعفـر بن الزبيـر، قال: كـان عُبيد الله بن جحش - حين تنصّر - يمرّ بأصحاب رسول الله - ﷺ - وهم هنالك من أرض الحبشة فيقـول: فقَّحْنـا وصَأصَـأتُمْ، أي: أبصرنـا وأنتم تلتمسون البصـر، ولم تبصـروا بعـد، وذلك أنّ ولد الكلب، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر، صأصـأ؛ لينظر. وقـوله: فقَّح: فتح عينيه.

رسـول الله ﷺ يخلف على زوجـة ابن جحش بعـد وفـاتـه: قـال ابن إسحاق: وخلف رسول الله - ﷺ - بعده على امرأتـه أم حبيبة بنت أبي سفيـان ابن حرب.

قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني محمـد بن عليّ بن حسين: أنّ رســول الله - ﷺ - بعث فيهـا إلى النجاشيّ عمـرو بن أُميّة الضَّمْـري، فخطبهـا عليه

---

(١) والمعروف في نَسَبه ونَسَب ابن عمّه عمر بن الخطاب: نُفَيل بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رِزاح بتقديم رياح على عبدالله، ورِزاح بكسر الراء قيّده الشيخ أبو بحر، وزعم الدارقطني، أنـه رَزاح بالفتـح، وإنما رزاح بـالكسر: رِزاح بن ربيعـة أخو قُصَيّ لأمـه الذي تقـدّم ذكره. (الروض الأنف ١/٢٥٣)

(٢) انظر: السير والمغازي لابن إسحاق ١١٦.

النّجاشي؛ فزّوجه إيّاها، وأصدقها عن رسول الله ـ ﷺ ـ أربعمائة دينار. فقال محمد بن علي: ما نرى عبدالملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلاّ عن ذلك. وكان الذي أملكها للنّبيّ ـ ﷺ ـ خالد بن سعيد ابن العاص.

تنصّر ابن الحويرث وقدومه على قيصر: قال ابن إسحاق: وأما عثمان ابن الحويرث، فقدِم على قيصر ملك الروم فتنصّر، وحسُنَت منزلته عنده. قال ابن هشام: ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث، منعني من ذكره ما ذكرت في حديث حرب الفِجار(١).

زيد يتوقّف عن جميع الأديان: **قال ابن إسحاق**: وأما زيد بن عمرو ابن نُفيل فوقف، فلم يدخل في يهوديّة ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذبح على الأوثان(٢).

---

(١) ويذكر أنّ قيصر كان قد توج عثمان، وولّاه أمر مكة، فلما جاءهم بذلك أنِفوا من أن يدينوا لملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العُزّى: ألا إنّ مكة حَي لَقَاحٌ لاتدين لملك. فلم يتمّ له مراده، قال: وكان يقال له: البطريق، ولا عقِب له، ومات بالشام مسموماً، سمّه عمرو بن جفْنَة الغسّانيّ الملك. (الروض الأنف ١/٢٥٥)

(٢) روى البخاري عن محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا فُضيل بن سليمان، قال: أخبرنا موسى، قال: حدّثني سالم بن عبدالله، عن عبدالله بن عمر: أنّ النبيّ ـ ﷺ ـ لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل بَلْدَح قبل أن ينزل على النبيّ ـ عليه السلام ـ الوحي، فقُدِّمت إلى النبي ـ ﷺ ـ، سفرة أو قدّمها إليه النبيّ ـ ﷺ ـ فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إنّي لست آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلاّ ما ذُكر اسم الله عليه، وأنّ زيد بن عمرو بن نُفيل كان يَعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض الكلأ، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟ إنكاراً لذلك، وإعظاماً له. (صحيح البخاري ٤/٢٣٣ كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، ومسند أحمد ١/١٨٩، ونسب قريش ٣٦٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٣٠ و٣٤، وتاريخ الإسلام (السيرة ٨٥، ٨٦، والإصابة ١/٥٦٩).

وأما بَلْدَح، فهو وادٍ بين فخّ والحديبية، والحديبية واقعة في آخر بلدح، (أخبار مكة ٢/٢٣٠) (بالحاشية)، وقيل موضع في ديار بني فزارة، وهو وادٍ عند الجرّاحية في طريق التنعيم إلى مكة. (معجم ما استعجم ١/٢٧٣) وقال ياقوت في معجم البلدان ١/٤٨٠: وادٍ قبل مكة من جهة الغرب. =

ونهى عن قتل المؤودة[1]، وقال: أعبد ربَّ إبراهيم، وبادى قومه بعيب ما هم عليه. قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه، عن أمّه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قال: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفيل شيخاً كبيراً مُسْنِداً ظهره إلى الكعبة، وهو يقول؛ يا معشر قريش، والذي نفسُ زيد بن عمرو بيده: ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أنيّ أعلم أيَّ الوجوه أحبّ إليك عَبَدتك به، ولكنّي لا أعلمه، ثم

= وفيه سؤال يقال: كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على النُصُب، وما لم يُذكر اسم الله عليه، ورسول الله ـ ﷺ ـ كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له؟ فالجواب من وجهين، أحدهما: أنه ليس في الحديث حين لقيه بِبَلْدَح، فقُدّمت إليه السفرة أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أكل منها، وإنّما في الحديث أنّ زيداً قال حين قُدِّمت السفرة: لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه. الجواب الثاني: أنّ زيداً إنما فعل ذلك برأي رآه، لا بشرع متقدّم، وإنّما تقدّم شرع إبراهيم بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذُبح لغير الله، وإنّما نزل تحريم ذلك في الإسلام، وبعض الأصوليين يقولون: «الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة» فإنْ قلنا بهذا وقلنا: إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان يأكل مما ذُبح على النُصُب، فإنّما فعل أمراً مباحاً، وإنْ كان لا يأكل منها فلا إشكال، وإنْ قلنا أيضاً: إنها ليست على الإباحة، ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبائح خاصّة لها أصل في تحليل الشرع المتقدّم كالشاة والبعير، ونحو ذلك، مما أحلّه الله تعالى في دين من كان قبلنا، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدّم ما ابتدعوه، حتى جاء الإسلام، وأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدّم، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من الكفر، وعبادة الصُلْبان، فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان مُحلاً بالشرع المتقدّم، حتى خصّه القرآن بالتحريم. (الروض الأنف ١/٢٥٦، ٢٥٧).

(١) وقد كان صعصعة بن معاوية جدّ الفرزدق، رحمه الله، يفعل مثل ذلك، ولما أسلم سأل رسول الله ـ ﷺ ـ: هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصحّ الروايتين: لك أجره إذا منّ الله عليك بالإسلام. وهذا الحديث أخرجه البخاري، والموءُودة مفعولة من وأده إذا أثقله. قال الفرزدق:

ومنّا الذي منع الوائدا ت، وأحيا الوئيد، فلم يُوأدِ

يعني: جدّه صَعْصَعَة بن معاوية بن ناجية بن عِقَال بن محمد بن سفيان بن مُجاشعَ.

وقد قيل: كانوا يفعلون ذلك غيرة على البنات، وما قاله الله في القرآن هو الحق من قوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ وذكر النقاش في التفسير: أنهم كانوا يئدون من البنات، ما كان منهنّ زرقاء أو بَرْشَاءَ أو شَيمَاءَ أو كشحاء تشاؤماً منهم بهذه الصفات قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾. (الروض الأنف ١/٢٥٧).

يسجد على راحته[1].

قال ابن إسحاق: وحُـدِّثْت أنّ ابنه سعيـد بن زيد بن عمـرو بن نُفَيل وعمر بن الخطّاب، وهو ابن عمّه، قالا لرسول الله ـ ﷺ ـ: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: «نعم، فإنّه يُبعث أمةً وحده»[2].

شعر زيد في فراق الوثنية: وقال زيـد بن عمرو بن نُفيـل في فراق دِين قومه، وما كان لقي منهم في ذلك:

أرَبّـاً واحـداً، أم ألـفَ ربٍّ ... أدِيـنُ إذا تُـقـسِّـمـت الأمـورُ
عـزلتُ الـلاّتَ والعُـزَّى جميعـاً ... كـذلـك يفعـل الجَلْدُ الصَّبـور[3]
فـلا الـعُـزَّى أدينُ ولا ابْـنَـتَـيْـهـا ... ولا صَـنَـمَيْ بـنـي عـمـرٍو[4] أزورُ
ولا هُـبَـلاً أديـنُ، وكـان ربّـاً ... لنـا في الـدّهـر إذ حلمي يـسيـر
عجِبْتُ وفي الـليـالي مُـعْجَـبـاتٌ ... وفـي الأيـام يعـرِفـهـا الـبـصـيـر
بـأنّ الله قـد أفـنَـى رِجـالاً ... كـثيـراً كـان شـأنـهم الـفُجُـور[5]

---

(١) هكذا في الأصول، وفي السير والمغازي ١١٦، أما في تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ٩١ فاللفظ «راحلته».

(٢) السير والمغازي لابن إسحـاق ١١٩، نسب قريش ٣٦٥، الأغـاني ٣/١٢٧، تهذيب تـاريخ دمشق ٦/٣٢ و٣٤، تـاريـخ الإسـلام (السيـرة) ٩٠، مجمـع الـزوائـد ٩/٤١٧، الإصـابـة ١/٥٧٠.

(٣) ذكـرت اللات فيمـا تقدّم. أمـا العُزَّى فكـانت نخلات مجتمعـة، وكـان عمـرو بن لحي قـد أخبرهم أنّ الربَّ يُشَتِّي عند اللّات، ويُصَيِّف بالعُزَّى، فعظّموها وبنوا لها بيتاً، وكانوا يهدون إليه كما يهـدون إلى الكعبة، وهي التي بعث رسـول الله ـ ﷺ ـ خالـد بن الوليـد ليكسرهـا، فقال له سادنها: يا خالـد احذرهـا؛ فإنهـا تجذع وتكنـع، فهدمهـا خالـد وترك منهـا جذْمَهـا وأسـاسها، فقـال قيّمها: والله لتعـودنّ ولتنتقمنّ ممن فعل بهـا هذا، فـذكر ـ والله أعلم ـ أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال لخالد: هل رأيت فيها شيئـاً؟ فقال: لا، فـأمره أن يـرجع، ويستـأصل بقيّتها بالهدْم، فرجع خالد، فأخرج أساسها، فوجد فيها امـرأة سوداء منتفشـة الشعر تخـدش وجهها، فقتلها، وهرب القيّم، وهو يقول: لا تُعبد العُزَّى بعد اليـوم. هذا معنى مـا ذكر أبـو سعيد النيسابوريّ في المبعث. وذكره الأزرقي أيضاً ورَزِين. (الروض الأنف ١/٢٥٨).

(٤) في كتاب الأصنام لابن الكلبي (٢٢)، وبلوغ الأرب للآلوسي (٢/٢٢٠) «بني غنم».

(٥) ورد هذا البيت في الأغاني:

ألـم تـعـلـم بـأن الله أفـنـى ... رجـالاً كـان شـأنـهـم الـفـجـور

وأبــقــى آخَــريــن بِــبــرٍّ قــومٍ فَيَرْبِـلُ[1] منهمُ الـطفـلُ الصغيـر[2]
وبيْنـا المـرءُ يعثـر[3] ثـاب يــومــاً كمـا يَتـروّح الغِصـن[4] المـطيـر
ولـكـنْ أعـبُـدُ الـرحـمـنُ ربّي لـيـغـفِـرَ ذنبيَ الـرَّبُّ الـغـفـورُ
فـتـقــوى الله ربِّـكُـمُ احـفَـظُوهـا متى مَـا تـحفـظوهـا لا تَـبُـورُوا
تــرى الأبــرارَ دارُهُــمُ جِــنَــان ولـلـكُـفَّـارِ حـامـيـةً سـعـيـرُ
وخِــزْيٌ في الحيــاة وإنْ يَمــوتــوا يُـلاقُـوا مَـا تَضيقُ بـه الصُّـدُورُ[5]

وقال زيد بن عمرو بن نُفيل أيضاً ـ قال ابن هشـام: هي لأُميّة بن أبي الصَّلْت في قصيدة له. إلاّ البيتين الأوَّلَين والبيت الخامس وآخرها بيتاً. وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق:

إلى الله أُهْـدِي مِـدحتي وثَنـائيـا وقـولاً رصينـا لا يني الـدَّهـر بـاقيـا
إلى الملِك الأعلى الذي ليس فوقه إلٰـه ولا ربّ يــكــونُ مُـدانـيـا
ألا أيّهـا الإنسـان إيّـاك والـرَّدَى فـإنّـك لا تُخْفي من الله خـافيـا[6]
وإيّـاك لا تجعـل مـع الله غـيـرَه فـإنّ سبيـل الـرشْـد أصبـح باديـا
حَنانَيْكَ[7] إنّ الجنّ[8] كانت رجاءهم وأنــت إلٰـهـي ربّـنـا ورجـائـيـا

---

(١) في الأغاني «فيربو».
(٢) ربل الطفل يربل إذا شبّ وعظُم. يربَل بفتح الباء أي يكبُر وينبت، ومنه أُخذ تربيل الأرض. (الروض الأنف ١/٢٥٨).
(٣) في بعض النسخ «يفتر».
(٤) يتروّح الغصن: أي: ينبت ورقه بعد سقوطه. (الروض ١/٢٥٨)
(٥) أنظر: نسب قريش ٣٦٤، ٣٦٥، وجمهرة نسب قريش وأخبارها ٤١٦، والأصنام ٢١، ٢٢، والأغاني ٣/١٢٤، ١٢٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٣٥، وتاريخ الإسلام ٩١، والبداية والنهاية ٢/٢٤٢، وبلوغ الأرب ٢/٢٢٠)
(٦) إيّاك والردى. تحذير من الردى، والردى هو الموت، فظاهر اللفظ متروك وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت، ويبديه ويكشفه من جزاء الأعمال؛ ولذلك قال: فإنك لا تخفي من الله خافياً.
(٧) حنانَيْك بلفظ التثنية،قال النحويّون: يريد حناناً بعد حنان، كأنّهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار، لا إلى القصر على اثنين خاصّة دون مزيد. ويجوز أن يريد حناناً في الدنيا، وحناناً في الآخرة، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طُرفة: =

رضيت بـك ـ اللّهمَّ ـ ربًّا فلن أرَى أدينُ إلـهـاً غيـرك الله ثـانيـاً[1]

وأنت الـذي من فضـل مَنّ ورحمـةٍ بعثتَ إلى مـوسى رسـولاً منـاديـا

فقلت له يا اذْهب وهارون[2] فادْعـوَا إلى الله فـرعون الـذي كـان طـاغيا

وقـولا لـه: آأنـت سَـوَّيت هـذه بـلا وتدٍ، حتى اطمـأنّت كما هيـا[3]

وقـولا لـه: آأنـت رفـعـتَ هـذه بـلا عمد، أرْفِقْ ـ إذاً ـ بـك بانيـا[4]

وقـولا لـه: آأنت سوَّيت وسْطَهـا مُنيـراً، إذ مـا جَنَّـه الليـلُ هـاديـا

= أبـا منـذر أفنيت فـاستبق بعضنـا حَنَانيْك بعض الشرّ أهون من بعض

فإنما يـريد: حنـان دَفْعٍ، وحنـان نفْع ؛ لأنّ كـل من أمَّل ملكـاً، فإنّمـا يؤمّله ليدفـع عنه ضيراً، أو ليجلب إليه خيراً. (الروض الأنف ١/٢٥٩).

(٨) وفي رواية «الحِن» بالحاء المهملة. قال في القاموس: الحن (بالكسر) حيّ من الجنّ، منهم الكلاب السود البهم، أو سفلة الجن وضعفاؤهم، أو كلابهم، أو خلق بين الجن والإنس.

---

(١) أدين إلهاً، أي: أدين لإله، وحذف اللام وعدّى الفعل؛ لأنه في معنى: أعبد إلهاً.
وقوله: غيـرك اللهُ برفـع الهاء، أراد: يـا الله، وهذا لا يجـوز فيما فيـه الألف واللام، إلاّ أنّ حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظّم يخالف حكمهـا في سائـر الأسماء، ألا تـرى أنك تقول: يا أيها الرجل، ولا ينادى اسم الله بيا أيها، وتقطع همزته في النداء، فتقـول: يا الله، ولا يكون ذلك في اسم غيره، إلى أحكام كثيـرة يخالف فيهـا هذا الاسم لغيـره من الأسماء المعرّفة. (الروض الأنف ١/٢٥٩، ٢٦٠).

(٢) ألا يا اذهب على حذف المنادى. كأنه قال: ألا يا هذا اذهب، كما قُرِيء: ألا يـا اسجدوا، يريد: يا قوم اسجدوا، وكما قال غيلان:

ألا يا اسلمي يا دارَ مَيٍّ على البِلى

وفيه: اذهب وهارون، عطفاً على الضمير في اذهب، وهو قبيح إذا لم يؤكّد، ولـو نصبه على المفعول معه لكان جيّداً. (الروض الأنف ١/٢٦٠).

(٣) اطمأنّت، وزنه افلعلّت، لأنّ الميم أصلها أن تكون بعد الألف، لأنه من تطامن أي: تطأطأ، وإنّما قدّموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همـزة الوصـل، فتكون أخفّ عليهم في اللفظ، كما فعلوا في أشياء حين قلبوها في قول الخليل وسيبـويه فـراراً من تقارب الهمـزتين كما هيا. مـا: زائدة لتكفّ الكـاف عن العمل، وتهيّئهـا للدخول على الجمـل، وهي: اسم مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: كما هي عليه، والكاف في مـوضع نصب على الحـال من المصدرِ الذي دلّ عليه، اطمأنّ، كمـا تقول: سـرت مثل سيـر زيد؛ فمثـل حال من سَيْـرك الذي سرته. (الروض الأنف ١/٢٦٠، ٢٦١).

(٤) أرفِق: تعجّب، وبك في موضع رفع لأنّ المعنى: رفقت، وبانياً تمييـز، لأنه يصلح أن يجـرّ بمن، كمـا تقول: أحسن بـزيد من رجـل، وحرف الجـرّ متعلّق بمعنى التعجّب؛ إذ قد علم أنك متعجّب منه. (الروض الأنف ١/٢٦١).

وقولا له: من يُرْسل الشمس غُدوةً ... فيُصْبح ما مسَّت من الأرض ضاحيا
وقولا له: من ينبت الحبَّ في الثَّرى ... فيُصبح منه البَقْل يهتزّ رابيا[1]
ويُخرج منه حبَّه في رؤوسه ... وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا
وأنت بفضلٍ منك نَجَّيتَ يُونساً ... وقد بات في أضعاف حوتٍ لياليا
وإنّي ولو سبّحت باسمك ربَّنا ... لأكْثِر - إلّا ما غفرت - خطائياً[2]
فربَّ العباد ألقِ سَيْباً[3] ورحمةً ... عليَّ، وبارِكْ في بَنيّ وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفيّة بنت الحضْرميّ -

نسب الحَضْرَميّ: قال ابن هشام: واسم الحضْرَميّ: عبدالله بن عماد[4] (بن أكبر)[5] أحد الصَّدِف، واسم الصَّدِف: عمرو بن مالك أحد السَّكُون بن أشرس بن كِنْدي، ويقال: كِنْدَة بن ثور بن مُرَتِّع بن عُفَيْر بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَدَ بن زيد بن مِهْسع بن عمرو بن عَريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: مُرْتِع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث في الحنيفية: قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دينَ إبراهيم - ﷺ - فكانت صفيّة بنت الحضْرميّ كلما رأته قد تهيّأ للخروج، وأراده، آذنت به الخطّاب بن نُفَيل، وكان الخطّاب بن نُفَيل

---

(١) رابياً: ظاهراً على وجه الأرض.
(٢) معنى البيت: إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربّنا إلاّ ما غفرت «وما» بعد إلاّ زائدة، وإن سبّحت: اعتراض بين اسم إن وخبرها، كما تقول: إنّي لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلاّ والله يغفر لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، أي: لا أعتمد وإنْ صلّيت إلاّ على دعائك واستغفارك من خطاياي. (الروض الأنف ١/ ٢٥٩).
(٣) السيب: العطاء.
(٤) في الأصول «عباد» والتصويب عن شرح السيرة، والروض، والاستيعاب.
(٥) ما بين القوسين زيادة عن إحدى نسخ الأصل. انظر السيرة بتحقيق السقا والإبياري وشلبي ١/ ٢٢٩.

عمّه وأخاه لأمّه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطّاب قد وكّل صفية به. وقال: إذا رأيتيه قد هَمَّ بأمرٍ فآذنيني به ـ فقال زيد:

لا تحبسيني في الهوا ن صَفيّ مادابي ودابُهْ[1]
إنّي إذا خِفْتُ الهوا ن مُشَيَّعٌ ذُلُل[2] ركابه
دُعموص أبواب الملو ك[3] وجانبٌ للخرق[4] نابه
قَطّاع أسباب تذِلّ بغير أقرانٍ صِعابه
وإنّما أخذ الهوا ن العَيْرُ إذ يُوهَى إهابه[5]
ويقول: إنّي لا أذلّ[6] بصكّ جَنْبيه صِلابه
وأخي ابن أمّي، ثم عَمّي لا يُواتيني خِطابه
وإذا يعاتبني بسو ء قلتُ: أعياني جوابه
ولو أشاء لقُلت: ما عندي مفاتحُهُ وبابَه[7]

قول زيد حين يستقبل الكعبة: قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نُفَيل: أنّ زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخلَ المسجد، قال: لبَّيْك حقّاً حقّاً، تعبُّداً ورِقّاً.

عُذْتُ بما عاذ به إبراهيم مستقبلَ القبلة، وهو قائم
إذ قال:

---

(١) الدأب: العادة. وقد سُهّلت الهمزة للقافية.
(٢) المشيّع: الجريء الشجاع. والذُلُل: السهلة قد ارتاضت.
(٣) دُعْموص أبواب الملوك. يريد: ولّاجاً في أبواب الملوك، وأصل الدُعْمُوص: سمكة صغيرة كَحَيَّة الماء، فاستعاره هنا، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة يرفعه: صغاركم دعاميص الجنة. (الروض الأنف ١/٢٦١).
(٤) جائب: قاطع. والخرق: الفلاة الواسعة.
(٥) في البيت خرم.
(٦) إنّي لا أذِلُّ أي: يقول العيْر ذلك بِصَكِّ جَنْبَيْه صِلابُه، أي: صلاب ما يوضع عليه، وأضافها إلى العير لأنها عِبْؤُه وحمله. (الروض الأنف ١/٢٦٢).
(٧) في البيت خرم.

أنْفـي لـك الَّلهُـمَّ عـانٍ راغِـمْ مهمـا تُـجَشِّـمُني فـإنّي جـاشـم

البرَّ أبغي لا الخال، ليس مُهَجِّر كمن قال[1]

قال ابن هشام: ويقال: البرّ أبقى لا الخال، ليس مهجِّر كمن قال. قال وقوله: «مستقبل الكعبة» عن بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل:

وأسلمت وجهي لمن أسلمتْ لـه الأرضُ تحمل صخراً ثِقالا

دحاها فلما رآها استوَت على الماء، أرسى عليها الجبالا

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ لـه المُزْن[2] تحمل عَذْبا زُلالا

إذا هي سِيقَت إلى بلدة أطاعت، فصبّتْ عليها سِجالا[3]

الخطّاب يؤذي زيداً ويحاصره: وكان الخطّاب قد آذى زيداً، حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حِراء مقابل مكة، ووكّل به الخطّاب شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم، فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلّا سّراً منهم، فإذا علموا بذلك، آذنوا به الخطّاب، فأخرجوه، وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم، وأن يتابعه أحد منهم على فِرَاقه. فقال - وهو يعظّم حرمته على من استحلّ منه ما استحلّ من قومه:

لَا هُمَّ إنّي مُحرِمٌ لا حِلَّهْ[4] وإنّ بيتي أوسطَ الْمَحِلّه

عند الصّفا ليس بذي مضَلّة[5]

---

(١) الخال: الخُيَلاءُ والكبر.
ليس مُهَجِّر كمن قال، أي: ليس من هجَّر وتكيَّس، كمن آثر القائلة والنوم، فهو من: قال يقيل. (الروض الأنف ١/٢٦٢).
وانظر هذا القول مع اختلاف في الترتيب والألفاظ في: السير والمغازي ١١٦، ونسب قريش ٣٦٤، والأغاني ٣/١٢٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٢٣٢، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٨٩، ومجمع الزوائد ٩/٤١٧.

(٢) المُزْن: السحاب، وقيل الأبيض منها.

(٣) السجال: جمع سجل، وهي الدلو المملوءة ماء، فاستعارها لكثرة المطر.
وانظر القول في: السير والمغازي ١١٧ مع الاختلاف باللفظ.

(٤) في السير والمغازي «لا أحلة».

(٥) في السير والمغازي ١١٨ «مظلة».

زيد يرحل إلى الشام وموته: ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام، ويسأل الرهبان والأحبار، حتى بلغ المَوْصِل والجزيرة كلَّها، ثم أقبل فجال الشام كله، حتى انتهى إلى راهب بميْفعة[1] من أرض البلقاء، كان ينتهي إليه علم أهل النّصرانيّة فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال: إنّك لتطلب ديناً ما أنت بواجدٍ مَن يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظلّ زمان نبيّ يخرج من بلادك التي خرجْتَ منها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحقْ بها، فإنّه مبعوث الآن، هذا زمانه، وقد كان شام[2] اليهودية والنصرانية، فلم يرض شيئاً منهما، فخرج سريعاً، حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكة، حتى إذا توسّط بلاد لخم، عَدَوْا عليه فقتلوه.

ورقة يرثي زيداً: فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه:

رَشَدتَ، وأنعمت ابن عمرو[3]، وإنّما ... تجنّبت تَنُّوراً من النّار حاميا
بدينك ربّاً ليس ربٌّ كمثله ... وتركك أوثانَ الطّواغي كما هيا
وإدراكك الدّينَ الذي قد طلبتَه ... ولم تَكُ عن توحيد ربّك ساهيا
فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مُقامُها ... تُعَلَّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها، ولم تكُنْ ... من الناس جبّاراً إلى النّار هاويا
وقد تُدرِكُ الإنسانَ رحمةُ ربّه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا[4]

---

(١) في الأصل بكسر الميم من ميفعة، والقياس فيها: الفتح؛ لأنه اسم لموضع أخذ من اليَفَاع، وهو المرتفع من الأرض. (الروض الأنف ١/٢٦٢).

(٢) أي اختبر.

(٣) رشدت وأنعمت ابن عمرو، أي: رشدت وبالغت في الرشد، كما يقال: أمعنت النظر وأنعمته. (الروض ١/٢٦٣).

(٤) قوله: ولو كان تحت الأرض سبعين وادياً. بالنصب. نصب سبعين على الحال، لأنه قد يكون صفة للنَّكِرَة، كما قيل: فلو كنت في جبّ ثمانين قامة. وما أصله صفة للنكرة يكون حالاً من المعرفة، وهو هنا حال من البعد، كأنه قال: ولو بَعُد تحت الأرض سبعين. كما تقول: بَعُد طويلاً، أي: بُعداً طويلاً، وإذا حذفت المصدر، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلّا حالاً. (الروض الأنف ١/٢٦٣).

وفي السير والمغازي ١١٩ ورد «ستين» بدل «سبعين».

قال ابن هشام: يُروى لأُميّة بن أبي الصَّلْت البيتان الأوّلان منها، وآخرها بيتٌ في قصيدة له. وقوله: «أوثان الطواغي» عن غير ابن اسحاق.

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

يُحَنَّس الحواريّ يثبت بعثة الرسول - ﷺ - من الإنجيل: قال ابن إسحاق: وقد كان - فيما بلغني عمّا كان وضَعَ عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله - ﷺ - مما أثبت يُحَنّس الحواريّ لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله - ﷺ - إليهم أنه قال: من أبغضني فقد أبغض الربّ، ولولا أنّى صنعت بحضرتهم صنائع لمْ يصنعها أحد قبلي، ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بَطِرُوا وظنّوا أنهم يَعُزُّونني، وأيضاً للربّ، ولكن لا بد من أن تتمّ الكلمة التي في الناموس: أنهم أبغضوني مجاناً[1]، أي: باطلاً. فلو قد جاء المنْحَمَنّا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الربّ، وروح القُدُس هذا الذي من عند الربّ خرج، فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً؛ لأنّكم قديماً كنتم معي في هذا، قلت لكم: لكيما لا تشكّوا.

والمُنْحَمنّا بالسريانية: محمد: وهو بالرومية: الْبَرَقْلِيطِس، صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أي: باطلاً، وكذلك جاء في الحكمة: يا ابن آدم علّم مجاناً، كما عُلِّمت مجاناً، أي: بلا ثمن، وفي وصايا الحكماء: شاور ذوي الأسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجاناً ما أخذوه بالثمن، أي بطول التجارب. (الروض ١/٢٦٤).

مبعث النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً[٢]

أخذ الله الميثاق على الرسل بـالايمان بـه ﷺ: قال: حـدّثنا أبـو محمد عبدالملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبـدالله البكائي، عن محمـد بن إسحاق المطّلبيّ قال: فلما بلغ محمد رسول الله - ﷺ - أربعين سنـة بعثه الله تعالى[١] رحمة للعالمين، وكافّةً للناس بشيراً، وكان الله تبارك وتعالى قـد أخذ الميثاق على كل نبيّ بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من

---

(١) السيـر والمغازي ١٢٠، تـاريـخ الـطبـري ٢/٢٩٨، الـطبقـات الكبـرى ١/١٩٤، أنسـاب الأشـراف ١/١٠٣، البـدء والتـاريـخ ٤/١٤١، مـروج الـذهب ٢/٢٨٢، نهـايـة الأرب ١٦/١٦٨، صفـة الصفـوة ١/٧٨، تـاريـخ الإسـلام (السيـرة) ١١٧، السيــرة لابن كثيـر ١/٢٨٦، عيون الأثر ١/٨٠، شرح المواهب ٦/١٦٣، عيون التواريخ ١/٤٣، سبل الهدى ٢/٣١٨.

(٢) ذكر ابن إسحاق أنّ رسول الله - ﷺ - بُعث على رأس أربعين من مولـده عليه السـلام، وهذا مَـرْويّ عن ابن عبـاس، وجُبَيْـر بن مُطْعِم، وقَبَاثِ بن أشْيَم، وعـطاء وسعيــد بن المسيَّب، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السِيَر والعلم بالأثر.

وقد رُوِيَ أنّه نُبِّيء لأربعين وشهرين من مولده، وقيل لِقبـاث بن أشيم: من أكبر، أنت أم رسول الله - ﷺ -؟ فقال: رسول الله أكبر منّي، وأنـا أسَنُّ منه، ووُلـد رسول الله - ﷺ - عـام الفيل، ووقفت بي أمّي على رَوْثِ الفيل، ويُروى: خَزْقِ الطير، فرأيته أخضـر مُحِيلاً، أي: قد أتى عليه حَوْل، وفي غير رواية البكائي من هذا الكتاب أنّ رسول الله - ﷺ - قال لبـلال: لا يفتك صيام يوم الاثنين؛ فإنّي قـد وُلدت فيـه، وبُعثت فيه، وأمـوت فيه. (الـروض الأنف ١/٢٦٥).

خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدّوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدّقهم، فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحقّ فيه. يقول الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾[1]: أي ثقل ما حمّلتكم من عهدي: قالوا أقررنا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فأخذ الله ميثاق النبيّين جميعاً بالتصديق له، والنصر له ممن خالفه، وأدّوْا ذلك إلى من آمن بهم، وصدّقهم من أهل هذين الكتابين.

الرؤيا الصادقة أول ما بُدي به رسول الله ﷺ: قال ابن إسحاق: فذكر الزُّهْري، عن عُرْوة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنّها حدّثته: أنّ أول ما بُديء به رسول الله ـ ﷺ ـ من النُّبوّة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به: الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله ـ ﷺ ـ رؤيا في نومه إلّا جاءت كَفَلَق الصبح قالت: وحبّب الله تعالى إليه الخَلوة، فلم يكن شيء أحبّ إليه من أن يخلوَ وحده[2].

سلام الحجر والشجر عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالملك ابن عُبَيْدالله[3] بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعيةً، عن بعض أهل العلم:

أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنبوّة، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تَحَسَّرَ عنه البيوت، ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمرّ رسول الله ـ ﷺ ـ بحجر ولا شجر، إلا قال: السلام عليك يا

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٨١.

(٢) السير والمغازي ١٢٠، البدء والتاريخ ١٤١/٤، تاريخ الطبري ٢٩٨/٢، نهاية الأرب ١٦٨/١٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧، صفة الصفوة ٧٨/١.

(٣) في السير والمغازي، «عبد الله» وهو غلط.

رسول الله[1]. قال: فيلتفت رسول الله ـ ﷺ ـ حوله، وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة[2]. فمكث رسول الله ـ ﷺ ـ كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام[3] بما جاءه من كرامة الله، وهو بحِراء في شهر رمضان[4].

نزول جبريل عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدّثني وهْب بن كَيْسان،

---

(١) وفي مصنّف الترمذي ومسلم، أيضاً أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إنّي لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عَلَيَّ قبل أن ينَزَّل عَلَيَّ». وفي بعض المسندات زيادة أنّ هذا الحجر الذي كان يسلّم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم: الأظهر فيه أن يكون حقيقة، وأن يكون الله أنطقه إنطاقاً كما خلق الحنين في الجذْع، ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت: عَرَض في قول الأكثرين، ولم يخالف فيه إلا النَّظَّام، فإنه زعم أنه جسم، وجعله الأشعريّ اصطكاكاً في الجواهر بعضها لبعض، وقال أبو بكر بن الطيّب: ليس الصوت نفس الاصطكاك، ولكنّه معنى زائد عليه، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر، والصوت عبارة عنه، لم يكن بدّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام، والله أعلم أيّ ذلك كان، أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم، فيكون الحجر به مؤمناً، أو كان صوتاً مجرّداً غير مقترن بحياة؟ وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوءة. وأما حنين الجذْع فقد سُمّي حنيناً، وحقيقة الحنين يقتضي شرط الحياة، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن، ويعمرونها، فيكون مجازاً من قوله تعالى: «واسئل القرية» والأول أظهر، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها عَلَم على نبوّته ـ عليه السلام ـ غير أنه لا يسمّى معجزة في اصطلاح المتكلّمين إلاّ ما تحدّى به الخلق، فعجزوا عن معارضته (الروض الأنف ١/٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) السير والمغازي ١٢٠، تاريخ الطبري ٢/٢٩٥، أنساب الأشراف ١/١٠٤.

(٣) اسم جبريل سرياني، ومعناه: عبد الرحمن، أو عبد العزيز. هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً، والوقف أصله، وأكثر الناس على أنّ آخر الاسم منه هو اسم الله، وهو: إيل، وكان مذهب طائفة من أهل العلم في أنّ هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة في كلام العجم، يقولون في غلام زيد: زيد غلام، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى، ألا ترى كيف قال جبريل وميكائيل، كما تقول: عبد الله وعبد الرحمن، ألا ترى أنّ لفظ عبد يتكرّر بلفظ واحد، والأسماء ألفاظها مختلفة (الروض الأنف ١/٢٧٢).

واتّفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه، وإن كان عجمياً؛ فإنّ الجبر هو إصلاح ما وهى جبريل موكّل بالوحي، وفي الوحي جبر ما وهى من الدين.

(٤) السير والمغازي ١٢١.

مولى آل الزُبير. قال: سمعت عبدالله بن الزُبير وهو يقول لعُبَيد بن عمير بن قَتَادة الليثي: حدِّثْنا يا عُبيد، كيف كان بدء ما ابتُدِيء به رسول الله ـ ﷺ ـ من النبوّة، حين جاءه جبريل عليه السلام؟ قال: فقال عُبيد ـ وأنا حاضر يُحدِّث عبدَالله بن الزبير، ومَن عنده من الناس: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يجاور في حِرَاء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تَحنَّث به قريش في الجاهلية. والتحنث: التبَرُّر[1].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وثَوْرٍ ومن أرسى ثَبِيراً مكانه ... وراقٍ ليرقى في حِراءَ ونازِلِ

التحنّث والتحنُّف: قال ابن هشام: تقول العرب: التحنّث والتحنّف، يريدون الحَنِيفية فيبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جدف وجدث. يريدون: القبر. قال رؤبة بن العَجّاج:

لو كان أحجاري مع الأجداف[2]

يريد: الأجداث: وهذا البيت في أرجوزة له. وبيت أبي طالب في قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

---

(١) التبرّر تفعل من البرّ، وتفعل: يقتضي الدخول في الفعل، وهو الأكثر منها مثل: تَفَقّه وتعبّد وتنسّك، وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطّراحه، كالتأثّم والتحرّج. والتحنّث بالثاء المثلثة، لأنه من الحِنث وهو الحمل الثقيل،وكذلك التقذّر، إنما هو تباعد عن القَذَر، وأما التحنّف بالفاء، فهو من باب التبرّر؛ لأنه من الحنيفية دين إبراهيم وإن كان الفاء مُبدِلة من الثاء، فهو من باب التقذّر والتأثم، وهو قول ابن هشام، واحتجّ بحدف وجدث (الروض الأنف ١/٢٦٧).

والحديث في تاريخ الطبري ٢/٣٠٠، وأنساب الأشراف ١/١٠٥ رقم ١٩١.

(٢) وفي بيت رؤبة هذا شاهد وردّ على ابن جني حيث زعم في سر الصناعة أنّ جدف بالفاء لا يجمع على أجداف، واحتجّ بهذا لمذهبه في أنّ الثاء هي الأصل، وقول رؤبة ردّ عليه، والذي نذهب إليه أنّ الفاء هي الأصل في هذا الحرف، لأنه من الجدف وهو القطع، ومنه مجداف السفينة، وفي حديث عمر في وصف الجنّ: شرابهم الجَدَفُ وهي الرَّغْوَة، لأنها تُجدَف عن الماء، وقيل: هي نبات يقطع ويؤكل. وقيل: كلّ إناء كشف عنه غطاؤه: جدف، والجدف: القبر من هذا، فله مادّة وأصل في الاشتقاق، فأجدر بأنْ تكون الفاء هي الأصل والثاء داخلة عليها. (الروض الأنف ١/٢٦٨)

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبَيْدة أنّ العرب تقول: فُم، في موضع: ثُم، يبدلون الفاء من الثاء.

قال ابن إسحاق: حدّثني وهْب بن كَيْسان قال: قال عُبَيد: فكان رسول الله - ﷺ - يجاور[1] ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله - ﷺ - جواره، من شهره ذلك، كان أوّل ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته.

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر: شهر رمضان، خرج رسول الله - ﷺ - إلى حِراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل - عليه السلام - بأمر الله تعالى.

قال رسول الله - ﷺ -: فجاءني جبريل، وأنا نائم[2]، بنَمَطٍ من

(١) الجوار بالكسر في معنى المجاورة وهي الاعتكاف إلا من وجه واحد، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد، كذلك قال ابن عبدالبر؛ ولذلك لم يُسَم جواره بحراء اعتكافاً، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم. (الروض الأنف ١/٢٦٨).

(٢) قال في الحديث: فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره: فهببت من نومي، فكأنَّما كُتِبَتْ في قلبي كتاباً، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عُروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أنّ نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ، كان في اليقظة؛ لأنها قالت في أول الحديث: «أول ما بديء به رسول الله - ﷺ - الرؤيا الصادقة، كان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاءه الحق، وهو بغار حراء، فجاءه جبريل»، فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - ﷺ - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به، لأن أمر النُبوءة عظيم، وعبؤها ثقيل، والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسراء، من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه.

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبيّ أنّ رسول الله - ﷺ - وكّل به إسرافيل، فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وكّل به جبريل فجاءه بالقرآن =

ديباج[1] فيه كتاب، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ[2]؟ قال فغتّني به[3]، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتّني به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ماذا أقرأ؟ قال: فغتّني به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلّا افتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[4]. قال: فقرأتها، ثم

= والوحي، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه ـ ﷺ ـ في أحوال مختلفة، فمنها: النوم كما في حديث ابن إسحاق.

ومنها: أن يُنْفَثَ في رُوعه الكلام نفثاً، كما قال عليه السلام: «إنّ روح القُدُس نَفَث في رُوعي أنّ نفساً لن تموت، حتى تستكمل أجَلَها ورزقها، فاتّقوا الله وأجْملوا في الطلب».

ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليه. وقيل إنّ ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة؛ فيكون أوعى لما يسمع، وألقن لما يلقى.

ومنها: أن يتمثل له الملك رجلاً، فقد كان يأتيه في صورة دِحْية بن خليفة.

ومنها: أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها، له ستمائة جناح، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت.

ومنها: أن يكلمه الله من وراء حجاب: إما في اليقظة كما كلّمه في ليلة الإسراء، وإما في النوم، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي، قال: «أتاني ربي في أحسن صورة..». (الروض الأنف ١/٢٦٩، ٢٧٠)

(١) فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمّته ملك الأعاجم. ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زِيَّهم وزينتهم، وبه أيضاً ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج. (الروض الأنف ١/٢٧١) والنمط: وعاء كالسفط.

(٢) وفي رواية: ما أنا بقارىء، أي: إنّي أُمّي، فلا أقرأ الكتب، قالها ثلاثاً فقيل له: اقرأ باسم ربك، أي: إنك لا تقرأه بحولك، ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ربّك مستعيناً به، فهو يعلّمك كما خلقك.

أما على رواية ما أقرأ، يحتمل أن تكون ما استفهاماً، يريد أيَّ شيء أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفياً، ورواية البخاري ومسلم تدلّ على أنه أراد النفي، أي ما أحسن أن أقرأ، كما تقدّم. (الروض ١/٢٧٢)

(٣) ويروى: فسَأبني، ويروي: سأتني، وأحسبه أيضاً يروى: فذعتني وكلّها بمعنى واحد، وهو الخَنْق والغَمّ. (الروض ١/٢٧١) ورواية البخاري ومسلم «فغطني».

(٤) سورة العَلَق ـ الآيات: ١ ـ ٥.

انتهى، فانصرف عنّي، وهببت من نومي، فكأنما كُتبت في قلبي كتاباً. قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍّ قدميه[1] في أُفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر أليه فما أتقدّم وما أتأخّر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال: فلا أنظر في ناحيةٍ منها إلّا رأيته كذلك، فما زلت واقفاً ما أتقدّم أمامي، وما أرجع ورائي، حتى بَعثتْ خديجةُ رُسلَها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عنّي.

الرسول ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه: وانصرفت راجعاً إلى أهلي، حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخِذِها مُضيفاً إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رُسُلي في طلبك، حتى بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدّثتها بالذي رأيتُ، فقالت: أبشِرْ يا ابن عمّ واثبُتْ، فوالذي نفسُ خديجة بيده إنّي لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمّة.

خديجة تخبر ورقة بن نوفل: ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ، وهو ابن عمّها، وكان ورقة قد تنصّر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله - ﷺ - أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قُدُّوس قُدُّوس، والذي نفسُ ورقة بيده، لئن كنتِ صدقتيني يا خديجة لقد

---

(١) وفي حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض، ويُروى: على عرش بين السماء والأرض، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فتر عنه الوحي، كان يأتي شواهق الجبال يهمّ بأن يُلقي نفسه منها، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض، يقول له أنت رسول الله، وأنا جبريل. (الروض ١/٢٧٢) والحديث أخرجه البخاري في كتاب التعبير ٦٨/٨، باب التعبير وأول ما بديء به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصالحة، وأخرجه أحمد في المسند ٦/٢٣٣.

جاءه الناموس[1] الأكبر الذي كان يأتي موسى[2]، وإنه لنبيّ هذه الأمة، فقولي له: فليثبُتْ.

فرجعت خديجة إلى رسول الله - ﷺ -، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله - ﷺ - جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع: بدأ بالكعبة، فطاف بها، فلقِيه ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله - ﷺ -، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبيٌّ هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، وَلتُكذَّبنَّهُ، ولتُؤذَينَّهْ، ولتُخْرجَنَّهْ، ولتُقاتلَنَّهْ[3]، ولئن أنا أدركت[4] ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصراً يعلمه، ثم أدنى رأسه منه، فقبّل يافوخه، ثم انصرف رسول الله - ﷺ - إلى منزله[5].

تثبّت خديجة من الوحي: قال ابن إسحاق: وحدّثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزُّبَير: أنه حُدِّث عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت

---

(١) الناموس: صاحب سر الملك، وقال بعضهم: هو صاحب سر الخير، والجاسوس هو صاحب سر الشر. (الروض الأنف ١/٢٧٣).

(٢) ذكر موسى ولم يذكر عيسى - وهو أقرب - لأنّ ورقة كان معتنقاً النصرانية وقتها والنصارى لا يقولون في عيسى: إنه نبيّ يأتيه جبريل إنّما يقولون فيه: إنّ أقنوماً من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حلّ بناسوت المسيح واتّحد به، على اختلافٍ بينهم في ذلك الحلول، وهو أقنوم الكلمة، والكلمة عندهم: عبارة عن العلم، فلذلك كان المسيح عندهم، يعلّمهم الغيب، ويخبر بما في غد. (الروض الأنف ١/٢٧٣).

(٣) الهاءات الأربعة لا يُنطق بها إلاّ ساكنة فإنها هاءآت سَكْت وليست بضمائر. (الروض ١/٢٧٣)

(٤) في الحديث: «إن يدركني يومك...» وهو القياس: لأنّ ورقة سابق بالوجود، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده. (الروض ١/٢٧٣).

(٥) أنظر: صحيح البخاري ١/٢١ - ٢٧ في بدء الوحي، وفي الأنبياء، باب «واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً»، وفي تفسير سورة «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، وفي التعبير، باب أول ما بُدِيء به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصادقة. ومسلم رقم (١٦٠) في الإيمان، باب بدء الوحي برسول الله - ﷺ -. والترمذي رقم (٣٦٣٦) في المناقب، باب رقم ١٣، وابن سعد في الطبقات ١/١٩٤، والطبري في تاريخه ٢/٢٩٨، ٢٩٩، والبيهقي في دلائل النبوّة ١/٣٩٦، والنويري في نهاية الأرب ١٦/١٦٨، وابن الجوزي في صفة الصفوة ١/٧٨ - ٨٠، والسيرة الحلبية ١/٢٣٣، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧، ١١٨، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/١٠٥. والخبر بطوله في: السير والمغازي ١٢١، ١٢٢.

لـرسول الله ـ ﷺ ـ أي ابن عمّ، أتستـطيع أن تخبـرني بصاحبـك هـذا الـذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جـاءك فأخبـرني به. فجـاءه جبريـل عليه السلام، كما كان يصنع، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لخديجـة: يا خـديجة، هذا جبريل قد جـاءني، قالت: قم يـا ابن عم فاجلس على فخِـذي اليسرى، قـال: فقام رسـول الله ـ ﷺ ـ فجلس عليها، قـالت: هـل تـراه؟ قـال: نعم، قـالت: فتحـوّل، فـاجلس على فخِـذي اليمنى، قـالت: فتحـوّل رسـول الله ـ ﷺ ـ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحـوّل فـاجلس في حِجْـري؟ قـالت: فتحـوّل رسـول الله ـ ﷺ ـ فجلس في حجْرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قال: فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ـ ﷺ ـ جالِس في حجْرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قـالت يا ابن عم، اثبت وأبشِر، فوالله إنه لَمَلك وما هذا بشيطان[1].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثتُ عبدَالله بنَ حسن[2] هذا الحديث، فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة، إلاّ أني سمعتها تقول: أدخلتْ رسول الله ـ ﷺ ـ بينها وبين درْعهـا، فذهب عنـد ذلك جبريل، فقالت لرسول الله ـ ﷺ ـ: إنّ هذا لمَلَك، وما هو بشيطان.

---

(١) الحديث في تاريخ الطبري ٣٠٣/٢، والسير والمغازي ١٣٣، نهايـة الأرب ١٧٤/١٦، ١٧٥، وتاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٤.

(٢) عبدالله هذا هو: عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب، وأمه: فاطمة بنت الحسين أخت سُكَيْنة، واسمها: آمنـة، وسُكينة لقَب لهـا، التي كانت ذات دُعـابة ومـزح، وفي سُكينة وأمّها الرباب يقول الحسين بن عليّ ـ رضي الله عن جميعهم:

كأنّ الليل موصول بليل ... إذا زارت سُكينة والرباب

أي: زارت قـومهـا، وهم: بنـو عُلَيْم بن جنـاب، من كلب، ثم من بني كعب بن عليم، ويعرف بنو كعب بن عليم ببني زيد غير مصروف؛ لأنه اسم أمهم، وعبدالله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس، وهم: محمـد ويحيى وإدريس، مات إدريس بـإفريقيـة فاراً من الـرشيد، مسمـوماً في دلاعـة (نوع من المحـار) أكلها. (الـروض الأنف ٢٧٧/١، مقاتـل الطالبيّين ٩٠، المعارف ٩٣، الأغاني ١٦٣/١٤)

والحديث في تاريخ الطبري ٣٠٣/٢، والسـير والمغازي ١٣٤، وتـاريخ الإسـلام (السيرة) ١٤٣.

ابتداء تنزيل القرآن

متى نزل القرآن: قال ابن إسحاق: فابتدىء رسول الله - ﷺ - بالتنزيل في شهر رمضان، بقول الله عزّ وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فيه ٱلقُرْآنُ هُدًى للنَّاس، وَبَيِّنات مِنَ ٱلهُدَى وَٱلفُرْقَان﴾(1) وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيْ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ. وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ ٱلقَدْر. لَيْلَةُ ٱلقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ ٱلمَلاَئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلاَمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلفَجْرِ﴾(2). وقال الله تعالى: ﴿حـم. وَٱلكِتَابِ ٱلمُبِين. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيْ لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْر حَكِيم، أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾(3). وقال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِٱللهِ وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلتقَى ٱلجَمْعَانِ﴾(4). وذلك ملتقى رسول الله - ﷺ - والمشركين ببدر(5).

تاريخ وقعة بدر: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو جعفر محمد بن علي

(1) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(2) سورة القدر بكاملها.
(3) سورة الدخان، الآيات: ١ - ٥.
(4) سورة الأنفال، الآية: ٤١.
(5) الخبر في السير والمغازي ١٣٠.

ابن حُسَين: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ، التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة، صبيحة سبع عشرة من رمضان[1].

قال ابن إسحاق: ثم تَتَامّ الوحي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو مؤمن بالله مصدِّق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله، وتحمّل منه ما حُمّلَه على رضا العباد وسَخطهم، والنُبوَّة أثقال ومُؤْنة، لا يحملها، ولا يستطيع بها إلاّ أهل القوة والعزْم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يَلْقَوْن من الناس، وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى[2].

قال: فمضى رسول الله ـ ﷺ ـ على أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى.

إسلام خديجة بنت خويلد[3]

وقوفها بجانبه ﷺ: وآمنت به خديجة بنت خُوَيلد، وصدّقت بما جاءه من الله ووزارته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وصدّق بما جاء منه، فخفّف الله، بذلك عن نبيّه ـ ﷺ ـ لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلاّ فرّج اللهُ عنه بها إذا رجع إليها، تثبّته وتخفّف عليه، وتصدّقه وتهوّن عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى.

تبشير خديجة ببيتٍ من قصب: قال ابن اسحاق: وحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه عُروة بن الزُبَير، عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أُمِرْت أن أبشّر خديجة ببيتٍ من قصب، لا صَخَب فيه ولا نَصَب»[4].

---

(١) السير والمغازي ١٣٠.

(٢) السير والمغازي ١٣١.

(٣) أنساب الأشراف ١/١١٢، مروج الذهب ٢/٢٨٤، البدو والتاريخ ٤/١٤٥، الكامل في التاريخ ٢/٥٧، أسد الغابة ٥/٤٣٤، نهاية الأرب ١٦/١٨٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٢٧، عيون الأثر ١/٩١، عيون التواريخ ١/٤٥، سبل الهدى ٢/٤٠٢.

(٤) الحديث مرسل. وقد أخرجه البخاري متصلاً في فضائل أصحاب النبيّ ـ ﷺ ـ ومن صحب =

قال ابن هشام: القصب: اللؤلؤ المجوّف.

جبريل يقرىء خديجة السلام من ربّها: قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به، أنّ جبريل عليه السلام أتى رسول الله - ﷺ -؛ فقال: أقْرِيء خديجةَ السّلام من ربّها؛ فقال رسول الله - ﷺ -: «يا خديجة، هذا جبريل يقُرئكِ السلامَ من ربّك»، فقالت خديجة: الله السّلام، ومنه السّلام، وعلى جبريل السّلام.

فترة الوحي ونزول سورة الضّحى: قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحي عن رسول الله - ﷺ - فترة من ذلك، حتى شُقّ ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريل بسورة الضحى، يقسم له ربه، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به، ما ودّعه وما قلاه، فقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1]. يقول؛ ما صرمك فتركك، وما أبغضك منذ أحبكَ. ﴿وللآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلأُولَىٰ﴾[2]. أي لما عندي من مرجعك إليّ، خير لك مما عجّلت لك من الكرامة في الدنيا. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[3] من الفُلح في الدنيا، والثواب في الآخرة. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ. وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ. وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾[4] يعرّفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره،

= النبيّ - ﷺ - أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه (٤/ ٢٣٠، ٢٣١) باب تزويج النبيّ - ﷺ - خديجة فضلها - رضي الله تعالى عنها -. ومسلم (٢٤٣٥) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، رضي الله عنها.

والطبراني في المعجم الصغير ١/ ١٥ من طريق عبدالله بن أبي أوفى، وأخرجه ابن جُمَيْع الصيداوي في معجم الشيوخ (بتحقيقنا) ٣٧١ رقم (٣٦٢) عن طريق عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، كما هنا، وانظر الترمذي ٥/ ٣٦٦ رقم (٣٩٧٨) و(٣٩٧٩) وقال: هو حديث حسن صحيح. والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) بتحقيقنا ٢٣٨.

(١) سورة الضحى، الآيات: ١ - ٣.
(٢) سورة الضحى، الآية: ٤.
(٣) سورة الضحى، الآية: ٥.
(٤) سورة الضحى، الآيات: ٧ - ٩.

ومنّه عليه في يُتمه وعَيْله وضلالته، واستنقاذه من ذلك كلّه برحمته[1].

تفسير مفردات سورة الضُّحَى: قال ابن هشام: سَجَى: سكن. قال أُميّة بن أبي الصَّلْت الثقفي.

إذ أتى موهناً وقد نام صحبي   وسجا الليلُ بالظلام البهيم

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال للعين إذا سكن طرْفُها: ساجية، وسجا طرْفها.

قال جرير:

ولقد رَمَيْنَكَ حين رُحْن بأعينٍ   يقتُلن من خَلَل السُّتُور سَواجي

وهذا البيت في قصيدة له. والعائل: الفقير. قال أبو خِراش الهُذلي:

إلى بيته يأوي الضَّريكُ إذا شتا   ومُستنبحٌ بالي الدِّريسين عائِل[2]

وجمعه: عالة وعيل. وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله: والعائِل أيضاً: الذي يعول العيال. والعائل أيضاً: الخائف. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ذٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[3].

وقال أبو طالب:

بميزان قِسطٍ لا يُخِس شَعيرةً   له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها. والعائل أيضاً: الشيء المُثْقِل المُعْي. يقول الرجل: قد عالني هذا الأمر: أي أثقلني وأعياني.

---

(١) كانت فترة الوحي سنتين ونصفاً.

(٢) الضريك: الضعيف. والمستنبح: الذي يضلّ الطريق فينبح فتجاوبه الكلاب فيعرف مكان العمران. والدريس: الثوب الخلق.

(٣) سورة النساء - الآية: ٣.

قال الفرزدق:

تَـرَى الغُـرَّ الجَحـاجِـحَ من قـريشٍ　　　إذا مـا الأمـر في الحَـدَثـان عــالاَ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[2]: أي لا تكن جبّاراً ولا متكبّراً، ولا فَحّاشاً فظّاً على الضعفاء من عباد الله. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3]: أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبّوة فحّدِث، أي أذكرها وادْعُ إليها، فجعل رسول الله - ﷺ - يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوّة سرّاً إلى من يطمئنّ إليه من أهله.

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النّبيّ صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافتُرضت الصلاة عليه، فصلّى رسول الله - ﷺ - وآله، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

افتُرضت الصلاة ركعتين ثم زِيدت: قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح ابن كَيْسان، عن عُرْوة بن الزُبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: افتُرِضَت الصلاة على رسول الله - ﷺ - أول ما افتُرِضت عليه ركعتين ركعتين، كلّ صلاة؛ ثم إنّ الله تعالى أتّمها في الحَضَر أربعاً وأقرّها في السفر على فرضها الأوّل ركعتين[4].

---

(١) الغر: المشهورون، والجحاجيح: السادة وحذف الياء لإقامة الوزن. والحدثان: حوادث الدهر.

(٢) سورة الضحى - الآيتان: ١٠ و١١.

(٣) سورة الضحى - الآيتان: ١٢ و١٣.

(٤) ذكر المُزَني أنّ الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل طلوع الشمس وأخرى بعد الغروب. وقال ابن سلام: فرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام فَيُحتمل قول عائشة (رضي الله عنها) «فزيد في صلاة الحَضَر» أي زيد فيها حين أكملت خمساً، فتكون الزيادة في الركعات =

جبريل يعلّم الرسول - ﷺ - الوضوء والصلاة: قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ الصلاة حين افتُرِضت على رسول الله - ﷺ -، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقِبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين، فتوضّأ جبريل عليه السلام، ورسول الله - ﷺ - ينظر إليه، ليُرِيَه كيف الطّهور للصلاة، ثم توضّأ رسول الله - ﷺ - كما رأى جبريل توضّأ، ثم قام به جبريل فصلّى به، وصلّى رسول الله - ﷺ - بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام(١).

الرسول ﷺ يعلم خديجة الوضوء والصلاة: فجاء رسول الله - ﷺ - خديجة، فتوضّأ لها لِيُريها كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل، فتوضّأت كما توضّأ لها رسول الله - ﷺ -، ثم صلّى بها رسول الله - ﷺ - كما صلّى به جبريل فصلّت بصلاته(٢):

جبريل يعيّن للرسول ﷺ أوقات الصلاة: قال ابن إسحاق: وحدّثني عُتْبة بن مسلم مولى بني تميم، عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم، وكان نافع كثير الرواية، عن ابن عباس قال: لما افترضت الصلاة على رسول الله - ﷺ - أتاه جبريل عليه السلام، فصلّى به الظهر حتى مالت الشمس، ثم صلّى به العصر حين كان ظلّه مثله ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلّى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاءه فصلّى به الظُهر من غدٍ حين كان ظلّه مثله، ثم صلّى به العصر حين

= وفي عدد الصلوات ويكون قولها «فُرضت الصلاة ركعتين» أي قبل الإسراء. (الروض الأنف ٢٨٢/١)

وانظر أنساب الأشراف ١١٧/١ رقم ٢٣٣.

(١) السير والمغازي ١٣٦، وتاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٥

(٢) الحديث مقطوع في السيرة ومثله لا يكون أصلاً في الأحكام الشرعية، ولكنه رُوي مسنداً إلى زيد بن حارثة يرفعه، غير أنه يدور أيضاً على ابن لَهيعة وقد ضُعِّف فلم يخرج له البخاري ومسلم، أما مالك فكان يحسن فيه القول. (انظر تمام القول في الروض الأنف ج ١ ص ٢٨٣، ٢٨٤).

كان ظلّه مثليه، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب ثُلُث الليل الأول، ثم صلّى به الصُبح مُسفِراً غير مشرق، ثم قال: يا محمد، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس[1].

(١) هذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع؛ لأنّ أهل الصحيح متّفقون على أنّ هذه القصة، كانت في الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعدما نُبّيء عليه الصلاة والسلام بخمسة أعوام، وقد قيل إنّ الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف، وقيل: بعام، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي، وأول أحوال الصلاة. (أنظر الروض الأنف ج ١ ص ٢٨٤).

ذِكْر أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أوّل ذَكَر أسلم[1]

قال ابن إسحاق: ثم كان أوّل ذَكَر من الناس آمن برسول الله - ﷺ -، وصلّى معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى: عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين[2].

نعمة الله على عليّ بنشأته في كَنَف الرسول: وكان مما أنعم الله به على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه كان في حجْر رسول الله - ﷺ - قبل الإسلام[3].

سبب هذه النشأة: قال ابن اسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجّاج، قال: كان من نعمة الله على عليٍّ بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أنَّ قُريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير؛ فقال رسول الله - ﷺ - للعباس عمّه،

---

(١) السير والمغازي ١٣٧، أنساب الأشراف ١/١١٢، تاريخ الطبري ٢/٣٩٢، البدء والتاريخ ٤/١٤٥، الكامل في التاريخ ٢/٥٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٥، عيون الأثر ١/٩١، سيرة ابن كثير ١/٤٢٨، سبل الهدى ٢/٤٠٣، نهاية الأرب ١٦/١٨٣.

(٢) السير والمغازي ١٣٧، تاريخ الطبري ٢/٣١٢.

(٣) السير والمغازي ١٣٧، تاريخ الطبري ٢/٣١٢.

وكان من أيسر بني هاشم: «يا عباس: إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلقْ بنا إليه، فلنخفّف عنه من عياله: آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكِلُهُما[1] عنه؛ فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنّا نريد أن نخفّف عنكَ من عيالك حتى يتكشف عن الناس ما هم فيه؛ فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عُقَيلاً فاصنعا ما شئتما - قال ابن هشام: ويقال: عقيلاً وطالباً[2].

فأخذ رسول الله - ﷺ - عليّاً، فضمّه إليه، وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل عليّ مع رسول الله - ﷺ - حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتّبعه عليّ رضي الله عنه، وآمن به وصدّقه[3]؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[4].

الرسول ﷺ وعلي يخرجان إلى الصلاة في شِعْب مكة واكتشاف أبي طالب لهما:

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله - ﷺ - كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شِعاب مكة، وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجع. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إنّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان، فقال لرسول الله - ﷺ -: يا بن أخي! ما هذا الدّين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم! هذا دين الله ودين ملائكته، ودين

---

(١) في تاريخ الطبري ٣١٣/٢ «فنكفّهما».

(٢) وكان عليّ أصغر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين، وكلّهم أسلم إلاّ طالباً الذي يقول عنه السهيلي إنه اختطفته الجنّ فلم يُعلم إسلامه. (الروض الأنف ٢٨٤/١، ٢٨٥) والخبر في تاريخ الطبري، وتاريخ الإسلام ١٣٦.

(٣) تاريخ الإسلام ١٣٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣١٣/٢، نهاية الأرب ١٨٢/١٦.

رُسُله، ودين أبينا إبراهيم ـ أو كما قال ﷺ ـ بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عمّ، أحقّ من بذلتُ له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحقّ من أجابني إليه وأعانني عليه، أو كما قال؛ فقال أبو طالب: أي ابن أخي! إنّي لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخْلَص[1] إليك بشيء تكرهه ما بقيتُ[1].

وذكروا أنه قال لعلّي: أي بُنَيّ! ما هذا الدّين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتِ، آمنت بالله وبرسول الله، وصدّقته بما جاء به وصليت معه لله واتّبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلّا إلى خير فالزمه[2].

إسلام زيد بن حارثة ثانياً[3]

قال ابن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرحبيل بن كعب بن عبدالعُزَّى بن امريء القيس الكلبي، مولى رسول الله ـ ﷺ ـ، وكان أوّل ذَكَرٍ أسلم، وصلّى بعد عليّ بن أبي طالب.

نسب زيد: قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن امريء القيس بن عامر بن النُعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عَوف بن كِنانة بن بكْر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللّات بن رفيدة بن ثور ابن كلب بن وبرة. وكان حكيم بن حزام بن خُوَيلد قدِم من الشام برقيق، فيهم زيد بن حارثة[5] وصيف. فدخلت عليه عمّته خديجة بنت خُوَيلد وهي

---

(١) لا يخلص: لا يوصل.

(٢) الخبر في الطبري ٢/٣١٣ وفيه «ماحييت». ونهاية الأرب ١٦/١٨٢، والكامل ٢/٥٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣١٤، نهاية الأرب ١٦/١٨٢، الكامل في التاريخ ٢/٥٨، عيون الأثر ١/٩٤.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٣١٦، أنساب الأشراف ١/١١٢، نهاية الأرب ١٦/١٨٣، عيون الأثر ١/٩٤، تاريخ الإسلام ١٣٧، البدء والتاريخ ٤/١٤٥، الكامل في التاريخ ٢/٥٩، سيرة ابن كثير ١/٤٣٦. سبل الهدى ٢/٤٠٥.

(٥) لأن أم زيد: سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيء، وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها، فأصابته خيل من بني القيْن بن جسر، فباعوه بسوق حباشة، وهو من أسواق العرب، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق. (الروض الأنف ١/٢٨٦).

يومئذٍ عند رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال لها: اختاري يا عمّة أيّ هؤلاء الغلمان شئتِ فهو لك، فاختارت زيداً فأخذته، فرآه رسول الله ـ ﷺ ـ عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله ـ ﷺ ـ وتبنّاه، وذلك قبل أن يُوحى إليه.

شعر حارثة أبي زيد عندما فَقَدَه: وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعاً شديداً، وبكى عليه حين فقده، فقال:

بكيت على زيدٍ ولم أدر ما فعلْ أَحَيٌّ فيُرجّى أم أتى دونه الأجلْ
فوالله ما أدري وإنّي لسائل أغالَك بعدي السهل أم غالك الجبلْ[1]
ويا ليت شِعري هل لك الدهر أوبة[2] فحسبي من الدنيا رجوعك لي بَجَلْ[3]؟
تذكّرنيه الشمسُ عند طلوعها وتَعرِض ذِكراه إذا غربُها أفل[4]
وإنْ هبّت الأرواح[5] هيّجن ذِكْره فيا طولَ ما حُزني عليه وما وجل
سأُعْمِلُ نَصّ[6] العِيس في الأرض جاهداً ولا أسأم التطوافَ أو تسأم الإبلْ
حياتيَ أو تأتي عليّ منيّتي فكل امرئٍ فانٍ وإنْ غرّه الأمل[7]

ثم قدِم عليه وهو عند رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن شئتَ فأقِم عندي، وإنْ شئتَ فانطلِق مع أبيك»، فقال: بل أقيم عندك. فلم يزل عند رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بعثه الله فصدّقه وأسلم، وصلّى معه؛

---

(١) في نهاية الأرب ١٨٤/١٦.
فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً اغالك سَهْلُ الأرض أم غالك الجبل

(٢) في نهاية الأرب «رجعة».

(٣) بجل: حسم.

(٤) في نهاية الأرب ١٨٥/١٦: «وتعرض ذكراه إذا قارب الطُّفَلْ».

(٥) الأرواح: جمع ريح.

(٦) النصّ: السير السريع.

(٧) زاد السهيلي والنويري بعد هذا البيت قوله:
سأوصي به قيساً وعمراً كليهما وأوصي يزيداً ثم أوصي به جَبَل
ولما بلغ زيداً قولُ أبيه قال بحيث يسمعه الركبان:
أحنّ إلى أهلي وإنْ كنت نائياً بأنّي قَعِيدُ البيتِ عند المَشاعر
فكفّوا من الوجد الذي قد شجاكُم ولا تُعمِلوا في الأرض نصّ الأباعر =

فلما أنزل الله عزّ وجل: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾[1]. قال: أنا زيد بن حارثة.

إسلام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وشأنه[2]

نسبه: قال ابن إسحاق: ثم أسلم أبو بكر بن أبي قُحافة، واسمه عَتِيق، واسم أبي قُحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة ابن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

اسمه ولقبه: قال ابن هشام: واسم أبي بكر: عبدالله، وعتيق: لَقَب لحُسْن وجهه وعتقه.

إسلامه: قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله.

إيلاف قريش له ودعوته للإسلام: وكان أبو بكر[3] رجلاً مَأْلفاً لقومه، محبَّباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشرّ؛ وكان رجلاً تاجراً، ذا خُلُق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه[4].

= فإنّي بحمد الله في خير أُسرةٍ كرام مَعَدّ كابراً بعد كابر

انظر تمام الموضوع في الروض الأنف، ج ١ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧، ونهاية الأرب ١٦/١٨٥.

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥.

(٢) السير والمغازي ١٣٩، تاريخ الطبري ٢/٣١٤، مروج الذهب ٢/٢٨٤، الكامل في التاريخ ٢/٥٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٨، نهاية الأرب ١٦/١٨٧، البدء والتاريخ ٤/١٤٥، عيون الأثر ١/٩٤، سيرة ابن كثير ١/٤٣٥، سبل الهدى ٢/٤٠٥.

(٣) وكان يسمّى عبد الكعبة حتى أسلم وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة، وأما أم أبيه قَيْلة بنت أذاه بن رياح بن عبدالله، وامرأته قتلة بنت عبد العُزَّى. (الروض الأنف ١/٢٨٧، ٢٨٨)

(٤) السير والمغازي ١٤٠، نهاية الأرب ١٦/٧١٧، عيون الأثر ١/٩٤، ٩٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٨، تاريخ الطبري ٢/٣١٧.

ذِكْر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

عثمان: قال فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب.

الزبير: والزبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

عبد الرحمن بن عوف: وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد ابن الحارث بن مُرّة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ(١).

سعد بن أبي وقّاص: وسعد بن أبي وقّاص، واسم أبي وقاص مالك ابن أهيب بن عبد مَناف بن زُهرة بن مُرَّة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ(٢).

طلحة: وطلحة بن عُبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ، فجاء بهم إلى رسول الله - ﷺ - حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا. وكان رسول الله - ﷺ - يقول، فيما بلغني: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة(٣)، ونظر وتردّد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قُحافة، ما عَكَمَ عنه(٤) حين ذكرته له، وما تردّد فيه(٥).

قال ابن هشام: قوله: «بدعائه» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) يكنى أبا محمد. أمّه: الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث وهي بنت عمّ عوف والد عبدالرحمن بن عوف. (الروض الأنف ١/٢٩٠)

(٢) وأم سعد: حمنة بنت سفيان بن أميّة بن عبدشمس، يكنى أبا إسحاق. وهو أحد العشرة، دعا له النبيّ - ﷺ - أن يسدّد الله سهمه، وأن يجيب دعوته، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة. (الروض الأنف ١/٢٨٩)

(٣) الكبوة: التأخر وعدم الإجابة.

(٤) سيفسّرها المؤلّف قريباً.

(٥) نهاية الأرب ١٦/١٨٧.

قال ابن هشام: قوله: عَكَم: تلبّث. قال رؤبة بن العجّاج:

وانصاع[1] وثَّابٌ بها وما عَكَم

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلّوا وصدّقوا رسول الله ـ ﷺ ـ بما جاءه من الله.

إسلام أبي عُبيدة: ثم أسلم أبو عُبيدة بن الجرّاح، واسمه عامر[2] بن عبدالله بن الجرّاح بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فِهْر.

إسلام أبي سَلَمَة: وأبو سَلَمَة، واسمه عبدالله بن عبد الأسد بن هلال ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ[3].

إسلام الأرقم: والأرقم بن أبي الأرقم. واسم أبي الأرقم عبدمَناف بن أسد[4] ـ وكان أسد يُكنى أبا جندب ـ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

إسلام عثمان بن مِظعون وأخويه: وعثمان[5] بن مظعون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ. وأخواه قُدامة وعبدالله ابنا مظعون بن حبيب.

إسلام عُبيدة بن الحارث: وعُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن

---

(١) انصاع: ذهب.

(٢) اختلف في اسمه، فقيل: عبد الله بن عامر، وقيل: عامر بن عبدالله، وأمّه: أميمة بنت غنْم بن جابر بن عبد العُزّى بن عامرة بن وديعة بن الحارث بن فهر. (الروض الأنف ١/٢٨٨) وانظر: نسب قريش ٤٤٥.

(٣) وأمّه: بَرّة بنت عبد المطّلب. هاجر إلى أرض الحبشة مرتين مع امرأته أم سلمة واسمها هند. وقدم مكة، فكان أول من هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، ورُمي بسهمٍ يوم أُحُد، فانتقض به، فمات في سنة أربع. (أنساب الأشراف ١/٢٠٧).

(٤) نسب قريش ٣٣٤ وفيه: كان من المهاجرين، شهد بدراً.

(٥) يُكنَّى: أبا السائب، وهو من المهاجرين الأوّلين، وأول من دُفن من المهاجرين بالبقيع. (نسب قريش ٣٩٣، الاستيعاب ٣/٨٥ ـ ٨٩).

عبدمَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ[1].

إسلام سعيد بن زيد وامرأته: وسعيد[2] بن زيد بن عمر بن نُفَيل بن عبدالعُزَّى بن عبدالله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ؛ وامرأته فاطمة بنت الخطّاب بن نُفيل بن عبدالعُزَّى بن عبدالله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ، أخت عمر بن الخطّاب.

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخبّاب بن الأَرَتّ: وأسماء بنت أبي بكر. وعائشة بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة. وخبَّاب بن الأرتّ، حليف بني زُهرة.

قال ابن هشام: خبّاب بن الأرتّ من بني تميم، ويقال: هو من خُزَاعة[3].

إسلام عُمَير وابن مسعود وابن القاري: **قال ابن إسحاق:** وعُمير بن أبي وقّاص[4]، أخو سعد بن أبي وقّاص. وعبدالله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل[5] بن الحارث بن تميم بن سعد بن

---

(١) أمّه: شُحيلة بنت خزاعيّ بن الحويرث بن حُبَيِّب بن مالك بن الحارث بن حُطَيط بن جُشَم، من ثقيف. وكان أسنّ من النبيّ - ﷺ -، ويُكنّى أبا الحارث، وأسلم قبل دخول النبيّ - ﷺ - دار الأرقم، وهاجر هو وأخواه الطفيل والحُصَين إلى المدينة. وقُتل يوم بدر، ودُفن بالصفراء، (نسب قريش ٩٤).

(٢) يُكنّى أبا الأعور. توفي بأرضه بالعقيق ودُفن بالمدينة في أيام معاوية سنة ٥٠.

(٣) هو خبّاب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد بن خزيمة من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وقع عليه سباء فصار إلى أمّ أنمار مولاته؛ فأعتقته. وكانت به رتّة. قال الواقدي: كان ألكن إذا تكلّم بالعربية. فسُمّي الأرتّ. وكان قَيْناً بمكة حين أسلم، ويُكنّى أبا عبد ربّه. (أنساب الأشراف ١/١٧٦).

(٤) استُشهد يوم بدر، وكان الرسول - ﷺ - أراد أن يخلّفه فبكى، فخرج معه واستشهد. (نسب قريش ٢٦٣، الإصابة رقم ٦٠٥٧).

(٥) قيّده الوقشيّ بفتح الهاء، كأنه سُمّي بالفعل من كاهَل يكاهل. والشمْخ هو من شمخ بأنفه إذا رفعه عزّة. وأمّ عبدالله هي: أم عبد بنت سَوْد بن قديم بن صاهلة هذلية. (الروض الأنف ١/٢٩١، ٢٩٢)

هُـذيل. ومسعـود بن القـاري، وهـو مسعـود بن ربيعـة بن عمـرو بن سعـد بن عبـدالعُزّى بن حَمـالـة بن غـالب بن مُحلِّم بن عـائـذة بن سُبَيـع بن الهـون بن خُزيمة من القارة.

قال ابن هشام: والقارة. لقب، ولهم يقال:

قد أنصف القارة من راماها.

وكانوا قوماً رُماة[1].

إسلام سَلِيط وأخيه وعيّاش وامرأته، وخُنَيس، وعامر: قال ابن إسحاق: وسَلِيط[2] بن عمرو بن عبدشمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر؛ وأخوه حاطب بن عمرو. وعيّاش بن أبي ربيعة[3] بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ؛ وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية. وخُنيس بن حُذافة[4] بن

---

(١) وسُمّي بنو الهون بن خُزَيمة قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب:

دعونا قارة لا تذعرونا فنجفِلَ مثل إجفال الظَّليم

هكذا أنشده أبو عُبيد في كتاب «الأنساب»، وأنشده قاسم في الدلائل:

دعونا قارة لا تذعرونا فَتَنْبَتكَ القرابة والذمام

وكانوا رُماة الحَدَق، فمن راماهم فقد أنصفهم، والقارة. أرض كثيرة الحجارة، وجمْعها قور، فكأن معنى المثل عندهم. أنّ القارة لاتَنفذُ حجارتها إذ رُمي بها، فمن راماها فقد أنصف. (الروض الأنف ١/٢٩٢). وانظ: العقد الفريد ٥/٣١١، ومجمع الأمثال للميداني ١/٤٢، أمالي المرتضى ٢/٩.

(٢) أخو سهيل بن عمرو. هاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ومعه امرأته فاطمة بنت علقمة - وقدِم المدينة قبل قدوم جعفر. وقيل قدم مع جعفر عليه السلام، واستشهد باليمامة سنة ١٢ وكان يُكنَى أبا الوضّاح. وأسلم قبل دخول النبيّ ﷺ دار الأرقم. (أنساب الأشراف ١/٢١٩).

(٣) هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ومعه امرأته ابنة سلمة بن مخرّبة، فولدت له بأرض الحبشة عبدالله بن عيّاش. ثم قدم مكة وهاجر إلى المدينة، وصحب في هجرته إلى المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (أنساب الأشراف ١/٢٠٨).

(٤) أمّه: ضعيفة بنت حِذْيم من بني سهم. هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم قدِم مكة فهاجر منها إلى المدينة. ومرض ورسول الله - ﷺ - ببدر وهو معه. فمات مقدم رسول الله - ﷺ - من بدر سنة اثنتين. وكانت عنده حفصة بنت عمر بن الخطاب، فخلف عليها النبيّ - ﷺ - . وكان يُكنّى أبا حُذافة. ولم يذكر موسى بن عقبة ولا أبو معشر هجرة خنيس =

عَـدِيّ بن سعـد بن سهم بن عمـرو بن هصيص بن كعب بن لُؤَيّ. وعـامـر بن ربيعة[1]، من عَنز بن وائل، حلف آل الخطّاب بن نُفيل بن عبد العُزّى.

قال ابن هشام: عَنز بن وائل[2] أخو بَكر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

إسـلام ابنَيْ جحش، وجعفر وامـرأتـه، وحـاطب وأخـوتـه ونسـائهم، والسّـائب، والمطّلب وامـرأتـه: قـال ابن إسحـاق: وعبـدالله بن جَحْش[3] بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسَد بن خُـزيمة. وأخوه أبو أحمد[4] بن جَحْش، حليفا بني أميّـة بن عبدشمس. وجعفـر بن أبي طالب[5]؛ وامرأته أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان بن كَعب بن مالك بن قُحافة، من خَثعم[6]. وحاطب بن الحارث[7] بن مَعْمر بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ، وامرأته فـاطمة بنت المجلّل بن

= إلى الحبشـة، وثبّتها ابن إسحـاق والواقـدي. ويقـال إنـه كـان يُكنّى أبـا الأخنس. (أنسـاب الأشراف ٢١٤/١، ٢١٥ رقم ٥٤١).

(١) هاجر إلى الحبشـة في المرتين، ومعـه امرأتـه ليلى بنت أبي حَثَمة بن حُـذافة بن غـانم، ثم هاجر إلى المدينة، ومات بعد مقتـل عثمان بـأيام، وكـان لازماً لمنـزله فلم يشعـر الناس إلاّ وجنازته قد أخرجت. وكان يُكنّى أبا عبدالله. (أنساب الأشراف ٢١٧/١، ٢١٨).

(٢) عَنْز: بسكون النون، ويذكر عن علي بن المديني انه قال فيـه: عَنَز بفتـح النون، والسكـون أعرف. ذكر أهل النسب أن وائلاً كان إذا وُلد له ولد، خرج من خبائه، فما وقعت عينه عليه سمّاه به، فلما وُلد له بكر وقعت عينه على بَكر من الإبل، فسمّاه به، فلما وُلد له تغلب رأى نفسين يتغالبان، فسمّاه تغلب، فلما وُلد له عنز، رأى عَنَزاً ـ وهي الأنثى من المعز ـ فسمّـاه عَنـزاً، فلما وُلـد لـه الشُخَيْص خـرج فـرأى شخصـاً على بُعـد صغيـراً، فسمّـاه الشُخَيْص. (الروض الأنف ٢٩٤/١)

(٣) ويُكنّى أبا محمد. هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، وقـدِم فشهد بـدراً مع النبيّ ـ ﷺ ـ، واستشهـد يوم أُحُـد، ودُفن مع حمـزة رضي الله عنهمـا في قبـر واحـد. (أنسـاب الأشـراف ١٩٩/١).

(٤) اسمـه: عبد. كفّ بصـره ومات بـالمدينـة، ولم يهاجـر إلى الحبشة قطّ. (أنسـاب الأشراف ١٩٩/١)

(٥) نسب قريش ٨٠، ٨١.

(٦) الطبقات الكبرى ٨، ٢٠٥، نسب قريش ٨٠، الإصابة ٥١/٤.

(٧) هـاجر مـع أخيه حـطّاب الى الحبشة في المـرة الثانيـة، وماتـا بالحبشـة مسلمين. ويقال إن المهاجر هو حاطب وحده. (أنساب الأشراف ٢١٣/١).

عبدالله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر وأخوه حطّاب بن الحارث؛ وامرأته فُكيهة بنت يَسار. ومَعْمر بن الحارث[1] بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ. والسّائب بن عثمان[2] بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب. والمطَّلب بن أزهر[3] بن عبدعَوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ، وامرأته: رَمْلة بنت أبي عَوْف بن صُبيرَة بن سعيد بن سَهْم بن عمرو بن هصيص بن كَعْب بن لُؤَيّ.

إسلام نُعَيم: والنَّحّام، واسمه نُعَيم بن عبدالله بن أسد، أخو بني كعب بن لُؤَيّ.

نسب نُعَيم: قال ابن هشام: هو نُعَيم بن عبدالله بن أسيد بن عبد عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ، وإنّما سُمّي النّحّام، لأنّ رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: لقد سمعت نحْمه في الجنة[4].

قال ابن هشام: صوته. أو حسّه.

إسلام عامر بن فُهَيْرة: قال ابن إسحاق: وعامر بن فُهَيْرة[5]، مولى أبي

---

(١) مختَلَف في هجرته، مات في خلافة عمر بالمدينة. وأمّه قتيلة بنت مظعون. (أنساب الأشراف ١/٢١٣).

(٢) هاجر مع أبيه في المرة الثانية، ثم قدم مكة وهاجر إلى المدينة. وكان من الرماة المذكورين، وأصابه سهم يوم اليمامة في خلافة أبي بكر فمات وهو ابن بضعٍ وثلاثين سنة. (أنساب الأشراف ١/٢١٣).

(٣) هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ووُلد له بالحبشة عبدالله. (أنساب الأشراف ١/٢٠٤).

(٤) قال السهيلي: لم يفسّر النحْم ما هو، وهي سُعْلة مستطيلة ويقال للبخيل: نحام، لأنه يسعل إذا سئل ـ يتشاغل بذلك ـ وأنشد الزبير:

مالك لا تنحم يا روحه   إنّ النحيم للسقاء راحه

قال: ويقال للنحمة: نحطه. وقال غيره: النحطة في الصدر، والنحمة في الحلْق. والنحام أيضاً: طائر أحمر في عِظَم الإوَزّ. (الروض الأنف ١/٢٩١)

(٥) فُهَيْرة: أمّه، وهي تصغير فهر، لأن الفهر مؤنّثة، وكان عبداً أسود للطفيل بن الحارث بن سخْبَرَة، اشتراه أبو بكر فأعتقه، وأسلم قبل دخول النبيّ ـ ﷺ ـ دارَ الأرقم. (الروض الأنف ١/٢٩٤).

بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

نَسَبه: قال ابن هشام: عامر بن فُهَيْرة مولَّد من مولَّدي الأسْد، أسود اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم.

إسلام خالد بن سعيد ونَسَبه وإسلام امرأته: قال ابن إسحاق: وخالد ابن سعيد[1] بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبدمَناف بن قُصَيّ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ؛ وامرأته أُمَيْنَة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سُبيع بن جُعثمة بن سعد بن مُليح بن عمرو، من خُزاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَيْنة بنت خَلَف.

إسلام حاطب وأبي حُذَيْفة: قال ابن إسحاق: وحاطب بن عمرو[2] بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأبو حُذَيفة، واسمه مهشم[2] - فيما قال ابن هشام - بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبدمَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

إسلام واقد وشيء من خبره: وواقد بن عبدالله بن عبدمَناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، حليف بني عديّ بن كعب.

قال ابن هشام: جاءت به باهلة، فباعوه من الخطّاب بن نُفَيل، فتبنّاه، فلما أنزل الله تعالى: ﴿ادْعُوهُم لآبَائِهِمْ﴾[3] قال: أنا واقد بن عبدالله، فيما

---

(١) قتل بمرج الصُفَّر، وأمّه أم خالد بنت خبّاب بن عبدياليل بن ناشب. وكان إسلامه متقدّماً، وهاجر مع أخيه عمرو إلى أرض الحبشة، وكان ممن قدم على رسول الله - ﷺ - في السفينتين. (انظر: نسب قريش ١٧٤، ١٧٥، الطبقات الكبرى ٤/١/٦٧ - ٧٣، الاستيعاب ١٥٤ - ١٥٦ و٤٤١ - ٤٤٢، أسد الغابة ٢/٩٠ و٩٢، الإصابة ٢/٩١، ٩٢).

(٢) ويقال «هشيم». هاجر إلى الحبشة مرتين، ثم قَدِم فهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وقُتل يوم اليمامة شهيداً وهو ابن ثلاثٍ أو أربعٍ وخمسين سنة. (أنساب الأشراف ١/١٩٩).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

قال أبو عمرو المدني.

إسلام بني البُكَير: **قال ابن إسحاق**: وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البُكَيْر[1] بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبدمَناة بن كِنانة حلفاء بني عَدِيّ بن كعب.

إسلام عمّار: بن ياسر، حليف بني مخزوم بن يقظة.

قال ابن هشام: عمّار بن ياسر عَنْسِيّ من مَذْحِج.

إسلام صُهَيب: **قال ابن إسحاق**: صُهيب بن سنان، أحد النَّمِر بن قاسط، حليف بني تَيْم[2] بن مُرّة[3].

نَسب صُهَيب: **قال ابن هشام**: النَّمر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَديلة بن أسَد بن رَبيعة بن نزار، ويقال: أفصَى بن دُعْمي بن جَديلة بن أسَد، ويقال: صُهَيب: مولى عبدالله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

ويقال: إنه روميّ[4]. فقال بعض من ذكر أنه من النَّمِر بن قاسط، إنّما كان لَسيراً في أرض الروم، فاشْتُرِي منهم. وجاء في الحديث عن النّبيّ - ﷺ -: «صُهَيب سابق الروم»[5].

---

(١) والمتهم زوج البكير هي: عفراء بنت عبيد. (أنساب الأشراف ١/٢٤٣).

(٢) في السير والمغازي ١٤٤ «تميم» وهو خطأ.

(٣) الخبر في السير والمغازي ١٤٣، ١٤٤، نهاية الأرب ١٦/١٨٨ - ١٩١، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٨، ١٣٩، عيون الأثر ١/٩٤ - ٩٧.

(٤) قال بعض الرواة: كان اسم صُهيب عميرة بن سنان، وكناه رسول الله - ﷺ - قبل أن يولد له: أبا يحيى، وليست له كنية غيرها. وكان إسلامه مع عمّار في دار الأرقم. (أنساب الأشراف ١/١٨٠ و١٨١).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٢٢٦ وإسناده ضعيف لإرساله.

مبادأة رسولِ الله ﷺ قومَه، وما كان منهم

أمْـرُ الله له ﷺ بمبـادأة قومـه: قـال ابن إسحـاق: ثم دخـل النـاس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنسـاء، حتى فشا ذِكْـر الإسلام بمكـة، وتحدّث به. ثم إنّ الله عزّ وجلّ أمر رسوله - ﷺ - أن يصدع بما جاءه منه، وأنْ يبادِيء الناسَ بأمره، وأن يدعوَ إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله - ﷺ - أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه؛ ثم قال الله تعالى له: ﴿فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَـرُ[1]، وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْـرِكِين﴾[2]. وقال تعـالى: ﴿وَأَنْـذِرْ عَشِيـرَتَـكَ ٱلأَقْـرَبِينَ. واخْفِضْ جَنَـاحَـكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَـكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَقُلْ إِنِّي أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾[3].

معنى «اصـدع بما تؤمـر»: قـال ابن هشـام: اصـدع: افـرقْ بين الحق

---

(١) المعنى: اصدع بالذي تؤمر به، ولكنّه لما عدّى الفِعْـل إلى الهاء حَسُن حـذْفها ههنـا أحسن من ذكرها؛ لأنّ ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذي، وقولهم: (مـا) مع الفعـل بتأويـل المصدر، راجع إلى معنى الذي إذا تأمّلتـه، وذلك أنّ (الـذي) تصلح في كل مـوضع تصلح فيه (ما) المصدرية نحو قول الشاعر:

عـسـى الأيـام أن يـرجعو ... ن يـومـاً كـالـذي كـانـوا

(الروض الأنف ج ٢ ص ٦).

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤ - ٢١٦.

والباطل. قال أبو ذُؤَيب الهذْلي، واسمه خُوَيْلد بن خالـد، يصف أُتن[1] وحش وفحلها:

وكـأنّـهُـنّ رِبـابـةٌ وكـأنّـه يَسَـرٌ يُفيض على القِداح ويَصْدَعُ[2]

أي يفـرّق على القِداح ويبيّن أنصباءها. وهـذا البيت في قصيدة لـه.

وقال رؤبة بن العجّاج:

أنـت الحـليمُ والأمـيـرُ الـمُـنـتـقـم تَـصْـدَعُ بـالحـقّ وتنـفي مـن ظَلَمْ

وهذان البيتان في أرجوزة له.

خروج الرسـول ﷺ بأصحـابه للصـلاة في الشِّعْب: قال ابن إسحـاق: وكـان أصحـاب رسـول الله ﷺ إذا صلّوا، ذهبـوا في الشِّعـاب، فـاستخفـوا بصـلاتهم من قومهم، فبينـا سعد بن أبي وقّـاص في نفرٍ من أصحـاب رسـول الله - ﷺ - في شِعْب من شعاب مكة، إذ ظهـر عليهم نفر من المشـركين وهم يصلّون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقّـاص يومئـذٍ رجلاً من المشـركين بلحْي بعيـر[3] فشجّـه، فكـان أوّل دم هُريق في الإسلام[4].

عداوة قومه ومساندة أبي طالب له: قال ابن إسحاق: فلما بـادى رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، لم يبعـد منه قـومه، ولم يـردّوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابَها؛ فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خِلافه وعداوته، إلّا من عصم الله تعالى منهم بـالإسلام، وهم قليـل

---

(١) الأتن مفردها أتان وهي أنثى الحمَر.

(٢) الـرِبابـة بكسر الـراء: جلدة تلف فيها قـداح الميسر، واليَسَـر: الـذي يـدخـل في الميسـر. والقِداح مفردها قِدْح وهو السهم.

(٣) لحي البعير: العظم الذي على فخذِهِ.

(٤) السيـر والمغازي ١٤٧، تـاريخ الـطبري ٢/٣١٨، تـاريـخ الإسـلام ١٤٧، ١٤٨، أنسـاب الأشراف ١/١٩٦، الكامل في التاريخ ٢/٦٠، نهاية الأرب ١٦/١٩٥.

مستخْفون، وحَدَب[1] على رسول الله ـ ﷺ ـ عمّه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مُظْهِراً لأمره، لا يردّه عنه شيء. فلما رأت قريش، أنّ رسول الله ـ ﷺ لا يعتبهم[2] من شيء أنكروه عليه، من فراقهم وعَيْب آلهتهم، ورأوا أنّ عمّه أبا طالب قد حَدَب عليه، وقام دونه فلم يُسْلِمْه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، عُتبة وشَيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبدمَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وأبو سُفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبدمَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن هشام: واسم أبي سُفْيان صَخْر.

قال ابن إسحاق: وأبو البَخْتَرِيّ، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

قال ابن هشام: أبو البَخْتَرِيّ: العاص بن هاشم[3].

قال ابن إسحاق: والأسود بن المطّلب بن أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ. وأبو جهل ـ واسمه عمرو، وكان يُكنَى أبا الحَكَم ـ بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ. والوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ. ونُبَيْه ومنبّه ابنا الحَجّاج بن عامر بن

---

(١) أصل الحدَب: انحناء في الظَهَرْ، ثم استُعير فيمن عطف على غيره، ورق له كما قال النابغة:

حدبت عليّ بطون ضبّة كلُّها   إنْ ظالماً فيهم، وإنْ مظلوما

(الروض ج ٢، ص ٧).

(٢) لا يعتبهم: لا يرضيهم.

(٣) الذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبي، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر وقول مُصْعب، وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر، سفيان بن العاصي. (انظر الروض ج ٢ ص ١٠).

حُذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لُؤَيّ. والعاص بن وائل.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لُؤَيّ.

وفد قريش يعاتب أبا طالب: **قال ابن إسحاق:** أو من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا؛ فإمّا أن تُكفّه عنّا، وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكْفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه[1].

الرسول ﷺ يستمرّ في دعوته: ومضى رسول الله - ﷺ - على ما هو عليه يُظْهِر دين الله، ويدعو إليه، ثم شرى[2] الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا[3]، وأكثرت قريش ذِكْرَ رسولِ الله - ﷺ - بينها، فتذامروا فيه، وحضّ بعضهم بعضاً عليه[4].

رجوع الوفد إلى أبي طالب مرّة ثانية: ثم إنّهم مشوا إلى أبي طالب مرّةً أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا، وإنّا واللهِ لا نصبر على هذا مِن شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيْب آلهتنا، حتى تكفّه عنّا، أو ننازله وإيّاك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا له - ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول

---

(١) السير والمغازي ١٤٨، تاريخ الطبري ٣٢٣/٢، أنساب الأشراف ١١٧/١، ١١٨، الكامل في التاريخ ٦٣/٢، نهاية الأرب ١٩٩/١٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٤٨.

(٢) شرى: اشتدّ.

(٣) تضاغنوا: تعادوا.

(٤) تذامروا: حضّ بعضهم بعضاً، والعطف للتفسير.

الله - ﷺ - لهم ولا خِذلانه(١).

ما دار بين الرسول ﷺ وأبي طالب: قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث: أنّ قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة، بعث إلى رسول الله - ﷺ -، فقال له: يا ابن أخي، إنّ قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له فابقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر مالا أطيق؛ قال: فظن رسول الله - ﷺ - أنه قد بدا لعمّه فيه بداء(٢) أنه خاذله ومُسلِمه، وأنه قد ضعف عن نُصرته والقيام معه. قال: فقال رسول الله - ﷺ -: «يا عمّ، واللهِ لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري(٣) على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته». قال: ثم استعبر رسول الله - ﷺ - ، فبكى ثم قام؛ فلمّا ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبِلْ يا بن أخي؛ قال: فأقبل عليه رسول الله - ﷺ -، فقال؛ اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببتَ، فواللهِ لا أُسْلِمك لشيءٍ أبداً(٤).

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب: قال ابن إسحاق: ثم إنّ قريشاً حين عرفوا أنّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله - ﷺ - وإسلامَه،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٢٣، الكامل في التاريخ ٢/٦٤، نهاية الأرب ١٦/١٩٩، ٢٠٠، تاريخ الإسلام ١٤٨.

(٢) أي ظهر له رأي، فسمّى الرأي بداء، لأنه شيء يبدو بعد ما خفي، والمصدر البدء والبدوّ، والاسم، البداء، لا يقال في المصدر، بدا له بدو، كما لا يقال ظهر لهَ ظهور بالرفع، لأنّ الذي يظهر، ويبدو هاهنا هو الاسم، نحو البداء وأنشد أبو علي:

لعلّك والموعود حقّ وفاؤه ... بدا لك في تلك القلوص بداء

(الروض الأنف ١/٨).

(٣) خصّ الشمس باليمين لأنّها الآية المبصِرة، وخصّ القمرَ بالشمال لأنها الآية الممحُوّة. (الروض الأنف ١/٢/٨).

(٤) السير والمغازي ١٥٤، تاريخ الطبري ٢/٣٢٦، الكامل في التاريخ ٢/٦٤، نهاية الأرب ١٦/٢٠٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٤٩، ١٥٠، عيون الأثر ١/١٠٠، سيرة ابن كثير ١/٤٧٤، ٤٧٥، عيون التواريخ ١/٥٤، ٥٥، سبل الهدى ٢/٤٣٧.

وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له - فيما بلغني - يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهد[1] فتىً في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتّخذْهُ ولداً فهو لك، وأسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا، الذي قد خالف دِينك ودِينَ آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم، فنقتله، فإنّما هو رجل برجل؛ فقال: واللهِ لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا واللهِ مالا يكون أبداً. قال: فقال المطعِم بن عَدِيّ بن نوفل بن عبدمَناف بن قُصَيّ: واللهِ يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلّص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؛ فقال أبو طالب للمُطْعِم: والله ما أنصفوني، ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرةَ القوم عليّ، فاصنع مابدا لك، أو كما قال. فحقب الأمر[2]، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضاً[3].

شعر أبي طالب في المطعِم ومَن خذله: فقال أبو طالب عند ذلك، يعرِّض بالمطعِم بن عَدِيّ، ويعمّ من خذله من بني عبدمَناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم:

ألا قُلْ لعمرو والوليد ومُطعِم ... ألا ليتَ حظّي من حياطتكم بَكْرُ[4]
من الخُور حَبْحاب[5] كثيرٌ رُغاؤه ... يُرَشّ على الساقين من بَوْله قَطْرُ
تخلّف خلْف الوِرْد ليس بلاحِق ... إذا ما عَلا الفَيْفاءَ قيل له وَبْر[6]

---

(١) أنهد: أشدّ.

(٢) حقب: اشتدّ، وزاد. (الروض الأنف ٢/٩)

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٢٦، ٣٢٧، الكامل في التاريخ ٢/٦٤، ٦٥، نهاية الأرب ١٦/٢٠١، عيون الأثر ١/١٠٠، البداية والنهاية ٣/٤٨، تاريخ الإسلام ١٥٢، ١٥٣، الطبقات الكبرى ١/٢٠٢، سيرة ابن كثير ١/٤٧٥.

(٤) يريد أن يقول إنّ بَكراً من الإبل أنفع لي منكم، فليته لي بدلاً من حياطتكم. وذلك كما قال طُرفة في عمرو بن هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثاً حول قُبّتنا تخور

(٥) الخور: الضعاف. والحبحاب: الصغير.

(٦) الوبر: دُويبة صغيرة تشبه الهرّة شبّهه بها لصِغَره.

أرى أَخَـوَيْنـا من أبينـا وأُمّنـا إذا سُئـلا قـالا إلى غيـرِنـا الأمـرُ
بلى لهمـا أمـرٌ ولكنْ تَجَـرْجَـمـا كما جُرجمت من رأس ذي عَلَقَ صخر[1]
أَخُصّ خصوصاً عبدَ شمس ونَوفلاً همـا نَبَذَانـا مثـل مـا يُنْبَـذُ الجمـر
همـا أغمَـزَا للقـوم في أخـوَيْهمـا فقـد أصبحـا منهم أكفُّهمـا صِفْـر[2]
هما أشْركـا في المجد مَن لا أبـا له من النّـاس إلّا أن يُـرَس[3] لـه ذِكْـر
وتَيْـم ومخـزوم وزُهـرة منـهُـمُ وكـانـوا لنـا مـولًى إذا بُغي النصـر
فـوالله لا تـنـفـكّ منّـا عـداوةٌ ولا منهمُ مـا كـان من نَسْلِنـا شَفْـر[4]
فقـد سَفُهَتْ أحـلامُهُم وعقـولُهم وكانوا كَجَفْر بئس ما صنعت جَفْـر[5]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

قـريش تُظْهـر عـداوتهـا للمسلمين: قـال ابن إسحـاق: ثم إنّ قـريشـاً تذامروا بينهم على مَن في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ الـذين أسلمـوا معـه، فـوثبت كـل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعـذّبـونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسولَه ـ ﷺ ـ منهم بعمّه أبي طالب، وقـد قام أبـو طـالب، حين رأى قـريشـاً يصنعـون مـا يصنعـون في بني هـاشم وبني المطّلب، فدعاهم إلى ما هو عليه، من منْع رسول الله ـ ﷺ ـ، والقيام دونه؛ فاجتمعوا إليه، وقامـوا معه وأجـابوه إلى مـا دعاهم إليـه، إلّا ما كـان من أبي لهب، عدوّ الله الملعون[6].

شِعْر أبي طالب في مدح قومه لنُصْرتـه: فلما رأى أبـو طالب من قـومه مـاسرَّهُ في جهـدهم معه، وحَـدَبهم عليه، جعـل يمدحهم ويـذكـر قـديمهم،

(١) تجرجم: انحدر، وذو علق: جبل في ديار بني أسد.
(٢) أغمز: استضعف. والصِفْر: الخالي.
(٣) يرس: يذكر.
(٤) شفر: أحد.
(٥) في تاريخ الإسلام ١٥٣، أربعة أبيات فقط.
(٦) تاريخ الطبري ٢/٣٢٧، ٣٢٨، الكامل في التاريخ ٢/٦٥، نهاية الأرب ٦/٢١٣، عيون الأثر ١/١٠٠.

ويذكر فضل رسول الله - ﷺ - فيهم، ومكانه منهم، ليشتدّ لهم رأيهم، وليحدبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لمفْخَر ... فعبدُ مَناف سِرها وصَميمها[١]
وإن حُصّلت أشرافُ عبد مَنَافها ... ففي هاشم أشرافُها وقديمُها
وإنْ فَخَرَتْ يوماً فإنَّ محمداً ... هو المُصْطَفى مَنْ سرّها وكريمُها
تداعَتْ قريشٌ غثُّها وسَمِينُها ... علينا فلم تَظْفَر وطاشتْ حُلُومُها
وكنّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامَةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْر الخُدود نُقيمها[٢]
ونحْمي حِماها كلَّ يومٍ كريهة ... ونَضْرِبُ عن أحجارها من يَرُومها
بنا انْتَعَش العُود الذَّواء وإنَّما ... بأكنافنا تندى وتَنْمَى أرُومُها[٣]

الوليد بن المغيرة: كَيْده للرسول، وموقفه من القرآن

ثم إنّ الوليد بن المُغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمِعُوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذّب بعضُكم بعضاً، ويردّ قولكم بعضه بعضاً؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقِم لنا رأياً نقول به؛ قال: بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن؛ قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكُهّان فما هو بزمزمة[٤] الكاهن ولا سَجَعه؛ قالوا: فنقول: مجنون؛ قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تَخالجه، ولا

---

(١) سرها: وسطها، وسرّ الوادي وسرارته وسطه وذلك مدح في موضعين في وصف الشهود وفي النَسَب. (الروض الأنف ١/١١)

(٢) ثنوا: عطفوا. وصعّر خدَّه: أماله إلى جهة مثل فِعْل المتكبّر.

(٣) الذّواء: الذي جفّت رطوبته، الأروم: مفرده أرومة وهي الأصل. والأبيات في: عيون التواريخ ١/٥٥ - ٥٧.

(٤) زمزمة الكاهن: كلامه الخفيّ.

وَسْوَسَته؛ قالوا: فنقول: شاعر؛ قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشِعْر كلّه رجزَه وهزَجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول: ساحر؛ قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحَّار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقْدهم[1]؛ قالوا: فما نقول يا أبا عبدشمس؟ قال: والله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ أصله لعذق، وإنّ فرعه لجناة ـ قال ابن هشام: ويقال لغَدَق[2] ـ وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل، وإنّ أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبل الناس حين قدِموا الموسم، لا يمرّ بهم أحد إلاّ حذّروه إيّاه، وذكروا لهم أمره. فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله: **﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً، وَبَنِينَ شُهُوداً، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾**[3]: أي خصيماً.

قال ابن هشام: عنيد: معاند مخالف. قال رُؤبة بن العجّاج:

ونحن ضرّابون رأس العُنَّدِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[4].

---

(١) العقد والنفث: هو أن يعقد الساحر خيطاً وينفث فيه بفمه.

(٢) قول الوليد: إنّ أصله لعذق، وإنّ فرعه لجناة. استعارة من النخلة التي ثبت أصلها، وقوي وطاب فرْعها إذا جُني، والنخلة هي: العَذق بفتح العين، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام، لأنها استعارة تامّة يشبه آخر الكلام أو له، ورواية ابن هشام: إنّ أصله لغَدَق، وهو الماء الكثير، ومنه يقال: غيدق الرجل إذا كثر بصاقه. وأحد أعمام النبيّ ـ ﷺ ـ كان يسمّى: الغيداق لكثرة عطائه ـ والغيدق أيضاً ولد الضبّ، هو أكبر من الحسل قاله قطرب في كتاب الأفعال والأسماء له. (الروض الأنف ١/٢١)

(٣) سورة المدّثر، الآيات: ١١ ـ ١٦.

(٤) سورة المدّثر، الآيات: ١٧ ـ ٢٤.

قال ابن هشام: بَسَر: كره وجهه. قال العجّاج:

مُضبِّر اللحيين بَسْراً مِنْهَساً[1]

يصف كراهية وجهه. وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذٰا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَـٰذا إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[2].

ردّ القرآن على صحْب الوليد: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في رسوله ﷺ وفيما جاء به من الله تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصنّفون القول في رسول الله - ﷺ -، وفيما جاء به من الله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ ٱلْمُقْتَسِمِينَ. ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ. فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

قال ابن هشام: واحدة العِضين: عِضة، يقول: عضّوه: فرّقوه. قال رؤبة بن العجّاج:

وليس دين الله بالمعضيِّ

وهذا البيت في أرجوزةٍ له.

قال ابن إسحاق: فجعل أولئك النّفر يقولون ذلك في رسول الله - ﷺ - لمن لقُوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله - ﷺ -؛ فانتشر ذِكره في بلاد العرب كلّها[4].

شِعر أبي طالب في معاداة خصومه: فلما خشي أبو طالب دَهْماء العرب

---

(١) المضبر: الشديد. واللحيان عظْمان في الوجه. والنهس: أخذ اللحم بمقدّم الأسنان.

(٢) سورة المدّثّر، الآيات: ٢٣ - ٢٥.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٩١ - ٩٣.

(٤) أنظر: السير والمغازي ١٥٠ - ١٥٢، دلائل النبوّة للبيهقي ٤٤٨/١، نهاية الأرب ٢٠٣/١٦ - ٢٠٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٥٤ - ١٥٧، سيرة ابن كثير ٤٩٨/١ - ٥٠٠، عيون الأثر ١٠١/١.

أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوَّذ فيها بحَرَم مكة وبمكانه منها، وتودّد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسْلم رسولَ الله ﷺ، ولا تاركَه لشيءٍ أبداً حتى يهلك دونه، فقال:

ولمّا رأيت القوم لا وُدّ فيهم[1] وقد قطعوا كُلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدوّ المُزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنّةً يعضّون[2] غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرتْ لهم نفسي بسمراءَ[3] سمْحة وأبيض عضْب من تراث المقاول[4]
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل[5]
قياماً معاً مستقبلين رتاجَه[6] لدى حيث يقضي حَلفه كل نافل[7]
وحيث يَنيخ الأشعرون رِكابهم بمُفْضَى السُّيُول من إسافَ ونائل[8]
مُوَسَّمة الأعضادِ أو قَصَراتِها مخيَّسة بين السديس وبازل[9]

---

(١) في السير والمغازي «بينهم».
(٢) في السير والمغازي ١٥٦ «يعطون» وما أثبتنا، هو الصحيح.
(٣) في السير والمغازي «بصفراء».
(٤) أراد بالمقاول: آباءه، شبّههم بالملوك، ولم يكونوا ملوكاً، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هِرَقْل: هل كان في آبائه من ملك؟ فقال: لا. ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكر أبو طالب من هِبات الملوك لأبيه، فقد وهب ابن ذي يزن لعبدالمطّلب هبات جِزْلةً حينَ وَفَدَ عليه مع قريش، يهنّئونه بظَفَرَه بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله - ﷺ - بعامين (الروض ٢/٢٢)
وقد ورد هذا الشطر في السير والمغازي:
وأبيض غضب من سيوف المقاول
(٥) الوصائل: ثياب مخططة حمراء، كان يُكسَى بها البيت الحرام.
(٦) ورد في السير والمغازي: عكوفاً معاً مستقبلين وتاره.
(٧) النافل: المتبرّىء.
(٨) حتى هنا ينتهي الموجود في السير والمغازي ١٥٥، ١٥٦.
(٩) موسمة: معلمة، ويقال للوسْم الذي في الأعضاد: السطاع والرقمة، وللذي في الفخذ: الخياط، وفي الكشْح: الكشاح، والذي في قصرة العنق: العلاط، والقصرات: أصول الأعناق، والمخيّسة: المذلّلة، والسديس: الذي دخل في السنة السادسة. والبازل: الذي بلغ التاسعة فخرج نابه. (الروض الأنف ١/٢٢).

تـرى الـوَدْع فيهـا والـرُّخَـام وزينـةً بـأعنـاقهـا معقـودةً كـالعثـاكـل[١]
أعـوذ بـربِّ النَّـاس من كـل طـاعنٍ عـلينـا بسـوء أو مُـلحٍّ ببـاطـل
ومن كـاشـحٍ يسعى لنـا بمَعيبـةٍ ومن مُلْحِق في الـدِّين ما لم نُحـاول
وثـورٍ ومَنْ أرسَى ثَـبِيـراً مكـانـه وراقٍ ليَـرْقَى فـي حِـراءَ ونـازل[٢]
وبالبيت، حقّ البيت، من بطن مكة وبـالله إنّ الله لـيس بـغـافِـل
وبـالحجـر المُسْـوَدّ إذ يَمْسحـونـه إذا اكتنفـوه[٣] بـالضُّحى والأصـائـل
ومَوْطِيءِ إبراهيمَ في الصَّخْر رَطْبة[٤] على قَـدَمَيْـه حـافياً غيـر نـاعـل
وأشـواطٍ بين المَـرْوَتَيْن إلى الصَّفـا ومـا فيهمـا من صُـورة وتَمـاثُـل[٥]
ومن حـجّ بيتَ الله من كـل راكب ومن كـلّ ذي نَـذْر ومن كـل راجـل
وبـالمَشْعَـر الأقصى إذا عَمـدوا لـه إلالٌ إلى مُفْضَى الشِّـراج القوابـل[٦]
وَتَـوْقـافِهم فـوق الجِبـال عَشِيَّـةً يُقيمـون بالأيـدي صـدورَ الـرواحـل
وليلةِ جَمْـعٍ[٧] والمنـازل من مِنَى وهـل فـوقهـا من حُـرْمَـة ومَنـازل
وجَمْـع إذا مـا المُقْـرَبـات أجـزْنَـه سِراعاً كمـا يخْرُجْنَ من وَقْـع وابِل[٨]
وبـالجمرة الكُبـرى إذا صَمَـدوا لهـا يؤمُّـونَ قَـذْفـاً رأسَهـا بـالجنـادل

---

(١) الودْع: خرزات يتحلّى بها الصبيان. والعثاكل: الأغصان.
(٢) ثور وثبير وحراء: جبال بمكة.
(٣) اكتنفوه: أحاطوا به.
(٤) موطيء إبراهيم في الصخْر رَطْبة. يعني موضع قـدَميه حين غسّلت كنّتـه (زوج ابنه) رأسـه؛ وهو راكب، فاعتمد بقدمـه على الصَّخرة حين أمـال رأسه ليغسـل، وكانت سـارة قد أخـذت عليه عهداً حين استأذنها في أن يطالع تـركته بمكـة، فحلف لها أنـه لا ينزل عن دابّتـه، ولا يـزيد على السـلام، واستطلاع الحـال غيرة من سـارة عليـه من هـاجـر، فحين اعتمـد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمـه آية. قـال الله سبحانـه: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾. (الروض الأنف ٢/ ٢٥).
(٥) الأشـواط: جمع شـوط، الجرْي من البـداية إلى الغـايـة مـرّة واحـدة، والمـروتين: الصّفـا والمَرْوة، فهو من باب التغليب كالأبوين. والتماثل أسقط ياءها ضرورة.
(٦) المَشْعَر: عرفة. الإل: جبل بعرفات. والشـراج: جمع شـرج وهو مسيـل الماء. والقـوابل: المقابلة.
(٧) جمع: المزدلفة.
(٨) المقربات: الخيل الكريمة التي تقرب مرابطها من البيوت. الوابل: المطر الشديد.

وكِنْـدة إذ هُم بـالحِصــاب[1] عشيَّـة ... تُجيــز بهم حُجَّـاج بَكْــر بن وائـل
حليفـان شـدًا عَقْـدَ مـا احتَلفَــا لـه ... ورَدًّا عليــه عـاطفــات الـوســائـل
وحَـطْمِهِمُ سُمْـرَ الـرمـاح وَسَــرْحُـهُ ... وشِبْـرِقَـه وخْـدَ النّعـام الجَــوافِـل[2]
فهــل بعـد هــذا من مَعـاذٍ لعــائـذٍ ... وهــل من مُعيــذ يتّـقي الله عــاذل
يُـطاع بنــا أمــرُ العُــدى وُدّ أنّـنــا ... تُســدُّ بنـا أبــوابُ تُـرْك وكــابُــل[3]
كــذبتم وبيــتِ الله نـتــرك مكّــةً ... ونــطعن إلاّ أمــرُكم في بَـلابِــل[4]
كــذبتم وبيتِ الله نُبْـزَى محمــداً ... ولمــا نُــطاعن دونَــه ونـنــاضـل[5]
ونُـسلمــه حتـى نُـصَــرَّع حــولَــه ... ونَــذْهَـل عن أبنــائنـا والحَــلائـل
وينهض قــومٌ في الحــديــد إليكُمُ ... نهوضَ الرَّوايا تحت ذات الصَّلاصل[6]
وحتى تـرى ذا الضِّغن يـركب رَدْعـه ... من الطَّعْنِ فِعْل الأنْكَب المُتَحامِل[7]
وإنّـا ـ لعمـر الله ـ إنْ جــدَّ مـا أرى ... لَـتَلْتَـبِسَـنْ أسيــافُـنــا بــالأمــاثــل
بكفَّيْ فَتى مثـل الشّهـاب سَمَيْـدع[8] ... كـأخِي ثقةٍ حـامي الحقيقـة بـاسـل
شُهــوراً وأيـامــاً وحـولاً مُجَــرَّمـاً[9] ... علينــا وتـأتي حِجَّــةٌ بعــد قــابــل
ومـا تـركُ قـومٍ ، لا أبـالـك، سيّـداً ... يَحُـوط الذِّمار غير ذَرْب مُـواكِـل[10]
وأبيضُ يُسْتَسْقى الغَمــام بــوجْهــه ... ثِمـال اليتـامى[11] عِصْمـة لـلأرامــل
يلوذ بــه الهُــلاّف[12] من آل هـاشم ... فهم عنــده في رحمــةٍ وفــواضــل

(١) الحصاب: مكان رمي الجمار.
(٢) الحطم: الكسر. والسمـر: من شجر الطلح. والسرح: الشجر العظام، والشبـرق: نبات. والوخد: السريع. والجوافل: المسرعة. وفي رواية «سُمْر الصفاح».
(٣) ترك وكابل: جيلان من الناس.
(٤) البلابل: وساوس الهموم.
(٥) نُبْزى: نسلب ونغلب.
(٦) الروايا: الأبل تحمل الماء. والصلاصل: المزادات يسمع لها صلصلة.
(٧) الضغن: العداوة. ويركب ردعه: يخرّ على وجهه صريعاً، والأنكب: المائل.
(٨) السميدع: السيد من الرجال.
(٩) المجرَّم: الكامل.
(١٠) الذمار: الحمى. والذرِب: الفاحش المنطق. المواكل: من يَكِل أمره إلى غيره.
(١١) ثمال اليتامى: من يتولى أمرهم ويقوم بهم.
(١٢) وفي رواية «الهَلاّك».

لَعمري لقد أجرى أسيدٌ وبِكْرُهُ إلى بُغضنا وجزّآنا لآكل
وعثمانُ لم يَرْبَع[1] علينا وقُنْفُذٌ ولكن أطاعا أمرَ تلك القبائل
أطاعا أُبَيًّا وابنَ عبد يغوثِهم ولم يَرْقُبا فينا مقالةَ قائل
كما قد لَقِينا من سُبَيْع ونَوْفَل وكُلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضاً لم يُجَامِل
فإن يُلْقيا أو يُمكنِ الله منهما نَكِلْ لهما صاعاً بصاعِ المُكايل
وذاك أبو عمرو أبى غيرَ بُغْضنا ليُظعَنا في أهل شاءٍ وجامل[2]
يُناجي بنا في كلّ مُمْسىً ومُصْبَح فناج أبا عَمروٍ بنا ثم خاتل
ويؤلي[3] لنا بالله ما إنْ يَغُشُّنا بَلَى قد نراهُ جَهْرَةً غير حائل
أضاق عليه بُغْضُنا كلَّ تَلْعة من الأرض بين أخشُبٍ فمجادل[4]
وسائلْ أبا الوليد ماذا حَبَوْتَنا بسَعْيِكَ فينا مُعْرِضاً كالمُخاتل
وكنتَ امرءاً ممن يُعاش برأيه ورحمته فينا ولستُ بجاهلِ
فعُتبةُ لا تسمعْ بنا قول كاشح حَسودٍ كذوبٍ مُبْغضٍ ذي دَغاول[5]
ومرّ أبو سفيانَ عنّي مُعْرِضاً كما مرّ قَيْلٌ من عِظام المَقاول
يفرُّ إلى نَجْدٍ وَبَرْدِ مياهه ويزعمُ أنّي لستُ عنكم بغافل
ويُخْبِرنا فعلَ المُناصِح أنّهُ شفيقٌ ويُخفي عارمات الدواخل[6]
أَمُطْعِمُ لم أخْذُلْك في يوم نجدةٍ ولا مُعْظِم عند الأمورِ الجلائل
ولا يوم خصْم إذا أتَوْك ألِدَّة أُولَي جَدَلٍ من الخصوم المَسَاجِل[7]

---

(١) لم يربع: لم يقم.
(٢) الجامل: جماعة الجمال.
(٣) يؤلي: يقسم.
(٤) التلعة: ما شَرُف من الأرض. والأخشب: أراد الأخاشب وهي جبال مكة،.وجاء به على أخشب لأنه في معنى أجبل، مع أنّ الاسم قد يُجمع على حذف الزوائد ويصغر كذلك، والمجادل: القصور والحصون في رؤوس الجبال. كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام والعراق، والفاء في مجادل تعطي الاتصال بخلاف الواو كقوله «بين الدَّخول فَحَوْمَلِ».
(٥) الدغاول: الغوائل.
(٦) العارمات: الشديدات. والدواخل: التمائم.
(٧) المساجل: من يعارض في الخصومة.

أَمُـطْعِمُ إنَّ القومَ سـامـوك خُـطَّة وإنّي متى أوكَـلْ فلستُ بـوائـل[1]
جـزى الله عنّا عبـد شمس ونـوفـلاً عقـوبـة شـرٍّ عـاجـلاً غيـرَ آجِـل
بميـزان قِسْط لا يُخِسّ[2] شَعِيـرةً لـه شـاهـدٌ من نفسـه غيـر عـائـل[3]
لقـد سفُهَتْ أحـلامُ قـوم تبـدّلـوا بني خَلفٍ قَيْضـاً بنـا والغَيـاطـل[4]
ونحن الصَّمِيمُ مـن ذؤابـة هـاشم وآل قُصيٍّ في الخُـطوبِ الأوائـل
وسهمٌ ومخـزومٌ تَمـالَـوْا وألَّبُـوا علينا العِدا من كـلِّ طِمْل[5] وخـامل
فعبـد منـاف أنتمُ خيـرُ قـومكم فـلا تُشركـوا في أمركم كـلَّ واغل[6]
لَعَمْـرِي لـقـد وَهَنْتُمُ وَعَـجَـزْتُم وجئتم بـأمرٍ مُخطيء للمَفـاصِـل[7]
وكـنـتـم حـديثـاً حَـطْبَ قِـدْرٍ وأنـتـمُ الآن حَـطابُ أقـدُرٍ ومَـراجِـل
ليَهْنيء بني عبـد مَنـاف عُقُـوقُنـا وخُـذْلاننـا وتـرْكُنـا في المَعـاقـل
فـإنْ نـكُ قـومـاً نَتَّئِـر مـا صنعتُم وتَحتلبـوهـا لِقْحـة غيـر بـاهِـل[8]
وسـائط كـانت في لُؤَيّ بن غـالبٍ نفـاهم إلينـا كُـلُّ صَقْـر حُـلاحِـل[9]
ورهط نُفَيْـل شَرُّ من وطِيء الحَصَى وألأم حـافٍ مـن مَـعَـدّ ونـاعِـل
فـأبْلِغْ قُصَيّـاً أنْ سيُنْشَـر أمـرُنـا وبَشّـر قُصَيّـا بعـدَنـا بـالتّخـاذل
ولـو طَـرقت ليـلاً قُصَيّـاً عـظيمـةٌ إذا مـا لجـأنـا دونهم في المـداخـل

---

(١) سامه خطة: كلّفه بها. والوائل: الناجي.
(٢) يخسّ: ينقض ويفسد العهد.
(٣) العائل: الحائر.
(٤) القيض: العوض. والغياطل: بنو سهم، لأنّ أمّهم الغيطلة، وقيل: إنّ بني سهم سُمُّوا بالغياطل، لأنّ رجلاً منهم قتل جانّاً، طاف بالبيت سبعاً، ثم خرج من المسجد فقتله، فاظلمت مكة، حتى فزعوا من شدّة الظلْمة التي أصابتهم. والغيطلة: الظلمة الشديدة، والغيطلة أيضاً: الشجر الملتفّ، والغيطلة: اختلاط الأصوات، والغيطلة: البقرة الوحشية، والغيطلة: غَلَبَة النُعاس.
(٥) الطمل: الفاحش.
(٦) الواغل: الهاجم على القوم في شرابهم ولم يدع.
(٧) مخطيء للمفاصل: بعيد عن الصواب.
(٨) نتّئر: نأخذ بثأرنا. واللِقْحة: الناقة ذات اللبن. والباهل: الناقة المباحة للحلْب.
(٩) الحُلاحِل: السيد الشجاع.

ولـو صدقـوا ضَـرْبـاً خـلال بيُـوتهم — لكنَّـا أُسىً عنـد النسـاء المطافـل[1]
فكــلُّ صــديقٍ وابـنِ أُختٍ نعــدُّه — لَعَمْـرِي وَجَـدنـا غِبَّـه غيـرَ طـائــل
سـوى أنَّ رهـطاً من كِـلاب بن مُرَّة — بــراءٌ إليـنــا مـن معـقَّــة خـاذِل[2]
وهَـنَّـا لهـم حتـى تبـدَّد جمعُهُمُ — ويَحْسُـرَ عنَّـا كـلُّ بـاغٍ وجـاهِـل
وكــان لنـا حــوض السِّقـايــة فيهم — ونحن الكُدى من غالب والكواهل[3]
شـبــاب من الــمـطيِّبين وهــاشــم — كبيض السيـوف بين أيدي الصيـاقل
فمـا أدركـوا ذَحـلاً ولا سفكـوا دمـا — ولا حــالفــوا إلاّ شِـرار القبــائــل
بضـربٍ تَـرَى الفِتْيَـانَ فيـه كـأنّهم — ضَـوَاري أُسود فـوق لحم خَـرادِل[4]
بني أمــةٍ مـحبــوبــةٍ هِـنْــدِكيّــة[5] — بني جُمــح عُبيـد قيس بن عــاقـل
ولـكـنّــنــا نــســلٌ كــرامٌ لــسـادةٍ — بهم نُعِيَ الأقــوام عنـد البَــواطــل
ونعم ابن أختِ القـوم غيـرَ مكـذَّب — زهيـرٌ حُسـامــاً مفـرداً من حمــائـل
أشَمُّ من الشُّمّ الـبَهَــالـيــل يَنـتمـي — إلى حسبٍ في حَوْمة المجْد فاضـل
لَعَمْـري لقـد كُلِفْتُ وجْـداً بـأحمـد — وإخــوتـه دأبَ المُحِبّ المُــوَاصــل
فـلا زال في الـدنيـا جمـالاً لأهلهـا — وزينــا لمن والاه ربُّ المشــاكــل
فمن مِـثْلُه فـي النّــاس أيُّ مـؤمِّــل — إذا قــاسـه الحُكّـام عنـد التَّفــاضـل
حليمٌ رشيــد عــادل غيــرُ طــائش — يُـوالي إلٰهــاً ليس عنــه بـغــافــل

---

(١) الأُسى: جمع أسوة، والمطافل: ذوات الأطفال.
(٢) يقال قوم براء بالفتح: وبراء بالكسر، فأما بِراء بالكسر فجمع بريء، مثل كـريم وكرام، وأمـا براء فمصدر، مثل سَلام والهمزة فيه وفي الذي قبله لام الفعل، ويقـال: رجل بـراء ورجلان براء، وإذا كسرتها أوضممتهالم يجز إلاّ في الجمع، وأما بُراء بضمّ الباء: فالأصل فيه بُـرَءآء مثل كرماء، فاستثقلوا اجتماع الهمزتين، فحذفوا الأولى، وكان وزنه فعلاء، فلما حذفوا التي هي لام للفعـل صار وزنـه فعاء، وانصـرف لأنه أشبـه فعـالاً، والنسب إليـه إذا سُمِّيت بـه، بـراوي، والنسب الى الآخـرين بـرائي وبـرائي، وزعم بعضهم إلى أنّ بـراء بضمّ أولـه من الجمع الذي جاء على فعالى، ومثل فرير وفرار وعرن وعران. (الروض الأنف ٢٨/١)
(٣) الكُدَى: جمع كدية، وهي الصخرة العظيمة. والكواهل: جميع كاهل، وهو سند القوم.
(٤) الخرادل: القِطَع العظيمة.
(٥) الهندكيّ: منسوب الى الهند.

فـوالله لـولا أن أجيء بسُـبَّـةٍ[1] تُجَـرُّ على أشيـاخنـا في المحـافـل
لكنّـا اتبعْنـاه على كـلّ حـالـةٍ من الـدّهر جـدّاً غيـر قـول التهـازل
لقـد عَلمـوا أنّ ابنَنـا لا مُكـذَّبٌ لـدينا ولا يُعنَى بقـول الأبـاطـل
فـأصبح فينـا أحمـدٌ في أرومَـة تُقصِّـر عنـه سَـوْرةُ المُتـطاول[2]
حَـدِبْتُ بنفسي دونـه وَحَمَيْتُـهُ ودافعْتُ عنه بـالـذُّرا والكـلاكـل[3]
فـأيّـده ربُّ الـعِبـاد بـنـصْـره وأظهـر دينـاً حقُّـهُ غيـرُ بـاطـل
رجالٌ كِـرامٌ غيـرُ مِيـلٍ[4] نَمـاهُمُ إلى الخَيـر آبـاءُ كِـرام المَحـاصـل
فـإنْ تـكُ كعبٌ من لُؤيّ صُقَيّبةً[5] فـلا بـدّ يـومـاً مَـرَّة مِن تَـزَايُـل[6]

قال ابن هشام: هذا ما صحّ لي من هذه القصيـدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

الرسول عليه السلام يستسقي لأهل المدينة ويودّ لـو أنّ أبا طـالب حيّ ليرى ذلك: قال ابن هشام: وحدّثني من أثِق به، قـال: أقحط أهل المـدينة، فـأتـوا رسـولَ الله ﷺ، فشكـوا ذلـك إليـه، فصعِـد رسـول الله ﷺ المنبَـر فاستسقى[7]، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهـل الضّواحي[8] يشكـون منه الغرق؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللّهُمَّ حوالينا ولا علينا»[9]، فـانجاب السحـاب

---

(١) وفي رواية «بسُنَّة».
(٢) السورة: الشدة والبطش.
(٣) حدبت: عطفت. والذرا: جمع ذروة أعلى ظهر البعير، والكلاكل: عظام الصدور.
(٤) الميل: جمع أميل وهو الذي لا يحسن الركوب.
(٥) صُقيبة: قريبة.
(٦) أنظر سبعة أبيات فقط في السير والمغازي ١٥٦، وتسعة عشر بيتاً في تاريخ الإسـلام ١٦٢، ١٦٣.
(٧) حديث الاستسقاء بالمدينة حديث مرويّ من طُرُق كثيرة وبألفاظ مختلفة. (الروض ١/٢٨).
(٨) الضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر ولا مَنجاة من السيول. وقيل: ضاحية كل بلد خارجه. (الروض الأنف ١/٢٨).
(٩) وقوله عليه السلام، «اللّهُم حوالينا، ولا علينا»، كقوله في حديثٍ آخر، «اللهمَّ منابت الشجر وبـطون الأوديـة، وظهـور الأكـام»، فلم يقـل، اللهم ارفعْـه عنّـا ـ هـو من حسن الأدب في الـدعاء، لأنهـا رحمة الله، ونعمتـه المطلوبـة منه، فكيف يـطلب منـه رفـع نعمتـه، وكشف=

عن المدينة، فصار حواليها كالإكليل؛ فقال رسول الله ﷺ: «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرَّه»، فقال له بعض أصحابه: كأنّك يا رسول الله أردت قولَه:

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه ... ثِمالُ[1] اليتامى عِصْمَةٌ للأرامِل

قال: أجل.

قال ابن هشام: وقوله «وشبرقه» عن غير ابن إسحاق.

ذكر الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب: قال ابن إسحاق: والغياطل: من بني سهم بن عمرو بن هصيص، وأبو سفيان بن حرب بن أميّة. ومطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبدمَناف. وزُهير بن أبي أميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، أمّه عاتكة بنت عبدالمطّلب. قال ابن إسحاق: وأسيد، وبكره: عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة بن عبدشمس بن عبدمَناف بن قُصَيّ. وعثمان بن عُبيد الله، أخو طلحة بن عُبيد الله التيميّ. وقنفذ بن عُمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة. وأبو الوليد عُتبة بن ربيعة. وأبو الأخنس بن شَرِيق الثقفي، حليف بني زُهرة بن كِلاب.

قال ابن هشام: وإنّما سُمّي الأخنس. لأنّه خَنَس بالقوم يوم بدر، وإنّما اسمه أُبيّ، وهو من بني علاج، وهو علاج بن أبي سَلَمَة بن عوف بن عُقْبة. والأسود بن عبد يغوث بن وهْب بن عبدمَناف بن زُهْرة بن كِلاب. وسُبيع بن خالد، أخو بلحارث بن فِهْر. ونوفل بن خُوَيلد بن أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ، وهو ابن العدويّة. وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن بين أبي

= رحمته، وإنّما يسأل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء. (الروض الأنف ١/٢٨).

(١) هكذا في الأصول، وأنساب الأشراف ١/٥٥٣، وفي العقد الفريد ٣/٢٣٢ و٤/٢٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٣ «ربيع».

بكر الصِّدِّيق وطلحة بن عُبيدالله رضي الله عنهما في حَبْلٍ حين أسلما، فبذلك كانا يسمَّيان القرينين؛ قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر. وأبو عمرو قُرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبدمَناف. «وقوم علينا أظنّة»: بنو بكر بن عبد مَناة بن كِنانة. فهؤلاء الذين عدّد أبو طالب في شِعره من العرب.

انتشار ذكر الرسول خارج مكة: فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب، وبلغ البلدان، ذُكر بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذُكِر، وقبل أن يُذكر من هذا الحيّ من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود، وكانوا لهم حلفاء، ومعهم في بلادهم. فلما وقع ذِكره بالمدينة، وتحدّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف. قال أبو قيس بن الأسلت[1]. أخو بني واقف.

نسب ابن الأسلت: قال ابن هشام: نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف، ونَسَبه في حديث الفيل إلى خَطمة، لأنّ العرب قد تنسب الرجل إلى أخي جدّه الذي هو أشهر منه.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ الحَكَم بن عمرو الغِفاريّ من ولد نُعَيله أخي غِفار. وهو غِفار بن مُليل، ونُعيلة بن مُليل بن ضَمْرة بن بكر بن عبدمَناة، وقد قالوا: عُتبة بن غزوان السلميّ، وهو من ولد مازن بن منصور وسُليم بن منصور.

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلت: من بني وائل؛ ووائل، وواقف، وخطمة إخوة من الأوس.

شعر ابن الأسلت في الدفاع عن الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: فقال أبو قيس بن الأسلت ـ وكان يحبّ قريشاً، وكان لهم صهراً، كانت عنده أرنب

---

(١) واسم الأسلت عامر، والأسلت شديد فطس الأنف. انظر عنه في الأغاني ١١٧/١٧ ـ ١٣١.

بنت أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته - قصيدة يعظّم فيها الحُرْمة، وينهى قريشاً فيها عن الحرب، ويأمرهم بالكفّ بعضهم عن بعض، ويذكر فضلهم وأحلامهم، ويأمرهم بالكفّ عن رسول الله ﷺ، ويذكرهم بلاء الله عندهم، ودفعه عنهم الفيل وكيْده عنهم، فقال:

يا راكباً إمّا عَرَضَت فَبَلِّغن ... مُغَلْغِلَةً عنّي لُؤَيّ بنَ غالبِ[1]

رسول امريء قد راعه ذاتُ بينِكم ... على النَّأي محزونٍ بذلك ناصبِ[2]

وقد كان عندي للهُموم مَعرَسٌ ... فلم أفضِ منها حاجتي ومآربي[3]

نُبَيِّتُكُمْ شَرْجَيْن كلّ قبيلةٍ ... لها أزْمَلٌ من بين مُذْكٍ وحاطب[4]

أعِيذُكم بالله من شرّ صُنْعكم ... وشرّ تَباغِيكم ودسّ العقارب

وإظْهار أخلاقٍ ونَجْوَى سقيمةٍ ... كوخْز الأشافي[5] وقْعها حقٌّ صائب

فذكِّرْهُمُ بالله أوّلَ وَهْلَةٍ ... وإحلال أحرام الظِّباء الشَّوازب[6]

وقل لهم والله يحكم حُكْمه ... ذَرُوا الحربَ تذهب عنكم في المَراحب[7]

متى تَبعثوها تبعثوها ذَميمةً ... هي الغُول[8] للأَقْصَيْن أو للأقارب

تقطِّع أرحاماً وتُهْلِكُ أمّةً ... وتَبْري السَّديف من سَنام وغارب[9]

---

(١) المغلغلة: الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها. يراد بها الرسالة.

(٢) الناصب: المعيي.

(٣) أصل المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافرون ليلاً للاستراحة.

(٤) شرجين: فريقين مختلفين. والأزمل: الصوت، والمذكى: موقد النار، والحاطب: الذي يحطب لها، ضرب مثلاً لنار الحرب كما قال الشاعر:

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

فإنّ النار بالعودين تُذكى ... وإنّ الحرب أولها الكلام

(الروض الأنف ١/ ٣٠).

(٥) الأشافي: المخارز.

(٦) أحرام الظباء: التي يحرُم صيْدها في الحرام، والشوازب: ضامرة البطن.

(٧) المراحب: الأماكن المتّسعة.

(٨) الغول: الهلاك.

(٩) تبري: تقطع. السديف: لحم السنام. الغارب: أعلى الظهر.

وتَسْتبدلوا بالأتحميّة بعدها ... شليلاً وأصداءً ثيابَ المُحارب[1]
وبالمِسْك والكافور غُبْراً سَوابغا ... كأنّ قتيرَيْها[2] عيونُ الجنادب
فإيّاكُمُ والحرَب لاتَعْلَقنَّكُم ... وحَوْضاً وخِيم الماء مُرَّ المشارب
تَزَيَّن للأقْوام ثُمَّ يَرَوْنَها ... بعاقبةٍ إذ بَيِّنَت، أمّ صاحب[3]
تحرّق لاتُشوِي ضعيفاً وتنتحي[4] ... ذوي العِزّ منكم بالحُتوف الصَّوائب
ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ ... فتعتبروا أو كان في حرْب حاطِب
وكم قد أصابتْ من شريف مُسوَّدٍ ... طويلِ العِماد ضيفُهُ غيرُ خائب
عظيم رماد النّار يُحمَد أمرُه ... وذي شيمةٍ محضٍ كريم المَضارب[5]
وماء هُريق في الضّلال كأنّما ... أذاعت به ريح الصّبا والجنائب
يخبّركم عنها امرؤٌ حقُّ عالمٍ ... بأيّامها والعِلْمُ عِلْمُ التّجارب
فبيعُوا الحِرابَ مِلْمُحارب واذكُروا ... حسابكم والله خَيرُ مُحاسِب
وليّ امريءٍ فاختار ديناً فلا يكُنْ ... عليكم رقيباً غيرَ ربّ الثواقب[6]
أقيموا لنا ديناً حنيفاً فأنتم ... لنا غايةٌ قد يُهتدَى بالذّوائب[7]
وأنتم لهذا النّاس نورٌ وعصمةٌ ... تُؤَمُّونَ، والأحلام غير عَوازب[8]
وأنتم، إذا ما حُصِّل الناسُ، جوهرٌ ... لكم سُرَّة البطحاء شُمُّ الأرانب[9]
تصونون أجساداً كِراماً عتيقةً ... مُهذَّبة الأنساب غيرَ أشائب[10]

---

(١) الأتحمية: ثياب فاخرة تصنع باليمن. والشليل: الدرع القصيرة، والأصداء: الحديد.
(٢) القتير: حلق الدرع.
(٣) بيّنت: اتّضحت. وأم صاحب: أي عجوزاً كأمّ صاحب لك إذ لا يصحب الرجل عادة إلاّ من كان في سنّه.
(٤) لا تشوي: لا تخطيء. وتنتحي: تقصد.
(٥) المضارب: يقصد مضارب سيوفه.
(٦) الثواقب: النجوم.
(٧) الذوائب: الأعالي.
(٨) الأحلام: العقول، والعوازب: البعيدة.
(٩) السرة: العلو، والشُمّ: المرتفعة.
(١٠) الأشائب: المختلطة، ويريد بغير الأشائب أنّ نَسَبهم خالص لا عيب فيه.

تـرى طالبَ الحـاجات نحـو بيوتكم عصـائبَ هَلْكى تهتـدي بعصـائب
لـقــد علم الأقــوامُ أنّ سَــراتـكـم على كلِّ حال خيرُ أهل الجبـاجب[1]
وأفــضــله رأيـاً وأعــلاه ســنَّــة وأقــولُــه لـلحقّ وسط الـمــواكـب
فقــومــوا فصَلّوا ربَّكم وتمسَّحــوا بـأركان هـذا البيت بين الأخاشب[2]
فـعنــدكـم منـه بــلاءٌ ومـصــدَق غَـدَاةَ أبي يَكْسـوم هــادِي الكتـائب
كتيبتُــه بــالـسهــل تُـمْسي ورجْلُه على القاذفات في رُءوس المناقب[3]
فلمـا أتاكم نَصْـرُ ذي العـرش ردّهم جنودُ المليك بين سـافٍ وحاصب[4]
فــولّـوْا سِــراعــاً هــاربين ولم يَؤبْ إلى أهله مِلْحُبْش غيــرُ عصــائـب
فـإنْ تهلِكـوا نهلِك وتهلِكْ مَــواسم يُعاش بها، قولُ امريءٍ غيرِ كاذب[5]

قال ابن هشام: أنشدني بيته، «وماء هريق»، وبيتـه: «فبيعوا الحـراب»، وقوله: «ولي امريء فاختار»، وقوله:

على القاذفات في رءوس المناقب

أبو زيد الأنصاري وغيره.

حرب داحس والغبراء: قال ابن هشام: وأما قوله:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس[6]

---

(١) الجباجب: المنازل في مِنَى.
(٢) الأخاشب: جبال مكة.
(٣) القاذفات: قمم الجبال، والمناقب: الطرق التي فيها.
(٤) السافي: من يثير الغبار، والحاصب: الذي يثير الحصباء.
(٥) وردت أربعـة أبيات فقط في أخبـار مكة لـلأزرقي ١/١٥٥ وفي تاريـخ الإسلام ١٦٤ تسعـة أبيات.
(٦) أنـظر عن حرب داحس والغبـراء: الأغاني ١١/٨٦ ومـا بعـدهـا ـ طبعـة دار الكتب، العقـد الفريد ٥/١٥١، المعارف ٦٠٦، الكامل في التاريـخ ١/٣٤٣ (طبعة المنيـرية)، المختصـر في أخبار البشر ١/٩٧، البداية والنهاية ٣/١٥٥، تاريخ ابن خلدون ٢/٦٣٢، نهـاية الأرب ١٥/٣٥٦، شرح ديوان الحماسة ١/٢٩٧، المعلّقات السبع للزوزني ٨٩، الأمثـال ٢/٥١، شرح القصائد العشر للتبريزي ٢١٣ (مـطبعة السعادة ١٩٦٤)، ديوان زهيـر بن أبي سلمى، النقائض ١/٢٩٩، الروض الأنف ٢/٣١، ٣٢.

فحدَّثني أبو عُبَيدة النَّحْوِيّ: أنّ داحساً فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبْس بن بغيض بن ريث بن غطفان؛ أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، يقال لها: الغبراء. فدسَّ حذيفة قوماً وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقاً، فجاء داحس سابقاً فضربوا وجهه، وجاءت الغبراء. فلما جاء فارس داحس أخبر قيساً الخبر. فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فلطم مالكاً. ثم إنّ أبا الجنيدب العبْسيّ لقي عوف بن حُذيفة فقتله، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكاً فقتله، فقال حمل بن بدر أخو حُذيفة بن بدر:

قتلنا بعوف مالكاً وهو ثأرنا . فإنْ تطلبوا منّا سوى الحقّ تندموا

وهذا البيت في أبيات له. وقال الربيع بن زياد العبْسيّ؛

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقبَ الأطهار

وهذا البيت في قصيدة له.

فوقعت الحرب بين عبس وفزارة، فقتل حُذيفة بن بدر وأخوه حَمل بن بدر، فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثي حُذيفة، وجزع عليه:

كم فارس يُدعى وليس بفارس وعلى الهباءة[1] فارس ذو مَصدق
فابكوا حُذيفة لن تُرثُّوا مثله حتى تبيد قبائل لم تخلق

وهذان البيتان في أبيات له. وقال قيس بن زهير:

على أنّ الفتى حمل بن بدر بغى والظُّلم مرتعه وخيم

وهذا البيت في أبيات له. وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير:

---

(١) الهباءة: مكان في بلاد غطفان.

تــركت على الهبــاءة[1] غيــر فخــر　　حُــذيفــة عنــده قصــد العوالي[2]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: ويقال: أرسل قيس داحساً والغبراء، وأرسل حُذيفة الخطّار والحنفاء، والأول أصحّ الحديثين. وهو حديث طويل منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله ﷺ.

حرب حاطب: قال ابن هشام: وأما قوله: «حرب حاطب». فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة بن الحارث بن أميّة بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج، فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ـ وهو الذي يقال له: ابن فُسحم، وفُسحم أمّه، وهي امرأة من القَيْن بن جسر ـ ليلاً في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان الظفر للخزرج على الأوس، وقُتل يومئذٍ سُويد بن صامت بن خالد بن عطيّة بن حوْط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، قتله المجذّر بن ذياد البلويّ، واسمه عبدالله، حليف بني عوف بن الخزرج. فلما كان يوم أُحُد خرج المجذّر بن زياد مع رسول الله ﷺ، وخرج معه الحارث بن سُويد بن صامت، فوجد الحارث بن سويد غِرَّةً من المجذّر فقتله بأبيه. وسأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله تعالى. ثم كانت بينهم حروب منعني من ذِكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس.

شعر حكيم بن أميّة في نهي قومه عن عداوة الرسول: قال ابن إسحاق: وقال حكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوقص السُّلمي، حليف بني أميّة

(١) الهباءة: مكان في بلاد غطفان.

(٢) القصد: القطع المتكسرة والعوالي: الرماح.

وقد أسلم، يورّع[1] قومه عمّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم شريفاً مُطاعاً:

هل قائل قولاً من الحقّ قاعد ... عليه وهل غضبان للرشد سامع
وهل سيّد ترجو العشيرة نفعه ... لأقصى الموالي والأقارب جامع
تبرّأت إلّا وجه من يملك الصَّبا ... وأهجركم ما دام مُدلٍ ونازع[2]
وأسلم وجهي للإله ومنطقي ... ولو راعني من الصديق روائع

ذكر ما لقي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من قومه

سفهاء قريش يؤذونه: **قال ابن إسحاق:** ثم إنّ قريشاً اشتدّ أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله ﷺ: سفهاءهم، فكذّبوه وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مُظْهِر لأمر الله لا يستخفى به، مبادلهم بما يكرهون من عيب دِينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيّاهم على كفرهم.

أشرّ ما أوذي به الرسول (ﷺ): **قال ابن إسحاق:** فحدّثني يحيى بن عُروة بن الزُّبير، عن أبيه عُروة بن الزبير، عن عبدالله عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يُظهرون من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قطّ، سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب دِيننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا: فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ

---

(١) يورّع: يصرف.
(٢) المُدل: المرسل للدلو في البئر، والنازع: الجاذب لها.

بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ: ثم مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش، «أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح»[1]. قال: فأخذت القوم كلمتُه حتى ما منهم رجل إلاّ كأنّما على رأسه طائر واقع، حتى إنّ أشدّهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه[2] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول؛ انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جَهولاً. قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجلٍ واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودِينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نعم: أنا الذي أقول ذلك». قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه. قال: فقام: أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإنّ ذلك لأشدّ ما رأيت قريشاً نالوا منه قطّ[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض آل أمّ كلثوم بنت أبي بكر، أنّها قالت: رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدعوا فرْق رأسه، مما جبذوه بلحيته، وكان رجلاً كثير الشعر[4].

---

(١) يعرّض ﷺ بهلاكهم.

(٢) رفاه: هدأه.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٣٢، ٣٣٣، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١٦٥، نهاية الأرب ١٦/٢٠٥، ٢٠٦، شرح المواهب ١/٢٥١، عيون التواريخ ١/٥٨.

(٤) السير والمغازي ٢٢٩، ٢٣٠.

وقد أخرج البخاري حديثاً بنحوه في كتاب بدء الخلق (٤/٢٣٩، ٢٤٠)، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وأخرجه أحمد في المسند ٢/٢٠٤، وانظر الوفا بأخبار المصطفى لابن الجوزي ١/١٩٠، ودلائل النبوّة للبيهقي ٢/٥٠، ٥١، وتاريخ الاسلام ٢١٥.

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم: أشدّ ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلاّ كذّبه وآذاه، لا حرّ ولا عبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله، فتدثّر من شدّة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّر، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[1].

إسلام حمزة رضي الله عنه[2]

سبب إسلامه: قال ابن إسحاق: حدّثني رجل من أسلم، كان واعية: أنّ أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدِينه، والتضعيف لأمره؛ فلم يكلّمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ[3] من قريش عند الكعبة، فجلس معهم. فلم يلبَثْ حمزة بن عبدالمطّلب رضي الله عنه أن أقبل متوشّحاً قوسه، راجعاً من قَنَصٍ يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قريش إلاّ وقف وسلّم وتحدّث معهم، وكان أعزّ فتىً في قريش، وأشدّ[4] شكيمة[5]. فلما مرّ بالمَوْلاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحَكَم بن هشام: وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبّه[6] وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمد ﷺ.

---

(١) قال السهيلي في الروض: في تسميته إياه بالمُدَّثِّر: في هذا المقام ملاطفة وتأنيس، ومن عادة العرب إذا قصدت المُلاطفة أن تسمّي المخاطب باسم مشتقّ من الحالة التي هو فيها: كقوله عليه السلام لحُذَيفة: قم يا نومان، وقوله لعليّ بن أبي طالب ـ وقد ترِب جنبه: قم أبا تراب. (الروض الأنف ١/٤٨).

(٢) السير والمغازي ١٧١، نهاية الأرب ١٦/٢٠٨، شرح المواهب ١/٢٥٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٧٠، عيون التواريخ ١/٥٩، عيون الأثر ١/١٠٤، سبل الهدى ٢/٤٤٣.

(٣) نادٍ: أي أهل نادٍ.

(٤) في السير والمغازي «أشدّها».

(٥) في السير والمغازي «كان يومئذ مشركاً على دين قومه».

(٦) في السير «شتمه».

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدّاً لأبي جهل إذا لقِيه أن يوقع به؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجَّة مُنْكَرَة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرُدَّ ذلك عليّ إن استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أباجهل[1]؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإنّي والله قد سَبَبْت ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً، وتمّ حمزة رضي الله عنه على إسلامه[2]، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع، وأنّ حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[3].

عُتبة بن ربيعة يفاوض الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: حُدِّثت أنّ عُتبة بن ربيعة، وكان سيّداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء، ويكفّ عنّا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلّمه؛ فقام إليه عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يابن أخي، إنّك منّا حيث قد علمت من

(١) في السير: «أبا جهلٍ منه، فقالوا: ما تراك يا حمزة إلّا قد صبأت؟ فقال حمزة: وما يمنعني منه وقد استبان لي منه ذلك، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذي يقوله حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين».

(٢) وفي السير: «وعلى ما بايع رسول الله ﷺ من قوله».

(٣) السير والمغازي ١٧١، ١٧٢، نهاية الأرب ١٦/٢٠٨، ٢٠٩، تاريخ الإسلام ١/٤٤٥، ٤٤٦، عيون الأثر ١/١٠٤، ١٠٥، عيون التواريخ ١/٥٩، سبل الهدى ٢/٤٤٣، ٤٤٤ وانظر الطبقات الكبرى ٣/٩، ودلائل النبوّة للبيهقي ١/٤٥٩.

السِّطة[1] في العشيرة، والمكان في النَسَب، وإنّك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودِينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد، أسمع»، قال: يابن أخي، إنْ كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوَّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً[2] تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له. حتى إذا فرغ عُتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد»؟ قال: نعم؛ قال: «فاسمع منّي»؛ قال: أفعل؛ فقال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. حٰمٓ. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيراً وَنَذِيراً، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾[3]، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عُتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: «قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت، فأنتَ وذاك».

رأي عُتبة: فقام عُتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشِعر، ولا بالسحْر، ولا بالكهانة، يامعشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتَزِلوه، فوالله ليكوننّ

---

(١) السطة: الشرف.

(٢) الرئي: ما يظهر للناس من الجنّ.

(٣) سورة فُصّلت، الآيات: ١ ـ ٥.

لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإنْ تُصِبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلْكه مُلْكُكم، وعزّه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به؛ قالوا: سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه؛ قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم[1].

قريش تفتن المسلمين: قال ابن إسحاق: ثم إنّ الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء، وقريش تحبس من قدرت على حبْسه، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين. ثم إنّ أشراف قريش من كل قبيلة، كما حدّثني بعض أهل العمل عن سعيد بن جبير، وعن عِكرمة مولى ابن عباس، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال:

زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ: اجتمع عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو سُفيان بن حرب، والنضْر بن الحارث، أخو بني عبد الدار، وأبو البَخْترِيّ بن هشام،والأسود بن المطّلب بن أسد، وزَمَعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أميّة، والعاص بن وائل، ونُبَيه ومنبّه ابنا الحَجّاج السهميّان، وأُميّة بن خلف، أو من اجتمع منهم. قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه: إنّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فأْتهم؛ فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظنّ أنْ قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصاً يحبّ رُشدهم، ويعزّ عليه عَنَتهم، حتى جلس إليهم؛ فقالوا له: يا محمد، إنّا قد بعثنا إليك لنكلّمك، وإنّا واللهِ ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبتَ الدين، وشتمت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفرّقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلاّ قد جئته فيما بيننا وبينك ـ أو كما قالوا له ـ فإن كنتَ إنّما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من

---

(١) عيون الأثر ١/١٠٥، نهاية الأرب ١٦/٢٠٩ ـ ٢١١، شرح المواهب ١/٢٥٨، سبل الهدى ٢/٤٤٧ ـ ٤٥٠، الوفا في أخبار المصطفى لابن الجوزي ١/٢٠١، السيرة لابن كثير ١/٥٠١.

أموالنا حتى تكون أكثرنـا مالاً، وإن كنت إنّمـا تطلب بـه الشرف فينـا، فنحن نسوِّدك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإنْ كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمّون التابع من الجنّ رئيا فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالنا في طلب الطبّ لـك حتى نبرئـك منه، أو نُعْـذر فيك؛ فقـال لهم رسول الله ﷺ: «مابي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشـرفَ فيكم، ولا المُلك عليكم، ولكنّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنـزل عليّ كتـاباً، وأمـرني أن أكـون لكم بشيـراً ونـذيـراً، فبلّغتكم رسـالات ربّي، ونصحت لكم، فإنْ تقبلوا منّي ما جئتكم به، فهو حظّكم في الدنيـا والآخرة، وإن تردّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»، أو كما قال ﷺ. قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قـابل منّـا شيئاً ممـا عرضنـاه عليك فـإنك قـد علمت أنه ليس من الناس أحد أضْيَق بلداً، ولا أقلّ ماء، ولا أشدّ عيْشـاً منّا، فسـل لنا ربـك الذي بعثـك بما بعثـك به، فلْيُسيّـر عنّا هـذه الجبال التي قـد ضيّقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيّ بن كِـلاب، فإنه كان شيخ صدْق، فنسألهم عمـا تقول: أحقٌّ هـو أم باطـل، فإنْ صـدّقوك وصنعت ما سألناك صدّقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقـول. فقال لهم صلوات الله وسـلامه عليـه: «ما بهـذا بُعثت إليكم من الله، إنّما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلّغتكم ما أُرْسِلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظّكم في الـدنيا والآخـرة، وإن تردّوه عليّ أصبـر لأمر الله تعـالى، حتى يحكم الله بيني وبينكم»، قـالوا: فـإذ لم تفعل هـذا لنا، فخـذ لنفسك، سـلْ ربك بأنْ يبعث معك ملكاً يصدّقك بما تقول، ويراجعنا عنـك، وسَله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضّة يغنيـك بها عمـا نراك تبتغي، فـإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كمـا نلتمسه، حتى نعـرف فضلك ومنزلتك من ربّك إن كنت رسولاً كما تزعم؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربّه هذا، وما بُعثت إليكم بهـذا، ولكنّ الله بعثني

بشيراً ونذيراً - أو كما قال - فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» قالوا: فأسقِطِ السماءَ علينا كِسَفاً كما زعمت أنّ ربك إن شاء فعل، فإنّا لا نؤمن لك إلّا أن تفعل، قال: فقال رسول الله ﷺ: «ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل»؛ قالوا: يا محمد، أفما علم ربك أنّا سنجلس معك ونسألك عمّا سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم فيعلّمك ما تُراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بَلَغَنا أنّك إنّما يعلّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له: الرحمن، وإنّا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنّا والله لا نتركك وما بلغت منّا حتى نهلكك، أو تهلكنا. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ، قام عنهم، وقام معه عبدالله بن أبي أُميَّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمّته، فهو لعاتكة بنت عبدالمطّلب - فقال له: يامحمد. عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدّقوك ويتّبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجّل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب، فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتّخذ إلى السماء سُلّماً، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايْم الله، لو فعلت ذلك ما ظننت أنّي أصدّقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ. وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً آسفاً لِما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مُباعدتهم إياه[1].

---

(١) الخبر في نهاية الأرب ٢١٣/١٦ - ٢١٦، سبل الهدى ٤٥٢/٢ - ٤٥٤ عيون الأثر ١٠٧/١، ١٠٨.

أبو جهل يتوعّد الرسول ﷺ: فلما قام عنهم رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: يامعشر قريش، إن محمداً قد أبى إلاّ ما ترون من عيْب دِيننا وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتْم آلهتنا، وإنّي أعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجر ما أطيق حمله - أو كما قال - فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلِموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبدمَناف ما بدا لهم. قالوا: والله لا نُسلِمك لشيءٍ أبداً، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو. وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام؛ فكان إذا صلَّى صلَّى بين الركن اليمانيّ والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله ﷺ يصلّي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل ابو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونُه مرعوباً قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته[1] ولا أنيابه لفحل قطّ، فهمّ بي أن يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذُكر لي أن رسول الله ﷺ، قال: ذلك جبريل عليه السلام، لو دنا لأخذه[2].

النضْر بن الحارث ينصح قريشاً: فلما قال لهم ذلك أبو جهل، قام النضر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبدمَناف بن عبد الدار بن قُصِيّ.

قال ابن هشام: ويقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عبدمَناف.

---

(١) قصرته: أصل عنقه.

(٢) السيرة والمغازي ١٩٩، ٢٠٠، نهاية الأرب ٢١٧/١٦، ٢١٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٥٣، ١٥٤، عيون الأثر ١٠٨/١، عيون التواريخ ٦١/١، سبل الهدى ٤٥٤/٢.

قال ابن إسحاق: فقال: يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشَّيْب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السَّحَرَة ونَفْثهم وعُقَدَهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكَهَنَة وتَخالجهم وسمعنا سَجَعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشِعْر، وسمعنا أصنافه كلّها: هزْجه ورجْزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنّه والله لقد نزل بكم أمر عظيم[1].

أذى النضر للرسول ﷺ: وكان النضْر بن الحارث من شياطين قريش، وممّن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدِم الحيرة، وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكّر فيه بالله، وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خَلَفَه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهلُمَّ إليَّ، فأنا أحدّثكم أحسن من حديثه، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس، ورستم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً منّي؟.

قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني؛ سأُنزِل مثل ما أنزل الله.

قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول، فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[2]. وكل ما ذُكر فيه من الأساطير من القرآن.

قريش تسأل أحبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام: فلما قال لهم

---

(١) نهاية الأرب ٢١٩/١٦، ٢٢٠، تاريخ الإسلام ١٥٧، دلائل النبوّة ٤٤٩/١.

(٢) سورة القلم، الآية: ١٥.

ذلك النضْر بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عُقبة بن أبي مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصِفا لهم صفته، وأخْبراهم بقوله، فإنّهم أهل الكتاب الأول، وعندهم عِلم ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدِما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وأخبرهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا؛ فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مُرْسَل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فَرَوا فيه رأيكم. سلوه عن فِتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان أمرهم؛ فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه، فإنه نبيّ، وإن لم يفعل، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضْر بن الحارث، وعُقبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ حتى قدِما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم.

قريش تسأل والرسول يجيب: فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصّة عَجَب، وعن رجلٍ كان طوّافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم بما سألتم عنه غداً»(1)، ولم يستثن، فانصرفوا عنه. فمكث رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ خمس عشرة ليلة لايُحدث الله إليه في ذلك وحْياً، ولا يأتيه جبريل، حتى أوجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا منها لا

(1) لم يقل إن شاء الله.

يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكْث الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلّم به أهل مكة: ثم جاءه جبريل من الله عزّ وجلّ بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إيّاه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطوّاف والروح.

الردّ على قريش فيما سألوه: قال ابن إسحاق: فذُكر لي أنّ رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه: «لقد احتبسْتَ عنّي يا جبريل حتى سُؤتُ ظناً». فقال له جبريل: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً**﴾[1]. فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نُبُوَّة رسوله، لِما أنكروه عليه من ذلك، فقال: ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ**﴾[2] يعني محمداً ﷺ، إنك رسول منّي: أي تحقيق لِما سألوه عنه من نُبُوَّتك. ﴿**وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً**﴾: أي معتدلاً، لا اختلاف فيه. ﴿**لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ**﴾: أي عاجل عقوبته في الدنيا. وعذاباً أليماً في الآخرة: أي من عند ربك الذي بعث رسولاً. ﴿**وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً، مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً**﴾ أي دار الخُلْد. لا يموتون فيها الذين صدّقوك بما جئت به مما كذّبك به غيرهم: وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال. ﴿**وَيُنْذِرُ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً**﴾ يعني قريشاً في قولهم: إنّا نعبد الملائكة: وهي بنات الله. ﴿**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ**﴾ الذين أعظموا فراقهم وعيْب دينهم. ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ**﴾: أي لقولهم: إنّ الملائكة بنات الله ﴿**إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ**﴾ يا محمد ﴿**عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً**﴾: أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم، أي لا تفعَل.

قال ابن هشام: باخع نفسك: أي مُهلك نفسك: فيما حدّثني أبو عُبيدة. قال ذو الرُّمَّة:

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١.

ألا أيُّهذا الباخع الوجْدُ نفسَه　　لشيءٍ نَحَتْه عن يديه المَقَادِرُ

وجمعه: باخعون وبَخَعَة. وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العرب: قد بخعت له نُصحي ونفسي: أي جهدت له. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

قال ابن إسحاق: أي أيّهم أتبع لأمري، وأعمل بطاعتي. و﴿إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾[1]: أي الأرض، وإنّ ما عليها لفانٍ وزائل، وإنَّ المرجع إليَّ، فأجزي كُلاً بعمَله، فلا تأس ولا يحزُنْك ما تسمع وترى فيها.

قال ابن هشام: الصعيد: الأرض، وجمعه: صُعُد. قال ذو الرمّة يصف ظبياً صغيراً:

كأنه بالضُّحى تَرْمي الصعيدَ به　　دَبَّابَةٌ في عظام الرأس خُرطومُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له. والصعيد: الطريق. وقد جاء في الحديث: إياكم والقعود على الصّعدات، يريد الطرق. والجُرُز: الأرض التي لا تنبت شيئاً، وجمعها: أجراز. ويقال: سنة جُرُز، وسنون أجراز، وهي التي لا يكون فيها مطر، وتكون فيها جدوبة ويبس وشدّة. قال ذو الرّمة يصف إبلاً:

طوى النَّحْزُ والأجْراز ما في بطونها　　فما بقيتْ إلاّ الضّلوعُ الجَراشعُ[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

أهل الكهف: قال ابن إسحاق: ثم استقبلَ قصةَ الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ

(1) سورة الكهف، لآيات: ١ ـ ٨.
(2) الدبابة والخرطوم: الخمر.
(3) الجراشع: المنتفخة.

آيَاتِنَا عَجَباً﴾[1]: أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُججي ما هو أعجب من ذلك.

قال ابن هشام: والرقيم: الكتاب الذي رُقِمَ فيه بخبرهم، وجمعه: رُقُم. قال العَجّاج:

ومُستقرّ المُصْحَف المرقَّمِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾. ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِٱلْحَقِّ﴾: أي بصدق الخبر عنهم ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً، لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾: أي لم يُشركوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم.

قال ابن هشام: والشطط: الغُلوّ ومجاوزة الحقّ. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لا ينتهون ولا يَنْهَى ذوي شَطَط ... كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾.

قال ابن إسحاق: أي بحُجَّةٍ بالغة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ٱفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً. وإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللهَ فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ

(١) سورة الكهف، الآية: ٩.

مِرْفَقاً. ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ، وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

قال ابن هشام: تزاور: تميل، وهو من الزّور. وقال امرؤ القيس بن حجر:

وإنّي زعيمٌ إنْ رجعتُ مملَّكاً   بسيْرٍ تَرَى منه الفُرانِقَ أزْوَرا[1]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو الزَّحْف الكلبيّ يصف بلداً:

جَأْبُ المندَّى عن هَوانا أزْوَرُ   يُنضِي المطايا خِمْسُهُ العَشَنْزَرُ[2]

وهذان البيتان[3] في أرجوزة له. و﴿تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: تجاوزهم وتتركهم عن شمالها. قال ذو الرّمّة:

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أقْوازَ مُشْرِفٍ   شمالاً وعن أيمانهنّ الفوارسُ[4]

وهذا البيت في قصيدة له. والفجوة: السعة، وجمعها: الفجاء. قال الشاعر:

ألبستَ قومَك مَخْزاةً ومَنْقَصةً   حتى أُبيحوا وخَلَّوْا فجوةَ الدّارِ

﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي في الحُجَّة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدْقِ نبوّتك بتحقيق الخبر عنهم: ﴿مَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً. وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ، وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾.

قال ابن هشام: الوصيد. الباب: قال العبْسيّ، واسمه عُبيد بن وهْب:

---

(١) الفُرانق: الذي يسير بالكعب على رجليه. والأزور: المائل.
(٢) الجأب: الغليظ، وينضي: يهزل، والعشنزر: المتين الخلق.
(٣) اعتبر الشطرتين بيتين من مشطور الرجز.
(٤) الأقواز: ما استدار من الرمل.

بأرضٍ فَلاةٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عليّ ومعروفي بها غيرُ مُنْكَرِ

وهذا البيت في أبيات له. والوصيد (أيضاً) الفناء، وجمعه: وصائد، ووصد، ووصدان، وأُصُد، وأُصْدان.

﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِم لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً، وَلَمُلِئْتَ مِنْهُم رُعْباً﴾. إلى قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غُلِبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ أهل السلطان والملك منهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً، سَيَقُولُونَ﴾ يعني أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم: ﴿ثَلاٰثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ، وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ، رَجْماً بِٱلْغَيْبِ﴾: أي لا علم لهم. ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ، قُلْ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً﴾: أي لا تكابرهم. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ فإنهم لا عِلم لهم بهم. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ، وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾: أي ولا تقولنّ لشيءٍ سألوك عنه كما قلت في هذا: إنّي مُخبركُم غداً. واستثن مشيئة الله، واذكر ربَّك إذا نسيت، وقل عسى أن يهدين ربّي لخيرٍ ممّا سألتموني عنه رُشداً فإنّك لا تدري ما أنا صانع في ذلك. ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعاً﴾: أي سيقولون ذلك. ﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا، لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾ أي لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه.

ذو القرنين: وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطوّاف: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾[1] حتى انتهى إلى آخر قصّة خبره[2].

وكان من خبر ذي القرنين أنه أُوتي ما لم يؤت أحدٌ غيره، فمدّت له

(١) سورة الكهف، الآيات: من ١٠ ـ ٨٣.
(٢) نهاية الأرب ٢٢٢/١٦ ـ ٢٢٤.

الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضاً إلاّ سُلّط على أهلها، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق.

قال ابن إسحاق: فحدّثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه: أنّ ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر. اسمه مرزُبان بن مرْذبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح.

قال ابن هشام: واسمه الإسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية فنُسبت إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعيّ، وكان رجلاً قد أدرك: أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن ذي القرنين فقال: ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب.

وقال خالد: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: ياذا القرنين، فقال عمر: اللهم غفراً، وأما رضيتم أن تسمّوا بالأنبياء حتى تسمّيتم بالملائكة.

قال ابن إسحاق: اللهُ أعلم أيّ ذلك كان، أقال ذلك رسول الله ﷺ، أم لا؟ فإنْ كان قاله، فالحقّ ما قال.

أمر الروح: وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ، قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(1).

ما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا: قال ابن إسحاق: وحُدّثت عن ابن عباس، أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالت أحبار يهود: يا محمد، أرأيت قولك: ﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيّانا تريد، أم قومك؟ قال: «كلًّا». قالوا: فإنكَ تتلو فيما جاءك: أنّا قد أُوتينا التوراة فيها بيان كلّ شيء.

---

(1) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

فقال رسول الله ﷺ: «إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه». قال: فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ، وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١): أي أنّ التوراة في هذا من علم الله قليل.

تسيير الجبال وبعث الموتى: قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَى، بَلْ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعاً﴾(٢): أي لا أصنع من ذلك إلّا ما شئت.

خذ لنفسك: وأنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك، ما سألوه أن يأخذ لنفسه، أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً، ويبعث معه مَلَكاً يصدّقه بما يقول، ويردّ عنه: ﴿وَقَالُوا مَالِ هٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ، وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً، أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ، أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا، وَقَالَ ٱلظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً. ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً، تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذٰلِكَ﴾: أي من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾(٣).

وأنزل عليه في ذلك من قولهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً، أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾(٤). أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفوا لفعلت.

القرآن ردّ على ابن أبي أُميَّة: وأنزل الله عليه فيما قال عبدالله بن أبي

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٧ ـ ١٠.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

أميّة: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيراً. أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً، أَوْ تَأْتِيَ بِٱللهِ وَٱلْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَاءِ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً﴾[1].

قال ابن هشام: الينبوع: ما نبع من الماء من الأرض وغيرها، وجمعه ينابيع. قال ابن هِرْمة، واسمه إبراهيم بن علي الفِهْريّ:

وإذا هرقتَ بكلّ دارٍ عَبرةً[2] نُزِفَ الشُئونُ ودَمْعك اليَنْبوعُ[3]

وهذا البيت في قصيدة له. والكِسَف: القِطَع من العذاب، وواحدته: كِسْفَة، مثل سِدْرة وسدر. وهي أيضاً: واحدة الكسف. والقبيل: يكون مقابلة ومعاينة، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلاً﴾[4]: أي عياناً. وأنشدني أبو عُبيدة لأعشى بني قيس بن ثعلبة:

أصالحكم حتى تَبوءوا بمثْلها كصرخةِ حُبْلَى يسَّرتها قَبيلُها

يعني القابلة، لأنها تقابلها وتَقبل ولدها. وهذا البيت في قصيدة له. ويقال: القَبيل جمعه قُبُل، وهي الجماعات، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾[5] فقُبُل: جمع قَبيل مثل سُبُل: جمع سبيل، وسُرُر: جمع سرير، وقُمُص: جمع قَميص. والقَبيل أيضاً: في مَثَل من الأمثال، وهو قولهم: ما يعرف قَبيلاً من دَبير: أي لايعرف ما أقبل مما أدبر، قال الكُمَيْت بن زيد:

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ ـ ٩٣.
(٢) هكذا في المطبوع، وفي سائر الأصول «واد».
(٣) الشئون: مجاري الدمع.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٥.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

تفـرّقـت الأمـور بـوجـهـتيهـم   فمـا عـرفـوا الـدبيـر من القبيـل

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنما أريد بهذا القبيل: الفَتل، فما فُتل إلى الذراع فهو القبيل، وما فُتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت. ويقال: فتل المغزل. فإذا فتل المغزل إلى الركبة فهو القبيل، وإذا فتل إلى الورْك فهو الدبير. والقَبيل أيضاً: قوم الرجل. والزُخْرُف: الذهب. والمزخرِف: المزيّن بالذهب. قال العجّاج:

من طَلَلٍ أمْسَى تخال المُصْحَفَا   رُسُومَه والمُذْهَب المُزَخْرَفا

وهذان البيتان في أرجوزة له[1]، ويقال أيضاً لكل مزيّن: مزخرف.

نفي القرآن أنّ رجلاً من اليمامة يعلّمه: قال ابن إسحاق: وأنزل الله عليه في قولهم: إنّا قد بلغنا أنك إنما يعلّمك رجل باليمامة، يقال له الرحمن، ولن نؤمن به أبداً: ﴿كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمٰنِ، قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[2].

ما نزل في أبي جهل: وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام، وما همّ به ﴿أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ ٱلْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللهَ يَرَىٰ، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِٱلنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ، كَلَّا لاتُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[3].

قال ابن هشام: لَنَسْفَعاً: لنجذبنّ ولنأخذنّ. قال الشاعر:

قـومٌ إذا سمعـوا الصُّـراخ رأيتَـهم   مـن بيـن مُلجِـم مُهْـرِهِ أو سـافِـع

(١) على أنهما من مشطور الرجز.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٠.
(٣) سورة العلق، الآيات: ٩ ـ ١٩.

والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[1] وهو النّديّ. قال عُبيد بن الأبرص:

اذهب إليك فإنّي من بني أسَد أهل النديّ وأهلُ الجود والنادي

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[2] وجمعه: أندية. فليدع أهل ناديه. كما قال تعالى: ﴿وَاسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[3] يريد أهل القرية. قال سلامة بن جندل، أحد بني سعد بن زيد مَناة بن تميم:

يَومانِ يومُ مقامات وأنديةٍ ويومُ سيرٍ إلى الأعداء تأويبِ[4]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الكُمَيْت بن زيد:

لا مَهاذيـر[5] في النَّدَى مَكاثيـ ـرَ ولا مُصْمتين بالإفحام[6]

وهذا البيت في قصيدة له. ويقال النادي: الجُلَساء. والزبانية: الغِلاظ الشداد، وهم في هذا الموضع خَزَنَة النار. والزبانية أيضاً في الدنيا أعوان الرجل الذي يخدمونه ويعينونه والواحد: زِبنية. قال ابن الزِّبَعْرَى في ذلك:

مطاعيمُ في المَقْرَى[7] مَطاعينُ في الوَغَى زبانيةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلُومُها

يقول: شِداد. وهذا البيت في أبيات له. وقال صخر بن عبد الله الهُذْليّ، وهو صخر الغيّ:

---

(١) العنكبوت، الآية: ٢٩.
(٢) سورة مريم، الآية: ٧٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٢.
(٤) التأويب: السير كل النهار.
(٥) المهاذير: جمع مهذار، وهو الكثير الكلام من غير فائدة.
(٦) الإفحام: انقطاع الرجل عن الكلام، إمّا عيّاً وإمّا غلبة.
(٧) المقرى: من القري، وهو الطعام الذي يصنع للضيف.

ومِنْ كَبِير[1] نَفَرٌ زبانيهْ[2]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللهِ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

استكبار قريش عن الإيمان بالرسول (ﷺ): فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صِدْقه فيما حدّث، وموقع نبوّته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه، حالَ الحسدُ منهم له بينهم وبين اتّباعه وتصديقه: فعتَوْا على الله وتركوا أمره عياناً، ولجُّوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون، أي اجعلوه لغواً وباطلاً، واتّخذوه هُزُواً لعلّكم تغلبونه بذلك. فإنكم إنْ ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم.

فقال أبو جهل يوماً يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحقّ: يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذّبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً، وكثرة، أفيعجز كل مئة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4] إلى آخر القصة،

---

(١) كبير: حيّ من هذيل، وفي أسد أيضاً: كبير بن غنم بن دودان بن أسد، ومن ذرّيته: بنو جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُرّة بن كبير، ولعلّ الراجز أن يكون أراد هؤلاء، فإنهم أشهر، وبنو كبير أيضاً: بطن من بني غامد، وهم من الأزد، والذي تقدّم ذكره من هذيل هو: كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل. (الروض الأنف ٢/٦٥).

(٢) وتكملته: لو أنّ أصحابي بنو معاويه.

ما تركوني للذئاب العاديه ولا لبرذون أغرّ الناصيه.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

(٤) سورة المدّثر، الآية: ٣١.

فلمـا قال ذلـك بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسـول الله ﷺ بـالقـرآن وهـو يصلّي، يتفرّقون عنه، ويأبون أن يستمعوا لـه، فكان الـرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلّي، استرق السمـع دونهم فَرَقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عـرفوا أنـه يستمع منـه ذهب خشية أذاهم فلم يستمـع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فـظنّ الـذي يستمـع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه.

قال ابن إسحاق: حدّثني داود بن الحُصَين، مولى عمـر بن عثمان، أنّ عِكْرِمـة، مولى ابن عبـاس حـدّثهم أنَّ عبـدالله بن عبـاس رضي الله عنهمـا حدّثهم: إنما أنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَـلَاتِكَ وَلَا تُخَـافِتْ بِهَا وَابْتَـغِ بَيْنَ ذَٰلِـكَ سَبِيلاً﴾[1] من أجـل أولئك النفـر يقول: لا تجهـر بصلاتـه فيتفرّقـوا عنـك، ولا تُخافِت بهـا فلا يسمعهـا من يحبّ أن يسمعها ممن يستـرِق ذلـك دونهم لعلّه يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به.

أوّل من جَهَر بالقرآن

قال ابن إسحاق: وحـدّثني يحيى بن عُروة بن الـزُبير، عن أبيـه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، فقالـوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لهـا به قطّ، فمن رجـل يُسمّعهموه؟ فقـال عبدالله بن مسعود: أنا، قالوا: إنّا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونـه من القوم إن أرادوه؛ قال: دعوني فإنّ الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعـود حتى أتى المقـامَ في الضحى، وقريش في أنـديتها، حتى قـام عند المقـام ثم قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلـرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ رافعـاً بها صـوته ﴿الـرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١ و٢.

قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأمّلوه فجعلوا يقولونَ: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه، فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثاروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك؛ فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها غداً؛ قالوا لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون[1].

قصة استماع قريش إلى قراءة النّبيّ ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُهري أنهُ حدّث: أنّ أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام. والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهْب الثقفي، حليف بني زُهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله - ﷺ -، وهو يصلّي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعونِ له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرّقوا.

الأخنس يستفهم عما سمعه: فلما أصبح الأخنس بن شَرِيق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٣٤، ٣٣٥، نهاية الأرب ١٦/٢٢٨، السير والمغازي ١٨٦.

أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها؛ قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعتُ، تنازعنا نحن وبنو عبد مَناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنّا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء؛ فمن ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدّقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه.

تعنُّت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - إذا تلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله: قالوا يهزءون به: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ لا نفقه ما تقول ﴿وَفِيٓ آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ لا نسمع ما تقول ﴿وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِك حِجَابٌ﴾ قد حال بيننا وبينك ﴿فَاعْمَلْ﴾ بما أنت عليه ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾(١) بما نحن عليه، إنّا لا نفقه عنك شيئاً، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾(٢)... إلى قوله ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾(٣): أي كيف فهموا توحيدكَ ربَّك إنْ كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكنّة، وفي آذانهم وقْراً، وبينك وبينهم حجاباً بزعمهم؛ أي إنّي لم أفعل ذلك. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ، وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ، إِذْ يَقُولُ ٱلظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً﴾: أي ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتك به إليهم. ﴿ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾: أي أخطئوا المثل الذي ضربوا لك، فلا يصيبون به هدًى، ولا يعتدل لهم فيه قول ﴿وَقَالُوا أَءِذا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ

---

(١) سورة فُصِّلت، الآية: ٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٦.

خَلْقاً جَدِيداً﴾: أي قد جئت تخبرنا أنّا سنُبعث بعد موتنا إذا كنّا عظاماً ورُفاتاً، وذلك ما لا يكون: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً، أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(١): أي الذي خلقكم مما تعرفون، فليس خلقكم من تراب بأعزّ من ذلك عليه.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ ما الذي أراد به الله؟ فقال: الموت.

ذكر عدوان المشركين على المستَضْعَفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم، واتّبع رسول الله ـ ﷺ ـ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتدّ الحَرّ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفتن من شدّة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يَصلُب لهم، ويعصمه الله منهم.

ما لقيه بلال وتخليص أبي بكر له: وكان بلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما، لبعض بني جُمَح، مولَّداً من مولَّديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمّه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أُميّة بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح يُخرجه إذا حميت الظهيرة، في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللّات والعُزّى؛ فيقول وهو في ذلك البلاء: أحَد أحد(٢).

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٤٧ ـ ٥١.

(٢) وفي كتب الحديث رواية أخرى أخرجها كل من: ابن ماجه ١/٥٣ في المقدّمة (١٥٠)، وأحمد =

قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه، قال: كان ورقه بن نوفل يمرّ به وهو يُعذَّب بذلك، وهو يقول: أحد أحد؛ فيقول: أحد أحد والله يا بلال، ثم يُقبل على أُميَّة بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جُمَح، فيقول: أحلِف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتّخذنّه حناناً[1]، حتى مرّ به أبو بكر الصِّدِّيق ابن أبي قُحافة رضي الله عنه يوماً، وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأُميَّة بن خَلَف: ألا تتّقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟! قال: أنت الذي أفسدته فأنقِذْه مما ترى؛ فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دِينك، أُعْطيكه به؛ قال: قد قبِلت فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه[2].

من أعتقهم أبو بكر: ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رِقاب، بلال سابعهم. عامر بن فُهَيرة، شهد بدراً وأُحُداً، وقُتل يوم بئر مَعُونة شهيداً؛ وأم عُبيس[3] وزِنّيرة[4]، وأصيب بصرها حتى أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلاّ اللّات والعُزَّى؛ فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضرّ اللّات والعُزَّى وما تنفعان، فردّ الله بصرها.

واعتق النَّهديّة[5] وبنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدّار، فمرّ بهما وقد بعثتهما سيِّدتهما بطحين لها، وهي تقول: والله لا أعتقهما أبداً، فقال أبو بكر

= في المسند ١/٤٠٤، والبيهقي في دلائل النبوّة ٢/٥٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/١٤٩، وابن سعد ٣/١/١٦٦، وابن عبد البر في الاستيعاب ٣/٤٨، والحاكم في المستدرك ٣/٢٨٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢١٧، ٢١٨، وسير أعلام النبلاء ١/٣٤٨.

(١) حناناً: أي إذا مات أجعل قبره متبركاً به. والحديث في حلية الأولياء ١/١٤٨، وأسد الغابة ١/٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ١/٣٥٢، والسير والمغازي ١٩٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/٣٥٢.

(٣) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم ٥٢٢.

(٤) أنساب الأشراف ١/١٩٦، رقم ٥١٩، السير والمغازي ١٩١.

(٥) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم ٥٢١، السير والمغازي ١٩١.

رضي الله عنه: حِلٍّ[1] يا أم فلان؛ فقالت: حلّ، أنت أفسدتهما فأعتقهما؛ قال: فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا؛ قال: قد أخذتهما وهما حُرّتان، أرجِعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها؟ قال: وذلك إن شئتما.

ومرّ بجارية بني مُؤمَّل[2]، حيّ من بني كعب، وكانت مسلمة، وعمر بن الخطّاب يعذّبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا ملّ قال: إنّي أعتذر إليك، إنّي لم أتركك إلا ملالة؛ فتقول: كذلك فعل الله بك. فابتاعها أبو بكر، فأعتقها.

أبو قُحافة يلوم أبا بكر: قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن عبدالله بن أبي عتيق، عن عامر بن عبدالله بن الزبير، عن بعض أهله، قال:

قال أبو قُحافة لأبي بكر: يا بُنَيّ، إنّي أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنّك إذا ما فعلت أعتقت رجالاً جُلداً يمنعونك ويقومون دونك؟. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبتِ، إنيّ إنّما أريد ما أريد لله عزّ وجلّ. قال: فيتحدّث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلاّ فيه، وفيما قال له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[3].

تعذيب آل ياسر: قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر، وبأبيه وأمّه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة، يعذّبونهم برمضاء[4] مكة، فيمرّ بهم رسول الله ـ ﷺ ـ فيقول، فيما بلغني:

---

(١) حِلٍّ: أي تحلّلي من يمينك.

(٢) هي: لبينة جارية ابن المؤمّل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب. (أنساب الأشراف ١/١٩٥ رقم ٥١٧).

(٣) سورة الليل، من الآية: ٥ حتى آخر السورة. والخبر في نهاية الأرب ١٦/٢٣٠.

(٤) الرمضاء: الرمال شديدة الحرارة.

«صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة»[1]. فأما أمه فقتلوها، وهي تأبى إلا الإسلام.

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنَّبه وأخزاه وقال: تركت دِين أبيك وهو خير منك، لنسفِّهنّ حلمك، ولنفيِّلن[2] رأيك، ولنضعنّ شرفك؛ وإن كان تاجراً قال: والله لنكسِّدنّ تجارتك، ولنهلكنّ مالك؛ وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به.

فتنة المسلمين: قال ابن إسحاق: وحدّثني حكيم بن جُبير عن سعيد بن جُبير، قال: قلت لعبدالله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله - ﷺ - من العذاب ما يعذرون به في ترك دِينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويُعطّشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شِدّة الضرّ الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: أللّات والعُزَّى إلهك من دون الله؟ فيقول نعم، حتى إنّ الجُعَل ليمرّ بهم، فيقولون له: أهذا الجُعْل إلٰهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم مما يبلغون من جهده[3].

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّبير ابن عُكّاشة بن أبي أحمد أنه حُدِّث أنّ رجالاً من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا على أنْ يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلموا، منهم: سَلَمَة بن هشام، وعيّاش بن أبي ربيعة. قال: فقالوا له وخشوا شرّهم: إنّا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدّين الذي أحدثوا، فإنّا نأمن بذلك في غيرهم. قال: هذا، فعليكم به،

---

(١) وفي رواية: «أبشروا آل ياسر» أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٨٨ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه، وفي تاريخ الإسلام ٢١٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٩٣ ونسبه للطبراني. وهو بنصّه في السير والمغازي ١٩٢.

(٢) لنفيلنّ: لنقبّحنّ.

(٣) السير والمغازي ١٩٣.

فعاتبوه وإيّاكم ونفسه، وأنشأ يقول:

ألا لا يُـقْـتَـلَنّ أخـي عُـيـش فـيـبقى بينـنـا أبـداً تَـلاحي

احـذروا على نفسه، فـأقسم بـالله لئن قتلتمـوه لأقتلنّ أشـرفكم رجـلاً. قال: فقالوا: اللهم العنْه، من يغرّر بهذا الخبيث، فـوالله لو أصيب في أيـدينا لقتل أشرفنا رجلاً. قال، فتركوه ونزعوا عنه. قال: وكان ذلك مما دفـع الله به عنهم.

ذِكْر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة(1)

قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ـ ﷺ ـ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمّه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدْق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

أوائل المهاجرين إلى الحبشة: وكان أول من خرج من المسلمين من بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر: عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة، معه امرأته رُقَيّة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ.

---

(1) السير والمغازي ١٧٤، الطبقات الكبرى ١/٢٠٣، البدء والتاريخ ٤/١٤٩، أنساب الأشراف ١/١٩٨ وما بعدها، تاريخ الطبري ٢/٣٣٥، الكامل في التاريخ ٢/٧٦، عيون التواريخ ١/٦٩، نهاية الأرب ١٦/٢٣٢، تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ١٨٣، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٥، البداية والنهاية ٣/٦٦، السيرة لابن كثير ٢/٣، عيون الأثر ١/١١٥، سبل الهدى ٢/٤٨٥، المغازي لعروة ١٠٥، جوامع السيرة لابن حزم ٥٥، الدرر في المغازي والسير لابن عبد البر ٥٠.

ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف: أبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته: سهلة بنت سُهَيل بن عمرو، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حُذَيفة[1].

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصّي: الزبير بن العوّام بن خُوَيْلد بن أسد.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدّار.

ومن بني زُهْرة بن كِلاب: عبدالرحمن بن عَوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة: أبو سَلَمَة بن عبدالله بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزْوم، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح.

ومن بني عدِيّ بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف آل الخطّاب، من عنز بن وائل - معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن حُذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدِيّ بن كعب.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: أبو سبرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ويقال: هو أول من قدِمَها.

ومن بني الحارث بن فِهْر: سهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن

(١) السير والمغازي ١٧٦.

ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، فيما بلغني[1].

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه.

المهاجرون من بني هاشم: ومن بني هاشم بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر: جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم، معه امرأته أسماء بنت عُمَيس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قُحافة بن خثعم، ولدت له بأرض الحبشة عبدالله بن جعفر، رجل.

المهاجرون من بني أُميّة: ومن بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس، معه امرأته رُقيّة ابنة رسول الله ـ ﷺ ـ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أُميّة، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أُميّة بن محرِّث بن شَقّ بن رَقَبَة بن مُخْدج الكِنانيّ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة، معه امرأته أمينة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جُعْثمة بن سعد بن مَليح بن عمرو، من خُزاعة.

قال بن هشام: ويقال **هُمَيْنة** بنت خَلَف.

قال بن إسحاق: ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد، وأَمَةَ بنت خالد، فتزوّج أَمَةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوّام، فولدت له عمرَو بن الزبير، وخالدَ بنَ الزُبير.

المهاجرون من بني أسد: ومن حلفائهم، من بني أسدِ بن خُزَيمة:

(١) نهاية الأرب ٢٣٢/١٦، ٢٣٣ وانظر: الطبقات الكبرى ٢٠٤/١، والمغازي لعروة ١٠٥.

عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُـرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد؛ وأخوه عُبيدالله بن جحش، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أميّة؛ وقيس بن عبدالله، رجل من بني أسد بن خُزيمة، معه امرأته بركة بنت يسار، مولاة أبي سفيان بن حرب بن أُميّة؛ ومُعَيْقيب بن أبي فاطمة. وهؤلاء آل سعيد بن العاص، سبعة نفر. قال ابن هشام: مُعَيقيب من دوس.

المهاجرون من بني عبد شمس: قال ابن إسحاق: ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف، أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس؛ وأبو موسى الأشعري، واسمه عبدالله بن قيس، حليف آل عُتبة بن ربيعة، رجلان.

المهاجرون من بني نوفل: ومن بني نَوفل بن عبد مَناف: عُتبة بن غزوان بن جابر بن وهْب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خصفة، بن قيس بن عيلان، حليف لهم، رجل.

المهاجرون من بني أسد: ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ: الزُبَير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد، والأسود بن نَوفْل بن خُويلد بن أسد، ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد. وعمر بن أميّة بن الحارث بن أسد، أربعة نفر.

المهاجرون من بني عبد بن قُصَيّ: ومن بني عبد بن قُصَيّ: طُلَيب بن عُمَير بن وهْب بن أبي كبير بن عبد بن قُصَيّ، رجل.

المهاجرون من بني عبد الدّار بن قُصَيّ: ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار، وسُويبط بن حَرْملة بن مالك بن عُمَيلة بن السبّاق بن عبد الدار، وجهم بن قيس بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مَناف بن عبدالدار، معه امرأته أم حَرْملة بنت عبد الأسود بن جَذِيمة بن أقيش بن علمر بن بياضة بن سبيع بن جُعْثمة بن سعد بن مليح بن عمرو، من خُزاعة؛ وابناه عمرو بن جهم وخُزيمة بن جهم. وأبو الروم بن

عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار؛ وفـراس بن النضْر بن الحـارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مَناف بن عبد الدار، خمسة نفر.

المهاجرون من بني زهرة: ومن بني زُهرة بن كـلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحـارث بن زُهرة؛ وعـامر بن أبي وقّـاص وأبو وقّاص، مالـك بن أهيب بن عبد مَنـاف بن زُهرة؛ والمـطّلب بن أزهر بن عبـد عـوف بن عبـد بن الحـارث بن زُهـرة، معـه امـرأتــه رملة بنت أبي عـوف بن ضبيـرة بن سعيـد بن سعـد بن سهم، وَلَـدَت لـه بـأرض الحبشـة عبـدَالله بنَ المطّلب.

المهـاجـرون من بني هُـذَيـل: ومن حلفـائهم من هُـذَيْـل: عبـدالله بن مسعـود بن الحارث بن شمـخ بن مخزوم بن صـاهلة بن كاهَـل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل. وأخوه: عُتبة بن مسعود.

المهـاجـرون من بهـراء: ومن بهـراء: المقـداد بن عمـرو بن ثعلبـة بن مالك بن ربيعة بن ثمامـة بن مطرود بن عمـرو بن سعد بن زهيـر بن لُؤَيّ[1] بن ثعلبـة بن مالـك بن الشريـد بن أبي أهـوز بن أبي فـائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة.

قال ابن هشام: ويقال هزل بن فاس بن ذرّ، ودَهير[2] بن ثور.

قال ابن اسحاق: وكان يقال لـه المِقداد بن الأسـود بن عبد يغـوث بن وهْب بن عبد مَناف بن زُهرة، وذلك أنه تبنّاه في الجاهلية وحالفه، ستّة نفر.

المهـاجرون من بني تَيْم: ومن بني تَيْم بن مُـرّة: الحارث بن خـالد بن صخـر بن عامـر بن عمرو بن كعب بن سعـد بن تَيْم، معه امـرأتـه ريـطة بنت الحارث بن جبلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، وولدت له بـأرض الحبشة

---

(١) في الأصول «ثور» والتصويب عن شرح السيرة لأبي فذّ الخشني ٩٩ طبعة القاهرة ١٣٢٩.

(٢) دهير: بفتح الدال وكسر الهاء. قال أبو ذر في شرح السـيرة: دهير: بـالتصغير، ورُوي أيضـاً: دهير: بالياء المفتوحة.

موسى بن الحارث وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث وفاطمة بنت الحارث، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، رجلان.

المهاجرون من بني مخزوم: ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرَّة: أبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، ومعه امرأته أم سَلَمَة بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وَلَدَت له بأرض الحبشة زينبَ بنتَ أبي سَلَمَة، واسم أبي سَلَمَة عبدالله، واسم أم سلمة: هند: وشمّاس بن عثمان بن الشريد بن سُوَيد بن هرمي بن مخزوم.

خبر الشمّاس: قال ابن هشام: واسم شمّاس: عثمان، وإنما سُمّي شمّاساً، لأنّ شمّاساً من الشمامسة[1]، قدِم مكة في الجاهلية، وكان جميلاً فعجِب الناس من جماله، فقال عُتبة بن ربيعة، وكان خال شمّاس: أنا آتيكم بشمّاسٍ أحسن منه، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان، فسُمِّي شمّاساً فيما ذكر ابن شهاب وغيره.

قال ابن إسحاق: وهبّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛ وأخوه عبدالله بن سفيان؛ وهشام بن أبي حُذَيفة بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم؛ وسَلَمَة بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛ وعيّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم: ومن حلفائهم، مُعتِّب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كُلَيب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو، من خُزاعة، وهو الذي يقال له عَيْهامة، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال حبشية بن سلول، وهو الذي يقال له مُعتِّب بن حمراء.

---

(١) الشمامسة: هم الرهبان، لأنهم يشمّسون أنفسهم، يريدون تعذيب النفوس بذلك.

المهاجرون من بني جُمَح: ومن بني جُمَح بن عمرو بن هصيص بن كعب، عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح؛ وابنه السائب بن عثمان؛ وأخواه قُدامة بن مظعون، وعبدالله بن مظعون؛ وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، معه امرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسْل بن عامر؛ وابناه: محمد بن حاطب، والحارث بن حاطب، وهما لبنت المجلّل؛ وأخوه حَطّاب بن الحارث، معه امرأته فُكيهة بنت يسار؛ وسفيان بن مَعْمَر بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، معه ابناه جابر بن سفيان، وجُنادة بن سفيان، ومعه امرأته حسنة، وهي أمّهما، وأخوهما من أمّهما شُرَحْبيل بن حَسَنَة، أحد الغوث.

قال ابن هشام: شُرَحْبيل بن عبدالله أحد الغوث بن مُرّ، أخي تميم بن مُرّ.

قال بن إسحاق: وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، أحد عشر رجلاً.

المهاجرون من بني سهم: ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، خُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عَدِيّ بن سعد بن سهم؛ وعبدالله بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ بن سعد بن سهل، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم.

قال ابن إسحاق: وقيس بن حُذافة بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم؛ وعبدالله بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم؛ والحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم؛ ومَعْمَر بن الحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم، وأخ له من أمّه من بني

تميم، يقال له: سعيد بن عمرو؛ وسعيد بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم؛ والسائب بن الحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم؛ وعُمير بن رِئاب بن حُذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم. ومحمية بن الجزاء، حليف لهم، من بني زَبيد، أربعة عشر رجلاً.

المهاجرون من بني عديّ: ومن بني عديّ بن كعب: مَعْمَر بن عبدالله بن نضلة بن عبدالعُزَّى بن حرثان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدِيّ؛ وعُرْوة بن عبد العُزَّى بن حرثان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدِيّ؛ وعدِيّ بن نضلة بن عبدالعُزَّى بن حرثان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدِيّ؛ وابنه النعمان بن عدِيّ؛ وعامر بن ربيعة، حليف لآل الخطّاب، من عنز بن وائل، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم. خمسة نفر.

المهاجرون من بني عامر: ومن بني عامر بن لُؤَيّ: أبو سبرة بن أبي رُهْم بن عبدالعُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وعبدالله بن مخرمة بن عبدالعُزَّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وسُليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وأخوه السكران بن عمرو، ومعه امرأته سَودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ ومالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأته عمرة بنت السعديّ بن وقدان بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وسعد بن خَولة، حليف لهم. ثمانية نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خَولة من اليمن.

المهاجرون من بني الحارث؛ قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن

فِهْر أبو عبيدة بن الجرّاح، وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فِهْر، وسهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهْب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث، ولكنّ أمّه غلبت على نَسَبه، فهو يُنسب إليها، وهي دعد بنت جُحْدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فِهْر، وكانت تُدعى بيضاء؛ وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث؛ وعِياض بن زُهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة؛ وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن مالك بن ضبّة بن الحارث، وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبّة بن الحارث، وسعد بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أميّة بن ظرب بن الحارث، والحارث بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أميّة بن ظرب بن الحارث بن فِهْر. ثمانية نفر.

عدد مهاجري الحبشة: فكان جميع من لحِق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلًا، إن كان عمّار بن ياسر فيهم، وهو يُشكّ فيه[1].

شعر عبدالله بن الحارث في هجرة الحبشة: وكان مما قيل من الشعر في الحبشة أنّ عبدالله بن الحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم، حين أمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جوار النجاشي، وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسن النجاشيّ جوارهم حين نزلوا به، قال:

يا راكباً بلِّغَنْ عنّي مغلغلةً[2] ... من كان يرجو بلاغَ الله والدِّينِ
كلَّ امريءٍ من عباد الله مضطَّهَدٍ ... ببطن مكّةَ مقهورٍ ومفتون
أنّا وجدْنا بلادَ الله واسعةً ... تُنجي من الذُّلّ والمخزاة والهُون

---

(١) راجع أسماء المهاجرين وعدّتهم في: السير والمغازي ١٧٦، ١٧٧، وتاريخ الطبري ٢/٣٣١، ونهاية الأرب ١٦/٢٣٢، ٢٣٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٨٤، ١٨٥، عيون الأثر ١/١١٥.
(٢) المغلغة: الرسالة.

فــلا تُقيمـوا على ذُلّ الحيــاة وخـزْ ي ٍ في الممـات وعَيْبٍ غير مـأمـون
إنّـا تبِعْنـا رسـول[1] الله واطـرحــوا قـولَ النَّبيّ وعـالـوا[2] في المـوازين
فاجعلْ عذابك في القوم الذين بَغَوْا وعائذ[3] بـك أن يغلوا[4] فيطغـوني[5]

وقال عبدالله بن الحـارث أيضاً، يـذكر نفْي قـريش إيّاهم من بـلادهم، ويعاتب بعض قومه في ذلك:

أبت كَبِـدي، لا أكـذِبَنْـك، قتـالَهم عــليّ وتــأبــاه عــليّ أنــامِــلي
وكيف قِتــالي مَـعْشَــراً أدّبُــوكـم[6] على الحقّ أن لا تَـأشِبـوه[7] ببـاطـل
نَفَتْهم عبـادُ الجنّ[8] من حُرّ أرضِهِم فأضْحَوْا على أمرٍ شَديد[9] البلابـل[10]
فـإنْ تـكُ كـانت في عَـدِيّ أمــانـة عديّ بن سعد عن تُقًى أو تـوَاصل[11]
فقـد كنتُ أرجـو[12] أنّ ذلــك فيكُمُ بحمـد الـذي لا يُـطَبّى[13] بالجعائل
وبُـدِّلت شِبـلاً شبــلَ كـلّ خبيثـة[14] بذي فَجَر[15] مأوَى الضّعاف الأرامل[16]

وقال عبدالله بن الحارث أيضاً:

---

(١) وفي رواية «نبيّ».
(٢) عالوا: خانوا.
(٣) وفي رواية «وعائذاً».
(٤) وفي رواية «يعلوا» بالمهملة.
(٥) الأبيات في تاريخ الإسلام (السيرة) ١٨٥، والسير والمغازي ٢٢١.
(٦) في السير والمغازي «معشر يأدبونهم».
(٧) تأشبوه: تخلطوه. وفي السير «يأشبوه».
(٨) في السير: «نفيتم عبـاد الله».
(٩) في السير «كثير».
(١٠) البلابل: وساوس الأحزان.
(١١) في السيـر «من يفي ويواصل».
(١٢) في السير «أحسب».
(١٣) لا يُطَبّى بالجعائل: لا يُستمال بالرشوة.
(١٤) في السير والمغازي «كتيبة».
(١٥) الفجر: العطاء، وفي السير «فخرها».
(١٦) الأبيات في السير والمغازي ٢٢١.

وتـلك قـريشٌ تجحـدُ الله حقَّـه ... كما جَحَدت عـادٌ ومَـدْينُ والحِجْـرُ
فـإنْ أنـا لم أبْـرِق فـلا يَسعَنَّـني ... من الأرض بَـرٌّ ذُو فَضـاء ولا بحـر
بـأرض بهـا عَبْـدَ الإلـهَ محمـدٌ ... أبيّن مـا في النفس إذ بُلغ النَّقْـر [1]

فسُمّي عبدالله بن الحارث ـ يرحمه الله ـ لبيته الذي قال: «المُبْرِق».

وقـال عثمان بن مـظعون يعـاتب أُميَّة بن خَلَف بن وهْب بن حُـذافـة بن جُمَح، وهو ابن عمّه وكان يؤذيه في إسلامـه، وكان أُميّـة شريفـاً في قومـه في زمانه ذلك:

أتيم بن عمـرو[2] للّذي جاء بِغْضَـةً ... ومن دونـه الشِّرمـان والبَرْكُ أكتـعُ [3]
أأخــرجتني من بـطْن مـكَّـةَ آمِنـا ... وأسكنتني في صرْح بيضاءَ تقـذع [4]
تَـريشُ نِبـالاً لا يُـواتيـكَ ريشُهـا ... وتبـرى نبْالاً ريشُهـا لـكَ أجمـعُ
وحـاربْتَ أقـوامـاً كِـرامـاً أعِـزَّةً ... وأهلكْتَ أقـوامـاً بهم كنت تفـزعُ
ستعلمُ إنْ نـابتْـك يـومـاً مُـلِمَّـةٌ ... وأَسْلَمَكَ الأوباش[5] ما كنت تصنع[6]

وتَيْم بن عمرو، الذي يدعو عثمان، جُمحُ، كان اسمه تَيْماً.

إرسال قريش إلى الحَبَشة في طلب المهاجرين إليها

قـال ابن إسحاق: فلمـا رأت قريش أنّ أصحـاب رسول الله ـ ﷺ ـ قـد أمِنوا واطمأَنُّوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمـروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلْدين إلى النّجاشيّ، فيردّهم عليهم، ليفتنـوهم في دِينهم، ويخرجـوهم من دارهم، التي اطمأنّـوا بها وأمِنـوا فيها؛

---

(١) النقر: البحث.
(٢) في تاريخ الإسلام «عوف».
(٣) الشرمان: تثنية شرم وهو لُجّة البحر. والبرك: الإبل الباركة.
(٤) صرح بيضاء: مدينة الحبشة. وتقذع: تكره.
(٥) الأوباش: الضعفاء.
(٦) الأبيات في تاريخ الإسلام ١٨٥، ١٨٦.

فبعثوا عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرَو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنَّجاشيّ ولبطارقته[1]، ثم بعثوهما إليه فيهم.

شعر أبي طالب للنّجاشيّ: فقال أبو طالب: حين رأى ذلك في رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتاً للنّجاشيّ يحضّه على حُسن جوارهم والدفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في النّأي[2] جعفرٌ ... وعمرو وأعداء العدوّ الأقاربُ
وهل نالت أفعالُ النّجاشيّ جعفراً ... وأصحابَه أو عاق ذلك شاغب
تعلّمْ، أبَيْتَ اللّعْنَ، إنّك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يَشْقَى لديك المُجانب[3]
تعلَّمْ بأنّ الله زادك بَسْطَةً ... وأسبابَ خيرٍ كلُّها بك لازب[4]
وأنّك فَيْضٌ ذو سِجال[5] غزيرةٍ ... يَنال الأعادي نفعَها والأقارِبُ[6]

حديث أمّ سَلَمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشيّ: قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم الزُهْريّ، عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ، عن أمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة زوج رسول الله - ﷺ -، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النّجاشيّ، أمِنّا على دِيننا، وعَبَدْنا الله تعالى، لا نُؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النّجاشيّ فينا رجلين منهم جلْدين. وأن يهدوا للنّجاشِيّ هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم[7]، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلاّ أهدوا له هديّة، ثم بعثوا بذلك عبدَالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كلّ بطريق هديّته قبل أن

---

(١) قوّاده.
(٢) النأي: البعد.
(٣) المُجانب: الداخل في الحمى.
(٤) لازب: لاصق.
(٥) السجال: الدلاء المملوءة أو الرطبة.
(٦) راجع الأبيات في السير والمغازي ٢٢١، ٢٢٢.
(٧) الأدم: الجلود.

تكلّما النّجاشيّ فيهم، ثم قدّما إلى النجاشيّ هداياه، ثم سلاه أن يسلّمهم إليكما قبل أن يكلّمهم. قالت: فخرجا حتى قدِما على النّجاشيّ، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلّا دفعا إليه هديّته قبل أن يكلّما النّجاشيّ، وقالا لكلّ بطريق منهم: إنه قد ضوى[1] إلى بلد الملك منّا غلمان سُفهاء، فارقوا دِين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدَعَ، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافَ قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كلّمَنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلّمهم إلينا ولا يكلّمهم، فإنّ قومهم أعلى بهم عينا[2]، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشيّ فقبِلها منهما، ثم كلّماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دِين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدِين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النّجاشيّ. قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقاً أيّها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلِمْهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النّجاشيّ، ثم قال: لاها الله، إذن لا أسلّمهم إليهما، ولا يُكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

الحوار الذي دار بين المهاجرين والنّجاشيّ: قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال

(١) ضوى: لجأ.
(٢) أي أبصر بهم من غيرهم.

بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علّمنا، وما أمرنا به نبّينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا، وقد دعا النجاشيّ أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدّين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في دِيني، ولا في دين أحد من هذه المِلَل؟ قالت: فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار ويأكل القويّ منّا الضعيف، فكنّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصِدْقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بِصدْق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلة الرحِم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُور، وأكل مال اليتيم، وقذْف المُحْصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ قالت: فعدّد عليه أمور الإسلام ـ فصدّقناه وآمنّا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النّجاشيّ: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم؛ فقال له النجاشيّ: فاقرأه عليّ؛ قالت: فقرأ عليه صدراً من«كٓهيٰعٓصٓ»[1]. قالت: فبكى والله النّجاشيّ حتى اخضلّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلّوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم؛ ثم قال النجاشيّ: إنّ هٰذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مِشكاة واحدة، انطلِقا، فلا والله لا أسلّمهم إليكما، ولا يُكادون.

---

(١) أول سورة مريم.

رأي المهاجرين في عيسى أمام النجاشيّ: قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينّه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم. قالت: فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإنّ لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا؛ قال: والله لأخبرنّه أنهم يزعمون أنّ عيسى بن مريم عبد. قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلْهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قطّ. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبيّنا كائناً في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبّينا ﷺ: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول قالت: فضرب النجاشيّ بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلتَ هذا العود. قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال؛ فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم[1]: الآمنون - من سبّكم غُرِّم، ثم قال: من سَبَّكم غُرِّم، ثم قال: من سَبَّكم غُرِّم. ما أحبّ أنّ لي دبراً من ذهب، وأنّي آذيت رجلاً منكم - **قال ابن هشام**: ويقال دبري من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم. والدبر، بلسان الحبشة: الجبل - ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله منّي الرِّشْوة حين ردّ عليّ مُلكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار.

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي: قالت فوالله إنّا لعلى ذلك، إذ

---

(١) يقول السهيلي في الروض الأنف: يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقّة أو تكون مشتقّة من شمْت السيف إذا أغمدته؛ لأنّ الآمن مغمد عنه السيف (ج ٢ ص ٩٢).

نزل به رجل من الحبشة ينازعه في مُلكه. قالت: فوالله ما علمتُنا حزنّا حزناً قطّ كان أشدّ علينا من حزنٍ حزِنّاه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهر ذلك الرجل على النّجاشيّ، فيأتي رجل لا يعرف من حقّنا ما كان النّجاشيُّ يعرف منه. قالت: وسار إليه النّجاشيُّ وبينهما عرض النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله - ﷺ -: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزُبير بن العوّام: أنا، قالوا: فأنت. وكان من أحدث القوم سنّاً. قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنّجاشيّ بالظهور على عدوّه، والتمكين له في بلاده. قالت: فوالله إنّا لَعَلَى ذلك متوقّعون لما هو كائن، إذ طلع الزُبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشِروا، فقد ظفر النّجاشيّ، وأهلك الله عدوّه، ومكّن له في بلاده. قالت: فوالله ما علمتنا فرِحْنا فرحةً قطّ مثلها قالت: ورجع النجاشيّ، وقد أهلك الله عدوّه، ومكّن له في بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة فكنّا عنده في خير منزل، حتى قدِمنا على رسول الله - ﷺ - وهو بمكة[1].

قصة تملّك النّجاشيّ على الحبشة

قتل أبي النّجاشيّ وتملّك عمّه: قال ابن إسحاق: قال الزُهْريّ: فحدّثت عُروةَ بن الزُبير حديثَ أبي بكر بن عبدالرحمن، عن أمّ سَلَمة زوج النبي ﷺ، فقال: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله منّي الرِّشوة حين ردّ عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه؟ قال: قلت: لا، قال: فإنّ عائشة أم المؤمنين حدّثتني أنّ أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النّجاشيّ، وكان للنجاشيّ عمّ، له من صُلبه اثنا عشر رجلاً، فتوارثوا

---

(١) السير والمغازي ٢١٣ - ٢١٦، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٢ - ٧٤، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٨١ - ٨٣، تاريخ الطبري ٢/٣٣٥، نهاية الأرب ١٦/٢٤٧ - ٢٥٠، تاريخ الإسلام ١٩٠ - ١٩٤، عيون التواريخ ١/٧٢ - ٧٤.

مُلكه من بعده، بقيت الحبشة بعده دهـراً، فغدوا على أبي النجـاشيّ فقتلوه، وملّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حيناً.

الحبشة تبيع النجاشيّ: ونشأ النجاشيّ مع عمـه، وكان لبيبـاً حازمـاً من الرجال، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانـه منـه قالت بينهـا: والله لقد غلب هـذا الفتى على أمر عمـه، وإنّا لنتخـوّف أنْ يملّكه علينا، وإنْ ملّكه علينا ليقتلنـا أجمعين، لقد عـرف أنّا نحن قتلنـا أباه. فمشـوا إلى عمّه فقـالوا: إمـا أن تقتل هـذا الفتى، وإمـا أن تخـرجـه من بين أظهُرِنا، فإنّا قـد خفناه على أنفسنـا؛ قال: ويلكم! قتلت أبـاه بالأمس، وأقتله اليوم! بل أخرجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به إلى السوق، فباعوه من رجل من التجّار بستّ مئة دِرهم؛ فقذفه في سفينة فانطلق به، حتى إذا كـان العشيّ من ذلـك اليوم، هـاجت سحابـة من سحائب الخـريف فخرج عمّـه يستمـطر تحتها، فأصابته صـاعقة فقتلتـه. قالت: ففـزعت الحبشة إلى ولـده، فإذا هـو محمق، وليس في ولده خير، فَمَرَج على الحبشة أمرهم[1].

تـولية النّجـاشيّ المُلْك: فلما ضـاق عليهم ما هم فيـه من ذلـك، قـال بعضهم لبعض: تعلّمـوا والله أنّ ملككم الذي لا يقيم أمـركم غيره للذي بعتم غدوة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حـاجة فـأدركوه الآن، قـالت: فخرجـوا في طلبه، وطَلبِ الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه، فأخذوه منـه؛ ثم جاءوا بـه فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك، فملّكوه.

حديث التاجر الذي اشتـراه: فجاءهم التـاجر الـذي كانـوا باعـوه منه، فقال: إمّا أن تعطوني مالي، وإما أن أكلّمه في ذلك؟ قالوا: لا نعطيـك شيئاً، قال: إذن والله أكلّمه؛ قالوا: فدونك وإياه. قالت: فجـاءه فجلس بين يديـه، فقال: أيها الملك، ابتعت غلاماً من قـوم بالسـوق بستّ مئة درهم، فـأسلموا إليّ غـلامي وأخـذوا دراهمي، حتى إذا سـرت بغـلامي أدركـوني، فـأخـذوا

(١) مَرَج الأمر: اختلط.

غلامي، ومنعوني دراهمي. قالت: فقال لهم النجاشيّ: لتعطُنّه دراهمَه، أو ليضعَنَّ غلامه يده في يده، فليذهبنَّ به حيث شاء؛ قالوا: بل نعطيه دراهمه. قالت: فلذلك يقول: ما أخذ الله منّي رِشْوة حين ردّ عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه. قالت: وكان ذلك أول ما خُبِر من صلابته في دِينه، وعدله في حُكمه[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما مات النجاشيّ، كان يُتَحَدَّث أنه لا يزال يُرى على قبره نور[2].

إسلام النّجاشيّ والصلاة عليه وخروج الحَبَشَة عليه

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنّجاشيّ: إنّك قد فارقت دِيننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيّأ لهم سُفُناً، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإنْ هُزِمْتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، ويشهد أنّ عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم؛ ثم جعله في قبائه عند المنْكَب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفّوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحقّ الناس بكم؟ قالوا. بلى؛ قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا. خير سيرة؛ قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت دِيننا، وزعمت أنّ عيسى عبد؛ قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله؛ فقال النجاشيّ، ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أنّ عيسى بن

(١) السير والمغازي ٢١٦، ٢١٧، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٦، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٨٣، ٨٤، نهاية الأرب ١٦/٢٥٠ ـ ٢٥٢، تاريخ الإسلام ١٩٤، ١٩٥.

(٢) السير والمغازي ٢١٩.

مريم، لم يزد على هذا شيئاً، وإنّما يعني ما كتب، فرضوا وانصرفوا[1]. فبلغ ذلك النّبيَّ ﷺ؛ فلما مات النّجاشيّ صلّى عليه، واستغفر له[2].

(١) وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذباً صُراحاً، ولا أن يعطي بلسانه الكفر وإنْ أكرِه، ما أمكنته الحيلة، وفي المعاريض مندوحة عن الكِذب. (الروض الأنف ٢/ ٩٤).

(٢) وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع، ونعاه رسول الله - ﷺ - إلى الناس في اليوم الذي مات فيه، وصلّى عليه بالبقيع، رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة، فصلّى عليه. (الروض الأنف ٣/ ٩٤).

إسلام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه[1]

قال ابن إسحاق: ولما قدِم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله - ﷺ -، وردّهما النّجاشيّ بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطّاب، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله - ﷺ - وبحمزة حتى عازوا[2] قريشاً، وكان عبدالله بن مسعود يقول: ما كنّا نقدر على أن نصلّي عند الكعبة، حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة، وصلّينا معه، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله - ﷺ - الى الحبشة.

قال البكّائي: قال: حدّثني مِسْعَر بن كُدام، عن سعد بن إبراهيم، قال: قال عبدالله بن مسعود: إنّ إسلام عمر كان فتحاً، وإنّ هجرته كانت نصراً، وإنّ إمارته كانت رحمة، ولقد كنّا ما نصلّي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة، وصلّينا معه[3].

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/٢٦٧، السير والمغازي ١٨١، نهاية الأرب ١٦/٢٥٣، عيون التواريخ ١/٧٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٧٢، عيون الأثر ١/١٢١، سيرة ابن كثير ٢/٣٢، سبل الهدى ٢/٤٩٣.

(٢) عازوا: غلبوا.

(٣) السير والمغازي ١٨٥، الطبقات الكبرى ٣/٢٧٠، مناقب عمر لابن الجوزي ١٨.

حديث أم عبدالله بنت أبي حثمة عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عيّاش بن أبي ربيعة، عن عبد العزيز بن عبدالله بن عامر بن ربيعة، عن أمّه أم عبدالله بنت أبي حثمة، قالت:

والله إنّا لنترحّل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطّاب حتّى وقف عليَّ وهو على شِرْكه - قالت: وكنّا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدّة علينا - قالت: فقال: إنّه للانطلاق يا أم عبدالله. قالت: فقلت: نعم والله، لنخرجنّ في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجاً. قالت: فقال: صحِبكم الله، ورأيت له رقّة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجُنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله، لو رأيت عمر آنفاً ورقّته وحزْنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم؛ قال: فلا يُسلم الذي رأيت حتى يُسلم حمار الخطّاب؛ قالت: يأساً منه، لما كان يُرى من غِلظته وقسْوته على الإسلام[1].

سبب إسلام عمر: **قال ابن إسحاق**: وكان إسلام عمر فيما بلغني أنّ أخته فاطمة بنت الخطّاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعْلُها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نُعيم بن عبدالله النّحّام من مكة، رجل من قومه، من بني عدِيّ بن كعب قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فَرَقاً من قومه، وكان خبّاب بن الأرتّ[2] يختلف إلى فاطمة بنت الخطّاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشّحاً سيفه يريد رسول الله - ﷺ - ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له

---

(١) السير والمغازي ١٨١، تاريخ الإسلام ١٨١، عيون التواريخ ١/٧٥.

(٢) وكان خبّاب تميمياً بالنَّسَب، كما كان خُزاعياً بالولاء لأمّ أنمار بنت سباع الخُزاعي، وكان قد وقع عليه سباء، فاشترته وأعتقته، فولاؤه لها. وكان أبوها حليفاً لعوف بن عبد عوف بن عبدالحارث بن زُهرة، فهو زُهريّ بالحلف. وهو ابن الأرتّ بن جَنْدلة بن سعد بن خُزيمة ابن كعب بن زيد مَناة بن تميم، وكان قيْناً يعمل السيوف في الجاهلية. (الروض الأنف ٢/٩٨).

أنهم قـد اجتمعوا في بيتٍ عنـد الصّفا، وهم قـريب من أربعين ما بين رجـال ونساء، ومع رسول الله ـ ﷺ ـ عمه حمزة بن عبد المطّلب، وأبو بكر بن أبي قُحـافة الصِّـدِّيق، وعليّ بن أبي طالب، في رجـالٍ من المسلمين رضى الله عنهم، ممن كان أقام من رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نُعَيم بن عبـدالله، فقال لـه: أين تريـد يا عمـر؟ فقال: أريد محمداً هـذا الصابيء، الـذي فرّق أمـر قريش، وسفّـه أحلامهـا، وعاب دِينها، وسبّ آلهتها، فأقتله؛ فقال له نُعَيم: والله لقد غرَّتْك نفسُك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مَناف تاركيـك تمشي على الأرض وقد قتلت محمـداً! أفلا ترجـع إلى أهل بيتـك فتقيم أمرهم؟ قـال: وأيّ أهل بيتي؟ قـال: ختنك وابن عمّك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطّاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمداً على دِينه، فعليك بهمـا؛ قال: فـرجع عمـر عامـداً إلى أخته وختنه، وعندهما خبّـاب بن الأرتّ معه صحيفـة، فيها: «طَـه» يُقرئهمـا إيـاها، فلمـا سمعوا حسّ عمـر، تغيّب خبّـاب في مخـدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطّاب الصحيفـة فجعلتها تحت فخِـذِها، وقـد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما، فلمـا دخل قـال: ما هـذه الهَيْنَمَة[1] التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً؛ قال: بلى والله لقـد أُخبرت أنّكما تابعتمـا محمداً على دينـه، وبطش بختنـه سعيد بن زيـد؛ فقامت إليـه أخته فاطمة بنت الخَطّاب لتكفّه عن زوجها، فضربها فشجّها؛ فلما فعـل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله، فاصنع مـا بدا لـك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم نـدم على ما صنـع، فارْعَـوَى، وقال لأختـه: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفـاً أنظر مـا هذا الـذي جاء بـه محمد، وكان عمر كاتباً؛ فلما قال ذلك، قـالت له أختـه: إنّا نخشـاك عليها؛ قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهتـه ليردّنّهـا إذا قرأهـا إليها؛ فلمـا قال ذلـك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنّك نَجِس، على شِـرْكك، وإنـه لا

(١) الهينمة: صوت الكلام الذي لا يُفهم.

يمسّها إلّا الطّاهر[1]، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: «طه». فقرأها؛ فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إنّي لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبّيه، فإنّي سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيّد الإسلام بأبي الحَكَم بن هشام، أو بعمر بن الخطّاب، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلّني يا خبّاب على محمد حتى آتِيَه فأُسْلِم؛ فقال له خبّاب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشّحه، ثم عمد إلى رسول الله - ﷺ - وأصحابه، فضرب عليهم الباب؛ فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله - ﷺ -، فنظر من خلل الباب فرآه متوشّحاً السيف، فرجع إلى رسول الله - ﷺ - وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطّاب متوشّحاً السيف؛ فقال حمزة بن عبدالمطّلب: فَأْذَنْ له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإنْ كان يريد شرّاً قتلناه بسيفه؛ فقال رسول الله - ﷺ -: ائذن له، فأذِنَ له الرجل، ونهض إليه رسول الله - ﷺ - حتى لقِيه في الحجرة، فأخذ حجزته[2]، أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جَبْذَة شديدة، وقال: ما جاء بك يا بن الخطّاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فكبّر رسول الله - ﷺ - تكبيرة عرف أهلُ البيت من أصحاب رسول الله - ﷺ - أنّ عمر قد أسلم.

فتفرّق أصحاب رسول الله - ﷺ - من مكانهم، وقد عزّوا في أنفسهم

---

(١) قال السهيلي عند الكلام على تطهير عمر ليمسّ القرآن وقول أخته له: «لا يمسّه إلا المطهّرون»: والمطهّرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك في الموطّأ، واحتجّ بالآية الأخرى التي في سورة عَبَس ولكنّهم وإن كانوا الملائكة، ففي وصفهم بالطهارة مقروناً بذكر المسّ ما يقتضي ألّا يمسّه إلا طاهر، اقتداء بالملائكة المطهّرين، فقد تعلّق الحكم بصفة التطهير، ولكنّه حكم مندوب إليه، وليس محمولاً على الفرض وإنْ كان الفرض فيه أبيَن لأنه جاء بلفظ النهي عن مسّه على غير طهارة - راجع (الروض ٢/٩٨ - ٩٩).

(٢) موضع شد الإزار.

حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ـ ﷺ ـ، وينتصفون بهما من عدوّهم. فهذا حديث الرُّواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطّاب حين أسلم(١).

ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح المكّي عن أصحابه: عطاء، ومجاهد، أو عمّن روى ذلك: أنّ إسلام عمر فيما تحدّثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مُباعِداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أحبّها وأسرّ بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزْوَرة، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي، قال: فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، قال: فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت: لو أنّي جئت فلاناً الخمّار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلّي أجد عنده خمراً فأشرب منها. قال: فخرجت فجئته فلم أجده. قال: فقلت: فلو أنّي جئت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله ـ ﷺ ـ قائم يصلّي، وكان إذا صلّى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مُصَلاّه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليماني. قال: فقلت حين رأيته، والله لو أنّي استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنّه؛ فجئت من قِبل الحِجْر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويداً، ورسول الله ـ ﷺ ـ قائم يصلّي يقرأ القرآن، حتى قمت في قِبْلته مستقبلَه، ما بيني وبينه إلاّ ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك، حتى قضى رسول الله ـ ﷺ ـ صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/٢٦٧ ـ ٢٦٩، السير والمغازي ١٨١ ـ ١٨٤، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٧٩، ٨٠، مناقب عمر لابن الجوزي ١٢، ١٣ و ١٩، صفة الصفوة ١/٢٧٢، تاريخ الإسلام ١٧٩، ١٨٠، نهاية الأرب ١٦/٢٥٣ ـ ٢٥٦، عيون التواريخ ١/٧٥ ـ ٧٧.

ابن أبي حسين، وكانت طريقه، حتى يجزع[1] المسعى، ثم يسلك بين دار عباس بن المطّلب، وبين دار ابن أزهر بن عبد عَوف الزهْريّ، ثم على دار الأخنس بن شَرِيق، حتى يدخل بيته. وكان مسكنه ﷺ في الدار الرُّقْطاء[2]، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سُفيان. قال عمر رضي الله عنه: فتبِعْتُه حتى إذا دخل بين دار عباس، ودار ابن أزهر، أدركته؛ فلما سمع رسول الله - ﷺ - حسّي عرفني، فظنّ رسول الله - ﷺ - أنّي إنّما تبعته لأوذيه فنهمني[3] ثم قال ما جاء بك يا بن الخطّاب هذه الساعة؟ قال: قلت: لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله قال: فحمد الله رسول الله - ﷺ -، ثم قال: قد هداك الله يا عمر، ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله - ﷺ -، ودخل رسول الله - ﷺ - بيته.

قال ابن إسحاق: والله أعلم أيَّ ذلك كان.

ثبات عمر في إسلامه: **قال ابن اسحاق**: وحدّثني نافع مولى عبدالله ابن عمر، عن ابن عمر قال: لما أسلم أبي عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر[4] الجُمحي. قال: فغدا عليه. قال عبدالله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقِل كلّ ما رأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أنّي قد أسلمت ودخلت في دِين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه واتّبعه عمر، واتّبعت

---

(١) يجزع: يقطع.
(٢) الرقطاء: الملونة.
(٣) نهمني: زجرني.
(٤) جميل هذا هو الذي كان يقال له: ذو القلبين، وفيه نزلت في أحد الأقوال ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾، وفيه قيل:

وكَيف ثوائي بالمدينة بعد ما ... قضى وطراً منها جميل بن مَعْمَر

وهو البيت الذي تغنّى به عبدالرحمن بن عوف في منزله، واستأذن عمر فسمعه وهو يتغنّى وينشد بالركبانية وهو غناء يحدي به الركاب، فلما دخل عمر قال له عبدالرحمن: إنّا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم: وقلب المبرّد هذا الحديث، وجعل المنشد عمر، والمستأذن عبدالرحمن، ورواه الزبير كما تقدّم. (انظر الروض ٢/١٠١)

أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إنّ عمر بن الخطاب قد صبأ. قال: يقول عمر من خلفه: كذِب، ولكنّي قد أسلمت، وشهدت أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله. وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطلح[1]، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلِف بالله أنْ لو قد كنّا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا؛ قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش، عليه حلّة حِبَرَة[2]، وقميص مُوَشًّى[3]، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبا عمر؛ فقال: فمَه، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عديّ بن كعب يُسلّمون لكم صاحبهم هكذا! خلّوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنّما كانوا ثوباً كُشِط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبتِ، مَن الرجل: الذي زجر القوم عنك بمكّة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك، أي بُنّي، العاص بن وائل السهميّ[4].

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أنه قال: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكّة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك جزاه الله خيراً؟ قال: يا بُنيّ، ذلك العاص بن وائل، لا جزاه الله خيراً[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث، عن بعض آل عمر، أو بعض أهله، قال: قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة، تذكّرت أيَّ أهل مكة أشدّ لرسول الله - ﷺ - عداوة حتى آتيه فأخبره أنّي قد أسلمت؛

---

(١) طَلِح: تعب وأعيا.
(٢) الحِبَرَة: نوع من برود اليمن.
(٣) في السير والمغازي «قومسيّ» ولعلّه نسبة إلى قومس الكورة الكبيرة الواسعة المشتملة على مدن وقرى ومزارع في ذيل جبل طبرستان. كما ذكر ياقوت.
(٤) السير والمغازي ١٨٤، ١٨٥، نهاية الأرب ٢٥٦/١٦، ٢٥٧، تاريخ الإسلام ١٧٦، مناقب عمر لابن عمر لابن الجوزي ١٤، ١٥.
(٥) نهاية الأرب ٢٥٧/١٦.

قال: قلت: أبو جهل - وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة - قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرجُ إليّ أبو جهل، فقال: مرحباً وأهلاً بابن أختي، ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أنّي قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدّقت بما جاء به؛ قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبّحك الله، وقبّح ما جئت به.

بعون الله وحسن توفيقه - انتهى الجزء الأول من سيرة ابن هشام ويليه إن شاء الله الجزء الثاني وأوله خبر الصحيفة.

ا ـ فهرس الآيات الكريمة
حسب ورودها في الجزء

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس
قوافي الشعر والأراجيز

ن

٤ ـ فهرس الأعلام

ث

ج

ز

ش

غ

ك

ن

هـ

و

ي

٥ - فهرس
الأماكن والبلدان

٦ ـ فهرس المصادر والمراجع
المعتمدة في التحقيق

أ

١ ـ **أخبار مكة** ـ للأزرقي.

٢ ـ **أدب الدنيا والدين** ـ للماوردي.

٣ ـ **إرشاد الساري**، شرح البخاري.

٤ ـ **الاستبصار** ـ للمراكشي.

٥ ـ **الإستيعاب** ـ لابن عبد البرّ.

٦ ـ **أسد الغابة** ـ لابن الأثير.

٧ ـ **الاشتقاق** ـ لابن دُرَيد.

٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ـ لابن حجر.

٩ ـ **الأصنام** ـ للكلبي.

١٠ ـ **الأعلام** ـ لخير الدين الزركلي.

١١ ـ **الأغاني** ـ لأبي الفرج الأصبهاني.

١٢ ـ **الإكتفاء** ـ للكلاعي.

١٣ ـ **الأمّ** ـ للإمام الشافعي.

١٤ ـ **الأمالي** ـ لأبي علي القالي.

١٥ ـ **أمالي المرتضى** ـ للشريف المرتضى.

١٦ ـ **الإمتاع والمؤآنسة** ـ للمقريزي.

١٧ ـ **الأموال** ـ لأبي عبيد بن سلام.

١٨ ـ **أنساب الأشراف** ـ للبلاذُري.

١٩ ـ **أنساب الخيل** ـ للكلبي.

٢٠ ـ **إنسان العيون** ـ لنور الدين الحلبي.

ب

٢١ ـ **البداية والنهاية في التاريخ** ـ لابن كثير.

٢٢ ـ **البدء والتاريخ** ـ للمطهّر المقدسي.

٢٣ ـ **بصائر ذوي التمييز** ـ للفيروزابادي.

٢٤ ـ **البصائر والذخائر** ـ للتوحيدي.

٢٥ ـ **بلوغ الأرب في أحوال العرب** ـ للآلوسي.

٢٦ ـ **البيان والتبيين** ـ للجاحظ.

ت

٢٧ ـ **تأويل مشكل القرآن** ـ للبيضاوي.

٢٨ ـ **تاج العروس** ـ للزَّبيدي.

٢٩ ـ **تاريخ الآداب العربية** ـ لبروكلمان.

٣٠ ـ **التاريخ** ـ لابن مَعِين.

٣١ ـ **التاريخ** ـ لأبي زُرْعة.

٣٢ ـ **تاريخ الإسلام** (السيرة النبوية) للذهبي، (بتحقيقنا).

٣٣ ـ **تاريخ الإسلام** (المغازي) ـ للذهبي، (بتحقيقنا).

٣٤ ـ **تاريخ بغداد** ـ للخطيب البغدادي.

٣٥ ـ **تاريخ خليفة** ـ لخليفة بن خيّاط.
٣٦ ـ **تاريخ الخميس** ـ للديار بكري.
٣٧ ـ **تاريخ دمشق** ـ (السيرة النبوية) ـ لابن عساكر.
٣٨ ـ **تاريخ الرسل والملوك** ـ للطبري.
٣٩ ـ **التاريخ الكبير** ـ للإمام البخاري.
٤٠ ـ **تاريخ اليعقوبي** ـ لابن واضح اليعقوبي.
٤١ ـ **تذكرة الحُفّاظ** ـ للذهبي.
٤٢ ـ **التذكرة الحمدونية** ـ لابن حمدون.
٤٣ ـ **التذكرة السعديّة** ـ للعبيدي.
٤٤ ـ **التذكرة الفخرية** ـ للإربليّ.
٤٥ ـ **تسديد القوس** ـ لابن حجر.
٤٦ ـ **تسمية أزواج النبيّ وأولاده** ـ لأبي عبيدة.
٤٧ ـ **تفسير ابن كثير**.
٤٨ ـ تفسير البغوي.
٤٩ ـ تفسير الطبري.
٥٠ ـ تفسير القرطبي.
٥١ ـ تفسير مجاهد.
٥٢ ـ **تقريب التهذيب** ـ لابن حجر.
٥٣ ـ **تلخيص المستدرك** ـ للذهبي.
٥٤ ـ تلقيح فهوم الأثر ـ ابن حجر.
٥٥ ـ تهذيب **الأسماء واللغات** ـ للنووي.
٥٦ ـ تهذيب **تاريخ دمشق** ـ لابن عساكر.
٥٧ ـ تهذيب **التهذيب** ـ لابن حجر.
٥٨ ـ تهذيب **سيرة ابن هشام** ـ لعبد السلام هارون.
٥٩ ـ تهذيب **الكمال** ـ للمِزّي.

ث

٦٠ ـ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ـ للثعالبي.

ج

٦١ ـ **جامع الأصول** ـ ابن الأثير.
٦٢ ـ **الجامع الصحيح** ـ للترمذي.
٦٣ ـ **الجرح والتعديل** ـ لابن أبي حاتم الرازي.
٦٤ ـ **جمهرة الأمثال** ـ لأبي هلال العسكري.
٦٥ ـ **جمهرة أنساب العرب** ـ لابن حزم.
٦٦ ـ **جمهرة اللغة** ـ لابن دُرَيد.
٦٧ ـ **جمهرة النسب** ـ لابن الكلبي.
٦٨ ـ **جوامع السيرة** ـ لابن حزم.

ح

٦٩ ـ **حاشية على تفسير الجلالين** ـ للصاوي.
٧٠ ـ **حلبة الفرسان وشعار الشجعان** ـ لابن هُذَيل الأندلسي.
٧١ ـ **الحلبة في أسماء الخيل** ـ للتاجي الصاحبي.
٧٢ ـ **حلية الأولياء** ـ لأبي نُعيم الأصبهاني.
٧٣ ـ **حياة الحيوان** ـ للدُمْيري.

خ

٧٤ ـ **خزانة الأدب** ـ للبغدادي.
٧٥ ـ **الخصائص الكبرى** ـ للسيوطي.
٧٦ ـ **خلاصة تذهيب التهذيب** ـ للخزرجي.

د

٧٧ ـ **الدُرَر في المغازي والسير** ـ لابن عبد البَرّ.
٧٨ ـ **الدُّرّ المنثور** ـ للسيوطي.
٧٩ ـ **دلائل النُّبُوَّة** ـ لأبي نُعيم.
٨٠ ـ **دلائل النُّبُوَّة** ـ للبَيْهَقي.

٨١ ـ دُوَل الإسلام ـ للذهبي .
٨٢ ـ ديوان الأعشى ـ ميمون بن قيس .
٨٣ ـ ديوان أميّة بن أبي الصَّلْت .
٨٤ ـ ديوان حسّان بن ثابت .
٨٥ ـ ديوان رؤبة بن العجّاج .
٨٦ ـ ديوان زهير بن أبي سلمى .
٨٧ ـ ديوان كعب بن زهير .
٨٨ ـ ديوان لَبِيد بن ربيعة .

ذ

٨٩ ـ ذِكْر أخبار أصبهان ـ لأبي نُعَيم .

ر

٩٠ ـ ربيع الأبرار ـ للزمخشري .
٩١ ـ الروض الأُنُف ـ للسُهَيلي .

ز

٩٢ ـ زاد المعاد ـ لابن قيّم الجوزيّة .
٩٣ ـ الزاهر ـ لابن الأنباري .

س

٩٤ ـ سُبُل الهدى والرشاد ـ للصالحي .
٩٥ ـ السِّمْط الثمين ـ للمُحبّ الطبري .
٩٦ ـ السُنَن ـ لابن ماجه .
٩٧ ـ السُنَن ـ لأبي داود .
٩٨ ـ السُنَن ـ للدارقُطْني .
٩٩ ـ السُنَن ـ للدارمي .
١٠٠ ـ السُنَن ـ لسعيد بن منصور .
١٠١ ـ السُنَن الكبرى ـ للبَيْهَقي .
١٠٢ ـ سِيَر أعلام النُبلاء ـ للذهبي .
١٠٣ ـ السِيَر والمغازي ـ لابن إسحاق .
١٠٤ ـ السيرة النبوية ـ لابن كثير .
١٠٥ ـ السيرة النبوية ـ للحلبي .
١٠٦ ـ السيرة النبوية ـ للدكتور عبد المهدي بن عبد الهادي .

ش

١٠٧ ـ شذرات الذهب ـ لابن العماد الحنبلي .
١٠٨ ـ شرح ديوان الحماسة .
١٠٩ ـ شرح السُّنَّة ـ للبَغَوي .
١١٠ ـ شرح السيرة ـ لأبي ذَرّ الخشني .
١١١ ـ شرح شواهد المغني ـ للسيوطي .
١١٢ ـ شرح القصائد العشر ـ للتبريزي .
١١٣ ـ شرح قصيدة الأعشى .
١١٤ ـ شرح قصيدة كعب بن زهير ـ للتبريزي .
٢٢٥ ـ شرح معاني الآثار ـ للطحاوي .
١١٦ ـ شرح المواهب اللَّدُنّية ـ للزُرقاني .
١١٧ ـ شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد .
١١٨ ـ الشعر والشعراء ـ لابن قُتيبة .
١١٩ ـ الشفاء ـ للقاضي عِياض .
١٢٠ ـ شفاء الغرام ـ للقاضي الفاسي ، (بتحقيقنا) .

ص

١٢١ ـ صُبْح الأعشى ـ للقلقشندي .
١٢٢ ـ الصِّحاح في اللغة ـ للجوهري .
١٢٣ ـ الصحيح ـ للإمام البخاري .
١٢٤ ـ الصحيح ـ للإمام مسلم .
١٢٥ ـ صفة الصفوة ـ لابن الجوزي .

ض

١٢٦ ـ ضعيف الجامع ـ للألباني .

ط

١٢٧ ـ الطبقات ـ لخليفة بن خيّاط .
١٢٨ ـ طبقات الشعراء ـ لابن سلّام .
١٢٩ ـ طبقات فحول الشعراء ـ للجُمَحي .

١٣٠ ـ **الطبقات الكبرى** ـ لابن سعد.

ع

١٣١ ـ **العِبَر في خبر من غَبَر** ـ الذهبي.
١٣٢ ـ **العِبَر في المبتدأ والخبر** ـ لابن خلدون.
١٣٣ ـ **عِقْد الأجياد** ـ للأمير الجزائري.
١٣٤ ـ **العِقْد الثمين** ـ للقاضي الفاسي.
١٣٥ ـ **العِقْد الفريد** ـ لابن عبد ربّه.
١٣٦ ـ **عيون الأثر** ـ لابن سيّد الناس.
١٣٧ ـ **عيون التواريخ** ـ لابن شاكر الكُتُبي.

ف

١٣٨ ـ **فتح الباري** ـ لابن حجر.
١٣٩ ـ **فتوح البلدان** ـ للبلاذري.
١٤٠ ـ **فردوس الأخبار** ـ للديلمي.
١٤١ ـ **فضل الخيل** ـ للدمياطي.

ك

١٤٢ ـ **الكاشف في أسماء الرجال** ـ للذهبي.
١٤٣ ـ **الكامل في الأدب** ـ للمبرّد.
١٤٤ ـ **الكامل في التاريخ** ـ لابن الأثير.
١٤٥ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** ـ لابن عَدِيّ.
١٤٦ ـ **الكُتّاب والشعراء**.
١٤٧ ـ **كشف الخفاء** ـ للجراحي.
١٤٨ ـ **كشف الظنون** ـ لحاجي خليفة.
١٤٩ ـ **كنز العمّال** ـ للمتّقي الهندي.
١٥٠ ـ **الكُنَى والأسماء** ـ للدولابي.

ل

١٥١ ـ **لُباب الآداب** ـ لأسامة بن منقذ.
١٥٢ ـ **اللُّباب في تهذيب الأنساب** ـ لابن الأثير.
١٥٣ ـ **لسان العرب** ـ لابن منظور.

م

١٥٤ ـ **مجاز القرآن** ـ لأبي عبيدة.
١٥٥ ـ **مجمع الأمثال** ـ للمَيْداني.
١٥٦ ـ **مجمع الزوائد** ـ للهيثمي.
١٥٧ ـ **مجموعة الوثائق السياسية** ـ للدكتور محمد حميد الله.
١٢٥٨ ـ **محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر** ـ لعلي دده.
١٥٩ ـ **المحبَّر** ـ لابن حبيب البغدادي.
١٦٠ ـ **المحتسب** ـ لابن جني.
١٦١ ـ **المختصر في أخبار البشر** ـ لأبي الفداء.
١٦٢ ـ **المخصص** ـ لابن سيده.
١٦٣ ـ **مِرْآة الجنان** ـ لليافعي.
١٦٤ ـ **مروج الذهب** ـ للمسعودي.
١٦٥ ـ **المستَخرَج من كتاب التاريخ** ـ لابن مَنْده ـ (مخطوطة كوبريللي ٢٤٢).
١٦٦ ـ **المُستدرك على الصحيحين** ـ للحاكم النيسابوري.
١٦٧ ـ **المُسْنَد** ـ لأبي يَعْلَى.
١٦٨ ـ **المُسْنَد** ـ للإمام أحمد.
١٦٩ ـ **المُسْنَد** ـ للبزّار.
١٧٠ ـ **المُسْنَد** ـ للشافعي.
١٧١ ـ **المُسْنَد** ـ لعبد الوهاب الكلابي.
١٧٢ ـ **مشاهير علماء الأمصار** ـ لابن حبّان.
١٧٣ ـ **المشترك وضعاً والمفترق صقعاً** ـ لياقوت الحموي.
١٧٤ ـ **المصنَّف** ـ لابن أبي شيبة.
١٧٥ ـ **المصنّف** ـ لعبد الرزّاق.

١٧٦ ـ **المعارف** ـ لابن قُتَيبة.
١٧٧ ـ **معجم الأدباء** ـ لياقوت الحموي.
١٧٨ ـ **معجم ألفاظ الحديث** ـ للمستشرقين.
١٧٩ ـ **معجم البلدان** ـ لياقوت الحموي.
١٨٠ ـ **معجم الخيل العربية** ـ للدكتور عبد الله الجبوري.
١٨١ ـ **معجم الشعراء** ـ للمرزباني.
١٨٢ ـ **معجم الشعراء في لسان العرب** ـ للدكتور ياسين الأيّوبي.
١٨٣ ـ **معجم الشيوخ** ـ لابن جُمَيْع الصيداوي (بتحقيقنا).
١٨٤ ـ **المعجم الصغير** ـ للطبراني.
١٨٥ ـ **المعجم الكبير** ـ للطبراني.
١٨٦ ـ **معجم ما استعجم** ـ للبكري.
١٨٧ ـ **معجم المؤلّفين** ـ لكحّالة.
١٨٨ ـ **المعرب** ـ للجواليقي.
١٨٩ ـ **المعرفة والتاريخ** ـ للفَسَوي.
١٩٠ ـ **المعلّقات السبْع** ـ للزَوْزني.
١٩١ ـ **المعمَّرين** ـ للسجستاني.
١٩٢ ـ **المعين في طبقات المحدّثين** ـ للذهبي.
١٩٣ ـ **المغازي** ـ لعُروة بن الزبير.
١٩٤ ـ **المغازي** ـ للواقدي.
١٩٥ ـ **المغني في الضعفاء** ـ للذهبي.
١٩٦ ـ **المفردات** ـ للراغب الأصبهاني.
١٩٧ ـ **مقاتل الطالبيّين** ـ لأبي نعيم.
١٩٨ ـ **مقدّمة مُسْنَدْ بَقِيّ بن مَخْلَد** ـ للدكتور أكرم ضياء العمري.
١٩٩ ـ **مناقب عليّ** ـ للواسطي.
٢٠٠ ـ **مناقب عمر بن الخطّاب** ـ لابن الجوزي.
٢٠١ ـ **المنتخب من ذيل المذيّل** ـ للطبري.
٢٠٢ ـ **المنمَّق** ـ لابن حبيب البغدادي.
٢٠٣ ـ **موارد الظمآن** ـ للهيثمي.
٢٠٤ ـ **موسوعة علماء المسلمين في تارخي لبنان الإسلامي (من تأليفنا).**
٢٠٥ ـ **ميزان الإعتدال في نقد الرجال** ـ للذهبي.

ن

٢٠٦ ـ **نسب قريش** ـ لمُصْعَب الزبيري.
٢٠٧ ـ **النقائض، لجرير والفرزدق** ـ لأبي عبيدة.
٢٠٨ ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ـ للنويري.
٢٠٩ ـ **النهاية في غريب الحديث** ـ لابن الأثير.

هـ

٢١٠ ـ **هدْي الساري في مقدّمة فتح الباري** ـ لابن حجر.
٢١١ ـ **هديّة العارفين** ـ للبغدادي.

و

٢١٢ ـ **الوافي بالوَفَيَات** ـ للصفدي.
٢١٣ ـ **الوفا بأخبار المصطفى** ـ لابن الجوزي.
٢١٤ ـ **وفاء الوفا** ـ للسمهودي.
٢١٥ ـ **الوَفَيَات** ـ لابن قُنْفذ.
٢١٦ ـ **وَفَيات الأعيان** ـ لابن خلّكان.

٧ ـ الفهرس العام للجزء الأول
من السيرة

السيرة النبوية

لابن هشام

"المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨هـ"

علق عليها، وخرج احاديثها، وصنع فهارسها

أستاذ دكتور

عمر عبد السلام تدمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الجزء الثاني

الناشر

دار الكتاب العربي

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الكتاب العربي

فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلكس: L.E.٤٠١٣٩ كتاب برقيا: الكتاب ص. ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

السيرة النبوية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خبر الصحيفة(١)

ائتمار قريش بالرسول: قال ابن اسحاق: فلما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأنّ النّجاشيّ قد منع من لجأ إليه منهم، وأنّ عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبدالمطّلب مع رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني المطّلب، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم؛ فلمّا اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مَناف بن عبدالدار بن قُصَيّ ـ قال ابن هشام: ويقال: النضر ابن الحارث ـ فدعا عليه رسول الله ـ ﷺ ـ، فشلّ بعض أصابعه.

---

(١) السير والمغازي ١٥٦، الطبقات الكبرى ١/٢٠٨، المغازي لعروة ١١٤، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٨٢، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٣٥٧، المستخرج من كتاب التاريخ لابن منده ١٧ ب ـ ١٨ أ ـ مخطوطة كوبريللي ٢٤٢، تاريخ الطبري ٢/٣٣٦، أنساب الأشراف ١/٢٢٩، نهاية الأرب ١٦/٢٥٨، السيرة الحلبية ١/٣٦٦، عيون الأثر ١/١٢٦، تاريخ الخميس ١/٢٩٧، البداية والنهاية ٣/٩٦، شرح المواهب اللدنية ١/٣٣٥، سبل الهدى ٢/٥٠٢، سيرة ابن كثير ٢/٤٤، البدء والتاريخ ٤/١٥٣، الكامل في التاريخ ٢/٨٧، تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ٢٢١، عيون التواريخ ١/٧٨.

قال ابن إسحاق: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبي طالب بن عبد المطّلب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب، عبد العُزَّى بن عبدالمطّلب، إلى قريش، فظاهرهم[1].

تهكُّم أبي لهب بالرسول وما نزل فيه من القرآن: قال ابن إسحاق: وحدّثني حسين بن عبدالله: أنّ أبا لهب لقي هندَ بنتَ عُتبة بن ربيعة، حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشاً فقال: يا بنت عُتبة؛ هل نصرت الّلات والعُزَّى، وفارقتِ من فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت: نعم: فجزاك الله خيراً يا أبا عُتبة.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت أنه كان يقول في بعض ما يقول: يعدني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنّها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يديّ بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبّاً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2].

---

(١) السير والمغازي ١٥٦، نهاية الأرب ١٦/٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) سورة المسد ـ الآية ١.

وقد جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أتى الصفا، فصعد عليه، فهتف: يا صباحاه، فلما اجتمعوا إليه، قال: أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مُصَدِّقيّ؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً. قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾ وقد تبّ. هكذا قرأ مجاهد والأعمش، وهي ـ والله أعلم ـ قراءة مأخوذة عن ابن مسعود، لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظاً كثيرة تعين على التفسير. قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته. (الروض الأنف ٢/١٠٩).

والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٢٠٨) باب في قوله تعالى: ﴿وأنذِرْ عشيرتك الأقربين﴾ ورواه الطبري في تاريخه ٢/٣١٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ١٤٦.

قال ابن هشام: تبّت: خسرت. والتباب: الخسران. قال حبيب بن خُدرة الخارجيّ: أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة:

يا طيب إنّا في معشرٍ ذهبتْ ... مَسعاتُهم في التّبارِ والتَّبَبِ

وهذا البيت في قصيدة له.

شعر أبي طالب في تظاهر قريش: قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش، وصنعوا فيه الذي صنعوا، قال أبو طالب:

ألا أبلغا عنّي على ذاتِ بيننا[1] ... لُؤَيًّا وخُصًّا من لُؤَيّ بني كعبِ
ألم تعلموا أنّا وَجَدْنا محمداً ... نبيًّا كموسى خُطَّ في أوّل الكُتْبِ
وأنّ عليه في العباد محبَّةً ... ولا خيرَ ممّن خصَّه الله بالحبّ
وأنّ الذي ألصقتمُ من كتابكم[2] ... لكُم كائن نحساً كَرَاغية السَّقْب[3]
أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفَر الثَّرى ... ويُصبح من لم يجْن ذنباً كذي الذَّنْب
ولا تَتْبعوا أمر الوُشاة[4] وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودَّة والقرب
وتستجلبوا حرْباً عَوَاناً وربّما ... أمرّ على مَن ذاقه جَلبُ الحرْبِ
فلسنا وربِّ البيت نُسلمُ أحمداً ... لعزَّاء[5] من عضّ الزمان ولا كرْبِ[6]
ولمَّا تَبِنْ منّا ومنكم سَوالف[7] ... وأيدٍ أُتِرّت بالقُسَاسيَّة[8] الشُّهْب
بمعتركٍ ضَيْق ترى كِسَر القَنا ... به والنسورَ الطُّخم يَعْكفن كالشَّرب[9]
كأن مُجالَ الخيلِ في حَجَراته[10] ... ومَعْمَعة الأبطال معركة الحِرْب

---

(١) في السير والمغازي «نأيها».
(٢) في السير والمغازي «أضفتم في كتابكم».
(٣) الرغاء: صوت الإبل، والسقب: ولد الناقة، والمراد به هنا ولد ناقة صالح عليه السلام.
(٤) في السير والمغازي «الغواة».
(٥) العزّاء: الشدّة.
(٦) في السير والمغازي: «على الحال من عض الزمان ولا كرب».
(٧) السوالف: صفحات الأعناق.
(٨) أُترِّت: قطعت. والقساسية: سيوف تنسب إلى جبل يسمّى قساس.
(٩) الطُّخم: سود الرؤوس، والشراب: جماعة الشاربين.
(١٠) الحجرات: النواحي.

ألـيس أبـونـا هـاشـمٌ شـدّ أزْرَه ... وأوصى بَنِيـه بـالـطِّعـان وبـالضَّـرْب
ولسنـا نَمَـلّ الحـربَ حتى تَمَلَّنَـا ... ولا نشتكي مـا قد ينـوب من النَّكْب
ولـكنّنـا أهـل الحَـفـائظ والنُّـهَى ... إذا طار أرواحُ الكُماة من الـرَّعْب[1]

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء، إلّا سرّاً مُستخفِياً به من أراد صِلتهم من قريش.

أبـو جهل يُحكِم الحصـار على المسلمين: وكان أبـو جهل بن هشـام - فيما يذكرون - لقي حكيم بن حزام بن خُـويلد بن أسد، معـه غلام يحمـل قمحاً يريد به عمّته خديجـة بنت خُويلد، وهي عنـد رسول الله - ﷺ -، ومعـه في الشِّعب، فتعلّق به وقال: أتـذهب بالـطعام إلى بني هـاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعـامـك حتى أفضحـك بمكـة. فجـاءه أبـو البَخْتَـرِيّ بن هـاشم بن الحارث بن أسد، فقال: مالك وله؟ فقـال: يحمل الـطعام إلى بني هـاشم؛ فقـال أبو البَخْتـرِيّ: طعام كـان لعمّته عنـده بعثت إليه فيـه أفتمنعه أن يـأتيها بطعامها!؟ خلِّ سبيل الرجل؛ فأبى أبو جهل حتى نـال أحدهمـا من صاحبـه، فأخذ أبو البَخْتريّ لَحْيَ بعير فضربه به فشجّه، ووطِئه وطأً شديـداً وحمزة بن عبدالمطّلب قريب يرى ذلـك، وهم يكرهـون أن يبلغ ذلك رسـول الله - ﷺ - وأصحابَه، فيشمتوا بهم، ورسول الله - ﷺ - على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهاراً، منادياً بأمر الله لا يتّقي فيه أحداً من الناس[2].

ذكـر ما لقي رسـول الله صلى الله عليـه وسلم من قـومـه من الأذى

ما نزل من القرآن في أبي لهب وامرأته: فجعلت قريش حين منعـه الله منها، وقام عمّه وقومه من بني هاشم، وبني المـطّلب دونه وحـالوا بينهم وبين

---

(١) الأبيـات في السير والمغـازي ١٥٧ وقد أنقص منهـا ثلاثـة أبيـات، وهي كـاملة في سبـل الهدى ٢/٥٠٣، ٥٠٤.
(٢) السير والمغازي ١٦١، تاريخ الطبري ٢/٣٣٦، تاريخ الإسلام ٢٢٣.

ما أرادوا من البطش به، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصِمونه، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم من سمًّى لنا، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامّة من ذكر الله من الكُفّار، فكان ممّن سمّى لنا من قريش ممّن نزل فيه القرآن عمّه أبو لهب بن عبدالمطّلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أُميّة، حمّالة الحطب، وإنّما سمّاها الله تعالى حمّالة الحطب لأنها كانت ـ فيما بلغني ـ تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ـ ﷺ ـ حيث يمرّ، فأنزل الله تعالى فيهما ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[1].

قال ابن هشام: الجِيد: العنق. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

يوم تُبدَى لنا قُتَيلْة عن جِيـ ـدٍ أَسِيل[2] تزينه الأطواق

وهذا البيت في قصيدة له. وجمعه: أَجياد. والمَسَد: شجر يدقّ كما يدقّ الكتّان فتُفتل منه حِبال. قال النابغة الذبياني، واسمه زياد بن عمرو بن معاوية:

مقذوفةٍ بِدَخيسٍ النَّحْض بازلُها له صريف صَريفَ القَعْو بالمَسَد[3]

وهذا البيت في قصيدة له، وواحدته: مَسَدَة.

أم جميل امرأة أبي لهب: قال ابن إسحاق: فذُكِر لي: أنّ أم جميل. حمّالة الحطب، حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر

---

(١). سورة المسد بكاملها.
(٢) جيد أسِيل: فيه طُول.
(٣) الدخيس: اللحم الكثير. والنحض: اللحم. والبازل: الناب. والصريف: الصوت، والقعر: ما تدور فيه البكرة.

الصِّدِّيق، وفي يدها فِهر[1] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ـ ﷺ ـ، فلا ترى إلاّ أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر: أين صاحبك، فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهْر فاه، أما والله إنّي لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمَّماً عصينا وأمره أبينا
ودِينه قَلَينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني؛ لقد أخذ الله ببصرها عنّي.

قال ابن هشام: قولها «ودينه قَلَيْنا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش إنما تسمّي رسول الله ـ ﷺ ـ مذمَّماً، ثم يسبّونه، فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش، يسبّون مذمَّماً، وأنا محمد»[2].

إيذاء أُميَّة بن خَلَف للرسول: وأُميّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمح، كان إذا رأى رسول الله ـ ﷺ ـ همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى فيه: **﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ. ٱلَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ، نَارُ ٱللهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ. إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ. فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾**[3].

قال ابن هشام: الهُمَزَة: الذي يشتم الرجل علانية، ويكسر عينيه عليه، ويغمز به، قال حسّان بن ثابت:

همزتك فاختُضعتَ لذلّ نفسٍ بقافيةٍ تَأجَّجُ كالشُّواظِ[4]

(١) الفهر. حجر يملأ الكف.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ١٦٢/٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٤٧.
(٣) سورة الهُمَزة بكاملها.
(٤) تأجّج الشواظ: توقّد لهب النار.

وهـذا البيت في قصيدة لـه. وجمعه: همـزات. واللُّمَزَة: الـذي يعيب الناس سرّاً ويؤذيهم.

قال رُؤبة بن العجّاج:

في ظلّ عصْريْ باطلي ولُمَزي

وهذا البيت في أرجوزة له[1]، وجمعه: لُمزات.

إيذاء العاص للرسول: قال ابن إسحـاق: والعاص بن وائـل السهميّ، كان خبّاب بن الأرَتّ، صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ، قَيْناً بمكة يعمـل السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفـاً عملها لـه حتى كان لـه مال، فجـاءه يتقاضاه، فقال له: يا خبَّاب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الـذي أنت على دِينه أنّ في الجنة مـا ابتغى أهلها من ذهب، أو فضّـة، أو ثياب أو خَـدَم! قال خبّـاب: بلى. قال: فـأنظِرني إلى يوم القيامة يـا خبّاب حتى أرجـع الى تلك الدار فأقضيك هناك حقّك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خبّـاب آثر عنـد الله مني، ولا أعظم حظّاً في ذلك؛ فأنزل الله تعالى فيه: **﴿أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَـالاً وَوَلَداً، أَطَّلَعَ ٱلغَيْبَ﴾** إلى قـوله تعـالى: **﴿وَنَرِثُـهُ مَا يَقُولُ، ويَأْتِينا فَرْداً﴾**[2].

ايـذاء أبي جهل للرسـول: ولقي أبو جهـل بن هشام رسـول الله ـ ﷺ ـ فيمـا بلغني ـ فقال لـه: والله يا محمـد، لتتركَنّ سبَّ آلهتنـا، أو لنسبَّنَّ إلٰهـك الـذي تعبد. فـأنزل الله تعـالى فيه: **﴿وَلاَ تَسُبُّـوا ٱلَّذِينَ يَـدْعُـونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ فَيَسُبُّـوا ٱللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**[3]. فذُكر لي أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كفّ عن سبّ آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله.

---

(١) هـو البيت ٤٢ من الأرجوزة ٢٣ يمـدح بهـا أبـان بن الـوليـد البجلي. أنـظر ديـوان رؤبـة ـ ص ٦٤ ـ طبعة ليبزغ ١٩٠٣.

(٢) سورة مريم ـ من الآية ٧٧ حتى ٨٠.

(٣) سورة الأنعام ـ الآية ١٠٨.

ايذاء النضر للرسول: والنضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عبد مَناف بن عبدالدار بن قُصَيّ، كان إذا جلس رسول الله - ﷺ - مجلساً، فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذّر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذ قام، فحدّثهم عن رستم السنديد[1]، وعن أسفنديار، وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً منّي، وما حديثه إلا أساطير الأوّلين اكتتبها كما اكتتبتها. فأنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً، قُلْ أَنْزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ، إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[2]، ونزل فيه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ﴾[3]. ونزل فيه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ ٱللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا - كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً -، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4].

قال ابن هشام: الأفّاك: الكذّاب. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون وَلد الله وإنهم لكاذبون﴾.

وقال رُؤْبة:

ما لامرئٍ أفَّك قولاً إفْكاً

وهذا البيت في أرجوزة له[5].

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضْر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش. فتكلّم رسول الله - ﷺ -،

---

(١) السنديد: بلغة الفرس: طلوع الشمس. وهم ينسبون إليه كل جميل.
(٢) سورة الفرقان - الآيتان ٥ و٦.
(٣) سورة القلم - الآية ١٥.
(٤) سورة الجاثية - الآيتان ٧ و٨ وقد دخلت فيهما ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ وهي من سورة لقمان - من الآية ٧.
(٥) البيت ٦ في الأرجوزة ٤٤ من ديوان رؤبة.

فعرض له النضْر بن الحارث، فكلّمه رسول الله - ﷺ - حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُم لَهَا وَارِدُونَ، لَوْ كَانَ هٰؤُلاَءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُون، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ، وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ﴾(١).

قال ابن هشام: حَصَب جهنّم: كل ما أوقدت به. قال أبو ذُؤَيب الهُذليّ، واسمه خُوَيلد بن خالد:

فأطفيءْ ولا تُوقِدْ ولا تَكُ مخصباً(٢) لنار العُداة أن تطير شداتها(٣)

وهذا البيت في أبيات له. ويُروَى «ولاتك محضاً». قال الشاعر:

حَضَأتُ له ناري فأبصَرَ ضَوْءَها وما كان لولا حَضْأةُ النار يَهتَدِي

ابن الزِّبَعْرَى وما قيل فيه: قال ابن اسحاق: ثم قام رسول الله - ﷺ -، وأقبل عبدالله بن الزِّبَعْرَى السهميّ حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبدالله بن الزِّبَعْرَى: والله ما قام النضرْ بن الحارث لابن عبدالمطّلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَب جهنّم؛ فقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى: أما والله لو وجدته لخَصمْته، فسلوا محمداً: أكُلّ ما يُعبد من دون الله في جهنّم مع مَن عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عُزَيراً. والنصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما السلام؛ فعجب الوليد، ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزِّبَعْرَي، ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم. فذُكر ذلك لرسول الله - ﷺ - من قول ابن الزِّبَعْرَى: فقال رسول الله - ﷺ - «كّل من أحبّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَن عبده، إنهم إنّما يعبدون الشياطين، ومن أَمَرَتهم بعبادته». فأنزل الله تعالى عليه في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلحُسْنَىٰ، أُولئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لاَ يَسْمَعُونَ

---

(١) سورة الأنبياء - الآيات ٩٨ - ١٠٠.

(٢) وفي رواية «محصباً». وفي رواية «مِحْضأ»، والمحضأ: العود الذي تُحرِّك به النار لتلتهب.

(٣) هكذا في لسان العرب. وفي الأصول «شَكاتُها» وهي الشدّة.

حَسِيسَهَا، وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[1]. أي عيسى بن مريم، وعُزيراً، ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتّخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله.

ونزّل فيما يذكرون، أنهم يعبدون الملائكة، وأنها بنات الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾... إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ، فَذٰلِكَ نَجْزِيهُ جَهَنَّمَ، كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

ونزّل فيما ذُكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله، وعجب الوليد ومن حضره من حجّته وخصومته: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[3]: أي يصِدُّون عن أمرك بذلك من قولهم.

ثم ذكر عيسى بن مريم فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[4]. أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلاً على علم الساعة، يقول: ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ، هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

الأخنس وما أنزل فيه: والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهْب الثقفي، حليف بني زُهرة، وكان من أشراف القوم وممّن يُستمع منه، فكان يصيب من رسول الله ـ ﷺ ـ، ويردّ عليه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[5]... إلى قوله تعالى: ﴿زَنِيمٍ﴾، ولم يقل: «زنيم» لَعيبٍ في نَسَبه، لأنّ الله لا يعيب أحَداً بنَسب، ولكّنه حقق

---

(1) سورة الأنبياء ـ الآيتان ١٠١ و١٠٢.
(2) سورة الأنبياء ـ من الآية ٢٦ حتى ٢٩.
(3) سورة الزخرف ـ الآية ٥٧.
(4) سورة الزخرف ـ الآيات ٥٩ ـ ٦١.
(5) سورة القلم ـ الآيتان ١٠ و ١١.

بذلك نعتَه ليُعرف. والزنيم: العديد[1] للقوم. وقد قال الخطيم التميميّ في الجاهلية:

زَنيم تَداعاه الرجالُ زِيادةً كما زِيد في عَرْض الأديم الأكارعُ

الوليد وما أنزِل فيه: والوليد بن المغيرة، قال: أيُنزَّل على محمد وأُترك وأنا كبير قريش وسيِّدها! ويُترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفي سيِّد ثَقيف، ونحن عظيما القريتين! فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾**... إلى قوله تعالى: **﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾**[2].

أُبَيّ بن خَلَف وعُقبة بن أبي مُعَيْط، وما أُنزل فيهما: وأُبَيّ بن خَلَف ابن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وعُقْبة بن أبي مُعْيَط، وكانا متصافيين، حسناً ما بينهما. فكان عُقبة قد جلس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وسمع منه، فبلغ ذلك أُبَيًّا، فأتى عُقبة فقال: ألم يبلغني أنّك جالسْتَ محمداً وسمعت منه! قال وجهي من وجهك حرام أنْ أكلّمك ـ واستغلظ من اليمين ـ إنْ أنت جلستَ إليه أو سمعت منه، أو لم تأته فتتفل في وجهه. ففعل ذلك عدوّ الله عُقبة بن أبي مُعَيط لعنه الله. فأنزل الله تعالى فيهما: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾**... إلى قوله تعالى: **﴿لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾**[3].

ومشى أُبَيّ بن خَلَف إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بعظمٍ بالٍ قد ارْفَتَّ[4] فقال: يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمَّ[5]، ثم فتّه بيده، ثم نَفَخه في الريح نحو رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «نعم، أنا

---

(١) العديد: من يُعدّ في القوم وهو ليس منهم وهو الدعيّ.
(٢) سورة الزخرف ـ الآيتان ٣١ و ٣٢.
(٣) سورة الفرقان ـ الآيات من ٢٧ حتى ٢٩.
(٤) ارفَتّ: تحطّم وتكسّر.
(٥) أرمّ: بلي.

أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النارَ». فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ: مَنْ يُحْيِي ٱلعِظَامَ وهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، ٱلَّذِيْ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلأَخْضَرِ نَاراً، فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[1].

سورة (الكافرون) وسبب نزولها: واعترض رسول الله - ﷺ -، وهو يطوف بالكعبة - فيما بلغني - الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزَّى، والوليد بن المغيرة، وأُميَّة بن خَلَف، والعاص بن وائل السهميّ، وكانوا ذوي أسنانٍ في قومهم، فقالوا: يا محمد، هلُمَّ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كنّا قد أخذنا بحظّنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد، كنت قد أخذت بحظّك منه. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا ٱلكَافِرُونَ، لاٰ أَعْبُدُ مَاٰ تَعْبُدُونَ. وَلاٰ أَنْتُمْ عَاٰبِدُونَ مَاٰ أَعْبُدُ، وَلاٰ أَنَا عَاٰبِدٌ مَاٰ عَبَدْتُمْ. وَلاٰ أَنْتُمْ عَاٰبِدُونَ مَاٰ أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾[2] أي إن كنتم لا تعبدون الله، إلّا أن أعبد ما تعبدون، فلا حَاجة لي بذلك منكم لكم دِينكم جميعاً، ولي ديني.

أبو جهل. وما نزل فيه: وأبو جهل بن هشام، لما ذكر الله عزّ وجلّ شجرة الزَّقُّوم تخويفاً بها لهم قال: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزَّقّوم التي يخوّفكم بها محمد؟ قالوا: لا؛ قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنّا منها لنتزقمنّها[3] تزقُّما. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ ٱلزُّقُومِ، طَعَامُ ٱلأَثِيمِ، كَٱلمُهْلِ يَغْلِيْ فِيْ ٱلبُطُونِ كَغَلْيِ ٱلحَمِيمِ﴾[4]: أي ليس كما يقول.

تفسير لفظ المُهْل: قال ابن هشام: المُهْل: كلّ شيء أَذَبْته، من نحاس

(١) سورة يّس - الآيات ٧٨ - ٨٠.

(٢) سورة الكافرون بكاملها.

(٣) تزقم: ابتلع.

(٤) سورة الدخان - الآيات ٤٣ - ٤٦.

أو رصاص أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عُبيدة.

وبَلَغَنا عن الحسن البَصْري أنه قال: كان عبدالله بن مسعود والياً لعمر بن الخطّاب على بيت مال الكوفة، وأنه أمر يوماً بفضّة فأُذيبت، فجعلت تلوّن ألواناً، فقال: هل بالباب من أحد؟ قالوا: نعم؛ قال: فأدخِلوهم، فأدخلوا فقال: إنّ أدنى ما أنتم راءون شبهاً بالمُهْل لهذا. وقال الشاعر:

يسقيه ربّي حميمَ المُهْلِ يَجْرعُه يشوي الوجوهَ فهو في بَطْنه صَهِرُ

ويقال: إنّ المُهْل: صديد الجسد.

(وقال عبدالله بن الزُبَير الأسدي:

فمن عاش منهم عاش عبداًوإن يَمُتْ ففي النّار يُسقَى مُهْلُها وصَدِيدُها

وهذا البيت في قصيدة له)[1].

بَلَغَنا أنّ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه لما حُضر أمر بثوبين لَبِيسَين يُغسلان فيُكفَّن فيهما، فقالت عائشة: قد أغناك الله يا أبتِ عنهما، فاشترِ كَفَناً، فقال: إنّما هي ساعة حتى يصير إلى المُهْل، قال الشاعر:

شاب بالماء منه مُهْلًا كريهاً ثم علّ المُتُون بعد النِّهالِ[2]

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيه: **﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ، وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾**[3].

ابن أم مكتوم والوليد وسورة عَبَس: ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ـ ﷺ ـ يكلّمه، وقد طمع في إسلامه، فبينا هو في ذلك، إذ مرّ به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلّم رسول الله ـ ﷺ ـ، وجعل يستقرئه القرآن، فشقّ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من النسخة التي حققها: السقا والإبياري وشلبي ١/٣٦٣.

(٢) شابَ: خَلَط. والعلَل: الشرب بعد الشرب، والمتون: الظهور، والنهال: جمع نهل، وهو الشرب الأول.

(٣) سورة الإسراء ـ الآية ٦٠.

ذلك منه على رسول الله - ﷺ - حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه. فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه. فأنزل الله تعالى فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَىٰ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾[1] أي إنّما بعثتك بشيراً ونذيراً، لم أخصّ بك أحداً دون أحد، فلا تمنعه ممن ابتغاه، ولا تتصدّينّ به لمن لا يريده.

قال ابن هشام: ابن أم مكتوم، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، واسمه عبدالله، ويقال: عمرو.

---

(١) سورة عبس - من الآية ١ - حتى الآية ١٤.

العائدون من أرض الحبشة[1]

قال ابن إسحاق: وبلغ أصحابَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلامُ أهـل مكة، فـأقبلوا لما بلغهم من ذلـك، حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أنّ ما كانوا تحدّثوا به من إسلام أهـل مكة كـان باطـلاً؛ فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً.

فكان ممّن قدِم عليـه مكة منهم، فـأقام بهـا حتى هاجـر إلى المدينـة، فشهد معه بدراً ومن حُبِس عنه حتى فاته بدر وغيره، ومن مات بمكة منهم من بني عبـد شمس بن عبد مَنـاف بن قُصَيّ: عثمان بن عفّـان بن أبي العـاص ابن أُمَيّة بن عبد شمس معه امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وأبو حُـذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وامرأته سهلة بنت سهيل.

ومن حلفائهم: عبدالله بن جحش بن رئاب.

ومن بني نوفل بن عبد مَناف: عُتبة بن غزوان، حليف لهم، من قيس عيلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُـزَّى بن قُصَيّ: الزبيـر بن العَوّام بن خُـويلد ابن أسد.

---

(١) نهاية الأرب ٢٦٢/١٦، السيرة لابن كثير ٥٦/٢، سبل الهدى ٥١٧/٢.

ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف؛ وسُوَيبِط بن سعد بن حرملة.

ومن بني عبد بن قُصَيّ: طُليب بن عُمير بن وهْب بن عبد.

ومن بني زُهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، والمقداد بن عمرو، حليف لهم؛ وعبدالله بن مسعود، حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يقظة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبي أُميَّة بن المغيرة؛ وشمّاس بن عثمان بن الشريد بن سُويد بن هرميّ بن عامر بن مخزوم. وسلمة بن هشام بن المغيرة، حبسه عمّه بمكة، فلم يقدم إلا بعد بدر وأُحُد والخندق، وعيّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة، هاجر معه إلى المدينة، ولَحِق به أخواه لأمه: أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأُحُد والخندق.

ومن حلفائهم. عمّار بن ياسر، يُشَكّ فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟ ومعتِّب بن عوف بن عامر من خُزاعة.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون ابن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمح. وابنه السّائب بن عثمان؛ وقُدامة ابن مظعون، وعبدالله بن مظعون.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: خُنيس بن حُذافة ابن قيس بن عدِيّ، وهشام بن العاص بن وائل، حُبس بمكة بعد هجرة رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة حتى قدِم بعد بدر وأُحُد والخندق.

ومن بني عديّ بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف لهم، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن حُذافة بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: عبدالله بن مخرمة بن عبد العُزَّى بن أبي قيس. وعبدالله بن سهيل بن عمرو، وكان حُبس عن رسول الله - ﷺ - حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يوم بدر، فانحاز من المشركين إلى رسول الله - ﷺ - فشهد معه بدراً؛ وأبو سبرة بن أبي رُهم بن عبد العُزَّى، معه امرأته أم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو؛ والسكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته سوْدة بنت زَمعة بن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، فخلف رسول الله - ﷺ - على امرأته سودة بنت زَمعة.

ومن حلفائهم: سعد بن خَولة.

ومن بني الحارث بن فِهر: أبو عُبيدة بن الجّراح، وهو عامر بن عبدالله بن الجّراح؛ وعمرو بن الحارث بن زُهير بن أبي شدّاد؛ وسُهيل ابن بيضاء، وهو سُهيل بن وهْب بن ربيعة بن هلال؛ وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال.

فجميع من قدِم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً.

فكان من دخل منهم بجوار، فيمن سُمِّي لنا: عثمان بن مظعون بن حبيب الجُمَحيّ، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، دخل بجوارٍ من أبي طالب ابن عبد المطلب وكان خاله. وأم أبي سَلَمة: بَرَّة بنت عبدالمطّلب.

عثمان بن مظعون يردّ جوار الوليد

قال ابن إسحاق: فأما عثمان بن مظعون، فإنّ صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف حدّثني، عمّن حدّثه، عن عثمان، قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله - ﷺ - من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمانٍ من الوليد بن المغيرة، قال: والله إنّ غُدُوّي ورَواحي آمناً

بجوار رجل من أهـل الشرك، وأصحـابي وأهل ديني يلقـون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لَنَقْصٌ كبير في نفسي. فمشى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له: يا أبا عبد شمس، وفتْ ذِمّتك، قد رددت إليك جوارك؛ فقال له: يا ابن أخي لعلّه آذاك أحد من قومي؟ قـال: لا، ولكنّي أرضى بجـوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره؟ قال: فانْطَلِق إلى المسجد، فاردد عليّ جِواري علانيـة كما أجرْتك علانية. قال: فانطلقـا فخرجـا حتى أتيا المسجـد، فقال الـوليد: هـذا عثمان قـد جاء يـردّ عليّ جِواري، قـال: صدق، قـد وجدتـه وفيّاً كـريم الجوار، ولكنّي قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليهِ جـواره[1]، ثم انصـرف عثمـان، ولَبِيـد بن ربيعـة بن مـالـك بن جعفـر بن كِـلاب في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فَقال لَبِيد:

أَلا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ[2]

قال عثمان: صدقتَ. قال لَبِيد:

وكُلُّ نعيمٍ لا محالَة زائلُ

قال عثمان: كذبت، نعيم الجنّة لا يزول. قال لَبِيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذَى جليسكم، فمتى حدث هـذا فيكم؟ فقال رجـل من

---

(١) الخبـر في دلائل النبـوّة للبيهقي ٢/٦٢، وتـاريـخ الإسـلام (السيـرة) ١٨٨، ونهـايـة الأرب ١٦/٢٦٤.

(٢) روى أبـو داود قال: جـاء أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ فجعـل يتكلم بكلام، فقـال: «إن من البيان سحـراً، وإن من الشعر حكمـاً» (رقم ٥٠١١) في الأدب، باب: مـا جـاء في الشعـر، وهـو حـديث صحيح، وأخـرجه التـرمذي (رقم ٢٨٤٨) في الأدب، بـاب: ما جـاء إنّ من الشعر حكمة. وفي رواية الترمذي: أشعرُ كلمة تكلّمت بها العرب كلمة لَبِيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل (رقم ٢٨٥٣) في الأدب، باب: ما جاء في إنشاد الشعر. ورواه البخاري.

أمـا بيت الشعـر فهـو للبيـد بن ربيعـة أحـد شعـراء الجـاهليـة والمخضـرمين ممّن أدرك الإسـلام، ويقال إنـه عُمِّر مـائة وخمسـاً وأربعين سنة. راجـع المناسبـة للبيت في: الأغاني ١٥/٣٧٥، حليـة الأولياء ٧/٢٦٩ و٨/٣٠٩، وتـاريخ بغـداد ٣/٩٨ و٤/٢٥٤ و٨/١٨، والشعـر والشعراء ١/١٩٩، وديـوان لبيد ٢٥٤، والمعمّـرين للسجستاني ٦٢، وطبقـات ابن سلام ١١٣، ومعجم الشيوخ لابن جميـع (بتحقيقنا) ٢٩٤، وسيـر أعلام النبـلاء ٥/٢٨٨، وشرح شواهد المغني، ٥٦، وخزانة الأدب للبغدادي ١/٣٣٧.

القوم: إنّ هذا سفيه في سفهاء معه، قد فارقوا دِيننا، فلا تجدنّ في نفسك من قوله؛ فردّ عليه عثمان حتى شرى[1] أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضَّرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لَغَنِيّة، لقد كانت في ذِمّة منيعة. قال: يقول عثمان: بل والله إنّ عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإنّي لَفي جوارِ من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس؛ فقال له الوليد: هلُمَّ يا بن أخي، إن شئت فعد إلى جِوارك؛ فقالا: لا.

أبو سَلَمَة في جوار أبي طالب. **قال ابن إسحاق:** وأما أبو سَلَمَة بن عبد الأسد، فحدّثني أبي إسحاق بن يَسَار، عن سَلمة بن عبدالله بن عمر ابن أبي سلمة أنه حدّثه: أنّ أبا سلمة لما استجار بأبي طالب، مشى إليه رجال من بني مخزوم، فقالوا: يا أبا طالب، لقد منعت منّا ابن أخيك محمداً، فمالَك ولصاحبنا تمنعه منّا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي؛ فقام أبو لَهَب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جِواره من بين قومه، والله لَتَنْتَهُنَّ عنه أو لنقومنّ معه في كل ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد. قال: فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتبة، وكان لهم وليّاً وناصراً على رسول الله ـ ﷺ ـ، فأبقَوا على ذلك. فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال أبو طالب يحرّض أبا لهب على نُصرته ونُصرة رسول الله ـ ﷺ ـ:

وإنّ امْرءاً أبو عُتَيبَة عمُّه ... لفي رَوْضَة ما إنْ يُسامُ المظالما
أقول له، وأين منه[2] نصيحتي ... أبا مُعْتب ثبِّت سوادَك[3] قائما

---

(١) شرى: كثر وزاد.
(٢) في السير والمغازي «مني».
(٣) سوادك: شخصك.

ولا تَقبلنّ الـدَّهـرَ مـا عشتَ خُـطَّةً تُسَبّ بهـا إمّـا[1] هبـطتَ المـواسمـا
وولّ سبيـل العَجْـز غيـرَك منـهمُ فـإنّك لم تُخْلَق[2] على العَجْـز لازما
وحاربْ فإنّ الحرب نُصْفٌ[3] وما[4] ترى أخاالحرب يُعطَى الخَسف حتى يُسالما[5]
وكيف لم يَجْنُـوا عليك عـظيمـةً ولم يخـذلـوك غـانمـاً أو مُغـارِمـا
جـزى الله عنّا عبدَ شمسٍ ونـوفـلاً وتَيْمـا ومخـزومـاً عُقـوقـا ومَـأثمـا
بـتفْـريـقهـم من بـعـد وُدٍّ وأُلْـفـةٍ جمـاعتَنـا كيمـا يَنَـالـوا المَحارِمـا
كـذبتم وبيتِ الله نُبـزَى محـمـداً ولمّـا تَرَوا يـوما لـدى الشِّعب قائما

قال ابن هشام: نُبْزَى: نُسلب. قال ابن هشام: وبقي منها بيت تركناه.

دخول أبي بكر في جِوار ابن الدَّغِنة ثم ردّه عليه

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، كما حدّثني محمـد بن مسلم الزُهْـريّ، عن عُـروة، عن عـائشـة رضي الله عنهمـا، حين ضـاقت عليه مكـة وأصابـه فيها الأذى، ورأى من تَـظاهر قـريش على رسـول الله - ﷺ - وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله - ﷺ - في الهجرة، فأذِن له، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين، لقيه ابن الدَّغِنَة، أخو بني عبد مَناة بن كِنانة، وهو يومئذ سيّد الأحابيش.

قـال ابن إسحاق: والأحـابيش: بنو الحـارث بن عبد مَنـاة بن كِنانـة، والهون بن خُزيمة بن مُدركة، وبنو المصطلق من خُزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسُمُّوا الأحابيش للحلف.

ويقال: ابن الدُّغينة.

---

(١) في السير «لما».
(٢) في السير «تلحق».
(٣) النصف: الإنصاف.
(٤) في السير «ولن».
(٥) في السير: «أخا الحرب يعطي الضيم إلا مسالماً».

قال ابن إسحاق: حدّثني الزُهْري، عن عُروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقال ابن الدَّغِنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني، وضيَّقوا عليّ؛ قال: ولِمَ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم[1]، ارجع فأنت في جِواري. فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدّغِنَة فقال: يا معشر قريش، إنّي قد أجرت ابن أبي قُحافة، فلا يعرضنّ له أحد إلا بخير. قالت: فكفّوا عنه.

قالت: وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح، فكان يصلّي فيه، وكان رجلاً رقيقاً، إذا قرأ القرآن استبكى. قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء، يُعجبون لما يروْن من هيئته. قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدَغِنَة، فقالوا: يا ابن الدَغِنَة، إنك تُجِرْ هذا الرجل ليؤذينا! إنه رجل إذا صلّى وقرأ ما جاء به محمد يرقّ ويبكي، وكانت له هيئة ونحو، فنحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضَعَفَتنا أن يفتنهم، فأتِه فمُرْه أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابن الدَّغِنَة إليه، فقال له: يا أبا بكر، إنّي لم أُجِرْك لتؤذي قومك، إنّهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه وتأذّوا بذلك منك، فادخل بيتك، فاصنع فيه ما أحببت قال: أوَ أردّ عليك جِوارك وأرضى بجوار الله؟ قال فاردد عليّ جواري، قال: قد رددته عليك قالت: فقام ابن الدَّغِنَة، فقال: يا معشر قريش، إنّ ابن أبي قُحافة قد ردّ عليّ جواري فشأنكم بصاحبكم[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم ابن محمد، قال: لقِيه سفيه من سفهاء قريش، وهو عامد إلى الكعبة، فحثا

---

(١) أي تكسب غيرَك ما هو معدوم عنده.

(٢) هذا الخبر له رواية في صحيح البخاري، في مناقب الأنصار (٤/٢٥٤ ـ ٢٥٦) باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه الى المدينة، وفي دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢/١١١، ١١٢، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٣١٨، ٣١٩، ونهاية الأرب ١٦/٢٧٥، ٢٧٦، والسيرة لابن كثير ٢/٦٣ ـ ٦٤.

على رأسه تراباً. قال: فمرّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل. قال: فقال أبو بكر: ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه؟ قال: أنت فعلتَ ذلك بنفسك. قال: وهو يقول: أي ربّ، ما أحلمك! أي ربّ ما أحلمك! أي ربّ، ما أحلمك!.

حديث نقْض الصحيفة[1]

قال ابن إسحاق: وبنو هاشم وبنو المطّلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطّلب نفر من قريش، ولم يُبلِ فيها أحدٌ أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن جُذيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مَناف لأمّه، فكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه، فكان ـ فيما بلغني ـ يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو المطّلب في الشِعْب ليلاً، قد أوقره طعاماً حتى إذا أقبل به فم الشِعْب خلع خطامه من رأسه، ثم ضرب على جنبه، فيدخل الشِعبَ عليهم ثم يأتي به قد أوقره بَزّاً أو بُرّاً، فيفعل به مثل ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطّلب، فقال: يا

---

(١) السير والمغازي ١٦٥، تاريخ الطبري ٢/٣٤٠، نهاية الأرب ١٦/٢٦٠، الطبقات الكبرى ١/٢٠٩، المغازي لعروة ١١٥، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٨٢، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٣٦٠، الكامل في التاريخ ٢/٨٨، عيون التواريخ ١/٧٩، ٨٠، سيرة ابن كثير ٢/٦٦، سبل الهدى ٢/٥٤٣.

زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت، لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم؟ أما إنّي أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحَكَم بن هشام، ثم دَعَوْتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبداً، قال: ويْحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنّما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقْضها حتى أنقضها، قال: قد وجدت رجلاً قال: فمن هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أبغِنا رجلاً ثالثاً.

فذهب إلى المطعِم بن عَدِيّ، فقال له: يا مُطعِم أقد رضيت أن يهلك بطنانِ من بني عبد مَناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعاً، قال ويحك! فماذا أصنع؟ إنّما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: أبغِنا ثالثاً، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أُميّة، قال أبغِنا رابعاً.

فذهب إلى البَخْتَرِيّ بن هشام، فقال له نحْواً مما قال للمطعِم بن عَدِيّ، فقال: وهل من أحد يُعين على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أُميّة، والمطعِم بن عديّ، وأنا معك، قال أبْغِنا خامساً.

فذهب إلى زَمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، فكلّمه، وذكر له قرابتهم وحقّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم؛ ثم سمّى له القوم.

فاتّعدوا خطم الحجون(١) ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك. فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم، فأكون أول من يتكلّم. فلما أصبحوا غَدَوْا إلى أنديتهم، وغدا زهير ابن أميّة عليه حلّة، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل

(١) الخطْم: المقدّمة. والحَجُون: موضع بأعلى مكة.

مكـة، إنا أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنـو هـاشم هَلْكى لا يبـاع ولا يبتـاع منهم، والله لا أقعد حتى تُشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل: وكان في ناحية المسجد: كذبت والله لا تُشَقّ، قال زَمعَة ابن الأسـود: أنت والله أكـذب، مـا رضينـا كتـابهـا حيث كتبت. قـال أبـو البَخْتَري: صدق زَمعة، لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نقرّ به، قـال المطعِم بن عدِيّ: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كُتِب فيها، وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. فقال أبـو جهل: هـذا أمر قُضي بليـل، تُشُـووِرَ فيه بغيـر هذا المكـان. وأبو طـالب جالس في نـاحية المسجـد، فقام المـطعِم إلى الصحيفة ليشقّهـا، فـوجـد الأَرَضَـة قـد أكلتهـا، إلاّ «بـاسمـك اللهمّ».

وكان كاتب الصحيفة منصور[1] بن عِكْرمة. فُشلَّت يده فيما يزعمون[2].

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم: أنّ رسـول الله ـ ﷺ ـ قال لأبي طالب: «يا عمّ، إنّ ربّي الله قد سلّط الأَرَضَة على صحيفةِ قريش، فلم تـدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظّلم والقطيعـة والبهتان»، فقـال: أربُّك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: فوالله ما يدخل عليك أحـد، ثم خرج إلى قريش، فقال: يـا معشر قـريش، إنّ ابن أخي أخبرني بكـذا وكذا، فهلُمّ صحيفتَكم، فإنْ كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عمّا فيها، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخي. فقـال القوم: رضينـا. . فتعاقـدوا على ذلـك. ثم نظروا. فـإذا هي كما قـال رسول الله ـ ﷺ ـ. فـزادهم ذلك شـرّاً.

---

(١) وللنُساب من قريش في كـاتب الصحيفة هـو: بغيض بن عامـر بن هـاشم بن عبد الدار، والقول الثاني: أنـه منصور بن عبـد شُرَحْبيـل بن هاشم من بني عبد الدار أيضاً ـ (الروض الأنف ٢/١٢٧).

(٢) الخبـر في السير والمغـازي ١٦٥ ـ ١٦٧، وتاريـخ الطبـري ٢/٣٤١ ـ ٣٤٣، والكـامـل في التاريخ ٢/٨٨، ٨٩، ونهاية الأرب ١٦/٢٦٠ ـ ٢٦٢، وعيون التواريخ ١/٧٩، ٨٠، وانظر طبقات ابن سعد ١/٢٠٨، ٢٠٩.

فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا[1].

قال ابن إسحاق: فلما مُزِّقت الصحيفة وبطُل ما فيها. قال أبو طالب، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم:

ألا هل أتى بَحْرِيِّنا[2] صُنْعُ ربّنا[3] ... على نَأْيهم والله بالنّاس أرْوَدُ[4]
فيُخبِرَهُم أنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ ... وأنْ كلُّ ما لم يَرْضه الله مُفْسَد
تَرَاوحَها إِفْكٌ[5] وسِحْر مجمَّع ... ولم يُلْفَ سِحْر آخرَ الدهر يَصْعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقرٍ[6] ... فَطائرُها في رأسِها[7] يتردّد
وكان كِفاءً رَقْعَةٌ بأثيمةٍ ... ليُقْطَعَ منها ساعِدٌ ومُقَلَّد[8]
ويَظْعن أهلُ المكَّتَين[9] فيهربوا ... فرائصُهم من خشية الشرّ[10] تُرعَد
ويُتْرَك حَرّاثٌ[11] يقَلِّبُ أمرَه ... أَيُتْهِمُ فيهم عند ذاك ويُنْجِد[12]
وتَصعد بين الأخشَبَين كَتيبةٌ ... لها حُدُجٌ[13] سَهْمٌ وقوس ومرهد[14]

---

(1) أنظر: المغازي لعروة ١١٥، والطبقات الكبرى ١/٢١٠، وعيون الأثر ١/١٢٧، ١٢٨، وعيون التواريخ ١/٨٠، ٨١، وسيرة ابن كثير ٢/٦٩.
(2) يعني بالبحريّ الذين كانوا بأرض الحبشة وركبوا البحر إليها.
(3) في السير والمغازي «ألا هل أتى الأعداء رأفة ربّنا».
(4) الأروَد: الأرفق.
(5) في السير: «تداعى لها إفك».
(6) القرقر: الذليل، السهل اللين. وفي السير والمغازي «بقربة».
(7) في السير والمغازي «وسطها».
(8) المقلد: العنق. وفي السير والمغازي:
ألم تك حقاً وقعة صيلمية ... ليقطع فيها ساعد ومقلد
(9) في السير والمغازي «ماكثون».
(10) في السير والمغازي «الموت».
(11) الحرّاث: المكتسب.
(12) أُيْتِهم: بمعنى أتهم، أي أتى تِهامة، وهي ما انخفض عن أرض الحجاز إلى البحر، وأنجد: أتى نجداً، وهي ما ارتفع عن أرض الحجاز إلى الشرق.
(13) حُدُج: بضمّتين، جمع حِدْج، بالكسر، وهو الحمل (بالكسر)، أي أن يقوم مقام الحِمل سهم وقوس ومرهد. وقيل هو من الحدج بمعنى الحسك، فجعل السهم وغيره كالحسك.
(14) المرهد: الناعم، أي السيف الناعم بارتوائه من الدماء.

فمن يَنْشَ من حضّار مكة عزّه • فعِزَّتُنا في بطن مكة أتْلَد

نشأنا بها والنّاس فيها قلائل • فلم نَنْفك نزدادُ خيراً ونحمَد

ونُطعم حتى يترك الناس فضلهم • إذا جعلت أيدي المُفيضين[1] تُرعَد

جزى الله رهْطاً بالحَجُون تتابعوا[2] • على ملأ يهدي لحزْم ويُرْشد

قُعوداً لدى خَطْم الحَجُون كأنهم • مَقَاوِلَةٌ[3] بل هم أعزّ وأمجد

أعان عليها كلُّ صقْرٍ كأنّه • إذا ما مشى في رَفْرَف الدّرعِ أحْرد[4]

جريّ على جُلَّى[5] الخطوب كأنّه • شهاب بكَفَّيْ قابِسٍ يَتوقَّد

من الأكرمين من لُؤَيّ بن غالب • إذا سِيم خَسْفاً وجهه يتربَّدُ

طويل النِّجاد خارج نصفُ ساقِهِ • على وجهه يُسْقَى الغَمام ويُسْعد

عظيم الرماد سيّد وابن سيِّدٍ • يحُضّ على مَقْرَى الضيوف ويحْشِد

ويبني لأبناء العشيرة صالحاً • إذا نحن طُفنا في البلاد ويُمْهَد

أَلَظَّ[6] بهذا الصُّلح كلّ مُبَرَّأ • عظيم اللواء أمره ثم يُحمد

قَضَوا ما قَضَوْا في ليلهم ثم أصبحوا • على مَهَلٍ وسائرُ النّاس رُقَّد

همُ رجعوا سهلَ بنَ بَيضاء[7] راضيا • وسُرّ أبو بكرٍ بها ومحمَّد

متى شُرِّك الأقوامُ في جلّ أمرِنا • وكنّا قديماً قبلها نُتَوَدَّد

وكنّا قديماً لا نُقرّ ظُلامةً • ونُدرِك ما شئنا ولا نتشدّد

فيالَقُصَيٍّ هل لكم في نفوسِكْم • وهل لَكُم فيما يجيء به غد

فإنّي وإيّاكم كما قال قائلٌ • لَدَيك البيانُ لو تكلّمت أسودُ[8]

---

(١) المفيضون: الضاربون بقِداح المَيْسر.

(٢) وفي رواية «تبايعوا»، وفي سيرة ابن كثير «تجمّعوا».

(٣) المَقَاوِلة: الملوك.

(٤) رَفْرَف الدرع: ما فضل منه. والأحرد: بطيء المشي لِثقَل ما عليه من لباس الحرب.

(٥) الجُلّى: الأمر العظيم.

(٦) ألظّ: ألحّ.

(٧) سهل هو ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبّة بن الحارث بن فهر، ويعرف بابن البيضاء، وهي أمّه، واسمها دعد بنت جحدم بن أميّة بن ضرب بن الحارث بن فهر.

(٨) أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل، فلم يُعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، =

وقال حسّان بن ثابت يبكي المطعِم بن عدِيّ حين مات، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة:

أيا عين فابكي سيّدَ القومِ واسْفَحي ... بدمعٍ وإن أنزفتِهِ[1] فاسكُبي الدِّما
وبكّي عظيمَ المشعرَيْن كليهما ... على الناسِ معروفاً له ما تكلّما
فلو كان مجدٌ يُخلد الدَّهرَ واحداً ... من الناس، أبقى مجدُه اليومَ مُطعِما[2]
أجرْتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عبيدَك ما لَبَّى مُهِلّ وأحْرَما
فلو سُئلَتْ عنه مَعَدُّ بأسْرِها ... وقَحطانُ أو باقي بَقيّة جُرْهما
لقالوا هو المُوفي بخُفْرة[3] جارِه ... وذمَّته يوماً إذا ما تَذَمَّما[4]
فما تطلُع الشمسُ المُنيرة فوقَهم ... على مثله فيهم أعَزّ وأعْظَما
وآبَى إذا يأبى وألْيَنَ شِيمةً ... وأنْوَمَ عن جارٍ إذا الليلُ أظلمَا

قال ابن هشام: قوله «كليهما» عن غير ابن إسحاق:

قال ابن هشام: وأما قوله: «أجرت رسول الله منهم»، فإنّ رسول الله ـ ﷺ ـ لما أنصرف عن أهل الطائف، ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، من

= فذهبت مثلاً. (الروض الأنف ٢/١٢٩).
والأبيات في: سيرة ابن كثير ٢/٧٠، ٧١، وسبل الهدى ٢/٥٤٥، ٥٤٦، وفي السير والمغازي (٦) أبيات فقط.

(١) أنزفته: أنفدته.

(٢) قال السهيلي: هذا عند النحويين من أقبح الضرورة، لأنه قدّم الفاعل، وهو مضاف إلى ضمير المفعول، فصار في الضرورة مثل قوله:
جزى ربه عنّي عديّ بن حاتم
غير أنه في البيت أشبه قليلاً لتقدّم ذكر مطعِم، فكأنه قال: أبقي مجد هذا المذكور المتقدّم ذكره مطعماً، ووضع الظاهر موضع المضمر، كما لو قلت: إنّ زيداً ضربت جاريته زيداً، أي: ضربت جاريته إيّاه، ولا بأس بمثل هذا، ولا سيما إذا قصدت قصْد التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح، كما قال الشاعر:
ومالي أن أكون أعيب يحيى ... ويحيى طاهر الأثواب بر
(الروض الأنف ٢/١٢٩، ١٣٠).

(٣) الخُفْرة: العهد.

(٤) تذمّم: طلب الذمّة، وهي العهد.

تصديقه ونُصرته، صار إلى حِراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شَرِيق ليُجِيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يُجير. فبعث إلى سُهيل بن عمرو، فقال: إنّ بني عامر لا تُجير على بني كعب. فبعث إلى المطعِم بن عدِيّ فأجابه إلى ذلك، ثم تسلّح المطعِم وأهل بيته، وخرجوا حتى أتوا المسجدَ، ثم بعث إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أن ادخُلْ، فدخل رسول الله ـ ﷺ ـ، فطاف بالبيت وصلّى عنده، ثم انصرف إلى منزله. فذلك الذي يعني حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً: يمدح هشام بن عمرو لقيامه في الصحيفة:

هل يُوفينّ بنو أُميَّة ذِمّةً ... عَقْداً كما أوفى جِوارُ هشامِ
من مَعْشَر لا يَغْدِرون بجارهم ... للحارث بن حُبَيِّب بن سُخام[1]
وإذا بنو حِسْل أجاروا ذِمَّةً ... أوفَوْا وأدَّوْا جارَهم بسلام

وكان هشام أحد سُحام.

قال ابن هشام: ويقال: سُخام.

إسلام الطُّفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسيّ[2]

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ، على ما يرى من قومه، يبذل

(١) قال السهيلي: هو حُبيب بالتخفيف تصغير حب، وجعله حسّان تصغير حبيّب، فشدّده، وليس هذا من باب الضرورة، إذ لا يسوغ أن يقال في فليس: فليّس، ولا في كليب: كليّب في شعرٍ ولا غيره، ولكن لما كان الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر، وهو حسن في الشعر، وسائغ في الكلام، وهشام بن عمرو هذا أسلم، وهو معدود في المؤلّفة قلوبهم، وكانوا أربعين رجلاً فيما ذكروا، (الروض الأنف ٢/ ١٣٠).

وقوله «ابن سخام» هو: اسم أمّه، وأكثر أهل النسب يقولون فيه: شحام بشين معجمة، وألفيت في حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدة النسّابة وعوانة يقولون فيه: سحام بسين وحاء مهملتين، والذي في الأصل من قول ابن هشام: سخام بسين مهملة، وخاء معجمة. ولفظ شخام من شخم الطعام. وخشم إذا تغيّرت رائحته. قاله أبو حنيفة. (الروض الأنف ٢/ ١٣٠).

(٢) سيرة ابن كثير ٢/ ٧٢، عيون الأثر ١/ ١٣٩، سبل الهدى ٢/ ٥٤٨.

لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه. وجعلت قريش، حين منعه الله منهم، يحذّرونه الناسَ ومَن قدِم عليهم من العرب.

وكان الطُفَيل بن عمرو الدَّوْسيّ يحدّث: أنه قدِم مكَة ورسول الله - ﷺ - بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطُفَيل رجلًا شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طُفَيل، إنك قدمْتَ بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهُرنا قد أعضل بنا[1]، وقد فرّق جماعتنا، وشتّت أمرنا، وإنّما قوله كالسحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلّمنّه ولا تسمعنّ منه شيئاً.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلّمه، حتى حشوت في أُذُنيّ حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[2] فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله - ﷺ - قائم يصلّي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلّا أن يُسمعني بعضَ قوله. قال: فسمعت كلاماً حسناً. قال: فقلت في نفسي: واثُكْل أمّي، والله إنّي لَرجل لَبيب شاعر ما يخفى عليّ الحَسَنُ من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإنْ كان الذي يأتي به حَسَنا قبِلْتُه، وإن كان قبيحاً تركتُه.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله - ﷺ - إلى بيته فاتّبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برِحوا يخوّفونني أمرك حتى سددت أُذُنيَّ بكرسفٍ لئلّا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولَك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرِضْ عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله - ﷺ - الإسلام، وتلا عليّ القرآن،

---

(١) أعضل: اشتدّ أمره.

(٢) الكرسف: القطن.

فلا والله ما سمعت قولاً قطّ أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحقّ، وقلت: يا نبيّ الله، إنّي امرؤ مُطاع في قومي وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: «اللهم اجعل له آية».

قال: فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنِيّة[1] تُطلعني على الحاضر[2] وقع نور بين عيني مثل المصباح؛ فقلت: اللهم في غير وجهي، إنّي أخشى أن يظنّوا أنها مُثلة وقعت في وجهي لفراقي دِينهم. قال: فتحوّل فوقع في رأس سَوْطي. قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سَوْطي كالقنديل المعلّق، وأنا أهبط إليهم من الثنِيّة، قال: حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

إسلام والد الطفيل وزوجه: قال: فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، قال: فقلت: إليك عنّي يا أبت، فلست منك ولست منّي؛ قال: ولِمَ يا بُنّي؟ قال: قلت: أسلمت وتابعت دِين محمد ﷺ؛ قال: أي بُنَيّ، فدِيني دِينك؛ قال: فقلت: فاذهب فاغتسِلْ وطَهِّرْ ثيابك، ثم تعال حتى أعلِّمك ما عُلِّمت. قال: فذهب فاغتسل، وطهّر ثيابه. قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم.

قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليكِ عنّي، فلست منك ولست مِنّي؛ قالت: لِم؟ بأبي أنت وأمّي؛ قال: قلت: قد فرّق بيني وبينك الإسلام، وتابعتُ دِينَ محمد ﷺ؛ قالت: فدِيني دِينك؛ قال: قلت: فاذهبي إلى حنا ذي الشَّرَى - قال ابن هشام: ويقال: حِمى ذي الشّرى - فتطهّري منه.

قال: وكان ذو الشَّرى صَنَما لدَوْس، وكان الحِمَى حِمًى حَمَوْه له، وبه وشل[3] من ماء يهبط من جبل.

---

(١) الثنية: ما انفرج بين الجبلين.

(٢) الحاضر: القبيلة النازلة على الماء.

(٣) الوشل: الماء القليل.

قال: فقالت بأبي أنت وأميّ، أتخشى على الصبية من ذي الشَّرى شيئاً؛ قال: قلت: لا، أنا ضامن لذلك، فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام، فأسلمت.

ثم دعوت دَوْساً إلى الإسلام، فأبطأوا عليّ، ثم جئت رسول الله - ﷺ - بمكة فقلت له: يا نبيّ الله، إنه قد غلبني على دَوْس الزنا[1]، فادع الله عليهم؛ فقال: «اللهم أهد دَوْساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم». قال: فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ومضى بدر وأُحُد والخندق، ثم قدِمتُ على رسول الله - ﷺ - بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله - ﷺ - بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس، ثم لحِقْنا برسول الله - ﷺ - بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين.

ثم لم أزل مع رسول الله - ﷺ -، حتى إذا فتح الله عليه مكة، قال: قلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفَّين، صنم عمرو بن حممة حتى أحرِّقه.

قال ابن إسحاق: فخرج إليه، فجعل طُفَيل يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكَفَيْنِ[2] لستُ من عِبادِكا ميلادُنا أقدم[3] من ميلادكا
إنّي حَشَوْتُ النارَ في فؤادكا

قال: ثم رجع إلى رسول الله - ﷺ -، فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله ﷺ. فلما ارتدّت العرب، خرج مع المسلمين، فسار معهم حتى فرغوا من طُلَيحة، ومن أرض نجد كلّها. ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو بن الطُفَيل، فرأى رؤيا وهو متوجّه إلى اليمامة، فقال

---

(١) الزنا: لهو مع شغل القلب.
(٢) خفّف الكفّين لضرورة الشعر.
(٣) في كتاب الأصنام للكلبي «أكبر».

لأصحابه: إنّي قد رأيت رؤيا فاعبروها لي، رأيت أنّ رأسي حُلق، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فَرْجها، وأرى ابني يطلبني حثيثاً، ثم رأيته حُبس عنّي؛ قالوا: خيراً؛ قال: أما أنا والله فقد أوّلتها؛ قالوا: ماذا؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه؛ وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي؛ وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تحفر لي، فأغيَّب فيها؛ وأما طلب ابني إيّاي ثم حبْسه عنّي، فإنّي أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقُتل رحمه الله شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبلّ[1] منها، ثم قُتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيداً[2].

قصّة أعشى بني قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام: حدّثني خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسيّ وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم: أنّ أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عُكّابة ابن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله ـ ﷺ ـ:

ألم تغتمِضْ عيناك ليلة أرمَدَا ... وبتَّ كما بات السَّليمُ مُسَهَّداَ[3]

وما ذاك من عشقِ النّساء وإنّما ... تناسيتَ قبلَ اليوم خلّة[4] مهْددا[5]

ولكن أرى الدَّهرَ الذي هو خائنٌ ... إذا أصلحتْ كفَّاي عاد فأفْسدا

كهولاً وشُبّاناً فقدتُ وثروةً ... فلله هذا الدَّهرُ كيف تردّدا

وما زلتُ أبغي المالَ مُذْ أنا يافعٌ ... وليداً وكهلاً حين شِبْت وأمردا

---

(١) استبلّ: شفي.

(٢) أنظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٥/٢٢٤ عن ابن اسحاق عن عثمان بن الحويرث عن صالح بن كيسان، وطبقات ابن سعد ٤/١/١٧٥، وسير أعلام النبلاء ١/٣٤٥.

(٣) الأرمد من يشتكي الرمد. والسليم: الملدوغ، والمُسَهَّد: الذي مُنع من النوم.

(٤) وفي رواية: «صحبة».

(٥) مهدد: اسم امرأة.

وأبْتــذل العِيس المَــرَاقيــل تَغْتلي — مسافةَ مـا بين النُّجَيْـر فصَـرْخـدا[1]

ألا أَيُّهــذا الســائِـلي أين يَـمَّمَـتْ — فـإنّ لهـا في أهـلِ يثـرِبَ مـوعـدا

فـإنْ تسـألي عنّي فيـا رُبَّ سـائـلٍ — حَفيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا[2]

أجـدَّت بـرجلَيهـا النَّجـاءَ وراجعتْ — يـداهـا خِنـافاً ليِّنـاً غيـرَ أحْـردا[3]

وفيهـا إذا مـا هجَّـرت عَجْـرفيّـةٌ — إذا خِلْت حِرباء الـظَّهيـرة أصْيَـدا[4]

فــآليت لا أرثي[5] لهـا من كَـلالـة — ولا من حَفىً حتى تــلاقي محمـداً

متى ما تُناخي عنـد باب ابن هـاشم — تُــراحى وتَلْقَى من فَــواضله نَــدَى

نـبيًّـا يَـرَى مـا لا تــرون وذكـرُهُ — أغـار[6] لَعَمْري في البـلاد وأنْجَـدا[7]

لــه صــدقــاتٌ مــا تُغِبّ ونــائِـل — وليس عــطاء اليوم مــانعَــهُ غــدا

أَجِــدُّكَ لم تسمَــعْ وَصَــاةَ محمــد — نبيّ الإلٰــه حيث أوصَى وأشهــدا

إذا أنت لم تـرحـل بـزاد من التُّقَى — ولاقيْتَ بعـد الموت مَن قـد تَـزوّدا

نــدمـتَ على أن لا تـكــون كمثلِه — فتُرْصِد[8] للموت[9] الذي كان أرصدا

فـإيّـاك والمَيْتـاتِ لا تقـربَـنّهـا — ولا تـأخذَنْ سهمـاً حـديـداً لتُفْصِـدا

ولا النُّصَبَ المنصـوبَ لا تنسكُنَّـه — ولا تعبـد الأوثـان والله فــاعبُـدا[10]

---

(١) العِيس: نوع من الإبل البيض التي تخالطها حُمرة. والمراقيل: السريعة. وتغتلي: تتسابق. والنجير والصرخد: مكانان بعينهما.

(٢) أصعد: ذهب.

(٣) النجاء: ضرب من السرعة. والخناف: لوى يديها في السير نشاطاً والأجرد: الـذي يبطيء في السير.

(٤) هجّرت: مشت في الهاجرة وهي الظهيرة، والعجرفيّة: التي لا تهاب شيئاً. والحرباء: دُويبة يدور وجهها مع الشمس إذا دارت. والأصيد: المائل العنق.

(٥) أرثي: أشفق. وفي رواية «آوي».

(٦) أغار: بلغ الغـور، وهو ما انخفض من الأرض.

(٧) أنجدا: بلغ النجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٨) أرصد: أعد.

(٩) وفي رواية «للأمر».

(١٠) وقف على النّون الخفيفة بالألِف ولذلك كتبت في الخط بالألف لأنّ الـوقف عليها بـالألِف، وقيـل إنه لم يـرد النون الخفيفـة، وإنما خـاطب الواحـد بخـطاب الاثنين. (الـروض الأنف ١٣٨/٢).

ولا تَقْرَبَنّ حُرَّةً كان سِرُّها | عليكَ حراماً فانكَحَنْ أو تأبّدا[1]
وذا الرَّحِم القُربى فلا تَقْطَعَنَّه | لعاقبة ولا الأسير المُقَيَّدا
وسبِّح على حينِ العشيّات والضُّحَى | ولا تحمَد الشيطانَ والله فاحمَدا
ولا تَسْخَرَنْ من بائسٍ ذي ضَراوةٍ[2] | ولا تَحْسَبَنّ المالَ للمَرْء مُخْلِدا[3]

نهاية الأعشى: فلما كان بمكة أو قريباً منها، اعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله - ﷺ - ليُسْلم، فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرّم الزّنا؛ فقال الأعشى: والله إنّ ذلك لأمر مالي فيه من أرَب؛ فقال له: يا أبا بصير، فإنه يحرّم الخمر؛ فقال الأعشى: أما هذه فوالله إنّ في النفس منها لعُلالات، ولكنّي منصرِف فأتروّى منها عامي هذا، ثم آتيه فأُسْلم[4]. فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله - ﷺ -.

أبو جهل يذلّ للرسول: **قال ابن إسحاق**: وقد كان عدوّ الله أبو جهل ابن هشام مع عداوته لرسول الله - ﷺ - وبُغضه إيّاه، وشدّته عليه، يذلّه الله له إذا رآه.

---

(١) تأبّد: بعد عن النساء.
(٢) ضرارة: ضرورة.
(٣) أنظر الأبيات في شرح قصيدة الأعشى - مخطوطة دار الكتب المصرية، رقم ١٧٣٦ أدب، وشرح السيرة لأبي ذر ١١٠، وعيون التواريخ ١/٨١ - ٨٣، وسيرة ابن كثير ٢/٧٩، ٨٠.
(٤) قال السهيلي: وهذه غفلة من ابن هشام، ومن قال بقوله: فإنّ الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلاّ بالمدينة بعد أن مضت بدر وأُحُد، وحُرِّمت في سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل، وفي الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها، وغنّته القينتان: ألا يا حمز، للشرف النواء، فبقر خواصر الشارفين، واجتب أسنِمَتَها فإن صحّ خبر الأعشى، وما ذُكر له من الخمر، فلم يكن هذا بمكة، وإنما كان بالمدينة، ويكون القائل له: أما علمت أنه يحرّم الخمر، من المنافقين، أو من اليهود، فالله أعلم. وفي القصيدة ما يدلّ على هذا قوله: فإنّ لها من أهل يثرب موعداً، وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي عُبيدة قال: لقي الأعشى عامر بن الطُفيل في بلاد قيس، وهو مُقبل إلى رسول الله - ﷺ - فذكر له أنه يحرّم الخمر، فرجع، فهذا أوْلَى بالصواب. (الروض الأنف ٢/١٣٦).

أبو جهل والإراشي

قـال ابن إسحـاق: حـدّثني عبـدالملك بن عبـدالله بن أبي سفيـان الثقفي، وكـان واعية، قـال: قدِم رجـل من إراش ـ قـال ابن هشـام: ويقـال إراشة ـ بإبلٍ له مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثمانها. فأقبـل الإراشيّ حتى وقف على نادٍ من قريش، ورسول الله ـ ﷺ ـ في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشـر قريش، من رجـل يؤدّيني[1] على أبي الحَكَم بن هشام فـإنّي رجـل غريب، ابن سبيـل، وقد غلبني على حقّي؟ قـال: فقال لـه أهل ذلـك المجلس: أترى ذلك الرجل الجـالس ـ لرسـول الله ـ ﷺ ـ، وهـم يهزءون بـه لِما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ـ اذهب إليه فإنّه يؤدّيك عليه.

فأقبل الإراشيّ حتى وقف على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا عبدالله إنّ أبا الحَكَم ابن هشام قد غلبني على حقٍّ لي قِبلَه، وأنـا رجل غـريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدّيني عليـه، يأخـذ لي حقّي منه، فـأشاروا لي إليـك، فخذ لي حقّي منـه، يرحمـك الله؛ قال: انـطلِقْ إليه، وقـام معـه رسول الله ـ ﷺ ـ، فلما رأوه قام معه. قالوا لرجل ممن معهم: اتبعـه، فانـظر ماذا يصنع.

قال: وخرج رسول الله ـ ﷺ ـ حتى جاءه فضرب عليه بابه. فقـال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إليّ، فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة[2]، قـد انتقع لونـه، فقال: أعط هـذا الرجـل حقّه؛ قـال: نعم، لا تبرح حتى أعـطيه الذي له، قال: فدخل، فخرج إليه قال: ثم انصـرف رسول الله ـ ﷺ ـ وقـال لـلإراشيّ الحقْ بشـأنـك، فـأقبـل الإراشيّ حتى وقف على ذلـك المجلس، فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقّي.

قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالـوا: ويْحك! مـاذا رأيت؟ قال:

---

(١) يؤدّيني: يساعدني على استرداد حقّي.
(٢) ليس فيه قطرة دم.

عجباً من العجب والله ما هـو إلا أن ضرب عليه بابـه، فخرج إليـه وما معـه روحه فقال لـه: أعط هذا حقّـه فقال: نعم، لا تبـرح حتى أُخْرِج إليـه حقّه، فدخل فخرج إليه بحقّه، فأعـطاه إيّاه. قـال: ثم لم يلبث أبو جهـل أن جاء، فقالوا: ويلك! مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قطّ! قـال: ويحكم والله ما هو إلّا أن ضرب على بابي، وسمعت صوته، فملئت رعباً، ثم خـرجت إليه، وإنّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هـامته، ولا قصـرته، ولا أنيـابه لفحل قطّ، والله لو أبيتُ لأكلني(١).

أمر رُكانة المطّلبيّ ومصارعته للنّبيّ صلى الله عليه وسلم(٢)

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسَار، قال: كان رُكانـة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطّلب بن عبد مَناف أشدّ قريش؛ فخـلا يومـاً بـرسول الله ـ ﷺ ـ في بعض شِعـاب مكة، فقـال لـه رسـول الله ـ ﷺ ـ: «يـا رُكانة، ألا تتّقي الله وتقبل ما أدعوك إليه»؟ قـال: إنّي لو أعلم أنّ الـذي تقول حقّ لاتّبعتك؛ فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «أفرأيت إنْ صرعتـك، أتعلم أنّ ما أقـول حق»؟ قال: نعم، قـال: فقم حتى أصارعـك. قال: فقـام إليه رُكـانـة يصارعه؛ فلمـا بطش بـه رسول الله ـ ﷺ ـ أضجعـه، وهو لا يملك من نفسـه شيئاً، ثم قال: عـد يا محمـد، فعاد فصـرعه، فقـال ـ يا محمـد والله إنّ هذا للعجب أتصرعني؟! فقال رسـول الله ـ ﷺ ـ: «وأعجب من ذلك إنْ شئت أن أريكـه، إن اتّقيتَ الله واتّبعت أمري»؛ قـال: ما هـو؟ قال: «أدعـو لـك هـذه الشجرة التي ترى فتـأتيني»؛ قال: ادعهـا، فدعـاها، فـأقبلت حتى وقفت بين يـدي رسـول الله ـ ﷺ ـ. قـال: فقـال لهـا: «ارجعي إلى مكـانـك». قـال: فرجعت إلى مكانها(٣).

---

(١) سبل الهدى ٢/٥٥١، ٥٥٢.

(٢) السير والمغازي ٢٧٦، سيرة ابن كثير ٢/٨٢، أنساب الأشراف ١/١٥٥.

(٣) أنساب الأشراف ١/١٥٥. رقم ٣٣٨، السير والمغازي ٨٢٧٦

قال: فذهب رُكانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مَناف، ساحِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قطّ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع[1].

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق: ثم قدِم على رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو بمكة، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلّموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة؛ فلما فرغوا من مسألة رسول الله ـ ﷺ ـ عما أرادوا دعاهم رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الله عزّ وجلّ وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم: خيّبكم الله من ركْب! بعثكم مَن وراءكم من أهل دِينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئنّ مجالسكم عنده، حتى فارقتم دِينكم وصدّقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحمق منكم. أو كما قالوا. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسَنا خيراً.

ويقال: إنّ النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أيّ ذلك كان. فيقال ـ والله أعلم ـ فيهم نزلت هؤلاء الآيات **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾**... إلى قوله **﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾**[2].

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٥٥ رقم ٣٣٧.

(٢) سورة القصص ـ الآيات من ٥٢ حتى ٥٥.

قال ابن إسحاق: وقد سألت ابن شهاب الزُّهْريّ عن هؤلاء الآيات فيمن أُنزلن، فقال لي: ما أسمع من علمائنا أنهنّ أُنزلن في النجاشيّ وأصحابه. والآية من سورة المائدة من قوله: ﴿ذٰلكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً، وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾... إلى قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(١).

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خبّاب، وعمّار، وأبو فَكيهة يَسَار مولى صفْوان بن أُميّة بن محرِّث، وصُهَيْب، وأشباههم من المسلمين، هزئت بهم قريش، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحقّ! لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصّهم الله به دوننا. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهٰؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا، أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ. وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا، فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُم كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٢).

وكان رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - كثيراً ما يجلس عند المَرْوَة إلى مبْيعة غلام نصرانيّ، يقال له: جبر، عبد لبني الحضرميّ، فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلّا جبر النصرانيّ، غلام بني الحضْرميّ. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ. لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ، وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة - الآيتان ٨٢ و٨٣.

(٢) سورة الأنعام - الآيات ٥٢ - ٥٤.

(٣) سورة النحل - الآية ١٠٣.

قال ابن هشام: يُلْحِدون إليه: يميلون إليه. والإلحاد: المَيْل عن الحقّ.

قال رُؤبة بن العَجّاج:

إذا تبع الضّحّاك كل مُلحد

قال ابن هشام: يعني الضّحّاك الخارجيّ، وهذا البيت في أرجوزة له.

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق: وكان العاص بن وائل السَّهْميّ - فيما بلغني - إذا ذُكر رسول الله - ﷺ -، قال: دعوه فإنّما هو رجل أبتر لا عقِب له، لو مات لانْقَطَعَ ذِكْره واسترحْتُم منه، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثر﴾[1] ما هو خير لك من الدنيا وما فيها. والكوثر: العظيم.

معنى الكوثر: **قال ابن إسحاق**: قال لَبِيد بن ربيعة الكلابيّ:

وَصَاحِبُ مَلحُوبٍ[2] فُجِعْنَا بِيومِهِ وعند الرّداع بيتُ آخرَ كَوْثر

يقول: عظيم.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له. وصاحب ملحوب: عوف ابن الأحوص بن جعفر بن كِلاب، مات بملحوب. وقوله: «وعند الرداع بيت آخر كوثر»: يعني شريح بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب، مات بالرداع. وكوثرٌ: أراد: الكثير. ولفظه مشتقّ من لفظ الكثير. قال الكُمَيْت ابن زيد يمدح هشام بن عبدالملك بن مروان:

وأنت كثيرٌ بابن مَرْوان طَيِّب وكان أبوك ابنُ العقائل كَوْثَرا

---

(١) سورة الكوثر - الآية ١.

(٢) ملحوب: اسم ماء لبني أسد بن خزيمة، وقيل قرية لبني عبدالله بن الدئل بن حنيفة باليمامة. (معجم البلدان ٥/١٩١).

وهذا البيت في قصيدة له.

وقال أُميّة بن أبي عائذ الهُذليّ يصف حمار وحش:

يُحامي الحقيقَ إذا ما احتدمْن وحَمْحَمْنَ في كوثر كالجِلال[1]

يعني بالكوثر: الغبار الكثير، شبّهه لكثرته عليه بالجِلال. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: حدّثني جعفر بن عمرو ـ قال ابن هشام: هو جعفر ابن عمرو بن أُميَّة الضَّمْريّ ـ عن عبدالله بن مسلم أخي محمد بن مسلم ابن شهاب الزُهْري، عن أنس بن مالك. قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ، وقيل له: يا رسول الله، ما الكوثر الذي أعطاك الله؟ قال: نهر كما بين صنعاء إلى أيْلة، آنِيته كعدد نجوم السماء، تردُه طيور لها أعناق كأعناق الإبل. قال. يقول عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لنَاعمة؛ قال: آكِلُها أنعمُ منها.

قال ابن إسحاق: وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال ﷺ: «من شرب منه لا يظمأ أبداً».

نزول «وقالوا لَوْلا نُزِّل عليه مَلَكٌ»

قال ابن إسحاق: ودعا رسول الله ـ ﷺ ـ قومه إلى الإسلام، وكلّمهم فأبلغ إليهم، فقال زَمعة بن الأسود، والنضْر بن الحارث، والأسود بن عبد يغوث، وأبيّ بن خَلَف، والعاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد مَلك يحدّث عنك الناس ويُرى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً، وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾**[2].

(١) الحقيق: ما يجب أن يحميه الإنسان، ويريد هنا حماية أتنه، والاحتدام: سرعة الجري. والجلال: ما تلبسه الدواب لحمايتها.

(٢) سورة الأنعام ـ الآيتان ٨ و ٩.

نزول «ولقد اسْتُهْزِيءِ برُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ»

قال ابن إسحاق: ومرّ رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - بالوليد بن المغيرة، وأُميّة بن خَلَف وبأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزءوا به، فغاظه ذلك. فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: **﴿وَلَقَدْ اسْتُهْزِيءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾**(1).

---

(1) سورة الأنعام - الآية ١٠.

ذِكْر الإسراء والمعراج[1]

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي قال: ثم أُسري برسول الله ـ ﷺ ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام بمكة في قريش، وفي القبائل كلها.

قال ابن إسحاق: كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه ﷺ، عن عبدالله بنِ مسعود، وأبي سعيد الخُذْرِيّ، وعائشة زوْج النبيّ ﷺ، ومعاوية ابن أبي سُفيان، والحسن بن أبي الحَسَن البصْريّ، وابن شهاب الزُهْريّ، وقَتَادة وغيرهم من أهلِ العلم وأم هانيء بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كلٌّ يحدّث عنه بعض ما ذُكر من أمره حين أُسرِي به ﷺ، وكان في مسراه، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله عزَّ وجلّ في قدرته وسلطانه، فيه عبرة لأولي الألباب، وهدًى ورحمة وثبات لمن آمن وصدّق،

---

(١) السير والمغازي ٢٩٥، الطبقات الكبرى ١/٢١٣، البدء والتاريخ ٤/١٥٩، أنساب الأشراف ١/٢٥٥، المغازي لعروة ١٢٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٤١، نهاية الأرب ١٦/٢٨٣، الشفاء للقاضي عياض ١/١٤١، دلائل النبوّة ١/١٩٦، عيون الأثر ١/١٤٠، سيرة ابن كثير ٢/٩٣، عيون التواريخ ١/٤٥، تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٨٣، سبل الهدى ٢/١٣.

وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريَه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد.

رواية ابن مسعود عن الاسراء: فكان عبدالله بن مسعود ـ فيما بلغني عنه ـ يقول:

أُتي رسول الله ـ ﷺ ـ بالبُراق ـ وهي الدّابّة التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرها في منتهى طرفها ـ فحُمل عليها، ثم خرج به صاحبه، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له، فصلّى بهم. ثم أُتي بثلاثة آنية، إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: فسمعت قائلاً يقول حين عُرِضت عليّ: إنْ أخذ الماء غرق وغرقت أمّته، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمّتُه، وإن أخذ اللبن هُدِيَ وَهُدِيت أمّته. قال: فأخذت إناء اللبن، فشربت منه، فقال لي جبريل عليه السلام: هُديت وهُدِيت أمّتك يا محمد[1].

رواية الحسن: قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: بينا أنا نائم في الحِجْر، إذ جاءني جبريل، فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه، فجلست، فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلست، فأخذ بعضُدي، فقمت معه، فخرج بي إلى باب المسجد فإذا دابّة أبيض[2]، بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يحفز[3] بهما

(١) رواية ابن مسعود أخرجها البخاري في كتاب الأشربة (٦/ ٢٤٠، ٢٤١) وفي تفسير سورة الإسراء (٥/ ٢٢٤) باب قوله أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام. ومسلم في كتاب الإيمان (١٦٨) باب بدء الوحي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ.

(٢) أي أبيض اللون، والتذكير باعتبار المركوب كما في «إرشاد الساري لشرح البخاري».

(٣) الحفز: الدفع.

رِجْله، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

رواية قَتادة: **قال ابن إسحاق:** وحُـدِّثت عن قَتادة أنـه قال: حُـدِّثت أنّ رسول الله - ﷺ - قال: لما دنوت منه لأركبه شمس[1]، فوضع جبريل يده على معرفته، ثم قال: ألا تستحي يا براق[2] مما تصنع، فوالله ما ركبك عبدُ لله قبل محمد أكرم عليه منه. قال: فاستحيا حتى ارفضّ[3] عرقاً، ثم قرّ حتى ركبته.

عَـوْد إلى روايـة الحسن: قـال الحسن في حـديثـه: فمضى رسـول الله - ﷺ -، ومضى جبـريـل عليـه السـلام معـه، حتى انتهى بـه إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأمَّهم رسول الله - ﷺ - فصلّى بهم، ثم أُتي بإناءين، في أحدهما خمـر، وفي الآخر لبن. قال: فأخذ رسول الله - ﷺ - إناء اللبن، فشرب منه، وترك إناء الخمر. قال: فقال له جبـريل: هُـدِيت للفِطرة، وهُـديت أمّتك يـا محمد، وحُـرّمت عليكم الخمر. ثم انصرف رسول الله - ﷺ - إلى مكة، فلمـا أصبح غـدا على قريش فـأخبرهم الخبـر. فقال أكثـر الناس: هـذا والله الإمـر[4] البيِّن، والله إنّ العيـر لتطَّـرِد شهراً من مكة إلى الشام مُـدبرة، وشهـراً مُقبِلة، أفيذهب ذلـك محمد في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة؟! قال: فارتـدّ كثير ممن كـان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قـد جاء هذه الليلة بيتَ المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكة. قـال: فقال لهم أبـو بكـر: إنكم تكذبـون عليه؛ فقالوا: بلى، هـا هو ذاك في المسجـد يحدّث بـه الناس؛ فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صـدق، فما يعجبكم من ذلـك! فوالله إنه ليخبرني أنّ الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعـةٍ من ليل أو

---

(١) شمس: حرن.
(٢) وإنما نفر لبُعد عهد البُراق بركوب الأنبياء.
(٣) ارفضّ: سال.
(٤) الإمر: العجيب.

نهار فأصدّقه، فهـذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا نبيّ الله. أحدَّثت هؤلاء القوم أنك جئت بيتَ المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم؛ قال: يا نبيّ الله، فصفه لي، فإنّي قد جئته ـ قال الحسن: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: فرُفع لي حتى نظرت إليه ـ فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلّما وصف له منه شيئاً، قال: صدقت، أشهد أنّك رسول الله، حتى إذا انتهى، قال رسول الله ـ ﷺ ـ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصِّدِّيق؛ فيومئذ سمّاه الصِّدِّيق.

قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن إسلامه لذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ، وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ، وَنُخَوِّفُهُمْ، فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾(١).

فهذا حديث الحَسَن عن مسرَى رسول الله ـ ﷺ ـ. وما دخل فيه من حديث قَتادة.

رواية عائشة: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني بعض آل أبي بكر: أنّ عائشة زوج النبيّ ـ ﷺ ـ كانت تقول: ما فُقِد جسد رسول الله ـ ﷺ ـ، ولكنّ الله أسرى بروحه.

رواية معاوية: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة ابن الأخنس: أنّ معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سُئل عن مسرى رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة.

الاسراء رؤيا: فلم ينكر ذلك من قولهما، لقول الحسن: إنّ هذه الآية نزلت في ذلك، قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾(١) ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال

(١) سورة الإسراء ـ الآية ٦٠.
(٢) سورة الصافات ـ الآية ١٠٢.

لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[2] ثم مضى على ذلك. فعرفت أنّ الوحي من الله يأتي الأنبياءَ أيقاظاً ونياماً.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني ـ يقول: «تنام عيناي وقلبي يقظان». والله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه، وعاين فيه ما عاين، من أمر الله، على أيّ حاليه كان: نائماً، أو يقظان، كل ذلك حقّ وصدْق.

وصْف إبراهيم وموسى وعيسى: **قال ابن إسحاق**: وزعم الزُّهْريّ عن سعيد بن المسيّب أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة، فقال: أما إبراهيم، فلم أر رجلاً أشبه قطّ بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ وأما موسى فرجل آدم طويل ضَرْب جَعْدٌ أقْنى[1]، كأنه من رجال شَنُوءَة[2]؛ وأما عيسى بن مريم، فرجل أحمر، بين القصير والطويل، سبط الشعر، كثير خيلان[3] الوجه، كأنه خرج من ديماس[4]: تخال رأسه يقطر ماء، وليس به ماء، أشبه رجالكم به عُروة بن مسعود الثقفي[5].

عليّ يصف الرسول ﷺ: **قال ابن هشام**: وكانت صفة رسول الله ـ ﷺ ـ فيما ذكر عمر مولى غفرة، عن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن أبي طالب قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام، إذا نعت رسول الله ـ ﷺ ـ قال: لم يكن بالطويل الممغَّط[6]: ولا القصير المتردّد، وكان رَبعةً من القوم، ولم يكن بالجَعْد القطط[7] ولا بالسَّبَط؛ كان جعْداً رجْلاً[8]؛ ولم

---

(١) الضرْب: خفيف اللحم، والجعد المتكسّر الشعر، والأقنى: المرتفع الأنف.
(٢) شنوءة: قبيلة.
(٣) الخيلان: الشامات السوداء.
(٤) الديماس: الحمّام.
(٥) أنظر: تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٤٥، ٢٤٦، عيون الأثر.
(٦) الممغّط: الممتدّ.
(٧) القطِط: الشديد خشونة الشعر.
(٨) رِجلاً: مسرَّح الشعر.

يكن بالمطهَّم(1) ولا المُكَلْثَم(2) [وكان في وجهه تدوير](3)؛ وكان أبيض مُشْرَباً [حمرة](4): أدعج(5) العينين؛ أهدبَ الأشفار(6): جليل المُشاش والكَتَد(7)؛ دقيق المَسْرُبة(8): أجرد(9) شِثْن(10) الكفَّيْن والقدمين؛ إذا مشى تقلّع(11): كأنّما يمشي في صَبَب؛ وإذا التفت التفت معاً؛ بين كتفيه خاتم النّبوَّة؛ وهو خاتم النبيّين؛ أجْوَد النّاس كَفًّا، وأجرأ الناس صدْراً، وأصدق الناس لهجةً، وأوْفى الناس ذمّة، وألْينهم عرِيكةً، وأكرمهم عِشْرةً، من رآه بَديهةً هابه، ومن خالطه أحبّه، يقول ناعتُهُ: لم أر قبله ولا بعده مثله، ﷺ(12).

رواية أم هانيء عن الإسراء: قال محمد بن إسحاق: وكان فيما بلغني عن أمّ هانيء بنت أبي طالب رضي الله عنها: واسمها هند؛ في مسرى رسول الله - ﷺ -: أنها كانت تقول: ما أُسرِي برسول الله - ﷺ - إلا وهو في بيتي، نائم عندي تلك الليلة في بيتي، فصلّى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قُبَيل الفجر أَهَبَّنا(13)رسول الله - ﷺ -؛ فلما صلّى الصبح وصلّينا معه،

(1) المطَهَّم: كثير اللحم.
(2) المكلثم: المستدير الوجه.
(3) ما بين الحاصرتين إضافة من الترمذي.
(4) إضافة من الترمذي.
(5) الدعج. سواد العيون.
(6) أهدب الأشفار: طويلها.
(7) المُشاش: عظام رؤوس المفاصل، والكتد: ما بين الكتفين.
(8) المَسْرُبة: الشعر الممتدّ من الصدر إلى السُّرَّة.
(9) الجرد: قلّة شَعْر الجسم.
(10) شِثْن: غليظ.
(11) تقلّع: لم يثبّت قدميه.
(12) رواه الترمذي في المناقب (3718) باب (38) ما جاء في صفة النبيّ ﷺ، وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، ورواه الفسوي في المعرفة والتاريخ 3/283، وابن سعد في الطبقات 1/411، 412، والبلاذري في أنساب الأشراف 1/391، 392 رقم 836، وابن كثير في البداية والنهاية 6/28، 29، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 1/318، وابن الجوزي في صفة الصفوة 1/153، 154، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) 434.
(13) أيقَظَنا.

قال: «يا أمّ هانيء،.لقد صلّيت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيتَ المقدس فصلّيت فيه، ثم صلّيت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين»، ثم قام ليخرج، فأخذْتُ بطرف ردائه، فتكشّف عن بطنه كأنه قبطية[1] مطويّة، فقلت له: يا نبيّ الله: لا تحدّث بهذا الناس فيكذّبوك ويؤذوك؛ قال: والله لأحدّثنّهموه. قالت: فقلت لجارية لي حبشيّة: ويحكِ اتّبعي رسول الله - ﷺ - حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول الله - ﷺ - إلى الناس أخبرهم: فعجِبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإنّا لم نسمع بمثل هذا قطّ؛ قال آية ذلك أنّي مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا: فأنفرهم حسّ الدّابة، فندّ لهم بعير، فدللتهم عليه، وأنا متوجّه إلى الشام. ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان[2] مررت بِعِير بني فلان؛ فوجدت القوم نيام: ولهم إناء فيه ماء قد غطّوا عليه بشيء؛ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه؛ ثم غطّيت عليه كما كان؛ وآية ذلك أنّ غيرهم الآن يصوّب[3] من البيضاء: ثنيّة التنعيم؛ يقدمها جمل أورق، عليه غرارتان: إحداهما سوداء، والأخرى برقاء. قالت: فابتدر القوم الثنيّة فلم يلقهم أول من الجمل[4] كما وصف لهم: وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء ثم غطّوه، وأنّهم هبّوا فوجدوه مغطّى كما غطّوه، ولم يجدوا فيه ماء. وسألوا الآخرين وهم بمكة: فقالوا: صدق والله، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وندّ لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه، حتى أخذناه[5].

قصّة المعراج

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أبي سعيد الخُدْريّ رضي

---

(١) القبطية: ثياب تُنسج بمصر من الكتّان.

(٢) جبل يبعد عن مكة حوالى ٤٠ كيلو متراً.

(٣) يصوّب: ينزل. البيضاء: مكان قرب مكة.

(٤) أي كان الجمل المذكور أول ما لقيهم.

(٥) الحديث في: تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٤٥، ٢٤٦، عيون الأثر ١٤٢/١.

الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: لما فرغت مما كان في بيت المقدس، أُتي بالمعراج، ولم أر شيئاً قطّ أحسن منه: وهو الذي يمدّ إليه ميّتكم عينيه إذا حضر؛ فأصعدني صاحبي فيه؛ حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء، يقال له: باب الحَفَظَة، عليه مَلَك من الملائكة، يقال له: إسماعيل، تحت يديه إثنا عشر ألف مَلَك، تحت يدي كل مَلَك منهم اثنا عشر ألف مَلَك ـ قال: يقول رسول الله ـ ﷺ ـ حين حدّث بهذا الحديث: «وما يعلم جنودَ ربك إلّا هو» ـ فلما دُخل بي، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: محمد. قال: أَوَ قد بُعث؟ قال: نعم. قال: فدعا لي بخير: وقاله[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم، عمّن حدّثه، عن رسول الله ـ ﷺ ـ، أنه قال: «تلقّتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقني مَلَك إلّا ضاحكاً مستبشراً، يقول خيراً ويدعو به، حتى لقيني مَلَك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه البِشْرَ مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك، ولم أر منه من البِشْر مثل الذي رأيت من غيره؟ قال: فقال لي جبريل: أما إنّه لو ضحك إلى أحد كان قبلك، أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك، لضحِك إليك، ولكنّه لا يضحك، هذا مالك صاحب النار. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: فقلت لجبريل، وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال: بلى، يا مالك، أرِ محمداً النار. قال: فكشف عنها غطاءها، فقال ففارت وارتفعت، حتى ظننت لتأخذنّ ما أرَى. قال: فقلت لجبريل: يا جبريل، مره فليردّها إلى مكانها. قال: فأمره، فقال لها: اخبي، فرجعت إلى

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوّة ٢/ ١٣٠ ـ ١٣١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٣٨٧ ـ ٣٩١، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٧٢ ـ ٢٧٥، والسيوطي في الخصائص الكبرى ١/ ١٦٧ ـ ١٦٩ وقال: إن الحديث في تفسير الطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

مكانها الذي خرجت منه. فما شبّهت رجوعها إلا وقوع الظّل. حتى إذا دخلت من حيث خرجت ردّ عليها غطاءها.

قال أبو سعيد الخُدْريّ في حديثه: إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: لما دخلت السماء الدنيا، رأيت بها رجلًا جالساً تُعرض عليه أرواح بني آدم، فيقول لبعضها إذا عُرضت عليه خيراً ويُسَرّ به، ويقول: روح طيبة خرجت من جسد طيّب؛ ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه: أُفّ، ويعبس بوجهه ويقول: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث. قال: قلت من هذا يا جبريل؟ قال هذا أبوك آدم، تُعرض عليه أرواح ذرّيته، فإذا مرّت به روح المؤمن منهم سُرّ بها. وقال: روح طيبة خرجت من جسد طيب. وإذا مرّت به روح الكافر منهم أنِف منها وكرهها، وساءه ذلك، وقال: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث.

قال: ثم رأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل، في يديهم قِطع من نار كالأفهار، يقذفونها في أفواهِهم، فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً.

قال: ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قطّ بسبيل آل فرعون(١)، يمرّون عليهم كالإبل المهيومة(٢) حين يُعرضون على النار، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا.

قال: ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيّب، إلى جنبه لحم غثّ مُنتِن، يأكلون من الغثّ المنتن، ويتركون السمين الطيّب. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحلّ الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهنّ.

---

(١) وذلك أنّ آل فرعون أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة. يقول الله سبحانه وتعالى ﴿أَدْخِلُوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلعَذَابِ﴾.

(٢) المهيومة: العطاش.

قـال: ثم رأيت نساء معلَّقـات بثديهنّ، فقلت: من هؤلاء يـا جبـريـل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن عمرو، عن القاسم بن محمـد أنّ رسـول الله ـ ﷺ ـ، قـال: اشتـدّ غضب الله على امـرأة أدخلت على قـوم من ليس منهم، فأكل حرائبهم[1]، واطّلع على عوراتهم.

ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخُدْريّ، قال: ثم أصعدني إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالـة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكـريا، قـال: ثم أصعدني إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورتـه كصورة القمـر ليلة البدر؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب. قال: ثم أصعـدني إلى السماء الـرابعة، فـإذا فيها رجـل فسألتـه: من هو؟ قـال: هـذا إدريس ـ قـال: يقـول رسـول الله ـ ﷺ ـ: ورفعنـاه مكـانـاً عليّـاً ـ قـال: ثم أصعدني إلى السماء الخـامسة فـإذا فيها كهـل أبيض الرأس واللحيـة، عظيم العثنون[2]، لم أر كهلاً أجمل منه، قال: قلت: من هـذا يا جبريل؟ قال: هـذا المحبَّب في قومه هارون بن عمران. قال ثم أصعدني إلى السماء السادسـة، فإذا فيها رجل آدم[3] طويل أقنى[4]، كأنه من رجال شَنُوءَة؛ فقلت له: من هـذا يـا جبريـل؟ قـال هـذا أخـوك مـوسى بن عمـران. ثم أصعـدني إلى السمـاء السابعة، فاذا فيها كهل جالس على كـرسيّ إلى باب البيت المعمـور، يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامـة. لم أر رجلاً أشبـه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ قال: قلت: من هـذا يا جبـريل؟ قـال هـذا أبوك إبـراهيم. قال: ثم دخـل بي الجنة، فـرأيت فيها جـاريـة لعسـاء[5]

---

(١) الحرائب: الأموال.
(٢) عظيم اللحية.
(٣) الآدم: الأسود.
(٤) الأقنى: المرتفع قصبة الأنف.
(٥) اللعساء: من لها حُمرة في شفتيها تضرب إلى السواد.

فسألتها: لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتها؛ فقالت: لزيد بن حارثة، فبشّر بها رسول الله - ﷺ - زيد بن حارثة.

قال ابن إسحاق: ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، فيما بلغني: أنّ جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلاّ قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد؛ فيقولون: أَوَ قد بُعث إليه؟ فيقول: نعم؛ فيقولون: حيّاه الله من أخٍ وصاحب، حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاةً في كل يوم.

قال رسول الله - ﷺ -: فأقبلت راجعاً، فلما مررت بموسى بن عمران، ونِعم الصاحب كان لكم، سألني كم فرض عليك من الصلاة؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم؛ فقال: إنّ الصلاة ثقيلة، وإنّ أمّتك ضعيفة، فارجع إلى ربك، فاسأله أن يخفّف عنك وعن أمتك، فرجعت فسألت ربيّ أن يخفّف عنّي وعن أمّتي، فوضع عنّي عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك؛ فرجعت فسألت ربّي فوضع عني عشراً. ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلّما رجعت إليه، قال: فارجع: فاسأل ربك، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنّي، إلاّ خمس صلوات في كّل يوم وليلة. ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربّي وسألته، حتى استحييت منه، فما أنا بفاعل.

فمن أدّاهن منكم إيماناً بهنّ، واحتساباً لهنّ، كان له أجر خمسين صلاة»[1].

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوّة ٢/١٣٠، ١٣١، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٨٧ - ٣٩١، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٧٢ - ٢٧٥ والسيوطي في الخصائص الكبرى ١/١٦٧ - ١٦٩.

المستهزئون بالرسول وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ـ ﷺ ـ على أمر الله تعالى صابراً محتسباً، مؤدّياً إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى. وكان عظماء المستهزئين، كما حدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُّبير، خمسة نفر من قومهم، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم.

من بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب: الأسود بن المطّلب بن أسد أبو زَمعة، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني ـ قد دعا عليه لِما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: «اللهم أعْمِ بصره، وأثكِلْه ولده».

ومن بني زُهرة بن كِلاب: الأسود بن عبد يغوث بن وهْب بن عبد مَناف بن زُهرة.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة: الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: العاص بن وائل بن هشام.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هشام بن سُعيد بن سهم.

ومن بني خُزاعة: الحارث بن الطُّلاطلة[1] بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن ملكان.

فلما تمادوا في الشرّ، وأكثروا برسول الله ـ ﷺ ـ الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾**[2].

---

(١) في إنسان العيون لنور الدين الحلبي «عيطلة»، وفي تاريخ الإسلام ٢٢٤ «عَيْطَل».
(٢) سورة الحجر ـ الآيات ٩٤ ـ ٩٦.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُبير، أو غيره من العلماء أنّ جبريل أتى رسول الله ـ ﷺ ـ، وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ـ ﷺ ـ إلى جنبه، فمرّ به الأسود بن المطّلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء، فعُمي. ومرّ به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه، فمات منه حبْناً[1]. ومرَّ به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رِجْله، كان أصابه قبل ذلك بسنين، وهو يجرّ سبله[2]، وذلك أنه مرّ برجل من خُزاعة وهو يريش نبلاً له، فتعلّق سهم من نبله بإزاره، فخدش في رِجْله ذلك الخدش، وليس بشيء فانتقض به فقتله. ومرّ به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رِجْله، وخرج على حمار له يريد الطائف، فربض به على شبارقة[3]، فدخلت في أخمص رِجله شوكَة فقتلته. ومرّ به الحارث بن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه فامتخض قيحاً، فقتله[4].

قصّة أبي أُزَيْهر الدَّوْسيْ

قال ابن إسحاق: فلما حضرت الوليدَ الوفاةُ دعا بنيه وكانوا ثلاثة: هشام بن الوليد، والوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، فقال لهم: أي بُنيّ، أوصيكم بثلاث، فلا تضيّعوا فيهنّ: دمي في خُزاعة فلا تَطُلُّنَّهُ[5]، والله إنّي لأعلم أنهم منه برآء، ولكنّي أخشى أن تُسبُّوا به بعد اليوم؛ ورباي في ثقيفٍ، فلا تدعوه حتى تأخذوه؛ وعقري عند أبي أُزَيْهر، فلا يفوتنّكم به. وكان أبو أُزَيْهر قد زوّجه بنتاً، ثم أمسكها عنه، فلم يُدْخلها عليه حتى مات.

---

(١) الحبن: انتفاخ من داء.

(٢) فضول ثيابه.

(٣) شجرة عالية.

(٤) السير والمغازي ٢٧٣، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٨٥، ٨٦، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٩١، الروض الأنف ٢/١٦٧، تاريخ الإسلام ٢٢٤، ٢٢٥، الإكتفاء للكلاعي ١/٣٧٦، البداية والنهاية ٢/٨٥ ـ ٨٧، الدّر المنثور للسيوطي ٤/١٠٧.

(٥) تَطُلُّنَّه: تهدرنه.

فلما هلك الوليد بن المغيرة وَثَبَتَ بنو مخزوم على خُزاعة يطلبون منهم عقْل[1] الوليد، وقالوا: إنّما قتله سهم صاحبكم ـ وكان لبني كعبٍ حلف من بني عبد المطّلب بن هاشم ـ فأبت عليهم خُزاعة ذلك، حتى تقاولوا أشعاراً، وغلُظ بينهم الأمر ـ وكان الذي أصاب الوليدَ سهمُه رجلاً من بني كعب بن عمرو من خُزاعة فقال ـ عبدالله بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم:

إنّي زعيم أن تَسيرُوا فتهربُوا ... وأنْ تتركوا الظَّهْرانَ[2] تَعْوي ثعالبُهُ
وأن تتركوا ماءً بجِزْعةٍ أطْرِقا[3] ... وأن تسألوا أيُّ الأراك أطايبه؟
فإنّا أُناسٌ لا تُطَلُّ[4] دماؤنا ... ولا يَتعالَى صاعداً من نحاربه

وكانت الظَّهْران والأراك منازل بني كعب، من خُزاعة. فأجابه الجون بن أبي الجون، أخو بني كعب بن عمرو الخُزاعي، فقال:

والله لا نُؤتي الوليدَ ظُلامةً ... ولمّا قروا يوماً تَزول كواكبُهْ
ويُصْرَع منكم مُسْمِنٌ بعد مُسْمِنٍ[5] ... وتُفْتَح بعد الموت قَسْراً مَشَاربه[6]
إذا ما أكلتم خُبزكم وخَزِيرَكم[7] ... فكلُّكم باكي الوليدِ ونادبه

ثم إنّ النّاس ترادّوا وعرفوا إنّما يخشى القومُ السُّبَّة فأعطتهم خُزاعةُ بعض العَقْل وانصرفوا عن بعض. فلما اصطلح القوم قال الجَوْن بن أبي الجَوْن:

وقائلةٍ لمّا اصطلحْنا تعجُّباً ... لما قد حَمَلْنا للوليد وقائلِ

---

(١) العقل: الدية.
(٢) الزعيم: الضامن. والظهران: وادٍ قريب من مكة.
(٣) الجزعة: ما انثنى من الوادي. أطرقا: اسم الموضع.
(٤) تُطلّ: تُهْدر.
(٥) المسمن: الشريف الظاهر بين الناس.
(٦) جمع مشربة، وهي الغرفة.
(٧) الخزير: نوع من الحساء، أو عصيدة بلحم، أو هي مرقة من بلالة النخالة.

ألم تُقْسِموا تُؤْتُوا الوليدَ ظُلامةً ... ولمّا تَرَوْا يوماً كثيرَ البلابلِ[1]
فنحن خَلَطْنا الحربَ بالسِّلم فاستوتْ ... فأمَّ هواه آمنا كلُّ راحلِ

ثم لم ينته الجَوْن بن أبي الجَوْن حتى افتخر بقتل الوليد، وذكر أنهم أصابوه، وكان ذلك باطلاً. فلحِق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حذر، فقال الجَوْن بن أبي الجَوْن:

ألا زَعَم المغيرة أنَّ كعْباً ... بمكّة منهمُ قَدْرٌ كبيرُ
فلا تَفْخَرْ مغيرةُ أنْ تراها ... بها يمشي المُعَلْهَج والمَهِير[2]
بها آباؤنا وبها وُلِدْنا ... كما أرسى بمثْبَته ثبيرُ[3]
وما قال المغيرة ذاك إلاّ ... ليعَلَم شأننا أو يستثير
فإنّ دمَ الوليدِ يُطَلّ إنّا ... نَطُلّ دِماءً أنت بها خبير
كَسَاهُ الفاتكُ الميمونُ سَهْماً ... زُعافاً وهو ممتلئٌ بَهِير[4]
فخَرَّ ببطن مكّة مُسْلَحِبّاً[5] ... كأنّه عند وجبته[6] بعير
سيكفيني مِطالَ أبي هشام ... صغارٌ جَعْدةُ الأوبار خُور[7]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً أقذع فيه.

قال ابن إسحاق: ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أُزَيْهر، وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سُفيان بن حرب عاتكه؛ بنت أبي أُزَيهر، وكان أبو أُزَيْهر رجلاً شريفاً في قومه ـ فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده، لوصيّة أبيه

(١) تؤتوا: يريد أن تؤتوا والمعنى أن لا تؤتوا كما قال تعالى ﴿يُبيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أي أن لا تضلّوا. والبلابل: الوساوس الفكرية.
(٢) المُعَلْهَج: المتردّد في الإماء فهو منحوت من أصلين من العلج لأنّ الأَمَة عِلجة، ومن اللهج: كأنّ واطيء الأَمَة قد لهج بها، والمَهِير: ابن المهيرة الحرّة.
(٣) ثَبير: جبل بمكة.
(٤) البهير: منقطع النفس.
(٥) المُسْلَحِبّ: الممتدّ.
(٦) الوجبة: السقطة.
(٧) الخور: الغزار اللبن.

إياه، وذلك بعد أن هاجر رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة ومُضيّ بـدر، وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين؛ فخرج يزيد بن أبي سفيان، فجمع بني عبد مَناف، وأبو سفيان بذي المجاز، فقال الناس: أخفر أبو سفيان في صهره، فهو ثائر به. فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد ـ وكان أبو سفيان رجلاً حليماً منكراً يحبّ قومه حبًّا شديداً ـ انحطّ سريعاً إلى مكة، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أُزَيهر، فأتى ابنه وهو في الحديد، في قومه من بني عبد مَناف والمطيّبين، فأخذ الرمح من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربة هدّه منها، ثم قال له؛ قبّحك الله! أتريد أن تضرب قريشاً بعضهم ببعض في رجل من دوس. سنؤتيهم العقْل إن قبِلوه، وأطفأ ذلك الأمر.

فانبعث حسّان بن ثابت يحرّض في دم أبي أُزَيهر، ويعيّر أبا سفيان خُفْرته ويُجْبِنُه، فقال:

غدا أهلُ ضَوْجَى ذي المجاز كِلَيْهما ... وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو[1]
ولم يمنع العَيْرُ الضَّرُوطُ ذِمارَه ... وما منعت مَخْزاةَ والدِها هِنْد[2]
كساكَ هشامُ بنُ الوليد ثيابَهُ ... فأَبْلِ وأَخْلِفْ مثلَها جُدداً بعدُ
قضى وَطَراً منه فأصبح ماجداً ... وأصبحتَ رخواً ما تُخبّ[3] وما تعْدُو
فلو أنّ أشْياخاً ببدرٍ تَشاهدوا ... لَبَلَّ نعالَ القوم مُعتبط ورْد[4]

فلما بلغ أبا سفيان قولُ حسّان قال: يريد حسّان أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دَوْس! بئس والله ما ظنّ!

ولما أسلم أهل الطائف كلّم رسول الله ـ ﷺ ـ خالد بن الوليد في ربا الوليد، الذي كان في ثقيف، لما كان أبوه أوصاه به.

---

(١) ضوجى: ما انعطف من الوادي. والمغمس: موضع بطريق الطائف.
(٢) الذمار: ما تجب رعايته. وهند: بنت أبي سفيان.
(٣) الخَبَب: ضرْب من السَير.
(٤) المعتبط الورد: الدم العبيط وهو الطريّ.

قال ابن إسحاق: فذكر لي بعض أهل العلم أنّ هؤلاء الآيات من تحريم ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الربا ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ٱللهَ، وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] إلى آخر القصّة فيها.

دَوْس تحاول الثأر لأبي أُزَيْهر: ولم يكن في أبي أُزَيهر ثأر نعلمه، حتى حجز الإسلام بين الناس؛ إلا أنّ ضرار بن الخطّاب بن مرداس الفِهريّ خرج في نفر من قريش إلى أرض دَوْس، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان، مولاة لدَوْس، وكانت تمشط النساء، وتجهّز العرائس، فأرادت دَوْس قتلهم بأبي أُزْيهر، فقامت دونهم أم غيلان ونسوة معها، حتى منعتهم، **فقال** ضرار بن الخطّاب في ذلك:

جزى الله عنّا أمَّ غَيلان صالحا ... ونسوَتها إذ هُنّ شُعْثٌ عَواطِلُ
فهنّ دَفَعْن الموتَ بعد اقترابه ... وقد بَرَزَتْ للثّائرين المَقَاتل
دعتْ دعوةً دَوْساً فسالت شِعابُها[2] ... بعزّ وأدّتها الشَّراج القوابل[3]
وعَمْراً جزاه الله خيراً فما وَنَى ... وما بردتْ منه لديّ المَفَاصِل
فجرّدتُ سَيْفي ثم قمتُ بنَصْله ... وعن أيّ نَفْس بعد نفسي أقاتل

أم غيلان وأم جميل: **قال ابن هشام**: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ التي قامت دون ضرار أم جميل، ويقال أم غيلان؛ قال ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه.

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل، وهي ترى أنه أخوه: فلما انتسبت له عرف القصّة فقال: إنّي لست بأخيه إلّا في الإسلام، وهو غازٍ، وقد عرفت مِنّتك عليه، فأعطاها على أنها ابنة سبيل.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٧٨.
(٢) الشعاب: جمع شعب وهو مسيل الماء في الحَرّة.
(٣) الشراج: جمع شرج: مسيل الماء. والقوابل: المتقابلة.

قال الراوي: قال ابن هشام: وكان ضرار لحِق عمرَ بن الخطاب يوم أُحُد، فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: انج يا ابن الخطّاب لا أقتلك؛ فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه.

وفاة أبي طالب وخديجة وما عاناه رسول الله ﷺ بعدهما[1]

قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ـ ﷺ ـ في بيته أبا لهب، والحَكَم بن العاص بن أميّة، وعُقبة بن أبي مُعَيط، وعديّ بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهُذليّ؛ وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلاّ الحَكَم بن العاص، فكان أحدهم ـ فيما ذكر لي ـ يطرح عليه ﷺ رحِم الشاة وهو يصلّي، وكان أحدهم يطرحها في برمته[2] إذا نُصبت له، حتى اتّخذ رسول الله ـ ﷺ ـ حجْراً[3] يستتر به منهم إذا صلّى، فكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى؛ كما حدّثني عمر بن عبدالله بن عُروة بن الزُبير، عن عُروة بن الزُبير، يخرج به رسول الله ـ ﷺ ـ على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: «يا بني عبد مَناف، أيّ جوار هذا! ثم يلقيه في الطريق»[4].

قال ابن إسحاق: ثم إنّ خديجة بنت خُويلد وأبا طالب هلكا في عامٍ واحد، فتتابعت على رسول الله ـ ﷺ ـ المصائب بهلك خديجة، وكانت له

---

(١) السير والمغازي ٢٣٦ و٢٤٣، تاريخ الطبري ٢/٣٤٣، البدء والتاريخ ٤/١٥٤، الكامل في التاريخ ٢/٩٠، عيون الأثر ١/١٢٩، نهاية الأرب ١٦/٢٧٧، و ٢٧٩، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٢٩، عيون التواريخ ١/٨٤، السيرة لابن كثير ٢/١٢٢ و١٣٢، السيرة الحلبية ١/٣٨٥.

(٢) البرمة: القدر من الحجر.

(٣) الحجر: كل ما حجرته من حائط ونحوه.

(٤) انظر ما أخرجه الشيخان: البخاري في كتاب بدء الخلق (٤/٢٣٩) باب مالقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة. ومسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٩٤)، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/٥٣، ٥٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢١٦، والطبري ٢/٣٤٣.

وزيـر صدْق على الإسـلام، يشكو إليهـا؛ وبهلك عمّه أبي طـالب، وكان لـه عضُـداً وحرْزاً في أمـره، ومنعة ونـاصراً على قـومه، وذلـك قبل مهـاجره إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب. نالت قريش من رسول الله - ﷺ - من الأذى ما لـم تكن تطمـع به في حيـاة أبي طالب، حتى اعتـرضه سفيـه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه عُـروة بن الزبيـر، قال:

لمـا نثر ذلـك السفيه على رأس رسـول الله - ﷺ - ذلك التـراب، دخل رسول الله - ﷺ - بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحـدى بناتـه، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله - ﷺ - يقول لها: لا تبكي يا بُنية، فإنّ الله مانعٌ أباك. **قال:** ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهـه، حتى مات أبو طالب»[1].

المشركون يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول قبل موت أبي طالب: قال ابن إسحاق: ولما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشاً ثِقله، قـالت قريش بعضهـا لبعض: إنّ حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلّها، فانطلقوا بنا الى أبي طـالب، فيأخـذ لنا على ابن أخيـه، وليعطه منّـا، والله ما نأمن أن يبتزّونا[2] أمرَنا.

قال ابن إسحاق: فحدّثني العباس بن عبدالله بن مَعْبد بن عبـاس عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: مشوا إلى أبي طالب فكلّموه؛ وهم أشراف قومه: عُتبـة بن ربيعة، وشَيبـة بن ربيعة، وأبـو جهل بن هشـام، وأُميّة بن خَلَف، وأبو سفيان بن حرب، في رجالٍ من أشرافهم فقالـوا: يا أبـا طالب، إنك منّا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوّفنـا عليك، وقـد علمت

(١) الحديث غريب مرسَل. أخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٣٥.
(٢) ابتزه أمره: غلبه عليه.

الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه، فخُذ له منّا، وخذ لنا منه، ليكفّ عنّا، ونكفّ عنه، وليدَعْنا ودِيننا، وندعه ودينه؛ فبعث إليه أبو طالب، فجاءه، فقال: يا ابن أخي: هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله - ﷺ -: «نعم، كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم». قال فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات؛ قال: تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه. قال: فصفّقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلٰهاً واحداً، إنّ أمرك لَعَجَب! قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه. قال: ثم تفرقوا.

رجاء الرسول إسلامَ أبي طالب: فقال أبو طالب لرسول الله - ﷺ -: والله يا ابن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً؛ قال: فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله - ﷺ - في إسلامه، فجعل يقول له: «أي عم، فأنت فقلها أستحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة» قال: فلما رأى حرص رسول الله - ﷺ - عليه، قال: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السُّبّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظنّ قريش أنّي إنّما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلّا لأسرّك بها. قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت قال: نظر العباس إليه يحرّك شفتيه، قال: فأصغى إليه بأُذُنه، قال: فقال يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال: فقال رسول الله - ﷺ -: «لم أسمع»[1].

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب: قال: وأنزل الله تعالى في الرهْط الذين كانوا اجتمعوا إليه، وقال لهم ما قال، وردّوا عليه ما ردّوا: ﴿صٓ وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾. إلى قوله

(١) السير والمغازي ٢٣٨، نهاية الأرب ٢٧٨/١٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٣٢، سيرة ابن كثير ١٢٤/٢.

تعالى: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحداً، إنَّ هٰذَا لشيءٌ عُجَابٌ. وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ، إنَّ هٰذَا لَشَيءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾[1] يعنون النصارى، لقولهم: ﴿إنَّ الله ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[2] - ﴿إنْ هٰذَا إلَّا اخْتِلاقٌ﴾[3] ثم هلك أبو طالب.

سعي الرسول إلى الطائف وموقف ثَقِيف منه

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - ﷺ - من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمّه أبي طالب، فخرج رسول الله - ﷺ - إلى الطائف، يلتمس النُّصْرة من ثَقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجلّ، فخرج إليهم وحده.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: لما انتهى رسول الله - ﷺ - إلى الطائف، عمد إلى نفرٍ من ثقيف، هم يومئذ سادة ثَقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة: عبد يا ليل بن عمرو ابن عُمير، ومسعود بن عمرو بن عُمير، وحبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح، فجلس إليهم رسول الله - ﷺ -، فدعاهم إلى الله، وكلّمهم بما جاءهم له من نُصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه؛ فقال له أحدهم: هو يمرط[4] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك؛ وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلّمك أبداً. لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن

---

(١) سورة صٓ - الآيات من ١ حتى ٧.
(٢) سورة المائدة - الآية ٧٣.
(٣) سورة صٓ - الآية ٧.
(٤) يمرطه: ينزعه ويرمي به.

كنت تكـذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلّمـك. فقام رسـول الله - ﷺ - من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قـال لهم - فيما ذُكـر لي -: إذا فعلتم ما فعلتم فـاكتموا عنّي، وكـره رسول الله - ﷺ - أن يبلغ قـومه عنـه، فيذئـرهم[1] ذلك عليه. قال ابن هشام: قال عبيد بن الأبرص:

ولـقـد أتـاني عـن تَـمِيـمٍ أنـهـمُ ذَئِـرُوا لـقَتْـلَى عـامـر وتعـصّبـوا

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبّونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه النـاس، وألجئوه إلى حـائط[2] لعُتبة بن ربيعـة وشيبة بن ربيعـة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعـه، فعمد إلى ظـلّ حَبَلة[3] من عِنب، فجلس فيه. وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله - ﷺ - فيما ذُكر لي - المرأة التي من بني جُمح، فقال لها: «ماذا لقِينا من أحمائك؟».

فلما اطمأنّ رسول الله - ﷺ - قال - فيما ذُكر لي -: «اللهم إليـك أشكو ضعف قـوّتي، وقلّة حيلتي، وهوانـي على النـاس، يا أرحم الـراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تَكِلني؟ إلى بعيدٍ يتجهّمني[4]؟ أم إلى عدوّ ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فـلا أبالي، ولكنّ عـافيتك هي أوسـع لي، أعوذ بنـور وجهك الـذي أشرقت لـه الظلمـات، وصلُح عليه أمـر الـدنيا والآخـرة من أن تُنزل بي غضبـك، أو يحلّ عليّ سخـطك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلا بك»[5].

قـال: فلمـا رآه ابنـا ربيعـة، عُتبـة وشيبـة، ومـا لقي، تحـرّكت لـه

---

(١) يذئرهم: يثيرهم.
(٢) الحائط: الحديقة.
(٣) حبلة: شجرة العنب.
(٤) تجهّم فلاناً: استقبله بوجه كريه.
(٥) تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٨٥، تاريخ الطبري ٢/٣٤٥.

رحِمهما[1]، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً، يقال له عـدَّاس، فقالا لـه: خذ قـطْفاً من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ـ ﷺ ـ فيه يده، قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عدّاس في وجهه، ثم قال: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «ومن أهل أيّ البلاد أنت يا عدّاس، وما دينك»؟ قال: نصرانيّ، وأنا رجل من أهل نِينَوى؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى»؛ فقال له عداس: وما يُدريك ما يونس بن متّى؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ذاك أخي، كان نبيّاً وأنا نبيّ»، فأكبّ عدّاس على رسول الله ـ ﷺ ـ يقبّل رأسه ويديه وقدميه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك يا عدّاس! مالك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيّدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلاّ نبيّ؛ قالا له: ويحك يا عدّاس، لا يصرفنّك عن دينك، فإنّ دِينك خير من دينه[2].

وفد جنّ نَصِيبِين: قال: ثم إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة[3] قام من جوف الليل يصلّي، فمرّ به النفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم ـ فيما ذُكر لي ـ سبعة نفر من جنّ أهل نصيبين فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقصّ

---

(١) الرحم: الصلة والقرابة.

(٢) رواه عروة في المغازي ١١٧ ـ ١١٩، والبيهقي في دلائل النبوّة ١/٣٨٩ ـ ٣٩٢، وابن عبدالبر في الدرر في اختصار المغازي والسير ٦٥، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٨٣ وانظر: تاريخ الطبري ٢/٣٤٤ ـ ٣٤٦، ودلائل النبوّة لأبي نعيم ١/١٠٣، ونهاية الأرب للنويري ١٦/٢٨١، والطبري ٢/٣٤٦.

(٣) هناك واديان بهذا الأسم على ليلة من مكة أحدهما نخلة الشامية والثاني نخلة اليمانية.

الله خبرهم عليه ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾[2].. إلى آخر القصّة من خبرهم في هذه السورة[3].

---

(١) سورة الأحقاف ـ من الآية ٢٩ حتى ٣١.

(٢) سورة الجنّ ـ الآية ١.

(٣) أنظر حول إسلام الجن ما أورده الشيخان في صحيحيهما: البخاري. في كتاب مناقب الأنصار (٤/٢٤٠) باب ذكر الجنّ وقول الله تعالى ﴿قل أوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ﴾، ومسلم في كتاب الصلاة (٤٤٩) و(٤٥٠) باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجنّ، والترمذي (٣٣٧٩) سورة الجن، وأحمد في المسند ١/٢٥٢ و٢٧٠ و٢٧٤ و٤١٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/١٢، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة ١٩٨)، وابن سيد الناس في عيون الأثر ١/٨٣٧، وتاريخ الخميس ١/٣٤٣، ٣٤٤، وتاريخ الطبري ٢/٣٤٦، ٣٤٧، والبدء والتاريخ ٤/١٥٦.

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل[1]

عرْض نفسه في المواسم: قال ابن إسحاق: ثم قدِم رسـول الله ـ ﷺ ـ مكة؛ وقومه أشدّ ما كانوا عليه من خلافه وفـراق دِينه، إلّا قليـلاً مستَضعفين، ممن آمن به. فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يعرض نفسـه في المواسم، إذا كـانت، على قبائل العـرب يدعـوهم إلى الله، ويخبرهم أنـه نبيّ مرسَـل، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبيّن لهم الله ما بعثه به[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني من أصحابنا، من لا أتّهم، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عبّاد الدّيلي، أو من حدّثه أبو الزناد عنه ـ قال ابن هشام: ربيعة ابن عبّـــاد.

قال ابن إسحاق: وحـدّثني حسين بن عبدالله بن عُبيـدالله بن عباس، قـال: سمعت ربيعة بن عبّـاد، يحدّثـه أبي، قال: إنّي لغـلام شاب مـع أبي بمِنى، ورسول الله ـ ﷺ ـ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني

---

(١) السـير والمغازي ٢٣٢، الـطبقات الكـبرى ١/٢١٦، أنسـاب الأشـراف ١/٢٣٧، رقم ٥٦٢، تاريخ الطبري ٢/٣٤٨، الكامل في التاريخ ٢/٩٤، نهاية الأرب ١٦/٣٠٦، تاريخ الإسـلام (السيرة) ٢٨١، عيون الأثر ١/١٥٢، سيرة ابن كثير ٢/١٥٥، عيون التواريخ ١/٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩.

فلان، إنّي رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدِّقوا بي، وتمنعوني، حتى أبيِّن عن الله ما بعثني به. قال: وخَلْفه رجل أحْول وضيء، له غديرتان[1] عليه حلّة عدنية. فإذا فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إنّ هذا إنّما يدعوكم أن تسلخوا الّلات والعُزَّى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجنّ من بني مالك بن أُقَيْش[2]، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه[3].

قال: فقلت لأبي: يا أبتِ، من هذا الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال هذا عمّه عبد العُزَّى بن عبدالمطّلب، أبو لهب[4].

قال ابن هشام: قال النابغة:

كأنّك من جمال بَني أُقَيْشٍ يُقَعْقعُ خلفَ رِجْلَيه بشَنِّ[5]

قال ابن إسحاق: حدّثنا ابن شهاب الزُهْري: أنه أتى كِنْدة في منازلهم، وفيهم سيّد لهم يقال: مُلَيْح، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه[6].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حُصَين: أنه أتى كلباً في منازلهم، إلى بطنٍ منهم يقال لهم: بنو عبدالله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم: يا بني عبدالله، إنّ الله عزّ وجلّ قد أحسن اسم أبيكم، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم[7].

---

(١) الغديرتان: ذؤابتان من شعر.
(٢) إلى هذا الحيّ من الجنّ تنسب الإبل الأقيشية، وهي غير عتاق تنفر من كل شيء.
(٣) السير والمغازي ٢٣٢.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩.
(٥) الشنّ: القربة الخلق، ويريد بالقعقعة حدوث الصوت لتفزع الإبل.
(٦) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩.
(٧) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أتى بني حنيفة في منازلهم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردّاً منهم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْري أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم ـ يقال له: بَيْحَرَة بن فِراس. قال ابن هشام: فراس بن عبدالله بن سلمة الخير بن قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ـ: والله، لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلتُ به العرب، ثم قال: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال: فقال له: أفَتُهدَف[2] نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبوا عليه.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السنّ، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدّثوه بما يكون في ذلك الموسم؛ فلما قدِموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتًى من قريش، ثم أحد بني عبد المطّلب، يزعم أنه نبيّ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تَلافٍ، هل لذُنابـاها من مطلب[3]، والذي نفس فلان بيده، ما تقوَّلها إسماعيليٌّ قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم[4].

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ـ ﷺ ـ على ذلك من أمره، كلّما

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩، ٣٥٠.
(٢) تهدف: تصير هدفاً يرمى عليه، والهدف: الغرض.
(٣) مثل يضرب لما فات، وأصله من ذنابى الطائر إذا أفلت من حباله فطلبت الأخذ بذناباه. (الروض الأنف ٢/١٨١).
(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٥٠.

اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدَم مكة من العرب، له اسم وشرف، إلاّ تصدّى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة الأنصاريّ، ثم الظَّفري عن أشياخ من قومه، قالوا:

قدم سُويد بن صامت، أخو بني عمّرو بن عوف، مكة حاجّاً أو معتمراً، وكان سُوَيد إنّما يسمّيه قومه فيهم: الكامل، لجَلَده وشعره وشرفه ونَسَبه، وهو الذي يقول:

ألا رُبَّ من تَدعوُ صديقاً ولو تَرَى مَقَالَتَه بالغيبِ ساءك ما يَفْرِي[1]
مقالتُهُ كالشهد[2] ما كان شاهداً وبالغيبِ مأثورٌ[3] على ثَغْرةِ النِحْر
يَسُرُّك باديهِ وتحتَ أُدِيمهِ نميمةُ غِشٍّ تبتري عَقَبَ الظُّهْرِ[4]
تُبِينُ لكَ العينان ما هو كاتمٌ من الغِلّ والبغضاء بالنَّظَرِ الشزْر[5]
فَرِشْني بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَني وخيرُ الموالي من يَرِيشُ ولا يَبْري[6]

وهو الذي يقول: ونافر رجلاً من بني سليم، ثم أحد بني زعْب بن مالك مئة ناقة، إلى كاهنة من كُهّان العرب، فقضت له. فانصرف عنها هو والسلميّ، ليس معهما غيرها، فلما فرّقت بينهما الطريق، قال: ما لي يا أخا بني سليم قال: أبعث إليك به؛ قال: فمن لي بذلك إذا فُتّني به؟ قال: كلاّ، والذي نفس سُوَيد بيده، لا تفارقني حتى أوتى بمالي، فاتّخذا فضرب به

(١) يفري: يختلق.
(٢) في تاريخ الطبري «كالشحم».
(٣) المأثور: السيف الموشّى.
(٤) تبتري عقبه؛ تقطع ظهره.
(٥) في تاريخ الطبري «ولا جنّ بالبغضاء والنظر الشزر».
(٦) يَريش: يقوى؛ ويبري: يضعُف.

الأرض، ثم أوثقه رباطاً، ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُلَيم بالذي له، فقال في ذلك:

لا تَحْسَبَنّي يا بنَ رُغْبِ بنِ مالكٍ كَمَنْ كنتَ تُرْدي بالغيوب[1] وتَخْتِلُ
تحوَّلْت قَرْناً إذْ صُرِعْتَ بِعِزَّةٍ كذلِكَ إنّ الحازِمَ المُتَحوِّلُ
ضربتْ به إبطُ الشمالِ فلم يزلْ على كلّ حالٍ خَدُّهُ هو أسفَلُ[2]

في أشعار كثيرة كان يقولها.

فتصدّى له رسول الله - ﷺ - حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سُويد: فلعلّ الذي معك مثل الذي معي: فقال له رسول الله - ﷺ -: «وما الذي معك»؟ قال: مجلّة لقمان[3] - يعني حكمة لقمان - فقال له رسول الله - ﷺ -: «أعرضها عليّ»، فعرضها عليه؛ فقال له: «إنّ هذا لكَلام حَسَن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ، هو هُدًى ونور». فتلا عليه رسول الله - ﷺ - القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إنّ هذا لقول حَسَن. ثم انصرف عنه، فقدِم المدينة على قومه، فلم يلبث أنْ قتلته الخزرج، فإذا كان رجال منْ قومه ليقولون: إنّا لنراه قد قُتل وهو مسلم. وكان قتله قبل يوم بُعاث[4].

---

(١) في تاريخ الطبري ٣٥١/٢ «بالعيوب» بالعين المهملة.

(٢) هذا البيت لم يذكره الطبري.

(٣) مجلة لقمان، وهي الصحيفة. وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة، أما الجلالة فمن صفة المخلوق، والجلال من صفة الله تعالى، وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخلوق جلال وجلالة وأنشد:

فلا ذا جلال هِبْتُهُ لجلالةٍ ولاذا ضياع هنّ يُتركْن للفقر

ولقمان كان نوبيّاً من أهل أيلة، وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا، وابنه الذي ذُكر في القرآن هو تاران فيما ذكر الزّجّاج وغيره، وقد قيل في اسمه غير ذلك، وليس بلقمان بن عاد الحِمْيَريّ. (الروض الأنف ١٨٣/٢).

(٤) بعاث: يوم من أيام العرب كان بين الأوس والخزرج. والخبر في تاريخ الطبري ٣٥١/٢، ٣٥٢، وأنساب الأشراف ٢٣٨/١ رقم ٥٦٣.

إسلام إياس بن مُعاذ وقصّة أبي الحَيْسَر

قال ابن إسحاق: وحدّثني الحُصَين بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، عن محمود بن لَبِيد، قال: لما قدِم أبو الحَيْسر، أنس بن رافع، مكة، ومعه فِتيةٌ من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن مُعاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ـ ﷺ ـ، فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم في خير مما جئتم له»؛ فقالوا له: وما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب». قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن مُعاذ، وكان غلاماً حَدَثاً: أي قوم، هذا والله خيرٌ مما جئتم له. قال: فيأخذ أبو الحَيْسر، أنس بن رافع، حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن مُعاذ، وقال: دعنا منك، فلَعَمْري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ـ ﷺ ـ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هَلَك. قال محمود بن لَبِيد: فأخبرني من حضره من قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلّل الله تَعالى ويكبّره ويحمده ويسبّحه حتى مات، فما كانوا يشكّون أنْ قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ـ ﷺ ـ ما سمع[1].

إسلام الأنصار

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه، وإعزاز نبيّه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ـ ﷺ ـ في الموسم الذي لقِيه فيه النفر من

(١) تاريخ الطبري ٣٥٢/٢، ٣٥٣، نهاية الأرب للنويري ٣٠٥/١٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٨٨، عيون الأثر ١٥٥/١، سيرة ابن كثير ١٧٤/٢، ١٧٥.

الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كلّ موسم. فبينما هو عند العقبة لقي رهْطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن أشياخٍ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ـ ﷺ ـ، قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم؛ قال: أفلا تجلسون أكلّمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أنّ يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم[1] ببلادهم. فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إنّ نبيّاً مبعوث الآن، قد أظلّ زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَم. فلَما كلّم رسول الله ـ ﷺ ـ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلّموا والله إنه للنبيّ الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنّكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنّا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشَرّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدِّين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدّقوا[2].

أسماء من التقوا به ﷺ من الخزرج: قال ابن إسحاق: وهم ـ فيما ذُكر لي ـ: ستة نفر من الخزرج، منهم من بني النجّار ـ وهو تَيْم الله ـ ثم من بني

(١) عزوهم: غلبوهم.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٥٣ ـ ٣٥٦، طبقات ابن سعد ١/٢٢٠، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٦٩ ـ ١٧٣، المغازي لعروة ١٢١ ـ ١٢٣، نهاية الأرب ١٦/٣١٠، ٣١١، الدرر لابن عبدالبر، عيون الأثر ١/٦٥٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٩٠.

مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر: أسعد بن زُرارة بن عُدس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهو أبو أمامة؛ وعَوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهو ابن عفراء.

قال ابن هشام: وعفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم ابن مالك بن النجّار.

قال ابن إسحاق: ومن بني زُريق بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق.

قال ابن هشام: ويقال عامر بن الأزرق.

قال ابن إسحاق: ومن بني سَلِمة بن سعد بن عليّ بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة: قُطبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غنم بن سواد.

قال ابن هشام: عمرو بن سواد، وليس لسواد ابن يقال له: غنم.

قال ابن إسحاق: ومن بني حَرَام بن كعب بن غَنم بن كعب بن سلمة: عُقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام.

ومن بني عُبيد بن عدِيّ بن غَنم بن كعب بن سلمة: جابر بن عبدالله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عُبيد.

فلما قدِموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله - ﷺ - ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دُور الأنصار إلّا وفيها ذِكر من رسول الله - ﷺ -(1).

---

(1) قارن بتاريخ الطبري ٢/٣٥٤، ٣٥٥، ونهاية الأرب ١٦/٣١١، ٣١٢.

بيعة العَقَبة الأولى[1]

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعَقَبة. قال: وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله - ﷺ - على بيعة النساء[2]، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب.

منهم من بني النجّار، ثم من بني مالك بن مالك بن النجّار: أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهو أبو أُمامة؛

(١) المغازي لعروة ١٢١، تاريخ الطبري ٢/٣٥٥، الطبقات الكبرى ١/٢١٩، أنساب الأشراف ١/٢٤٠ رقم ٥٦٨، الكامل في التاريخ ٢/٩٥، سبل الهدى ٣/٢٦٧، نهاية الأرب ١٦/٣١٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٩١، عيون التواريخ ١/٨٩، السيرة لابن كثير ٢/١٧٨، عيون الأثر ١/١٥٥.

(٢) ذُكرت بيعة النساء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْئًا﴾ وقيل في قوله عزّ وجلّ خبراً عن بيعة النساء: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بعلها، وليس منه، وقيل: هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقُبلة والجسَّة ونحوها، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أنه النَّوح، وهذا أيضاً ليس من شأن الرجال، فدلّ على ضعف قول من خصّه بالنَّوح، وخصّ البهتان بإلحاق الولد بالرجل، وليس منه، وقيل: يفترينه بين أيديهنّ يعني: الكذِب وعيْب الناس بما ليس فيهم، وأرجلهنّ يعني: المشي في معصية، ولا يعصينك في معروف، أي: في خير تأمرهنّ به والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق، وما عُرف حسنه ولم تنكره القلوب، وهذا معنى يعمّ الرجال والنساء، وذكر ابن اسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليهنّ: أن قال ولا تغششن زواجكنّ، قالت أحداهنّ: وما غشّ أزواجنا فقال: أن تأخذي من ماله فتُحابي به غيره. (الروض الأنف ٢/١٩٥).

وعَوف، ومُعاذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهما ابنا عفراء.

ومن بني زُرَيق بن عامر: رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُريق، وذكوان بن عبد قيس بن خلْدة بن مخلّد بن عامر بن زُريق.

قال ابن هشام: ذكوان، مهاجريّ أنصاريّ.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهم القواقل: عُبادة بن الصّامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم؛ وأبو عبد الرحمن، وهو يزيد بن ثعلبة بن حزمة بن أصرم بن عمرو بن عَمّارة، من بني غُصينة[1]، من بَلِيّ، حليف لهم.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لهم القواقل، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً وقالوا له: قوقل به بيثرب حيث شئت.

قال ابن هشام: القوقلة: ضرْب من المشي.

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: العبّاس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك ابن العَجْلان.

ومن بني سَلمة بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني حَرام بن كعب بن غَنْم بن سَلِمة: عُقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حَرام.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: قُطبة بن عامر بن حديدة ابن عمرو بن غَنْم بن سواد.

وشهِدَها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٣٥٥ «غضينة».

عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: أبو الهيثم بن التيْهان، واسمه مالك.

قال ابن هشام: التّيهان: يُخفَّف ويثقَّل، كقوله مَيْت وميِّت.

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس: عُوَيم بن ساعدة.

نصّ البيعة: **قال ابن اسحاق**: وحدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مَرْثَد بن عبدالله اليَزَنيّ، عن عبدالرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحيّ، عن عُبادة ابن الصّامت، **قال**: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنّا اثني عشر رجلاً، فبايعْنا رسول الله - ﷺ - على بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفْتَرَض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببُهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجُلنا، ولا نعصيه في معروف. فإنْ وفيتم فلكم الجنّة. وإنْ غشِيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عزّ وجلّ إنْ شاء عذّب وإن شاء غفر[1].

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزُّهْريّ عن عائذ الله بن عبدالله الخولاني أبي إدريس أنّ عُبادة بن الصّامت حدّثه أنه قال: بايعنا رسول الله - ﷺ - ليلة العقبة الأولى على أن لا نُشْرك بالله شيئاً، ولا نسرِق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببُهْتانٍ نفتريه من بين أيدينا وأرجُلنا، ولا نعصيه في معروف؛ فإنْ وفيتم فلكم الجنّة، وإن غشيتم من ذلك فأُخذْتم بحدّه في الدنيا، فهو كفّارة له، وإنْ سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى

---

(١) الحديث في تاريخ الطبري ٣٥٦/٢، وأخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٢٥/٤) باب وفود الأنصار إلى النبيّ ﷺ بمكة وبيعة العقبة، وفي الأحكام (١٢٥/٨) باب بيعة النساء، وفي الحدود (١٨/٨) باب توبة السارق، وفي التوحيد (١٩١/٨) باب في المشيئة والإرادة وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، والنسائي في البيعة على الجهاد ١٤٢/٧ و ١٤٩ بيعة النساء، والدارمي في السير ١٦، وأحمد في المسند ٣٢٣/٥، وابن سعد في الطبقات ٢٢٠/١، والنويري في نهاية الأرب ٣١٣/١٦، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٩٢، وابن سيّد الناس في عيون الأثر ١٥٧/١، ١٥٨، والصالحي في سبل الهدى ٢٧٠/٣.

الله عزّ وجلّ إن شاء عذّب، وإن شاء غفر[1].

إرسال مُصْعَب بن عُمير مع وفد العَقَبة: قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله - ﷺ - معهم مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار بن قُصَيّ وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويفقّههم في الدّين، فكان يسمّى المقريء بالمدينة: مُصْعب. وكان منزَله[2] على أسعد بن زُرارة بن عُدَس، أبي أُمَامة[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنه كان يصلّي بهم، وذلك أنّ الأوس والخزرج كرِه بعضهم أن يؤمّه بعض[4].

أول جمعة أُقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيف، عن أبيه أبي أُمامة، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي، كعب بن مالك، حين ذهب بصره[5]، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان بها صلّى[6] على أبي أُمامة، أسعد بن زُرارة. قال فمكث حيناً على ذلك: لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلّى عليه واستغفر له. قال: فقلت في نفسي والله إنّ هذا بي لَعَجْز، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلّى على أبي أُمامة أسعد بن زُرارة؟ قال فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج، فلما سمِع الأذان للجمعة صلّى عليه واستغفر له. قال: فقلت

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٥٦، ٣٥٧.

(٢) المنـزَل هنا وفي كلّ ما شابهه بفتح الزاي لا غير، وذلك لأنه يريد المصدر ولم يُرِد المكان. (الروض الأنف ٢/١٩٦).

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٥٧، نهاية الأرب ١٦/٣١٣.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٥٧، المغازي لعروة ١٢٤، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/١٠٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٩٣، مجمع الزوائد ٦/٤٠ - ٤٢.

(٥) في دلائل النبوّة للبيهقي «كفّ بصره».

(٦) في جامع الأصول لابن الأثير: «ترحّم لأسعد بن زرارة».

له: يا أبتِ، مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صلّيت على أبي أُمامة؟: فقال: أي بُنيّ، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزْم النبيت[1]، من حَرَّة بني بياضة، يقال له: نقيع الخَضَمات[2]، قال قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً[3].

إسلام سعد بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر: قال ابن اسحاق: وحدّثني عُبيدالله بن المغيرة بن مُعَيقب، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزْم: أنّ أسعد بن زُرارة خرج بمُصْعب بن عُمير يريد به دارَ بني عبد الأشهل، ودارَ بني ظَفَر، وكان سعد بن مُعاذ بن النعمان بن امريء القَيس ابن زيد بن عبدالأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفَر.

قال ابن هشام: واسم ظفر: كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس - قالا: على بئر يقال لها: بئر مَرْق فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم وسعد بن مُعاذ، وأُسَيد بن حُضَير، يومئذ سيّدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكِلاهما مشرِك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن مُعاذ لأُسَيد بن حُضَير: لا أبا لك، انطلِق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَينا ليسفِّها ضُعفاءنا، فازجُرْهما وانْهُهما عن أن يأتيا دارَينا، فإنه لولا أن أسعد بن زُرارة منّي حيث قد علمتَ كفيتُك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدّماً، قال فأخذ أُسَيْد بن حُضَير حربته ثم أقبل إليهما؛ فلما رآه أسعد بن زُرارة، قال لمُصْعَب بن عُمير: هذا سيّد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه؛ قال مُصْعب: إن يجلس أكلّمه. قال فوقف عليهما متشتّماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إنْ كانت لكما

---

(١) هزم النبيت: جبل على بريد من المدينة. (معجم ما استعجم، الروض الأنف ٢/١٩٦).

(٢) الخَضَمات: من الخضم، وهو الأكل بالفم كله. والقضم بأطراف الأسنان. ويقال: هو أكل اليابس، والخضم: أكل الرطب، فكأنه جمع خضمة، وهي الماشية التي تخضم، فكأنه سمّي بذاك لخضب كان فيه. (الروض الأنف ٢/١٩٦).

(٣) تاريخ الإسلام ٢٩٣.

بأنفسكما حاجة؛ فقال له مُصْعب: أوَ تجلِس فتسمع، فإن رضيتَ أمراً قبلْته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركَز حَرْبته وجلس إليهما، فكلّمه مُصْعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لَعَرَفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدِين؟ قالا له: تغتسل فتطهّر وتطهّر ثوبيك، ثم تصلّي. فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه، وتشهّد شهادة الحقّ، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إنّ ورائي رجلاً إن اتّبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن مُعاذ، ثم أخذ حَرْبته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم؛ فلما نظر إليه سعد بن مُعاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدّثت أنّ بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارةَ ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك[1]. قال: فقام سعد مُغضبا مبادراً، تخوّفاً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعد مطمئنّين، عرف سعد أنّ أُسَيداً إنّما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتّماً، ثم قال لأسعد بن زُرارة: يا أبا أُمامة، أما والله، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منّي، أتغشانا في دارَينا بما نكره ـ وقد قال أسعد بن زُرارة لمُصْعَب بن عُمير: أي مُصْعَب، جاءك والله سيّد مَن وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان ـ: قال: فقال له مُصْعب: أوَ تقعد فتسمْع، فإنْ رضيت أمراً ورغبت فيه قبلْته، وإنْ كرِهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركزّ الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدِين قالا: تغتسل

---

(١) لينقضوا عهدك.

فتطهّر ثوبيك ثم تشهّد شهادة الحقّ، ثم تصلّي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه، وتشّهد شهادة الحقّ، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أُسَيد بن حُضَير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم قالوا: سيّدنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومُصْعب إلى منزل أسعد بن زُرَارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دُور الأنصار إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون، إلاّ ما كان من دار بني أُميّة بن زيد، وخَطمة، ووائل، وواقف، وتلك أوْس الله، وهم من الأوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت، وهو صيفي، وكان شاعراً لهم وقائداً، يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ومضى بدر وأُحُد والخندق[1]، وقال فيما رأى من الإسلام، وما اختلف الناس فيه من أمره:

أربَّ النّاس أشياءُ أَلَمَّتْ ... يُلَفُّ الصَّعبُ منها بالذَّلول
أربَّ النّاس أمّا إذْ ضَلِلنا ... فَيَسِّرْنا لمعروفِ السَّبيل
فلولا ربّنا كنّا يَهُوداً ... وما دين اليهود بذي شُكول[2]

---

(١) زاد ابن عبد البر في الدرر ١/١٦٠ وابن سيد الناس في عيون الأثر ١/١٦١ «ثم أسلموا كلهم». وانظر: تاريخ الإسلام ٢٩٥ - ٢٩٧، وتاريخ الطبري ٢/٣٥٧ - ٣٥٩.

(٢) الشكول جمع شكل وشكل الشيء - بالفتح - هو مثله، والشِكل: بالكسر الدلّ والحُسن. فكأنه أراد أن دين اليهود بدع، فليس له شكول أي: ليس له نظير في الحقائق، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول وقد قال الطائي::

وقلت: أخي قالوا: أخ من قرابة ... فقلت لهم: إنّ الشكول أقارب
قريبي في رأيي وديني ومذهبي ... وإن باعدتنا في الخطوب المناسب

(الروض الأنف ٢/٢٠٠).

ولـولا ربّـنـا كـنّـا نـصـارَى   مع الـرُّهبـان في جبـل الجليـل[1]
ولـكِنّـا خُـلْقـنـا إذ خُـلِقْـنـا   حـنيفـاً دينُـنـا عـن كُـلّ جيـل
نسـوق الهَـدْيَ تـرسُف مُـذعنـات   مكشفَـة المنَـاكب في الجُـلول[2]

قال ابن هشام: أنشدني قولـه: فلولا ربّنا، وقـوله: لـولا ربُنا، وقـوله: مكشّفة المناكب في الجلول، رجل من الأنصار، أو من خُزاعة.

أمر العَقَبة الثانية

قـال ابن إسحاق: ثم إنّ مُصْعب بن عُميـر رجع إلى مكـة، وخرج من خـرج من الأنصـارِ من المسلمين إلى المـوسم مـع حُجّـاج قـومهم من أهـل الشِرك، حتى قدِموا مكة، فـواعدوا رسـول الله ـ ﷺ ـ العَقَبَة، من أوسط أيـام التشريق، حين أراد من كرامته، والنصر لنبيّه، وإعزاز الإسـلام وأهله، وإذلال الشِرك وأهله.

البراء بن معرور يصلّي إلى الكعبة: **قال ابن اسحاق**: حدّثني مَعْبد بن كعب بن مـالك بن أبي كعب بن القَيْن، أخـو بني سَلِمة، أنّ أخـاه عبـدالله ابن كعب، وكـان من أعلم الأنصار، حـدّثه أنّ أبـاه كعباً حـدّثه، وكـان كعب ممن شهِد العقبة وبايع رسول الله ـ ﷺ ـ بها، قال: خرجنا في حُجّاج قومنا من المشركين، وقد صلّينا وفقِهنا، ومعنا البراء بن معـرور، سيّدنـا وكبيرنـا، فلما وجّهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينـة، قال البـراء لنا: يـا هؤلاء، إنّي قد رأيت رأياً، فوالله ما أدري، أتوافقونني عليه، أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: قـد رأيت أن لا أدع هذه البُنِيّة منّي بظهر، يعني الكعبـة، وأن أصلّي إليها. قـال: فقلنا، والله ما بلغنا أنّ نبيّنا ﷺ يصلّي إلاّ إلى الشـام، وما نـريد أن نخـالفه. قال: فقال: إنّي لمُصَلٍّ إليها. قال: فقلنا لـه: لكنّا لا نفعـل، قال: فكنّـا إذا حضرت الصلاة صلّينا إلى الشام، وصلّى إلى الكعبة، حتى قدِمنا مكة. قال: وقد كنّا عِبْنا عليه ما صنع، وأبى إلاّ الإقامة على ذلـك. فلما قـدِمنا مكـة قال

---

(١) الجليل: جبل معروف في الشام.
(٢) ترسف: تمشى مشي المقيّد، والجلول: جمع جلّ وهو ما تلبسه الدابّة لتصان به.

لي: يا بن أخي، انطلِق بنا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء، لما رأيت من خلافكم إيّاي فيه. قال فخرجنا نسأل عن رسول الله ـ ﷺ ـ، وكنّا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا؛ قال: فهل تعرفان العبّاس بن عبد المطلّب عمّه؟ قال: قلنا: نعم ـ قال كنّا نعرف العباس، وكان لا يزال يقدَم علينا تاجراً ـ قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العبّاس. قال: فدخلنا المسجد فإذا العبّاس جالس، ورسول الله ـ ﷺ ـ جالس معه، فسلّمنا ثم جلسنا إليه. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ للعبّاس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن مَعرور، سيّد قومه، وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ـ ﷺ ـ: «الشاعر»؟ قال: نعم، قال: فقال له البراء بن معرور: يا نبيّ الله، إنّي خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنِيّة منّي بظهر، فصلّيت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: كنت على قِبلة لو صبرت[1] عليها. قال: فرجع البراء إلى قِبلة رسول الله ـ ﷺ ـ، وصلّى معنا إلى الشام. قال: وأهله

---

(١) قول رسول الله ـ ﷺ ـ: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فقه قوله: لو صبرت عليها: أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلّى؛ لأنه كان متأوّلاً.

وفي الحديث: دليل على أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ، كان يصلّي بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس، وقالت طائفة: ما صلّى إلى بيت المقدس إلاّ مذْ قدِم المدينة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً، فعلى هذا يكون في القِبلة نسخان نسخ سنة بقرآن، وقد بيّن حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة، فروي عنه من طرق صِحاح أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ، كان إذا صلّى بمكة استقبل بيت المقدس، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فلما كان عليه السلام يتحرّى القبلتين جميعاً لم يبن توجّهه إلى بيت المقدس للناس، حتى خرج من مكة والله أعلم. قال الله تعالى له في الآية الناسخة: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: من أيّ جهة جئت إلى الصلاة، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبراً لبيت المقدس، أو لم تكن، لأنه كان بمكة يتحرّى في استقباله بيتَ المقدس أن تكون الكعبة بين يديه، وتدبّر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ وقال لأمّته: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

يزعمون أنه صلّى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم(١).

قال ابن هشام: وقال عون بن أيّوب الأنصاريّ:

ومنّا المُصلّي أوّلَ النّاسِ مُقْبِلاً على كعبةِ الرَّحْمن بين المَشاعِرِ

يعني البراء بن معرور. وهذا البيت في قصيدة له.

إسلام عبدالله بن عمرو بن حَرام: قال ابن إسحاق: حدّثني مَعْبد ابن كعب، أنّ أخاه عبدالله بن كعب حدّثه أنّ أباه كعب بن مالك حدّثه، قال كعب: ثم خرجنا إلى الحجّ، وواعدنا رسول الله - ﷺ - بالعَقَبة من أوسط أيام التشريق. قال: فلما فرغنا من الحجّ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله - ﷺ - لها، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حَرام أبو جابر، سيّد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا وكنّا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلّمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيّد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإنّا نرغب بك عمّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً؛ ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله - ﷺ - إيّانا العقبة. قال: فأسلم وشهِد معنا العَقَبة، وكان نقيباً(٢).

امرأتان في البيعة: قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله - ﷺ -، نتسلّل تسلّل القطا مُستخفِين، حتى اجتمعنا في الشِعْب عند العَقَبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نُسَيبة بنت كعب، أم عُمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجّار؛ وأسماء بنت عمرو بن عديّ بن نابي، إحدى نساء بني سَلِمة، وهي أم منيع.

العبّاس يستوثق من الأنصار: قال: فاجتمعنا في الشِعْب ننتظر رسول الله - ﷺ -، حتى جاءنا ومعه عمّه العبّاس بن عبدالمطّلب، وهو يومئذ على

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٦٠، ٣٦١، تاريخ الإسلام ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٦١، تاريخ الإسلام ٣٠٢.

دِين قومه، إلا أنه أحبّ أن يحضر أمـر ابن أخيه ويتـوثّق له. فلمـا جلس كان أول متكلّم العباس بن عبد المـطّلب فقال يـا معشر الخـزرج ـ قال: وكـانت العرب إنّما يسمّون هذا الحيّ من الأنصار: الخزرج. خزْرجها وأَوْسهـا ـ: إنّ محمداً منّا حيث قد علِمتم وقد منعناه من قومنا، ممّن هو على مثل رأينا فيـه، فهو في عِزٍّ من قومه ومَنعة في بلده، وإنه قد أبى إلّا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإنْ كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانِعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلِموه وخاذِلوه بعـد الخروج بـه إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عزّ ومنعة من قومه وبلده. قـال: فقلنا لـه: قد سمعنا ما قلت فتكلّم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولرّبك ما أحببت.

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصـار: قال: فتكلّم رسـول الله ـ ﷺ ـ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعـوني مما تمنعـون منه نسـاءكم وأبناءكم. قـال: فأخـذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحقّ لَنَمْنَعَنَّكَ مما نمنع منه أُزُرَنـا(١) فبايِعْنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الْحَلَقَة(٢)، ورِثنـاها كـابراً عن كابر. قال: فاعترض القول، والبـراء يكلّم رسول الله ـ ﷺ ـ، أبـو الهيثم ابن التَّيْهَان، فقال: يا رسول الله: إنّ بيننا وبين الرحال حبالاً، وإنّـا قاطعـوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إنْ نحن فعلنـا ذلك ثم أظهـرك الله أن ترجـع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسّم رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم(٣)، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

---

(١) العـرب تُكنّي عن المرأة بـالإزار وتُكَـنِّي أيضـاً بـالإزار عن النفس، وتجعل الثـوب عبـارة عن لابسه كما قال:

رمـوهـا بـأثـواب خِفـافٍ فـلا تـرى   لـهـا شَبَـهـاً إلاّ الـنّـعـام الـمـنـفَّـرا

أي: بـأبدان خِفـافٍ، فقولـه ممـا نمنـع أُزُرنـا يحتمـل الـوجهين جميعـاً. (الـروض الأنف ٢/٢٠٢).

(٢) أي أهل السلاح.

(٣) قال ابن قُتيبة: كانت العرب تقـول عند عقْـد الحلْف والجوار: دمي دمـك وهدمي هـدمك، =

قال ابن هشام: ويقال: الهَدَم الهَدَم: يعني الحُرمة. أي ذمتي ذمّتكم، وحُرمتي حُرمتكم.

قال كعب بن مالك: وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: أَخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس[1].

أسماء النقباء الاثني عشر

نقباء الخزرج: **قال ابن هشام**: من الخزرج ـ فيما حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي ـ أبو أُمامة أسعد بن زُرارة ابن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج؛ وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهير بن مالك بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امريء القيس بن عمرو بن امريء القيس بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. ورافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشَم بن الخزرج؛ والبراء ابن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد بن عدِيّ بن غَنْم بن

= أي: ما هدمتَ من الدماء هدمتُه أنا، ويقال أيضاً: بل اللَّدْم اللَّدْم والهدم الهدم وأنشد:

ثم الحقي بهدمي ولدْمي

فاللّدم: جمع لادم، وهم أهله الذي يلتدمون عليه إذا مات، وهو من لدمت صدره: إذا ضربته. والهدم قال ابن هشام: الحُرمة، وإنّما كنّى عن حُرمة الرجل وأهله بالهدم، لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحلوا. ولهم بيوت يستخفّونها يوم ظَعنهم فكلما ظعنوا هدموها، والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى، ثم قال: هدمي هدمك أي: رحلتي مع رحلتك أي لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب:

تمضي إذا زجرت عن سوأة قدماً   كأنها هدم في الجفر منقاض

(الروض الأنف ٢/٢٠٢، ٢٠٣).

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٦١ ـ ٣٦٣، دلائل النبوّة للبيهقي، تاريخ الإسلام ٣٠٢، ٣٠٣.

كعب بن سَلِمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم ابن الخزرج؛ وعبدالله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حَرام بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وعُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم ابن سالم بن عَوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وسعد بن عُبادة بن دُليم بن حارثة بن أبي خُزيمة ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج؛ والمنذر ابن عمرو بن خُنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ قال ابن هشام: ويقال: ابن خنيس.

نقباء الأوس: ومن الأوس: أُسَيد بن حُضَير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل؛ وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلم بن امريء القيس بن مالك بن الأوس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أُميّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

شعر كعب بن مالك في النقباء: قال ابن هشام: وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيهان، ولا يعدّون رفاعة. وقال كعب بن مالك يذكرهم، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري:

أبلِغْ أُبَيّا أنّه فَالَ رأيُهُ ... وحان غداة الشِّعب والحَينُ واقعُ[1]
أبى الله ما منَّتْك نفسُك إنه ... بمِرْصاد أمرِ الناس راءٍ وسامع

---

(١) فال: بطُل.

وأبلغ أبــا سُفيـان أنْ قــد بـدا لنــا | بـأحمـد نـورٌ من هُـدَى الله سـاطـع
فـلا تـرغبنْ في حشْـد أمـر تُـريـده | وألِّب وجَمِّـع كـلَّ مـا أنت جـامـع
ودونــك فـاعلم أنّ نقضَ عُهــودنـا | أبــاه عليـك الـرَّهطُ حين تبـايعــوا
أبــاه البـراء وابن عَمــرو كـلاهمـا | وأسـعــدُ يــأبــاه عـلـيــك ورافــع
وسعــد أبــاه السَّــاعــديُّ ومُـنــذِر | لأنفــك إن حــاولت ذلــك جــادع
ومــا ابنُ ربيـع إنْ تنـاولتَ عهــدَه | بمُسْلِمِــه لا يــطمعـنْ ثَمَّ طـامـع
وأيضــاً فـلا يُعــطيكـه ابنُ رَواحــة | وإخفــاره مِن دونــه الـسمُّ نــاقـع
وفــاءً بـه والقــوقليّ بــن صــامت | بمَنْــدوحـة عمــا تُحـاول يــافـع[1]
أبـــو هـيثـم أيضــاً وفـيٌّ بـمـثـلهــا | وفـاءٌ بما أعـطَى من العهد خـانـع[2]
ومـا ابن حُضَيـر إن أردت بمَــطْمـع | فهـل أنت عن أُحمـوقـة الغيّ نـازع
وسعـد أخو عَمـرو بن عَـوْف فـإنـه | ضَـروح لِما حـاولتَ مِلأَمـر مانـع[3]
أولاك نُـجــوم لا يُـغـبُّــك مـنـــهـمُ | عليك بنَحْسٍ في دُجَى الليل طـالع

فذكر كعب فيهم «أبا الهيثم بن التَّيهان» ولم يذكر «رفاعة».

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكـر: أنّ رسول الله - ﷺ - قال للنقباء «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالـة الحواريِّين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» - يعني المسلمين - قالوا: نعم[4].

ما قاله العبّاس بن عبادة للخزرج: **قـال ابن إسحاق**: وحدّثني عاصم ابن عمر بن قَتادة: أنّ القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله - ﷺ - قال العباس ابن عبادة بن نضلة الأنصاريّ، أخو بني سالم بن عوف: يا معشـر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قـالوا: نعم؛ قـال: إنكم تبايعـونه على حـرب الأحمر والأسـود من الناس، فـإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أمـوالكم

(١) اليافع: العالي.
(٢) الخانع: الذليل.
(٣) ضروح: أي دافع عن نفسه.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٦٣، تاريخ الإسلام ٣٠٥.

مصيبة، وأشرافُكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإنْ كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهْكة الأموال[1]، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة؛ قالوا: فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتْل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إنْ نحن وَفينا؟ قال: الجنة. قالوا: أبسُطْ يدك؛ فبسط يده فبايعوه[2].

وأما عاصم بن عمر بن قَتادة فقال: والله ما قال ذلك العباس إلا ليشدّ العقد لرسول الله - ﷺ - في أعناقهم.

وأما عبدالله بن أبي بكر فقال: ما قال ذلك العباس إلاّ ليؤخّر القوم تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبدالله بن أُبيٍّ بن سَلُول، فيكون أقوى لأمر القوم. فالله أعلم أيّ ذلك كان.

قال ابن هشام: سَلُول: امرأة من خُزاعة، وهي أمّ أُبَيّ بن مالك بن الحارث.

أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية: قال ابن إسحاق: فبنو النجّار يزعمون أنّ أبا أُمامة، أسعد بن زُرارة، كان أول من ضرب على يده؛ وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الْهيثم بن التَّيهان[3].

قال ابن إسحاق: فأما مَعْبد بن كعب بن مالك فحدّثني في حديثه، عن أخيه عبدالله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله - ﷺ - البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم.

الشيطان يصرخ بعد بيعة العقبة: فلما بايعنا رسول الله - ﷺ - صرخ الشيطان من رأس العَقبة بأنفذ صوتٍ سمعته قطّ: يا أهل الجباجب - والجباجب: المنازل[4] - هل لكم في مذمَّم والصُّباة معه، قد اجتمعوا على

(١) نهكة الأموال: نقصها.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٦٣، ٣٦٤.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٤.
(٤) المنازل: منازل مِنى.

حربكم. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: هذا أَزَبّ[1] العقبة، هذا ابن أُزيب ـ قال ابن هشام: ويقال ابن أَزَيب ـ أتسمع أي عدوّ الله، أما والله لأفْرُغَنَّ لك[2].

الأنصار تستعجل الحرب: قال: ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: ارفضُوا إلى رحالكم. قال: فقال له العباس بن عُبادة بن نَضْلة: والله الذي بعثك بالحقّ: إن شئت لنميلنّ على أهل مِنَى غداً بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم. قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

قريش تجادل الأنصار: قال: فلما أصبحنا غَدَت علينا جِلّة قريش، حتى جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنّكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظْهُرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم. قال: فانبعث مَن هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمنا. قال: وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قام القوم، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميّ، وعليه نعلان له جديدان. قال فقلت له كلمة ـ كأنيّ أريد أن أشرَك القوم بها فيما قالوا ـ: يا أبا جابر، أما تستطيع أن تتّخذ. وأنت سيّد من سادتنا، مثل نعليْ هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث، فخلعهما من رِجْليه ثم رمى بهما إليّ، وقال: والله لتنتعلنّهما. قال: يقول: أبو جابر: مه، أحفظت والله الفتى، فاردُدْ إليه نعليه. قال: قلت: والله لا أردّهما، فأل والله صالحٌ، لئن صدق الفأل لأسلبنّه[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنهم أتوا عبدَالله بن أُبَيّ بن سَلُول، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول؛ فقال لهم: إنّ هذا الأمر

---

(١) أزبّ العقبة: اسم الشيطان.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٦٤، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٠٤.

(٣) في دلائل النبوّة للبيهقي «أستلبه». والخبر في تاريخ الطبري ٢/٣٦٣ ـ ٣٦٥، وتاريخ الإسلام: ٣٠٤.

جسيم، ما كان قومي ليتفوَّتوا عليّ بمثل هذا، وما علمته كان. قال: فانصرفوا عنه[1].

قريش تأسر سعد بن عُبادة: قال: ونَفَر الناس من مِنى، فتنطّس القوم الخبر[2]، فوجدوه قد كان، وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عُبادة بأذاخر، والمنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقيباً. فأما المنذر فأعجز القوم؛ وأما سعد فأخذوه، فربطوا يديه إلى عنقه بنِسْع[3] رَحْله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، ويجذبونه بجُمَّته[4]، وكان ذا شَعر كثير.

خلاص سعد: **قال سعد**: فوالله إنّي لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفرٌ من قريش، فيهم رجل وضيء أبيض، شعشاع، حلو من الرجال[5].

(**قال ابن هشام**: الشعشاع الطويل الحسن. قال رؤبة:

يمطّوه من شعشاع غير مُودن

يعني: عنق البعير غير قصير، يقول: مُودن اليد، أي ناقص اليد)[6].

قال: فقلت في نفسي: إن يك عند أحدٍ من القوم خير، فعند هذا؛ قال: فلما دنا منّي رفع يده فلكمني لكمةً شديدة. قال: فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير. قال: فوالله إنّي لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي رجل ممن كان معهم، فقال ويحك! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى، والله، لقد كنت أُجير لجبَير بن مُطعِم بن

---

(١) تاريخ الإسلام ٣٠٥.
(٢) دققوا في البحث عنه.
(٣) النسع: الشراك الذي يشدّ به الرحل.
(٤) الجُمَّة: مجمع الشعر.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٣٦٧.
(٦) ما بين القوسين ليس في طبعة السقا والأبياري وشلبي (ص ٤٤٩). وأثبتوه في الحاشية، وسقط من طبعة مصر التي نشرها طه عبدالرؤوف سعد (٢/١٩٣).

عَدِيّ بن نوفل بن عبدمَناف؛ قال: ويحك! فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما. قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما في المسجد عند الكعبة، فقال لهما: إنّ رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ويهتف بكما، ويذكر أنّ بينه وبينكما جواراً؛ قالا: ومن هو؟ قال سعد بن عُبادة؛ قالا: صدق والله، إن كان ليجير لنا تجّارنا، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده. قال: فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم، فانطلق. وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو، أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

قال ابن هشام: وكان الرجل الذي أوى إليه، أبا البَخْتَرِيّ بن هشام.

قال ابن إسحاق: وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين، قالهما ضرار[1] بن الخطّاب بن مرداس، أخو بني محارب بن فِهْر.

تداركت سعداً عَنوةً فأخذته ... وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نِلْتُهُ[2] طُلَّت هناك جِراحُه ... وكان حَرِيًّا أن يُهانَ ويُهدَرا

قال ابن هشام: يُرْوَى: وكان حقيقاً أن يُهان ويهدرا.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّان بن ثابت فيهما فقال:

لستَ إلى سعدٍ ولا المرءُ مُنْذِر ... إذا ما مَطايا القوم أصْبَحْنَ ضُمَّرا
فلولا أبو وَهْبٍ لَمَرَّت قصائِدٌ ... على شَرَفِ البَرْقاء يَهْوِينَ حُسَّرا
أَتَفْخُرُ بالكَّتّانِ لمّا لَبِسْتَه ... وقد تَلْبَس الأَنْباطُ رَيْطاً مقصِّر[3]
فلا تكُ كالوَسْنان يحلُم أنَّه ... بِقَرْيَة كِسْرَى أو بقرية قَيْصَرا
ولا تك كالثَّكْلَى وكانت بمَعْزلٍ ... عن الثُّكْل لو كان الفؤادُ تفكَّرا

---

(١) كان شاعر قريش وفارسها، ولم يكن في قريش أشعر منه ثم ابن الزِّبَعْري بن قيس بن عَدِيّ، وكان جدّه مرداس رئيس بني محارب بن فِهْر في الجاهلية يسير فيهم بالمرباع، وهو ربع الغنيمة، وكان أبوه أيام الفِجار رئيس بني محارب بن فِهْر، أسلم ضرار عام الفتح. (الروض الأنف ٢/٢٠٤).

(٢) طُلَّت: هُدِرت.

(٣) الريط: الملاحف البيض.

ولا تكُ كالشّاة التي كان حتفُها بِحَفْرِ ذِرَاعَيْها فلم تَرْضَ مَحْفَرا[1]
ولا تكُ كالعاوِي فأقبل نَحْرَه ولم يَخْشَه سَهما من النَّبْل مُضْمَرا
فإنّا ومَن يُهْدِي القصائِدَ نَحْوَنا كمُسْتَبْضِعٍ تمراً إلى أهل[2] خيبرا

قصّة صنم عَمرو بن الجَمُوح

فلما قدِموا المدينةَ أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشِّرْك، منهم عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو شهِد العَقَبة، وبايع رسول الله ﷺ، وكان عمرو بن الجَمُوح سيّداً من سادات بني سَلِمة، وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتّخذ في داره صنماً من خشب، يقال له: مُناة[3]، كما كانت الأشراف يصنعون، تتّخذه إلٰهاً تعظّمه وتطهّره، فلما أسلم فتيان بني سَلِمة: مُعاذ بن جبل؛ وابنه مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح، في فتيان منهم ممن أسلم وشهِد العقبة، كانوا يُدْلجون بالليل على صنم عَمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمَة، وفيها عُذَر[4] الناس، منكّساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو، قال: ويلكم! من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غسّله وطهّره وطيّبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأُخْزِينّه. فإذا أمسى ونام عمرو، عَدَوْا عليه، ففعلوا به مثل

---

(١) تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شراً كالباحث عن المدية، وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

وكان يجير الناس من سيف مالك فأصبح يبغي نفسه من يجيرها
وكان كعنز السوء قامت بظلفها إلى مدية تحت التراب تثيرها

(الروض الأنف ٢/٢٠٥).

(٢) وفي رواية «أرض».

(٣) مُناة: ووزنه: فُعْلة، من مُنيت الدم إذا صببته، لأنّ الدماء كانت عنده تُمنَى، ومن هنا سُمّيت الأصنام: دُمَى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ومَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ أي ثالثة للاّت والعُزّى. (الروض ٢، ٢١٤).

(٤) فضلات الناس.

ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسّله ويطهّره ويطيّبه، ثم يعدون عليه، إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك. فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوماً، فغسّله وطهّره وطيّبه، ثم جاء بسيفه فعلّقه عليه، ثم قال: إنّي واللهِ ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو، عَدَوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلِمةَ، فيها عُذَر من عُذَر الناس، ثم عدا عمرو بن الجَمُوح فلم يجده في مكانه الذي كان به.

إسلام عمرو وما قاله من الشعر: فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكّساً مقروناً بكلب ميّت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلّمه من أسلم من قومه، فأسلم برحمة الله، وَحَسُنَ إسلامه. فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنتَ إلٰهاً لم تكن ... أنت وكلبٌ وسْط بئرٍ في قَرَنْ[1]
أُفٍّ لمَلْقاك إلٰهاً مُسْتَدَنْ ... الآن فتَّشْناكَ عن سُوء الغَبَنْ[2]
الحمد لله العليّ ذي المِنَنْ ... الواهبِ الرّزاق ديَّان الدِّيَنْ[3]
هو الذي أنقذني من أن ... أكونَ في ظُلمة قبرٍ مُرْتَهِنْ
بأحمدَ المهدي النّبيّ المرتهنْ

(١) القَرَن: الحبل.
(٢) مستدن: مستعبد، والغَبن: السفه.
(٣) الدِّين: جمع دِينة وهي العادة، ويقال لها دين أيضاً، وقال ابن الطثريّة واسمه يزيد:
أرى سبعةً يَسْعَون للوصْل كلّهم ... له عند ليلى دينة يستدينها
فألقيت سهمي بينهم حين أوخشوا ... فما صار لي في القَسم إلّا ثمينها
ويجوز أن يريد بالدين الأديان، أي: هو ديان أهل الأديان ولكن جمعها على الدِّيَن لأنها مِلَل ونِحَل كما قالوا في جمع الحُرَّة حرائر، لأنهنّ في معنى الكرائم والعقائل. (الروض الأنف ٢/٢١٤).

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق: وكانت بيعة الحرب، حين أذِن الله لرسوله ﷺ في القتال شروطاً سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن الله تعالى لم يكن أذِن لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذِن الله له فيها، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عُبادة بن الوليد بن الصّامت، عن أبيه الوليد، عن جدّه عُبادة بن الصّامت، وكان أحد النقباء، قال:

بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب ـ وكان عُبادة من الأثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء ـ على السمع والطاعة، في عُسْرنا ويُسْرنا ومُنْشَطِنا ومُكْرَهنا، وأثْرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنّا، لا نخاف في الله لومة لائم[1].

أسماء من شهِد العَقَبة الأخيرة

قال ابن إسحاق: وهذا تسمية من شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها من الأوس والخزرج، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين.

شهِدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبدالأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أُسَيْد بن حُضَير بن سِماك بن عتيك بن رافع بن امريء القيس بن زيد بن عبدالأشهل، نقيب لم يشهد بدراً. وأبو الهيثم بن التَّيهان، واسمه مالك، شهد بدراً. وسلمة بن سلامة بن وقش بن زُغبة بن زعُوراء بن عبدالأشهل، شهد بدراً، ثلاثة نفر. قال ابن هشام ويقال: ابن زعَوراء. (بفتح العين).

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٦٨.

قال ابن إسحاق: ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: ظهير بن رافع بن عَدِيّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة، وأبو بردة بن نِيار، واسمه هانيء بن نيار بن عمرو بن عُبيد بن كلاب بن دهمان بن غَنْم بن ذبيان بن هُميم بن كامل بن ذهل بن هنيّ بن بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، حليف لهم، شهد بدراً. ونُهير بن الهيثم، من بني نابي بن مجدعة بن حارثة، بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس؛ ثم من آل السوّاف بن قيس بن عامر بن نابي بن مَجدعة بن حارثة. ثلاثة نفر.

ومن بني عمرو بن عوف مالك بن الأوس: سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلم بن امريء القيس بن مالك بن الأوس، نقيب، شهد بدراً، فقُتل به مع رسول الله ﷺ شهيداً.

قال ابن هشام: ونَسَبه ابن إسحاق في بني عمرو بن عوف؛ وهو من بني غَنْم بن السلم، لأنه ربّما كانت دعوة الرجل في القوم، ويكون فيهم فيُنسب إليهم.

قال ابن إسحاق: ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبر بن زيد بن أُميَّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو، نقيب، شهد بدراً. وعبدالله بن جُبير بن النُعمان بن أُميَّة بن البرَك ـ واسم البرك: امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ـ شهد بدراً، وقُتل يوم أُحُد شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ على الرماة؛ ويقال: أُميَّة بن البَرْك، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ومعن بن عَدِيّ بن الجدّ بن العَجْلان بن حارثة بن ضُبيعة، حليف لهم من بَليّ، شهد بدراً وأُحُداً والخندق، ومشاهد رسول الله ﷺ كلّها، قُتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه. وعُويم بن ساعدة، شهد بدراً وأُحُداً والخندق. خمسة نفر.

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلاً[1].

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر؛ ثم من بني النّجّار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج: أبو أيوب، وهو خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النّجّار شهد بدراً وأُحُداً والخندق، والمشاهد كلها؛ مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية بن أبي سفيان. ومُعاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النّجّار، شهد بدراً وأُحُداً والخندق، والمشاهد كلها، وهو ابن عفراء، وأخوه عوف بن الحارث شهد بدراً وقُتل به شهيداً، وهو لعفراء. وأخوه معوّذ بن الحارث، شهد بدراً وقُتل به شهيداً، وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة، وهو لعفراء ـ ويقال: رفاعة بن الحارث بن سواد، فيما قال ابن هشام ـ وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النّجّار: شهد بدراً وأُحُداً والخندق، والمشاهد كلها، قُتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وأسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، مات قبل بدر ومسجد رسول الله ﷺ يُبنَى، وهو أبو أُمامة. ستة نفر.

ومن بني عمرو بن مبذول ـ ومبذول: عامر بن مالك بن النّجّار ـ: سهل بن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو، شهد بدراً. رجل.

ومن بني عمرو بن مالك بن النّجّار، وهم بنو حُديلة ـ **قال ابن هشام**: حُديلة: بنت مالك بن زيد مَناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ـ أوس بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عَدِيّ بن عمرو بن مالك بن النجّار، شهد بدراً، وأبو طلحة، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عَدِيّ بن مالك بن النجّار شهد بدراً. رجلان.

---

(١) تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٠٥، ٣٠٦.

ومن بني مازن بن النجّار، قيس بن أبي صعصعة، واسم أبي صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن، شهد بدراً، وكان رسول الله ﷺ جعله على الساقة يومئذ. وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن. رجلان. فجميع من شهد العقبة من بني النجّار أحد عشر رجلاً.

قال ابن هشام: عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء، هذا الذي ذكره ابن إسحاق، إنّما هو غزيّة بن عمرو بن عطية بن خنساء.

قال ابن إسحاق: ومن بلحارث بن الخزرج: سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، نقيب، شهد بدراً وقُتل يوم أُحُد شهيداً. وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، شهد بدراً وقُتل يوم أُحُد شهيداً. وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امريء القيس بن عمرو بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، نقيب، شهد بدراً وأُحُداً والخندق ومشاهد رسول الله ﷺ كلها، إلاّ الفتح وما بعده، وقُتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ. وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، أبو النعمان بن بشير، شهد بدراً. وعبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبدالله بن زيد مَناة بن الحارث بن الخزرج، شهد بدراً، وهو الذي أُرِي النداء للصلاة، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فأمر به. وخلّاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، شهد بدراً وأُحُداً والخندق، وقُتل يوم بني قريظة شهيداً، طُرحت عليه رحى من أطمٍ من آطامها فشدخته شدخاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - «إنّ له لأجرَ شهيدين». وعُقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أُسَيْرة بن عُسَيْرَة بن جِدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، وهو أبو مسعود وكان أحدَث من شهد العقبة سنّاً، مات

في أيام معاوية، لم يشهد بدراً، سبعة نفر.

من بني بَيَاضة بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج. زياد بن كبير بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عديّ بن أُميَّة بن بياضة، شهد بدراً. وفروة بن عمرو بن وذفة بن عُبيد بن عامر بن بياضة، شهد بدراً. قال ابن هشام: ويقال: ودفة.

قال ابن إسحاق: وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بياضة شهد بدراً. ثلاثة نفر.

ومن بني زُريق بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُريق، نقيب. وذَكْوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلّد بن عامر بن زُريق، وكان خرج إلى رسول الله ﷺ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله ﷺ من المدينة، فكان يقال له: مهاجريّ أنصاريّ: شهد بدراً وقُتل يوم أُحُد شهيداً[1]. وعبّاد بن قيس بن عامر بن خلدة بن مخلّد بن عامر بن زُريق، شهد بدراً. والحارث بن قيس بن خالد بن مخلّد بن عامر بن زُريق، وهو أبو خالد شهد بدراً. أربعة نفر.

ومن بني سَلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج؛ ثم من بني عُبيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سلمة: البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد بن عَدِيّ بن غَنْم، نقيب، وهو الذي تزعم بنو سَلِمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ وشرط له. واشترط عليه، ثم تُوفّي قبل مقدَم رسول الله ﷺ المدينة. وابنه بِشْر بن البراء بن معرور، شهد بدراً وأُحُداً والخندق ومات بخيبر من أكْلة أكلها مع رسول الله ﷺ، من الشاة التي سُمّ فيها[2] ـ وهو الذي قال له رسول الله ﷺ،

(١) تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٠٦.
(٢) أنظر الحديث عن موت بشر مسموماً في: صحيح البخاري (٥/٨٤) في المغازي، باب =

حين سأل بني سَلِمة: «من سيّدكم يا بني سَلِمة؟» فقالوا: الجدّ بن قيس، على بُخله؛ فقال رسول الله ﷺ: «وأيّ داء أكبر من البخل»؟ سيد بني سَلِمة الأبيض الجعد بِشْر بن البراء بن معرور - وسنان بن صيفيّ بن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد، شهد بدراً، وقُتل يوم الخندق شهيداً. والطُّفيْل بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عبيد، شهد بدراً، وقتل يوم الخندق شهيداً. ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عُبيد، شهد بدراً. ويزيد بن المنذر، شهد بدراً. ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عُبيد. والضحّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد، شهد بدراً، ويزيد بن حَرام بن سُبيع بن خنساء بن سنان بن عُبيد. وجبّار بن صخر بن أُميّة بن خنساء بن سنان بن عُبيد، شهد بدراً.

قال ابن هشام: ويقال: جبّار بن صخر بن أُميّة بن خناس.

قال ابن إسحاق: والطُّفَيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عُبيد، شهد بدراً. أحد عشر رجلاً.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، ثم من بني كعب بن سواد: كعب بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن بن كعب. رجل.

ومن بني غَنْم بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: سُليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غَنْم، شهد بدراً. وقُطْبة بن عامر بن حُديدة بن عمرو بن غَنْم، شهد بدراً. وأخوه يزيد بن عامر بن حُديدة بن عمرو بن غَنْم، وهو أبو

= الشاة التي سُمَّت للنبيّ ﷺ في خيبر، و(١٤١/٣) في الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ومسلم (٢١٩٠) في السلام، باب السمّ، وأبو داود في الديات (٤٥٠٨) و(٤٥٠٩) و(٤٥١٠) و(٤٥١١) و(٤٥١٢) و(٤٥١٣) و(٤٥١٤) باب فيمن سقى رجلاً سُمّاً أو أطعمه فمات، أيُقاد منه؟ وابن ماجه، في الطب (٣٥٤٦) باب السحر، وأحمد في المسند ٣٠٥/١ و٣٧٣، وابن سعد في الطبقات ٢٠٢/٢، ٢٠٣، والذهبي في تاريخ الإسلام ٥٢٣، ٥٢٤، ومجمع الزوائد للهيثمي ٢٩٥/٨، ٢٩٦ باب ما جاء في الشاة المسمومة، وقال: رواه الطبراني والبزار.

المنذر، شهد بدراً. وأبو اليَسَر، واسمه كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم، شهد بدراً. وصيفي بن سواد بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم، خمسة نفر.

قال ابن هشام: صيفي بن أسود بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم بن سواد، وليس لسواد ابن يقال له: غَنْم.

قال ابن إسحاق: ومن بني نابي بن عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: ثعلبة بن غنمة بن عَدِيّ بن نابي، شهد بدراً، وقُتل بالخندق شهيداً، وعمرو بن غنمة بن عدِيّ بن نابي، وعَبس بن عامر بن عَدِيّ بن نابي، شهد بدراً. وعبدالله بن أنيس، حليف لهم من قُضاعة. وخالد بن عمرو بن عَدِيّ بن نابيّ خمسة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني حرام بن كعب بن سَلمة: عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، نقيب، شهد بدراً، وقُتل يوم أحد شهيداً، وابنه جابر بن عبدالله، ومُعاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، شهد بدراً وثابت بن الجذع - والجذع: ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام - شهد بدراً، وقُتل بالطائف شهيداً. وعُمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام، شهد بدراً. قال ابن هشام: عُمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفُرافر، حليف لهم من بَليّ. ومُعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد؛ ويقال: أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وكان في بني سَلِمة، شهد بدراً، والمشاهد كلّها، ومات بعَمَواس، عام الطاعون بالشام، في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وإنّما ادّعته بنوسَلِمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجدّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة. سبعة نفر.

قال ابن هشام: أوس: ابن عبّاد بن عَدِيّ بن كعب بن عمـرو بن أذن بن سعد.

قال ابن إسحاق: ومن بني عـوف بن الخـزرج؛ ثم من بني سـالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج: عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف: نقيب، شهد بدراً والمشاهد كلها.

قال ابن هشام: هـو غَنْم بن عوف، أخـو سالم بن عـوف بن عمـرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: والعبّاس بن عُبادة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْـلان بن زيـد بن غَنْم بن سـالم بن عـوف، وكـان ممن خـرج إلى رسـول الله ﷺ وهـو بمكـة، فأقـام معه بهـا، فكان يقـال له: مهـاجريّ أنصـاريّ، وقُتل يـوم أُحُد شهيـداً، وأبو عبـد الرحمن يـزيد بن ثعلبـة بن حزَمـة بن أصـرم بن عمـرو بن عمـارة، حليف لهم من بني غُصَينة من بَليّ. وعمـرو بن الحارث بن لبْـدة بن عمرو بن ثعلبة؛ أربعة نفر، وهم القواقل.

ومن بني سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، وهم بني الحُبلـيّ ـ قال ابن هشـام: الحُبُلي: سـالم بن غنم بن عـوف، وإنّمـا سُمّي الحُبْليّ ـ لعِظَم بطنه: رفاعة بن عمرو بـن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم. شهد بدراً، وهو أبو الوليد.

قال ابن هشام: ويقـال: رفاعـة: ابن مالـك، ومالـك: ابن الوليـد بن عبدالله بن مالك بن ثعلبة بن جُشَم بن مالك بن سالم.

قال ابن إسحاق: وعُقبـة بن وهْب بن كَلَدة بن الجعـد بن هـلال بن الحـارث بن عمـرو بن عَـدِيّ بن جُشَم بن عـوف بن بهثـة بن عبـدالله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، حليف لهم، شهد بدراً، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجـراً من المدينـة إلى مكة، فكـان يقال لـه: مهـاجـريّ أنصاريّ.

قال ابن هشام: رجلان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: سعد بن عُبادة بن حارثة بن أبي خُزَيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، نقيب، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن جُشَم بن الخزرج بن ساعدة، نقيب، شهد بدراً وأُحُداً، وقُتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله ﷺ، وهو الذي كان يقال له: أعنق ليموت. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: المنذر: ابن عمرو بن حنش.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء إنّما كان يأخذ عليهنّ، فإذا أقررن، قال: اذهبن فقد بايعتكنّ.

ومن بني مازن بن النّجار: نَسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف من مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن، وهي أمّ عمارة، كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ، وشهدت معها أختها. وزوجها زيد بن عاصم بن كعب. وابناها: حبيب بن زيد، وعبدالله بن زيد، وابنها حبيب الذي أخذه مُسيلمة الكذّاب الحنفي، صاحب اليمامة، فجعل يقول له: أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم فيقول: أفتشهد أنّي رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده[1]، لا يزيده على ذلك، إذا ذكر له رسول الله ﷺ آمن به وصلّى عليه، وإذا ذُكر له مُسيلمة قال: لا أسمع - فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين، فباشرت الحرب بنفسها. حتى قتل الله مُسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً، من بين طعنة وضربة.

قال ابن إسحاق: حدّثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حِبّان، عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة.

---

(١) تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٠٨.

ومن بني سَلِمة: أم منيع؛ وأسمها: أسماء بنت عمرو بن عَدِيّ بن نابي بن عمرو بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة[1].

نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال[2]

بسم الله الرحمن الرحيم. قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ: وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العَقَبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلَّل له الدماء، إنّما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطّهدت من اتّبعه من المهاجِرين حتى فتنوهم عن دينهم ونَفَوْهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه، ومن بين معذَّب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فراراً منهم، منهم مَن بأرض الحبشة، ومنهم مَن بالمدينة، وفي كل وجه؛ فلما عَتَتْ قريش على الله عزّ وجلّ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذّبوا نبيّه ﷺ، وعذّبوا ونفوا من عبده ووحّده وصدّق نبيّه، واعتصم بدينه، أذِن الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ في القتال، والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أُنزلت في إذنه في الحرب، وإحلاله الدماء والقتال، لِمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عُروة بن الزبير وغيره من العلماء، قول الله تبارك وتعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. ٱلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ، وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُوا**

---

(١) راجع زيادة في أنساب من ذُكروا وأخباراً كثيرة عنهم في الروض الأنف ج ٢ ص ٢١٤ وما بعدها.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٦٨، نهاية الأرب ١٦/٣٢١.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَللهِ عَاقِبَةُ ٱلأُمُورِ﴾[1]: أي أني إنّما أحللت لهم القتال لأنهم ظُلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس، إلاّ أن يعبدوا الله، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، يعني النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي حتى لا يُفتن مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ للهِ﴾[2]. أي حتى يُعبد الله، لا يُعبد معه غيره.

الإذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة: قال ابن إسحاق: فلما أذِن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه هذا الحيّ من الأنصار على الإسلام والنُصرة له ولِمَن اتّبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: «إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها». فخرجوا أرسالا[3]، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربّه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

ذكر المهاجرين إلى المدينة: فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، من بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، واسمه: عبدالله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدِم على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجراً[4].

---

(١) سورة الحج ـ الآيات ٣٩ ـ ٤١.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٩٣.
(٣) جماعة وراء جماعة.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٦٩، نهاية الأرب ١٦/٣٢٢، الطبقات الكبرى ١/٢٢٦.

قــال ابن إسحــاق: فحــدّثني أبي إسحــاقُ بن يَسَـــار، عن سلمـــة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدّتـه أم سلمة، زوج النبيّ ﷺ، قـالت: لمـا أجمع أبـو سلمة الخـروج إلى المدينـة رحّل لي بعيـره ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجْري، ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبـدالله بن عمر بن مخـزوم قامـوا إليه، فقـالوا هذه نفسك غلبتنـا عليها، أرأيت صـاحبتك هـذه؟ علام نتـركك تسيـر بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خـطام البعير من يـده، فأخـذوني منه. قـالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بُني سلمـة بينهم حتى خلعوا يـده، وانطلق به بنـو عبد الأسـد، وحبسني بنو المغيـرة عندهم، وانـطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففـرّق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي، حتى أمسي: سنة أو قـريباً منها حتى مرّ بي رجل من بني عمّي، أحد بني المغيـرة، فرأى مـابي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تُخرِجون هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي؛ الحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردّ بنو عبدالأسد إليّ عنـد ذلك ابني. قـالت: فارتحلت بعيـري ثم أخـذت ابني فـوضعتـه في حجْري، ثم خرجت أريـد زوجي بالمـدينة. قـالت: وما معي أحـد من خلق الله. قالت: أتبلّغ بمن لقيت حتى أقدَم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم[1] لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أميَّة؟ قالت: فقلت أريـد زوجي بالمـدينة. قـال: أَوَ ما معـك أحد؟ قالت: فقلت: لاوالله، إلاّ الله وبُنيّ هذا. قال: والله مالـك من مترك، فـأخذ بخـطام البعير، فـانطلق معي يهـوي بي، فوالله مـا صحبْت رجلاً من العـرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أنـاخ بي، ثم استأخـر عنّي، حتى إذا نـزلت استأخـر ببعيري، فحطّ عنـه، ثم قيّده في الشجـرة، ثم تنحّى

(١) موضع على فرسخين من مكة.

عنّي إلى شجرة، فاضطّجع تحتها، فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدّمه فرحّله ثم استأخر عنّي، وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُباء، قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهلَ بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قطّ كان أكرم من عثمان بن طلحة[1].

قال ابن إسحاق: ثم كان أول من قدِمها من المهاجرين بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة، حليف بني عدِيّ بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بن غانم بن عبدالله بن عوف بن عُبيد بن عَدِيّ بن كعب. ثم عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خُزيمة، حليف بني أُميّة بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد ـ وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكة، أعلاها وأسفلها، بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفَرْعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أُميمة بنت عبدالمطّلب بن هاشم ـ فغلقت دار بني جحش[2] هجرة، فمرّ بها عُتبة بن ربيعة. والعبّاس بن عبدالمطّلب، وأبو

---

(١) وقد كان عثمان يومئذ على كُفره، وإنّما أسلم عثمان في هدنة الحُديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، وقُتل يوم أُحُد إخوته مسافع، وكلاب والحارث، وأبوهم، وعمه عثمان ابن أبي طلحة قُتل أيضاً يوم أُحُد كافراً وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله ـ ﷺ ـ عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وإلى ابن عمه شيبة بن أبي عثمان بن أبي طلحة وهو جدّ بني شيبة حَجَبة الكعبة، واسم أبي طلحة جدّهم: عبدالله بن عبدالله بن عبد العُزّى، وقُتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر. (الروض الأنف ٢/٢١٦). والخبر في أنساب الأشراف ١/٢٥٨، ٢٥٩ رقم ٥٩٩.

(٢) وبنو جحش هم: عبدالله وأبو أحمد واسمه: عبد، وقد كان أخوهم عبيدالله أسلم ثم تنصّر بأرض الحبشة، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وأم حبيب بنت جحش التي كانت تستحاض، وكانت تحت عبدالرحمن بن عوف، وحمنة بنت جحش التي كانت تحت مُصعب بن =

جهل بن هشام بن المغيرة، وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالرَدْم، وهم مُصعدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عُتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يباباً[1] ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفّس الصُّعداء، ثم قال:

وكلّ دارٍ، وإنْ طالتْ سلامتُها ... يوماً ستُدركها النَّكْباء والحُوبُ

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي دُواد الإيادي في قصيدة له. والحُوب: التوجُّع.

قال ابن إسحاق: ثم قال عُتبة بن ربيعة: أصبحت دار بني جحش خلاءً من أهلها! فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قُلّ بن قُلّ.

قال ابن هشام: القُلّ: الواحد. قال لَبِيد بن ربيعة:

كل بني حرّةٍ مصيرُهم ... قُلّ وإنْ أكثرتْ من العددِ

قال ابن إسحاق: ثم قال: هذا عمل ابن أخي هذا، فرّق جماعتنا، وشتّت أمرنا وقطع بيننا. فكان منزل أبي سلمة بن عبد الأسد، وعامر بن ربيعة، وعبدالله بن جحش، وأخيه أبي أحمد بن جحش، على مبشّر بن

= عُمير، وكانت تستحاض أيضاً، وقد رُوي أنّ زينب استحيضت، أيضاً، ووقع في الموطّأ أنّ زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تُستحاض ولم تك قطّ زينب عند عبدالرحمن بن عوف، ولا قاله أحد، والغلط لا يسلم بشر منه، وإنّما كانت تحت عبدالرحمن أختها أم حبيب، ويقال فيها أم حبيبة، غير أنّ شيخنا أبا عبدالله محمد بن نجاح، أخبرني أنّ أم حبيب كان اسمها: زينب، فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطّأ وَهْم ولا غلط والله أعلم. وكان اسم زينب بنت جحش بَرَّة فسمّاها رسول الله ـ ﷺ ـ زينب، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام، كان اسمها بَرَّة، فسمّاها زينب كأنّه كره أن تزكّي المرأة نفسها بهذا الأسم، وكان اسم جحش بن رئاب: بُرَّة بضم الباء، فقالت زينب لرسول الله ـ ﷺ ـ: يا رسول الله لو غيّرت اسم أبي، فإن البرّة صغيرة، فقيل: إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال لها: لو أبوك مسلم لسمّيته باسمٍ من أسمائنا أهل البيت، ولكنّي سمّيته جحش والجحش أكبر من البرة. وذكر هذا الحديث مسنداً في كتاب المؤتلف والمختلف أبو الحسن الدارقطني. (عن الروض الأنف ٢/٢١٦).

(٢) اليباب: القفر.

عبدالمنذر بن زنبر بقُباء، في بني عمرو بن عوف، ثم قدِم المهاجرون أرسالاً، وكان بنو غَنْم بن دودان أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرة رجالهم ونساءهم: عبدالله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وعُكّاشة بن مِحصن، وشجاع، وعُقبة، ابنا وهب، وأربد بن حُميِّرة.

قال ابن هشام: ويقال ابن حُميْرة.

قال ابن إسحاق: ومنقذ بن نباتة، وسعيد بن رقيش، ومحْرز بن نضلة، ويزيد بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمرو بن محصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثقف بن عمرو، وربيعة بن أكثم، والزُبير بن عُبيد، وتمام بن عُبيدة، وسخبرة بن عُبيدة، ومحمد بن عبدالله بن جحش.

ومن نسائهم: زينب بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجذامة بنت جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وآمنة بنت رُقيش، وسخبرة بنت تميم، وحمنة بنت جحش.

وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب، وهو يذكر هجرة بني أسد بن خُزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة:

ولو حلفتْ بين الصفا أم أحمد ... ومَرْوتها بالله برّت يمينُها
لنحن الألىٰ كنّا بها ثم لم نزل ... بمكة حتى عاد غثّاً سمينُها
بها خيّمت غَنْم بن دودان وابتنتْ ... وما إنْ غدت غَنْم وخفّ قَطِينُها[1]
إلى الله تغدو بين مَثْنَى وواحد ... ودينُ رسول الله بالحقّ دينُها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضاً:

لمّا رأتني أم أحمد غادياً ... بذمّة من أخشى بغَيْب وأرهبُ
تقول: فإما كنتَ لابدّ فاعلاً ... فيمِّمْ بنا البلدان ولْتَنْأ يثربُ

---

(١) القطين: القوم المقيمون.

فقلت لهـا: بل يثرب اليـوم وجهُنـا ... ومـا يَشـأ الـرحمنُ فـالعبـدُ يـركب
إلى الله وجهي والـرسـول ومن يُقم ... إلـى الله يــومـا وجهَــه لا يُـخيَّـب
فكم قـد تـركنـا من حَميم مُنـاصِـح ... ونــاصحـة تَبْكي بــدَمْـع وتنــدُب
تـرى أنّ وتـراً نَـأْيُنـا عن بـلادنـا ... ونحن نَـرَى أنّ الـرّغـائب نــطلُب
دعــوْت بني غَنْم لـحقْـن دمـائهـم ... وللحقّ لمّـا لاحَ للنّـاس مَـلْحب[1]
أجـابـوا بحمـد الله لمّـا دعـاهُم ... إلى الحقّ داع والنّجـاح فـأوْعبـوا
وكنّـا وأصحابـاً لنـا فـارقـوا الهُـدَى ... أعــانـوا علينـا بـالسّـلاح وأجلبـوا
كفَـوْجَيْن: أمّـا منهمـا فـمُـوفَّق ... على الحقّ مهـديّ، وفـوج معـذَّب
طـغَـوْا وتمـنَّـوا كـذبـة وأزلَّـهـم ... عن الحقّ إبليس فخـابـوا وخُيِّبـوا
ورِعْنـا إلى قـول النبيّ محمـد ... فـطاب وُلاة الحقّ منّـا وطُيِّبـوا[2]
نَـمُتّ بـأرحـام إليهـم قـريبـةٍ ... ولا قـرب بـالأرحـام إذ لا نُقَـرَّب
فـأيُّ ابن أخت بعـدنـا يـأْمَنَنَّكُمْ ... وأيّـة صِهْـر بعـد صهـريَ تُـرْقب
ستعلـم يـومـاً أيُّنـا إذ تـزايلـوا ... وزُيِّـل أمـر النـاس للحقّ أصـوب

قال ابن هشام: قوله «وَلْتَنْأ يثرب»، وقوله «إذ لا نقرب»، عن غير ابن إسحاق. قال ابن هشام يريد بقوله: «إذ»، إذا، كقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذِ ٱلظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. قال أبو النجم العِجْليّ:

ثـم جـزاه الله عـنـا إذا جـزى ... جنّـات عـدن في العـلاليّ والعُـلا

هجرة عمر وقصّة عيّاش وهشام معه

قال ابن إسحاق: ثم خرج عمر بن الخطّاب، وعيّاش بن أبي ربيعة المخزومي، حتى قدِما المدينة. فحدّثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن

(١) الملحب: الطريق الواضح.
(٢) رعنا: رجعنا.

عبدالله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطّاب، قال: اتّعدتُ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعيّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي بن وائل السَّهميّ التناضب من أضاة بني غِفار، فوق سَرِف وقلنا: أيّنا لم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعيّاش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحُبس عنّا هشام، وفُتن فافتتن.

فلما قدِمْنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عَوف بقُباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيّاش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمّهما وأخاهما لأمّهما، حتى قدِما علينا المدينةَ ورسول الله ﷺ بمكة، فكلّماه وقالا: إنّ أمك قد نذرت أنّ لا يمسّ رأسَها مشطٌ حتى تراك، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلت له: يا عيّاش، إنّه والله إن يريدك القوم إلّا ليفتنوك عن دِينك فاحذرْهم، فوالله لو قد آذى أمّك القمل لامتشطت، ولو قد اشتدّ عليها حَرّ مكة لاستظلّت. قال: فقال: أبرّ قَسَم أمّي، ولي هنالك مال فآخذه. قال: فقلت: والله إنّك لتعلم أنّي لمن أكثر قريش مالاً، تلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليّ إلّا أن يخرج معهما؛ فلما أبى إلّا ذلك؛ قال؛ قلت له: أما إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذَلُول، فالزم ظهرها، فإنْ رابك من القوم رَيب، فانج عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا بن أخي، والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ، وأناخا ليتحوّل عليها، فلما استووا بالأرض عَدَوْا عليه، فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن.

قال ابن إسحاق: فحدّثني به بعض آل عيّاش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً موثقاً، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي: قال ابن إسحاق: وحدّثني نافع،

عن عبدالله بن عمر، عن عمر في حديثه، قال: فكنّا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قدِم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله تعالى فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلْ يا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ، إِنَّ ٱللهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً، إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ. وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[١].

قال عمر بن الخطّاب: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاصي قال: فقال هشام بن العاصي: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوَى[٢]، أصعُد بها فيه وأُصوّب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهِّمْنيها. قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنّها إنّما أُنزلت فينا، وفيما كنّا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقْت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة[٣].

أمر الوليد بن الوليد مع عيّاش وهشام: قال ابن هشام: فحدّثني من أثق به: أنّ رسول الله ﷺ قال، وهو بالمدينة: «من لي بعيّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي»؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقدِمَها مستخفياً، فلقي امرأة تحمل طعاماً فقال لها: أين تريدين يا أَمَة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين ـ تعنيهما ـ فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له؛ فلما أمسى تسوّر عليهما، ثم أخذ مروة[٤] فوضعها تحت قدميهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما،

(١) سورة الزمر ـ الآيات ٥٣ ـ ٥٥

(٢) موضع بأسفل مكة.

(٣) أنظر: تاريخ الطبري ٣٦٩/٢، دلائل النبوّة للبيهقي ١٩٧/٢، نهاية الأرب ٣٢٢/١٦، تاريخ الإسلام ٣١٤، ٣١٥.

(٤) المروة: الحجر.

فكان يقال لسيفه: «ذو المروة» لذلك، ثم حملهما على بعيره، وساق بهما، فعثر فدُمِيت أصبعه، فقال:

هل أنت إلّا أصبعٌ دمِيتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

ثم قدِم بهما على رسول الله ﷺ المدينة[1].

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق: ونزل عمر بن الخطّاب حين قَدِم المدينةَ ومن لحِق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطّاب؛ وعمرو وعبدالله ابنا سُراقة بن المعتمر، وخُنيس بن حُذافة السهميّ ـ وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر، فخَلَفَ عليها رسول الله ﷺ بعده ـ وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وواقد بن عبدالله التميمي، حليف لهم؛ وخوْليّ بن أبي خولي؛ ومالك بن أبي خوليّ، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خوليّ: من بني عِجْل بن لُجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وبنو البُكَير أربعتهم: إياس بن البُكَير، وعاقل بن البُكَير، وعامر بن البُكَير، وخالد بن البُكَير، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، على رفاعة بن عبد المنذر بن زبير، في بني عمرو بن عوف بقُباء، وقد كان منزل عيّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدِما المدينة.

ثم تتابع المهاجرون، فنزل طلحة بن عُبيدالله بن عثمان، وصُهيب بن سنان على خبيب ابن أخي بلحارث بن الخزرج بالسنح[2]. ويقال: بل نزل

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٢٤، السيرة لابن كثير ٢/٢٢١، نسب قريش ٣٢٤، الاستيعاب ٢/٤٠٨.

(٢) السنح: بعوالي المدينة.

طلحة بن عُبيدالله على أسعد بن زُرارة، أخي بني النّجّار[1].

قال ابن هشام: وذُكر لي عن أبي عثمان النَّهْديّ أنه قال: بلغني أنّ صُهَيباً حين أراد الهجرة قال له كفّار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثُر مالُك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك؛ فقال لهم صُهيب: أرأيتم إنْ جعلت لكم مالي أتخلّون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإنّي جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب».

قال ابن هشام: ونزل حمزة بن عبدالمطّلب، وزيد بن حارثة، وأبو مَرْثَد كَنّاز بن حصْن.

قال ابن هشام: ويقال، ابن حصين ـ وابنه مَرْثَد الغنويّان، حليفا حمزة بن عبدالمطّلب، وأنسة، وأبو كبشة[2]، موليا رسول الله ﷺ، على كلثوم بن هدم، أخي بني عمرو بن عوف بقُباء، ويقال: بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة ويقال: بل نزل حمزة بن عبدالمطّلب على أسعد بن زُرارة، أخي بني النّجّار. كل ذلك يقال.

ونزل عُبيدة بن الحارث بن المطّلب، وأخوه الطُّفَيل بن الحارث،

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٢٢.

(٢) أنسة مولى رسول الله ـ ﷺ ـ، من مولَّدي السّراة ويُكَنّى: أبا مسروح، شهد بدراً والمشاهد كلّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ ومات في خلافة أبي بكر، وأبو كبشة اسمه: سُليم يقال إنه من فارس، ويقال: من مولَّدي أرض دَوْس، شهد بدراً والمشاهد كلّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ ومات في خلافة عمر في اليوم الذي وُلد فيه عُروة بن الزبير وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبيّ عليه السلام إليه، وتقول قال ابن أبي كبشة وفعل ابن أبي كبشة، فقيل فيه أقوال: قيل: إنها كنية أبيه لأمّه وهْب بن عبد مَناف، وقيل: كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العُزّى، وقيل: إنّ سلمى أخت عبد المطّلب كان يُكَنّى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد، وأشهر من هذه الأقوال كلّها عند الناس أنهم شبّهوه برجل كان يعبد الشِّعْرَى وحده دون العرب، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه.

وذكر الدارقُطني اسم أبي كبشة هذا في المؤتلف والمختلف، فقال: اسمه وجز بن غالب وهو خُزاعي من بني غبشان. (الروض الأنف ٢/٢٢٧، ٢٢٨).

والحُصَين بن الحارث، ومِسْطح بن أُثاثة بن عبّاد بن المطّلب، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْمَلة، أخو بني عبدالدّار، وطُلَيب بن عُمير، أخو بني عبد بن قُصَيّ، وخبّاب، مولى عُتْبة بن غزوان، على عبدالله بن سلمة، أخي بلْعجلان بقُباء.

ونزل عبد الرحمن بن عَوف في رجالٍ من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بلْحارث بن الخزرج، في دار بلْحارث بن الخزرج.

ونزل الزُبير بن العوّام، وأبو سبْرة بن أبي رُهم بن عبدالعُزّى، على منذر بن محمد بن عُقبة بن أُحيحة بن الجُلاّح بالعُصَبة [1]، دار بني جَحْجَبى [2].

ونزل مُصْعَب بن عُمير بن هاشم، أخو بني عبد الدّار على سعد بن مُعاذ بن النعمان، أخي بني عبد الأشهل، في دار بني عبد الأشهل.

ونزل أبو حُذَيْفة بن عُتبة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن هشام: سالم مولى أبي حُذَيفة سائبة [2] لثُبَيْتة بنت يعار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عَوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، سيَّبته فانقطع إلى أبي حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة فتبنّاه، فقيل: سالم مولى أبي حُذَيفة، ويقال: كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبي حُذيفة بن عُتبة فأعتقت سالماً سائبة. فقيل: سالم مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن إسحاق: ونزل عُتبة بن غزوان بن جابر على عبّاد بن بِشْر بن وقش أخي بني عبد الأشهل، في دار عبد الأشهل.

ونزل عثمان بن عفّان على أَوْس بن ثابت بن المنذر، أخي حسّان بن

---

(١) العُصبَة: موضع في المدينة عند قُباء، وضبطه بعضهم بفتح العين والصاد، على ما في تاج العروس (٣/٣٧٥) وقيّده في الأصل بضم العين وسكون الصاد. (معجم ما استعجم ٣/٩٤٦) وقيل: عُصَبَة: كهُمَزَة. كذا ضبطه ياقوت، وقال إنه حصن بقباء.

(٢) جَحْجَبى: جدّ أُحيحة بن الجُلاّح اليثربي.

ثابت في دار بني النّجّار، فلذلك كان حسّان يحبّ عثمان ويبكيه حين قُتل.

وكان يقال: نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عَزَباً[1]، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٢٥، ٣٢٦.

هجرة الرسول ﷺ[1]

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذن له في الهجرة، ولم يتخلّف معه بمكة أحد من المهاجرين إلّا من حُبس أو فُتن، إلّا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قُحافة الصِّدِّيق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «لا تعجل لعلّ الله يجعل لك صاحباً»، فيطمع أبو بكر أن يكونه[2].

قريش تتشاور في أمره عليه السلام: قال ابن إسحاق: ولما رأت قريش أنّ رسول لله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم منَعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم. فاجتمعوا له في دار الندوة ـ وهي دار قُصَيّ بن كِلاب التي كانت قريش لا

(١) المغازي لعروة ١٢٨، الطبقات الكبرى ١/٢٢٧، أنساب الأشراف ١/٢٥٧، تاريخ الطبري ٢/٣٦٩، البدء والتاريخ ٤/١٦٤، مروج الذهب ٢/٢٨٥، الكامل في التاريخ ٢/١٠١، نهاية الأرب ١٦/٣٣٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣١٨، عيون الأثر ١/١٧٣، المختصر في أخبار البشر ١/١٢٣، سيرة ابن كثير ٢/٢٢٦، عيون التواريخ ١/٩٧، سبل الهدى ٣/٣٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٦٩.

تقضي أمراً إلّا فيها ـ يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتّهم من أصحابنا، عن عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد بن جُبَير أبي الحَجَّاج، وغيره ممن لا أتّهم، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما أجمعوا لذلك، واتّعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غدوا في اليوم الذي اتّعدوا له، وكان ذلك اليوم يُسمّى يوم الرحمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بتلة[2]، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفاً على بابها، قالوا: من الشيخ قال: شيخ من أهل نجد[3] سمع بالذي اتّعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونُصْحاً، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش؛ من بني عبد شمس: عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نَوفل بن عبد مَناف: طُعيمة بن عَدِيّ، وجُبير بن مُطْعِم، والحارث بن عامر بن نوفل. ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: النضر بن الحارث بن كَلدة. ومن بني أسد بن

---

(١) الطبري ٢/ ٣٧٠.

(٢) البتلة: الكساء الغليظ.

(٣) وإنّما قال لهم إنّي من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة، لأنهم قالوا لا يدخل معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد. فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدي، وقد ذكر السهيلي في خبر بنيان الكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدي أيضاً، وحين حكّموا رسول الله ـ ﷺ ـ في أمر الركن: من يرفعه، فصاح الشيخ النجدي: يا معشر قريش: أقد رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم، فإن صح هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجدياً، وذلك أن نجد ومنها يطلع قرن الشيطان، كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ حين قيل له: وفي نجد يا رسول الله؟ قال: هنالك الزلازل والفتن، ومنها يطلع قرن الشيطان، فلم يبارك عليها، كما بارك على اليمن والشام وغيرها، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق، فقال: إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان، وفي حديث ابن عمر، حين قال هذا الكلام، ووقف عند باب عائشة، ونظر إلى المشرق فقاله، وفي وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن، وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة، واضمم إلى قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن: أيقظوا صواحب الحجر. والله أعلم ـ (عن الروض الأنف ٢/ ٢٢٩).

عبدالعُزَّى: أبو البَخْتَرِيّ بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطّلب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام. ومن بني سهم: نبيه ومنبّه ابنا الحَجّاج. ومن بني جُمَح: أميّة بن خَلَف. ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يُعدّ من قريش.

فقال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتّبعه من غيرنا، فأجمِعوا فيه رأياً. قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلِقوا عليه باباً، ثم تربّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيراً والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا. ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أُخرِج عنّا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنّا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. فقال الشيخ النَّجْدِيّ: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تروا حُسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغَلَبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحلّ على حيٍّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبّروا فيه رأياً غير هذا. قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إنّ لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد؛ قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابّاً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتىً منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مَناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منّا بالعقل،

فعقلناه لهم. قال: فقال الشيخ النجديّ: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فتفرّق القوم على ذلك وهم مُجمِعون له[1].

استخلافه لِعليّ: فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ، فقال: لاتبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه؛ فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعليّ بن أبي طالب: نم على فراشي، وتَسَجَّ[2] ببردي هذا الحضرميّ الأخضر، فنم فيه، فإنّه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرْده ذلك إذا نام[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ قال: لما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إنّ محمداً يزعم أنكم إنّ تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردنّ، وإنْ لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: «أنا أقول ذلك، أنت أحدهم». وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يٓس: ﴿يسٓ، وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ. عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . تَنْزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ . . . إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[4]. حتى فرغ رسول لله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلّا قد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً: قال: خيّبكم الله! قد

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٧١ ـ ٣٧٢، الطبقات الكبرى ١/٢٢٧.
(٢) في تاريخ الطبري ٢/٣٧٢ «اتشح».
(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٧٢، نهاية الأرب ١٦/٣٢٨، ٣٢٩.
(٤) سورة يٓس ـ من أول السورة، إلى الآية ٩.

والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلّا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون مابكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلّعون فيرون عليّاً على الفراش متسجّياً ببُرْد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إنّ هذا لَمحمد نائماً، عليه بُرْده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا[1]، فقام عليّ رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدَقنا الذي حدّثنا[2].

ما نزل في تربّص المشركين بالنبيّ: قال ابن إسحاق: وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللهُ، وَٱللهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ﴾**[3]، وقول الله عزّ وجلّ: **﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ. قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾**[4].

قال ابن هشام: المَنُون: الموت. ورَيْب المنون: ما يريب ويعرض منها. قال أبو ذُؤَيب الهُذليّ:

أمِن المَنُون ورَيْبها تتوجّع   والدّهْر ليس بمعتبٍ من يَجْزَعُ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وأذِن الله تعالى لنبيّه ﷺ عند ذلك في الهجرة[5].

---

(١) قال السهيلي: «وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحّم عليه في الدار مع قِصَر الدار وأنهم إنّما جاءوا لقتله، فذكر في الخبر أنهم همّوا بالولوج عليه، فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها للسُبّة في العرب أنْ يتحدّث عنّا أنّا تسوّرنا الحيطان على بنات العمّ، وهتكنا ستر حُرمتنا، فهذا هو الذي أقامهم بالباب أصبحوا ينتظرون خروجه، ثم طمست أبصارهم على من خرج». انظر (الروض الأنف ٢/٢٢٩).

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٧٢، ٣٧٣، نهاية الأرب ١٦/٣٢٩، ٣٣٠.

(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٣٠.

(٤) سورة الطور ـ الآيتان ٣٠ و ٣١.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٣٧٤، ٣٧٥، نهاية الأرب ١٦/٣٢٩، ٣٣٠.

أبو بكر يطمع في المصاحبة: **قال ابن إسحاق**: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال، فكان حين استأذن رسولَ الله ﷺ في الهجرة. فقال له رسول الله ﷺ: لا تعجل، لعلّ الله يجد لك صاحباً، قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ، إنّما يعني بنفسه، حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين، فاحتبسهما في داره، يعلفهما إعداداً لذلك[1].

حديث الهجرة إلى المدينة: **قال ابن إسحاق**: فحدّثني من لا أتّهم، عن عُروة بن الزُبير، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطيء رسول لله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طَرَفي النهار، إمّا بُكْرة، وإما عشيّة، حتى إذا كان اليوم الذي أُذِن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعةٍ كان لا يأتي فيها: قالت: فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلاّ لأمر حَدَث. قالت: فلما دخل، تأخّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ،وليس عند أبي بكر إلاّ أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ، أخرج عنّي مَن عندك: فقال: يا رسول الله، إنّما هما ابنتاي، وماذاك؟ فذاك أبي وأمي! فقال: «إنّ الله قد أذِن لي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر: الصُحبة يا رسول الله: قال: «الصحبة»[2]. قالت: فوالله ما شعرت قطّ قبل ذلك اليوم أنّ أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبيّ الله، إنّ هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا. فاستأجرا عبدالله بن أرقط ـ رجلاً من بني الدئل بن بكر، وكانت أمّه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً ـ يدلّهما على الطريق، فدفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني، بخروج رسول الله ﷺ أحد،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٧٥، نهاية الأرب ١٦/٣٣٠.

(٢) في تاريخ الطبري ٢/٣٧٥ «الصحابة»، وانظر ٢/٣٧٧، ٣٧٨.

حين خرج، إلّا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر الصِّدِّيق، وآل أبي بكر. أما عليّ فإنّ رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلّف بعده بمكّة، حتى يؤدّي عن رسول الله ﷺ الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلّا وضعه عنده، لِما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ[1].

في الغار: قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر بن أبي قُحافة، فخرجا من خَوْخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بثَوْر ـ جبل بأسفل مكة ـ فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبدالله بن أبي بكر أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر؛ وأمر عامر بن فُهَيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يُريحها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغار. وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما[2].

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أنّ الحسن بن أبي الحسن البصْري قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ،فلمس الغار، لينظر أفيه سبع أو حيّة، يقي رسول لله ﷺ بنفسه.

من قام بشأن الرسول في الغار: قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة، لمن يردّه عليهم. وكان عبدالله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فُهَيْرة، مولى أبي بكر رضي الله عنه، يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٧٨.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٧٨.

وذبحا، فإذا عبدالله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، اتبع عامر بن فُهَيْرة أثـره بالغنم حتى يُعفّي عليـه، حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنهمـا النـاس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهمـا وبعير لـه، وأتتهما أسمـاء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما، ونسيت أن تجعـل لها عِصـاماً[1] فلمـا ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة، فإذا ليس لها عِصام، فتحلّ نطاقهـا فتجعله عصامـاً، ثم علّقتها به.

سبب تسميـة أسماء بـذات النطاق: فكـان يقال لأسمـاء بنت أبي بكر: ذات النطاق[2]، لذلك.

قـال ابن هشـام: وسمعت غيـر واحـد من أهـل العلم يقـول: ذات النـطاقين، وتفسيره: أنهـا لما أرادت أن تعلّق السفـرة شقّت نـطاقهـا بـاثنين، فعلّقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر.

راحلة الرسول: قال ابن إسحاق: فلما قرّب أبو بكر، رضي الله عنـه، الراحلتين إلى رسول الله ﷺ، قـدّم له أفضلهمـا، ثم قال: اركب، فـداك أبي وأمّي؛ فقـال رسول الله ﷺ: إنّي لا أركب بعيراً ليس لي؛ قال: فهي لـك يـا رسول الله، بأبي أنت وأمّي؛ قال: لا، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها بـه؟ قال: كذا وكذا؛ قال: قد أخذتها به: قال: هي لك يا رسول الله[3]. فركبـا وانطلقـا

---

(١) العصام: الحبل يشدّ على فم المزادة.

(٢) عند الطبري ٢/٣٧٩ «ذات النطاقين».

(٣) سئل بعض أهل العلم: لِمَ لم يقبلها إلّا بالثمن، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله مـا هو أكثـر من هذا فقبل، وقد قال عليه السلام: ليس من أحـد أمنّ عليّ في أهل ومـالٍ من أبي بكر، وقد دفع إليه حين بنى بعائشة ثنتي عشرة أوقية ونشاً، فلم يأب من ذلك؟ فقال المسؤول إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسـه ومالـه رغبة منـه عليه السـلام في استكمال فضـل الهجرة والجهاد على أتمّ أحوالهما، وهو قول حسن.

وذكر ابن إسحاق في غيـر رواية ابن هشـام: أن الناقـة التي ابتاعهـا رسول الله - ﷺ - من أبي بكر يومئـذ هي: ناقتـه التي تسمى بالجـدعاء، وهي العضبـاء التي جاء فيهـا الحديث. (الروض الأنف ٢/٢٣٠).

وأردف أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه عامر بن فُهَيْرة مولاه خلفه، ليخدمهما في الطريق[1].

أبو جهل يضرب أسماء: **قال ابن إسحاق:** فحُدِّثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله - ﷺ - وأبو بكر رضي الله عنه، أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم؛ فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر، قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً؟ فلطم خدّي لطمة طرح منها قُرْطي.

الجُني الذي تغنّى بمقدمَه ﷺ: قالت: ثم انصرفوا. فمكثنا ثلاث ليال. وما ندري أين وجّه رسول الله - ﷺ -، حتى أقبل رجل من الجنّ من أسفل مكة، يتغنّى بأبيات من شِعر غناء العرب؛ وإنّ الناس ليتبعونه، يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله ربُّ الناس خير جزائِهِ ... رفيقَيْنِ حلاّ خيمَتَيْ أمِّ مَعبدِ
هما نزلا بالبرّ ثمّ تروَّحا ... فأفلح من أمسى رفيقَ محمد
ليَهْنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتِهم ... ومقعدُها للمؤمنين بمَرْصَدِ[2]

نسب أم مَعْبد: **قال ابن هشام:** أم معبد[3] بنت كعب، امرأة من بني كعب، من خُزاعة. وقوله «حلاّ خيمتي»، و «هما نزلا بالبرّ ثم تروّحا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: فلما

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٨٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٢٩ و ٢٣١، وتاريخ الإسلام ٣٢٧.

(٣) اسمها: عاتكة بنت خالد إحدى بني كعب من خُزاعة، وهي أخت حُبيش بن خالد وله صُحبة ورواية، ويقال له الأشعر، وأخوها: حبيش بن خالد، وخالد الأشعر أبوهما، هو: ابن خنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيش بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو، وهو أبو خُزاعة. (الروض الأنف ٢/٢٣٥).

سمعنا قوله، عرفنا حيث وجْه رسول الله - ﷺ -، وأنّ وجهه إلى المدينة، وكانوا أربعة: رسول الله - ﷺ -، وأبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر، وعبدالله بن أرقط[1] دليلهما.

قال ابن هشام: ويقال: عبدالله بن أريقط.

موقف آل أبي بكر بعد الهجرة: قال ابن إسحاق: فحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، أنّ أباه عبّاداً حدّثه، عن جدّته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما خرج رسول الله - ﷺ -، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كلّه، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه. قالت: فدخل علينا جدّي أبو قُحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إنّي لا أراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلّا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كُوّةٍ في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنّي أردت أن اسكّن الشيخ بذلك[2].

سُراقة بن مالك: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ أنّ عبدالرحمن ابن مالك بن جُعْشُم حدّثه. عن أبيه، عن عمّه سُراقة بن مالك بن جُعْشم، قال: لما خرج رسول الله - ﷺ - من مكّة مهاجراً إلى المدينة، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم. قال: فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منّا، حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مرّوا عليّ آنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني: أن أسكت، ثم

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٣٨٠ «أرقد» وهو غلط. وقيل: «الأريقط» الليثي، كان مشركاً. (نهاية الأرب ١٦/٣٣١).

(٢) نهاية الأرب ١٦/٣٣٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٢٧، ٣٢٨.

قلت: إنّما هم بنو فلان، يبتغون ضالّة لهم؛ قال: لعلّه، ثم سكت. قال: ثم مكثت قليـلاً، ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمـرت بفرسي، فقُيّـد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسـلاحي، فأخـرج لي من دُبر حجـرتي، ثم أخذت قِـداحي التي استقسم بها، ثم انطلقت، فلبست لأمتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بهـا؛ فخرج السهم الـذي أكره «لا يضـرّه». قـال: وكنت أرجـو أن أردّه على قريش، فآخذ المائة الناقـة. قال: فـركبت على أثره، فبينمـا فرسي يشتـدّ بي عثـر بي، فسقـطت عنـه قـال: فقلت: مـا هـذا؟ قـال ثم أخـرجت قـداحي فـاستقسمت بها، فخـرج السهم الذي أكـره «لا يضرّه». قـال: فـأبيت إلاّ أن أتبعه. قال: فـركبت في أثره فبينـا فرسي يشتـدّ بي، عثر بي، فسقـطت عنه. قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره «لا يضرّه» قال: فـأبيت إلاّ أن أتبعه فـركبت في أثره. فلمـا بدا لي القـوم ورأيتهم عثر بي فـرسي، فذهبت يـداه في الأرض، وسقطت عنـه، ثم انتزع يديـه من الأرض، وتبعهما دُخـان كالإعصـار. قال: فعـرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع منّي، وأنه ظاهر. قال: فناديت القوم: فقلت: أنا سُراقـة بن جُعْشم: انظِروني أكلّمكم، فوالله لا أريبكم ولا يـأتيكم منّي شيء تكرهـونـه. قال: فقال رسـول الله ـ ﷺ ـ لأبي بكر: «قـل له: ومـا تبتغي منّا»؟ قـال فقال ذلـك أبو بكـر، قال: قلت: تكتب لي كتـاباً يكـون آيـة بيني وبينـك. قـال: «اكتب له يا أبا بكر».

قـال: فكتب لي كتابـاً في عَظْم، أو في رُقعـة، أو في خزفـة، ثم ألقاه إليّ، فـأخذتـه، فجعلته في كنـانتي، ثم رجعت، فسكتّ فلم أذكر شيئـاً مما كـان، حتى إذا كـان فتـح مكـة على رســول الله ـ ﷺ ـ، وفــرغ من حُنَين والطائف، خرجت ومعي الكتاب لألقاه، فلقيته بالجعرانة. قـال: فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار. قال: فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولـون: إليك مـاذا تريد؟ قال: فدنـوت من رسول الله ـ ﷺ ـ وهـو على ناقتـه، والله لكأنّي أنـظر إلى ساقه في غرزة كأنهـا جُمارة. قـال: فرفعت يـدي بالكتـاب، ثم قلت: يا

رسول الله، هذا كتابك، أنا سُراقة بن جُعشم قال: فقال رسول الله - ﷺ -: «يوم وفاء وبِرّ، ادْنُه» قال: فدنوت منه، فأسلمت. ثم تذكّرت شيئاً أسأل رسول الله - ﷺ - عنه فما أذكره، إلا أنّي قلت: يا رسول الله، الضالّة من الإبل تغشى حياضي، وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: «نعم، في كلّ ذات كبدٍ حرّى أجر»[1]. قال: ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله - ﷺ - صدقتي[2].

قال ابن هشام: عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعشم.

طريق الهجرة: **قال ابن إسحاق**: فلما خرج بهما دليلهما عبدالله بن أرقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قُدَيداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخرَّار، ثم سلك بهما ثَنِية المَرَاة[3]، ثم سلك بهما لِقْفاً.

قال ابن هشام: ويقال؛ لَفْتا. قال مَعقِل بن خُويْلد الهُذلي:

نزيعاً مُحْلِباً من أهل لَفْتٍ ... لحيّ بين أثلة والنِّحام

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما مَدْلَجَة لِقف، ثم استبطن بهما مدلجة

---

(١) أخرجه البخاري في حديث طويل بلفظ «كل كبد رطبة أجر» في كتاب المساقاة ٣/٧٧ باب فضل سقي الماء، وكتاب المظالم ٣/١٠٣ باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذّ بها، وكتاب الأدب ٧/٧٧ باب رحمة الناس بالبهائم، ومسلم في: كتاب السلام ٤/١٧٦١ رقم (١٥٣/٢٢٤٤) باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، وأبو داود في كتاب الجهاد ٣/٢٤ رقم ٢٥٥٠ باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، وابن ماجه في الأدب ١٢١٥ رقم ٣٦٨٦ وهو بلفظ السيرة، وابن اسحاق مدلّس، ومالك في الموطأ (٦٦٥) رقم ١٦٨٥ باب صفة النبيّ ﷺ، وأحمد في المسند ٢/٢٢٢ و ٢٧٥ و ٥١٧ و ٤/١٧٥.

(٢) دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢/١١٥، الطبقات الكبرى ١/٢٣٢، نهاية الأرب ١٦/٣٣٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٢٦، ٣٢٧.

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف: كذا وجدته مخفّف الراء مقيّداً. (٢/٢٤٤).

محاج[1] ـ ويقال: مِحاج فيما قال ابن هشام ـ ثم سلك بهما مرجح محاج، ثم تبطّن بهما مرجح من ذي الغضوين ـ قال ابن هشام: ويقال: العضوين[2] ـ ثم بطن ذي كشر، ثم أخذ بهما على الجداجد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداءِ مدلجة نِغْهن[3]، ثم على العبابيد. قال ابن هشام: ويقال: العبابيب؛ ويقال: العِثيانة. يريد: العبابيب.

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما الفاجّة[4]؛ ويقال: القاحّة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن هشام: ثم هبط بهما العرْج[5]، وقد أبطأ عليهما بعضُ ظهرهم، فحملَ رسول الله ـ ﷺ ـ رجلٌ من أسلم، يقال له: أوس بن حجر، على جملٍ له ـ يقال له: ابن الرداء ـ إلى المدينة، وبعث معه غلاماً له، يقال له: مسعود بن هُنَيْدة، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْج، فسلك بهما ثَنِية العائر، عن يمين رَكُوبة ـ ويقال: ثنِية الغائر، فيما قال ابن هشام ـ حتى هبط بهما بطن رئم[6]، ثم قدِم بهما قُباء، على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلةٍ خَلَت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتدّ الضُحاء، وكادت الشمس تعتدل[7].

قدومه ﷺ قُباء: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، عن عبدالرحمن بن عُوَيمر بن ساعدة، قال: حدّثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، قالوا: لما سمعنا

---

(١) في طبقات ابن سعد ١/٢٣٢ «مِجاج».
(٢) ويقال «العصوين» بالصاد المهملة، نهاية الأرب ١٦/٣٣٩، تاريخ الإسلام ٣٢٣.
(٣) اسم عين بين مكة والمدينة.
(٤) الفاجّة والقاحة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة، قبل السقيا بنحو ميل.
(٥) العَرْج: مكان بين مكة والمدينة على جادّة الحاجّ.
(٦) في طبقات ابن سعد ١/٢٣٣ «بطن ريغ».
(٧) الطبقات الكبرى ١/٢٣٢، ٢٣٣، المغازي لعروة ١٣٠، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٢١١، ٢١٢، نهاية الأرب ١٦/٣٣٨، ٣٣٩، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٢٢، ٣٢٣.

بمخـرج رسول الله ـ ﷺ ـ من مكـة، وتوكَّفنـا(١) قدومـه، كنّا نخـرج إذا صلّينا الصبح، إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظر رسـول الله ـ ﷺ ـ، فوالله مـا نبرح حتى تغلبنـا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنـا وذلك في أيـام حارّة. حتى إذا كان اليوم الذي قدِم فيه رسول الله ـ ﷺ ـ، جلسنا كما كنّا نجلس حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا، وقدِم رسول الله ـ ﷺ ـ حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود، قد رأى ما كنّا نصنع، وأنّا ننتظر قـدوم رسول الله ـ ﷺ ـ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلة(٢)، هذا جدّكم قد جاء. قال: فخرجنا إلى رسـول الله ـ ﷺ ـ، وهو في ظـلّ نخلة، ومعه أبـو بكر رضي الله عنـه في مثل سنّه، وأكثـرنا لم يكن رأى رسـول الله ـ ﷺ ـ قبل ذلـك، وركبه النـاس(٣) وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظّلّ عن رسول الله ـ ﷺ ـ، فقام أبـو بكر فأظلّه بردائه، فعرفناه عند ذلك(٤).

قال ابن إسحاق: فنزل رسول الله ـ ﷺ ـ فيما يذكرون ـ على كُلثوم بن هِـدْم، أخي بني عمرو بن عـوف ثم أحد بني عُبيـد؛ ويقال: بـل نـزل على سعد بن خيثمة، ويقـول من يذكـر أنه نـزل على كلثوم بن هِـدْم: إنّما كـان رسـول الله ـ ﷺ ـ إذا خرج من منـزل كلثـوم بن هِـدْم جلس للنـاس في بيت سعد بن خيثمة. وذلك أنه كـان عَزَبـاً لا أهل لـه، كان منـزل الأعزاب(٥) من

---

(١) توكّفنا: انتظرنا.

(٢) قَيْلة: جدّة للأنصار يُنسبون إليها.

(٣) ازدحموا عليه.

(٤) كان قدوم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول، وفي شهـر أيلول من شهور العجم، وقال غيـر ابن إسحاق: قـدِمها لثمـانٍ خلون من ربيع الأول. وقـال ابن الكلبي، خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول. ودخل المدينة يـوم الجمعة لثنتي عشرة منه، وكـانت بيعة العقبـة أوسط أيام التشـريق. (الروض الأنف ٢/٢٤٥) وانـظر الخبـر في تـاريخ الـطبـري ٢/٣٨١، ٣٨٢، وطبقـات ابن سعـد ١/٢٣٣، نهـايـة الأرب ١٦/٣٣٩، ٣٤٠، تاريخ الإسلام ٣٣١، سيرة ابن كثير ٢/٢٦٨.

(٥) وكلثوم هذا هـو ابن الهِدْم بن امـريء القيس بن الحارث بن زيـد بن مالـك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وكان شيخاً كبيـراً مات بعـد قدوم رسـول الله ـ ﷺ ـ المدينة بيسير، هو أول من مـات من الأنصار بعـد قدوم النبيّ ﷺ. ثم مـات بعده أسعـد بن =

أصحاب رسول الله - ﷺ - من المهاجرين، فمن هنالك يقال نزل على سعد ابن خيثمة، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة: بيت الأعزاب. فالله أعلم أيّ ذلك كان، كُلًّا قد سمِعْنا.

ونزل أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه على خُبَيب بن إساف، أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح. ويقول قائل: كان منزله على خارجة بن زيد ابن أبي زهير، أخي بني الحارث بن الخزرج.

وأقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها، حتى أدّى عن رسول الله - ﷺ - الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها، لحِق برسول الله - ﷺ -، فنزل معه على كلثوم بن هِدْم[1].

فكان عليّ بن أبي طالب، وإنّما كانت إقامته بقُباء ليلةً أو ليلتين يقول: كانت بقُباء امرأة لا زوج لها، مسلمة. قال: فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه. قال: فاسترِبْت بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كلّ ليلة، فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حُنَيف بن واهب، قد عرف أنّي امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، فكان عليّ رضي الله عنه يأثر ذلك من أمر سهل بن حُنيف، حتى هلك عنده بالعراق[2].

= زُرارة بأيام وسعد بن خيثمة، وأنه كان يقال لبيته، بيت العزّاب هكذا رُوي - وصوابه، الأعزاب، لأنه جمع عزب، يقال رجل عزب، وامرأة عزب، وقد قيل، امرأة عزبة بالتاء. (الروض الأنف ٢/ ٢٤٥).

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٣٨٢، نهاية الأرب ١٦/ ٣٤٠، عيون الأثر ١/ ١٩٢، عيون التواريخ ١/ ١٠٢، سيرة ابن كثير ٢/ ٢٧٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣، عيون التواريخ ١/ ١٠٢، عيون الأثر ١/ ١٩٢، ١٩٣، سيرة ابن كثير ٢/ ٢٧٠.

قال ابن إسحاق: وحدّثني هذا، من حديث عليّ رضي الله عنه، هند ابن سعد بن سهل بن حُنيف، رضي الله عنه.

مسجد قُباء[1]: **قال ابن إسحاق**: فأقام رسول الله ـ ﷺ ـ بقُباء، في بني عمرو بن عوف، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسّس مسجده[2].

خروج الرسول من قُباء وذهابه إلى المدينة: ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أيّ ذلك كان[3]. فأدركتْ رسول الله ﷺ الجمعةُ في بني سالم بن عوف، فصلّاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوناء، فكانت أول جمعة صلّاها بالمدينة[4].

اعتراض القبائل له لينزل عندها: فأتاه عُتبان بن مالك، وعبّاس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله. أقِمْ عندنا في العدد والعُدّة والمنعة؛ قال: «خلّوا سبيلها، فإنها مأمورة»، لناقته: فخلّوا سبيلها؛ فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة، تلقّاه زياد بن لَبِيد، وفروة بن عمرو، في رجال من بني بياضة فقالوا: يا رسول الله: هلُمّ إلينا، إلى العدد والعُدَّة والمنعة؛ قال: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلّوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرّت بدار بني ساعدة، اعترضه سعد بن عُبادة، والمنذر ابن عمرو، في رجال من بني ساعدة؛ فقالوا: يا رسول الله؛ هلم إلينا إلى العدد والعُدَّة والمنعة؛ قال: «خلّوا سبيلها؛ فإنها مأمورة»، فخلّوا سبيلها، فانطلقت؛ حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعد بن الربيع، وخارجة بن زيد؛ وعبدالله بن رُواحة؛ في رجال من بني الحارث

---

(١) وهو أول مسجد بُني في الإسلام.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٨٣.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٨٣.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٩٤.

ابن الخزرج، فقالوا: يا رسول الله هلُمّ إلينا إلى العدد والعُدَّة والمنعة قال: «خلّوا سبيلها، فإنها مأمورة»؛ فخلّوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا مرّت بدار بني عدِيّ بن النجّار؛ وهم أخواله دِنْيا - أم عبد المطّلب؛ سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم - اعترضه سليط بن قيس؛ وأبو سليط؛ أسيرة بن أبي خارجة؛ في رجال من بني عدِيّ بن النجّار؛ فقالوا. يا رسول الله؛ هلُمَّ إلى أخوالك؛ إلى العدد والعُدَّة والمنعة؛ قال؛ «خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة»؛ فخلّوا سبيلها، فانطلقت.

مبرك الناقة: حتى إذا أتت دارَ بني مالك بن النجّار؛ بركت على باب مسجده ﷺ؛ وهو يومئذ مِرْبد[1] لغُلامين يتيمين من بني النجّار؛ ثم من بني مالك بن النجّار؛ وهما في حجْر مُعاذ بن عفراء؛ سهل وسُهيل ابني عمرو. فلما بركت؛ ورسول الله - ﷺ - عليها لم ينزل، وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله - ﷺ - واضعٌ لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها؛ فرجعت إلى مَبركها أول مرّة؛ فبركت فيها؛ ثم تحلحلت ورزمت وألقت بِجرانها[2] فنزل عنها رسول الله - ﷺ -؛ فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله، فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله - ﷺ -، وسأل عن المِرْبد لمن

---

(١) المِرْبَد: المكان الذي يُجَفّف فيه التمر.

(٢) تحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أي: بعنقها، وفسّره ابن قُتيبة على تلحلح أي: لزم مكانه: ولم يبرح، وأنشد:

أناس إذا قيل انفروا قد أتيتم ... أقاموا على أثقالهم وتلحلحوا

قال: واما تحلحل بتقديم الحاء على اللام فمعناه: زال عن موضعه، وهذا الذي قاله قوي من الاشتقاق فإنّ التلحلح يشبه أن يكون من: لحت عينه إذا التصقت، وهو ابن عمّي لحا.

وأما التحلحل: فاشتقاقه من الحلّ والانحلال بين، لأنه انفكاك شيء، ولكن الرواية في سيرة ابن إسحاق: تحلحلت بتقديم الحاء على اللام، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوباً من تحلحلت، فيكون معناه: لصقت بموضعها، وأقامت على المعنى الذي فسّره ابن قُتيبة في تلحلحت.

وأما قوله: ورزمت الناقة رزوماً إذا أقامت من الكلال زوم ونوق رزمى، اما أرزمت بالألف، فمعناه: رغت ورجعت في رغائها، ويقال منه: أرزم الرعد، وأرزمت الريح، قاله صاحب العين. (الروض الأنف ٢/٢٤٧).

هو؟ فقال لـه مُعاذ بن عفـراء: هو يـا رسول الله لسهـل وسُهيل ابني عمـرو[1] وهما يتيمان لي؛ وسأرضيهما منه، فاتّخذه مسجداً.

مسجد المدينة قال: فأمر بـه رسول الله - ﷺ - أن يُبْنى مسجـداً، ونزل رسـول الله - ﷺ - على أبي أيّوب حتى بني مسجـده ومساكنـه[2]؛ فعمـل فيـه رسـول الله - ﷺ - ليرغّب المسلمين في العمـل فيه، فعمـل فيه المهـاجـرون والأنصار؛ ودأبوا فيه؛ فقال قائل من المسلمين:

لئـن قـعـدنـا والـنّـبـيُّ يـعـمـلُ ... لـذاك مـنّـا الـعـمـلُ الـمـضـلِّلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لا عـيش إلّا عـيش الآخـره ... اللهمّ ارحَمِ الأنصـارَ والمُهـاجِـرَهْ

قال ابن هشام: هذا كلام وليس برجز.

قال ابن إسحاق: فيقول رسول الله - ﷺ -: «لا عيش إلا عيش الآخره، اللهمّ ارحم المهاجرين والأنصار»[3].

عمّار والفئة الباغية: قال: فدخـل عمّار بن يـاسر: وقـد أثقلوه باللَّبِن، فقـال يـا رسـول الله - ﷺ - قتلوني: يحملون عليّ مـا لا يحملون. قـالت أمّ سَلَمة زوج النبيّ - ﷺ -: فرأيت رسـول الله - ﷺ - ينفض وفرتـه بيده: وكـان رجلاً جعْداً: وهو يقول: «ويْح ابن سُمَيّة ليسوا بالذين يقتلونك: إنّما تقتلك الفئة الباغية»[4].

---

(١) سهل وسهيل هما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمـرو بن عبيد بن ثعلبـة بن غَنْم بن مالـك بن النجار وقد شهد سهيل بدرا والمشاهد كلها، ومات في خلافة عمر؛ أما سهل فلم يشهـد إلا ما بعد بدر، ومات قبل أخيه سهيل.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٩٦، نهاية الأرب ١٦/٣٤١، ٣٤٢، طبقـات ابن سعد ١/٢٣٦، ٢٣٧، تاريخ الإسلام ٣٣٥.

(٣) أخـرج البخاري نحـوه في مناقب الأنصـار (٣/٢٢٥). باب دعـاء النبي ﷺ أصْلح الأنصار والمهاجرة. وانظر: انساب الأشراف ١/٢٦٩، والطبقات لأبن سعد ١/٢٤٠، ونهاية الأرب ١٦/٣٤٤، وعيون الأثر ١/١٩٥، وسيرة ابن كثير ٢/٣٠٤.

(٤) أخـرج مسلم حـديثـاً بنحـوه في الفتن (٢٩١٥) بـاب لا تقـوم السـاعـة حتى تعبـد دوس ذا =

وارتجز عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ:

لا يستوي من يَعمُرُ المساجدا يدأب فيه قائماً وقاعدا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر، عن هذا الرجز، فقالوا: بَلَغَنا أنّ عليّ بن أبي طالب ارتجز به، فلا يُدْرى: أهو قائله أم غيره.

قال ابن إسحاق: فأخذها عمّار بن ياسر، فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام: فلما أكثر، ظنّ رجل من أصحاب رسول الله - ﷺ - أنه إنّما يعرِّض به، فيما حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن ابن إسحاق، وقد سمّى ابن إسحاق الرجل[1].

قال ابن إسحاق: فقال: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سُميَّة، والله إنّي لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك. قال: وفي يده عصا. قال: فغضب رسول الله - ﷺ - ثم قال: «ما لهم ولعمّار، يدعوهم إلى الجنّة، ويدعونه إلى النار، إنّ عمّاراً جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه».

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عُيينة، عن زكريّا، عن الشّعبيّ، قال: إنّ أول من بنى مسجداً عمّار بن ياسر[2].

= الخلصة.. وأحمد في المسند ٥/٣، وابن سعد في الطبقات ٢٥٢/٣، ٢٥٣، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٢٠/١، وتاريخ الإسلام ٣٩١، ويروى الحديث من طرق كثيرة ولفظ مختلف، انظر: معجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي (بتحقيقنا) ٢٨٣، ٢٨٤ (المتن والحاشية. وتاريخ الاسلام (المغازي) (بتحقيقنا) ص ٣٨.

(١) وإنما لم يسمّه ابن هشام لئلا يذكر بسوء احدَ الصحابة ولا نسميه نحن ايضاً فقد اختلفوا في اسمه على أقوال كثيرة، وليس في تسميته فائدة. (الروض الأنف ٢٤٧/٢).

(٢) كيف أضاف إلى عمّار بنيان المسجد، وقد بناه معه الناس؟ نقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قُباء، لأنّ عمّاراً هو الذي أشار على النبيّ ﷺ ببنيانه، وهو جمع الحجارة له، فلما أسّسه رسول الله ﷺ استتمّ بنيانه عمّار. (الروض الأنف ٢٤٨/٢).

الرسول ينـزل في بيت أبي أيّوب: قـال ابن إسحاق: فـأقام رسـول الله ﷺ في بيت أبي أيّوب، حتى بنى له مسجده ومساكنه[1]، ثم انتقل إلى مسكنه من بيت أبي أيوب، رحمة الله عليه ورضوانه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيـد بن أبي حبيب، عن مَرْثَـد بن عبدالله اليَزَني، عن أبي رُهم السماعيّ، قال: حدّثني أبو أيوب، قال: لما نـزل عليّ رسول الله - ﷺ - في بيتي، نزل في السفـل، وأنا وأمّ أيـوب في العُلوّ، فقلت له: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمّي، إنّي لأكره وأعـظم أن أكون فـوقك. وتكـون تحتي، فاظهر أنت فكن في العلوّ، وننزل نحن فنكون في السفل، فقال: «يـا أبا أيّوب، إنّ أرفق بنـا وبمن يغشانا، أن نكون في سفل البيت».

قال: فكان رسـول الله - ﷺ - في سُفله، وكنّا فـوقه في المسكن، فقـد انكسر حبّ[2] لنا فيه ماء، فقمت أنا وأمّ أيوب بقطيفة لنا، مالنا لحاف غيرها، نكشف بها الماء، تخوّفاً أن يقطر على رسول الله - ﷺ - منه شيء فيؤذيه.

قال: وكنّا نصنع له العشاء، ثم نبعث إليه، فـإذا ردّ علينا فضله تيمّمت أنا وأمّ أيوب موضع يده، فأكلنا منه نبتغي بـذلك البـركة، حتى بعثنـا إليه ليلة

---

(١) وبُني مسجد رسول الله ﷺ وسُقف بالجريد وجُعلت قبلته من الّلبن، ويقال: بل من حجـارة منضـودة بعضها على بعض، وجُعلت عُمـده من جذوع النخـل، فنُخِـرت في خـلافـة عمـر فجرّدها، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بـالفضّة وسقفـه بالسـاج، وجعل قبلتـه من الحجارة، فلما كانت أيام بني العباس بناه محمد بن ابي جعفر المتسمّى بالمهديّ، ووسّعـه وزاد فيه، وذلك في سنة ثنتين ومائتين: وأتقن بنيانه، ونقش فيه ثمّ زيد فيه البنيان والنقـوش على ممرّ العصور، زاده الله تشريفاً، وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة، بعضها من جـريد مـطيّن بالـطين وسقفها جـريد، وبعضهـا من حجارة مـرضومـة، بعضها فـوق بعض، مسّقفة بالجريد أيضاً. وقال الحسن بن أبي الحسن: كنت أدخل بيوت النبيّ عليه السـلام، وأنا غـلام مراهق، فأنال السقف بيدي، وكانت حُجره - عليه السلام - أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر. وفي (تاريخ البخاري) أنّ بابه عليه السلام كان يُقـرع بالأظـافر، أي لا حَلَق لـه، ولما تُوفّي ازواجه عليه السلام خُلطت البيوت والحجر بالمسجد، وذلـك في زمن عبدالملك، فلما ورد كتابه بذلك ضجّ أهل المدينة بالبكاء، كيوم وفاته عليه السلام، وكان سريـره خشبات مشـدودة بالليف، بيعت زمن بني أميّة، فاشتراها رجل بـأربعة آلاف دِرهم. قـاله ابن قُتيبـة. (الروض الأنف ٢/٢٤٨)

(٢) الحب: الجرة الضخمة جمعه حببة مثل حجر وحجرة. (انظر المعرب للجواليقي ١٢٠).

بعشائه وقد جعلنا له بصلاً أو ثوماً، فردّه رسول الله ـ ﷺ ـ، ولم أر ليده فيه أثراً. قال: فجئته فزعاً، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، رددت عشاءك، ولم أر فيه موضع يدك، وكنت إذا رددته علينا، تيمّمت أنا وأمّ أيوب موضع يدك، نبتغي بذلك البركة؛ قال: «إنّي وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه». فأكلناه، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد[1].

قال ابن إسحاق: وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فلم يبق بمكة منهم أحد، إلاّ مفتون أو محبوس، ولم يوعب أهل هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ـ ﷺ ـ إلاّ أهل دُور مسمَّون: بنو مظعون من بني جُمَح؛ وبنو جحش بن رئاب، حلفاء بني أميّة؛ وبنو البُكَير، من بني سعد بن ليث، حلفاء بني عدِيّ بن كعب، فإنّ دُورهم غُلّقت بمكة هجرةً، ليس فيها ساكن.

أبو سفيان وبنو جحش: ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم. عدا عليها أبو سفيان بن حرب، فباعها من عمرو بن علقمة، أخي بني عامر ابن لُؤَيّ؛ فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم، ذكر ذلك عبدالله ابن جحش لرسول الله ـ ﷺ ـ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «ألا ترضى يا عبدالله أن يعطيك الله بها داراً خيراً منها في الجنة؟ قال: بلى؛ قال: «فذلك لك». فلما افتتح رسول الله ـ ﷺ ـ مكة، كلّمه أبو أحمد في دارهم، فأبطأ عليه رسول الله ـ ﷺ ـ؛ فقال الناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد، إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عزّ وجلّ، فأمسك عن كلام رسول الله ـ ﷺ ـ، وقال لأبي سفيان:

أبلغ أبا سفيان عن ... أمرٍ عواقبه ندامه
دارَ ابن عمّك بعتها ... تقضي بها عنك الغرامه

(١) سبل الهدى ٣/٣٩٢، سيرة ابن كثير ٢/٢٧٧، ٢٧٨.

وحليفكم بالله ربّ الناس مجتهد القسامه
اذهبَ بها، اذهب بها طوّقتها طوق الحمامة[1]

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة إذ قدِمها شهرَ ربيع الأول، إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه، واستجمع له إسلام هذا الحيّ من الأنصار، فلم يبق دار من دُور الأنصار إلاّ أسلم أهلها، إلاّ ما كان من خَطْمة، وواقف، ووائل، وأميّة، وتلك أوس الله، وهم حيّ من الأوس، فإنهم أقاموا على شِرْكهم.

خطب رسول الله ـ ﷺ ـ: وكانت أول خطبة خطبها رسول الله ـ ﷺ ـ: فيما بلغني، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن ـ نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ـ ﷺ ـ ما لم يقل ـ أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فقدّموا لأنفسكم. تعلمُنّ والله ليُصْعقنّ أحدكم، ثم ليدعنّ غنمه ليس لها راع، ثم ليقولنّ له ربّه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلّغك، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك؟ فما قدّمت لنفسك؟ فلينظرنّ يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرنّ قدّامه فلا يرى غير جهنّم. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقٍّ من تمره فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإنّ بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[2].

قال ابن إسحاق: ثم خطب رسول الله ـ ﷺ ـ الناس مرة أخرى، فقال: «إنّ الحمدلله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضْلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زيّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٦٩.
(٢) سبل الهدى ٣/٤٧٧، الإمتاع والمؤآنسة للمقريزي ١/٤٦.

ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبّوا ما أحبّ الله، أحبّوا الله من كلّ قلوبكم، ولا تملّوا كلامَ الله وذِكره، ولا تقْس عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى، وقد سمّاه الله خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث؛ ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتّقوه حقّ تُقاته، واصْدقُوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابُّوا بروح الله بينكم إنّ الله يغضب أن يُنْكَثَ عهدُه، والسلام عليكم»[1].

الرسول يوادع اليهود: قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ـ ﷺ ـ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبيّ ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرِب، ومن تبِعهم، فلحِق بهم، وجاهد معهم، إنّهم أمّة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على رِبعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم[2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عوف على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم[3] الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين: وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو النجّار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكّل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عمرو بن عوْف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون

(١) سيرة ابن كثير ٢/٣٠٢، سبل الهدى ٣/٤٧٧، ٤٧٨.
(٢) عانيهم: أسيرهم.
(٣) المعاقل: الديات.

معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وإنّ المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل».

قال ابن هشام: المفرح: المُثْقَل بالدَّيْن والكثير العيال. قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدّي أمانةً   وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

«وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه؛ وإنّ المؤمنين المتّقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة[1] ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين؛ وإنّ أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم؛ ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن؛ وإنّ ذمّة الله واحدة يجير عليهم أدناهم؛ وإنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس؛ وإنه من تبعنا من يهود فإنّ له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم؛ وإنّ سِلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلاّ على سواء وعدل بينهم؛ وإنّ كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً؛ وإنّ المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله؛ وإنّ المؤمنين المتّقين على أحسن هدى وأقومه؛ وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط[2] مؤمناً قتْلا عن بيّنة فإنه قوَد به إلا أن يرضى وليّ المقتول، وإنّ المؤمنين عليه كافة، ولا يحلّ لهم إلاّ قيام عليه؛ وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً ولا يؤويه؛ وأنه من نصره أو آواه، فإنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل؛ وإنّكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد ﷺ؛ وإنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلاّ من ظلم وأثِم، فإنه لا

(١) الدسيعة: العظيمة.

(٢) اعتبط: قتل بلا جناية.

يوتغ[1] إلا نفسه، وأهل بيته، وإنّ ليهود بني النجّار مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني جُشم مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف؛ إلّا من ظلم وأثِم، فإنه لا يوتغ إلّا نفسه وأهل بيته؛ وإنّ جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم؛ وإنّ لبني الشُطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإنّ البرّ دون الإثم؛ وإنّ موالي ثعلبة كأنفسهم؛ وإنّ بطانة يهود كأنفسهم؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلّا بإذن محمد ﷺ؛ وإنه لا ينحجز على ثار جُرح؛ وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلّا من ظلم؛ وإنّ الله على أبرّ هذا[2]، وإنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم؛ وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة؛ وإنّ بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه؛ وإنّ النصر للمظلوم؛ وإنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة؛ وإنّ الجار كالنفس غير مُضارّ ولا آثم؛ وإنه لاتجار حُرمة إلّا بإذن أهلها؛ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشْتِجار يخاف فساده، فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد رسول الله - ﷺ -؛ وإنّ الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه؛ وإنه لا تُجار قريش ولا مَن نصرها؛ وإنّ بينهم النصر على من دَهَم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنّهم يصالحونه ويلبسونه؛ وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلّا من حارب في الدين، على كل أناس حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم؛ وإنّ يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن هشام: ويقال: مع البرّ المحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن إسحاق: وإنّ البرّ دون الإثم، لا يكسب كاسب إلّا على

---

(١) يوتغ: يهلك.

(٢) أي على الرضا به.

نفسه؛ وإنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه؛ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلّا من ظلم أو أثم؛ وإنّ الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله - ﷺ -[1]».

المؤآخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله - ﷺ - بين أصحابه من المهاجرين والأنصار[2] فقال - فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل -: تآخوا في الله أخوين أخوين؛ ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب، فقال: هذا أخي. فكان رسول الله - ﷺ - سيد المرسلين، وإمام المتّقين، ورسول ربّ العالمين، الذي ليس له خطير[3] ولا نظير من العباد، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أخوين؛ وكان حمزة بن عبدالمطّلب، أسد الله وأسد رسوله - ﷺ - وعمّ رسول الله - ﷺ -، وزيد بن حارثة، مولى رسول الله - ﷺ - أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أُحُد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت؛ وجعفر ابن أبي طالب ذو الجناحين، الطيّار في الجنّة، ومُعاذ بن جبل، أخو بني سلمة، أخوين.

قال ابن هشام: وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة.

---

(١) قال أبو عبيد في كتاب (الأموال ٢٠٢ - ٢٠٦): إنما كتب رسول الله ﷺ هذا الكتاب قبل أن تُفرض الجزية، وإذ كان الإسلام ضعيفاً. قال: وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين، كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب.

وانظر نص المعاهدة في كتاب الأموال، والبداية والنهاية ٢٢٤/٣ - ٢٢٦، وسبل الهدى ٥٥٥/٣، ٥٥٦ (بالحاشية)، ومجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله ٧/١ طبعة القاهرة ١٩٤٢، والروض الأنف ٢٥٢/٢

(٢) آخى رسول الله ﷺ بين اصحابه حين نزلوا المدينة، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشدّ أزر بعضهم ببعض، فلما عزّ الإسلام واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه: ﴿وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾ أعني في الميراث، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ يعني في التوادّ وشمول الدعوة. (الروض الأنف ٢٥٢/٢).

(٣) الخطير: المثل.

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه، ابن أبي قُحافة، وخارجة بن زهير، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين. وعمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وعِتبان بن مالك، أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين وأبو عبيدة بن عبدالله بن الجرّاح، واسمه عامر بن عبدالله، وسعد بن مُعاذ بن النعمان، أخو بني عبد الأشهل، أخوين. وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين. والزبير بن العوام، وسلمة بن سلامة بن وقش، أخو بني عبد الأشهل، أخوين. ويقال؛ بل الزبير وعبدالله بن مسعود حليف بني زهرة، أخوين؛ وعثمان بن عفان، وأوس بن ثابت بن المنذر، أخو بني النجّار، أخوين. وطلحة بن عُبيد الله، وكعب بن مالك، أخو بني سلمة، أخوين. وسعد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وأُبَيّ بن كعب، أخو بني النجّار: أخوين، ومُصعب بن عُمير بن هاشم، وأبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النّجّار: أخوين؛ أبو حُذيفة بن ربيعة، وعبّاد بن بشْر بن وقش، أخو بني عبد الأشهل؛ أخوين. وعمّار بن يسار، حليف بنو مخزوم، وحُذيفَة بن اليمان، أخو بني عبد عبس، حليف بني عبد الأشهل: أخوين. ويقال: ثابت بن قيس بن الشمّاس، أخو بلحارث بن الخزرج خطيب رسول الله - ﷺ -، وعمار بن ياسر؛ أخوين. وأبو ذرّ، وهو برير بن جنادة الغفاريّ، والمنذر بن عمرو، المعنق ليموت[1]، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: أخوين.

قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من العلماء يقول: أبو ذرّ: جندب ابن جنادة.

قال ابن إسحاق: وكان حاطب بن أبي بلتعة، حليف بني أسد بن عبد العُزّى، وعُويم بن ساعدة، أخو بني عمرو بن عوف، أخوين؛ وسلمان

---

(١) أي أنّ الموت أسرع إليه وساق إليه أجله.

الفارسيّ، وأبو الدرداء، عُويمر بن ثعلبة، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين.

قال ابن هشام: عويمر بن عامر؛ ويقال: عويمر بن زيد.

قال ابن إسحاق: وبلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما، مؤذّن رسول الله - ﷺ -، وأبو رُويحة، عبدالله بن عبدالرحمن الخثعمي، ثم أحد الفزع[1]، أخوين، فهؤلاء من سُمّي لنا، ممن كان رسول الله - ﷺ - آخى بينهم من أصحابه.

فلما دوَّن عمر بن الخطّاب الدواوين بالشام، وكان بلال قد خرج إلى الشام، فأقام بها مجاهداً، فقال عمر لبلال: إلى من تجعل ديوانك يا بلال؟ قال: مع أبي رُويحة، لا أفارقه أبداً، للأخوَّة التي كان رسول الله - ﷺ - عقد بينه وبيني، فضمّ إليه، وضمّ ديوان الحبشة إلى خثعم، لمكان بلال منهم، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام[2].

أبو أُمامة[3]

قال ابن إسحاق: وهلك في تلك الأشهر أبو أُمامة، أسعد بن زُرارة، والمسجد يُبنَى، أخذته الذِّبحة أو الشهقة[5].

---

(١) هو ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل، وأفتل هو خثعم بن أنمار، وقد اختلف النسّابون فيما بعد أنمار.

والفزع هذا بفتح الزاي، واما الفزع بسكونها، فهو الفزع بن عبدالله بن ربيعة؛ وكذلك الفزع في خُزاعة، وفي كلب هما ساكنان ايضاً قاله ابن حبيب؛ وقال الدارقطني: الفزع بفتح الزاي؛ رجل يروي عن ابن عمر. (الروض الأنف ٢/٢٥٢).

(٢) أنظر: أنساب الاشراف ١/٢٦٩ - ٢٧١، نهاية الأرب ١٦/٣٤٧، ٣٤٨، الروض الأنف ٢/٢٥٢، الطبقات الكبرى ١/٢٣٨، سيرة ابن كثير ٢/٣١٩.

(٣) انظر عنه في: المسند لأحمد ٤/١٣٨، الطبقات لأبن سعد ٣/١٣٨، الطبقات لخليفة ٩٠، ٩١، تاريخ خليفة ٥٦، المعارف ٣٠٩، الجرح والتعديل ٢/٣٤٤، الاستبصار ٥٦ - ٥٨، تاريخ الطبري ٢/٣٩٧، الاستيعاب ١/١٥٣ - ١٥٦، أسد الغابة ١/٨٦، العبر ١/٣، الإصابة ١/٥٠، شذرات الذهب ١/٩، عيون التواريخ ١/١٠٧، سيرة ابن كثير ٢/٣٢٩.

(٤) الذبحة: وجع الحلق يختنق فيقتل. (تاج العروس ٦/٣٧٢).

(٥) الشهقة: الصيحة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، عن يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أسعد بن زُرارة: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: «بئس الميت أبو أُمامة، ليهود ومنافقي العرب يقولون: لو كان نبيًّا لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً»(1).

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة الأنصاريّ: أنه لما مات أبو أُمامة، أسعد بن زُرارة، اجتمعت بنو النجّار إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، وكان أبو أُمامة نقيبهم، فقالوا له: يا رسول الله: إنّ هذا قد كان منّا حيث قد علمت، فاجعل منّا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لهم: «أنتم أخوالي، وأنا بما فيكم، وأنا نقيبكم»؛ وكرِه رسول الله ـ ﷺ ـ أن يخصّ بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بني النجّار الذي يعدون على قومهم، أن كان رسول الله ـ ﷺ ـ نقيبهم(2).

خبر الأذان(3)

قال ابن إسحاق: فلما اطمأنّ رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة، واجتمع إليه

---

(1) تاريخ الطبري ٢/٣٩٧، وأخرج نحوه ابن ماجه في الطب (٣٤٩٢) باب من اكتوى، وابن عبدالبر في الاستيعاب ٥/٤٦٩، وأخرج احمد ٤/٦٥ و ٥/٣٧٨ وابن سعد ٣/١٤٠ من طريق زهير، عن أبي الزبير، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن بعض اصحاب النبيّ ﷺ قال: كوى رسول الله ﷺ أسعد أو سعد بن زرارة مرتين في حلقه من الذبحة، وقال: «لا أدع في نفسي منه حرجاً»، وهو في الموطأ ٢/٩٤٤ عن يحيى بن سعيد، قال: بلغني ان سعد بن زرارة اكتوى في زمن رسول الله ﷺ من الذبحة فمات. وروى شعبة، عن محمد ابن عبدالرحمن، ان جدّه أسعد بن زرارة اصابه وجع الذبح في حلقه، فقال رسول الله ﷺ: «لأبلغنّ أو لأُبلينّ في أبي أُمامة عذراً» فكواه بيده فمات. فقال رسول الله ﷺ: «ميتة سوء لليهود، يقولون: هلاّ دفع عن صاحبه، ولا أملك له ولا لنفسي من الله شيئاً». (سير أعلام النبلاء ١/٣٠١).

(2) تاريخ الطبري ٢/٣٩٨، الطبقات لابن سعد ٣/١٤١، المستدرك على الصحيحين ٣/١٨٦، سير أعلام النبلاء ١/٣٠٠.

(3) الطبقات الكبرى ١/٢٤٦ ـ ٢٤٨، انساب الاشراف ١/٢٧٣، نهاية الأرب ١٦/٣٩٩، ٤٠٠، عيون الأثر ١/٢٠٣ ـ ٢٠٦، سيرة ابن كثير ٢/٣٣٤.

إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفُرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفُرض الحلال والحرام، وتبوّأ الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحيّ من الأنصار هم الذين تَبوَّءوا الدار والإيمان. وقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ حين قدِمها إنّما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة، فهمَّ رسول الله ـ ﷺ ـ حين قدِمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرِهه؛ ثم أمر بالناقوس، فنُحِت ليضرب به للمسلمين للصلاة.

رؤيا عبدالله بن زيد: فبينما هم على ذلك، إذ رأى عبدالله بن زيد ابن ثعلبة بن عبد ربه، أخو بلحارث بن الخزرج، النداء، فأتى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال له: يا رسول الله، إنه طاف بيَ هذه الليلة طائف: مرّ بي رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبدالله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلّك على خيرٍ من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: «الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أنّ محمداً رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله».

فلما أخبر بها رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: إنّها لرؤيا حقّ، إن شاء الله، فقم مع بلال فألقِها عليه، فليؤذّن بها، فإنه أندى[1] صوتاً منك». فلما أذّن بها بلال سمعها عمر بن الخطّاب وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو يجرّ رداءه، وهو يقول: يا نبيّ الله والذي بعثك بالحقّ، لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فلله الحمد على ذلك»[2].

---

(١) أندى: أحسن وأبدع.

(٢) الطبقات الكبرى ١/٢٤٦، ٢٤٧ برواية محمد بن عمر الأسلمي، عن سليمان بن سليم=

رؤيا عمر: قال ابن إسحاق: حدّثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم ابن الحارث، عن محمد بن عبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه، عن أبيه.

قال ابن هشام: وذكر ابن جُريج، قال لي عطاء: سمعت عُبيد بن عُمير اللّيثي يقول: ائتمر النّبيّ ﷺ وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطّاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس، إذ رأى عمر بن الخطاب في المنام، لا تجعلوا الناقوس، بل أذّنوا للصلاة. فذهب عمر إلى النبيّ ﷺ ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النبيَّ ﷺ الوحيُ بذلك، فما راع عمر إلّا بلال يؤذّن، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ حين أخبره بذلك: «قد سبقك بذلك الوحي»[1].

ما كان يدعو به بلال قبل الفجر: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، عن امرأة من بني النجّار، قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذّن عليه للفجر كلّ غَداة، فيأتي بسَحَر، فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطّى، ثم قال: اللهم إنّي أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا على دينك. قالت: والله ما علمته كان يتركها ليلةً واحدة[2].

أبو قيس ابن أبي أنس[3]

قال ابن إسحاق: فلما اطمأنّت برسول الله ـ ﷺ ـ داره، وأظهر الله بها

= القاري، عن سليمان بن سحيم، عن نافع بن جبير. وعن عبدالحميد بن جعفر، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، وعن هشام بن سعيد، عن زيد بن اسلم، وعن معمر بن راشد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب.

(١) أنساب الأشراف ١/٢٧٣ رقم ٦٣٦، عيون الأثر ١/٢٠٥، سيرة ابن كثير ٢/٣٣٧.

(٢) سيرة ابن كثير ٢/٣٣٨ ورواه ابو داود من حديثه منفرداً به.

(٣) الاستيعاب ٢/٢٠٢، أنساب الاشراف ١/٢٦٨، الإصابة ٢/١٨٣، ١٨٤.

دينه، وسرّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته؛ قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أخو بني عديّ بن النجّار.

قال ابن هشام: أبو قيس، صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدِيّ بن عامر بن غَنْم بن عدِيّ بن النجّار.

قال ابن إسحاق: وكان رجلاً قد ترهّب في الجاهلية، ولبس المُسُوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهّر من الحائض من النساء، وهمّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها، ودخل بيتاً له فاتّخذه مسجداً لا تدخله عليه فيه طامث ولا جُنُب، وقال: أعبد ربَّ إبراهيم، حين فارق الأوثان وكرهها، حتى قدِم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، فأسلم وحَسُن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوّالاً بالحقّ معظِّماً لله عزّ وجلّ في جاهليته، يقول أشعاراً في ذلك حِساناً ـ وهو الذي يقول:

يقول أبو قيس وأصبح غاديا[1]: ... ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
فأوصيكم بالله والبرّ والتُّقى ... وأعراضكم، والبرّ بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم[2] ... وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم ... فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن ناب[3] غرم فادح فارفقوهم ... وما حمَّلوكم في الملمّات فاحملوا
وإن أنتمُ أمعرتم[4] فتعففوا ... وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا[5]

قال ابن هشام: ويُروى:

وإن ناب أمر فادح فارفدوهم

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة أيضاً:

---

(١) في الاستيعاب «ناصحاً».
(٢) في الاستيعاب «تحسدوهم».
(٣) في الاستيعاب «يأت».
(٤) امعرتم: افتقرتم. وفي الاستيعاب «أملقتم».
(٥) الاستيعاب ١٥٨/٤.

سبّحوا الله شرق كلّ صباح طلعت شمسه وكلّ هلال
عالم السرّ والبيان لدينا ليس ما قال ربّنا بضلال
وله الطَّيرُ تَسْتَريد[1] وتأوي في وُكور من آمنات الجبال
وله الوحشُ بالفلاة تراها في حِقافٍ[2] وفي ظلال الرّمال
وله هَوَّدَتْ[3] يهودُ ودانت كلَّ دين إذا ذكرت عُضال
وله شمّس[4] النّصارى وقاموا كلّ عيدٍ لربّهم واحتفال
وله الراهبُ الحبيسُ[5] تراهُ رهْنَ بؤسٍ وكانَ ناعمَ بال
يا بَنيّ الأرحام لا تقطعوها وصِلُوها قصيرة من طِوال[6]
واتّقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يُستحلّ غيرُ الحلال
واعلموا أنّ لليتيم وليّاً عالماً يهتدي بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه إنّ مال اليتيم يرعاه والي
يا بَنيّ، التخوم لا تخْزلوها إنّ خزل التخوم ذو عُقّال[7]
يا بَنيّ الأيام لا تأمنوها واحذروا مكرها ومرّ[8] الليالي
واعلموا أنّ مَرَّها لنَفاد الـ ـخلق ما كان من جديد وبالي
واجمعوا أمركم على البرّ والتّقْـ ـوَى وترك الخَنَا وأخذ الحلال[9]

وقال أبو قيس صِرْمة أيضاً، يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الإسلام، وما خصّهم الله به من نزول رسوله ﷺ عليهم:

(١) تستريد: تذهب وترجع.
(٢) حقاف الرمل: ما تكدّس منه في استدارة.
(٣) هوّدت: رجعت.
(٤) شمّس: تعبّد.
(٥) الراهب الحبيس: الذي حبس عن ملذّات الدنيا.
(٦) أي إن كانت قصيرة فصلوها أنتم من فضلكم.
(٧) التخوم: الحدود، والخزلان: القطع، والعقّال: المنع. وفي الاستيعاب ١٥٩/٤:
«يا بني النجوم لا تخذلوها إن خذل النجوم ذو عُقال
(٨) في الاستيعاب «مكر».
(٩) ذكر ابن عبدالبر منها تسعة أبيات. (١٥٨/٤، ١٥٩).

ثوى[1] في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجّةً ... يـذكّـر لـو يَلْقى صـديقـاً مُـواتيـا
ويعـرِضُ في أهـل المـواسم نفسَـه ... فلم يـر من يُؤْوي ولم يَـرَ داعـيـا
فلمـا أتـانـا أظهـر الله ديـنـه[2] ... فـأصبح مسـروراً بـطِيبـةَ راضيا
وألفى صـديقاً واطمـأنّت بـه النَّوى ... وكـان لـه عـونـاً من الله بـاديـا
يَقُصّ لنـا مـا قـال نـوحٌ لقـومـه ... ومـا قال مـوسى إذْ أجـاب المُنـاديـا
فأصبح لا يخشى من النـاس واحداً ... قـريباً ولا يخشى من النـاس نائيـا[3]
بـذلنـا لـه الأمـوال من حـلّ مـالنـا ... وأنفسنـا عنـد الـوغى والتـآسيـا
ونـعـلـم أنّ الله لا شـيء غـيـرُه ... ونـعـلـم أنّ الله أفـضـلُ هـاديـا[4]
نُعادي الذي عـادى من الناس كلّهم ... جميعاً وإنْ كان الحبيبَ المُصـافيا[5]
أقـول إذا أدعـوك في كـلّ بيعـة: ... تبـاركتَ قد أكثـرتُ لاسمك داعيـا
أقـولُ إذا جـاوَزتُ أرْضـاً مخُـوفـةً: ... حَنـانَيْك لا تُـظْهـر عليَّ الأعـاديـا
فـطأ مُعْـرِضـاً إنّ الحُتُـوف كثيـرةٌ ... وإنّـك لا تُبقـي لنفسِـك بـاقيـا
فـوالله مـا يـدري الفتى كيف يتّقي ... إذا هـو لم يجعـل لـه الله واقيـا
ولا تَحْفِـلُ النخـلُ المُعيمـةُ[6] ربَّهـا ... إذا أصبحت ريّـاً وأصبح تـاويَـا[7]

قال ابن هشام: البيت الذي أوله:

فطأ معرضاً إن الحتوف كثيرة

---

(١) ثوى: اقام.
(٢) وفي رواية: «فلما أتانا واطمأنّت به النوى» (تاريخ الإسلام ٣٣٧) وفي رواية «استقرّت به النوى». (الاستيعاب ٢/٢٠٣).
(٣) في الاستيعاب
«وأصبـح مـا يخشى ظـلامـة ظـالم ... بعيدٍ ولا يخشى من النـاس بـاغيـا»
(٤) في تاريخ الإسلام «وأن كتاب الله أصبح هادياً».
(٥) في الاستيعاب «المواتيا»، وفي تاريخ الإسلام «المواسيا».
(٦) المعيمة: العاطشة.
(٧) التاوي: الهالك.
وانظر الأبيات باختلاف في الألفاظ وتقديم وتأخير ونقص في: تاريخ الطبري ٢/٣٨٥، ٣٨٦، الاستيعاب ٢/٢٠٣، ٢٠٤، أنساب الاشراف ١/٢٦٨، دلائل النبوة للبيهقي، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٣٧، سيرة ابن كثير ٢/٢٨٣، مروج الذهب (طبعة بولاق) ١/٣٠٩.

والبيت الذي يليه:

فوالله ما يدري الفتى كيف يتّقي

لأفنون التغلبيّ، وهو صريم بن معشر، في أبياتٍ له.

عداوة اليهود

قال ابن إسحاق: ونصبت عند ذلك أحبارُ يهود لرسول الله - ﷺ - العداوة، بغياً وحسداً وضغناً، لِما خصّ الله تعالى به العربَ من أخْذه رسوله منهم، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج، ممن كان عسى[1] على جاهليّته - فكانوا أهل نفاق على دِين آبائهم من الشِرْك والتكذيب بالبعث، إلاّ أنّ الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتّخذوه جُنّةً من القتل، ونافقوا في السرّ، وكان هواهم مع يهود، لتكذيبهم النبيّ ﷺ، وجحودهم الإسلام، وكانت أحبار يهودهم الذين يسألون رسول الله - ﷺ - ويتعنّتونه، ويأتونه باللّبس، ليُلْبِسوا الحقّ بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه، إلاّ قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها.

[من بني النضير]: حُيَيّ بن أخطب، وأخواه أبو ياسر بن أخطب، وجديّ بن أخطب، وسلاّم بن مشكم، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، وسلام بن أبي الحُقَيق، وأبو رافع الأعور: وهو الذي قتله أصحاب رسول الله - ﷺ - بخيبر - والربيع بن الربيع بن أبي الحُقيق، وعمرو بن جحّاش، وكعب بن الأشرف، وهو من طيّء، ثم أحد بني نبهان، وأمه من بني النّضير، والحَجّاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، وكَرْدَم بن قيس، حليف كعب بن الأشرف، فهؤلاء من بني النضير[2].

---

(١) عسى: بقي.

(٢) أنساب الأشراف ١/٢٨٣، ٢٨٤، نهاية الأرب ١٦/٣٦٢.

ومن بني ثعلبة بن الفِطيون[1]: عبد الله بن صُوريا الأعور، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه؛ وابن صَلوبا، ومُخَيْريق، وكان حَبرهم، أسلم[2].

ومن بني قَيْنُقاع: زيد بن اللَّصِيت ـ ويقال: ابن اللُّصَيت ـ فيما قال ابن هشام ـ وسعد بن حُنيف، ومحمود بن سَيْحان، وعُزَيز بن أبي عُزيز، وعبدالله بن صيف. قال ابن هشام: ويقال: ابن ضَيف[3].

قال ابن إسحاق: وسُويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفِنْحاص، وأشْيَع، ونُعمان بن أضا، وبحرِي بن عمرو، وشأس بن عدِيّ، وشأس بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمرو، وسُكَين بن أبي سُكَين، وعديّ بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى، أبو أنس، ومحمود بن دحْية، ومالك ابن صيف. قال ابن هشام: ويقال: ابن ضَيف[4].

قال ابن إسحاق: وكعب بن راشد، وعازر، ورافع بن أبي رافع، وخالد وأزار بن أبي أزار. قال ابن هشام: ويقال: آزر بن آزر.

قال ابن إسحاق: ورافع بن حارثة، ورافع بن حُريملة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبدالله بن سلام ابن الحارث، وكان حَبْرهم وأعلمهم، وكان اسمه الحُصين، فلما أسلم سمّاه رسول الله ـ ﷺ ـ عبدالله[5]. فهؤلاء من بني قَيْنُقاع.

ومن بني قُرَيظة: الزبير بن باطا بن وهْب. وعزَّال بن شمويل، وكعب ابن أسد، وهو صاحب عقد بني قُرَيظة الذي نُقض عام الأحزاب، وشمويل

---

(١) الفطيون: كلمة عبرية تطلق على من ولي أمر اليهود.
(٢) أنساب الأشراف ١/٢٨٥ رقم ٦٤٣، نهاية الأرب ١٦/٣٦٢.
(٣) أنساب الأشراف ١/٢٨٥، نهاية الأرب ١٦/٣٦٢.
(٤) أنساب الأشراف ١/٢٨٤، نهاية الأرب ١٦/٣٦٢.
(٥) نهاية الأرب ١٦/٣٦٢، ٣٦٣.

ابن زيـد، وجبل بن عمرو بن سُكينة، والنحّـام بن زيد، وقَـرْدم بن كعب، ووهْب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وأبو نافع، وعـديّ بن زيد، والحـارث ابن عـوف، وكَردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رميلة، وجبـل بن أبي قُشَير، ووهْب بن يهوذا، فهؤلاء من بني قُرَيظة[1].

ومن يهـود بني زُرَيق: لَبِيـد بن أعصم، وهـو الـذي أخـذ رسـول الله - ﷺ - عن نسائه[2].

ومن يهود بني حارثة: كنانة بن صُوريا.

ومن يهود بني عمرو بن عوف: قَرْدَم بن عمرو.

ومن يهود بني النجّار: سِلسِلة بن بَرْهام.

فهؤلاء أحبـار اليهـود، أهـل الشـرور والعـداوة لـرسـول الله - ﷺ -

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٦٣.

(٢) يعني من الأخذة، وهي ضرب من السحْر. وكان لَبِيد هذا قـد سحر رسـول الله ﷺ، وجعل سحره في مشط ومشّاطة، وروي: مشّاقـة بالقـاف، وهي مشّاقـة الكتّان، وجف طلعـة ذكر، وهي فحـال النخل، وهـو ذكاره. والجفّ: غـلاف للطلعـة، ويكـون لغيـرهـا، وأكـثر أهـل الحـديث يقولـون: ذروان تحت راعوفـة البئر، وهي صخـرة في أسفله يقف عليها المـائح، وهذا الحديث مشهـور عند النـاس، ثابت عنـد أهل الحـديث، غير أني لم أجـد في الكتب المشهورة: كم لبث - رسول الله ﷺ، بذلك السحر، حتى شُفي منه، ثم وقعت على البيان في جامع معمر بن راشد، روى معمر عن الزُهْـري، قال: سُحـر رسولُ الله ﷺ سنـة يُخيَّل إليـه أنه يفعـل الفعل، وهـو لا يفعله وقد طعنت المعتـزلـة في الحـديث وطـوائف من أهـل البِدَع، وقالوا لا يجوز على الأنبياء ان يُسحروا، ولو جاز ان يُسحروا، لجاز ان يجنّوا، ونزع بعضهم بقوله عزّ وجلّ: ﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ والحديث ثابت خرّجه أهـل الصحيح، ولا مطعن فيه من جهة النقل، ولا من جهة العقل، لأنّ العصمة إنّما وجبت لهم في عقـولهم وأديـانهم، وأما أبدانهـم، فإنهم يُبتَلُون فيهـا، ويخلص إليهم بالجـراحة والضـرب والسمـوم والقتل، والأخذة التي أخـذها رسـول الله ﷺ من هذا الفن: إنمـا كانت في بعض جـوارحه دون بعض.

واما قوله سبحانه: ﴿وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فإنه قد رُوي أنه كان يحـرس في الغزو: حتى نزلت هذه الآية: فأمر حُرّاسه ان ينصرفوا عنه: وقال: لا حاجـة لي بكم: فقد عصمني الله من الناس: أو كما قال. عن (الروض الأنف ٢/٢٩٠).

وأصحابه، وأصحاب المسألة، والنصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه، إلا ما كان من عبدالله بن سَلام ومُخَيْريق[٢].

إسلام عبدالله بن سلّام[١]

قال ابن إسحاق: وكان من حديث عبدالله بن سلّام، كما حدّثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم، وكان حَبْراً عالماً، قال: لما سمعت برسول الله - ﷺ - عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنّا نتوكّف[٢] له، فكنت مُسِرًّا لذلك صامتاً عليه، حتى قدِم رسول الله - ﷺ - المدينة، فلما نزل بقُباء، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمّتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله - ﷺ - كبَّرت؛ فقالت لي عمّتي، حين سمعت تكبيري: خيّبك الله، والله لو كنتَ سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمّة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دِينه، بُعث بما بُعث به. فقالت: أي ابن أخي، أهو النبيّ الذي كنّا نُخبر أنه يُبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذاً. قال: ثم خرجت إلى رسول الله - ﷺ -، فأسلمتُ، ثم رجعت إلى أهل بيتي، فأمرتهم فأسلموا.

---

(١) أنظر عنه في: مسند أحمد ٥/٤٥٠، الطبقات الكبرى ٢/٣٥٢، ٣٥٣، التاريخ لابن معين ٢/٣١١، الطبقات لخليفة ٨، تاريخ خليفة ٥٦ و٢٥٦، التاريخ الكبير ٥/١٨، ١٩، المعرفة والتاريخ ١/٢٦٤، الجرح والتعديل ٥/٦٢، المستدرك على الصحيحين ٣/٤١٣، الاستبصار ١٩٣، الاستيعاب ٣/٩٢١، جامع الأصول ٩/٨١، أسد الغابة ٣/٢٦٤، تاريخ الإسلام ٢/٢٣٠، العبر ١/٥١، سير أعلام النبلاء ٢/٤١٣، مجمع الزوائد ٩/٣٢٦، أنساب الأشراف ١/٢٦٦ رقم ٦١٨، عيون الأثر ١/٢٠٦، نهاية الأرب ١٦/٣٦٣، تهذيب تاريخ دمشق ٧/٤٤٣ - ٤٤٨، صفة الصفوة ١/٣٠١، ٣٠٢، تهذيب الأسماء واللغات ق ١٨١/٢٧٠، ٢٧١ رقم ٣٠٤، تذكرة الحفّاظ ١/٢٦، ٢٧، مرآة الجنان ١/١٢٠، الوافي بالوفيات ١٧/١٩٨ - ١٩٩ رقم ١٨٤، تهذيب التهذيب ٥/٢٤٩ رقم ٤٣٧، الإصابة ٢/٣٢٠ رقم ٤٧٢٥ خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) بتحقيقنا ٣٢.

(٢) نتوكف: نتوقع.

قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله - ﷺ -، فقلت له: يا رسول الله، إنّ يهود قوم بُهْت، وإنّي أحبّ أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيّبني عنهم، ثم تسألهم عني، حتى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنّهم إن علموا به بهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله - ﷺ - في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلّموه وسألوه، ثم قال لهم: أيّ رجل الحُصَين بن سلام فيكم»؟ قالوا: سيّدنا وابن سيّدنا، وحَبْرنا وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتَعلمون إنّه لرسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإنيّ أشهد أنه رسول الله - ﷺ -، وأومن به وأصدّقه وأعرفه، فقالوا: كذبت ثم واقعوا بي، قال: فقلت لرسول الله - ﷺ -: ألم أخبرك يا رسول الله أنّهم قوم بُهْتٌ، أهل غدرٍ وكذبٍ وفُجُور! قال؛ فأظهرت إسلامي وإسلامَ أهل بيتي، وأسلمت عمّتي خالدة بنت الحارث، فحسُن إسلامها[1].

من حديث مُخَيْريق: **قال ابن إسحاق**: وكان من حديث مُخَيْريق، وكان حَبْراً عالماً، وكان رجلاً غنيّاً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله - ﷺ - بصفته، وما يجد في علمه، وغلب عليه إلْفُ دينه، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أُحُد، وكان يوم أُحُد يوم السبت، قال: يا معشر يهود، والله إنّكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقّ. قالوا: إنّ اليوم يوم السبت؛ قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه، فخرج حتى أتى رسول الله - ﷺ - بأُحُد، وعهِد إلى من وراءه من قومه: إن قُتلت هذا اليوم، فأموالي لمحمد ﷺ يصنع فيها ما أراه الله. فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتل. فكان رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - يقول: «مُخَيْريق خير يهود». وقبض رسول الله - ﷺ -

(١) أخرج البخاري نحوه في الهجرة ٧/١٩٥ - ١٩٨، وانظر سير أعلام النبلاء ٢/٤١٦، ونهاية الأرب ١٦/٣٦٤، وسبل الهدى ٣/٥٥٤.

أمواله، فعامّة صدقات رسول الله - ﷺ - بالمدينة منها[1].

حديث صفية: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حُدّثت عن صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب أنها قالت: كنت أحَبّ ولد أبي إليه، وإلى عمّي أبي ياسر، لم ألقهما قطّ مع ولد لهما إلّا أخذاني دونه. قالت: فلما قدِم رسول الله - ﷺ - المدينة، ونزل قُباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حُيَيّ بن أخطب، وعمّي أبو ياسر بن أخطب، مغلسَيْن. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالَّين كسلانين ساقطين يمشيان الهُوَيْنى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمّ. قالت: وسمعت عمّي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حُيَيّ بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله؛ قال: أتعرفه وتثبّته؟ قال: نعم؛ قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيتُ[2].

المنافقون بالمدينة: **قال ابن إسحاق**: وكان ممن انضاف إلى يهود، ممّن سُمّي لنا من المنافقين من الأوس والخزرج، والله أعلم. من الأوس، ثم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني لوذان بن عمرو بن عوف: زُوَيّ بن الحارث.

ومن بني حبيب بن عمرو بن عوف: جُلّاس بن سُوَيد بن الصّامت، وأخوه الحارث بن سُويد.

وجُلّاس الذي قال: - وكان ممّن تخلّف عن رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك - لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شرّ من الحمر. فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله - ﷺ - عُمير بن سعد، أحدهم، وكان في حجْر جُلاس، خَلَفَ جُلّاس على أمّه بعد أبيه، فقال له عُمير بن سعد: والله يا جُلّاس،

---

(١) نهاية الأرب ٣٦٥/١٦، عيون الأثر ٢٠٨/١

(٢) عيون الأثر ٢٠٨/١.

إنك لأحبّ الناس إليّ، وأحسنهم عندي يداً، وأعزّهم عليّ أن يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنّك، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنّ ديني، ولإحداهما أيسر عليّ من الأخرى. ثم مشى إلى رسول الله - ﷺ - فذكر له ما قال جُلاس، فحلف جُلاس بالله لرسول الله - ﷺ -: لقد كذب عليّ عُمير، وما قلت ما قال عُمير بن سعد. فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا، وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ، وَإِنْ يَتَوَلَّوا يُعَذِّبْهُمُ ٱللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ، وَمَا لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1].

قال ابن هشام: الأليم: الموجع. قال ذو الرّمّة يصف إبلاً:

وترتع من صدور شَمَردَلات[2]   يصكّ وجوهها وهجٌ أليمُ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه تاب فحسُنت توبتهُ، حتى عُرِف منه الخير والإسلام.

وأخوه الحارث بن سُويد، الذي قتل المجذّر بن ذياد البَلَوي، وقيس ابن زيد، أحد بني ضبيعة، يوم أُحُد. خرج مع المسلمين، وكان منافقاً، فلما التقى الناس عدا عليهما، فقتلهما ثم لحِق بقريش.

قال ابن هشام: وكان المجذّر بن ذِياد قتل سُويد بن صامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، فلما كان يوم أُحُد طلب الحارث ابن سُويد غرّة المجذّر بن ذياد، ليقتله بأبيه، فقتله وحده[3]، وسمعت غير

---

(١) سورة التوبة - الآية ٧٤.

(٢) الشمردلات: الإبل الطوال.

(٣) أنساب الأشراف ١/٢٣٨ رقم ٥٦٣ و٥٦٤ وص ٢٧٥ رقم ٦٤٠.

واحد من أهل العلم يقول، والدليل على أنه لم يقتل قيس بن زيد، أنّ ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أُحُد.

قال ابن إسحاق: قتل سويد بن صامت مُعاذ بن عفراء غِيلة، في غير حرب، رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعاث.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - فيما يذكرون - قد أمر عمر ابن الخطّاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته، فكان بمكة، ثم بعث إلى أخيه جُلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغني عن ابن عباس -، **﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ ٱلْرَّسُولَ حَقٌّ، وَجَاءَهُمُ ٱلبَيِّنَاتُ، وَٱللهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾**[1] إلى آخر القصّة.

ومن بني ضُبَيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عَمرو بن عوف، بِجاد بن عثمان بن عامر.

ومن بني لوذان بن عمرو بن عوف: نبتل بن الحارث، وهو الذي قال له رسول الله - ﷺ - فيما بلغني -: «من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان، فلينظر إلى نبتل بن الحارث»[2]. وكان رجلاً جسيماً أذلم[3] ثائر شعر الرأس، أحمر العينين، أسفع[4] الخدّين، وكان يأتي رسول الله - ﷺ - يتحدّث إليه فيسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين؛ وهو الذي قال: إنّما محمد أذُن، من حدّثه شيئاً صدّقه. فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: **﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[5].

---

(١) سورة آل عمران - الآية ٨٦.
(٢) أنساب الأشراف ١/٢٧٥.
(٣) الأذلم: المسترخي الشفتين.
(٤) الأسفع: من تضرب حُمرته إلى سواد.
(٥) سورة التوبة - الآية ٦١.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض رجال بَلعجلان أنه حُدِّث: أنّ جبريل عليه السلام أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له: إنه يجلس إليك رجل أذلم، ثائر شعر الرأس، أسفع الخدّين، أحمر العينين، كأنّهما قدران من صفر، كبِدُه أغلظ من كبد الحمار، ينقل حديثك إلى المنافقين، فاحذرْه. وكانت تلك صفة نَبتل بن الحارث، فيما يذكرون.

ومن بني ضُبيعة: أبو حبيبة بن الأزعر، وكان ممّن بنى مسجد الضِّرار[1]، وثعلبة بن حاطب، ومُعتب بن قُشير، وهما اللذان عاهدا الله ﴿لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾[2] إلى آخر القصة. ومُعتب الذي قال يوم أحد: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾[3]. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾[4] إلى آخر القصّة. وهو الذي قال يوم الأحزاب: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كِسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط؛ فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾[5] والحارث بن حاطب.

قال ابن هشام: معتِّب بن قُشير، وثعلبة، والحارث ابنا حاطب، وهم من بني أُميَّة بن زيد من أهل بدر، وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أميّة بن زيد في أسماء أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وعبّاد بن حُنيف، أخو سهل بن حُنيف؛ وبحزَج،

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٧٦.
(٢) سورة التوبة ـ الآية ٧٥.
(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٤.
(٤) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٤.
(٥) سورة الأحزاب ـ الآية ١٢.

وهم ممن كان بنى مسجد الضّرار، وعمرو بن خذام، وعبدالله بن نبتل[1].

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: جارية بن عامر بن العطّاف، وابناه: زيد ومجمّع، ابنا جارية، وهم ممن اتّخذ مسجد الضرار. وكان مجمع غلاماً حَدَثاً قد جمع من القرآن أكثره، وكان يصلّي بهم فيه، ثم إنه لما أُخرب المسجد، وذهب رجال من بني عمرو بن عوف، كانوا يصلّون ببني عمرو بن عوف في مسجدهم، وكان زمان عمر بن الخطّاب، كُلّم في مجمع ليصلّي بهم؛ فقال: لا، أو ليس بإمام المنافقين في مسجد الضرار؟ فقال لعمر: يا أمير المؤمنين، والله الذي لا إله إلا هو، ما علمت بشيءٍ من أمرهم، ولكنّي كنت غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا لا قرآن معهم، فقدّموني أصلّي بهم، وما أرى أمرهم، إلاّ على أحسن ما ذكروا، فزعموا أنّ عمر تركه فصلّى بقومه[2].

ومن بني أُميّة بن زيد بن مالك: وديعة بن ثابت، وهو ممن بنى مسجد الضِّرار، وهو الذي قال: إنّما كنّا نخوض ونلعب. فأنزل الله تبارك وتعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾**[3]؟!. إلى آخر القصة.

ومن بني عُبَيد بن مالك: خذام بن خالد، وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره؛ وبِشْر[4] ورافع، ابنا زيد.

ومن بني النَّبيت ـ قال ابن هشام: النبيت: عمرو بن مالك بن الأوس ـ قال ابن إسحاق: ثم من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مربع بن قيظي، وهو الذي قال لرسول الله ـ ﷺ ـ حين

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٧٧.
(٢) أنساب الأشراف ١/٢٧٦.
(٣) سورة التوبة ـ الآية ٦٥.
(٤) في أنساب الأشراف ١/٢٧٧ «بشير».

أجاز في حائطه[1] ورسول الله ـ ﷺ ـ عامد إلى أُحُد: لا أحلّ لك يا محمد، إن كنت نبيّاً، أن تمرّ في حائطي، وأخذ في يده حفنة من تراب، ثم قال: والله لو أعلم أنيّ لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «دعوه، فهذا الأعمى، أعمى القلب، أعمى البصيرة». فضربه سعد بن زيد، أخو بني عبد الأشهل بالقوس فشجّه، وأخوه أوس بن قيظي وهو الذي قال لرسول الله ـ ﷺ ـ يوم الخندق: يا رسول الله، إنّ بيوتنا عورة، فأذَنْ لنا فلنرجعْ إليها. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾[2].

قال ابن هشام: عورة، أي مُعْورة للعدوّ وضائعة؛ وجمعها: عورات. قال النابغة الذبياني:

متى تلْقهم لا تلقَ للبيت عورةً ولا الجار محروماً ولا الأمر ضائعاً

وهذا البيت في أبياتٍ له. والعورة أيضاً: عورة الرجل، وهي حُرمته. والعورة أيضاً: السَّوْءَة.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظفر، واسم ظِفر: كعب بن الحارث بن الخزرج: حاطب بن أُميّة بن رافع، وكان شيخاً جسيماً قد عسا في جاهليته، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب، أصيب يوم أُحُد حتى أثبتته الجراحات، فحُمل إلى دار بني ظفر.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة أنه اجتمع إليه مَن بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت، فجعلوا يقولون: أبشِرْ يا بن حاطب بالجنّة. قال فنجم[3] نفاقه حينئذ، فجعل يقول أبوه: أجل جنّة والله

(١) حائطه: بستانه.
(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ١٣.
(٣) نجم: ظهر ووضح.

من حرمل، غرزْتم والله هذاالمسكينَ من نفسه[1].

قال ابن إسحاق: وبُشير بن أُبيرق، وهو أبو طعمة، سارق الدرعين، الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿**وَلَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ، إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً**﴾[2]؛ وقزمان: حليف لهم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقول: «إنه لَمِنْ أهل النار». فلما كان يوم أُحُد قاتل قتالاً شديداً حتى قتل بضعة نفر من المشركين، فأثبتته الجراحات، فحُمل إلى دار بني ظفر، فقال له رجال من المسلمين: أبشِرْ يا قزمان، فقد أبليت اليوم، وقد أصابك ما ترى في الله. قال: بماذا أُبَشَّر، فوالله ما قاتلت إلّا حميّةً عن قومي؛ فلما اشتدّت به جراحاته وآذته أخذ سهماً من كِنانته، فقطع به رواهش[3] يده، فقتل نفسه[4].

قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم، إلّا أنّ الضّحّاك بن ثابت، أحد بني كعب، رهط سعد بن زيد، قد كان يُتَّهم بالنّفاق وحبّ يهود.

قال حسّان بن ثابت:

من مُبلغُ الضّحّاك أنّ عُروقه ... أعيتْ على الإسلام أن تتمجّدا
أتحبُّ يُهْدان الحجاز ودِينهم ... كبِدَ الحمار، ولا تحبّ محّمدا
ديناً لَعَمري لا يوافق دِيننا ... ما اسْتَنَّ آلٌ في الفضاء وخوّدا

وكان جُلّاس بن سُويد بن صامت قبل توبته ـ فيما بلغني ـ ومُعتّب بن قُشَير، ورافع بن زيد، وبِشْر، وكانوا يُدْعون بالإسلام، فدعاهم رجال من

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٧٧.
(٢) سورة النساء ـ الآية ١٠٧.
(٣) الرواهش: العصب في ظاهر الذراع، واحدتها راهشة.
(٤) أنساب الأشراف ١/٢٨١.

المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فدعوهم إلى الكُهّان، حكّام أهل الجاهلية، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾**[١]. . إلى آخر القصّة[٢].

ومن الخزرج، ثم من بني النّجّار: رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سهل.

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلمة: الجدّ بن قيس، وهو الذي يقول: يا محمد، أئذن لي ولا تفتنّي، فأنزل الله تعالى فيهم **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا، وَإِنَّ جَهَنَّم لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ. . .﴾**[٣]. إلى آخر القصّة.

ومن بني عوف بن الخزرج: عبدالله بن أُبَيّ بن سلول، وكان رأس المنافقين وإليه يجتمعون، وهو الذي قال: **﴿لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾**[٤] في غزوة بني المصطلق. وفي قوله ذلك، نزلت سورة المنافقين بأسرها. وفيه وفي وديعة ـ رجل من بني عوف ـ ومالك بن أبي قوقل، وسُوَيد، وداعس، وهم من رهْط عبدالله بن أُبَيّ بن سلول؛ وعبدالله ابن أُبَيّ بن سلول. فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسّون إلى بني النضير حين حاصرهم رسول الله ـ ﷺ ـ: أن اثبتوا، فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً، وإن قوتلتم لننصرنكم. فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً، وَإِنْ قُوتِلْتُم**

---

(١) سورة النساء ـ الآية ١١٦.

(٢) أنساب الأشراف ١/ ٢٨٠.

(٣) سورة التوبة ـ الآية ٤٩.

(٤) سورة المنافقون ـ الآية ٨.

لَنَنْصُـرَنَّكُمْ، وَٱللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـاذِبُونَ﴾، ثم القصـة من السـورة حتى انتهى إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَـالَ لِلإِنْسَـانِ اكْفُرْ، فَلَمَّـا كَفَرَ قَـالَ إِنّيٰ بَرِيٰءٌ مِنْكَ إِنِّيٰ أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلعَالَمِينَ﴾[1].

المنـافقـون من أحبـار اليهـود: قـال ابن إسحـاق: وكـان ممن تعـوّذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق، من أحبار يهود.

من بني قَيْنُقـاع: سعـد بن حُنيف، وزيـد بن الّلصِيت، ونعمـان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى. وزيد بن اللصيت، الذي قاتل عمـرَ بنَ الخَطّاب رضي الله عنه بسوق بني قَيْنُقاع، وهـو الذي قـال، حين ضلّت ناقـة رسول الله ـ ﷺ ـ: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهـو لا يدري أين نـاقته! فقـال رسول الله ـ ﷺ ـ، وجـاءه الخبر بمـا قـال عـدوّ الله في رَحْله، ودلّ الله تبارك وتعالى رسوله ـ ﷺ ـ على نـاقته «إنّ قـائلاً قـال: يزعم محمـد أنه يـأتيه خبر السماء، ولا يدري أين ناقته، وإنّي والله ما أعلم إلّا مـا علّمني الله، وقد دلّني الله عليها، فهي في هذا الشِّعب، قد حبستها شجـرة بزمـامها»، فـذهب رجال من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسول الله ـ ﷺ ـ، وكما وصف[2].

ورافع بن حُريملة، وهـو الذي قـال له الـرسول الله ـ ﷺ ـ فيمـا بلغنا ـ حين مات: «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين»[3].

ورفاعة بن زيد بن التابوت، وهو الـذي قال لـه رسول الله ـ ﷺ ـ حين هبّت عليه الريـح، وهو قـافل من غـزوة بني المصطلق، فـاشتدّت عليـه حتى أشفق المسلمون منها؛ فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تخـافوا، فـإنّما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار». فلما قـدم رسول الله ـ ﷺ ـ المـدينةَ وجـد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبّت فيه الريح.

---

(١) سورة الحشر من الآية ١١ حتى الآية ١٦.
(٢) أنساب الأشراف ١/ ٢٨٥ رقم ٦٤٣، عيون الأثر ١/ ٢١١.
(٣) أنساب الأشراف ١/ ٢٨٥ رقم ٦٤٤، عيون الأثر ١/ ٢١١.

وسِلسلة بن برهام. وكِنانة بن صورِيا[1].

طرد المنافقين من المسجد: وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس، فرآهم رسول الله - ﷺ - يتحدّثون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله - ﷺ - فأُخرِجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيّوب، خالد بن زيد بن كُلَيب، إلى عمر ابن قيس، أحد بني غَنْم بن مالك بن النجّار - كان صاحب آلهتهم في الجاهلية فأخذ برِجْله فسحبه، حتى أخرجه من المسجد، وهو يقول: أتخرجني يا أبا أيوب من مِرْبد بني ثعلبة، ثم أقبل أبو أيّوب أيضاً إلى رافع ابن وديعة، أحد بني النجّار فلبّبه بردائه ثم نَتَره نتراً شديداً، ولطم وجهه، ثم أخرجه من المسجد، وأبو أيوب يقول له: أُفٍّ لك منافقاً خبيثاً: أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله - ﷺ -.

قال ابن هشام: أي ارجع من الطريق التي جئت منها. قال الشاعر:

فولَّى وأَدبر أَدراجَه وقد باء بالظُّلم من كان ثَمّ

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو، وكان رجلاً طويل اللحية، فأخذ بلحيته فقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما في صدره لدمة خرّ منها. قال: يقول: خدشتني يا عمارة: قال: أبعدك الله يا منافق، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك، فلا تقربنّ مسجدَ رسول الله - ﷺ -.

قال ابن هشام: اللدم: الضرب ببطن الكفّ. قال تميم بن أُبَيّ بن مُقْبل:

وللفؤآد وَجِيبٌ تحت أبهره لدمَ الوليد وراء الغَيْب بالحَجر

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٨٥، عيون الأثر ١/٢١١.

قـال ابن هشـام: الغيب: مـا انخفض من الأرض. والأبهـر: عِـرْق القلب.

قال ابن إسحاق: وقام أبو محمـد، رجل من بني النجّـار، كان بـدْريّاً، وأبـو محمد مسعـود بن أوْس بن زيد بن أصـرم بن زيد بن ثعلبة بن غَنم ابن مالك بن النجّار إلى قيس بن عمرو بن سهل، وكان قيس غـلاماً شـاباً، وكان لا يُعلم في المنافقين شابّ غيره، فجعل يدفع في قفاه حتى أخـرجه من المسجد.

وقام رجل من بلخدرة[1] بن الخزرج، رهط أبي سعيد الخُدْريّ، يقال لـه: عبدالله بن الحـارث حين أمر رسـول الله - ﷺ - بـإخـراج المنـافقين من المسجد إلى رجل يقال له: الحارث بن عمرو، وكان ذا جُمَّة، فأخذ بجُمَّتـه فسحبـه بهـا سحبـاً عنيفـاً، على مـا مـرّ بـه من الأرض، حتى أخـرجـه من المسجـد. قال: يقول المنافق: لقـد أغلظت يا ابن الحارث؛ فقال لـه: إنّك أهـل لذلـك، أي عـدوَّ الله لِمـا أنـزل الله فيـك: فـلا تقـربنّ مسجـدَ رسـول الله - ﷺ -، فإنّك نجِس.

وقـام رجـل من بني عمـرو بن عـوف إلى أخيـه زُويّ بن الحـارث؛ فأخرجه من المسجد إخراجاً عنيفـاً، وأنِفَ منه، قـال: غلب عليك الشيـطان وأمره.

فهؤلاء من حضر المسجدَ يومئذ من المنـافقين، وأمر رسـول الله - ﷺ - بإخراجهم.

ما نزل في اليهـود والمنافقين: ففي هؤلاء من أحبـار يهود، والمنـافقين من الأوس والخـزرج، نزل صـدر سورة البقـرة إلى المئة منهـا - فيما بلغني - والله أعلم.

---

(١) يريد: من بني الخدرة.

يقول الله سبحانه وبحمده: ﴿الٓم . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1]، أي لا شك فيه.

قال ابن هشام: قال ساعدة بن جؤية الهُذْلي:

فقالوا عَهِدْنا القومَ قد حَصَرُوا به ... فلا ريب أنْ قد كان ثمّ لَحِيمُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له، والريب أيضاً: الريبة. قال خالد بن زهير الهُذلي:

كأنَّني أرِيبُه برَيْب[3]

قال ابن هشام: ومنهم من يرويه:

كأنّني أربتُه بريب

وهذا البيت في أبيات له. وهو ابن أخي أبي ذُؤَيب الهُذلي.

﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[4]، أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهُدَى، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[5] أي يقيمون الصلاة بفرضها، ويؤتون الزكاة احتساباً لها. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[6]، أي يصدّقونك بما جئت به من الله عزّ وجلّ، وما جاء به مَنْ قَبلك من المرسَلين، لا يفرّقون بينهم، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربّهم. ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[6]. أي بالبعث والقيامة والجنّة والنّار

---

(١) أول سورة البقرة.

(٢) لحيم: قتيل.

(٣) والرجز الذي استشهد ببيت منه:

يا قوم مالي وأبا ذؤيب ... كنت إذا أتيته من غيب

يشم عطفي ويمسّ ثوبي ... كأنّني أربته بريب

وكان أبو ذُؤَيب قد اتّهمه بامرأته فلذلك قال هذا. (الروض الأنف ٢/٢٩٣)

(٤) سورة البقرة ـ الآية ٢.

(٥) سورة البقرة ـ الآية ٣.

(٦) سورة البقرة ـ الآية ٤.

والحساب والميزان، أي هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك، وبما جاءك من ربك ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾، أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]. أي الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شرّ ما منه هربوا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2]، أي بما أُنزل إليك، وإن قالوا إنّا قد آمنّا بما جاءنا قبلك ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، أي أنهم كفروا بما عندهم من ذكرك، وجحدوا ما أُخذ عليهم الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً، وقد كفروا بما عندهم من علمك. ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[3]، أي عن الهدى أن يصيبوه أبداً، يعني بما كذّبوك به من الحقّ الذي جاءك من ربك حتى يؤمنوا به، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك، ﴿وَلَهُمْ﴾[3]، بما هم عليه من خلافك ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

فهذا في الأحبار من يهود، فيما كذّبوا به من الحقّ بعد معرفته.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[4] يعني المنافقين من الأوس والخزرج، ومَن كان على أمرهم. ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، أي شك ﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾، أي شكّاً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ، قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين: من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ، قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٥.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٦.
(٣) البقرة ـ الآية ٧.
(٤) سورة البقرة من الآية ٨ حتى ١٥.

لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ من يهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحقّ، وخلاف ما جاء به الرسول ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، أي إنّا على مثل ما أنتم عليه. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: أي إنّما نستهزىء بالقوم، ونَلعب بهم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿الله يَسْتَهْزِيءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٤].

قال ابن هشام: يعمهون: يحارون: تقول العرب: رجل عَمِهٌ وعامه: أي حيران، قال رؤبة بن العَجّاج يصف بلداً:

أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّه

وهذا البيت في أرجوزة له. فالعُمه: جمع عامه؛ وأما عَمِه، فجمعه: عَمِهون. والمرأة عمِهة وعَمهاء.

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ اشْتَرَوُا ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾[١]؛ أي الكفر بالإيمان ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[١].

قال ابن إسحاق: ثم ضرب لهم مثلاً، فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي لا يبصرون الحقّ ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفأوه بكفرهم به ونفاقهم فيه، فتركهم الله في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي لا يرجعون إلى الهدى، صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌ عن الخير، لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاة ما كانوا على ما هم عليه ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ ٱلصَّوَاعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ، وَٱللهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَافِرِينَ﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٦.
(٢) البقرة ـ الآيات ١٧ ـ ١٩.

قال ابن هشام: الصيِّب: المطر، وهو من صاب يصوب، مثل قولهم: السيِّد، من ساد يسود، والميِّت: من مات يموت؛ وجمعه صيائب. قال علقمة بن عبد أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم:

كأنّهم صابت عليهم سحابةٌ ... صواعقُها لطيرهنّ دبيبُ

وفيها:

فلا تَعدلي بيني وبين مُغَمَّر[1] ... سقتْكَ روايا المُزْن حيث تَصُوب

وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: أي هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل، من الذي هم عليه من الخلاف والتخوّف لكم، على مثل ما وصف، من الذي هو في ظلمة الصيِّب، يجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حذر الموت. يقول: والله منزل ذلك بهم من النقمة، أي هو محيط بالكافِرين: **﴿يَكَادُ ٱلبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾**: أي لشّدة ضوء الحقّ **﴿كُلَّما أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾**، أي يعرفون الحق ويتكلّمون به، فهم من قولهم به على استقامة؛ فإذا ارتكسوا منه في الكفر قاموا متحيِّرين. **﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾** أي لِما تركوا من الحقّ بعد معرفته **﴿إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[2].

ثم قال: **﴿يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾**[3] للفريقين جميعاً، من الكفّار والمنافقين، أي وحّدوا ربكم **﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ، فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[4].

---

(١) المغمَّر: الساذج الذي لم يجرّب الأمور.
(٢) البقرة ـ الآية ٢٠.
(٣) البقرة ـ الآية ٢١.
(٤) سورة البقرة ـ الآيتان ٢١ و٢٢.

قال ابن هشام: الأنداد: الأمثال، واحدهم ندّ. قال لَبِيد بن ربيعة:

أحمد الله فلا ندّ له بيديه الخير ما شاء فعل

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: أي لا تُشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضرّ، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره، وقد علِمتم أنّ الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحقّ لا شكّ فيه. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ أي في شكٍّ مما جاءكم به، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾، أي من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فقد تبين لكم الحقّ ﴿فَاتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَالحِجَارةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[١]، أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر.

ثم رغّبهم وحذّرهم نقض الميثاق الذي أخذ عليهم لنبيّه ﷺ إذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم، وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره، وكيف صنع به حين خالف عن طاعته، ثم قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ للأحبار من يهود ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بلائي عندكم وعند آبائكم، لما كان نجّاهم به من فرعون وقومه ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي أخذت في أعناقكم لنبيّي أحمد إذا جاءكم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتّباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أي أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره. ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ. وَلَا تَلْبِسُوا ٱلحَقَّ بِٱلبَاطِلِ، وَتَكْتُمُوا ٱلحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة

(١) سورة البقرة ـ الآيتان ٢٣ و٢٤.
(٢) سورة البقرة ـ الآيات ٤٠ ـ ٤٢.

برسولي وبما جاءَ به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم ﴿**أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ٱلكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[1]، أي أَتَنْهَوْنَ الناس عن الكفر بما عندكم من النبوَّة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم، أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي، وتجحدون ما تعلمون من كتابي.

ثم عدّد عليهم أحداثهم، فذكر لهم العجل وما صنعوا فيه، وتوبته عليهم، وإقالته إياهم، ثم قولهم: ﴿**أَرِنَا ٱللهَ جَهْرَةً**﴾[2].

قال ابن هشام: جهرة، أي ظاهراً لنا لا شيء يستره عنّا. **قال** أبو الأخزر الحَماني، واسمه قُتيبة.

يجهر أجوافَ المياه السُّدُم[3]

وهذا البيت في أرجوزة له.

يجهر: يقول: يظهر الماء، ويكشف عنه ما يستره من الرمل وغيره.

قال ابن إسحاق: وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرّتهم، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم وتظليله عليهم الغمام، وإنزاله عليهم المنّ والسلوى، وقوله لهم: ﴿**ادْخُلُوا ٱلبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾[4]، أي قولوا ما آمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم؛ وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره، وإقالته إياهم ذلك بعد هُزئهم.

قال ابن هشام: المنّ: شيء كان يسقط في السَّحَر على شجرهم، فيجتنونه حلواً مثل العسل فيشربونه ويأكلونه. **قال** أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لو أُطعموا المنَّ والسلوى مكانهمُ ... ما أبصر الناسُ طُعماً فيهمُ نَجَعا[5]

---

(١) البقرة ـ الآية ٤٤.

(٢) سورة النساء ـ الآية ١٥٣.

(٣) السدم: هي المياه القديمة.

(٤) سورة البقرة ـ الآية ٥٨.

(٥) نجع: نفع.

وهذا البيت في قصيدة له، والسلوى: طير، واحدتها: سلواة؛ ويقال: إنها السُّمّاني، ويقال للعسل أيضاً: السلوى. وقال خالد بن زهير الهُذلي:

وقاسَمها بالله حقّاً لأنتُم ... ألذُّ من السَّلْوى إذا ما نَشُورها

وهذا البيت في قصيدة له. وحِطّة: أي حطّ عنّا ذنوبنا.

قال ابن إسحاق: وكان من تبديلهم ذلك كما حدّثني صالح بن كَيْسان، عن صالح مولى التوءمة بنت أُميّة بن خَلَف، عن أبي هريرة، ومن لا أتّهم، عن ابن عباس، عن رسول الله - ﷺ -، قال: دخلوا الباب الذي أُمِروا أن يدخلوا منه سُجَّداً يزحفون، وهم يقولون حنط في شعير.

قال ابن هشام: ويُروى: حنطة في شعيرة.

قال ابن إسحاق: واستسقاء موسى لقومه، وأمره إياه أن يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عيناً، لكلّ سبط[1] عين يشربون منها، قد علم كل سبط عينه التي منها يشرب، وقولهم لموسى عليه السلام: **﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وفُومِهَا﴾**.

قال ابن هشام: الفوم: الحنطة. قال أُميّة بن أبي الصَّلت الثقفي:

فوق شِيزَى مثل الجوابي[2] عليها ... قِطَعٌ كالوذِيل في نِقْي فُومِ

قال ابن هشام: الوذيل: قِطع الفضّة، والفوم: القمح؛ واحدته: فومة. وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ. اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾[3].

---

(١) السبط الجماعة، وهي كالقبيلة في أولاد إسماعيل من العرب.
(٢) الشيزى: خشب أسود صلب تصنع منه الأمشاط والقصاع وغيرها يقال هو الأبنوس. والجوابي: الحياض يجبى إليها الماء، أي يجمع.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ٦١.

قال ابن إسحاق: فلم يفعلوا، ورفعه الطور فوقهم ليأخذوا ما أوتوا، والمسخ الذي كان فيهم، إذ جعلهم قِرَدة بأحداثهم، والبقرة التي أراهم الله عزّ وجلّ بها العبرة في القتيل الذي اختلفوا فيه، حتى بيّن الله لهم أمره، بعد التردّد على موسى عليه السلام في صفة البقرة؛ وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة. ثم قال تعالى: **﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَاءُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ﴾** أي وإنّ من الحجارة لألْين من قلوبكم عمّا تُدعون إليه من الحقّ **﴿وَمَا ٱللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**(١).

ثم قال لمحمد عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**(٢). وليس قوله «يسمعون التوراة»، أنّ كلّهم قد سمعها، ولكنه فريق منهم، أي خاصة.

قال ابن إسحاق: فيما بلغني عن بعض أهل العلم: قالوا لموسى: يا موسى، قد حيل بيننا وبين رؤية الله، فأسمِعنا كلامه حين يكلّمك، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربه، فقال له: نعم مرهم فلْيطّهروا، أو ليطهّروا ثيابهم، وليصوموا، ففعلوا. ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور، فلما غشِيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجَّداً وكلّمه ربّه، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى، يأمرهم وينهاهم، حتى عقلوا عنه ما سمعوا، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل، فلما جاءهم حرّف فريق منهم ما أمرهم به، وقالوا، حين قال موسى لبني إسرائيل: إنّ الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق الذي ذكر الله عزّ وجلّ: إنّما قال كذا وكذا، خلافاً لما قال الله لهم، فهم الذين عنى الله عزّ وجلّ لرسول الله ـ ﷺ ـ.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٧٤.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٧٥.

ثم قـال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُـوا قَالُوا آمَنَّا﴾، أي بصـاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خـاصة. ﴿وَإِذَا خَـلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُـوا﴾: لا تُحدّثوا العرب بهذا، فإنّكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فكان فيهم. فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَـلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَـالُوا أَتُحَـدِّثُونَهُمْ بِمَـا فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَـاجُّوكُمْ بِـهِ عِنْـدَ رَبِّكُمْ أَفَـلَا تَعْقِلُونَ﴾[١]، أي تقرّون بأنـه نبيّ، وقد عـرفتم أنه قـد أخذ لـه الميثاق عليكم باتّباعه، وهو يخبركم أنه النبيّ الذي كنّا ننتظر ونجد في كتـابنا؛ اجحـدوه ولا تقرّوا لهم به. يقول الله عزّ وجل: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَـا يُسِرُّونَ وَمَـا يُعْلِنُونَ، وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[٢].

قـال ابن هشـام: عن أبي عُبيـدة: إلّا أمـانيّ: إلّا قــراءة، لأنّ الأمّيّ: الذي يقرأ ولا يكتب. يقول: لا يعلمون الكتاب إلا أنهم يقرأونه.

قال ابن هشام: عن أبي عُبيدة ويونس أنهمـا تأوّلا ذلـك عن العرب في قول الله عزّ وجلّ، حدّثني أبو عُبيدة بذلك.

قـال ابن هشام: وحـدّثني يـونس بن حبيب النحْـوي وأبـو عُبيـدة: إنّ العرب تقول: تمنّى، في معنى قرأ. وفي كتاب الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَـا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَىٰ ٱلشَّيْـطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[٣]. قال: وأنشدني أبو عُبيدة النحْوي:

تـمـنّـى كـتــاب الله أوّل لـيــله وآخـره وافى حِـمـام الـمـقــادر

وأنشدني أيضاً:

تمنّى كتـاب الله في الليـل خـاليـاً تـمنّي داود الـزبـور عـلى رِسـل

(١) سورة البقرة ـ الآية ٧٦.
(٢) سورة البقرة ـ الآيتان ٧٧ و٧٨.
(٣) سورة الحج ـ الآية ٥٢.

وواحدة الأماني: أُمنية. والأمانيّ أيضاً: أن يتمنّى الرجل المال أو غيره.

قال ابن إسحاق: ﴿**وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾[1]: أي لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه، وهم يجحدون نُبوّتك بالظنّ. ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً، قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مولى لزيد بن ثابت، عن عِكْرِمة، أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: قدِم رسول الله - ﷺ - المدينة، واليهود تقول: إنّما مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذّب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، وإنّما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب. فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً. قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ**﴾[3]. أي من عمل بمثل أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة، ﴿**فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ أي خُلد أبداً ﴿**وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[3] أي من آمن بما كفرتم به، وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنّة خالدين فيها، يخبرهم أنّ الثواب بالخير والشرّ مقيم على أهله أبداً، لا انقطاع له.

قال ابن إسحاق: ثم قال الله عزّ وجلّ يؤنّبهم: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[4]، أي ميثاقكم ﴿**لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللهَ، وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، وَذِي**

---

(١) سورة البقرة - الآية ٧٨.
(٢) سورة البقرة - الآية ٨٠.
(٣) سورة البقرة - الآيات ٨٠ - ٨٢.
(٤) سورة البقرة - الآيتان ٨٣ و٨٤.

﴿ٱلقُرْبَىٰ وَٱليَتَامَىٰ وَٱلمَسَاكِينِ، وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً، وَأَقِيمُوا ٱلصَّلاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾، أي تركتم ذلك كلّه ليس بالتنقص. ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثَاقَكُم لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾[1].

قال ابن هشام: تسفكون: تصبّون. تقول العرب: سفك دمه، أي صبّه؛ وسفك الزقّ أي هراقه. قال الشاعر:

وكنّا إذا ما الضَّيفُ حلّ بأرضنا ... سفكنا دماء البُدْن في تُربة الحالِ

قال ابن هشام: يعني «بالحال»: الطّين الذي يخالطه الرمل، وهو الذي تقول له العرب: السهلة. وقد جاء في الحديث: أنّ جبريل لما قال فرعون: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا ٱلَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾[1] أخذ من حال البحر وحمأته، فضرب به وجه فرعون. والحال: مثل الحمأة.

قال ابن إسحاق: ﴿وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[2]. على أنّ هذا حقّ من ميثاقي عليكم: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ، وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِٱلإِثْمِ وَٱلعُدْوَانِ﴾: أي أهل الشرك: حتى يسفكوا دماءهم معهم. ويخرجوهم من ديارهم معهم. ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ وقد عرفتم أنّ ذلك عليكم في دينكم ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾: في كتابكم ﴿إِخْرَاجُهُمْ، أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، أي أتفادونهم مؤمنين بذلك، وتُخرجونهم كفّاراً بذلك. ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا، وَيَوْمَ ٱلقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ ٱلعَذَابِ، وَمَا ٱللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلآخِرَةِ، فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلعَذَابُ، وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[3]. فأنبهم الله عزّ وجلّ بذلك من فِعلهم، وقد حرّم عليهم في

---

(١) سورة يونس ـ الآية ٩٠.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٨٤.
(٣) سورة البقرة ـ الآيتان ٨٥ و٨٦.

التوراة سفْك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أَسراهم.

فكانوا فـريقين، منهم بنو قَينقـاع ولفّهـم[1]، حلفاء الخـزرج: والنضير وقُريظة ولَفّهم، حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخـزرج حرب. خرجت بنو قَينقاع مع الخزرج، وخرجت النضيـر وقُريـظة مع الأوس، يـظاهر كـلّ واحدٍ من الفـريقين حلفاءه على إخـوانه حتى يتسـافكـوا دمـاءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهل شـرْك يعبدون الأوثان. لا يعرفون جنـة ولا ناراً، ولا بعثـاً ولا قيامـة، ولا كتابـاً، ولا حلالاً ولا حراماً، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أساراهم تصديقاً لما في التوراة، وأخذ بـه بعضهم من بعض، يفتدي بنـو قَينقاع من كـان من أسراهم في أيـدي الأوس، وتفتـدي النضيـر وقُـريـظة مـا في أيــدي الخـزرج منهم. ويطلون[2] ما أصابوا من الـدماء،وقتلى من قُتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشـرْك عليهم. يقول الله تعـالى لهم حين أنّبهم بذلـك: ﴿أَفَتُؤْمِنُـونَ بِبَعْضِ ٱلكِتَـابِ وَتَكْفُـرُونَ بِبَعْضٍ﴾[3]، أي تفـاديـه بحكم التـوراة وتقتله، وفي حكم التوراة أن لا تفعل، تقتله وتخرجه من داره وتُظاهر عليه من يشرك بالله، ويعبد الأوثـان من دونـه، ابتغـاء عـرض الـدنيـا. ففي ذلــك من فعلهم مـع الأوس والخزرج ـ فيما بلغني ـ نزلت هذه القصة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَىٰ ٱلكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِـٱلرُّسُـلِ، . وآتَيْنَـا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ ٱلبَيِّنَـاتِ﴾[4]، أي الآيات التي وُضعت على يـديه، من إحياء المَوتَى، وخلْقه من الطّين كهيئة الطيـر، ثم ينفخ فيـه فيكون طيـراً بإذن الله، وإبراء الأسقام، والخبر بكثير من الغيوب مما يـدّخرون في بيـوتهم، وما ردّ عليهم من التـوراة مع الإنجيـل، الذي أحـدث الله إليـه. ثم ذكـر كفـرهم

(١) لَفَّهُم: من عُدّ فيهم.
(٢) يطلون: يبطلون.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ٨٥.
(٤) سورة البقرة ـ الآية ٨٧.

بذلك كلّه، فقال: ﴿أَفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ استَكْبَرْتُمْ، فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾(١)، ثم قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: في أكِنّة. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ آللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ آللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفتِحُونَ عَلَى آلَّذِينَ كفروا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ آللهِ عَلَى آلكَافِرِينَ﴾(١).

قال ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن أشياخ من قومه، قال: قالوا: فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة، كنّا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية ونحن أهل شِرْك وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون لنا: إنّ نبيّاً يُبعث الآن نتبعه قد أظلّ زمانه، نقتلكم معه قتْل عاد وإرَم. فلما بعث الله رسوله ﷺ من قريش فاتّبعناه كفروا به يقول الله: ﴿فَلَمّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا به، فَلَعْنَةُ آللهِ عَلَى آلكَافِرِينَ. بِئسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بما أَنْزَلَ آللهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلَ آللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي أن جعله في غيرهم ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(٢).

قال ابن هشام: فباءوا بغضب: أي اعترفوا به واحتملوه. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حُبلَى يَسّرتها قبيلُها(٣)

قال ابن هشام: يسَّرتها: أجلستها للولادة. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيّعوا من التوراة، وهي معهم، وغضب بكفرهم بهذا النبيّ ﷺ الذي أحدث الله إليهم.

ثم أنّبهم برفع الطُّور عليهم، واتّخاذهم العجْل إلٰهاً دون ربّهم، يقول

(١) سورة البقرة ـ الآيتان ٨٨ و٨٩.
(٢) سورة البقرة ـ الآيتان ٨٩ و٩٠.
(٣) القبيلة: القابلة وهي من تستقبل الولد.

الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَة عِنْدَ ٱلله خَالِصَـةً مِنْ دُونِ ٱلنّاس، فَتَمَنَّوُا ٱلمَوْتَ إنْ كَنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، أي ادعوا بالموت على أيّ الفريقين أكذب عند الله، فأبوا ذلك على رسول الله - ﷺ -. يقول الله جَلّ ثناؤه لنبيّه عليه الصلاة والسلام. ﴿وَلَنْ يَتمَنَوْهُ أبداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ﴾[2]، أي بعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك؛ فيقال لو تمنّوه يوم قال ذلك لهم ما بقي على وجه الأرض يهوديّ إلاّ مات. ثم ذكر رغبتهم في الحياة الدنيا وطول العمر، فقال تعالى: ﴿ولَتجِدَنّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَى حَيٰوةٍ﴾[3] اليهود ﴿وَمِنَ ٱلَّذينَ أشْرَكُوا يَوَدّ أحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ٱلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُـوَ بمُزَحْـزِحِهِ مِنَ ٱلعَذَابِ أن يُعَمَّرَ﴾[3] أي ما هو بمُنجيه من العذاب، وذلك أنّ المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت، فهو يحبّ طول الحياة، وأنّ اليهوديّ قد عرف ما له في الآخرة من الخزي بما ضيّع مما عنده من العلم. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بإذْنِ ٱلله﴾[4].

سؤال اليهود الرسول، وإجابته: قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن عبدالرحمن بن ابي حسين المكّي، عن شهر بن حَوْشب الأشعريّ، أنّ نفراً من أحبار يهود جاءوا رسول الله - ﷺ -، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن أربعٍ نسألك عنهنّ، فإن فعلت ذلك اتّبعناك وصدّقناك، وآمنّا بك. قال: فقال لهم رسول الله - ﷺ - «عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدّقنّني»، قالوا: نعم، قال: «فاسألوا عما بدا لكم»؛ قالوا: فأخبرنا كيف يشبه الولد أمّه، وإنما النطفة من الرجل؟ قال: فقال لهم رسول الله - ﷺ -: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة؛ ونطفة المرأة صفراء رقيقة؛ فأيّتهما علت صاحبتها كان له الشّبَه»!

---

(١) سورة البقرة - الآية ٩٤.
(٢) البقرة - الآية ٩٥.
(٣) سورة البقرة - الآية ٩٦.
(٤) سورة البقرة - الآية ٩٧.

قالوا: اللهم نعم؛ قالوا: فأخبِرْنا كيف نومك؟ فقال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل؛ هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أنّي لست به تنام عينه وقلبه يقظان»؟ فقالوا: اللهمّ نعم؛ قال: فكذلك نومي؛ تنام عيني وقلبي يقظان؛ قالوا: فأخبِرْنا عما حرّم إسرائيل على نفسه؟ قال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل؛ هل تعلمون أنه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها؛ وأنه اشتكى شكوى؛ فعافاه الله منها؛ فحرّم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله؛ فحرّم على نفسه لحوم الأبل وألبانها»؟ قالوا: اللهم نعم. قالوا: فأخبرنا عن الروح؟ قال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني»؟ قالوا: اللهم نعم، ولكنّه يا محمد لنا عدوّ، وهو مَلَك، إنّما يأتي بالشدّة وبسفك الدماء، ولولا ذلك لاتّبعناك؛ قال: فأنزل الله عزّ وجل فيهم: ﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْريلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ آللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. . . إلى قوله تعالى: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بل أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ آلَّذِينَ أُوتُوا آلْكِتابَ كِتَابَ آللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ. وَأتَّبَعُوا ما تَتْلُوا آلشّياطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمانَ﴾، أي السحر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ آلشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ آلنّاسَ آلسِّحْرَ﴾[1].

اليهود ينكرون نُبوّة سليمان عليه السلام وردّ الله عليهم: قال ابن إسحاق: وذلك أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني ـ لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين، قال بعض أحبارهم: ألا تعجبون من محمد، يزعم أنّ سليمان بن داود كان نبيّاً، والله ما كان إلّا ساحراً. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ آلشَّياطِينَ كَفَروا﴾[2]، أي باتّباعهم السحر وعملهم

(١) البقرة ـ الآيات ١٠٠ ـ ١٠٢.
(٢) البقرة ـ الآية ١٠٢.

بـه. ﴿وَمَـا أُنـزِلَ عَلَى ٱلمَلكَيْن بِبَـابِـل هَـارُوتَ وَمَـارُوت وَمَـا يُعَلِّمَـانِ مِنْ أحدٍ﴾[1].

قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني بعض من لا أتّهم عن عِكـرِمـة، عن ابن عباس، أنه كان يقول: الذي حرّم إسرائيل على نفسه زائدتـا الكبد والكليتـان والشحم، إلاّ ما كان على الظهر، فإنّ ذلك كان يُقرّب للقربان، فتأكله النار.

كتـابه ﷺ الى يهـود خيبر: **قـال ابن إسحاق**: وكتب رسـول الله ـ ﷺ ـ الى يهود خيبر، فيمـا حدّثني مـوالي لآل زيد بن ثـابت، عن عكرمـة، أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس:

«بسم الله الـرحمن الـرحيم: من محمـد رسـول الله ـ ﷺ ـ، صـاحب موسى وأخيه، والمصدّق لما جاء به موسى: ألا إنّ الله قد قـال لكم يا معشـر أهـل التوراة، وإنّكم لتجـدون ذلك في كتـابكم: ﴿مُحَمّدٌ رَسُـولُ آلله وٱلَّذِين مَعَهُ أشدّاء عَلَى ٱلكُفَّار رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْـوَاناً، سِيمَـاهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِن أثـر ٱلسُّجود، ذَلـكَ مَثَلُهُمْ في التَّـوراة وَمَثَلُهُم في الإنجيل كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأهُ فَـآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فـاستَوَى عَلَى سُـوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ليَغيظَ بِهِمُ ٱلكفَّار، وَعد آلله ٱلَّذِين آمنُـوا وَعَمِلوا ٱلصَّالحـاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرةً وَأجْراً عَظيماً﴾[2].

وإني أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بـالذي أطعم مَن كـان قبلكم من أسباطكم المنّ والسلوى، وأنشـدكم بـالـذي أيبس البحـر لآبائكم حتى أنجاهم من فـرعون وعمله، إلا أخبـرتموني: هـل تجدون فيمـا أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمـد؟ فإن كنتم لا تجـدون ذلك في كتـابكم فلا كُرْه عليكم. ﴿قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنْ ٱلغيِّ﴾[3] فأدعوكم إلى الله وإلى نبيّه».

---

(١) البقرة ـ الآية ٢٥٦.

(٢) سورة الفتح ـ الآية ٢٩.

قال ابن هشام: شطوه: فراخه؛ وواحدته: شطأة. تقول العرب؛ قد أشطأ الزرع، إذا أخرج فراخه. وآزره: عاونه، فصار الذي قبله مثل الأمّهات. قال أمرؤ القيس بن حُجر الكِندي:

بمَحْنيـة قـد آزر الضَّـال نَبْتُهـا   مَجَـرَّ جيـوش غـانمـين وخُيَّـب

وهذا البيت في قصيدة له. وقال حمد بن مالك الأرقط، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة:

زَرْعاً وقَضْباً مُؤزرَ النباتِ[1]

وهذا البيت في أرجوزة له، وسوقه: جمع ساق، لساق الشجرة.

ما نزل في أبي ياسر وأخيه: **قال ابن إسحاق**: وكان ممن نزل فيه القرآن، بخاصّة من الأحبار وكفّار يهود، الذي كانوا يسألونه ويتعنتونه ليُلْبسوا الحقَّ بالباطل ـ فيما ذُكر لي عن عبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله بن رئاب ـ أن أبا ياسر بن أخطب مرّ برسول الله ـ ﷺ ـ، وهو يتلو فاتحة البقرة: ﴿ألٓمٓ. ذَلكَ ٱلكِتابُ لا رَيْب فِيهِ﴾، فأتى أخاه حُيَيّ بن أخطب في رجال من يهود، فقال: تعلّموا والله، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أُنزل عليه؛ ﴿ألمٓ ذَلكَ الكِتابُ﴾: فقالوا: أنت سمعته؟ فقال: نعم؛ فمشى حُيَيَّ بن أخطب في أولئك النفر من يهود الى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقالوا له: يا محمد، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك: ﴿ألٓمٓ. ذَلكَ الكِتابُ﴾؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: بلى؛ قالوا: أجاءك بها جبريل من عند الله؟ فقال: نعم؛ قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء، ما نعلمه بيّن لنبيّ منهم ما مدّة مُلكه، وما أكل[2] أمّته غيرك؛ فقال حُيَيّ بن أخطب، وأقبل على من معه، فقال لهم: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة؛ أفتدخلون في دين إنّما

---

(١) المحنية والمحناة ما انعطف من الوادي والجمع محان، والضال: شجر تعمل منه القِسيّ.
(٢) القضبة: الشجرة التي امتدّت أغصانها.
(٣) الأكل: الرزق.

مدّة ملكه وأكل أمّته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا محمد، هل مع هذا غيره؟ قال: نعم؛ قال: ماذا؟ قال: ﴿أَلٓمٓصٓ﴾. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون ومئة سنة، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: نعم ﴿أَلٓرٰ﴾. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مئتان، فهذه إحدى وثلاثون ومئتان، هل مع هذا غيره يا محمد؟ قال: نعم ﴿أَلٓمٓرٰ﴾.. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مئتان، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة، ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد، حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً؟ ثم قاموا عنه؛ فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيّ بن أخطب ولمن معه من الأحبار: ما يدريكم لعلّه قد جُمع هذا كلّه لمحمد، إحدى وسبعون، وإحدى وستون ومئة، وإحدى وثلاثون ومئتان، وأحدى وسبعون ومئتان، فذلك سبع مئة وأربع وثلاثون سنة؛ فقالوا: لقد تشابه علينا أمره. فيزعمون أنّ هؤلاء الآيات نزلت فيهم: **﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلكِتَابِ، وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾**[1].

قال ابن إسحاق: وقد سمعت من لا أتّهم من أهل العلم يذكر: أنّ هؤلاء الآيات إنّما أُنزلن في أهل نجران، حين قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محمد بن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيف، أنه قد سمع: أن هؤلاء الآيات إنّما أُنزلن في نفر من يهود، ولم يفسّر ذلك لي. فالله أعلم أيّ ذلك كان.

كفر اليهود بالاسلام وما نزل في ذلك: قال ابن إسحاق: وكان فيما

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٧.

(٢) نهاية الأرب ٣٧٤/١٦

بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ـ ﷺ ـ قبل مبعثه، فلما بعثه الله مع العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم مُعاذ بن جبل. وبشر بن البراء بن معرور، اخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلِموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شِرْك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته؛ فقال سلام بن مِشْكم، أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: **﴿وَلَمّا جاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْد الله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُم وكَانوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفتِحُون عَلى آلّذين كَفرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفرُوا بـه، فَلَعْنَةُ آلله عَلَى الكَافِرينَ﴾**[1].

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن الصيف، حين بعث رسول الله ـ ﷺ ـ، وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق، وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عُهد الينا في محمد عهد، وما أُخذ له علينا من ميثاق. فأنزل الله فيه: **﴿أوَ كُلَّما عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾**[2].

وقال أبو صلوبا الفِطْيوني لرسول الله ـ ﷺ ـ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية فنتّبعك لها. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: **﴿وَلَقد أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا آلْفَاسِقُونَ﴾**[3].

وقال رافع بن حُريملة، ووهْب بن زيد لرسول الله ـ ﷺ ـ: يا محمد، ائتنا بكتاب تنزّله من السماء نقرأه، وفجّرْ لنا أنهاراً نتّبعك ونصدّقك. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: **﴿أَم تُريدُونَ أَنْ تَسْأَلوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِل مُوسَى مِنْ قَبْلُ، وَمَنْ يَتَبَدَّلِ آلكُفْرَ بِآلإيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ آلسَّبيلِ﴾**[4].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٨٩.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٠٠.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ٩٩.
(٤) سورة البقرة ـ الآية ١٠٨.

قال ابن هشام: سواء: وسط السبيل. قال حسّان بن ثابت:

يـا ويـح أنصـار النبيّ ورهْـطه بعد المُغيب في سواء المُلحَـد[1]

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: وكان حُيَيّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب، من أشد يهود العرب حسداً، إذ خصّهم الله تعالى برسوله ﷺ، وكانا جاهدين في رد الناس بما استطاعا. فأنزل الله تعالى فيهما: **﴿وَدَّ كَثيرٌ من أهْل ٱلكِتَـابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إيمـانِكُم كُفَّاراً حَسَـداً مِنْ عند أَنْفُسِهِم مِنْ بَعْـد مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلحَقّ، فَـٱعْفُـوا وَٱصْفَحُـوا حَتّى يَـأتِيَ ٱللهُ بِـأَمْـرِهِ، إنَّ ٱللهَ عَلَى كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[2].

تنـازع اليهود والنصـارى عند الـرسول صلى الله عليـه وسلم: **قال ابن إسحـاق**: ولما قـدِم أهل نجـران من النصارى على رسـول الله ـ ﷺ ـ، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقـال رافع بن حُـرَيملة: ما أنتم على شيء، وكُفْـر بعيسى وبالإنجيـل؛ فقال رجـل من أهـل نجـران من النصـارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجُحْد نبوّة موسى وكُفْر بالتوراة فـأنزل الله تعـالى في ذلـك من قـولهم: **﴿وَقَـالَت ٱليَهُـودُ لَيْسَت ٱلنَّصَـارَىٰ عَلَى شَيْء، وَقَـالَت ٱلنَّصَارَىٰ لَيْستِ ٱليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلكِتَاب، كَذَلِكَ قَالَ ٱلـذِّينَ لا يَعْلَمُـونَ مِثْـلَ قَـوْلِهِمْ، فـاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُم يَـوْمَ ٱلقِيَـامَـةِ فِيمَـا كَـانُـوا فِيـهِ يَخْتَلِفُـونَ﴾**[3]، أي كل يتلو في كتـابه تصـديق ما كفـر بـه، أي يكفـر اليهـود بعيسى، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام، وفي الإنجيل ما جـاء به عيسى عليـه السلام، من تصـديق موسى عليـه السلام، ومـا جاء بـه من التوراة من عنـد الله، وكلٌّ يكفر بما في يد صاحبه.

---

(١) الملحَد القبر، اسم مفعول من ألحد.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٠٩.

(٣) سورة البقرة ـ الآية ١١٣.

قال ابن إسحاق: وقال رافع بن حُرَيملة لرسول الله ـ ﷺ ـ: يا محمد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فلْيكلّمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا ٱللهُ، أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، قَدْ بَيَّنا ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفِطْيوني لرسول الله ـ ﷺ ـ: ما الهُدى الا ما نحن عليه، فاتّبِعْنا يا محمد تهتد؛ وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبدالله بن صوريا وما قالت النصارى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَو نَصَارَى تَهْتَدُوا، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2]. ثم القصة الى قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ، ولا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

ما قالته اليهود عند صرف القبلة الى الكعبة: قال ابن إسحاق: ولما صُرفت القِبلة عن الشام الى الكعبة، وصُرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مَقْدَم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، أتى رسول الله ـ ﷺ ـ رفاعة بن قيس، وقردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي رافع، والحجّاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقيق، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، فقالوا: يا محمد، ما ولّاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملّة إبراهيم ودينه؟ ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتّبعك ونصدّقك، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، قُلْ لله ٱلمَشْرِقُ وٱلمَغْرِبُ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ، وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

(١) سورة البقرة ـ الآية ١١٨.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٣٥.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ١٤١.

عَلَيْكُمْ شَهِيداً. وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلتي كُنْتَ عَلَيْها إلاَّ لنَعْلَم مَنْ يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾، أي ابتلاءً واختباراً ﴿وإنْ كَانَتْ لَكَبيرةً إلاَّ على ٱلَّذينَ هَدَى ٱللهُ﴾، أي من الفتن: أي الذين ثبّت الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُضِيعَ إيمَانَكُمْ﴾، أي إيمانكم بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيّكم، واتّباعكم إياه إلى القبلة الآخرة، وطاعتكم نبيّكم فيها: أي ليعطينّكم أجرهما جميعاً ﴿إنَّ ٱللهَ بٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحيمٌ﴾[1].

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في ٱلسَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرضاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2].

قال ابن هشام: شطره: نحوه وقصده. قال عمرو بن أحمر الباهلي ـ وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ـ يصف ناقة له:

تعدو بنا شَطر جمْع وهي عاقدةٌ ... قد كاربَ العَقْدُ من إيفادها الحقبا[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

وقال قيس بن خويلد الهذليّ يصف ناقته:

إن النَّعوسَ[4] بها داءٌ مُخامِرها ... فشَطْرها نَظَرُ العَينين محسُورُ

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: والنَّعوس ناقته، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير، من قوله: وهو حسير.

﴿وَإنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَ مَا ٱللهُ

---

(١) سورة البقرة ـ الآيتان ١٤٢ و١٤٣.
(٢) البقرة ـ الآية ١٤٤.
(٣) ناقة عاقدة: إذا جعلت ذَنَبها بين فخذيها في أول حملها، وإيفادها إشرافها، والحقب حبل يشدّ به الرحْل إلى بطن الناقة.
(٤) النَّعوس: الكثيرة النعاس.

بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ. وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكتَابَ بِكُلِّ آيَة مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعضٍ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعد مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْم، إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ ٱلظَّالِمينَ﴾.

قال ابن إسحاق: الى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلمُمْتَرِينَ﴾[1].

كتمانهم ما في التوراة: وسأل مُعاذ بن جبل، أخو بني سلمة، وسعد بن مُعاذ، أخو بني عبد الأشهل، وخارجة بن زيد، أخو بلحارث بن الخزرج، نفراً من أحبار يهود عن بعض مافي التوراة، فكتموهم إيّاه، وأبوا أن يخبروهم عنه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلنَا من ٱلبَيِّنَاتِ وٱلهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَاهُ لِلْنَّاس في ٱلكِتَابِ أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ ٱللاَّعِنُون﴾[2].

جوابهم للنبي عليه السلام حين دعاهم الى الاسلام: قال: ودعا رسول الله ـ ﷺ ـ اليهود من أهل الكتاب الى الاسلام ورغّبهم فيه، وحذّرهم عذاب الله ونقمته؛ فقال له رافع بن خارجة، ومالك بن عوف: بل نتّبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا. فأنزل الله عز وجلّ في ذلك من قولهما: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبعوا مَا أَنْزَلَ ٱلله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آباءَنا، أَوَ لَوْ كَانَ آباؤهُمْ لا يَعقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[3].

جمعهم في سوق بني قَينُقاع: ولما أصاب الله عز وجلّ قريشاً يوم بدر جمع رسول الله ـ ﷺ ـ يهود في سوق بني قَينُقاع، حين قدم المدينة، فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً، فقالوا له: يا محمد، لا يغرّنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش، كانوا

(١) سورة البقرة ـ من الآية ١٤٤ حتى الآية ١٤٧.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٥٩.
(٣) البقرة ـ الآية ١٧٠.

أغماراً[1] لا يعرفون القتال، إنّك والله لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن النّاس، وأنك لم تلْق مثلنا، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿قُلْ للَّذين كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ وبِئْسَ ٱلمِهَاد. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ في فِئَتَيْنِ ٱلتَقَتَا، فئةٌ تُقَاتِلُ في سَبيلِ الله، وأُخرى كَافِرَةٌ، يَروْنَهُمْ مِثْلَيْهِم رَأيَ ٱلعَيْنِ، وٱللّه يُؤيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ، إنَّ في ذَلِكَ لَعِبرَةً لأولي ٱلأبصَارِ﴾[2].

دخوله ﷺ بيت المدراس: قال: ودخل رسول الله - ﷺ - بيت المدراس[3] على جماعة من يهود، فدعاهم الى الله؛ فقال له النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد: على أيّ دين أنت يا محمد؟ قال: على ملّة إبراهيم ودينه؛ قالا؛ فإنّ إبراهيم كان يهودياً؛ فقال لهما رسول الله - ﷺ -: «فهلُمّ الى التوراة، فهي بيننا وبينكم»، فأبيا عليه: فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ألَم تَرَ إلَى ٱلَّذينَ أُوتُوا نَصيباً مِنَ الكِتَابِ يُدْعَوْنَ إلى كِتَابِ ٱلله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَتوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّار إلا أياماً مَعْدودَاتٍ، وَغَرَّهُمْ في دِينِهِمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ﴾[4].

تنازع اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام: وقال أحبار يهود ونصارى نجران، حين اجتمعوا عند رسول الله - ﷺ - فتنازعوا، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى من أهل نجران: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً. فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿يا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ في إبْراهِيمَ وَمَا أُنْزِلَت ٱلتَّوراةُ وٱلإنجيلُ إلَّا مِنْ بَعْدِهِ أفَلا تَعْقِلونَ، هَا أَنْتُمْ هٰؤلاءِ حَاجَجْتُم فيما لَكُم به عِلْمٌ، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فيما لَيْس لَكُمْ به علْمٌ، والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعلَمُون. مَا كَانَ إبْراهِيمُ يَهُودياً وَلا نَصْرانياً، وَلكِنْ كَانَ حَنيفاً مُسْلماً، وَمَا كَانَ مِنَ ٱلمُشْرِكينَ؛ إنَّ أوْلى ٱلنَّاس بِإبْرَاهِيمَ للَّذِينَ ٱتَّبَعُوه، وَهذا

---

(١) الأغمار: السُّذَّج الذين لم يجرّبوا الأمور.
(٢) سورة آل عمران - الآيتان ١٢ و١٣.
(٣) المدراس: البيت الذي يدرس فيه اليهود كتابهم والمدراس أيضاً من يدرّس لهم.
(٤) سورة آل عمران - الآيتان ٢٣ و٢٤.

﴿ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ما نزل في إيمانهم غدوة وكفرهم عشيّا: وقال عبدالله بن صيف، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشيّة، حتى نُلبِس عليهم دينهم لعلّهم يصنعون كما نصنع، ويرجعون عن دينه. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لِمَ تُلْبِسُونَ ٱلحَقَّ بِٱلبَاطِلِ، وَتَكْتُمُونَ ٱلحَقَّ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُوا بِٱلَّذِي أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِين آمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون. وَلاَ تُؤمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ، قُلْ إِنَّ ٱلهُدى هُدَى ٱللهِ أَنْ يُؤتى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَٱللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ما نزل في قول أبي رافع أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى: وقال ابو رافع القُرظي، حين اجتمعت الأحبار من يهود، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ـ ﷺ ـ، ودعاهم الى الإسلام: أتريد منّا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصرانيّ، يقال له: الريس، ويروى: الريس، والرئيس: أو ذاك تريد منّا يا محمد واليه تدعونا؟ أو كما قال. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثني الله، ولا أمرني»؛ أو كما قال. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ ٱللهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ، ثُمَّ يَقُول للنّاس كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ ٱللهِ، وَلٰكِنْ كُونُوا رَبانيِّين بِمَا كُنْتُمْ تُعلِّمُونَ ٱلْكِتَابَ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3].

قال ابن هشام: الرّبانيّون: العلماء الفقهاء السادة؛ واحدهم: ربّاني.

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ٦٥ ـ ٦٨.

(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ٧١ ـ ٧٣.

(٣) سورة آل عمران ـ الآيتان ٧٩ و٨٠.

قال الشاعر:

لو كنت مُرتهناً في القوس أفْتَنَنِي ... منهــا الكــلامُ ورَبّــانيَّ أحبــارِ

قال ابن هشام: القوس: صومعة الراهب. وأفْتَنَني، لغة تميم، وفتنني، لغة قيس.

قال جرير:

لا وَصْل إذ صَرمتْ هندٌ ولو وقفت ... لاستنزلتني وذا المِسْحَين في القَوس

اي صومعة الراهب. والربّاني: مُشتقّ من الربّ، وهو السيّد. وفي كتاب الله: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾[1]، أي سيّده.

قال ابن إسحاق: ﴿ولا يـأمُرُكم أن تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ والنَّبِيِّينَ أرباباً أيَأمُرُكم بالكُفرِ بَعْدَ إذْ أنْتُمْ مُسْلِمُون﴾[2].

ما نزل في أخْذ الميثاق عليهم: قال ابن إسحاق: ثم ذكر ما أخذ الله عليهم، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم، وإقرارهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي، قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾[3] إلى آخر القصة.

سعيهم في الوقيعة بين الأنصار: قال ابن إسحاق: ومرّ شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عسا[4]، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله - ﷺ - من الأوس والخزرج. في مجلسٍ قد جمعهم، يتحدّثون فيه، فغاظه ما رأى من ألْفتهم وجماعتهم،

---

(١) سورة يوسف - الآية ٤١.
(٢) سورة آل عمران - الآية ٨٠.
(٣) سورة آل عمران - الآية ٨١.
(٤) عسا الشيخ: كبر.

وصلاح ذات بينهِم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية. فقال: قد اجتمع ملأ بني قَيْلَة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار. فأمر فتًى شاباً من يهود كان معهم، فقال: اعمدْ إليهم، فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بُعاث وما كان قبله وأنشِدْهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار.

يوم بُعاث: وكان يوم بُعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذٍ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حُضَير بن سماك الأشهلي، أبو أُسَيْد بن حُضَير؛ وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقُتلا جميعاً[١].

قال ابن هشام: قال أبو قيس بن الأسلت:

على أن قد فُجِعتُ بذي حِفاظٍ ... فعاودَني له حُزْنٌ رَصِينُ[٢]
فإمّا تقتلوه فإنّ عَمْراً ... أعضَّ برأسه عَضْبٌ[٣] سَنِينُ

وهذان البيتان في قصيدة له. وحديث يوم بُعاث أطول مما ذكرت، وإنّما منعني من استقصائه ما ذكرت من القطْع[٤].

قال ابن هشام: سنين: مسنون، من سنّه، إذا شحذه.

قال ابن إسحاق: ففعل. فتكلّم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيَّيْن على الركْبِ، أوس بن قَيْظي، أحد بني حارثة بن الحارث، من الأوس، وجبّار بن صخر، أحد بني سَلِمة من الخزرج، فتقاولا

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٧٨، ٣٧٩.
(٢) الحفاظ: شدّة الغضب. والرصين: الثابت.
(٣) العضب: السيف القاطع.
(٤) يقصد القطع لسيرة رسول الله ﷺ. وانظر عن يوم بُعاث في: تاريخ الطبري ٢/٣٥٢، ٣٥٣، نهاية الأرب ١٦/٣٠٥، تاريخ الإسلام ٢٨٨، عيون الأثر ١/١٥٥، سيرة ابن كثير ٢/١٧٤، ١٧٥.

ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة: الحرّة ـ السلاح السلاح. فخرجوا إليها. فبلغ ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبِدَعْوى الجاهلية وأنا بين أظهُركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذ به من الكفر، وألّف به بين قلوبكم؟! فعرف القوم أنها نزعة[1] من الشيطان، وكيد من عدوّهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوّ الله شأس بن قيس. فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس وما صنع: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُون بِآيَاتِ ٱللهِ، وَٱللهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ، وَمَا ٱللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[2].

وأنزل الله في أوس بن قَيْظي وجبّار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية: **﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ. وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ ٱللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**... إلى قوله تعالى: **﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[3].

ما نزل في قولهم: ما اتّبع محمداً إلاّ شِرارنا: قال ابن إسحاق: ولما أسلم عبدالله بن سلاّم، وثعلبة بن سَعية، وأسيد بن سعية، وأَسد بن عُبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام، ورسخوا فيه،

(١) نزغ الشيطان بينهم: أفسد وأغرى.
(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ٩٨ و٩٩.
(٣) سورة آل عمران ـ من الآية ١٠٠ ـ ١٠٥.

قالت أحبار يهود، أهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا اتّبعه إلا شِرارنا، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دِين آبائهم وذهبوا إلى غيره. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ ٱلكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ ٱللهِ آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾(١).

قال ابن هشام: آناء الليل: ساعات الليل: وواحدها: إني. قال المتنخل الهُذليّ، واسمه مالك بن عُويمر؛ يرثي أُثيلة ابنه:

حُلْو ومُرّ كعَطْف القِدْح شيمتهُ ... في كلّ إنْي قضاه الليلُ ينتعلُ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال لَبيد بن ربيعة، يصف حمار وحش:

يُطَرِّبُ آناءَ النّهار كأنّه ... غَوِيّ سَقاه في التِّجار نَدِيمُ (٢)

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنى مقصور، فيما أخبرني يونس.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱليَوْمِ ٱلآخِرِ، وَيَأْمُرُونَ بِٱلمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلمُنْكَرِ، وَيُسَارِعُونَ فِي ٱلخَيْرَاتِ، وَأُولٰئِكَ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾(٣).

ما نزل في نهْي المسلمين عن مباطنة اليهود: **قال ابن إسحاق**: وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود، لِما كان بينهم من الجوار والحلْف، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مُباطنتهم: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ، لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ، قَدْ بَدَتِ ٱلبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ، وَتُؤْمِنُونَ بِٱلكِتَابِ كُلِّهِ﴾، أي تؤمنون بكتابكم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم كنتم أحقّ بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١١٣.

(٢) الغويّ: المفسِد. والتّجار: بائعو الخمر. والمفرد تاجر.

(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١١٤.

عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ ٱلغَيْظِ، قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾[1] إلى آخر القصة.

دخول أبي بكر بيت المدراس: ودخل أبو بكر الصِّدِّيق بيت المدراس على يهود، فوجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له فِنْحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْر من أحبارهم، يقال له: أشيع؛ فقال أبو بكر لِفنْحاص: ويحك يا فِنْحاص! اتّق الله وأَسْلِم، فوالله إنّك لَتعلم أنّ محمداً لرسول الله، قد جاءكم بالحقّ من عنده، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فِنْحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرّع إليه كما يتضرّع إلينا، وإنّا عنه لأغنياء، وما هو عنّا بغنيّ، ولو كان عنّا غنيّاً ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنّا غنيًّا ما أعطانا الرِّبا. قال: فغضب أبو بكر، فضرب وجه فِنْحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك، أي عدوّ الله. قال: فذهب فِنْحاص إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا محمد، أنظر ما صنع بي صاحبك؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت»؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنّ عدوّ الله قال قولاً عظيماً: إنه زعم أنّ الله فقير وأنّهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال، وضربت وجهه. فجحد ذلك فِنْحاص، وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فِنْحاص ردّاً عليه وتصديقاً لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ آللهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ آللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ٱلأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلحَرِيقِ﴾[2].

ونزل في أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وما بلغه في ذلك من الغضب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا

(١) سورة آل عمران ـ من الآية ١١٨ ـ ١٢٠.
(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٨١.

أَذًى كَثِيراً. وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

ثم قال فيما قال فِنْحاص والأحبار معه من يهود ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً، فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ. لا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] يعني فِنْحاص، وأشيعَ وأشباههما من الأحبار، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيّنوا للناس من الضلالة، ويحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا؛ أن يقول الناس: علماء، وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدًى ولا حقّ، ويحبّون أن يقول الناس: قد فعلوا.

أمر اليهود المؤمنين بالبخل: قال ابن إسحاق: وكان كَرْدَم بن قيس، حليفُ كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبَحْريّ بن عمرو، وحُيَيّ بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار كانوا يخالطونهم، ينتصحون لهم، من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإنّا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنّكم لا تدرون علام يكون. فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي من التوراة، التي فيها تصديق ما جاء به محمد ﷺ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً. وَٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ ٱلنَّاسِ، وَلا يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَلا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾... إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾[3].

اليهود ـ لعنهم الله ـ يجحدون الحقّ: قال ابن إسحاق: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود، إذا كلّم رسول الله ـ ﷺ ـ لوى لسانه،

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٨٦.

(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٨٧ و١٨٨.

(٣) سورة النساء ـ الآيات ٣٧ ـ ٣٩.

وقال: أرعنا سمْعَك يا محمـد، حتى نفهمك، ثم طعن في الإسـلام وعابـه. فأنزل الله فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلكِتَابِ يَشْتَـرُونَ ٱلضَّلاَلَـةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا ٱلسَّبِيـلَ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِأَعْـدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللهِ وَلِيًّـا، وَكَفَىٰ بِٱللهِ نَصِيـراً. مِنَ ٱلَّذِينَ هَـادُوا يُحَرِّفُـونَ ٱلكَلِمَ عَنْ مَـوَاضِعِـهِ، وَيَقُـولُـونَ سَمِعْنَـا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ، وَرَاعِنَـا﴾، (أي راعنا سمْعَـك) ﴿لَيًّا بِـأَلْسِنَتِهِمْ، وَطَعْناً فِي الدِّين، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَـا وَاسْمَعْ وَانْـظُرْنَا، لَكَـانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ، وَلٰكِنْ لَعَنَهُمُ ٱللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(1).

وكلّم رسـول الله ـ ﷺ ـ رؤسـاء من أحبـار يهـود، منهم: عبـدالله بن صُـورِيـا الأعـور، وكعب بن أسـد، فقـال لهم: «يـا معشـر يهـود، اتّقـوا الله وأسْلِمـوا، فوالله إنّكم لتعلمـون أنّ الذي جئتكم بـه لَحقّ»؛ قالـوا: ما نعـرف ذلك يا محمـد: فجحدوا مـا عرفـوا، وأصرُّوا على الكفـر، فأنـزل الله تعالى فيهم ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَـا مُصَدِّقـاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْـلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَـا عَلَى أَدْبَارِهَـا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّـا أَصْحَابَ ٱلسَّبْتِ، وَكَانَ أَمْرُ ٱللهِ مَفْعُولاً﴾(2).

قال ابن هشام: نطمس: نمسحها فنسوّيها، فلا يُرى فيهـا عين ولا أنف ولا فم، ولا شيء ممـا يُـرى في الـوجـه؛ وكـذلـك ﴿فَـطَمَسْنَـا أَعْيُنَهُمْ﴾. المـطمـوس العين: الـذي ليس بين جفنيـه شق. ويقـال: طمست الكتـاب والأثـر، فلا يُـرى منـه شيء. قـال الأخـطل، واسمـه الغـوث(3) بن هُبيـرة بن الصّلب التغلبيّ، يصف إبِلاً كلّفها ما ذكر:

وتَكلِيفُنَـاهـا كـلَّ طـامِســةِ الصُّـوى ... شَـطونٍ تَـرَى حِـربـاءَهـا يتملمـلُ(4)

---

(1) سورة النساء ـ من الآية ٤٤ ـ ٤٦.

(2) سورة النساء ـ الآية ٤٧.

(3) المشهور أن اسمه غياث بن غوث بن الصلت ويُكَنّى أبا مالك.

(4) الشطون: البعيد، والحرباء: دُوَيبة صغيرة تتلوّن في الشمس ألواناً لهـا أربع قـوائم، جمعها حرابيّ.

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: واحدة الصُّوَى: صُوّة. والصُّوَى: الأعلام التي يُستَدَلُّ بها على الطرق والمياه.

قال ابن هشام: يقول: مُسِحت فاستوت بالأرض، فليس فيها شيء ناتيء.

من حزَّبوا الأحزاب: قال ابن إسحاق: وكان الذين حزّبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قُرَيظة: حُيَيّ بن أخطب، وسلام بن أبي الحُقَيق، أبو رافع، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقيق، وأبو عمّار، ووحْوَح بن عامر، وهَوْذة بن قيس. فأما وَحْوَح، وأبو عمار، وهوذة فمن بني وائل، وكان سائرهم من بني النضير. فلما قدِموا على قريش قالوا. هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتاب الأول، فسلوهم، دِينكم خيراً أم دين محمد؟ فسألوهم، فقالوا: بل دِينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممّن اتّبعه. فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ﴾**(١).

قال ابن هشام: الجبت عند العرب: ما عبد من دون الله تبارك وتعالى: والطاغوت: كل ما أضلّ عن الحقّ. وجمع الجِبْتْ: جُبوت؛ وجمع الطاغوت: طواغيت.

قال ابن هشام: وبَلَغَنا عن ابن أبي نَجِيح أنه قال: الجبت: السحْر؛ والطاغوت: الشيطان.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾(١).

قال ابن إسحاق: إلى قوله تعالى: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلكِتَابَ وَٱلحِكْمَةَ، وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾**(٢).

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٥١.

(٢) سورة النساء ـ الآية ٥٤.

إنكار اليهود التنزيل: قال ابن إسحاق: وقال سُكَيْن وعَدِيّ بن زيد: يا محمد، ما نعلم أنّ الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمانَ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً. وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ ٱللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً. رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ٱللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ، وَكَانَ ٱللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[1].

ودخلت على رسول الله - ﷺ - جماعة منهم، فقال لهم: أما والله إنكم لتعلمون أنّي رسول من الله إليكم؛ قالوا: ما نعلمه، وما نشهد عليه. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿لٰكِنِ ٱللهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَٱلْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ، وَكَفَىٰ بِٱللهِ شَهِيداً﴾[2].

اتفاقهم على طرح الصخرة على رسول الله - ﷺ -: وخرج رسول الله - ﷺ - إلى بني النضير يستعينهم في دِية العامريّين اللذين قتلهما عمرو بن أميّة الضمري. فلما خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا؛ فأتى رسول الله - ﷺ - الخبرُ، فانصرف عنهم. فانزل الله تعالى فيه، وفيما أراد هو وقومه: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا ٱللهَ وَعَلَىٰ ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

ادّعاؤهم أنهم أحبّاء الله: وأتى رسول الله - ﷺ - نعمانُ بنُ أضاء، وبحريّ بن عمر، وشأس بن عديّ، فكلّموه وكلّمهم رسول الله - ﷺ -،

---

(١) سورة النساء - الآيات ١٦٣ - ١٦٥.

(٢) سورة النساء - الآية ١٦٦.

(٣) سورة المائدة - الآية ١١.

ودعـاهم إلى الله، وحذّرهم نقمتـه؛ فقالـوا، ما تخـوّفنا يـا محمد، نحن والله أبناء الله وأحبّاؤه، كقـول النصارى. فـأنزل الله تعـالى فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُـودُ وَٱلنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِـرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَـذِّبُ مَنْ يَشَـاءُ، وَللهِ مُلْكُ ٱلسَّمـوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

إنكـارهم نزول كتـاب بعـد مـوسى: قـال ابن إسحـاق: ودعـا رسـول الله - ﷺ - يهود إلى الإسلام ورغّبهم فيـه، وحذّرهم غِيَـرَ الله وعقوبتـه، فأبـوا عليـه، وكفروا بمـا جـاءهم بـه، فقـال لهم مُعـاذ بن جبـل، وسعـد بن عُبـادة وعُقبـة بن وهْب: يا معشـر يهود، اتّقـوا الله، فوالله إنّكم لتعلمـون أنه رسـول الله، ولقـد كنتم تذكـرونه لنـا قبل مبعثـه وتصفونـه لنا بصفتـه؛ فقال رافـع بن حُرَيْمَلَة، ووهْب بن يَهُوذا: ما قلنا لكم هذا قطّ، وما أنـزل الله من كتاب بعـد مـوسى، ولا أرسل بشيـراً ولا نـذيـراً بعـده، فـأنـزل الله تعـالى في ذلـك من قولهما: ﴿يَاأَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُ يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيـرٌ وَنَذِيـرٌ وَٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

ثم قصّ عليهم خبـر موسى ومـا لقي منهم، وانتقاضهم عليـه، وما ردّوا عليه من أمر الله حتى قاموا في الأرض أربعين سنة عقوبة.

رجـوعهم الى النبيّ ﷺ في حكم الرجْم؟ قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني ابن شهـاب الزُهْـريّ أنـه سمـع رجـلاً من مُـزَينـة، من أهـل العلم، يحـدّث سعيـد بن المسيّب، أنّ أبا هـريرة حـدّثهم: أنّ أحبار يهـود اجتمعـوا في بيت المـدراس، حين قدِم رسـول الله - ﷺ - المدينـة، وقـد زنى رجـل منهم بعـد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: ابعثـوا بهذا الـرجل وهـذا المرأة

(١) سورة المائدة - الآية ١٨.

(٢) سورة المائدة - الآية ١٩.

إلى محمد، فسلوه كيف الحكم فيهما، وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيها بعملكم من التجبية ـ والتجبية: الجلد بحبل من ليف مَطليّ بقار، ثم تسودُّ وجوههما، ثم يُحملان على حمارين وتُجعل وجوههما من قِبَل أدبار الحمارين ـ فاتّبعوه، فإنّما هو مَلك، وصدّقوه؛ وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبيّ، فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه. فأتوه، فقالوا: يا محمد، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما، فقد ولّيناك الحكم فيهما. فمشى رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أتى أحبارَهم في بيت المدراس فقال: «يا معشر يهود أخرِجوا إليّ علماءكم»، فأُخرج له عبدالله بن صُورِيا.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض بني قُرَيظة: أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ، مع ابن صُورِيا، أبا ياسر بن أخطب، ووهْب بن يهوذا؛ فقالوا: هؤلاء علماؤنا. فسألهم رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم حصّل أمرهم، إلى أن قالوا لعبدالله بن صُورِيا: هذا أعلم من بقي بالتوراة.

قال ابن هشام: من قوله: «وحدّثني بعض بني قُرَيظة» ـ إلى «أعلم من بقي بالتوارة» من قول ابن إسحاق، وما بعده من الحديث الذي قبله.

فخلا به رسول الله ـ ﷺ ـ، وكان غلاماً شابًّا من أحدثهم سنًّا، فألظ به(١) رسول الله ـ ﷺ ـ المسألة، يقول له: يا بن صُورِيا، أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أنّ الله حكم فيمن زنى بعد إحصَانه بالرجم في التوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنّهم ليعرفون أنك لنبيٌّ مُرسَل، ولكنهم يحسدونك(٢). قال: فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ، فأمر بهما فرُجما عند باب مسجده في بني غَنْم بن مالك بن النجّار، ثم كفر بعد ذلك ابن صُورِيا، وجحد نُبوَّة رسول الله ـ ﷺ ـ.

---

(١) ألظّ به: ألح عليه.
(٢) سبل الهدى ٥٩٣/٣

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾، أي الذين بعثوا منهم مَن بعثوا وتخلّفوا، وأمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه. ثم قال: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾، أي الرجم ﴿فَاحْذَرُوا﴾[1] إلى آخر القصة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله ـ ﷺ ـ برجْمهما، فرُجما بباب مسجده، فلما وجد اليهوديّ مسّ الحجارة قام إلى صاحبته فجنأ عليها[2]، يقيها مسّ الحجارة، حتى قُتلا جميعاً[3]، قال: وكان ذلك مما صنع الله لرسول الله ـ ﷺ ـ في تحقيق الزّنا منهما.

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر، قال: لما حكّموا رسول الله ـ ﷺ ـ فيهما، دعاهم بالتوراة، وجلس حَبرٌ منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجْم، قال: فضرب عبدالله بن سلاّم يد الحَبْر ثم قال: هذه يا نبيّ الله آية الرجْم، يأبى أن يتلوها عليك؛ فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «ويْحكم يا معشر يهود! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم»؟ قال: فقالوا: أما والله إنه قد كان فينا يُعمل به، حتى زنا رجل منّا بعد إحصانه، من بيوت الملوك وأهل الشرف، فمنعه الملك من الرجْم، ثم زنا رجل بعده، فأراد أن يرجمه، فقالوا: لا والله، حتى ترجم فلاناً، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجْبية، وأماتوا ذِكْر الرجْم والعملَ به. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فأنا أول من أحيا أمرَ الله وكتابه وعمل به»، ثم أمر بهما فرُجما عند باب مسجده. وقال

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٤١.
(٢) نهاية الأرب ١٦/٣٨٦

عبدالله بن عمر فكنت فيمن رجمهما[1].

ظلمهم في الدية: قال ابن إسحاق: وحدّثني داود بن الحُصين، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أنّ الآيات من المائدة التي قال الله فيها: ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً. وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[2] إنما أُنزلت في الدِية بين بني النضير وبين بني قُرَيظة، وذلك أنّ قتلى بني النضير، وكان لهم شرف، يؤدّون الدِية كاملة، وأنّ بني قُريظة كانوا يؤدّون نصف الدِية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسول الله ـ ﷺ ـ على الحقّ في ذلك، فجعل الدِية سواء.

قال ابن إسحاق: فالله أعلم أيّ ذلك كان.

رغبتهم في فتنة الرسول الله ـ ﷺ ـ: قال ابن إسحاق: وقال كعب بن أسد، وابن صُوريا، وعبدالله بن صُوريا، وشأس بن قيس، بعضهم لبعض: أذهبوا بنا إلى محمد، لعلّنا نفتنه عن دِينه، فإنّما هو بشر، فأتوه، فقالوا له: يا محمد، إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم، وأنّا إن اتّبعناك اتّبعتك يهود، ولم يخالفونا، وأنّ بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنُحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدّقك، فأبى ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ. فأنزل الله فيهم: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[3]؟

إنكارهم نُبوّة عيسى عليه السلام: قال ابن إسحاق: وأتى رسول

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٨٦، عيون الأثر ١/٢١٧

(٢) سورة المائدة ـ الآية ٤٢.

(٣) سورة المائدة ـ الآيتان ٤٩ و٥٠.

الله ـ ﷺ ـ نفرٌ منهم: أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وعازَر بن أبي عازر، وخالد، وزيد، وإزار بن أبي إزار، وأشْيَع. فسألوه عمّن يؤمن به من الرُسل؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: ﴿**نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾(١). فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نُبوَّته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ، وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**﴾(٢).

ادّعاؤهم أنهم على الحق: وأتى رسول الله ـ ﷺ ـ رافعُ بن حارثة، وسلّام بن مِشكم، ومالك بن الصيف، ورافع بن حُريملة، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أنك على ملّة إبراهيم ودِينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة: وتشهد أنها من الله حقّ؟ قال: «بلى، ولكنّكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبّينوه للناس، فبرئت من إحداثكم»؛ قالوا: فإنّا نأخذ بما في أيدينا، فإنّا على الهدى والحقّ، ولا نؤمن بك، ولا نتّبعك. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً، فَلاَ تَأْسَ عَلَىٰ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ**﴾(٣).

إشراكهم بالله: **قال ابن إسحاق**: وأتى رسول الله ـ ﷺ ـ النّحام بن زيد، وقَرْدَم بن كعب، وبَحْريّ بن عمرو، فقالوا له: يا محمد، أما تعلم مع الله إلهاً غيره؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الله لا إله إلا هو، بذلك بُعثت، وإلى ذلك أدعو. فأنزل الله فيهم وفي قولهم: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً، قُل**

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٣٦.
(٢) سورة المائدة ـ الآية ٥٩.
(٣) سورة المائدة ـ الآية ٦٨.

اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُم، وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ، أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ، قُلْ لا أَشْهَدُ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ، وإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

نهي الله المؤمنين عن موادّتهم: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسُويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، فكان رجال من المسلمين يوادّونهما. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾... إلى قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾[2].

سؤالهم عن قيام الساعة: وقال جبل بن أبي قُشير، وشمويل بن زيد، لرسول الله - ﷺ -: يا محمد، أخبرنا، متى تقوم الساعة إن كنت نبيّاً كما تقول؟ فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي، لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[3].

قال ابن هشام: أيّان مُرْساها؛ متى مرساها قال، قيس بن الحُدَاديّة الخُزاعيّ:

فجئتُ ومُخْفَى السرّ بيني وبينها لأسألها أيّان مَن سار راجعُ؟

وهذا البيت في قصيدة له. ومرساها: منهاها، وجمعه: مَراسٍ. وقال الكُمَيت بن زيد الأسديّ:

---

(١) سورة الأنعام - الآيتان ١٩ و٢٠.
(٢) سورة المائدة - الآيات ٥٧ - ٦١.
(٣) سورة الأعراف - الآية ١٨٧.

والمُصيبين بـابَ مـا أخـطأ الـنّـا سُ ومُـرسَـى قـواعـد الإسـلامِ

وهذا البيت في قصيدة له. ومُرْسى السفينة: حيث تنتهي. وحَفِيّ عنها ـ على التقديم والتأخير ـ يقول: يسألونك عنها كأنك حَفِيٌّ بهم تخبرهم بما لا تخبر به غيرهم. والحَفِيّ: البرّ المتعهّد، وفي كتاب الله: ﴿إنَّه كانَ بِي حَفِيّاً﴾[١]. وجمعه: أحفياء. وقال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

فـإن تسـألي عنّي فيـارُبَّ سـائـلٍ حَفِيّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا[٢]

وهـذا البيت في قصيـدة لـه. والحَفِيّ أيضـاً: المستحفي عـن علم الشيء، المبالغ في طلبه.

ادّعـاؤهم أنّ عُزَيـراً ابن الله: قال ابن إسحـاق: وأتى رسول الله ـ ﷺ ـ سـلام بن مِشْكم، ونعمان بن أوفى أبـو أنس، ومحمود بن دِحيـة، وشـأس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا له: كيف نتّبعك وقد تركت قِبلتنـا، وأنت لا تـزعم أنّ عُزيراً ابن الله؟ فأنـزل الله عزّ وجـلّ في ذلك من قـولهم: **﴿وَقَـالَتِ ٱليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ ٱللهِ، وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ ٱلمَسِيحُ ابْنُ ٱللهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِـأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَـوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْ قَبْلُ، قَـاتَلَهُمُ ٱللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾**[٣] إلى آخـر القصة.

قال ابن هشام: يضاهون: أي يشاكل قولهم قول الذين كفروا، نحو أن تحدّث بحديث، فيحدّث آخر بمثله، فهو يضاهيك.

طلبهم كتـابـاً من السمـاء: قـال ابن إسحـاق: وأتى رسـول الله ـ ﷺ ـ محمـود بن سيحان، ونعمـان بن أضاء، وبَحـريّ بن عمـرو، وعُـزير بن أبي عُزير، وسلّام بن مِشْكم، فقالوا: أَحَقّ يا محمـد أنّ هذا الـذي جئت به لَحَقّ من عنـد الله، فـإنّـا لا نـراه متّسقـاً كمـا تتّسق التـوراة؟ فقـال لهم رسـول

(١) سورة مريم ـ الآية ٤٧.
(٢) أصعد: سار في البلاد.
(٣) سورة التوبة ـ الآية ٣٠.

الله ـ ﷺ ـ: «أما والله إنّكم لتعرفون أنه من عند الله. تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به»؛ فقالوا عند ذلك، وهم جميع: فِنْحاص، وعبدالله بن صُورِيا، وابن صَلُوبا، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، وأشْيَع، وكعب بن أسد، وشَمْويل بن زيد، وجبل بن سُكينة: يا محمد، أما يعلّمك هذا إنس ولا جنّ؟ قال: فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «أما والله إنكم لَتعلمون أنه من عند الله: تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة»؛ فقالوا: يا محمد، فإنّ الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدره منه على ما أراد، فأنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ونعرفه، وإلّا جئناك بمثل ما تأتي به. فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَت ٱلإِنْسُ وَٱلجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَـأْتُوا بِمِثْـلِ هٰذَا ٱلقُـرآنِ لا يَأْتُـونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(1).

قال ابن هشام: الظهير: العَون. ومنه قول العرب: تظاهروا عليه، أي تعاونوا عليه. قال الشاعر:

يـا سَـميّ الـنّبـيّ أصبحتَ لـلدّين   قــوامــاً ولـلإمــام ظــهــيـرا

أي عونا؛ وجمعه: ظُهَراء.

سؤآلهم له ﷺ عن ذي القرنين: قال ابن إسحاق: وقال حُيَيّ بن أخطب، وكعب بن أسد، وأبو رافع، وأشيع، وشمويل بن زيد، لعبدالله بن سلام حين أسلم: ما تكون النّبوَّة في العرب ولكنّ صاحبك مَلك. ثم جاءوا رسول الله ـ ﷺ ـ فسألوه عن ذي القرنين، فقصّ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه، مما كان قصّ على قريش، وهم كانوا ممّن أمر قريشاً أن يسألوا رسول الله ـ ﷺ ـ عنه، حين بعثوا إليهم النضر بن الحارث، وعُقبة بن أبي مُعَيط.

تهجّمهم على ذات الله: قال ابن إسحاق: وحُدّثت عن سعيد بن جُبير أنه قال: أتى رهْط من يهود إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقالوا: يا محمد، هذا

(1) سورة الإسراء ـ الآية ٨٨.

الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ قال: فغضب رسول الله - ﷺ - حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضباً لربّه. قال: فجاءه جبريل عليه السلام فسكّنه، فقال: خفِّضْ عليك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه: **﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ. ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾**[1].

قال: فلما تلاها عليهم، قالوا: فصِف لنا يا محمد كيفَ خَلْقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضُده. فغضب رسول الله - ﷺ - أشدّ من غضبه الأول، وساورهم. فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له مثل ما قال له أول مرّة، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه. يقول الله تعالى: **﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ، وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عُتبة بن مسلم، مولى بني تَيْم، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هُريرة، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول «يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم: هذا الله خَلَقَ الخَلْق، فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: **﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد﴾** ثم ليتْفِل الرجل عن يساره ثلاثاً، ولْيستعذ بالله من الشيطان الرجيم».

قال ابن هشام: الصمد: الذي يُصمَد إليه، ويُفزع إليه. قالت هند بنت مَعبد بن نضلة تبكي عمرو بن مسعود، وخالد بن نضلة، عمّيها الأسديّين، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخميّ، وبني الغَريّيْن[3] اللذين بالكوفة عليهما:

ألا بَكَرَ النّاعي بخَيرَيْ بني أسدْ بعمرو بن مَسعود وبالسيّد الصَّمَد

---

(١) سورة الإخلاص بكاملها. (٢) سورة الزمر - الآية ٦٧.

(٢) الغريّان المشهوران بالكوفة وهما بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جَذِيمة الأبرش وسُمّيا الغَرِيَّيْن لأنّ النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من بقتله يوم بؤسه. (لسان العرب ١٩/٣٥٨)

ذِكْر نصارى نجران وما نزَّل الله فيهم

معنى العاقب والسيّد والأسقُفّ: قال ابن إسحاق: وقدِم على رسول الله - ﷺ - وفد نصارى نجران، ستّون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يتولّى أمرهم: العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلّا عن رأيه، واسمه عبد المسيح؛ والسيد، لهم ثمالهم[1] وصاحب رَحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيْهم، وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أسقُفُّهم وحَبرهم وإمامهم، وصاحب مدْراسهم.

وكان أبو حارثة قد شرُف فيهم، ودرس كتبهم، حتى حسُن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرّفوه وموّلوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

إسلام كوز بن علقمة: فلما رجعوا إلى رسول الله - ﷺ - من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له موجّهاً إلى رسول الله - ﷺ -، وإلى جنبه أخ له، يقال له: كوز بن علقمة - قال ابن هشام: ويقال كُرْز - فعثرت بغلة أبي

---

(١) ثمال القوم: من يرجعون إليه ويقوم بأمرهم.

حارثة، فقال كوز: تعِس الأبعد: يريد رسول الله ـ ﷺ ـ: فقال له أبو حارثة: بل وأنت تعست! فقال: ولِمَ يا أخي؟ قال؛ والله إنه للنبيّ الذي كنّا ننتظر، فقال له كوز: ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرّفونا وموّلونا وأكرمونا، وقد أبوا إلّا خلافه، فلو فعلت نزعوا منّا كل ما ترى. فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة، حتى أسلم بعد ذلك. فهو كان يحدّث عنه الحديث فيما بلغني[1].

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس: **قال ابن هشام:** وبلغني أنّ رؤساء نجران كانوا يتوارثون كُتباً عندهم. فكلّما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبيّ ﷺ يمشي فعثر، فقال له ابنه: تعِس الأبعد يريد النبيَّ ﷺ؛ فقال له أبوه: لا تفعل، فإنه نبيّ واسمه في الوضائع، يعني الكتب. فلما مات لم تكن لابنه همّة إلّا أن شدّ فكسر الخواتم، فوجد فيها ذِكر النبيّ ﷺ، فأسلم فحسُن إسلامه وحجّ، وهو الذي يقول:

إليك تعدو قلِقاً وضِينُها ... مُعتَرِضاً في بَطْنها جَنينُها
مُخالفاً دِين النصارى دينُها

قال ابن هشام: الوضين: الحزام، حزام الناقة. **وقال** هشام بن عُروة: وزاد فيه أهل العراق:

مُعترضاً في بطنها جنينُها

فأمّا أبو عُبيدة فأنشدناه فيه.

صلاتهم إلى جهة المشرق: **قال ابن إسحاق:** وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: لما قدِموا على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، فدخلوا عليه

---

(١) عيون الأثر ١/٢١٩، ٢٢٠

مسجده حين صلّى العصر، عليهم ثياب الحِبَرَات[1]، جُبَب وأرْدِية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب. قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبيّ ﷺ يومئذ: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ يصلّون: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ؛ دعوهم؛ فصلّوا إلى المشرق.

أسماؤهم ومعتقداتهم: **قال ابن إسحاق**: فكانت تسمية الأربعة عشر، الذين يئول إليهم أمرهم: العاقب، وهو عبدالمسيح؛ والسيد هو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل، وأوس؛ والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونُبيه، وخُويلد، وعمرو، وخالد، وعبدالله، ويُحنَّس، في ستين راكباً. فكلّم رسول الله ـ ﷺ ـ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبدالمسيح، والأيْهم السيّد ـ وهم من النصرانية على دِين الملك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله. ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وكذلك قول النصرانية[2].

فهم يحتجّون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يحيي الموتى، ويبرىء الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطّين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً، وذلك كلّه بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾[3].

ويحتجّون في قولهم: إنه ولد الله بأنهم يقولون: لم يكن له أب يُعلم، وقد تكلّم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

ويحتجّون في قولهم: «إنه ثالث ثلاثة» بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلّا فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقت؛ ولكنه هو وعيسى ومريم. ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ـ فلما كلّمه الحَبران، قال لهما رسول الله ـ ﷺ ـ: أسلِما؛ قالا: قد

---

(١) برود من اليمن.
(٢) عيون الأثر ١/ ٢٢٠
(٣) سورة مريم ـ الآية ٢١.

أسلمنا؛ قال: إنّكما لم تُسلما فأسلما، قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك: قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير؛ قالا. فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله - ﷺ - فلم يُجبهما[1].

ما نزل فيهم من القرآن: فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كلّه، صدْر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آيةً منها، فقال جلّ وعزّ: ﴿**الٓمٓ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ**﴾[2]. فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا، وتوحيده إيّاها بالخلق والأمر، لا شريك له فيه، ردّاً عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجاً بقولهم عليهم في صاحبهم، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم: فقال: ﴿**الٓمٓ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾ ليس معه غيره شريك في أمره ﴿**ٱلْحَيّ ٱلْقَيُّومُ**﴾ الحيّ الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصُلب في قولهم. والقيّوم القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به، وذهب عنه إلى غيره. ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ**﴾، أي بالصدق فيما اختلفوا فيه ﴿**وَأَنْزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ**﴾: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أنزل الكتب على من كان قبله ﴿**وَأَنْزَلَ ٱلْفُرْقَانَ**﴾، أي الفصل بين الحقّ والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره. ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللهِ، لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَٱللهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنْتِقَامٍ**﴾، أي أنّ الله منتقم ممن كفر بآياته، بعد علمه بها، ومعرفته بما جاء منه فيها. ﴿**إِنَّ ٱللهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ**﴾، أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى، إذ جعلوه إلهاً وربّاً، وعندهم من علمه غير ذلك، غِرة بالله، وكفراً به. ﴿**هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾، أي قد كان عيسى ممّن صُوّر في الأرحام، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صُوِّر غيره من

---

(١) عيون الأثر ١/٢٢٠.

(٢) أول سورة آل عمران.

ولد آدم، فكيف يكون إلٰهاً وقد كان بذلك المنزل.

ثم قال تعالى إنزاهاً لنفسه، وتوحيداً لها مما جعلوا معه: ﴿لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، العزيز في انتصاره ممن كفر به إذا شاء، الحكيم في حجّته وعذره إلى عباده. ﴿هُوَ ٱلذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ﴾ فيهنّ حجّة الربّ، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهنّ تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لهنّ تصريف وتأويل، ابتلى الله فيهنّ العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام، ألا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحقّ. يقول عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي مَيل عن الهدى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾، أي ما تصرّف منه، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا، لتكون لهم حجّةَ، ولهم على ما قالوا شبهة ﴿ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، أي اللبس ﴿وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِه﴾. ذلك على ما ركبوا من الضلالة في قولهم: خلقنا وقضينا. يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾، أي الذي به أرادوا، ما أرادوا ﴿إِلاَّ ٱللهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد، من ربّ واحد. ثم ردّوا تأويل المتشَابَه على ما عرفوا من تأويل المُحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلاّ تأويل واحد، واتّسق بقولهم الكتاب، وصدّق بعضه بعضاً، فنفذت به الحجّة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودُمغ به الكفر. يقول الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ في مثل هذا ﴿إِلاَّ أُولُوا ٱلأَلْبَابِ. رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: أي لا تُمِل قلوبنا، وإنْ ملنا بأحداثنا. ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[1]. ثم قال: ﴿شَهِدَ ٱللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَٱلْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا ﴿قَائِماً بِٱلْقِسْطِ﴾، أي بالعدل فيما يريد ﴿لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ. إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلإِسْلاَمُ﴾، أي ما أنت عليه يا محمد: التوحيد للربّ، والتصديق للرسل. ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾، أي الذي جاءك، أي أنّ الله الواحد الذي

(١) سورة آل عمران ـ الآيات من ١ ـ ٨.

ليس له شريك ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ ٱللهِ فَإِنَّ ٱللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ. ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾، أي بما يأتون به من الباطل من قولهم: خلَقنا وفعلنا وأمرنا، فإنما هي شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحقّ ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ﴾، أي وحده ﴿وَمَن اتَّبَعَنِ، وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا كتاب لهم ﴿أَأَسْلَمْتُمْ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلبَلَاغُ، وَٱللهُ بَصِيرٌ بِٱلعِبَادِ﴾[1].

ما نزل من القرآن فيما اتّبعه اليهود والنصارى: ثم جمع أهل الكتابين جميعاً، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا، من اليهود والنصارى، فقال: ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَقْتُلُونَ ٱلذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، إلى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلمُلْكِ﴾ أي ربّ العباد، والملك الذي لا يقضي فيهم غيره ﴿تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وتُذِلُّ مَنْ تشاءُ، بِيَدِكَ ٱلخَيْرُ﴾، أي لا إله غيرك ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك. ﴿تُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وتُولِجُ النَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ، وتُخْرِجُ ٱلحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، وتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ ٱلحَيِّ﴾ بتلك القدرة ﴿وتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2] لا يقدر على ذلك غيرك، ولا يصنعه إلا أنت. أي فإنْ كنت سلّطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله، من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام والخلق للطَير من الطّين، والإخبار عن الغيوب، لأجعله به آية للناس، وتصديقاً له في نُبوَّته التي بعثته بها إلى قومه، فإنّ من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه تمليك الملوك بأمر النبوّة، ووضعها حيث شئت، وإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وإخراج الحيّ من الميت، وإخراج الميّت من الحي، ورزق من شئت من بَرٍّ أو فاجر بغير حساب: فكل ذلك لم أسلّط عيسى عليه، ولم أملّكه إياه، أفلم تكن لهم في ذلك عبرة وبيّنة! أن لو كان ذلك كلّه إليه، وهو في

(١) سورة آل عمران ـ من الآية ١٨ ـ ٢٠.
(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ٢١ ـ ٢٧.

علمهم يهرب من الملوك، وينتقل منهم في البلاد، من بلد إلى بلد.

ما نزل من القرآن من وعظ المؤمنين وتحذيرهم: ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم، ثم قال: ﴿قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ﴾، أي إن كان هذا من قولكم حقاً، حبّ لله وتعظيماً له ﴿فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ الله، ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي ما مضى من كفركم ﴿وَالله غَفورٌ رَحِيمٌ، قُلْ أَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ﴾ فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم ﴿فَإنْ تَوَلَّوْا﴾، أي على كفرهم ﴿فَإنَّ الله لا يُحِبُّ ٱلكَافِرِينَ﴾[1].

ما نزل في خلْق عيسى وخبر مريم وزكريا: ثم استقبل لهم أمر عيسى عليه السلام، وكيف كان بدء ما أراد الله به، فقال: ﴿إنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبْرَاهِيمَ، وآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ ٱلعَالَمِينَ. ذُرِّيَّة بَعْضُها مِنْ بَعْض، وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. ثم ذكر أمر امرأة عمران، وقولها: ﴿رَبِّ إنِّيْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِيْ بَطْنِي مُحَرَّراً﴾، أي نذرته فجعلته عتيقاً، تعبُّده لله، لا ينتفع به لشيء من الدنيا ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْها قَالَتْ رَبِّ إنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ، وَالله أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَالأُنْثَىٰ﴾، أي ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرّراً لك نذيرة ﴿وَإنِّيْ سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ، وَإنِّيْ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[3] بعد أبيها وأمها.

قال ابن هشام: كفّلها: ضمّها.

قال ابن إسحاق: فذكرها باليتم، ثم قصّ خبرها وخبر زكريّا وما دعا به، وما أعطاه إذ وهب له يحيى. ثم ذكر مريم، وقول الملائكة لها: ﴿يَا مَرْيَمُ إنَّ ٱلله اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيتان ٣١ و٣٢.
(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ٣٣ و٣٤.
(٣) سورة آل عمران ـ الآيات ٣٥ ـ ٣٧.

لِرَبِّكِ وَاسْجُدِيْ وَارْكَعِيْ مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِم﴾، أي ما كنت معهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[1].

قال ابن هشام: أقلامهم: سهامهم، يعني قِداحهم التي استهموا بها عليها، فخرج قِدْح زكريا فضمّها، فيما قال الحسن بن أبي الحسن البصْريّ.

كفالة جُرَيج لمريم: قال ابن إسحاق: كفّلها ها هنا جُريج الراهب، رجل من بني إسرائيل، نجّار، خرج السهم عليه بحمْلها، فحملها، وكان زكريّا قد كفّلها قبل ذلك، فأصابت بني إسرائيل أزمة شديدة، فعجز زكريا عن حملها، فاستهموا عليها أيّهم يكفلها، فخرج السهم على جُرَيج الراهب بكفولها فكفلها. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[2]، أي ما كنت معهم إذ يختصمون فيها. يخبره بخفيّ ما كتموا منه من العلم عندهم، لتحقيق نُبوّته والحجّة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه.

ثم قال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ ٱلمَسِيحُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ﴾، أي هكذا كان أمره، لا كما تقولون فيه ﴿وَجِيهاً فِيْ ٱلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ أي عند الله ﴿وَمِنَ ٱلمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِيْ ٱلمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ يخبرهم بحالاته التي يتقلّب فيها في عمره، كتقلّب بني آدم في أعمارهم، صغاراً وكباراً، إلاّ أنّ الله خصّه بالكلام في مهده آية لنبوّته، وتعريفاً للعباد بمواقع قدرته. ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِيْ وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِيْ بَشَرٌ؟ قَالَ كَذٰلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أي يصنع ما أراد، ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ مما يشاء وكيف شاء، ﴿فَيَكُونُ﴾ كما أراد.

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ٤٢ ـ ٤٤.
(٢) سورة آل عمران ـ الآية ٤٤.

ثم خبّرها بما يريد به، فقال: ﴿ويُعَلّمُهُ ٱلكِتَابَ وَٱلحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ﴾ التي كانت فيهم من عهد موسى قبله ﴿وَالإِنْجِيلَ﴾، كتاباً آخر أحدثه الله عزّ وجلّ إليه لم يكن عندهم إلا ذِكره أنه كائن من الأنبياء بعده ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي يحقّق بها نُبوّتي، أنّي رسول منه إليكم ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللهِ﴾ الذي بعثني إليكم، وهو ربّي وربكم ﴿وَأُبْرِيءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ﴾.

قال ابن هشام: الأكْمه: الذي يولد أعمى. قال رؤبة بن العَجّاج:

هرَّجْتُ فارتدّ ارتداد الأكْمه

وجمعه: كمه. قال ابن هشام: هرَّجْتُ: صحْت بالأسد، وجلبت عليه، وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿وَأُحْيِي ٱلمَوْتَىٰ بِإِذْنِ الله؛ وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ﴾ أنّي رسول الله من الله إليكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾، أي لما سبقني عنها ﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ ٱلذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، أي أخبركم به أنه كان عليكم حراماً فتركتموه، ثم أحلّه لكم تخفيفاً عنكم،فتصيبون يسره وتخرجون من تباعاته[1] ﴿وجِئْتُكُمْ بآيَةٍ من رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُون، إِنَّ ٱلله رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أي تبرّياً من الذين يقولون فيه، واحتجاجاً لربه عليهم ﴿فاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، أي هذا الذي قد حملتكم عليه وجئتكم به. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلكُفْرَ﴾ والعدوان عليه، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِيَ إِلَىٰ ٱلله، قَالَ ٱلحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ الله آمَنَّا بِالله﴾ هذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربّهم ﴿واشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجّونك فيه ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[2] أي هكذا كان قولهم وإيمانهم.

---

(١) تباعاته: جمع تبعة: الظلامة.

(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ٤٥ ـ ٥٣.

رفع عيسى عليه السلام: ثم ذكر سبحانه وتعالى رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكَرُوا ومَكَرَ آللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾[1]. ثم أخبرهم وردّ عليهم فيما أقرّوا لليهود بصَلبه، كيف رفعه وطهره منهم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ورَافِعُكَ إِلَيّ، ومُطَهِّرُكَ مِنَ آلذِّينَ كَفَرُوا﴾، إذ همُّوا منك بما همُّوا ﴿وجَاعِلُ آلَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ آلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ آلقِيَامَةِ﴾، ثم القصّة. حتى انتهى إلى قوله: ﴿ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ آلآيَاتِ وَآلذِّكْرِ الحَكِيمِ﴾ القاطع الفاصل الحقّ، الذي لا يخالطه الباطل، من الخبر عن عيسى؛ وعمّا اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلنّ خبراً غيره. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ﴾ فاستمع ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. آلحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أي ما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ آلمُمْتَرِينَ﴾ أي قد جاءك الحقّ من ربك فلا تمترينّ فيه، وإنْ قالوا: خلق عيسى من غير ذَكرٍ فقد خَلَقَ آدم من تراب، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر، فكان كما كان عيسى لحماً ودماً، وشعراً وبشراً، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا. ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾، أي من بعد ما قصصت عليك من خبره، وكيف كان أمره، ﴿فَقُلْ تَعالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأَبْنَاءَكُمْ، ونِسَاءَنَا ونِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وأَنْفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ عَلَى آلكَاذِبِينَ﴾[2].

قال ابن هشام: قال أبو عُبيدة: نبتهل: ندعو باللعنة، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لا تقعُدَنَّ وقد أكَّلْتَها حَطَبا نعوذُ من شَرِّها يوماً ونبتهل

وهذا البيت في قصيدة له. يقول: ندعو باللعنة. وتقول العرب: بَهل الله فلاناً، أي لعنه، وعليه بهلة الله. قال ابن هشام: ويقال: بُهلة الله، أي

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٥٤.
(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ٥٥ ـ ٦١.

لعنة الله؛ ونبتهل أيضاً: نجتهد، في الدعاء.

قال ابن إسحاق: ﴿إنَّ هٰذَا﴾ الذي جئت به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ ٱلقَصَصُ ٱلحَقُّ﴾ من أمره ﴿وَمَا مِنْ إِلٰه إلَّا ٱلله، وَإنَّ الله لَهُوَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ. فَإِنْ تَوَلَّوْا، فَإِنَّ الله عَلِيمٌ بِالمُفْسِدِينَ. قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ ألَّا نَعْبُدَ إلَّا الله، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الله، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]. فدعاهم إلى النصَف، وقطع عنهم الحجة.

إباؤهم المُلاعنة: فلما أتى رسول الله - ﷺ - الخبرُ من الله عنه، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأُمر بما أُمر به من مُلاعنتهم إن ردّوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا له: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله أيا معشر النصارى لقد عرفتم أنّ محمداً لَنَبيٌّ مُرسَل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيًّا قطّ فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلّا إلف دِينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله - ﷺ -، فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألّا نلاعنك، وأن نتركك على دِينك ونرجع على دِيننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رِضاً[2].

أبو عُبيدة يتولّى أمرهم: قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله - ﷺ -: «ائتوني العشيّة أبعث معكم القويّ الأمين». قال: فكان عمر بن الخطّاب

---

(١) سورة آل عمران - الآيات ٦٢ - ٦٤.
(٢) عيون الأثر ١/٢٢١

يقـول: ما أحببت الإمـارة قطّ حبيّ إيّاهـا يومئـذٍ، رجاء أن أكـون صـاحبهـا، فرحت إلى الظهر مهجّراً، فلمـا صلّى بنا رسـول الله ـ ﷺ ـ الظهـر سلّم، ثم نظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبـا عُبيدة بن الجـرّاح، فدعـاه فقال: «اخـرج معهم، فاقضِ بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه»، قال عمر: فذهب بها أبو عُبيدة(١).

أخبار عن المنافقين

قـال ابن إسحـاق: وقـدِم رسـول الله ـ ﷺ ـ المـدينـةَ ـ كمـا حـدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة ـ وسيّد أهلها عبدالله بن أُبَيّ بن سلول العَوْفي ثم أحد بني الحُبلي، لا يختلف عليـه في شرفـه من قـومـه اثنـان، لم تجتمـع الأوس والخـزرج قبله ولا بعده على رجـل من أحد الفـريقين ـ حتى جـاء الإسـلام ـ غيره، ومعه في الأوس رجل، هو في قومه من الأوس شريف مُطاع، أبو عامـر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان، أحد بني ضُبَيعة بن زيد، وهـو أبو حنـظلة، الغسيل يوم أُحُد، وكان قـد ترهّب في الجـاهلية ولبس المسـوح، وكان يقـال له: الراهب. فشقيا بشرفهما وضَرّهما.

فأما عبدالله بن أُبَيّ فكان قومه قـد نظمـوا له الخـرز لِيُتَوِّجـوه ثم يملّكوه عليهم، فجـاءهم الله تعالى بـرسولـه ـ ﷺ ـ، وهم على ذلك. فلمـا انصرف قـومه عنـه إلى الإسلام ضغن، ورأى أنّ رسـول الله ـ ﷺ ـ قد استلبـه مُلْكاً. فلما رأى قومه قد أبوا إلاّ الإسلام دخل فيه كارهاً مُصِرّاً على نفاق وضغن.

وأما أبو عامر فأبى إلاّ الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسـلام ولرسـول الله ـ ﷺ ـ، فقـال رسـول الله ـ ﷺ ـ كمـا حـدّثني محمـد بن أبي أُمـامـة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر ـ: لاتقولوا: الراهب، ولكن قولوا: الفاسق.

---

(١) عيون الأثر ١/٢٢١

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن عبدالله بن أبي الحَكَم، وكان قد أدرك وسمع، وكان راوية: أنّ أبا عامر أتى رسول الله - ﷺ - حين قدِم المدينة، قبل أن يخرج إلى مكة فقال: ما هذا الدِّين الذي جئت به؟ فقال: «جئت بالحنيفية دِين إبراهيم»، قال: فأنا عليها، فقال له رسول الله - ﷺ -: «إنّك لست عليها»، قال. بلى قال: إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها قال: «ما فعلتُ، ولكنّي جئت بها بيضاء نقيّة»، قال: الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً يعرِّض برسول الله - ﷺ - أي أنّك جئت بها كذلك، قال رسول الله - ﷺ -: «أجل، فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به؛ فكان هو ذلك عدوّ الله، خرج إلى مكة، فلما افتتح رسول الله - ﷺ - مكة خرج إلى الطائف. فلما أسلم أهل الطائف لحِق بالشام. فمات بها طريداً غريباً وحيداً[1].

وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وكِنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عُمير الثقفي، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قيصر، صاحب الروم. فقال قيصر: يرث أهلُ المَدَر أهلَ المدر[2]، ويرث أهل الوَبَر أهل الوبر[3]، فورثه كِنانة بن عبد ياليل بالمَدَر دون علقمة.

قال كعب بن مالك لأبي عامر فيما صنع:

مَعاذَ الله من عَمَلٍ خبيثٍ كَسَعْيك في العشيرة عبد عمرو
فإمّا قُلتَ لي شرفٌ ونخلٌ فقِدْماً بعتَ إيماناً بكُفْرِ

قال ابن هشام: ويُروى:

فإما قلت لي شرفٌ ومالٌ

قال ابن إسحاق: وأمّا عبدالله بن أُبَيّ فأقام على شرفه في قومه متردّداً

---

(١) عيون الأثر ١/٢٢٢

(٢) أهل المدر: من يسكنون المدن.

(٣) أهل الوبر: من يسكنون الخيام.

حتى غلبه الإسلام، فدخل فيه كارهاً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن مسلم الزُّهْريّ، عن عُروة بن الزُّبير، عن أسامة بن زيد بن حارثة، حبّ رسول الله - ﷺ -، قال: ركب رسول الله - ﷺ - الى سعد بن عُبادة يعوده من شكْوٍ أصابه على حمار عليه إكاف[1]، فوقه قطيفة فَدَكية[2]، مختطمة[3] بحبل من لِيف، وأردفني رسول الله - ﷺ - خلفه: قال: فمرّ بعبدالله بن أُبَيّ، وهو في ظل مُزَاحمٍ أُطُمِه[4].

قال ابن هشام: مُزَاحم: اسم الأطم.

قال ابن إسحاق: وحوله رجال من قومه. فلما رآه رسول الله - ﷺ - تذمّم[5] من أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسلّم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن ودعا إلى الله عزّ وجلّ، وذكّر بالله وحذّر، وبشّر وأنذر قال: وهو زامّ لا يتكّلم، حتى إذا فرغ رسول الله - ﷺ - من مقالته، قال: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدّثْه إيّاه، ومن لم يأتك فلا تَغُتّه[6] به، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه؛ قال: فقال عبدالله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى، فاغشَنا به، وائْتِنا في مجالسنا ودُورنا وبيوتنا، فهو والله مما نحبّ، ومما أكرمنا الله به وهدانا له، فقال عبدالله بن أُبَيّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى:

متى ما يكُنْ مولاك خصْمُك لا تزل ... تذِلّ ويصرَعْك الذي تُصارعُ
وهل يَنْهض البازيّ بغير جَناحه ... وإنْ جُذَّ يوماً رِيشُه فهو واقعُ

قال ابن هشام: البيت الثاني عن غير ابن اسحاق.

---

(١) الإكاف: برذعمة الحمار.
(٢) منسوبة إلى فَدَك قرية بالحجار.
(٣) الخطام: حبل يجعل على أنف الدّابة تمسك به.
(٤) الأطم: الحصن.
(٥) تذمّم: استحيا.
(٦) غَتَّه: ثقّل عليه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْري، عن عُروة بن الـزُبير، عن أسـامة، قال: وقام رسول الله ـ ﷺ ـ، فدخل على سعد بن عُبـادة، وفي وجهه مـا قال عدوّ الله بن أُبَيّ، فقال: والله يا رسول الله إنّي لأرى في وجهك شيئاً، لكأنّك سمعت شيئاً تكرهه؛ قال: أجل، ثم أخبره بما قال ابن أُبَيّ: فقـال سعد: يـا رسول الله. ارفقْ به. فوالله لقد جاءنا الله بك. وإنّا لننظم له الخـرز لنتوِّجـه. فوالله إنه ليرى أنْ قد سلبته مُلكاً[1].

ذِكْر من اعتلّ من أصحاب رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عُروة، وعمر بن عبـدالله بن عُروة. عن عُـروة بن الزُبيـر، عن عائشـة رضي الله عنهـا. قـالت: لمـا قـدِم رسـول الله ﷺ وسلم المـدينـةَ. قـدِمهـا وهي أوبـأ أرض الله من الحُمَّى. فـأصـاب أصحابه منها بلاء وسُقم. فصرف الله تعالى ذلك عن نبيّه ﷺ. قالت فكان أبو بكر، وعامر بن فُهيرة، وبلال، موليـا أبي بكر، مـع أبي بكر في بيتٍ واحـد. فـأصابتهم الحُمّى. فـدخلت عليهم أعـودهم، وذلـك قبـل أن يُضـرب علينـا الحجـاب. وبهم ما لا يعلمـه إلاّ الله من شدّة الـوعك. فـدنوت من أبي بكـر فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كـلّ امـريءٍ مُـصـبَّـحٌ فـي أهـلِهِ   والمـوتُ أدْنى مـن شِـراك نَعْـلِه[2]

قـالت: فقلت: والله مـا يـدري أبي مـا يقـول: قـالت: ثم دنـوت إلى عامر بن فُهيرة فقلت له: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقــد وجـدت المـوتَ قبـل ذَوْقِـه   إنّ الـجَبَـان حـتـفُـه مـن فَـوْقِـه

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي)، وانظر عن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول في: تفسير الطبري ١٠/٢٠٤ ـ ٢٠٦، أنسـاب الأشراف ١/٢٧٤، تهـذيب الأسـماء ج ١ ق ١/٢٦٠ رقم ٢٨٥، العـبر ١/١١، البداية والنهاية ٥/٣٤، ٣٥، الوافي بالوفيات ١٧/١١، الشذرات ١/١٣.

(٢) هذا البيت والذي بعده لعمرو بن مامة.

كُـلّ امْـريءٍ مجـاهـد بـطَوْقـه كـالثَّـور يحْمي جِلْده بِـرَوْقـه[1]

بطوقه يريد: بطاقته. فيما قال ابن هشـام. قالت: فقلت والله مـا يدري عامر ما يقول! قـالت: وكان بـلال إذا تركتـه الحُمَّى اضطّجـع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال:

ألا ليتَ شِعْـري هـل أبيتنّ لـيلةً بـفَـخٍّ وحَـوْلي إذْخِـرٌ وجَـليـلُ[2]
وهــل أرِدْنَ يـومــاً ميــاه مَجَنَّـةٍ[3] وهــل يَبْـدُونَ لي شـامـة وطَفِيـلُ

قال ابن هشام: شامة وطفيل: جبلان

دعاء الرسول ﷺ بنقل وباء المدينة إلى مَهْيَعَة: قالت عائشـة رضي الله عنهـا: فذكـرت لـرسـول الله ﷺ مـا سمعت منهم. فقلت: إنّهم ليهـذون ومـا يعقلون من شـدّة الحُمّى. قـالت: فقـال رسـول الله ﷺ: «اللهم حبِّب إلينـا المدينة كمـا حبَّبْتَ إلينا مكـة، أو أشدّ. وبـارِك لنا في مَـدّها وصـاعها وانقـل وباءها إلى مَهْيَعَة[4]». ومَهْيَعَة: الجُحْفَة[5].

قال ابن إسحاق: وذكـر ابن شهاب الـزُّهْريّ. عن عبـدالله بن عمرو بن العـاصي: أنّ رسول الله ﷺ لمـا قدِم المـدينة هـو وأصحـابـه أصـابتهم حُمَّى المدينة. حتى جهِدوا مرضاً. وصرف الله تعالى ذلك عن نبيّه ﷺ. حتى كانوا

(١) روقه: قرنه.
(٢) فَـخّ: موضـع خارج مكـة، والإذخَر: نبـات يظهـر بمكة طيّب الـرائحة. والجليـل: نوع من النبات وهو ما يسمّونه التمام.
(٣) المجنّة: اسم سوق للعرب في الجاهلية.
(٤) أخرجه البخاري بلفظ: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبّنـا مكـة أو أشـدّ وصحّحها وبـارك لنا في صاعها ومُدّها وانقل حُمّاها فاجعلها بالجُحْفة». أنظر كتاب مناقب الأنصـار ٢٦٤/٤ باب مقدم النبيّ ﷺ وأصحابـه المدينـة، وفي كتاب المـرضى والطب (٥/٧) بـاب عيادة النسـاء والرجال، و١١/٧ بـاب من دعا بـرفع الـوباء، والحُمَّى. وفي كتـاب الدعـوات ١٦٠/٧ باب الـدعاء بـرفع الـوباء والـوجع. ومسلم في الحـج (٤٨٠) باب التـرغيب في سكنى المـدينـة والصبر على لأوائها. والموطأ في كتاب الجامـع ٦٤٢، ٦٤٣ باب مـا جاء في وبـاء المدينـة رقم (١٦٠٦)، وأحمد في المسند ٣٠٩/٥ و٥٦/٦ و٦٥ و٢٢٢ و٢٤٠ و٢٦٠.
(٥) الجُحْفَة: هي ميقات أهل الشام.

مـا يصلُّون إلاّ وهم قُعـود. قـال: فخـرج عليهم رسـول الله ﷺ وهم يصلّون كذلك. فقال لهم: «اعلموا أنّ صلاة القاعد على النصف من صلاة القـائم». قـال: فتجشّم المسلمـون القيـام على مـا بهم من الضُّعف والسُّقم التمـاس الفضل.

بدء قتال المشركين: **قال ابن إسحاق**: ثم إنّ رسول الله ﷺ تهيّأ لحربه قـام فيما أمـره الله به من جهـاد عـدوّه، وقتـال مَن أمـره الله بـه ممّن يليـه من المشركين. مشركي العرب. وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة.

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدّم عن عبد الملك بن هشام. قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي. عن محمد بن إسحاق المطّلبي. قال: قدِم رسول الله ﷺ المدينةَ يوم الاثنين حين اشتدّ الضُّحاء. وكادت الشمس تعتدل، لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول[1]، وهو التاريخ. فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاثٍ وخمسين سنة. وذلك بعد أن بعثه الله عزّ وجلّ بثلاث عشرة سنة. فأقام بها بقيّة شهر ربيع الأول، وشهر ربيع الآخر، وجُمادَيْن، ورجباً، وشعبان، وشهر رمضان؛ وشوّال، وذو القعدة، وذو الحجّة ـ وولّى تلك الحجّة المشركون ـ والمحرّم، ثم خرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مَقدَمه المدينة[2].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سعد بن عُبادة.

غزوة وَدَّان[3]
وهي أول غزواته عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: حتى بلغ وَدّان، وهي غزوة الأبواء، يريد قريشاً وبني

---

(١) أنظر تاريخ الطبري ٢/٣٩٣.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٠٣.
(٣) الطبقات الكبرى ٢/٨، تاريخ الطبري ٢/٤٧٠، تاريخ خليفة ٥٦، الروض الأنف ٣/٢٥، =

ضمرة بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، كان الذي وادعه منهم عليهم مَخْشيّ بن عمرو الضمري، وكان سيّدَهم في زمانه ذلك. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فأقام بها بقيّة صفر، وصدْراً من شهر ربيع الأول[1].

قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها.

سَرِيَّة عُبيدة بن الحارث[2] وهي أوّل راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ، في مقامه ذلك بالمدينة عُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبدمَناف بن قُصَيّ في ستّين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز، بأسفل ثنِيّة المُرة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن بينهم قتال، إلاّ أنّ سعد بن أبي وقّاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رُمي به في الإسلام[3].

ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البَهْراني، حليف بني زُهرة، وعُتبة بن غَزْوان بن جابر المازني، حليف بني نوفل بن عبدمَناف، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا

= تاريخ الإسلام (المغازي - بتحقيقنا) ص ٤٥، عيون الأثر ١/٢٢٤، أنساب الأشراف ١/٢٨٧ رقم ٦٤٨، الكامل في التاريخ ٢/١١١، تاريخ الخميس ١/٤٠٢، عيون التواريخ ١/١٠٧، البدء والتاريخ ٤/١٨٢، المغازي للواقدي ١/٢ و١١، ١٢.

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٠٤، الكامل في التاريخ ٢/١١١

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٧، المغازي للواقدي ١/٢ و١٠، البدء والتاريخ ٤/١٨١، عيون التواريخ ١/١٠٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ص٤٦، عيون الأثر ١/٢٢٥، الروض الأنف ٣/٢٥، ٢٦، تاريخ الطبري ٢/٤٠٤، الكامل في التاريخ ٢/١١١، تاريخ الخميس ١/٤٠٢، المحبّر ١١٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٧

ليتوصّلا بالكفّار[1]، وكان على القومِ عِكرمة بن أبي جهل[2].

قال ابن هشام: حدّثني ابن أبي عمرو بن العلاء، عن أبي عمرو المدني: أنه كان عليهم مكرز بن حفص بن الأخيف، أحد بني مَعيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، في غزوة عُبيدة بن الحارث. قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر[3] ـ رضي الله عنه ـ:

إمِن طيفِ سلْمى بالبِطاح الدَّمائثِ[4] ... ارِقْتَ وأمرٍ في العشيرة حادثِ
تَرَى من لُؤَيّ فرقَةً لا يصدّها ... عن الكُفر تذكيرٌ ولا بعْثُ باعثِ
رسولٌ أتاهمْ صادقٌ فتَكَذَّبُوا ... عليه وقالوا: لستَ فينا بماكثِ
إذا ما دعوناهم إلى الحقّ أدْبَروا ... وهرُّوا هريرَ المُجْحَرَات اللّواهث[5]
فكم قد مَتَتْنَا فيهمُ بقرابةٍ ... وتَرْكُ التُّقَى شيءٌ لهم غيرُ كارثِ[6]
فإنْ يرجعوا عن كُفْرهم وعُقوقهم ... فما طيّبات الحلّ مثل الخبائث
وإنْ يركبوا طُغْيانهم وضلالَهم ... فليس عذابُ الله عنهم بلابث[7]
ونحن أناسٌ من ذُؤابة غالب ... لنا العزُّ منها في الفُروع الأثائث[8]
فأُولي بربّ الرّاقصاتِ عشِيَّةً ... حراجيجُ تحْدَى في السَّرِيح الرثائث[9]

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٦.
(٢) الطبقات الكبرى ٢/٧، عيون التواريخ ١/١٠٦
(٣) ويشهد لصحّة من أنكر أن تكون له، ما روى عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزُّهْري، عن عُروة، عن عائشة قالت: «كذب من أخبركم أنّ أبا بكر قال بيت شعر في الإسلام» رواه البخاري، عن أبي المتوكل، عن عبد الرزّاق. (الروض الأنف ٣/٢٦).
(٤) الدمائث: ما لان من الرمل.
(٥) هروا: وثبوا. والمجحرات: الملجئات إلى مواضعها.
(٦) متتنا: اتصلنا، والكارث: المحزن.
(٧) بلابث: أي بمبطيء.
(٨) الأثائث: المجتمعة.
(٩) أولي: أحلف، والراقصات، الإبل الراقصة وهو نوع من المشي لها، والحراجيج: الطوال. والسريح: ما يُربط في أخفاف الإبل مخافة أن تصيبها الحجارة. والثائث: البالية.

كـأُدْم ظِبـاء حـول مكّـةَ عُـكَّفٍ ... يـرِدْن حياضَ البئـر ذات النبـائث[1]
لئن لم يفيقـوا عاجـلاً من ضـلالهم ... ولَستُ إذا آليـتُ قـولاً بِـحـانـثِ
لـتبتـدرِنَّهـمْ غـارةٌ ذاتُ مَصـدَقٍ ... تُحـرِّم أطهـار النّسـاء الـطّوامث[2]
تغـادر قتلَى تعصِب الـطيـرُ حـولهم ... ولا ترأفُ الكفّارَ رأفَ ابن حـارث[3]
فـابلِغْ بني سهمٍ لـديـك رسـالـةً ... وكـلَّ كفـورٍ يبتغي الشـرَّ بـاحث
فإنْ تَشْعَثوا عِرْضي على سُوء رأيكم ... فـإنّيَ من أعـراضكم غيـرُ شـاعث[4]

فأجابه عبدالله بن الزِّبَعْرَى السّهميّ، فقال:

أمِنْ رسْم دارٍ أقفَـرَتْ بـالعشـاعِث[5] ... بـكيـتَ بعـينٍ دمـعُهـا غيـرُ لابثِ
ومـن عَجَـبِ الأيّـام والـدّهـرُ كلُّه ... لــه عجبٌ من سـابقـاتٍ وحـادث
لجيشٍ أتـانـا ذي عُـرامٍ[6] يقُـودُه ... عُبيـدةُ يُدعَى في الهيـاج ابن حارث
لِنَتْـركَ أصـنـامـاً بمـكّـة عُـكَّـفـاً ... مـواريثَ مورُوثٍ كـريمٍ لـوارِثِ
فـلمّـا لَقينـاهـم بسُـمْـرٍ رُدَيْـنـةٍ ... وجُـرْدٍ عِتاقٍ في العَجـاجِ لَـوَاهث[7]
وبِيضٍ كـأنّ المِلْحَ فـوق مُتُـونهـا ... بـأيدي كُمـاة كـاللُّيُـوث العـوائث[8]
نقيم بهـا إصْعـار مَن كـان مـائـلاً ... ونشْفي الذُّحُولَ عاجلاً غيـرَ لابث[9]
فكفـوا على خَـوْف شـديـدٍ وَهَيْبَـة ... وأعجبـهم أمـرٌ لـهم أمـرُ رائِـث[10]
ولـو أنّهم لـم يفـعلوا نـاحَ نِـسْـوَةٌ ... أيـامَى لهم، من بين نَسْءٍ وطامث[11]

---

(١) الظباء الأدم: التي ظهورها سُود وبطونها بيض، والنبائث: ما يخرج من تراب البئر عند حفره.
(٢) الطوامث: جمع طامث، وهي الحائض.
(٣) تعصب: تجتمع، وابن حارث: هو عُبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب.
(٤) تشعثوا: تفرقوا.
(٥) العثاعث: أفـاع لا تنبت شيئاً.
(٦) ذو عرام: ذو شدّة.
(٧) السُّمْر الرُّدَينية: الرماح المنسوبة إلى رُدَينة امرأة كانت تثقّف الرماح. والجُرْد: السريعة، والعَجاج: الغبار.
(٨) العوائث: المفسدات.
(٩) الإصعار: الميل. والذُّحُول. طلب الثأر.
(١٠) الرائث: المتمهّل في الأمور.
(١١) النسء: التي تأخر حيضها مظنة الحمل.

وقد غُودرتْ قَتَلى يُخَبِّر عنهمُ حَفِيٌّ[1] بهم أو غافلٌ غيرُ باحث
فأبلغْ أبا بكرٍ لَدَيكَ رسالةً فما أنت عن أعْراضِ فِهْرٍ بماكث
ولمّا تَجِبْ منّي يمينٌ غليظة تُجدّد حرْباً حَلْفَةً غيرَ حانث

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً، وأكثر أهل العِلم بالشعر يُنكر هذه القصيدة لابن الزِّبَعْرَى.

قال ابن إسحاق: وقال سعد بن أبي وقّاص في رميته تلك فيما يذكرون:

ألا هل أتى رسولَ الله أنّي حميتُ صحابتي بصُدور نَبْلي
أذُود بها أوائلهم ذياداً بكلِّ حُزُونة وبكلّ سهْلٍ[2]
فما يعتدُّ رامٍ في عدُوّ بسَهْمٍ يا رسول الله قَبْلي
وذلك أنّ دِينك دِينُ صِدْقٍ وذو حقّ أتيتَ به وعَدل
يُنَجَّى المؤمنون به، ويُجزَى به الكُفَّار عند مقام مَهْلِ[3]
فمهلاً قد غَوِيتَ فلا تَعِبني غَوِيُّ الحيّ ويحك يابن جَهْلِ[4]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لسعد.

قال ابن إسحاق: فكانت راية عُبيدة بن الحارث ـ فيما بلغني ـ أول راية عقدها رسول لله ﷺ في الإسلام، لأحد من المسلمين. وبعض العلماء يزعم أنّ رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء، قبل أن يصل إلى المدينة.

سرِيّة حمزة إلى سِيف البحر[5]

وبعث في مقامه ذلك، حمزة بن عبدالمطّلب بن هاشم، إلى سِيف

(١) الحَفِيّ: المهتم.
(٢) الحزونة: الأرض الوعرة: والسهل ما انبسط من سطح الأرض.
(٣) مهل. تثبُّت.
(٤) ابن جهل. يريد عِكرمة بن أبي جهل.
(٥) البدء والتاريخ ١٨١/٤، تاريخ الطبري ٤٠٤/٢، المغازي للواقدي ٩/١، الكامل في التاريخ ١١٢/٢، سيرة ابن كثير ٢٥٩/٢، البداية والنهاية ٢٤٤/٣، عيون الأثر ٢٢٤/١، تاريخ الإسلام (المغازي)،٤٥، المُحبّر ١١٦.

البحر، من ناحيـة العِيص[1] في ثلاثين راكبـاً من المهاجـرين، وليس فيهم من الأنصار أحد، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مئـة راكب من أهـل مكة. فحجـز بينهم مجدي بن عمـرو الجُهني. وكان مـوادعـاً للفـريقين جميعاً، فانصرف بعض القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال.

وبعض الناس يقول: كـانت راية حمـزة أول راية عقـدها رسـول الله ﷺ لأحد من المسلمين. وذلك أنّ بعْثـه وبعْث عبيدة كـانا معـاً، فشُبِّه ذلـك على الناس. وقد زعموا أنّ حمزة قد قال في ذلك شِعراً يذكر فيه أنّ رايته أول راية عقدها رسـول الله ﷺ، فإنْ كـان حمزة قـد قال، فقـد صدق إن شـاء الله، لم يكن يقول إلّا حقاً، فـالله أعلم أيّ ذلك كـان، فأمـا ما سمعنـا من أهل العلم عنـدنا. فعُبيـدة بن الحارث أول من عُقـد لـه. فقـال حمـزة في ذلـك، فيمـا يزعمون:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكـر هذا الشِعـر لحمزة رضي الله عنه:

ألا يـــالَقَـــومي لـلتحـلُّم والجَـهْـــل ... وللنقْص من رأي الـرجـال وللعقـلِ
وللراكبـينـا بـــالـمـظالم لـم نَـطأ ... لهم حُـرُماتٍ من سَـوَامٍ[2] ولا أهـل
كـأنّـا تَبَلْنـاهم[3] ولا تَبْـلَ عنـدَنـا ... لهم غيـرُ أمـر بـالعَفـاف وبـالعـدل
وأمـــرٍ بـــإســـلامٍ فـلا يـقبـلونـه ... ويـنـزِل منهم مثلَ منْـزلـة الهـزْلِ
فمـا بـرحـوا حتى انـتـدبتُ لغـارة ... لهم حيث حلُّوا ابتغِي راحـة الفضل
بـأمـر رسـول الله، أول خـافِـق ... عليـه لـواءٌ لم يكن لاحَ من قَبـلي
لـواءٌ لـديـه النصـرُ من ذي كـرامة ... إلـهٍ عـزيـزٍ فعلُه أفضـلُ الفِعـلِ
عشيّـةَ سـارُوا حـاشـدين وكلّنـا ... مَـراجله[4] من غَيْظِ أصحابـه تغلي

(١) العيص: عرض من أعراض المـدينة على سـاحل البحـر. قال ابن إسحـاق: من ناحيـة ذي المروَة بطريق قريش التي كانوا يأخذون منها إلى الشام. (معجم البلدان ٤/١٧٣)
(٢) السَوام: الإبل السائمة وهي المتروكة في المرعى.
(٣) تبلناهم: عاديناهم.
(٤) المراجل: قدور النحاس.

فلمـا تـراءَينـا أنـاخُـوا فـعقَّـلوا ... مَـطايا وعقَّلنـا مَدى غَـرَض النَّبْلِ[1]
فقلنـا لهم: حبـل الإلٰـه نَصِيرنـا ... ومـا لكم إلّا الضَّـلالـةُ من حبْـل
فثـار أبـو جهْـل هنـالـك بـاغيـا ... فخـاب وردَّ الله كيـدَ أبـي جهـل
ومـا نحن إلّا فـي ثـلاثيـن راكبـاً ... وهم مئتـان بـعـد واحـدةٍ فَضْـل
فيـالَلُؤَيَّ لا تُـطيعـوا غُـوَاتكـم ... وفيئُوا إلى الإسلام والمنهجِ السهْل
فـإنّـي أخـاف أن يُصَـبَّ عليكُـم ... عـذابٌ فتـدعـوا بـالنَّـدامـة والثُّكـل

فأجابه أبو جهل بن هشام، فقال:

عجِبتُ لأسبـابِ الحفيـظة والجهـلِ ... وللشّـاغبينَ بـالخِـلافِ وبـالبُـطْلِ
وللتـاركين مـا وجـدنـا جـدودَنـا ... عليه ذوي الأحساب والسُؤدَد الجزْل
أتَـوْنـا بـإفْـكٍ كي يُضِلُّوا عقـولَنـا ... وليس مُضـلًّا إفْكهُم عقلَ ذي عقـل
فقلنـا لهم: يـا قـومنـا لا تُخـالِفـوا ... على قومكم إنّ الخلاف مدى الجهل
فـإنّـكم إن تـفـعـلوا تَـدْعُ نـسـوةٌ ... لـهنّ بـواكٍ بـالـرزيّـة والثُّكْـل
وإن تـرجعـوا عمـا فعلتم فـإننـا ... بنـو عمّكم أهـلُ الحفـائظ والفضْـل
فقـالـوا لنـا: إنّـا وجـدنـا محمـداً ... رِضاً لذوي الأحلام منّا وذي العقـل
فلمـا أبـوا إلّا الخـلافَ وزيّـنـوا ... جِمـاعَ الأمـور بـالقبيـح من الفعـل
تَـيَمَّمْتُـهُمْ بـالسـاحلَيـن بـغـارةٍ ... لأتْرُكهم كالعَصْف[2] ليس بذي أصل
فـورَّعني مَجْـدي[3] عنهم وصُحبتي ... وقـد وازروني بـالسيـوف وبـالنبـل
لإلٍّ[4] علينـا واجـبٍ لا نـضيـعـه ... أمينُ قـواه غيـر مُنْتَكـث الحبـل
فلولا ابنُ عمـرو كنتُ غـادرتُ منهم ... مَـلاحم للطَّيـر العُكـوف بـلا تَبْـل
ولـكـنّـه آلـى بـإلٍّ فـقـلَّصـت ... بـإيمـاننـا حـدُّ السّيـوف عن القتـل
فـإن تُبقني الأيـامُ أرجـعْ عـليهـم ... ببيضٍ رِقـاق الحدّ مُحـدثة الصَّقْـل

---

(١) أي أناخوا إبلهم بالقرب من بعض فأصبحت المسافة بينهما مرمى النبل.
(٢) العَصْف: ورق الزرع الأصفر، أو القِطع الدقيقة من التبن ونحوه.
(٣) ورّعني: كفّني ومنعني. ومَجْدي هو: ابن عمرو الجُهني.
(٤) الإل: العهد.

بـأيـدي حُمـاةٍ من لُؤَيّ بن غـالب كرامِ المساعي في الجُدوبة والمَحْل

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكر هذا الشعر لأبي جهل.

غزوة بُواط[1]

قـال ابن إسحـاق: ثم غـزا رسـول الله ﷺ في شهـر ربيـع الأول يـريـد قريشاً.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السّائب بن عثمان بن مظعون.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بـواط، من ناحيـة رَضْوى[2]، ثم رجـع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فلبِث بها بقيّة شهر ربيع الآخر وبعض جُمادى الأولى.

غزوة العُشَيْرة[3]

ثم غزا قُريشاً، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، فيما قال ابن هشام.

---

(١) بواط: جبلان فرعان لأصل واحد، أحدهما: جلسى، والآخر غورى وفي الجلسى بنو دينار، ينسبون إلى دينار مولى عبدالملك بن مروان.

انـظر عن الغـزوة في: الطبقات الكبـرى ٢/٨، ٩، تاريخ خليفـة ٥٧، تـاريـخ الـطبـري ٢/٤٠٧، المغـازي للواقـدي ١/٢ و١٢، البـدء والتـاريـخ ٤/١٨٢، أنسـاب الأشــراف ١/٢٨٧، الكـامل في التـاريخ ٢/١١٢، تـاريـخ الإسـلام (المغازي) ٤٧، البداية والنهاية ٣/٢٤٦، عيـون الأثـر ١/٢٢٦، الـروض الأنف ٣/٢٧، سيـرة ابن كثيـر ٢/٣٦١، عيـون التواريخ ١/١٠٦، المحبّر ١١٠.

(٢) رضوى: جبل بالمدينة معروف.

(٣) العُشَيرة: بلفظ تصغير العشرة، يضاف إليه (ذو) فيقال ذو العُشَيرة، وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة، وفي صحيح البخاري أنها العُشَيـرة أو العشيراء، وقيـل: العُسَيْرة والعُسَيـراء، بـالسين المهملة، والصحيح أنهـا العُشَيـرة. قـال ابن إسحـاق: هـو من أرض بني مـدلـج. (معجم البلدان ٤/١١٢٧)، وانظر صحيح البخاري (٥/٢) في المغازي.

وانظر عن الغزوة في: الطبقات الكبـرى ٢/٩، ١٠، تاريخ خليفة ٥٧، تـاريخ الـطبري ٢/٤٠٨، المغازي للواقدي ١/٢ و١٢ البدء والتاريخ ٤/١٨٢، أنساب الأشراف ١/٢٨٧، الكـامل في التـاريخ ٢/١١٢، البـداية والنهـاية ٣/٢٤٦، سيـرة ابن كثير ٢/٣٦١، تـاريخ الإسلام (المغازي)، ٤٧، عيون التواريخ ١/١٠٧، عيون الأثر ١/٢٢٦.

قال ابن إسحاق: فسلك على نقب بني دينار، ثم على فَيْفَاء الخَبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصلَّى عندها. فثَمَّ مسجده ﷺ، وصُنع له عندها طعام، فأكل منه، وأكل الناس معه، فموضع أثافيّ البُرْمة معلوم هنالك، واستُقي له من ماء به، يقال له: المُشْترِب، ثم ارتحل رسول الله ﷺ فترك الخلائق[1] بيَسار، وسلك شُعبة يقال لها؛ شُعبة عبدالله، وذلك اسمها اليوم، تحت صَبَّ لليسار حتى هبط يَلْيَل[2]، فنزل بمُجتمعه ومُجتمع الضَّبُوعة، واستقى من بئر بالضَّبُوعة، ثم سلك الفَرْش، فَرْش مَلَل، حتى لقي الطريق بصُحَيرات اليَمام، ثم اعتدل به الطريقُ، حتى نزل العُشَيرة من بطن ينبُع. فأقام بها جُمادى الأولى وليالي من جُمادى الآخرة، وادع فيها بني مُدْلج وحلفاءهم من بني ضَمْرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

وفي تلك الغزْوة قال لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ما قال.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن محمد بن خيْثَم المُحاربي، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن محمد بن خيثم أبي يزيد، عن عمَّار بن ياسر، قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشَيرة؛ فلما نزلها رسولُ الله ﷺ وأقام بها؛ رأينا أناساً من بني مُدْلِج يعملون في عينٍ لهم وفي نخل، فقال لي عليّ بن أبي طالب: يا أبا اليقظان، هل لك في أن تأتي هؤلاء القوم، فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئت؛ قال: فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشِينَا النوم. فانطلقت أنا وعليّ حتى اضطّجعنا في صور من النخْل[3]، وفي دَقْعاء[4] من التراب فنمنا، فوالله ما أهبّنا[5] إلاّ

(١) الخلائق: أرض بنواحي المدينة كانت لعبدالله بن أحمد بن جحش. (معجم البلدان)
(٢) يَلْيَل: بتكرير الياء مفتوحتين ولامين، قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة، وفيه عين كبيرة تسمّى: البحيرة.
(٣) صور من النخل: صغار منها.
(٤) الدقعاء: مالان من التراب.
(٥) أهبّنا: أيقظنا.

رسول الله ﷺ يحرّكنا برِجْله. وقد تترّبنا من تلك الدَّقْعاء التي نمنا فيها، فيومئذٍ قال رسول الله ﷺ لعليٍّ بن أبي طالب: «مالك يا أبا تراب»؟ لِما يرى عليه من التراب، ثم قال: «ألاَ أحدّثكما بأشقى الناس رجلين»؟ قال: بلى يا رسول الله؛ قال: «أُحَيْمر ثمود[1] الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عليّ على هذه» ـ ووضع يده على قرنه ـ حتى يَبُلّ منها هذه». وأخذ بلحْيته.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسول الله ﷺ إنّما سَمَّى عليًّا أبا تراب: أنه كان إذا عتب على فاطمة في شيءٍ لم يكلّمها، ولم يقل لها شيئاً تكرهه، إلاّ أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه. قال؛ فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة، فيقول «مالك؛ ياأبا تراب»؟ فالله أعلم أيّ ذلك كان.

سريّة سعد بن أبي وقّاص[2]

قال ابن إسحاق: وقد كان بعث رسول الله ﷺ فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبي وقّاص، في ثمانية رهطٍ من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخرَّار[3] من أرض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيداً.

قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أنّ بعْث سعد هذا كان بعد حمزة.

---

(١) هو قدار أو قذار بن سالف وأمه قُذَيرة وهو من التسعة رهْط الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون المذكورين في سورة النمل. وهو الذي عقر ناقة صالح.

(٢) أنظر عنها في: تاريخ الطبري ٢/٤٠٦، الطبقات الكبرى ٢/٧، الكامل في التاريخ ٢/١١٢، البدء والتاريخ ٤/١٨١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٨، البداية والنهاية ٣/٢٤٨، سيرة ابن كثير ٢/٣٦٤، عيون التواريخ ١/١٠٨، عيون الأثر ١/٢٢٥، ٢٢٦، المغازي للواقدي ١/١١، والمحبّر ١١٧

(٣) الخرّار: موضع بالحجاز يقال هو قرب الجُحفة، وقيل وادٍ من أودية، وقيل ماء بالمدينة. (معجم البلدان ٢/٣٥٠)

غزوة سَفَوان[1]
وهي غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق: ولم يُقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدِم من غزوة العُشَيرة إلّا ليالي قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كُوز بن جابر الفِهْرِيّ على سَرْح[2] المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستعمل على المدينة زَيد بن حارثة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ وادياً، يقال له: سَفَوان، من ناحية بدر، وفاته كُرز بن جابر، فلم يدركه، وهي غزوة بدر الأولى. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها بقية جُمادى الآخرة ورَجَباً وشعبان.

سريّة عبد الله بن جحش[3]
ونزول: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾

وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب، مَقْفَلَهُ من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين. ثم ينظر فيه، فيمضي لِما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً.

---

(١) سَفَوان؛ بفتح أوله وثانيه.
أنظر عن الغزوة في: تاريخ خليفة ٥٧، المغازي للواقدي ١/٢ و١٢، الطبقات الكبرى ٩/٢، تاريخ الطبري ٤٠٧/٢، البدء والتاريخ ١٨٢/٤، أنساب الأشراف ٢٨٧/١ رقم ٦٥٠، الكامل في التاريخ ١١٢/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٨، سيرة ابن كثير ٣٦٤/٢، عيون التواريخ ١٠٨/١، عيون الأثر ٢٢٧/١

(٢) السَرْح: الإبل والغنم.

(٣) الطبقات الكبرى ١٠/٢، ١١، تاريخ الطبري ٤١٠/٢، المغازي للواقدي ١/٢ و١٣، البدء والتاريخ ١٨٢/٤، الكامل في التاريخ ١١٣/٢ ـ ١١٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٨، عيون الأثر ٢٢٧/١ ـ ٢٣٠، البداية والنهاية ٢٤٨/٣ ـ ٢٥٢، سيرة ابن كثير ٣٦٦/٢ ـ ٣٧٢، عيون التواريخ ١٠٨/١ ـ ١١١، تاريخ الخميس ٤٠٢/١، المحبّر ١١٦

وكـان أصحـاب عبـدالله بن جحش من المهـاجـرين. ثم من بني عبـد شمس بن عبـدمَنـاف: أبـو حُـذيفـة بن عُتبـة بن ربيعــة بن عبـدشمس؛ ومن حلفـائهم: عبـدالله بن جحش، وهـو أميـر القــوم، وعُكّـاشــة بن مِحْصَن بن حرثان، أحد بني أسد بن خُزيمة، حليف لهم. ومن بني نوفل بن عبـدمَناف: عُتبة بن غزوان بن جابر، حليف لهم. ومن بني زُهرة بن كِلاب: سعد بن أبي وقّـاص. ومن بني عدِيّ بن كعب: عـامـر بن ربيعـة، حليف لهم من عَنـز بن وائل، وواقد بن عبدالله بن عبدمَنـاف بن عَرين بن ثعلبـة بن يربـوع، أحد بني تميم، حليف لهم، وخالد بن البُكَيـر، أحد بني سعـد بن ليث، حليف لهم. ومن بني الحارث بن فِهْر: سُهيل بن بيضاء.

فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فـإذا فيه: إذا نظرتَ في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصّد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبدالله بن جحش في الكتاب، قـال: سمعـاً وطاعـة؛ ثم قال لأصحـابـه: قـد أمـرني رسـول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشاً، حتى آتيـه منهم بخبر، وقـد نهاني أن أستكـره أحداً منكم. فمن كـان منكم يريـد الشهادة ويـرغب فيها فلينـطلق، ومن كره ذلـك فليرجع؟ فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابـه، لم يتخلّف عنه منهم أحد.

وسلك على الحجـاز، حتى إذا كان بمعـدن، فوق الفُـرُوع، يقال لـه: بُحْـران[1]، أضلّ سعـد بن أبي وقّاص، وعُتبـة بن غـزوان بعيـراً لهمـا، كـانـا يعتقبانه. فتخلّفا عليه في طلبه. ومضى عبدالله بن جحش وبقية أصحابه حتى نـزل بنخلة، فمرّت بـه عِير لقـريش تحمـل زبيبـاً وأُدمـاً، وتجـارة من تجـارة قريش، فيها عمرو بن الحضْرميّ.

---

(١) بُحران: بالضم، وهو المشهور، ويُفتح. موضع بناحية الفرع، وبين الفـرع والمدينـة ثمانيـة بُـرُد. والمعدن فكـان كل شيء فيـه أصله. ويقال: إن معـدن بُحران هـذا كان للحجّـاج بن علاط البهزيّ. (معجم البلدان ١/٣٤١)

قال ابن هشام: واسم الحضرميّ: عبدالله بن عبَّاد، وقال: مالك بن عباد أحد الصَّدِف، واسم الصَّدِف: عمرو بن مالك، أحد السّكون بن أشرس بن كِنْدة، ويقال: كِنْدي.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن عبدالله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبدالله المخزوميّان، والحَكَم بن كَيْسان، مولى هشام بن المغيرة.

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عُكّاشة بن مِحْصَن، وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمِنوا، وقالوا عُمَّار، لا بأس عليكم منهم. . وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلنّ الحرم، فليمتنعنّ منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنّهم في الشهر الحرام؛ فتردّد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم. فرمى وافد بن عبدالله التميميّ عمرو بن الحضْرميّ بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبدالله، والحَكَم بن كَيْسَان؛ وأفلت القومَ نوفلُ بن عبدالله فأعجزهم. وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعِير وبالأسيرين، حتى قدِموا على رسول الله ﷺ المدينة.

وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش: أنّ عبدالله قال لأصحابه: إنّ لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخُمْس، وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخُمْس من المغانم ـ فعزل لرسول الله ﷺ خُمس العير، وقسّم سائرها بين أصحابه.

قال ابن إسحاق: فلما قدِموا على رسول الله ﷺ المدينة؛ قال: «ما أمرتكم بقتالٍ في انشهر الحرام». فوقّف العِير والأسيرين. وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً: فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقط في أيدي القوم، وظنّوا أنّهم قد هلكوا، وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا. وقالت قريش قد استحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال؛ فقال من يردّ عليهم من المسلمين، ممن كان بمكة: إنّما أصابوا في شعبان.

وقالت يهود - تفاءلُ بذلك على رسول الله ﷺ - عمرو بن الحضرميّ قتله واقد بن عبدالله، عمرت الحرب. والحضرميّ: حضرت الحرب، وواقد بن عبدالله وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَصَدٌّ عَنْ سبيلِ ٱللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ ٱللهِ﴾ أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكُفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي قد كانوا يفتنون المسلم في دِينه، حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[1]: أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين. فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله ﷺ العِير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبدالله والحَكَم بن كَيْسان، فقال رسول الله ﷺ: «لانفديكموها حتى يقدَم صاحبانا - يعني سعد بن أبي وقّاص، وعُتبة بن غزوان - فإنّا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما، نقتل صاحبيكم، فقدِم سعد وعُتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم[2].

فأما الحَكَم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً. وأما عثمان بن عبدالله فلحِق بمكة، فمات بها كافراً.

فلما تجلّى عن عبدالله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله: أنطمع أن تكون لنا غزوة

---

(١) سورة البقرة - الآية ٢١٧.

(٢) الخبر في تفسير الطبري ٤/٣٠٥، ٣٠٦

نُعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، فوضعهم الله عزّ وجلّ من ذلك على أعظم الرجاء.

والحديث في هذا عن الزُهْري، ويزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزبير.

قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش: أنّ الله عزّ وجلّ قسّم الفَيء حين أحلّه، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه الله، وخُمساً، إلى الله ورسوله، فوقع على ما كان عبدالله بن جحش صنع في تلك العِير.

قال ابن هشام: وهي أول غنيمة غنمها المسلمون. وعمرو بن الحضرميّ أول من قتله المسلمون، وعثمان بن عبدالله، والحَكَم بن كَيْسان أول من أسر المسلمون.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في غزوة عبدالله بن جحش، ويقال: بل عبدالله بن جحش قالها، حين قالت قريش: قد أَحَلَّ محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال ـ قال ابن هشام: هي لعبدالله بن جحش:

تَعُدُّون قتلاً في الحرام عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يَرى الرشدَ راشدُ
صُدودكم عمّا يقول محمدٌ ... وكُفْرٌ به والله راءٍ وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لئلّا يُرى لله في البيت ساجد
فإنّا وإنْ عيَّرتمونا بقتْله ... وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد
سَقينا من ابن الحضرميّ رماحَنا ... بنخْلةَ لما أوقَدَ الحربَ واقد
دما وابنُ عبدالله عثمان بيننا ... يُنازعه غُلّ من القدّ عاند[2]

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢١٨.

(٢) القدّ: شَرَك من جلد، والعاند: السائل بالدم غير المنقطع. والأبيات في البدء والتاريخ ٤/٦٨٤

صرف القِبْلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق: ويقال: صُرِفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدَم رسول الله ﷺ المدينة[1].

(١) تاريخ الطبري ٢/٤١٥، البدء والتاريخ ٤/١٨٤، الكامل في التاريخ ٢/١١٥، نهاية الأرب ١٦/٣٩٧، عيون الأثر ١/٢٣٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون التواريخ ١/١١٠، سيرة ابن كثير ٢/٣٧٢، المعرفة والتاريخ ٣/٢٧٥، نهاية الأرب ١٦/٣٩٧.

غزوة بدر الكبرى(١)

قال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشأم في عِير لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، منهم مَخْرمة بن نوفل بن أهْيب بن عبدمَناف بن زُهرة، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن مسلم الزُهْري، وعاصم بن عمر بن قَتادة، وعبدالله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عُروة بن الزبير،

---

(١) بدر: اسم بئر حفرها رجل من غِفار، ثم من بني النار منهم، اسمه: بدر، وقيل: هو بدر بن قريش بن يخلد الذي سُمّيت قريش به. وروى يونس عن ابن أبي زكريا، عن الشّعبيّ قال بدر: اسم رجل كانت له بئر.

أنظر عن الغزوة في: المغازي للواقدي ١/١٩ ـ ١٧٢، المغازي لعروة ١٣١ ـ ١٦٠، الطبقات الكبرى ٢/١١ ـ ٢٧، تاريخ الطبري ٢/٤٢١ ـ ٤٧٩، البدء والتاريخ ٤/١٨٥ ـ ١٩٥، أنساب الأشراف ١/٢٨٨ ـ ٣٠٨، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٣٩٢، الدرر في المغازي والسير لابن عبدالبر ١١٠ وما بعدها، جوامع السيرة لابن حزم ١٠٧ وما بعدها، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٦، ٢٥٧، الكامل في التاريخ ٢/١١٦ ـ ١٣٧، المختصر في أخبار البشر ١/١٢٨، ١٢٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٠، عيون الأثر ١/٢٤١ ـ ٢٩٢، سيرة ابن كثير ٢/٣٨٠ ـ ٥٣٨، عيون التواريخ ١/١١١ ـ ١٤٠، وصحيح البخاري في المغازي (٥/٣ ـ ٢٢)

وغيرهم من علمائنـا، عن ابن عباس، كـلٌّ قد حـدّثني بعض هذا الحـديث، فاجتمع حـديثهم فيما سُقتـه من حديث بـدر، قالـوا: لما سمـع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبـلاً من الشام، نـدب المسلمين إليهم وقال: «هـذه عِير قـريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفّلكموها». فانتدب الناس فخفّ بعضهم وثقُل بعضهم، وذلك أنهم لم يـظنّوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربـاً، وكان أبـو سفيـان حين دنا من الحجـاز يتحسّس(١) الأخبار ويسـأل من لقي من الـركبـان تخوُّفاً على أمر الناس. حتى أصـاب خبراً من بعض الـركبان: أنّ محمـداً قد استنفـر أصحابـه لك ولعِيـرك فحذر عنـد ذلك. فـاستأجـر ضمضم بن عمـرو الغِفـاريّ، فبعثه إلى مكـة، وأمره أن يـأتي قريشـاً فيستنفـرهم إلى أمـوالهم، ويخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة(٢).

رؤيا عاتكة بنت عبد المطّلب: **قال ابن إسحـاق**: فأخبـرني من لا أتّهم عن عِكرِمة، عن ابن عبـاس، ويزيـد بن رُومان، عن عُـروة بن الزبيـر، قالا: وقد رأت عاتكة بنت عبدالمطّلب، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليالٍ، رؤيـا أفزعتها. فبعثت إلى أخيها العباس بن عبـدالمطّلب فقـالت له: يـاأخي، والله لقـد رأيت الليلة رؤيا أفـظعتني، وتخوّفت أن يـدخـل على قـومـك منهـا شـرّ ومصيبة، فاكتم عنّي ما أحدّثك به؛ فقال لها: ومـا رأيت؟ قالت: رأيت راكبـاً أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح(٣)، ثم صرخ بـأعلى صوتـه: ألا انفروا ياغُدُر لمصارعكم في ثلاثٍ، فـأرى النّاسَ اجتمعـوا إليه، ثم دخـل المسجد

---

(١) التحسّس: بـالحاء. أنْ تتسمّـع الأخبار بنفسـك، والتجسّس بـالجيم: هـو أن تفحص عنهـا بغيرك، وفي الحديث، لا تجسّسوا، ولا تحسّسوا».

(٢) الكامل في التاريخ ١١٦/٢، عيون الأثر ٢٤٢/١

(٣) كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح، والأبطح والبطحاء الرمل المنبسط على وجه الأرض، وهو يضاف إلى مكة وإلى مِنى لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان الى مِنى أقـرب، وهو المحصّب، وهو خَيف بني كنانة. وقد قيل إنه ذو طوى وليس به. وذكر بعضهم أنـه إنما سُمّي أبطح لأن آدم عليه السلام بطح فيه. (معجم البلدان، تاج العروس ٣١٤/٦، ٣١٥)

والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثُل به[1] بعيـره على ظهر الكعبـة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لَغُدُر لمصارعكم في ثلاثٍ: ثم مثُـل به بعيـره على رأس أبي قُبيس[2]، فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فـأرسلها. فـأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت[3]، فمـا بقي بيت من بيوت مكـة، ولا دار إلاّ دخلتهـا منها فلقـة؛ قال العبـاس: والله إنّ هذه لَـرؤيا، وأنْتِ فـاكتميهـا، ولا تذكريها لأحد.

ثم خـرج العبّاس، فلقي الـوليد بن عُتبـة بن ربيعة، وكـان له صـديقاً، فذكرها له، واستكتمه إيّاها. فذكرها الوليد لأبيه عُتبة، ففشـا الحديث بمكـة، حتى تحدّثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بـالبيت وأبو جهـل بن هشام في رهْطٍ من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضـل إذا فرغت من طوافك فأقبـل إلينا؛ فلمـا فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقـال لي أبو جهل: يا بني عبدالمطّلب، متى حدّثت فيكم هذه النّبيّة؟ قـال. قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة؛ قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبدالمطّلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجـالكم حتى تتنبّأ نسـاؤكم، قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربّص بكم هذه الثلاث، فإنْ يـك حقّـاً مـا تقـول فسيكـون، وإن تمض الثـلاث ولم يكن من ذلـك شيء، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيتٍ في العرب. قال العبـاس: فوالله مـا كـان منّي إليه كبيـر، إلاّ أنّي جحدت ذلـك، وأنكـرت أن تكـون رأت شيئـاً. قال: ثم تفرّقنا.

فلمـا أمسيت، لم تبق امـرأة من بني عبـدالمـطّلب الاّ أتتني، فقـالت:

---

(١) مثُل به: قام به.

(٢) أبو قبيس: الجبل المشـرف على مكة من شـرقيّها، وفي أصـل تسميته أكثـر من رواية ذكـرها ياقوت في (معجم البلدان ١/ ٨٠، ٨١)

(٣) ارفضّت: تفتّتت.

أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غِيَر[1] لشيءٍ مما سمعت، قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان مني إليه من كبير. وأيم الله لأتعرضنّ له، فإنْ عاد لأكفيكّنه.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مغضب أرى أنّي قد فاتني منه أمر أحبّ أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إنّي لأمشي نحوه أتعرّضه، ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر. قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ. قال: فقلت في نفسي: ماله لعنه الله، أكل هذا فَرَق منّي أن أُشاتمه! قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع: صوت ضمضم بن عمرو الغِفَاريّ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جَدّع بعيره[2]، وحوّل رَحْله، وشقّ قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة[3] أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغَوث الغوث. قال: فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر[4].

قريش تتجهّز للخروج: فتجهّز الناس سراعاً، وقالوا: أيظنُّ محمد وأصحابه أن تكون كعِير ابن الحضرميّ، كلّا والله ليعلمنّ غير ذلك. فكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً. وأوعبت قريش، فلم يتخلّف من أشرافها أحد.

---

(١) قال ابن الأنباري: في قولهم: (لا أراني الله بك غِيَراً) الغِيَر: تغيُّر الحال، وهو اسم واحد بمنزلة النِطَع والعِنَب وما أشبههما، ويجوز أن يكون جمعاً واحدنه غِيَرَة. قال بعضهم في كنانة:

فمن يشكر الله يلق المزيد ... ومن يكفرِ الله يلق الغِيَر

(الزاهر ٢/٣١٣، تاج العروس ١٣/٢٨٧)

(٢) جدع بعيره: قطع أنفه.

(٣) اللطيمة: الإبل التي تحمل البَزّ والطِّيب.

(٤) أخرجه عروة في المغازي ١٣٣، ١٣٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٧٠، نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني. وابن الأثير في الكامل ٢/١١٧، وابن سيد الناس ١/٢٤٣

إلاّ أنّ أبا لهب بن عبدالمطّلب تخلّف، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط[1] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها على أن يُجْزيء عنه، بعثه فخرج عنه، وتخلّف أبو لهب.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي نَجيح: أنّ أُميّة بن خَلفَ كان أجمع القعود، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه عُقبة بن أبي مُعَيط، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه، بمجمرة يحملها، فيها نار ومجمر، حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا عليّ، استجمر، فإنّما أنت من النساء؛ قال: قبّحك الله وقبّح ما جئت به؛ قال: ثم تجهّز فخرج مع الناس.

ما وقع بين قريش وكِنانة من الحرب: **قال ابن إسحاق**: ولما فرغوا من جهازهم، وأجمعوا المسير، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبدمَناة بن كِنانة من الحرب، فقالوا: إنّا نخشى أن يأتونا من خلفنا، وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر ـ كما حدّثني بعض بني عامر بن لُؤَيّ، عن محمد بن سعيد بن المسيّب ـ في ابنٍ لحفص بن الأخيف، أحد بني مَعيص بن عامر بن لُؤَيّ، خرج يبتغي ضالّة له بضَجْنَان[2]، وهو غلام حَدث في رأسه ذُؤآبة، وعليه حلّة له، وكان غلاماً وضيئاً نظيفاً، فمرّ بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح، أحد بني يَعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبدمَناة بن كِنانة، وهو بضَجْنان، وهو سيِّد بني بكر يومئذٍ، فرآه فأعجبه؛ فقال: من أنت يا غلام؟ قال: أنا ابنٌ لحفص بن الأخيف القرشيّ. فلما ولّى الغلام، قال عامر بن زيد: يا بني بكر، مالكم في قريش من دم؟ قالوا: بلى والله، إنّ لنا فيهم لَدِماء؛ قال: ماكان رجل ليقتل هذا الغلام برجْله إلاّ كان قد استوفى دمه. قال: فتبعه رجل من بني بكر، فقتله

(٤) لاط: احتبس.

(٢) ضَجْنان: بالتحريك. ويروى بسكون الجيم. جبيل على بريد من مكة وهناك الغميم في أسفله مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ. وقال الواقدي: وبين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلاً، وهي لأسلم وهذيل وغاضرة. (معجم البلدان ٣/٤٥٣)

بدم كان له في قريش؛ فتكَلّمت فيه قريش، فقال عامر بن يزيد: يا معشر قريش قد كانت لنا فيكُم دماء، فما شئتم. إن شئتم فأدّوا علينا مالنا قِبَلكم، ونؤدّي مالكم قِبَلنا، وإن شئتم فإنّما هي الدماء: رجل برجل، فتجافوا عما لكم قِبلنا، ونتجافى عمّا لنا قِبَلكم، فإنّ ذلك الغلام على هذا الحيّ من قريش، وقالوا: صدق، رجل برجل. فلَهَوْا عنه، فلم يطلبوا به.

قال: فبينما أخوه مِكْرَز بن حفص بن الأخيف يسير بمَرّ الظَّهْران[1]، إذ نظر إلى عامر بن يزيد بن الملوّح على جملٍ له، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به، وعامر متوشّح سيفه، فعلاه مِكْرز بسيفه حتى قتله، ثم خاض بطنه بسيفه؛ ثم أتى به مكة، فعلّقه من الليل بأستار الكعبة. فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلّقاً بأستار الكعبة، فعرفوه؛ فقالوا: إنّ هذا لَسيف عامر بن يزيد، عدا عليه مِكرَز بن حفص فقتله، فكان ذلك من أمرهم. فبينما هم في ذلك من حربهم، حجز الإسلام بين الناس؛ فتشاغلوا به، حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر، فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر فخافوهم. وقال مكرز بن حفص في قتله عامراً:

لما رأيتُ أنّه هو عامرٌ ... تذكَّرت أشلاءَ الحبيبِ الملحَّبِ[2]
وقلتُ لنفسي: إنّه هو عامرٌ ... فلا تَرهبيه، وانظري أيَّ مركب
وأيقنتُ أنّي إن أُجَلِّله ضربةً ... متى ما أُصبْه بالفُرافر يَعْطَب
خَفَضتُ له جأشي وألقيتُ كَلكَلي[3] ... على بطلٍ شاكي السلاح مجرّب
ولم أكُ لمّا التفّ رُوعي ورُوعه ... عُصارةَ هُجنٍ من نساءٍ ولا أب
حللت به وِتْري ولم أنسَ ذَحْلَه[4] ... إذا ما تناسى ذَحْله كلُّ عَيْهب

---

(١) مَرّ الظهران: موضع على مرحلة من مكة. قال الواقدي: بين مر وبين مكة خمسة أميال. (معجم البلدان ٥/١٠٤)

(٢) الملحّب: الذي ذهب لحمه، وأصل اللحب تقطيع اللحم طولاً.

(٣) الكلكل: الصدر.

(٤) الذحل: الثأر.

قال ابن هشام: القُرافر في غير هذا الموضع: الرجل الأضبط، «وفي هذا الموضع». السيف، والعَيْهب: الذي لا عقل له، وبقال لتيس الظّباء وفحل النعام: العَيْهب. قال الخليل: العَيهب: الرجل الضعيف عن إدراك وِتْره.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُّبير، قال: لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجيّ، وكان من أشراف بني كِنانة، فقال لهم: أنا لكم جار من أن تأتيكم كِنانة من خلفكم بشيءٍ تكرهونه، فخرجوا سراعاً.

خروج رسول الله ﷺ: قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان في أصحابه ـ قال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلون من شهر رمضان ـ واستعمل عمرو بن أمّ مكتوم ـ ويقال اسمه: عبدالله بن أمّ مكتوم أخا بني عامر بن لُؤَيّ، على الصلاة بالناس، ثم ردّ أبا لُبابة من الرَّوْحاء[1]، واستعمله على المدينة.

اللواء والرايتان: قال ابن إسحاق: ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار. قال ابن هشام: وكان أبيض.

قال ابن إسحاق: وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع عليّ بن أبي طالب، يقال لها: العُقاب، والأخرى مع بعض الأنصار[2].

عدد إبل المسلمين إلى بدر: قال ابن إسحاق: وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ سبعين بعيراً، فاعتقبوها؛ فكان رسول الله ﷺ، وعليّ بن أبي طالب، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَويّ يعْتَقبون بعيراً، وكان حمزة بن

---

(١) الروحاء: من عمل الفُرع بالمدينة، على نحوٍ من ثلاثين أو أربعين يوماً منها. (معجم البلدان)

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، ٥١، عيون الأثر ١/٢٤٦.

عبدالمطّلب، وزيد بن حارثة، وأبو كبشة، وأنسة، مَوْلَيا رسول الله ﷺ يَعْتقبون[1] بعيراً، وكان أبو بكر، وعمر، وعبدالرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً.

قال ابن إسحاق: وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجّار. وكانت راية الأنصار مع سعد بن مُعاذ، فيما قال ابن هشام.

الطريق إلى بدر: **قال ابن إسحاق**: فسلك طريقه من المدينة إلى مكة، على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحُلَيفة، ثم على أولات الجيش.

قال ابن هشام: ذات الجيش.

قال ابن إسحاق: ثم مرّ على تُرْبان[2]، ثم على مَلَل[3]، ثم غَمِيس الحَمام[4] من مَرَيَيْن، ثم على صُخَيرات اليَمام، ثم على السَّيَّالة[5]، ثم على فَجّ الرَّوْحاء[6]، ثم على شَنُوكة[7]، وهي الطريق المعتدلة؛ حتى إذا كان بعِرْق الظَّبية[8] - قال ابن هشام: الظُّبْية: عن غير ابن إسحاق - لقوا رجلاً من الأعراب، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً؛ فقال له الناس: سلّم على رسول الله ﷺ قال: أَوَفِيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، فسلّم عليه؛ ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه. قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ، وأقبل عليّ فأنا أخبرك عن ذلك.

---

(١) يعتقبون: يتعاقبون عليها ويتناوبونها. واعتقاب كالتعاقب: التداول.
(٢) تُرْبان: قرية من ملل على ليلة من المدينة. (معجم البلدان ٢/٢٠)
(٣) مَلَل: بالتحريك، موضع في طريق مكة بين الحرمين. ومنزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة. (معجم البلدان ٥/١٩٤)
(٤) غميس الحمام: بفتح أوله وكسر ثانيه. (معجم البلدان ٤/٢١٤)
(٥) السَّيَالة: بفتح أوله، وتخفيف ثانيه. هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة. (معجم البلدان ٣/٢٩٢)
(٦) فجّ الروحاء: بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٤/٢٣٦)
(٧) شَنوكة: بالفتح ثم الضم وسكون الواو. جبل. (معجم البلدان ٣/٣٦٩)
(٨) عِرق الظبية، بضم الظاء، بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٤/١٠٨).

نزوتَ عليها، ففي بطنها منك سخلة[1]، فقال رسول الله ﷺ: «مه، أفحشت على الرجل»؛ ثم أعرض عن سلمة.

ونزل رسول الله ﷺ سَجْسَج، وهي بئر الرَّوْحاء، ثم ارتحل منها، حتى إذا كان بالمنصرَف، ترك طريق مكة بيَسار، وسلك ذات اليمين على النازية[2]، يريد بدراً، فسلك في ناحية منها، حتى جَزَع وادياً[3]، يقال له رُحْقان، بين النازية وبين مَضيق الصَّفراء، ثم على المضيق، ثم انصبّ منه، حتى إذا كان قريباً من الصفراء، بعث بَسْبَس بن الجُهَنيّ، حليف بني ساعدة، وعدِيّ بن أبي الزَّغْباء الجُهَنِيّ، حليف بني النجّار، الى بدر يتحسّسان له الأخبار، عن أبي سفيان بن حرب وغيره. ثم ارتحل رسول الله ﷺ، وقد قدِمَها. فلما استقبل الصفراء، وهي قرية بين جبلين، سأل عن جبليهما ما اسماهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما، هذا مُسلح وللآخر: هذا مُخْرِيء، وسأل عن أهلهما فقيل: بنو النار وبنو حراق، بطنان من بني غِفَار فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما، وتفاءل بأسمائهما وأسماء[4] أهلهما: فتركهما رسول الله ﷺ والصفراء بيسار، وسلك ذات اليمين على واد يقال له: ذَفِرَان، فجزع فيه، ثم نزل.

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم؛ فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش: فقام أبو بكر الصِّدِّيق، فقال وأحسن. ثم قام عمر بن الخطّاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾[5]. ولكن اذهب أنت وربّك

---

(١) السخلة في الأصل: الصغير من الضأن واستعارها لولد الناقة.

(٢) النازية: بتخفيف الياء، عين ثَرَّة على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة قرب الصفراء، وهي إلى المدينة أقرب وإليها مضافة. (معجم البلدان ٥/٢٥١)

(٣) قطعه عرضاً.

(٤) ليس هذا من باب الطيرة والتشاؤم فقد كان ينهى عنه ﷺ، ولكن هذا من باب كراهية الاسم القبيح.

(٥) سورة المائدة ـ الآية ٢٤.

فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى بِـرْك الغِماد[1] لجالَدنـا معك من دونـه، حتى تبلغه؛ فقـال له رسـول الله ﷺ خيراً، ودعـا له به[2].

استشارة الأنصار: ثم قـال رسول الله ﷺ: «أشيـروا عليّ أيّها النـاس. وإنّمـا يريـد الأنصار، وذلـك أنّهم عدد النـاس، وأنهم حين بايعـوه بـالعَقَبـة، قالوا: يا رسول الله: إنّا برآء من ذمـامك حتى تصـل إلى ديارنـا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمّتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوّف ألّا تكونَ الأنصار ترى عليها نصره إلّا ممن دهمه بالمدينة من عـدوّه، وأن ليس عليهم أن يسيـر بهم إلى عــدوٍ من بــلادهـم. فلمــا قــال ذلــك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن مُعاذ: والله لكأنّك تريـدنا يـا رسول الله؟ قـال أجـل. قال: فقـد آمنّا بـك وصدّقنـاك، وشهِدنـا أنّ مـا جئت بـه هـو الحقّ، وأعـطينـاك على ذلـك عهـودنـا ومـواثيقنـا، على السمـع والـطاعـة، فـامض يا رسول الله لَما أردت فنحن معك، فـوالذي بعثـك بالحقّ، لـو استعرضت بنـا هذا البحر فخضتـه لخضْناه معـك، ما تخلّف منّـا رجل واحـد، وما نكـره أن تلقى بنا عدوّنا غداً، إنّا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقـاء. لعلّ الله يـريك منّا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركـة الله. فسُرّ رسـول الله ﷺ بقول سعـد، ونشّـطه ذلك؛ ثم قـال: «سيروا وأبشـروا، فإنّ الله تعـالى قد وعـدني إحـدى الطائفتين، والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم»[4].

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفِران، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر؛ ثم انحطّ منها إلى بلد يقال له: الدَّبَة[5]، وترك الحنان بيمين وهو كثيب عـظيم

(١) موضع بناحية اليمن، وقيل إنها مدينة بالحبشة. وقيل موضع في أقصى أرض هجر. (معجم البلدان).

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، ٥٢، الكامل في التاريخ ٢ ـ ١٢.

(٣) ذفِران: بفتح أوله وكسر ثانيه. وادٍ قرب الصفراء. (معجم البلدان ٣/٦).

(٤) المغازي لعروة ١٣٦، عيون الأثر ١/٢٤٧، البدء والتاريخ ٤/١٨٨

(٥) الدَّبَة: فتح أوله وتخفيف ثانيه. بلد بين الأصافر وبدر. (معجم البلدان ٢/٤٣٨)

كالجبل العظيم؛ ثم نزل قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه.

قال ابن هشام: الرجل هو أبو بكر الصِّدِّيق.

قال ابن إسحاق: كما حدّثني محمد بن يحيى بن حبّان: حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك». قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم؛ قال الشيخ فأنه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإنْ كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ؛ وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف عنه. قال، يقول الشيخ: مامن ماء، أمن ماء العراق؟

قال ابن هشام: يقال: ذلك الشيخ: سفيان الضمري.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث عليّ بن أبي طالب، والزُبير بن العوام، وسعد بن أبي وقّاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه - كما حدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُبير - فأصابوا راوية[1] لقريش فيها أسلم، غلام بني الحَجّاج، وعريض أبو يَسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلّي، فقالا: نحن سُقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما. فلما أذلقوهما[2] قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه، ثم سلّم، وقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما،

---

(١) الراوية: الإبل التي يُسقى الماء عليها.
(٢) أذلقه: بالغ في ضربه.

وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، والله إنّهما لقُريش، أخبراني عن قريش»؟ قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصوى - والكثيب: العقنقل - فقال لهما رسول الله ﷺ: «كم القوم»؟ قالا: كثير؛ قال: «ما عدّتهم»؟ قالا: لاندري: قال: «كم ينحرون كلّ يوم»؟ قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً؛ فقال رسول الله ﷺ: «القوم فيما بين التسع مئة والألف»[1]. ثم قال لهما: «فمَن فيهم من أشراف قريش»؟ قالا: عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام، وحكيم بن حِزام، ونوفل بن خُوَيْلِد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطُعَيمة بن عَدِيّ بن نوفل، والنضْر بن الحارث، وزَمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأُميّة بن خَلَف، ونُبيه، ومنبّه ابنا الحَجَّاج، وسُهيل بن عَمرو، وعمرو بن عبد ودّ. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس، فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ[2] كبِدِها»[3].

قال ابن إسحاق: وكان بَسْبَس بن عمرو، وعدِيّ بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تلٍّ قريب من الماء، ثم أخذا شنّاً[4] لهما يسقيان فيه، ومَجْدِيّ بن عمرو الجُهَنِيّ على الماء. فسمع عَدِيّ وبَسْبَس جاريتين من جواري الحاضر[5]، وهما يتلازمان[6] على الماء، والملزومة[7] تقول لصاحبتها: إنّما تأتي العِير غداً أو بعد غد، فأعمل لهم، ثم أقضيك الذي لك، قال مَجديّ: صدقت، ثم خلّص بينهما. وسمع ذلك عديّ وبَسْبَس، فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله ﷺ، فأخبراه بما سمعا[8].

---

(١) المغازي لعروة ١٣٧، ١٣٨، تاريخ الطبري ٢/٤٢٥، الكامل في التاريخ ٢/١١٩

(٢) أفلاذ: قِطَع.

(٣) عيون الأثر ١/٢٤٩، نسب قريش ٢٥١

(٤) الشّنّ: الزقّ البالي.

(٥) الحاضر: النازلون على الماء.

(٦) التلازم: تعلّق الغريم بغريمه.

(٧) الملزومة: المدينة.

(٨) تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ١/٢٥٠

نجاة أبي سفيان بالعِير: وأقبل أبو سفيان بن حرب، حتى تقدّم العِير حذراً، حتى ورد الماء؛ فقال لمجديّ بن عمرو: هل أحسست أحداً؛ فقال: ما رأيت أحداً أنكره، إلاّ أنّي قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلّ، ثم استقيا في شنٍّ لهما، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففتّه، فإذا فيه النّوى؛ فقال: هذه والله علائف يثرب. فرجع إلى أصحابه سريعاً، فضرب وجه عِيره عن الطريق، فساحَل بها[1]، فترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع[2].

قال: وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحْفَة، رأى جُهيم بن الصلْت بن مَخْرمة بن عبدالمطّلب بن عبدمَناف رؤيا، فقال: إنّي رأيت فيما يرى النائم، وإنّي لَبين النائم واليقظان. إذ نظرت إلى رجلٍ قد أقبل على فَرَس حتى وقف، ومعه بعير له؛ ثم قال: قتل عُتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأُميَّة بن خَلَف، وفلان وفلان، فعدّد رجالاً ممن قُتل يوم بدر، من أشراف قريش، ثم رأيته ضرب في لُبّة بعِيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلاّ أصابه نضح من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل؛ فقال: وهذا أيضاً نبيّ آخر من بني المطّلب، سيعلم غداً من المقتول إنْ نحن التقينا[3].

قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عِيره، أرسل إلى قريش: إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عِيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجّاها الله، فارجعوا؛ فقال أبو جهل بن هشام: والله لانرجع حتى نرِد بدراً ـ وكان بدر موسماً من مواسم العرب، يجتمع لهم به سوق كل عام ـ فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجُزُر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القِيان، وتسمع

---

(١) أخذ بها طريق الساحل.
(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ١/ ٢٥٠
(٣) عيون الأثر ١/ ٢٥٠

بنا العرب وبمسيرنا وجمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا.

وقال الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهْب الثقفيّ؛ وكان حليفاً لبني زُهرة وهم بالجُحْفَة: يابني زُهرة، قد نجّى الله لكم أموالكم، وخلّص لكم صاحبكم مَخْرمة بن نوفل، وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا لي جُبنَها وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة، لاما يقول هذا، يعني أبا جهل. فرجعوا، فلم يشهدها زُهْرِيّ واحد، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً. ولم يكن بقي من قريش بطن إلاّ وقد نفر منهم ناس، إلاّ بني عدِيّ بن كعب، لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شَريق، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد، ومشى القوم[1]. وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم، وإن خرجتم معنا، أنّ هواكم لَمَع محمد. فرجع طالب إلى مكة مع من رجع. وقال طالب بن أبي طالب:

لا هُم إمّا يَغْزُوَنَّ طالِبْ ... في عُصبة محالفُ محارب
في مِقْنَبٍ[2] من هذه المَقَانِب ... فليكُنِ المسلوبَ غيرَ السالِبْ
وليكُنِ المغلوبَ غيرَ الغالبْ[3]

قال ابن هشام: قوله «فليكن المسلوب»، وقوله «وليكن المغلوب» عن غير واحد من الرُواة للشِعر.

قريش تنزل بالعُدْوة والمسلمون ببدر: قال ابن إسحاق: ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوة القُصْوَى من الوادي، خلف العَقَنْقَل وبطن الوادي، وهو يَلْيَل، بين بدر وبين العَقَنْقَل، الكثيب الذي خلفه قريش، والقُلُب[4] ببدر في

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٣٨
(٢) المقنب: الجماعة من الخيل.
(٣) أنظر القول عند الطبري بتغيير في الألفاظ وتقديم وتأخير ٢/٤٣٩، وفي الكامل ٢/١٢١
(٤) القُلُب: جمع قليب: البئر القديم مذكر وقد يؤنث.

العُـدوة الدنيـا من بطن يَلْيَـل إلى المدينـة. وبعث الله السماء، وكـان الوادي دَهْساً[1]، فأصاب رسولَ الله ﷺ وأصحابَه منها ما لبَّـد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السيـر، وأصاب قـريشاً منهـا ما لم يقـدروا على أن يرتحلوا معـه. فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به[2].

قـال ابن إسحاق: فحُـدِّثْتُ عن رجال من بني سلمـة، أنهم ذكروا: أنّ الحُباب بن المنذر بن الجَمُوح قال: يا رسول لله، أرأيت هذا المنزل، أمنـزلاً أنـزلكـه الله ليس لنـا أن نتقـدّمـه، ولا نتـأخّـر عنـه، أم هـو الـرأي والحـرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»؟ فقال: يا رسول الله، فـإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالنـاس حتى نأتي أدنى مـاء من القوم، فننـزله، ثم نغوّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضـاً فنملؤه ماءً، ثم نقـاتل القـوم، فنشـرب ولا يشـربـون؛ فقـال رسـول الله ﷺ: لقـد أشـرت بـالـرأي. فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماءٍ من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرت، وبنى حوضاً على القُلُب الذي نزل عليه فمُلىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكـر أنه حـدّث: أنّ سعد بن مُعاذ قال: يانبيّ الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونُعِدُّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدوّنا، فإنْ أعزَّنـا الله وأظهرنـا على عدوّنـا، كان ذلـك ما أحببْنـا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحِقْت بمن وراءنا، فقد تخلّف عنـك أقوام، يا نبيّ الله، ما نحن بأشدّ لك حبّاً منهم، ولو ظنّوا أنّك تلقى حـرباً مـا تخلّفوا عنك، يمنعـك الله بهم، يناصحـونك ويجـاهدون معـك. فأثنى عليـه

---

(١) الدَّهْس: المكان اللّيّن السهل الذي ليس برمل ولا تراب.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٣٩، الأغاني ٤/١٧٨ ـ ١٨٣، الكامل في التاريخ ٢/١٢٢، عيون الأثر ١/٢٥١
(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٠، الأغاني ٤/١٨٣، ١٨٤، الكامل في التاريخ ٢/١٢٢

رسـول الله ﷺ خيراً، ودعـا له بخيـر. ثم بُني لرسـول الله ﷺ عريش، فكـان فيه[1].

قـال ابن إسحاق: وقـد ارتحلت قريش حين أصبحت، فـأقبلت، فلمـا رآهـا رسول الله ﷺ تصـوّب من العَقَنْقل ـ وهـو الكثيب الذي جـاءوا منـه إلى الوادي ـ قال: «الَّلهُمَّ هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها، تُحادُّك وتكذّب رسولك، اللهم فنصرَك الذي وعدتني، الّلهمّ أحِنْهِمُ[2] الغَداةَ[3].

وقد قال رسول الله ﷺ ـ وقد رأى عُتبة بن ربيعة في القوم على جَمَلٍ له أحمر ـ: إن يكن في[4] أحد من القوم خير فعنـد صاحب الجمـل الأحمر، إن يُطيعوه يرشُدُوا.

وقد كان خُفاف بن أيماء بن رحَضة الغِفاريّ، أو أبـوه أيماء بن رحضـة الغِفـارِيّ، بعث إلى قريش، حين مـرّوا به، ابنـاً له بجـزائره[5] أهـداها لهم، وقال: إن أحببتم أن نمدّكم بِسلاح ورجالٍ فعلنا. قال: فأرسلوا إليه مع ابنه: أنْ وصلتْك رحِم، قد قضيت الذي عليك، فلَعَمْري لئن كنّا إنّما نقاتل الناس فمـا بنا من ضعف عنهم، ولئن كنّـا إنّما نقـاتل الله، كمـا يزعم محمـد، فما لأحدٍ بالله من طاقة[6].

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله ـ ﷺ ـ فيهم حكيم بن حِزام؛ فقال رسـول الله ـ ﷺ ـ: «دعوهم». فمـا شـرب منـه رجل يومئذ إلاّ قُتل، إلاّ ما كان من حكيم بن حِزام، فإنـه لم يُقتل، ثم أسلم

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤٠، الكامل في التاريخ ٢/١٢٢، عيون الأثر ١/٢٥٢
(٢) أحِنْهم: أهلكهم.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤١
(٤) عند الطبري «عند».
(٥) الجزائر: الذبائح
(٦) تاريخ الطبري ٢/٤٤١

بعد ذلك، فحسُن إسلامه. فكان إذا جهد في يمينه، قال: «لا والذي نجّاني من يوم بدر»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار وغيره من أهل العلم، عن أشياخ من الأنصار، قالوا، لما اطمأنّ القوم، بعثوا عُمير بن وهْب الجُمَحيّ فقالوا: احزروا لنا أصحاب محمد، قال: فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاث مئة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر أَلِلقَوم كمين أو مَدَد؟ قال: فضرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدت شيئاً، ولكنّي قد رأيت، يا معشر قريش، البلايا[2] تحمل المنايا، نواضح[3] يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم مَنَعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم، حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فرُوا رأيَكم[4].

فلما سمع حكيم بن حِزام ذلك مشى في الناس، فأتى عُتبة بن ربيعة، فقال: يا أبا الوليد، إنّك كبير قريش وسيّدها، والمُطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرميّ؛ قال: قد فعلت، أنت عليّ بذلك، إنّما هو حليفي، فعليَّ عقله وما أصيب من ماله، فأتِ ابنَ الحنظلية.

الحنظلية ونَسَبها: **قال ابن هشام**: والحنظلية أمّ أبي جهل، وهي أسماء بنت مُخرِّبة، أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤١، الأغاني ٤/١٨٤، الكامل في التاريخ ٢/١٢٣، عيون الأثر ١/٢٥٢

(٢) النوق التي تُربط على قبر الأموات لا تُعلف ولا تُسقى حتى تموت، كان يفعلها بعض العرب الذي يقرّ بالبعث لأجل أن يحشر عليها الميت وقت بعثه.

(٣) النواضح: الإبل التي يستقى الماء عليها.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٤٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥، الكامل ٢/١٢٣، عيون الأثر ١/٢٥٣.

مَناة بن تميم ـ فإنّي لا أ خشى أن يشجـر[1] أمر النـاس غيره، يعني أبـا جهل بن هشام. ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً، فقـال: يا معشـر قريش، إنّكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الـرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتـل ابن عمّه أو ابن خـاله، أو رجـلاً من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرَّضوا منه ما تريدون[2].

قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجـدته قـد نثل[3] درعـاً له من جرابها، فهو يهنئها[4]. ـ قال: ابن هشام يهيُئها ـ فقلت له يا أبا الحَكَم إنّ عُتبـة أرسلني إليك بكـذا وكذا، للذي قـال؛ فقال: انتفـخ والله سَحْرُه[5] حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نـرجع حتى يحكم الله بيننـا وبين محمد، وما بُعتبة ما قال، ولكنه قد رأى أنّ محمداً وأصحابه أكلة جَزُور، وفيهم ابنـه، فقد تخوّفكم عليـه. ثم بعث إلى عامـر بن الحضرمي، فقـال: هذا يـريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فأنشد خُفْرَتَكَ[6]، ومقتَلَ أخيك.

فقـام عامـر بن الحضْـرميّ فـاكتشف ثم صـرخ: واعمـراه. واعمـراه، فحميت الحرب، وحقِب[7] الناس، واستوسقوا[8] على ما هم عليه من الشـرّ. وأُفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عُتبة.

فلما بلغ عُتبةَ قولُ أبي جهل «انتفـخ والله سَحْرُه»، قـال: سيعلم مصفِّر

---

(١) يشجر فلان أمر الناس أي يثير التخاصم والتنازع بينهم. (تاج العروس ١٢/١٤٠)

(٢) تـاريخ الـطبري ٢/٤٤٢، الأغاني ٤/١٨٥، ١٨٦، تـاريخ الإسـلام (المغازي) ٥٦، عيـون الأثر ١/٢٥٣

(٣) نثل: أخرج.

(٤) يهنئها: يطليها بعكر الزيت.

(٥) انتفخ سَحْرُه: أي رئته. يقال للجبان الذي ملأ الخوف جوفه: انتفـخ سحْره. (تـاج العروس ١١/٥١٠، ٥١١)

(٦) الخُفْرة: الذمّة والجوار. وانشد خفرتك: أي أطلب من يجيرك. (تـاج العـروس ١١/٢٠٥).

(٧) حقب الناس: اشتدّوا.

(٨) استوسقوا: استجمعوا وانضمّوا.

استِه[1] من انتفخ سَحْرُه، أنا أم هو؟.

قال ابن هشام: السَّحْر: الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السُّرَّة. وما كان تحت السُّرَّة، فهو القصب، ومنه قوله: رأيت عمرو بن لحي يجرّ قصْبه في النار: قال ابن هشام: حدّثني بذلك أبو عُبيدة.

ثم التمس عُتبة بيضة ليُدْخِلَها في رأسه، فما وجد في الجيش بيضة تَسَعه من عِظَم هامته؛ فلما رأى ذلك اعتجز[2] على رأسه ببُرْد له.

مقتل الأسود بن عبدالأسد المخزومي: قال ابن إسحاق: وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ، وكان رجلاً شرِساً سيّء الخُلُق، فقال: أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم، أو لأهدمنّه، أو لأموتنّ دونه؛ فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطّلب، فلمّا التقيا ضربه حمزة فأطنّ[3] قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رِجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبرّ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض[4].

دعاء عُتبة إلى المبارزة: قال: ثم خرج بعد عُتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتبة، حتى إذا نصل من الصفّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عوف، ومعوّذ، ابنا الحارث ـ وأمهما عَفْراء ـ ورجل آخر» يقال: هو عبدالله بن رواحة؛ فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهْط من الأنصار؛ قالوا: مالنا بكم من حاجة، ثم نادى مُناديهم: يا محمد، أخرِجْ إلينا أكفاءنا من قومنا؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ:

---

(١) كناية عن الدعة فقد كان الإنسان البعيد عن الحرب يتطيّب بالخلوق، وقد قصد المبالغة لإهانته بذكر استِه وإنّما هو تطييب البدن.

(٢) اعتجر: تعمّم. والاعتجار: ليّ الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك. والعِجْرَة بالكسر: نوع من العمّة. يقال: فلان حسن العِجْرة. (تاج العروس ١٢/٥٣٨)

(٣) أطنّ: أطار.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٤٤، ٤٤٥، الكامل ٢/١٢٤

«قم يا عُبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا عليّ»، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عُبيدة: عُبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليّ: عليّ؛ قالوا: نعم، أكفاء كِرام، فبارز عُبيدة، وكان أسنّ القوم، عُتبة بن ربيعة؛ وبارز حمزة شيبة بن ربيعة؛ وبارز عليّ الوليد بن عُتبة. فأمّا حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله؛ وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله، واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه[١]، وكَرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتبة فذففا[٢] عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه[٣].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أن عُتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا: أكفاء كِرام، إنّما نريد قومنا.

إلتقاء الفريقين: **قال ابن إسحاق**: ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم، وقد أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبْل، ورسول الله ـ ﷺ ـ في العريش، معه أبو بكر الصِّدِّيق.

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان[٤].

قال ابن إسحاق: كما حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين.

ضرب الرسول لابن غزية: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني حبّان بن واسع بن حبّان، عن أشياخ من قومه: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قِدْح يعدل به القوم، فمرّ بسوّاد بن غَزِيّة، حليف بني عدِيّ بن النّجّار ـ قال ابن هشام: يقال، سوّاد، مثقّلة، وسواد في الأنصار

---

(١) أثبته: جرحه جراحة بالغة.

(٢) ذفّفا عليه: أسرعا قتله.

(٣) المغازي لعروة ١٤٠، ١٤١، تاريخ الطبري ٢/٤٤٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧، عيون الأثر ١/٢٥٤، ٢٥٥، البدء والتاريخ ٤/١٨٩.

(٤) تاريخ الإسلام (المغازي).

غير هـذا، مخفف ـ وهـو مستنتـل[1] من الصفّ ـ قـال ابن هشـام: ويقـال: مستنصل[2] من الصفّ ـ فطعن في بطنه بالقِدْح، وقال: استو يا سواد فقال: يا رسول الله، أوجعتني وقد بعثك الله بالحقّ والعدل، قال: فـأقدني[3]. فكشف رسول الله ـ ﷺ ـ عن بطنه، وقال: «استقِدْ»، قال: فاعتنقه فقبّل بطنه: فقال: «ما حملك على هذا يا سوّاد»؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكـون آخر العهـد بـك أن يمسّ جلدي جلدُك. فـدعـا لـه رسـول الله ـ ﷺ ـ بخير، وقاله له[4].

الرسول يناشد ربَّه النصر: قال ابن إسحاق: ثم عدّل رسول الله ـ ﷺ ـ الصفوف، ورجع إلى العريش فدخله، ومعه فيه أبـو بكر الصِّـدِّيق، ليس معه فيـه غيره، ورسـول الله ـ ﷺ ـ يناشـد ربَّه مـا وعده من النصـر، ويقـول فيمـا يقول: «الَّلهّم إن تهلِك هذه العصابة اليوم لا تُعبد»، وأبـو بكر يقـول: يا نبيّ الله: بعض مناشدتِك ربّك، فإنّ الله منجزٌ لك ما وعدك . وقد خفق[5] رسول الله ـ ﷺ ـ خفقةً وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «أبشِر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسٍ يقوده، على ثناياه النقع».

أول شهيـد من المسلمين: قال ابن إسحـاق: وقد رُمي مِهْجَـع، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتل، فكان أول قتيل من المسلمين؛ ثم رُمي حارثـة بن سُـراقة، أحـد بني عدِيّ بن النّجّـار، وهـو يشـرب من الحـوض، بسهمٍ فأصاب نحْره، فقتل.

قال: ثم خرج رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الناس فحـرّضهم، وقال: والـذي

---

(١) مستنتل: متقدّم.
(٢) مستنصل: خارج.
(٣) أقدني: اقتصّ لي من نفسك.
(٤) تـاريخ الـطبري ٢/٤٤٦، ٤٤٧، عيون الأثـر ١/٢٥٥، تـاريخ الـطبري ٢/٤٤٧، الأغـاني ٤/١٩٠، ١٩١
(٥) خفق: أخذته سِنة خفيفة من النوم.

نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً، مقبِلاً غير مُدبر، إلّا أدخله الله الجنة. فقال عُمير بن الحمام أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهنّ: بخ بخ(١)، أفما بيني وبين أن أدخل الجنّة إلّا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سَيفَه، فقاتل القوم حتى قُتل.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله، ما يُضحك(٢) الربَّ من عبده؟ قال غمسه يده في العدوّ حاسراً. فنزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل(٣).

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُهْريّ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صُعير العُذْريّ، حليف بني زُهرة، أنه حدّثه: لما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جهل ابن هشام: اللهمّ اقطعَنا للرَّحِم، وآتانا بما لا يُعرف، فأحِنْه(٤) الغداة. فكان هو المستفتح(٥).

قال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها، ثم قال: «شاهت الوجوه»، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: «شُدُّوا»؛ فكانت الهزيمة، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش؛ وأسر من أسر من أشرافهم. فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله ـ ﷺ ـ في العريش: وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش، الذي فيه رسول الله ـ ﷺ ـ، متوشّح السيف، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ـ ﷺ ـ، يخافون عليه كَرَّة العدوّ؛ ورأى رسول الله ـ ﷺ ـ فيما ذُكر لي ـ

---

(١) كلمة تقال في حالة الإعجاب.
(٢) أي يرضيه غاية الرضا مع تبشير وإظهار كرامة.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٨، الأغاني ٤/١٩٢، ١٩٣
(٤) أحنه: أهلكه.
(٥) المستفتح: المبتديء لنفسه. وفيه أنزلت؛ ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾. (تاريخ الإسلام ـ المغازي)

في وجه سعد بن مُعاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «والله لكأنّك يا سعد تكره ما يصنع القوم»؛ قال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشِرْك. فكان الإثخان في القتل بأهل الشرك أحبّ إليّ من استبقاء الرجال[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني العباس بن عبدالله بن مَعْبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس؛ أنّ النّبيّ ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إنّي قد عرفت أنّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرِجوا كرْهاً، ولا حاجة لهم بقتالنا؛ فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، فإنه إنما أُخرج مستكرهاً». قال: فقال أبو حُذَيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا، ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنّه السيف ـ قال ابن هشام: ويقال لألجمنّه السيف ـ قال: فبلغت رسول الله ـ ﷺ ـ: فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص» ـ قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ـ ﷺ ـ بأبي حفص ـ «أيُضرب وجه عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ بالسيف»؟ فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلأضرب عُنُقه بالسيف، فوالله لقد نافق، فكان أبو حُذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً إلاّ أن تكفّرها عنّي الشهادة. فقُتل يوم اليمامة شهيداً[2].

قال ابن إسحاق: وإنّما نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن قتل أبي البَخْتَرِيّ لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقْض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطّلب. فلقيه المجذّر بن ذياد البَلَويّ، حليف الأنصار، ثم من بني سالم بن عوف، فقال المجذّر لأبي البَخْتَرِيّ: إنّ رسول

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤٩، الأغاني ٤/١٩٣، ١٩٤، الكامل في التاريخ ٢/١٢٦، عيون الأثر ١/٢٥٧/٢٥٨

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩، عيون الأثر ١/٢٥٨.

الله ـ ﷺ ـ قد نهانا عن قتلك ـ ومع أبي البَخْتَرِيّ زميل[1] له، قد خرج معه من مكة، وهو جُنادة بن مُليحة بنت زُهير بن الحارث بن أسد، وجُنادة رجل من بني ليث واسم أبي البَخْتَرِيّ: العاص ـ قال: وزميلي؟ فقال له المجذّر: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ إلّا بك وحدك؛ فقال: لا والله، إذن لأموتنّ أنا وهو جميعاً، لا تتحدّث عنيّ نساء مكة أنّي تركت زميلي حِرْصاً على الحياة. فقال أبو البَخْتِريّ حين نازله المجذّر وأبى إلّا القتال، يرتجز:

لن يُسلِمَ ابنُ حُرَّةٍ زميله[2]   حتّى يموتَ أو يرى سَبيلَه

فاقتتلا، فقتله المجذّر بن ذياد[3].

وقال المجذّر بن ذياد في قتْله أبا البَخْتَرِيّ:

إمَّا جهِلَت أو نسيتَ نسبي   فأثبِت النِّسبة أنّي من بَلِي
الطّاعِنين برماحِ اليَزَني   والضّارِبين الكَبْش حتى يَنْحني
بشِّر بيُتْم من أبُوهُ البَخْتَرِيّ   أو بشّرَنْ بمثلها منّي بني
أنا الذي يُقال أصلي من بَلي   أطعنُ بالصَّعْدة[4] حتى تَنْثني
وأعبِطِ القِرْن بعَضْب مَشْرَفي   أُرزِمُ للموْت كإرزام المَرِي[5]
فلا ترى مجذّراً يَفرِي فَرِي[6]

قال ابن هشام: «المري» عن غير ابن إسحاق. والمَرِيّ: الناقة التي يُستنزل لبنها على عُسر.

قال ابن إسحاق: ثم إنّ المجذّر أتى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: والذي

---

(١) الزميل: من يزامله فيركب معه على بعير واحد.
(٢) في تاريخ الطبري ٢/٤٥١ «اكيله».
(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٠، ٤٥١، الأغاني ١٩٤/٤، عيون الأثر ٢٥٨/١.
(٤) الصعدة: في الأصل عصا الرمح، وقد أطلق هنا على الرمح صعده.
(٥) أعبِط: أقتل، والعضْب: السيف القاطع، وأرزم: أحنّ.
(٦) فرِيَ: عمل عملاً أتى فيه بأمر عجيب. وانظر بعضه في المغازي لعروة ١٤٢.

بعثك بالحقّ لقد جهِدت عليه أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلّا أن يقاتلني، فقاتلتُه فقتلتُه(١).

قال ابن هشام: أبو البَخْتَرِيّ: العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

مقتل أُميّة بن خَلَف: قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه، قال ابن إسحاق: وحدّثنيه أيضاً عن عبدالله بن أبي بكر وغيرهما، عن عبدالرحمن بن عوف قال: كان أُميَّة بن خَلَف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فسمّيت، حين أسلمت، عبدالرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة يقول: يا عبد عمرو، أرغبتَ عن اسم سَمَّاكَهُ أبواك؟ فأقول: نعم، فيقول: فإنّي لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال: فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أُجِبْه. قال: فقلت له: يا أبا عليّ، اجعل ما شئت، قال: فأنت عبد الإله، قال: فقلت: نعم، قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه، فأتحدّث معه، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه، عليّ بن أُميّة، آخذ بيده ومعي أدراع قد استلبتها، فأنا أحملها فلما رآني قال لي: يا عبد عمرو، فلم أُجِبْه، فقال: يا عبد الإله؟ فقلت: نعم، قال: هل لك فيّ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ قال: قلت نعم، ها الله ذا(٢). قال: فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قطّ، أما لكم حاجة في اللبن؟ قال: ثم خرجت أمشي بهما(٣).

قال ابن هشام: يريد باللبن، أنّ من أسرني افتديت منه بإبلٍ كثيرة اللبن.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥١، الأغاني ٤/١٩٤، ١٩٥،تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩، الكامل في التاريخ ٢/١٢٨، عيون الأثر ١/٢٥٨

(٢) ما: حرف تنبيه، وذا: اسم اشارة يشير به الى نفسه.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٥١، ٤٥٢، الأغاني ٤/١٩٦، ١٩٧، عيون الأثر ١/٢٥٩

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الواحد بن أبي عَون، عن سعد بن إبراهيم، عن عبدالرحمن بن عَوف، قال: قال لي أُميّة بن خَلَف، وأنا بينه وبين ابنه، آخذ بأيديهما: يا عبدالإله، من الرجل منكم المُعْلِم بريشة نَعامةٍ في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبدالمطّلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبدالرحمن: فوالله إنّي لأقودهما إذ رآه بلال معي ـ وكان هو الذي يعذّب بلالاً بمكة على ترْك الإسلام، فيُخرجه إلى رَمْضاء مكة إذا حميَتْ، فيُضجِعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دِينَ محمد، فيقول بلال: أحَد أحد. قال: فلما رآه، قال رأس الكُفر أُميَّة بن خَلَف: لا نجوت إنْ نجا قال: قلت: أي بلال، أبأسيري قال: لانجوت إن نجا. قال: قلت: أتسمع يا بن السوداء، قال: لانجوت إن نجا. قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أُميّة بن خَلَف، لا نجوت إنْ نجا قال: قلت: أي بلال، أبأسيري قال: لانجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المُسكة[1] وأنا أذبّ عنه. قال: فأخلف[2] رجل السيف، فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أُميّة صيحة ما سمعت مثلها قطّ. قال: فقلت انج بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال فهبروهما[3] بأسيافهم حتى فرِغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيريّ[4].

الملائكة تشهد وقعة بدر: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدّث عن ابن عباس قال: حدّثني رجل من بني غِفَار، قال: أقبلت أنا وابن عمّ لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان،

---

(١) المسكة: الحلقة.
(٢) أخلف: سلّ.
(٣) هبروهما: قطّعوهما.
(٤) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢، ٤٥٣، الأغاني ١٩٧/٤، ١٩٨، تاريخ الإسلام ٦٠، عيون الأثر ٢٥٩/١.

ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرَة(١)، فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حَمْحَمَة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدِمْ حَيْزوم(٢)، فأما ابن عمّي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت(٣).

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدراً، قال، بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشِعْب الذي خرجت منه الملائكة(٤)، لا أشكّ فيه ولا أتمارى.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن رجال من بني مازن بن النّجّار، عن أبي داود المازنيّ، وكان شهِد بدراً، قال: إنّي لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري(٥).

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن مِقْسَم، مولى عبدالله بن الحارث، عن عبدالله بن عباس، قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حُنَين عمائم صفراء.

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن مِقسم، عن ابن عباس، قال: ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدرٍ من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومَدَداً لا يضربون(٦).

---

(١) الدَّبْرة: الدائرة.
(٢) أقدم: كلمة تزجر بها الخيل. وحيزوم هو فرس جبريل عليه السلام.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٥٣، الأغاني ٤/١٩٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠، الكامل ٢/١٢٩، عيون الأثر/٢٦٠.
(٤) تاريخ الاسلام (المغازي)٦١، عيون الأثر/٢٦٠.
(٥) تاريخ الإسلام (المغازي)٦١، تاريخ الطبري ٢/٤٥٣، الكامل ٢/١٢٩.
(٦) تاريخ الطبري ٢/٤٥٤، الأغاني ٤/١٩٩، تاريخ الاسلام (المغازي)، عيون الأثر ١/٢٦٠

مقتل أبي جهل: قال ابن إسحاق: وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز، وهو يقاتل ويقول:

ما تنقِم الحربُ العَوانُ منّي   بازلُ عامَيْن حديثٌ سنّي
لمثل هذا ولدتني أمّي[1]

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يوم بدر؛ أَحَد أحد.

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من عدوّه، أمر بأبي جهل أن يُلتَمس في القتلى.

وكان أوّل من لقي أبا **جهل**، كما حدّثني ثور بن يزيد، عن عِكرمة، عن ابن عباس، وعبدالله بن أبي بكر أيضاً، قد حدّثني ذلك قالا: قال مُعاذ ابن عمرو بن الجَمُوح، أخو بني سلمة: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرَجة ـ قال ابن هشام: الحَرَجة: الشجر الملتفّ. وفي الحديث عن عمر ابن الخطّاب: أنه سأل أعرابيّاً عن الحَرَجة؛ فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها ـ وهم يقولون: أبو الحَكَم لا يُخلَص إليه. قال: فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنَّت قدمه[3] بنصف ساقه، فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلاّ بالنَّواة تطيح من تحت مِرْضخة النَّوَى[4] حين يُضرب بها. قال: وضربني ابنه عِكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلّقت بجلدة من جنْبي، وأجهضني[5] القتال عنه، فلقد قاتلت عامّة يومي، وإنّي لأسحَبُها خلفي، فلما آذتْني وضعت عليها

---

(١) الحرب العوان جمع عون: الحرب الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، والبازل من الإبل الذي خرج سنّه فهو في ذلك يصل لذروة مرحلة الشباب.

(٢) البدء والتاريخ ٤/١٩٠

(٣) أطنّت قدمه: أطارتها.

(٤) مِرْضخة النوى: التي يُدقّ بها النّوى. انظر: تاج العروس ٧/٢٥٨

(٥) أجهضني: غلبني.

قدمي، ثم تمطّيت بها عليها حتى طرحتها[1].

قالَ ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان.

ثم مرّ بأبي جهل وهو عقير[2]، مُعوّذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رَمَق. وقاتل مُعوّذ حتى قُتل، فمرّ عبدالله بن مسعود بأبي جهل، حين أمر رسول الله - ﷺ - أن يُلتمس في القتلى، وقد قال لهم رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - «انظروا - إنْ خفي عليكم في القتلى - إلى أثر جُرح في ركبته، فإنّي ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبدالله بن جُدعان، ونحن غلامان، وكنت أشفَّ منه بيسير، فدفعته فوقع على رُكبتيه، فجُحِش[3] في إحداهما جَحْشاً لم يزل أثره به. قال عبدالله بن مسعود: فوجدته بآخر رمقٍ فعرفته، فوضعت رِجلي على عُنُقه - قال: وقد كان ضبث بي مرّة بمكة، فآذاني ولكزني، ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدوّ الله؟ قال: وبماذا أخزاني أعْمَد من رجلٍ قتلتموه[4]، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله[5].

قال ابن هشام: ضَبَثَ: قبض عليه ولزِمه. قال ضابيء بن الحارث البُرْجُمّي:

فأصبحتُ مما كان بيني وبينكم ... من الودّ مثل الضابثِ الماءَ باليدِ

قال ابن هشام: ويقال: أعارٌ على رجلٍ قتلتموه، أخبْرِني لمن الدائرة اليوم؟

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٤، ٤٥٥، تاريخ الإسلام (المغازي)٦١، عيون الأثر ١/٢٦٠، ٢٦١.
(٢) عقير: مجروح.
(٣) جحش: خدش.
(٤) أي ليس علي عارٌ فلن أبعد أن أكون رجلاً قتله قومه. وأعمد: أي أشرف. (إرشاد الساري ٦/٢٤٩).
(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٥٥، الأغاني ٤/٢٠١، ٢٠٢، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ٢٦١/١

قال ابن إسحاق: وزعم رجال من بني مخزوم، أنّ ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيت مرتقىً صعباً يا رُوَيْعيَ الغنم قال: ثم احتززت رأسه، ثم جئت به رسول الله - ﷺ -، فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدوّ الله أبي جهل؛ قال: فقال رسول الله - ﷺ -: «آلله الذي لا إله غيره» - قال: وكانت يمين رسول الله - ﷺ - قال قلت: نعم، والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله - ﷺ - فحمدِ الله[1].

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي: أنّ عمر بن الخطّاب قال لسعيد بن العاص، ومرّ به: إنّي أراك كأنّ في نفسك شيئاً، أراك تظنّ أنّي قتلت أباك، إنّي لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ولكنّي قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فإنّي مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه[2] فَحِدْتُ عنه، وقصد له ابن عمّه عليّ فقتله.

حديث عكّاشة بن مِحْصَن: **قال ابن إسحاق**: وقاتل عُكّاشة بن مِحْصَن بن حرثان الأسديّ حليف بني عبد شمس بن عبد مَناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله - ﷺ - فأعطاه جِذْلاً[3] من حطب، فقال: قاتل بهذا يا عُكّاشة، فلما أخذه من رسول الله - ﷺ - هزّه، فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المتْن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمّى: العون. ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله - ﷺ - حتى قُتل في الرِّدّة، وهو عنده، قتله طُليحة بن خُوَيلد الأسدي[4]، فقال طُليحة في ذلك:

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٥، ٤٥٦، الأغاني ٤/٢٠١، البدء والتاريخ ٤/١٩١، تاريخ الإسلام (المغازي) ، عيون الأثر ١/٢٦١

(٢) الروق: القرن.

(٣) الجذل: أصل الشجرة.

(٤) سير أعلام النبلاء ١/٣٠٨، سيرة ابن كثير ٢/٤٤٧ تاريخ الإسلام (المغازي) ، عيون الأثر ١/٢٦٢.

فمــا ظنّكم بــالقــوم إذ تقـتلونـهم | ألَيْسُــوا وإنْ لم يُسْلِمُــوا بــرجــال
فــإنْ تــكُ أذاودٌ أُصِبْـن ونِــسْــوةٌ | فلن تَـذْهبـوا فِـرْغـاً بقَتْـل حِبـالِ[1]
نصبتُ لهم صــدرَ الحِمالــة إنّهــا | مـعــاوِدةٌ قيـلَ الكُـمــاة نَــزَالِ[2]
فيومـاً تـراهـا في الجِـلال مَصُـونـةً | ويـومـاً تــراهـا غيــرَ ذات جِـلال[3]
عشيَّــةَ غـادرتُ ابنَ أقْــرم ثــاويــاً | وعُكَّــاشــة الغنميَّ عنــد حجــالِ

قال ابن هشام: حبال: ابن طُليحة[4] بن خُويلد. وابن أقرم: ثـابت بن أقرم الأنصاريّ.

قـال ابن إسحاق: وعُكّـاشة بن مِحْصَن الـذي قال لـرسـول الله ـ ﷺ ـ حين قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يـدخل الجنـة سبعون ألفـاً من أمّتي على صورة القمر ليلة البدر». قال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «إنّك منهم»، أو «اللّهم اجعله منهم»، فقـام رجل من الأنصـار. فقـال: يـا رسـول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عُكّاشة وبردت الدعوة[5]».

وقـال رسـول الله ـ ﷺ ـ، فيمـا بلغنـا عن أهله: «منّـا خيـر فـارس في العرب»، قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: عُكّاشة بن مِحْصَن، فقال ضِرار

(١) الأذواد: جمع ذَود ـ ما بين الثلاثة الى العشرة من الإبل. والفرغ: ألّا يطلب بثأر الدم.
(٢) الحِمالة: اسم فرس. ونزال: اسم فعل أمر بمعنى انزل.
(٣) الجلال: ما يلبسه الفَرَس لصيانته.
(٤) هو ابن أخيه لا ابنه وهو: حبال بن مسلمة بن خُويلد.
(٥) بردت الدعوة: ثبتت. والحديث أخـرجه البخـاري في: بدء الخلق٨، والأنبيـاء ١، ومسلم في الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب. (٣٦٩) من طـريق يونس، عن ابن شهـاب قال: حـدثني سعيد بن المسيّب، ان أبـا هريـرة حدّثـه قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفـاً، تضيء وجوههم إضـاءة القمر ليلة البدر». قال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسديّ يـرفع نَمِـرة عليه فقـال: يا رسـول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقـال رسـول الله ﷺ: «اللّهم اجعله منهم»، ثـم قـام رجل من الأنصار فقال: يا رسـول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال رسـول الله ﷺ: سبقك بها عُكاشة».

ابن الأَزْوَر الأسديّ: ذاك رجل منّا يا رسول الله، قال: «ليس منكم ولكنه منّا للحلف».

قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصِّدِّيق ابنَه عبدالرحمن، وهو يومئذ مع المشركين، فقال: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبدالرحمن:

لم يبق غيرُ شِكَّة وَيَعبُوبْ وصارِمٌ يقتل ضُلاّلَ الشِّيبْ[1]

فيما ذُكر لي عن عبدالعزيز بن محمد الدَرَاوَرْديّ.

طَرْح المشركين في القَلِيب: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُبير، عن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله - ﷺ - بالقتلى أن يُطرحوا في القَلِيب طُرحوا فيه، إلاّ ما كان من أُميَّة بن خَلَف، فإنه انتفخ في درْعه فملأها، فذهبوا ليحرّكوه، فتزايل لحمه، فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة. فلما ألقاهم في القَلِيب، وقف عليهم رسول الله - ﷺ - فقال: «يأهل القَلِيب. هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً». قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله. أتكلّم قوماً موتى؟ فقال لهم: «لقد علموا أنّ ما وعدهم ربهم حقّاً»[2].

قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلتُ لهم، وإنّما قال لهم رسول الله - ﷺ -: «لقد علموا».

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُميد الطويل، عن أَنَس بن مالك، قال: سمع أصحاب رسول الله - ﷺ -، رسول الله - ﷺ - من جوف الليل وهو يقول: «يا أهل القَلِيب، يا عُتبة بن ربيعة، ويا شَيبة بن ربيعة، ويا أُميّة بن خَلَف، ويا أبا جهل بن هشام، فعدّد من كان منهم في القَلِيب: هل وجدتم ما وعد ربُّكم حقّاً؛ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً؟ فقال المسلمون: يا

(١) الشّكة: السلاح. واليعبوب: الفرس الكثير الجري.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٦، الأغاني ٤/٢٠١، ٢٠٢، تاريخ الإسلام (المغازي)، الكامل ٢/١٢٩

رسـول الله، أتنادي قـوماً قـد جيّفوا؟ قـال: «ما أنتم بـأسمع لمـا أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسـول الله ـ ﷺ ـ قال يوم هذه المقال: «يا أهل القَلِيب، بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم، كـذّبتموني وصدّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتمـوني ونصرني النـاس»، ثم قال: «هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقّاً؟ للمقالة التي قال[2].

شعر حسّان في ذلك: قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت:

عـرفـتُ ديـارَ زينب بـالكَثِيب ... كخَطِّ الـوَحْي في الـوَرَق القَشيبِ
تَـدَاوَلُهـا الـريـاحُ وكـلّ جَـوْن ... من الـوَسْمِيّ[3] مُنْهمـرٍ سكـوب
فـأمسى رسْمُهـا خَـلقـاً وأمسَتْ ... يَبـابـاً بعـد سـاكِنهـا الـحَبيب
فـدعْ عنك التَّـذَكُّـرَ كـلَّ يـومٍ ... ورُدَّ حـرارة الـصَّـدْر الـكَئِـيـب
وخبِّـر بـالـذي لا عيـبَ فيـه ... بـصِـدْق غيـرِ إخبْـار الـكَـذُوب
بمـا صنَـع المليـك غـداةَ بـدْرٍ ... لنـا في المُشْـركين من النَّـصيب
غـداةَ كـأنّ جَـمْعَهـم حِـراءٌ ... بـدَت أركـانُـه جُنْـحَ الغُـروب
فـلاقـينـاهُـمُ منّـا بـجَـمْـع ... كـأُسْـد الـغـابِ مُـردانٍ وشِيـب
أمـام مـحـمّـد قـد وازَرُوه ... على الأعـداء في لَفْـح الحُـرُوب
بـأيـدِيـهـم صـوارِمُ مُـرْهَـفَـاتٌ ... وكـلُّ مجـرَّب خـاظي[4] الكُعـوب
بنُـو الأَوْس الـغَـطارفُ وازرَتْـهـا ... بنـو النجّـار في الـدّين الصّليب[5]
فغـادَرْنـا أبـا جهـلٍ صـريعـاً ... وعُتبـةَ قـد تـركنـا بـالجَبُـوب[6]

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٦، ٤٥٧، الأغاني ٤/٢٠٢، الكامل ٢/١٢٩
(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٧
(٣) الوسميّ: مطر الخريف.
(٤) الخاظي: المكتنز.
(٥) الغطارف: السادة، والصّليب: القوي.
(٦) الجبوب: وجه الأرض.

وشيبةَ قد تركْنا في رجالٍ ذوي حَسَبٍ إذا نُسِبوا حَسيب
يُناديهم رسولُ الله لمّا قَذَفْناهم كباكِبَ[1] في القَلِيب
أَلَم تجدوُا كلامي كان حقّاً وأمرُ الله يأخذُ بالقلوب؟
فما نَطَقُوا، ولو نَطَقُوا لقالوا: صدقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مُصيب[2]

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أن يُلْقوا في القَلِيب، أخذ عُتبة بن ربيعة، فسُحِب إلى القَلِيب، فنظر رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني ـ في وجه أبي حُذَيفة بن عُتبة، فإذا هو كئيب قد تغيّر لونه، قال: «يا أبا حُذيفة، لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء»؟ أو كما قال ﷺ؛ فقال: لا، والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنّني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله ـ ﷺ ـ بخير، وقال له خيراً[3].

الفتية الذين نزل فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلمَلاَئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنْفُسِهِمْ﴾:
وكان الفتية الذين قُتلوا ببدر، فنزل فيهم من القرآن، فيما ذكر لنا: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلمَلاَئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِيٓ ٱلأَرْضِ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللهِ وَاسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيهَا، فَأُوْلِئكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾**[4] فتيةً مسمَّين. من بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ: الحارث بن زَمعة بن الأسود بن عبد المطّلب بن أسد.

ومن بني مخزوم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

---

(١) الكباكب: الجماعات.
(٢) في البدء والتاريخ ١٩٢/٤ بيتان فقط.
(٣) تاريخ الطبري ٤٥٧/٢، الكامل في التاريخ ١٢٩/٢، ١٣٠، عيون الأثر ٢٦٤/١.
(٤) سورة النساء ـ الآية ٩٧

ومن بني جُمَح: عليّ بن أُميّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمح.

ومن بني سهم: العاص بن منبّه بن الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سهم.

وذلك أنهم كانوا أسلموا، ورسول الله - ﷺ - بمكة، فلما هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا بها جميعاً.

فَيْء بدر: ثم إنّ رسول الله - ﷺ - أمر بما في العسكر، مما جمع الناس، فجُمِع، فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا؛ وقال الذين كانوا يقاتلون العدّو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القومَ حتى أصبتم ما أصبتم؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله - ﷺ - مخافة أن يخالف إليه العدّو: والله ما أنتم بأحقّ به منّا، والله لقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ مَنَحَنا الله تعالى أكتافه، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكنّا خفنا على رسول الله - ﷺ - كرَّة العدوّ، فقمنا دونه، فما أنتم بأحقّ به منّا(1).

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا، عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن أبي أُمامة الباهليّ - واسمه صدَيّ بن عَجْلان فيما قال ابن هشام - قال: سألت عُبادة بن الصامت عن الأنفال؛ فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفْل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسوله، فقسّمه رسول الله - ﷺ - بين المسلين عن بَوَاء. يقول: على السواء(2).

---

(1) تاريخ الطبري ٢/٤٥٧، ٤٥٨، الأغاني ٤/٢٠٢، ٢٠٣، عيون الأثر ١/٢٦٤

(2) تاريخ الطبري ٢/٤٥٨، الكامل في التاريخ ٢/١٣٠، عيون الأثر ١/٢٦٤

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر، قال: حدّثني بعض بني ساعدة، عن أبي أسيد الساعديّ مالك بن ربيعة، قال: أصبت سيف بني عائذ المخزوميّين الذي يُسمّى المرزبان يوم بدر، فلما أمر رسول الله - ﷺ - أن يردّوا ما في أيديهم من النفْل، أقبلت حتى ألقيته في النفْل. قال: وكان رسول الله - ﷺ - لا يمنع شيئاً سُئِله، فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم، فسأله رسول الله - ﷺ -، فأعطاه إيّاه.

بشرى الفتح: **قال ابن إسحاق**: ثم بعث رسول الله - ﷺ - عند الفتح عبدالله بن رواحة بشيراً الى أهل العالية، بما فتح الله عزّ وجلّ على رسوله - ﷺ - وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة. قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر - حين سوّينا التراب على رُقَيّة ابنة رسول الله - ﷺ -، التي كانت عند عثمان بن عفان. كان رسول الله - ﷺ - خلّفني عليها مع عثمان - أنَّ زيد بن حارثة قد قدِم. قال: فجئته وهو واقف بالمصلَّى قد غشِيه الناس، وهو يقول: قُتل عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزَمَعة بن الأسود، وأبو البَخْتَرِيّ العاص بن هشام، وأُميّة بن خَلَف، ونُبيه ومنبّه ابنا الحَجّاج. قال: قلتِ: يا أبت، أحقّ هَذا؟ قال: نعم، والله يا بُنيّ[1].

الرجوع إلى المدينة: ثم أقبل رسول الله - ﷺ - قافلاً إلى المدينة، ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم عُقبة بن أبي مُعَيط، والنضْر بن الحارث، واحتمل رسول الله - ﷺ - معه النفْل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبدَ الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجّار؛ فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام: يقال: إنه عدِيّ بن أبي الزغباء:

أقِمْ لها صُدورَها يا بَسْبَسُ ... ليس بذي الطَّلْح لها مُعرَّسُ

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٨

ولا بصحراء غُمَيْرٍ مَحْبس إنّ مطايا القوم لا تُخيَّس[1]
فحمْلُها على الطّريق أكْيَس قد نصر الله وفرّ الأخنس[2]

ثم أقبل رسول الله - ﷺ - حتى إذا خرج من مضيق الصَّفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية - يقال له: سَيَر - إلى سَرْحةٍ به. فقسّم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء[3].

ثم ارتحل رسول الله - ﷺ -، حتى إذا كان بالرَّوْحاء لقيه المسلمون يهنّئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة - كما حدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، ويزيد بن رُومان -: ما الذي تهنّئوننا به؟ فوالله إنْ لقِينا إلّا عجائزَ صُلْعاً كالبُدْن المَعقَّلة، فنحرناها، فتبسّم رسول الله - ﷺ - ثم قال: «أي ابن أخي، أولئك الملأ»!![4].

قال ابن هشام: الملأ: الأشراف والرؤساء.

مقتل النضْر وعُقبة: **قال ابن إسحاق:** حتى إذا كان رسول الله - ﷺ - بالصفراء قُتل النضر بن الحارث، قتله عليّ بن أبي طالب، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة.

قال ابن إسحاق: ثم خرج حتى إذا كان بعِرق الظّبية قتل عُقبة بن أبي مُعَيط.

قال ابن هشام: عِرْق الظّبية عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: والذي أسر عُقبة: عبدالله بن سلمة أحد بني العَجْلان.

---

(١) لا تُخَيَّس: لا تُحبس
(٢) أنظر أنساب الأشراف ٢٩١/١
(٣) تاريخ الطبري ٤٥٨/٢
(٤) تاريخ الطبري ٤٥٩/٢، الكامل في التاريخ ١٣٠/٢.

قال ابن إسحاق: فقال عُقبة حين أمر رسول الله ـ ﷺ ـ بقتله: فمن للصِّبْية يا محمد؟ قال: «النار». فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّ، أخو بني عمرو بن عوف، كما حدّثني أبو عُبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر.

قال ابن هشام: ويقال قتله عليّ بن أبي طالب[1] فيما ذكر لي ابن شهاب الزُهْرِيّ وغيره من أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ولقي رسول الله ـ ﷺ ـ بذلك الموضع أبو هند، مولى فروة بن عمرو البياضي بحَمِيت مملوء حيساً[2].

قال ابن هشام: الحَمِيت: الزّقّ، وكان قد تخلّف عن بدر، ثم شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو كان حجّامَ رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: إنّما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكِحوه، وأنكِحوا إليه، ففعلوا[3].

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ـ ﷺ ـ حتى قدِم المدينة قبل الأسارى بيوم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر، أنّ يحيى بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن أسعد بن زُرَارة، قال: قدِم بالأسارى حين قدِم بهم، وسَوْدة بنت زَمَعة زوج النبيّ ـ ﷺ ـ عند آل عفراء، في مَناحتهم على عوف ومُعوِّذ ابني عَفراء، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب[4].

قال: تقول سَودة: والله إنّي لَعندهم إذا أتينا، فقيل: هؤلاء الأساري، قد أُتي بهم. قالت: فرجعت إلى بيتي، ورسول الله ـ ﷺ ـ فيه، وإذا أبو يزيد

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩، الأغاني ٤/٢٠٣، الكامل ٢/١٣٠
(٢) الحَيْس: السمن يُخلط بالتمر والدقيق ويُعجن.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩، ٤٦٠
(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٦٠

سُهيل بن عمرو في ناحية الحجرة، مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحبل، قالت: فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أي أبا يزيد: أعطيتم بأيديكم، أو مُتُّم كراماً، فوالله ما أنبهني إلاّ قول رسول الله - ﷺ - من البيت؛ «يا سَوْدة، أعَلَى الله ورسوله تحرّضين»؟! قالت: قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ، ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عُنُقه أن قلت ما قلت[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني نُبيه بن وهْب، أخو بني عبدالدار. أنّ رسول الله - ﷺ - حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه، وقال: «استوصوا بالأسارىٰ خيراً». قال: وكان أبو عزيز بن عُمير بن هاشم، أخو مُصْعَب بن عُمير لأبيه وأمه في الأسارى[2].

قال: فقال أبو عزيز: مرّ بي أخي مُصعَب بن عُمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شدّ يديك به، فإنّ أمه ذات متاع، لعلّها تفديه منك، قال وكنت في رهْط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز، وأكلوا التمر، لوصية رسول الله - ﷺ - إيّاهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسْرة خبز إلاّ نفحني بها. قال: فأستحيي فأردّها على أحدهم، فيردّها عليَّ ما يمسّها[3].

بلوغ مصاب قريش في رجالها الى مكة: قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مُصعب بن عُمير لأبي اليسر، وهو الذي أسره ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصيتك بي، فقال له مُصْعب: إنه أخي دونك. فسألت أمّه عن أغلى ما فُدي به قُرَشيّ، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم، ففَدَتْه بها.

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٦٠، الأغاني ٤/٢٠٤، الكامل في التاريخ ٢/١٣١
(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٦٠، تاريخ الإسلام (المغازي)
(٣) تاريخ الطبري ٢/٢٦٠، ٤٦١

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدِم مكة بمُصاب قريش الحيسُمان بن عبدالله الخُزاعيّ، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأميّة بن خَلَف، وزَمَعة بن الأسود، ونُبيه ومنبّه ابنا الحَجّاج، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام، فلما جعل يعدّد أشراف قريش؛ قال صفوان بن أُميَّة، وهو قاعد في الحجْر: والله إن يعقل هذا فاسألوه عني؛ فقالوا: ما فعل صفوان بن أُميّة؟ قال: ها هو ذاك جالساً في الحجْر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُسين بن عبدالله بن عُبيد الله بن عباس، عن عِكرمة مولى ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ـ ﷺ ـ: كنت غلاماً للعباس بن عبدالمُطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلّف رجل إلّا بعث مكانه رجلاً، فلما جاءه الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش، كَبَتَهُ الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّةً وعزّاً. قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل الأقداح. أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إنّي لجالس فيها أنحت أقداحي، وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجرّ رِجْليه بشَرّ، حتى جلس على طنب الحُجْرة[2]، فكان ظهره إلى ظهري؛ فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان ابن الحارث بن عبدالمطّلب ـ قال ابن هشام: واسم أبي سفيان المغيرة ـ قد قدِم قال: فقال أبو لهب: هلُمّ إليّ، فعندك لَعَمْري الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي، أخبِرْني كيف

---

(١) تاريخ الطبري ٤٦١/٢، الكامل في التاريخ ١٣١/٢، عيون الأثر ٢٦٦/١

(٢) طنب الحجرة: طرفها.

كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلاّ أنْ لقِينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وايْم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بِيضاً، على خيل بُلق، بين السماء والأرض، والله ما تِليق شيئاً[1]، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحُجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة؛ قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة. قال: وثاورته[2] فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة، فأخذته فضربته فلعت[3] في رأسه شجّة مُنْكَرة، وقالت: استضعفته أنْ غاب عنه سيّده؟ فقام مولّياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلاّ سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة[4] فقتلته[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابَه، فيشمتوا بكم؛ ولا تبعثوا في أُسْراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب[6] عليكم محمد وأصحابه في الفداء[7].

قال: وكان الأسود بن المطّلب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زَمَعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زَمَعة، وكان يحبّ أن يبكي على بنيه، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له: وقد ذهب بصره: أنظر هل أحلّ النَّحْب؛ هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلّي أبكي على أبي حكيمة، يعني زَمَعة، فإنّ جوفي قد احترق. قال: فلما رجع إليه الغلام

---

(١) لا تبقي شيئاً.
(٢) ثاورته: وثبت اليه.
(٣) لعت: شقت.
(٤) العدسة: بثرة خطرة تخرج في الجسم تشبه الطاعون تقتل صاحبها سريعاً.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٦٢، الأغاني ٤/٢٠٥، عيون الأثر ١/٢٦٦، ٢٦٧
(٦) أي تأخّروا في فداء أسْراكم حتى لا يشتدّ عليكم في الفداء.
(٧) تاريخ الطبري ٢/٤٦٣، الأغاني ٤/٢٠٦، عيون الأثر ١/٢٦٧

قال: إنما هي امرأة تبكي على بعِيرٍ لها أضلَّتْه. قال: فذاك حين يقول الأسود:

أتبكي أن يضِلَّ لها بعيرٌ ... ويمنعُها من النَّوْم السُّهودُ
فلا تبكي على بَكْرٍ[1] ولكنْ ... على بدرٍ تقاصَرَتِ الجُدُودُ
على بدرٍ سَراةِ بني هُصَيْصٍ ... ومخزومٍ ورهْطِ أبي الوليدِ
وبكِّي إنْ بَكيتِ على عَقِيلٍ ... وبكِّي حارثاً أسَدَ الأُسُود
وبكِّيهمْ ولا تَسَمي جميعاً ... وما لأبي حكيمَةَ من نَدِيد[2]
ألا قد ساد بعدهُمُ رجالٌ ... ولولا يومُ بدرٍ لم يَسُودُوا

قال ابن هشام: هذا إقواء، وهي مشهورة من أشعارهم، وهي عندنا إكفاء[3]. وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا[4].

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبَرة السَّهْمِيّ، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ له بمكة ابناً كيِّساً تاجراً ذا مال، وكأنّكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه»؛ فلما قالت قريش: لا تعجلوا بفداء أُسْرائكم، لا يأرِب عليكم محمد وأصحابه، قال المطّلب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسولُ الله ﷺ عنَى -: «صدقتم، لاتَعْجَلُوا»، وانسلّ من الليل فقدِم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، فانطلق به[5].

فداء سهيل بن عمرو: قال: ثم بعثت قريش في فداء الأسارى، فقدِم مِكْرَز بن حفص بن الأخْيف في فداء سُهيل بن عَمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدُّخْشُم، أخو بني سالم بن عوف، فقال:

(١) البَكْر: الفتى من الإبل
(٢) تسَمَى: تسأمي. والنديد: الشبيه.
(٣) الإقواء والإكفاء: عيوب في قافية الشعر.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٦٤، الكامل في التاريخ ٢/١٣٢، المغازدي للواقدي ١/١٢٣، ١٢٤، نسب قريش ٢١٩.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٦٤، ٤٦٥، الاغاني ٤/٢٥٨، عيون الأثر ١/٢٦٨

أســرتُ سُــهيــلاً فــلا أبــتـغــي   أسيــراً بــه من جـمـيــعِ الأمـم
وخِــنْــدَفُ تــعــلـمُ أنّ الــفــتــى   فــتــاهــا سُــهــيــل إذا يــظلم
ضــربتُ بِــذِي الشَّفْــر حتى انثنَى   وأكــرهْتُ نفسي عـلى ذي العلم[1]

وكان سهيل رجلاً أَعْلَمَ من شفته السفلى[2].

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعـر يُنكر هـذا الشِعر لمـالك بن الدُّخْشُم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن عَمرو بن عطاء، أخو بني عامـر بن لُؤَيّ: أنّ عمر بن الخطّاب قال لرسول الله ﷺ: يارسول الله، دعني أنزع ثَنِيَّتَيْ سهيل بن عمرو، ويَـدْلَعُ[3] لسانـه، فلا يقـوم عليك خـطيباً في مـوطن أبداً؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبيّاً»[4].

قـال ابن إسحـاق: وقـد بلغني أنّ رسـول الله ﷺ قـال لعمـر في هــذا الحديث: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمّه».

قـال ابن هشام: وسـأذكر حـديث ذلك المقـام في موضعـه إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: فلمـا قاولهم فيـه مِكْرز وانتهى إلى رضـاهم، قالـوا: هـاتِ الـذي لنـا، قـال: اجعلوا رِجلي مكـان رجْله، وخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفـدائه، فخلّوا سبيـل سُهيل، وحبسـوا مِكْرزاً مكـانه عنـدهم[5]، فقـال مِكْرز:

---

(١) أنساب الأشراف ١/٣٠٣

(٢) الأعلم: مشقـوق الشفة العليـا وليس السفلى. والخبر في تـاريخ الـطبري ٢/٤٦٥، الأغـاني ٤/٢٠٨، ٢٠٩

(٣) يدلع: يخرج.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٦٥

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٦٥

فـديتُ بـأذوادٍ ثَمـانٍ[1] سِبـا فتىً ينـالُ الصميمَ غُـرمُهـا لا المَـواليـا
رهنتُ يـدي والمالُ أيسَـرُ من يـدي عليّ ولكـنّي خـشِيـتُ المَـخَـازيـا
وقلتُ سُهيـلٌ خَيـرُنـا فـاذْهَبُـوا بـه لأبنـائنـا حتى نُـدِيـر[2] الأمـانيـا[3]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكر هذا لمِكْرز.

أسر عمرو بن أبي سفيـان: **قال ابن إسحـاق**: وحدّثني عبـدالله بن أبي بكـر، قال: كـان عمرو بن أبي سفيـان بن حـرب، وكان لبنت عُقبة بن أبي مُعَيط ـ قال ابن هشام: أم عمـرو بن أبي سفيان بنت أبي عمـرو، وأخت أبي مُعيط بن أبي عمرو ـ أسيراً في يدي رسول الله ﷺ، من أسرى بدر.

قال ابن هشام: أسره عليّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر، قال: فقيل لأبي سفيان: افدِ عمراً ابنك؛ قال: أيجمع عليَّ دمي ومالي؟! اقتلوا حنظلة، وأفدي عمراً! دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم.

قال: فبينما هو كذلك، محبوس بالمدينـة عند رسول الله ﷺ، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكّال، أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مُريّة[4] له، وكان شيخاً مسلماً، في غنم له بالنقيع[5]، فخرج من هنالـك معتمِـراً، ولا يخشى الذي صنـع به، لم يـظنّ أنـه يُحبس بمكـة، إنمـا جـاء معتمِراً. وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجّاً أو معتمراً إلاّ بخير؛ فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو، ثم قال أبو سفيان:

---

(١) في نسب قريش «كرام».
(٢) في نسب قريش: «يديروا».
(٣) هـذا البيت والبيت الأول في معجم الشعراء للمـرزباني، وفي نسب قـريش ٤١٧، والإصـابـة (الترجمة) ٨١٨٩ مع اختلاف الألفاظ.
(٤) مُريّة: تصغير أمرأة.
(٥)) موضع قرب المدينة.

أَرَهْطَ ابـنِ أَكَّـالٍ أجيبُـوا دُعـاءه تعـاقدتمُ لا تُسلِمـوا السّيِّـد الكَهـلا
فـإنَّ بـنـي عمروٍ لئـامٌ أذِلَّـةٌ لئنْ لم يَفُكُّـوا عن أسيرهِمُ الكَبْـلا[1]

فأجابه حسّان بن ثابت فقال:

لـو كـان سعـدُ يـومَ مكّـةَ مُطْلقـاً لأكثَـرَ فيكمْ قبـلَ أن يُؤْسَـرَ القَتْـلا
بعَضْب حُسـامٍ أو بصفـراءَ نَبعـةٍ تحنّ إذا ما أُنبِضَتْ تَحْفِزُ النَّبْـلا[2]

ومشى بنـو عمرو بن عـوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره وسألـوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ. فبعثوا به إلى أبي سفيان. فخلّى سبيل سعد[3].

قصّة زينب بنت الرسول وزوجها أبي العاص: قال ابن إسحـاق: وقد كـان في الأسارى أبـو العاص بن الـربيع بن عبـدالعُزّى بن عبـدشمس، خَتَن رسول الله ﷺ، وزوج ابنته زينب.

قال ابن هشام: أسره خِراش بن الصّمّة، أحد بني حَرام.

قال ابن إسحاق: وكان أبو العـاص من رجال مكـة المعدودين، مـالاً، وأمـانة، وتجـارة، وكان لهـالة بنت خُـويلد، وكانت خـديجة خـالته. فسـألت خديجة رسولَ الله ﷺ أن يزوّجه، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها، وذلك قبل أن ينزل عليه الـوحي، فزوّجـه، وكانت تعـدّه بمنزلـة ولدهـا. فلما أكـرم الله رسول الله ﷺ بنبوَّته آمنت به خديجة وبناته، فصدّقته، وشهـدن أن ما جـاء به الحقّ، ودنّ بدِينه، وثبت أبو العاص على شِرْكه[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٦٧، أنساب الأشراف ١/٣٠١، الكامل في التاريخ ٢/١٣٣، عيـون الأثر ١/٢٦٨

(٢) العضب: السيف القـاطع، والصفـراء النبعة: القـوس المصنـوعـة من شجـرة النبـع. وتحن: يصوت وترها. وأنبضت: تحرك وتر القوس استعداداً للانطلاق. وتحفز النبلا: ترميه.

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٤٦٧، الكامل في التاريخ ٢/ ١٣٣

(٤) تـاريخ الطبري ٢/٤٦٧، الكامل في التاريخ ٢/١٣٤

وكان رسول الله ﷺ قد زوّج عُتبة بن أبي لهب رُقَيَّة، أو أمّ كلثوم[1]. فلما بادى قريشاً بأمر الله تعالى وبالعداوة، قالوا: إنكم قد فرغتم محمداً من همّه، فردّوا عليه بناته، فاشغلوه بهنّ. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارقْ صاحبتك ونحن نزوّجك أي امرأة من قريش شئت؛ قال: لا والله، إنّي لا أفارق صاحبتي، وما أحبّ أنّ لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره خيراً، فيما بلغني. ثم مشوا إلى عُتبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلّق بنت محمد ونحن نُنْكِحك أي امرأة من قريش شئت؛ فقال: إنْ زوّجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها، فزوّجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها، ولم يكن أُدخِل بها؛ فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهواناً له، وخَلف عليها عثمان بن عفان بعده[2].

وكان رسول الله ﷺ لا يحلّ بمكة ولا يحرّم، مغلوباً على أمره؛ وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع، إلاّ أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرّق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما صارت قريش إلى بدر، سار فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب في الأسارى يوم بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم، بعثت زينب بنت رسول الله - ﷺ- في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها

(١) كانت رُقية بنت رسول الله ﷺ تحت عُتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم تحت عُتيبة، فطلّقاهما بعزم أبيهما وأمّهما حين نزلت. ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ فأما عُتيبة فدعا عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يسلّط الله عليه كلباً من كلابه فافترسه الأسد من بين أصحابه، وهم نيام حوله، وأما عُتبة ومُعتّب ابنا أبي لهب، فأسلما ولهما عقِب. (الروض الأنف ٣/٦٨)

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٦٨

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٦٨.

كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها؛ قالت: فلما رآها رسول الله ـ ﷺ رقّ لها رقّة شديدة وقال: «إنْ رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا»؛ فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها[1].

خروج زينب إلى المدينة

قال: وكان رسول الله ـ ﷺ قد أخذ عليه، أو وعد رسول الله ـ ﷺ ذلك، أن يخلّي سبيلَ زينب، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ـ ﷺ فيُعلم ما هو، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلّى سبيله، بعث رسول الله ـ ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: كونا ببطن يأجَج حتى تمرّ بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها. فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعه[2]، فلما قدِم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تجهّز[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر، قال: حُدّثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهّز بمكة للّحوق بأبي لقيتني هند بنت عُتبة، فقالت: يا بنت محمد، ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ قالت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمّي، لا تفعلي، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك، أو بمال تتبلّغين به إلى أبيك، فإنّ عندي حاجتك، فلا تضطني[4] منّي، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت: ولكنّي خفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك، وتجهّزت[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٦٨، الكامل في التاريخ ٢/١٣٤.
(٢) شيعة؛ قريب منه.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٦٩، الكامل ٢/١٣٤.
(٤) أي لا تستحي.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٦٩.

فلما فرغت بنت رسول الله - ﷺ من جهازها قدّم لها حَمْوُها كِنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً، فركِبته، وأخذ قوسه وكِنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها، وهي في هودج لها. وتحدّث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوَى، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبدالعُزَّى، والفهريّ، فروّعها هبّار بالرمح وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملاً - فيما يزعمون - فلما ريعت طرحت ذا بطنها[1]، وبرك حموُها كِنانة، ونثر كِنانته، ثم قال: والله لا يدنو منّي رجل إلاّ وضعت فيه سهماً، فتكركر[2] الناس عنه. وأتى أبو سفيان في جِلّة من قريش فقال: أيها الرجل، كفّ عنّا نَبْلك حتى نكلّمك، فكفّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقَف عليه، فقال: إنك لم تُصِب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مُصيبتنا ونَكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظنّ الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا، أنّ ذلك عن ذلٍّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأنّ ذلك منّا ضعف ووهن، ولَعَمري مالنا بحبْسها عن أبيها من حاجة، ومالنا في ذلك من ثؤرة[3]، ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدّث الناس أنْ قد ردَدناها، فسُلَّها سرّاً، وألحقها بأبيها، قال: ففعل. فأقامت ليالي، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله - ﷺ[4].

قال ابن إسحاق: فقال عبدالله بن رواحة: أو أبو خيثمة، أخو بني سالم بن عوف، في الذي كان من أمر زينب - قال ابن هشام: هي لأبي خيثمة -:

أتاني الذي لا يُقدِرُ النّاسُ قَدَرَه　　　لِزينَب فيهم من عُقوق ومأثمِ

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) تكركر: رجع.
(٣) الثؤرة: طلب الثأر.
(٤) الطبري ٢/٤٧٠.

وإخـــراجُهـــا لم يُخْـــزَ فيـهـــا محمـــد على مَـــأقِط وبيننـــا عِـــطْر مَنْشَم[1]
وأمسى أبو سُفيان من حِلفِ ضَمْضَم ومِنْ حَـــرْبنـــا في رغم أنفٍ وَمَنْـــدَم
قَـــرَنَّـــا ابنَـــه عَمْـــرا وَمَـــوْلى يمينـــه بـذي حَلَقٍ جَلْد الصَّلاصـل مُحْكم[2]
فـأقسمتُ لا تَنْفَـك منّـا كتـائبُ سُراةُ خَمِـيسٍ في لُهـام مُـسَـوَّم[3]
نـزوعُ قـريشَ الكفـرَ حتى نَعُلَّهـا[4] بخـاطمـةٍ فـوق الأنـوف بمِيسَم
نُنَـزِّلـهم أكْنـاف نـجـدٍ ونَـخْـلة وإنْ يُتْهِمـوا بالخيـل والرَّجْـل نُتْهِم[5]
يَدَ الدَّهْـرِ حتى لا يُعـوَّج سِـرْبُنـا[6] ونُـلْحِـقـهـم آثـار عـادٍ وجُـرْهُـم
ويـنـدمَ قـومٌ لم يُـطيعـوا محمـداً عـلى أمـرهـم وأيّ حيـن تَـنَـدُّم
فـابـلِغْ أبـا سُفيـان إمّـا لقِيتَـه لئن أنت لم تُخلِصْ سجـوداً وتُسْلم
فـأبشِرْ بخـزيٍ في الحيـاة مُعَجَّـل وسِرْبـال قـارٍ خـالـداً في جهنّـم

قال ابن هشام: ويُروَى: وسِربال نار.

قال ابن إسحاق: ومولى يمين أبي سفيان، الذي يعني: عامر بن الحضرميّ: كان في الأسارى، وكان حلف الحضْرميّ إلى حرب بن أُميّة.

قال ابن هشام: مولى يمين أبي سفيان، الذي يعني: عُقبة بن عبدالحارث بن الحضْرميّ، فأما عامر بن الحضرميّ فقُتل يوم بدر.

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقِيَتْهم هند بنت عُتبة. فقالت لهم:

---

(١) المأقِط: معترك الحرب ومَنْشَم: امرأة كانت تبيع العطر فتحالف قوم على الموت في قتال عدوّهم وغمسوا أيديهم في عطرها فماتوا جميعاً فضرُب به المثل في الشؤم.
(٢) ذي حَلَق: السلاسل. والصلاصل: صوت الحديد.
(٣) السرّاة: السادة. والخميس: الجيش. واللُهام: الكثير. والمسوَّم: المعلم.
(٤) نزوع: نسوق. نَعُلّها: نعيد عليهم الكَرَّة.
(٥) الأكناف: النواحي. نجد ما ارتفع من أرض الحجار. ونخلة موضع قريب من مكة وأتْهم: أتى تِهامة وهي ما انخفض من أرض الحجاز.
(٦) يد الدهر: أي أبد الدهر. والسِرب: الطريق.

أفـي السِّـلْم أعيــارٌ جَـفــاءً وغِلْظةً وفي الحرب أشْباهُ النساء العوارِكِ[1]

وقال كِنانة بن الربيع في أمر زينب، حين دفعها إلى الرجلين:

عـجِبْـتُ لهَـبّــار وأَوْبــاش قــوْمــه يُـريــدون إخفــاري ببنت محمَّــد
ولستُ أُبــالي مـا حَيِيتُ عــديـدَهم ومـا استجمعتْ قبضاً يـدي بالمُهَنَّـد

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيـد بن أبي حبيب، عن بُكير بن عبـدالله بن الأشـجّ، عن سليمان بن يَسـار، عن أبي إسحاق الـدَّوْسي. عن أبي هريـرة. قـال: بعث رسول الله ـ ﷺ سـريّة أنـا فيها. فقـال لنـا: إن ظفـرتم بهبّـار بن الأسـود، أو الرجـل الآخر الـذي سبق معه إلى زينب ـ قـال ابن هشام: وقـد سمّى ابن إسحاق الرجل في حديثه وقال: هو نافع بن عبد قيس ـ فحـرِّقوهمـا بالنار: قال؛ فلما كان الغد بعث إلينا. فقال: إنّي كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما. ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذّب بالنّـار إلا الله. فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما.

إسلام أبي العاص بن الربيع[2]

قــال ابن إسحـاق: وأقــام أبـو العــاص بمكـة. وأقــامت زينب عنـد رسـول الله ـ ﷺ ـ بالمـدينة. حين فـرّق بينهما الإسـلام. حتى إذا كـان قُبيـل الفتـح، خرج أبـو العاص تـاجراً إلى الشـام، وكان رجـلًا مأمـوناً، بمـالٍ لـه وأموالٍ لرجالٍ من قريش، أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارتـه وأقبل قـافلاً، لقِيته سريّة لرسول الله ـ ﷺ ـ فأصابوا ما معه، وأعجـزهم هاربـاً، فلما قـدِمت السـريّة بمـا أصابـوا من مالـه، أقبل أبـو العاص تحت الليـل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ـ ﷺ ـ، فاستجار بها، فـأجارتـه، وجاء في طلب مـاله،

---

(١) الأعيار؛ الحمير. والعوارك: الحيّض.

(٢) أنـظر عنه: نسب قـريش ٢٣٠، ٢٣١، تاريـخ خليفة ١١٩، مشـاهير علماء الأمصـار (ترجمة ١٥٦)، الاستيعـاب ١٢/٢٤، أسـد الغـابـة ٦/١٨٥، تهـذيب الأسـماء واللغـات ٢/٢٤٨، ٢٤٩، العـبر ١/٥، سير أعـلام النبلاء ١/٣٣٠، مجمـع الزوائـد ٩/٣٧٩، والعقـد الثمـين ٧/١١٠ و٨/٦١، الإصابة ١١/٢٣١.

فلمـا خرج رسـول الله ـ ﷺ إلى الصبح ـ كمـا حدّثني يـزيد بن رُومـان ـ فكبّر وكبّر الناس معه، صرخت زينب من صُفَّة النساء: أيّها الناس، إنّي قـد أجرت أبا العاص بن الربيع قـال: فلما سلّم رسـول الله ـ ﷺ ـ من الصلاة أقبـل على النـاس، فقال: «أيهـا الناس! هـل سمعتم ما سمعت»؟ قـالـوا: نعم؛ قـال: «والذي نفس محمد بيـده ما علمت بشيءٍ من ذلـك حتى سمعت ما سمعت، إنه يجير على المسلمين أدناهم». ثم انصرف رسول الله ـ ﷺ ـ، فدخـل على ابنتـه، فقال: «أي بُنَية، أكرِمي مثـواه، ولا يخلصنّ إليـك، فـإنّـك لا تحلّين له»[1].

قـال ابن إسحاق: وحـدّثني عبدالله بن أبي بكـر: أنّ رسـول الله ـ ﷺ ـ بعث إلى السريّة الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: إنّ هذا الرجل منّا حيث قد علِمتم، أصبتم له مالاً، فإن تُحسِنوا وتردّوا عليه الذي له، فإنّا نحبّ ذلـك، وإنْ أبيتم فهو فَيْء الله الـذي أفاء عليكم، فـأنتم أحقّ به؛ فقـالوا: يـا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه عليه، حتى إنّ الرجل ليـأتي بالـدّلْو، ويـأتي الرجل بالشّنَّة وبـالإداوة[2] حتى إنّ أحدهم ليـأتي بالشـظاظ[3]، حتى ردّوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئـاً. ثم احتمله إلى مكة، فـأدّى إلى كلّ ذي مـالٍ من قريش مالـه، ومن كان أبضـع معه، ثم قـال: يا معشـر قريش، هـل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا. فجزاك الله خيـراً، فقد وجـدناك وفيّاً كريماً قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسـوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلاّ تخوّفي أن تـظنّوا أنّي أردت أن آكـل أموالكم، فلمــا أدّاهــا الله إليكم وفـرغت منهــا أسلمت. ثم خــرج حتى قــدِم على رسول الله ـ ﷺ[4] ـ.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٧٠، ٤٧١، الطبقات الكبرى ٨/٣٢ و٣٣.
(٢) الشنّة: السقاء البالي، والإداوة: الإناء الصغير من الجلد.
(٣) الشظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الكيس، والجمع: أشظة.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٧١، «الطبقات الكبرى» ٨/٣٣.

قال ابن إسحاق: وحدّثني داود بن الحُصَين، عن عِكرِمة، عن ابن عباس قال: ردّ عليه رسول الله - ﷺ - زينب على النكاح الأول لم يُحدِث شيئاً[1] بعد ستّ سنين[2].

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة: أنّ أبا العاص بن الربيع لما قدِم من الشام ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تُسلم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي.

قال ابن هشام: وحدّثني عبدالوارث بن سعيد التنوري، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبيّ، بنحوٍ من حديث أبي عُبيدة عن أبي العاص.

قال ابن إسحاق: فكان ممن سمّي لنا من الأسارى ممن مَنّ عليه بغير فداء، من بني عبد شمس بن عبد مَناف: أبو العاص بن الربيع بن عبدالعُزّى بن عبد شمس، مَنَّ عليه رسول الله - ﷺ - بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله - ﷺ - بفدائه. ومن بني مخزوم بن يقظة: المطّلب بن حَنطب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم، كان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فتُرك في أيديهم حتى خلّوا سبيله. فلحِق بقومه.

---

(١) ويعارضه حديث عمرو بن شعيب أنه ردّها عليه بنكاح جديد، ويمكن الجمع بينهما أنه ردّها عليه على مثل النكاح الأول في الصداق مثلاً.

(٢) تاريخ الطبري ٤٧٢/٢، الطبقات الكبرى ٣٣/٨ المحبّر ٥٣، والخبر بطوله أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٣٦/٣، ٢٣٧. أما حديث ابن عباس فأخرجه أبو داود (٢٢٤٠) في الطلاق، باب: إلى متى ترد عليه زوجته إذا أسلم، والترمذي في النكاح (١١٤٣) باب: ما جاء في الزوجين المشركين يُسلم أحدهما. وابن ماجه في النكاح (٢٠٩) باب: الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر، والدار قطني، صفحة ٣٩٦، والحاكم في المستدرك ٦٣٨/٣، ٦٣٩ بالسند عن ابن إسحاق، وفيه داود وهو لينّ، وما رواه عن عكرمة منكر، لكن للحديث شواهد مرسلة صحيحة، عن عامر، وقتادة وعكرمة بن خالد أخرجها ابن سعد في طبقاته ٣٣/٨، وعبد الرزاق في المصنّف (١٢٦٤٧) والطحاوي في شرح معاني الآثار ١٤٩/٢، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٣٢/١ - ٣٣٤ وأخرجه ابن جميع الصيداوي في معجم الشيوخ (بتحقيقنا) ٧٠، ٧١ رقم ١٢ بالسند نفسه عن ابن إسحاق. قال الترمذي: هو حديث حسن ردّ ابنته زينب على ابي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد.

قال ابن هشام: أسره خالد بن زيد، أبو أيوب الأنصاريّ، أخو بني النجّار.

قال ابن إسحاق: وصيفيّ بن أبي رفاعة بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، تُرك في أيدي أصحابه، فلما لم يأت أحد في فدائه أخذوا عليه ليبعثنّ إليهم بفدائه، فخلّوا سبيله، فلم يف لهم بشيء؛ فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

وما كان صَيْفيٌّ لِيُوفيَ ذمّةً ... قفا ثعلبٍ أعيا ببعضِ الموارِدِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأبو عزّة، عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أهيب بن حُذافة بن جُمَح، كان محتاجاً ذا بنات، فكلّم رسول الله - ﷺ -، فقال: يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال، وإنّي لذو حاجة، وذو عيال، فأمنُن عليّ؛ فمنّ عليه رسول الله - ﷺ -، وأخذ عليه ألّا يظاهر عليه أحداً. فقال أبو عزّة في ذلك، يمدح رسول الله - ﷺ - ويذكر فضله في قومه:

مَن مُبلّغٌ عنّي الرسولَ محمّداً ... بأنّك حقّ والمَلِيك حميدُ
وأنت امرؤٌ تدْعو إلى الحقّ والهُدَى ... عليك من الله العظيمِ شهيدُ
وأنت امرُؤٌ بُوِّئْتَ[1] فينا مَباءةً ... لها درجاتٌ سَهْلة وصُعود
فإنّك مَن حاربْتَهُ لمُحارَبٌ ... شقيٌّ ومَن سالَمتَه لسَعيد
ولكنْ إذا ذكِّرْتُ بدراً وأهلَه ... تأوَّبَ[2] مابي: حَسْرةٌ وقعود

ثمن الفداء: **قال ابن هشام**: كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل، إلى ألف درهم، إلّا من لا شيء له، فمنّ رسول الله - ﷺ - عليه.

---

(١) بوئت: نزّلت.
(٢) تأوّب: رجع.

إسلام عُمير بن وهْب وتحريض صفوان له على قتْل الرسول

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير قال: جلس عُمير بن وهْب الجُمَحيّ مع صفوان بن أُميّة بعد مُصاب أهل بدر من قريش ـ في الحجْر ـ بيسير، وكان عُمير بن وهْب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه، ويلقون منه عناءً وهو بمكة، وكان ابنه وهْب بن عُمير في أُسَارى بدر.

قال ابن هشام: أسره رفاعة بن رافع أحد بني زُرَيق.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُبير، عن عُروة بن الزبير، قال: فذكر أصحاب القَليب ومُصابهم، فقال صفوان: والله إنْ في العيش بعدهم خيرٌ؛ قال له عُمير: صدقتَ والله، وأما والله لولا دَيْن عليّ ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضَّيْعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإنّ لي قِبَلهم علّة: ابني أسير في أيديهم؛ قال: فاغتنمها صفوان وقال: عليّ دَينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أُواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم؛ فقال له عُمير: فاكتم شأني وشأنك؛ قال: أفعل.

قال: ثم أمر عُمير بسيفه، فشُحذ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدِم المدينة؛ فبينا عمر بن الخطّاب في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوّهم، إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهْب حين أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيف، فقال: هذا الكلب عدوّ الله عُمير بن وهْب، والله ما جاء إلّا لشرّ. وهو الذي حَرّش بيننا، وحَزَرنا[1] للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا نبيّ الله، هذا عدوّ الله

(١) حرّش: أفسد، والحزر: تقدير العدد تخميناً.

عُمير بن وهْب قد جاء متوشّحاً سيفه: قال: فأدخِلْه عليّ، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمّالة سيفه في عنقه فلبَّبه بها، وقال لرجالٍ ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ـ ﷺ ـ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون؛ ثم دخل به على رسول الله ـ ﷺ ـ.

فلما رآه رسول الله ـ ﷺ ـ، وعمر آخذ بحمّالة سيفه في عنقه، قال: أرسِلْه يا عمر، أدن يا عُمير؛ فدنا ثم قال: أنعِموا صباحاً، وكانت تحيّة أهل الجاهلية بينهم؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «قد أكرمنا الله بتحيّةٍ خيرٍ من تحيّتك يا عُمير، بالسلام: تحيّة أهل الجنة»؟ فقال: أما والله يا محمد إن كنتُ بها لحديث عهد: قال: «فما جاء بك يا عُمير»؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه؛ قال: «فما بال السيف في عنقك»؟ قال: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت عنّا شيئاً؟ قال: «أصدِقْني، ما الذي جئت له»؟ قال ما جئت إلّا لذلك؛ قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أُميّة في الحجْر، فذكرتما أصحاب القَلِيب من قريش، ثم قلت؛ لولا دَيْن عليّ وعيالٍ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً، فتحمّل لك صفوان بدَيْنك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك»؛ قال عُمَير: أشهد أنك رسول الله، قد كنّا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلّا أنا وصفوان، فوالله إنّي لأعلم ما أتاك به إلّا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحقّ. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فقِّهوا أخاكم في دِينه. وأقْرِئوه القرآن، وأطلِقوا له أسيره»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إنّي كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عزّ وجلّ، وأنا أحبّ أن تأذن لي، فأقَدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى، وإلى رسوله ـ ﷺ ـ، لعلّ الله يهديهم، وإلّا آذيتهم في دِينهم كما كنت أوذي أصحابك في دِينهم؟ فأذِن له رسول الله ـ ﷺ، فلحِق بمكة. وكان صفوان بن أُميَّة حين خرج عُمير بن وهْب، يقول: أبشِروا

بـوقعة تـأتيكم الآن في أيـام، تُنْسيكم وقعـة بـدر، وكـان صفـوان يسـأل عنـه الركبان، حتى قَدِم راكب فيخبره عن إسـلامه، فحلف أن لا يكلّمـه أبداً، ولا ينفعه بنفعٍ أبداً.

قال ابن إسحاق: فلما قدِم عُميـر مكة، أقـام بها يـدعو إلى الإسـلام، ويؤذي من خالفه أذًى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير[1].

قال ابن إسحاق: وعُميـر بن وهْب، أو الحارث بن هشـام، قد ذُكـر لي أحدهما، الذي رأى إبليس حين نكص على عقِبَيْه يوم بدر، فقـال: أين، أي سُـراق؟ ومثـل[2] عـدوّ الله فـذهب، فـأنـزل الله تعـالى فيـه. ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَـوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ . وَإِنِّي جَـارٌ لَكُمْ﴾[3]، فذكر استدراج إبليس إيّاهـم، وتشبُّهـه بسُراقـة بن مالـك بن جُعْشُم لهم، حين ذكـروا ما بينهم وبين بني بكـر بن عبد مَنـاة بن كِنانـة في الحـرب التي كـانت بينهم. يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلفِئَتَـانِ﴾ ونظر عـدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة، قد أيّد الله بهم رسـوله ﷺ والمؤمنين على عدوّهم ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِنْكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾. وصدق عـدوّ الله، رأى ما لم يـروا، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَـافُ الله، وَالله شَدِيـدُ ٱلعِقَابِ﴾[3]. فـذُكـر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سُراقة لا يُنكرونه، حتى إذا كان يـوم بدر، والتقى الجمعان نكص على عقِبيه، فأوردهم ثم أسلمهم.

قال ابن هشام: نكص: رجـع. قال أوس بن حجـر، أحد بني أسـد بن عمرو بن تميم:

نكصتُم عـلى أعقـابكم يـوم جئتمُ ... تُـزَجُّـون أنفـالَ الخميس العـرمـرم

---

(١) تـاريخ الـطبري ٤٧٢/٢ ـ ٤٧٤، أنساب الأشراف ٣٠٤/١، ٣٠٥، أسـد الغابـة ١٤٨/٤ ـ ١٥٠ وفيه قال؛ أخرجه الثلاثة، البدء والتاريخ ١٩٣/٤، ١٩٤.

(٢) مثل: ذهب في الأرض واختفى.

(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٤٨.

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت:

قـومي الـذين هـمُ آوَوْا نـبيَّـهـمُ — وصـدَّقـوه وأهـلُ الأرض كُـفَّـارُ
إلّا خـصـائصَ أقـوام هُـم سَـلَفٌ — للصّـالحين مـع الأنصـار أنْصـار
مُـسْتَبْشِـريـن بقَسْمِ الله قـولُـهم — لمّـا أتـاهُمْ كـريمُ الأصـل مختـار
أهـلاً وسهـلاً ففي أمنٍ وفي سَعَـةٍ — نِعْم الـنّبـيُّ ونِعْـم القَسْمُ والـجـارُ
فـأنْـزلـوه بـدار لا يُخـاف بهـا — من كـان جـارَهم داراً هـي الـدار
وقـاسمُـوه بهـا الأمـوال إذْ قـدمـوا — مهـاجـرِين وقَسْمُ الجـاحـدِ النـار
سِـرْنـا وسـارُوا إلى بـدْر لحَيْنهم — لـو يعلمـون يَقين العِلم مـا سـاروا
دلّاهُـمُ بغُـرور ثـم أسْلمـهـم — إنّ الـخـبـيـث لـمـن والاهُ غـرّار
وقـال: إنّي لكـم جـارٌ فـأوْردَهُم — شـرَّ المـوارد فيـه الخـزْي والعـار
ثم التقيـنـا فـولّـوْا عن سَـرَاتِـهمُ — من مُنْجـدين ومنهم فـرْقـة غـاروا[1]

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لما أتاهم كريم الأصل مختار» أبـو زيد الأنصاريّ.

المُطْعِمون من قريش

قال ابن إسحاق: وكان المُطْعِمـون[2] من قريش، ثم من بني هـاشم بن عبد مَناف: العباس بن عبدالمطّلب بن هاشم[3].

ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف: عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس[4].

---

(١) السراة: الخيار. وغاروا: تفرّقوا. وذكر في البدء والتاريخ ١٩٣/٤ بيتين منها.
(٢) من يطعمون الحجيج أيام الموسم.
(٣) نحر عشراً من الجزور. وذكر محمد بن عمر المزني أن قريشاً كفأت قـدور العباس ولم تَـطْعَمْها لعلمها بميله إلى رسول الله ﷺ. (المحبّر ١٦٢).
(٤) نحر عشراً. (المحبّر ١٦٢).

ومن بني نوفل بن عبد مَناف: الحارث بن عامر بن نوفل[1]، وطُعيمة بن عدِيّ بن نوفل، يعتقبان ذلك.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى: أبا البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث بن أسد[2]. وحكيم بن حِزام بن خُويلد بن أسد: يعتقبان ذلك.

ومن بني عبدالدار بن قُصيّ: النضر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مَناف بن عبدالدار.

قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مَناف بن عبدالدار.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يقظة: أبا جهل بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم[3].

ومن بني جُمَح: أُميَّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح[4].

ومن بني سهم بن عمرو: نُبَيْهاً ومنبّها ابني الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سهم، يعتقبان ذلك[5].

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر[6].

أسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم: أنه كان مع المسلمين يوم

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٢٨.
(٢) نحر عشراً. (المحبّر ١٦٢).
(٣) نحر عشراً. (المحبر ١٦١).
(٤) نحر تسعاً. (المحبّر ١٦٢) الواقدي ١/١٢٨.
(٥) نحرا عشراً. (المحبّر ١٦٢).
(٦) نحر عشراً. (المحبّر ١٦٢).

بدر من الخيل، فرس مَرْثَد بن أبي مَرْثَـد الغَنَويّ، وكـان يقال لـه: السَّبَل[1]؛ وفرس المِقداد بن عمرو البَهْرانيّ، وكان يقال له: بَعزجَـة[2]، ويقال: سَبْحَـة؛ وفرس الزُبير بن العوّام، وكان يقال له: اليعسوب[3].

قال ابن هشام: ومع المشركين مائة فرس.

---

(١) الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام لمحمد بن كامل التـاجي الصاحبي (ق ٧) ـ تحقيق عبـدالله الجبوري ـ طبعـة النـادي الأدبي بـالـريـاض ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م. ـ ص ٩٦ رقم ٤، عقد الأجياد للأمير عبدالقادر الجزائري طبعة القاهـرة ١٣٣١ هـ. ـ ص ٣٢٨، فضل الخيـل للحـافظ الـدميـاطي ـ نشره محمـد راغب الـطبـاخ بحلب ١٣٤٩ هـ. /١٩٣٠ م ـ ص ١٦٧.

(٢) الحلبـة في أسـماء الخيـل ٤٥ رقم ٢، فضـل الخيـل للدميـاطي ١٦٨، ١٦٩، عقـد الأجيـاد للجزائري ٢٢٦ وفيه للمقداد بن الأسود.

(٣) الأنساب لابن الكلبي ٢٠، ٣٠، فضل الخيل للدمياطي ١٣٧ و ١٦٩، ١٧٠، حلية الفرسـان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي ـ نشره محمد عبد الغني حسن ـ سلسلة ذخائـر العرب، بـدار المعارف بـالقاهـرة ١٩٥١ ـ ص ١٥١ ـ ١٥٣، حيـاة الحيـوان للدمـيري ٢/٢١٩، تـاج العروس ٣/٣٧١، معجم الخيل العربية المنسوبة، لعبدالله الجبوري، ملحق بـالحلبة في أسـماء الخيل ٢١٨، ٢١٩.

نزول سورة الأنفال
تصف أحداث بدر

قال ابن إسحاق: فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسرها، فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفْل حين اختلفوا فيه: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لله وَالرَّسُولِ، فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**(١).

فكان عُبادة بن الصّامت ـ فيما بلغني ـ إذا سُئل عن الأنفال، قال: فينا معشر أهل بدر نزلت، حين اختلفنا في النفْل يوم بدر، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا؛ فردّه على رسول الله ـ ﷺ ـ نقسّمه بيننا عن بَوَاء ـ يقول: على السواء ـ وكان في ذلك تقوى الله وطاعته، وطاعة رسوله رسول الله ـ ﷺ، وصَلاح ذات البَيْن.

ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله ـ ﷺ ـ حين عرف القوم أنّ قريشاً قد ساروا إليهم، وإنّما خرجوا يريدون العير طمعاً في الغنيمة، فقال: **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَىٰ الْمَوْتِ وَهُمْ**

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ١.

يَنْظُرُونَ﴾: أي كراهية للقاء القوم، وإنكاراً لمسير قريش، حين ذكروا لهم ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ الله إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: أي الغنيمة دون الحرب ﴿وَيُرِيدُ الله أَنْ يُحِقَّ ٱلحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلكَافِرِينَ﴾: أي بالوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾؛ أي لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوّهم، وقلّة عددهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بدعاء رسول الله ـ ﷺ ـ ودعائكم ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ ٱلمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ. إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ﴾: أي أنزلت عليكم الأمنة حين نمتم لا تخافون ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً﴾ للمطر الذي أصابهم تلك الليلة، فحبس المشركين أن يسبقوا إلى الماء، وخلّى سبيل المسلمين إليه ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَانِ، وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلأَقْدَامَ﴾(١): أي ليُذهب عنكم شكَّ الشيطان، لتخويفه إيّاهم عدوَّهم، واستجلاد(٢) الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبقوا إليه عدوّهم.

ثم قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ ٱلمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي آزروا الذين آمنوا ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ، فَاضْرِبُوا فَوْقَ ٱلأَعْنَاقِ، وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا الله وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ الله وَرَسُولَهُ فَإِنَّ الله شَدِيدُ ٱلعِقَابِ﴾(٣)، ثم قال: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ ٱلأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلمَصِيرُ﴾(٤): أي تحريضاً لهم على عدوّهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم.

ثم قال تعالى في رمي رسول الله ـ ﷺ ـ إيّاهم بالحصباء من يده. حين

---

(١) سورة الأنفال ـ من الآية ٥ ـ ١١.

(٢) الاستجلاد: الشدّة.

(٣) سورة الأنفال ـ الآيتان ١٢ و١٣.

(٤) سورة الأنفال ـ الآيتان ١٥ و١٦.

رمـاهـم: ﴿وَمَـا رَمَيْـتَ إِذْ رَمَيْـتَ وَلَـٰكِـنَّ اللهَ رَمَـىٰ﴾: أي لم يـكـن ذلـك برمْيتك، لولا الذي جعل الله فيها من نصرك، وما ألقى في صدور عدوّك منها حين هـزمهم الله ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَـلاَءً حَسَناً﴾[1]: أي ليعـرف المؤمنين من نعمتـه عليهم في إظهارهم على عـدوّهم، وقلّة عددهم، ليعـرفـوا بـذلـك حقه، ويشكروا بذلك نعمته.

ثم قـال: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَـدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَتْـحُ﴾: أي لقـول أبي جهـل: اللهم أقـطعُنا للرَّحِم، وآتـانـا بمـا لا يعـرف، فـأحِنْـه الغـداة. والاستفتـاح: الإنصاف في الدعاء.

يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾: أي لقـريش ﴿فَهُوَ خَيْـرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾: أي بمثل الوقعـة التي أصبناكم بهـا يوم بـدر ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًـا وَلَوْ كَثُـرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي أنّ عـددكم وكثرتكم في أنفسكم لن تغني عنكم شيئاً، وإنّي مع المؤمنين، أنصرهم على مَن خالفهم.

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلاَ تَوَلَّـوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾. أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعـون لقولـه، وتزعمـون أنكم منه، ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَٱلَّـذِينَ قَالُـوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُـونَ﴾: أي كالمنـافقين الـذين يُظهـرون له الـطاعة، ويُسـرّون له المعصيـة ﴿إِنَّ شَرَّ الـدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ ٱلْبُكْمُ الَّـذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾: أي المنـافقين الـذين نهيتُكم أن تكـونـوا مثلهم، بُكم عن الخير، صُمٌّ عن الحقّ، لا يعقلون: لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النقمة والتباعة[2] ﴿وَلَـوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾[3]، أي لأنْفَـذَ لهم قـولهم الـذي قـالـوا بـألسنتهم، ولكنّ القلوب خـالفت ذلـك منهم، ولـو خرجوا معكم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، ما وفوا لكم بشيء مما خرجوا عليه.

---

(١) سورة الأنفال ـ من الآية ١٧.

(٢) التباعة: طلب الشخص بما ارتكب من المظالم.

(٣) لم يأت بجزء من الآية وهو «ولو أسمعهم».

﴿يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلَّرَسُولِ إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: أي للحرب التي أعزّكم الله بها بعد الذّل، وقوّاكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوِّكم بعد القهر منهم لكم، ﴿واذْكُرُوا إذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يَا أَيُّهَا ٱلّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا آمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تُظهروا له من الحقِّ ما يرضى به منكم، ثم تخالفوه في السرّ إلى غيره، فإنّ ذلك هلاك لأماناتكم، وخيانة لأنفسكم. ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ والله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾: أي فصلاً بين الحقّ والباطل، ليُظهر الله به حقّكم، ويطفيء به باطل من خالفكم.

ثم ذكّر رسول الله ـ ﷺ بنعمته عليه، حين مكر به القوم ليقتلوه أو يُثبتوه أو يخرجوه ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله، والله خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾[1]: أي فمكرت بهم بكيدي المتين حتى خلّصتك منهم.

ثم ذكر غِرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم، إذ قالوا: ﴿اللّهُمَّ إنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ من عِنْدِكَ﴾[2] أي ما جاء به محمد ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً من السَّمَاءِ﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي بعض ما عذّبت به الأمم قبلنا، وكانوا يقولون: إنّ الله لا يعذّبنا ونحن نستغفره، ولم يعذّب أمة ونبيّها معها حتى يخرجه عنها. وذلك من قولهم ورسول الله ـ ﷺ بين أظهرهم، فقال تعالى لنبيّه ـ ﷺ، يذكّر جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم، حين نعى سوء أعمالهم: ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي لقولهم: إنّا نستغفر ومحمد بين أظهرنا، ثم قال ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمْ﴾ وإن كنت بين أظهرهم، وإن كانوا

---

(١) سورة الأنفال ـ من الآية ١٩ ـ ٣٠.
(٢) سورة الأنفال ـ من الآية ٣٢ ـ ٣٥.

يستغفرون كما يقولون ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي من آمن بالله وعبده: أي أنت ومن اتّبعك، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الذين يحرّمون حُرمته ويقيمون الصلاة عنده: أي أنت ومن آمن بك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ﴾ التي يزعمون أنه يدفع بها عنهم ﴿إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[١].

قال ابن هشام: **المُكاء**: الصفير. والتَّصْدية: التصفيق. قال عنترة بن عمرو بن شدّاد العبْسيّ:

ولَرُبَّ قِرْنٍ قد تركتُ مُجَدَّلاً   تَمْكُو فريضتُه كشِدْقِ الأعْلمِ[٢]

يعني: صوت خروج الدم من الطعنة، كأنه الصفير: وهذا البيت في قصيدة له. وقال الطِّرِمَّاح بن حكيم الطائي:

لها كلَّما رِيعتْ صداةً وركْدةً   بمُصْدان أعلَى ابني شَمام البوائن[٣]

وهذا البيت في قصيدة له. يعني الأروية، يقول: إذا فزعت قرعت بيدها الصفاة ثم ركدت تسمع صَدَى قرعها بيدها. الصفاة مثل التصفيق. والمصدان: الحرز. وابنا شمام: جبلان.

قال ابن إسحاق: وذلك ما لا يُرضي الله عَزَّ وَجَلَّ ولا يحبّه، ولا ما افترض عليهم، ولا ما أمرهم به ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:[٤] أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه

---

(١) مجدَّلاً: واقع على الأرض. والفريصة: جزء في مرجع الكتف. والأعلم: مشقوق الشَفَة العليا، ويريد به الجمل.

(٢) صداة: تصفير. والركدة: السكون، والمصدان: الجدران. وابن شمام: هضبتان بجبل شمام، والبوائن: المتعدة.

(٣) سورة الأنفال ـ من الآية ٣٥.

عبّاد، عن عائشة قالت: ما كان بين نزول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾[1]، وقول الله تعالى فيها: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا. إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[2] إلّا يسير، حتى أصاب الله قريشاً بالوقعة يوم بدر.

قال ابن هشام: الأنكال: القيود؛ واحدها: نِكل. قال رؤبة بن العجّاج:

يكفيك نِكْلي بغَي كلّ نِكْلِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[3] يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان، وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة، فسألوهم أن يقوّوهم بها على حرب رسول الله ـ ﷺ، ففعلوا.

ثم قال: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا﴾ لحربك ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[4] أي من قُتل منهم يوم بدر.

ثم قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: أي حتّى لا يُفتن مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه شريك، ويخلع ما دونه من الأنداد ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ﴾الذي أعزّكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عددهم وقلّة عددكم

---

(١) أول سورة المزَّمِّل.

(٢) سورة المزَّمِّل ـ الآية من ١١ ـ ١٣.

(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٣٦.

(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٣٨.

﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1].

ثم أعلمهم مقاسم الفَيْء وحُكمه فيه، حين أحلّه لهم، فقال: ﴿واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فأنَّ لله خُمُسَهُ وللرَّسُول وَلِذِي القُرْبَىٰ وَآلْيَتَامَىٰ وَآلمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُم بالله وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ والله عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي يوم فرّقتُ فيه بين الحقّ والباطل بقدرتي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ من الوادي ﴿وَهُمْ بِالْعُدَوةِ القُصْوَىٰ﴾ من الوادي إلى مكة ﴿والرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: أي عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم ﴿ولَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِيْ المِيعَاد﴾أي ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم، وقلّة عددكم ما لقيتموهم ﴿ولٰكِنْ لِيَقْضِي الله أمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ أي ليقضي ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه، ثم قال ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، ويَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وإنَّ الله لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي ليكفر من كفر بعد الحجّة لما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

ثم ذكر لطفه به وكيده له، ثم قال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً، ولَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فيْ الأَمْر وَلٰكِنَّ الله سَلَّمَ إنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور﴾[2]، فكان ما أراك من ذلك نعمة من نِعَمه عليهم، شجّعهم بها على عدوّهم، وكفَّ بها عنهم ما تُخوّف عليهم من ضعفهم، لعلمه بما فيهم.

قال ابن هشام: تخوّف: مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها[3].

---

(١) سورة الأنفال ـ الآيتان ٣٩ و ٤٠.

(٢) سورة الأنفال ـ من الآية ٤١ ـ ٤٣.

(٣) يقال: إنها «تخوفت» ولذلك أصلح ابن هشام اللفظ.

﴿وَإِذْ يُـرِيكُمُـوهُمْ إِذِ ٱلتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيـلاً ويُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْـيُنِـهِم لِيَقْضِيَ ٱللهُ أَمْـراً كَانَ مَفْعُـولاً﴾[١]: أي ليؤلِّف بينهم على الحرب للنقمـة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه، من أهل ولايته.

ثم وعــظهم وفهّمهم وأعلمهم الــذي ينبغي لهم أن يسيــروا بــه في حربهم، فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ تقـاتلونهم في سبيل الله عزّ وجلّ ﴿فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا الله كَثِيراً﴾ الذي له بـذلتم أنفسكم، والوفـاء له بما أعطيتموه من بيعتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وأَطِيعُـوا الله ورَسُولَـه ولاَ تَنَازَعُـو فَتَفْشَلُوا﴾: أي لا تختلفـوا فيتفـرّق أمـركم ﴿وتَـذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي وتـذهب حَدَتكم ﴿واصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِـرِينَ﴾ أي إنّي معكم إذا فعلتم ذلك ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً ورِئَاءَ النَّاسِ﴾[٢]: أي لا تكونوا كـأبي جهـل وأصحابـه، الذين قـالوا: لا نـرجع حتى نَـأتي بدراً فننحـر بهـا الجُـزُر ونَسقي بها الخمر، وتعـزف علينا فيهـا القِيان، وتسمـع العرب: أي لا يكـون أمركم رياءً، ولا سُمعة، ولا التماس ما عند الناس وأخلِصوا لله النيّـة والحسْبة في نصر دينكم، وموآزرة نبيّكم، لا تعملوا إلاّ لذلك ولا تطلبوا غيره.

ثم قـال تعالى: ﴿وإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْـطَانُ أَعْمَالَهُمْ وقَـالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾[٣].

قال ابن هشام: وقد مضى تفسير هذه الآية.

قال ابن إسحاق: ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر، وما يلقون عند موتهم، ووصفهم بصفتهم وأخبـر نبيّـه ﷺ عنهم، حتى انتهى إلى أن قـال ﴿فـإِمَّـا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَـذَّكَّرُونَ﴾[٤] أي فنكِّـل بهم

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ٤٤.
(٢) سورة الأنفال ـ من الآية ٤٥ ـ ٤٧.
(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٤٨.
(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٥٧.

من ورائهم لعلّهم يعقلون ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِبَاطِ آلخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وعَدُوَّكُمْ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ومَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيءٍ في سَبِيلِ الله يُوَفَّ إلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ أي لا يضيعَ لكم عند الله أجره في الآخرة، وعاجل خلفه في الدنيا. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها﴾: أي إنْ دعوك إلى السلم على الإسلام فصالحهم عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الله﴾ إنّ الله كافيك ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[1].

قال ابن هشام: جنحوا للسَّلْم: مالوا إليك للسلم. الجنوح: الليل. قال لَبِيد بن ربيعة:

جنوحُ الهالِكيِّ على يَدَيْه مُكِبًّا يَجْتلي نُقَبَ النِّصال[2]

وهذا البيت في قصيدة له. والسلم أيضاً: الصلح، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿فَلاَ تَهِنُوا وتَدْعُوا إلَى السَّلْمِ وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾[3]، ويقرأ: «إلى السِّلم»، وهو ذلك المعنى. قال زُهير بن أبي سُلمى:

وقد قُلتما إنْ ندرِك السِّلْم واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القَوْل نَسْلَمِ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: وبلغني عن الحسن بن أبي الحَسَن البَصْريّ، أنه كان يقول: ﴿وإنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ﴾ للإسلام. وفي كتاب الله تعالى: ﴿يَاأَيُّها الذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي آلسِّلْمِ كَافَّةً﴾[4]، ويقرأ ﴿في السَّلْمِ﴾، وهو الإسلام. قال أميّة بن أبي الصَّلت:

فما أنابوا لسَلْم حين تُنْذِرهم رُسْل الإله وما كانوا له عَضُداً

---

(١) سورة الأنفال ـ الآيتان ٦٠ و ٦١.

(٢) الهالكي: الحداد والصيقل نسبة إلى أول من عمل الحدادة وهو الهالك بن أسد. ونقب النصال: جرب الحديد.

(٣) سورة محمد ـ الآية ٣٥.

(٤) سورة البقرة ـ الآية ٢٠٨.

وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العرب لدلو تُعمل مستطيلة: السَّلم.

قال طُرفة بن العبد أحد بني قيس بن ثعلبة، يصف ناقة له:

لها مِرْفقان أَفْتلان كأنّما ... تمُرّ بسَلْمى دالجٍ مُتشدّدِ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وإنْ يُرِيدُوا أنْ يَخْدَعُوكَ فَإنَّ حَسْبَكَ اللهُ﴾[2] هو من وراء ذلك. ﴿هُوَ الَّذِيْ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ بعد الضعف ﴿وبالمُؤْمِنينَ وأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ على الهدى الذي بعثك الله به إليهم ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِيْ الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَلٰكِنَّ ٱللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بدينه الذي جمعهم عليه ﴿إنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله ومَن اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ. يَا أَيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ عَلَىٰ القِتَال، إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُون صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ، وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾[2]: أي لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي نَجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبدالله بن عباس قال: لما نزلت هذه الآية اشتدّ على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين، ومئة ألفاً، فخفّف الله عنهم، فنسختها الآية الأخرى: ﴿الآنَ خَفَّفَ الله عَنْكُمْ وعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً، فَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ، وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بإذْنِ الله، والله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]. قال: فكانوا على الشطر من عدوّهم لم ينبغ لهم أن يفرّوا منهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم.

---

(١) الدالج: الذي يحمل الدلو من البئر إلى الحوض ليُفرغها فيه، فهو يمشي متمهّلاً.
(٢) سورة الأنفال ـ من الآية ٦٢ ـ ٦٥.
(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٦٦.

قال ابن إسحاق: ثم عاتبه الله تعالى في الأسارى، وأخْذ المغانم، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنماً من عدوّ له.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد أبو جعفر بن عليّ بن الحسين، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «نُصِرْتُ بالرُّعب، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطَهُوراً، وأُعطِيت جَوامع الكَلِم، وأُحِلَّت لي المغانم ولم تُحلَّل لنبيٍّ كان قبلي، وأُعطِيت الشفاعةَ، خمسٌ لم يؤتهنَّ نبيٌّ قبلي»[1].

قال ابن إسحاق: فقال: **﴿ما كان لنبيٍّ﴾**: أي قبلك **﴿أنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾** من عدوّه **﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِيْ الأَرْضِ﴾**، أي يُثْخن[2] عدوّه، حتى ينفيه من الأرض **﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا﴾**: أي المتاع، الفداء بأخذ الرجال **﴿والله يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾**[3]: أي قتْلهم لظهور الدين الذي يريد إظهاره، والذي تُدرَك به الآخرة **﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ الله سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾**: أي من الأسارى والمغانم **﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**: أي لولا أنه سبق منّي أنّي لا أعذّب إلّا بعد النهي ولم يك نهاهم، لعذّبْتكم فيما صنعتم، ثم أحلّها له ولهم رحمة منه، وعائدة من الرحمن الرحيم، **﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً واتَّقُوا الله إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** ثم قال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِيْ أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ الله**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبدالله (١/٨٦) في التيمّم، أول الكتاب، وفي كتاب الصلاة (١/١١٣) باب الصلاة في البيعة، وفي كتاب الجهاد والسِيَر (٤/١٢) باب قول النبيّ ﷺ: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وفي كتاب التعبير (٨/٧٢) باب رؤيا الليل، و(٨/٧٦) باب المفاتيح في اليد، وفي كتاب الاعتصام (٨/١٣٨) باب قول النبيّ ﷺ بُعثت بجوامع الكلم، وفي كتاب التيمّم (١/٨٦) أول الباب. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) و(٥٢٣) أول الكتاب، والدارمي في السير، باب (٩٨)، والترمذي في السِيَر (١٥٩٤) باب ما جاء في الغنيمة، والنسائي في الغُسْل (١/٢٠٩ ـ ٢١١) باب التيمّم بالصعيد، وفي الجهاد (٦/٣، ٤) باب وجوب الجهاد، وأحمد في المسند ١/٩٨ و٣٠١ و٢/٢٢٢ و٢٦٤ و٢٦٨ و٣١٤ و٣٩٦ و٤١٢ و٤٥٥ و٥٠١ و٣/٣٠٤ و٤/٤١٦، و٥/١٤٥ و١٤٨ و١٦٢ و٢٤٨ و٢٥٦، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) بتحقيقنا ـ ص ٤٦٢ و٥٣٧.

(٢) يُثخن: يضيّق.

(٣) سورة الأنفال ـ من الآية ٦٧.

فيْ قُلُوبِكُمْ خَيْـراً يُؤْتِكُمْ خَيْـراً مِمَّـا أُخِـذَ مِنْكُمْ ويَغْفِـرْ لَكُمْ. واللهُ غَفُـورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

وحضّ المسلمين على التواصل، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية الـدّين دون من سـواهم، وجعـل الكفّـار بعضهم أوليـاء بعض، ثم قـال ﴿إلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَـةٌ فيْ الأَرْضِ وفَسَـادٌ كَبِيـرٌ﴾(٢) أي إلاّ يـوال لمؤمن من دون الكـافر، وان كـان ذا رحِم به: ﴿تَكُنْ فِتْنَـةٌ فيْ الأَرْضِ﴾ أي شُبهة في الحقّ والباطل، وظهور الفساد في الأرض بتولّي المؤمن الكافر دون المؤمن.

ثم ردّ المـواريث إلى الأرحام ممّن أسلم بعـد الولايـة من المهـاجـرين والأنصـار دونهم إلى الأرحـام التي بينهم، فقـال: ﴿وَالَّـذِينَ آمَنُـوا مِنْ بَعْـدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ، وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فيْ كِتَابِ اللهِ﴾ أي بالميراث ﴿إنَّ اللهَ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنفال ـ من الآية ٦٨ ـ ٧٠.

(٢) سورة الأنفال ـ الآية ٧٣.

(٣) سورة الأنفال.

من حضر بدراً من المسلمين[1]

قال ابن اسحاق: وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين، ثم من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مَناف وبني المطّلب بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كِنانة:

محمد رسول الله - ﷺ - سيّد المرسلين، ابن عبدالله بن عبدالمطّلب بن هاشم، وحمزة بن عبد المطّلب بن هاشم، أسد الله، وأسد رسوله، عمّ رسول الله - ﷺ -، وعليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم، وزيد بن حارثة بن شُرحبيل بن كعب بن عبدالعُزَّى بن امرىء القيس الكلبيّ، أنعم الله عليه ورسوله - ﷺ -.

قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كعب بن وَبْرَة.

(١) المغازي للواقدي ١٥٢/١ - ١٧٢، المغازي لعروة ١٤٧ - ١٥٩، صحيح البخاري ٢١/٥، ٢٢، الدرر في المغازي والسير لابن عبد البرّ ١٢١ - ١٣٨، جوامع السيرة لابن حزم ١١٤ - ١٤٦، عيون الأثر ٢٧٢/١ - ٢٨٤، تلقيح فهوم الأثر لابن الجوزي ٤٢٤ - ٤٣٧، مجمع الزوائد للهيثمي ٩٧/٦ - ١٠٢ المحبّر لابن حبيب ٢٨٧.

قال ابن إسحاق: وأُنَسَة مولى رسول الله - ﷺ -، وأبو كبشة مولى رسول الله - ﷺ -.

قال ابن هشام: أُنَسَة: حبشي، وأبو كبشة: فارسي.

قال ابن إسحاق: وأبو مَرثَد كَنَّاز بن حِصْن بن يَربوع بن عَمرو بن يَربوع بن خَرَشَة بن سعد بن طُريف بن جِلّان بن غَنْم بن غَنيّ بن يَعْصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان.

قال ابن هشام: كنَّاز بن حُصَين.

قال ابن إسحاق: وابنه مَرْثَد بن أبي مَرْثَد، حليفا حمزة بن عبدالمطّلب؛ وعُبيدة بن الحارث بن المطّلب؛ وأخواه الطُفيل بن الحارث، والحُصَين بن الحارث؛ ومِسْطَح، واسمه عوف بن أثاثة بن عبّاد بن المطّلب. اثنا عشر رجلاً.

ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف: عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس، تخلّف على امرأته رُقيَّة بنت رسول الله - ﷺ - فضرب له رسول الله - ﷺ - بسهمه، قال: وأجري يا رسول الله، قال: وأجرك. وأبو حُذَيفة بن ربيعة بن عبد شمس، وسالم مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن هشام: واسم أبي حُذيفة: مِهْشَم.

قال ابن هشام: وسالم، سائبة لثُبَيْتَة بنت يَعار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، سيَّبته فانقطع إلى أبي حُذيفة فتبنّاه: ويقال: كانت ثُبيتة بنت يَعار تحت أبي حُذيفة بن عُتبة، فأعتقت سالماً سائبة، فقيل: سالم مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن إسحاق: وزعموا أنّ صُبيحاً مولى أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس تجهّز للخروج مع رسول الله - ﷺ -، ثم مرض، فحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛ ثم شهد صُبَيح

بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ -.

وشهد بدراً من حلفاء بني عبد شمس، ثم من بني أسد بن خُزيمة: عبدالله بن جحش بن رئاب بن يَعمر بن صَبْرة بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد، وعُكّاشة بن مِحْصَن بن حرثان بن قيس بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد؛ وشجاع بن وهْب بن ربيعة بن أسد بن صُهَيب بن مالك بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد؛ وأخوه عُقبة بن وهْب؛ ويزيد بن رُقَيش بن رئاب بن يَعمر بن صَبْرة بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد، وأبو سنان بن مِحْصن بن حرثان بن قيس، أخو عُكّاشة بن مِحْصَن، وابنه سنان بن أبي سنان، ومحرز بن نضْلة بن عبدالله بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد، وربيعة بن أكثم بن سَخبرة بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دودان بن أسد.

ومن حلفاء بني كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد: ثَقف بن عمرو، وأخواه: مالك بن عمرو ومُدْلج بن عمرو.

قال ابن هشام: مِدْلاج بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وهم من بني حَجْر، آل بني سُلَيم، وأبو مَخْشيّ، حليف لهم. ستة عشر رجلاً.

قال ابن هشام: أبو مَخْشيّ طائيّ، واسمه؛ سُويد بن مَخْشِيّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني نوفل بن عبد مَناف: عُتبة بن غزوان بن جابر بن وهْب بن نُسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان، وخبّاب، مولى عُتبة بن غزوان - رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ: الزُبير بن العوّام بن خُويلد بن أسد؛ وحاطب بن أبي بلتعة، وسعد مولى حاطب. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: حاطب بن أبي بلتعة، واسم أبي بلتعة: عمرو، لَخْميّ، وسعد مولى حاطب، كلبيّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبدالدّار بن قُصَيّ: مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبدمَناف بن عبدالدّار بن قُصَيّ، وسُويبط بن سعد بن حُرَيملة بن مالك بن عُمَيلة بن السّباق بن عبدالدار بن قُصَيّ. رجلان.

ومن بني زُهرة بن كلاب: عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، وسعد بن أبي وقّاص - وأبو وقّاص مالك بن أهْيب بن عبدمَناف بن زُهرة. وأخوه عُمير بن أبي وقّاص.

ومن حلفائهم: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن ثَور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هَزل بن قائش بن دُريم بن القَيْن بن أهْود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هزان بن قاس بن ذَر - ودهير بن ثور.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن مسعود بن الحارث بن شَمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبدالعُزَّى بن حمالة بن غالب بن محلِّم بن عائذة بن سُبيع بن الهُون بن خُزيمة، من القارة.

قال ابن هشام: القارة: لقب لهم. ويقال:

قد أنصف القارَةَ من رَامَاها(1)

وكانوا رُماة.

قال ابن إسحاق: وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مَلْكان بن أفْصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، من خُزاعة.

---

(1) جمهرة الأمثال ١/٥٥، ٥٦ لأبي هلال العسكري، ومجمع الأمثال للميداني ٢/١٠٠، وأخبار الدولة العباسية ١٢٠، وشرح نهج البلاغة ١٢٠/١٣٠، والعقد الفريد ٥/٣١١.

قال ابن هشام: وإنّما قيل له: ذو الشمالين، لأنه كان أعسر، واسمه عُمير.

قال ابن إسحاق: وخبّاب بن الأرتّ، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: خبّاب بن الأرتّ، من بني تميم، وله عقِب، وهم بالكوفة، ويقال: خبّاب من خُزاعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيم من مُرَّة، أبو بكر الصِّدِّيق، واسمه عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

قال ابن هشام: اسم أبي بكر. عبدالله، وعتيق: لقب، لحسْن وجهه وعتْقه.

قال ابن إسحاق: وبلال، مولى أبي بكر - وبلال مولَّد من مولَّدي بني جُمح، اشتراه أبو بكر من أُميَّة بن خَلَف، وهو بلال بن رباح، لا عقِب له، وعامر بن فُهَيرة.

قال ابن هشام: عامر بن فُهَيرة، مولَّد من مُوَلَّدي الأسد، أسود، اشتراه أبو بكر منهم.

قال ابن إسحاق: وصُهَيب بن سنان، من النَّمِر بن قاسط.

قال ابن هشام: النمِر: ابن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال: أفْصى بن دُعميّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: صُهَيب، مولى عبدالله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم ويقال: إنه رُوميّ. فقال بعض من ذكر إنه من النمر بن قاسط: إنما كان أسيراً في الروم فاشتُري منهم. وجاء في الحديث عن النبيّ - ﷺ -: «صُهيب سابق الروم»(١).

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٣/٢٢٦ وإسناده ضعيف لإرساله، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/١٩

قال ابن إسحاق: وطلحة بن عُبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، كان بالشأم، فقدِم بعد أن رجع رسول الله - ﷺ - من بدر، فكلّمه، فضرب له بسهمه فقال: وأجري يا رسول الله؟ قال: «وأجرك». خمسة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن مُرّة: أبو سَلَمة بن عبدالأسد واسم أبي سلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم، وشمّاس بن عثمان بن الشريد بن سُوَيد بن هَرْميّ بن عامر بن مخزوم.

قال ابن هشام: واسم شمّاس: عثمان، وإنّما سُمّي شمّاساً، لأنّ شمّاساً من الشمامِسة قَدِم مكة في الجاهلية، وكان جميلاً، فعجِب الناس من جماله. فقال عُتبة بن ربيعة وكان خال شمّاس ها أنا آتيكم بشمّاس أحسن منه، فأتى بابن أخته عثمان فسُمّي شمّاساً، فيما ذكر ابن شهاب الزُهْريّ وغيره.

قال ابن إسحاق: والأرقم بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم: عبدمَناف بن أسد وكان أسد يُكَنّى: أبا جُنْدب بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وعمّار بن ياسر.

قال ابن هشام: عمّار بن ياسر، عنْسيّ، من مَذْحِج.

قال ابن إسحاق: ومُعَتِّب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عَفيف بن كُلَيب بن حُبْشِيَّة بن سَلول بن كعب بن عمرو، حليف لهم من خُزاعة، وهو الذي يُدْعَى: عَيْهامة. خمسة نفر.

ومن بني عدِيّ بن كعب: عمر بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبدالعُزّى بن رياح بن عبدالله بن قُرْط بن رَزاح بن عدِيّ وأخوه زيد بن الخطّاب، ومِهْجَع، مولى عمر بن الخطاب، من أهل اليمن، وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفّين يوم بدر، رُمي بسهم.

قال ابن هشام: مِهْجَع، من عكّ بن عدنان.

قال ابن إسحاق: وعمرو بن سُراقة بن المعتمِر بن أنس بن أذاة بن عبدالله بن قُرْط بن رِياح بن رَزاح بن عدِيّ بن كعب، وأخوه عبدالله بن سُراقة، وواقد بن عبدالله بن عبد مَناف بن عمر بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، حليف لهم، وخَوْلَى بن أبي خَوْلى، ومالك بن أبي خَوْلى، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خَوْلى، من بني عجْل بن لُجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وعامر بن ربيعة، حليف آل الخطّاب، من عنز بن وائل.

قال ابن هشام: عَنز بن وائل: ابن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أفْصى: ابن دُعْميّ بن جَدِيلة.

قال ابن إسحاق: وعامر بن البُكَير بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيرَة، من بني سعد بن ليث؛ وعاقل بن البُكير؛ وخالد بن البُكير، وإياس بن البُكير، حلفاء بني عدِيّ بن كعب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبدالعُزَّى بن عبدالله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كعب، قدم من الشأم بعد ما قدِم رسول الله - ﷺ - من بدر، فكلّمه، فضرب له رسول الله - ﷺ - بسهمه، قال: وأجري يا رسول الله؟ قال: وأجرك. أربعة عشر رجلاً.

ومن بني جُمح بن عَمرو بن هُصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وابنه السائب بن عثمان، وأخواه قُدامة بن مظعون، وعبدالله بن مظعون، ومَعْمَر بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح. خمسة نفر.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن خُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم. رجل.

قال ابن إسحاق: من بني عامر بن لُؤَيّ، ثم من بني مالك بن حِسْل بن عامر: أبو سَبرة ابن أبي رُهْم بن عبدالعُزَّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل، وعبدالله بن مخرمة بن عبدالعُزَّى بن قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك، وعبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ـ كان خرج مع أبيه سُهيل بن عمرو، فلما نزل الناس بدراً فرّ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فشهدها معه ـ وعُمير بن عوف، مولى سُهيل بن عمرو، وسعد بن خَوْلة، حليف لهم خمسة نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خولة من اليمن.

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فِهْر: أبو عُبيدة بن الجراح، وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهْيب بن ضَبَّة بن الحارث، وعمرو بن الحارث بن زُهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن أهْيَب بن ضبّة بن الحارث؛ وسُهيل بن وهْب بن ربيعة بن هلال بن أبي أهْيب بن ضبّة بن الحارث؛ وأخوه صفوان بن وهْب، وهما ابنا بيضاء؛ وعمرو بن أبي سرْح بن ربيعة بن هلال بن أهْيب بن ضبّة بن الحارث. خمسة نفر.

فجميع من شهد بدراً من المهاجرين، ومن ضرب له رسول الله ـ ﷺ ـ بسهمه وأجره، ثلاثة وثمانون رجلاً.

قال ابن هشام: كثير من أهل العلم، غير ابن إسحاق، يذكرون في المهاجرين ببدر، في بني عامر بن لُؤَيّ: وهْب بن سعد بن أبي سرح، وحاطب بن عمرو؛ وفي بني الحارث بن فِهْر: عِياض بن زهير.

قال ابن إسحاق: وشهد بدراً مع رسول الله ـ ﷺ ـ من المسلمين، ثم من الأنصار، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبدالأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: سعد بن مُعاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل؛ وعمرو بن مُعاذ بن النعمان؛ والحارث بن أوس بن مُعاذ بن النعمان

والحارث بن أنس بن رافع بن امريء القيس.

ومن بني عُبيد بن كعب بن عبد الأشهل: سعد بن زيد بن مالك بن عُبيد. ومن بني زُعورا بن عبد الأشهل ـ قال ابن هشام: ويقال: زُعُورا ـ سلمة بن سلامة بن وقْش بن زُغبة، وعبّاد بن بِشْر بن وقْش بن زُغبة بن زُعُورا؛ وسلمة بن ثابت بن وقش؛ ورافع بن يزيد بن كُرْز بن سكَن بن زُعُورا؛ والحارث بن خزمة بن عديّ بن أُبَيّ بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لهم من بني عوف بن الخزرج. ومحمد بن مَسْلمة بن خالد بن عدِيّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بني حارثة بن الحارث، وسلمة بن أسلم بن حُريش بن عديّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة بن الحارث.

قال ابن هشام: أسلم: بن حُرَيْس بن عديّ.

قال ابن إسحاق: وأبو الهيثم بن التّيهّان، وعُبيد بن التّيّهان.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التّيِّهان.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن سهل. خمسة عشر رجلاً.

قال ابن هشام: عبدالله بن سهل: أخو بني زَعُورا؛ ويقال؛ من غسّان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظَفَر، ثم من بني سَواد بن كعب، وكعب: هو ظفَر ـ قال ابن هشام: ظَفَر: ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: قَتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد؛ وعُبيد بن أوس بن مالك بن سواد. رجلان.

قال ابن هشام: عُبيد بن أوس الذي يقال له: مقرّن، لأنه قرن أربعة أسرى في يوم بدر. وهو الذي أسر عَقِيل بن أبي طالب يومئذ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد بن رِزاح بن كعب: نصر بن الحارث بن عبد؛ ومعتِّب بن عبد.

ومن حلفائهم، من بَلّي: عبدالله بن طارق. ثلاثة نفر.

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مسعود بن سعد بن عامر بن عديّ بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: مسعود بن عبد سعد.

قال ابن إسحاق: وأبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

ومن حلفائهم، ثم من بَليّ: أبو بُرْدة بن نيار، واسمه: هانيء بن نيار بن عمرو بن عُبيد بن كِلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هُنَيّ بن بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. ثلاثة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: عاصم بن ثابت بن قيس. وقيس أبو الأقلح بن عِصمة بن مالك بن أَمَة بن ضُبَيعة ـ ومعتِّب بن قُشَير بن مُلَيل بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة؛ وأبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة؛ وعمرو بن مَعبد بن الأزعر بن زيد بن العَطّاف بن ضُبيعة.

قال ابن إسحاق: عُمير بن مَعْبد.

قال ابن إسحاق: وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مَجْدعة بن الحارث بن عمرو، وعمرو الذي يقال له: بحزج بن حَنَس بن عوف بن عمرو بن عوف. خمسة نفر.

ومن بني أُميَّة بن زيد بن مالك: مُبشِّر بن عبدالمنذر بن زَنبر بن زيد بن أُميَّة؛ ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنبر؛ وسعد بن عُبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أُميّة. وعُوَيم بن ساعدة؛ ورافع بن عُنْجدة ـ وعُنْجدة أمّه، فيما قال ابن هشام ـ وعُبيد بن أبي عُبيد؛ وثعلبة بن حاطب.

وزعموا أنّ أبا لُبابة بن عبدالمنذر؛ والحارث بن حاطب خرجا مع

رسول الله - ﷺ - فرجّعهما، وأمّر أبا لُبابة على المدينة، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر. تسعة نفر.

قال ابن هشام: ردّهما من الرَّوْحاء.

قال ابن هشام: وحاطب بن عمرو بن عُبيد بن أُميّة، واسم أبي لُبابة: بشير.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيد بن زيد بن مالك: أُنيس بن قَتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عُبيد.

ومن حلفائهم من بَلِيّ: مَعن بن عدِيّ بن الجَدّ بن العَجْلان بن ضُبيعة، وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدِيّ بن العَجْلان، وعبدالله بن سَلَمة بن مالك بن الحارث بن عدِيّ بن العَجْلان؛ وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدِيّ بن العَجْلان؛ ورِبْعِيّ بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجَدّ بن العَجْلان. وخرج عاصم بن عديّ بن الجَدّ بن العَجْلان، فردّه رسول الله - ﷺ -، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر[1]. سبعة نفر.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: عبدالله بن جُبير بن النعمان بن أُميّة بن البرك - واسم البرك: امرؤ القيس بن ثعلبة - وعاصم بن قيس.

قال ابن هشام: عاصم بن قيس: ابن ثابت بن النعمان بن أُميّة بن امريء القيس بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وأبو ضَيّاح بن ثابت بن النعمان بن أُمَيَّة بن امريء القيس بن ثعلبة؛ وأبو حَنَّة.

قال ابن هشام: وهو أخو أبي ضَيّاح؛ ويقال: أبو حَبّة. ويقال لامريء القيس: البرك بن ثعلبة.

---

(١) وردّه لأنه بلغه شيء عن أهل مسجد الضرار وكان قد استخلفه على قُباء والعالية فردّه لينظر في ذلك. (الروض الأنف ٣/٩٩)

قال ابن إسحاق: وسالم بن عُمير بن ثابت بن النعمان بن أُميّة بن امريء القيس بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: ثابت: ابن عمرو بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: والحارث بن النعمان بن أُميّة بن امريء القيس بن ثعلبة، وخوّات بن جُبير بن النعمان، ضرب له رسول الله - ﷺ - بسهم مع أصحاب بدر. سبعة نفر.

ومن بني جَحجبى بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوف: منذر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيْحَة بن الجلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبى بن كُلْفة.

قال ابن هشام: ويقال: الحَرِيس بن جَحْجَبَى.

قال ابن إسحاق: ومن حلفائهم من بني أُنَيْف: أبو عَقيل بن عبدالله بن ثعلبة بن بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُنَيْف بن جُشَم بن عبدالله بن تَيْم بن إراش بن عامر بن عُمَيْلة بن قَسْمِيل بن فَرَان بن بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال تميم بن إراشة، وقَسْميل بن فاران.

قال ابن إسحاق: ومن بني غَنْم بن السَّلْم بن امريء القيس بن مالك بن الأوس: سعد بن خَيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم؛ ومنذر بن قُدامة بن عَرْفجة؛ ومالك بن قُدامة بن عَرْفجة.

قال ابن هشام: عَرْفَجة: ابن كعب بن النّحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم.

قال ابن إسحاق: والحارث بن عَرْفجة؛ وتميم، مولى بني غَنْم. خمسة نفر.

قال ابن هشام: تميم: مولى سعد بن خيثمة.

قال ابن إسحاق: ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عَوف: جبر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أُميّة بن معاوية؛ ومالك بن نُمَيلة، حليف لهم من مُزَينة؛ والنعمان بن عصر، حليف لهم من بَلّي: ثلاثة نفر.

فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسول الله ـ ﷺ ـ ومن ضرب له بسهمه وأجره، أحد وستون رجلاً.

قال ابن إسحاق: وشهد بدراً مع رسول الله ـ ﷺ ـ من المسلمين، ثم من الأنصار ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني الحارث بن الخزرج، ثم من بني امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس؛ وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس؛ وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امريء القيس بن عمرو بن امريء القيس؛ وخلّاد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امريء القيس. أربعة نفر.

ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: بَشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس بن زيد ـ قال ابن هشام: ويقال: جُلاس، وهو عندنا حطأ ـ وأخوه سِماك بن سعد. رجلان.

ومن بني عديّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: سُبيع بن قيس بن عَيشة بن أُميّة بن مالك بن عامر بن عدِيّ؛ وعبّاد بن قيس بن عَيْشَة، أخوه.

قال ابن هشام: ويقال: قيس: ابن عَبَسة بن أُميّة.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن عَبْس. ثلاثة نفر.

ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن

الخزرج: يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر، وهو الذي يقال له: ابن فُسحم. رجل.

قال ابن هشام: فُسحم أمّه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر.

قال ابن إسحاق: ومن بني جُشَم بن الحارث بن الخزرج، وزيد بن الحارث بن الخزرج، وهما التوءمان: خُبَيب بن إساف بن عُتبة بن عمرو بن خَدِيج بن عامر بن جُشم؛ وعبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه بن زيد؛ وأخوه حُرَيث بن زيد بن ثعلبة؛ زعموا، وسفيان بن بشر. أربعة نفر.

قال ابن هشام: سفيان بن نَسر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد.

قال ابن إسحاق: ومن بني جِدَارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: تميم بن يعار بن قيس بن عديّ بن أُميّة بن جِدارة؛ وعبدالله بن عُمير من بني حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: عبدالله بن عُمير بن عدِيّ بن أُميّة بن جِدارة.

قال ابن إسحاق: وزيد بن المزيَّن بن قيس بن عديّ بن أُميّة بن جِدارة.

قال ابن هشام: زيد بن المُرَي.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن عرفطة بن عدِيّ بن أُميّة بن جِدارة، أربعة نفر.

ومن بني الأبجر، وهم بنو خُدْرة، بن عوف بن الحارث بن الخزرج: عبدالله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عبّاد بن الأبجر. رجل.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني عُبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحُبْليّ - قال ابن هشام: الحُبْلي: سالم بن غَنْم بن عوف، وإنّما سُمّي الحُبْليّ، لِعظَم بطْنه -: عبدالله بن عبدالله بن أُبَيّ بن مالك بن الحارث بن عُبيد المشهور بابن سلول، وإنّما

سَلول امرأة، وهي أمّ أُبَيّ: وأوس بن خَوْلَى بن عبدالله بن الحارث بن عُبيد. رجلان.

ومن بني جَزء بن عدِيّ بن مالك بن سالم بن غَنْم: زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء، وعُقبة بن وهْب بن كَلَدة، حليف لهم من بني عبدالله بن غطفان؛ ورِفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم، وعامر بن سلمة بن عامر، حليف لهم من أهل اليمن. قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن سلمة وهو من بَليّ، من قُضاعة.

قال ابن إسحاق: وأبو حُمَيضة مَعْبَد بنْ عبّاد بن قُشَير بن المقدَّم بن سالم بن غَنْم.

قال ابن هشام: مَعبد بن عبادة بن قَشْغَر بن المقدّم، ويقال: عُبادة بن قيس بن القُدْم.

قال ابن إسحاق: وعامر بن البُكَير، حليف لهم. ستة نفر.

قال ابن هشام: عامر بن العُكير، ويقال: عاصم بن العُكَير.

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: نوفل بن عبدالله بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان رجل.

ومن بني أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف ـ قال ابن هشام: هذا غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وغَنْم بن سالم، الذي قبله على ما قال ابن إسحاق ـ: عُبادة بن الصّامت بن قيس بن أصرم، وأخوه أوس بن الصّامت. رجلان.

ومن بني دعد بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد، والنعمان الذي يقال له. قَوْقل. رجل.

ومن بني قُريُوش بن غَنْم بن أُميّة بن لَوْذان بن سالم ـ قال ابن هشام:

ويقال قُرْيوس بن غَنْم ـ ثابت بن هزّال بن عمرو بن قريوش. رجل.

ومن بني مَـرْضَخَة بن غَنْم بن سـالم: مالـك بن الدُّخْشُم بن مَـرْضَخَة. رجل.

قال ابن هشام: مالك بن الدُّخْشُم: ابن مالك بن الدُّخْشُم بن مَرْضَخَة.

قال ابن إسحاق: ومن بني لَوْذان بن سالم: ربيع بن إياس بن عمرو بن غَنْم بن أُميَّة بن لَوْذَان، وأخوه وَرَقة بن إيـاس، وعمرو بن إيـاس، حليف لهم من أهل اليمن. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن إياس، أخو ربيع وورقة.

قال ابن إسحاق: ومن حلفائهم من بَليّ، ثم من بني غُصَينة ـ قـال ابن هشام: غُصَينة، أمّهم، وأبوهم عمرو بن عمارة ـ المجذّر بن ذِياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مـالك بن غُصَينـة بن عمرو بن بُتَيْـرة بن مَشْنُوّ بن قَسْـر بن تَيْم بن إراش بن عـامـر بن عُميلة بن قِسْمِيل بـن فَـرَان بن بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة.

قـال ابن هشام: ويقـال: قَسَرْ بن تميم بن إراشـة، وقسميل بن فـاران. واسم المجذّر: عبدالله.

قال ابن إسحاق: وعُبادة بن الخَشْخاش بن عمرو بن زُمْزُمَة، ونَحّاب بن ثعلبة بن حَزْمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة.

قال ابن هشام: ويقال بَحّاث بن ثعلبة.

قـال ابن إسحاق: وعبـدالله بن ثعلبة بن حَـزْمة بن أصـرم. وزعمـوا أنَّ عُتبة بن ربيعة بن خـالد بن معـاوية ـ حليف لهم ـ من بَهـراء، قد شهِـد بدراً، خمسة نفر.

قال ابن هشام: عُتبة بن بَهْز، من بني سُليم.

قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة: أبو دُجانة، سِماك بن خَرَشَة.

قال ابن هشام: أبو دُجانة: سِماك بن أوس بن خَرَشَة بن لَوْذان بن عبد وَدْ بن زيد بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: والمنذر بن عمرو بن خُنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: المنذر: ابن عمرو بن خَنْبَش.

قال ابن إسحاق: ومن بني البَدِيّ بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة: أبو أُسيد مالك بن ربيعة بن البدِيّ، ومالك بن مسعود وهو إلى البديّ. رجلان.

قال ابن هشام: مالك بن مسعود: ابن البديّ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ومن بني طَريف بن الخزرج بن ساعدة: عبد ربّه بن حَقّ بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طَريف. رجل.

ومن حلفائهم، من جُهينة: كعب بن حِمار بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: كعب: ابن جماز، وهو من غُبْشان.

قال ابن إسحاق: وضَمْرة وزياد وبَسْبس، بنو عمرو.

قال ابن هشام: ضَمْرة وزياد، ابنا بِشْر.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن عامر، من بَلّي. خمسة نفر.

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلِمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشم بن الخزرج، ثم من بني حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: خرَاش بن الصّمَّة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن

حَــرام، والحُبـاب بن المنــذر بن الجَمُـوح بن زيــد بن حَــرام؛ وعُميــر بن الحُمـام بن الجَمـوح بن زيـد بن حَـرام؛ وتميم مـولى خَـراش بن الصِّمَّــة، وعبدالله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حَرام، ومُعاذ بن عمـرو بن الجَموح؛ ومُعوّذ بن عمرو بن الجَموح بن زيد بن حَرام، وخلّاد بن عمرو بن الجَموح بن زيد بن حَرام؛ وعُقبـة بن عامـر بن نابي بن زيـد بن حَرام، وحبيب بن أسـود، مولى لهم، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حَرام. اثنا عشر رجلاً.

قال ابن هشام: وكلّ ما كان ها هنا الجَموح، فهـو الجَموح بن زيـد بن حَرام، إلا ما كان من جدّ الصِّمّة بن عمرو، فإنه الجَموح بن حَرام.

قال ابن هشام: عُمير بن الحارث: ابن لَبْدَة بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيـد بن عدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمـة، ثم من بني خَنْساء بن سِنان بن عُبيـد: بِشْر بن البـراء بن مَعرور بن صخـر بن مـالك بن خنسـاء، والطُفيـل بن مالـك بن خنسـاء، والـطُفيـل بن النَعمـان بن خنساء، وسنان بن صيفيّ بن صخر بن خنساء، وعبدالله بن الجدّ بن قيس بن صخر بن خنساء، وعُتبـة بن عبدالله بن صخـر بن خنساء، وجبّـار بن صخْر بن أميـة بن خنسـاء، وخـارجـة بن حُمَيّـر، وعبـدالله بن حُمَيّر، حليفـان لهم من أشجع، من بني دُهْمان. تسعة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: جبّار: بن صخر بن أُميّة بن خُناس.

قــال ابن إسحـاق: ومن بني خُنــاس بن سِنــان بن عُبيــد: يـزيــد بن المنذر بن سرح بن خُناس، ومعقل بن المنذر بن سرح بن خُناس، وعبدالله بن النعمان بن بَلْدَمَة.

قال ابن هشام: ويقال: بلذُمة وبلدُمة.

قـال ابن إسحاق: والضّحّـاك بن حارثـة بن زيـد بن ثعلبـة بن عُبيـد بن عدّي، وسواد بن زُريق بن ثعلبة بن عُبيد بن عدِيّ.

قال ابن هشام: ويقال: سواد: ابن رِزن بن زيد بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: ومَعْبد بن قيس بن صخر بن حَرام بن ربيعة بن عديّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة. ويقال: مَعْبد بن قيس: ابن صيفيّ بن صخر بن حَرام بن ربيعة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن قيس بن صخر بن حَرام بن ربيعة بن عديّ بن غَنْم. سبعة نفر. ومن بني النعمان بن سِنان بن عُبيد: عبدالله بن عبدمَناف بن النعمان، وجابر بن عبدالله بن رئاب بن النعمان: وخُليدة بن قيس بن النعمان. والنعمان بن سنان، مولى لهم. أربعة نفر.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، ثم من بني حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سواد ـ قال ابن هشام: عمرو بن سواد، ليس لسواد ابن يقال له غنم ـ: أبو المنذر، وهو يزيد بن عامر بن حَدِيدة؛ وسليم بن عمرو بن حَديدة؛ وقُطبة بن عامر بن حَديدة؛ وعنترة مولى سُليم بن عمرو. أربعة نفر.

قال ابن هشام: عنترة، من بني سُلَيم بن منصور، ثم من بني ذَكْوان.

قال ابن إسحاق: ومن بني عدِيّ بن نابي بن عمرو بن سواد بن غَنْم: عبْس بن عامر بن عدِيّ، وثعلبة بن غَنَمة بن عديّ، وأبو اليَسَر، وهو كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم بن سواد، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القَيْن بن كعب بن سواد، وعمرو بن طَلْق بن زيد بن أُميّة بن سِنان بن كعب بن غَنْم، ومُعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدِيّ بن كعب بن عدِيّ بن أُدَّى بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر. ستة نفر.

قال ابن هشام: أوس: ابن عبّاد بن عدِيّ بن كعب بن عمرو بن أُدَّى بن سعد.

قال ابن هشام: وإنّما نَسَب ابنُ إسحاق مُعاذَ بن جبل في بني سواد، وليس منهم، لأنه فيهم.

قال ابن إسحاق: والذين كسروا آلهة بني سَلِمة: مُعاذ بن جبل، وعبدالله بن أُنيس، وثعلبة بن غَنَمَة، وهم في بني سواد بن غَنْم.

قال ابن إسحاق: ومن بني زُريق بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضْب بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني مُخَلّد بن عامر بن زُريق - قال ابن هشام: ويقال: عامر: ابن الأزرق - قيس بن مُحْصِن بن خالد بن مخلَّد.

قال ابن هشام: ويقال: قيس: ابن حصْن.

قال ابن إسحاق: وأبو خالد وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مخلّد، وجبير بن إياس بن خالد، بن مخلّد، وأبو عبادة، وهو سعد بن عثمان بن خَلَدة بن مخلّد، وأخوه عُقبة بن عثمان بن خَلَدة، بن مُخَلَّد، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مخلّد؛ ومسعود بن خَلَدة، بن عامر بن مخلّد. سبعة نفر.

ومن بني خالد بن عامر بن زُريق: عبّاد بن قيس بن عامر بن خالد. رجل.

ومن بني خالدة بن عامر بن زُريق: أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خَلَدة، والفاكه بن بِشْر بن الفاكه بن زيد بن خَلَدة.

قال ابن هشام: بُسْر بن الفاكه.

قال ابن إسحاق: ومُعاذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدة؛ وأخوه: عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدة؛ ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلَدة. خمسة نفر.

ومن بني العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُريق: رفاعة بن رافع بن العَجْلان، وأخوه خلّاد بن رافع بن مالك بن العَجْلان، وعُبيد بن زيد بن عامر بن العَجْلان. ثلاثة نفر.

ومن بني بَياضة بن زُريق: زياد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عديّ بن أُميّة بن بَياضة؛ وفروة بن عمرو بن وذْفة بن عُبيد بن عامر بن بياضة.

قال ابن هشام: ويقال: وَدْفة.

قال ابن إسحاق: وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بياضة: ورُجَيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة.

قال ابن هشام: ويقال: رُخَيلة.

قال ابن إسحاق: وعطيّة بن نُويرة بن عامر بن عطيّة بن بَياضة؛ وخليفة بن عدِيّ بن عمرو بن مالك بن عامر بن فُهَيْرة بن بياضة. ستة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: عُلَيفة.

قال ابن إسحاق: ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: رافع بن المُعَلّى بن لَوْذان بن حارثة بن عدِيّ بن زيد بن ثعلبة بن زيد مَناة بن حبيب. رجل.

قال ابن إسحاق: ومن بني النّجّار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني غَنْم بن مالك بن النّجّار، ثم من بني ثعلبة بن عبد عوف بن غَنْم: أبو أيوب خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة. رجل.

ومن بني عُسيرة بن عبد عوف بن غَنْم: ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عُسيرة. رجل.

قال ابن هشام: ويقال: عُسير، وعُشيرة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عوف بن غَنْم: عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو، وسُراقة بن كعب بن عبدالعُزَّى بن غَزِية بن عمرو. رجلان.

ومن بني عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم: حارثة بن النعمان بن زيد بن عُبيد، وسليم بن قيس بن قَهْد: واسم قَهْد: خالد بن قيس بن عُبيد. رجلان.

قال ابن هشام: حارثة بن النعمان: ابن نَفْع بن زيد.

قال ابن إسحاق: ومن بني عائذ بن ثعلبة بن غنْم ـ ويقال عابد فيما قال ابن هشام ـ: سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ، وعديّ بن الزَّغْباء، حليف لهم من جُهينة، رجلان.

ومن بني زيد بن ثعلبة بن غَنْم: مسعود بن أوس بن زيد؛ وأبو خُزيمة بن أوس بن زيد؛ بن أصرم بن زيد، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد. ثلاثة نفر.

ومن بني سواد بن مالك بن غَنْم: عوف، ومُعوّذ، ومُعاذ، بنو الحارث بن رفاعة بن سواد؛ وهم بنو عفراء.

قال ابن هشام: عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النّجّار، ويقال: رفاعة: ابن الحارث بن سواد.

قال ابن إسحاق: والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد؛ ويقال: نُعيمان فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعامر بن مخلّد بن الحارث بن سواد؛ وعبدالله بن قيس بن خالد بن خَلَدة بن الحارث بن سواد، وعُصَيمة، حليف لهم من أشجع، ووديعة بن عمرو، حليف من جُهينة؛ وثابت بن عمرو بن زيد بن عديّ بن سواد. وزعموا أنّ أبا الحمراء، مولى الحارث بن عفراء، قد شهد بدراً. عشرة نفر.

قال ابن هشام: أبو الحمراء، مولى الحارث بن رفاعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن مالك بن النّجّار ـ وعامر: مبذول ـ ثم من بني عتيك بن عمرو بن مبذول: ثعلبة بن عمرو بن مِحْصَن بن عمرو بن عَتِيك؛ وسهل بن عَتِيك بن عمرو بن النعمان بن عَتِيك، والحارث بن الصّمّة بن عمرو بن عَتِيك، كُسِر به بالرَّوْحاء فضرب له رسول الله ـ ﷺ ـ بسهمه. ثلاثة نفر.

ومن بني **عمرو بن مالك بن النّجّار** ـ وهم بنو حُدَيلة ـ **ثم من بني قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك** بن النّجّار.

قال ابن هشام: **حُدَيلة بنت مالك** بن زيدالله بن **حبيب بن عبد** حارثة **بن مالك** بن **غَضْب بن جُشَم** بن **الخزرج، وهي** أمّ معاوية بن **عمرو بن مالك بن النّجّار، فبنو معاوية ينتسبون إليها.**

قال ابن إسحاق: **أُبَيّ بن كعب بن قيس،** وأنس بن **مُعاذ بن أنس بن** قيس. **رجلان.**

ومن بني عَدِيّ بن عمرو بن مالك بن النّجّار.

قال ابن هشام: وهم بنو مَغالة بنت عوف بن **عبد** مَناة **بن عمرو بن مالك بن كِنانة بن خُزيمة،** ويقال: إنها من بني زُرَيق، **وهي أمّ عدِيّ بن عمرو بن مالك** بن النّجّار، فبنو عَدِيّ يُنسبون إليها.

أوس بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن **عدِيّ، وأبو شيخ أُبَيّ بن ثابت** بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عدِيّ.

قال ابن هشام: أبو شيخ بن أُبَيّ بن ثابت، أخو حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وأبو طلحة، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حَرام بن عمرو بن زيد بن عدِيّ. ثلاثة نفر.

ومن بني عدِيّ بن النّجّار، ثم من بني عدِيّ بن عامر بن غَنْم بن النّجّار: حارثة بن سُراقة بن الحارث بن عدِيّ بن مالك بن عدِيّ بن عامر، وعمر بن ثعلبة بن وهْب بن عدِيّ بن مالك بن عدِيّ بن عامر وهو أبو حكيم، وسَلِيط بن قيس بن عمرو بن عَتِيك بن مالك بن عدِيّ بن عامر، وأبو سَلِيط، **وهو أُسَيرة بن عمرو،** وعمرو **أبو خارجة بن قيس بن مالك** بن عدِيّ بن عامر، وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدِيّ بن عامر، وعامر بن أُميّة بن زيد بن الحَسْحاس بن مالك بن عدِيّ بن عامر، ومُحرز بن عامر بن

مـالك بن عـدِيّ بن عامـر، وسواد بن غَـزِيّـة بن أهْيَب، حليف لهم من بَليّ. ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال: سوَّاد.

قال ابن إسحاق: ومن بني حـرام بن جُنْدب بن عـامـر بن غَنْم بن عدِيّ بن النّجّار: أبـو زيد قيس بن سكن بن قيس بن زَعُـوراء بن حَرام، وأبـو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبْس بن حَرام.

قال ابن هشام: ويقال: أبو الأعور: الحارث بن ظالم.

قال ابن إسحاق: وسُليم بن مِلحان، وحَرام بن مِلْحان ـ واسم مِلْحان: مالك بن خالد بن زيد بن حَرام. أربعة نفر.

ومن بني مـازن بن النّجّـار، ثم من بني عـوف بن مبـذول بن عمـرو بن غَنْم بن مـازن بن النّجّـار: قيس بن أبي صعصعـة، واسم أبي صعصعـة: عمـرو بن زيد بن عـوف ـ وعبدالله بن كعب بن عمـرو بن عـوف؛ وعُصَيمـة، حليف لهم من بني أسد بن خُزيمة: ثلاثة نفر.

ومن بني خنسـاء بن مبـذول بن عمـرو بن مـازن: أبـو داود عُمَيـر بن عامر بن مالك بن خنساء، وسُراقة بن عمرو بن عطيّة بن خنساء. رجلان.

ومن بني ثعلبـة بن مـازن بن النّجّـار: قيس بن مُخَلّد بن ثعـلبـة بن صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة. رجل.

ومن بني دينـار بن النّجّـار، ثم من بني مسعـود بن عبـد الأشهـل بن حارثة بن دينـار بن النّجّار: النعمـان بن عبد عمـرو بن مسعود، والضَّحَّـاك بن عبـد عمرو بن مسعـود، وسُليم بن الحارث بن ثعلبـة بن كعب بن حـارثـة بن دينـار، وهو أخـو الضّحّاك والنُّعمـان ابني عبـد عمـرو، لأمّهمـا، وجـابـر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن سُهيل بن عبدالأشهل: خمسة نفر.

ومن بني قيس بن مـالـك بن كعب بن حـارثـة بن دينـار بن النّجّـار:

كعب بن زيد بن قيس، وبُجير بن أبي بُجَير، حليف لهم. رجلان.

قال ابن هشام: بُجير: من عبْس بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان، ثم من بني جَذِيمة بن رَواحة.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد بدراً من الخزرج مئة وسبعون رجلاً.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العِلم يذكر في الخزرج ببدر، في بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عمرو بن عوف بن الخزرج: عُتبان بن مالك بن عمرو بن العَجْلان، ومُلَيل بن وَبْرَة بن خالد بن العجْلان، وعِصْمة بن الحُصَيْن بن وَبرة بن خالد بن العَجْلان.

وفي حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، وهم في بني زُريق هلال بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عدِيّ بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مَناة بن حبيب.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد بدراً من المسلمين، من المهاجرين والأنصار من شهدها منهم، ومن ضرب له بسهمه وأجره، ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً(١)، ومن الأوس واحد وستون رجلاً، ومن الخزرج مئة وسبعون رجلاً(٢).

من استُشْهد من المسلمين يوم بدر(٣)

واستُشْهِد من المسلمين يوم بدر، مع رسول الله ـ ﷺ ـ، من قريش، ثم من بني المطّلب بن عبد مَناف: عُبيدة بن الحارث بن المطّلب، قتله

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٧٧

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٧٧

(٣) المغازي للواقدي ١/١٤٥ ـ ١٤٧، المغازي لعروة ٢٥٣، تاريخ الطبري ٢/٤٧٧، سيرة ابن كثير ٢/٥١٠، عيون الأثر ١/٢٨٤، ٢٨٥، أنساب الأشراف ١/٢٩٥، ٢٩٦

عُتبة بن ربيعة، قطع رِجْله، فمات بالصفراء. رجل.

ومن بني زُهـرة بن كِـلاب. عُميـر بن أبي وقّـاص بن أهْيب بن عبـد مَنـاف بن زُهرة، وهـو أخو سعـد بن أبي وقّـاص، فيمـا قـال ابن هشـام، وذو الشمـالين بن عبـد عَمـرو بن نَضْلة، حليف لهم من خُـزاعـة، ثم من بني غُبْشان. رجلان.

ومن بني عـدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ: عـاقـل بن البُكَيـر، حليف لهم من بني سعـد بن ليث بن بكر بن عبـد مَناة بن كِنـانـة، ومِهْجَـع، مـولى عمـر بن الخطّاب. رجلان.

ومن بني الحارث بن فِهْر: صفوان بن بيضاء رجل. ستة نفر.

ومن الأنصار، ثم من بني عمرو بن عـوف: سعد بن خَيثمـة، ومبشّر بن عبد المنذر بن زنبر. رجلان.

ومن بني الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له: ابن فسْحم. رجل.

ومن بني سَلِمـة، ثم من بني حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمـة عُمَير بن الحُمام. رجل.

ومن بني حبيب بن عبـد حارثـة بن مالـك بن غَضْب بن جُشَم: رافع بن المُعَلّى. رجل.

ومن بني النَّجّار: حارثة بن سُراقة بن الحارث. رجل.

ومن بني غَنْم بن مـالـك بن النّجّـار: عـوف ومُعَـوّذ، ابنـا الحـارث بن رفاعة بن سواد، وهما ابنا عفراء. رجلان. ثمانية نفر.

من قُتل ببدر من المشركين[1]

وقُتل من المشركين يوم بدر من قريش، ثم من بني عبد شمس بن عبد مَناف: حنظلة بن أبي سُفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس، قتله زيد بن حارثة، مولى رسول الله - ﷺ - فيما قال ابن هشام، ويقال: اشترك فيه حمزة وعليّ وزيد، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: والحارث بن الحضْرميّ، وعامر بن الحضْرميّ حليفان لهم قتل عامراً: عمّار بن ياسر، وقتل الحارث: النعمان بن عصر، حليف للأوس، فيما قال ابن هشام. وعُمير بن أبي عُمَير، وابنه: مَوْلَيان لهم. قتل عُمير بن أبي عمير؛ سالم، مولى أبي حُذيفة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعُبيدة بن سعيد بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، قتله الزُبير بن العوّام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة قتله عليّ بن أبي طالب. وعُقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أُميّة بن عبد شمس، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف، صبراً[2].

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله عُبيدة بن الحارث بن المطّلب.

قال ابن هشام: اشترك فيه هو وحمزة وعليّ.

قال ابن إسحاق: وشَيبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله حمزة بن عبدالمطّلب، والوليد بن عُتبة بن ربيعة، قتله عليّ بن أبي طالب، وعامر بن

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٤٧ - ١٥٢، أنساب الأشراف ١/٢٩٦ - ٣٠١، تاريخ الإسلام (المغازي)، ١٢٥، عيون الأثر ١/٢٨٥.

(٢) قُتل صبراً: شُدّت يداه ورِجلاه، أو أمسك به أحد ليقتل.

عبـدالله، حليف لهم من بني أنمار بن بَغيض، قتله عليّ بن أبي طـالب. اثنـا عشر رجلاً.

ومن بني نوفل بن عبد مَناف؛ الحـارث بن عامـر بن نوفـل، قتله ـ فيما يذكرون ـ خَبيب بن أبي إسـاف، أخو بني الحـارث بن الخزرج، وطُعيمـة بن عدِيّ بن نوفـل، قتله عليّ بن أبي طالب، ويقـال: حمزة بن عبـد المطّلب. رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصيّ: زَمَعة بن الأسـود بن المطّلب بن أسد.

قـال ابن هشام: قتله نـابت بن الجِذع، أخـو بني حَرام، فيمـا قال ابن هشام.

ويقال: اشترك فيه حمزة وعليّ بن أبي طالب وثابت.

قال ابن إسحاق: والحارث بن زَمعة، قتله عمّار بن ياسر ـ فيما قال ابن هشام ـ وعَقِيل بن الأسود بن المطّلب، قتله حمـزة وعليّ، اشتركـا فيه ـ فيمـا قال ابن هشام ـ وأبو البَخْتَرِيّ، وهـو العاص بن هشـام بن الحارث بن أسـد، قتله المجذّر بن ذياد البَلَويّ.

قال ابن هشام: أبو البَخْتَرِيّ: العاص بن هاشم.

قال ابن إسحاق: ونوفل بن خُـويلد بن أسد، وهـو ابن العدويـة، عدِيّ خُزاعة، وهو الذي قرن أبا بكر الصِّدِّيق، وطلحـة بن عُبيدالله حين أسلمـا في حبْل، فكانا يسمَّيان: القرينين لذلك، وكان من شياطين قريش ـ قتله عليّ بن أبي طالب. خمسة نفر.

ومن عبـدالـدار بن قُصَيّ: النضـــر بن الحـارث بن كَلَدة بن علقمـــة بن عبدمَناف بن عبـدالدار، قتله عليّ بن أبي طـالب صبراً عنـد رسول الله ـ ﷺ ـ بالصفراء، أبن كَلَدة بن عبد مَناف.

قال ابن إسحاق: وزيد بن مليص مولى عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار. رجلان.

قال ابن هشام: قتل زيد بن مُلَيص بلالُ بن رَباح، مولى أبي بكر، وزيد حليف لبني عبدالدار، من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، ويقال: قتله المقداد بن عمرو.

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْم بن مُرّة: عُمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

قال ابن هشام: قتله عليّ بن أبي طالب. ويقال: عبدالرحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن مالك بن عُبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب، قتله صُهيب بن سنان. رجلان.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرَّة: أبو جهل بن هشام ـ واسمه عَمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ـ ضربه مُعاذ بن عَمرو بن الجَمُوح، فقطع رِجْله، وضرب ابنه عِكرمة يد مُعاذ فطرحها، ثم ضربه مُعوَّذ بن عفراء حتى أثبته(٢)، ثم تركه وبه رَمَق؛ ثم ذفّف عليه(٣) عبدالله بن مسعود، واحتزّ رأسه، حين أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أن يُلتمس في القتلى ـ والعاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، قتله عمر بن الخطّاب، ويزيد بن عبدالله، حليف لهم من بني تميم.

---

(١) الأثيل: موضه قريب من المدينة.
(٢) أثبته: جرحه جراحة بالغة لا يقوم معها.
(٣) ذفّف عليه: اسرع قتله.

قال ابن هشام: ثم أحد بني عمرو بن تميم، وكان شجاعاً، قتله عمّار بن ياسر.

قال ابن إسحاق: وأبو مُسافع الأشعريّ، حليف لهم، قتله أبو دُجانة السّاعديّ ـ فيما قال ابن هشام ـ وحَرْملة بن عمرو، حليف لهم.

قال ابن هشام: قتله خارجه بن زيد بن أبي زهير، أخو بلحارث بن الخزرج، ويقال: بل عليّ بن أبي طالب ـ فيما قال ابن هشام ـ وحرملة، من الأسد.

قال ابن إسحاق: ومسعود بن أبي أُميَّة بن المغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب ـ فيما قال ابن هشام ـ وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة.

قال ابن هشام: قتله حمزة بن عبد المطّلب.

قال ابن إسحاق: وأبو قيس بن الفاكه بن المُغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب، ويقال: قتله عمّار بن ياسر، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ورِفاعة بن أبي رفاعة بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قتله سعد بن الربيع، أخو بلحارث بن الخزرج، فيما قال ابن هشام: والمنذر بن أبي رفاعة بن عابد قتله معن بن عدِيّ بن الجدّ بن العَجْلان حليف بني عُبيد بن زيد بن مالك بن عوفِ بن عمرو بن عوف فيما قال ابن هشام، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة بن عابد، قتله عليّ بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

قال ابن هشام: السائب بن أبي السائب شريك رسول الله ـ ﷺ ـ الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «نِعْم الشَّريك السائب لا يشاري ولا

يماري»[1]، وكان أسلم فحسُن إسلامه ـ فيما بلغنا ـ والله أعلم.

وذكر ابن شهاب الزُهريّ عن عُبيدالله بن عُتبة، عن ابن عباس: أنّ السائب بن أبي السائب بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله ـ ﷺ ـ من قريش، وأعطاه يوم الجُعرانة من غنائم حُنَين.

قال ابن هشام: وذكر غير ابن إسحاق: أن الذي قتله الزبير بن العوام.

قال ابن إسحاق: والأسود بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة بن عبدالمطّلب، وحاجب بن السائب بن عُويمر بن عمر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ـ قال ابن هشام: ويقال: عائذ: ابن عمران بن مخزوم، ويقال: حاجز بن السائب ـ والذي قتل حاجب بن السائب عليّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعُويمر بن السائب بن عُويمر، قتله النعمان بن مالك القَوْقليّ مبارزةً، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعمرو بن سفيان، وجابر بن سفيان، حليفان لهم من طيّ قتل عمراً يزيد بن رُقيش، وقتل جابراً أبو بُردة بن نِيار فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: سبعة عشر رجلاً.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ: منبّه بن الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعيد بن سهم، قتله أبو اليَسَر، أخو بني سَلِمة، وابنه العاص بن مُنبّه بن الحَجّاج، قتله عليّ بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام: ونُبيه بن الحَجّاج بن عامر قتله حمزة بن عبدالمطّلب وسعد بن أبي

(١) الحديث عند ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الشركة والمضاربة (٢٢٨٧) من طريق سفيان، عن ابراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن قائد السائب، عن السائب، قال للنبيّ ﷺ: «كنت شريكي في الجاهلية، فكنت خير شريك. كنت لا تداريني ولا تماريني». وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب (٤٨٣٦) باب في كراهية المراء، وأحمد في المسند ٣/٤٢٥

وقاص اشتركا فيه، فيما قال ابن هشام، وأبو العاص بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم.

قال ابن هشام: قتله عليّ بن أبي طالب، ويقال: النعمان بن مالك القوقلي، ويقال: أبو دُجانة.

قال ابن إسحاق: وعاصم بن عوف بن ضُبَيرة بن سعيد بن سهم، قتله أبو اليَسَر، أخو بني سَلِمة، فيما قال ابن هشام: خمسة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ: أُميَّة بن خَلَف بن وهْب بن جُمَح، قتله رجل من الأنصار من بني مازن.

قال ابن هشام: ويقال: بل قتله مُعاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخُبَيب بن إساف، اشتركوا في قتله.

قال ابن إسحاق: وابنه عليّ بن أُميَّة بن خَلَف، قتله عمّار بن ياسر، وأوس بن مِعير بن لَوْذان بن سعد بن جُمَح، قتله عليّ بن أبي طالب فيما قال ابن هشام، ويقال: قتله الحُصَين بن الحارث بن المطّلب وعثمان بن مظعون، اشتركا فيه، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ثلاثة نفر.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: معاوية بن عامر، حليف لهم من عبد القيس، قتله عليّ بن أبي طالب ويقال: قتلّه عُكّاشة بن مِحْصَن، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ومَعْبد بن وهْب، حليف لهم من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث، قتل مَعْبداً خالد وإياس ابنا البُكير، ويقال: أبو دُجانة، فيما قال ابن هشام. رجلان.

قال ابن هشام: فجميع من أحصي لنا من قَتلى قريش يوم بدر. خمسون رجلاً.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة، عن أبي عمرو: أنّ قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلًا، والأسرى كذلك، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن المسيّب، وفي كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾[1] يقوله لأصحاب أُحُد ـ وكان من استُشهد منهم سبعين رجلًا ـ يقول: قد أصبتم يوم بدر مثلَي من استُشهد منكم يوم أُحُد، سبعين قتيلًا وسبعين أسيراً. وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ لكعب بن مالك:

فأقام بالعَطَن[2] المُعَطَّن منهمُ سبعون، عُتْبةُ منهمُ والأَسْوَدُ

قال ابن هشام: يعني قتلى بدر. وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم أُحُد سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها.

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعين القتلى:

من بني عبد شمس بن عبدمَناف: وهْب بن الحارث، من بني أنمار بن بَغيض، حليف لهم وعامر بن زيد، حليف لهم من اليمن رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى: عُقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعُمير مولى لهم. رجلان.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: نُبَيه بن زيد بن مُليص، وعُبيد بن سَلِيط، حليف لهم من قيس. رجلان.

ومن بني تَيْم بن مُرّة: مالك بن عُبيدالله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عُبيدالله بن عثمان أُسِر فمات في الأسارى، فعُدّ في القتلى، ويقال: وعمرو بن عبدالله بن جُدعان. رجلان.

ومن بني مخزوم بن يقظة: حُذَيفة بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قتله سعد بن أبي وقّاص وهشام بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قتله صُهيب بن سِنان،

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٦٥

(٢) العَطَن: (في الأصل) مبرك الإبل حول الماء. واستعاره هنا لقتلى يوم بدر من المشركين.

وزُهير بن أبي رفاعة، قتله أبو أُسَيد مالك بن ربيعة، والسائب بن أبي رفاعة، قتله عبدالرحمن بن عوف، وعائذ بن السائب بن عُويمر، أُسِر ثم افتُدي فمات في الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبدالمطلب، وعُمير حليف لهم من طيّء، وخيار، حليف لهم من القارة. سبعة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو: سبرة بن مالك، حليف لهم. رجل.

ومن بني سهم بن عمرو: الحارث بن مُنبّه بن الحَجّاج، قتله صُهَيب بن سِنان، وعامر بن عوف بن ضُبيرة أخو عاصم بن ضُبيرة، قتله عبدالله بن سلمة العجلاني، ويقال: أبو دُجانة: رجلان.

ذِكْر أُسْرَى قريش يوم بدر[1]

قال ابن إسحاق: وأُسِر من المشركين من قريش يوم بدر، من بني هاشم بن عبدمَناف: عَقِيل بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم؛ ونوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب بن هاشم.

ومن بني المطّلب بن عبد مَناف: السائب بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب؛ ونعمان بن عمرو بن علقمة بن المطّلب. رجلان.

ومن بني عبد شمس بن عبدمَناف: عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس؛ والحارث بن أبي وَجْزَة بن أبي عمرو بن أُميّة بن عبد شمس، ويقال: ابن أبي وحْرَة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وأبو العاص بن الربيع بن عبدالعُزّى بن عبد شمس، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس.

ومن حلفائهم: أبو رِيشة بن أبي عمرو؛ وعمرو بن الأزرق؛ وعُقبة بن

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٣٨ ـ ١٤٤، أنساب الأشراف ١/٣٠١ ـ ٣٠٤ رقم ٦٧٣، عيون الأثر ١/٢٨٦، ٢٨٧

عبد الحارث بن الحضرميّ. سبعة نفر.

ومن بني نوفل بن عبدمَناف: عدِيّ بن الخيار بن عدِيّ بن نوفل؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غَزْوان بن جابر، حليف لهم من بني مازن بن منصور؛ أبو ثور، حليف لهم. ثلاثة نفر.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: أبو عَزيز بن عُمير بن هاشم بن عبدمَناف بن عبدالدار، والأسود بن عامر، حليف لهم. ويقولون: نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث بن السبّاق. رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ: السائب بن أبي حُبَيش بن المطّلب بن أسد، والحُوَيرث بن عبّاد بن عثمان بن أسد.

قال ابن هشام: هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد.

قال ابن إسحاق: وسالم بن شمّاخ، حليف لهم. ثلاثة نفر.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة: خالد بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛ وأُميَّة بن أبي حُذيفة بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة؛ وعثمان بن عبدالله بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وصَيفيّ بن أبي رفاعة بن عابد بن عبدالله؛ وأبو المنذر ابن أبي رفاعة بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأبو عطاءعبدالله بن أبي السائب بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، والمطّلب بن حنطب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم؛ وخالد بن الأعلم، حليف لهم، وهو كان ـ فيما يذكرون ـ أول من ولّى فارّاً منهزماً، وهو الذي يقول:

ولسنا على الأدبار تَدْمَى كُلومنا[1] ولكنْ على أقْدامِنا يقطُرُ الدَّمُ

تسعة نفر.

---

(١) الكلوم: الجراحات.

قال ابن هشام: ويُروى: «لسنا على الأعقاب».

وخالد بن الأعلم، من خُزاعة؛ ويقال: عُقيليّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: أبو وَداعة بن ضُبيرة بن سُعَيد بن سعد بن سهم، كان أول أسير أفتُدِي من أسرى بدر، افتداه ابنه المطّلب بن أبي وَداعة؛ وفروة بن قيس بن عَدِيّ بن حُذافة بن سعد بن سهم، وحنظلة بن قبيصة بن حُذافة بن سعد بن سهم، والحَجّاج بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم. أربعة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدالله بن أُبَيّ بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وأبو عزّة عمرو بن عبد بن عثمان بن وُهَيْب بن حُذافة بن جُمَح، والفاكه، مولى أُميّة بن خَلَف، ادّعاه بعد ذلك ربَاح بن المغترف، وهو يزعم أنه من بني شمّاخ بن مُحارب بن فِهْر - ويقال: إنّ الفاكه: ابن جرول بن حَذْيم بن عوف بن غَضْب بن شمّاخ بن مُحارب بن فهْر - ووهْب بن عُمير بن وهْب بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وربيعة بن دُراج بن العنبس بن أهْبان بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح. خمسة نفر.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، أسره مالك بن الدُّخْشُم، أخو بني سالم بن عوف، وعبد بن زَمَعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدالرحمن بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن مالك بن حِسْل بن عامر. ثلاثة نفر.

ومن بني الحارث بن فِهْر: الطُفَيل بن أبي قُنيع، وعُتبة بن عمرو بن جَحدم. رجلان.

قال ابن إسحاق: فجميع من حُفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلاً.

قال ابن هشام: وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه.

وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى: من بني هاشم بن عبدمَناف: عُتبة، حليف لهم من بني فِهْر. رجل.

ومن بني المطّلب بن عبدمَناف: عَقِيل بن عمرو، حليف لهم، وأخوه تميم بن عمرو، وابنه. ثلاثة نفر.

ومن بني عبد شمس بن عبدمَناف: خالد بن أُسَيد بن أبي العيص، وأبو العريض يسار، مولى العاص بن أُميّة. رجلان.

ومن بني نوفل بن عبدمَناف: نبهان، مولى لهم. رجل.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: عُبيدالله بن حُميد بن زهير بن الحارث. رجل.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: عَقِيل، حليف لهم من اليمن. رجل.

ومن بني تَيْم بن مُرّة: مسافع بن عِياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، وجابر بن الزُبير، حليف لهم. رجلان.

ومن بني مخزوم بن يقظة: قيس بن السائب. رجل.

ومن بني جُمَح بن عمرو: عمرو بن أُبيّ بن خَلَف، وأبو رُهْم بن عبدالله، حليف لهم، وحليف لهم ذهب عنّي اسمه، ومَوْليان لأُميّة بن خَلَف، أحدهما نِسطاس، وأبو رافع، غلام أُميّة بن خَلَف. ستة نفر.

ومن بني سهم بن عمرو: أسلم، مولى نُبَيه بن الحَجّاج. رجل.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: حبيب بن جابر، والسائب بن مالك. رجلان.

ومن بني الحارث بن فِهْر: شافع وشَفِيع، حليفان لهم من أرض اليمن. رجلان[1].

---

(١) راجع أنساب وأخبار من حضر بدراً وشهداء بدر من المسلمين والقتلى من المشركين وأسرى المشركين في (الروض الأنف ٣/ ٩٩ وما بعدها).

ما قيل من الشِعر في يوم بدر

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم بدر، وتراد به القوم بينهم لِما كان فيه، قول حمزة بن عبدالمطّلب يرحمه الله:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنْكرها ونقيضتها:

ألم تر أمراً كان من عَجَبِ الدَّهرِ ... وللحَيْنِ[1] أسبابٌ مبيَّنة الأمر
وما ذاك إلّا أنّ قوماً أفادهم[2] ... فخانوا تَواصٍ بالعُقوق وبالكفر
عَشِيَّة راحوا نحو بدْر بجمْعهم ... فكانوا رُهوناً للرَّكيَّةِ[3] من بدر
وكنّا طَلَبْنا العِير لم نبْغِ غيرَها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدْر
فلمّا التقينا لم تكُن مَثْنَويّةٌ[4] ... لنا غير طَعْن بالمُثَقَّفة السُّمْر
وضَرْبٍ ببيضٍ يَخْتلي الهامَ حَدُّها ... مُشَهَّرَة الألوان بيِّنة الأُثْر[5]
ونحن تركنا عُتبة الغيّ ثاوياً ... وشَيْبة في القتلى تَجَرْجَمَ في الجَفْر[6]
وعمرو ثَوَى فيمن ثَوَى من حُماتهم ... فشُقّتْ جُيُوب النّائحات على عمرو
جُيوبُ نساء من لُؤَيّ بن غالب ... كرام تَفَرّعْن الذَّوائبَ من فِهْر[7]
أولئك قومٌ قُتِّلوا في ضلالهم ... وخَلّوا لواءً غير مُحْتَضَر النَّصْر
لواء ضَلال قاد إبليسُ أهلَه ... فخاس[8] بهم، إنّ الخبيثَ إلى غَدْر
وقال لهم، إذا عاين الأمرَ واضحاً ... برِئتُ إليكم ما بيَ اليومَ من صبْر

---

(١) الحين: الهلاك
(٢) أفادهم: أهلكهم.
(٣) الركية: البئر ذات الماء.
(٤) مَثْنَويّة: رجوع.
(٥) يختلي: يقطع. والهام: الرءوس والأثر: بضمّتين أثر الجرح والجمع آثار وأثور، وإذا كان بفتح فسكون فهو جوهر السيف
(٦) تجَرْجَم: تسقط، والجَفْر: البئر المتّسعة.
(٧) تفرّعن: علون، والذوائب: الأعالي.
(٨) خاس: غدر.

فـإنّي أرى مـا لا تَـرَوْن وإنّـني ... أخـاف عِقـاب الله والله ذو قَسْـر[1]
فقـدّمهـم للحَيْن حتّى تَـوَرَّطـوا ... وكـان بمـا لم يَخْبُـر القـومُ ذا خُبْـر
فكـانـوا غـداةَ البِئـر ألفـاً وجَمْعُنـا ... ثـلاثُ مِئين كـالمُسـدَّمـة الـزُّهْـر[2]
وفيـا جنـودُ الله حيـن يُـمـدّنـا ... بهم في مقـام ثَمَّ مُسْتَوْضَح الـذِّكْـر
فشـدّ بهم جبـريـلُ تحت لـوائنـا ... لـدى مَأزِق فيـه منايـاهُم تَجْـري[3]

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال:

ألا يـا لَقَـومي للصَّبـابـة[4] والهَجْـر ... وللحُـزْن منّي والحـرارة في الصَّـدْر
وللدَّمْـع من عينـيّ جَـوْداً كـأنّـه ... فريدُ هَـوَى من سِلْك ناظِمـة يجْرِي
على البـطل الحُلْو الشمائـل إذ ثَوَى ... رَهِيـنَ مـقّـام لـلرّكـيّـة مـن بَـدْر
فـلا تَبْعُدَنَ يـا عمرو من ذي قَـرابـة ... ومن ذي نَـدام كـان ذا خُلُق غِمـر[5]
فـإنْ يكُ قـومٌ صـادَفـوا منـك دَوْلـةً ... فــلا بُـدّ لـلأيـام من دُول الـدَّهْـر
فقد كنتَ في صَرْف الزّمان الذي مضى ... تُـرِيهم هَـوانـا منـك ذا سُبُـل وَعْـر
فـإلّا أَمُتْ يا عَمْـرو أَتْرُكْـك ثـائـراً[6] ... ولا أُبْقِ بُعقْيَـا في إخـاءٍ ولا صِهْـر
وأقـطَعُ ظهـراً من رجـال بمَعْشَـر ... كِـرام عليهم مثل مـا قطعـوا ظَهْري
أغَـرَّهـم مـا جمَّعـوا من وشيـظة[7] ... ونحن الصَّميمُ في القبـائل من فِهْـر
فيـال لـؤَيّ ذَبِّـوا عن حَـريمكم ... وآلهـةٍ لا تتـركـوهـا لـذي الفخْـر
تَـوارثـهـا آبـاؤكـم وورِثْـتُـمُ ... أواسِيّهـا[8] والبيتَ ذا السَّقْف والسِّتر

---

(١) القَسْر: الغابة.
(٢) المسدّمة: الفُحُول من الإبل، والزُهر: البيض.
(٣) سيرة ابن كثير ٢/٥٢٤، ٥٢٥، عيون الأثر ١/٢٨٨ وفيه بعض الألفاظ المختلفة عمّا في السيرة وهي من أغلاط النسخ.
(٤) الصّبابة: رقّة الحّب أو الحبّ الشديد.
(٥) الغِمْر بسكون الميم: الكريم الواسع الخلق، وهذا المعنى هو الذي يقصده هنا.
(٦) الثائر: صاحب الثأر.
(٧) الوشيظة: الأتباع الذين ليسوا من القوم.
(٨) الأواسيّ: ما تأسّس عليها الأبنية.

فما لِحَليمٍ قد أراد هلاككم | فلا تَعْذِروه آلَ غالب من عُذْر
وجِدّوا لمن عاديتُم وتَوازَرُوا | وكونوا جميعاً في التأسّي وفي الصَّبْر
لعلَّكُمُ أنْ تَثْأرُوا بأخيكُمُ | ولا شيءَ إنْ لم تثأروا بذَوِي عمرو
بِمُطَّرَدَاتٍ[1] في الأَكُفِّ كأنّها | وميضٌ تُطِير الهامَ بيِّنَة الأُثْر
كأنّ مَدَبَّ الذّر فوق مُتُونها | إذا جُرِّدت يوماً لأعدائها الخَزْر[2]

قال ابن هشام: أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن إسحاق، وهما «الفخر» في آخر البيت، و«فما لِحَليم»، في أول البيت، لأنه نال فيهما من النبيّ - ﷺ -.

قال ابن إسحاق: وقال عليّ بن أبي طالب في يوم بدر:

قال ابن هشام: ولم أر أحداً من أهل العلم بالشِعر يعرفها ولا نقيضتها، وإنّما كتبناهما لأنه يقال: إنّ عمرو بن عبدالله بن جِدْعان قُتل يوم بدر، ولم يذكره ابن إسحاق في القتلى، وذكره في هذا الشعر:

ألم تر أنّ الله أبلى[3] رسولَه | بلاءَ عزيز ذي اقتدارٍ وذي فضْلِ
بما أنزل الكفّارَ دارَ مَذَلَّةٍ | فلاقوا هَواناً من إسارٍ ومن قَتْل
فأمسى رسولُ الله قد عزّ نصْرُه | وكان رسول الله أُرسِل بالعدْل
فجاء بفُرْقانٍ من الله مُنزَلٍ | مُبيَّنةٌ آياتُه لذوي العقْل
فآمن أقوامٌ بذاك وأَيْقنوا | فأمْسَوا بحمدالله مُجتمعي الشمل
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبُهم | فزادهمُ ذو العرش خَبْلا على خبْل
وأمكن منهم يوم بدرٍ رسولَه | وقوماً غِضاباً فعْلُهم أحسن الفِعل
بأيديهمُ بيضٌ خِفافٌ عَصُوا بها | وقد حادَثوها[4] بالجَلاء وبالصَّقل

---

(١) المطّردات: المهتزّة. أي بسيوف مهتزّة.
(٢) الذّر: صغار النمل. والخزْر: الناظرون بمؤخرة عيونهم كِبْراً. وقد وردت الأبيات الستة الأولى فقط في عيون الأثر ٢٨٨/١، ٢٧٩ وتركها ابن كثير كلها في سيرته عمداً كما قال (٥٢٥/٢)
(٣) أبلى: أي منّ وأنعم.
(٤) عصوا: ضربوا: وحادثوها: تعهّدوها.

فكم تركُوا من نـاشيءٍ ذي حَمِيَّةٍ صَرِيعاً ومن ذي نجْدة منهمُ كهْل
تَبيتُ عيـونُ النّـائحـات عـليهمُ تَجـودُ بإسْبـال الرَّشـاش وبالـوَبْـل[1]
نـوائحَ تَنْعَى عُتْبـةَ الغَيِّ وابنَـه وشَيْبـة تَنْعـاه وتَـنْعـى أبـا جهـل
وذا الرِّجْلِ تَنْعَى وابن جُدْعان فيهمُ مُسَلِّبـةً[2] حَـرَّى مبيّنـة الشكْـل
ثَـوَى منهم في بئر بـدر عِصابـةٌ ذَوي نَجَدات في الحُروب وفي المَحْل
دعـا الغَيُّ منهم مَن دعـا فـأجابـه وللغَيِّ أسبابٌ مُـرمَّقـة[3] الـوصْـل
فـأضْحَوا لـدَى دار الجحيم بمْعـزِل عن الشَّغْب والعُدْوان في أشغل الشُّغْل[4]

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال:

عـجبتُ لأقـوامٍ تغنَّى سفيهُهُمْ بأمرٍ سفـاهٍ ذي اعتراض وذي بُطْلِ
تغنَّى بقتلى يـوم بـدرٍ تَتـابعـوا كِرام المساعي من غـلامٍ ومن كَهْل
مصاليتَ[5] بيضٍ من لُؤَيّ بن غالبٍ مَطَاعينَ في الهَيْجا مَطاعِيم في المَحْل
أُصِيبُـوا كِرامـاً لم يَبيعُـوا عشيـرةً بقوم سِواهم نـازِحي الدّار والأَصْـلِ
كمـا أصبحَتْ غسّـانُ فيكم بـطانـةً لكم بـدلاً منّـا فيـا لـك من فِعْـل
عُقـوقـاً وإثمـاً بيِّنـاً وقـطيعـةً يَرى جَوركم فيها ذَوُو الرّأي والعقـل
فـإن يـكُ قـومٌ قـد مَضَـوا لسبيلهم وخيـرُ المنـايـا مـا يكـون من القتـل
فـلا تَفْـرحـوا أنْ تَقْتلوهم فقتْلُهـم لكم كـائنٌ خَبْـلاً مُقيمـاً على خَبْـل
فـإنّكم لن تَبْـرحـوا بعـد قَتْـلهم شَتِيتـاً هَواكم غيـر مُجتمعي الشمـل
بفَقْـد ابن جُـدْعـان الحميـد فِعـالُـه وعُتبـةَ والمـدعُـوِّ فيكم أبـا جهـل
وشَيْبَـة فـيهـم والـوليـد وفيـهـمُ أُميّـة مـأوَى المُعْتَـرين وذو الـرِّجْـل

(١) الإسبال: الإرسال، والرشاش: المطر الضعيف، والوبل: ما كثر من المطر.
(٢) ذا الرِّجل: هو الأسود الذي قطع حمزة رجله عند الحوض ثم قتله فيها. والمسَلَّبة: التي تلبس السلاب وهي خرقة سوداء تلبسها الثُّكلى.
(٣) المرمّقة: الضعيفة.
(٤) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٥، ٥٢٦ وفيه في آخره: «في أسفل السفل» وفي عيون الأثر ١/٢٨٩ ورد البيتان الأولان فقط.
(٥) المصاليت: الشجعان.

أولئك فابْكِ ثم لا تَبْكِ غيرَهم نوائحُ تَدْعو بالرزيّة والثُّكْل
وقولوا لأهل المكَّتَيْن تحاشَدُوا وسِيروا إلى آطام يثرِبَ ذي النخل[1]
جميعاً وحامُوا آل كعبٍ وذَبِّبوا[2] بخالِصةِ الألوان مُحدَثة الصَّقْل
وإلّا فبيتوا خائفين وأصبحوا أذلَّ لوطْءِ الوَاطئين من النعل
على أنّني واللات يا قومُ فاعلمُوا بكم واثقٌ أن لا تُقِيموا على تبْل[3]
سوى جمعكم للسّابغات[4] وللقَنا وللبَيض والبِيضِ القواطع والنبل[5]

وقال ضِرار بن الخطّاب بن مرداس، أحد بني محارب بن فِهْر، في يوم بدر:

عجبتُ لفَخْر الأوس والحَيْنُ دائرٌ عليهم غداً والدهرُ فيه بصائرُ
وفخر بني النّجّار إن كان معشرٌ أُصيبوا ببدر كلّهم ثمّ صابر
فإن تكُ قتْلَى غُودِرَت من رجالنا فإنّا رجالٌ بعدهم سنُغادِر
وتَرْدي بنا الجُرْد العناجِيجُ وَسطكم بني الأوس حتى يَشْفي النفسَ ثائر[6]
ووسْطَ بني النّجّار سوف نَكُرُّها لها بالقَنا والدّارعين زوافر
فنترك صَرْعَى تَعْصِبُ[7] الطيرُ حولهم وليس لهم إلّا الأمانيَّ ناصر
وتَبكيهم من أهل يثرب نِسوةٌ لهنّ بها ليلٌ عن النوْم ساهر
وذلك أنّا لا تزال سُيُوفنا بهنّ دمٌ - ممّن يُحاربن - مائر[8]
فإنْ تَظْفَروا في يوم بدر فإنّما بأحمدَ أمسَى جدُّكم وهو ظاهر

(١) المكتين: يقصد مكة والطائف. والآطام: جمع أطم. الحصن.
(٢) ذببوا: امنعوا.
(٣) التبل: العداوة.
(٤) السابغات صفة لموصوف محذوف أي الدروع السابغات.
(٥) وردت ستة أبيات فقط من القصيدة في عيون الأثر ١/٢٨٩، وتركها كلها ابن كثير في السيرة عمداً ٢/٥٢٦
(٦) تردي: تسرع. والجُرد: الخيل القصيرات الشعر، العناق. والعناجيج: الطوال. السراع. والثائر: الطالب ثأره.
(٧) تعصب: تجتمع.
(٨) مائر: سائل.

وبالنَّفَر الأخيار هم أولياؤه يُحامُون في الَّلأْواء والموتُ حاضر
يُعَدُّ أبو بكر وحمزة فيهمُ ويُدْعى عليّ وسْط مَن أنت ذاكر
ويُدعى أبو حفص وعثمانُ منهمُ وسعْدٌ إذا ما كان في الحرب حاضر[1]
أولئك لا من نَتَّجَتْ في ديارها بنو الأوس والنَّجّار حين تفاخر
ولكنْ أبوهم من لُؤيّ بن غالبٍ إذا عُدَّت الأنسابُ كعبٌ وعامر
هم الطّاعِنون الخَيْل في كل مَعْرَك غداةَ الهِياج الأطْيبونَ الأكاثر[2]

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سَلِمة، فقال:

عجِبتُ لأمر الله والله قادرٌ على ما أراد، ليس لله قاهِرُ
قضى يومَ بدرٍ أن نلاقيَ معشراً بَغَوْا وسبيل البغْي بالناس جائر
وقد حشَدوا واستنفروا مَن يليهمُ من الناس حتى جمعهُم متكاثر
وسارتْ إلينا لا تُحاول غيرَنا بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامر
وفينا رسولُ الله والأوسُ حوله له معقِلٌ منهم عزيز وناصر
وجمْعُ بني النّجّار تحت لِوائه يُمشُّون في الماذِيّ والنَّقْعُ ثائر[3]
فلّما لَقيناهم وكلٌّ مُجاهد لأصحابه مُستَبسلُ النفس صابر
شهِدْنا بَأنّ الله لا ربَّ غيره وأنّ رسولَ الله بالحق ظاهر
وقد عُرِّيت بيضٌ خِفافٌ كأنّها مَقاييس يزْهِيها[4] لعَيْنَيك شاهر
بهنّ أبْدنا جمعَهم فتبدّدوا وكان يُلاقي الحَيْنَ مَن هو فاجر
فكبّ أبو جَهل صريعاً لوجْهه وعُتبةُ قد غادَرنه وهو عاثر
وشيبةَ والتَّيْمِيّ غادَرْن في الوَغى وما منهُم إلّا بذي العرش كافر
فأمسَوْا وَقُودَ النّار في مُسْتَقَرِّها وكلّ كَفور في جهنّم صائر

---

(١) هذا البيت ساقط من عيون الأثر.
(٢) راجع عيون الأثر ١/٢٨٩، ٢٩٠ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٣) الماذي: الدرع اللّينة السهلة.
(٤) يزهيها: يحرّكها.

تلظّى عليهم وهي قد شبّ حَمْيُها ... بزُبْر الحديد والحِجارة ساجر[1]
وكان رسول الله قد قال أقبِلوا ... فولَّوا وقالوا: إنَّما أنت ساحر
لأمرٍ أراد الله أن يَهْلِكوا به ... وليس لأمرِ حَمَّه[2] الله زاجر[3]

وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيّ يبكي قتلى بدر:

قال ابن هشام: وتُروى للأعشى بن زُرارة بن النّبّاش، أحد بني أُسَيد بن عمرو بن تميم، حليف بني نوفل بن عبدمَناف.

قال ابن إسحاق: حليف بني عبد الدّار:

ماذا على بدر وماذا حوله ... من فِتْية بيض الوجُوه كرامِ
تركوا نُبَيهاً خَلْفهم ومُنَبِّهاً ... وابنيْ ربيعة خيرَ خصْمٍ فِئام[4]
والحارثَ الفيّاض يَبْرُق وجهُهُ ... كالبدر جَلّى ليلةَ الإظلام
والعاصيَ بنَ مُنَبِّه وجدُوده ... رُمْحاً تميماً غير ذي أوْصام[5]
تَـ ـمي به أعراقُه وجُدُودُه ... ومآثر الأخْوال والأعمام
وإذا بكَى فأعْوَل شَجْوَة[6] ... فعلى الرّئيس الماجد ابن هشام
حيّا الإلهُ أبا الوليد ورَهْطَه ... ربّ الأنام، وخصّهم بسلام[7]

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فقال:

ابْكِ بَكت عيناك ثم تبادرتْ ... بدَم تُعَلّ غُروبُها سَجَّام[8]
ماذا بَكيتَ به الذين تَتابعوا ... هلا ذكرتَ مكارِمَ الأقوام

---

(1) تلظّى: تلتهب. وزُبْر الحديد؛ قِطَعُه. والساجر: المُوقد.
(2) حمّه: قدّره.
(3) الأبيات كلها في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٦، ٥٢٧
(٤) الفنام: الجماعات.
(5) ذو مرة: صاحب قوة. والأوصام؛ العيوب.
(6) الشجوة: الحزن.
(7) الأبيات في أنساب الأشراف ١/٣٠٨ ما عدا البيت الأخير، مع اختلاف في الألفاظ.
(8) تُعَل من العال وهو الشرب مرة بعد أخرى، والغروب: مجاري الدمع. والسجّام: السائل.
(9) تتابعُوا: ألقوا بأنفسهم في التهلُكة.

وذكـرتَ منّـا مـاجـداً ذا هِـمَّـة سَمْـحَ الخـلائق صـادق الإقْـدام
أعني النَّبِيَّ أخَـا المكـارِمِ والنَّـدى وأبَـرَّ مـن يُـولي[1] عـلى الإقسـام
فـلِمثـله ولمثـل مـا يَـدْعـو لـه كـان المُمـدَّحَ ثَمَّ غيـرَ كَـهـام[2]

وقال حسّان بن ثابت الأنصاريّ أيضاً:

تَبَلَتْ فؤادكَ في المنـام خريـدةٌ[3] تَسْقي الضَّجِيـعَ ببـارِدٍ بسّـامِ
كـالمِسْـكِ تَخْلِطه بمـاء سحـابـةٍ أو عـاتقٍ[4] كـدمِ الـذَّبيـح مُـدام
نُفُـجُ الحقيبـة بُـوصُهـا متنضّـدٌ بَلهـاءُ غَيْـرُ وشيكـةِ الإقْسـام[5]
بُـنِيت عـلى قَـطَن أَجَـمَّ كـأنّـه فُضُـلاً إذا قَعَـدتْ مَـدَاك رُخـام[6]
وتكـادُ تَكسَـل أنْ تجيء فِـراشَهـا في جِسْم خَـرْعَبـة[7] وحُسْن قَـوَام
أمّـا النَّهـارُ فـلا أُفَتِّـر ذِكْـرَهـا والليـل تُـوزِعني[8] بهـا أحـلامي
أَقْسَمْتُ أنسـاهـا وأتـرُكَ ذِكْـرَهـا حتى تُغَيَّبَ في الضّـريح عـظامي[9]
يـا مَـن لِعـاذِلَـةٍ تـلوم سَـفـاهـةً ولقـد عَصَيْتُ على الهـوى لُـوَّامي
بَكَـرَتْ عَلَيَّ بِسُحْرة بعـد الكَـرَى وتـقـارُبٍ مـن حـادث الأيـام
زعمتْ بـأنَّ المـرء يكْـرُبُ عُمـرَه عَـدَمٌ لـمعـتكِـرٍ مـن الأَصْـرام[10]
إن كنتِ كـاذبـةَ الـذي حـدَّثْتني فنجـوتِ مَنْجَى الحـارثِ بن هشام
تـرك الأحـبّـة أن يُقـاتـل دونـهم ونـجـا بـرأس طِـمـرَّة[11] ولِـجـام

(١) يولي: يقسم.
(٢) الكهام: الضعيف.
(٣) تبلت: أسقمت. والخريدة: الحسنة الناعمة.
(٤) العاتق: الخمر المعتّقة.
(٥) النُفج: المرتفعة، والحقيبة وهي ما يجعله الراكب وراءه، استعارها هنا لرِدْف المرأة. والبوصيّ: الردْف. والبلهاء الغافلة. والإقسام: جمع قسم وهو اليمين.
(٦) قَطَنُها: وسطُها. والأجمّ: أي لا عظام فيه، والمداك: الحجر الذي يُدق عليه الطيب.
(٧) الخرعبة: حسنة الخلق.
(٨) تُوزعني: تُغْريني.
(٩) أنساها: أي لا أنساها.
(١٠) المعتكر: الإبل الكثيرة يرجع بعضها على بعض. والإصرام: الجماعات من الإبل.
(١١) الطمرّة: الفرس كثيرة الجري.

تـذر العَنـاجيـج الجيـاد بقَفْـرة مـرَّ الـدَّمُـوكِ بمُحْصَـدٍ ورِجـام[1]
مـلأت به الفَـرْجَين فـارمـدَّتْ[2] بـه وثَـوَى أحِـبَّـتُـه بـشَـرٍّ مـقـام
وبـنـو أبيـه ورَهْـطُه في مَـعْـرك نـصـر الإلٰـهُ بـه ذوي الإسـلام
طـحنتـهُـمُ ، والله يُـنْـفِـذ أمـرَه حـربٌ يُشَبُّ سَعيـرُهـا بـضـرام
لـولا الإلٰـهُ وجَـرْيُـهـا لَتَـرَكْـنـه جَـزَر السبـاع ودُسْـنَـهُ بحَـوامـي
مـن بيـن مـأسـور يُشَـد وَثـاقُـهُ صَـقْـرٍ إذا لاقى الأسِـنَّـة حـامـي
ومُـجـدَّلٍ لا يستجيـب لـدَعْـوة حـتـى تَـزُول شَـوامِـخُ الأعـلام
بـالـعـارِ والـذلّ المُـبيّـن إذا رأى بِيضَ السيـوف تَسُـوق كـلَّ هُمـام
بيـدَيْ أغَـرَّ إذا انتـمى لـم يُخْـزِه نَسَبُ القِصـار سَمَيْـدَع مِقْـدام[3]
بِيضٌ إذا لاقت حـديـداً صـمَّمَـتْ كـالبَـرْق تحت ظـلال كـلِّ غمـام[4]

فأجابه الحارث بن هشام، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

الله أعلمُ مـا تـركـتُ قـتـالَـهـم حتى حَبَوْا مُهْري بأشْقر مُزْبِدِ[5]
وعـرفـتُ أنّي إن أُقـاتـلْ واحـداً أُقْتَـلْ ولا يَنْكي عـدُوي مَشْهـدي
فـصـددْتُ عنـهم والأحبّـة فيـهمُ طمعـاً لهم بعقـاب يـوم مُفْسِـد[6]

قال ابن إسحاق: قالها الحارث يعتذر من فراره يوم بدر.

---

(١) العناجيج: الطوال السراع. والدُّمُوك: البكرة بآلتها التي تكون عند رأس البئر. والحصد: الحبل الشديد الفتل، والرِجام: واحد الرجامين، وهما الخشبتان اللتان تلقى عليهما البكرة.

(٢) الفرجان: الفراغان اللذان بين يدي الفرس ورِجْليها. وأرْمدت: أسرعت.

(٣) القصار: من قصر سعْيهم عن كسب المحامد، والسَمَيْدع: السيد.

(٤) القصيـدة في ديوان حسّان وفيه زيـادة خمسة أبيـات في آخرهـا، وفي سيرة ابن كثير ٢/٥٢٩، ٥٣٠، أما في عيون الأثر ١/٢٩٠ فوردت سبعة أبيات فقط من أولها. وفي نسب قريش ٣٠٢ ورد بيتـان، وهي في الأغـاني ٤/١٧، والاشتقـاق لابن دريـد ٩٢، والاستيعـاب ١/٣٠٧، والإصابة (الترجمة) ١٥٠٠

(٥) في نسب قريش: «حتى رموا فرسي بأشقر مُزبد». والمزبد: ما قذف بالزبد،

(٦) ديـوان حسان، ص ١٤ مـع اختلاف بـاللفظ، الأغـاني ٤/١٧، الاشتقاق ٩٣، الاستيعاب ١/٣٠٧، الإصابة (الترجمة) ١٥٠٠

قال ابن هشام: تركنا من قصيدة حسّان ثلاثة[1] أبياتٍ من آخرها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

لقد علمتْ قريشٌ يوم بدْر ... غداةَ الأسْر والقتْل الشّديدِ
بأنّا حين تشتجر العوالي ... حُماةُ الحرب يومَ أبي الوليد
قتلنا ابنَيْ ربيعة يومَ سارا ... إلينا في مُضاعفة الحديد
وفرّ بها حكيمٌ يومَ جالت ... بنو النّجّار تَخْطِرُ كالأُسُود
وولّت عند ذاك جُموع فِهْر ... وأسْلمها الحُوَيْرثُ من بعيد
لقد لاقيتمُ ذُلّاً وقتْلا ... جَهيزاً نافذاً تحتَ الوريد[2]
وكلُّ القوم قد ولَّوْا جميعاً ... ولم يَلْوُوا على الحَسَب التّليد[3]

وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

يا حار قد عَوَّلْتَ[4] غير مُعوَّل ... عند الهياج وساعةَ الأحْساب
إذ تَمْتَطي سُرُحَ اليدَين نَجيبةً ... مَرْطَى الجِراء طويلة الأقراب[5]
والقومُ خَلْفك قد تركتَ قتالهم ... ترجو النَّجاةَ وليس حين ذَهاب
ألا عَطَفْتَ على ابن أُمّك إذ ثَوَى ... قَعْصَ[6] الأسنّة ضائِعَ الأسلاب
عجلَ المَليك له فأهْلكَ جَمْعه ... بشَنَارِ مُخْزِيةٍ وسُوء عذاب[7]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً أقذع فيه.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

---

(١) الصحيح خمسة أبيات كما في ديوان حسان ـ ص ٣ وطبقة البرقوقي ٣٦٣
(٢) الجهيز: السريع. والوريد عرق في صفحة العنق.
(٣) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣١، وفي عيون الأثر ١/٢٩١ خمسة أبيات.
(٤) عوّلت: عزمت.
(٥) سُرُح اليدين: سريعتهما. ومَرْطى الجراء: سريعة الجري. والأقراب: الخواصر.
(٦) القَعْص: القتل بسرعة.
(٧) سيرة ابن كثير ٢/٥٣١

قال ابن هشام: ويقال: بل قالها عبدالله بن الحارث السَّهْمِيّ:

مُسْتَشْعِري حَلَقِ الماذِيّ يقـدُمُهم ... جَلْدُ النَّجيزَة[1] ماضٍ غيرُ رِعْدِيد
أعني رسـولَ إلٰـهِ الخلق فَضَّله ... على البـريّة بـالتَّقْوَى وبـالجُود
وقـد زعمتم بـأنْ تَحْمُـوا ذِمـاركم ... ومـاءُ بـدر زعمتم غيـرُ مـورود
ثـمّ وَرَدْنـا ولم نسـمـعْ لِقَـوْلكم ... حتى شرِبْنا رواءً غير تَصْرِيد[2]
مُسْتَعْصمين بحبـلٍ غيـر مُنْجـذم ... مُسْتَحكِم من حبـالِ الله ممْـدود
فينـا الرسـولُ وفينـا الحقُّ نتْبعـه ... حتى الممات ونصـرٌ غيـرُ محدود
وافٍ وماضٍ شِهـابٌ يُستضـاء بـه ... بـدرٌ أنـار على كـلِّ الأمـاجِيـد[3]

قـال ابن هشام: بيتـه: «مستعصمين بحبل غيْـر منجـذم» عن أبي زيـد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

خـابـتْ بـنـوأسَـدٍ غَـزيُّـهـم ... يـوم الـقَـلِيـب بـسَـوْءةٍ وفُـضُـوح
عن ظهـر صـادقـة النجـاء سَبُوح[4]

مِنهم أبـو العاصي تجـدّل مُقْعَـصـاً ... لمّـا ثَـوَى بمقـامـه المَـذْبُـوح
والمـرءُ زَمْعَـةُ قـد تَـرَكْن ونحـرُه ... يَـدْمَى بعـانِـد مُعْبَطٍ مسفـوح[5]
مُتَـوَسِّـداً حُـرَّ الجَبيـن مُعَـفَّـرا ... قـد عُـرّ[6] مـارِنُ أنفـه بقُبُـوح
ونجـا ابنُ قيسٍ في بـقيّـة رَهْـطه ... بشَفـا[7] الـرِّمـاقِ مُـوَلِّيـاً بجـروح

وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

---

(١) المستشعر اللابس الثوب على جسده بلا حاجز. والمازيّ الدروع السهلة اللينة والنحيزة: الطبيعة.
(٢) الرواء التكثر من الماء، والتصريد: تقليل الشرب.
(٣) سيرة ابن كثير ٢/٥٢٨.
(٤) المُقْعَص: من قُتل بسرعة. والسَّبُوح: سريعة الجري كأنها تسبح في الماء لسهولة جرْيها.
(٥) العاند الذي يجري بلا انقطاع، ودم مُعْبَط: طريّ.
(٦) عُرّ: لُطّخ.
(٧) الشفا: الحدّ.

ألا ليت شِعري هل أتى أهلَ مكّةٍ إبارتُنا[1] الكُفّارَ في ساعة العُسْر
قتلنا سَرَاة القوم عند مجالِنا فلم يرجعها إلّا بقاصِمة الظهر[2]
قتلنا أبا جهْلٍ وعُتبةَ قبله وشَيبة يكبُو لليَدَين ولِلنَّحْر
قتلنا سُوَيْداً ثمّ عُتبة بعده وطُعْمة أيضاً عند ثائرة القتْر[3]
فكم قد قَتَلْنا من كريم مرزَّإٍ له حَسَبٌ في قومه نابِه الذِّكر
تركناهُم للعَاوِيات يَنُبْنَهُم[4] ويَصْلون ناراً بعد حامية القعْر
لَعَمْرك ما حامَتْ فوارسُ مالكٍ وأشياعُهم يومَ التقينا على بدرِ[5]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريّ بيته:

قتلنا أبا جهلٍ وعُتبةَ قبلَه وشَيبةَ يكْبُو لليدين للنَّحرِ

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

نجّى حَكيماً يوم بدر شَدُّهُ كَنَجَاءِ مُهْرٍ من بنات الأعْوج[6]
لما رأى بدراً تسيلُ جِلاهُهُ بكَتيبةٍ خضراءَ[7] من بَلْخَزْرج
لا يَنْكُلُونَ إذا لَقُوا أعداءهم يمشون عائدة الطّريق المِنْهَج
كم فيهمُ من ماجدٍ ذي مَنْعةٍ بَطَل بِمَهْلَكَة الجَبَان المُحْرَج
ومُسَوَّدٍ يُعْطي الجزيلَ بكفّهِ حَمَّال أثقال الدِّيات مُتَوَّج
زَيْنِ النَّدِيِّ معاوِدٍ يومِ الوَغَى ضَرْبَ الكُماة بكُلِّ أبيض سَلْجَج[8]

قال ابن هشام: قوله سَلْجَج، عن غير ابن إسحاق.

---

(١) إبارتُنا: إهلاكنا.
(٢) قاصمة الظهر: أي المصيبة التي تقصم الظهور.
(٣) ثائرة القتْر: ما ثار من الغبار.
(٤) العاويات: الذئاب والسباع. ينوبه: يأتيه مرة بعد أخرى.
(٥) سيرة ابن كثير ٢/٥٢٨
(٦) الأعوج: نوع كريم من الخيل. والبيت في نسب قريس ٢٣١
(٧) الجلاه: ما يستقبلك من جَنبات الوادي. وخضراء: سوداء من كثرة الحديد الذي عليها.
(٨) السلجج: الماضي.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان أيضاً:

فـمـا نخْشَـى بحَـوْل الله قـومـاً ... وإنْ كَـثـرُوا وأُجْمِعَت الـزُّحُـوفُ
إذا مـا أَلَّبُـوا جـمْـعـاً علينـا ... كـفـانـا حـدَّهـم ربٌّ رَءوف
سَـمَـوْنـا يـومَ بـدر بـالعـوالي ... سِـراعـاً مـا تُضَعْضِعُنـا الحُتـوف
فلم تـر عُصبـةً في النـاس أنكى ... لمن عـادَوْا إذا لَقِحت كَشُـوف[1]
ولـكـنّـا تـوكّـلْنـا وقُـلْنـا ... مـآثُـرنـا ومَـعْـقِلنـا السّـيـوف
لقينـاهـم بـهـا لـمّـا سَـمَـوْنـا ... ونـحـنُ عـصـابـةٌ وهُـمُ أُلـوف

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، يهجو بني جُمَح ومَن أصيب منهم:

جَمَحَتْ بنـو جُمَح لِشَقْـوة جدّهم ... إنّ الـذلـيـل مُـوكَّـل بـذليـلِ
قُـتِلت بـنـو جُمَـحٍ ببـدْر عَنْـوةً ... وتخـاذلـوا سَعْيـاً بكـلّ سبيـل
جَحَـدوا الكِتـاب وكَذّبـوا بمحمّـد ... والله يُـظهِـر ديـن كـلّ رسـول
لَـعَن الإلـه أبـا خُـزيمـة وابنَـه ... والخـالـدَيْن، وصـاعِـدَ بن عَقِيـل

قال ابن إسحاق: وقال عُبيدة بن الحارث بن المطّلب في يوم بدر، وفي قطع رِجْله حين أصيب، في مبارزته هو وحمزة وعليّ حين بارزوا عدوّهم ـ قال ابن هشام، وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لعُبيدة:

سَتَبْلُغ عنّـا أهـلَ مكّـة وقْعـةٌ ... يَهُبّ[2] لهـا مَن كـان عن ذاك نـائيـا
بـعُـتْبـة إذ ولّـى وشـيْـبـة بـعـدَه ... ومـا كـان فيهـا بِكْـرُ عُتْبـة راضيـا[3]
فـإنْ تَقْـطَعـوا رِجْلي فـإنّي مُسْلِم ... أُرَجّـى بهـا عـيشـاً مـن الله دانيـا
مع الحُور أمثالَ التماثيـل أُخلِصت[4] ... مـع الجنّـة العُلْيـا لمن كـان عـالِيـا

(١) لقِحت: حملت. والكشوف: الناقة التي يضربها الفحل في وقت لا تشتهيه. والمعنى أنّ الحرب قد هاجت بعد سكون.
(٢) يهب: يستيقظ.
(٣) بكرعُتْبه: ابن عُتبة البِكْر.
(٤) التماثيل: الصور المتقنة الصنع والضمير في أخلصت يعود على الحور العين، والمعنى خصّ بها.

وبِعتُ بها عيشاً تعرَّقْتُ[1] صَفْوه   وعالجتُه حتّى فقدتُ الأدانيا
فأكرمني الرحمنُ من فَضْل مَنِّه   بثَوْب من الإسلام غَطَّى المَساويا
وما كان مكروهاً إليّ قِتالُهم   غداةَ دعا الأَكْفاءَ مَن كان داعِيا
ولم يَبْغ إذا سالوا النبيّ سواءنا   ثلاثَتنا حتّى حَضَرْنا المناديا
لقِيناهم كالأُسْد تَخْطِر بالقَنا   نُقاتل في الرَّحمن مَن كان عاصِيا
فما بَرِحتْ أقدامُنا من مقامنا   ثلاثتنا حتى أُزِيرُوا المَنائيا[2]

قال ابن هشام: لما أصيبت رِجْل عُبيدة قال: أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعَلِم أنّي أحقّ بما قال حين يقول:

كَذَبتم وبيتِ اللهِ يُبْزى[3] محمدٌ،   ولمّا نُطَاعِنْ دُونَهُ ونُناضِل
ونُسْلِمه حتى نُصرَّع حولَه   ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائلِ[4]

وهذان البيتان في قصيدة لأبي طالب، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب.

قال ابن إسحاق: فلما هلك عُبيدة بن الحارث من مُصاب رِجْله يوم بدر. قال كعب بن مالك الأنصاريّ يبكيه:

أيا عين جُودي ولا تَبْخَلي   بدَمْعك حقّاً ولا تَنْزُري
على سيّدٍ هَدَّنا هُلْكُهُ   كريم المشاهد والعُنْصر
جريء المقدَّم شاكي السّلاح   كريم النثا طيّب المَكْسِر[5]
عُبيدة أمسى ولا نَرْتجيه   لعُرْفٍ عَرَانا ولا مُنْكر
وقد كان يحمي غداة القِتا   ل حامية الجَيْش بالمِبْتَرِ

(١) التعرّق: المزج.
(٢) المنائيا: المنايا. زيدت فيها الهمزة. والأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٨، ٥٢٩
(٣) يُبْزى: أي لا يبزى. والمعنى: لا يقهر.
(٤) البيتان في نسب قريش ٩٤، والأغاني ١٧/٢٨ (البيت الأول) و٤/٢٦ (البيت الثاني) مع اختلاف.
(٥) النثا: ما يتحدث به عن الشخص من خير أو شر. وطيّب المَكْسر: خال من العيب.

وقال كعب بن مالك أيضاً، في يوم بدر:

ألا هل أتى غسّان في نَأي دارِها ... وأخْبرُ شيءٍ بالأمور عَليمها
بأنْ قد رَمَتْنا عن قِسِيّ عَداوةً ... مَعَدٌّ معاً جُهّالُها وحليمها
لأنّا عَبَدْنا الله لم نَرْجُ غيرَه ... رجاء الجِنان إذ أتانا زعيمها
نبيّ له في قومه إرثُ عزَّة ... وأعراقُ صدق هذَّبتها أُرومها[1]
فساروا وسِرْنا فالتَقَيْنا كأنَّنا ... أُسُود لِقاء لا يُرجَّى كَلِيمها[2]
ضربناهُم حتَّى هوى في مَكرِّنا ... لَمَنْحر سَوْءٍ من لُؤَيّ عظِيمها
فولَّوْا ودُسْناهم بِبيض صَوارم ... سواءٌ علينا حِلفُها وصَميمها[3]

وقال كعب بن مالك أيضاً:

لَعَمْر أبيكُما يابْنَيْ لُؤَيٍّ ... على زَهْوٍ لَدَيكم وانتِخاء[4]
لما حامَت[5] فوارسُكم بِبَدْرٍ ... ولا صَبروا به عند اللقاء
ورَدْناه بنور الله يَجْلو ... دُجَى الظَّلْماءِ عنّا والغِطاء
رسول الله يَقْدُمنا بأمر ... مِن امرِ الله أحكَم بالقضاء
فما ظَفِرَتْ فوارسُكم ببدْر ... وما رجعوا إليكم بالسَّواء
فلا تَعْجَل أبا سفيان وارقُبْ ... جِياد الخيل تطلُع من كَداء[6]
بنصر الله روحُ القُدْس فيها ... وميكالٌ، فيا طِيبَ المَلاء[7]

وقال طالب بن أبي طالب، يمدح رسول الله ﷺ، ويبكي أصحاب القليب من قريش يوم بدر:

---

(١) الأروم: الأصول.
(٢) الكليم: الجريح.
(٣) حِلْفُها: حليفها، والصميم: الخالص. والأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٧
(٤) الانتخاء: الإعجاب.
(٥) حامت: من الحماية وهي الامتناع.
(٦) كَدَاء: مكان بمكة.
(٧) روح القدس: جبريل. وميكال: وهو ميكائيل عليهما السلام. والملاء: أراد الملأ وهم الأشراف. وألابيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٧

ألا إنّ عَيْني أنفـدَتْ دَمْعَها سَكْبـاً … تُبكِّي على كعب وما إن ترى كَعْبا
ألا إنّ كعباً في الحُـروب تخاذلـوا … وأرداهمُ ذا الـدّهـرُ واجتَـرَحُـوا ذَنْبا
وعـامـر تَبْكـي للمُـلِمَّـات غُـدْوةً … فيا ليت شِعْري هلى أرى لهما قُرْبا
همـا أخَـوايَ لن يُـعَـدّا لِغَيَّـةٍ[1] … تُعَـدُّ ولن يُسْتام جـارُهما غضْبـا
فيـا أخَـوَيْنـا عبـدَ شمسٍ ونـوفلا … فِـداً لكما لا تَبْعَثُـوا بَيْننا حـرْبا
ولا تُصْبحـوا من بـعـد وُدٍّ وألفـةٍ … أحـاديثَ فيهـا كلُّكم يشتكي النَّكْبـا
ألم تعلموا ما كان في حرْب داحسٍ[2] … وجيش أبي يَكْسُوم إذ مَلَئُوا الشِّعْبا
فـلولا دِفـاع الله لا شـيء غـيـرُه … لأصبحتمُ لا تَمنعـون لكم سِـرْبـا[3]
فما إنْ جَنَيْنـا في قُـريش عـظيمـةً … سِوَى أنْ حَمَيْنا خيرَ مَنْ وطِيءَ التُّرْبا
أخـا ثِـقـةٍ في النّـائبـاتِ مُـرَزَّأً … كـريمـاً نثـاه لا بَخيـلاً ولا ذَرْبـا[4]
يُـطيف بـه العـافُـون يَغْشَـوْن بـابـه … يَؤُمّـون بحـراً لانَـزُورا ولا صَـرْبـا[5]
فـوالله لا تنفـكّ نـفسـي حـزينـةً … تَململ حتى تَصْدُقوا الخزْرجَ الضَّرْبا[6]

وقال ضِرار بن الخطّاب الفِهْرِيّ، يرثي أبا جهل:

ألا مَن لِعَيْنٍ بـاتت الليـلَ لـم تَنَمْ … تـراقبُ نَجْماً في سوادٍ من الـظُّلَم
كـأنّ قَـذًى فيهـا وليس بها قـذًى … سوى عَبْرة من جائل الـدَّمع تَنْسَجِم
فبلِّغْ قُـريشـاً أنّ خَيْـر نَـدِيِّهـا … وأكـرمَ من يمشي بسـاقٍ على قَـدَمِ
ثَـوَى يوم بـدر رَهْنَ خَوْصَـاءَ رَهْنُها … كريمُ المساعي غيـرُ وغْدٍ ولا بَـرِمِ[7]
فـآليتُ لا تـنفـك عـيني بعَبْـرة … على هالك بعـد الرئيس أبي الحَكَم

---

(١) يقال: هذا الشخص لغية إذا دُعي لغير أبيه.
(٢) انظر حرب داحس فيما سبق من السيرة وهامشها.
(٣) السرب: النفس.
(٤) الذَرْب: الفاسد.
(٥) الصرب: المنقطع.
(٦) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٣، ٥٣٤
(٧) الخوصاء: البئر الضيقة. والبرم: البخيل.

على هالكٍ أشْجَى لُؤَيّ بن غالب ... أتَتْهُ المنايا يوم بدر فلم يَرِمِ[1]
ترى كِسَرَ الخَطِّيّ في نحر مُهْره ... لدى بائنٍ من لحمه بينها خِذَمْ[2]
وما كان ليثٌ ساكنٌ بطْن بِيشَةٍ ... لدى غَلَل يَجْري ببطْحاء في أجَمْ[3]
بأجرأ منه حين تختلف القنا ... وتُدْعَى نزال في القَماقِمة البُهَم[4]
فلا تَجْزَعوا آلَ المُغيرة واصبروا ... عليه ومَن يَجْزَع عليه فلم يُلم
وجِدُّوا فإنّ الموت مَكْرُمَةٌ لكم ... وما بعده في آخر العيش من نَدَم
وقد قلت إنّ الرِّيح طيّبةٌ لكم ... وعِزّ المقام غير شكّ لذي فَهَم

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لضِرار.

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام، يبكي أخاه أبا جهل:

ألا يا لهْفَ نفسي بعد عمرو ... وهل يُغْني التَلَهُّفُ من قتيلِ
يُخبِّرني المُخبِّر أنّ عَمْراً ... أمام القوم في جَفْرٍ مُحيل[5]
فقِدْماً كنتُ أحسب ذاك حقّاً ... وأنتَ لما تقدَّم غير فِيل[6]
وكنتُ بنِعْمة ما دُمْتَ حيّاً ... فقد خُلِّفْتُ في درج المَسِيل[7]
كأنّي حين أُمْسي لا أراه ... ضعيفُ العَقْد[8] ذو هَمٍّ طويل
على عمرو إذا أميستُ يوماً ... وطَرْفٍ من تَذكُّرِه كَلِيل

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها للحارث بن هشام؛ وقوله: «في جفر» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) لم يرم: لم يبرح.
(٢) الخطّي: الرماح. الخذم وقد تنطق بالجيم: قطع اللحم.
(٣) بطن بيشة: مكان تُنسب إليه الأسود. الغَلل: الماء الجاري في أصول الشجر، والأُجم: بضم الميم وفتحها وقد تُسكّن، مفردها أجمة: الشجر الكثير الملتف.
(٤) القماقمة: السادة الكرام، والبُهم: الشجعان.
(٥) الجفر المُحيل: البئر القديمة.
(٦) غيرُ فيل: أي غير فاسد الرأي.
(٧) دَرِج المسيل: موطن الذلّ والغَلَبَة.
(٨) العقد: العزم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شُعوب الليثي، وهو شَدّاد ابن الأسود:

تُحيِّي بالسلامة أمُّ بكر ... وهل لي بعد قومي من سلامِ
فماذا بالقَليب قَليب بدر ... من القَيْنات والشَّرب الكِرام
وماذا بالقَليبِ قَليب بدْر ... من الشِّيزَى[1] تُكَلَّل بالسَّنام
وكم لك بالطَّويّ طويّ بدر ... من الحَوْمات والنَّعَم المُسمام[2]
وكم لك بالطَّويّ بدر ... من الغايات والدُّسُع العظام[3]
وأصحاب الكريم أبى عليّ ... أخي الكاس الكريمة والنِّدَام
وإنّكِ لو رأيتِ أبا عَقيل ... وأصحابَ الثنيّة من نَعَام[4]
إذاً لَظَلِلْتِ مِن وَجْد عليهم ... كأُمّ السَّقْب[5] جائلة المَرَام
يُخبِّرنا الرسولُ لَسَوْفَ نَحْيا ... وكيف لِقاءُ أصداءٍ وَهام[6]

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة النحوي:

يخبّرنا الرسولُ بأنْ سنحْيا ... وكيف حياةُ أصداءٍ وهام

قال: وكان قد أسلم ثم ارتدّ.

وقال ابن إسحاق: وقال أُميَّة بن أبي الصَّلْت، يرثي من أصيب من قريش يوم بدر:

---

(١) الشِّيزى: جفان تصنع من خشب الأبنوس.
(٢) الطَّويّ: البئر المطْويّة بالحجارة، والحوْمات: القطع من الإبل. والمُسام: المرسَل في المرعى.
(٣) الدُّسُع: العطايا.
(٤) النعام: موضع.
(٥) السَّقْب: ولد الناقة وقت وضعه.
(٦) الأصداء: جمع صدى: وهو ما يتبقّى من الميت في قبره. والهام: جمع هامة: وهي طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل يصيح أسقوني حتى يؤخذ بثأره فيسكت. والأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٥، ٥٣٦ مع اختلاف بعض الألفاظ، وفي انساب الاشراف ١/٣٠٧ سبعة أبيات، منها بيتان ليسا هنا، مع اختلاف في اللفظ والترتيب. والبيت الأول في نسب قريش ٣٠١، وعزاه ابن دريد في الاشتقاق ٦٣ الى بحير بن عبدالله القشيري، والبيت الأخير في جمهرة ابن الكلبي ٨١، وذكر البخاري في صحيحه في مناقب الأنصار أربعة أبيات.

ألَّا بَـكـيـتِ عـلـى الـكِـرا م بني الكِـرام أُولى المَمَـادحْ
كـبـكـا الـحَـمـام عـى فَـرُو ع الأَيْـك في الغُصُن الجَوانِـح
يَـبْـكِـيـن حَـرَّى مُـسْـتَـكـيـ ـنـاتٍ يـرحن مـع الـرَّوائـح
أمـشـالـهـنَّ الـبـاكـيـا ت المُعْـولاتِ من النّـوائـح
مَن يَـبْـكِـهـم يَـبْـكِ عـلى حُـزْن ويصـدُق كـلُّ مـادح
مـاذا بـبَـدْر فـالـعَـقَـنْـ ـقَـل من مَرَازبـةٍ جَحـاجِـح[1]
فـمـدافـع الـبَـرَقَـيْـن فـالـحَـنَّـان مـن طَـرَف الأَواشِـح[2]
شُـمْـطٍ وشُـبَّـانٍ بَـهَـا لـيـل مَـغـاويـر وَحَـاوِح[3]
ألّا تَـرَوْن لِـمـا أرى ولـقـد أبـانَ لـكُـلِّ لامـح
أنْ قـد تَـغَـيَّـر بـطْنُ مـكّـ ـة فَهْي مُـوحِشـة الأبـاطـح
مـن كـلِّ بِـطْريـقٍ لـبِـطْريـ ق نَـقـيِّ الـلون واضِـحْ[4]
دُعْـمُـوصِ أبـواب الـمـلُو ك وجـائبٍ للخَرْقِ فـاتِـح[5]
مـن الـسُّـراطـمـة الـخـلا جمة المَلاوثـة المَنـاجِـح[6]
الـقـائـلـيـن الـفـاعـلـيـن الآمـريـن بـكُـلِّ صـالِـح
الـمُـطْعِمِـيـن الـشَّـحْـم فـو ق الخُبْـز شحْماً كـالأَنـافـح[7]
نُقُـل الجِـفـان مـع الجِـفـا ن إلى جفـانٍ كـالمَنـاضِـح[8]

---

(١) العَقَنْقَـل: المنعقد من كثبـان الرمـل ـ والمرازبـة: الرؤسـاء. وهي فارسيـة. والجحـاجـح: السادة.
(٢) مدافع: حيث يندفع السيل. البَرَقيْن: مكان. والحنّان: كثيب الرمل، والأواشح: مكان.
(٣) الوَحَاوح: جمع وحُوح: المنكمش الحديد النفس.
(٤) البِطريق: رئيس الأساقفة عند النصـارى وهو أيضـاً: القائـد من قوّاد الـروم وهو العـالم عند اليهود.
(٥) الدُعْمُوص: في الأصل دُويبة صغيرة تغوص في الماء، استعارها لمن يُكثر الـدخول عـلى الملوك. والجانب: القاطع. والخرق: الفلاة.
(٦) السراطمة: واسع الخلق. والخلاجمة: الطوال. والملاوث: السادة.
(٧) الأنافح: جمع أنفحة وهو شيء يخرج من بطن البهائم المجترّة لونه أصفر فشُبّه به الشحم.
(٨) المناضح: الحياض.

لـيْسَـت بـأصْـفـار لـمـن يـعـفـو ولا رَحٍّ رَحـارح[1]
لـلضَّيْـف ثم الـضَّـيـف بـعـد الضَّيف والبُسْط السَّلاطـح[2]
وُهُـب الـمِئِيـنَ من الـمِئـيـنَ إلـى الـمِئـيـنَ مـن الَّـلواقـح[3]
سَـوْق الـمُـؤَبَّـل لـلمُـؤَبَّـل صـادراتٍ عـن بَـلادِح[4]
لِـكِـرامِهـم فـوق الـكـرا م مـزيَّـةٌ وَزْنَ الـرَّوَاجـح
كَـتَـثَـاقُـل الأَرْطـال بـالـقِسْـطـاس فـي الأيـدي الـمَـوَائـح[5]
خَـذَلـتـهـمُ فِئَـةٌ وهـم يَحمـون عَـوْرات الفَضـائـح
الـضَّـاربـيـن الـتَّـقْـدُمِـيَّـةَ بـالـمُـهَـنَّـدة الـصَّـفـائِـح[6]
ولـقـد عَـنـانـي صَـوْتُـهـم مـن بيـن مُسْتَشْـقٍ وصـائـح
لله درُّ بَـنـي عـلـيٍّ أيِّـمٍ مـنـهـم ونـاكـح
إنْ لـم يُـغِـيـروا غـارةً شَعْـوَاءَ تُجْحِـر كُـلَّ نـابـح[7]
بـالـمُقْـرَبـات، الـمُـبْـعِـدا ت، الطَّامحات مع الطَّوامح[8]
مُـرْداً عـلـى جُـرْدٍ إلـى أُسْـدٍ مُـكـالِـبـةٍ كـوالـح
ويُـلاقِ قِـرنٌ قِـرْنَـهُ مَشْيَ المُصَـافِـح للمُصَـافِـح
بـزُهـاءِ ألـفٍ ثُـمَّ ألـ ـفٍ بـين ذي بَـدَن ورامِـح[9]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ.

---

(١) الأصفار: الآنية، ويعفو: يطلب المعروف. ورح رحارح أي واسعة من غير عمق.
(٢) السلاطح: الطوال العراض.
(٣) اللواقح: الحوامل.
(٤) المؤبّل: الإبل الكثيرة. وبلادح: موضع.
(٥) المِوائح: المتمايلة لثقل ما ترفعه.
(٦) التَّقْدُميّة: المتقدمين في أول الجيش. والصفائح: العراض.
(٧) تُجْحِر: تُلجيء الى جُحر.
(٨) المُقـرَبات: الكريمة التي تكون قرب البيوت اهتماماً بها، والمبعَدات: التي تبعد في جرْيها، والطامحات: التي ترفع رؤوسها.
(٩) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٦ ـ ٥٣٨، وفي انساب الأشراف ١/٣٠٦ تسعة أبيات. وهي ليست في ديوان امية. وانظر نسب قريش ١٠، ١١

وأنشدني غير واحد من أهل العلم بالشِعر بيته:

ويُلاقِ قِرنٌ قِرْنه مشي المُصافح للمُصافح

وأنشدني أيضاً:

وُهُبُ المئينَ من المئينَ إلى المئينَ من اللواقحْ
سَوْق المُؤَبَّل للمُؤَبَّل صادرات عن بلادِح

قال ابن إسحاق: وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت، يبكي زَمَعة بن الأسود، وقتلى بني أسد:

عينُ بَكِّي بالمُسْبِلات أبا الـ ـحارث لا تَذْخَري[1] على زَمَعه
وابكي عقيلَ بن أسودٍ أَسَد الـ ـبأْس ليوم الهِياج والدُّفَعَهْ
تلك بنو أسد إخْوَة الجَوْ زاء لا خانةٌ ولا خَدَعَه
هم الأُسرَة الوسيطة من كعْـ ـبٍ، وهم ذِرْوة السَّنام والقمعة[2]
وهم أَنْبَتُوا من معاشر شَعَر الر أس وهم ألحقوهمُ المَنَعَه
أمسى بنو عمّهم إذا حَضَر الـ بأسُ أكبادُهم عليهمُ وَجِعَه
وهم المُطْعِمون إذ قَحِط القَطْـ ـر وحالَتْ فلا ترى قَزَعَه[3]

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة، ليست بصحيحة البناء، لكن أنشدني أبو مُحرِز خَلَف الأحمر وغيره، وروى بعض ما لم يرو بعض:

عينُ بَكِّي بالمُسبَلات أبا الحا رث لا تذْخري على زَمَعه
وعقيلَ بن أسود أسدَ البأ س ليوم الهِياج والدُّفَعَة

---

(١) تذْخري: تدّخري.

(٢) الوسيطة: الشريفة. والقمعة: السنام.

(٣) القزعة: القطعة من السحاب المتفرق. الأبيات ليست في ديوان أميّة المطبوع، وهي في نسب قريش ٢٠٦، وأنساب الأشراف ١/٣٠٧، ٣٠٨ باختلاف في الألفاظ والترتيب.

فعلى مثـلِ هُلْكهم خَـوتِ الجَـوْ زاء، لا خـانـةٌ ولا خَـدَعـه
وهُـمُ الأسـرة الـوَسِيـطة مـن كعـ ـبٍ، وفـيـهـم كـذِرْوة الـقَـمَعـه
أنبتُـوا مـن معـاشـرٍ شَعَـر الـرأ س، وهـم لـحـقـوهُـمُ الـمَـنَعَـة
فـبنـو عـمِّـهـم إذا حـضـرو البـأ س عـلـيـهـم أكـبـادُهـم وجِـعَـه
وهُـمُ المُـطْعِـمـون إذ قَحِط الـقَطْ ر وحـالـت فـلا تـرى قَـزَعَـه

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارس بن سعد بن ضُبَيعة بن مازن بن عدِيّ بن جُشَم بن معاوية حليف بني مخزوم ـ قال ابن هشام: وكان مشركاً وكان مرّ بهبَيْرة بن أبي وهْب وهم منهزمون يوم بدر، وقد أعيا هُبيرة، فقام فألقى عنه درْعه وحمله فمضى به، قال ابن هشام: وهذه أصحّ أشعار أهل بدر:

ولمّـا أنْ رأيتُ القـوَم خَفّـوا وقـد زالت نعـامتُهم لنفْـرِ[1]
وأنْ تُـركَتْ سَراة القـوم صَرْعى كـأنّ خِيـارَهُم أذبـاحُ عِتْـر[2]
وكـانت جُمَّـةٌ وافتْ حِمـامـاً ولُقِّينـا المَنـايـا يـوم بَـدْر[3]
نصُـدّ عن الطريق وأدْركـونـا كـأنّ زُهـاءَهُم غـطَيـانُ بحْـر[4]
وقـال القائلون: من ابنُ قيْس؟ فقلتُ: أبـو أُسامـة، غيرَ فَخْـر
أنـا الجُشميّ كيمـا تَعـرفـوني أبـيِّن نِـسْبتي نَـقْـراً بـنَـقْـر[5]
فإنْ تَكُ في الغَلاصم[6] مِن قريش فـإنِّي من معـاويـة بن بـكـر
فـأبْلغ مـالكـاً لمـا غُشينـا وعندك مَال[7] ـ إنْ نبّـأتَ ـ خُبْري

(١) زالت، ورويت شالت نعامتهم كناية عن الهلاك فالنعامة باطن القدم ومن مات شالت رِجْله فظهرت باطنها.
(٢) العِتْر: الصنم الذي يُذبح له.
(٣) الجُمّة: الجماعة.
(٤) الغَطَيان: الفَيَضان.
(٥) النقر: الطعن في النسب، أي إن عبتم نَسَبي جاوبْتُكم بمثله.
(٦) الغلاصم: الأعالي.
(٧) مال: أصله مالك فرخّمه بحذف آخره.

وأبْلـغ إن بلغتَ الـمـرءَ عنّـا ... هُبَيْـرة، وهـو ذو عِـلم وقـدْر
بـأنّـي إذ دُعـيت إلـى أُفَـيْـدٍ[1] ... كرَرْتُ ولم يضِق بالكرّ صدري
عشِيّـة لا يُكَـرّ على مُضـاف[2] ... ولا ذي نعْمـة منهـم وصِهْـر
فـدونَكُمُ بني لأْيٍ[3] أخـاكـم ... ودونـك مـالكـاً يـا أمّ عَمْـرو
فلولا مَشْهـدي قـامت عـليـه ... مُـوَقَّفَةُ القـوائم أُمُّ أجْـري[4]
دَفُـوعُ لـلقُبـور بـمَنْكِبَيْـهـا ... كـأنّ بـوَجْههـا تَحميمَ قِـدْر[5]

فـأُقْسِم بـالـذي قـد كـان ربّي ... وأنْصابٍ لَدَى الجَمَرَات مُغْر[6]
لسـوف تَرَوْن مـا حَسَبي إذا مـا ... تـبـدَّلـت الـجُـلُود نِـمْـر
فما إنْ خادِرٌ من أُسد تَرْج ... مُدِلٌّ عَنْبَسٌ في الغِيل مُجْري[7]
فقـد أحْمى الأبـاءَة من كُـلافٍ ... فمـا يَـدْنـو لـه أحـدٌ بنقـر[8]
بخَـلٍّ تَعْجِـزُ الحُلفـاء عنـه ... يُـوائب كـلَّ هَجْهَجة وزَجْـر[9]
بـأوشَـك سَـوْرةً منّي إذا مـا ... حَبَـوْت لـه بقَـرْقَرة وهَـدْر[10]
ببيضٍ كـالأسنّـة مُـرْهفـاتٍ ... كـأنّ ظُبـاتِهنّ جحيم جَمْـر[11]

---

(١) أفَيْد: تصغير وفْد اسم للجمع، مثل ركْب، ولذلك جاز تصغيره.
(٢) المضاف: الخائف.
(٣) بني لأي: جاء به مكبّراً على أصله ويريد به بني لُؤَيّ.
(٤) المُوقَّفة: الضبع. والأجر؛ جمع جرو وهو ولدها.
(٥) التحميم: التلطّخ بالسواد.
(٦) الأنصاب: ما يذبحون عنده من الأحجار. ومُغْر: حمراء.
(٧) الخادر: الأسد في خدره، والخدر: أجمة الأسد. وتَـرْج، جبل بـالحجاز: والعَنْبس: العـابس الوجه، والغيل: الشجر الملتفّ. والمُجْري: ذو جراء، أي ذو أشبال.
(٨) الأبـاءة: أجَمَة الأسـد. والكُلاف: إمـا أن تكون اسم لمكـان أو لعله أراد أنه من شـدة كَلَفه بذلك.
(٩) الخَلّ: الطريق وسط الرمل. والحُلفـاء: الأصدقـاء المتحالفـون. والهجهجة: زجـر الأسد بـأن تقول له: هج هج.
(١٠) السَّوْرة: الحِدَّة. والقرقرة والهدر: من أصوات فحول الإبل.
(١١) الظُباة: جمع ظبة، حدّ السهم.

وأَكْلَفَ مُجَنـاٍ من جـلْد ثَـوْر ... وصَفْــراء البُــرايــة ذاتِ أُزَّر[1]
وأبيَض كـالغَـدِيـر ثَـوَى عليـه ... عُمَيـر بالمـداوِس نِصف شهْر[2]
أُرَفِّـل فـي حمـائـله وأمشـي ... كمِشْيـة خـادرٍ ليثٍ سِبَـطْر[3]
يقـول لي الفتى سعـدٌ هَـدِيّـا[4] ... فقلتُ: لعلّه تقـريبُ غـدْر[5]
وقلت أبـا عـديّ لا تَـطُرْهم ... وذلك إنْ أطَعْت اليوم أمـري[6]
كَـدَأْ بِهِمْ[7] بـفَـرْوَةَ إذ أتـاهم ... فـظَلَّ يُقـاد مكتـوفاً بضَفْـر[8]

قال ابن هشام: وأنشدني أبو محرز خَلَف الأحمر:

نُـصَـدُّ عـن الـطريـق وأدْرَكُـونـا ... كـأن سِـراعَـهـم تـيَّـارُ بَـحْـر

وقوله: مدلّ عَنْبس في الغِيل مُجْري ـ عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة أيضاً:

ألا مَـن مُـبـلغٌ عـنّـي رسـولاً ... مُـغَلْغَـلَـةً يُـثَـبِّـتُـهـا لَـطيـفُ[9]
ألـم تَـعْـلَـم مَـرَدَّى يـوم بـدر ... وقـد بَرَقَتْ[10] بجَنْبَيْـك الكُفُـوف
وقـد تُـرِكَتْ سَـراةُ القوم صَـرْعى ... كـأنّ رُءوسَـهـم حَـدَجُ نَقِيـف[11]

---

(١) الأكلف: الترس أسود الظاهر. والمجنأ: المنحني. وصفراء: القوس. والبراية: ما يتطاير منها حين تصنع.
(٢) الأبيض: السيف. وعُمير: اسم رجل يصقل السيوف. والمداوس الآلات التي تُصقل بها السيوف.
(٣) أرفّل: أطوّل. والسِّبطر: الطويل.
(٤) في نسب قريش: «ويدعوني الفتى عمروٌ هديّاً».
(٥) الهدي: ما يُهدى الى البيت، ونصبه على إضمار فعل من لفظه.
(٦) لا تُطْرهم: لا تقرّبهم.
(٧) في نسب قريش «كفعْلهم».
(٨) الدّأب: العادة. والضَفْر: الحبل المفتول. وهذا البيت (٢٧) والبيت الأسبق (٢٥) وردا في نسب قريش ٤٠٥.
(٩) المغلغلة: الرسالة. واللطيف: الحازم في أموره.
(١٠) برقت: لمعت.
(١١) الحدج النقيف: الحنظل المكسور لأخذ الحَبّ منه.

وقـد مـالتْ عليـك ببـطْن بـدْرٍ خِـلافَ القـوم داهيـةٌ خَصِيف[1]
فنجّـاه مـن الـغَمـرات عَـزْمـي وعـونُ الله والأمـرُ الـحَـصِـيـف
ومُـنْقَـلِـي مـن الأَبْـواءِ[2] وحـدِي ودونـك جـمْـعُ أعـداء وُقـوف
وأنـت لـمـن أرادك مـسـتـكـيـنٌ بـجَنْب كُـرَاش مكلومٌ نَـزِيـف[3]
وكـنـتُ إذا دعـانـي يـومَ كَـرْب من الأصحـاب داعٍ مُـسْتـضيـف[4]
فـأسـمعـني ولـو أحـببتُ نَفْسي أخٌ فـي مـثـل ذلـك أو حَـلِيـف
أرُدّ فـأكـشِـف الـغُـمَّـى وأرْمـي إذا كَـلَح الـمَـشـافـرُ والأُنـوف[5]
وَقِـرْنٍ قـد تـركـتُ على يـديـه يَـنُـوء كـأنّـه غُـصْـن قَـصِـيـف
دَلَـفْـتُ لـه إذا اختـلطوا بـحَـرَّى مُسَحْسَحَـةٍ لعـانـدهـا حَفِـيف[6]
فـذلـك كـان صُنعـي يـوم بـدر وقَـبْـلُ أخـو مُـداراة عَـزُوف[7]
أخـوكم في السِّنين كـمـا علمـتم وحـربٍ لا يـزال لهـا صَـريف[8]
ومِـقْـدَامٌ لـكـم لا يَـزْدَهِـيـنـي جَنـانٌ الليـل والأنَسُ الـلّفيـف[9]
أخـوض الـصَّـرَّة خَـوْضـاً إذا مـا الكلبُ ألـجاه الشَّـفِيـف[10]

قال ابن هشام: تركت قصيدةً لأبي أسامة على اللام، ليس فيها ذِكر بدر إلّا في أول بيت منها والثاني، كراهة الإكثار.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عُتبة بن ربيعة تبكي أباها يوم بدر:

---

(١) الخصيف المتراكم.
(٢) الأبواء: مكان بين مكة والمدينة وبه قبر آمنة أمّ الرسول ﷺ.
(٣) كُراش: اسم جبل، والمكلوم: الجريح.
(٤) المستضيف: الواقع في الضّيق.
(٥) المشافر: شفاه الإبل واستعارها هنا للآدميّ.
(٦) حَرّى: موجعة: صفة لموصوف محذوف أي طعنة موجعة. المُسَحْسَحة: كثيرة سَيَلان الدم. والمعاند: العِرْق الذي لا ينقطع دمه. والحفيف: الصوت.
(٧) المداراة: مصانعة الناس. والعَزُوف: المترفّع عن الدنايا.
(٨) السنين: سنين القحط المجدبة. والصريف: الصوت.
(٩) جَنان الليل: ظلمته. الأَنَس اللفيف الجماعة الكثيرة.
(١٠) الصَّرَّة: شدّة البرد. الجَاه: الشديدة. والشفيف: الريح الشديدة.

أَعَيْنَيَّ جُودا بدمعٍ سَرِبْ ... على خير خِنْدَفٍ لم ينقلِبْ
تَداعى له رَهْطُهُ غُدْوَةً ... بنو هاشم وبنو المطَّلِب
يُذيقونه حدَّ أسيافهم ... يَعُلّونه بعد ما قد عَطِب
يَجرُّونَه وعفيرُ التراب ... على وجْهِه عارياً قد سُلب
وكان لنا جَبَلاً راسياً ... جميلَ المراةِ[1] كثيرَ العُشُب
وأمّا بُرَيٌّ[2] فلم أَعِنْه ... فأُوتيَ من خير ما يَحْتَسب

وقالت هند أيضاً:

يَريب علينا دهرُنا فيَسُوءنا ... ويأتي فما نأتي بشيءٍ يُغالبُهْ
أبعَدَ قتيل من لُؤَيِّ بن غالبٍ ... يُراع امرؤٌ إنْ مات أو مات صاحبُه
ألا رُبَّ يومٍ قد رُزئتُ مُرَزَّءاً ... تَروح وتَغْدُو بالجزيل مواهبُه
فأبْلغْ أبا سفيان عنّي مألُكاً[3] ... فإنْ ألْقهُ يوماً فسوف أُعاتِبه
فقد كان حربٌ[4] يَسْعَر الحربَ إنّه ... لكلّ امريء في الناس مولىً يُطالبُه

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

لله عينَا مَن رأى ... هُلْكاً كَهُلْك رِجاليَهْ
يا رُبَّ باكٍ لي غدا ... في النّائبات وباكيهْ
كم غادروا يوم القَليب ... غداةَ تلك الواعِيهْ[5]
من كلّ غيْثٍ في السِّنيـ ... ـن إذا الكواكبُ خاويه
قد كنت أحذَر ما أرى ... فاليوم حقّ حَذاريهْ

(١) المراة: أرادت مرآة العين فنقلت حركة الهمزة الى الساكن قبلها فحذفت الهمزة.
(٢) بُرَيّ: مصغّر البراء وهو اسم رجل.
(٣) المألك: الرسالة الشفوية.
(٤) حرب: والد ابي سفيان.
(٥) الواعية: الصراخ.

قــد كــنــت أحــذَر مــا أرى　　فــأنــا الــغــداةَ مُــوامِــيــه[1]
يــا رُبّ قــائــلةٍ غــداً　　يــا وَيْــحَ أمِّ مُــعــاوِيَــهْ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

يــا عــينُ بَــكِّــي عُــتُــبَــهْ　　شــيــخــاً شــديــد الــرَّقَــبَــةْ
يُــطْعِــم يــوم الــمَــسْــغــبــه　　يــدفــع يــومَ الــمَــغْــلَبَــه
إنّــي عــلــيــه حَــرِبــه[2]　　مَــلْهــوفَــةٌ مُــسْــتَــلَبَــهْ
لَــنَــهْــبِــطَنَّ يَــثْــرَبــه　　بــغــارةٍ مُــنْــثَــعــبــه[3]
فــيــهــا الــخــيــولُ مُــقْــرَبــه　　كــلُّ جــوادٍ سَــلْهَــبَــهْ[4]

وقالت صفيّة بنت مُسافر بن أبي عمرو بن أُميَّة بن عبدشمس بن عبدمَناف، تبكي أهل القَلِيب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش وتذكر مُصابهم:

يــا مَنْ لَعينٍ قَذاهــا عــائــز الــرَّمَــدِ　　حــدَّ النَّهارِ وقَرْنُ الشمس لم يَقِدِ[5]
أُخْبِرْتُ أنَّ سَراة الأكْرَمين معاً　　قــد أحرزتْهم مَنايـاهم إلى أمَـد
وفَرَّ بالقوم أصحابُ الرِّكاب ولم　　تَعْطِفْ غداتَئِذٍ أمٌ على ولــد
قــومي صفيٌّ ولا تَنْسَيْ قَرابَتَهُمْ　　وإنْ بكَيتِ فما تبكين من بُعُـد
كانوا سُقُوب[6] سماء البيت فانقصفتْ　　فأصبح السَّمك منها غيرَ ذي عَمَد

---

(١) موامية: أصلها مؤامية وهي الذليلة.
(٢) الحرِبة: الحزينة.
(٣) المنثعبة: سريعة السَّيَلان.
(٤) السلهبة: الفَرَس الطويلة.
(٥) القذا: ما يقع في العين من الأذى. والعائر: وجع في العين وحدّ النهار: الفاصل الذي بينه وبين الليل: وقرن الشمس: أعلاها. ولم يقد: لم يتم نوره.
(٦) السقوب: عُمُد الخباء.

قال ابن هشام: أنشدني بيتها: «كانوا سُقوب» بعض أهل العلم بالشِعر.

قال ابن إسحاق: وقالت صفية بنت مسافر أيضاً:

ألا يا من لِعَيْن ... لِلتَّبكّيّ دمْعها فان
كَغَرْبَيْ دالج[1] يَسْقي ... خِلال الغَيْث الدّان
وما لَيْثُ غَرِيفٍ[2] ذو ... أظافيرٍ وأسنان
أبو شِبْلَيْن وثّابٌ ... شديدُ البطش غَرْثان[3]
كحِبّي إذا تولّى ... ووجُوه القوم أُلوان
وبالكفّ حُسام صا ... رم أبيضُ ذُكْرَان[4]
وأنت الطّاعن النّجلا ... ء مِنْهَا أبيضُ مُزْبِدٌ آن[5]

قال ابن هشام: ويروون قولها: «وما ليث غريف، إلى آخرها، مفصولاً من البيتين اللذين قبله.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت أُثاثة بن عبّاد بن المطّلب ترثي عُبيدة بن الحارث بن المطّلب:

لقد ضمّن الصّفْراءُ[6] مجداً وسُؤْدُداً ... وحِلْماً أصيلاً وافرَ اللُّبِّ والعَقْل
عُبيدةَ فابكيه لأضْياف غُربةٍ ... وأرمَلة تَهْوي لأشعثَ كالجِذْل[7]
وبَكّيهِ للأقْوامِ في كلّ شَتْوة ... إذا احمرَّ آفاقُ السّماء من المَحْل

---

(١) الغَرب: الدلو العظيمة. الدالج السائر بالدلو بين البئر والشجر.
(٢) الغريف: أجة الأسد.
(٣) الغَرْثان: الجَوْعان.
(٤) الذُكران: أجود الحديد وأيبسه.
(٥) المزبد الذي له زَبَد وهو الرغوة. وآن: حام.
(٦) الصفراء: موضع بين مكة والمدينة.
(٧) الأشعث: المتغير. والجذْل: أصل الشجرة.

وبَكّيه للأيتام والريحُ زَفْرَةٌ وتَشبيب قِدْر طالما أزْبدِتْ تَغْلي[1]
فإن تُصبح النِّيران قد مات ضَوؤُهَا فقد كان يُذْكِيهنّ بالحَطب الجَزْل
الطارِقِ ليلٍ أو لمُلتمس القِرَى ومُسْتَنْبح أضحَى لَدَيْه على رِسْل[2]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت قُتيلة بنت الحارث، أخت النضر بن الحارث[3]، تبكيه:

يا راكباً إنّ الأثَيْلَ مَظِنّةٌ من صُبْح خامسةٍ وأنتَ مُوفَّقُ
أبْلِغْ بها مَيْتاً بأنّ تحيّةً ما إنْ تَزالُ بها النّجائبُ تَخْفِقُ
منّي إليك وعبرةً مسفوحةً جادت بواكفها[4] وأخرى تخنق
هل يَسْمعنّي النضرُ إنْ ناديتُه أم كيف[5] يَسمع ميّتٌ لا يَنْطِق
أمحمدٌ يا خيرَ ضَنْءِ كريمةٍ[6] في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِق[7]
ما كان ضرَّك لو مَنَنْتَ وربّما منَّ الفتى وهو المَغِيظ المُحْنَق
أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فلْيُنْفِقَنْ بأعزّ ما يَغْلو به ما يُنْفق
فالنّضر أقربُ من أسرت[8] قرابةً وأحقّهم إن كان عِتْق يُعتِق
ظلّت سيوفُ بني أبيه تَنُوشُه لله أرحامٌ هناك تُشَقّق

---

(١) الريح الزفرة: الشديدة. التشبيب: إيقاد النار تحت القدر. وأزبدت: رمت بالزَبَد وهو الرغوة.

(٢) المستنبح: الضال بالليل فينبح مثل الكلاب فتجاوبه كلاب الحيّ فيُهتَدَى إليه. والرِسْل: هنا الرخاء.
والأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٢

(٣) الصحيح) انها بنت النضر لا أخته.

(٤) الواكف: السائل. وفي نسب قريش: لمائحها.

(٥) في نسب قريش «إن كان».

(٦) في نسب قريش: «أمحمدٌ ولأنت ضِنء نجيبة».

(٧) الضنْء: الأصل. والمعرق: الكريم.

(٨) في نسب قريش «تركت»

صبـراً[1] يقـاد إلى المَنِيّـة مُتْعَبـاً   رَسْفَ المُقيَّـد وهـو عـانٍ مُـوثَق[2]

قال ابن هشام: فيقـال، والله أعلم: إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ لما بلغه هـذا الشِعر قال: لو بلغني هذا قبل قتْله لَمَنَنْت عليه.

قال ابن إسحاق: وكـان فراغ رسـول الله ـ ﷺ ـ من بدر في عقب شهـر رمضان أو في شوال.

بحمد الله وتوفيقه تم مراجعـة هذا الجـزء وتخريـج أحاديثـه والإحالـة إلى مصادره ومراجعه على يد طالب العلم «عمر عبد السلام تدمري» بمـدينة طـرابلس الشـام المحـروسـة، في يـوم الثـلاثـاء ٢٥ من ذي القعـدة ١٤٠٧ المـوافق ١٩٨٧/٧/٢١.

---

(١) في نسب قريش «قسراً».

(٢) الأبيات في نسب قريش ٢٥٥ بتقديم وتأخير واختلاف في الألفاظ، وفي عيون الأثـر ١/٢٩١، ٢٩٢، والأغاني ١/١٠، ١١، والبيان والتبيين للجاحظ ٢/٢٣٦، ومعجم البلدان ١/١١٢، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ـ طبعة بولاق ـ ٣/١٤، ١٥.

١ ـ فهرس الآيات الكريمة
حسب ورودها في الجزء

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس قوافي الأشعار والأراجيز

٤ ـ فهرس الأعلام

ج

ح

خ

د

ظ

ع

غ

ك

ن

٥ - فهرس الأماكن والبلدان

فهرس مواضيع الكتاب

السيرة النبوية

لابن هشام

" المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ "

علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها

أستاذ دكتور

عمر عبد السلام تدمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الجزء الثالث

الناشر

دار الكتاب العربي

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الكتاب العربي

فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلكس: L.E.٤٠١٣٩ كتاب برقيا: الكتاب ص. ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

السيرة النبوية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

غزوة بني سُلَيم بالكُدْر[1]

قال ابن إسحاق: فلما قدِم رسولُ الله ﷺ لم يُقِم بها[2] إلّا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه، يريد بني سُليم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغِفاريّ[3]، أو ابن أمّ مكتوم.

قال ابن إسحاق: فبلغ ماءً من مياههم؛ يقال له: الكُدْر[4]، فأقام عليه

---

(١) وتُعرف بغزوة «قرقرة الكُدْر» (الطبقات الكبرى ٢/ج٣١)، أو «قرارة الكُدْر» (المغازي للواقدي ١٨٢/١) وانظر عنها في: أنساب الأشراف ٣١٠/١ رقم ٦٧٩، وتاريخ الطبري ٤٨٢/٢ و٤٨٣، والكامل في التاريخ ١٣٩/٢، ونهاية الأرب ٧١/١٧، ٧٢، والروض الأنف ١٤٢/٣، وعيون الأثر ٢٩٤/١، وسيرة ابن كثير ٥٣٩/٢، وعيون التواريخ ١٤٢/١، وتاريخ الاسلام (المغازي)، وتاريخ خليفة ٥٨، والبدء والتاريخ ١٩٦/٤، والمحبّر ١١١

قال السهيلي: «القرقرة: أرض ملساء، والكُدْر: طيرفي ألوانها كُدر، عُرف بها ذلك الموضع، وقد كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يذكر مسيره مع رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، فقال لعمران بن سوادة حين قال له: إن رعيّتك تشكو منك عنف السياق، وقهر الرعية، فذقر على الدّرّة، وجعل يمسح سيورها، ثم قال: قد كنت زميل رسول الله ﷺ في قرقرة الكُدْر، فكنت أرتع فأشبع وأسقى فأروى، وأكثر الزجر، وأُقلّ الضرب، وأرد العَنُود، وأزجر العروض، وأضمّ اللغوت، وأُشهر العصا، وأضرب باليد، ولولا ذلك لأعذرت أي: لضيّعت فتركت، يُذكر حسن سياسته، فيما ولي من ذلك» (الروض الأنف ١٤٢/٣).

(٢) أي لم يُقم بالمدينة لما قدم من بدر.

(٣) ويقال له الكناني. حدّث عنه أبو هريرة. (الإصابة ١٣/٢).

(٤) الكُدْر: قال الواقدي: بناحية المعدن قريبة من الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد. وقال غيره: ماء لبني سُليم. (معجم البلدان ٤٤١/٤).

ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جُلّ الأسارى من قريش.

غزوة السَّويق[1]

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ، قال: ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السَّويق[2] في ذي الحجّة، وولي تلك الحجّة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان كما حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، ويزيد بن رُومان، ومَن لا أتّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة، ورجع فَلُّ[3] قريش من بدر، نَذَر أن لا يمسّ رأسه ماء من جنابة[4] حتى يغزو محمداً ﷺ، فخرج في مئتي راكب من قريش، ليبرّ يمينه، فسلك النجديّة، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: ثيب[5]، من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل، حتى أتى بني النّضير تحت الليل، فأتى حُيَيّ بن أخطب، فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له بابه وخافه، فانصرف عنه إلى سَلام بن مِشكم، وكان سيّد بني النضير في زمانه ذلك، وصاحب كَنزهم. فاستأذن عليه، فأذِن له، فقَرَاه وسقاه وبَطَنَ[6] له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلة حتى أتى أصحابَه. فبعث

---

(١) أنظر عنها في: تاريخ خليفة ٥٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٠، وتاريخ الطبري ٢/٤٨٣ - ٤٨٥، والمغازي للواقدي ١/١٨١، ١٨٢، ودلائل النبوّة للبيهقي ٢/٤٣٣، وأنساب الأشراف ١/٣١٠ رقم ٦٧٨، والكامل في التاريخ ٢/١٣٩، ١٤٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/٧٠، ٧١، وعيون التواريخ ١/١٤٢، ١٤٣، وسيرة ابن كثير ٢/٥٤٠، ٥٤١، وعيون الأثر ١/٢٩٦، والمغازي لعروة ١٦١، والدرر ١٤٧، والبدء والتاريخ ٤/١٩٦، والمحبّر ١١١.

(٢) السَّويق: هو الحنطة أو الشعير المحمّص المطحون والممزوج بالعسل والسمن.

(٣) الفَلّ: المنهزمون.

(٤) كان الغُسل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية. أنظر: الروض الأنف ٣/١٤٢.

(٥) أثبته محقّق تاريخ الطبري ٢/٤٨٤ «تَيْت». وانظر عيون الأثر ١/٢٩٦.

(٦) بطن له خبر الناس: أطلعه على سرّهم.

رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها، يقال لها: العُرَيْض[1] فحرّقوا في أصوار[2] من نخلٍ بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرْث لهما، فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس. فخرج رسولُ الله ﷺ في طلبهم، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، وهو أبو لُبابة، فيما قال ابن هشام، حتى بلغ قَرْقَرَة الكُدْر، ثم انصرف راجعاً، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرْث يتخفّفون منها للنّجاء، فقال المسلمون، حين رجع بهم رسولُ الله ـ ﷺ : يا رسولَ الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم».

قال ابن هشام: وإنّما سُمِّيت غزوة السّويق، فيما حدّثني أبو عُبيدة: أنّ أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السّويق، فهجم المسلمون على سَوِيق كثير فسُمِّيت غزوة السّويق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان بن حرب عند مُنصرفه، لما صنع به سلام بن مِشْكم:

وإنّي تخيّرتُ المدينةَ[3] واحداً ... لِحلْفٍ فلم أندمْ ولم أَتَلَوَّم
سقاني فروّاني كُمَيتاً مُدامَةً[4] ... على عَجَلٍ مِنّي سلامُ بن مِشْكَم
ولما تولّى الجيشُ قلتُ ولم أكنْ ... لأُفْرِحَهُ: أَبْشِرْ بِعزٍّ وَمَغْنم
تأمَّلْ فإنَّ القومَ سِرٌّ وإنَّهم ... صريحُ لُؤَيّ لا شَماطِيطُ جُرْهُم[5]
وما كان إلاَّ بعضُ ليلةِ راكبٍ ... أتى ساعياً من غير خَلَّة مُعدِمِ[6]

---

(١) العُرَيض: واد بالمدينة، كأنه على صيغة التصغير من عرض أو عرض، والعرض كل واد فيه شجر. وقيل كل واد فيه قرى ومياه. وأعراض المدينة بطون سوادها أو قراها التي في أوديتها، ويقال للرساتيق بأرض الحجاز الأعراض. (معجم البلدان ٤/١١٤).

(٢) أصوار: مفردها صَوْر. وهو جماعة النخل الصغار، ويقال لغير النخل من الشجر صَوْر وصيران. (تاج العروس ١٢/٣٦٢).

(٣) المدينة: أراد من المدينة.

(٤) الكميت: اسم من أسماء الخمر. (نظام الغريب ٥٩).

(٥) السرّ والصريح: الخالص. والشماطيط: المختلطون.

(٦) ورد البيت الثاني في المغازي للواقدي ١/١٨٢ وأنساب الأشراف ١/٣١٠ وأضافا بيتاً آخر=

غزوة ذي أَمَر[1]

فلما رجع رسولُ الله ﷺ من غزوة السَّويق، أقام بالمدينة بقية ذي الحجّة أو قريباً منها، ثم غزا نجْداً، يريد غَطَفان، وهي غزوة ذي أَمَر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بنجْد صفراً كلّه أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً. فلبِث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلاّ قليلاً منه.

غزوة الفُرْع من بُحْران[2]

ثم غزا رسولُ الله ﷺ «يريد قريشاً، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُحْران[3]، معدناً بالحجاز من ناحية الفُرْع[4]، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

= ليس هنا:

وذاك ابو عمرو يجود وداره ... بيثرب مأوى كلّ أبيض خِضْرم

(١) أنظر عنها في: المغازي للواقدي ١/١٩٣ ـ ١٩٦، وتاريخ خليفة ٦٥، وتاريخ الطبري ٢/٤٨٧، والطبقات الكبرى ٢/٣٤، ٣٥، ونهاية الأرب ١٧/٧٧ ـ ٧٩، وتاريخ الاسلام (المغازي)، وسيرة ابن كثير ٣/٣، ٤، وعيون التواريخ ١/١٤٧، ١٤٨، وعيون الأثر ١/٣٠٣، ٣٠٤، والبدء والتاريخ ٤/١٩٧، ١٩٨، والمحبّر ١١٢، وكانت في أول السنة الثالثة للهجرة.

(٢) أنظر عن الغزوة في: تاريخ خليفة ٦٥، ٦٦، وتاريخ الطبري ٢/٤٨٧، والمغازي للواقدي ١/١٩٦، ١٩٧، وأنساب الأشراف ١/٣١١ رقم ٦٨١، والكامل في التاريخ ٢/١٤٢، ونهاية الأرب ١٧/٧٩، وتاريخ الاسلام (المغازي)، والروض الأنف ٣/١٤٢، وعيون الأثر ١/٣٠٤، وسيرة ابن كثير ٣/٤، ٥، وعيون التواريخ ١/١٤٨، والمحبّر ١١٢.

(٣) بُحران: بالضم، موضع بناحية الفُرْع. قال الواقدي: بين الفُرْع والمدينة ثمانية بُرُد. وقال ابن اسحاق: هو معدن بالحجاز في ناحية الفرع. وضبطه بعضهم بالفتح (بَحران) (معجم البلدان ١/٣٤١).

(٤) الفُرْع: بالسكون، بين مكة والمدينة. وقال السهيلي في الروض الأنف ٣/١٤٣: الفُرُع بضمّتين. وهي أول قرية مارت اسماعيل وأمّه التمر بمكة.

أمر بني قَيْنُقاع[1]

قال: وقد كان فيما بين ذلك، من غزو رسول الله ـ ﷺ ـ أمر بني قَيْنُقاع، كان من حديث بني قينقاع أنّ رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قَيْنُقاع، ثم قال: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلِموا، فإنّكم قد عرفتم أنّي نبيّ مُرْسَل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم»؛ قالوا: يا محمد، إنّك ترى أنّا قومك؟! لا يغرنّك أنّك لقيت قوماً لا عِلم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس.

قال ابن إسحاق: فحدّثني مولًى لآل زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبير، أو عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلّا فيهم: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادِ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾**: أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ، وقريش **﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾**[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنَّ بني قَيْنُقَاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد.

قال ابن هشام: وذكر عبد الله بن جعفر بن المِسْوَر بن مَخْرَمَة، عن أبي عَوْن، قال: كان من أمر بني قَيْنُقَاع أنّ امرأةً من العرب قدِمت بجَلَبٍ[3] لها،

---

(١) أنظر عنهم في: الطبقات الكبرى ٢/٢٨ ـ ٣٠، والمغازي للواقدي ١/١٧٦ ـ ١٨٠، وتاريخ الطبري ٢/٤٧٩، ٤٨١، والبدء والتاريخ ٤/١٩٥، ١٩٦، وأنساب الأشراف ١/٣٠٨، ٣٠٩ رقم ٦٧٧، والكامل في التاريخ ٢/١٣٧ ـ ١٣٩، ونهاية الأرب ١٧/٦٧ ـ ٧٠، والروض الأنف ٣/١٤٣، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ ١/١٤٠، ١٤١، وعيون الأثر ١/٢٩٤، ٢٩٥، وسيرة ابن كثير ٣/٥ ـ ٧، والمحبّر ١١٢، وتاريخ خليفة ٦٦.

(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٢ و١٣.

(٣) الجلب: البضائع التي توضع في الأسواق للبيع.

فباعته بسوق بني قَيْنُقَاع، وجلست إلى صائغٍ بها، فجعلوا يريدونها على كَشْف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت، انكشفت سَوْءَتُها، فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديّاً، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرّ بينهم وبين بني قَيْنُقَاع.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، قال: فحاصرهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلوا على حُكمه، فقام إليه عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول، حين أمكنه منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مَواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج: قال: فأبطأ عليه رسولُ الله ﷺ؛ فقال: يا محمد أحسِن في مواليَّ، قال: فأعرض عنه. فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذات الفضول.

قال ابن إسحاق: فقال له رسولُ الله ﷺ: «أرسِلْنِي»، وغضب رسولُ الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُلَلا[1]، ثم قال: «وَيْحَك! أَرْسِلْنِي»؛ قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ، أربعمائة حاسر[2] وثلاثمائة دارع[3] قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إنّي والله امرؤ أخشى الدوائر؛ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «هم لَكَ»[4].

قال ابن هشام: واستعمل رسولُ الله ﷺ على المدينة في محاصرته إيَّاهم بشيرَ بنَ عبد المنذر، وكانت محاصرته إيَّاهم خمس عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن عُبادة بن الوليد بن

---

(١) الظلل: جمع ظللة، واستعاره هنا لتغيّر الوجه وتجهّمه.
(٢) الحاسر: من لا درع له.
(٣) الدارع من عليه درع.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٨٠، المغازي للواقدي ١/١٧٧، ١٧٨، الطبقات الكبرى ٢/٢٩، البدء والتاريخ ٤/١٩٥، ١٩٦، أنساب الأشراف ١/٣١١، نهاية الأرب ١٧/٦٩، تاريخ الإسلام (المغازي).

عُبادة بن الصَّامت قال: لما حاربت بنو قَيْنُقَاع رسول الله ﷺ، تشبّث بأمرهم عبد الله بن أُبيّ بن سَلول وقام دونهم. ومشى عُبادة بن الصَّامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرّأ إلى الله عزَّ وجلَّ، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولّى الله ورسولَهُ ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أُبيّ نزلت هذه القصّة من المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[1] أي لعبد الله بن أُبيّ وقوله: إنّي أخشى الدوائر ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ، وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾[2]، ثم القصّة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[3]. وذكر لتولّي عُبادة بن الصَّامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرّئه من بني قَيْنُقاع وحلفهم وولايتهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[4].

سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدة[5]

قال ابن إسحاق: وسرية زيد بن حارثة التي بعثه رسولُ الله ﷺ فيها، حين أصاب عِير قريش، وفيها أبو سفيان بن حرب، على القَرَدَة[6]، ماء من

---

(١) سورة المائدة ـ من الآية ٥١ ـ الى ٥٢.

(٢) سورة المائدة ـ الآية **٥٢-٥٣**

(٣) سورة المائدة ـ الآية ٥٦.

(٤) انظر عنها في: المغازي للواقدي ١/١٩٧، ١٩٨، والطبقات الكبرى ٢/٣٦، وتاريخ الطبري ٢/٤٩٢، والبدء والتاريخ ٤/١٩٨، والكامل في التاريخ ٢/١٤٥، ونهاية الأرب ١٧/٨٠، وعيون الأثر ١/٣٠٤، ٣٠٥، وعيون التواريخ ١/١٥١، وسيرة ابن كثير ٣/٨، ٩، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والروض الأنف ٣/١٤٣.

(٥) القَرَدَة: بالتحريك. كما في معجم البلدان ٤/٣٢٢ وأثبتها ابن الأثير (الفردة) بالفاء=

مياه نجد. وكان من حديثها: أنَّ قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجّار، فيهم: أبو سفيان بن حرب، ومعه فضة كثيرة، وهي عُظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل، يقال له: فرات بن حيّان يدلّهم في ذلك على الطريق.

قال ابن هشام: فرات بن حيّان، من بني عجْل، حليف لبني سهم.

قال ابن إسحاق: وبعث رسولُ الله ﷺ زيد بن حارثة فلقِيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العِير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدِم بها على رسول الله ﷺ.

فقال حسّان بن ثابت بعد أُحُد في غزوة بدر الآخرة يؤنّب قريشاً لأخذهم تلك الطريق:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشامِ قد حال دونها ... جِلادٌ كأفْواه المَخَاض الأوارِكِ[1]
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربّهم ... وأنصارِه حقّاً وأَيْدي الملائك
إذا سَلَكَتْ للغَوْر من بَطْن عالجٍ[2] ... فقُولا لها ليس الطريقُ هنالك

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات لحسّان بن ثابت، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله في موضعها.

مقتل كعب بن الأشرف[3]

قال ابن إسحاق: وكان من حديث كعب بن الأشرف: أنه لما أصيب أصحاب

= المفتوحة والراء الساكنة، ماء بنجد، مات به زيد الخيل، ويرد ذِكره، وضبطه ابن الفرات في غير موضع قَرَدة بالقاف. (الكامل ٢/١٤٥).

(١) الفَلَجات: العيون الجارية. والمخاض: حوامل الإبل: والأوارك: التي ترعى شجر الأراك الذي تُتّخذ من أغصانه المساويك.

(٢) الغَوْر: ما انخفض من الأرض. وبطن عالج: مكان.

(٣) أنظر عنه في: المغازي للواقدي ١/١٨٤ وما بعدها، والمغازي لعروة ١٦٢، ١٦٣، =

بـدر، وقدِم زيـد بن حارثـة إلى أهل السـافلة، وعبد الله بن رواحـة إلى أهـل العالية بشيرَيْن، بعثهما رسـولُ الله ﷺ إلى مَن بالمـدينة من المسلمين بفتـح الله عـزّ وجلّ عليـه، وقتْل مَن قتـل من المشركين، كمـا حـدّثني عبـد الله بن المغيث بن أبي بُـردة الظّفـريّ، وعبد الله بن أبي بكـر بن محمد بن عمـرو بن حـزم، وعاصم بن عمـر بن قَتادة، وصـالح بن أبي أُمـامة بن سهـل، كـلٌّ قـد حدّثني بعض حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلاً من طيّء، ثم أحـد بني نبهان، وكـانت أمّه من بني النضيـر، حين بلغه الخبـر: أحقّ هـذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمّي هذان الرجلان - يعني زيداً وعبد الله بن رواحـة - فهؤلاء أشراف العـرب وملوك الناس، والله لئن كـان محمـد أصـاب هؤلاء القوم، لَبَطْنُ الأرض خير من ظهرها.

فلما تيقّن عدوّ الله الخبرَ، خرج حتى قدِم مكة، فنزل على المطّلب بن أبي وداعـة بن ضُبيـرة السّهميّ، وعنـده عـاتكـة بنت أبي العيص بن أُميَّـة بن عبـد شمس بن عبـد مَنـاف، فـأنـزلتـه وأكـرمتـه، وجعـل يحـرّض على رسـول الله ﷺ، وينشد الأشعـار، ويبكي أصحاب القَلِيب من قـريش، الذين أصيبوا ببدر، فقال:

طَـحنَتْ رحى بـدرٍ لـمَهْـلك أهله ... ولِمثـلِ بـدرٍ تَسْتَـهِـلُّ وتَـدْمَـعُ
قُتِلَتْ سَـراةُ النّاس حـول حِيـاضِهم ... لا تَـبْـعَـدوا إنَّ الـمـلوكَ تُـصـرَّعُ
كم قـد أُصيب به من أبيضَ مـاجـدٍ ... ذي بهجـة يـأوي إليـه الضُّيَّـعُ
طَلْقِ اليـدين إذا الكـواكبُ أخلفتْ ... حمّـالِ أثقـالٍ يَسُـود ويَـرْبَـعُ(1)

= والـطبقـات الكبـرى ٢/ ٣١ - ٣٤، وتـاريـخ الـطبـري ٢/ ٤٨٩، ٤٩٠، وأنسـاب الأشـراف ١/ ٣٨٤، والبـدء والتاريخ ٤/ ١٩٧، والكامـل في التاريـخ ٢/ ١٤٣، ١٤٤، وعيـون الأثـر ١/ ٢٩٩، ٣٠٠، وفتح الباري ٧/ ٣٣٧ - ٣٤٠، وصحيح مسلم في الجهاد (١٢١)، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/ ٧٢ - ٧٧، وشرح المواهب ٢/ ١٥، وعيون التواريخ ١/ ١٤٨ - ١٥٠، وسيـرة ابن كثيـر ٣/ ٩ - ١٧، والـروض الأنف ٣/ ١٤٥ - ١٤٧، والمحبّـر لابن حبيب ١١٧ و٢٨٢ و٣٩٠، والأغـاني ١٩/ ١٠٦ طبعـة بـولاق، وشـرح السيـر الكبيـر ١/ ٢٧٠ / ٢٧٧.

(1) يربَع: أي يأخذ المرباع أي ربع الغنيمة وهو من نصيب الرؤساء في الجاهلية.

ويقـول أقـوامٌ أُسَـرٌّ[1] بسُخْـطهم إنّ ابنَ الأشـرف ظَـلَّ كعبـاً يَجْـزَع
صـدقـوا فليتَ الأرض سـاعـةَ قُتِّلوا ظَـلَّت تَسُـوخُ بـأهـلهـا وتُصـدَّع
صـار الـذي أَثَـرَ الحـديثَ بـطَعْنة أو عـاش أعمى مـرعَشـاً لا يسمـعُ
نُـبِّئت أنّ بـنـي الـمُـغـيـرة كـلَّهـم خشعوا لقتْل أبي الحكيم وجُدِّعوا[2]
وابـنـا ربـيـعـة عـنـده ومُـنَـبِّـهٌ مـا نـال مِثـل المُـهْلَكِين وتُـبَّـع
نُبِّئْتُ أنّ الـحـارث بن هـشـامهـم في النـاس يبني الصالحـات ويَجْمع
ليَـزُورَ يثـرِب بـالجُمـوع وإنَّمـا يحمي على الحَسَب الكريمُ الأَرْوع[3]

قال ابن هشام: قوله «تُبّع»، «وأسر بسخطهم». عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فقال:

أَبَكَى لِكَعْبٍ ثمْ عُـلَّ[4] بـعَبْـرة منـه وعـاش مُجَـدَّعـاً لا يَسمـعُ
ولـقـد رأيتُ ببـطن بـدرٍ منـهـمُ قَتْلى تسُـحّ لهـا العيـونُ وتَـدْمَـع
فـابكي فقـد أبكيتَ عبـداً راضعـاً شِبـه الكُعليْب إلى الكُعليْبة يَتْبَـع
ولقـد شَفَى الـرحمنُ منّـا سيّـداً وأعـانَ قـومـاً قـاتلوه وصُـرِّعُـوا
ونـجـا وأفْـلِت مـنـهُـم مـن قـلبُـه شَغَفٌ[5] يـظَلّ لخـوفـه يتصـدّع[6]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان. وقولـه «أَبَكَى لكعب» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) في المغازي للواقدي «أذلّ»، وفي أنساب الأشراف: «ويقول أقوام غويّ أمرهم».
(٢) التجديع: قطع الأنوف، وهو هنا كنايةٌ عن الذلّ.
(٣) في أنساب الأشراف «يسعى على الحسب القديم الأروع». والأروع: من يبهرك حسنه.
وقد وردت ثمانيـة أبيات في المغـازي للواقدي ١/١٨٥، ١٨٦ مـع تقديم وتـأخير. وفي أنساب الأشراف ١/٢٨٤ ستـة أبيات. وكـذلك في تـاريخ الإسـلام (المغازي)، وفي نسب قـريش بيتان فقط همـا الأخيران بـاختلاف الألفـاظ. وفي شرح السيـر الكبير ١/٢٧٠ البيت الأول فقط.
(٤) العلل: الشرب بعد الشرب واستعاره هنا لمداومة البكاء.
(٥) الشغف: من تقطع شغاف قلبه حزناً.
(٦) الأبيات في المغازي للواقدي ١/١٨٦ بزيادة بيت في آخرها:
ونـجـا وأفـلـت مـنـهـمُ مـتسرّعـاً فَـلٌّ قَـلِيـلٌ هـاربٌ يـتـهـزّعُ
أنظر الروض الأنف ٣/١٤٥ وتاريخ الطبري ٢/٤٨٨، وتاريخ الاسلام (المغازي).

قال ابن إسحاق: وقالت امرأة من المسلمين من بني مُرَيْد، بطن من بَليّ، كانوا حلفاء في بني أُميّة بن زيد؛ يقال لهم: الجَعادرة، تجيب كعباً ـ قال ابن إسحاق: اسمها ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكر هذه الأبيات لها، ويُنكر نقيضتها لكعب بن الأشرف:

تحنَّن هذا العبدُ كلَّ تَحنُّن ... يُبَكّي على قَتْلى وليس بناصبِ
بكتْ عينُ من يبكي لبدر وأهله ... وعُلَّت بمثليها لُؤَيّ بن غالب
فليتَ الذين ضُرِّجوا بدِمائهم ... يَرى ما بهم من كان بين الأخاشب[1]
فيعلم حقّاً عن يقين ويُبْصِروا ... مَجَرَّهُمُ فوق اللَحَى والحَواجب

فأجابها كعب بن الأشرف، فقال:

ألا فازجُرُوا منكم سفيهاً لتَسْلَموا ... عن القول يأتي منه غير مُقارِبِ
أتشتُمني أن كنتُ أبكي بعَبْرة ... لقومٍ أتاني وُدُّهم غيرُ كاذب
فإنّي لباكٍ ما بقيتُ وذاكر ... مآثر قوم مَجْدُهم بالجباجب[2]
لعَمْري لقد كان مُرَيْدٌ بمَعْزل ... عن الشرّ فاختالت وُجوهَ الثعالب
فحُقّ مُرَيْدٌ أن تُجَدّ أُنوفُهم ... بشَتْمهمُ حَيَّيْ لُؤَيّ بن غالب
وهَبْتُ نصيبي من مُرَيد لجَعْدَر ... وفاءً وبيتُ الله بين الأخاشب

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم[3]. فقال رسولُ الله ﷺ، كما حدّثني عبد الله بن المغيث بن أبي بُرْدَة: «من لي بابن الأشرف»؟ فقال له محمد بن مَسلمة؛ أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله؛ قال: «فافعل إنْ قدرت على ذلك»[4]. فرجع

---

(١) الأخاشب: جبال مكة.

(٢) الجباجب: منازل مكة.

(٣) يُروى أنه شبّب بأم الفضل زوج العباس بن عبدالمطّلب فقال أبياتاً مطلعها:

أراحل أنت لم ترحل لمنقبته ... وتارك أنت أم الفضل بالحرم

(٤) فيه من الفقه: وجوب قتل من سبّ النبيّ ـ ﷺ ـ وإن كان ذا عهد، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذمّي في مثل هذا، ووقع في كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حملوا رأسه في مخلاة الى المدينة، فقيل: إنه أول رأس حُمل في الإسلام. (الروض الأنف ٣/١٤٥).

محمد بن مَسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلّا ما يُعْلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه، فقال له: «لِم تركت الطعام والشراب»؟ فقال: يا رسول الله، قلت لك قولاً لا أدري هل أفَين لك به أم لا؟ فقال: «إنَّما عليك بالجهد»؛ فقال: يا رسول الله، إنه لا بدّ لنا من أن نقول؛ قال: «قولوا ما بدالكم، فأنتم في حلٍّ من ذلك». فاجتمع في قتله محمد بن مَسلمة، وسِلْكان بن سلامة بن وَقْش، وهو أبو نائلة، أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعبّاد بن بشر بن وقش، أحد بني عبد الأشهلْ، والحارث بن أوس بن مُعاذ، أحد بني عبد الأشهل، وأبو عبْس بن جبْر، أحد بني حارثة، ثم قدَّموا إلى عدوّ الله كعب بن الأشرف، قبل أن يأتوه، سِلكان بن سلامة، أبا نائلة، فجاءه فتحدّث معه ساعة، وتناشدوا شعراً، وكان أبو نائلة يقول الشِعر ثم قال: ويحك يابن الأشرف! إنّي قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك، فاكتم عنّي، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادَتْنا به العرب، ورمتْنا عن قوس واحدة، وقطعت عنّا السُبُل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا؛ فقال كعب: أنا ابن الأشرف، أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أنّ الأمر سيصير إلى ما أقول؛ فقال له سِلكان: إنّي قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونُوثِقَ لك، ونُحسِن في ذلك؛ فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا إنّ معي أصحاباً على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم، فتبيعهم وتحسن في ذلك، ونرهنك من الحلقة[1] ما فيه وفاء، وأراد سِلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها؛ قال: إنّ في الحلقة لوفاء؛ قال: فرجع سِلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: ويقال: أترهنوني نساءكم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا، وأنت أشبّ أهل يثرِب وأعطرهم؛ قال: أترهنوني أبناءكم؟

---

(١) الحلقة: الدروع.

قال ابن إسحاق: فحدّثني ثور بن زيد، عن عِكرمة، عن ابن عباس. قال:

مشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بَقِيع الغَرْقَد، ثم وجّههم، فقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعِنْهم، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، وهو في ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعُرس، فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها، وقالت: إنك امرءٌ محارَب، وإنّ أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة. قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائماً لما أيقظني؛ فقالت: والله إنّي لأعرف في صوته الشرّ؛ قال: يقول لها كعب: لو يُدعى الفتى لطعنةٍ لأجاب. فنزل فتحدّث معهم ساعة، وتحدّثوا معه، ثم قال: هل لك يابن الأشرف أن تتماشى إلى شِعب العجوز[1]، فنتحدّث به بقيّة ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم. فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم إنّ نائلة شام[2] يده في فود رأسه، ثم شمّ يده **فقال**: ما رأيت كالليلة طِيباً أعطر قطّ، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنّ، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها، فأخذ بفود رأسه، ثم قال: اضربوا عدوّ الله، فضربوه، فاختلفت عليه أسيافهم، فلم تُغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مِغْولاً[3] في سيفي، حين رأيت أسيافنا لا تُغني شئاً، فأخذته وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلاّ وقد أوقدت عليه نار قال: فوضعته في ثنته[4] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدوّ الله، وقد أصيب الحارث بن أوس بن مُعاذ، فجُرح في رأسه أو في رِجْله، أصابه بعض أسيافنا. قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني أُميَّة بن زيد، ثم على بني قُريظَةَ، ثم على بُعاث حتى أسندنا[5] في حَرَّة[6]

---

(١) مكان خارج المدينة. وفي شرح السير الكبير ١/٢٧٤ «شرح العجوز».
(٢) شام: أدخل.
(٣) المغول: حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلافاً.
(٤) الثنة: ما بين السُّرَّة والعانة. وفي شرح السير «فوضعته في سرّته».
(٥) أسندنا: ارتفعنا.
(٦) الحَرّة: الأرض ذات الحجارة السود.

العُرَيض(1)، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس، ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا. قال: فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل، وهو قائم يصلّي، فسلّمنا عليه فخرج إلينا، فأخبرناه بقتل عدوّ الله، وتفل على جرح صاحبنا، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدوّ الله، فليس بها يهوديّ إلاّ وهو يخاف على نفسه(2).

قال ابن إسحاق: فقال كعب بن مالك:

فغودر منهمُ كعبٌ صريعاً ... فَذَلَّتْ بعد مَصْرَعه النَّضِيرُ
على الكفَّيْنِ ثمّ وقد عَلَتْهُ ... بأَيْدِينا مشهَّرة ذكُور.
بأمر محمد إذْ دسَّ ليلاً ... إلى كَعْب أخا كعب يَسِير
فماكَرَهُ فأنزله بمَكْر ... ومحمودٌ أخو ثِقة جَسُور(3)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير، سأذكرها إن شاء الله في حديث ذلك اليوم.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحُقَيق:

لله دَرُّ عصابةٍ لاقيتُهُمْ ... يابنَ الحُقَيق وأنتَ يابنَ الأشرفِ
يَسْرُون بالبيض الخِفاف إليكمُ ... مَرَحاً(4) كأسْدٍ في عَرِينٍ مُغْرِف(5)
حتى أتوكم في مَحلّ بِلادكم ... فسَقَوكم حتْفاً بِبِيضٍ ذفِف(6)

---

(1) العُرَيض: وادي المدينة.
(2) الخبر رواه البخاري بلفظ آخر في كتاب المغازي (115/5) باب قتل كعب بن الأشرف. وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (138/2) باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة.
(3) الأبيات في سيرة ابن كثير 15/3، وفي البدء والتاريخ 197/4 بيت واحد.
(4) في تاريخ الطبري «بطراً».
(5) المغرف: الملتف الشجر.
(6) البيض الذّفف: السيوف سريعة القتل.

مُسْتَنْصـرين[1] لنَصْـر دين نبيّهم   مستَصْغرين[2] لكُل أَمرٍ مُجْحِف[3]

قال ابن هشام: وسأذكر قتـل سلام بن أبي الحُقَيْق في موضعه إن شـاء الله.

وقوله: «ذفّف»، عن غير ابن إسحاق.

أمر مُحَيِّصة وحُوَيِّصة[4]

قال ابن إسحاق: وقال رسولُ الله ﷺ: «من ظفـرتم به من رجـال يهود فاقتلوه»، فوثب مُحَيِّصة بن مسعود ـ قال ابن هشام: محيِّصة ويقال: مُحَيِّصة بن مسعـود بن كعب بن عـامـر بن عـديّ بن مجـدعـة بن حـارثـة بن الحـارث بن الخـزرج بن عمرو بن مـالـك بن الأوس ـ على ابن سُنينـة ـ قـال ابن هشـام: ويقـال شُنَينة ـ رجـل من تجـار يهـود، كـان يـلابسهم ويبـايعهم فقتله، وكـان حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسْلِم، وكان أسنّ من مُحَيِّصـة، فلما قتله جعـل حُوَيِّصة يضربه، ويقول: أي عدوَّ الله، أقتلته، أما والله لربّ شحمٍ في بطنك من مـاله. قـال: مُحَيِّصة؛ فقلت: والله لقـد أمرني بقتله من لـو أمرني بقتلك لضربت عنقك؛ قال فوالله إنْ كـان لأول إسلام حُـوَيِّصة قـال: آوالله لو أمـرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها! قـال: والله إنّ ديناً بلغ بك هذا لَعَجَب، فأسلم حُوَيِّصة[5].

قـال ابن إسحاق: حـدثني هذا الحـديث مولى لبني حـارثـة، عن ابنـة محيّصة، عن أبيها محيصة.

---

(١) في تاريخ الطبري «مستبصرين».

(٢) في تاريخ الطبري «مستضعفين».

(٣) الأبيات في تاريخ الطبري ٢/٤٩٧ وديوان حسّان ٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) انـظر عنهما في تـاريخ الـطبـري ٢/٤٩١، والمحبّـر ١٢١، والمغـازي للواقـدي ١/١٩٢، والكامل في التـاريخ ٢/١٤٤، تـاريخ الاسـلام (المغازي)، وسيـرة ابن كثير ٣/١٥، ١٦، وعيون الأثر ١/٣٠١، ٣٠٢. وشرح السير الكبير ١/٢٧٦.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٩١، تاريخ الإسلام (المغازي).

قال محيّصة في ذلك:

يلومُ ابنُ أمّي لو أُمرتُ بقَتْله ... لطَبَّقْتُ ذِفْراه بأَبيض قاضبِ[1]
حُسام كَلَون المِلْح أُخْلِص صَقْله ... متى ما أُصوِّبُهُ فليس بكاذب
ما سَرَّني أنّي قتلتُكَ طائعاً ... وأنْ لنا ما بين بُصْرَى ومأْرِب[2]

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة، عن أبي عمرو المدني، قال: لما ظفر رسولُ الله ﷺ ببني قُرَيْظة أخذ منهم نحواً من أربعمائة رجل من اليهود، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج، فأمر رسول الله ﷺ بأن تُضرب أعناقهم، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم، ويسرّهم ذلك، فنظر رسول الله ﷺ إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة، ونظر إلى الأوس فلم يرَ ذلك فيهم، فظنّ أنّ ذلك للحلف الذي بين الأوس وبين بني قُريظة، ولم يكن بقي من بني قُريظة إلّا اثنا عشر رجلاً، فدفعهم الى الأوس، فدفع الى كل رجلين من الأوس رجلاً من بني قُريظة وقال: «ليُضرب فلان وليُذفّف فلان»، فكان ممن دفع إليهم كعب بن يهوذا، وكان عظيماً في بني قُريظة، فدفعه إلى مُحَيِّصة بن مسعود، وإلى أبي بُرْدةٍ بن نيار ـ وأبو بُرْدة الذي رخَّص له رسول الله ﷺ في أن يذبح جذعاً من المعز في الأضحى ـ وقال: «ليضربه مُحَيِّصة وليُذفّف عليه أبو بُردة»، فضربه ضربة لم تقطع، وذفّف أبو بُردة فأجهز عليه. فقال حُوَيِّصة وكان كافراً، لأخيه مُحَيّصة: أقتلت كعب بن يهوذا؟ قال: نعم، فقال حُوَيِّصة: أما والله لربّ شحمٍ قد نبت في بطنك من ماله، إنك للئيم يا محيِّصة. فقال له محيِّصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجّباً. فذكروا أنه جعل يتيقّظ من الليل: فيعجب من قول أخيه مُحَيِّصة. حتى أصبح وهو يقول: والله إنّ هذا لدِين. ثم أتى النبيَّ ﷺ، فقال محيِّصة في ذلك أبياتاً قد كتبناها.

---

(١) طبقت: قطعت: والذفران: عظمان ناتئان خلف الأذنين، والأبيض: يريد به السيف، والقاضب: القاطع. (شرح أبي ذر ٢١٦).

(٢) الأبيات في المغازي للواقدي ١/١٩٢، وسيرة ابن كثير ٣/١٦، وعيون الأثر ١/٣٠٢. وشرح السير الكبير ١/٢٧٦.

قال ابن إسحاق: وكانت إقامة رسول الله ﷺ، بعد قدومه من نجران، جُمادى الآخرة ورجباً وشعبان وشهر رمضان، وغزته قريش غزوة أُحُد في شوال سنة ثلاث.

غزوة أُحُد[1]

وكان من حديث أُحُد، كما حدّثني محمد بن مسلم الزُّهْريّ، ومحمد بن يحيى بن حبّان، وعاصم بن عمر بن قَتادة، والحُصَيْن بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاد وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدّث بعض الحديث عن يوم أُحُد، وقد اجتمع حديثهم كلّه فيما سُقت من هذا الحديث عن يوم أُحُد قالوا، أو من قاله منهم.

لما أصيب يوم بدر من كُفّار قريش أصحاب القَلِيب، ورجع فَلّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعِيره، مشى عبدالله بن أبي ربيعة، وعِكْرِمة بن أبي جهل، وصفوان بن أُميَّة في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العِير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إنّ محمداً قد وتركم، وقتل

---

(١) أنظر عنها في: المغازي لعروة ١٦٨ ـ ١٧٣، والمغازي للواقدي ١/١٩٩ ـ ٣٠٠، والسير والمغازي ٣٢٢ ـ ٣٣٦، والطبقات الكبرى ٢/٣٦ ـ ٤٨، وتاريخ خليفة ٦٧، ٦٨، والمحبّر ١١٢، ١١٣، وتاريخ الطبري ٢/٤٩٩ ـ ٥٣٣، وأنساب الأشراف ١/٣١١ ـ ٣٣٨، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٥٧، ٢٥٨، والدرر في المغازي والسير ١٥٣ وما بعدها، وجوامع السيرة ٥١٦، والكامل في التاريخ ٢/١٤٨ ـ ١٦٣، ونهاية الأرب ١٧/٨١ ـ ١٢٥، والبدء والتاريخ ٤/١٩٨ ـ ٢٠٨، وسيرة ابن كثير ٣/١٨ ـ ٩٦، وعيون الأثر ٢/٢ ـ ٣٧، وعيون التواريخ ١/١٥٣ ـ ١٦٧، والروض الأنف ٣/١٥٨ ـ ١٨٠، ومرآة الجنان ١/٧، ٨.

خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فعلّنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منّا، ففعلوا.

قال ابن إسحاق: ففيهم، كما ذَكر لي بعض أهل العلم، أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[1].

اجتماع قريش للحرب: فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب، وأصحاب العِير بأحابيشها[2]، ومن أطاعها من قبائل كِنانة، وأهل تِهامة. وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ قد منَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة، وكان في الأساري فقال: إنّي فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامننِ عليّ صلّى الله عليك وسلّم، فمنَّ عليه رسول الله ﷺ. فقال له صفوان بن أميَّة: يا أبا عزَّة إنّك امرؤ شاعر، فأعِنّا بلسانك، فاخرج معنا؛ فقال: إنّ محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهِر عليه؛ قال: بلى فأعِنّا بنفسك، فلك الله عليّ إنْ رجعت أن أُغنيك، وإنْ أُصبت أن أجعل بناتك مع بناتي، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسر ويُسْر، فخرج أبو عَزَّة في تِهامة، ويدعو بني كِنانة ويقول:

إيها بني عبد مَناة الرُّزَّام ... أنتم حُماةٌ وأبوكم حامْ[3]
لا تَعِدُوني نَصْرَكم بعد العام ... لا تُسْلموني لا يَحلُّ إسْلام[4]

وخرج مسافع بن عبد مَناف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كِنانة، يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فقال:

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ٣٦.
(٢) الأحابيش من انضموا إليهم وليسوا منهم.
(٣) الرُّزام: من يثبتون في مكانهم لا يبرحونه: يذكر أنهم ثابتون في الحرب. (شرح أبي ذر ٢١٦).
(٤) أنظر: المغازي للواقدي ١/٢٠١، والسير والمغازي لابن إسحاق ٣٢٣، وأنساب الأشراف ١/٣١٢، وطبقات الشعراء لابن سلام ٢١٣، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والسيرة لابن كثير ٣/٢٠ مع اختلاف في الترتيب والألفاظ وزيادة.

يا مالِ، مالَ الحَسَب المُقدَّمِ أَنْشُدُ ذا القُربى وذا التذمُّم[1]
مَن كان ذا رُحم ومن لم يَرْحَم الحِلْفَ وسْط البلد المُحَرَّمِ
عند حطيمِ الكعبةِ المعظَّم[2]

ودعا جُبير بن مطعِم غلاماً له حبشيّاً يقال له: وحْشيّ، يقذف بحربة له قذْف الحبشة، قلَّما يخطِيء بها، فقال له: اخرُج مع الناس، فإنْ أنت قتلت حمزة عمّ محمدٍ بعمّي طُعَيمة بن عدِيّ، فأنت عتيق.

فخرجت قريش بحدّها وجدّها وحديدها وأحابيشها، ومن تابَعَها من بني كِنانة، وأهل تِهامة، وخرجوا معهم بالظعن[3]؟ التماس الحفيظة، وألّا يفرّوا. فخرج أبو سفيان بن حرب، وهو قائد الناس، بهند بنت عُتبة، وخرج عِكرِمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة، بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أُميَّة ببَرْزة بنت مسعود بن عمر بن عُمير الثقفيّة، وهي أمّ عبد الله بن صفوان بن أُميَّة[4].

قال ابن هشام: ويقال: رُقيَّة.

قال ابن إسحاق: وخرج عمرو بن العاص برَيْطَة بنت مُنَبّه بن الحَجّاج وهي أمّ عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بسُلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية وهي أمّ بني طلحة: مُسافع والجُلاس وكِلاب، قُتلوا يومئذٍ هم وأبوهم، وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضرّب إحدى نساء بني مالك بن حِسْل مع ابنها أبي عزيز بن عُمَير، وهي أمّ مُصْعَب بن عُمير، وخرجت عَمْرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة. وكانت هند بنت عُتبة كلما مرّت

---

(١) يامال: أراد يا مالك فرخّمه. وذو التذمّم: الذي له ذمام، والذمام: العهد.

(٢) سيرة ابن كثير ٣/٢٠.

(٣) الظعن: النساء في الهوادج.

(٤) السير والمغازي ٣٢٣.

بوحشيّ أو مرّ بها، قالت: وَيْهاً[1] أبا دَسْمة، أشْفِ واستَشْفِ، وكان وحشيّ يُكَنَّى بأبي دَسْمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين[2]، بجبل ببطن السَّبْخة من قناة على شفير الوادي، مقابل المدينة.

رؤيا رسول الله ﷺ ومشاورته القوم: قال فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: «إنّي قد رأيت والله خيراً، رأيت بقراً ورأيت في ذباب سيفي ثَلْماً، ورأيت أنّي أدخلت يدي في درع حصينة فأوَّلتها[3] المدينة».

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أنّ رسول الله ﷺ قال: «رأيت بقراً لي تُذْبح»؟ قال: «فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثَّلْم الذي رأيت في ذباب سيفي، فهو رجل من أهل بيتي يُقتل».

قال ابن إسحاق: «فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا: فإنْ أقاموا أقاموا بشرّ مُقام، وإنْ هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها[4]»، وكان رأيُ عبد الله بن أُبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ، يرى رأيه في ذلك، وألاّ يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أُحُد وغيره، ممن كان فاته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنّا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا؟ فقال عبد الله بن أُبَيّ بن سلول: يا رسول الله، أقِم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قطّ إلاّ أصاب منّا، ولا دخلها علينا إلاّ أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإنْ رجعوا رجعوا

---

(١) كلمة تقال للتحضيض.

(٢) ويقال «عينان». وهو هضبة جبل أحد، ويقال اسم لجبلين عند أحد.

(٣) في السير والمغازي ٣٢٤ «فتأوّلتها المدينة، فإن رأيتم ان تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا، فإن أقاموا..».

(٤) في السير والمغازي زيادة: «ونزلت قريش منزلها بأحد يوم الأربعاء فأقاموا بها ذلك اليوم، ويوم الخميس ويوم الجمعة، وراح رسول الله ﷺ حين صلاة الجمعة فأصبح بالشعب من أُحد، فالتقوا يوم السبت في النصف من شوال سنة ثلاث». وانظر: الأغاني ١٥/١٨٢.

خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسولِ الله ﷺ الذين كان من أمرهم حبّ لقاء القوم، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته، فلبس لأمته، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة. وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له؛ مالك بن عمرو، أحد بني النجّار، فصلّى عليه رسول الله ﷺ، ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس، وقالوا: استكرهنا رسولَ الله ﷺ، ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله: استكر هناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلّى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأَمَتَه أن يضعها حتى يقاتل»[1]، فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه.

قال ابن هشام: واستعمل ابنَ أمّ مكتوم على الصلاة بالناس.

انخذال المنافقين: قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأُحُد، انخذْل عنه عبد الله بن أُبيّ بن سلول بثُلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس، فرجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرام، أخو بني سَلِمة، يقول: يا قوم، أذكّركم الله ألاّ تخذلوا قومكم ونبيَّكم عندما حضر من عدوّهم؛ فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنّا لا نرى أنه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلاّ الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيّه.

قال ابن هشام: وذكر غير زياد، عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهْريّ: أنّ الأنصار يوم أُحُد، قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: «لا حاجة لنا فيهم».

---

(١) أخرج البخاري حديثاً طويلاً في كتاب الاعتصام ١٦٢/٨ باب قول الله تعالى وأمرهم شورى بينهم، بلفظ: «وشاور النبيّ ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم. فلم يمل اليهم بعد العزم وقال: لا ينبغي لنبيّ يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله..». وأخرج مثله الدارمي في الرؤيا، الباب ١٣، وأحمد في المسند ٢٥١/٣، وانظر المغازي لعروة ١٦٨، ١٦٩.

قال زياد: حدّثني محمد بن إسحاق، قال: ومضى رسـول الله ﷺ حتى سلك في حَرَّة بني حارثة، فذبّ فرس بذنبه، فأصاب كُلّاب سيفٍ[1] فاستلّه.

قال ابن هشام: ويقال: كِلاب سيف.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ، وكان يحبّ الفأل ولا يعتـاف[2]، لصاحب السيف: شِمْ سيفَك[3]، فإنّي أرى السيوف ستُسلّ[4] اليوم.

ما كـان من مِـرْبَـع المنـافق حين سلك المسلمـون حـائـطه: ثم قـال رسول الله ﷺ لأصحابـه: «مَن رجل يخـرج بنا على القـوم من كثب: أي من قُـرب، من طريق لا يمـرّ بنا عليهم»؟ فقـال أبـو خيثمـة أخـو بني حـارثـة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حَرّة بني حارثـة، وبين أموالهم، حتى سلك في مالٍ لِمِرْبع بن قَيْظي[5]، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، قام يحثي في وجوههم التراب. ويقول: إنْ كنت رسول الله فإنّي لا أحلّ لك أن تدخل حائطي. وقد ذُكـر لي أنـه أخذ حفْنـةً من ترابٍ في يـده، ثم قـال: والله لو أعلم أنّي لا أصيب بهـا غيـرك يـا محمـد لضـربت بهـا وجهـك. فـابتـدره القـوم ليقتلوه، فقـال رسـول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصـر». وقد بدر إليه سعد بن زيد، أخـو بني عبد الأشهـل، قبل نهي رسـول الله ﷺ عنه، فضربه بالقوس في رأسه، فشجّه[6].

نزول الرسول بأُحُد: قال: ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشِعْب من أُحُد، في عُدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد، وقال: لا

---

(١) الكُلاب: مسمار في قائم السيف.
(٢) اعتاف: تطيّر.
(٣) شم سيفك: أغْمِدْه.
(٤) في الأغاني ١٥/ ١٨٥ «ستستلّ».
(٥) في السير والمغازي ٣٢٥ «لربعي بن قيظي». وفي الأغاني «المربع».
(٦) السير والمغـازي ٣٢٥، تـاريـخ الـطبري ٢/ ٥٠٦، الأغـاني ١٥/ ١٨٥، أنسـاب الأشراف ١/ ٣١٥.

يقاتلنّ أحد منكم حتى نأمره بالقتال. وقد سرَّحت قريش الظهر والكُراع[1] في زروع كانت بالصمغة[2]، من قناة للمسلمين؛ فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال: أترعى زروع بني قَيلة[3] ولمّا نُضارب! وتعبَّى رسول الله ﷺ للقتال، وهو في سبعمائة رجل، وأمَّر على الرُّماة عبدَ الله بنَ جُبير، أخا بني عمرو بن عوف وهو معلَّم يومئذ بثياب بِيض، والرُّماة خمسون رجلاً، فقال: انضح[4] الخيل عنّا بالنَّبْل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا نُؤتَيَنَّ من قبلك. وظاهر رسول الله ﷺ بين دِرعين[5]، ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمَير، أخي بني عبد الدّار.

الرسول يجيز من هم في الخامسة عشرة: قال ابن هشام: وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سَمُرة بن جُنْدب الفَزَاريّ، ورافع بن خَديجٍ، أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردّهما، فقيل له: يا رسول الله إنّ رافعاً رام، فأجازه؛ فلما أجاز رافعاً قيل له: يا رسول الله، فإنّ سَمُرَة يصرع رافعاً، فأجازه. وردّ رسول لله: أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، أحد بني مالك بن النجّار، والبَراء بن عازب، أحد بني حارثة، وعمرو بن حَزم، أحد بني مالك بن النجّار، وأُسَيْد بن ظُهَير، أحد بني حارثة، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة.

قال ابن إسحاق: وتعبّأت قريش، وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مئتا فرس قد جنّبوها[6]، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عِكرِمة بن أبي جهل.

أبو دُجانة وشجاعته: وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيف بحقّه؟

---

(١) الظهر: الإبل. والكراع: الخيل.
(٢) الصمغة: مكان قرب أُحُد.
(٣) قيلة: أم الأوس والخزرج وينسبون اليها.
(٤) انضح: ادفع.
(٥) أي لبس درعاً فوق درع.
(٦) جنبوها: جعلوها الى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة.

فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقّه يا رسول لله؟ قال: «أن تضرب به العدوّ حتى ينحني»، قال: أنا آخذه يا رسول لله بحقّه[1]، فأعطاه إيّاه. وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، إذا كانت، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء، فاعتصب بها علِم الناس أنه سيقاتل؛ فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصَّفَّين.

قال ابن إسحاق: فحدّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم، مولى عمر بن الخطّاب، عن رجل من الأنصار من بني سَلِمة، قال: قال رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر: «إنّها لمِشْية يبغضها الله، إلاّ في مثل هذا الموطن»[2].

أبو عامر الفاسق: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ أبا عامر، عبد عمرو بن صَيفيّ بن مالك بن النعمان، أحد بني ضُبَيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعِداً لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلاماً من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلاً، وكان يَعِد قريشاً أنْ لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان: فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. وكان أبو عامر يُسمّى في الجاهلية: الراهب، فسمّاه رسول الله ﷺ: الفاسق ـ فلما سمع ردّهم عليه

---

(١) أخرج مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٧٠) باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه، من طريق ثابت، عن أنس، ان رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحد، فقال: «من يأخذ منّي هذا؟» فبسطوا أيديهم. كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا. قال: فمن يأخذه بحقّه؟» قال: فأحجم القوم. فقال سماك بن خرشة أبو دُجانة: آنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥١١، السير والمغازي ٣٢٦، تاريخ الاسلام (المغازي)، الأغاني ١٥/١٨٩، الطبقات الكبرى ٣/١٠١، سير أعلام النبلاء ١/٢٤٥، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٠٠٩ ونسبه الى الطبراني.

قال: أصاب قومي بعدي شرّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم[1] بالحجارة[2].

أبو سفيان وامرأته يحرّضان قريشاً: قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدّار يحرّضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنّكم قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يُؤتى الناس من قِبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه؛ فهمُّوا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نسلّم إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع؟! وذلك أراد أبو سفيان.

فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عُتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرّضْنهم، فقالت هند فيما تقول:

وَيْهاً بني عبد الدّار   وَيْهاً حُماةَ الأدبار
ضرْباً بكلّ بَتَّار[3]

وتقول:

إن تُقْبِلوا نُعَانِقْ.   ونفرش النَّمارِقْ[4]
أو تُدْبِروا نُفارِقْ   فِراقَ غيرِ وامِقْ[5]

---

(١) راضخهم: راماهم.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥١٢، الأغاني ١٥/١٨٩، ١٩٠، السير والمغازي ٣٢٧ وفيه «أضمخهم بالحجارة».

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥١٢، الأغاني ١٥/١٩٠، نهاية الأرب ١٧/٩٠، الكامل في التاريخ ٢/١٥٣، المغازي للواقدي ١/٢٢٧، سيرة ابن كثير ٣/٣١، عيون التواريخ ١/١٥٩.

(٤) النمارق: الوسائد الصغيرة وكل ما يجلس عليه.

(٥) الوامق: المُحبّ.

والقول في: السير والمغازي ٣٢٧، والطبقات الكبرى ٢/٤٠، وتاريخ الطبري ٢/٥١٠، وأنساب الأشراف ١/٣١٧، والأغاني ١٥/١٩٠، والكامل في التاريخ ٢/١٥٣، ونهاية الأرب ١٧/٩٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/٢٥، والروض الأنف ٣/١٦١، والمغازي للواقدي ١/٢٢٥، وسيرة ابن كثير ٣/٣١، وعيون التواريخ ١/١٥٨، وثمار القلوب للثعالبي ٢٩٧، والاستيعاب ٤/٤٢٥، والبدء والتاريخ ٤/٢٠١، وسنن سعيد بن منصور ق ٢ مجلد ٣/ رقم ٢٧٨٥، وأسد الغابة ٥/٥٦٢، والبداية والنهاية ٤/١٦. مع اختلاف في الألفاظ والترتيب.

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحُد: أَمِتْ، أَمِتْ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فاقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن في الناس.

قال ابن هشام: حدّثني غير واحد، من أهل العلم، أنَّ الزُّبير بن العوّام قال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دُجانة، وقلت: أنا ابن صفيّة عمّته، ومن قريش، وقد قمت إليه فسألته إيّاه قبله، فأعطاه إيّاه وتركني، والله لأنظرنّ ما يصنع؛ فاتّبعته، فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب بها، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسَّفْح لدى النَّخيلِ
ألّا أقومَ للدهر في الكَيُول[1] ... أضرب بسيف الله والرسول[2]

قال ابن هشام: ويُروَى في الكُبُول[3]

قال ابن إسحاق: فجعل لا يلقى أحداً إلّا قتله. وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلّا ذفّف عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه. فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشركُ أبا دُجانة، فاتّقاه بدَرَقته، فعضّت بسيفه، وضربه أبو دُجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرِق رأس هند بنت عُتبة، ثم عدل السيف عنها. قال الزُّبير فقلتُ: الله ورسوله أعلم.

---

(١) قال أبو عبيدة: الكيول آخر الصفوف، قال: ولم يُسمع إلا في هذا الحديث، وقال الهَرَوي مثل ما قال أبو عبيد، وزاد في الشرح، وقال: سُمّي بكيول الزَّنْد، وهي سواد ودخان يخرج منه آخراً، بعد القدح إذا لم يور ناراً، وذلك شيء لا غناء فيه، ويقال منه كال الزند، يكول، فالكيول فيعول من هذا، وكذلك كيول الصفوف لا يوقد نار الحرب، ولا يزكيها، هذا معنى كلامه لا لفظه. وقال أبو حنيفة الدينوري نحواً من هذا إلا أنه قال: كال الزند يكيل بالياء لا غير. (عن الروض الأنف ١٦٢/٣).

(٢) نهاية الأرب ٨٨/١٧، سير أعلام النبلاء ٢٤٥/١.

(٣) الكبول: القيد.

قال ابن إسحاق: وقال أبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة: رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً، فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولْوَل، فإذا امرأة، فأكرمتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن اضرب به امرأة.

استشهاد حمزة: وقاتل حمزة بن عبد المطّلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدّار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مرّ به سِباع بن عبد العُزّى الغُبْشانيّ، وكان يُكَنّى بأبي نِيار، فقال له حمزة: هلُمّ إليّ يا بن مقطّعة البظُور - وكان أمّه أم أنمار مولاة شَرِيق بن عمرو بن وهْب الثقفيّ.

قال ابن هشام: شَرِيق بن الأخنس بن شَرِيق. وكانت ختّانةً بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

قال وحشيّ، غلام جُبير بن مُطعِم: والله إنّي لأنظر إلى حمزة يهد[1] الناس بسيفه ما يليق[2] به شيئاً، مثل الجمل الأورق[3]، إذ تقدّمني إليه سِباع بن عبد العُزّى، فقال له حمزة: هلُمَّ إليّ يابن مقطّعة البُظُور، فضربه ضربة، فكأنّ ما أخطأ رأسه، وهززْت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثنته[4] حتى خرجت من بين رِجْليه، فأقبل نحوي، فغلب فوقع، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي، ثم تنحّيت إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث، عن سليمان بن يَسار، عن جعفر بن عمرو بن أُميّة الضمريّ قال: خرجت أنا وعُبيد الله بن عديّ بن الخيار أخو بني نوفل بن عبد مَناف، في زمان معاوية بن أبي سفيان، فأدربنا[6] مع الناس فلما قفلنا مررنا بحمص -

(١) يهدّ: يهلك.
(٢) ما يليق: ما يبقى.
(٣) الأورق: مغبرّ اللون.
(٤) الثنة: ما بين أسفل البطن الى العانة.
(٥) السير والمغازي ٣٢٩، الأغاني ١٩٤/١٥، تاريخ الطبري ٥١٦/٢، ٥١٧، نهاية الأرب ٨٨/١٧، ٨٩.
(٦) أدربْنا: اجتزنا الدروب.

وكان وحشيّ، مولى جُبير بن مطعِم، قد سكنها، وأقام بها ـ فلما قدِمْناها، قال لي عُبيد الله بن عدِيّ: هل لك في أن نأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال: قلت له: إن شئت. فخرجنا نسأل عنه بحمص، فقال لنا رجل، ونحن نسأل عنه: إنّكما ستجدانه بفِناء داره، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلاً عربياً، وتجدا عنده بعض ما تريدان، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به، فانصرِفا عنه ودعاه، قال: فخرجنا نمشي حتى جئناه، فإذا هو بفِناء داره على طْنفسة[1] له، فإذا شيخ كبير مثل البغاث.

قال ابن هشام: البغاث: ضرْب من الطير إلى السواد.

فإذا هو صاحٍ لا بأس به. قال: فلما انتهينا إليه سلّمنا عليه، فرفع رأسه إلى عُبيد الله بن عدِيّ، فقال: ابنٌ لعَدِيّ بن الخيار أنت؟ قال: نعم؛ قال: أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمّك السعدية التي أرضعتك بذي طُوَى، فإنّي ناولتكها وهي على بعيرها، فأخذتك بعُرْضَيْك[2] فلمعتْ لي قدماك حين رفعتك إليها، فوالله ما هو إلاّ أن وقفتَ عليّ فعرفتهما. قال: فجلسنا إليه، فقلنا له: جئناك لتحدّثنا عن قتْلك حمزة، كيف قتلته؟ فقال: أما إنّي سأحدّثكما كما حدّثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كنت غلاماً لجُبير بن مُطعِم، وكان عمّه طُعَيمة بن عدِيّ قد أصيب يوم بدر؛ فلمّا سارت قريش إلى أُحُد قال لي جُبير: إنْ قتلت حمزة عمّ محمد بعمّي فأنت عتيق قال: فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذْف الحبشة، قلَّما أخطيء بها شيئاً؛ فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصّره، حتى رأيته في عُرض الناس مثل الجمل الأورق، يهدّ الناس بسيفه هدّاً، ما يقوم له شيء، فوالله إنّي لأتهيّأ له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منّي إذ تقدّمني إليه سباع بن عبد العُزّى؛ فلما رآه حمزة قال له: هلُمَّ إليَّ يابن

(١) الطنفسة: كل ما يُجلس عليه كالبساط والوسائد والحصير والثوب.

(٢) بعُرضَيك: بجانبيك.

مقطّعة البُظُور[1]. قال: فضربه ضربة كأنّ ما أخطأ رأسه. قال: وهززت حرْبتي، حتى إذا رضيت منها، دفعتها عليه، فوقعت في ثنته[2]، حتى خرجت من بين رِجْليه، وذهب لينوء[3] نحوي، فغُلب، وتركته وإيّاها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثُم رجعت إلى العسكر، فقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنّما قتلته لأُعْتَق. فلما قدِمت مكة أعتِقت ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليُسْلِموا تَعَيّت عليّ المذاهب، فقلت: ألحق بالشام، أو باليمن، أو ببعض البلاد؛ فوالله إنّي لفي ذلك من همّي إذ قال لي رجل: ويْحك إنه والله ما يُقتل أحد من الناس دخل في دينه، وتشهّد شهادته.

فلما قال لي ذلك، خرجت حتى قدِمتُ على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يُرعْه إلاّ بي قائماً على رأسه أتشهّد بشهادة الحقّ؛ فلما رآني قال: أَوَحْشيّ؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: اقعد فحدّثْني كيف قتلت حمزة، قال: فحدّثته كما حدّثتكما، فلما فرغت من حديثي: قال: «ويْحك! غيّب عنّي وجهك. فلا أرينّك». قال: فكنت أتنكّب رسول الله ﷺ حيث كان لئلاّ يراني، حتى قبضه الله ﷺ[4].

فلما خرج المسلمون إلى مُسَيلِمة الكذّاب صاحب اليَمامة خرجت معهم، وأخذت حرْبتي التي قتلت بها حمزة؛ فلما التقى الناس رأيت مُسيلمة الكذّاب قائماً في يده السيف، وما أعرفه، فتهيّأت له، وتهيّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريده، فهززت حرْبتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فيه، وشدّ عليه الأنصاريّ فضربه بالسيف، فربّك

---

(١) البُظور: بضم الباء. مفردها بظر، ما بين أسْتي المرأة. (تاج العروس ١٠/٢١٦).

(٢) في تاريخ الطبري ٢/٥١٧ «لبّته». والمثبت يتفق مع تاريخ الخميس ١/٤٧٩، والسير والمغازي ٣٢٩.

(٣) ينوء ينهض متعباً.

(٤) روى البخاري في صحيحه حديث قتل وحشيّ لحمزه في كتاب المغازي (١٢٨/٥) باب قتل حمزة رضي الله عنه. وانظر تاريخ الاسلام (المغازي)، واسد الغابة ٨٤/٥، وأنساب الأشراف ٢٩٢/٣.

أعلم أيّنا قتله، فإنْ كنت قتلته؛ فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد قتلت شرَّ الناس[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يَسار، عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وكان قد شهِد اليمامة، قال: سمعت يومئذ صارخاً يقول: قتله العبد الأسود[2].

قال ابن هشام: فبلغني أنّ وحشيّاً لم يزل يُحدّ في الخمرِ حتى خُلع من الديوان، فكان عمر بن الخطّاب يقول: قد علمت أنّ الله تعالى لم يكن ليدع قاتلَ حمزة.

استشهاد مُصعب: قال ابن إسحاق: وقاتل مُصْعب بن عُمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل، وكان الذي قتله ابنه قمئة اللّيثيّ، وهو يظنّ أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً. فلما قُتل مُصْعب بن عُمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء عليّ بن أبي طالب، وقاتل عليّ بن أبي طالب ورجال من المسلمين[3].

قال ابن هشام: وحدّثني مَسْلمة بن علقمة المازنيّ، قال: لما اشتدّ القتال يوم أُحُد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار؛ وأرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: أن قدِّم الراية. فتقدّم عليّ، فقال: أنا أبو الفُصم[4]، ويقال: أبو القِصَم، فيما قال ابن هشام - فناداه أبو سعد بن

---

(١) الاستيعاب ٣/٦٤٥، انساب الأشراف، رقم ٣/٢٩٣.

(٢) أخرجه البخاري من طريق سليمان بن يسار، عن جعفر بن أميّة الضمري. في المغازي ٥/١٢٨.

(٣) السير والمغازي ٣٢٩، الطبري ٢/٥١٦.

(٤) أبو الفُصم أو أبو القُصم بالقاف، كما قال ابن هشام، وهو أصحّ، وإنما قال علي - عليه السلام أنا أبو القُصم من يبارزني، فالقُصم: جمع قُصمة، وهي المعضلة المُهلكة، ويجوز أن يكون جمع القُصمى، أي الداهية التي تقصم. والدواهي القِصم على وزن الكبر، وهذا المعنى أصحّ؛ لأنه لا يعرف قصمة ولكنه لما قال أبو سعد - وسيأتي حديثه بعد قليل أنا قاصم، قال عليّ: أنا أقصم منك، بل أنا أبو القصم، أي أبو المعضلات القصم والدواهي العظم، والقِصم كسر ببينونة، والفصم: كسر بغير بينونة ككسر القضيب الرطب ونحوه، وفي التنزيل: ﴿وكم قصمنا من قرية﴾ وفيه ﴿لا انفِصام لَها﴾. (الروض الأنف ٣/١٦٣).

أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لـك يا أبـا القصم في البراز من حـاجة؟ قـال: نعم. فبـرز بين الصّفَّين، فـاختلفـا ضـربتين فضـربـه عليّ فصرعه، ثم انصـرف عنه ولم يُجْهـز عليه؛ فقـال له أصحـابه: أفـلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعَوْرته، فعطفتني عنه الرَّحِم[1]، وعـرفت أنّ الله عزّ وجلّ قد قتله.

ويقال: إنّ أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصّفَّين، فنادى: أنا قاصم من يبارز برازاً، فلم يخرج إليه أحـد. فقال: يـا أصحاب محمـد، زعمتم أنّ قتلاكم في الجنة، وأنّ قتلانا في النار كذبتم والـلات! ولو تعلمـون ذلك حقـاً لخرج إليّ بعضكم، فخرج إليه عليّ بن أبي طالب، فاختلفا ضربتين، فضربه عليّ فقتله.

خبـر عاصم بن ثـابت: وقاتـل عـاصم بن ثـابت بن أبي الأقلح، فقتـل مُسافع بن طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة، كلاهما يشعره سهماً[2]، فيـأتي أمّه سُلافة، فيضع رأسه في حجْرها فتقول: يا بنيّ، من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني وهـو يقول: خـذها وأنـا ابن أبي الأقلح. فنذرت إنْ أمكنهـا الله من رأس عاصم أن تشرب فيـه الخمر، وكـان عاصم قـد عاهـد الله أن لا يمسّ مشركاً أبداً، ولا يمسّه مُشرك[3].

وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ، وهو يحمل لواء المشركين:

---

(١) وذكر ابن إسحاق أيضاً هذا في غير رواية ابن هشام، وقول عـليّ إنه اتّقـاني بعورتـه، فأذكـرني الرحم أو فعطفتني عليه الرحم، وقد فعلها عليّ مرة أخرى يوم صفّين، حمل على بُسْر بن أرطاة فلمّا رأى أنه مقتول كشف عن عورته، فـانصرف عنه. ويُـروى أيضاً مثـل ذلك عن عمـرو بن العاص، مع عليّ - رضي الله عنه - يـوم صفّين، وفي ذلـك يقول الحـارث بن النضر السهميّ، رواه ابن الكلبيّ وغيره:

أفي كـل يـوم فـارس غـير منتـه ... وعـورتـه وسط العجـاجـة بـاديهْ
يـكـفّ لهـا عـنـه عـليّ سنـانـه ... ويضحـك منه في الخـلاء معاويـهْ

(الروض الأنف ٣/١٦٣).

(٢) يشعره سهماً: أي يصيبه به.

(٣) السير والمغازي ٣٢٩، ٣٣٠، الأغاني ١٥/١٩٥.

إنّ عــلى أهــل الــلواء حــقّــاً أن يخضِبوا الصَّعدةَ[1] أو تَنْدّقا[2]

فقتله حمزة بن عبد المطّلب.

حنـظلة غسيل المـلائكـة: والتقى حنـظلة بن أبي عـامـر الغسيـل وأبـو سفيـان، فلما استعـلاه حنظلة بن أبي عـامـر رآه شـدّاد بن الأسـود، وهـو ابن شعـوب، قد عـلا أبا سفيـان. فضربـه شدّاد فقتله. فقال رسول الله ﷺ: «إنّ صـاحبكم، يعني حنظلة لتغسّله المـلائكة». فسـألوا أهله مـا شـأنـه؟ فسُئلت صاحبته عنه. فقالت: خرج وهو جُنب حين سمع الهاتفة[3].

قال ابن هشام: ويقال: الهائعة. وجاء في الحديث: «خير النـاس رجل مُمْسِك بعنان فرسه، كلما سمع هَيْعة[4] طار إليها»[5].

قال الطرمّاح بن حكيم الطائيّ، والطُّرمّاح: الطويل من الرجال:

أنـا ابنُ حُماةِ المجـد من آل مالـكٍ إذا جعلتْ خَـورُ[6] الـرجـالِ تَهِيـعُ

والهيعة: الصيحة التي فيها الفزع.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسّلته الملائكة».

شِعـر الأسـود وأبي سفيـان في قتـل حنـظلة: قـال ابن إسحـاق: وقـال شدّاد بن الأسود في قتْله حنظلة:

---

(١) الصعدة: القناة.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٤١، نهاية الأرب ١٧/٩١، المغازي للواقدي ١/٢٢٦.

(٣) السير والمغازي ٣٣٢، ٣٣٣، تاريخ الطبري ٢/٥٢٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) الهَيْعة: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من العدو.

(٥) روى مسلم في كتاب الإمارة (١٢٥/١٨٨٩) بـاب فضل الجهـاد والربـاط، عن يحيى بن يحيى التميمي، حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن بعجة، عن أبي هـريرة، عن رسـول الله ﷺ أنه قال: «من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليـه. يبتغي القتل والمـوت مظانّـه، أو رجل في غُنيمـة في رأس شَعَفَة من هذه الشعف. أو بطن وادٍ من هذه الأودية. يقيم الصلاة ويؤتي الـزكاة ويعبـد ربّـه حتى يأتيـه اليقين. ليس من النـاس إلاّ في خيره». وأخـرجـه ابن مـاجـة في كتـاب الفتن (٣٩٧٧) باب العزلة، وأحمد في المسند ٢/٤٤٣

(٦) الخور: مفرده أخور، وهو الرجل الضعيف.

لأُحْمِيَنَّ صاحبي ونفسي ... بطعنةٍ مثلَ شُعاعِ الشّمسِ[1]

وقال أبو سفيان بن حرب، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم، ومعاونة ابن شَعوب إيّاه على حنظلة:

ولو شئتُ نجّتْني كُميتٌ طِمرّةٌ[2] ... ولم أحْمِل النَّعْماء لابن شَعُوب
وما زال مُهْري مَزْجَر الكلب منهمُ ... لدُنْ غُدْوَةٍ حتى دنَتْ لغُروب[3]
أُقاتلهم وأدَّعي يالَغالِبٍ ... وأدفَعهم عنّي بركُن صليب
فبكّي ولا ترْعَي مقالة عاذِلٍ ... ولا تَسْأَمي من عَبْرة ونَحِيب
أباكِ وإخواناً له قد تَتابعوا ... وحُقّ لهم من عَبرة بنصِيب
وسلّي الذي قد كان في النفس أنّني ... قتلتُ من النجّار كلّ نجيب
ومن هاشمٍ قرماً كريماً ومُصْعباً ... وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو أنّني لم أشفِ نفسيَ منهمُ ... لكانت شجاً في القلب ذات نُدُوب
فآبوا وقد أوْدى الجلابيبُ[4] منهمُ ... بهم خَدَبٌ[5] من مُعْطِبٍ[6] وكَئيب
أصابهمُ مَن لم يكن لدمائهم ... كِفاءً[7] ولا في خُطَّة[8] بضَرِيب[9]

حسّان والحارث يردّان على أبي سفيان: فأجابه حسّان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام فقال:

ذكرت القُرُوم الصِّيدَ من آل هاشمٍ ... ولستَ لزُورٍ قُلْتَه بمُصيب

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٢٢.
(٢) الطِمِرّة: الفرس السريعة الوثب.
(٣) اي لم يبعد عنهم، إلا بمقدار الموضع الذي يُزجر إليه الكلب، والضمير المستتر في دنت، للشمس.
(٤) في تاريخ الطبري «الحلائب»، وهي الجماعات، أو أنصار الرجل من بني عمّه، والجلابيب: جمع جلباب. وهو في الأصل: الإزار الخشن. وكان المشركون يسمّون من أسلم «الجلاليب».
(٥) الخدب: الطعن النافذ.
(٦) في تاريخ الطبري «مُغبط».
(٧) في تاريخ الطبري «كفيًا».
(٨) الخطّة: الخصلة الرفيعة. والضريب: الشبيه.
(٩) تاريخ الطبري ٢/٥٢٣، وفي أنساب الأشراف ١/٣٢١، ٣٢٢ ثلاثة أبيات منها. وهي في ديوان حسّان ٦٤.

أَتَعْجَبُ أنْ أَقْصَدْتَ حمزةَ منهُمُ ... نجيباً وقد سمَّيْتَهُ بنَجيبِ
ألم يقتُلُوا عَمْراً وعُتبةَ وابنَهُ ... وشَيْبَةَ والحَجَّاجَ وابنَ حبيبِ
غَداةَ دعَا العاصي عَليّاً فراعَهُ ... بضَرْبَةِ عَضْبٍ بلّه بخَصِيب[1]

قال ابن إسحاق: وقال ابن شَعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه، فقال:

ولولا دفاعِيَ يابن حَرْبٍ ومَشْهَدِي ... لألْفيتَ يوم النَّعْفِ[2] غيرَ مُجيب
ولولا مَكَرِّي المُهْر بالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ[3] ... ضِباعٌ عليه أو ضِراءُ كَلِيب[4]

قال ابن هشام: قوله «عليه أو ضِراء» عن غير ابن إسحاق:

جزيتهمُ يوماً ببدْر كمثلِهِ ... على سابحٍ ذي مَيْعَةٍ وشَبِيبِ[5]
لَدَى صحن بدْرٍ أو أقمت نوائحا[6] ... عليك، ولم تَحْفِلْ مُصابَ حبيب
وإنَّك لو عَاينْتَ ما كان منهُمُ ... لأبْتَ بقَلْبٍ ما بقيتَ نَخِيبِ[7]

قال ابن هشام: وإنّما أجاب الحارث بن هشام أبَا سفيان لأنه ظنّ أنه عرّض به في قوله:

وما زال مُهْرِي مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ

لفرار الحارث يوم بدر.

الزبير يذكر سبب الهزيمة: قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصَدَقَهم وعْدَه، فحسّوهم بالسيوف[8] حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها.

---

(١) ديوان حسّان ٦٥، ٦٦، تاريخ الطبري ٢/٥٢٣، ٥٢٤.
(٢) النّعف: اسفل الجبل.
(٣) قرقرت: اي أسرعت لنهشه.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٢٤
(٥) السابح: الفرس السريع. والمَيْعة: الخفّة. والشبيب: أن يرفع الفرس يديه جميعاً في الجري.
(٦) في تاريخ الطبري «لدى صحن بدر أو لقامت نوائح».
(٧) النخيب: الجبان. والأبيات في تاريخ الطبري ٢/٥٢٤ مختلفة الترتيب عمّا هنا.
(٨) حسّوهم: قتلوهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، عن عبد الله بن الزُبير، عن الزُبير، أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عُتبة وصواحبها مشمّرات هوارب، ما دون أخذهنّ قليل ولا كثير إذا مالت الرماة إلى العسكر، حين كشفنا القوم عنه وخلّوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إنّ محمداً قد قُتل؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم[1].

قال ابن هشام: الصارخ أزبّ العَقَبة، يعني الشيطان.

حسّان يذكر شجاعة صؤاب: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني بعض أهل العلم؛ أنّ اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عَمرة بنت علقمة الحارثيّة، فرفعته لقريش، فلاثوا به[2]. وكان اللواء مع صؤاب، غلام لبني أبي طلحة، حَبَشيّ، وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قُطعت يداه، ثم برك عليه، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قُتل عليه، وهو يقول: اللهم هل أعزرت ـ يقول: أعذرت[3] ـ فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

فَخَرْتُم بـالّلواء وشـرُّ فخْـرٍ ... لـواءٌ حيـن رُدَّ إلى صُؤاب
جـعلتُم فخـرَكُمْ فيـه بـعبـدٍ ... وألأم من يـطا عَفَـر التُّـراب[4]
ظَنَنْتُم، والسَّفيـهُ لـه ظنـونٌ ... ومـا إنْ ذاك منْ أمر الصَّـواب
بـأنّ جـلادَنـا يـوم التقَيـنـا ... بمكّـة بَيْعُكُمْ حمْـرَ العِيـاب[5]
أقـرَّ العَيْـنَ أنْ عُصِبَـتْ يـداهُ ... ومـا إنْ تُعصَبانِ على خضَـابِ[6]

---

(١) السير والمغازي ٣٢٧، الأغاني ١٥/١٩١.
(٢) لاثوا به: اجتمعوا عليه.
(٣) كان بلسانه لكنة يقلب الذال الى الزاي.
(٤) في تاريخ الطبري:
«جعلتم فخركم فيها لعبد ... مَن ألأمِ من وطي عفر التراب».
(٥) العياب: ما تضع فيه الناس حوائجهم.
(٦) ديوان حسّان ٦٢، تاريخ الطبري ٢/٥١٣، ٥١٤، الأغاني ١٥/١٩١.

قال ابن هشام: آخرها بيتاً يُروى لأبي خراش الهُذْلي، وأنشدنيه خَلَف الأحمر:

أقــرّ العيْن أنْ عُصِبتْ يَــدَاهــا | وَمَـا إنْ تُعْصَبان على خضَــاب

في أبيات له، يعني امرأته، في غير حديث أُحُد، وتُروى الأبيـات أيضاً لمعقل بن خُوَيلد الهُذْلي.

شِعْـر حسّان في شجـاعـة عَمْـرة الحـارثيـة: قـال ابن إسحـاق: وقـال حسّان بن ثابت في شأن عَمرة بنت علقمة الحارثيّة ورفْعها اللواء:

إذا عَضَــلٌ سِيقَت إلـينــا كـأنَّـهــا | جِـدَاية شِـرْك مُعلَماتِ الحـواجِبِ[1]
أَقَمْنَــا لهم طَـعْنــاً مُبيــراً مُنَكِّــلاً | وحُـزْنَاهُم بـالضَّرْبِ من كـلِّ جانب
فلَوْلاَ لِــواء الحــارثـيّــة أصبَـحُــوا | يُباعون في الأسواق بيع الجَـلائِب[2]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له.

ما أصاب الرسول يوم أُحُد: قـال ابن إسحاق: وانكشف المسلمـون، فـأصاب فيهم العـدوّ، وكان يـوم بلاءٍ وتمحيص، أكـرم الله فيه مَن أكـرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدوّ إلى رسولِ الله ﷺ. فدُثّ بالحجـارة حتى وقع لشقّه[3]، فأصيبت رَباعيّتـه، وشُجّ في وجهـه، وكُلِمتْ شَفَتُه، وكـان الذي أصابه عُتبة بن أبي وقّاص.

قال ابن إسحاق: فحّدثني حُمَيد الطَّويل، عن أنس بن مالك، قال:

كُسِرَت رباعيّة النّبيّ ﷺ يوم أُحُد، وشُـجّ في وجهه، فجعـل الدم يسيـل على وجهـه، وجعل يمسـح الدم وهـو يقول: «كيف يُفلح قـوم خضَّبُـوا وجـه نبيّهم، وهو يدعوهم إلى ربّهم»؟! فأنـزل الله عزّ وجـلّ في ذلك ﴿لَيْسَ لَـكَ

---

(١) عَضَل: اسم قبيلة. والجداية: الصغير من ولد الظبي. وشِرْك: موضع.
(٢) الجلائب: ما يجلب الى الأسواق ليباع فيها.
(٣) الدّثّ: الرمي المقارب المؤلم. (تاج العروس ٥/٢٤٧) والشق: الجانب.

مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].

قال ابن هشام: وذكر رُبَيْح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدْرِيّ، عن أبيه، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ: أنّ عُتبة بن أبي وقّاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رَباعِيَّته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأنّ عبد الله بن شهاب الزُّهْريّ شجّه في جبهته، وأنّ ابن قمِئة جرح وجْنته، فدخلت حلقتان من حَلَق المِغْفَر[2] في وجْنته، ووقع رسولُ الله ﷺ في حُفرة من الحُفَر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون؛ فأخذ عليّ بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفعه طلحة بن عُبيد الله حتى استوى قائماً، ومصَّ مالك بن سنان، أبو أبي سعيد الخُدْرِيّ، الدمَ عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده؛ فقال رسولُ الله ﷺ «من مسّ دمي دَمَه لم تُصبْه النار»[3].

قال ابن هشام: وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوَرْديّ[4]: أنّ النبيّ ﷺ قال: «من أحبَّ أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عُبيد الله»[5].

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٢٨. والخبر في الطبقات الكبرى ٢/٤٤، ٤٥، والسير والمغازي ٣٢٨، وتاريخ الطبري ٢/٥١٤، ٥١٥، والأغاني ١٥/١٩٢، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والمغازي للواقدي ١/٢٤٥.

(٢) المغفر: حلق يُجعل على الرأس يُتّقى به ضرب السلاح في الحرب.

(٣) الحديث ليس في كتب الصحاح. ورُبيح بن عبد الرحمن رجل ليس بمعروف عند الإمام أحمد. وقال البخاري: منكر الحديث. وسرد له ابن عديّ أربعة أحاديث، وقال: أرجو انه لا بأس به. أنظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٣/١٠٣٢، ١٠٣٣، ميزان الاعتدال ٢/٣٨ رقم ٢٧٢٧، المغني في ضعفاء الرجال ١/٢٢٧ رقم ٢٠٨٥، تهذيب التهذيب ٣/٢٣٨، والحديث في البدء والتاريخ ٤/٢٠٣، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والمغازي للواقدي ١/٢٤٧.

(٤) صدوق من علماء المدينة، غيره أقوى منه. قال الإمام أحمد: إذا حدّث من حفظه يهمّ، ليس هو بشيء، وإذا حدّث من كتابه فنعم. وقال أيضاً: إذا حدّث من حفظه جاء ببواطيل. وقال ابن المديني: ثقة ثبت. وقال أبو حاتم: لا يُحتجّ به. وقال أبو زُرعة: سيّء الحفظ. وقال معن بن عيسى: يصلح الدراوردي أن يكون أمير المؤمنين. مات سنة ١٨٧ هـ. (ميزان الاعتدال ٢/٦٣٣، ٦٣٤ رقم ٥١٢٥).

(٥) الحديث مرسَل، فضلاً عن ضعف الدراوردي كما مرّ. وقد أخرج الحديث ابن ماجه (١٢٥) من طريق: وكيع، عن الصلت بن دينار، عن أبي نضرة، عن جابر. وأخرجه الترمذي =

وذكر، يعني عبد العزيز الدراوَرْديّ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة، عن أبي بكر الصِّدِّيق: أنّ أبا عُبيدة بن الجرّاح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ، فسقطت ثَنِيّته، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيّته الأخرى، فكان ساقط الثنيّتين.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت لعُتبة بن أبي وقّاص:

إذا الله جازَى معشراً بفِعالهم ... وضَرّهم الرحمن ربّ المشارقِ
فأخزاك ربّي يا عُتَيْبَ بن مالك ... ولقّاك قبل الموتِ إحدى الصَّواعقِ
بَسَطْتَ يميناً ـ للنّبيّ تعمداً ... فأدميتَ فاهُ ـ قُطِّعَتْ بالبَوارِق[1]
فهلّا ذكرتَ اللهَ والمنزِل الذي ... تصير إليه عند إحدى البوائِق[2]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما:

من شجاعة أصحاب الرسول ﷺ: **قال ابن إسحاق**: وقال رسولُ الله ﷺ، حين غشِيه القوم: «مَن رجلٍ يشري لنا نفسَه»؟ كما حدّثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، عن محمود بن عمرو، قال: فقام زياد بن السكن في نفرٍ خمسة من الأنصار ـ وبعض الناس يقول: إنّما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن ـ فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً ثم رجلًا، يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين، فأجهضوهم[3] عنه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أدنوه منّي»، فأدنوه منه فوسّده قَدَمَه، فمات وخدّه على قدم رسول الله ﷺ[4].

= (٣٧٤٠) من طريق: صالح بن موسى الطلحي، عن الصلت بن دينار، عن أبي نضرة، عن جابر. وصالح بن موسى متروك، وكذلك الصلت. وأخرجه الترمذي مرة أخرى (٣٧٤٢)، وله شاهد مرسل عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٥٦/١/٣، وانظر تاريخ الإسلام (المغازي).

(١) البوارق: السيوف. وفي البدء والتاريخ «يا لبوائق».
(٢) ورد البيتان الثاني والثالث فقط في البدء والتاريخ ٢٠٣/٤ وهي كلها في تاريخ الإسلام (المغازي) وديوان حسان ٢٩١.
(٣) أجهضوهم: أزالوهم.
(٤) السير والمغازي ٣٢٨، الأغاني ١٩٣/١٥.

قال ابن هشام: وقاتلت أمُّ عُمارة، نُسيبة بنت كعب المازنية يوم أُحُد.

فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاريّ: أنّ أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أمّ عُمارة، فقلت لها: يا خالة، أخبريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه والدولة والريح[1] للمسلمين. فلما انهزم المسلمون، انحزْت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال، وأذبّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إليّ قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجْوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قَمِئة أقمأه[2] الله! لما ولّى النّاس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد، فلا نجوت إنْ نجا، فاعترضت له أنا ومُصعب بن عُمير، وأُناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدوّ الله كان عليه درعان.

قال ابن إسحاق: وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره، وهو مُنْحنٍ عليه، حتى كثُر فيه النبل. ورمى سعد بن أبي وقّاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول: «إرم، فِداك أبي وأمّي»[3]، حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل، فيقول: «ارم به»[4].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتادة؛ أنَّ رسول الله ﷺ: رمى عن قوسه حتى اندقّت سِيَتُها[5]، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عين قَتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته.

---

(١) يريد بالريح: إقبال النصر.

(٢) أقمأه الله: أذلّه الله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (١٢٤/٥) باب إذ همّت طائفتان منكم، وابن إسحاق في السير والمغازي ٣٢٨، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي)، والمقدسي في البدء والتاريخ ٢٠٢/٤، ٢٠٣.

(٤) الأغاني ١٩٣/١٥، تاريخ الطبري ٥١٦/٢.

(٥) سِيَتُها: طرفها.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة. أنّ رسول الله ﷺ ردّها بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدِيّ بن النّجّار، قال: انتهى أنس بن النضْر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطّاب، وطلحة بن عُبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يُجلسكم؟ قالوا: قُتل رسولُ الله ﷺ؛ قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل؛ وبه سُمّي أنس بن مالك.

قال ابن إسحاق: فحدّثني حُمَيد الطّويل، عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذٍ سبعين ضربة، فما عرفه إلّا أخته، عرفته ببَنَانِه[2].

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم: أنّ عبد الرحمن بن عَوف أصيب فُوه يومئذٍ فهُتم[3]، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رِجْله فعرج[4].

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قُتل رسول الله ﷺ - كما ذكر لي ابن شهاب الزُّهْريّ - كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تُزهران[5] من تحت المِغْفَر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشِروا، هذا رسول الله ﷺ؛ فأشار إليّ رسول الله ﷺ أنْ أنصِتْ.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥١٦، تاريخ الإسلام (المغازي)، السير والمغازي ٣٢٨، ٣٢٩، الأغاني ١٥/١٩٣، ١٩٤.
(٢) السير والمغازي ٣٣٠ الأغاني ١٥/١٩٥، تاريخ الطبري ٢/٥١٧، ٥١٨.
(٣) هُتم: كُسرت ثنيّته.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٠٨، وفيه إحدى وعشرون جراحة، والطبراني في المعجم الكبير ١/١٢٨ رقم ٢٦١، وسير أعلام النبلاء ١/٧٥.
(٥) تُزهران: تضيئان.

قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشِعب، معه أبو بكر الصِّدِّيق، وعمرو بن الخطّاب، وعليّ بن أبي طالب، وطلحة بن أبي طالب، وطلحة بن عُبيد الله، والزُّبير بن العوّام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصِّمّة، ورهْط من المسلمين.

مقتِل أُبَيّ بن خَلَف: قال: فلما أسند رسول الله ﷺ في الشِعْب أدركه أُبَيّ بن خَلَف وهو يقول: أي محمد، لانجوتُ إنْ نجوتَ، فقال القوم: يا رسولَ الله، أيعطِف عليه رجل منّا؟ فقال رسولُ الله ﷺ : «دعوه»؛ فلما دنا، تناول رسولُ الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصِّمّة؛ يقول بعض القوم، فيما ذُكر لي: فلما أخذها رسولُ الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها، تطاير الشَّعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها - قال ابن هشام: الشَّعْراء: ذُباب له لدغ - ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها.

قال ابن هشام: تدأدأ، يقول: تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج.

قال ابن إسحاق: وكان أُبيّ بن خَلَف، كما حدّثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، يلقى رسولَ الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد إنّ عندي العُوذ، فرساً أعلفه كل يوم فُرْقاً[1] من ذُرَة، أقتُلُك عليه؛ فيقول رسولُ الله ﷺ : «بل أنا أقتلك إن شاء الله». فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤآدك! والله إنّ بك من بأس؛ قال: إنه قد كان قال لي بمكة: «أنا أقتلك»، فوالله لو بصق عليّ لقَتَلَني. فمات عدوّ الله بسَرِف[2] وهم قافلون به إلى مكة[3].

---

(١) الفَرْق: مكيال يسع اثني عشر رطلاً.

(٢) سَرِف: مكان على ستة أميال من مكة.

(٣) تاريخ الطبري ٥١٨/٢، ٥١٩، الأغاني ١٩٦/١٥، ١٩٧، وانظر الطبقات الكبرى ٤٦/٢، والمغازي للواقدي ٢٥٠/١، وأنساب الأشراف ٣١٩/١، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٧٤ (طبعة الهند)، والمغازي لعروة ١٧٠، والبداية والنهاية ٣٢/٤.

قال ابن إسحاق: فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

لقد ورث الضَّلالَة عن أبيه — أُبَيٌّ يوم بارَزَه الرَّسولُ
أتيتَ إليه تَحْمِل رِمّ[1] عَظْمٍ — وتُوعِده وأنتَ به جَهُول
وقد قَتلتْ بنو النّجّار منكم — أميَّة إذ يُغَوِّث[2]: يا عَقِيل
وتَبَّ ابنا ربيعة إذ أطاعا — أبا جَهْل. لأمّهما الهُبول[3]
وأفْلتَ حارثٌ لما شَغَلنا — بأسر القَوْم، أسْرته فَليل[4]

قال ابن هشام: أسرته: قبيلته.

وقال حسّان بن ثابت أيضاً في ذلك:

ألا من مُبلغٌ عنّي أُبَيّاً — لقد أُلقيت في سُحق السَّعِير
تمنّى بالضّلالة من بَعيد — وتُقسم أن قَدَرْت مع النُّذُور
تَمنِّيك الأماني من بعيد — وقولُ الكُفْر يَرْجع في غُرور
فقد لاقَتْك[5] طعنةُ ذي حفاظٍ[6] — كريم البيت ليس بذي فُجور
له فَضْلٌ على الأَحْياء طُرًّا — إذا نابتْ مُلِمّات الأمورِ

انتهاء الرسول إلى الشِّعب: قال: فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فم الشِّعْب خرج عليّ بن أبي طالب، حتى ملأ دَرَقَتَه ماء من المِهراس[7]، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافَه، فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصبّ على رأسه وهو يقول: اشتدّ غضب الله على من دمّى وجْهَ نبيّه[8].

---

(١) الرِمّ: البالي.
(٢) يغوّث: يقول واغوثاه.
(٣) الهُبُول: الهلك.
(٤) الفليل: المنهزمون.
(٥) في نهاية الأرب «لاقيت». (وفاء الوفا للمسهودي ٢/٣٧٩).
(٦) الحفاظ: الغضب.
(٧) المهْراس: ماء بأُحد.
(٨) تاريخ الطبري ٢/٥١٩، الأغاني ١٥/١٩٧، السير والمغازي ٣٣١ وفيه البيت الأول فقط =

سعد بن أبي وقّاص يحرص على قتل عُتْبة: قال ابن إسحاق: فحدّثني صالح بن كَيْسانَ عمّن حدّثه، عن سعد بن أبي وقّاص أنه كان يقول: والله ما حرصت على قتل رجل قطّ كحِرصي على قتل عُتْبة بن أبي وقّاص، وإنْ كان ما علمت لسيّء الخلق مبغَّضاً في قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ: «اشتدّ غضب الله على من دَمَّى وجْهَ رسوله»[1].

عمر يصعد إلى قريش الجبل: قال ابن إسحاق: فبينا رسول الله ﷺ بالشِّعْب معه أولئك النفر من أصحابه، إذ عَلَت عاليةٌ من قُريش الجبلَ.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالد بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إنّه لا ينبغي لهم أن يعلُونا»[2]! فقاتل عمر بن الخطاب ورهْط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

معاونة طلحة للرسول: قال ابن إسحاق: ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدَّن[3] رسول الله ﷺ، وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض ﷺ لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عُبيد الله، فنهض به، حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ، كما حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزُّبَير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يومئذ يقول: «أوجب[4] طلحة حين صنع برسولِ الله ﷺ ما صنع»[5].

= من الأبيات الأولى، المغازي للواقدي ١/٢٤٩ و٢٥٠، ونهاية الأرب ١٧/٩٧ وفيه الأبيات كلها.

(١) تاريخ الإسلام (المغازي)، السير والمغازي ٣٣١، ٣٣٢، الأغاني ١٥/١٩٧، الطبري ٢/٥١٩.

(٢) السير والمغازي ٣٣٢، نهاية الأرب ١٧/٩٨، تاريخ الطبري ٢/٥٢١.

(٣) بدّن: ضعف.

(٤) أوجب: وجبت له الجنة.

(٥) أخرجه الترمذيّ وأورده في الرياض النضرة عن عبدالله بن الزبير، عن أبيه، وأخرجه أحمد. قال الترمذيّ: حسن صحيح. (تاريخ الخميس ١/٤٩٢). وانظر تاريخ الإسلام (المغازي)، =

قال ابن هشام: وبلغني عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ لم يبلغ الدرجة المبنيّة في الشِّعْب.

قال ابن هشام: وذكر عمر مولى غفرة: أنّ النبيّ ﷺ صلّى الظُّهْر يوم أُحُد قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلّى المسلمون خلفه قعوداً(1).

مقتل اليمَان وابن وقْش وابن حاطب: قال ابن إسحاق: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنقّى(2)، دون الأعوص(3).

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن محمود بن لَبِيد، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد، رفع حُسيل بن جابر، وهو اليَمَان أبو حُذَيفة بن اليمان، وثابت بن وقْش في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شيخان كبيران: ما أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله لا بقي لواحد منّا من عمره إلاّ ظِمء(4) حمار، إنّما نحن هامة(5) اليوم أو غداً، أفلا نأخذ أسيافنا، ثم نلحق برسول الله ﷺ، ولعلّ الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا، حتى دخلا في الناس، ولم يُعلم بهما، فأما ثابت بن وقْش فقتله المشركون، وأما حُسيل بن جابر، فاختلفت عليه أسياف المسلمين، فقتلوه ولا يعرفونه(6)، فقال حُذَيْفة: أبي، فقالوا: والله إنْ عرفناه. قال حُذَيْفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يدِيَه، فتصدّق حُذَيْفة بدِيَته على المسلمين؛ فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً.

= ونهاية الأرب ٩٨/١٧، والسير والمغازي ٣٣٢، وتاريخ الطبري ٥٢١/٢، ٥٢٢.

(١) نهاية الأرب ٩٨/١٧.

(٢) المنقّى: مكان بين أحد والمدينة. وبنقل ياقوت عن ابن إسحاق.

(٣) السير والمغازي ٣٣٢.

(٤) يُضرب لقُرب الأجل، فالظمء ما بين الشربتين، والحمار لا يصبر على العطش.

(٥) الهامة. كما تزعم العرب. طائر يخرج من رأس القتيل يصيح أسقوني اسقوني لا يسكت حتى يؤخذ بثأره.

(٦) أنظر عن ثابت بن وقش في الإصابة ١٩٦/١، ١٩٧ وعن حُسيل بن جابر ٣٣١/١ رقم ١٧٢٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والأغاني ٢٠٣/١٥، ٢٠٤.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ رجلاً منهم كان يُدْعَى حاطِب بن أُميَّة بن رافع، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب، أصابته جراحة يوم أُحُد، فأتى به إلى دار قومه وهو بالموت، فاجتمع إليه أهل الدار، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء: أبشِرْ يابن حاطب بالجنّة، قال: وكان حاطب شيخاً قد عسا في الجاهلية، فنجم يومئذٍ نفاقه، فقال: بأيّ شيء تبشّرونه؟ بجنّة من حرمل[1]: غررتم والله هذا الغلام من نفسه[2].

مقتل قزمان منافقاً: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، قال: كان فينا رجل أَتِيّ[3] لا يُدرَى ممّن هو، يقال له: قُزمان، وكان رسول الله ﷺ يقول: إذا ذُكر له: «إنه لمن أهل النار»، قال: فلما كان يوم أُحُد قاتل قتالاً شديداً. فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة. فاحتُمل إلى دار بني ظفر، قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليْت اليوم يا قُزمان، فأبْشِر، قال: بماذا أُبشَّر؟ فوالله إن قاتلت إلّا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت. قال: فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كِنانته، فقتل به نفسه[4].

قتْل مُخَيْريق: **قال ابن إسحاق**: وكان ممن قُتِل يوم أُحُد مُخَيْريق؛ وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطْيون، قال: لما كان يوم أُحُد، قال: يا معشر يهود، والله لقد علِمتم أنّ نصر محمد عليكم لَحَقّ، قالوا: إنّ اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعُدَّته، وقال: إنْ أُصِبْتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - «مُخَيْريق خير يهود»[5].

الحارث بن سُويد: **قال ابن إسحاق**: وكان الحارث بن سُويد بن

---

(١) قال السهيلي: من حرمل، يريد الأرض التي دُفن فيها، وكانت تُنبت الحرمل، أي ليس له جنّة إلّا ذاك. (انظر الروض الأنف ٣/١٧٧).

(٢) أنساب الأشراف ١/٢٧٧، المغازي للواقدي ١/٢٦٣، تاريخ الطبري ٢/٥٣٠، ٥٣١.

(٣) أتيّ: غريب. لا يُدرى من اين أتى.

(٤) تاريخ الإسلام (المغازي)، المغازي للواقدي ١/٢٦٤، الطبري ٢/٥٣١.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٥٣١، أنساب الأشراف ١/٣٢٥ رقم ٧٠٦ و١/٥١٨ رقم ١٠٤٢.

صامت منافقاً، فخرج يوم أُحُد مع المسلمين، فلما التقى الناس، عدا على المجذَّر بن ذياد البَلَويّ، وقيس بن زيد، أحد بني ضُبيعة، فقتلهما، ثم لحِق بمكة بقريش، وكان رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته، فكان بمكة، ثم بعث إلى أخيه الجُلاس بن سُوَيد يطلب التوبة، ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني، عن ابن عباس: «**كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ، وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**»[1] إلى آخر القصّة.

قال ابن هشام: حدّثني من أثق به من أهل العلم: أنّ الحارث بن سُوَيد قتل المجذّر بن ذِياد ولم يقتل قيس بن زيد، والدليل على ذلك: أنّ ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أُحُد، وإنّما قتل المجذّر، لأنّ المجذّر بن ذِياد كان قتل أباه سُوَيداً في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج[2]، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب.

فبينا رسول الله ﷺ، في نفر من أصحابه، إذ خرج الحارث بن سُويد من بعض حوائط المدينة، وعليه ثوبان مضرَّجان، فأمر به رسول الله ﷺ عثمان بن عفّان، فضرب عنقه، ويقال: بعض الأنصار.

قال ابن إسحاق: قتل سُويد بن الصامت مُعاذ بن عفراء غِيلةً، في غير حرب، رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعاث.

أمر أُصَيْرم: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، عن أبي سفيان، مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هُريرة قال: كان يقول: حدّثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يصلّ قطّ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أُصَيْرم، بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقْش. قال الحُصَين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأُصَيرم؟ قال: كان يأبَى الإسلام على قومه. فلما كان يوم خرج

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٨٦.

(٢) أنظر: أنساب الأشراف ٢٣٨/١ رقم ٥٦٣ و٥٦٤ و٢٧٥/١ رقم ٦٤٠ و٣٣١/١، ٣٣٢.

رسول الله ﷺ إلى أُحُد بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. وقال: فبينا رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إنّ هذا للأُصَيْرِم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكِر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به؛ فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحَدَبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي، فغدوت مع رسول الله ﷺ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «إنّه لمن أهل الجنّة»(١).

عمرو بن الجَمُوح ومقتله: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن أشياخ من بني سَلِمة: أنّ عمرو بن الجَمُوح كان رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسْد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أُحُد أرادوا حبْسه، وقالوا له: إنّ الله عزّ وجلّ: قد عذرك، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: إنّ بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة؛ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك»، وقال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه، لعلّ الله أن يرزقه الشهادة»، فخرج معه فقُتل يوم أُحُد(٢).

هند وتمثيلها بحمزة: قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عُتبة، كما حدّثني صالح بن كَيْسَان، والنِّسْوة اللاّتي معها، يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجدّعن(٣) الآذان والأُنُف، حتى اتّخذت هند من آذان الرجال

---

(١) أنساب الأشراف ١/٣٢٥ رقم ٧٠٦، المغازي للواقدي ١/٢٦٢.

(٢) وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خرج قال: اللّهم لا تردّني، فاستُشهد، فجعله بنوه على بعير، ليحملوه الى المدينة، فاستصعب عليهم البعير، فكان إذا وجّهوه الى كلّ جهة سارع إلاّ جهة المدينة، فكان يأبى الرجوع اليها، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله: اللّهم لا تردّني إليها، فدفنوه في مصرعه (انظر الروض ٣/١٧٧)، وأخرجه أحمد في المسند ٥/٢٩٩، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٢٥٤، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والمغازي للواقدي ١/٢٦٤.

(٣) يجدعن: يقطعن.

وأُنفهم خَدَماً[1] وقلائد، وأعطت خَدَمَها وقلائدها وقرطتها وحشيّاً، غلام جُبير بن مُطْعِم، وبقرت عن كبِد حمزة، فلاكَتْها فلم تستطع أن تسيغها؛ فلفظَتْها، ثم علت على صخرة مُشْرِفة، فصرخَت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جَزَيْناكُمْ بيوم بدرٍ والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعْرِ
ما كان عن عُتبةَ لي من صبْرٍ ولا أخي وعمّه وبَكْري[2]
شفَيْتُ نفسي[3] وقَضَيْتُ نَذْرِي[4] شفيت وحْشيُّ غَليلَ صدْرِي[5]
فشُكْر وحْشيٍ عليّ عُمْري حتى ترِمَّ أعظُمي في قبْري[6]

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطّلب. فقالت:

خَزِيتِ[7] في بدْرٍ وبعد بدْرِ يا بنتَ وقّاع[8] عظيم الكُفْر
صبَّحَكِ الله غداةَ الفجْرِ ملهاشميّين الطِّوال الزُّهْر[9]
بكل قطّاعٍ حُسامٍ يَفْرِيْ حمزةُ لَيْثي وعليّ صَقْري
إذ رام شَيْبٌ وأبوكِ غَدْري فخضَّبا منه ضواحي النَّحْر[10]

ونذرِك السُّوء فشرُّ نذرِ[11].

---

(١) الخدم: الخلاخيل.

(٢) في البدء والتاريخ:

ما كان من عتبة لي من مُضر ولا أخيه لا ولا من صِهر

(٣) في تاريخ الإسلام «صدري».

(٤) في نهاية الأرب «وتري».

(٥) في البدء والتاريخ «فشكر وحشيّ عليّ عمر».

(٦) وردت الأبيات الثلاثة الأولى في: البدء والتاريخ ٤/٢٠٤، وتاريخ الإسلام (المغازي) وأسد الغابة ٥/٥٥٩، والاستيعاب ٤/٤٢٢ وهي كلها في نهاية الأرب ١٧/١٠١، وانظر السير والمغازي ٣٣٣.

(٧) في البدء والتاريخ «جُزيت».

(٨) الوقاع: كثير الوقوع في الدنيا.

(٩) ملهاشميين: أرادت من الهاشميين، والزُهر: البيض.

(١٠) شيب: أرادت شيبة، فرخّمته بغير نداء، وهو قليل لضرورة الشِعْر. ضواحي النّحر: ما ظهر من أعلى الصدر.

(١١) ورد البيت الأول فقط في البدء والتاريخ ٤/٢٠٤، والثلاثة الأولى في أسد الغابة ٥/٥٥٩، والاستيعاب ٤/٤٢٢، وهي كلها في نهاية الأرب ١٧/١٠١.

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عُتبة أيضاً:

شَفَيْتُ من همزةَ نفسي بأُحدِ ... حتىً بقَرْتُ بطْنَه عن الكبدِ
أذْهَب عنِّي ذَاكَ ما كنتُ أجدُ ... من لَدْعَةِ الحُزْنِ الشَّدِيد المُعْتَمَدِ
والحربُ تَعلُوكم بشُؤْبوب[1] بَرْدِ ... تَقدَّمُ إقداماً عليكُمْ كالأسدِ

قال ابن إسحاق: فحدّثني صالح بن كَيْسان أنه حُدّث: أنّ عمر بن الخطّاب قال لِحسّان بن ثابت: يابن الفُرَيعة - قال ابن هشام: الفُرَيعة بنت خالد بن خُنَيس: ابن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج: لو سمعتَ ما تقول هند، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسّان: والله إنّي لأنظر إلى الحربة تهوي وأنا على رأس فارع - يعني أُطمة - فقلت: والله إنّ هذه لسلاح ما هي بسلاح العرب، كأنها إنّما تهوي إلى حمزة ولا أدري، لكن أسمِعْني بعض قولها أكفكُموها؛ قال: فأنشده عمر بن الخطّاب بعض ما قالت، فقال حسّان بن ثابت:

أشِرَتْ لَكاعِ[2] وكان عادتُها ... لُؤماً إذا أشِرَتْ مع الكُفْرِ[3]

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له تركناها، وأبياتاً أيضاً له على الدّال: وأبياتاً أخر على الذّال، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقد كان الحُلَيس بن زَبّان، أخو بنو الحارث بن عبد مَناة، وهو يومئذ سيّد الأحابيش، قد مرّ بأبي سفيان، وهو يضرب في شدْق حمزة بن عبد المطّلب بزجّ الرمح ويقول ذُقْ: عُقَق[4]؛ فقال الحُلَيس:

(١) الشؤبوب: الدفعة الشديدة من المطر.
(٢) لَكاع: كنّى بها عن هند، وامرأة لَكاع كقطام: لئيمة.
(٣) في الأغاني ١٥/١٩٨ «من الكفر»، والمثبت يتفق مع روايتي: ديوان حسّان ٢٢٩، وتاريخ الطبري ٢/٥٢٥.
(٤) عُقَق: أي يا عاق.

يا بني كِنانة، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه ما ترون لحماً؟ فقال: ويْحك! اكتمها عنّي، فإنها كانت زَلَّة[1].

أبو سفيان يشمت بالمسلمين: ثم إنّ أبا سفيان بن حرب، حين أراد الانصراف، أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته فقال أنعمَتْ فِعال[2]، وإنّ الحرب سجال، يوم بيوم، أُعْلُ هُبَل، أي أَظْهِر دِينَك؛ فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عمر فأجِبه، فقل الله أعلى وأجلّ، لاسواء[3]، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار». فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هلُمّ إليّ يا عمر، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «ائتِه فانظر ما شأنه»، فجاء، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللّهمّ لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قَمِئة وأَبرّ؛ لقول ابن قَمِئة لهم: إنّي قد قتلت محمداً[4].

قال ابن هشام: واسم ابن قَمِئة: عبد الله.

قال ابن إسحاق: ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلاكم مثل؛ والله ما رضيت، وما سخطت، وما نهيت، وما أمرت.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه، نادى: إنّ موعدكم بدر للعام القابل؛ فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد»[5].

عليّ يخرج في آثار قريش: ثم بعث رسول الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب، فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإنْ

---

(١) الأغاني ١٥/٢٠٠، ٢٠١، نهاية الأرب ١٧/١٠٢، تاريخ الطبري ٢/٥٢٧.

(٢) أي بالغنا في فعالنا.

(٣) أي لا نحن سواء، ولا يجوز دخول لا على اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار، نحو لا زيد قائم، ولا عمرو خارج، ولكنه جاز في هذا الموضع، لأن القصد فيه إلى نفي الفعل، أي لا يستوي كما جاز لا ندلك، أي: لا ينبغي لك. (الروض الأنف ٣/١٧٩)

(٤) السير والمغازي ٣٣٣، ٣٣٤، الأغاني ١٥/١٩٩، ٢٠٠، الطبري ٢/٥٢٦، ٥٢٧، المغازي للواقدي ١/٢٩٦، ٢٩٧.

(٥) السير والمغازي ٣٣٤، الأغاني ١٥/٢٠٠، ٢٠١، الطبري ٢/٥٢٧.

كانوا قد جنّبوا الخيل[1]. وامتطوا الإبل، فإنّهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده، لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها، ثم لأناجزنّهم. قال عليّ: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون؛ فجنّبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجّهوا إلى مكة[2].

سعد بن الربيع: وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ كما حدّثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازنيّ، أخو بني النّجّار: «مَن رجل ينظر لي مافعل سعد بن الربيع؟ في الأحياء هو أم في الأموات»؟ فقال رجل من الأنصار[3]: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رَمَق. قال: فقلت له: إنّ رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغْ رسول الله ﷺ عنّي السلام، وقل له: إنّ سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنّا خير ما جزى نبيّاً عن أمّته، وأبلِغْ قومَك عنّي السلام وقل لهم: إنّ سعد بن الربيع يقول لكم: إنّه لا عُذْر لكم عند الله إنّ خلص إلى نبيّكم ﷺ ومنكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات؛ قال: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره[4].

قال ابن هشام: وحدّثني أبو بكر الزُّبَيري: أنّ رجلاً دخل على أبي بكر

---

(١) جنّبوا الخيل: قادوها الى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة.

(٢) السير والمغازي ٣٣٤، تاريخ الطبري ٢/٥٢٧، ٥٢٨، الأغاني ١٥/٢٠١، نهاية الأرب ١٧/٩٩، ١٠٠، المغازي للواقدي ١/٢٩٧، ٢٩٨.

(٣) الرجل: هو محمد بن مسلمة، ذكره الواقدي، وذكر أنه نادى في القتلى: يا سعد بن الربيع مرة بعد مرة، فلم يُجبه أحد، قال: يا سعد إنّ رسول الله - ﷺ - أرسلني أنظر ما صنعت، فأجابه حينئذ بصوت ضعيف، وذكر الحديث، وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر في كتاب الصحابة، فإنه ذكر فيه من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جدّه أنّ الرجل الذي التمس سعداً في القتلى هو: أُبَيّ بن كعب. (الروض الأنف ١/١٧٨).

(٤) الخبر في: الاستيعاب ٤/١٤٥، أسد الغابة ٢/٣٤٨، الإصابة ٤/١٤٤، سير أعلام النبلاء ١/٣١٨، ٣١٩، الأغاني ١٥/٢٠٠، ٢٠١، تاريخ الطبري ٢/٥٢٨، السير والمغازي ٣٣٤، ٣٣٥، نهاية الأرب ١٧/١٠٦، ١٠٧.

الصِّدِّيق، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبّلها، فقال له الرجل: من هذه؟ قال: هذه بنت رجل خير منّي، سعد بن الربيع، وكان من النقباء يوم العَقَبة، وشهد بدراً، واستُشهد يوم أُحُد.

الرسول يحزن على حمزة ويتوعّد المشركين بالمُثلة: قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطّلب، فوجده ببطن الوادي قد بقربطنه عن كبِده، ومُثّل به، فجُدع أنفه وأُذُناه[1].

فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَير: أنّ رسولُ الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: لولا أن تحزن صفيّة، ويكون سُنّةً من بعدي لَتركته، حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم. فلما رأى المسلمون حُزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمّه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثّلنّ بهم مُثْلة لم يمثّلها أحدمن العرب[2].

قتل ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: «لن أصاب بمثلك أبداً! ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ إليّ من هذا»! ثم قال: «جاءني جبريل فأخبرني أنّ حمزة بن عبد المطّلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبدالمطّلب، أسد الله، وأسد رسوله»[3].

وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مَولاة لأبي لهب[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ وحدّثني من لا أتّهم، عن ابن عباس: أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك، من قول رسول الله ﷺ، وقول أصحابه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

---

(١) السير والمغازي ٣٣٥، تاريخ الطبري ٥٢٨/٢، الأغاني ٢٠١/١٥.

(٢) السير والمغازي ٣٣٥ وفيه: «لم يمثّلها أحد من العرب بأحد قط» وكذا في تاريخ الطبري ٥٢٨/٢، ٥٢٩، والأغاني ٢٠١/١٥، وسير أعلام النبلاء ١٧٩/١، ١٨٠.

(٣) نهاية الأرب ١٠٣/١٥.

(٤) هي ثُوَيبية.

فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَاتَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[1]، فعفا رسول الله ﷺ، وصبر ونهى عن المُثْلة[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُمَيد الطَّويل، عن الحسن، عن سَمُرة بن جُنْدب، قال: ما قام رسول الله ﷺ في مقام قطّ ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المُثْلة[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن مِقْسَم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: أمر رسولُ الله ﷺ بحمزة فسُجِّي[4] ببُرْدة ثم صلَّى عليه، فكبّر سبْع تكبيرات، ثم أُتي بالقتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلّى عليهم وعليه معهم، حتى صلّى عليه ثِنتين وسبعين صلاة[5].

---

(١) سورة النحل - الآية ١٢٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٢٩، السير والمغازي ٣٣٥، الأغاني ١٥/٢٠١. نهاية الأرب ١٧/١٠٢.

(٣) والراوي هو حُميد بن تيرَوَيْه، ويقال: ابن نيري يُكنّى أبا حُمَيدة مولى طلحة الطّلحات، وهو حديث صحيح في النهي عن المُثْلة. فإن قيل. لقد مثّل رسول الله - ﷺ - بالعُرَنيّين فقطّع أيديهم وأرجلهم وسَمَل أعينهم، وتركهم بالحَرّة.

قلنا: في ذلك جوابان: أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قطعوا أيدي الرعاة وأرجلهم وسَمَلوا أعينهم. رُوي ذلك في حديث أنس، وقيل: إنّ ذلك قبل تحريم المُثْلة. فإن قيل: فقد تركهم يستسقون فلا يُسقون، حتى ماتوا عطشاً، قلنا عطّشهم لأنهم عطّشوا أهل بيت النبيّ ﷺ: تلك الليلة، رُوي في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بلا لبن، قال: اللهم عطّش أهل بيت نبيّك. وقع هذا في شرح ابن بطّال، وقد خرّجه النّسويّ. (الروض الأنف ٣/١٧٨).

(٤) سُجّي: غُطّي.

(٥) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجهين: أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث، فإن ابن إسحاق قال: حدّثني من لا أتّهم، يعني: الحسن بن عمارة - فيما ذكروا - ولا خلاف في ضعف الحسن بن عمارة عند أهل الحديث، وأكثرهم لا يرونه شيئاً، وإن كان الذي قال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتّهم غير الحسن، فهو مجهول، والجهل يوبقه.

والوجه الثاني: أنه حديث لم يَصْحبه العمل، ولا يُروى عن رسول الله - ﷺ - أنه صلّى على شهيد في شيء من مغازيه إلّا هذه الرواية في غزوة أُحُد، وكذلك في مدّة الخليفتين إلا أن يكون الشهيد مُرْتَثّاً من المعركة. وأما ترك غُسْله، فقد أجمعوا عليه، وإن اختلفوا في=

قال ابن إسحاق: وقد أقبلت فيما بلغني، صفيّة بنت عبدالمطّلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمّها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزُّبَير بن العوّام: «الْقَها فأرجِعْها، لا ترى ما بأخيها»، فقال لها: يا أُمَه، إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أنْ قد مُثّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، قال: خلِّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، فصلّت عليه، واسترجعت[1]، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدُفِن[2].

دفن الشهداء: قال: فزعم لي آل عُبَيد الله بن جحش ـ وكان لأُميمة بنت عبد المطّلب، حمزة خاله، وقد كان مُثّل به كما مُثّل بحمزة، إلّا أنه لم يُبْقر عن كبِده ـ أنّ رسول الله ﷺ دفنه مع حمزة في قبره، ولم أسمع ذلك إلّا عن أهله[3].

قال ابن إسحاق: وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى

= الصلاة إلا رواية شاذّة عند بعض التابعين، والمعنى في ذلك ـ والله أعلم ـ تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سَبيل الله أمْواتاً﴾ الآية، مع أنّ في ترك غُسْله معنى آخر، وهو أنّ دمه أثر عبادة، وهو يجيء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً وريحه ريح المسك، فكيف يُطهّر منه وهو طيب وأثر عبادة، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء، وهو قول الزهري، قال الزهري: وبلغني انه يوزن، ومن هذا الأصل انتزع كراهية السواك بالعشيّ للصائم لئلاً يذهب خَلوف فمه، وهو أثر عبادة؛ وجاء فيه ما جاء في دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ريح المسك، ويُروى أطيب يوم القيامة من ريح المسك. رواه مسلم باللفظين جميعاً، والمعنى واحد، وجاءت الكراهية للسواك بالعشيّ للصائم عن عليّ وأبي هريرة، ذكر ذلك الدارقطني. (الروض الأنف ٣/١٧٨، ١٧٩) والحديث في السير والمغازي ٣٣٥، وانظر مجمع الزوائد ٦/١٢٠).

(١) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا اليه راجعون، فهو فعْل منحوت من الجملة. مثل: حَوْقل وبَسْمَل واستعاذ إلى أخر هذه الأفعال المنحوتة.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٢٩، الأغاني ١٥/٢٠٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/١٠٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٢٩، ٥٣٠.

المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك. وقال: «أدفنوهم حيث صُرِعوا»(١).

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم الزُّهْرِيّ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير العُذْريّ، حليف بني زُهْرة: أنّ رسول الله ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أُحُد، قال: «أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يُجرح في الله، إلّا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمي جَرْحُه، اللون لون دم والريح ريح مسك، أنظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن؛ فاجعلوه أمام أصحابه في القبر» - وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد(٢).

قال: وحدّثني عمّي موسى بن يَسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما من جريح يُجرح في الله إلّا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمي، اللون لون دم، والريح ريح مسك»(٣).

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٣٢، نهاية الأرب ١٧/١٠٣.

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، وقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١١٩) باب مقتل حمزة رضي الله عنه، عن كعب بن مالك ان رسول الله ﷺ قال: «من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل: أعزّك الله انا رأيت مقتله، فانطلق فوقف على حمزة فرآه قد شُق بطنه وقد مُثّل به فقال: يا رسول الله قد مُثّل به، فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه ووقف بين ظهراني القتلى وقال: أنا شهيد على هؤلاء لفّوهم بدمائهم فإنه ليس مجروح يجرح في سبيل الله الا جاء جرحه يوم القيامة يدما لون الدم وريحه ريح المسك. قدّموا أكثرهم قرآناً واجعلوه في اللحد». رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) الحديث صحيح له شاهد في صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٠٥) باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، قال: حدّثنا عمرو الناقد وزهير بن حرب، قالا: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «لا يُكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكلم في سبيله، إلّا جاء يوم القيامة وجُرحه يَثْعب، اللون لون دم والريح ريح مِسْك». وله حديث آخر بنحوه عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همّام بن منبّه، عن أبي هريرة (١٠٦)، وأخرج النسائي الحديث الأول مثل مسلم في كتاب الجهاد (٦/٢٨، ٢٩) باب من كُلم في سبيل الله عزّ وجلّ. وأخرج ابن ماجة حديثاً قريباً من رواية ابن هشام في كتاب الجهاد (٢٧٩٥) باب القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى، عن بشر بن آدم وأحمد بن ثابت الجحدري، قالا: حدثنا صفوان بن عيسى، حدّثنا محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مجروح يخرج في سبيل الله، والله يعلم بمن يُجرح في =

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن أشياخ من بني سَلِمة: أنّ رسول الله ﷺ، قال يومئذ، حين أمر بدفن القتلى: انظروا إلى عمرو بن الجَمُوح، وعبدالله بن عمرو بن حَرام، فإنّهما كانا متصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد[1].

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فلقِيَتْه حَمْنة بنت جحش، كما ذُكر لي، فلما لقيت الناس نُعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد المطّلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها زوجها مُصعب بن عُمير، فصاحت وولولت! فقال رسول الله ﷺ: «إنّ زوج المرأة منها لبمكان»! لِما رأى من تثبّتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها[2].

قال ابن إسحاق: ومرّ رسول الله ﷺ بدارٍ من دُور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قال: «لكن حمزة لا بواكي له»[3]! فلما رجع سعد بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَير إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يتحزّمن، ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله ﷺ[4].

قال ابن إسحاق: حدّثني حُكَيم بن حُكَيم، عن عبّاد بن حُنَيف، عن بعض رجال بني عبد الأشهل، قال: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهنّ على

= سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئته يوم جُرح. اللون لون دم، والريح ريح مسك». وهو في سنن الدارمي في كتاب الجهاد، باب (١٤)، كتاب الجهاد (صفحة ٣٠٦) رقم (٩١٢) باب الشهداء في سبيل الله، ومسند أحمد ٢/٢٤٢ و٣٩١ و٣٩٨ و٣٩٩ و٤٠٠ و٥١٢ و٥٢٠ و٥٣١ و٥٣٧ و٣/٢٩٩.

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٣٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٣٢.

(٣) رواه أبو يعلي بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، عن ابن عمر، وأنس بن مالك قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أُحُد سمع نساء الأنصار يبكين، فقال: «لكن حمزة لا بواكي له»، فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهن يبكين فقال: يا ويحهنّ ما زلن يبكين منذ اليوم فليبكين ولا يبكين على هالك بعد اليوم».

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٣٢، المغازي لعروة ١٧١.

حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مسجده يبكين عليه، فقال: «ارجعْن يرحمكنّ الله، فقد آسيتنّ[1] بأنفسكنّ»[2].

قال ابن هشام: ونهى يومئذ عن النَّوْح.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة: أنّ رسول الله ﷺ لما سمع بكاءهنّ قال: «رحِم الله الأنصار! فإنّ المواساة منهم ما عَتَمَتْ لَقَديمة، مُرُوهنّ فلينصرفْن».

المرأة الدينارية: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الواحد بن أبي عون، عن إسماعيل بن محمد، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: مرّ رسولُ الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد، فلما نُعُوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبّين، قالت: كل مصيبة بعدك جَلَل! تريد صغيرة[3].

قال ابن هشام: الجَلَل: يكون من القليل، ومن الكثير، وهو هاهنا من القليل. قال امرؤ القيس في الجَلل القليل:

لقتلِ بني أسْدٍ رَبَّهم[4] ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلل

قال ابن هشام: أي صغير قليل. قال ابن هشام: والجَلَل أيضاً العظيم: قال الشاعر، وهو الحارث بن وعْلة الجَرْميّ:

ولئن عَفَوْتُ لأعْفونّ جَلَلاً ولئنْ سَطَوْت لأوْهِننّ عَظْمي

غسْل السيوف: قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: «اغسلي عن هذا دمه يابُنَيّة، فوالله لقد صدقني

(١) آسيتنّ: عزّيتنّ وعاونتنّ.
(٢) انظر: المغازي لعروة ١٧١.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٣٣، البداية والنهاية ٤/٤٧، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٤) الرب: الملك.

اليوم»، وناولها عليّ بن أبي طالب سيفه، فقال: «وهذا أيضاً، فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم»، فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حُنيف وأبو دُجانة»[1].

قال ابن هشام: وكان يقال لسيف رسول الله ﷺ: ذو الفقَار[2].

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أنّ ابن أبي نَجيح قال: نادى مُنادٍ يوم أُحُد:

لا سيف إلّا ذو الفِقار، ولا فتى إلّا عليّ

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب: «لايصيب المشركون منّا مثلها حتى يفتح الله علينا».

قال ابن إسحاق: وكان يوم أُحُد يوم السبت للنصف من شوال.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٣٣.

(٢) يقال له «ذو الفقار» لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهْر، صار إليه يوم بدر، وكان للعاص بن منبّه أخي نُبيه بن الحجّاج بن عامر السهمي، وكانت قبيعته، وقائمته، وحلقته، وذؤابته، وبكراته، ونصله، من فضّة، والقائمة هي الخشبة التي يُمسك بها، وهي القبضة.

وروى الترمذي من حديث هود بن عبدالله بن سعد بن مَزِيدة، عن جدّه مزيدة قال: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح، وعلى سيفه ذهب وفضّة. وهو ذو الفِقار ـ بالكسر، جمع فقْرة وبالفتح، جمع فقارة ـ سمّي بذلك لفقْرات كانت فيه، وهي حُفر كانت في متْنه حسنة (تاريخ الاسلام ـ السيرة ٥١٢).

غزوة حمراء الأَسَد[1]

قال: فلما كان الغد من يوم الأحد لستّ عشرة ليلةً مضت من شوّال، أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدوّ، فأذّن مؤذّنه أن لا يخرجنّ معنا أحد إلّا أحد حضر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام؛ فقال: يا رسول الله، إنّ أبي كان خلّفني على أُخَوات لي سبع، وقال: يابُنيّ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهنّ، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلّف على أُخَوَاتك؛ فتخلّفْت عليهنّ. فأذن له رسول الله ﷺ، فخرج معه. وإنّما خرج رسول الله ﷺ مُرْهِباً للعدوّ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنّوا به قوّة، وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم»[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي

---

(1) أنظر عنها في: المغازي للواقدي ١/٣٣٤ - ٣٤٠، تاريخ الطبري ٢/٥٣٤ - ٥٣٦، المغازي لعروة ١٧٤، الطبقات الكبرى ٢/٣٤، الدرر لابن عبد البر ١٦٧، جوامع السيرة ١٧٥، المحبّر ١١٣، أنساب الأشراف ١/٣٣٨ رقم ٧٢٤، الكامل في التاريخ ٢/١٦٤، ١٦٥، نهاية الأرب ١٧/١٢٦، ١٢٧، البدء والتاريخ ٤/٢٠٥، الأغاني ١٥/٢٠٥، تاريخ الاسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/١٨٠، سيرة ابن كثير ٣/٩٧ - ١٠٣، عيون التواريخ ١/١٦٧ - ١٦٩، عيون الأثر ٢/٣٧، ٣٨، شرح المواهب ٢/٧٠ وما بعدها، تاريخ خليفة ٧٣.

(2) تاريخ الطبري ٢/٥٣٤، الأغاني ١٥/٢٠٤، ٢٠٥، نهاية الأرب ١٧/١٢٦، الواقدي ١/٣٣٦.

السّائب مولى عائشة بنت عثمان: أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، من بني عبد الأشهل كان شهد أُحُداً مع رسول الله ﷺ، قال: شهدت أُحُداً مع رسول الله ﷺ، أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله مالنا من دابّة نركبها، وما منّا إلاّ جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحاً، فكان إذا غلب حملته عُقْبة، ومشى عُقْبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون[1].

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأَسَد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، فيما قال ابن هشام:

قال ابن إسحاق: فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة[2].

قال: وقد مرّ به كما حدّثني عبد الله بن أبي بكر، مَعْبد بن أبي مَعْبد الخُزاعيّ، وكانت خُزاعة، مسلمهم ومشركهم عَيْبة نُصْح[3] لرسول الله ﷺ، بتهامة، صَفَقَتُهم[4] معه، لايُخفون عنه شيئاً كان بها، ومَعْبد يومئذٍ مُشرك، فقال: يا محمد، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك، لودِدْنا أنّ الله عافاك فيهم، ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالرَّوْحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا حدّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم، لَنَكُرَّنَّ على بقيّتهم، فلَنَفْرُغَنَّ منهم، فلما رأى أبو سفيان مَعْبداً، قال: ما وراءك يامَعْبَد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمْعٍ لم أر مثله قطّ، يتحرّقون عليكم تحرُّقاً، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم، وندموا

(١) تاريخ الطبري ٥٣٤/٢، ٥٣٥، الأغاني ٢٠٥/١٥، نهاية الأرب ١٢٧/١٧.
(٢) تاريخ الطبري ٥٣٥/٢، الأغاني ٢٠٥/١٥، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٣) عيبة نُصح الرجل: مكمن سرّه.
(٤) صَفَقَتُهم: اتفاقهم.

على ما صنعوا، فيهم من الحَنق عليكم شيء لم أرَ مثله قطّ؛ قال: ويْحك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى[1] نواصي الخيل؛ قال: فوالله لقد أجمعنا الكَرَّة عليهم، لنستأصل بقيّتهم، قال: فإنّي أنهاك عن ذلك؛ قال: والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر؛ قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادتْ تُهدُّ من الأصوات راحِلتي ... إذا سالتِ الأرضُ بالجُرْد الأبابِيلِ[2]

تَردي بأسْدٍ كرام لا تنابِلةٍ ... عند اللّقاء ولا ميْل معازيلِ[3]

فظَلتُ عَدْواً أظنُّ الأرضَ مائلةً ... لمّا سَمَوْا برئيسٍ غير مخذولِ

فقلتُ: ويْلَ ابنِ حرْبٍ من لقائِكُمُ ... إذا تَغَطْمَطَتِ البطحاءُ بالجِيلِ[4]

إنّي نذيرٌ لأهل البَسْلِ ضاحيةً ... لكلّ ذي إرْبَةٍ منهم ومعقول[5]

من جَيْشِ أحمدَ لاوَخْشٍ[6] تنابِلُهُ[7] ... وليس يوصَفُ ما أنذَرْتُ بالقِيلِ[8]

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه.

ومرّ به ركْب من عبد القيس، فقال؛ أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال؛ ولِمَ؟ قالوا: نريد المِيرة؛ قال: فهل أنتم مبلّغون عنّي محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم هذه غداً زبيباً بعُكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم؛ قال: فإذا وافيتموه فأخبِروه أنّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه

---

(١) في تاريخ الطبري «ترى» وكذا في تاريخ الإسلام.

(٢) الجرد: العتاق من الخيل. والأبابيل: الجماعات.

(٣) تَرْدي: تسرع. والتنابلة: القصار. والميل: الذين لا رماح معهم. والمعازيل: العزل من السلاح. وعند الطبري «ولا خرْقٍ معازيل».

(٤) تغطمطت: اهتزّت. والجيل: الصنف من الناس، أو الأمّة.

(٥) أهل البسل: قريش. والضاحية: الظاهرة للشمس. والإربة: العقل.

(٦) الوخش: رذلة الناس.

(٧) في تاريخ الطبري «قنابله». والقنبلة: الطائفة من الناس.

(٨) تاريخ الطبري ٢/٥٣٥، ٥٣٦، الأغاني ١٥/٢٠٦، ٢٠٧ وسقط فيه البيت الثاني، المغازي للواقدي ١/٣٣٩ وفيه ثلاثة أبيات، تاريخ الإسلام (المغازي) سيرة ابن كثير ٣/٩٩، ١٠٠.

لنستأصل بقيّتهم، فمرّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأَسَد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان؛ فقال: حسبُنا الله ونعم الوكيل[1].

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عُبيدة: أنّ أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أُحُد، أراد الرجوع إلى المدينة، ليستأصل بقيّة أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم صفوان بن أميَّة بن خَلَف، لا تفعلوا، فإنّ القوم قد حَرَبوا[2]، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان، فارجعوا، فرجعوا. فقال النّبيّ ﷺ، وهو بحمراء الأَسَد، حين بلغه أنهم هَمُّوا بالرجعة: «والذي نفسي بيده، لقد سُوّمت[3] لهم حجارة، لو صُبِّحوا بها لَكانوا كأمس الذاهب»[4].

قال أبو عُبَيدة: وأخذ رسول الله ﷺ في جهة ذلك، قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، وهو جدّ عبد الملك بن مروان، أبو أمّه عائشة بنت معاوية، وأبا عزّة الجُمَحِيّ[5]، وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر، ثم منَّ عليه؛ فقال: يا رسول الله، أقِلني؛ فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرّتين، اضرب عنقه يا زُبَير». فضرب عُنُقه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيّب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المؤمن لايُلدغ من جُحْر مرَّتين[6]. اضرب عُنُقه يا عاصم ابن ثابت»، فضرب عنقه.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٣٦، الأغاني ١٥/٢٠٧، المغازي للواقدي ١/٣٤٠.
(٢) حَربوا: غضبوا. وفي المغازي للواقدي ١/٣٣٩ «حزنوا».
(٣) سُوّمت: عُلّمت.
(٤) المغازي للواقدي ١/٣٣٩.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٥٣٦.
(٦) أخرج البخاري عن قتيبة، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن ابن المسيّب، عن ابي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه قال: لا يُلدغ المؤمن من جُحْر واحد مرتين». وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (٦٣) باب لا يلدغ المؤمن من جُحْر مرتين، وأبو داود في كتاب الأدب (٤٨٦٢) باب في الحذر من الناس، وابن ماجة في الفتن (٣٩٨٣) باب العزلة، والدارمي في الرقاق، باب ٦٥، وأحمد في المسند ٢/١١٥ و٣٧٩.

قال ابن هشام: ويقال: إنّ زيد بن حارثة وعمّار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأَسَد، كان لجأ إلى عثمان بن عفّان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمّنه، على أنه إنْ وُجد بعد ثلاث قُتِل، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبيّ ﷺ، وقال: «إنّكما ستجدانه بموضع كذا وكذا»، فوجداه فقتلاه[1].

شأن عبدالله بن أُبَيّ بعد غزوة أُحُد: قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، كما حدّثني ابن شهاب الزُّهْرِيّ، له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكَر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيّها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزّكم به، فانصروه وعزِّزوه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أُحُد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عدوَّ الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعتَ ما صنعت، فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنّما قلت بُجراً[2] أن قمت أشدُدُ أمرَه. فلقِيه رجل من الأنصار بباب المسجد، فقال: مالك؟ ويْلك! قال: قمت أشدُدُ أمرَه، فوثب عليّ رجال من أصحابه يجذبونني ويعنّفونني، لكأنّما قلت بَجَراً أن قمت أشدُد أمرَه؛ قال: ويْلك! ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ؛ قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي[3].

تمحيص المؤمنين يوم أُحُد: قال ابن إسحاق: كان يوم بلاء ومصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المنافقين، ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مُسْتَخْفٍ بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

---

(١) أنساب الأشراف ١/٣٣٧.

(٢) البجر: الأمر العظيم. والبُجاري: الدواهي. (تاج العروس ١٠/١٠٦).

(٣) تاريخ الاسلام (المغازي).

ذكر ما أنزل الله في أُحُد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكّائيّ، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ، قال: فكان ممّا أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أُحُد من القرآن ستون آيةً من آل عمران، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومُعاتبة من عاتب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّيءُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

قال ابن هشام: تُبَوّيء المؤمنين: تتّخذ لهم مقاعد ومنازل. قال الكُمَيْت بن زيد:

لـيتـني كـنت قـبـله   قـد تبـوَّأت مضْجَعَـا

وهذا البيت في أبياتٍ له.

أي سميعٌ بما تقولون، عليم بما تُخْفُون.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾: أي تتخاذلا، والطائفتان: بنو سَلِمة بن جُشَم بن الخزرج، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس، وهما الجناحان يقول الله تعالى: ﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾؛ أي المُدَافِعُ عنهما ماهَمَّتا به من فَشَلِهما، وذلك أنه إنَّما كان ذلك منهما عن ضَعْفٍ ووهن أصابهما غير شكّ في دِينهما، فتولّى دفعَ ذلك عنهما برحمته وعائدته، حتى سلِمتا من وُهُونهما وضَعْفهما، ولحِقتا بنبيّهما ﷺ.

قال ابن هشام: حدثني رجل من الأسْد من أهل العلم، قال: قالت الطائفتان. ما نحب أنّا لم نهمّ بما هَمَمْنا به، لتولّي الله إيّانا في ذلك.

قال ابن إسحاق: يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾:

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٢١.

أي من كـان به ضَعْف من المؤمنين فليتوكّـلْ عليّ، وليستعِنْ بي، أعِنْه على أمـره، وأُدافع عنه، حتى أبلغ عنه، وأقوّيه على نبيّه. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ، فَٱتَّقُـوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي فـاتّقوني، فـإنه شكـر نعمتي. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَـدْرٍ﴾ وأنتم أقّل عـدداً وأضعف قوّة ﴿إِذْ تَقُـولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِـدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ ٱلْمَـلاَئِكَـةِ مُنْزَلِينَ. بَلَىٰ إِنْ تَصْبِـرُوا وَتَتَّقُوا وَيَـأْتُوكُمْ مِنْ فَـوْرِهِـم هـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَـةِ آلافٍ مِنَ ٱلْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[1]: أي إن تصبروا لعدوّي، وتطيعـوا أمري، ويـأتوكم من وجههم هذا، أمدّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين.

قـال ابن هشام: مسـوِّمين: معلِّمين. بَلَغَنـا عن الحسن بن أبي الحَسَن البَصْري أنه قال: أعلموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصُوف أبيض. فأما ابن إسحـاق فقال: كـانت سيماهم يـوم بدر عمـائم بيضاً. وقـد ذكـرت ذلـك في حـديث بدر. والسمـا: العلامـة. وفي كتـاب الله عـزّ وجـلّ: ﴿سِيمـاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[2]: أي علامتهم. و﴿حِجَـارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُـودٍ مُسَوَّمَةً﴾[3] يقول: مُعلَّمة. بَلَغنا عن الحَسن بن أبي الحسن البصْريّ أنه قال: عليها علامةٌ، أنها ليست من حجـارة الدنيـا، وأنّها من حجـارة العذاب. قـال رؤبة بن العَجَّاج:

فـالآنَ تُبْلَى بي الجيـادُ السَّـهم[4] ولا تُـجـاريـنـي إذا مـا سَـوَّمُـوا
وشَخَصَت أبصارُهم وأَجْذَموا[5]

وهذه الأبيات في أرجوزة له. والمسوّمة أيضاً: المرعيّة، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾[6] و﴿شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[7]. تقول العرب: سوَّم

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات من ١٢٢ ـ ١٢٥.
(٢) سورة الفتح ـ الآية ٢٩.
(٣) سورة هود ـ من الآيتين ٨٢ و٨٣.
(٤) الجياد: الخيل العتاق. والسهم: العابسة.
(٥) أجذموا: أسرعوا.
(٦) سورة آل عمران ـ الآية ١٤.
(٧) سورة النحل ـ الآية ١٠.

خيله وإبله، وأسامها: إذا رعاها. قال الكُمَيْت بن زيد:

راعيـاً كـان مُسْـجِحـاً فـفَقَـدنـا ... هُ وفَـقْـدُ المُسيم هُلْكُ السَّـوَامِ

قـال ابن هشـام: مُسجحـاً: سَلِس السيـاسـة مُحسن إلى الغنم. وهـذا البيت في قصيدة له.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾؛ أي ما سمَّيت لكم من سمّيت من جنـود ملائكتي إلاّ بُشرَى لَكُم، ولتـطمئنَّ قلوبُكم به، لِمَا أعرف من ضَعْفكم، ومـا النصر إلاّ من عندي، لسلطاني وقدرتي، وذلك أنّ العزّ والحكم إليّ، لا إلى أحد من خَلْقِي. ثم قال: **﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾**: أي ليقطع طَرَفاً من المشـركين بقَتـلٍ ينتقم بـه منهم، أو يـردّهم خـائبين: أي ويرجـع من بقي منهم فَلاًّ خـائبين، لم ينالـوا شيئـاً مما كـانـوا يأملون.

قال ابن هشام: يَكْبِتَهُم: يغمّهم أشدّ الغمّ، ويمنعهم ما أرادوا. قال ذو الرِّمَّة:

مـا أنْسَ من شَجَنٍ لا أنْسَ مَـوْقِفَنـا ... في حيـرةٍ بين مسـرورٍ ومَكْبـوتِ

ويكبتهم أيضاً: يصرعهم لوجوههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ: **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلأَمْرِ شَيْءٌ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾**: أي ليس لـك من الحكم شيء في عبادي، إلاّ ما أمرتك به فيه، أو أتوب عليهم برحمتي، فإنْ شئت فعلت، أو أعذّبهم بذنوبهم فبحقّي **﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾**. أي قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إيّاي **﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[1]: أي يغفر الذنْب ويرحم العبـاد، على ما فيهم[2].

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ١٢٦ ـ ١٢٩.

(٢) وفي الترمذي حديث مرفوع أنّ رسول الله ﷺ ـ كـان يدعـو على أبي سفيان والحـارث بن =

ثم قال: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾؛ أي لا تأكلوا في الإسلام، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذا أنتم على غيره، مما لا يحلّ لكم في دِينكم ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي فأطيعوا الله لعلّكم تنجون مما حذّركم الله من عذابه، وتدركون ما رغّبكم الله فيه من ثوابه، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1]، أي التي جُعلت داراً لمن كفر بي.

ثم قال: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ مُعَاتبةً للذين عصوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره. ثم قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي داراً لمن أطاعني وأطاع رسولي. ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ، وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ، وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ، وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي وذلك هو الإحسان، وأنا أحبّ من عمل به، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي إنْ أتوا فاحشَةً، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهْي الله عنها، وما حرّم عليهم، فاستغفروه لها، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلّا هو. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي لم يقيموا على معصيتي كفِعْل من أشرك بي فيما غلَوْا به في كُفْرِهم، وهم يعلمون ما حرّمت عليهم من عبادة غيري. ﴿أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَنِعْمَ

= هشام وعمرو بن العاص، حتى أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، أو يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: فتابوا وأسلموا، وحسُن اسلامهم، وهذا حديث ثابت في حُسن إسلام أبي سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف في حُسن إسلامه وفي موته شهيداً بالشام، وأما عمرو بن العاص، فقد قال فيه النبيّ عليه السلام: أسلم الناس وآمن عمرو، وقال في حديث جرى، ما كانت هجرتي للمال، وإنما كانت لله ورسوله، فقال النبيّ - ﷺ - نِعِمّا بالمال الصالح للرجل الصالح، فسمّاه: رجلاً صالحاً. والحديث الذي جرى: أنه كان قال له إني أريد أن أبعثك وجهاً يسلمك الله فيه، ويغنمك، وأزعب لك زعبة من المال. (الروض الأنف ٣/١٩٣).

(١) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٣٠ ـ ١٣١.

﴿أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ﴾[1]: أي ثواب المطيعين.

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم، والبلاء الذي أصابهم، والتمحيص لما كان فيهم، واتّخاذه الشهداء منهم، فقال: تعزية لهم، وتعريفاً لهم فيما صنعوا، وفيما هو صانع بهم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2]: أي قد مضت منّي وقائع نقمة في أهل التكذيب لرُسُلي والشِّرْك بي: عاد وثَمود وقوم لوط وأصحاب مَدْيَن، ، فرأوا مَثُلات قد مضت منّي فيهم، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منّي، فإنّي أمليت لهم: أي لئلّا يظنّوا أنّ نقمتي انقطعت عن عدوّكم وعدوّي، للدولة التي أدْلتهم بها عليكم، ليبتليكم بذلك، ليُعلّمكم ما عندكم.

ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي هذا تفسير الناس إنْ قبلوا الهُدَى ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ أي نور وأدب «لِلْمُتَّقِينَ»: أي لمن أطاعني وعرف أمري. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي لا تضعُفوا ولا تبئسوا على ما أصابكم، ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: أي لكُم تكون العاقبة والظهور ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أي إنْ كنتم صدّقتم نبيّي بما جاءكم به عنّي. ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾: أي جراح مثلها، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾: أي ليميّز بين المؤمنين والمنافقين نبيّي وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾: أي المنافقين الذين يُظهرون الطاعة وقلوبهم مُصِرَّة على المعصية ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلّصهم بالبلاء الذي نزل بهم، وكيف صبرهم ويقينهم ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَافِرِينَ﴾[3]: أي يُبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، حتى يظهر منهم كُفْرهم الذي يستترون به.

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ١٣٢ ـ ١٣٦.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٣٧.

(٣) سورة آل عمران ـ الآيات ١٣٨ ـ ١٤١.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّابِرِينَ﴾: أي حسِبتم أن تدخلوا الجنة، فتصيبوا من ثوابي الكرامة، ولم أختبركم بالشدّة، وأَبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صِدْق ذلك منكم بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم فيّ، ولقد كنتم تمنَّون الشهادة على الذين أنتم عليه من الحقّ قبل أن تلقَوْا عدوَّكم، يعني الذين استنهضوا رسول الله ﷺ إلى خروجه بهم إلى عدوّهم، لما فاتهم من حضور اليوم الذي كان قبله ببدْر، ورغبة في الشهادة التي فاتتهم بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ يقول: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي الموت بالسيوف في أيدي الرجال قد خلّى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم، ثم صدّهم عنكم. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزِي ٱللهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾: أي لِقول الناس: قُتل محمد ﷺ، وانهزامهم عند ذلك، وانصرافهم عن عدوّهم ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ رجعتم عن دينكم كُفّاراً كما كنتم، وتركتم جهاد عدوّكم، وكتاب الله وما خلف نبيّه ﷺ من دينه معكم وعندكم، وقد بيّن لكم فيما جاءَكم به عنّي أنه ميّت ومفارقكم، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: أي يرجع عن دِينه ﴿فَلَنْ يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئاً﴾: أي ليس ينقص ذلك عزّ الله تعالى ولا مُلكه ولا سلطانه ولا قدرته، ﴿وَسَيَجْزِي ٱللهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾[1]: أي من أطاعه وعمل بأمره[2].

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً﴾: أي أنّ لمحمد ﷺ أجلاً هو بالغه، فإذا أَذِن الله عزّ وجلّ في ذلك كان. ﴿وَمَنْ يُرِدْ

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٢) ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردّة على أعقابهم، فلم يضرّ ذلك دين الله، ولا أمّة نبيّه، وكان أبو بكر يسمّى: أمير الشاكرين لذلك، وفي هذه الآية دليل على صحة خلافته، لأنه الذي قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردّهم الى الدين الذي خرجوا منه، وكان في قوله سبحانه: ﴿وسَيَجزي الله الشّاكرين﴾ دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتدّ، وتكمل عليهم النعمة، فيشكرون، فتحريضه إياهم على الشكر ـ والشكر لا يكون إلا على نعمة ـ دليل على أنّ بلاء الردّة لا يطول، وأنّ الظفر بهم سريع، كما كان. (الروض الأنف ١٩٣/٣).

ثَوابَ ٱلدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَسَنَجْزِي ٱلشَّاكِرِينَ﴾(١): أي من كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة في الآخرة، نُؤْته منها ما قُسم له من رزق، ولا يعدوه فيها، وليس له في الآخرة من حظّ ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما وُعد به، مع ما يجزى عليه من رزقه في دنياه وذلك جزاء الشاكرين، أي المتّقين.

ثم قال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ﴾: أي وكأيّنْ من نبيّ أصابه القتل، ومعه ربّيون كثير: أي جماعة، فما وهنوا لفقد نبيّهم، وما ضعُفوا عن عدوّهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله تعالى وعن دِينهم، وذلك الصبر، والله يحبّ الصابرين ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ﴾(٢).

قال ابن هشام: واحد الربّيين: ربِّي؛ وقولهم: الرباب، لولد عبد مَناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس، ولضَبَّة، لأنهم تجمّعوا وتحالفوا، من هذا، يريدون الجماعات. وواحدة الرباب: رِبّة وربابة وهي جماعات قِداح أو عِصِيّ ونحوها، فشبّهوها بها.

قال أبو ذُؤَيب الهُذَلِيّ:

وكأنّهنّ رَبابةٌ وكأنّهُ ... يَسَر يَفِيض على القِداحِ ويَصْدَعُ

وهذا البيت في أبيات له.

وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت:

حَوْل شياطينهم أبابيلُ رِبِّيُّون شدُّوا سَنَوَّرا مَدْسُورا

وهذا البيت في قصيدة له:

---

(١) سورة آل عمران - الآية ١٤٥.

(٢) سورة آل عمران - الآيتان ١٤٦ و١٤٧.

قال ابن هشام: والربابة أيضاً: الخِرقة التي تُلَفّ فيها القِداح.

قال ابن هشام: والسَّنَوَّر: الدروع. والدُّسُر، هي المسامير التي في الحِلَق، يقول الله عزّ وجلّ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[1]:

قال الشاعر، وهو أبو الأخزر الحِمَّاني، من تميم:

دُسْراً بأطراف القَنا المُقَوّم

قال ابن إسحاق: أي فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا أنّما ذلك بذنوب منكم، واستغفروه كما استغفروه، وامضوا على دِينكم كما مضوا على دينهم، ولا ترتدّوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يثبّت أقدامكم، واستنصروه على القوم الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان؛ وقد قُتل نبيّهم، فلم يفعلوا كما فعلتم، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوّهم، وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها، والله يحبّ المحسنين.

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: أي عن عدوّكم، فتذهب دنياكم وآخرتكم **﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّاصِرِينَ﴾**، فإن كان ما تقولون بألسنتكم صدقاً في قلوبكم فاعتصموا به، ولا تستنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدّين عن دِينه. **﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ﴾**: أي الذي به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم من حجّة، أي فلا تظنّوا أنّ لهم عاقبة نصر، ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بي، واتّبعتم أمري، للمصيبة التي أصابتكم منهم بذنوب قدّمتموها لأنفسكم، خالفتم بها أمري للمعصية، وعصيتم بها النبيَّ ﷺ. **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ، حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ[2]، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ، وَلَقَدْ عَفَا**

---

(١) سورة القمر ـ الآية ١٣.

(٢) وقوله ﴿وَمِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ قال ابن عباس: هو عبدالله بنُ جبير الذي كان أميراً على الرُّماة، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم، وألّا يخالفوا أمر نبيّهم، فثبت معه طائفة، فاستشهد، =

عَنْكُمْ، وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، أي وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوّكم، إذ تحسّونهم بالسيوف، أي القتل، بإذني وتسليطي أيديكم عليهم، وكفّي أيديَهُم عنكم.

قال ابن هشام: الحَسّ الاستئصال: يقال: حسست الشيء: أي استأصلته بالسيف وغيره.

قال جرير:

تحسُّهم السيوفُ كما تَسَامَى ... حريقُ النار في الأَجَم الحَصِيدِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال رؤبة بن العَجّاج:

إذا شكونا سَنةً حَسُوسا
تأكُل بعد الأخْضَر اليبيسا

وهذان البيتان في أُرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: أي تخاذلتم ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي اختلفتم في أمري، أي تركتم أمر نبيّكم وما عهد إليكم، يعني الرُّماة ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾: أي الفتح، لا شكّ فيه، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: أي الذين أرادوا النهب في الدنيا، وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[3]. أي الذين جاهدوا في الله، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعَرَضٍ من الدنيا، رغبة فيها، رجاء ما عند الله من حُسن ثوابه في الآخرة: أي الذين جاهدوا في الدّين ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه،

= واستُشهدوا، وهم الذين أرادوا الآخرة، وأقبلت طائفة على المغنم، وأخذ السلب، فكرّ عليهم العدوّ، وكانت المصيبة، (انظر الروض الأنف ٣/١٩٤).

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ١٤٩ ـ ١٥٢.

(٢) تسامى: ارتفع. والأجم: جمع أجمة. الشجر الكثير الملتفّ.

(٣) سورة آل عمران ـ من الآية ١٥٢.

لعَرَضٍ من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أنْ لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيّكم، ولكنّي عدت بفضلي عليكم، وكذلك ﴿منَّ الله على المؤمنين﴾، أنْ عاقب ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحقّ له عليهم، بما أصابوا من معصيته، رحمة لهم، وعائدة عليهم، لِما فيهم من الإيمان.

ثم أنّبهم بالفرار عن نبيّهم ﷺ، وهم يُدعون لا يعطفون عليه لدعائه إياهم، فقال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَاكُمْ، فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ، لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ﴾: أي كرْباً بعد كرْب، بقتل من قتل من إخوانكم، وعُلوّ عدوّكم عليكم، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال: قُتل نبيّكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم غمّاً بغمّ ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ﴾ من ظهوركم على عدوّكم، بعد أن رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتْل إخوانكم، حتى فرّجت ذلك الكَرْب عنكم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. وكان الذي فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرْب والغمّ الذي أصابهم، أنّ الله عزّ وجلّ ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيّهم ﷺ، فلما رأوا رسول الله ﷺ حيّاً بين أظْهُرهم، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم، والمصيبة التي أصابتهم في إخوانهم، حين صرف الله القتْل عن نبيّهم ﷺ. ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، يُخْفُونَ فِيٓ أَنْفُسِهِمْ، مَالاَ يُبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ، وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ، وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]، فأنزل الله النعاس أَمَنَةً منه على أهل اليقين به، فهم نِيام لا يخافون، وأهل النفاق قد أهمّتهم أنفسهم، يظنّون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهلية، تخوُّف القتل،

(١) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٥٣ و١٥٤.

وذلك أنهم لا يرجون عاقبة، فذكر الله عزّ وجلّ تلاوُمَهم وحسْرتهم على ما أصابهم. ثم قال الله سبحانه لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ لم تحضروا هذا الموطن الذي أظهر الله منكم ما أظهر من سرائركم ﴿لَبرَزَ﴾ لأخرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ إلى موطن غيره يُصرعون فيه، حتى يبتلي به ما في صدورهم ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَافِي قُلُوبِكُمْ، وَٱللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]: أي لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم.

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّىٰ، لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، لِيَجْعَلَ اللهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ، وَٱللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، والضرب في الأرض في طاعة الله عزّ وجلّ، وطاعة رسول الله ﷺ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا: لو أطاعونا ماماتوا وما قُتلوا ﴿لِيَجْعَلَ اللهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لقلّة اليقين بربّهم، ﴿وَٱللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: أي يعجّل ما يشاء ويؤخّر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: أي إنّ الموت لكائنٌ، لا بدّ منه، فموت في سبيل الله، أو قتْل، خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخّرون عن الجهاد، تخوّف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة في الآخرة ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ أيّ ذلك كان ﴿لَإِلَى ٱللهِ تُحْشَرُونَ﴾[2]: أي أنّ إلى الله المرجع، فلا تغرّنّكم الدنيا، ولا تغترّوا بها، وليكن الجهاد وما رغّبكم الله فيه من ثوابه آثر عندكم منها.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: أي لتركوك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي فتجاوز عنهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ. فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ، إِنَّ

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٤.
(٢) سورة آل عمران ـ الآيات ١٥٦ ـ ١٥٨.

﴿اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فذكر لنبيّه ﷺ لِينهُ لهم، وصبْره عليهم، لضَعْفهم، وقلَّة صبرهم على الغِلْظَة لو كانت منه عليهم في كلِّ ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيِّهم ﷺ ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي تجاوز عنهم، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوبهم، من قارَف[1] من أهل الإيمان منهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أي لِتُريهِمْ أنك تسمع منهم، وتستعين بهم، وإن كنت غنيّاً عنهم، تألُّفاً لهم بذلك على دينهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: أي على أمرٍ جاءك منّي وأمرٍ من دينك في جهاد عدوّك لا يصلحك ولا يُصلحهم إلاّ ذلك، فامض على ما أُمِرت به، على خلاف من خالفك، وموافقة من وافقك، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2]، أي ارْضَ به من العباد، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ. إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي لئلاّ تترك أمري للناس، وارفض أمر الناس إلى أمري ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا على الناس ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي ما كان لنبيٍّ أن يكتم الناس ما بعثه الله إليهم، عن رهبة من الناس ولا رغبة، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به، ثم يُجزى بكسبه؛ غير مظلوم ولا مُعتَدى عليه ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ على ما أحبَّ الناس أو سخطوا ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لرضا الناس أو لسخطهم. يقول: أفمن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوانٌ من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه، فكان ﴿مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أسواء المثلان! فاعرفوا. ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[4] لكلٍّ درجات مما عملوا في الجنة والنار: أي إنّ الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته.

---

(١) قارف الذنب: دخل فيه.

(٢) الآية «فتوكّل».

(٣) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٥٩ و١٦٠.

(٤) سورة آل عمران ـ الآيات ١٦١ ـ ١٦٣.

ثم قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ آللهُ عَلَى آلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ آلْكِتَابَ وَآلْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1]. أي لقد منّ الله عليكم يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولاً من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم، وفيما عملتم فيعلّمكم الخير والشر، لتعرفوا الخير فتعملوا به والشرّ فتتّقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، ولتتخلّصوا بذلك من نقمته، وتدركوا بذلك ثوابه من جنّته ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي لفي عمياء من الجاهلية، أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة، صُمّ عن الخير، بُكْم عن الحقّ، عُمْي عن الهُدَى.

ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم فقال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ: أَنَّى هٰذَا؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي إنْ تلك أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوّكم، في اليوم الذي كان قبله ببدر، قتلاً وأسراً ونسيتم معصيتكم وخلافكم عمّا أمركم به نبيّكم ﷺ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ آللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي إنّ الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ آلتَقَى آلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ آللهِ، وَلِيَعْلَمَ آلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذني، كان ذلك حين فَعَلْتُم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري، وصدّقتكم وعدي، ليميز بين المؤمنين والمنافقين ﴿وَلِيَعْلَمَ الذِينَ نَافَقُوا﴾ منكم: أي ليظهر ما فيهم. (وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾يعني عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ حين سار إلى عدوّه من المشركين بأُحُد، وقولهم: لو نعلم أنّكم تقاتلون لسرنا معكم، ولدفعنا عنكم، ولكنّا لا نظنّ أنه يكون قتال. فأظهر منهم ما كانوا يُخفون في أنفسهم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وهُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإيمان، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾أي يُظهرونَ لَكَ آلإِيمَانَ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: أي ما يخفون ﴿الَّذِينَ قَالُوا

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٦٤.

﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ الذين أصيبوا معكم من عَشَائرهم وقومهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا، قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ ٱلمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]: أي أنه لا بد من الموت، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله، حرصاً على البقاء في الدنيا. وفراراً من الموت.

ثم قال لنبيّه ﷺ، يرغِّب المؤمنين في الجهاد، ويهوّن عليهم القتل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ آللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِآلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾أي لا تَظُنَّنّ الذين قُتلوا في سَبيل الله أمواتاً: أي قد أَحْيَيْتُهم، فهم عندي يُرزقون في رَوْح الجنة وفضلها، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم: أي ويُسَرّون بلُحوق من لحِقَهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليُشْركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن. يقول الله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ، وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] لما عاينوا من وفاء الموعود، وعظيم الثواب.

مصير قتلى أُحُد: قال ابن إسحاق: وحدّثني إسماعيل بن أُميّة، عن أبي الزُبَير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأُحُد، جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضْر، ترِد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، في ظلّ العرش، فلما وجدوا طِيب مَشْرَبهم ومَأكَلهم، وحُسْن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لِئلاَّ يزهدوا في الجهاد، ولا يَنْكُلُوا عن الحرب، فقال الله تعالى: فأنا أبلّغهم عنكم، فأنزل الله على رسوله ﷺ هؤلاء الآيات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ..﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ١٦٥ ـ ١٦٨.

(٢) سورة آل عمران ـ الآيات ١٦٩ ـ ١٧١.

(٣) روى الحديث ابو داود في كتاب الجهاد (٢٥٢٠) باب في فضل الشهادة، وفي السند: اسماعيل بن أميّة، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وفي الحديث=

قال ابن إسحاق: وحدّثني الحارث بن الفُضَيل، عن محمود بن لَبِيد الأنصاريّ، عن ابن عباس أنه قال: **قال رسول الله ﷺ: الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قُبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكْرةً وعشِيًّا**[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن عبدالله بن مسعود أنه سُئل عن هؤلاء الآيات: **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** فقال: أما إنّا قد سألنا عنها، فقيل لنا إنه لما أصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضْرٍ، ترِد في أنهار الجنة، وتأكل من ثِمارها، وتأوي إلى قناديل من ذَهَبٍ في ظلّ العرش، فيطّلع الله عزّ وجلّ عليهم اطّلاعةً فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ قال: فيقولون ربَّنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطّلع الله عليهم اطّلاعةً، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون، فأزيدكم؟ فيقولون: ربَّنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطّلع عليهم اطّلاعةً، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربَّنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! إلا أنَّا نحب أن تردّ أرواحنا في أجسادنا، ثم نُردُّ إلى الدنيا، فنقاتل فيك، حتى نُقتل مرَّة أخرى»[2].

= «قناديل من ذهب معلّقة في ظل العرش» فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلّغ اخواننا عنّا أنّا أحياء في الجنة نُرزق، لئلاّ يزهدوا..». وأخرج مسلم حديثاً بنحوه من طريق آخر في كتاب الإمارة (١٢١) باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، والترمذي في باب تفسير القرآن (٤٠٩٨) تفسير سورة آل عمران، وابن ماجة في الجنائز (١٤٤٩) باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حُضر. والدارمي في الجهاد، باب (١٨)، وأحمد في المسند ١/٢٦٦ و٦/٣٨٦، والنويري في نهاية الأرب ١٧/١٢٤.

(١) رواه أحمد في المسند بسنده ونصّه ١/٢٦٦.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (١٨٨٧/١٢١) باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، من عدّة طرق، منها: عن محمد بن عبدالله بن نمير (واللفظ له)، عن أسباط. وأبو معاوية، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرّة، عن مسروق، قال: سألنا عبدالله بن مسعود.. والحديث باختلاف ألفاظ عمّا هنا.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا، عن عبدالله بن محمد بن عَقِيل، قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُبشِّرك يا جابر»؟ قال قلت: بلى يا نبيّ الله، قال: «إنّ أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله عزّ وجلّ، ثم قال له: ما تحبّ يا عبدالله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أي ربّ، أحبّ أن تردّني إلى الدنيا فأقاتل فيك، فأُقتل مرّة أخرى»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن عُبيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحبّ أن يرجع إليها ساعةً من نهار، وأنّ له الدنيا وما فيها إلاّ الشهيد، فإنه يحبّ أن يُردّ إلى الدنيا، فيقاتل في سبيل الله، فيُقتل مرّة أخرى»[2].

من خرجوا مع الرسول إلى حمراءِ الأَسَد: قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: **﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ﴾** أي الجراح، وهم المؤمنون الذي ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أُحُد إلى حمراء الأَسَد على ما بهم من ألم الجراح: **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾**، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا، النفر من عبدالقيس، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال؟ قالوا إنّ أبا سفيان ومن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٦١ بسنده، عن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا جابر أما علمت أن الله عزّ وجلّ أحيا أباك فقال له: تمنّ عليّ. فقال: أردّ الى الدنيا فأقتل مرة أخرى. فقال: إن قضيت الحكم أنهم إليها يرجعون».

(٢) أخرج البخاري في كتاب الجهاد (٤/٢٠٢، ٢٠٣) باب الحور العين وصفتهنّ يحار فيها الطرف شديدة سواد العين شديدة بياض العين وزوّجناهم بحور أنكحناهم، من طريق معاوية بن عمرو، عن أبي اسحاق، عن حميد، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ قال: «ما من عبد يموت له عندالله خير يسُرّه أن يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسُرّه ان يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة (١٠٨/١٨٧٧) باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، من طريق شعبة، عن قتادة وحميد، عن أنس بن مالك، والنسائي في كتاب الجهاد ٣٣/٦ باب تمنّي القتل في سبيل الله تعالى، من طريق خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن ابن أبي عميرة، وأحمد في المسند ١٥٣/٣ و١٧٣ و٢٧٦ و٢٧٨ و٢٨٤ و٣١٨/٥ و٣٢٢.

معه راجعون إليكم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ آللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ آللهِ، وَآللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ لما صرف الله عنهم من لقاءِ عَدُوّهم ﴿إِنَّمَا ذٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ﴾ أي لأولئك الرهْط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: أي يُرهبكم بأوليائه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: أي المنافقون ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً، يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَة، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا ٱلْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. وَمَا كَانَ آللهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: أي المنافقين ﴿وَمَا كَانَ آللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾: أي فيما يريد أن يبتليكم به، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ﴿وَلٰكِنَّ آللهَ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يعلّمه ذلك ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾: أي ترجعوا وتتوبوا ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ذكر من استُشهد بأُحُد من المهاجرين[2]

قال ابن إسحاق: واستُشهد من المسلمين يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مَناف: حمزة بن عبدالمطّلب بن هاشم، رضي الله عنه، قتله وحشيّ، غلام جُبير بن مُطعِم.

ومن بني أُميّة بن عبد شمس: عبدالله بن جحش، حليف لهم من بني أسد بن خُزَيمة.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: مُصْعَب بن عُمير، قتله ابن قمِئة الليثيّ.

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات من ١٧٢ ـ ١٧٩.

(٢) أنظر: الطبقات الكبرى ٢/٤٢، المغازي للواقدي ١/٣٠٠، المغازي لعروة ١٧٢، ١٧٣، أنساب الأشراف ١/٣٢٨ رقم ٧١٤، نهاية الأرب ١٧/١٠٤ وما بعدها، تاريخ الإسلام (المغازي)، سير أعلام النبلاء ١/١٤٩ وما بعدها، عيون التواريخ ١/١٧١، عيون الأثر ٢/٢٧ ـ ٣١، مجمع الزوائد ٦/١٢٣، ١٢٤، تاريخ خليفة ٦٨ ـ ٧٣.

ومن بني مخزوم بن يقظة: شمّاس بن عثمان. أربعة نفر.

ذِكـر من استُشهد بـأُحُد من الأنصـار: ومن الأنصـار، ثم من بني عبدالأشهل: عمـرو بن مُعـاذ بن النعمـان، والحـارث بن أنس بن رافـع، وعمارة بن زياد بن السكن.

قال ابن هشام: السكَن: ابن رافع بن امريء القيس، ويقال: السكْن.

قـال ابن إسحاق: وسَلَمـة بن ثابت بن وقْش، وعمـرو بن ثـابت بن وقْش، رجلان.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي عاصِم بن عمر بن قَتادة: أنّ أباهما ثـابتاً قُتل يومئذ. ورفاعة بن وقْش. وحُسَيل بن جابر، أبو حُذَيفة وهو اليَمان، أصابه المسلمون في المعركـة ولا يدرون، فتصـدّق حُذَيفـة بدِيتَـه على من أصابـه، وصيفيّ بن قَيْظيّ. وحُباب بن قَيْـظيّ. وعبّاد بن سهـل، والحارث بن أوس بن مُعاذ. اثنا عشر رجلاً.

ومن أهـل راتج: إيـاس بن أوس بن عَتيك بن عمـرو بن عبد الأعلم بن عوراء بن جُشَم بن عبد الأشهل، وعُبيد بن التَّيهان.

قال ابن هشام: ويقال: عَتيك بن التَّيهان.

وحبيب بن يزيد بن تَيم. ثلاثة نفر.

ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أُميّة بن رافع. رجل.

ومن بني عمـرو بن عوف، ثم من بني ضُبَيعـة بن زيـد: أبـو سفيـان بن الحـارث بن قيس بن زيـد، وحنــظلة بن أبي عـامــر بن صيفي بن نعمـان بن مالك بن أَمَة، وهو غسيل الملائكة، قتله شدّاد بن الأسـود بن شعوب الليثي. رجلان.

قال ابن هشام: قيس: ابن زيد بن ضُبَيعة، ومالك: ابن أَمَة بن ضُبَيعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيد بن زيد: أنيس بن قَتادة. رجل.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: أبو حيّـة، وهو أخـو سعد بن خيثمـة لأمّه.

قال ابن هشام: أبو حيّة: ابن عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن جُبير بن النعمان، وهو أمير الرُماة. رجلان.

ومن بني السَّلِم بن امريء القيس بن مالك بن الأوس: خَيْثمة أبو سعد بن خيثمة. رجل.

ومن حلفائهم من بني العَجْلان: عبدالله بن سَلِمة. رجل.

ومن بني معاوية بن مالك: سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشة. رجل.

قال ابن هشام: ويقال: سُويبق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة.

قال ابن إسحاق: ومن بني النّجّار: ثم من بني سواد بن مالك بن غني: عمرو بن قيس، وابنه قيس بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وثابت بن عمرو بن زيد؛ وعامر بن مَخْلَد. أربعة نفر.

ومن بني مبذول: أبو هُبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول، وعمرو بن مطرِّف بن علقمة بن عمرو. رجلان.

ومن بني عمرو بن مالك: أوس بن ثابت بن المنذر: رجل.

قال ابن هشام: أوس بن ثابت، أخو حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: ومن بني عدِيّ بن النّجّار. أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النّجّار. رجل.

قال ابن هشام: أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك: خادم رسول الله ﷺ.

ومن بني مازن بن النجّار: قيس بن مَخْلَد، وكَيْسان، عبد لهم. رجلان.

ومن بني دينار بن النجّار: سُليم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو، رجلان.

ومن بني الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير، دُفنا في قبر واحد، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب. ثلاثة نفر.

ومن بني الأبجر، وهم بنو خُدْرة: مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن الأبجر، وهو أبو أبي سعيد الخُدْريّ.

قال ابن هشام: اسم أبي سعيد الخُدْريّ: سنان؛ ويقال سعد.

قال ابن إسحاق: وسعيد بن سُويد بن قيس بن عامر بن عبّاد بن الأبجر؛ وعُتبة، بن ربيع، بن رافع؛ بن معاوية، بن عُبيد، بن ثعلبة، بن عُبيد، بن الأبجر. ثلاثة نفر.

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة؛ وثقف بن فروة بن البديّ. رجلان.

ومن بني طُريف، رهط سعد بن عُبادة: عبدالله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طُريف؛ وضَمْرة، حليف لهم من بني جُهَينة. رجلان.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني سالم، ثم من بني مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: نوفل بن عبدالله؛ وعباس بن عُبادة بن نضلة بن مالك بن العَجْلان؛ ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فِهْر بن غَنْم بن سالم؛ والمجذّر بن ذياد، حليف لهم من بَليّ؛ وعُبادة بن الحسحاس.

دُفن النعمان بن مالك، والمجذّر، وعُبادة في قبر واحد. خمسة نفر.

ومن بني الحُبليّ: رفاعة بن عمرو. رجل.

ومن بني سَلِمة، ثم من بني حَرام: عبدالله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حَرام؛ وعمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرام، دُفنا في قبرٍ واحد؛ وخلّاد بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرام، وأبو أيمن، مولى عمرو بن الجَمُوح. أربعة نفر.

ومن بني سواد بن غَنْم: سُليم بن عمرو بن حَديدة، ومولاه عنترة، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القَيْن. ثلاثة نفر.

ومن بني زُرَيق بن عامر: ذَكْوان بن عبد قيس، وعُبيد بن المُعَلَّى بن لَوْذان. رجلان.

قال ابن هشام: عُبَيد بن المُعَلَّى، من بني حبيب.

قال ابن إسحاق: فجميع من استُشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار. خمسة وستون رجلاً.

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا، من الأوس، ثم من بني معاوية بن مالك: مالك بن نُمَيْلة، حليف لهم من مُزَيْنة.

ومن بني خطْمة ـ واسم خَطْمة: عبدالله بن جُشَم بن مالك بن الأوس ـ الحارث بن عديّ بن خَرَشَة بن أُميَّة بن عامر بن خَطْمة.

ومن الخزرج، ثم من بني سواد بن مالك بن مالك: إياس.

ومن بني عمرو بن مالك بن النجّار: أياس بن عدِيّ.

ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إياس.

ذِكر من قُتل من المشركين يوم أُحُد(١)

قال ابن إسحاق: وقُتل من المشركين يوم أُحُد من قريش، ثم من بني عبد الدار بن قُصَيّ من أصحاب اللواء: طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة: عبدالله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، قتله عليّ بن أبي طالب، وأبوسعد بن أبي طلحة، قتله سعد بن أبي وقّاص.

---

(١) المغازي للواقدي ١/٣٠٧ ـ ٣٠٩، الطبقات الكبرى ٢/٤٣، أنساب الأشراف ١/٣٢٤، نهاية الأرب ١٧/١٠٨، ١٠٩، عيون التواريخ ١/١٧٦، عيون الأثر ٢/٣٢.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن أبي طلحة، قتله حمزة بن عبد المطّلب، ومسافع بن طلحة، والجُلاس بن طلحة، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. وكِلاب بن طلحة. والحارث بن طلحة، قتلهما قُزْمان، حليف لبني ظفر.

قال ابن هشام: ويقال: قتل كلاباً عبدُالرحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وأرطأة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مَناف بن عبدالدار قتله حمزة بن عبد المطّلب، وأبو زيد بن عُمَير بن هاشم بن عبدمَناف بن عبدالدار، قتله قُزْمان: وصؤاب غلام له حبشيّ قتله قُزْمان.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليّ بن أبي طالب، ويقال: سعد بن أبي وَقّاص، ويقال أبو دُجانة.

قال ابن إسحاق: والقاسط بن شُريح بن هاشم بن عبدمَناف بن عبدالدار، قتله قُزْمان، أحد عشر رجلاً.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ: عبدالله بن حُميد بن زُهير بن الحارث بن أسد. قتله عليّ بن أبي طالب. رجل.

ومن بني زُهرة بن كِلاب: أبو الحَكَم بن الأخنس بن شَريق بن عَمرو ابن وهْب الثقفيّ، حليف لهم، قتله عليّ بن أبي طالب، وسباع بن عبد العُزَّى - واسم عبد العُزَّى: عمرو بن نضلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مِلْكان بن أفصَى - حليف لهم من خُزاعة، قتله حمزة بن عبد المطّلب. رجلان.

ومن بني مخزوم بن يقظة، هشام بن أبي أُميَّة بن المغيرة، قتله قُزْمان: والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة، قتله قُزْمان. وأبو أُميَّة بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب، وخالد بن الأعلم، حليف لهم، قتله قُزْمان. أربعة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو: عمرو بن عبدالله بن عُمير بن وهْب بن

حُذافة بن جُمَح، وهو أبو عزّة، قتله رسول الله ﷺ صبراً، وأُبَيّ بن خلف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، قتله رسول الله ﷺ بيده. رجلان

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: عُبيدة بن جابر؛ وشَيْبة بن مالك بن المضرّب؛ قتلهما قُزمان. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: قتل عُبيدة بنَ جابر عبدُالله بن مسعود.

قال ابن إسحاق: فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحُد من المشركين، اثنان وعشرون رجلاً.

ذِكر ما قيل من الشِعر يوم أُحُد

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم أُحُد، قول هُبَيرة بن أبي وهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن مخزوم ـ قال ابن هشام: عائذ: ابن عمران بن مخزوم.

ما بالُ هَمّ عميدٍ بات يَطْرُقني ... بالوُدِّ من هِندٍ إذ تَعْدو عَواديها[1]

باتتْ تُعاتبني هندٌ وتَعْذُلني ... والحربُ قد شُغِلَت عنّي مواليها

مهْلاً فلا تعذُليني إنّ من خُلُقي ... ما قد علِمْتِ وما إن لستُ أُخْفيها

مُساعِفٌ[2] لبَني كعبٍ بما كَلِفُوا ... حمّال عبء وأثقال أُعانيها

وقد حملتُ سلاحي فوق مُشْتَرِفٍ[3] ... ساطٍ سَبوحٍ[4] إذا تَجْري يُباريها

كأنه إذ جَرى عَيْرٌ بفدفدة ... مُكَدَّمٌ لاحقٌ بالعُون يَحْميها[5]

من آل أعوجَ يرتاح النَّديُّ له ... كجِذْع شَعْراء مُسْتَعْلٍ مَراقيها[6]

---

(١) العميد: شديد الحزن. والعوادي: الشواغل.

(٢) مساعف: مطيع.

(٣) مشترف: بفتح الراء اسم مفعول. أي فرس تنظر الناس إليه لحسنه.

(٤) السَبُوح: الذي يسبح في جريه.

(٥) يشبّه حصانه بحمار وحشيّ وهو العير. والفدفدة: الصحراء والمُكَدّم: المعضوض والعون: القطيع من حُمر الوحش.

(٦) الأعوج اسم فرس مشهور في العرب ومنه الأعوجيات أي الخيل الجيّدة. والنديّ: المجلس من القوم. والشَعْراء: نخلة كثيرة الأغصان.

أعْـدَدْتَـه ورقـاقَ الحـدّ مُنْتَخَـلاً ... ومـارِنـاً لخُـطوب قـد ألاقيهـا[١]
هـذا وبيضـاءَ مثـل النَّهْي مُحْكمـة ... نيطت عليَّ فمـا تبـدو مساويهـا[٢]
سُقنـا كِنـانــة من أطـراف ذي يمن ... عُرْض البلاد على مـا كان يُـزْجيها[٣]
قـالت كِنـانـةُ: أنَّى تـذهبـون بنـا؟ ... قلنـا: النُّخَيل، فـأمُّوهـا ومَن فيها[٤]
نحن الفـوارس يوم الجـرّ[٥] من أُحُد ... هـابت مَعَـدٌّ فقلنـا نحن نـأتيهـا
هابُوا ضِـراباً وطَعْنـاً صادقـاً خَذِمـاً[٦] ... ممـا يَـرَوْن وقـد ضُمّت قـواصيهـا
ثُمَّتَ رُحْنـا كـأنّـا عـارضٌ بـردٌ ... وقـام هـامُ[٧] بني النَّجـار يَبْكيهـا
كـأنّ هـامهُم عـنـد الـوَغَى فَـلَقٌ ... من قَيْض رُبْـد نَفَتْهُ عن أداحيهـا[٨]
أو حنظلٌ ذَعْذَعَتـه الرّيحُ في غُصُن ... بـال تَعـاوره منهـا سَـوَافيهـا[٩]
قـد نبذُلُ المـالَ سَحّاً لا حِسـاب له ... ونَـطعن الخيل شَـزْراً في مـآقيها[١٠]
وليلةٍ يَصْـطلي بـالفـرْث[١١] جـازرُهـا ... يخْتصّ بـالنّقْـرَى[١٢] المُثْرينَ داعيهـا
ولـيلةٍ مـن جُـمـادى ذات أنـديـةٍ ... جَـرْبـاً جُمـاديّـة قـد بتُّ أسْريهـا[١٣]

---

(١) رقاق الحدّ: السيوف. والمنتخل: المتخير: والمارن هنا: الرمح اللّيّن.
(٢) البيضاء: الدرع، والنّهي: الغدير. ونيطت: عِلقت.
(٣) عُرض البلاد: سعتها. ويُزجيها: يسوقها.
(٤) يريد بالنخيل: المدينة المنوّرة.
(٥) الجرّ: أصل الجبل.
(٦) الخَذِم: المذلّ.
(٧) العارض: السحاب. والهام: جمع هـامة وهي مـا تزعم العرب أنها طـائر يخـرج من رأس القتيل يصيح اسقوني حتى يُؤخذ بثأر القتيل.
(٨) الفَلق: القِطَع. والقَيْض: قشْر البيض. والـرُّبْـد: النعـام. والأداحي: أمـاكن تبيض فيهـا النعام.
(٩) تعاوره: تداوله. السوافي: الرياح التي تحمل التراب والرمل.
(١٠) نبذل المال سحّاً: نجود كثيراً. والشزْر: الطعن عن يمين وشمال.
(١١) يصطلي بالفرث: يستدفيء به من شدّة البرد.
(١٢) قوله: يختص بالنّقرى المثرين، أي يختصّ الأغنياء طلباً لمكافأتهم، وليأكل عندهم، يصف شدّة الزمان.
(١٣) أندية: جمع نديّ وهو المجلس. وجرْباً: شديـدة البرودة، وجُمـادية نسبـة الى جُماد، وقـد سُمّي بهذا الاسم إذا صادف مجيئه وقت تجمّد المياه.

لا ينبــح الكلبُ فيهـا غيــرَ واحــدة | من القَـريس[1] ولا تَسْـري أفــاعيهـا
أوقدتُ فيها لـذي الضّرّاء جـاحمة[2] | كــالبـرق ذاكيــةَ الأركـان أحميهـا
أوْرَثـنــي ذاكــمُ عــمــرو ووالــدُه | من قبله كــان بـالمَثْنَى يُغــاليهــا[3]
كـانـوا يُبــارون أنـواء النُّجــوم فمـا | دنَتْ عن السَّـوْرة العُليا مساعيهـا[4]

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّان بن ثابت، فقال:

سُقْتم كِنانـةَ جهـلاً من سفـاهتكم | إلى الـرسـول فجُنْـدُ الله مُخْـزيهـا
أوردتمـوها حِيـاضَ الموت ضـاحِيـة | فـالنـارُ مـوعِـدهـا، والقتْـلُ لاقِيهـا
جمعتمــوهـا أحــابيشاً بــلا حسب | أئِمّــة الكُفــر غــرّتكم طــواغيهـا
ألا اعتبــرتـم بخَيْــل الله إذْ قتلـتْ | أهــلَ القَليب ومن ألْـقَينــه فيـهـا
كم من أسيــرٍ فَكَكْنــاه بــلا ثـمنٍ | وجَــزّ نــاصيــة كُنّــا مَــواليـهـا

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاريّ لكعب بن مالك.

قال ابن هشام: وبيت هُبيرة بن أبي وهْب الذي يقول فيه:

وليلةِ يصـطلي بـالفَـرْث جـازرُهــا | يخْتصّ بــالنّقـرى المُثْـرين داعيهـا

يُروى لجنوب، أخت عمرو ذي الكلب الهُذْليّ، في أبيات لها في غير يوم أُحُد.

قـال ابن اسحـاق: وقـال كعب بن مـالــك يجيب هُبيـرة بن أبي وهْب أيضاً:

الأ هــل أتى غسّــانَ عنّــا ودونهــم | من الأرض خَــرْقٌ سَيْـرُهُ مُتَنَعْنــعُ[5]
صَـحَــارٍ وأعــلامٌ كــأن قَتــامهــا | من البُعْــد نقـعٌ هــامـدٌ مُتَقَــطّع[6]

---

(١) القريس: البرد مع الصقيع.
(٢) الجاحمة: الملتهبة.
(٣) المَثْنى: المرّة بعد الأخرى.
(٤) دنت: قصّرت. السَوْرة: المنزلة. والأبيات في سيرة ابن كثير ٣/١٠٥، ١٠٦.
(٥) الخَرْق: الفلاة. والمتنعنع: المضطرب.
(٦) الأعلام: الجبال. والقَتام: ما اسودّ من الأشياء. والنقْع: الغبار.

تـظلّ بـه البُـزْل العـراميس رُزَّحـا ... ويخْلو بــه غيثُ السّنين فـيُمْـرع[١]

بــه جِيَفُ الحَسـرَى يَلُوح صَليبُهـا ... كمـا لاح كَتّـانُ التّجـار المُـوَضّـع[٢]

بــه العِيـنُ والآرامُ يَمْشيـن خِلْفَـةً ... وبَـيضُ نَـعـام قَـيْضُـه يَتَـقَـلّع[٣]

مَجـالـدنـا عن ديننا كـلّ فَخْمـةٍ ... مُـدَرَّبَـةٍ فيهـا القـوانِسُ تلمـع[٤]

وكـلّ صَمُـوت في الصَّوان كـأنّهـا ... إذا لُبِسَت نَهْيٌ من المـاء مُتْـرع[٥]

ولـكنْ ببـذْرٍ سـائلُوا مـن لقيتُـم ... من النـاس والأنبـاء بـالغيب تنْفع

وإنّـا بأرض الخَـوْف لو كـان أهلها ... سـوانا لقـد أجْلوا بلَيْـل فـأقْشعـوا[٦]

إذا جـاء منّـا راكبٌ كـان قـولُـهُ ... أعِدّوا لما يُزْجي[٧] ابنُ حرب ويَجْمع[٨]

فَمَهْمـا يُهِمّ الناسَ ممـا يَكيـدُنـا ... فنحن لـه من سـائر النـاس أوسـع

فلو غيـرُنـا كـانت جميعـاً تكيـدهُ اَلـ ... بـرِيّـة قــد أعـطوْا يـداً وتَـوَزّعـوا

نُجـالـد لا تَبْقى عـلينـا قـبيـلَةٌ ... من النّـاس إلاّ أنْ يهـابـوا وَيَفْـظعـوا

ولمـا ابْتَنـوْا بـالعِـرْض قـال سَـراتُنـا ... عَلامَ إذا لم نَمنَع العِـرْضَ نَزْرع؟[٩]

وفـينـا رسـولُ الله نَـتْبـع أمْـره ... إذا قـال فينـا القـول لا نتـطّلع[١٠]

تَـدَلّى عليـه الـروحُ من عنـد ربّـه ... يُنَـزّل من جـوّ السمـاء ويُـرْفـع

نُشـاوره فيمـا نـريـد وقَصْـرُنـا[١١] ... إذا مـا اشتهى أنّا نُـطيـع ونَسمـع

وقـال رسـولُ الله لمـا بَـدَوْا لنـا ... ذَرُوا عنكم هَـوْل المنيّـات واطْمعـوا

وكـونوا كمن يَشْـري الحيـاة تَقَـرّبـاً ... إلى مَلِك يُحيـا لـديـه ويُـرْجـع

---

(١) البُزل: الإبل القويّة. العراميس: الشديدة. ويُمرع: يخصب.

(٢) الصليب هنا: دَسَم الشحْم واللحم. والموضّع: المُحَلّى بالنقوش.

(٣) العين: بقر الوحْش. والآرام: بعض البُطون سُمْر الظُهُور. وخِلْفة: جماعة وراء جماعة. والقَيْض: قِشْر البيض. ويتقلّع: يتشقّق.

(٤) الفخْمة: الكتيبة الضخمة. القوانس: رؤوس بيض السلاح.

(٥) الصَمُوت: الدرع التي أحكم صنعُها. والصَّوان: ما يصان فيه الشيء. والنّهي: الغدير.

(٦) إقشعوا: فرُّوا.

(٧) يُزجي: يسوق.

(٨) هذا البيت في البدء والتاريخ ٢٠٦/٤ وفيه: إذا جاء منهم راكب..

(٩) ابتنوا: ضربوا أبنيتهم. والعِرْض: قُرى المدينة.

(١٠) لا نتطلّع: لا نميل.

(١١) قَصْرنا: غايتنا.

ولكنْ خُـذُوا أسيـافكـم وتـوكّلوا ... عـلى الله إنّ الأمـر لله أجْـمـعُ
فسـرْنـا إليهم جَهْـرةً في رحـالهم ... ضُحَيّـاً علينـا البيضُ لا تتخشّـع
بَملْمُـومـة فيهـا السَّنوّر [1] والقنـا ... إذا ضـربـوا أقـدامهـا لا تَـوَرّع
فجِئْنـا إلى مـوج من البحـر وسْطه ... أحـابيشُ منهم حـاسـرٌ ومقنّـع [2]
ثـلاثـة آلاف ونـحـنُ نَـصِيّـة [3] ... ثـلاث مئيـنٍ إنْ كثُـرنـا وأربـع
نُغـاورهم تجْـري المنيّـة بيننـا ... نُشارعهم حوضَ المنايا ونَشْرع [4]
تَهـادَى قسِيّ النّبْـع فينـا وفيهـمُ ... ومـا هـو إلا اليثْـربيّ المُـقَـطّع [5]
ومنجـوفَـةٌ حِـرْميّة صـاعـديّـة [6] ... يُـذَرّ عليها السّمّ سـاعـة تُصْنـع
تصُـوب بـأبـدان الـرّجـال وتـارةً ... تمـرّ بـأعـراض البصـار تَقَعْقـع [7]
وخَيْـل تَـراهـا بـالفَضـاء كـأنّهـا ... جَـرَادُ صَبـاً في قَـرّة يَتَـريّـع [8]
فلمـا تـلاقيْنـا ودارتْ بنـا الـرَّحى ... ولـيس لأمـر حـمّـه الله مَـدْفـع
ضـربنـاهم حتى تـركنـا سَـراتهم ... كـأنهُمُ بـالـقـاع خُشْب مُصَـرّع
لـدُن غُـدوةً حتى استَفَقْنـا عشيّـةً ... كـأنّ ذكـانـا حَـرّ نـار تَـلَفّـع [9]
وَرَاحُـوا سِراعـاً مُـوجَفين كـأنّهم ... جَهـامٌ [10] هراقت مـاءه الـريـحُ مُقْلع
ورُحْنـا وأُخْـرانـا بـطاءٌ كـأنّنـا ... أسُـودٌ على لحمٍ ببيشـة ظُلّع [11]
فَنِلنـا ونـال الـقـومُ منّـا ورُبّـمـا ... فَعَلنـا ولكنْ مـا لـدى الله أوسـع
ودارتْ رحـانـا واسـتـدارت رَحـاهُمُ ... وقـد جعلوا كُـلّ من الشـرّ يشْبـع

---

(١) الملمومة: الكتيبة المجتمعة، والستور: السلاح.
(٢) هذا البيت والذي بعده في: البدء والتاريخ ٤/٢٠٧.
(٣) النصيّة: خيار القوم. وفي البدء والتاريخ «نصيبه».
(٤) نغاورهم: نداولهم. نشارعهم: نشاربهم.
(٥) النّبع: شجر تُتّخذ منه القُسيّ. واليثربي: الأوتار.
(٦) المنجوفة: السهام. والحِرْميّة: نسبة الى الحرم. والصاعديّة: منسوبة الى صاعد. وهو رجل مشهور بصنعها.
(٧) البصار: حجارة. تقعقع: تصوت.
(٨) القَرّة: البرد. والتريّع: المجيء والذهاب.
(٩) ذَكانا: التهابنا. تَلَفّع: يصيب حرّها من قَرُب منها.
(١٠) الجهام: سحاب رقيق ليس فيه ماء.
(١١) بيشة مكان تُنسب إليه الأسود. وظُلّع: أي امتلأت بنا الأرض لكثرتنا.

ونحن أُنــاس لا نـرى القتـل سُبّـةً على كُلّ من يحمي الذّمارَ ويمْنَع [1]
جـلادٌ على رَيْب الحـوادِثِ لا نَـرَى على هـالك عَيْنـا لنا الـدّهْـر تـدْمع
بنـو الحـرب لا نَعْيـا بشيء نقـولُـه ولا نحن ممّـا جرّت الحـربُ نجزع
بنـو الحرب إنْ نـظفرْ فَلَسْنـا بفُحَّش ولا نحن من أظفـارهـا نتـوجّـع [2]
وكنّـا شهـابـاً يتّقي النـاسُ حَـرّه وَيفْـرُج عنـه من يليلِه ويَسْفـع [3]
فخرْتَ على ابن الزّبعْرى وقد سَرى لكم طلبٌ من آخـر الليـل مُتْبَـع
فسَـلْ عنْك في عُليـا مَعَـدٍّ وغيـرهـا من النـاس من أخْزى مقـاماً وأشنع
ومن هو لم تترك لـه الحربُ مفْخـراً ومَن خـدُّه يـوم الكـريهـة أضْـرع [4]
شَدَدْنـا بحـول الله والنصر شَـدّةً عـليكـم وأطـرافُ الأسِنّـة شُـرّع
تكـرّ القَنـا فيكم كـأنّ فُـروغهـا عَـزَالي مـزادٍ مـاؤهـا يَتـهـزّع [5]
عَمَـدْنـا إلى أهـل اللواء ومن يَـطِرْ بـذِكْر اللواء فهـو في الحمد أسْرَع
فخـانوا وقـد أعْـطوا يـداً وتخـاذلـوا أبـى الله إلاّ أمـرَه وهـو أصـنـع

قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال:

مجالدنا عن جِذْمنا كل فخمة [6]

فقال رسولُ الله ﷺ: «أيَصْلُح أن تقول: مجالدنا عن ديننا»؟ فقال كعب: نعم، فقال رسولُ الله ﷺ: «فهو أحسن»؛ فقال كعب: مجالدنا عن ديننا.

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى في يوم أُحُد:

يـا غـرابَ البَيْـن اسمعتَ فـقُـلْ إنّـمـا تَـنْـطِق شيئـاً قـد فُـعِـلْ
إنّ لـلـخَـيْـر ولـلشـرّ مـدىً وكـلا ذلـك وجْـهٌ وقَـبَـل [7]

(١) البيت في البدء والتاريخ ٤/٢٠٦.
(٢) البيت في البدء والتاريخ ٤/٢٠٦.
(٣) يسفع: يحرق.
(٤) الأضرع: الذليل.
(٥) الفُروغ: جمع فرغ: الطعنة الواسعة التي يسيل دمها. والعَزَالي: جمع عزلاء وهي فم المزادة. ويتهزّع: يتقطّع.
(٦) جِذْمها: أصلها.
(٧) القبل: ما يستقبل الإنسان من الأيام.

والعَطيّاتُ خِساسٌ بينهم ... وسَواء قبرُ مُثْرٍ ومُقِلّ
كلّ عَيْش ونعيم زائلٌ ... وبناتُ الدّهر يَلعَبْن بكُلّ
أبلِغَنْ حسّان عنّي آيةً ... فقَريضُ الشّعر يَشفي ذا الغُلل
كم ترى بالجرّ من جُمْجُمة ... وأكُفّ قد أتِرّتْ ورجل[1]
وسرابيل حسان سُريَتْ ... عن كُماةٍ أُهلِكوا في المُنْتَزَل[2]
كم قتلنا من كريم سيّد ... ماجد الجَدّين مِقْدام بَطل
صادق النّجْدة قَرْمٍ بارعٍ ... غير مُلتاثٍ لدى وقْع الأسَل[3]
فَسَل المِهْراس من ساكِنُه؟ ... بين أقحاف وهامٍ كالحجَل[4]
ليتَ أشياخي ببدر شهدوا ... جَزَع الخزْرجِ من وقْع الأسل[5]
حين حكّت بقُباء بَرْكَها ... واستحرّ القتلُ في عبد الأشل[6]
ثم خفّوا عند ذاكم رُقّصاً ... رَقَصَ الحَفّان يعلو في الجبل[7]
فقتلنا الضِّعْفَ من أشرافهم ... وعَدَلْنا مَيْلَ بدرٍ فاعتدل
لا ألوم النَّفْس إلاّ أنّنا ... لو كَرَرْنا نَفعلْنا المفْتَعل
بسُيوف الهند تَعْلو هامَهُم ... عَلَلاً تَعلُوهُمُ بعد نَهل[8]

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضي الله عنه، قال:

ذهبت يابن الزِّبعْرَى وقعةٌ ... كان منّا الفضلُ فيها لو عَدل

---

(١) الجَرّ: أصل الجبل. أُتِرّت: قُطّعت.
(٢) السرابيل: الدروع. سُرِيَت: جُرّدت. والمُنْتَزَل: موضع النزال.
(٣) القَرْم: الفحْل. الملتاث: الضعيف. وقع الأسل: وقع الرماح.
(٤) الأقحاف: جمع قحف، ما انفصل من الجمجمة. الهام: الرءوس. الحجل: طائر أحمر المنقار والرجلين.
(٥) الأسل: الرماح..
(٦) البرْك: الصدر. عبد الأشل يريد بني عبد الأشهل. حَذَف الهاء لإقامة الوزن.
(٧) الرُقّص: ضرب من المشي السريع. الحَفّان: النعام الصغير.
(٨) العَلل: الشرب الثاني والنهل: الشرب الأول، يريد معاودة الضرب.
وقد أورد ابن سيّد الناس في عيون الأثر (٨) أبيات ـ ص ٣٢، ٣٣، وفي البدء والتاريخ ٢٠٧/٤، ٢٠٨ (١٣) بيتاً، منها بيت ليس في السيرة، وفي عيون التواريخ ١٧٨/١، ١٧٩ (٨) أبيات.

ولــقــد نِلتُــم ونِلْنــا مــنــكُــمُ — وكــذاك الــحــربُ أحيــانــاً دُوَل
نـضـع الأسيــاف فـي أكتــافكُـمْ — حيث نَـهْـوي عَـلَلاً بعـد نَـهَـل
نُخْــرِجَ الأصْبــحَ[1] من أسْتــاهِـكم — كسُــلاح النّيب يــأكُلْن العَـصَــل[2]
إذ تُــولّــون عــلى أعــقــابـكــم — هُــرَّبــاً في الشّعب أشباه الرَّسَــل[3]
إذ شَــدَدْنــا شَــدّة صــادقــةً — فــأجَأنــاكم الى سفْـح الجبــل[4]
بـخـنــاطـيــلَ كــأمْــذاق الـمَــلا — من يُــلاقــوه من الـنــاس يُهَــل[5]
ضــاق عنّــا الشِعْبُ إذ نَـجْـزَعُــه — ومَــلأنــا الفَــرْط منه والــرِّجَــل[6]
بــرجــال لــسْــتُــمُ أمــثــالَــهُــم — أُيِّــدُوا جِبْـريــلَ نصــراً فــنَـزل[7]
وعَــلَوْنــا يــومَ بــدْر بــالــتّــقــى — طــاعــةِ الله وتـصْــديق الــرُّسُــل
وقــتــلنــا كــلّ رأسٍ مــنــهُــمُ — وقــتـلنــا كــلّ جَحْـجــاح رِفَــلّ[8]
وتــركــنــا فــي قــريش عَــوْرةً — يــوم بــدرٍ وأحــاديــثَ الـمَــثَــل
ورســولُ الله حــقّــاً شــاهــدٌ — يــوم بــدر والتنــابيــلُ الهُبُــل[9]
في قــريش من جــمــوع جمّــعــوا — مثل ما يُجمع في الخِصْب الهَمَل[10]
نــحن لا أمثــالُكُــم وُلــدَ آستِـهــا — نَحْضُــر النّاسَ إذا البــأسُ نــزل[11]

---

(١) في طبعة دار الجيل ٣/ ٦٩ «الأصبع». وما أثبتناه يتفق مع البدء والتاريخ ٤/ ٢٠٨، وسيرة ابن كثير ٣/ ١١١. والأصبع: وصف للبن الممذوق المُخْرج من بطونهم. ورواه أبو حنيفة «نخرج الأضياح» وهو اللبن الممزوج بالماء، وهو في معنى الأصبح، لأن الصبحة بياض غير خالص، فجعله وصفاً للبن الممذوق المخرج من بطونهم. (الروض الأنف ٣/ ٢١٧).
(٢) النيب: النّوق المسِنّة. والعصل: نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها.
(٣) الرّسَل: الإبل المرسلة.
(٤) أجأناكم: الجأناكم.
(٥) الخناطيل: الجماعات. والأمذاق: أخلاط الناس وفي رواية «كأشداف». والملا: ما اتّسع من الأرض. ويُهَل: يفزع ويرتاع.
(٦) نجزع: نقطع عرضاً. الفرْط: الأرض العالية. والرِّجَل: ما أطمأنّ من الأرض.
(٧) أُيِّدوا جبريل: أي أُيِّدوا بجبريل. حذف حرف الجارّ وعدّى الفعل.
(٨) الجحجاح: السيد العظيم. والرفَلّ: من يجرّ ثوبه خُيَلاء.
(٩) التنابيل: القصار. الهُبُل: ضخام الأجسام.
(١٠) الهَمَل: الإبل المهملة المتروكة بلا راع.
(١١) الأبيات كلها في سيرة ابن كثير ٣/١١١، ١١٢، ومنها ستة أبيات في البدء والتاريخ ٤/ ٢٠٨.

قال ابن هشام: وانشدني أبو زيد الأنصاريّ: «وأحاديث المثل» والبيت الذي قبله. وقوله: «في قريش من جموع جُمّعوا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطّلب وقتلى أُحُد من المسلمين:

نَشَجْتَ وهل لك من مُنْشج ... وكنتَ متى تذّكِرْ تَلْجَج[1]
تَذَكُّرَ قوم أتاني لهم ... أحاديثُ في الزّمَن الأعوج
فَقَلْبُك من ذِكرهم خافقٌ ... من الشوقِ والحَزَنِ المُنْضج
وقَتْلاهمُ في جنانِ النّعيم ... كِرامُ المَداخِلِ والمَخْرج
بما صَبَرُوا تحت ظِلّ اللواء ... لواء الرّسول بذي الأضْوُج[2]
غداة أجابتْ بأسيافها ... جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشياعُ أحمدَ إذ شايَعوا ... على الحقّ ذي النور والمنْهَج[3]
فما بَرِحوا يَضْربون الكُماة ... ويَمْضون في القَسْطل المُرهَج[4]
كذلك حتّى دعاهم مليك ... الى جنّة دَوْحة المولِج[5]
فكلّهم مات حُرَّ البلاء ... على مِلّة الله لم يَحْرج
كحَمزة لما وفى صادقاً ... بذي هَبّةٍ صارمٍ سَلْجَج[6]
فلاقاه عبدُ بني نَوفل ... يُبَرْبر كالجَمل الأدْعَج[7]
فأوْجَره حَرْبةً كالشهاب ... تَلَهّب في اللّهَب المُوهَج[8]
ونُعْمان أوفى بميثاقه ... وحنظلة الخير لم يُحْنج[9]

---

(١) تَلْجَج: تتمادى.
(٢) الأضوُج: اسم مكان.
(٣) المنهج: الواضح.
(٤) القسطل: الغُبار. المُرْهَج: العالي في الجو.
(٥) الدوحة: الشجرة العظيمة المتّسعة: المولج: المدخل.
(٦) بذي هبّة: أي بسيف ذي هبّة. والهبة: الوقوع في العظم. سَلْجج: مُرْهف.
(٧) عبد بني نوفل. وهو وحشيّ. يبربر: يصيح. والأدعج: الأسود.
(٨) أوجره: طعنه في صدره.
(٩) لم يُحنج: لم يمل عن وجهه.

عن الحق حتى غدت رُوحُه   إلى منزلٍ فاخر الزِّبْرج[1]
أولئك لا مَن ثَوَى منكُمُ   من النار في الدَّرَك المُرْتَج

فأجابه ضِرار بن الخطّاب الفِهْريّ، فقال:

أيَجْزَع كعبٌ لأشياعه   ويبكي من الزَّمن الأعْوَج
عجيجَ المُذَكّي رأى إلْفه   تروَّح في صادِرٍ مُحْنَج[2]
فراح الروايا وغادَرْنه   يُعَجْعِج قسْراً ولم يُحْدَج[3]
فقُولا لكعْبٍ يُثَنّي البُكا   ولِلنِّيء من لحمه يَنْضَج
لِمصرع إخوانه في مَكَرٍّ   من الخيل ذي قسطل مُرْهَج[4]
فياليت عَمراً وأشياعَه   وعُتبة في جَمْعنا السَّوْرج[5]
فيَشْفُوا النفوس بأوتارها   بقتلى أصيبتْ من الخزرج
وقتلَى من الأوس في مَعْرَك   أصيبوا جميعاً بذي الأضْوُج
ومقتل حمزة تحت اللواء   بمُطَّرِدٍ، مارِنٍ، مُخْلَج[6]
وحيث انثنى مُصْعَب ثاوياً   بضربة ذي هَبَّة سَلْجَج
بأُحْدٍ وأسيافُنا فيهمُ   تَلَهَّبُ كاللَّهَب المُوهَج
غداةَ لقيناكُمُ في الحديد   كأُسْد البَراح فلم تُعْنَج[7]
بكلّ مُجَلَّحة كالعُقاب   وأجْرد ذي مَيْعة مُسْرَج[8]
فدُسْناهم ثمّ حتى انْثَنَوْا   سوى زاهقِ النَّفسِ أو مُحْرج

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لضِرار. وقول كعب:

---

(١) الزبرج: الزينة من الوشي أو الجوهر.
(٢) العجيج: الصياح. ويريد بالمذكّي هنا: المسنّ من الإبل: الصادر: الراجع عن الماء. مُحنَج: مصروف عن وجهه.
(٣) لم يُحْدج: لم يجعل عليه الحدج وهو مركب النساء.
(٤) القسطل: الغبار. المرهج: المرتفع.
(٥) السَّوْرج: المتقد.
(٦) المطّرد: الذي يهتزّ، والمراد به هنا الرمح. المارن: الليّن.
(٧) تُعْنج: تكفّ.
(٨) المجلّحة: المتقدّمة ويريد بها فرساً. والأجرد: الفرس العتيق. والمَيْعة: النشاط.

«ذي النور والمنهج» عن أبي زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى في يوم أُحُد، يبكي القتلى:

ألا ذَرَفَت من مُقْلَتَيك دموعُ — وقد بان من حَبْل الشباب قُطوعُ
وشطَّ بمن تَهْوَى المزارُ وفرَّقت — نوى الحَيّ دارٌ بالحبيب فَجُوع
وليس لما ولّى على ذي حرارة — وإنْ طال تَذْرافُ الدموع رُجوع
فذرْ ذا ولكن هل أتى أمَّ مالك — أحاديثُ قومي والحديثُ يَشِيع
ومُجْنَبنا جُرْداً إلى أهل يثْربٍ — عَناجيج منها مُتْلَد ونَزِيع[1]
عشيّةَ سِرْنا في لُهام يقودُنا — ضَرُورُ الأعادي للصديق نَفُوع
نشُدّ علينا كلَّ زَغْفٍ كأنّها — غديرٌ بضَوْج الواديَين نَقيع[2]
فلما رأونا خالَطتْهُم مهابةٌ — وعايَنَهم أمرٌ هناك فظِيع
وودُّوا لو آنّ الأرضَ يَنْشَقّ ظهرُها — بهم وصَبُور القوم ثمَّ جَزوع
وقد عُرّيت بيضٌ كأنّ وَمِيضَها — حريق ترقّى في الأباء سريع[3]
بِأيْمانِنا نعلو بها كلَّ هامةٍ — ومنها سِهامٌ للعدوّ ذَرِيع[4]
فغادَرْن قَتْلى الأوْس عاصبةً بهم — ضِباعٌ وطير يَعْتَفين وُقُوع
وجَمْع بني النّجّار في كلّ تَلْعة — بأبدانهم من وقْعِهنّ نَجِيع[5]
ولولا عُلُوّ الشِّعْب غادرْنَ أحمداً — ولكنْ عَلا والسَّمْهرِيُّ شُرُوع[6]
كما غادرتْ في الكرّ حمزةَ ثاوياً — وفي صدْره ماضي الشَّباة وَقِيع[7]
ونعمان قد غادَرْن تحت لوائه — على لحمِهِ طيرٌ يَجُفْن وُقوع[8]
بأُحْدٍ وأرماحُ الكماة يُرِدْنهم — كما غالَ أشْطانَ الدِّلاء نُزُوع[9]

---

(١) مُجْنبنا: سوقنا للخيل. العناجيج: الحِسان. المُتْلَد: ما ولد عندك. والنزيع: الغريب.
(٢) الزغْف: الدروع اللّينة. والضَوْج: جانب الوادي. والنقيع: المملوء بالماء.
(٣) الأباء: الأجمة المشتكّة الأغصان.
(٤) ذريع: من يُقتل سريعاً.
(٥) نجيع: دم.
(٦) الشِعب: الطريق في الجبل. السمهريّ: الرماح. شروع مهيّئة للطعن.
(٧) الشباة: الحدّ. وقيع: محدّد.
(٨) يجفن: يطلبن ما في جوفه.
(٩) غال: أهلك. الأشطان: الحبال. والنزوع: جذب الدلو من البئر.

فأجابه حسّان بن ثابت، فقال:

أشــاقــك مـن أمّ الــولـيــد رُبُــوعُ ... بـلاقِــعُ مــا مِـن أهلِهـنَّ جَمـيـعُ
عفــاهُنَّ صـيْفـيُّ الـريــاح وواكِفٌ ... من الـدلْوِ رجّافُ السّحـاب هَمُـوع[1]
فلم يبق إلاّ مــوقِدُ النّــار حَـوْلَـه ... رَواكِـد أمـثـال الحَـمام كُـنُـوع[2]
فـدعْ ذِكْـر دارٍ بـدَّدَتْ بـين أهلهـا ... نــوًى لِمَتينـاتِ الحبـالِ قَـطُوع
وقُــل إنْ يكُنْ يـومٌ بــأُحْـد يَعُــدُّه ... سَفيـهٌ فـإنَّ الحقّ سـوف يَشِيـع
فقـد صابـرتْ فيـه بنـو الأوس كلّهم ... وكــان لهـم ذِكـرٌ هـنـاك رفـيـع
وحـامَى بنـو النجّـار فيـه وصـابَـرُوا ... ومــا كـان منهم في اللقـاء جَـزُوع
أمــام رســولِ الله لا يَخْــذُلــونـه ... لهـم نــاصرٌ مـن ربّهـم وشَـفـيـع
وفَـوْا إذ كـفـرتُم يـا سَخِينَ بــربّكم ... ولا يستــوي عبـدٌ وَفَى ومُضِيـع[3]
بــأيـديهم بِيضٌ إذا حَمِش الـوغَـى ... فــلا بُــدّ أنْ يَــرْدَى لهــنّ صَرِيـع
كـما غـادرتْ في النَّقْـع عُتبـة ثـاويـاً ... وسَعْـداً صريعاً والـوشيجُ شُروع[4]
وقـد غادرتْ تحت العَجَـاجة مُسْنـداً ... أُبيّــاً وقــد بَــلّ القميص نَـجيـع[5]
يـكُف رســولُ الله حيث تَـنَصَّبَت ... عــلى القـوم ممــا قـد يُثِـرْنَ نُقُـوع
أولـئـك قـومٌ ســادةٌ من فُــروعِكم ... وفي كــلّ قــوم ســادةٌ وفُــروع
بهــنّ نُــعــزّ الله حــتى يُــعــزّنــا ... وإن كــان أمـرٌ يــا سَخـينَ فَـظِيـع
فــلا تــذكــروا قَتْـلي وحمـزة فيهم ... قــتــيــلٌ ثَــوَى لله وهــو مُـطِيـع
فــإنّ جِـنــان الخُـلْد مـنـزِلـةٌ لــه ... وأمــرُ الـذي يقضي الأمــور سريـع
وقتــلاكُم في النّــار أفضــلُ رِزْقـهـم ... حميمٌ معــاً في جَــوْفهــا وضَرِيـع[6]

قـال ابن هشـام: وبعض أهــل العلم بـالشِعـر يُنكـرهمــا لحسّـان وابن

---

(١) الواكف: المطر المنهمر. والدلْو: برج في السماء معروف. رجاف: مصوت. وهموع: سائل.
(٢) كُنُوع: لاصقة بالأرض.
(٣) ياسَخين: أراد يا سَخينة وهو لقب لقريش لأكلها إياها وهي طعام يُصنع من الدقيق.
(٤) الوشيج: الرماح.
(٥) العجاجة: الغبرة. النجيع: الدم.
(٦) الضريع: ما يطرحه البحر من النبات.

الزِّبَعْرَى، وقوله: «ماضي الشباة، وطير يُجفْن» عن غير ابن إسحاق.

وقال ابن إسحاق: وقال عمرو بن العاصي في يوم أُحُد:

خرجنا من الفَيْفا عليهم كأنّنا ... مع الصُّبح من رَضْوى الحَبيكُ المُنَطَّقُ[1]
تمنّت بنو النجّار جَهْلاً لقاءنا ... لدى جَنْبِ سَلْعٍ والأمانيُّ تَصْدُق[2]
فما راعَهم بالشرّ إلاّ فُجاءة ... كراديسُ خَيْلٍ في الأزِقَّة تَمْرُق
أرادوا لكيما يستبيحوا قِبابَنَا ... ودون القباب اليومَ ضربٌ مُحَرِّق
وكانت قِباباً أُومِنت قبلَ ما تَرَى ... إذ رامها قومٌ أُبيحوا وأُحْنِقوا
كأنّ رؤوس الخَزْرَجِيّين غدوةً ... وأيمانَهم بالمُشْرِفيّة بَرْوَق[3]

فأجابه كعب بن مالك، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

ألا أَبلغا فِهْراً على نأي دارها ... وعندهم من عِلْمنا اليومَ مَصْدَقُ
بأنّا غَداة السَّفْح من بطن يثربٍ ... صَبَرنا وراياتُ المنيّةِ تخفِق
صَبَرْنا لهم والصبرُ منّا سجيّة ... إذا طارت الأبرامُ نَسْمُو ونَرْتُق[4]
على عادة تِلْكم جَرَيْنا بصَبرنا ... وقِدْماً لدى الغايات نجري فَنَسْبِق
لنا حَوْمةٌ لا تُستطاع يقودُها ... نبيٌّ أتى بالحق عَفٌّ مُصَدَّق
ألا هل أتى أفناءَ فِهْر بن مالك ... مُقَطَّعُ أطرافٍ وهامٌ مُفَلَّق[5]

قال ابن إسحاق: وقال ضِرار بن الخَطّاب:

إنّي وجدِّك لولا مُقْدمَي فرسي ... إذْ جالت الخيل بين الجزْع والقاعِ[6]
ما زال منكم بجَنْب الجزْع من أُحُدٍ ... أصواتُ هام تَزَاقى أمرُها شاعي[7]

---

(١) رضوى: اسم جبل. الحبيك: ما فيه طرائق. المُنَطَّق: المحزّم.
(٢) سَلْع: اسم جبل خارج المدينة.
(٣) بَرْوَق: نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل.
(٤) الأبرام: اللئام. نرتق: نسدّ ونُصلح.
(٥) الأفناء: المختلط. والهام: الرءوس.
(٦) الجزع: ما انعطف من الوادي. القاع: ما انخفض من الأرض.
(٧) الهام: جمع هامة وهي ما يزعم العرب أنّ طائراً يخرج من رأس القتيل يصيح اسقوني اسقوني حتى يُؤخذ بثأره. تَزَاقى: تصيح. شاعي: أراد شائع.

وفـارسٌ قـد أصـاب السيفُ مَفْـرِقـه ... أفـلاقُ هـامتِـه كَفَـرْوة الـراعـي
إنّي وجـدِّك لا أنْفَكُّ مُـنْـتَـطِقَـاً ... بصـارمٍ مثل لَـوْن المِلْحِ قَطّاع[1]
عـلى رِحـالـة مِـلْواحٍ مُـشـابـرة ... نحو الصَّريخ إذا مـا ثَوَّب الـدّاعي[2]
ومـا انتميتُ إلى خُـورٍ ولا كُشُفٍ ... ولا لِئـامٍ غـداة البـأسِ أوْراع[3]
بل ضارِبـين حَبيك البيض إذ لَحِقُـوا ... شُمِّ العَرانـين عنـد المـوت لُـذّاع[4]
شُـمٌّ بهـاليـل مسـترخ حمـائلُهـم ... يَسْعَـون للموت سَعْيـاً غير دَعـداع[5]

وقال ضِرار بن الخطّاب أيضاً:

لمـا أتتْ من بَني كَعْب مُـزَيَّنـة ... والخُـزْرجيّـة فيهـا البيضُ تَـأْتَلِقُ
وجـرَّدوا مَـشْـرَفِيـاتٍ مُـهَـنَّـدَةً ... ورايـةً كـجَـنـاح الـنَّسْرِ تَخْـتَـفِـقُ
فـقـلت يـومٌ بـأيـامٍ ومـعـركـةٌ ... تُنْبي لما خَلْفها ما هُزْهِـز الـوَرق[6]
قـد عُـوِّدوا كـلَّ يـوم أنْ تكـون لهم ... رِيـحُ القِتـالِ وأسلابُ الـذين لَقُـوا
خيَّرتُ نفسي على مـا كان من وجَـلٍ ... منهـا وأيقـنتُ أنّ المجـدَ مُسْتَبـق
أكـرهتُ مُهْرِيَ حتى خـاضَ غَمْرتهم ... وبَـلَّهُ من نَـجيـع عـانـكٍ عَـلَق[7]
فـظلّ مُهْـري وسِرْبـالي جَسيـدُهمـا ... نَفْخُ العُروقِ رشاشُ الطَّعْن والوَرَق[8]
أيـقـنـتُ أنّي مُـقـيـمٌ في ديـارهـمُ ... حتىَ يُفـارق مـا في جَـوْفه الحَـدَق
لا تَجْـزَعـوا يـا بني مخـزومَ إنّ لكم ... مثـلَ المُغـيرة فيكم مـا بـه زَهَق[9]
صبْـراً فِـدًى لكُمُ أمّي ومـا وَلَـدت ... تعـاوَرُوا الضَّرْب حتى يُـدبـر الشفق

وقال عمرو بن العاصي:

---

(١) المنتطق: المحتزم.
(٢) الرحالة: السَرْج. الملواح: الفرس القوية. ثوّب: كرّر الدعاء.
(٣) كُشُف: من لا أدراع لهم في الحرب. الأوراع: الجبناء.
(٤) الحبيك: الطرائق.
(٥) البهاليل: السادة. الدعداع: الضعيف.
(٦) هزهز: حرّك.
(٧) غَمْرتهم: جماعتهم. النجيع: الدم. عانك: أحمر. عَلَق: اسم من أسماء الدم.
(٨) جسيدهما: صبغهما. نفخ العروق: ما ترمى به من الدم. الورق: ما انقطع من الدم.
(٩) الزَهَق: العيب.

لمـا رأيـت الحـرب يـنْـ ... زُو شرّهـا بـالـرَّضْـفِ نَـزْوَا[1]
وتَـنـاولـت شـهـبـاءُ تـلْـ ... حُـو النّـاس بـالضّرّاء لَحْـوَا[2]
أيـقـنـتُ أنّ المـوت حـقٌ ... والحـيـاةَ تـكـونُ لَـغْـوا
حُمِّـلتُ أثـوابي عـلى ... عَـتَـدٍ يَـبُـذُّ الخَـيْـل رَهْـوا[3]
سَلِسٍ إذا نـكـبْـن في الـبَـيْـ ... ـداءِ يَـعْـلو الـطِّرفَ عُـلْوا
وإذا تـنـزّل مـاؤهُ مـن ... عِـطْفِـه يَـزداد زَهْـوا[4]
رَبِـذٍ كـيـعـفُـور الصَّرِيـ ... ـمَـة راعـه الـرامُـونَ دَحْـوا[5]
شَـنِـجٍ نَـسَـاهُ ضـابطٍ ... لـلخَـيْـلِ إرخـاءً وعَـدْوا[6]
فـفِـدى لهـم أمّـي غَـدَا ... ة الـرَّوْع إذ يَمْـشُـون قَـطْوا[7]
سَـيْـراً إلى كـبْش الـكَـتِـيـ ... ـبـة إذ جَـلَتْـه الـشـمسُ جَـلْوا

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لعمرو.

قال ابن إسحاق: فأجابها كعب بن مالك، فقال:

أبلِغْ قُـريشـاً وخيرُ القَوْل أصـدقُـه ... والصِـدقُ عند ذوي الألبـاب مَقبـولُ
أنْ قـد قَـتَلْنـا بـقتـلانـا سَرَاتَـكم ... أهـلَ الـلّواء ففِـيـما يكـثُر الـقيـل
ويـوم بـدرٍ لـقينـاكم لـنـا مـددٌ ... فيـه مع النصر مِيكـالٌ وجـبريـل
إن تقتلونـا فـدِينُ الحقّ فِـطْرتُنـا ... والقتْـلُ في الحقّ عنـد الله تفضيـل
وإنْ تَـرَوْا أمـرَنـا في رأيكم سَفَهـاً ... فـرأيُ مَن خـالف الإسـلام تَضْليـل
فـلا تَمَنَّـوا لِقـاحَ الحـربِ واقتعِـدوا ... إن أخا الحرب أصدى اللّونِ مَشْغول

---

(١) الرضف: الحجارة المحماة.
(٢) شهباء: يقصد الكتيبة الكثيرة السلاح. تلحو: تضعف.
(٣) العتد: الفرس الشديد. والرهو: الساكن.
(٤) ماؤه: عرقه.
(٥) الربذ: السريع. اليعفور: ولد الظبية. والصريمة: الرمال المنقطعة. الدحو: الانبساط
(٦) شنج: منقبض. والنسا: عرق يمتدّ من الورك الى الكعب ولا يقال عرق النّسا لأنّ الشيء لا يضاف الى نفسه. ضابط: ممسك.
(٧) القطو: ضرب من المشي فيه خُيلاء.

إنّ لكم عِنـدنـا ضَربـاً تـراحُ لـه — عُـرْجُ الضِّبـاع لـه خَـذْم رَعَـابيـل[١]
إنّـا بنـو الحـرب نَمْريهـا[٢] ونُنْتِجُهـا — وعنـدنـا لـذَوي الأضْغـان تَنكِيـل
إن يَنْجُ منها ابنُ حرْب بعدمـا بلغتْ — منـه الـتَّراقي[٣] وأمـرُ الله مفعـول
فقـد أفـادتْ لـه حِلْماً ومـوعِـظةً — لمَـن يـكـونُ لـه لـبٌّ ومـعـقـول
ولـو هبطتُم ببـطن السَّيْـل كـافَحَكم — ضـربٌ بشاكِلة البـطْحـاء تَـرْعِيـل[٤]
تَلْقـاكم عُـصَبٌ حـول الـنبيّ لهم — ممـا يُـعِـدّون للهَـيْـجـا سرابيـل
من جـذْم غسّـان مُسْتَـرخٍ حمـائلهم — لا جُـبنـاء ولا مِيـلٌ مَـعـازِيـل[٥]
يمْشُـون تحت عَـمايـات القتـالِ كـما — تمشي المَصَـاعِبـةُ الأُدْم المَـرَاسِيـل[٦]
أو مِثْـلِ مَشْيِ أُسـود الـظِّلِّ أَلْثَقهـا — يـومُ رَذاذٍ مـن الجَـوْزاءِ مَشْـمُـول
في كـلّ سـابغـةٍ كـالنِّهْي مُحْكَمـةٍ — قِيـامهـا فَـلَج كـالسَّـيفِ بُهْـلُول[٧]
تـردُّ حـدَّ قِـرام النبـلِ خـاسِئـةً — ويـرجِـع السيفُ عنهـا وهـو مَفْلُول
ولـو قـذفتُم بسَلْعٍ[٨] عن ظُهُـورِكُمُ — وللحيـاة ودَفْـع المـوتِ تـأجيـل
مـا زال في القـوم وِتْـرٌ منكمُ أبـداً — تَعْفـوا السَّلامُ عليـه وهـو مَـطْلول[٩]
عبـدٌ وحُـرٌّ كـريم مُـوثَق قَنَصـاً[١٠] — شَـطـر المدينـة مـأسُـور ومَقْتـول
كنّـا نُؤَمِّـل أُخْـراكـم فـأعْجَـلكم — منّـا فـوارسُ لا عُـزْلٌ ولا مِيـل
إذا جَنَى فيهمُ الجـاني فقـد علِمـوا — حقّـاً بـأنّ الـذي قـد جَـرّ مَحْمول
مـا نحنُ لا نحن من إثْم مُجـاهـرةً — ولا مَـلُومٌ ولا في الـغُـرْم مَخْـذُول

وقال حسّان بن ثابت، يذكر عدّة أصحاب اللواء يوم أُحُد:

---

(١) تراح: تهتز. خزم: قطع اللحم. الرعابيل: المنقطعة.
(٢) نمريها: نستدرّها.
(٣) التراقي: عظام الصدر.
(٤) شاكلة: طرف. الترعيل: الضرب السريع.
(٥) الجذْم: الأصل. المِيل: الذين لا تروس لهم. والمعازيل. الذين لا رماح لهم.
(٦) العمايات: الظُلمات. المصاعبة: فحول الإبل.
(٧) سابغة: درع كاملة: النّهي: غدير الماء. البُهلُول: الأبيض.
(٨) سَلْع: اسم جبل.
(٩) السلام: الحجارة. مطلول: غير مأخوذ بثاره.
(١٠) القنص: الصيد.

قال ابن هشام: هذه أحسن ما قيل: ـ

مَنَـع النـومَ بـالـعَشـاء الهمـومُ وخَـيَـالٌ إذا تَـغُـورُ الـنُّـجـومُ
مِن حبيب أضـافَ[1] قـلْبـك منـه سَـقَـم فـهـو داخـلٌ مَـكـتـومُ
يـا لَقـوْمي هـل يقْتـل المـرءَ مثلي واهـنُ البـطْش والـعِـظام سُؤوم
لـو يَـدِب الـحَـوْليّ من ولـد الـذرّ علـيـهـا لأنْـدَبَـتـهـا الـكُـلُوم[2]
شـأنُها الـعِـطْر والـفـراشُ ويَـعْلو هـا لُجَيْنٌ ولُـؤلـؤ مـنـظوم
لم تَـفُـتْـهـا شمسُ الـنّهـار بِشيءٍ غـيرَ أنّ الـشـبـابَ لـيس يَـدُوم
إنّ خـالي خـطيبُ جـابِيـة الجَـوْ لان عنـد النُّعـمان حـين يَقـوم[3]
وأنـا الصَّقْـر عنـد بـاب ابن سَلْمى يـوم نُعـمان في الكُـبـول سقيـم
وأبيٌّ وواقـدٌ أُطـلِقـا لي يـوم راحَـا وكَبْـلُهـم مَخْـطوم[4]
ورهـنتُ الـيـدَيـن عنهم جميعـاً كـلّ كـفٍّ جُـزءٌ لهـا مَـقْـسـوم
وَسَـطتْ نِسبـتي الـذّوائبَ منهـم كـلّ دارٍ فـيـهـا أبٌ لي عـظيـم[5]
وأَبيّ في سُـمَيحـة القـائـل الفـا صِـل يـوم التقتْ عليـه الخُصوم[6]
تلك أفعـالنـا وفِعـل الـزِّبَعْـرَى خـامـلٌ في صـديـقـه مَـذْمـوم
ربّ حِـلْمٍ أضـاعـه عَـدَم المـا لِ وجَـهْـل غـطّى عليـه النعيم
لا تَـسُـبَّـنَّـنَي فـلـستَ بـسـبّـي إن سِبّي مـن الـرجـال الكـريـمُ
مـا أُبالي أنـبَّ بـالحَـزْنِ تَـيْسٌ أم لَحَـاني بـظَهْـر غـيـبٍ لئـيـم
وليَ البـأسَ مـنـكـم إذ رَحَـلْتم أسـرةٌ مـن بـني قُصيّ صـمـيـم
تِـسعـةٌ تحـمـلِ اللـواء وطـارتْ في رَعـاع مـن الـقَـنَـا مَخْـزُوم
وأقـامـوا حتى أُبيحـوا جَميعـاً في مَـقـام وكـلُّهـم مـذمـوم

---

(١) أضاف: زار.

(٢) الحول: الصغير. أندبتها: أثّرت فيها. الكُلُوم: الجُرُوح.

(٣) الجابية: الحوض. والجولان: موضع بسوريا.

(٤) مخطوم: مكسور.

(٥) السطة: الوسط ويكون الوسط غاية المدح إذا ذُكر في الأنساب. الذوائب: الأعالي.

(٦) أبيّ: ثابت بن المنذر، وسُمَيحة: بئر في المدينة احتكم إليه فيها الأوس والخزرج.

بـدمٍ عـانِـك وكـان حِـفـاظـاً أن يُـقيـمـوا إنّ الكـريـم كـريـم[1]
وأقـامـوا حـتى أُزيروا شَـعُـوبـاً والـقَـنـا في نُـحُـورهـم مَحْـطوم[2]
وقـريش تَـفِـرُّ مِـنّـا لِـواذاً أن يُـقيـمـوا وخَفّ منهـا الحُلوم[3]
لم تُـطِق حَمْـلَه الـعـواتِـقُ منهـم إنّمـا يحـمِـل اللواءَ الـنُّجـوم[4]

قال ابن هشام: قال حسّان هذه القصيدة:

منع النوم بالعشاء الهموم

ليلاً، فدعا قومه، فقال لهم: خشيت أن يدركني أجَلي قبل أن أصبح، فلا ترووها عنّي.

قال ابن هشام: انشدني أبو عُبيدة للحَجّاج بن علاط السّلميّ بمدح أبا الحسن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ويذكر قتله طلحة بن ابي طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار، صاحب لواء المشركين يوم أُحُد:

لله أيّ مـذبِّـب عـن حُـرْمـة أعني ابنَ فـاطمـة المُعِمّ المُخْـولا[5]
سبقتْ يـداك لـه بعـاجـل طعنـةٍ تـركتْ طُلَيْحـة للجنبين مُـجَـدّلاً
وشـددْتَ شـدّة بـاسـل فكشفتهم بـالجرّ إذ يَهْـوُون أخْـول أخْـوَلا[6]

قـال ابن إسحاق: وقـال حسّان بن ثـابت يبكي حمزة بن عبـد المطّلب ومن أصيب من أصحاب رسولِ الله ﷺ يوم أُحُد:

يـا مـيّ قـومـي فـانـدُبـنْ بـسُحَـيـرَة شُجْـو الـنّـوائـح

---

(١) عانك: أحمر.

(٢) الشعوب: اسم من أسماء الموت.

(٣) لواذا: مستترين.

(٤) العواتق: جمع عاتق، ما بين المنكب والعنق، والنجوم: مشاهير الناس. وقد ورد منها اثنا عشر بيتاً في عيون الأثر ٣٢/٢، وكذلك في عيون التواريخ ١٧٧/١، ١٧٨.

(٥) المذبّب: الحامي. الحرمة: ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه. ابن فاطمة: هو الإمام عليّ كرّم الله وجهه، وفاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أمه رضي الله عنه. والمعمّ المخوّل: كريم الأعمام والأخوال.

(٦) الجَرّ: أصل الجبل. أخْول أخْولاً: واحداً بعد واحد.

كـالـحـامـلات الـوقْـر بـالـ ـثقـل الـمُـلحّـات الـدّوالـح[1]
المُـعْـولات الـخـامِـنشـات وُجـوه حُـرّات صـحـائـح[2]
وكـأنّ سَـيْـل دُمُـوعـهـا الـ أنـصـابُ يُـخَـضَبُ بـالـذّبـائـح
يَـنْـقُـضْـن أشـعـاراً لـهـنّ هُـنـاك بـاديـةَ الـمـسـائـح[3]
وكـأنّـهـا أذنـابُ خـيـ ـلٍ بالضّحـى شُـمسٍ رَوَامـح[4]
مـن بـيـن مَـشْـزُور ومـجْـ زُورٍ يُـذَعْـذع بـالـبـوارح[5]
يَـبْـكـيـن شَـجْـواً مُـسْـلبـا تٍ كـدّحـتْـهـنّ الـكـوادح
ولـقـد أصـاب قـلوبَـهـا مَـجْـلٌ لـه جُـلَبٌ قَـوارح[6]
إذ أقـصَـد الـحِـدْثـان مَـنْ كُـنّـا نُـرَجّـى إذْ نُـشـائـح[7]
أصـحـابَ أُحْـد غـالَـهـم دهـرٌ ألـمْ لـه جـوارح
مَـن كـان فـارسَـنـا وحـا مـيـنـا إذا بُـعـث الـمَـسـالـح[8]
يـا حَـمْـز، لا والله لا أنـسـاكِ مـا صُـرّ الـلقـائـح[9]
لـمُـنـاخ أيـتـام وأضـيـا فٍ وأرمـلـةٍ تُـلامـح[10]
ولِـمـا يـنـوبُ الـدهـرُ فـي حـربٍ لـحـربٍ وهْـي لاقـح[11]
يـا فـارسـاً يـا مِـدْرهـا يـا حَـمْـز قـد كنتَ المُـصامـح[12]
عـنّـا شـديـدات الـخُـطُو بِ إذا يَـنُـوب لـهـنّ فـادح
ذكّـرتـنـي أسـد الـرسـو لِ، وذاك مِـدْرَهـنـا الـمُـنـافـح

---

(١) المُلِحّات: الثابتات. الدوالح: التي تحمل ثقلاً.

(٢) الخامشات: الخادشات.

(٣) المسائح: ذوائب الشعر.

(٤) الشُمُس: النافرة.

(٥) يذعذع: يغرّق. البوارح: الرياح الشديدة.

(٦) المَجْل: الجرح. جُلَب: قشور الجروح. القوارح: المؤلمة.

(٧) أقصد: أصاب. نشائح: نحذر.

(٨) المسالح: من يحملون السلاح.

(٩) صرّ: ربط. اللقائح: النوق التي لها لبن.

(١٠) المناخ: مكان النزول. تلامح: تنظر سريعاً.

(١١) لاقح: زائد شرّها.

(١٢) المِدْرة: المدافع. المصامح: شديد الدفع.

عـنّـا وكـان يُـعـدّ إذ ... عُـدّ الشّـريفـون الـجَحَـاجـح[1]
يـعـلو الـقـمـاقـم جـهـرةً ... سَـبْط الـيَـدَيْـن أغـرّ واضـح[2]
لا طـائشٌ رَعِشٌ ولا ... ذو عِـلّة بـالـحـمْـل آنِـح[3]
بـحْـر فـليس يُـغِـبّ جـا ... راً مـنـه سـيْـبٌ أو مَـنـادِح[4]
أوْدَى شـبـابُ أولـي الـحـف ... ائظ والـثـقـيـلون الـمَـرَاجـح[5]
الـمُـطْعِـمـون إذا الـمـشـا ... تي مـا يُصَفِّـفُـهُـنّ نـاضـح[6]
لَـحْـمَ الـجـلاد وفـوْقَـه ... من شَحْمـه شُـطَبٌ شَـرَائـح[7]
لـيـدافـعـوا عـن جـارهـم ... مـا رام ذو الـضِّغْـن الـمُـكـاشـح
لَـهْـفـي لـشُـبّـان رُزِئـنـاهـم ... كـأنـهُـمُ الـمـصـابـح
شُـمٌّ، بـطـارِقـةٌ، غَـطَا ... رِفـةٌ، خـضـارِمـةٌ، مسَـامِـح[8]
الـمُـشْـتَـرونَ الـحـمْـد بـالـ ... أمـوال إنّ الـحـمْـد رابـح
والـجـامـزون[9] بـلُجْـمـهـم ... يـومـاً إذا مـا صـاح صـائـح
مَـن كـان يُـرْمَـى بـالـنّـوا ... قِـرِ مـن زمـانٍ غـيـر صـالـح
مـا إن تـزالُ رِكـابُـهُ ... يَـرْسِمْن في غُبْـر صَحـاصـح[10]
راحـتْ تَـبـارَى وهـو فـي ... رَكْـب صُـدُورهـم رَواشـح[11]
حـتـى تَـثُـوب لـه الـمـعـا ... لـي ليس من فـوز الـسّـفـائـح[12]

---

(١) الجحاجح: السادة.
(٢) القماقم: السادة.
(٣) آنح: ثقيل في مشْيه.
(٤) السيب: العطاء. المنادح: جمع مندحة، وهي السعة.
(٥) المراجح: ذوُو الحلم.
(٦) يصففهن: يحلبهنّ. الناضح: من شرب دون أن يرتوي.
(٧) الشطب: طرائق السيف.
(٨) الشم: الأعزاء والبطارقة في الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين، ويقصد بها هنا الرؤساء مطلقاً. والغطارفة: السادة. والخضارمة: من يكثرون العطاء.
(٩) الجامزون: الواثبون.
(١٠) يرسمن: من الرسم، وهو نوع من السير. الصحاصح: الأرض المستوية.
(١١) رواشح: ترشح العرق.
(١٢) السفائح: الجوالق.

يـا حَـمْـزَ قـد أوحَـدْتَـنـي ... كـالـعُـود شـذّبـه الـكـوافـح[1]
أشكـو إليـك وفَـوْقـك الـتُـرْ ... ب الـمُـكَـوّرُ والـصّـفـائـح
مـن جَـنْـدلٍ نُـلْقـيـه فـو ... قـك إذ أجـاد الضّـرْح ضـارح[2]
فـي واسـع يَـحـشـونـه ... بـالتُـرْب سَـوّتـه الـمَـمَـاسـح
فـعَـزاؤنـا أنّـا نـقـو ... ل وقـولُـنـا بَـرْحٌ بَـوارح[3]
مـن كـان أمْـسَـى وهـو عـمّـا أوقـع الـحِـدْثـان جـانـح
فـلْيَـأتـنـا فـلْتَـبْـك عـيـ ... ـنـاه لـهـلْكـانـا الـنّـوافـح[4]
الـقـائـلـيـن الـفـاعـلـيـن ... ذوي الـسّـمـاحـة والـمـمـادح
مـن لا يـزالُ نَـدى يـديـ ... ـه لـه طَـوَال الـدّهْـرِ مـائـح[5]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان، وبيته: «المُطْعمون إذا المشاتي» وبيته: «الجامزون بلُجْمهم» وبيته: «من كان يرمي بالنواقر» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يبكي حمزة بن عبد المطّلب:

أتـعـرِفُ الـدّارَ عـفـا رسْـمُـهـا ... بعدكَ صوبُ المُسْبل الهاطِلِ[6]
بـيـن الـسّـراديـح فـأُدْمـانـةٍ ... فمَـدْفـع الـرّوحـاء في حـائـل[7]
سـاءلْتُهـا عن ذاك فـاستعجَمَتْ ... لم تَـدْرِ ما مرجوعـةُ السائـل[8]
دعْ عنـك داراً قـد عفـا رسْمُهـا ... وابـكِ على حَمْـزَةَ ذي النـائـل

(١) الكوافح: القاطعون للعود.
(٢) الضرح: القبر.
(٣) البرح: الشاقّ.
(٤) النوافح: من يُعطون المعروف.
(٥) المائح: من ينزل الى البئر ليستسقي بالدلو.
(٦) الصوب. المطر. والـ ا: السائل.
(٧) السراديح: الوديان. و. : مكان. والمدفع: حيث اندفاع الماء. والرّوْحاء. بلد. وحائل: وادي.
(٨) المرجوعة: الردّ.

المـالىء الشِّيـزَى إذا أعْـصَفـت　　غبـراءُ في ذي الشَّبم المـاحـل[١]
والـتـارِكِ الـقِـرْنَ لَـدَى لِـبْـدة　　يَعْثُـر في ذي الخُرُص الـذّابل[٢]
والـلاّبس الـخيـل إذ أجْـحَمَـت　　كـالليثِ في غـابتـه الـبـاسـل[٣]
أبـيضُ فـي الـذِّرْوة مـن هـاشـمٍ　　لم يَمْـر دون الحقّ بـالـبـاطـل[٤]
مـال شـهـيـداً بيـن أسيـافكـم　　شُلّت يـدا وحْشِـيّ من قـاتـل
أيَّ امـريء غـادر فـي ألّـةٍ　　مَـطْرورةٍ مـارنـةٍ الـعـامـل[٥]
أظـلمـتِ الأرضُ لِـفِـقْـدانـه　　واسْـوَدّ نـورُ القمـرِ النّـاصـل[٦]
صـلّى عـليـه الله فـي جـنّـةٍ　　عـالـيـةٍ مَـكْـرمَـة الـدّاخـل
كنّـا نـرى حَـمـزة حِـرْزاً لـنـا　　فـي كـلّ أمـرٍ نـابـنـا نـازل
وكـان فـي الإسـلام ذا تُـدْرإٍ[٧]　　يكفيـك فَقْـدَ الـقـاعـد الخـاذل
لا تفـرحي يـا هـنـدُ واستحلبي　　دمـعـاً وأذري عَبْـرة الـثّـاكـل
وابـكـي عـلى عُـتْـبـةَ إذ قَـطّه　　بـالسّيف تحت الرّهـج الجـائـل[٨]
إذ خـرّ في مَشْـيخـةٍ مـنـكُـم　　مـن كـلّ عـاتٍ قلبُـه جـاهـل
أرداهـمُ حـمـزةُ فـي أُسـرةٍ　　يَمْشـون تحت الـحلَق الـفـاضـل
غـداةَ جِـبْـريـل وزيـرٌ لـه　　نِعْم وزيـرُ الـفـارس الحـامـل[٩]

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطّلب:

طَـرقتْ همـومُـك فـالـرّقـاد مُسَهَّـدُ　　وجَـزِعت أن سُلخ الشبابُ الأغْيـد

---

(١) الشيـزي: جِفان من خشب الأبنوس. الغبراء: الريح. والشبم في الأصل: المـاء البـارد، ويقصد بها هنا أيام الزمهرير.
(٢) ذو الخُرُص: ذو السنان وهو الرمح. الذابل: الرقيق.
(٣) أجحمت: أحجمت.
(٤) لم يَمْر: لم يُجادل.
(٥) الإلة: الحربة. مطرورة: محدّدة. مارنة: ليّنة. العامل: أعلى الريح.
(٦) الناصل: الخارج من بين السحاب.
(٧) ذا تُدْرأ: أي صاحب مُدافعة ومنافحة.
(٨) قطّ: قطع، الرهج: الغبار. الجافل: المتحرّك.
(٩) في عيون الأثر ٢/٣٣ (١٢) بيتاً منها.

وَدَعَتْ فؤادَك للهوى ضَمريّةٌ[1] ... فهواك غَوْري وصَحْوك مُنْجِد
دع التّمادِيَ في الغَوَاية سادِراً ... قد كنتَ في طلب الغواية تُفْنَد
ولقد أنّى لك أن تَنَاهى طائعاً ... أو تستفيق إذا نَهاك المُرْشِد
ولقد هُدِدْتُ لفقْد حمزة هَدّةً ... ظلّت بناتُ الجَوْف[2] منها تَرْعَد
ولَوَ أنّه فُجِعت حِرَاء بمثْله ... لرأيتُ راسيَ صَخْرِها يتبدّد
قَرْم تَمَكّن في ذُؤابة هاشمٍ ... حيث النُّبوّة والنّدَى والسُّوَدد
والعاقِرُ الكُومَ[3] الجِلاد إذا غَدَتْ ... ريحٌ يكاد الماءُ منها يجْمُد
والتّارك القِرْن الكَميَّ مُجَدَّلاً ... يوم الكريهةِ والقَنا يَتَقَصّد
وتراه يَرْفل في الحديد كأنّه ... ذو لِبْدة شثْنُ البراثن أرْبد[4]
عمّ النبيّ محمد وصَفيُّه ... ورد الحمامَ فطَاب ذاك المَوْرد
وأتى المَنيّة مُعْلِماً في أسرةٍ ... نصروا النبيّ ومنهم المُسْتَشْهِد
ولقد إخالُ بذاك هنداً بُشّرت ... لِتُميت داخلَ غصّة لا تَبرُد
مما صَبَحنا بالعقَنْقل قومَها ... يوماً تغيّب فيه عنها الأسعد[5]
وببئْر بدرٍ إذ يَردُّ وُجوهَهم ... جبريلُ تحت لوائنا ومحمّد
حتى رأيت لدى النبيّ سَرَاتَهم ... قِسْمَيْن: يقْتُل من نشاء ويطرد
فأقام بالعَطَن المُعَطّن منهمُ ... سبعون: عُتبةُ منهمُ والأسود[6]
وابنُ المُغيرة قد ضربنا ضربةً ... فوق الوَريد لها رشاشٌ مُزبد
وأميّة الجُمحيّ قوّم مَيْله ... عَضْبٌ بأيدي المؤمنين مُهنّد
فأتاك فَلُّ المُشركين كأنّهم ... والخيلُ تَثْفنهم نَعام شُرّد[7]
شتّان من هو في جهنّم ثاوياً ... أبداً ومن هو في الجنان مُخَلّد[8]

---

(١) ضمرية: منسوبة الى قبيلة ضمرة.
(٢) بنات الجَوْف: القلب وما اتّصل به من الأحشاء.
(٣) الكوم: عظيمة السنام من الإبل.
(٤) ذو لبدة: الأسد. والشثن: الغليظ. البرائن: مخالب الأسد. الأربد: الأغبر.
(٥) العقنقل: كثيب الرمل.
(٦) المعطن: مبرك الإبل.
(٧) تثفنهم: تطردهم.
(٨) الأبيات كلها في عيون الأثر ٢/٣٣، ٣٤.

وقال كعب أيضاً يبكي حمزة:

صفيّة قُومي ولا تَعْجزي | وبكِّي النّساء على حمزة
ولا تَسْأمي أن تُطيلي البُكا | على أسدِ الله في الهزّة
فقد كان عِزّاً لأيْتامنا | وليث الملاحم في البزّة[1]
يريد بذاك رِضا أحمدٍ | ورِضوانَ ذي العرش والعِزّة

وقال كعب أيضاً في أُحُد:

إنّكِ عَمْرَ أبيكِ الكريـ | ـم أن تسألي عنكِ من يَجْتَدينا[2]
فإنْ تسألي ثمّ لا تُكذَبي | يُخبرك من قد سألتِ اليقينا
بأنّا ليالِيَ ذات العظا | م كُنّا ثِمالاً لمنْ يَعْترينا[3]
تَلُوذ البجود بأذْرائنا[4] | من الضُّرّ في أزَمات السّنينا
بجَدْوى فُضول أولي وُجدنا | وبالصّبر والبَذْل في المُعْدِمينا
وأبْقَتْ لنا جَلَمات الحُرو | ب ممن نوازي لدن أن بُرينا[5]
معاطنَ تَهْوي إليها الحُقو | ق يَحسبها من رآها الفَتينا[6]
تُخَيِّس فيها عِتاقُ الجِما | ل صُحْماً دواجنَ حُمْراً وُجُونا[7]
ودُفّاع رَجْلٍ كَموج الفُرا | ت يَقْدُم جأواءُ جُولاً طَحُوناً[8]
ترى لونَها مثل لون النّجو | م رجراجة تُبْرق الناظرينا
فإنْ كنتَ عن شأننا جاهلاً | فَسَلْ عنه ذا العِلْم ممّنْ يَلينا

(١) البزة: السلاح.
(٢) يجتدينا: يطلب معروفنا.
(٣) ذات العظام: يقصد هنا بها ذات الجوع الشديد حتى إن العظام ليُعاد طبخها. والثمال: الغياث.
(٤) البجود: جماعات الناس. الأذراء: الأكناف.
(٥) جلمات: جمع جَلَمة وهو القطع. بُرينا: خلقنا.
(٦) المعاطن في الأصل: أماكن برْك الإبل، ويريد بها هنا الإبل بعينها. والفتين: الأرض بها الحجارة السوداء.
(٧) تخيّس: تذلّل. الصُحْم: السّود. دواجن: مقيمة. الجُون: يريد بها هنا البيض.
(٨) الدفاع: ما يندفع من السيل. رجل: رجال. الجأواء: كتيبة سوداء لكثرة ما عليها من السلاح. الجُول: الكتيبة العظيمة. والطحون: التي تطحن ما تمرّ به أي تهلكه لقوّتها.

بنـا كيـف نَـفْـعـل إن قـلّصـتْ عَـواناً ضَـرُوساً عَضُـوضاً حَجُـونـا[1]
أَلَـسْـنـا نـشُـدّ عـليهـا الـعِـصَـا ب حـتـى تَـدُرّ وحـتّى تَـلينـا
ويـومٌ لـه وَهَـج دائـمٌ شَـديـد التّهـاوُل حـامي الأرينـا[2]
طَـويـلٌ شـديـدُ أُوار الـقِـتـا ل تَنْفـي قـواجِـزُهُ المُـقْـرفينـا[3]
تـخـالُ الـكُـمـاة بـأعْـراضـه ثـمـالاً عـلى لـذّة مُـنْـزفيـنـا[4]
تَـعَـاوَرُ أَيْـمـانُـهُمْ بـيـنـهـم كئـوسَ المنـايـا بحـدّ الـظّبينـا
شـهِـدْنـا فكُـنّـا أُولي بـأسِـه وتـحت العـمـايـة والـمُعْـلِمينـا
بـخُـرْس الحَسيس حِسـانٍ رواءٍ وبُصْـريّة قـد أجِمْن الجُفـونـا[5]
فـمـا يَـنْـفَـلِلْن ومـا يَـنْحـنيـنَ ومـا يَـنْـتَـهـيـنَ إذا مـا نُـهـينـا
كبـرق الخـريف بـأيـدي الكُـمـاة يُفَجّعن بـالـظّلّ هـامـاً سُكُـوَنـا[6]
وعـلّمنـا الـضّـرب آبـاؤنـا وسـوف نُـعـلّم أيـضـاً بَـنـيـنـا
جِـلادَ الـكُـمـاة، وبـذْلَ الـتّـلا د، عن جُـلّ أحسـابنـا مـا بَقِينـا
إذا مـرّ قِـرْن كـفـى نَـسْـلُه وأوْرثـه بـعـده آخـريـنـا
نَـشـبّ وتَـهْـلك آبـاؤنـا وبـيـنـا نُـرَبّي بَـنـيـنـا فنِـيـنـا
سـألتُ بـك ابنَ الـزِّبَـعْـرَى فلم أُنَبّـأكَ في الـقـوم إلّا هـجـينـا
خبيثـاً تُـطيف بـك المُـنْـديـات مُقيـمـاً على الـلُّؤْم حينـاً فَحينـا
تـبجّـسْت تَـهْـجـو رسـول الـمليـ ـك قـاتَـلَك الله جِلْفـاً لَعِيـنـا
تـقـول الـخَـنَـا ثمّ تـرْمـي بـه نَـقـيّ الـثيـاب تـقـيّـاً أمـيـنـا

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله «نشبّ وتهلك آباؤنا» والبيت

(١) قلصت: ارتفعت. أي ارتفعت نيران الحرب. العَوان: الحرب المستمرّة. والضروس: القوية. العضوض: كثيرة العضّ. الحجون: التي لا يُعرف لها نهاية.
(٢) الأرين: جمع إرة: وهي مستوقد النار.
(٣) القواحز: القلق. المقرفون. جمع مقرف: النذل الدنيء.
(٤) أعراضه: جوانبه. المنزف: من ذهبت الخمر بلُبّه.
(٥) خُرْس الحَسيس: السيوف الصامتة. أجِمْن: مللْن. الجفون: أغماد السيوف.
(٦) الظل: ظلال السيوف. الهام: الرءوس. السكون: الساكن.

الذي يليه، والبيت الثالث منه: أبو زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضاً، في يوم أُحُد:

سائلْ قُريشاً غداةَ السَّفْح من أُحُدٍ ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا من الهَربِ
كنّا الأسودَ وكانوا النُّمْر إذ زَحَفوا ... ما إنْ نُراقب من آلٍ ولا نَسَب
فكم تركْنا بها من سيِّد بطلٍ ... حامي الذِّمار كريم الجدّ والحَسَب
فينا الرسولُ شهابٌ ثمّ يَتْبعه ... نورٌ مضيء له فضْلٌ على الشُهُب
الحقّ مَنْطِقُه والعَدْل سِيرَتُه ... فمَنْ يُجبْه إليه يَنْجُ من تَبَب
نَجْد المُقَدَّم، ماضي الهمّ، مُعتزِم ... حين القُلوب على رجْفٍ من الرُّعُب
يمضي ويَذْمُرنا عن غير مَعْصية ... كأنه البدرُ لم يُطبع على الكذب
بدا لنا فاتَّبَعْناه نُصدِّقه ... وكذَّبوه فكنّا أسعَدَ العَرب
جالوا وجُلنا فما فاءوا وما رَجعوا ... ونحن نَثْقِفنهم لم نألُ في الطلب
ليسا سواءً وشتّى بين أمرِهما ... حزْبِ الإله وأهل الشِّرْك والنُّصُب(١)

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «يمضي ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال عبدالله بن رواحة يبكي حمزة بن عبدالمطلب: قال ابن هشام أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

بكت عيني وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغني البُكاءُ ولا العَويلُ
على أسدِ الإلهِ غداةَ قالوا ... أحَمزةُ ذا كُم الرجلُ القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أُصيب به الرسول
أبا يَعْلى لك الأرْكانُ هُدَّت ... وأنت الماجد البَرُّ الوَصُول
عليك سلامُ ربّك في جِنانٍ ... مُخالطها نَعيمٌ لا يَزُول
ألا يا هاشمُ الأخيار صَبْراً ... فكُلّ فِعالكم حَسَنٌ جميل
رسولُ الله مُصْطَبر كريمٌ ... بأمر الله ينطِق إذ يقول

---

(١) الأبيات في عيون الأثر ٢/٣٤.

ألا مــن مُــبْـلِغ عــنّي لُــؤَيّــاً ... فــبــعــد الــيــوم دائــلــةٌ تَــدُول[1]
وقبــل اليوم مــا عَــرَفــوا وذاقــوا ... وقــائِـعَنــا بهــا يُشـفَـى الـغـلـيــل
نَسِيـتم ضَــرْبَـنــا بـقَـلِيب بــدرٍ ... غــداةَ أتــاكُـمُ المــوتُ العَـجـيــل
غــداةَ ثَــوى أبــو جَــهْــل صريعَــاً ... عــلــيــه الــطــيرُ حــائــمــة تَجُــول
وعُــتــبــة وابــنُــه خَــرّا جمــيــعــاً ... وشَيبــةُ عضّــة السيفُ الـصَّـقِـيــل
ومَــتْــركُــنــا أُمــيّــةَ مُجْــلَعِـبّــاً ... وفي حَــيْــزُومــه لَــدْن نــبــيــل[2]
وهــامَ بــني ربــيــعــة ســائــلُوهــا ... فــفــي أســيــافنــا مــنهــا فُــلُول
ألا يــا هــنــدُ فــابكــي لا تَمَــلّي ... فــأنت الــوالــه العَــبْرى الهَبُــولُ[3]
ألا يــا هــنــدُ لا تُبـدي شِـمـاتـاً ... بــحــمْـزة إنّ عــزّكــم ذلــيــل[4]

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك:

أبــلِغْ قــريــشــاً عــلى نَــأْيهــا ... أتَــفْــخَــر مــنّــا بمــا لم تَــلي
فَخَــرْتُم بــقَـتـلى أصــابــتــهُـمُ ... فــواضــلُ مــن نِــعَــم المُــفْــضِــل
فَحَــلّوا جِــنــانــاً وأبْــقَــوا لــكــم ... أُســوداً تُحــامــي عــن الأَشْــبُــل
تُـقــاتِــل عــن دِينهــا، وَسْــطَهــا ... نــبــيٌّ عــن الحــقّ لم يَــنْــكــل
رَمَــتْــه مَــعَــدٌّ بــعُــور الــكَــلام ... ونُــبْــل الــعَــداوة لا تــأْتــلي[5]

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لم تلي»، وقوله: «من نعم المفضل» أبو زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال ضِرار بن الخطّاب في يوم أُحُد:

مــا بالُ عينكَ قد أزْرى بهــا السُّهــد ... كــأنّمــا جــال في أجفــانها الــرَّمــدُ

---

(١) الدائلة: يقصد بها الحرب.
(٢) مُجْلَعِبّاً: متمدّداً على الأرض. الحيزوم: أسفل الصدر. اللدن النبيل: الرمح العظيم.
(٣) الهبول: الفاقدة.
(٤) في عيون التواريخ (١٤) بيتاً بـإسقاط بيتين. (١/ ١٧٠، ١٧١)، وفي مرآة الجنان ١/ ٨ (٥) أبيات.
(٥) لا تأتلي: لا تقصر.

أمِنْ فِـراقِ حبيبٍ كنتَ تـألـفـه … قـد حـالَ من دونـهِ الأعـداءُ والبُعـد
أم ذاك من شغْب قَومٍ لا جَدَاء بهم … إذ الحُـروب تـلظَّت نـارُهـا تَقِـد
مـا يَنْتَهُـون عن الغَيِّ الـذي رَكِبـوا … ومـا لهـم من لُـؤَيّ ويْحهـم عـضُـد
وقـد نَشَـدنـاهُمُ بـالله قـاطبـةً … فـما تـردّهـم الأرحـامُ والنّشَـد(١)
حـتى إذا مـا أَبَـوْا إلاّ محُـاربـةً … واستحْصدت بيننا الأضْغـان والحقد
سِرْنـا إليـهم بجَيْش في جـوانبـه … قـوانِسُ البَيض والمحبوكـةُ السَّرد(٢)
والجُرْد تَـرْفُـل بـالأبـطال شازِبـةً(٣) … كـأنّها جِـدَأُ في سَـيْرهـا تُـؤَد
جيش يقـودهُمُ صخْـر ويـرأسـهُمْ … كـأنّـه لَيْثُ غـابٍ هـاصرٌ حَـرِد(٤)
فـأَبْـرَز الحَـيْنُ قـومـاً من منازلهم … فـكـان منّـا ومنهم مُـلْتَقـىً أُحُـد
فغُـودِرت منهـمُ قَـتْـلى مُجـدَّلـة … كـالمَعْز أصْـرَدَه بـالصَّرْدح الـبَرَد(٥)
قتْـلى كِـرامٌ بنـو النجّـار وسْـطهم … ومُصْعب من قَنَـانـا حـولَـه قِصَـد(٦)
وحمزة القَـرْم(٧) مصْروع تُـطيف بـه … ثَكْلَى وقـد حُزَّ منـه الأَنْف والكِبـد
كـأنـه حـين يكْبُـو في جَـديّتـه … تحت العَجاجِ وفيـه ثَعْلَب جَسِـد(٨)
حُـوارِ نـابٍ(٩) وقـدْ ولّى صَحَـابتـه … كـما تـولّى الـنعَـام الهـارِب الشُّرد
مـجلِّحـين ولا يَلْوون قـد مُلِئـوا … رُعْبـاً، فنجّتهم العَـوْصَاء والكُؤُد(١٠)
تبكي عليهم نـسـاءٌ لا بعُـولَ لهـا … من كـلّ سالبة أثـوابُهـا قِـدَد(١١)

---

(١) النشد: الأيمان.
(٢) القوانس: ما علا بيض السلاح. المحبوكة: جيّدة الصنع. والسرد. السنج، ويريد بها هنا الدروع.
(٣) الجُرْد: عتاق الخيل. شازبة: ضامرة.
(٤) هاصر: كاسر. حرِد: غاضب.
(٥) أصرده: برّده. الصردح: المكان الصلب.
(٦) قِصَد: قِطَع.
(٧) القَرْم: السيد.
(٨) الجَدِيّة: الدم السائل. الثعلب: الجزء الداخل من الرمح في السنان. جسد: الدم الجامد.
(٩) الحُوار: ولد الناقة. الناب: المُسِنّة من الإبل.
(١٠) مُجلّحين: مصمّمين. العوصاء: العقبة الشديدة الصعبة. الكؤد جمع كؤود: عقبة صعبة المرتقى، أو صعبة المصعد.
(١١) السالبة: اللابسة للسلاب وهو لباس الحزن. قِدد: قِطع.

وقد تركناهم للطَّيْر ملْحمة ... وللضباع إلى أجسادهم تَفِد[1]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لضِرار:

قال ابن إسحاق: وقال أبو زَعْنَة[2] بن عبدالله بن عمرو بن عُتبة، أخو بني جُشَم بن الخزرج يوم أُحُد:

أنا أبو زَعْنَة يعدو بي الهُزَمْ ... لم تُمنعِ المَخْزاة إلاّ بالألَم[3]
يحمي الذّمارَ خَزْرجيٌّ من جُشَم

قال ابن إسحاق: وقال عليّ بن أبي طالب - قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين يوم أُحُد غير عليّ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشِعر، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعليّ:

لاهُمّ إنّ الحارث بن الصَّمَّةْ ... كان وفيّاً وبنا ذا ذِمّةْ
أقبل في مَهامِهٍ[4] مُهِمّةْ ... كَلِيلة ظَلْماءَ مُدْلَهِمّةْ
بين سيوف ورِماح جَمّةْ ... يبغي رسول الله فيما ثَمّةْ

قال ابن هشام: قوله: «كليلة» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عِكرمة بن أبي جهل في يوم أُحُد:

كُلّهم يزجره أَرْحِبْ هَلاَ[5] ... ولن يَرَوْه اليومَ إلاّ مُقْبِلا
يَحْمِل رُمحاً ورَئيسا جَحْفلا

وقال الأعشى بن زُرارة بن النّبّاش التميميّ - قال ابن هشام: ثم أحد بني أسد بن عمرو بن تميم - يبكي قتلى بني عبدالدار يوم أُحُد:

---

(١) في عيون الأثر (٨) أبيات منها. (٢/٣٤، ٣٥).
(٢) قال أبو ذرّ في شرح السيرة: «كذا وقع هنا بالنون، وزعبة، بالزاي والعين المهملة والباء المنقوطة بواحدة من أسفلها. كذا قيّده الدارقطني».
(٣) الهزم: اسم فرس.
(٤) المهامة: القفار.
(٥) أرحب هلا: كلمة تُزجر بها الخيل.

حُيَيَّ من حيٍّ عليٍّ نأيهم ... بنو أبي طلحة لا تُصْرَف[1]
يَمُرّ ساقيهم عليهم بها ... وكلُّ ساقٍ لهم يُعْرف
لا جارُهم يشكو ولا ضيفُهم ... من دونه بابٌ لهم يَصْرِف

وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى يوم أُحُد:

قتلنا ابنَ جحْش فاغتبطنا بقتْله ... وحمزة في فرسانه وابن قَوقل
وأفْلَتَنا منهم رجالٌ فأسرَعوا ... فليتهُم عاجُوا ولم نتعجّل
أقاموا لنا حتى تعضَّ سُيوفنا ... سَراتَهم وكلّنا غير عُزَّل
وحتّى يكون القتلُ فينا وفيهمُ ... ويَلْقَوا صَبوحاً شَرَّه غيرَ مُنْجلي

قال ابن هشام: وقوله: «وكلّنا» وقوله: «ويلقَوا صبوحاً»: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت صفية بنت عبدالمطّلب تبكي أخاها حمزة بن عبدالمطّلب:

أَسائلة أصحاب أُحْد مخافةً ... بناتُ أبي من أَعْجَم وخَبير
فقال الخبير إنّ حمزة قد ثَوَى ... وزيرُ رسولِ الله خيرُ وزير
دعاه إله الحقّ ذو العرش دعوةً ... إلى جنّة يحيا بها وسُرور
فذلك ما كنّا نرجّى ونُرتَجي ... لحمزة يوم الحشْر خير مَصير
فوالله لا أنساك ما هبّت الصّبا ... بكاءً وحزناً مَحْضَري ومَسِيري
على أسد الله الذي كان مِدْرَهاً[2] ... يَذُود عن الإسلام كلَّ كفور
فيا ليتَ شَلْوي[3] عند ذاك وأعظُمي ... لدى أضْبُع تعتادني ونُسور
أقول وقد أعلى النَّعِيّ عشيرتي ... جزى الله خيراً من أخٍ ونصير

قال ابن هشام: وأنشدني بعض أهل العلم بالشِعر قولها:

بكاء وحزناً مَحْضَري ومَسِيري

(١) لا تُصرف: لا تُردّ.
(٢) المِدْرَه: من يدافع عن القوم.
(٣) الشلو: بقيّة الفريسة.

قال ابن إسحاق: وقالت نُعم، امرأة شَمّاس بن عثمان، تبكي شمَّاساً، وقد أصيب يوم أُحُد:

يا عَينُ جُودي بفَيْضٍ غيرِ إبْساسِ ... على كريمٍ من الفِتْيان أبّاسِ[1]
صعْبِ البديهة ميمونٍ نقيبتُه ... حَمّالِ ألوية رَكّاب أفراس
أقولُ لما أتى الناعي له جَزعاً ... أوْدَى الجوادُ وأوْدَى المُطْعِم الكاسي
وقلتُ لما خلَت منه مَجالسُه ... لا يُبعد اللهُ عنّا قُربَ شمّاس[2]

فأجابها أخوها، وهو أبو الحَكَم بن سعيد بن يربوع، يُعزِّيها، فقال:

إقْنَيْ حياءَكِ في سِتْرٍ وفي كَرَم ... فإنّما كان شَمّاس من الناسِ
لا تقتُلي النفسَ إذ حانت مَنِيّته ... في طاعة الله يوم الرَّوْع والباس
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصْطَبِري ... فذاق يومئذٍ من كأسِ شمّاس[3]

وقالت هند بنت عُتبة، حين انصرف المشركون عن أُحُد:

رجعتُ وفي نفسي بلابلُ جَمّةٌ[4] ... وقد فاتَني بعضُ الذي كان مَطْلبي
من اصحاب بدرٍ من قُريش وغيرهم ... بني هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولكنّني قد نِلْتُ شيئاً ولم يكن ... كما كنتُ أرجو في مسيري ومرْكبي

قال ابن هشام: وأنشدني بعض أهل العلم بالشِعر قولَها:

وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي

وبعضهم يُنكرها لهند، والله أعلم.

---

(١) الإبساس في الأصل: مسح درع الناقة والقول لها بس بس ليدرّ، فالإبساس فيه تكلّف. وغير الإبساس: أي بغير تكلّف. والأبّاس: الشديد. وفي الأصول «لبّاس».
(٢) عيون الأثر ٢/٣٥.
(٣) عيون الأثر ٢/٣٥.
(٤) البلابل: الأحزان

ذِكْر يوم الرَّجيع[1] في سنة ثلاث

مقتل خُبَيْب وأصحابه: قال حدّثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائيّ، عن محمد بن إسحاق المطّلبي، قال: حدّثنا عاصم بن عمر بن قَتادة، قال: قدِم على رسول الله ﷺ بعد أُحُد رَهْط من عُضَل والقارة.

قال ابن هشام: عُضَل والقارة، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مدركة.

قال ابن هشام: ويقال: الهُون، بضم الهاء.

قال ابن إسحاق: فقالوا: يا رسول الله، إنّ فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا في الدّين، ويُقرئوننا القرآن، ويعلّموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ نفراً ستة[2] من أصحابه، وهم مَرْثَد بن أبي مَرْثَد

---

(١) المغازي للواقدي ١/٣٥٤، ٣٦٣، الطبقات الكبرى ٢/٥٥ (واسمها: سريّة مَرْثد بن أبي مرثد)، المغازي لعروة ١٧٥ ـ ١٧٧، جوامع السيرة ١٧٦، الدرر لابن عبد البر ١٦٨، تاريخ الطبري ٢/٥٣٨ ـ ٥٤٢، الأغاني ٤/٢٢٥ ـ ٢٢٧، المحبّر ١١٧، ١١٨، تاريخ خليفة ٧٤ ـ ٧٦، البدء والتاريخ ٤/٢٠٩، الكامل في التاريخ ٢/١٦٧ (حوادث سنة ٤ هـ)، نهاية الأرب ١٧/١٣٣ ـ ١٣٧، عيون التواريخ ١/١٧٩ ـ ١٨٢، عيون الأثر ٢/٤٠ ـ ٤٣، الروض الأنف ٣/٢٣٣، سيرة ابن كثير ٣/١٢٣ ـ ١٣٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) ذكر البخاري انهم كانوا عشرة. . .ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار. (انظر المغازي ٥/٤٠ باب غزوة الرجيع).

الغَنَوِيّ، حليف حمزة بن عبدالمطّلب، وخالد بن البُكَير اللَّيْثيّ، حليف بني عدِيّ بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ وخُبيب بن عَدِيّ، أخو بني جَحْجَبى بن كلفة بن عموو بن عوف، وزيد بن الدَّثِنَة[1] بن معاوية أخو بني بياضة بن عمرو بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج؛ وعبدالله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

وأمَّر رسول الله ﷺ على القوم مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ، فخرج مع القوم. حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهُذَيل بناحية الحجاز، على صدور الهدأة[2] غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هُذَيلاً، فلم يرُع القومَ، وهم في رحالهم، إلّا الرجال بأيديهم السيوف، قد غشوهم؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم: إنّا والله ما نريد قتلكم، ولكنّا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

فأما مَرْثَد بن أبي مَرْثَد، وخالد بن البُكَير، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً؛ فقال عاصم بن ثابت:

ما علّتي وأنا جَلْدٌ نابِلُ ... والقوسُ فيها وترٌ عُنابِلُ[3]
تَزِلُّ عن صفحتها المعابِلُ[4] ... الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ
وكُلُّ ما حَمَّ الإلهُ نازلُ ... بالمرء والمرءُ إليه آئِلُ[5]
إنْ لم أقاتِلْكم فأُمّي هابلُ[6]

---

(١) الدَّثِنَة: ضُبط في المواهب اللدنية: بفتح الدال وكسر الثاء مع فتح النون المشدّدة. وزاد البرهان: وقد تسكّن الثاء. وضبطه صاحب القاموس بكسر الثاء مع فتح النون المخفّفة.

(٢) الهدأة: موضع بين عُسفان ومكة، كما ذكر البخاري في صحيحه.

(٣) النابل: صاحب النبل. والعُنابل: الشديد.
والبيت في المغازي للواقدي ١/٣٥٥
ما علّتي وأنا جَلْدٌ نابلُ ... النبلُ والقوسُ لها بلابل

(٤) المعابل: الأنصال العريضة.

(٥) آئل: صائر.

(٦) القول في المغازي للواقدي ١/٣٥٥، والبدء والتاريخ ٤/٢١٠.

قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أبو سليمان وريش المُقعد ... وضالّة مثل الجحيم المُوقدِ[1]
إذا النّواجي افترشت لم أُرْعد ... ومُجنأ من جلْد ثَوْرٍ أجْردِ[2]
ومؤمن بما على محمد[3]

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أبو سليمان ومثلي رامَى ... وكان قومي معشراً كِراما[4]

وكان عاصم بن ثابت يُكَنَّى: أبا سليمان. ثم قاتل القوم حتى قتل وقُتل صاحباه.

فلما قُتل عاصم أرادت هُذَيل أخْذ رأسه، ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أُحُد: لئن قدِرَتْ على رأس عاصم لتشربنّ في قِحْفِهِ الخمر، فمنعه الدَّبْر[5]، فلما حالت بينه وبينهم قالوا: دعوه يمسي فتذهب عنه، فنأخذه. فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصماً، فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مُشرك، ولا يمسّ مشركاً أبداً، تنجُساً؛ فكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول: حين بلغه أنّ الدَّبْر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نَذَر أن لا يمسّه مشرك، ولا يمسّ

(١) المقعد: رجل يريش النبل. الضالة: يريد بها القوس. وهي في الأصل شجرة تصنع منها القسيّ.

(٢) النواجي: الإبل السريعة. افترشت: عمرت. المجنأ: الترس لا حديد فيه.

(٣) القول في البدء والتاريخ ٤/ ٢١٠

«ومجنأ من مسك ثور أجرد ... ومؤمن بما تلا محمد»

(٤) القول في مغازي الواقدي ١/ ٣٥٦.

أنا أبو سليمان ومثلي رامَى ... ورثت مجْداً معشراً كراما
أصبتُ مَرْثداً وخالداً قياما

وانظر الأغاني ٤/ ٢٣١.

(٥) الدّبر: جماعة النحل. ويقال الزنابير ونحوهما مما سلاحها في أدبارها. (تاج العروس ١١/ ٢٥٣).

مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته[1].

وأما زيد بن الدَّثِنَة، وخُبَيب بن عدِيّ، وعبدالله بن طارق، فلانوا ورقّوا ورغِبوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم، فأسروهم، ثم خرجوا إلى مكة، ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظَّهْران[2]. انتزع عبدالله بن طارق يده من القران[3]، ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره، رحِمه الله، بالظهران[4]؛ وأما خُبَيب بن عدِيّ وزيد بن الدَّثِنَة فقدِموا بهما مكة.

قال ابن هشام: فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة.

قال ابن إسحاق: فابتاع خُبَيبا حُجير بن أبي إهاب التميميّ، حليف بني نوفل، لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نَوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمّه فقتله بأبيه.

قال ابن هشام: الحارث بن عامر، خال أبي إهاب، وأبو إهاب، أحد بني أسيِّد بن عمرو بن تميم؛ ويقال: أحد بني عُدْس بن زيد بن عبدالله بن دارم، من بني تميم.

قال ابن إسحاق: وأما زيد بن الدَّثِنَة فابتاعه صفوان بن أُميّة ليقتله بأبيه، أُميَّة بن خَلَف، وبعث به صفوان بن أُميّة مع مولى له، يقال له نِسطاس، إلى التنعيم[5]، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه، واجتمع رهْط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتَل: أنشدك الله يا زيد، أتحبّ أنّ محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عُنُقه، وأنّك في أهلك؟ قال: والله ما أحبّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني

---

(١) الأغاني ٤/٢٢٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) الظهران: واد قريب من مكة.

(٣) القران: الحبل الذي يُربط به الأسير.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٣٩، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٥) موضع خارج مكة في الحلّ.

جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت في الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمد محمداً؛ ثم قتله نِسطاس، يرحمه الله[1].

وأما خُبَيب بن عديّ، فحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، أنه حُدّث عن ماويَّة، مولاة حُجَير بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان خُبيب عندي، حُبس في بيتي، فلقد اطّلعت عليه يوماً، وإنّ في يده لقِطْفاً من عِنب، مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عِنباً يُؤكل[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة وعبدالله بن أبي نَجيح جميعاً أنها قالت: قال لي حين حضره القتل: ابعثي إليّ بحديدة أتطهّر بها للقتل، قالت: فأعطيت غلاماً من الحيّ الموسى؛ فقلت: ادخل بها على هذا الرجل البيت، قالت: فوالله ما هو إلّا أن ولّى الغلام بها إليه؛ فقلت: ماذا صنعتُ؟ أصاب والله الرجلُ ثأرَه بقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لَعَمْرك، ما خافت أمُّك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إليّ، ثم خلّى سبيله[3].

قال ابن هشام: ويقال: إنّ الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخُبَيب، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه، قال لهم: إنْ رأيتم أن تَدَعُوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين أتمّهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أنْ تظنّوا أنّي إنّما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. قال: فكان خُبَيْب بن عدِيّ أوّل من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين[4]. قال: ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه، قال: اللهم إنّا

---

(١) الطبقات الكبرى ٥٦/٢، تاريخ الطبري ٥٤٢/٢.

(٢) الخبر في الإصابة ٤٠٦/٤ رقم ٩٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٤٩/١، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) انظر: المغازي للواقدي ٣٥٨/١، وتاريخ الطبري ٥٤٠/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) وقد صار فعل خبيب سُنّة وإن كانت السُّنّة إنما هي أقوال أو أفعال من النبيّ ﷺ. وهي أيضاً إقرار وقد حدثت في حياته فلم يُنكر فالصلاة هي خير ما يختم بها العبد حياته.

قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلّغه الغداةَ ما يُصنع بنا، ثم قال: اللهم أحصِهم عدداً، واقتلهم بَدَداً[1]، ولا تغادر منهم أحداً. ثم قتلوه رحِمه الله[2].

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرتُه يومئذٍ فيمن حَضَره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خُبَيب، وكانوا يقولون: إنّ الرجل إذا دعي عليه، فاضطّجع لجنْبه زالت عنه.

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، عن عُقبة بن الحارث، قال سمعته يقول: ما أنا والله قتلت خُبَيباً، لأنّي كنت أصغر من ذلك، ولكنْ أبا مَيْسرة، أخا بني عبدالدار، أخذ الحَرْبة فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحَرْبة، ثم طعنه بها حتى قتله.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا، قال: كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحيّ على بعض الشام، فكانت تصيبه غَشية، وهو بين ظهري القوم، فذكر ذلك لعمر بن الخطّاب، وقيل: إنّ الرجل مُصاب، فسأله عمر في قدْمة قدِمها عليه، فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكنّي كنت فيمن حضر خُبيب بن عَدِيّ حين قُتل، وسمعت دعوته، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قطّ إلا غُشي عليّ، فزادته عند عمر خيراً[3].

قال ابن هشام: أقام خُبَيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحُرُم، ثم قتلوه.

---

(١) بدداً: متفرّقين.

(٢) أخرج هذا الحديث البخاري في المغازي (٥/٤١) باب غزوة الرجيع، وزاد فيه شعراً

ما أبالي حين أقتل مسلماً ... على أيّ شقّ كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْو مُمزّع

وانظر: المغازي لعروة ١٧٧، ونهاية الأرب ١٣٦/١٧، ١٣٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٤١/٢، والبداية والنهاية ٦٣/٤، وتاريخ الطبري ٥٤١/٢، والأغاني ٢٢٩/٤.

(٣) المغازي للواقدي ٣٥٩/١، ٣٦٠.

ما نزل في سرية الرجيع من القرآن: قال ابن إسحاق: وكان مما نزل من القرآن في تلك السريّة، كما حدّثني مولى لآل زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس.

قال: قال ابن عباس: لما أصيبت السريّة التي كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: يا ويْح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم. فقال سبحانه: ﴿ومنَ ٱلنّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِيْ ٱلحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي لِما يُظهر من الإسلام بلسانه ﴿وَيُشْهِدُ الله عَلَىٰ مَا فيْ قَلْبِهِ﴾، وهو مُخالفٌ لِما يقول بلسانه، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلخِصَامِ﴾[1]: أي ذو جدال إذا كلّمك وراجعك.

قال ابن هشام: الألد: الذي يشغب، فتشتدّ خصومته، وجمعه: لُدّ، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَتُنْذِرْ بِهِ قَوْماً لُدًّا﴾[2].

وقال المهلهل بن ربيعة التغلبيّ، واسمه امرؤ القيس، ويقال: عديّ[3] بن ربيعة:

إنّ تحت الأحجار حدّاً ولينا وخصيماً ألدّ ذا مِعْلاقِ

ويُروى «ذا مِغلاق» فيما قال ابن هشام. وهذا البيت في قصيدة له، وهو الألندد. قال الطِّرِمّاح بن حُكَيم الطّائيّ يصف الحرباء:

يُوفي على جِذم الجَذُول[4] كأنّه خصْم أبرَّ على الخُصُوم ألَنْدد

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: أي خرج من عندك ﴿سَعَىٰ

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٠٤.

(٢) سورة مريم ـ الآية ٩٧.

(٣) هو عدي حقيقة، فقد صرّح مهلهل باسمه في القصيدة فقال:

ضربت صدرها إليّ وقالت يا عديا لقد وقتك الأواقي

(٤) يوفي: يشرف. الجذم: القطعة. الجَذُول: الأصول.

فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا، وَيُهْلِكَ ٱلحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ، وَٱللهُ لَا يُحِبُّ ٱلفَسَادَ﴾ أي لا يحبّ عمله ولا يرضاه. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ ٱلعِزَّةُ بِٱلإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلمِهَادِ. وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ، وَٱللهُ رَؤُوفٌ بِٱلعِبَادِ﴾[1]: أي قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله والقيام بحقّه، حتى هلكوا على ذلك، يعني تلك السريّة.

قال ابن هشام: يشْري نفسه: يبيع نفسه؛ وشروا: باعوا. قال يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحِمْيَرِيّ:

وشريت بُرْداً ليتني ... من بعد بُرْدٍ كنت هامة

برد: غلام له باعه. وهذا البيت في قصيدة له. وشرى أيضاً: اشترى.

قال الشاعر:

فقلت لها لا تجزعي أُمَّ مالك ... على ابنَيْك إنْ عبدٌ لئيمٌ شَراهُما

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في ذلك من الشِعر، قول خُبَيْب بن عدِيّ، حين بلغه أنّ القوم قد اجتمعوا لصَلْبه.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

لقد جمع الأحزاب حولي وألّبوا ... قبائلهم واستَجْمعوا كلَّ مُجَمَّعِ
وكلُّهم مُبْدي العداوةَ جاهدٌ ... عليّ لأنّي في وِثاقٍ بمُضَيعِ
وقد جمعوا[2] أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبْتُ من جِذْعٍ طويلٍ مُمَنَّعِ
إلى الله أشكو غُربتي ثم كُربتي ... وما أرصدَ الأحزابُ لي عند مصرعي
فذا العرش، صبّرني على ما يُراد بي[4] ... فقد بضَّعُوا لحمي وقد ياس[3] مطمعي
وذلك في ذات الإله وإنْ يشأ ... يُبارِكْ على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

(١) سورة البقرة ـ الآيات ٢٠٥ ـ ٢٠٧.
(٢) في نهاية الأرب «قرّبوا».
(٣) ياس: يئس.
(٤) في نهاية الأرب «على ما أصابني».
(٥) الشِلْو: بقيّة الشيء.

وقد خيَّروني الكُفْرَ والموتُ دُونَه ... وقد هملتْ عيناي من غير مَجْزَع[1]
وما بي حَذار الموت، إنّي لميت ... ولكنْ حِذارى جحم نار ملفّع[2]
فوالله ما أرجو إذا متُّ مسلماً ... على أيّ جَنْبٍ كان في الله مصْرعي[3]
فلستُ بمُبْدٍ للعدّو تخشُّعاً ... ولا جَزَعاً إنِّي إلى الله مرجعي[4]

وقال حسّان بن ثابت يبكي خُبَيْباً:

ما بالُ عيْنكَ لا تَرْقا مدامعُها ... سحًّا على الصَّدْر مثل اللؤلُؤ القَلِق[5]
على خُبَيْبٍ فتَى الفِتْيان قد عِلموا ... لا فَشلٍ حين تلقاه ولا نَزِق
فاذهبْ خُبيبُ جَزاكَ الله طيِّبةً ... وجنّة الخُلْدِ عند الحُور في الرُّفُق[6]
ماذا تقولون إنْ قال النبيُّ لكم ... حين الملائكة الأبرار في الأُفق
فيمَ قتلتمْ شهيدَ الله في رجلٍ ... طاغٍ قد أوعثَ[7] في البُلدان والرُّفَق

قال ابن هشام: ويُروى: الطرق. وتركنا ما بقي منها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يبكي خُبَيْباً:

يا عينُ جُودِي بدمعٍ منكِ مُنْسَكِبِ ... وابكي خُبَيْباً مع الفِتْيان لم يَؤُبِ
صقْراً توسَّط في الأنصار مَنْصِبهُ ... سمْحَ السَّجِيّة مَحْضاً غيرَ مُؤْتَشب[8]
قد هاج عيني على عِلّات عَبْرتها ... إذ قيل نُصَّ[9] إلى جِذْعٍ من الخَشب

---

(١) البيت في نهاية الأرب:
وقد عرّضوا بالكفر والموت دونه ... وقد ذرفت عيناي من غير مدمع
(٢) الملفّع: المشتمل. وفي نهاية الأرب: «ولكن حذاري حرّ نار تلفع».
(٣) يرد هذا البيت بألفاظ مختلفة. راجع: المغازي لعروة ١٧٧، ونهاية الأرب ١٧/١٣٧، والمواهب اللدنية.
(٤) ورد (٦) أبيات في المغازي لعروة ١٧٧، وكلها في نهاية الأرب ١٧/١٣٦، ١٣٧، ومنها بيتان في عيون التواريخ ١/١٨١، وعيون الأثر ٢/٤١، وكلها في تاريخ الإسلام (المغازي).
(٥) القلِق: المتحرّك.
(٦) الرُّفُق: جمع رفيق.
(٧) أوعث: أفسد.
(٨) المحض: الخالص. وغير مؤتشب· غير مختلط.
(٩) نُصّ: رُفع.

يـــأيّهـا الـــراكبُ الغـــادي لِـــطَيّتـــهِ ... أبلِغْ لـديكَ وعَيـداً ليس بالكـــذب[1]
بني كُهَيْبَـــةَ أنّ الحـــرب قـــد لَقَّحَتْ ... محلوبها الصّاب إذ تمري لـمحتَلِب[2]
فيهـــا أسُـــود بني النّجّـــار تَقْـــدُمُهم ... شُهْبُ الأسِنَّة في مُعْصـوصبٍ لَجِب[3]

قـال ابن هشام: وهـذه القصيـدة مثـل التي قبلهـا، وبعض أهـل العلم بـالشِعر يُنكـرهما لحسّـان، وقد تـركنا أشيـاء قالهـا حسّان في أمـر خُبَيْب لما ذكرتُ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

لـو كان في الـدار قَرم مـاجـدٌ بَـطل ... ألْـوى[4] من القوم صقْـر خـالُـه أَنَسُ
إذن وجـدتَ خُبَيبـاً مجلِســاً فَسِحـاً ... ولم يُشَـدّ عليـك السّجنُ والحَـــرَس
ولم تَسُـقْــك إلى الـتنـعيـم زِعْنـفَــة ... من القبـائل منهم من نَفت عُـدَس[5]
دلّـوك[6] غدْراً وهم فيهـا أولـو خُلُفٍ ... وأنت ضَيْم لهــا في الـــدار مُحْتَبس

قـــال ابن هشـام: أنس: الأصمّ السلميّ: خـــال مُـطعِم بن عـــديّ بن نـوفل بن عبـد مَناف. وقـوله: «من نفت عُـدَس» يعني حُجَير بن أبي إهـاب: ويقـال الأعشى بن زُرارة بن النّبّاش الأسـديّ وكان حليفـاً لبني نوفـل بن عبـد مَناف.

---

(١) الطيّة: ما تنطوي عليه النيّة.
(٢) جعل كُهَيْبة كأنه اسم علم لأمّهم، وهذا كما يقال: بني ضوطرى وبني الغبراء وبني درزة. قال الشاعر:

أولاد درزة أسلموك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يُسب، وعبارة عن السَّفلة من الناس، وكُهَيْبة من الكُهبة وهي العبرة، وهذا كما قالوا: بني الغبراء وأكثر أشعار حسّان في هذه القصة، قال فيها: من هُذَيل، لأنهم إخوة القارة، والمشاركون لهم في الغدر بخُبيب وأصحابه، وهُذَيل وخُزيمـة أبناء مُدْركـة بـن اليـاس وعُضَـل والقـــارة من بني خُـزيمـــة. . (عن الـروض الأنف ٢٣٧/٣). ولقّحت: زاد شرّها. الصاب: العلقم. تمري: تمسح.
(٣) المُعصَوصِب: الجيش الكبير.
(٤) ألْوى: شديد الخصومة.
(٥) الزعنفة: الذين ليسوا خُلّصاً في القبائل المُنتمين إليها. وعُدَس: اسم قبيلة.
(٦) دلّوك: غرُّوك.

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجلبوا على خُبَيب في قتله حين قُتل من قريش: عِكرمة بن أبي جهل، وسعيد بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد ودّ، والأخنس بن شَرِيق الثقفي، حليف بني زُهْرة، وعُبَيدة بن حَكيم بن أُميّة بن حارثة بن الأوقص السُّلميّ، حليف بني أُميّة بن عبد شمس، وأُميّة بن أبي عُتبة، وبنو الحضْرميّ.

وقال حسّان أيضاً يهجو هُذَيلاً فيما صنعوا بخُبَيب بن عديّ:

أبلِغْ بني عمرٍو بأنّ أخاهم ... شَرَاهُ[1] امرؤٌ قد كان للغدر لازماً
شراهُ زُهَيرُ بن الأغَرّ وجامِعٌ ... وكانا جميعاً يَرْكبان المَحَارِما
أجرتُم فلمّا أن أجَرْتُم غَدَرْتُمُ ... وكُنتم بأكْتاف الرجيع لَهاذِما[2]
فليت خُبَيْباً لم تَخُنْهُ أمانةٌ ... وليت خُبَيْباً كان بالقوم عالما

قال ابن هشام: زُهير بن الأغرّ وجامع: الهُذليان اللذان باعا خُبَيباً.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

إن سَرَّك الغدْرُ صِرْفاً لا مِزَاح له ... فأتِ الرَّجيعَ فسلْ عن دارِ لِحيانِ
قومٌ تَوَاصَوا بأكْلِ الجارِ بينهُم ... فالكلْب والقِرد والإنسان مِثْلان
لو يَنْطِقُ التَّيْسُ يوماً قام يخطُبهم ... وكان ذا شَرَف فيهم وذا شانِ

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ قوله:

لو ينطق التَّيْس يوماً قال يخطبهم ... وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شان

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلاً:

سالتْ[3] هُذَيلٌ رسولَ الله فاحشةً ... ضلّت هُذَيل بما سالت ولم تُصِبِ
سالوا رسولَهم ما ليس مُعْطِيَهُمْ ... حتّى المماتِ، وكانوا سُبَّة العَرب

---

(١) شراه: باعه.
(٢) اللهاذم: السيوف القاطعة.
(٣) سالت: لغة في سألت.

ولن تــرى لهُــذَيــل داعيــاً أبــداً ... يـدعـو لمَكْـرُمـة عن منـزل الحَـرب
لقــد أرادوا خِــلالَ الفُحْش ويْحَهُمُ ... وأن يُحِلُّوا حـرامـاً كــان في الكُتب

وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلاً:

لَعَمْري لقد شـانتْ هُذَيـلَ بن مُدْرك ... أحـاديثُ كـانت في خُبيبٍ وعـاصمِ
أحــاديثُ لِحْيــان صَلوا بقبيحـهـا ... ولِحيـانُ جَـرّامـون شَـرَّ الجـرائم[1]
أنـاس همُ من قـومهم في صميمِهم ... بمَنْـزلـة الـزِّمْعـان دُبْـرَ القـوادِم[2]
هُم غـدرُوا يـوم الـرَّجيـعِ وأسْلَمت ... أمــانتُـهـم ذا عِـفـة ومَـكَـارم
رسـولَ رسـول الله غـدْراً ولم تكُن ... هُـذَيْـل تَـوَقّى مُنْكـراتِ المحـارم
فسـوف يَـرَوْن النَّصـر يـومـاً عليهمُ ... بقتْـل الذي تحميـه دون الحـرائم[3]
أبــابيــلُ دبْــرٍ شُمَّسٍ دون لَحْمـه ... حَمَت لحْم شَهَّـادٍ عِـظامَ المَـلاَحِم
لعــلّ هُـذَيــلاً أن يَـرَوْا بمُصَـابــه ... مَصَــارِعَ قتْـل أو مقـامـاً لِمَــاتم[4]
ونُــوقِـعَ فيهم وقعــة ذات صَـوْلَــةٍ ... يُـوافي بها الـرُكبـانُ أهـلَ المـواسم
بــأمــر رســول الله إنّ رَســولَــه ... رأى رأيَ ذي حَـزْم بلَحْيـانَ عـالِم
قُبَيِّـلةٌ لـيس الـوفـاءُ يُـهِـمّـهـم ... وإن ظُلِمـوا لم يَـدْفَعـوا كفّ ظالم
إذا النــاسُ حلّوا بــالقَضــاء رأيتهم ... بمَجْرى مَسِيل المـاء بين المخارم[5]
مــحـلُّهـم دارُ البَـوار ورأيُــهـم ... إذا نـابَـهم أمـرٌ كـرأي البهـائـم

وقال حسّان بن ثابت يهجو هُذَيلاً:

لَحى الله لَحْيــانــاً فليستْ دِمـاؤهم ... لنــا من قـتـيـلَيْ غَـدْرةٍ بـوفَـاء
همـو قتلوا يـوم الـرَّجيـع ابنَ حُــرّةٍ ... أخــا ثِـقـةٍ فــي وُدّه وصــفــاء
فلو قُتلوا يـوم الـرَّجيـع بـأسْـرهم ... بـذي الدَّبْـر مـا كـانـوا لـه بكِفـاء[6]

---

(١) صلوا بقبيحها: أصابهم شرّها. جرّامون: كسّابون.
(٢) الزِّمْعان: جمع زِمْعة: شعرة مُدَلّاة في مؤخّر رِجل الشاة أو غيرها. والدُبْر: الخلف.
(٣) يريد عاصم بن الأقلح فقد حمته الزنابير.
(٤) يريد: لمأتم.
(٥) المخارم: مسايل الماء.
(٦) ذو الدّبْر: هو عاصم بن الأقلح.

قتيلٌ حَمَتْه الدَّبْرُ بين بُيوتهم		لدى أهل كُفْرٍ ظاهر وجفاء
فقد قتلت لِحْيان أكرم مِنْهمُ		وباعُوا خُبَيباً ويلَهم بلَفاء[1]
فأُفٍّ للحْيانٍ على كلّ حالةٍ		على ذِكْرهم في الذِّكْر كُل عفاء[2]
قَبِيِّلَةٌ باللؤم والغدْر تَغْتري[3]		فلم تُمس يَخْفَى لُؤمها بخفاء
فلو قُتلوا لم تُوفِ منه دماؤهم		بلى إنّ قتْل القاتِليه شِفائي
فإلّا أمُت أذْعَر هُذَيلاً بغارةٍ		كغادِي الجَهَام المُغْتَدِي بإفَاءِ[4]
بأمر رسُول الله والأمرُ أمْره		يَبيتُ للحْيانَ الخَنا بفَناء
يُصبّح قوماً بالرّجيع كأنّهم		جِدَاء[5] شتاء بِتْنَ غيرَ دِفاء

وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلاً:

فلا والله ما تدري هُذَيلٌ		أصافٍ ماءُ زَمزمَ أم مَشُوبُ
ولا لهمُ إذا اعتمرُوا وحَجُّوا		من الحِجْرين والمسْعَى نَصيب
ولكنَّ الرَّجيع لهم مَحَلٌّ		به اللؤمُ المبيَّن والعُيوب
كأنّهمُ لدى الكنان أُصْلاً		تُيُوس بالحِجاز لها نَبِيب[6]
هم غَرُّوا بذمّتهم خُبَيباً		فبِئس العهدُ عهدُهم الكَذُوب

قال ابن هشام: آخرها بيتاً عن أبي زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت يبكي خُبَيباً وأصحابه:

صلّى الإله على الذين تَتَابَعُوا		يوم الرَّجيع فأُكْرِموا وأُثِيبُوا
رأس السريّة مَرْثَد وأميرهم		وابن البُكَير إمامهم وخُبَيب
وابن لطارقَ وابن دَثْنَة منهمُ		وافاه ثَمَّ حِمامُه المَكْتوب

---

(١) اللفاء: الشيء الحقير.
(٢) العفاء: التغيّر.
(٣) تغتري: يُغري بعضها بعضاً.
(٤) الغادي: المبكر. الجهام: السحاب القليل. والإفاء: الغنيمة.
(٥) جداء: جمع جدي.
(٦) الكنان: جمع كنّة. الأصل: جمع أصيل، وهو العشيّ. النبيب: الصوت.

والعــاصم المقتـول عنــد رَجِيعهم كَـسَـب الـمعــالـي إنّــه لَكَـسُــوب
مَنَــع المَقــادة أنْ ينــالــوا ظَـهْــره حـتّـى يُـجـالــد إنّــه لَـنَـجِـيــب

قال ابن هشام: ويُروى: حتى يجدّل إنه لنجيب.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان.

حديث بئر مَعُونة[1]
في صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ بقيّة شوال وذا القعدة وذا الحجّة ـ وولّى تلك الحجّة المشركون والمحرّم ـ ثم بعث رسولُ الله ﷺ أصحاب بئر معونة في صفر، على رأس أربعة أشهر من أُحُد.

وكان من حديثهم، كما حدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، وغيره من أهل العلم، قالوا: قدِم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة[2] على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسولُ الله ﷺ

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٤٥ ـ ٥٥٠، المغازي للواقدي ١/٣٤٦ ـ ٣٥٣، المغازي لعروة ١٧٨ ـ ١٨١، تاريخ خليفة ٧٦، ٧٧، الطبقات الكبرى ٢/٥١ ـ ٥٤، المحبّر ١١٨، الدرر في المغازي والسير ١٧٠ وما بعدها، جوامع السيرة ١٧٨ وما بعدها، البدء والتاريخ ٢١١، ٢١٢، الكامل في التاريخ ٢/١٧١ ـ ١٧٣، نهاية الأرب ١٧/١٣٠ ـ ١٣٣، عيون الأثر ٢/٤٣ ـ ٤٨، عيون التواريخ ١/١٨٤ ـ ١٨٦، سيرة ابن كثير ٣/١٣٩ ـ ١٤٤، مرآة الجنان ١/٩، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/٢٣٨، البداية والنهاية ٤/٧١ ـ ٧٤، مجمع الزوائد ٦/١٢٥ ـ ١٣٠.

(٢) وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة، سُمّي ملاعب الأسنّة في يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه وقيعة في أيام جبلة، وهي أيام حرب كانت بين قيس وتميم، وجبله اسم لهضبة عالية. وكان سبب تسميته في يوم سوبان ملاعب الأسنّة أنّ أخاه الذي يقال له فارس قُرْزل، وهو طُفيل بن مالك، كان أسلمه في ذلك اليوم، وفرّ فقال عمر:

فررتَ وأسلمتَ ابن أمّك عامراً ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

(الروض الأنف ٣/٢٣٨).

الإسلام، ودعاه اليه، فلم يُسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسولُ الله ﷺ: إنّي أخشى عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فلْيدعوا الناسَ إلى أمرك.

فبعث رسولُ الله ﷺ المنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة، المُعْنق ليموت[1] في أربعين رجلاً[2] من أصحابه، من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصِّمّة، وحرام بن ملْحان بن عديّ بن النجّار، وعُروة بن أسماء ابن الصّلت السّلميّ، ونافع بنُ بَديل بن ورقاء الخُزَاعيّ؛ وعامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر الصّدّيق، في رجال مسمّين من خيار المسلمين[3]. فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحَرّة بني سُلَيم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حَرّة بني سُلَيم أقرب.

فلما نزلوها بعثوا حَرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله ﷺ الى عدوّ الله عامر بن الطُفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر[4] أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجوازاً، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيم من عُصيّة ورِعل وذَكْوان، فأجابوه الى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعب بن زيد، أخا بني دينار ابن النجّار، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتُثّ[5] من بين القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيداً، رحمه الله[6].

---

(١) لقب لُقّب به لأنه اسرع الى الموت.
(٢) الصحيح أنهم كانوا سبعين كما وقع في البخاري ومسلم.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٤٦.
(٤) الإخفار: نقض العهد.
(٥) أي رفع من بين القتلى وفيه رمق.
(٦) تاريخ الطبري ٢/٥٤٦، ٥٤٧.

وكـان في سرْح القـوم عمرو بن أُميّـة الضّمْري، ورجـل من الأنصـار، أحد بني عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عُقبة بن الجُلاح.

قال ابن إسحاق: فلمْ ينبّئهما بمُصاب أصحابهما إلاّ الـطيرُ تحـوم على العسكـر، فقالا: والله إنّ لهـذه الطيـر لشأنـاً، فأقبـلا لينظرا، فـإذا القـوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاريّ لعمرو بن أميّة: مـا ترى؟ قال: أرى ان نلحق بـرسولِ الله ﷺ، فنخبـره الخبر، فقـال الأنصاريّ: لكنّي ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قُتـل فيه المنـذر بن عمرو، ومـا كنتُ لتخبرني عنه الرجال، ثم قاتل القوم حتى قُتل؛ وأخذوا عمرو بن أميّـة أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مُضَر، أطلقه عامر بن الطُفيل، وجزّ نـاصيته، وأعتقـه عن رقبة زعم أنها كانت على أمّه.(١)

فخـرج عمرو بن أُميّـة، حتى إذا كان بـالقرقـرة من صدر قنـاة(٢)، أقبـل رجلان من بني عامر.

قـال ابن هشام: ثم من بني كِـلاب، وذكر أبـو عمرو المـدني أنهما من بني سُلَيم.

قال ابن إسحاق: حتى نزلا معه في ظـلّ هو فيـه. وكان مـع العامـريّين عقد من رسول الله ﷺ وجوار، لم يعلم به عمرو بن أميّة، وقد سـألهما حين نزلا، ممّن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأمهلهما، حتى إذا ناما، عدا عليهمـا فقتلهما، وهو يـرى أنه قـد أصاب بهمـا ثؤرة من بني عامـر، فيما أصـابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدِم عمرو بن أُميّة على رسول الله ﷺ، فأخبـره الخبر؛ قال رسولُ الله ﷺ: «لقد قتلت قتيلين، لأدينّهما»!(٣)

ثم قـال رسولُ الله ﷺ: «هـذا عمل أبي بـراء، قـد كنت لهـذا كـارهـاً

---

(١) المغازي لعروة ١٧٩، ١٨٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٢/٥٤٧.
(٢) مكان قريب من المدينة.
(٣) أنظر المغازي لعروة ١٨٠ ومجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني.

متخوّفاً». فبلغ ذلك أبا براء، فشقّ عليه إخفار عامر إياه، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره، وكان فيمن أصيب عامر بن فُهَيْرة.[1]

قال ابن إسحاق: فحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه: أنّ عامر بن الطُفَيل كان يقول: من رجل منهم لما قُتل رأيته رُفع بين السماء والأرض، حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فُهَيْرة[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض بني جبار بن سُلْمى بن مالك بن جعفر، قال ـ وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم ـ قال فكان يقول: إنّ مما دعاني إلى الإسلام أنّي طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزت والله! فقلت في نفسي: ما فاز! ألست قد قتلت الرجل؟! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة، فقلت: فاز لَعْمرو الله[3].

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يحرّض بني براء على عامر بن الطفيل:

بني أمّ البنينَ[4] ألم يَرعْكُم وأنتُمْ من ذوائب أهل نَجْد

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٤٧.

(٢) هذه رواية البكّائي عن ابن إسحاق، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أنّ عامر بن الطُفَيل قدِم المدينة بعد ذلك، وقال للنبيّ عليه السلام: من رجل يا محمد لما طعنته رُفع الى السماء؟ فقال: هو عامر بنُ فَهيرة، وروى عبد الرزاق وابن المبارك أنّ عامر بن فهيرة التمس في القتلى، ففُقد، فيرون أنّ الملائكة رفعته أو دفنته. (الروض الأنف ٣/٢٣٩).
والحديث أخرجه البخاري في المغازي (٥/٤٣، ٤٤) باب غزوة الرجيع، و انظر تاريخ الطبري ٢/٥٤٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٤٨.

(٤) أم البنين: هي ليلى بنت عامر التي يذكرها لَبيد في قوله:
نحن بني أمّ البنين الأربعة
لم يكونوا أربعة بل كانوا إخوة خمسة: طُفَيل فارس قُرْزل، وعامر ملاعب الأسنّة، وربيعة المقترين وهو والد لَبيد، وعُبيدة الوضّاح، ومعاوية مُعَوّذ الحكماء وهو الذي يقول:
إذا سقط السماء بأرض قوم رَعَيناه وإن كانوا غِضابا
وفي هذا الشعر يقول:

تــهــكُّــمُ عــامــر بــأبــي بَــرَاء ... لِــيُــخْــفِــرَهُ ومــا خــطأٌ كــعــمْــد
ألا أبــلغْ ربــيــعَــةَ ذا الــمــســاعــي ... فمــا أحــدثــتَ في الحَــدَثــان بعْــدي
أبــوك أبــو الــحُــرُوب أبــو بَــراءٍ ... وخــالُــك مــاجِــدٌ حَكَمُ بن سعْــد[1]

قال ابن هشام: حكم بن سعد: من القَيْن بن جسر، وأمّ البنين: بنت عمرو بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي أمّ أبي براء.

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطُفَيل؛ فطعنه بالرمح، فوقع في فخذه، فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء، إنْ أمُت فدمي لعمّي، فلا يُتبعنّ به، وإن أَعِش فسأرى رأيي فيما أُتي إليّ.

وقال أنس بن عباس السُلميّ، وكان خال طُعيمة بن عدِيّ بن نوفل، وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخُزاعيّ:

تــركتُ ابنَ ورقاء الخُــزاعــي ثاويــاً ... بِمُعْتَرَكٍ تَسْفي عليــه الأعــاصــرُ
ذكــرتُ أبــا الــرّيّــان لمــا رأيتُــه[2] ... وأيقنتُ أنّي عنــد[3] ذلــك ثــائــر[4]

= يعــوذ مثلهــا الحكمــاءُ بعــدي ... إذا مــا الأمر في الحَــدَثان نــابا
وبهذا البيت سُمي مُعوِّذ الحكماء.
وإيّاهم عَنَى لَبيد حين قال بين يدي النعمان بن المنذر:
نحــن بنــي أمّ البنيــن الأربعــه ... المُطْعِمــون الجَفْنــة المدعــدعهْ
والضــاربون الهــام تَحت الخَيْضَعَهْ ... يــا ربَّ هَيْجا هي خيــر من دعــهْ
وإنّما قال: الأربعة، وهم خمسة، لأنّ أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك، لا كما قال بعض النحويين أنه قال إنّما قال أربعة، ولم يقل خمسة من أجل القوافي، فيقال له: لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوّله في قوله سبحانه: ﴿ولِمَنْ خَافَ مَقَام رَبّه جَنّتان﴾ وقال: أراد جنة واحدة، وجاء بلفظ التثنية، لتتفق رؤوس الآي. (الروض الأنف ٣/٢٣٨).

(١) الأبيات في: تاريخ الطبري ٢/٥٤٨، وديوان حسّان ١٠٧، وعيون الأثر ٢/٤٥، وعيون التواريخ ١/١٨٦، تاريخ الإسلام (المغازي)، وورد بيتان في الكامل في التاريخ ٢/١٧٢، ومجمع الزوائد ٦/١٢٧.

(٢) في المغازي للواقدي «عرفته».

(٣) في المغازي «يوم».

(٤) البيتان في المغازي للواقدي ١/٣٥٣.

وأبو الرّيّان: طُعيمة بن عديّ.

وقال عبد الله بن رَواحة يبكي نافع بن بُدَيل بن ورقاء:

رحِم الله نافعَ بن بُديلٍ رحمةَ المُبتغى ثوابَ الجهاد
صابرٌ صادقٌ وفيٌّ إذا ما أكثر القومُ قال قولَ السّداد[1]

وقال حسّان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة، ويخصّ المنذر بن عمرو:

على قتلى معونةَ فاستهلّي بدمْع العيْن سحّاً غير نَزْر
على خيل الرسولِ غداةَ لاقوا مناياهُم ولاقتْهم بقدْر
أصابَهم الفناءُ بعَقْد قوم تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلهم بغَدْر
فيا لَهْفي لمنذِرَ إذ تولّى وأعنق[2] في منيّته بصبر
وكائنْ قد أصيب غداة ذاكُم منَ ابيض ماجد من سرّ عمرو[3]

قال ابن هشام: أنشدني آخرها بيتاً أبو زيد الأنصاريّ.

وأنشدني لكعب بن مالك في يوم بئر معونة، يُعيِّر بني جعفر بن كِلاب:

تركتُم جاركم لبني سُليم مخافة حَرْبهم عجزاً وهُونا
فلو حَبْلاً تناول من عُقَيل لمدّ بحبْلها حبلاً متيناً[4]
أو القُرَطاء ما إنْ أسلَموه وقِدْماً ما وَفَوا إذ لا تفونا

قال ابن هشام: القُرطاء من هوازن، ويُروَى «من نُفيل» مكان «من عُقيل»، وهو الصحيح: لأنّ القُرطاء من نُفيل قريب.

---

(١) في المغازي للواقدي ١/٣٥٣.
«صارم صادق اللقاء إذا ما أكثر الناس قال قول السداد».
(٢) أعنق: أسرع.
(٣) السر: الخالص.
(٤) يريد بالحبل: العهد.

امر إجلاء بني النَّضير[1]
في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسولُ الله ﷺ الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أميّة الضمْريّ، للجوار الذي كان رسولُ الله ﷺ عقد لهما، كما حدّثني يزيد بن رُومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحِلف. فلما أتاهم رسولُ الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا إنّكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسولُ الله ﷺ الى جنب جدار من بيوتهم قاعد ـ فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيُريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو ابن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسولُ الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ، رضوان الله عليهم.

---

(١) أنظر عنهم في: تاريخ الطبري ٢/٥٥٠ ـ ٥٥٥، الطبقات الكبرى ٢/٥٧ ـ ٥٩، المغازي للواقدي ١/٣٦٣ ـ ٣٨٣، أنساب الأشراف ١/٣٣٩ رقم ٧٢٥، المحبّر ١١٣، البدء والتاريخ ٤/٢١٢، الكامل في التاريخ ٢/١٧٣ ـ ١٧٤، نهاية الأرب ١٧/١٣٧ ـ ١٤٨، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ٢/٤٨ ـ ٥٢، عيون التواريخ ١/١٨٧، ١٨٨، مرآة الجنان ١/٩، سيرة ابن كثير ٣/١٤٥ ـ ١٥٤، مجمع الزوائد ٦/١٢٥، الروض الأنف ٣/٢٥٠ ـ ٢٥٣.

فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً الى المدينة. فلما استلبث النبيّ ﷺ أصحابُه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه: فقال: رأيته داخلاً المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ، حتى انتهوا اليه ﷺ، فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسولُ الله ﷺ بالتهيّؤ لحربهم، والسير إليهم[1].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم.

قال ابن إسحاق: ثم سار بالناس حتى نزل بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول، فحاصرهم ستّ ليالٍ، ونزل تحريم الخمر.

قال ابن إسحاق[2]: فتحصّنوا منه في الحصون، فأمر رسولُ الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها[3]؟

وقد كان رهْط من بني عوف بن الخزرج، منهم عدّو الله عبد الله بن أُبيّ بن سلول، ووديعة، ومالك بن أبي قوقل، وسُويد، وداعس، قد بعثوا الى بني النضير: أن اثبتوا وتمنّعوا، فإنّا لن نُسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فتربّصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسولَ الله ﷺ أن يجليهم ويكفّ عن دمائهم، على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلاّ الحلقة[4]، ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نُجَاف[5] بابه،

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥١، ٥٥٢، وانظر المغازي للواقدي ١/٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٢.

(٣) قال أهل التأويل: وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ما قَطَعْتُم مِنْ لينَة، أو تَرَكْتُمُوها قائمة على أصولها﴾. واللّينة ألوان التمر ما عدا العجوة والبرنى. ففي هذه الآية أنّ النبيّ - ﷺ - لم يحرّق من نخلهم إلاّ ما ليس بقُوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة. (الروض الأنف ٣/٢٥٠).

(٤) الحلقة: السلاح.

(٥) النُجاف: عتبة الباب العليا.

فيضعه على ظهر بعيره فينطلق بـه، فخرجـوا الى خَيبر، ومنهم من سـار الى الشام.

فكان أشرافهم من سار منهم الى خيبر: سـلام بن أبي الحُقَيْق، وكِنانـة ابن الربيع بن أبي الحُقَيق، وَحُيَيّ بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث: أنهم استقلّوا بالنساء والأموال، معهم الدفوف والمزامير، والقيان يعـزفن خلفهم، وإنّ فيهم لأمّ عمـرو صاحبـة عُروة بن الـورد العبْسيّ، التي ابتاعـوا منه، وكـانت إحدى نساء بني غفار[2]، بزُهاء[3] وفخر ما رُئي مثله من حيّ من الناس في زمانهم.

وخلّوا الأموال لرسولِ الله ﷺ، فكانت لرسولِ الله ﷺ خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسّمها رسولُ الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلاّ أنّ سهـل بن حُنَيف وأبا دُجـانـة سِمَـاك بن خَـرَشَـة ذكـرا فقـراً، فـأعـطـاهـمـا رسولُ الله ﷺ.

ولم يُسلم من بني النضيـر إلاّ رجلان: يـا مين بن عُمَير، أبـو كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهْب، أسلما على أموالهما فأحرزاها[4].

قال ابن إسحاق ـ وقـد حدّثني بعض آل يـامين: أنّ رسولَ الله ﷺ قـال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمّك، وما هم به من شأني؟ فجعل يامين بنُ عمير لرجل جُعلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون[5].

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٤.

(٢) لم يـذكر اسمهـا في رواية البكّـائي عنه، وذكـره في غيرهـا، وهي سلمى. قـال الأصمعيّ: اسمها ليلى بنت شعواء، وقال أبو الفرج: هي سلمى أم وهب امرأة من كنانة، كانت ناكحـاً في مزينة، فأغار عليهم عروة بن الورد، فسباها، وذكـر الحديث، وقـول أبي الفرج إنهـا من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار، لأن غفـار من كنانـة. غفار بن مليـل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. (الروض الأنف ٣/٢٥٢).

(٣) بزُهاء: بإعجاب وكِبْر.

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٤، ٥٥٥.

(٥) المغازي للواقدي ١/٣٧٤.

ما نزل في بني النضير من القرآن: ونـزل في بني النضير سـورة الحشر بأسرها، يذكـر فيها مـا أصابهم الله بـه من نقمته. ومـا سلّط عليهم به رسـوله ﷺ، ومـا عمل بـه فيهم، فقال تعـالى: ﴿هُوَ الّـذي أخْرَجَ الّـذينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيَـارِهِمْ لأوّلِ الحَشْر[1] مَـا ظَنَنْتُمْ أنْ يَخْرُجُـوا، وَظَنّوا أنّهم مـانِعَتُهُمْ حُصُـونُهُمْ مِنَ الله، فـأتـاهُمُ الله من حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُـوا، وَقَـذَفَ في قُلُوبهمُ الرُّعْبَ، يُخرّبـونَ بُيُوتَهُمْ بـأيديهمْ وأيْـدي المُؤمنينَ﴾، وذاك لهدمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولي الأبصارِ، ولَوْلا أن كَتَبَ الله عَلَيْهِمُ الجَلاء﴾ وكان لهم من الله نقمـة، ﴿لَعَذَّبَهُمْ في الـدُّنْيا﴾: أي بالسيف، ﴿ وَلَهُمْ في الآخرة عَذابُ النّار﴾[2] مع ذلك، ﴿مَـا قَطَعْتُم مِنْ لينَـةٍ أو تـرَكتُمُوهـا قَائِمَـةً على أُصُولِهـا﴾. واللينة: مـا خالف العجـوة من النخـل ﴿فبـإذْنِ الله﴾: أي فبأمـر الله قُـطعت، لم يكن فسـاداً، ولكن كـان نقمـة الله ﴿وَلِيُخْزِيَ الفاسِقِينَ﴾[3].

قال ابن هشام: اللّينة: من الألوان، وهي مـا لم تكن بَرْنِيّـة[4] ولا عجوة من النخل، فيما حدّثنا أبو عُبيدة. قال ذو الرّمّة:

كـأن قُتُـودي فــوقهـا عُشّ طــائــر   على لينـة سَـوْقـاء تَهْفـو جُنُــوبهـا[5]

وهذا البيت في قصيدة له.

---

(١) روى مـوسى بن عقبة أنهم قـالوا لـه: إلى أين نخرج يـا محمد؟ قـال: إلى الحشر، يعني: أرض المحشـر، وهي الشام، وقيـل: إنهم كانـوا من بسط لم يصبهم جلاء قبلهـا، فلذلـك قال: لأول الحشر، والحشر: الجلاء، وقيل إنّ الحشر الثاني، هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن، فتحشر الناس الى الموقف، تبيت معهم، حيث باتـوا، وتقيل معهم حيث قـالوا، وتأكل من تخلّف، والآية متضمّنة لهذه الأقوال كلها، ولزائد عليها، فـإنّ قولـه: لأول الحشر يؤذن أنّ ثَمّ حشراً آخر، فكان هذا الحشر والجلاء الى خيبر، ثم أجلاهم عمـر من خيبر إلى تَيْماء وأريحا، وذلك حين بلغه التثبّت عن النبيّ ﷺ أنه قال: لا يبقينّ دينان بأرض العـرب. (الروض الأنف ٣/٢٥١).

(٢) سورة الحشر ـ الآيتان ٢ و٣.

(٣) سورة الحشر ـ الآية ٥.

(٤) البَرْنيّة: واحدة البَرْني، وهو ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر.

(٥) القتود: الرّحْل مع أدواته. السوقاء: عظيمة الساق. الجنوب: النواحي.

﴿وَمَا أفَاءَ الله عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ - **قال ابن إسحاق**: يعني من بني النضير - **﴿فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْه مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ، ولكنَّ الله يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشَاءُ، والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ﴾**(١): أي له خاصّة.

قال ابن هشام: أوجفتم: حرّكتم واتعبتم في السير. قال تميم بن أُبيّ ابنُ مقبل أحد بني عامر بن صعصعة:

مذاويد بالبيض(٢) الحديث صقالها ... عن الرّكْب أحياناً إذا الركْبُ أوجفوا

وهذا البيت في قصيدة له، وهو الوجيف. وقال ابو زُبيد الطائي، واسمه حرملة بن المنذر:

مُسْنفات كأنّهنّ قنا الهِنـ ... ـد لِطُول الوَجِيف جَدْبَ المَرُود(٣)

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: السناف: البطان، والوجيف: وجيف القلب والكبد، وهو الضربان.

قال قيس بن الخطيم الظّفريّ:

إنّا وإنْ قدّموا التي علموا ... أكبادنا من ورائهم تَجِفُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿مَا أفَاءَ الله عَلَىٰ رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَىٰ فلله ولِلرّسُولِ﴾ - **قال ابن إسحاق**: ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول - **﴿ وَلِذِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِين وَابْنِ السَّبيل، كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِيَاء مِنْكُمْ، وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ، ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانتَهُوا﴾**(٤). يقول: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين، على ما وضعه الله عليه.

---

(١) سورة الحشر - الآية ٦.

(٢) المذاويد: المدافعون عن قومهم. والبيض: السيوف.

(٣) مُسْنفات: مشدودات بالأحزمة. والمَرُود: الموضع الذي يطلب فيه المرعى.

(٤) سورة الحشر - الآية ٧.

ثم قال تعالى: ﴿أَلَم تَرَ إلى الّذين نافقوا﴾ يعني عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه، ومن كان على مثل أمرهم ﴿يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلكِتَابِ﴾[1]: يعني بني النضير، الى قوله ﴿كَمَثَلِ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَال أمْرِهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ﴾: يعني بني قَيْنُقاع. ثم القصة.. الى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إذْ قَالَ للإنْسَانِ ٱكْفُرْ، فَلَمّا كَفَرَ قَالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ، إنّي أخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلعَالَمينَ، فكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أنَّهُمَا في ٱلنَّارِ خَالِدَيْن فيها، وذلك جَزَاءُ ٱلظَّالِمينَ﴾[2].

ما قيل في بنيّ النضير من الشعر: وكان مما قيل في بني النضير من الشعر قول ابن لُقَيم العبسيّ، ويقال: قاله قيس بن بحر بن طُريف. **قال ابن هشام**: قيس بن بحر الأشجعيّ فقال:

أهلي فداءٌ لأمريءٍ غير هالكٍ ... أحلّ اليهودَ بالحِسيّ المُزَنّم[3]
يقيلون في جَمْر الغَضاة وبُدِّلوا ... أُهَيْضِب غودي بالوَدّي المُكَمّم[4]
فإنْ يكُ ظنّي صادقاً بمحمَّدٍ ... تَرَوْا خَيْله بين الصّلا وَيُرمْرم
يَؤُمّ بها عمرو بن بُهْثة إنّهم ... عدوّ وما حيّ صديق كمُجْرم
عليهنّ أبطالٌ مساعيرُ في الوَغى ... يهزّون أطرافَ الوَشِيج المُقوّم[5]

---

(١) سورة الحشر ـ الآية ١١.

(٢) سورة الحشر ـ الآيات ١٥ ـ ١٧.

(٣) يريد: أحلهم بأرض غربة، وفي غير عشائرهم، والزنيم: الرجل يكون في القوم، وليس منهم، أي أنزلهم بمنزلة الحسيّ، أي المُبْعَد الطريد، وإنّما جعل الطريد الذليل حسِّيّاً لأنه عرضة للأكل، والحسيّ والحسْو ما يُحسى من الطعام حسْواً، أي أنه لا يمتنع على آكل، ويجوز أن يريد بالحسيّ معنى الغذيّ من الغنم، وهو الصغير الضعيف الذي لا يستطيع الرعي، يقول: بدّلوا بالمال الدُثُر والإبل الكوم، رذال المال وغذاء الغنم، والمزنّم منه، فهذا وجه يحتمل، وقد أكثرت البحث عن الحسّي في مظانّه من اللغة فلم أجد نصاً شافياً أكثر من قول أبي علي: الحسية، والحسيّ، ما يُحسى من الطعام، وإذا قد وجدنا الغذيّ واحد غذاء الغنم، فالحسيّ في معناه غير ممتنع أن يقال، والله أعلم. والمزنّم أيضاً: صغار الإبل ـ (الروض الأنف ٣/٢٥١).

(٤) الغضاة: الشجر، الأهيضب: المكان المرتفع. غودي: اسم مكان. الوَدي المكمّم: صغار النخل الذي خرج طلعه.

(٥) الوشيج: الرماح.

وكــلّ رقـيق الـشَّفـرتـيـن مُـهـنَّـد تُــوورِثْن من أزمـان عــادٍ وجُـرْهم
فَمَنْ مُبْلغٌ عنّي قُــريـشـاً رســالــةً فهَـلْ بعدهم في المجدِ من مُتكـرِّم
بــأنّ أخــاكـم فــاعلَمُـنّ محـمّــداً تليـد النَّدى بين الحَجُـون وزَمـزم[1]
فـدينـوا لـه بـالحقّ تَجْسُم أمــورُكم وتَسْمـوا من الدنيـا إلى كـلّ مُعْـظَم
نـبـيّ تَـلاقَـتْـه مـن الله رحـمـــةٌ ولا تسْــألــوه أمــر غيْـبٍ مُـرَجَّم[2]
فقـد كـان في بــدرٍ لَعَمْـري عِبْــرةٌ لكم يــا قُــريشــاً والقَلِيب المُلَمّـم
غـداةَ أتى في الخـزْرجيّــة عـامـداً إليكم مُــطيعــاً للعــظيم الـمكَـرّم
مُعـانـاً بـروح القُـدس يُنْكي عــدوّه رسـولاً من الـرحمن حقّــاً بمَعْلم[3]
رســولاً من الرحمن يتْلو كِـتـابــه فـلمّــا أنــار الـحقّ لـم يَـتَـلَعْـثَم
أرى أمــره يــزداد في كــلّ مــوطن عُـلُوّاً لأمــر حَـمّــه[4] الله مُـحْـكَم

قال ابن هشام: عمرو بن بُهْثة، من غَطَفان. وقوله «بـالحسيّ المزنّم»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عليّ بن أبي طالب: يذكر إجلاء بني النضير، وقتل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين غير عليّ بن أبي طـالب، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشِعر، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعليّ:

عــرفتُ ومَـن يــعتــدل يَـعْـرف وأيـقـنــتُ حقّــاً ولــم أَصْــدفِ[5]
عـن الـكـلم الـمُـحـكم الآي مـن لــدى الله ذي الــرأفــة الأرأف
رســائــلُ تُــدْرَس فـي المـؤمنيـن بهنّ اصــطفَى أحمــدَ المصـطفي
فــأصبـح أحمــدُ فينــا عــزيــزاً عــزيــز الـمقــامـةِ والـمــوْقِـف
فـيــأيّهــا الـمُــوعِـدوه سَـفــاهــا ولــم يــأت جَــوْراً ولـم يَـعْـنُـف

(١) الحَجُون: موضع في مكة.
(٢) المرجّم: غير المتيقّن.
(٣) المَعْلم: الموضع العالي.
(٤) حمّه: قدّره.
(٥) أصدف: أعرض.

ألستم تخافون أدنى العذابِ ... وما آمِنُ الله كالأخْوَف
وأن تُصْرعوا تحت أسْيَافه ... كمصرع كعبٍ أبي الأشرف
غداة رأى الله طغيانَه ... وأعرض كالجمل الأجْنف[1]
فأنزل جبريلَ في قتْله ... بوَحْي إلى عبده مُلْطَف
فدسّ الرسولُ رسولاً له ... بأبْيَضَ ذي هَبّة مُرْهف[2]
فباتت عيونٌ له مُعْولاتٍ ... متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرِف
وقُلْن لأحمد ذَرْنا قليلاً ... فإنّا من النّوْح لم نَشْتف
فخلّاهُمُ ثم قال اظْعَنُوا ... دُحوراً على رَغم الأنُف[3]
وأجلى النّضيرَ الى غُربةٍ ... وكانوا بدارٍ ذوي زُخْرف
إلى أذرِعاتٍ[4] رُدَافى وهُم ... على كلّ ذي دَبَرٍ أعْجَف[5]

فأجابه سمّاك اليهوديّ، فقال:

إنْ تَفْخروا فهو فخرٌ لكم ... بمقتلِ كعبِ أبي الأشرف
غداة غدوتُم على حَتْفه ... ولم يأت غدراً ولم يُخْلِفِ
فعَلّ الليالي وصَرَف الدُّهور ... يُدين من العادِل المنصِف[6]
بقتْل النّضير واحلافها ... وعَقْر النخيل ولم تُقْطَف
فإنْ لا أمُتْ نَأْتكُم بالقَنا ... وكلِّ حُسامٍ معاً مُرْهَف
بكفّ كَمِيٍّ به يَحْتمي ... متى يَلْق قِرْناً له يُتْلف
مع القوم صخْرٌ وأشياعُهُ ... إذا غاوَر القومَ لم يضْعُف
كليثٍ بترْجٍ حَمَى غِيلَه ... أخي غابةٍ هاصِرٍ أجْوَف[7]

---

(١) الأجنف: المائل الى جهة.
(٢) الأبيض: السيف. والهبة: الاعتزاز.
(٣) رغم الأنُف: أي رغم أنفكم، أي على هوان ومذلّة.
(٤) أذرعات: موضع بالشام.
(٥) يريد على جمل جريح هزيل.
(٦) يريد بالعادل المنصف محمداً ﷺ وقد أراد الملعون التهكّم عليه ﷺ أو يكون كما قال أبو ذر. في شرح السيرة أن يكون اللفظ للمدح والمعنى للذّم كما قال سبحانه وتعالى ﴿ذُقْ إنّكَ أنْتَ العَزيزُ الكَريم﴾.
(٧) تَرْج: جبل بالحجاز. وغيله: جمع غيلة وهي أجَمَة الأسد. والأجوف: عظيم الجوف.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف:

لقد خَزِيتْ بغَدْرتها الحُبُور[1] ... كذاكَ الدّهرُ ذو صرْف يدُورُ
وذلك أنّهم كفروا بربٍّ ... عزيزٍ أمرُه أمرٌ كبير
وقد أُوتوا معاً فهْماً وعلماً ... وجاءهمُ من الله النذير
نذيرٌ صادقٌ أدّى كتاباً ... وآياتٍ مبيّنةً تُنير
فقالوا ما أتيتَ بأمر صدْق ... وأنت بمُنْكر منّا جدير
فقال بلى لقد أدّيتُ حقاً ... يُصدّقني به الفَهِم الخبير
فمن يَتْبعه يُهْدَ لكلّ رُشْدٍ ... ومن يَكْفر به يُجزَ الكَفور
فلمّا أشْربوا غدراً وكُفراً ... وحاد بهم عن الحقّ النُّفور
أرى الله النبيّ برأي صدْقٍ ... وكان الله يحكُمُ لا يجور
فأيّده وسلّطه عليهم ... وكان نصيرَه نِعْمَ النّصير
فغودِر منهمُ كعبٌ صريعاً ... فذلّت بعد مصرعه النّضير
على الكَفّين ثمَّ وقد عَلَتْه ... بأيدينا مُشَهّرةٌ ذُكُور[2]
بأمرِ محمّدٍ إذ دسّ ليلاً ... الى كعبٍ أخا كعبٍ يسير
فَمَاكَرَه.. فأنزله بمَكْر ... ومحمودٌ أخو ثقةٍ جَسُور
فتلْك بنو النّضير بدار سَوْءٍ ... أبارهم[3] بما اجتَرَموا المُبير
غداة أتاهم في الزّحف رَهْواً[4] ... رسولُ الله وهْوَ بهم بصير
وغسّان الحُماة مُوازروه ... على الأعداء وهْوَ لهم وزير
فقال السّلم ويحكُم فصدّوا ... وحالف[5] أمرَهم كَذِب وزُور
فذاقوا غِبّ أمرهم وبالاً ... لكلّ ثلاثةٍ منهم بَعير
وأجْلُوا عامدين لَقيْنُقاع ... وغودر منهمُ نخل ودُور

---

(١) الحبور: العلماء.
(٢) مشهّرة: مسلولة. ذُكور: قوية.
(٣) أبارهم: أهلكهم.
(٤) الرهْو: المشي في تُؤَدَة.
(٥) حالف: صاحب.

فأجابه سمّاك اليهوديّ، فقال:

أرقْتُ وضافني[1] همٌّ كبيرُ ... لَيلَ غيرُه ليلٌ قصيرُ
أرى الأحبارَ تُنْكره جميعاً ... وكلهم له عِلْم خبير
وكانوا الدّارسين لكلّ عِلمٍ ... به التّوراة تنطق والزّبور
قتلتم سيّدَ الأحبار كعباً ... وقِدْماً كان يأمَن من يُجير
تدلّى نحو محمود أخيه ... ومحمودٌ سريرته الفُجُور
فغادره كأنّ دماً نجيعاً ... يسيل على مَدارعه عبيرُ[2]
فقد وأبيكُم وأبي جميعاً ... أصيبت إذ أصيب به النّضير
فإنْ نَسْلَم لكم نترك رجالاً ... بكعب حولَهم طيرٌ تدُور
كأنّهم عتائر[3] يوم عيدٍ ... تُذَبّحُ وهي ليس لها نَكير
ببيضٍ لا تُليقُ[4] لهنّ عظْماً ... صَوافي الحدّ أكثرُها ذُكور
كما لاقيتُم من بأسِ صخْر[5] ... بأُحْد حيثُ ليس لكم نصير

وقال عبّاس بن مِرْداس أخو بني سُليم يمتدح رجال بني النّضير:

لو أنّ أهل الدار لم يتصدّعوا ... رأيتَ خلال الدار ملْهى ومَلْعبا
فإنك عَمْري هل أُريك ظَعائنا ... سَلَكْن على رُكن الشُّطاة فتَيْأبا[6]
عليهنّ عِينٌ من ظباء تبالةٍ ... أوانسُ يُصْبين الحليمَ المجرِّبا[7]
إذا جاء باغي الخير قُلْن فُجاءةً ... له بوجوهٍ كالدنانير مرحبا
وأهلاً فلا مَمْنوع خيرٍ طَلَبْته ... ولا أنت تخْشى عندنا أن تُؤنّبا
فلا تحسبنّي كنت مولى ابن مِشْكمٍ ... سلامٍ ولا مَولى حُيَيّ بن أخطبا

---

(١) ضافني: نزل بي.
(٢) الدم النجيع: الطريّ. المدارع: ملابس من صوف. والعبير: الأخلاط من الطّيب.
(٣) العتائر: الذبائح.
(٤) لا تليق: لا تُبْقي ولا تَذَر.
(٥) صخر: يقصد به أبا سفيان بن حرب.
(٦) الظعائن: النساء في الهوادج. الشطاة وتَيْأب: موضعان.
(٧) العين: واسعات الأعين. قبالة: موضع باليمن يشتهر بالظّباء. ويُصْبين: يُذْهِبْن العقل.

فأجابه خَوّات بن جُبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال:

تُبَكّي على قتلى يهودَ وقد ترى ... من الشّجْو لو تَبْكي أحبّ وأقْربا
فهلاّ على قتلى ببطن أُريْنِق ... بكيتَ ولم تُعْوِل من الشّجْو مُسْهبا[1]
إذا السّلم دارت في صديق رددتها ... وفي الدين صدّاداً وفي الحرب ثَعْلبا
عمدتَ إلى قِدْر لقوْمك تبتغي ... لهم شَبَهاً كَيْما تَعزّ وتَغْلبا
فإنّك لمّا أن كَلِفْتَ تمدّحاً ... لمن كان عَيْباً مدحُه وتكذّبا
رحلتَ بأمر كنت أهلاً لمثله ... ولم تُلفِ فيهم قائلاً لك مرحبا
فهلاّ الى قوم مُلُوكٍ مدحتهم ... تَبَنّوْا من العزّ المُؤَثّل مَنْصِبا[2]
إلى معشر صاروا مُلوكاً وكُرِّموا ... ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العُرْف مُجْدِبا
أولئك أحرى من يهودَ بمِدْحةٍ ... تراهم وفيهم عِزّةُ المجد تُرْتُبا[3]

فأجابه عبّاس بن مِرداس السُّلَميّ، فقال:

هجوتَ صريح الكاهِنَيْن وفيكم ... لهم نِعَمٌ كانت من الدهر تُرتُباً[4]
أولئك أحرى لو بكيتَ عليهُم ... وقومُك لو أدّوا من الحقّ مُوجبا
من الشكر إنّ الشكر خيرُ مَغَبّةً[5] ... وأوفقُ فعلاً للذي كان أصْوَبا
فكنت كمن أمسى يُقطّع رأسه ... ليبلغ عزّاً كان فيه مُرَكّبا
فَبكِّ بني هارون واذكر فَعالَهم ... وقَتْلهم للجُوع إذ كنت مُجْدبا
أخوّات أذْرِ الدمعَ بالدّمع وابكهمْ ... وأعرض عن المكروه منهم ونكِّبا[6]
فإنّك لو لاقيتهم في ديارهم ... لألْفيتَ عمّا قد تقُول مُنكّبا

(١) المُسْهب: المتغيّر الوجه.
(٢) المؤثّل: القديم.
(٣) الترتب: الثابت.
(٤) الكاهنان: قُريظة والنّضير، وفي الحديث: يخرج في الكاهنين رجل يدرس القرآن درساً لم يدرسه أحد قبله، ولا يدرسه أحد بعده، فكانوا يرونه محمداً بن كعب القُرَظيّ وهو محمد بن كعب بن عطيّة، والكاهن في اللغة بمعنى الكاهل، وهو الذي يقوم بحاجة أهله، إذا خلف عليهم، يقال: وهو كاهن أبيه وكاهله، قاله الهَرَويّ، فيحتمل أن يكون سُمّي الكاهنان بهذا.
(٥) المغبّة: العاقبة.
(٦) نكّب: أبعد.

سراعٌ الى العليا كرامٌ لدى الوغى ... يُقال لباغي الخير أهلاً ومرحباً

فأجابه كعب بن مالك، أو عبد الله بن رواحة فيما قال ابن هشام، فقال:

لَعَمْري لقد حكمْت رَحَى الحرب بعدما ... أطارت لُؤَيّاً قبلُ شَرْقاً ومَغْرباً
بقيّة آل الكاهنَيْن وعزّها ... فعاد ذليلاً بعد ما كان أغلبا
فطاحَ سلامٌ وابنُ سَعْيَة عَنْوةً ... وقيدَ ذليلاً للمنايا ابنُ أخْطبا
وأجْلَبَ يَبْغي العزَّ والذُّلَّ يبتغي ... خِلافَ يَدَيْهِ ما جَنَى حين أجلبا
كتارك سَهْل الأرض والحَزْنُ هَمُّهُ ... وقد كان ذافي النّاس أكْدَى وأصْعَبا(١)
وشأسٌ وعَزّال وقد صَليا بها ... وما غُيِّبا عن ذاك فيمن تَغيّبا
وعَوفُ بن سَلْمى وابن عَوْفٍ كِلاهما ... وكعبٌ رئيسُ القوم حان وخُيِّبا(٢)
فبُعْداً وسُحْقاً للنّضِير ومثلها ... إنْ أعقبَ فتْحٌ أو إنِ الله أعْقَبا

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: ثم غزا رسولُ الله ﷺ بعد بني النضير بني المُصْطَلِق. وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحاق فيه.

(١) الحَزْن: الأرض العالية. الأكدى: الذي لم يبلغ حاجته.
(٢) حان: هلك.

غزوة ذات الرِّقاع[1]
في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جُمادى، ثم غزا نجْداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفاريّ؛ ويقال: عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام[2].

قال ابن إسحاق: حتى نزل نخلاً[3]، وهي غزوة ذات الرقاع.

---

(١) أنظر عنها في: المغازي للواقدي ١/٣٩٥ ـ ٤٠٢، الطبقات الكبرى ٢/٦١، ٦٢، تاريخ الطبري ٢/٥٥٥ ـ ٥٥٩، أنساب الأشراف ١/٣٤٠، ٣٤١ رقم ٧٢٧، البدء والتاريخ ٤/٢١٣، المحبّر ١١٣، الكامل في التاريخ ٢/١٧٤، ١٧٥، نهاية الأرب ١٧/١٥٨، ١٥٩، عيون الأثر ٢/٥٢، ٥٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/٢٥٣ ـ ٢٥٨، عيون التواريخ ١٨٩، ١٩٠، سيرة ابن كثير ٣/١٦٠ ـ ١٦٨، مرآة الجنان ١/٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٥٥.

(٣) نخل: موضع بنجد. (فتح الباري ٧/٤١٨) وانظر: معجم البلدان ٥/٢٧٦).
وذكر غيره أنها أرض فيها بُقَع سُود، وبُقَع بيض، كأنها مرقّعة برقاع مختلفة، فسُمّيت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة، وأصحّ من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعريّ: قال: «خرجنا مع النبيّ -ﷺ- في غزاة، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتِقبه، فنقبت أقدامنا، ونُقّبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنّا نلفّ على أرجلنا الخِرَق، فسُمّيت غزوة ذات الرقاع، لما كنّا نعصب من الخرَق على أرجلنا، فحدّث أبو موسى بهذا، ثم كره ذلك، فقال: ما كنت أصنع بأن أذكره: كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه. (الروض الأنف ٣/٢٥٣) وانظر: الدرر لابن عبد البر ١٧٦، وصحيح البخاري ٥/٥١ باب غزوة ذات الرقاع.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لها غزوة ذات الرقاع، لأنهم رقّعوا فيها راياتهم، ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع.

قال ابن إسحاق: فلقي بها جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسولُ الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس[1].

صلاة الخوف: **قال ابن هشام**: حدّثنا عبدالوارث بن سعيد التنّوريّ - وكان يُكَنَّى: أبا عُبيدة - قال: حدّثنا يونس بن عُبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، عن جابر بن عبدالله في صلاة الخوف، قال: صلّى رسولُ الله ﷺ بطائفة ركعتين ثم سلّم، وطائفة مقبلون على العدوّ قال: فجاءوا فصلّى بهم ركعتين أُخْرَيَيْن، ثم سلّم.

قال ابن هشام: وحدّثنا عبد الوارث، قال: حدّثنا أيوب، عن أبي الزُبَير، عن جابر، قال: صفّنا رسولُ الله ﷺ صفّين، فركع بنا جميعاً، ثم سجد رسولُ الله ﷺ، وسجد الصفّ الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم. ثم تأخّر الصف الأول، وتقدّم الصفّ الآخر حتى قاموا مقامهم، ثم ركع النبيّ ﷺ بهم جميعاً، ثم سجد النبيّ ﷺ وسجد الذين يلونه معه؛ فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم. فركع النبيّ ﷺ وسلّم بهم جميعاً، وسجد كلّ واحد منهما بأنفسهم سجدتين.

قال ابن هشام: حدّثنا عبدالوارث بن سعيد التنّوري، قال: حدّثنا أيُوب عن نافع، عن ابن عمر، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوّهم، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم، ثم يتأخّرون فيكونون مما يلي العدوّ، يتقدّم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة، ويسجد بهم، ثم تصلّي كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة، وصلّوا بأنفسهم ركعة ركعة[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٥٦، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢/٥٥٦.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن عُبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبدالله: أنّ رجلاً من بني محارب، يقال له: غوْرَث، قال لقومه من غَطَفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيف رسول الله ﷺ في حجْره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم ـ وكان مُحَلّى بفضّة، فيما قال ابن هشام ـ قال: فأخذه فاستلّه، ثم جعل يهزّه، ويهمّ فيكبته الله؟؛ ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا، وما أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يمنعني الله منك، ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ، فردّه عليه. قال: فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ، وعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن رُومان: أنّها إنّما أُنزلت في عَمرو بن جحاش، أخي بن النضير وما همَّ به، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وحّدثني وهْب بن كَيْسان، عن جابر بن عبدالله، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لي ضعيف؛ فلما قفل رسول الله ﷺ، قال: جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلّف، حتى أدركني رسولُ الله ﷺ، فقال. ما لك يا جابر؟ قال: قلت: يا رسول الله، أبطأ بي جملي هذا، قال أنِخْه، قال: فأَنَخْتُه؛ وأناخ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: أعطِني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصاً من شجرة، قال: ففعلت. قال: فأخذها رسولُ الله ﷺ فنخسه بها نخسات، ثم قال: اركب، فركبت، فخرج، والذي بعثه بالحقّ، يواهق[2] ناقته مواهقة[3].

قال: وتحدّثت مع رسول الله ﷺ، فقال لي: «أتبيعني جَمَلَك هذا يا جابر»؟ قال: قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك، قال: «لا، ولكن بِعْنِيه»،

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ١١ وانظر الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٨.

(٢) يواهق: يسابق. (النهاية في غريب الحديث ٤/٢٣٤).

(٣) انظر المغازي للواقدي ١/٣٩٩، وتاريخ الإسلام (المغازي).

قال: قلت: فسمّنيه يا رسول الله، قال: «قد أخذته بدِرْهم»؛ قال: قلت: لا، إذن، تغبّني يا رسول الله! قال: «فبدِرهمين»؛ قال: قلت: لا. قال: فلم يزل يرفع لي رسولُ الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية. قال: فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله؟ قال؛ «نعم»؛ قلت: فهو لك؛ قال: «قد أخذته». قال: ثم قال: «يا جابر، هل تزوّجت بعد»؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أثيّبا أم بِكْراً»؟ قال: قلت: لا، بل ثيّباً، قال: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك»! قال. قلت: يا رسول الله، إنّ أبي أُصيب يوم أُحُد وترك بنات له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رءوسهنّ، وتقوم عليهنّ؛ قال: «أصبت إن شاء الله، أما إنّا لو قد جئنا صُراراً[1] أمرنا بجَزُور فنُحِرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا، فنفضت نمارقها»[2]. قال: قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق؛ قال: «إنّها ستكون، فإذا أنت قدِمتَ فاعمل عملاً كيِّساً». قال: فلما جئنا صراراً أمر رسولُ الله ﷺ بجَزُور فنُحِرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم؛ فلما مسّى رسولُ الله ﷺ دخل ودخلنا؛ قال: فحدّثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله ﷺ؛ قالت: فدونك، فسمع وطاعة ـ قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنَختـه على باب رسول الله ﷺ؛ قال: ثم جلست في المسجد قريباً منه؛ قال: وخرج رسولُ الله ﷺ، فرأى الجمل؛ فقال: «ما هذا»؛ قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر؛ قال: «فأين جابر»؟ قال: فدُعِيت له؛ قال؛ فقال: «يا بن أخي خذ برأس جملك، فهو لك». ودعا بِلالاً، فقال له: «اذهب بجابر، فأعطه أوقية». قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية، وزادني شيئاً يسيراً. قال: فوالله ما زال ينمي عندي، ويُرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يعني يوم الحَرَّة[3].

---

(١) صرار: موضع قريب من المدينة.

(٢) النمارق: كل ما يُجلس عليه من الحشايا وغيرها.

(٣) يعني: وقعة الحَرّة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية علي يدي مسلم بن عُقبة المُرّي الذي يسمّيه أهل المدينة مسرف بن عُقبة، وكان سببها أنّ أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبني أميّة، وأمّروا عليهم عبدالله بن حنظلة الغسيل الذي غسّلت أباه الملائكة يوم أُحُد، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمّي صدقة[1] بن يَسار، عن عَقِيل بن جابر، عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأةَ رجلٍ من المشركين؛ فلما انصرف رسولُ الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسولُ الله ﷺ منزلاً، فقال: «مَن رجل يكلؤنا ليلتنا هذه»؟ قال: فانتُدب رجل من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بفم الشِعْب». قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شِعْبٍ من الوادي، وهما عمّار بن ياسر وعبّاد بن بِشْر، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى فم الشِعْب، قال الأنصاريّ للمهاجِريّ أي الليل تحبّ أن أكفِيكَه: أوله أم آخره؟ قال: بل اكفني أوله، قال: فاضطّجع المهاجريّ فنام، وقام الأنصاريّ يصلّي، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة[2] القوم. قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائماً، قال: ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه،

= فيهم، روى البخاري أنّ عبدالله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه، وقال لهم: إنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله، وإنه والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلّا كانت الفيصل بيني وبينه، ثم لزم بيته، ولزم أبو سعيد الخُدْريّ بيته، فدخل عليه في تلك الأيام التي انتهت المدينة فيها، فقيل له: من أنت أيها الشيخ؟ فقال: أنا أبو سعيد الخُدْريّ صاحب النبيّ - ﷺ - فقالوا له: سمعنا خبرك، ولنعم ما فعلت حين كففت يدك، ولزمت بيتك، ولكن هات المال، فقال: قد أخذه الذين دخلوا قبلكم عليّ، وما عندي شيء، فقالوا: كذبت ونتفوا لحيته، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما. وأما جابر بن عبدالله الذي كنّا بمَسَاق حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقّة المدينة والبيوت تُنتهب، وهو أعمى، وهو يعثر في القتلى، ويقول تعِس مَن أخاف رسول الله ﷺ، فقال له قائل: ومن أخاف رسول الله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخاف المدينة، فقد أخاف ما بين جنبيّ، فحملوا عليه ليقتلوه، فأجاره منهم مروان، وأدخله بيته، وقُتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة، وقُتل من أخلاط الناس عشرة آلاف. (الروض الأنف ٢٥٦/٣) وانظر عن الخبر في المغازي للواقدي ١/ ٤٠٠، ونهاية الأرب ١٦١/١٧، ١٦٢.

(١) ليس عمه: وإنما هو لقب لقّبه به احتراماً له.

(٢) الربيئة: من يحرس القوم.

قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهبّ صاحبَه فقال: اجلس فقد أُثْبِتّ[1]، قال: فوثب فلما رآهما الرجل عرف أنْ قد نذرا به، فهرب. قال: ولما رأى المهاجريّ ما بالأنصاريّ من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهببتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سُورة أقرؤها فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها[2]، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك، وايْم الله، لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسولُ الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها.

قال ابن هشام: ويقال: أنفذها.

قال ابن إسحاق: ولما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع، أقام بها بقية جُمادى الأولى وجُمادى الآخرة ورَجَباً.

غزوة بدر الآخرة[3]
في شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج في شعبان إلى بدر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزله.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عبدَالله بن عبدالله بن أُبَيّ بن سلول الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثماني ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنّة، من ناحية الظَّهْران، وبعض الناس

---

(١) أُثْبِتّ: جُرحت جراحة بالغة.
(٢) أنفدها: أتم قراءتها.
(٣) انظر عنها في: المغازي لعروة ١٨٣، والدرر ١٧٧، وجوامع السيرة ١٨٤، والمغازي للواقدي ١/٣٨٤ ـ ٣٩١، والطبقات الكبرى ٢/٥٩، ٦٠، وتاريخ الطبري ٢/٥٥٩، والمحبّر ١١٣، والبدء والتاريخ ٤/٢١٣، ٢١٤، وأنساب الأشراف ١/٣٣٩، ٣٤٠ رقم ٧٢٦، والكامل في التاريخ ٢/١٧٥، ونهاية الأرب ١٧/١٥٤ ـ ١٥٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ ١/١٩٠، وعيون الأثر ٢/٥٣، ٥٤، وسيرة ابن كثير ٣/١٦٩ ـ ١٧٢.

يقول: قد بلغ عُسْفان، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يُصلِحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإنّ عامكم هذا عام جدْب، وإنّي راجع، فارجعوا، فرجع الناس. فسمّاهم أهل مكة جيش السويق، يقولون إنّما خرجتم تشربون السويق[1].

وأقام رسولُ الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مَخْشِيّ بن عمرو الضمْريّ، وهو الذي كان وادعه على بني ضمْرة في غزوة وُدّان، فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم، يا أخا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، قال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك منك من حاجة.

فأقام رسولُ الله ﷺ ينتظر أبا سفيان فمرّ به معبد بن أبي مَعْبد الخُزاعيّ، فقال، وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به[2]:

قد نَفَرَت من رُفْقَتَيْ محمدِ ... وعَجوَةٍ من يثربٍ كالعُنْجُدِ[3]
تَهْوي على دِينِ أبيها الأتْلدِ ... قد جَعَلَتْ ماء قُدَيدٍ موعدي[4]
وماءَ ضَجْنان لها ضُحَى الغَدِ[5]

وقال عبدالله بن رَواحة في ذلك ـ قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاريّ لكعب بن مالك:

وعَدْنا أبا سفيان بدراً[6] فلم نَجِدْ ... لِميعاده[7] صِدْقاً وما كان وافيا
فأُقسِمُ لو وافيْتَنا فلقِيتَنا ... لأُبْتَ[8] ذَمِيماً وافتقدْتَ المَواليا

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٩.
(٢) تهوي به: تسرع به.
(٣) العُنْجُد: الزبيب.
(٤) الدين هنا: العادة، الأتلد: القديم. ماء قديد: ماء قريب من مكة.
(٥) ضَجْنان: مكان قريب من مكة. والخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٩، ٥٦٠، والمغازي للواقدي ١/٣٨٩.
(٦) في نهاية الأرب «وعداً».
(٧) في المغازي للواقدي «لموعده».
(٨) في المغازي للواقدي «رجعت».

تــركنــا بــه أوصــالَ عُتبــةَ وابنَــه ... وعَمْـراً أبـا جهْـل تـركنـاه ثـاويـاً
عصَيْتم رســولَ الله أُفٍّ لــدينكـم ... وأمـركُمُ السّيِّء الـذي كـان غـاويـاً
فـإنّي وإنْ عنَّفتمـوني لقـائـلٌ ... فِـدًى لـرســول الله أهلي ومـاليـا
أطعنـاه لم نَعْـدِلْـه فينـا بـغيـره ... شهـاباً لنا في ظُلْمَة الليـل هاديـا[1]

وقال حسّان بن ثابت في ذلك:

دَعُوا فَلَجاتِ الشـأم قد حـال دُونَهـا ... جِـلادٌ كـأفـواه المَخَـاضِ الأوارِكِ[2]
بـأيدي رجـالٍ هـاجـرُوا نحـو ربّهم ... وأنصـارِهِ حقّـاً وأيـدي المـلائـك
إذ سَلَكَتْ للغَـوْرِ مِن بطنِ عـالـج[3] ... فقُــولا لَهـا لَيس الـطريق هُنـالـك
أقمنـا على الـرّسّ النَّــزُوع ثمـانيـاً ... بــأرْعَنَ جَـرّارٍ عـريض المبـارك[4]
بكــل كُمَيْتٍ جَــوْزُه نِصْفُ خَـلْقِـه ... وقُبٍّ[5] طـوال مشرفـات الحـوارك[6]
ترى العَرْفَج العاميَّ تَذْري[7] أصولـه ... منـاسِمُ أخفـافِ المَـطيّ الـرَّواتِـكِ[8]
فــإنْ نَلْق في تَـطْوافِنـا والتمـاسنـا ... فُـراتَ بن حَيَّـان يكُنْ رَهْنَ هـالـك
وإنْ تَلْق قيسَ بنَ امريء القَيْس بَعْدَه ... يُـزَدْ في سـوادٍ لـونُـه لـونُ حـالِـك
فـأَبْلغ أبــا سُفيــانَ عَنّي رســالــةً ... فـإنّك من غُـرِّ الرّجـال الصَّعَالِك[9]

(١) الأبيات في المغازي للواقدي ١/٣٨٩، ٣٩٠، ونهاية الأرب ١٧/١٥٦، وشرح السيرة لأبي ذرّ ٢٩٦.
(٢) فَلَجات: جمع فلج، وهذا الماء الجاري، سُمّي فلجاً، لأنه قد حُدّ في الأرض، وفرق بين جانبيه مأخوذ من فلج الاسنان، أو من الفلج وهو القسم، والفالج مكيال يقسم به، والفلج والفيلج بعير ذو سنامين، وهو من هذا الأصل، ورواه أبو حنيفة الدّينَوريّ بالحاء وقال: الفَلَجة: المزرعة. والمخاض: الإبل الحوامل. والأوارك: التي ترعى الأراك وهو شجر تُؤخذ منه المساويك.
(٣) الغَوْر: ما انخفض من الأرض. وعالج: مكان كثير الرمل.
(٤) الرّسّ: البئر. النزوع: سهلة الماء. الأرعن: الجيش الجرّار.
(٥) في المغازي «وأدم».
(٦) الكُمَيت: الفرس: لونها بين الأحمر والأسود يُطلق على المذكّر والمؤنّث. وجَوْزه: وسطه. قبّ: جمع أقب وهو الضامر. والحوارك: أعالي الفرس من ناحية الكتفين.
(٧) في المغازي «تبدي».
(٨) العرفج: نبات. والعاميّ: الذي بلغ العام. المناسم: أخفاف البعير. الرواتك: المسرعة.
(٩) وردت في المغازي للواقدي ١/٣٩٠ وهي تنقص بيتاً واحداً، باختلاف في الترتيب.

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب. فقال:

أحسّــان إنّــا يــا بن آكـلة الفَـغَــا ... وجـدّك نغتال الخُرُوق كـذلـك[1]
خَـرَجْنـا ومـا تَنْجـو اليَعَــافِيـر بيننـا ... ولــو وأَلَـتْ منّــا بـشــدّ مُـداركِ[2]
إذا مــا انبعَثْنـا من مُنـاخٍ حسِبْتَـهُ ... مُدمَّن أهـل المـوسِم المُتعـارَك[3]
أقمتَ على الـرّسّ النَّـزوع تُـريـدنـا ... وتَتْركنا في النَّخْـل عند المَـدَارك[4]
على الـزَّرْع تمشي خيلُنـا وركـابُنـا ... فمـا وطِئَتْ ألصَقْنـه بـالـدَّكَـادِك[5]
أَقَمْنــا ثــلاثــاً بين سَـلْعٍ وفــارِعٍ ... بجُـرْدِ الجيـادِ والمـطِيّ الـرَّوَاتِـك[6]
حسِبْتُمْ جِـلادَ القـوم عنــد قِبـابهم ... كمـأخـذِكم بـالعين أرطـالَ آنُــك[7]
فـلا تبعثِ الخيـلَ الجِيـادَ وقـل لهـا ... على نحْو قول المُعْصِم المُتَماسك[8]
سعِـدْتم بهـا وغَيْــركم كـان أهلهـا ... فـوارسُ من أبنـاء فِهْــر بن مـالــك
فــإنّـك لا في هجــرةٍ إنْ ذكَـرْتَهــا ... ولا حُـرُمـات الـدّينِ أنتَ بنَـاسِــك

قـال ابن هشام: بقيت منهـا أبيات تـركناهـا، لقُبح اختـلاف قـوافيهـا. وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ هذا البيت:

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذي بعده لحسّان بن ثابت في قوله:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها

وأنشدني له فيها بيته «فأبلغ أبا سفيان».

---

(١) الفغا: التمر. نغتال: تقطع: الخروق: الصحراوات الواسعة.
(٢) اليعافير: أولاد الظباء. وألَتْ: اعتصمت. الشدّ المدارك: الجـري المتتابـع: والمعنى أنهم ملئوا السهل والجبل لكثرتهم فليس هناك مكان تهرب إليه اليعافير.
(٣) المدمّن: ما تركه الركب وتركوا فيه آثارهم. والموسم: المكان الذي تجتمـع فيه العـرب. المتعارك: الذي يزدحم فيه القوم.
(٤) الرّسّ النَّزُوع: البئر السهلة الماء. المدارك: الأماكن القريبة.
(٥) الدكادك: الرمال اللينة.
(٦) سَلع وفارع: جبلان. الرواتك: المسرعة.
(٧) العين: الدرّ. الآنُك: القزدير.
(٨) المعصم: المتماسك.

غزوة دُومة الجَنْدَل(١)
في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها أشهراً حتى مضى ذو الحجّة وولّى تلك الحجّة المشركون، وهي سنة أربع، ثم غزا رسولُ الله ﷺ دُومة الجندل.

قال ابن هشام: في شهر ربيع الأول، واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطَة الغِفَاريّ(٢).

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسولُ الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقيّة سنته.

غزوة الخندق(٣) في شوال سنة خمس

حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبدالله

---

(١) دُومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشر ليلة وسُمّيت بـدُومى بن إسماعيل عليه السلام لأنه نزلها. (الروض الأنف ٣/٢٧٦).

وانظر عن الغزوة في: الطبقات الكبرى ٢/٦٢، ٦٣، المغازي للواقدي ١/٤٠٢ ـ ٤٠٤، تاريخ الطبري ٢/٥٦٤، أنساب الأشراف ١/٣٤١ رقم ٧٢٨، الكامل في التاريخ ٢/١٧٧، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/١٦٢، ١٦٣، عيون الأثر ٢/٥٤، سيرة ابن كثير ٣/١٧٧، ١٧٨، عيون التواريخ ١/١٩٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٦٤.

(٣) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب، ولكنه من مكايد الفرس وحروبها، ولذلك أشار به =

البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي، قال: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

اليهود تحزّب الأحزاب: فحدّثني يزيد بن رُومان مولى آل الزُبير بن عُروة بن الزُبير، ومن لا أتّهِم، عن عبدالله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القُرَظيّ، والزُهْريّ، وعاصم بن عمر بن قَتادة، وعبدالله بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثهم في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدّث ما لا يحدّث به بعض قالوا: إنه كان من حديث الخندق أنّ نفراً من اليهود، منهم: سلام بن أبي الحُقيق النضْري[1]، وحُيَيّ بن أحطب النضْريّ، وكِنانة بن أبي الحُقيق النضْريّ، وهَوْذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدِموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنّا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله - فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه ونحن ومحمد، أفَدِينُنا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أَوْلى بالحقّ منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ

= سلمان الفارسي، وأول من خَنْدَق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبري منوشهر بن أبيرج بن أفريدون وقد قيل في أفريدون: إنه ابن إسحاق عليه السلام، وأكثرهم يقول فيه: هو ابن أثقيان، وهو أول من اتخذ آلة الرمي، وإلى رأس ستين من ملكه، بعث موسى عليه السلام، والكمائن في الحروب، أول من فعلها بختنصر في قول الطبري. (الروض الأنف ٢٧٦/٣).

وانظر عن الغزوة في: المغازي لعروة ١٨٤، ١٨٥، المغازي للواقدي ٤٤٠/٢ - ٤٩٦، الطبقات الكبرى ٦٥/٢ - ٧٤، تاريخ الطبري ٥٦٤/٢ - ٥٨١، أنساب الأشراف ٣٤٣/١ - ٣٤٧ رقم ٧٣٠، الدرر ١٧٩، جوامع السيرة ١٨٥، صحيح البخاري ٤٤/٥ - ٤٩، المحبّر ١١٣، البدء والتاريخ ٢١٦/٤ - ٢٢١، الكامل في التاريخ ١٧٨/٢، نهاية الأرب ١٦٦/١٧ - ١٨٦، المواهب اللدنية ١٢٥/٢، عيون الأثر ٥٥/٢ - ٦٨، مجمع الزوائد ١٣٠/٦ - ١٤٢، سيرة ابن كثير ١٧٨/٣ - ٢٢٢، مرآة الجنان ٩/١، عيون التواريخ ١٩٤/١ - ٢٠٦، تاريخ الإسلام.

(١) ونسب ابن أبي الحُقيق وما بعده إلى بني النضير فقال فيهم النضري، وقياسه: النضيري إلا أن يكون من باب قولهم ثقفي وقُرَشي، وهو خارج عن القياس، وإنما يقال: فعلي في النسب الى فعيلة. (الروض الأنف ٢٧٦/٣).

ٱلذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ[1]، ويَقُـولُونَ لِلَّذِينَ كَفَـرُوا هٰؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلـذِينَ آمَنُوا سَبِيـلاً، أُولٰئِـكَ ٱلَّـذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللهُ، وَمَنْ يَلْعَنِ ٱللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيـراً﴾. . إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي النّبوَّة، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلكِتَابَ وَٱلحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِـهِ،ومِنهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْـهُ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾[2].

قـال: فلما قـالوا ذلـك لقريش، سَـرَّهم ونشطوا لِمـا دعوهم إليـه، من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له. ثم خـرج أولئك النفـر من يهـود، حتى جـاءوا غَـطَفـان من قيس عَيْـلان، فـدعـوهـم إلى حـرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأنّ قريش قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه[3].

خـروج الأحزاب: قـال ابن إسحاق: فخـرجت قريش، وقـائـدهـا أبـو سفيان بن حرب؛ وخرجت غَطَفـان، وقائـدها عُيينـة بن حُصْن بن حُذَيفـة بن بـدر[4]، في بني فَزَارة؛ والحـارث بن عـوف بن أبي حـارثـة المُـرّي، في بني مُرَّة؛ ومِسْعـر[5] بن رُخَيلة بن نُويـرة بن طَـرِيف بن سُحْمـة بـن عبدالله بن هـلال بن خلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع[6].

---

(١) الجبت: الصنم المعبود. الطاغـوت: الساحـر. الكاهن: الشيـطان. أو كل مـا عبد من دون الله.

(٢) سورة النساء ـ الآيات ٥١ ـ ٥٥.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٦٥، ٥٦٦.

(٤) واسم عيينة حُذيفة، وسُمّي: عُيينة لشتر كان بعينه، وهو الذي قال فيه عليه السلام: الأحمق المطاع، لأنه كان من الجرّارين، تتبعه عشرة آلاف قنـاة، وهو الـذي قال فيـه النبيّ ﷺ: إن شرَّ الناس من وادَعَـه الناس اتّقاء شرّه، وفي رواية أخرى: أنه قال: إنّي أداريـه، لأني أخشى أن يفسـد عليّ خلقاً كثيـراً، وفي هذا بيـان معنى الشرّ الـذي اتّقى منه، وكـان دخـل على النبيّ ﷺ بغير إذن فلما قال له: أين الإذن؟ قال: ما استأذنت على مُضريّ قبلك. (الـروض الأنف ٣/٢٧٦) وانظر المواهب اللدنية ٢/١٢٥.

(٥) في تاريخ الطبري ٢/٥٦٦، والإصابة ٣/٣٩٠ «مسعود» وكذا في الطبقات ٢/٦٦.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٥٦٦، نهاية الأرب ١٧/١٦٧.

حفر الخندق: فلما سمع بهم رسولُ الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق عل المدينة، فعمل فيه رسولُ الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يُوَرُّون[1] بالضعيف[2] من العمل، ويتسلّلون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ، ولا إذن. وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة، من الحاجة التي لا بدّ له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحوق بحاجته، فيأذن له، فإذ قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبة في الخير، واحتساباً له[3].

ما نزل من القرآن في حقّ العاملين في الخندق: فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: **﴿إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الذِينَ آمنوا بِالله وَرَسُولِهِ، وإذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إنَّ الذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآلله ورَسُولِهِ فَإذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، واسْتَغْفِر لَهُمُ الله، إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[4] فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير، والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

ثم قال تعالى، يعني المنافقين الذين كانوا يتسلّلون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبيّ ﷺ: **﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً، قَدْ يَعْلَمُ الله الذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً، فَلْيَحْذَر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ أنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ، أو يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[5].

قال ابن هشام: اللِواذ: الاستتار بالشيء عند الهرب، قال حسّان بن ثابت:

---

(١) يورّون: يستترون.

(٢) في تاريخ الطبري «بالضعف».

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٦٦، ٥٦٧.

(٤) سورة النور ـ الآية ٦٢.

(٥) سورة النور ـ الآيتان ٦٣ و٦٤.

وقـريش تـفـرّ مـنّـا لِـواذاً أن يقيمـوا وخَفَّـت منهـا الحـلوم

وهذا البيت في قصيدة له، قد ذكرتها في أشعار يوم أُحُد.

﴿أَلَا إِنَّ للهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

قال ابن إسحاق: من صدْق أو كَذِب.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

المسلمون يرتجزون وهم يعملون: قال ابن إسحاق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جُعيل، سمّاه رسولُ الله ﷺ: عمراً، فقالوا:

سـمّـاه من بـعـد جُعَيـلٍ عَمـرا وكـان لـلبـائس يـومـاً ظَـهْـراً

فإذا مرّوا بـ «عمرو» قال رسـولُ الله ﷺ: «عَمْراً»، وإذا مـرّوا بـ «ظهر» قال رسولُ الله ﷺ: «ظَهْرا»(١).

معجـزات ظهرت في حفـر الخندق: قـال ابن إسحاق: وكـان في حفر الخندق أحاديث بلغتني، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسـول الله ﷺ، وتحقيق نُبوّته، عاين ذلك المسلمون.

فكان مما بلغني أنّ جابر بن عبدالله كان يحدّث: أنه اشتدّت عليهم في بعض الخندق كُدْية(٢)، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء، فَتَفَلَ فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكُـدْية؛ فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحقّ نبيّاً، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا تردّ فأساً ولا مِسْحاة(٣).

---

(١) أي يقـول معهم آخر صـدر البيت وآخر عجـزه فقط فإنـه ﷺ لم يقل شعـراً مطلقـاً وإن كان يسمعـه ويستجيده. يقـول الله تعالى ﴿ومـا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْـرَ وَمَـا يَنْبغِي لَـهُ﴾. انـظر الـطبـري ٥٦٧/٤.

(٢) الكدية: صخرة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧ / ١٧٠.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن مينا أنه حُدّث: أنّ ابنةً لبشير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، قالت: دعتني أمّي عَمرة بنت رَواحَة، فأعطتني حفنةً من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بُنَيّة، اذهبي إلى أبيك وخالك عبدالله بن رَواحة بغَدائهما، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي؛ فقال: «تعالي يا بُنَيّة، ما هذا معك»؟ قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا تمر، بعثتني به أمّي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبدالله بن رَواحة يتغدّيانه؛ قال: «هاتيه»؛ قالت: فصببته في كفَّيْ رسول الله ﷺ، فما ملأتهما، ثم أمر بثوبٍ فبُسِط له ثم دحا بالتمر عليه، فتبدّد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «اصرخ في أهل الخندق: «أنْ هَلُمَّ إليّ للغداء». فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه لَيَسْقط من أطراف الثوب[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن مينا، عن جابر بن عبدالله، قال: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شُوَيْهة، غير جِد سمينة. قال فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ؛ قال: فأمرت امرأتي، فطحنت لنا شيئاً من شعير، فصنعت لنا منه خبزاً، وذبحت تلك الشاة، فشويناها لرسول الله ﷺ. قال: فلما أمسينا وأراد رسولُ الله ﷺ الانصراف عن الخندق ـ قال: وكنّا نعمل فيه نهارنا، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ـ قال: قلت: يا رسول الله، إنّي قد صنعت لك شويهة كانت عندنا، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير، فأحبّ أن تنصرف معي إلى منزلي، وإنّما أريد أن ينصرف معي رسولُ الله ﷺ وحده. قال: فلمّا أن قلت له ذلك؛ قال: «نعم»، ثم أمر صارخاً فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبدالله؛ قال: قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! قال: فأقبل رسولُ الله ﷺ، وأقبل الناس معه؛ قال فجلس وأخرجناها إليه. قال: فبرك وسمّى الله، ثم أكل، وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس، حتى

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

صدر أهل الخندق عنها[1].

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن سلمان الفارسيّ، أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلُظَت عليّ صخرة؛ ورسولُ الله ﷺ قريب منّي؛ فلما رآني أضرب ورأى شدّة المكان عليّ، نزل فأخذ المِعْوَل من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المِعْول بَرْقَة؛ قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته بَرْقة أخرى. قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته بَرْقة أخرى. قال: قلت بأبي أنت وأمّي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المِعْول وأنت تضرب؟ قال: «أَوَقَدْ رأيت ذلك يا سلمان»؟ قال: قلت نعم؛ قال: «أما الأولى فإنّ الله فتح عليّ بها اليمن؛ وأما الثانية فإنّ الله فتح عليّ بها الشام والمغرب؛ وأما الثالثة فإنّ الله فتح عليّ بها المشرق»[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن أبي هريرة أنه كان يقول - حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده - افتتِحُوا ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك[3].

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسولُ الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة، بين الجُرْف وزَغَابة[4] في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومَن تبعهم من بني كِنانة وأهل تِهامة، وأقبلت غَطَفان ومن

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) المغازي لعروة ١٨٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) زَغَابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدّم القول بأنه زُعَابة بضم الزاي والعين المهملة، وحكى عن الطبري أنه قال في هذا الحديث بين الجُرْف والغابة، واختار هذه الرواية وقال: لأنّ زغابة لا تعرف قال: السهيلي في الروض الأنف والأعرف عندي في هذه الرواية رواية من قال: زغابة بالغين المنقوطة، لأنّ في الحديث المسند عنه عليه السلام، قال في ناقة أهداها إليه أعرابيّ، فكافأه بستّ بكرات، فلم يرض، فقال عليه السلام: ألا تعجبون لهذا الأعرابيّ! أهدى إليّ ناقة أعرفها بعينها، كما أعرف بعض أهلي ذهبت منّي يوم زغابة، وقد كافأته بستٍّ فسخط. الحديث. (الروض الأنف ٣/٢٧٧).

تَبِعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذَنب نَقْمَى[1]، إلى جانب أُحُد. وخرج رسولُ الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع[2]، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم.

قال ابن إسحاق: وأمر بالذراري والنساء فجُعِلُوا في الآطام[3].

حُيَيّ بن أخطب يحرّض كعب بن أسد: قال وخرج عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب النضْريّ، حتى أتى كعبَ بنَ أسد القُرَظيّ، صاحب عقد بني قُرَيْظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده؛ فلما سمع كعب بحُيَيّ بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حُيَيّ: ويْحك يا كعب افتح لي: قال: ويْحك يا حُيَيّ، إنك امرؤ مشئوم، وإنّي قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه؛ ولم أر منه إلا وفاءً وصدْقاً؛ قال ويْحك افتح لي أكلّمك؛ قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلاّ عن جُشَيْشَتِك[4] أن آكل معك منها؛ فأحْفَظ[5] الرجل، ففتح له؛ فقال: ويْحك يا كعب، جئتك بعزّ الدهر وببحرٍ طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رُومة، وبغَطَفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنب نَقْمَى إلى جانب أُحُد، قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. قال: فقال له كعب: جئتني والله بذُلّ الدّهر، وبجهام[6] قد هُراق ماءه، فهو يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حُيَيّ: فدعني وما أنا عليه، فإنّي لم أر من

---

(١) ذنب نقمى: موضع من أعراض المدينة قريب أحد. كان لآل أبي طالب. ونَقَمى بالتحريك. (معجم البلدان ٥/٣٠٠).

(٢) سَلْع: جبل بالمدينة. (معجم ٣/٢٣٦).

(٣) الآطام: الحصون.

(٤) الجُشَيْشة: طعام يُصنع من البرّ المطحون خشِناً مع اللحم والتمر.

(٥) أحفظ: أغضب.

(٦) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

محمد إلّا صدقاً ووفاءً. فلم يزل حُيَيّ بكعب يفتله في الذّروة والغارب[1] حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً: لئن رجعت قريش وغَطَفان، ولم يصيبوا محمداً أنْ أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبَرِيء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ[2].

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسولُ الله ﷺ سعد بن مُعاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيّد الأوس، وسعد بن عُبادة بن دُليم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيّد الخزرج ومعهما عبدالله بن رَواحة، أخو بني الحارث بن الخزرج، وخوَّات بن جُبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال: «انطلقوا حتى تنظروا، أحقٌّ ما بَلَغَنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإنْ كان حقّاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس». قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: مَن رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقْد. فشاتمهم سعد بن مُعاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حِدّة؛ فقال له سعد بن عُبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله ﷺ، فسلّموا عليه، ثم قالوا: عُضَل والقارة، أي كغدر عُضَل والقارة بأصحاب الرجيع، خُبَيْب وأصحابه، فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أكبر، أبشِروا يا معشر المسلمين».

قال وعظُم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظنّ المؤمنون كلَّ ظَنٍ، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعَتِّب بن قُشَير، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد

---

(١) هذا مثل، وأصله في البعير، يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه، ويفتل هناك، فيجد البعير لذّة فيأنس عند ذلك، فضُرب هذا الكلام مثلاً في المراوضة والمخاتلة، قال الحُطيئة:

لعمرك ما قراد بني بُغيض ... إذا نزع القراد بمستطاع

يريد: أنهم لا يُخدعون ولا يُستذلّون. (الروض الأنف ٣/٢٧٧).

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٢/٥٧٠، ٥٧١، نهاية الأرب ١٧/١٧٠، ١٧١.

يعدُنا أن نأكل كنوز كِسْرى وقيصر، وأحدُنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يـذهب إلى الغائط[1].

لم يكن مُعتّب منافقاً: قـال ابن هشام: وأخبـرني من أثق بـه من أهـل العلم: أنّ مُعتّب بن قُشَيـر لم يكن من المنافقين، واحتـجّ بأنـه كان من أهـل بدر.

قـال ابن إسحـاق: وحتى قـال أوس بن قَيـظي، أحـد بني حـارثـة بن الحارث: يا رسول الله، إنّ بيوتنـا عورة من العـدّو، وذلك عن مـلأ من رجال قومه، فأذَنْ لنا أن نخرج فنرجـع إلى دارنا، فـإنها خـارج من المدينـة. فأقـام رسولُ الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعاً وعشـرين ليلة، قريبـاً من شهر، لم تكن بينهم حرب إلّا الرِّميا بالنبل والحصار[2].

قال ابن هشام: ويقال الرمْيا.

محـاولـة الصلح مـع غـطَفـان: فلمـا اشتـدّ على النـاس البـلاء، بعث رســولُ الله ﷺ، كمـا حــدّثني عـاصم بن عمــر بن قَتـادة ومَن لا أتّهم، عن محمـد بن مسلم بن عُبيـدالله بن شهـاب الـزُهــريّ، إلى عُيينـة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بـدر، وإلى الحارث بن عـوف بن أبي حارثـة المُرّي، وهمـا قائـدا غَـطَفان، فـأعطاهمـا ثُلُث ثِمار المـدينة على أن يـرجعا بمن معهمـا عنه وعن أصحابه. فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عـزيمة الصلح، إلّا المـراوضة في ذلـك. فلما أراد رسـولُ الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة، فذكر لهما، واستشارهمـا فيه؛ فقـالا لـه: يا رسـول الله، أمراً تحبّـه فنصنعه، أم شيئـاً أمرك الله بـه، لا بدّ لنـا من العمل به، أم شيئـاً تصنعه لنـا؟ قال: «بـل شيء أصنعه لكم، والله مـا أصنع ذلك إلّا لأنّني رأيت العرب قـد رمتكم عن قوس واحـدة، وكالَبـوكم[3] من كل

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٧١، ٥٧٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) كالبوكم: غالبوكم.

جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما»؛ فقال له سعد بن مُعاذ: يا رسول الله، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشِرْك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًى أو بَيْعاً، أحِين أكْرَمَنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسولُ الله ﷺ: «فأنت وذاك» فتناول سعد بن مُعاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا[1].

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ والمسلمون، وعدوّهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلاّ أنّ فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس، أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيس -

قال ابن إسحاق: وعِكْرمة بن أبي جهل، وهُبَيرة بن أبي وهْب المخزوميّان. وضِرار بن الخطّاب الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فِهْر، تلبَّسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مرّوا بمنازل بني كِنانة، فقالوا: تهيّئوا يا بني كِنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تُعْنِق[2] بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إنّ هذه لمَكيدة ما كانت العرب تكيدها[3].

سلمان يشير إلى حفر الخندق: قال ابن هشام: يقال: إنّ سلمان الفارسيّ أشار به على رسول الله ﷺ.

وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منّا؛ وقالت الأنصار: سلمان منّا، فقال رسولُ الله ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت»[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٧٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/١٧٢، ١٧٣.
(٢) تُعنق: تسرع.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٧٣، ٥٧٤، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٤/١/٥٩، والحاكم في المستدرك ٣/٥٩٨. كلاهما=

عليّ يقتل عمرو بن عبد ودّ: قال ابن إسحاق: ثم تيمّموا مكاناً ضيّقاً من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السَّبْخة بين الخندق وسَلْع، وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تُعْنِق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أُحُد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِماً[1] ليُرى مكانه. فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له عليّ بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنكْ قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلَّتين إلاّ أخذتها منه، قال له: أجل؛ قال له عليّ: فإنّي أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لي بذلك؛ قال فإنّي أدعوك إلى النزال؛ فقال له: لِمَ يا بن أخي؟ فوالله ما أحبّ أن أقتلك، قال له عليّ: لكنّي والله أحبّ أن أقتلك؛ فَحَمِي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على عليّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله عليّ رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت على الخندق هاربة[2].

قال ابن إسحاق: وقال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

نَصَرَ الحِجارةَ من سَفاهةِ رأيهِ ... ونَصَرْتُ ربَّ محمدٍ بصَوابي[3]
فصَدَدْتُ حين تركْتُه متجدّلا[4] ... كالجِذْعِ بين دكادكٍ ورَوابي[5]
وعَفَفْتُ عن أثوابه ولو أنني ... كنتُ المُقَطَّر بَزَّني أثوابي[6]
لا تَحْسِبُنّ الله خاذل دِينه ... ونبّيه يا معشر الأحزاب[7]

= من طريق: ابن أبي فديك، عن كثير بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، وقال الذهبي: سنده ضعيف. (سير أعلام النبلاء ١/٥٤٠).

(١) مُعْلِماً: له علامة يُعرف بها.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٧٤، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٣) الحجارة: الأنصاب التي كانت تعبدها قريش.
(٤) في تاريخ الإسلام (المغازي): «نازلته فتركته متجدّلاً».
(٥) الدكادك: الرمال اللينة.
(٦) المُقَطّر: الذي وقع على قطره وهو جنبه. وبزّني: سلبني.
(٧) في تاريخ الإسلام ثلاثة أبيات، وكذا في البدء والتاريخ ٤/٢١٨.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشكّ فيها لعليّ بن أبي طالب.

هجاء حسّان لعِكْـرمة: قـال ابن إسحاق: وألقى عِكـرِمة بن أبي جهـل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو؛ فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

فـرّ وألـقـى لـنـا رُمْـحَـه ... لـعـلّك عِـكْـرَم لـم تَـفـعـلِ
وولَّيْتَ تعـدو كعـدْو الـظليم[1] ... مـا إنْ تَـجُـور عـن الـمَـعْـدِل
ولـم تـلق ظـهـرَك مُـسـتـأنِـسـاً ... كـأن قَـفـاك قـفـا فُـرْعُـل

قال ابن هشام: الفُرْعُل: صغير الضباع، وهذه الأبيات له.

وكـان شعار أصحـاب رسول الله ﷺ يـوم الخندق وبني قُـرَيظة: حَمَ،لا يُنصرون.

استشهاد سعد بن مُعاذ: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبـو ليلى عبدالله بن سهـل بن عبدالـرحمن بـن سهل الأنصـاريّ، أخو بني حـارثة: أنّ عـائشـة أم المؤمنين كـانت في حصْن بني حارثـة يوم الخنـدق، وكان من أحـرز حصـون المدينة. قال: وكانت أم سعد بن مُعاذ معها في الحصن؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمرّ سعد وعليه درع له مقلّصة[2]، قد خرجت منها ذراعه كلّها، وفي يده حربته يرفل[3] بها ويقول:

لبِّث قليـلاً يشهـدِ الهيجـا جَمَـل[4] ... لا بـأس بـالمـوت إذا حـان الأجـلْ

قال: فقالت له أمّه: الحق: أي ابني، فقد والله أخَّرْتَ؛ قالت عائشـة: فقلت لهـا: يا أمّ سعـد، والله لـودِدْت أن درع سعـد كـانت أسبـغ ممـا هي؛ قـالت: وخفت عليه حيث أصـاب السهم منه، فـرُمي سعـد بن مُعـاذ بسهم، فقـطع منه الأكحـل[5]، رماه كمـا حدّثني عـاصم بن عمر بـن قَتـادة، حبّان بن

(١) الظليم: ولد النعام.
(٢) مقلّصة: قصيرة ارتفعت عن حدّها.
(٣) يرفل: يجرّ ذيله ويتبختر. وفي تاريخ الطبري ٢/٥٧٥ «يَرْقد».
(٤) جمل: اسم رجل.
(٥) الأكحل: عِرْق في وسط الذراع.

قيس بن العَرِقة[1]، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، فلما أصابه، قال: خذها منّي وأنا ابن العَرِقة؛ فقال له سعد: عرّق الله وجهك في النار، اللهمّ إنْ كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحبّ إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه، اللّهمّ وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تُمِتني حتى تقرّ عيني من بني قُرَيْظة[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن عبدالله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعداً يومئذ إلاّ أبو أسامة الجُشَمّي، حليف بني مخزوم.

وقد قال أبو أسامة في ذلك شِعراً لعِكْرِمة بن أبي جهل:

أعِكْرِمَ هلاَّ لُمْتَني إذ تقول لي ... فداك بآطام المدينة خالدُ
ألستُ الذي ألزمتُ سعداً مُرشةً ... لها بين أثناء المَرافِق عاند[3]
قضى نَحْبه منها سُعيد فأعْوَلت ... عليه مع الشمط العَذارى النَّواهِد
وأنت الذي دافعت عنه وقد دَعا ... عُبيدة جمعاً منهم إذ يُكابد
على حين ما هُم جائر عن طَرِيقه ... وآخر مَرْعُوب عن القصْد قاصد

[والله أعلم أيَّ ذلك كان].

قال ابن هشام: ويقال: إنّ الذي رمى سعداً خَفاجة بن عاصم بن حِبّان.

حديث حسّان في وقعة الخندق: قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد قال: كانت صفيّة بنت عبد المطّلب في فارع، حصن حسّان بن ثابت قالت: وكان حسّان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان. قالت صفيّة؛ فمرّ بنا رجل من يهود، فجعل يُطيف

---

(١) العَرِقة هي: قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تُكنّى أم فاطمة، سُمّيت العرِقة لطيب ريحها. (الروض الأنف ٣/٢٨٠).

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٧٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) مُرِشة: يريد طعنة مرشة؛ أي فجّرت منه رشاش الدم. والعاند: العِرْق الذي لا ينقطع دمه.

بالحصن، وقد حاربت بنو قُرَيظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا ورسولُ الله ﷺ والمسلمون في نحور عدّوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ. قالت: فقلت: يا حسّان، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطيف بالحصن، وإنّي والله ما آمنه أن يدلّ على عورتنا مَن وراءنا من يهود، وقد شُغل عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ قال: يغفر الله لك يابنة عبدالمطّلب، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجزت[1] ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسّان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسَلبه من حاجة يابنة عبدالمطّلب[2].

خداع نُعَيم للمشركين: قال ابن إسحاق: وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابه، فيما وصف الله من الخوف والشدّة، لتظاهُر عدوّهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال: ثم إنّ نُعيم بن مسعود بن عامر بن أُنَيْف بن ثعلبة بن قُنْفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنّي قد أسلمت، وإنّ قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرْني بما شئت؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «إنّما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا إن استطعت، فإنّ الحرب خُدعة»[3]. فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بني

---

(١) احتجزت: شدّت وسْطها.

(٢) محمل هذا الحديث عند الناس على أنّ حسّاناً كان جباناً شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء، وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، ولو صحّ هذا لهُجي به حسّان، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزِّبَعْرى، وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردّون عليه، فما عيّره أحد منهم بجبن، ولا وسمه به، فدلّ هذا على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فربما كان حسّان معتلاً في ذلك اليوم بعلّة منعته من شهود القتال، وهذا أولى ما تأول. (الروض الأنف ٣/٢٨١) وانظر الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٧٧، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) حديث الحرب خدعة أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ٤/٢٤ باب الحرب خدعة، من طريق معمر، عن همّام بن منبّه، عن أبي هريرة، ومن طريق صدقة بن الفضل، عن ابن عُيينة، عن عمرو، عن جابر بن عبدالله. وأخرجه في كتاب المناقب ٤/١٧٩ باب علامات النبوّة=

قُرَيظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قُـرَيظة، قد عـرفتم ودّي إيّاكم، وخاصّـة ما بيني وبينكم، قـالوا: صـدقت، لست عندنـا بمُتَّهَم؛ فقال لهم إنّ قـريشاً وغَـطَفان ليسـوا كـأنتم، والبلد بلدكم، فيـه أمـوالكم وأبنـاؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره، وإنّ قـريشاً وغَـطَفان قـد جـاءوا لحرب محمـد وأصحابـه، وقد ظـاهرتمـوهم عليه، وبلدهم وأمـوالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة[1] أصـابوهـا، وإن كان غيـر ذلك لحقـوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الـرجل ببلدكم، ولا طـاقة لكم بـه إن خلا بكم، فـلا تقاتلوا مـع القوم حتى تـأخـذوا منهم رهنـاً من أشـرافهم، يكـونـوا بـأيديكم ثقـة لكم على أن تقاتلوا معهم محمـداً حتى تناجـزوه، فقالـوا: لقد أشرتَ بالرأي.

ثم خـرج حتى أتى قريشـاً، فقال لأبي سفيـان بن حـرب ومن معـه من رجـال قريش: قـد عرفتم ودّي لكم وفـراقي محمداً، وإنـه قد بلغني أمـر قـد رأيت عليّ حقاً أن أبلّغكُمُوه، نُصحاً لكم فاكتموا عنّي، فقالوا: نفعل: قـال: تعلموا أنّ معشر يهود قد نـدموا على مـا صنعوا فيمـا بينهم وبين محمد، وقـد أرسلوا إليـه: إنّا قـد ندِمنـا على ما فعلنـا، فهل يـرضيـك أن نـأخـذ لـك من القبيلتين من قريش وغَطَفان رجالاً من أشرافهم فنُعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسـل اليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تـدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

= في الإسـلام. وأخرجـه مسلم في كتاب الـزكـاة (١٥٤/١٠٦٦) بـاب التحـريض على قتـل الخـوارج، وفي كتاب الجهـاد والسير (١٧/١٧٣٩) و(١٨/١٧٤٠) بـاب جواز الخـداع في الحـرب. وأبو داود في كتـاب الجهاد (٢٦٣٦) و(٢٦٣٧) بـاب المكـر في الحـرب . وفي كتاب السُّنّة (٤٧٦٧) بـاب في قتال الخـوارج. وابن ماجـة في كتاب الجهـاد (٢٨٣٣) باب الخـديعـة في الحـرب، و(٢٨٣٤)، والـدارمي في كتـاب السيـر، بـاب (١٣)، وأحمـد في المسنـد ٨١/١ و٩٠ و١١٣ و٢٦ أو ١٣١ و١٣٤ و٣١٢/٢ و٣١٤ و٢٢٤/٣ و٢٩٧ و٣٨٠ و٣٨٧/٦، والبدء والتاريخ ٢١٩/٤ .

(١) النهزة: الفرصة.

ثم خرج حتى أتى غَطَفان، فقال: يا معشر غَطَفان، إنّكم أصلي وعشيرتي، وأحبّ الناس إليّ، ولا أراكم تتّهموني؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتّهم: قال: فاكتموا عنّي؛ قالوا: نفعل، فما أمرك؟، ثم قال لهم ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم.

ما أنزل الله بالمشركين: فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صُنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غَطَفان إلى بني قُرَيظة عِكرِمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغَطَفان، فقالوا لهم: إنّا لسنا بدار مُقام، قد هلك الخَفّ والحافر[1]، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه؛ فأرسلوا إليهم: إنّ اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نفعل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإنّا نخشى إنْ ضرّستكم[2] الحرب، واشتدّ عليكم القتال أن تنشمروا[3] إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قُرَيْظة، قالت قريش وغَطَفان: والله إنّ الذي حدّثكم نُعيم بن مسعود لَحَقّ، فأرسَلوا إلى بني قُرَيظة: إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قُرَيظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إنّ الذي ذكر لكم نُعيم بن مسعود لَحَقّ، ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم. وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغَطَفان: إنّا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليالٍ شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتَطْرح أبنيتهم.

---

(١) الخف: الإبل. والحافر: الخيل.
(٢) ضرّستكم: نالت منكم.
(٣) تنشمرون: ترجعون.

استخبار ما حل بالمشركين: قال فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً(١).

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحُذَيفة بن اليَمَان؛ يا أبا عبدالله، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحِبْتُمُوه؟ قال: نعم، يا بن أخي؛ قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد؛ قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حُذَيفة: يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلّى رسولُ الله ﷺ هُوِيًّا(٢) من الليل، ثم التفت إلينا فقال: «مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسولُ الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة»؟ فما قام رجل من القوم، من شدّة الخوف، وشدّة الجوع، وشدّة البرد؛ فلما لم يقم أحد، دعاني رسولُ الله ﷺ، فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني؛ فقال: «يا حُذيفة اذهب فادخل مع القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحْدثَن شيئاً حتى تأتينا». قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان. فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤ مَن جليسه؟ قال حُذَيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان.

أبو سفيان ينادي بالرحيل: ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنّكم والله ما أصبحتم بدار مُقام، لقد هلك الكراع والخفّ(٣)، وأخْلَفَتْنا بنو قُرَيظة، وبَلَغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما ترون، ما تطمئنّ لنا قِدْر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحِلوا فإنّي مرتحل؛ ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٧٨، ٥٨٩، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) هويّاً من الليل: جزءاً منه.

(٣) الكراع: الخيل. الخف: الإبل.

أطلق عقاله إلّا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ «أن لا تُحدِث شيئاً حتى تأتيني» ثم شئت، لقتلته بسهم.

قال حُذَيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلّي في مِرْط[1] لبعض نسائه، مراجل[2].

قال ابن هشام: المراجل: ضرب من وشْي اليمن.

فلما رآني أدخلني إلى رِجْليه، وطرح عليّ طرف المِرْط، ثم ركع وسجد، وإنّي لفيه، فلما سلّم أخبرته الخبر، وسمعت غَطَفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم[3].

الرجوع من الخندق: قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسولُ الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمين، ووضعوا السلاح.

غزوة بني قُرَيْظة في سنة خمس[4]

جبريل يأتي بحرب بني قُرَيظة: فلما كانت الظهر، أتى جبريل رسول الله ﷺ، كما حدّثني الزُهْريّ، معتجراً[5] بعمامة من إسْتبرق[6]، على

(١) المِرْط: كساء من صوف أو خزّ.

(٢) مراجل: المرجّل كمعظّم، المعلّم من البُرُود والثياب، وبُرْد مرجّل فيه صُوَر كصُوَر الرجال. والمرحّل (بالحاء) ضرْب من بُرُود اليمن سُمّي مرحّلاً لأنّ عليه تصاوير رحل، ومِرْط مرحّل عليه تصاوير الرجال.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٠، ٥٨١، تفسير الطبري ٢١/٨٠، ٨١، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) أنظر عنها في: تاريخ الطبري ٢/٥٨١ - ٥٩٣، المغازي لعروة ١٨٦ - ١٨٩، الدرر ١٨٩، جوامع السيرة ١٩١، المغازي للواقدي ٢/٤٩٦ - ٥٣١، الطبقات الكبرى ٢/٧٤ - ٧٨، أنساب الأشراف ١/٣٤٧، ٤٨ رقم ٧٣٣، المحبّر ١١٣، البدء والتاريخ ٤/٢١٩، الكامل في التاريخ ٢/١٨٥ - ١٨٧، عيون الأثر ٢/٦٨ - ٧٨، مجمع الزوائد ٦/١٣٠ - ١٤٢، مرآة الجنان ١/ ٩، ١٠، سيرة ابن كثير ٣/٢٢٣ - ٢٦٠، عيون التواريخ ١/٢٠٦ - ٢١١، نهاية الأرب ١٧/١٨٦ - ١٩٧، صحيح البخاري ٥/٤٩ - ٥١، تاريخ الإسلام (المغازي).

وبنو قريظة: فخذ من جذام إخوة النضير، ويقال إنّ تهوّدهم كان في أيام عاديا أي السموأل، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنُسبوا إليه. (تاريخ اليعقوبي ٢/٥٢).

(٥) الاعتجار: التعمّم على الرأس فقط دون جوانب الوجه.

(٦) الاستبرق: الديباج الغليظ الصفيق الحسن.

بغلة عليها رحالة[1]، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم»؛ فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلّا من طلب القوم، إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قُرَيظة، فإنّي عامد إليهم فمُزلزِلٌ بهم[2].

فأمر رسولُ الله ﷺ مؤذّناً، فأذّن في الناس، من كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلّين العصر إلّا ببني قُرَيْظة[3].

واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، فيما قال ابن هشام.

عليّ يبلّغ الرسول ما سمعه من بني قُريظة: قال ابن إسحاق: وقدّم رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب برايته إلى بني قُرَيْظة، وابتدرها الناس. فسار عليّ بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال: «لِمَ؟ أظنّك سمعت منهم لي أذىً»؟ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً». فلما دنا رسولُ الله ﷺ من حصونهم. قال: «يا إخوان القِردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته»؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً[4].

جبريل في صورة دحية الكلبيّ: ومرّ رسولُ الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصَّوْرين[5] قبل أن يصل إلى بني قُرَيظة، فقال: «هل مرّ بكم أحد»؟ قالوا: يا رسول الله، قد مرّ بنا دِحية بن خليفة الكلبيّ، على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج. فقال رسولُ الله ﷺ: «ذلك جبريل، بُعث إلى بني قُرَيظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم»[6].

---

(١) الرحالة: السرج.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٨١.

(٣) أخرج البخاري في كتاب المغازي (٤٩/٥، ٥٠) باب مرجع النبيّ ﷺ من الأحزاب، ومسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٦٩) باب جواز قتال من نقض العهد. بنحوه.

(٤) تاريخ الطبري ٥٨٢/٢، وانظر مسند أحمد ١٤١/٦، ١٤٢.

(٥) الصورين: موقع قريب من المدينة.

(٦) تاريخ الطبري ٥٨٢/٢.

ولما أتى رسولُ الله ﷺ بني قُريظة؛ نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال لها بئر أنا[1].

قال ابن هشام: بئر أنيّ.

قال ابن إسحاق: وتلاحق به الناس، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلُّوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلّين أحد العصر إلّا ببني قُرَيظة»، فشغلهم ما لم يكن منه بدّ في حربهم، وأبوا أن يصلّوا، لقول رسول الله ﷺ: «حتى تأتوا بني قُرَيظة». فصلُّوا العصر بها، بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه، ولا عنّفهم به[2] رسولُ الله ﷺ.

---

(١) أنا: مثل «هنا» أو مثل «حتى» أو بكسر النون المشدّدة، ويروى بموحّدة بدل النون. من آبار بني قريظة. (معجم البلدان).

(٢) وفي هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، فقد صلّت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس، وقالوا: لم يرد النبيّ - ﷺ - إخراج الصلاة عن وقتها، وإنما أراد الحث والإعجال فما عنف أحداً من الفريقين، وفي هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً، فإنه قال سبحانه: ﴿ففهّمناها سليمان، وكلًّا آتينا حكماً وعلماً﴾ ولا يستحيل ان يكون الشيء صواباً في حق إنسان وخطأ في حق غيره، فيكون من اجتهد في مسألة فأدّاه اجتهاده إلا التحليل مصيباً في استحلاله؛ وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره الى تحريمها، مصيباً في تحريمها، وإنما المحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين: الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علّقوا الأحكام بالنصوص، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتي بحظر، وإباحة معاً إلا على وجه النسخ، وأما المعتزلة، فإنهم علّقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه؛ فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين، فاستحال عندهم ان يتصف فعل بالحسن في حق زيد والقبح في حق عمرو، كما يستحيل ذلك في الألوان والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق، فليس الحظر والإباحة عندهم بصفات أعيان، وإنما هي صفات أحكام، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر في النازلة على من أداه نظره واجتهاده الى الحظر، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة، كلها صفات أحكام. فكل مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفّع به عن حضيض التقليد الى هضبة النظر، فهو مصيب في اجتهاده مصيب في الحكم الذي تعبد به، وإن تعبّد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبّد هو به؛ فلا يعد في ذلك إلا على من يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق. (الروض الأنف ٣/٢٨١، ٢٨٢).

حدّثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يَسار، عن مَعْبَد بن كعب بن مالك الأنصاريّ(١).

الحصار: قال: وحاصرهم رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وقد كان حُيَيّ بن أخطب دخل مع بني قُرَيظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغَطَفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه(٢).

كعب بن أسد ينصح قومه: فلما أيقنوا بأنّ رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنّي عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم؛ قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبيّن لكم أنه لنبيّ مُرْسَل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم على هذه، فهلُمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصْلِتين السيوف، لم نترك وراءنا ثَقَلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فان نَهلك نهلِك، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فَلَعَمْري لنجدنّ النساء والأبناء؛ قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه، فإنّ الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنونا فيها، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّة؛ قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونُحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلّا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً(٣).

قصة أبي لُبابة: قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٢.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٨٣.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٣، ٥٨٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

أبا لُبابـة[1] بن عبد المنـذر، أخا بني عمـرو بن عوف، وكـانوا حلفـاء الأوس، لنستشيره في أمرنا، فأرسَله رسولُ الله ﷺ إليهم؛ فلما رأوه قـام إليه الـرجال، وجهش[2] إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقَّ لهم، وقـالوا لـه: يا أبـا لُبابة! أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذَّبح. قال أبو لُبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكـانهما حتى عـرفت أنّي قد خنت الله ورسوله ﷺ، ثم انطلق أبو لُبابة على وجهـه ولم يأت رسـول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمُده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بني قُرَيـظة أبداً، ولا أُرَى في بلدٍ خنت الله ورسوله فيه أبداً[3].

قـال ابن هشام: وأنـزل الله تعالى في أبي لُبـابة، فيمـا قـال سفيـان بن عُيينة، عن إسماعيل بـن أبي خالد، عن عبدالله بن أبي قَتادة: **﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا الله والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[4].

قـال ابن إسحاق: فلمـا بلغ رسولَ الله ﷺ خبـرُه، وكان قـد استبـطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنـا بالـذي أُطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه[5].

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن عبدالله بن قُسيط: أنّ توبة أبي لُبـابة نـزلت على رسـول الله ﷺ من السَّحَـر، وهـو في بيت أمّ سَلَمــة. فقـالت أمّ

---

(١) هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل: اسمه مبشّر، وتاب وربط نفسه حتى تاب الله عليـه، وذكر فيه أنـه أقسم ألّا يحلّه إلّا رسول الله ﷺ، وفيـه: أنزل الله تعـالى: ﴿وآخرُونَ اعْتَـرفُوا بـذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَـلاً صالحـاً﴾، غير أنّ المفسّـرين اختلفوا في ذنبـه مـا كـان، فقـال ابن إسحاق ما ذَكـره في السيرة من إشـارته على بني قُـرَيظة، وقـال آخرون: كـان من المخلّفين الذين تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية. (الروض الأنف ٣/٢٨٢).

(٢) في تاريخ الطبري «بهش» أي خفّ إليه.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٤، ٥٨٥.

(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٢٧.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٥٨٥، التفسير ٢١/٩٦.

سَلَمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك. قالت: فقلت: مِمّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سِنَّك؛ قال: «تِيب على أبي لُبابة»؛ قالت: قلت: أفلا أبشِّره يا رسول الله! قال: «بلى، إن شئتِ». قال: فقامت على باب حُجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب، فقالت: يا أبا لُبابة، أبشِرْ فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليُطْلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسولُ الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده؛ فلما مرّ عليه رسولُ الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه[1].

قال ابن هشام: أقام أبو لُبابة مرتبطاً بالجذع ستَّ ليالٍ، تأتيه امرأته في كلّ وقت صلاة، فتحلّه للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع، فيما حدّثني بعض أهل العلم، والآية التي نزلت في توبته قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَآخَرُون اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَىٰ الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

إسلام بعض بني هَدْل: **قال ابن إسحاق:** ثم إنّ ثعلبة بن سَعية، وأُسَيْد بن سَعية، وأسد بن عُبيد، وهم نفر من بني هَدْل، ليسوا من بني قُريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عمّ القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قُريظة على حكم رسول الله ﷺ[3].

قصّة عمرو بن سُعْدَى: وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعْدَى القُرَظيّ، فمرّ بحرَس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة؛ فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سُعْدَى ـ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قُرَيظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً ـ فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلّى سبيله. فخرج على وجهه حتى أتى بابَ مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٥، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) سورة التوبة ـ الآية ١٠٢.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

تلك الليلة، ثم ذهب فلم يُدر[1] أين توجّه من الأرض إلى يومه هذا، فذُكر لرسول الله ﷺ شأنه؛ فقال: «ذاك رجل نجّاه الله بوفاته». وبعض الناس يزعمون أنه كان أُوثق برُمّة[2] فيمن أُوثق من بني قُرَيظة، حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رُمَّته مُلقاة، ولا يُدرى أين ذهب؛ فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم أيَّ ذلك كان[3].

تحكيم سعد في أمر بني قُريظة: قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت ـ وقد كان رسولُ الله ﷺ قبل بني قُريظة قد حاصر بني قَيْنُقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، فوهبهم له ـ فلما كلّمته الأوس قال رسولُ الله ﷺ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم»؟ قالوا: بلى؛ قال رسولُ الله ﷺ: «فذاك إلى سعد بن مُعاذ». وكان رسولُ الله ﷺ قد جعل سعد بن مُعاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رُفَيْدة[4]، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضَيعة من المسلمين، وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «اجعلوه في خيمة رُفَيْدة حتى أعوده من قريب». فلما حكّمه رسولُ الله ﷺ في بني قُرَيظة، أتاه قومه فحملوه على حمار وطّئوا له بوسادة من أدَمٍ وكان رجلًا جسيماً جميلًا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإنّ رسول الله ﷺ إنّما ولّاك ذلك لتُحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد أنّى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعَى لهم رجال بني قُرَيظة، قبل ان يصل إليهم

(١) في تاريخ الطبري ٢/٥٨٦«فلا يُدْرى».
(٢) الرمة: الحبل البالي.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٦.
(٤) وقيل إنها أنصارية من أسلم.

سعـد، عن كلمته التي سمـع منـه. فلمــا انتهى سعـد إلى رســول الله ﷺ والمسلمين، قال رسولُ الله ﷺ: «قوموا الى سيّـدكم» ـ فأمـا المهاجـرون من قريش، فيقولون: إنّما أراد رسولُ الله ﷺ الأنصار؛ وأمـا الأنصار، فيقـولون: قد عمّ بها رسولُ الله ﷺ ـ فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إنّ رسول الله ﷺ قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم؛ فقال سعد بنُ معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثـاقه، أنّ الحكم فيهم لمـا حكمت؟ قالـوا: نعم: وعلى من هـا هنـا؟ في الناحية التي فيها رسولُ الله ﷺ، وهو مُعرض عن رسـول الله ﷺ إجلالاً لـه؛ فقـال رسولُ الله ﷺ نعم؛ قـال سعد: فـإنّي أحكم فيهم أن تقتـل الـرجـال، وتُقسّم الأموال، وتُسبَى الذراري والنساء[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمـر بن قَتادة، عن عبـد الرحمن ابن عمرو بن سعـد بنُ معــاذ، عن علقمـة بن وقّــاص اللّيثي، قـال: قــال رسولُ الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[2].

قـال ابن هشام: حـدّثني بعض من أثق به من أهـل العلم: أنّ عليّ بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قُرَيظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدّم هو والزُبير ابن العوّام، وقال: والله لأذوقنّ مـا ذاق حمزة أو لأفتحنّ حصنهم؛ فقـالوا: يـا محمد، ننزل على حكم سعد بن مُعاذ.

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا، فحبسهم رسولُ الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحـارث[3]، امرأة من بني النّجـار، ثم خـرج رسـولُ الله ﷺ الى سـوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضـرب أعناقهم في تلك الخنادق، يُخرج بهم إليه أرسـالاً[4]، وفيهم عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب، وكعب بن أسد، رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٧ ـ ٥٨٨.

(٢) الأرقعة: السماوات. والخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٨٨ وانظر الروض الأنف ٣/٢٨٣.

(٣) واسمها: كيّسة بنت الحارث بن كُريز بن حبيب بن عبد شمس، وكـانت تحت مُسيلمة الكذّاب، ثم خلف عليها عبدالله بن عامر بن كريز. (الروض الأنف ٣/٢٨٣).

(٤) أرسالاً: طائفة وراء أخرى.

يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة. وقد قالوا لكعب بن اسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كلّ موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذُهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسولُ الله ﷺ(١).

وأُتي بحُيَيّ بن أخطب عدوّ الله، وعليه حُلّة له فقّاحية(٢) - قال ابن هشام: فقّاحية: ضرب من الوشي - قد شقّها عليه من كلّ ناحية قدر أنملة لئلا يُسْلَبها، مجموعة يداه الى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ، قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنّه من يَخذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضُربت عُنقه.

فقال جبل بن جوّال الثعلبيّ:

لَعَمْرُكَ ما لامَ ابنُ أخطَبَ نفسه	ولكنّه من يخذل الله يُخذَل
لَجاهَدَ حتى أبلغ النّفس عُذرَها	وقَلْقَل يبغي العِزّ كلَّ مُقَلْقَلِ(٣)

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محمد بن جعفر بن الزُبير، عن عُروة، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلّا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تحدّث معي، وتضحك ظهراً وبطناً، ورسولُ الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت لها: ويلك؛ مالك؟ قالت: أقتل؛ قلت: ولِمَ؟ قالت: لَحدث أحدثته؛ قالت: فانْطُلِق بها، فضربت عنقها: فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجباً منها، طِيبَ نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل(٤).

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٨.
(٢) فقّاحية: تضرب الى لون الحُمْرة.
(٣) قلقل: تحرك. والخبر والبيتان في تاريخ الطبري ٢/٥٨٨، ٥٨٩، وتاريخ الاسلام.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٨٩، تاريخ الاسلام.

قال ابن هشام: وهي التي طرحت الرّحا على خلّاد بن سُويد، فقتلته.

قصة الزّبير بن باطا: قال ابن إسحاق: وقد كان ثابت بن قيس بن الشمّاس، كما ذكر لي ابن شهاب الزُهْرَيّ، أتى الزّبير[1] بن باطا القُرَظيّ، وكان يُكنّى أبا عبد الرحمن - وكان الزُبير قد منّ على ثابت بن قيس بن شمّاس في الجاهلية ذكر لي بعض ولد الزُبير أنه كان منّ عليه يوم بُعاث، أخذه فجزّ ناصيته، ثم خلّى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؛ قال: إنّي قد أردت أن أجزيك بيدك عندي؛ قال: إنّ الكريم يجزي الكريم: ثم أتى ثابتُ بن قيس رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه قد كانت للزُّبير عليّ مِنّةً، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «هو لك»؛ فأتاه فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، فهو لك؛ قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابت رسولَ الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، هب لي امرأته وولده؛ قال: «هم لك». قال: فأتاه فقال: قد وهب لي رسولُ الله ﷺ أهلك وولدك، فهم لك. قال: أهل بيت الحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ماله؛ قال: «هو لك». فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسول الله ﷺ مالك، فهو لك؛ قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأنّ وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عَذارَى الحيّ، كعب بن أسد؟ قال: قُتل؛ قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي حُيَيّ بن أخطب؟ قال: قُتل؛ قال: فما فعل مقدّمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا، عزّال بن سموأل؟ قال: قُتل: قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قُرَيظة وبني عمرو بن قُريظة؛ قال: ذهبوا قُتلوا؟قال: فإنّي أسألك يا ثابت بيدي عندك إلاّ ألحقتني بالقوم، فوالله ما في

---

(١) هو الزبير بفتح الزاي وكسر الباء جدّ الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطّأ في كتاب النكاح، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن، فقيل: الزبير بفتح الزاي وكسر الباء كاسم جدّه وقيل الزُّبير، وهو قول البخاري في التاريخ. (الروض الأنف ٣/٢٨٤).

العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله فتلة[1] دلْو ناضح[2] حتى ألقى الأحبّة. فقدّمه ثابت، فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصّدّيق قوله «ألقى الأحبة». قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلّداً[3].

قال ابن هشام: قَبْلة دلْو ناضح. قال زُهير بن أبي سُلْمى في «قَبْلة»:

وقابل يتغنّى كلّما قَدَرَتْ ... على العَرَاقي يداه قائماً دَفَقا

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: ويُروى: وقابل يتلقّى، يعني قابل الدلْو يتناول.

عُطية القُرظي ورفاعة بن سَمَوْأل: **قال ابن إسحاق:** وكان رسولُ الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني شُعبة بن الحَجّاج، عن عبد الملك بن عُمير، عن عطيّة القُرَظيّ، قال: كان رسولُ الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قُرَيظة كل من أنبت منهم، وكنت غلاماً، فوجدوني لم أُنْبت، فخلّوا سبيلي.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أيّوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة أخو بني عديّ بن النجّار: أنّ سُلْمى بنت قيس، أم المنذر أخت سُلَيط ابن أخت سُليط بن قيس ـ وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، قد صلّت معه القِبلتين، وبايعته بيعة النساء ـ سألته رفاعة بن سَمَوْأل القُرَظيّ، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمّي، هب لي رفاعة، فإنه قد زعم أنه سيصلّي ويأكل لحم

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/ ٥٩٠ «قَبْلة». قال أبو ذر الخشني: «ومن رواه قبلة بالقاف والباء، فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبّها في الحوض ثم يصرفها، وهذا كله لا يكون الا عن استعجال وسرعة».

(٢) الناضح: الحبل. والمعنى مقدّراً ما يأخذ الرجل الدّلْو ليصبّها في الحوض.

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٥٨٩، ٥٩٠.

(٤) تاريخ الطبري ٢/ ٥٩١.

الجمل؛ قال: فوهبه لها، فاستحيته[1].

تقسيم الفَيْء: قال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله ﷺ قسّم أموال بني قُرَيظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعلم في ذلك اليوم سُهمان الخيل وسُهمان الرجال، وأخرج منها الخُمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل من ليس له فرس، سهم. وكانت الخيل يوم بني قُرَيظة ستة وثلاثين فرساً، وكان أول فَيْء وقعت فيه السُّهمان، وأخرج منها الخُمس، فعلى سُنّتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السُّنّة في المغازي[2].

ثم بعث رسولُ الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاريّ أخا بني عبد الأشهل سبايا من سبايا بني قُرَيظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً.

إسلام رَيْحانة: قال: وكان رسولُ الله ﷺ قد أصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة، إحدى نساء بني عمرو بن قُرَيظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوفّي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسولُ الله ﷺ عرض عليها أن يتزوّجها، ويضرب عليها الحجاب؛ فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخفّ عليّ وعليك، فتركها. وقد كانت حين سباها قد تعصّت[3] بالاسلام، وأبت إلاّ اليهودية، فعزلها رسولُ الله ﷺ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها. فبينا هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه؛ فقال: إنّ هذا لثعلبة بن سَعية يبشّر باسلام رَيْحانة؛ فجاءه فقال يا رسول الله، قد أسلمت رَيْحانة، فسرّه ذلك من أمرها[4].

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قُرَيظة: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في أمر الخندق، وأمر بني قُرَيظة من القرآن، القصة في الأحزاب،

---

(١) تاريخ الطبري ٥٩١/٢.
(٢) تاريخ الطبري ٥٩١/٢.
(٣) تعصّت: أي عصت.
(٤) تاريخ الطبري ٥٩٢/٢، تاريخ الاسلام.

يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرّج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكم إذ جاءَتْكُم جُنُودٌ فأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا، وكَانَ الله بِما تَعْمَلُونَ بَصيراً﴾. والجنود قريش وغَطَفان وبنو قُرَيظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: ﴿إذْ جَاءُوكُم من فَوْقِكُمْ وَمِنْ أسْفَلَ مِنْكُم، وإذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغت القُلُوبُ الحَنَاجِرَ، وتَظُنُّونَ بالله الظّنُونا﴾. فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قُرَيْظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغَطَفان. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هُنالِكَ آبتُلِيَ آلمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً، وَإذْ يَقُولُ آلمُنَافِقُون وَالّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا الله وَرَسُولُهُ إلاّ غُرُوراً﴾ لقول مُعَتّب بن قُشير إذ يقول ما قال. ﴿وإذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فارْجِعُوا وَيَسْتَأذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النّبِيّ يَقُولُون إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ومَا هِيَ بِعَوْرَة إنْ يُرِيدُونَ إلاّ فِرَاراً﴾ لقول أوس بن قَيْظي ومَن كان على رأيه من قومه ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطَارِهَا﴾: أي المدينة.

قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب؛ وواحدها: قطر، وهي الأقتار، وواحدها؛ قتر.

قال الفرزدق:

كم من غنىً فتح الإلٰه لهم به ... والخيل مقعية على الأقطار(١)

ويُروى: «على الأقتار». وهذا البيت في قصيدة له.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا آلفِتْنَة﴾: أي الرجوع الى الشرك ﴿لآتَوْها وَمَا تَلَبَّثُوا بها إلاّ يَسيراً. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا الله مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ آلأدْبَارَ، وكَانَ عَهْدُ الله مَسْئُولاً﴾، فهم بنو حارثة، وهم الذين همّوا أن يفشلوا يوم أُحُد مع بني سَلِمة حين همّتا بالفشل يوم أُحُد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً، فذكر

---

(١) مقعية: أي ساقطة على أجنابها تريد القيام.

لهم الـذي أعطوا من أنفسهم، ثم قـال تعـالى: ﴿قُـلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفـرارُ إنْ فَـرَرْتُمْ من ٱلمَوْتِ أو ٱلقَتْـلِ، وَإذا لا تُمَتَّعُـونَ إلّا قليـلاً. قُـلْ من ذا ٱلـذي يَعْصِمُكُمْ مِنَ الله إن أرادَ بكُم سُـوءاً، أوْ أرادَ بِكُمْ رَحْمَـةً، ولا يَجِـدُون لَهُمْ مِنْ دُون الله وَلِيّـاً ولا نَصِيراً. قَـدْ يَعْلَمُ الله المُعَوِّقِين مِنْكُمْ﴾: أي أهـل النفاق ﴿وٱلقـائِلينَ لإخوانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنـا، ولا يَأْتُـونَ ٱلبأسَ إلّا قليـلاً﴾: أي إلّا دفعاً وتعذيراً[1] ﴿أشِحّة عَلَيْكُم﴾: أي للضغن الذي في أنفسهم ﴿فإذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأيْتَهُم يَنْـظُرُونَ إليْكَ، تَـدُورُ أعْيُنُهُم كالّـذي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلمَـوْتِ﴾: أي إعظاماً له وفَرَقـاً منه ﴿فـإذا ذَهَبَ ٱلخَوْفُ سَلَقُـوكُم بألسِنَـةٍ حِدَادٍ﴾[2]: أي في القـول بما لا تحبّـون، لأنهم لا يـرجـون آخـرة، ولا تحملهم حِسْبَـة[3]، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده.

قال ابن هشام: سلقـوكم: بالغـوا فيكم بالكـلام، فأحـرقوكم وآذوكم. تقول العرب: خـطيب سلّاق، وخـطيب مسلق ومسلاق. قال أعشى بني قيس ابن ثعلبة:

فيـهـم الـمـجـد والـسـمـاحـة والنّجـدة فيهم والخـاطب السـلاق

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿يَحسَبُونَ ٱلأحْزابَ لَم يَذْهَبُوا﴾ قريش وغَطَفـان ﴿وإنْ يَأتِ ٱلأحْـزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ في الأعْرَابِ يُسْئَلُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فيكُمْ ما قَاتَلوا إلّا قليلاً﴾.

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وٱليَوْمَ الآخِرَ﴾: أي لئلّا يـرغبوا بـأنفسهم عن نفسه، . ولا عن مكانٍ هو به.

ثم ذكـر المؤمنين وصـدقهم وتصـديقهم بمـا وعــدهم الله من البـلاء

---

(١) التعذير: أن يفعل الشيء بغير نيّة وغرضه أن يُعذر أمام الناس.

(٢) سورة الأحزاب ـ من الآية ٩ ـ ١٩.

(٣) الحسبة: طلب الأجر.

يختبرهم به، فقال: ﴿وَلَمّا رَأى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلأحْزَابَ قالُوا هٰذا مَا وَعَدَنَا الله ورَسُولُهُ، وَصَدَقَ الله وَرَسُولُه، وما زَادَهُمْ إلاّ إيْماناً وَتَسْليماً﴾: أي صبراً على البلاء وتسليماً للقضاء، وتصديقاً للحقّ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال: ﴿مِنَ ٱلْمُؤمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْه، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾[1]: أي فرغ من عمله، ورجع الى ربِّه، كمن استُشهد يوم بدر ويوم أُحُد.

قال ابن هشام: قضى نحبه: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرني أبو عُبيدة وجمْعه: نحوب. قال ذو الرّمّة:

عشيّة فرّ الحارثيّون بعدما ... قضى نحبه في مُلتقى الخيل هوْبر

وهذا البيت في قصيدة له. وهَوْبر: من بني الحارث بن كعب، أراد: يزيد بن هَوْبر. والنّحب أيضاً: النذر. قال جرير بن الخَطَفي:

بطِخْفَةَ جالَدْنا الملوكَ وخيلُنا ... عَشِيّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول: على نذْر كانت نذرت أن تقتله فقتلته، وهذا البيت في قصيدة له. وبسطام: بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، وهو ابن ذي الجدّين. حدّثني أبو عُبيدة: أنه كان فارس ربيعة بن نزار: وطِخْفَة: موضع بطريق البصرة.

والنحب: الخِطار، وهو: الرهان. قال الفرزدق:

وإذ نَحَبَتْ كلْبٌ على الناس أيُنا ... على النَّحْب أعطى للجزيل وأفضلُ

والنحْب: البكاء. ومنه قولهم ينتحب. والنحب: الحاجة والهمّة؛ تقول: مالي عندهم نحب. قال مالك بن نُويرة اليَرْبوعيّ:

ومالِيَ نَحبٌ عندَهم غير أنّني ... تلَمّست ما تَبْغي من الشُّدُن الشُّجْر[2]

---

(١) سورة الأحزاب ـ من الآية ٢٠ حتى بعض الآية ٢٣.

(٢) الشُدُن: الإبل الشدنية منسوبة الى شُدُن بلدة باليمن. الشُجْر: التي في أعينها حُمرة.

وقال نهار بن توسعة، أحد بني تَيْم اللّات بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب ابن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن هشام: هؤلاء موالي بني حنيفة:

ونجّى يوسفَ الثقفيّ رَكضٌ دِراكٌ[1] بعد ما وَقَع اللِّواء
ولو أدركْنَه لَقَضَيْن نَحْباً به ولكُلّ مُخْطأةٍ وقاء

والنَّحبْ أيضاً: السير الخفيف المَرّ.

قال ابن إسحاق: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾: أي ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا بدّلُوا تَبْديلاً﴾: أي ما شكّوا وما تردّدوا في دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿لِيَجْزيَ الله الصّادقينَ بصدْقِهِمْ، وَيُعَذّبَ ٱلمُنافِقِينَ إنْ شاءَ، أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إنّ الله كَانَ غَفُوراً رَحيماً. وَرَدّ الله الذّينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾: أي قريشاً وغطفان ﴿لَمْ يَنالَوُا خَيْراً، وكَفَى الله ٱلمؤمِنينَ القِتَالَ وكَانَ الله قَوِيّاً عَزِيزاً. وأنْزَلَ الّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ ٱلكِتابِ﴾: أي بني قُريظة ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾[2]، والصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها.

قال ابن هشام: قال سُحَيم عبد بني الحَسْحاس؛ وبنو الحسْحاس من بني أسد بن خُزَيمة:

وأصبحت النّيران صرعى وأصبحت نساء تميم يبتدِرْن الصّياصيا

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي: القرون. قال النابغة الجَعديّ:

وسادَةَ رَهْطِيَ حتى بَقيـ ـتُ فرْداً كصِيصَيةِ الأعْضَبِ[3]

يقول: أصاب الموت سادة رَهْطي. وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو داود الإيادي:

---

(١) دراك: متتابع.
(٢) سورة الأحزاب ـ من بعض الآية ٢٣ حتى بعض الآية ٢٦.
(٣) الأعضب: مكسور القرن.

فَذَعَرنا سُحْم الصّياصي بأيديـ ـهنّ نَضْحٌ من الكُحَيْل وقارُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضاً: الشوك الذي للنسّاجين، فيما أخبرني أبو عُبيدة. وأنشدني لدُرَيْد بن الصّمّة الجُشَميّ، جُشم بن معاوية ابن بكر بن هوازن:

نظرتُ إليه والرماح تنوشُهُ كوقع الصّياصي في النسيج الممدّد

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضاً: التي تكون في أرجل الدِيَكة ناتئة كأنها القرون الصغار، والصياصيّ أيضاً: الأصول. أخبرني أبو عُبيدة أنّ العرب تقول: جذّ الله صيصيّته: أي أصله.

قال ابن إسحاق: ﴿**وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقاً**﴾: أي قتل الرجال، وسبي الذّراري والنساء، ﴿**وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ودِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوها**﴾: يعني خيبر ﴿**وكَانَ الله عَلى كُلّ شَيْء قديراً**﴾[2].

إكرام سعد في موته: قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بني قُرَيظة انفجر بسعد بن مُعاذ جرحه، فمات منه شهيداً[3].

قال ابن إسحاق: حدّثني مُعاذ بن رفاعة الزُّرَقي، قال: حدّثني من شئت من رجال قومي: أنّ جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ حين قُبض سعد بن مُعاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستَبْرق، فقال: يا محمد، من هذا الميت الذي فُتحت له أبواب السماء، وأهتزّ له العرش[4]؟ قال: فقام

---

(١) السحم: السود. الصياصي: القرون. الكحيل القطران. القار: الزفت.

(٢) سورة الأحزاب ـ من بعض الآية ٢٦ والآية ٢٧.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٩٢، سير أعلام النبلاء ١/٢٨١.

(٤) حديث أهتزاز العرش ثابت من وجوه وفي بعض الفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من استبرق، فقال: يا محمد من هذا الميت الذي فُتحت له أبواب السماء واهتزّ له العرش؟ وفي حديث آخر قال عليه السلام: لقد نزل لموت سعد بنُ مُعاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها، ويُذكر أنّ قبرهُ وُجد منه رائحة المسك، وقال عليه السلام: «لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد». =

رسولُ الله ﷺ سريعاً يجرّ ثوبه الى سعد، فوجده قد مات[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن عَمرة بنت عبد الرحمن قالت: أقبلت عائشة قافلة من مكة، ومعها أُسَيْد بن حُضَير، فلقيه موت امرأة له، فحزن عليها بعض الحزن، فقالت له عائشة: يغفر الله لك يا أبا يحيى، أتحزن على امرأة وقد أصِبْت بابن عمّك، وقد اهتزّ له العرش.

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن الحسن البَصْريّ، قال: كان سعد رجلاً بادنًا، فلما حمله الناس وجدوا له خفّة، فقال رجال من المنافقين: والله إنْ كان لبادناً، وما حملنا من جنازة أخفّ منه، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «إن له حَمَلَة غيركم، والذي نفسي بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتزّ له العرش»[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مُعاذ بن رفاعة، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجَمُوح، عن جابر بن عبدالله، قال: لما دُفن سعد ونحن مع رسولِ الله ﷺ، سبّح رسولُ الله ﷺ، فسبّح الناس معه، ثم كبّر فكبّر الناس

= وقد تكلّم الناس في معناه، وظنّوا أنه مشكِل، وقال بعضهم: الاهتزاز ها هنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه، وقال بعضهم: يريد حَمَلَة العرش ومن عنده من الملائكة، استبعاداً منهم لأن يهتزّ العرش على الحقيقة، ولا بُعد فيه، لأنه مخلوق وتجوز عليه الحركة، والهزّة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ، ما وجد إليه سبيل، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح، قال أبو عمر: هو ثابت من طرق متواترة، وما رُوي من قول البراء بن عازب في معناه: أن سرير سعد اهتزّ لم يلتفت إليه العلماء، وقالوا: كانت بين هذين الحيّين من الأنصار ضغائن. وفي لفظ الحديث: اهتزّ عرش الرحمن، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه، ورواه البخاري من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر، منهم أبو سعيد الخُدْريّ، وأُسَيد بن حُضير؛ ورُمَيْثة بنت عمرو، ذكر ذلك الترمذي. والعجب لما رُوي عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث، وكراهيته للتحدّث به مع صحة نقله، وكثرة الرواة له، ولعَلّ هذه الرواية لم تصح عن مالك. (انظر الروض الأنف ٢٨٣/٣ وما بعدها).

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) تاريخ الاسلام (المغازي). والحديث فيه انقطاع وجهالة.

معه؛ فقالوا: يا رسول الله، مِمّ سبّحت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره، حتى فرّجه الله عنه»[1].

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشة: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ للقبر لضمّة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن مُعاذ»[2].

قال ابن إسحاق: ولسعد يقول رجل من الأنصار:

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك ... سَمِعْنا به إلّا لسعْدٍ أبي عَمْرو

وقالت أمّ سعد، حين احتُمِل نعشُه وهي تبكيه - **قال ابن هشام:** - وهي كُبيشة بنت رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر، وهو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج:

ويْل أمّ سعدٍ سعداً ... صرامةً وحَدّاً
وسُودداً ومجداً ... وفارساً مُعَدّاً
سُدّ به مسَدّاً ... يَقُدُّ هاماً قدّاً

(١) معاذ بن رفاعة، وإن خرّج له البخاري، ضعّفه ابن معين، وقال الأسدي: لا يُحتجّ بحديثه. وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٤٣٢، وأحمد في المسند ٣/٣٢٧ من طريق: محمد بن بشر، حدّثنا محمد بن عمرو، حدّثني يزيد بن عبدالله بن أسامة بن زيد الليثي ويحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاعة الزرقي، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: لهذا العبد الصالح، الذي تحرّك له العرش، وفتحت له أبواب السماء شدّد عليه، ففرّج الله عنه، وقال مرة: فتحت. وقال مرة: ثم فرّج الله عنه. وقال مرة: قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن.

وأخرج أحمد أيضاً ٣/٣٦٠ و٣٧٧ من طريق أبي إسحاق، حدّثني مُعاذ بن رفاعة الأنصاري الزرقي، عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح، عن جابر، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوماً الى سعد بن مُعاذ حين توفي قال: فلما صلّى عليه رسول الله ووُضع في قبره، وسُوّي عليه، سبّح رسول الله ﷺ تسبيحاً طويلاً، ثم كبّر فكبّرنا، فقيل: يا رسول الله لِمَ سبّحت ثم كبّرت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرّجه الله عزّ وجلّ عنه. وصحّحه الحاكم في المستدرك ٣/٢٠٦ مختصراً، ووافقه الذهبي في تلخيصه. وانظر: سير أعلام النبلاء ١/٢٨٣.

(٢) الحديث رواه عقبة بن مكرم، عن ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سعد بن ابراهيم، عن نافع، عن صفية بنت أبي عبيد، عن عائشة. وإسناده صحيح، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٤٣٠ من طريق شبابة بن سوّار، عن ابي معشر، عن سعيد المقبري.

يقول رسولُ الله ﷺ: «كلّ نائحة تكذب، إلّا نائحة سعد بن مُعاذ»[1].

الشهداء يوم الخندق: قال ابن إسحاق: ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلّا ستة نفر.

من بني عبد الأشهل: سعد بن مُعاذ، وأنس بن أوس بن عَتيك بن عمرو، وعبدالله بن سهل. ثلاثة نفر.

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلِمة: الطُفيل بن النعمان، وثعلبة بن غُنيمة. رجلان.

ومن بني النجّار، ثم من بني دينار: كعب بن زيد، أصابه سهم غرِب، فقتله.

قال ابن هشام: سهمُ غربِ وسهمٌ غربٌ، بإضافة وغير إضافة، وهو الذي لا يُعرف من اين جاء ولا من أين مَن رمى به.

قتلى المشركين: وقُتل من المشركين ثلاثة نفر.

من بني عبد الدّار بن قُصَيّ: منبّه بن عثمان بن عُبيد بن السّبّاق بن عبد الدّار، أصابه سهم، فمات منه بمكة.

قال ابن هشام: هو عثمان بن أُميّة بن مُنبّه بن عُبيد بن السبّاق.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يقظة: نوفل بن عبدالله بن المغيرة، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، وكان اقتحم الخندق، فتورّط فيه، فقُتل، فغلب المسلمون على جسده فقال رسولُ الله ﷺ: «لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه»، فخلّى بينهم وبينه.

قال ابن هشام: أعطوا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم، فيما بلغني عن الزُهْري.

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن لُؤَيّ، ثم من بني مالك بن حِسْل:

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٢/٧، ٨ من طريق الفضل بن دكين قال: حدّثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد.

عمرو بن عبد ودّ، قتله عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه.

قال ابن هشام: وحدّثني الثقة أنه حُدّث عن ابن شهاب الزُّهْريّ أنه قال: قتل عليّ بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ودّ وابنه حِسْل بن عمرو.

قال ابن هشام: ويقال عمرو بن عبد ودّ، ويقال: عمرو بن عبد.

الشهداء يوم بني قُرَيظة: **قال ابن إسحاق**: واستُشهد يوم بني قُريظة من المسلمين، ثم من بني الحارث بن الخزرج: خلّاد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو، طُرحت عليه رَحًى، فشدخته شدخاً شديداً(١)، فزعموا أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنّ له لأجر شهيدين»(٢).

ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان، أخو بني أسد بن خُزَيمة، ورسولُ الله ﷺ محاصرٌ بني قُرَيظة، فدُفن في مقبرة بني قُرَيظة التي يدفنون فيها اليوم، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام(٣).

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق، قال رسولُ الله ﷺ فيما بلغني: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنّكم تغزونهم». فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذي يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة(٤).

ما قيل من الشِّعر في أمر الخندق وبني قُرَيظة

قال ضرار بن الخطّاب بن مرداس، أخو بني محارب بن فِهْر، في يوم الخندق:

ومُشفِقة تظنّ بنا الظُّنونا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسَة طَحُونا(٥)
كأنّ زهاءها أُحُد إذا ما ... بدتْ أركانُه للنّاظرينا

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) أنساب الأشراف ١/٢٤٤، ٢٤٥.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٩٣، الإصابة ٤/٩٦.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٩٣.
(٥) العرندسة: الشديدة، صفة لموصوف محذوف أي كتيبة.

تـرى الأبـدان فيهـا مُسْبِغَـاتٍ ... على الأبـطال واليَلَبَ الحصينـا[1]
وجُـرْداً كـالـقِـداح مُسَـوَّمـات ... نَؤُمّ بـهـا الـغُـواة الـخـاطئيـنـا
كـأنّـهـم إذا صـالُـوا وصُـلْنـا ... بـباب الخَنْـدَقَيْن مُصـافِحُـونـا
أُنـاسٌ لا تَـرى فـيـهـم رَشيـدا ... وقـد قـالـوا أَلَـسْنـا راشـدينـا
فـأحْجَـرنـاهم شهـراً كَـرِيتـاً[2] ... وكنّـا فـوقهـم كـالـقـاهـرينـا
نُـراوحُـهُـم ونـغْـدُو كـلَّ يـوم ... عليهـمْ في السّـلاح مـدجَّجـينـا
بـأيْـديـنـا صـوارِمُ مُـرْهَـفـاتٌ ... نقـدّ بهـا المفـارق والشئـونـا[3]
كـأنّ ومـيـضـهـنّ مُـعَـرَّيـات ... إذا لاحـتْ بـأيـدي مُصْلِتيـنـا[4]
وميض عـقـيـقـة لـمعت بـليـل ... تـرى فيهـا العقـائـق مستبينـا[5]
فـلولا خَـنْـدَقٌ كـانـوا لـديـه ... لَـدَمّـرْنـا عـليهـم أجْـمعينـا[6]
ولـكـنْ حـال دونَـهُـم وكـانـوا ... بـه مـن خـوفـنـا مُـتَـعـوِّذيـنـا
فـإنْ نَـرْحـل فـإنّـا قـد تـركْنـا ... لـدى أبيـاتكـم سـعـداً رَهِـينـا
إذا جـنّ الـظلامُ سمعتَ نَـوْحى ... عـلى سعْـد يُـرَجّعْنَ الـحـنـيـنـا
وسـوف نَـزُوركم عـمّـا قـريـب ... كـمـا زُرْنـاكُـمُ مُـتـوازريـنـا
بجَمْـعٍ من كِنـانـة غيـر عُـزْلٍ ... كـأُسْدِ الغابِ قـد حَمَتِ العَـرِينا[7]

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سَلمة، فقال:

وسـائلةٍ تُـسـائـل مـا لَـقـيـنَـا ... ولـو شَهِـدَتْ أرَتْنـا صـابـريـنـا
صَـبَـرْنـا لا نـرى لله عِـدْلاً ... عـلى مـا نَـابـنـا مـتـوكّـلـيـنـا
وكـان لـنـا النبـيُّ وزيـرَ صِـدْقٍ ... بـه نـعـلو الـبَـرِيّـة أجـمـعـيـنـا
نُقـاتـل معشـراً ظلمـوا وعـقّـوا ... وكـانـوا بـالـعـداوة مُـرْصـديـنـا

---

(١) الأبدان: الدروع. اليَلَب: الدرق.
(٢) كريتاً: كاملاً.
(٣) الشؤون: مجمع عظام الرأس.
(٤) المُصْلت: الذي جرّد سيفه من غمده.
(٥) العقيقة: السحابة التي ينشقّ عنها البرق.
(٦) في البدء والتاريخ «أخمصينا».
(٧) في البدء والتاريخ ٤/٢٢٠، ٢٢١ ثلاثة أبيات.

نُعاجلهم إذا نهضوا إلينا بضَرْب يُعْجِل المتسرِّعينا
تَرانا[1] في فَضَافِضَ سابغاتٍ كغُدْران الملا مُتَسَرْبِلينا
وفي أَيْمانِنا بيضٌ خِفافٌ بها نشفي مِراح الشّاغبينا
بباب الخَنْدَقَيْن كأنَّ أُسْداً شَوابكُهُنَّ يَحْمِين العرينا
فوارسُنا إذا بَكَرُوا وراحوا على الأعداء شُوساً مُعلِمِينا[2]
لننْصر أحمداً والله حتّى نكونَ عبادَ صِدقٍ مخلصينا
ويعلم[3] أهلُ مكّة حين ساروا وأحزابٌ أتَوْا متحزّبينا:
بأنّ الله ليس له شريك وأنّ الله مولى المؤمنينا
فإمّا تقتلوا سعداً سَفَاهاً فإنّ الله خيرُ القادرينا
سيُدْخِلُهُ جناناً طيّباتٍ تكون مقامةً للصّالحينا
كما قد ردّكم فَلاًّ[4] شريداً بغَيظِكم خَزَايا[5] خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيْراً وكِدْتُم أن تكونوا دامِرينا
بريح عاصف هبَّتْ عليكمْ فكنتمْ تحتها متكمّهينا[6]

وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى السّهمّي، يوم الخندق:

حَيِّ الديارَ محا معارِفَ رسْمِها طولُ البِلَى وتراوُح الأحقابِ
فكأنّما كتب اليهودُ رُسومَها إلّا الكَنيفَ ومَعْقِد الأطْناب[7]
قفْراً كأنّك لم تكنْ تَلهو بها في نعمة بأوانسٍ أتراب[8]
فاتْرك تذكُّر ما مضى من عيشةٍ ومحلّةِ خَلق المقام يَباب

(١) في البدء والتاريخ «رأتنا».
(٢) الشوش: من ينظرون بمؤخّر عيونهم كِبْراً.
(٣) في البدء والتاريخ «سيعلم».
(٤) الفلّ: المنهزمون.
(٥) في البدء والتاريخ «يغيظكم حزاباً».
(٦) المتكمّه في الأصل من وُلد أعمى. والمراد أنهم لا يبصرون. وفي البدء والتاريخ ٢٢١/٤ ثمانية أبيات.
(٧) الكنيف: حظيرة الماشية. مَعْقِد: وتد. والأطناب: الحبال التي تُشدّ بها الخيام.
(٨) الأتراب: المتساويات في السنّ.

واذكُـرْ بـلاءَ معـاشـرٍ واشكُـرْهمُ ... سـاروا بـأجمعهم مـن الأنصـاب
أنصـاب مكـة عـامِـدين ليثْـرب ... في ذي غَيـاطِلَ جَحْفَـل جَبْجـاب[1]
يـدع الحُـزُونَ منـاهجـاً معلومـةً ... في كـلّ نشْـرٍ ظـاهـر وشعـاب[2]
فيهـا الجيـادُ شـوازبٌ مجنـوبـةٌ ... قُـبُّ البـطون لـواحق الأقْـراب[3]
من كـلّ سَلْهبـةٍ وأَجْـرَد سلْهَـب ... كـالسيـدِ بـادَرَ غَفْلة الـرُّقـاب[4]
جيشُ عُيَيْنـةُ قـاصـدٌ بلوائـه ... فيـه وصَخْـرٌ قـائـدُ الأحـزاب
قَـرْمـان[5] كـالبـدْرَين أصبح فيهما ... غَيْث الـفقيـر ومَعْـقِـل الهُـرّاب
حتى إذا وردوا المـدينـةَ وارْتَـدَوْا ... لـلمـوت كـلَّ مُجَـرَّب قَـضّـاب
شهـراً وعشـراً قـاهـرين محمـداً ... وصِحـابُه في الحرب خير صِحـاب
نـادوا بـرحـلتهـم صبيحـة قُلتُم ... كِـدْنـا نكـون بهـا مـع الخُيّـاب
لـولا الخنـادق غـادروا من جَمْعهم ... قَتْـلى لـطَيْـرٍ سُـغَّـب[6] وذِئـاب

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فقال:

هـل رَسْم دارسـةِ المقـام يَبـابِ ... مـتكـلّم لـمـحـاور بجـواب[7]
قفْـر عَفَـا رِهمُ السّحـاب رُسومَـه ... وهُبـوبُ كـلّ مُطلّةٍ مِـرْبـابِ[8]
ولقـد رأيت بهـا الحلول يـزينَـهم ... بِيضُ الـوُجـوه ثـواقب الأحْسابِ[9]
فَـدع الـدّيـار وذِكْـر كـلّ خَرِيـدة ... بَيضـاء آنسـةِ الحديث كَعـاب[10]
واشـكُ الهُموم إلى الإلـه ومـا تـرى ... من معشـر ظَلَموا الـرسـول غضـاب

---

(١) الغياطل: الأصوات. ويقصد «بذي غياطل» جيشاً كثير الأصوات. جبجاب: كثير.
(٢) الحُزُون: ما ارتفع من الأرض. المناهج: الطرق الواضحة. النشر: ما ارتفع من الأرض. والشعاب: جمع شعب: المنخفض بين جبلين.
(٣) الشوازب: الضامرة. القبّ: الضامرة. لواحق الأقراب: ضامرة الخواصر.
(٤) السلهبة: الطويلة. السيد: الذئب.
(٥) قَرْمان: مثنى قَرْم وهو السيد.
(٦) سُغَّب: جائعة.
(٧) اليَباب: القفْر. المحاور: من يجادلك في الكلام.
(٨) الرِهْم: المطر. مِرْباب: ثابتة.
(٩) الحلول: البيوت المجتمعة. ثواقب: مزهرة.
(١٠) الخريدة: المرأة الناعمة. والكَعاب: التي نهد ثديها في أول ما ينهد.

ساروا بأجمعهم إليه وألّبوا ... أهل القُرى وبَوادِيَ الأعراب
جيش عُيَيْنةُ وابنُ حرْب فيهمُ ... مُتخمِّطُون بحلبة الأحزاب[1]
حتى إذا وردوا المدينة وارتَجَوْا ... قتْلى الرّسول ومَغْنَم الأسلاب
وغَدَوْا علينا قادرين بأيْدِهم ... رُدُّوا بغَيْظِهم على الأعقاب
بهُبُوب مُعصِفةٍ تُفَرِّق جَمْعهم ... وجنودِ ربّك سيّد الأرباب
فكفى الإلٰه المؤمنين قتالَهُمْ ... وأثابَهم في الأجر خيرَ ثواب
من بعد ما قَنَطوا ففرَّق جمْعهم ... تنزيلُ نصر مليكنا الوهّاب
وأقرَّ عينَ محمدٍ وصِحابِه ... وأذلَّ كلَّ مكذّب مُرْتاب
عاتي الفؤاد موقّع ذي ريبةٍ ... في الكُفْر ليس بظاهر الأثواب
عَلِق الشقاءُ بقلبه ففؤادُه ... في الكفر آخرُ هذه الأحقاب

وأجابه كعب بن مالك أيضاً، فقال:

أبقى لنا حَدَثُ الحروب بقيةً ... من خير نِحْلة ربّنا الوهّاب
بيضاءَ مُشْرِقة الذُّرَى ومَعاطناً ... حُمَّ الجُذوع غزيرة الأحْلاب[2]
كاللُّوب يُبْذل جَمّها وحَفيلُها ... للجارِ وابن العمّ والمُنْتاب[3]
ونزائعاً مثل السِّراح نَمى بها ... عَلفُ الشعير وجِزّة المِقْضاب[4]
عَرِي الشَّوَى منها وأَرْدَف نَحضَها ... جُرْدُ المُتون وسائر الآراب[5]
قُوداً تَراح إلى الصّياح إذ غَدَت ... فعل الضّراء تَراح للكَلّاب[6]
وتَحوط سائمة الدّيار وتارةً ... تُرْدي العِدا وتثوبُ بالأسلاب
حُوشُ الوحوش مُطارة عند الوَغَي ... عُبْس اللقاء مُبينة الإنجاب[7]

(١) متخمّطون: مختلطون. الحلبة: الخيل المُعَدّة للسباق.
(٢) الذرى: الأعالي: المَعَاطن: مبارك الإبل حول الماء. الجذوع: الأعناق، والأحلاب: ما يُحلب منها.
(٣) اللوب: الأراضي ذات الحجارة السّود. جمّها: ما اجتمع من لبّها. المنتاب: القاصد.
(٤) النزائع: الخيل العربية المنزوعة من أرضها إلى أرض أخرى. السراح: الذئاب. جزّة المقضاب: ما يقطع لها من النبات.
(٥) الشَوَى: القوائم. النحْض: اللحم. جُرْد: ملس. المتون: الظهور. والآراب: الأعضاء.
(٦) قُود: طوال. تراح: تنشط. الضراء: الكلاب المعلّمة. الكلاب: الصائد بالكلاب.
(٧) الحوش: النافرة. عُبْس: شديدة. الإنجاب: الكرم.

عُلِفت على دَعَـةٍ فصارتْ بُـدَّنـاً   دُخسَ البَضِيـع خفيفـةَ الأقصـاب[1]
يَغْدُون بـالـزَّغْفِ المُضاعف شَكـه   وبمُتْرَصَاتِ   في الثِّقـافِ صِياب[2]
وصَوارم نَـزَع الصيَّـاقِـل غُـلْبهـا   وبكُـلِّ أَرْوع مـاجـدِ الأنسـاب[3]
يَصِـل اليميـن بمـارنٍ مُتقـاربٍ   وُكِـلَت وقـيـعتُـه إلـى خَـبّـاب [4]
وأغـرّ أزْرق فـي الـقـنـاةِ كـأنَّـه   في طُخْيـةِ الظَّلْمـاء ضوء شِهـاب [5]
وكتيبـةٍ يَنْفِي القِـرانَ قَتِيـرُهـا   وَتـرُدّ حـدّ قَـوَاحِـذَ الـنَّشَـاب[6]
جـأْوَى مُلَمْلَمـة كـأنّ رمـاحـهـا   في كـلِّ مَجْمَعـة ضَـريمـةُ غـاب[7]
يـأوي إلـى ظـلِّ الـلواء كـأنّـه   في صعـدةِ الخطّيّ فيءُ عُقـاب[8]
أعْيَت أبـا كـربٍ وأعْيَت تُبَّـعـاً   وأبَـتْ بَسـالـتُهـا علـى الأعْـراب
ومَــوَاعظ مـن ربّنـا نُـهـدَى بـهـا   بـلسـان أزْهَـرَ طـيّـب الأثـواب
عُـرِضَتْ علينا فـاشتَهَيْنا ذِكْـرهـا   من بعـد ما عُـرِضَت على الأحـزاب
حِكَمـاً يراهـا المُجْرِمـون بَـزَعْمِهِم   حَـرجـا ويَفْهـمُهـا ذَوُو الألـبـاب
جـاءت سَخِينة كي تغـالب ربَّهـا   فَلَيُـغْلَبَنّ   مُـغَـالِبُ الـغَـلّاب[9]

---

(١) دخس: كثيرة اللحم. الأقصاب: الأمعاء.

(٢) الزَغْف: ما لان من الدروع. المُتْرَصَات: القويّات. صياب: صائبة.

(٣) غُلْبها: صدأها. الماجد: الشريف.

(٤) المارن: الرمع اللّين. وقيعته: صنعته. خبّاب: عبد صانع للسيوف.

(٥) الأغرّ الأزرق: السنان الجيّد. الطُخْية: الشدّة.

(٦) القران: تقارن النبل. القتير: مسامير حلق الدرع، ويريد به الدروع. قواحذ. النشّاب: النبال التي أصابت الأفخاذ.

(٧) الجأوى: التي يخالط سوادها حُمرة. ململمة: مجتمعة. الضريمة: الملتهبة.

(٨) الصعدة: القناة المستقيمة. الخطّيّ: الرمح. الفيء: الظلّ. العُقاب: طائر جارح قويّ المخالب أعقف المنقار حادّ البصر يُطلق على المذكر والمؤنّث.

(٩) كان هذا الاسم مما سُمّيت به قريش قديماً، ذكروا أنّ قُصَيّاً كان إذا ذبح ذبيحة أو نحيرة بمكة أتى بعجُزها فصنع منه خزيرة، وهو لحم يُطبخ ببُرّ فيُطعمه الناس. فسُمّيت قريش بها سَخينة. وقيل: إنّ العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلزة، وهو الوبر والدم، وتأكل قريش الخزيرة والفتّة فنفست عليهم ذلك فلقّبوهم: سَخينة، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره، ورسول الله ـ ﷺ ـ منهم، ولتركه أدباً مع النبيّ عليه السلام، إذ كان قُرشياً، ولقد استنشد عبدالملك بن مروان بما قاله الهوزاني في قريش:

يا شدّة ما شددنا غير كاذبة   على سَخينة لولا الليل والحرم

قال ابن هشام: حدّثني من أثق به، قال: حدّثني عبدالملك بن يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير، قال: لمّا قال كعب بن مالك:

جاءت سَخِينةُ كي تغالبَ ربَّها ... فلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّاب

قال رسولُ الله ﷺ: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا».

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

من سرّه ضربٌ يُمعْمِعُ بعضُه ... بعضاً كَمَعْمَعَة الأباء المُحْرَقِ[1]
فلْيأتِ مأسدةً تُسَنّ سيوفُها ... بين المذاد وبين جِزْع الخَنْدق[2]
دَرِبوا بضرْب المُعْلِمين وأسْلَموا ... مُهُجَات أنْفُسِهم لربّ المَشْرق
في عُصْبةٍ نَصَرَ الإلَه نبيّه ... بهم وكان بعبدهِ ذا مَرْفق
في كلّ سابغةٍ تَخُطُّ فضولُها ... كالنِّهْي هبَّتْ ريحُه المُتَرَقْرِق[3]
بيضاء مُحْكمة كأنّ قَتِيرها ... حَدَق الجَنَادِب ذات شَكٍّ مُوثَق[4]
جَدْلاء يَحْفِزها نِجادُ مُهَنّد ... صافي الحَديدة صارِم ذي رَوْنق[5]
تِلْكم مع التَّقْوى تكون لِباسَنا ... يوم الهياج وكلَّ ساعةِ مَصْدَق
نَصِل السُّيوف إذا قَصُرن بخَطْونا ... قُدُماً ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَق
فترى الجماجِم ضاحياً هاماتُها ... بَله الأكُفِّ كأنّها لم تُخْلَق[6]

= فقال: ما زاد هذا على أن استثنى، ولم يكره سماع اللقيب بسَخينة، فدلّ هذا على أنّ هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشيء. (راجع الروض الأنف ٣/٣٠٠).

(١) المعمعة: صوت اتّقاد النار. الأباء: الأغصان الملتفّة.

(٢) المأسدة: المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب. المذاد: مكان حفر الخندق.

(٣) السابغة: الدروع الكاملة. تخطّ فضولها: ينجرّ على الأرض ما زاد منها. النِّهْيّ: غدير الماء.

(٤) القتير: مسامير الدروع. الجنادب: جمع جُندب، نوع صغير من الجراد. والشكّ: إحكام في الصنع. موثق: قوية.

(٥) الجدلاء: الدرع القويّة النسج. يحفزها: يرفعها. النجاد: حمائل السيف. رونق السيف: طلاوته وصفاؤه وبريقه.

(٦) بله: اسم فعل بمعنى اترك.

نَلْقى العـدوّ بفَخْمـةٍ ملْمُـومـة … تنفي الجُموع كفَصْد رأسِ المَشْرق[1]
ونُـعِـدّ لـلأعـداء كـلَّ مُـقَـلَّص … ورْدٍ ومـحجـول الـقـوائم أبـلق[2]
تَـرْدِي بفُـرسـانٍ كـأنّ كُمـاتَـهم … عنـد الهِيـاج أُسـود طَـلٍّ مُلْثِق[3]
صُدُقٌ يُعـاطـون الكُمَاةَ حُتُـوفَهم … تحت العَمـاية بـالوشيـج المُزْهِق[4]
أمـر الإلٰـه بـرَبْـطهـا لِـعَـدُوّه … فـي الحـرْب إنّ الله خيـرُ مُـوَفِّق
لـتكـون غـيـظاً لـلعـدوّ وحُيَّـطاً … لـلدار إنْ دَلَـفـت خُيـولُ النُّـزَّق
ويُـعـيـنـنـا الله الـعـزيـز بقـوّة … منـه وصِـدْقِ الصَّبـر سـاعـةَ نلتقي
ونُـطيـعُ أمـرَ نبيّـنـا ونُـجيبـه … وإذا دعـا لـكـريـهـةٍ لـم نُـسْبَـق
ومتى يُنـاد إلى الشّدائـد نَـأْتِهـا … ومتى نَـرَ الحـومـات فيهـا نُعْنق[5]
مـن يـتَّبـع قـوْل النّبيّ فـإنّـه … فـينـا مُـطاع الأمـر حـقّ مُصَـدّق
فبـذاك يَنْصـرنـا ويُظْهـر عـزّنـا … ويُـصيبنـا مـن نَيْـل ذاك بـمِـرْفَق
إنّ الـذيـن يـكـذّبـون محـمـداً … كفـروا وضلّوا عن سبيـل المتَّقـي

قال ابن هشام: أنشدني بيته:

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

وبيته:

من يتّبع قول النّبيّ

أبو زيد. وأنشدني:

تنفي الجُموع كرأس قُدْس المشرق

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

لقـد علم الأحـزاب حين تـألَّبُـوا … علينـا ورامُـوا ديننـا مـا نُـوادِعُ

---

(١) الملمومة: المجتمعة. أي كتيبة مجتمعة.
(٢) المقلص: الفرس الخفيف. والورد: الأحمر الضارب الى الصُفرة. ومحجول القوائم: في قوائمه بياض.
(٣) الطلّ: المطر الضعيف.
(٤) العماية: ظلمة الغبار. الوشيج: الرماح.
(٥) نُعنق: نسرع.

أضاميم من قيس بن عَيْلان أَصْفَقَت ... وخِنْدف لم يدْرُوا بما هو واقع[1]
يذودوننا عن ديننا ونَذُودهم ... عن الكُفر والرحمن راء وسامع
إذا غايظونا في مقامٍ أعاننا ... على غيظهم نصرٌ من الله واسع
وذلك حِفْظُ الله فينا وفضْله ... علينا ومن لم يحفظِ الله ضائع
هدانا لدين الحقّ واختاره لنا ... ولله فوق الصانعين صنائع

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

ألا أبلِغْ قريشاً أنّ سَلْعاً ... وما بين العُرَيض إلى الصّمَاد[2]
نواضحُ في الحروب مُدَرَّباتٌ ... وخوصٌ ثُقِّبتْ من عهد عاد[3]
رواكِد يَزْخَر المُرَّار فيها ... فليست بالجِمام ولا الثِّماد[4]
كأنّ الغاب والبَرْديَّ فيها ... أَجَشّ إذا تبقَّع للحَصاد[4]
ولم نجعل تجارتَنا اشتراء الـ ... ـحميرِ لأرض دَوْسٍ أو مُراد
بلادٌ لم تُثَر إلّا لكَيْما ... نُجَالد إنْ نَشِطْتم للجِلاد
أثرنا سِكَّةَ الأنباط فيها ... فلم تر مثلها جَلَهَاتِ واد[5]
قصرنا كلّ ذي حُضرٍ وطُول ... على الغايات مُقْتَدِر جواد[6]
أجيبونا إلى ما نَجْتَديكم ... من القول المُبَيَّن والسّداد[7]
وإلّا فاصبروا لجِلاد يومٍ ... لكم منّا إلى شَطْر المَذاد[8]
نُصَبّحكم بكلّ أخي حُروب ... وكلّ مُطَهَّم سَلس القِياد

---

(١) أضاميم: جماعات. وأصفقت: اجتمعت على أمر.
(٢) سلع: جبل بالمدينة. والعريض: واد بالمدينة.
(٣) نواضح: حدائق تُسقى بالنضح. خوص: آبار ضيقة.
(٤) المرار: نهر. الجمام: الآبار كثيرة الماء. الثماد: الماء القليل.
(٥) الأجشّ: العالي الصوت. تبقّع: صار فيه بقع علامة النضج.
(٦) السكة: النخيل المصطف. جلهات: وادي. ما كشفت عنه السيول فأبرزته.
(٧) الحضر: الجري. وذو الحضر: يريد الخيل.
(٨) نجتديكم: نسألكم.
(٩) الشطر: الناحية. والمذاد: حيث حفر الخندق بالمدينة.

وكلّ طِمرَّة خَفِق حشاها تَدِفّ دفيفَ صفْراء الجراد[1]
وكلّ مُقَلَّص الآراب نَهْدٍ تميم الخَلْق من أُخْرٍ وِهادي[2]
خُيول لا تُضاعُ إذا أُضِيعَتْ خيولُ الناس في السَّنة الجَمادِ
يُنازِعن الأعِنّة مُصْغِيات إذا نادى إلى الفَزَع المُنادي
إذا قالت لنا النُّذُر استعدُّوا توكّلنا على ربّ العباد
وقلنا لن يُفرِّج ما لَقِينا سوى ضرب القوانِس والجِهاد[3]
فلم تر عُصبةً فيمن لقِينا من الأقوام من قارٍ وبادي
أشدَّ بسالةً مِنَّا إذا ما أرَدْناه وألْينَ في الوِداد
إذا ما نحن أشْرَجْنا عليها جِيادَ الجُدْل في الأُرَب الشِّداد[4]
قَذَفْنا في السَّوابغ كلّ صَقْرٍ كَريمٍ غير مُعْتَلِثِ الزِّناد
أشمّ كأنّه أَسَدٌ عَبُوس غَداةَ بَدَا ببطْنِ الجزع غادي
يُغشّى هامة البَطل المُذَكّي صَبِيّ السيفِ مُسْترخى النِّجاد[5]
لنُظْهِر دِينَك اللّهمّ إنّا بكَفّك فاهدِنا سُبُل الرشاد

قال ابن هشام: بيته:

قصرنا كُل ذي حُضر وطَوْل

والبيت الذي يتلوه، والبيت الثالث منه، والبيت الرابع منه، وبيته:

أشَمّ كأنه أسد عَبوس

والبيت الذي يتلوه، عن أبي زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال مسافع بن عبد مَناف بن وهْب بن حُذافة بن

---

(١) الطِمِرّة: الفَرَس الوثوب القوية. تدفّ: تقول دفّ الطائر: إذا حرّك جناحيه. صفراء الجراد: هي التي ألقت بيضها فهي خفيفة في طيرانها.
(٢) المقلص: الشديد. الأراب: قطع اللحم. النهد: الغليظ. والهادي: العنق. أي: كريم من أوله إلى آخره.
(٣) القوانس: أعالي بيض الحديد.
(٤) أشرجنا: ربطنا. الجدل: الدروع المحكمة النسج. الأرب: العقد الشديدة.
(٥) المُذكّي: شديد القوّة. صبيّ السيف: وسطه. النجاد: حمائل السيف.

جُمَح، يبكي عمرو بن عبد ودّ، ويذكر قتل عليّ بن أبي طالب إياه:

عمــرو بن عبــدٍ كــان أول فــارس ... جزع المَـداد وكـان فـارسَ يَلْيـل[1]
سمْــحُ الحلائقِ مــاجــد ذو مِــرَّةٍ ... يَبغـي القـتـالِ بشِـكـةٍ لم يَـنْكُـل
ولـقــد عَلِمتم حـين ولّـوْا عَـنكُـم ... أنّ ابـن عبـدٍ فيـهـمُ لـم يَـعْـجَـل
حـتى تَـكَـنَّفـه الـكُـمَـاةُ وكُـلّهـم ... يـبغـي مَقـاتـله وليس بـمُـؤْتـلي[2]
ولـقــد تكـنَّفـت الأسِـنّــة فــارسـاً ... بجنــوب سَـلْع غيــر نِـكْس أَمْيــل
تَسَــلُ النزالَ عليّ فــارسَ غــالبٍ ... بـجنــوبِ سُـلْع، لَيْتـه لم يـنــزل
فــاذهبْ عليُّ فمــا ظفِـرْت بمثـلـه ... فخـراً ولا لاقيتَ مثــلَ المُعْـضِـل
نفسي الفــداءُ لفـارسٍ من غــالبٍ ... لاقَى حِمـام المـوت لم يَتَحَلْحَـل[3]
أعني الــذي جَـزَع المَــداد بمُهْـرِه ... طلبـاً لثـأرِ معــاشــر لم يَـخْــذُل

وقال مُسافـع أيضاً يؤنّب فـرسان عمـرو الذين كـانوا معـه، فأجلوا عنـه وتركوه:

عمــرو بن عبـد والجيــادُ يقـودُهــا ... خيــلٌ تُقــاد لــه وخيــلٌ تُنْـعَــل[4]
أجْــلت فــوارسُــه وغــادر رهْــطُه ... رُكْـنــاً عـظيـمــاً كــان فيــه أوّل
عَجَبــاً وإنْ أعجبْ فقـد أبْصَـرتـه ... مَهْمــا تســومُ عليّ عَمْــراً يَنْـزِل[5]
لا تـبعَــدَنّ فـقــد أُصِبْتُ بقَـتْـله ... ولقِيتُ قبـل المــوتِ أمـراً يثقُــل
وهُـبيــرة الـمسلوب ولّـى مُـدْبـراً ... عنــد القتــال مخــافــةَ أن يُـقْتـلوا
وضِـرار كـان البـأسُ منـه مُحْضَــراً ... ولّـى كـمــا ولّـى الـلّئيم الأعـزَل

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعـر يُنكرهـا له. وقـوله: «عمـراً ينزل» عن غير ابن اسحاق.

---

(١) جزع: قطع. المذاد: مكان بالمدينة حيث بُني الخندق. يَلْيل: وادٍ في بدر.
(٢) ليس بمؤتلي: أي ليس بمقصّر.
(٣) لم يتحلحل: لم يتزحزح.
(٤) تنعل: تلبس نعال الخيل وهي الحديد في أرجل الخيل لتقوى على المشي.
(٥) تسوم: تطلب.

قال ابن إسحاق: وقال هُبيرة بن أبي وهْب يعتذر من فراره، ويبكي عمراً، ويذكر قتل عليٍّ إيّاه:

لَعَمْريَ ما ولّيت ظهري محمداً ... وأصحابه جُبناً ولا خِيفَة القتْلِ
ولكنّني قلّبت أمري فلم أجد ... لسيْفي غَناءً إنْ ضربتُ ولا نَبْلي
وقفْت فلمّا لم أجِدْ لي مقدَّماً ... صَدِدتُ كضِرغام هِزبرٍ أبي شِبْل
ثَنى عِطْفَه عن قِرْنه حين لم يَجِد ... مَكَرّاً وقِدْماً كان ذلك من فِعْلي
فلا تَبْعَدن يا عمرو حَيّاً وهالِكاً ... وحُقّ لحُسْن المدح مثلُك من مِثلي
ولا تُبْعَدَن يا عمرو حيّاً وهالِكاً ... فقد بِنتَ محمود الثنا ماجد الأصل[1]
فمَنْ لِطِراد الخيلِ تُقْدَع بالقنا ... وللفخْر يوماً عند قَرْقَرة البُزْل[2]
هُنالك لو كان ابنُ عَبدٍ لزارَها ... وفرَّجها حقّاً فتًى غيرُ ما وَغْل[3]
فعنك عليٌّ لا أرى مثلَ موقفٍ ... وقفْت على نجدِ المُقَدَّم كالفَحْلِ[4]
فما ظفِرتْ كفّاكَ فخراً بمثله ... أمِنْت به ما عِشْت من زلّة النَّعل

وقال هُبيرة بن أبي وهْب يبكي عمرو بن عبد ودّ، ويذكر قتل عليّ إياه:

لقد علِمت عُلْيا لُؤَيّ بن غالب ... لَفارسُها عمرو إذا ناب نائبُ
لَفارسها عمرو إذا ما يَسُومه ... عليٌّ وإنّ الليث لا بدّ طالِب
عشِيّة يَدْعوه عليٌّ وإنّه ... لفارسُها إذ خام عنه الكتائب[5]
فيا لهْفَ نفسي إنّ عمراً تركتُه ... بيثْرِب لا زالت هُناك المصائب

وقال حسّان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ودّ:

بقيّتكم عمرو أبَحْناه بالقنَا ... بيثْرب نَحْمي والحُماة قليلُ
ونحن قتلناكم بكلّ مُهنَّد ... ونحن وُلاة الحرب حين نَصُول

---

(١) الثنا: الذِكْر الجميل.
(٢) قرقرة البزل: أصوات الإبل الكريمة.
(٣) الوغل: الفاسد.
(٤) عنك: اسم فعل أمر بمعنى ابتعد.
(٥) خام: جبن.

ونحن قتلناكم ببدْر فأصْبَحت معاشِرُكم في الهالكين تَجُول

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً في شأن عمرو بن عبد ودّ:

أمسى الفتى عمرو بن عبدٍ يبتغي بجنوب يثْرِبَ ثأرَه لم يُنْظَر
فلقد وجدتُ سُيوفنا مشهورةً ولقد وجدتُ جيادَنا لم تُقْصَر
ولقد لقيتَ غداةَ بدر عُصْبةً ضربوك ضرباً غيرَ ضرْب الحُسَّر
أصبحت لا تُدْعى ليوم عظيمةٍ يا عمرو أو لجسيمِ أمرٍ مُنْكَر

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

ألا أبلغْ أبا هِدْم رسولاً مُغلغلة تَخُبُّ بها المَطِيُّ[1]
أكنتُ وليَّكم في كلّ كُرهٍ وغيري في الرّخاء هو الوليّ
ومنكم شاهدٌ ولقد رآني رُفِعْت له كما احتُمِل الصّبيّ

قال ابن هشام: وتُروى هذه الأبيات لربيعة بن أُميّة الدّيلي، ويُروى فيها آخرها:

كَبَبْتَ الخزرجيّ على يَدَيْه وكان شفاءَ نفسي الخزرجيّ

وتُروَى أيضاً لأبي أسامة الجُشَميّ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت في يوم بني قُرَيظة يبكي سعد بن مُعاذ ويذكر حُكمه فيهم:

لقد سَجَمت من دَمع عينيَ عَبرةٌ وحُقّ لعيني أن تفيض على سعْد
قتيل ثَوَى في معركٍ فُجِعتْ به عُيونٌ ذواري الدّمْع دائمةُ الوَجْد[2]
على مِلّةِ الرحمن وارثَ جَنّةٍ مع الشهداء وَفدها أكرم الوفد

---

(١) المغلغلة. الرسالة الخطية المحمولة من بلد الى بلد.
(٢) ذواري: ساكبة.

فـإنْ تـك قـد ودّعتنـا وتـركتنـا وأمْسيْت في غَبـراء مُـظلمـة اللَّحْـد
فـأنت الـذي يـا سعـد أُبْتَ بمشهـد كـريم وأثـواب المكـارم والحمـد
بحُكْمـك في حَيَّيْ قُـريـظة بـالـذي قضى الله فيهم ما قَضَيْت على عَمْد
فــوافق حُكْـمَ الله حُكْـمـك فيـهمُ ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرْت ما كـان من عهد
فإنْ كان رَيْبُ الدَّهْر أمضاك في الأُلَى شَـرَوْا هـذه الـدنيـا بجنّـاتهـا الخُلْد
فنِعم مَصِيـر الصـادقين إذا دُعــوا إلى الله يـومـاً للوَجـاهـة والقصـد

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، يبكي سعد بن مُعاذ، ورجـالاً من أصحاب رسولُ الله ﷺ من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يـا لقـومي هـل لمـا حُمّ دافـع وهل ما مَضى من صالح العيش راجعُ
تـذكَّرت عصْـراً قـد مضى فتهـافتتْ بناتُ الحَشَى[1] وانْهَلّ منّي المَـدامع
صبـابـة وجْـدٍ ذكَّـرَتْني أحِبَّـةً وقَتلى مضى فيهـا طُـفَيـل ورافـع
وسعدٌ فأضْحَوا في الجِنان وأوْحَشت منـازلهم فـالأرض منهم بـلاقـع
وفَـوْا يـوم بـدرٍ للرسـولِ وفَـوْقَهم ظِـلالُ المنـايـا والسيـوف اللّوامـع
دعـا فـأجـابـوه بحـقٍ وكـلُّهـم مُـطيـع لـه في كـلّ أمـر وسـامـع
فمـا نَكلوا حتى تـولَّـوا جمـاعـةً ولا يَقْـطع الآجـال إلّا المصـارع
لأنّـهم يـرجُـون منـه شـفـاعـةً إذا لم يكـن إلّا النبيّـون شـافـع
فـذلـك يـا خيرَ العِبـاد بـلاؤنـا إجـابـتُنـا لله والـمـوت نـاقِـع
لنـا القـدم الأولى إليـك وخَلفُنـا لأولـنـا فـي مِـلّة الله تـابِـع
ونَـعْـلَم أنّ الـمُـلْك لله وحْـدَه وأنّ قـضـاء الله لا بـدّ واقـع

وقال حسّان بن ثابت أيضاً في يوم بني قُرَيْظة:

لقـد لقِيَتْ قُـريـظةُ مـا سـآهـا ومـا وَجَـدَتْ لـذُلٍ من نـصيـر
أصـابـهـم بـلاءٌ كـان فـيـه سـوى مـا قـد أصاب بني النضيـر
غـداةَ أتـاهُـم يَهْـوِي إلـيهـم رسـولُ الله كـالـقـمـر الـمنـيـر
لـه خَـيْـلٌ مُـجنَّـبة تَـعَـادَى بـفُرْسـان عليهـا كـالصّـقـور

(١) بنات الحَشَى: القلب وما اتّصل به من أعضاء.

تـركْنـاهم ومـا ظفِـروا بشـيءٍ ... دمـاؤهـم علـيـهـم كـالـغـديـر
فهم صـرعى تحُـوم الـطيـرُ فيهم ... كـذاك يُـدان ذو العَنَـد الـفَجُـور
فـأنـذِرْ مثلَهـا نُصْحـاً قـريشـاً ... من الـرحمـن أن قبِلت نَـذِيـري

وقال حسّان بن ثابت في بني قُرَيظة:

لقـد لقيتْ قُـريـظةُ مـا سـآهـا ... وحـلّ بـحـصـنـهـا ذُلٌّ ذلـيـل
وسعـد كـان أنْـذَرهـم بنُصْـح ... بـأنّ إلـهـكـم ربٌّ جـلـيـل
فمـا بَـرِحـوا بنقْض العهـد حتى ... فَـلاَهم في بـلادهـم الـرسـول[1]
أحـاط بحِصْنهـم منّـا صُفـوف ... لـه مـن حَـرّ وَقْـعتهـم صليـل

وقال حسّان بن ثابت أيضاً في يوم بني قُرَيْظة:

تفـاقـد معشَـرٌ نصـروا قـريشـاً ... وليس لهـم ببَـلْدتـهـم نـصـيـر[2]
هـم أُوتـوا الـكـتـاب فضيّعـوه ... وهـم عُـمْـي مـن الـتـوراة بُـور[3]
كـفـرتم بـالـقُـران وقـد أتيْتـم ... بتصـديـق الـذي قـال النـذيـر
فـهـان عـلى سَـراة بـنـي لُـؤَيّ ... حـريقٌ بـالـبُـوَيْـرَة مستـطيـر[4]

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، فقال:

أدام الله ذلـك مـن صـنـيـع ... وحـرّق فـي طـرائـقـهـا السعيـرُ
سـتـعـلـم أيّـنـا مـنـهـا بـنُـزْهٍ ... وتـعـلـم أيّ أرضَـيْـنـا تـضِـيـر[5]
فـلو كـان النّخيـل بهـا رِكـابـاً ... لـقـالـوا لا مُقـام لـكم فسيـروا

وأجابه جبل بن جوّال الثعلبيّ أيضاً، وبكى النضيرَ وقُرَيظة، فقال:

ألا يـا سعـد سعـد بني مُعـاذ ... لـمـا لقِيتْ قُـرَيْـظَة والـنـضيـرُ
لَـعَمْـرك إنّ سعـد بـني مُعـاذ ... غـداة تـحـمّلوا لـهـو الـصَّبُـور
فـأمـا الـخـزْرجيّ أبـو حُـبـاب ... فـقـال لقَـيْـنُـقـاع لا تـسـيـروا

---

(١) فلاهم: ضربهم بالسيوف.
(٢) تفاقد: هلك.
(٣) بور: هَلْكى.
(٤) البُوَيْرة: مكان لبني قُريظة.
(٥) النزه: البعد.

وبُــدِّلت المــوالي مـن حُـضَـيــر أُسَـيْداً والـدوائـرُ قـد تـدور
وأقْـفـرتِ الـبُـوَيْـرةُ مـن سَــلامٍ وسَعْيَـة وابـن أخـطب فهي بُـور
وقـد كـانـوا بـبلدتـهم ثـقـالاً كمـا ثُقُلت بميْـطانَ الصّـخـور[1]
فـإنْ يـهـلِكْ أبـو حَـكـم سَـلام فـلا رثُّ الـسّـلاح ولا دَثُـور[2]
وكـلّ الـكـاهنَـين وكـان فـيـهـم مـع اللّين الخضـارمـةُ الـصُّقُـور
وجـدنـا المجْـد قـد ثَبَتُـوا عليـه بـمـجـدٍ لا تُـغَـيِّـبـه الـبُـدُور
أقيمُـوا يـا سَـراةَ الأوس فيـهـا كـأنّـكـم مـن الـمـخْـزاةِ عُـور
تـركـتم قِـدْركـم لا شـيء فـيـهـا وقِـدْر الـقـوم حـامـيـةٌ تـفُـور

مقتل سلام بن أبي الحُقَيْق

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بني قُرَيظة، وكان سلام بن أبي الحُقَيق، وهو أبو رافع فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أُحُد قتلت كعب بن الأشرف، في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحُقيق، وهو بخيبر، فأذِن لهم[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْريّ، عن عبدالله بن كعب بن مالك، قال: وكان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ أنّ هذين الحيّين من الأنصار: الأوس والخزرج، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحْلين، لا تصنع الأوس شيئاً عن رسول الله ﷺ غَناء إلاّ قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوس كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت

---

(١) ميطان: جبل بالمدينة.
(٢) الدثور: المتغير.
(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً؛ قال: فتذاكروا: مَن رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحُقَيق، وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذِن لهم.

فخرج إليه من الخزرج من بني سَلِمة خمسة نفر: عبدالله بن عَتِيك، ومسعود بن سِنان، وعبدالله بن أنيس، وأبو قَتادة، الحارث بن ربعيّ، وخُزاعيّ بن أسود[1]، حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عبدالله بن عَتِيك، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قدِموا خيبر، أتوا دار ابن أبي الحُقَيق ليلاً، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلاّ أغلقوه على أهله. قال: وكان في عِلّية له إليها عجلة[2] قال: فأسندوا فيها، حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا. ناس من العرب نلتمس المِيرة. قالت: ذاكم صاحبكم، فادخلوا عليه، قال: فلما دخلنا عليه، أغلقنا علينا وعليها الحجرة، تخوُّفاً أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه، قالت: فصاحت امرأته، فنوّهت[3] بنا وابتدرناه، وهو على فراشه بأسيافنا، فوالله ما يدلّنا عليه في سواد الليل إلاّ بياضه كأنه قُبْطية[4] مُلقاة. قال: ولما صاحت بنا امرأته، جعل الرجل منّا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكفّ يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبدالله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وهو يقول: قَطني قَطني[5]: أي حسْبي حسْبي. قال: وخرجنا، وكان عبدالله بن عَتِيك رجلاً سيّء البصر، قال: فوقع من الدرجة فوُثِئت[6] يده

---

(١) في تاريخ الإسلام (المغازي)، أو الإصابة ١/٤٢ «أسد بن خزاعي».
(٢) العجلة: جذع النخلة يُنقر في أماكن منه للصعود عليها.
(٣) نوّهت: شهرت.
(٤) القبطية: ثياب بيض كانت تُصنع في مصر.
(٥) وقال بعضهم: إنّما هو قطي، ودخلت النون على حال دخولها في قدني. ومن العرب من يقول: قطن فلاناً أو فلان كذا، أي يكفيه، فيزيد نوناً على قطّ وينصب بها ويخفض ويضيف الى نفسه فيقول: قطني. (لسان العرب).
(٦) الوثْء: إصابة العظم بلا كسر. ووصْم: يصيب اللحم ولا يبلغ العظم. ويقال في الدعاء: اللهم تأيده. (تاج العروس ١/٤٨١).

وثناً شديداً ـ ويقال: رِجْله، فيما قال ابن هشام ـ وحملناه حتى نأتي به مَنْهَراً[1] من عيونهم، فندخل فيه. قال: فأوقدوا النيران، واشتدّوا في كل وجه يطلبوننا قال: حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم، فاكتنفوه وهو يقضي بينهم. قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأنّ عدوّ الله قد مات؟ قال: فقال رجل منّا: أنا أذهب فأنظر لكم، فانطلق حتى دخل في الناس. قال: فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه، وتحدّثهم وتقول: أما والله لقد سمعتُ صوت ابن عَتِيك، ثم أكذبت نفسي وقلت: أنّى ابن عَتِيك بهذه البلاد؟ ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت: فاظ[2] وإلٰه يهود، فما سمعتُ من كلمةٍ كانت ألذّ إلى نفسي منها. قال: ثم جاءنا الخبر فاحتملْنا صاحبَنا فقدِمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدوّ الله، واختلفنا عنده في قتله، كلّنا يدّعيه. قال: فقال رسول الله ﷺ: «هاتوا أسيافكم»، قال: فجئناه بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبدالله بن أنيس: «هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام»[3].

قال ابن إسحاق: فقال حسّان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحُقَيْق:

لله دَرّ عِصابةٍ لاقيتَهم	يا بن الحُقَيق وأنت يا بن الأشرفِ
يَسْرون بالبِيض الخِفاف إليكم	مَرِحاً كأسْدٍ في عرينٍ مُغْرفِ[4]
حتى أتوْكم في محلّ بلادِكم	فسَقَوْكُمُ حتْفاً بِبِيض ذُفُّفِ[5]
مُسْتَبْصِرين لنصر دِينِ نبيّهم	مستصغرين لكلّ أمر مُجحِفِ

قال ابن هشام: قوله: «ذُفُّف» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) المَنْهر: شقّ في الحصن نافذ يجري منه الماء. (تاج العروس ١٤/٣١٦).
(٢) فاظ: مات.
(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).
(٤) مغرف: ملتفّ الأغصان.
(٥) ذُفُّف: سريعة القتل.

إسلام عَمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي، قال حدّثني عمرو بن العاص من فيه، قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون منّي، فقلت لهم: تعلمون والله أنّي أرى أمر محمد يعلو الأمور عُلُوّاً مُنْكراً، وإنّي قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشيّ فنكون عنده، فإنْ ظهر محمد على قومنا كنّا عند النجاشيّ، فإنّا إن نكون تحت يديه أحبّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإنْ ظهر قومنا فنحن مَن قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلاّ خير، قالوا: إنّ هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحبّ ما يُهدَى إليه من أرضنا الأَدَم(١)، فجمعنا له أَدَماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدِمنا عليه.

فوالله إنّا لعنده إذ جاءه عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ، لو قد دخلت على النّجاشيّ وسألته إيّاه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنّي قد

---

(١) الأدم: الجلد.

أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديتَ إليّ من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أَدَماً كثيراً، قال: ثم قرّبته إليه، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك، إنّي قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعْطِنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخِيارنا، قال: فغضب، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقّت لي الأرض لَدَخلت فيها فرقاً منه؛ ثم قلت له: أيّها الملك، والله لو ظننت أنّك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أنْ أُعطيك رسول رجل يأتيه الناموس[1] الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطِعْني واتّبعه، فإنّه والله لَعَلى الحقّ، وليظهرنّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عمّا كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامداً الى رسول الله ﷺ لأسْلم، فلقيت خالدَ بنَ الوليد، وذلك قبل الفتح، وهو مُقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[2]، وإنّ الرجل لنبيّ، أذهبُ والله فأُسْلم، فحتّى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدِمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول لله ، إنّي أبايعك على أن يغفر لي ما تقدّم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخّر؛ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عمرو، بايعْ، فإنّ الإسلام يجبّ[3] ما كان قبله، وإنّ الهجرة تجُبّ ما كان قبلها»؛ قال: فبايعته، ثم انصرفت[4].

(١) الناموس: هو جبريل عليه السلام، وكذا يسميه أهل الكتاب.
(٢) في سير أعلام النبلاء ٣/ ٦٠ «المِيسم».
(٣) يجبّ: يقطع.
(٤) رجال الحديث ثقات، عدا راشد مولى حبيب، فلم يوثّقه غير ابن حبّان، وأخرجه من طريق =

قال ابن هشام: ويقال: فإنّ الإسلام يُحِتّ[1] ما كان قبله، وإنّ الهجرة تُحتّ ما كانَ قبلها.

إسلام عثمان بن طلحة: قال ابن إسحاق: ، وحدّثني من لاأتّهم: أنّ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، كان معهما، حين أسلما.

قال ابن إسحاق: فقال ابن الزِّبَعْرى السَّهْميّ:

أنشُد عثمانَ بنَ طلْحة حلفَنا ... ومُلقَى نِعال القوم عن المُقَبَّل[2]
وما عقد الآباء من كلّ حِلفه ... وما خالدٌ من مثلها بمُحَلَّل
أمِفْتاحَ بيت غير بيتِك تبتغي ... وما يُبْتَغى من مجد بيت مُؤَثَّل
فلا تأمننّ خالداً بعد هذه ... وعثمان جاء بالدُّهَيْم[3] المُعَضَّل

وكان فتح بني قُريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجّة، وولّى تلك الحجّة المشركون.

= ابن إسحاق بنحوه أحمد في المسند ١٩٨/٤، ١٩٩، والواقدي في المغازي ٧٤١/٢-٧٤٥ من طريق عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قال: قال عمرو بن العاص.. بأبسط من رواية ابن إسحاق.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٢١) في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، من طريق ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً، وحوّل وجهه الى الجدار.. وفيه: فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبيّ ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «مالك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشترط بماذا»؟ قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحجّ يهدم ما كان قبله...». وانظر سير أعلام النبلاء ٥٩/٣، ٦٠.

(١) يُحتّ: يُسْقط.

(٢) المُقَبَّل: اسم مكان من قَبَّل، ويريد به الحجر الأسود.

(٣) الدُّهيم: الداهية.

غزوة بني لِحْيان[1]
«بسم الله الرحمن الرحيم»

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي قال: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة ذا الحجّة والمحرّم وصفراً وشهري ربيع، وخرج في جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قُرَيظة، إلى بني لِحْيان يطلب بأصحاب الرجيع: خُبيب بن عديّ وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غِرّة.

فخرج من المدينة ﷺ، واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على غُراب، جبل بناحية المدينة على طريقه الى الشام، ثم على محيص[2]، ثم على البتراء، ثم صفّق[3] ذات اليسار،

---

(١) أنظر عنها في: المغازي للواقدي ٢/٥٣٥ ـ ٥٣٧، الطبقات الكبرى ٢/٧٨ ـ ٨٠، تاريخ الطبري ٢/٥٩٥، المحبّر ١١٤، البدء والتاريخ ٤/٢٢٢، أنساب الأشراف ١/٣٤٨ رقم ٧٣٤، الكامل في التاريخ ٢/١٨٨، عيون الأثر ٢/٨٣ نهاية الأرب ١٧/٢٠٠، ٢٠١، عيون التواريخ ١/٢٢٣، ٢٢٤، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/٣٠٥.

(٢) في الأصول، وتاريخ الطبري ٢/٥٩٥ «مخيض» والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٥/٦٧.

(٣) صفّق: عدل.

فخرج على يَيْن[1]، ثم على صخيرات اليمام[2]، ثم استقام به الطريق على المحجّة من طريق مكة فأغذّ[3] السير سريعاً، حتى نزل على غَرّان[4]، وهي منازل بني لِحْيان، وغرَّان واد بين أمج وعُسفان، إلى بلد يقال له: ساية[5]، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رءوس الجبال. فلما نزلها رسولُ الله ﷺ وأخطأه من غِرّتهم ما أراد. قال: لو أنّا هبطنا عُسْفان لرأى أهل مكة أنّا قد جئنا مكة، فخرج في مئتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع الغَميم[6]، ثم كرّ وراح رسولُ الله ﷺ قافلاً[7].

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجّه راجعاً: «آيبون تائبون إن شاء الله لربّنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال»[8].

---

(١) يَيْن: بالفتح ثم السكون. قال الزمخشري: يَيْن عين بواد يقال له حَوْرتان. وقال غيره: واد بين ضاحك وضويحك، وهما جبلان أسفل الفرش. . وقال نصر: ناحية من أعراض المدينة على بريد منها وهي منازل أسلم بن خزاعة. (معجم البلدان ٥/٤٥٤).

(٢) صُخيرات: تصغير جمع صخرة. وهي صخيرات الثُمام بالثاء المثلّثة المضمومة. (معجم البلدان ٣/٣٩٥).

(٣) أغَذ: أسرع.

(٤) الغرّان: بفتح أوله وتشديد ثانيه، تثنية الغرّ. اسم موضع. (معجم البلدان ٤/١٩١).

(٥) ساية: اسم واد من حدود الحجاز. . يُطْلَع إليه من الشراة. (معجم البلدان ٣/١٨٠).

(٦) كُراع الغميم: بالضمّ. موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عُسْفان بثمانية أميال. وهذا الكُراع جبل أسود في طرف الحَرّة يمتدّ اليه. (معجم البلدان ٤/٤٤٣).

(٧) تاريخ الطبري ٢/٥٩٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٨) أخرجه البخاري في المغازي (٥/٤٩) باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ومسلم في الحج (٤٢٥) و(٤٢٨) و(٤٢٩) باب ما يقول إذا ركب الى سفر الحج وغيره، وباب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره، وأبو داود في الجهاد (٢٥٩٨) باب ما يقول الرجل إذا سافر، والترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٠٠) باب ما يقول إذا خرج مسافراً، و(٣٥١١) باب ما جاء يقول إذا ركب دابّة، والدارمي في الاستئذان باب (٥٠)، ومالك في الموطّأ، كتاب الحجّ (٩٥٢) باب جامع الحج، وأحمد في المسند ١/٢٥٦ و٢/٥ و١٠ و١٥ و٢١ و٣٨ و٦٢ و١٠٥ و١٤٤ و١٥٠ و٣/١٨٧ و١٨٩ و٤/٢٣١ و٢٨٩ و٢٩٨ و٣٠٠، والطبراني في المعجم الكبير ٧/٣٢٢ رقم ٧٠٩٢، وابن جُمَيْع الصيداوي في معجم الشيوخ ٦٤ رقم ٥، وابن سعد في الطبقات ٢/٧٩، والواقدي في المغازي ٢/٥٣٧.

والحـديث في غـزوة بني لِحْيـان، عن عـاصم بن عمـر بن قَتـادة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالـك؛ فقال كعب بن مـالك في غزوة بني لِحْيان:

لـو أنّ بني لِحْيان كـانوا تنـاظروا [1] ... لَقُوا عُصَباً [2] في دارهم ذات مَصْدَقِ
لقُوا سَرَعـاناً يمـلأ السَّرْب رَوْعُـه [3] ... أمـام طَحُـون كـالمَجَـرَّة فَيْلق [4]
ولكنّـهم كـانـوا وبـاراً [5] تـتبَّـعتْ ... شِعـاب حجـازٍ غيـر ذي مُتَنَفَّق [6]

غزوة ذي قَرَد [7]

ثم قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة؛ فلم يُقِم بها إلاّ ليالي قلائل، حتى أغار عُيَيْنة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر الفَزَاريّ؛ في خيل من غَطَفان على لقاح [8] لـرسول الله ﷺ بـالغابـة، وفيها رجـل من بني غفار وامـرأة له، فقتلوا الـرجل واحتملوا المرأة في اللقاح.

قـال ابن إسحاق: فحـدّثني عاصم بن عمـر بن قتادة، وعبـدالله بن أبي بكر، ومن لا أتّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، كـلٌّ قد حـدّث في غزوة

---

(١) تناظروا: انتظروا.
(٢) العُصَب: الجماعات.
(٣) السَرَعان: الذين يتقدّمون الجيش، والسّرب: الطريق.
(٤) الطَحون: الكتيبة الضخمة. والمجرّة: مجموعة من النجوم. والفيلق: الكتيبة.
(٥) الوبار: جمع وبر دُويبة صغيرة تشبه الهرّة.
(٦) المتنفّق: الذي له منفذ ينفذ منه.
(٧) وهي غزوة الغابة. أنظر عنها في: المغازي للواقدي ٥٣٧/٢ ـ ٥٤٩، والـطبقات الكبـرى ٨٠/٢ ـ ٨٤، وتـاريخ الـطبري ٥٩٦/٢ ـ ٦٠٤، وأنسـاب الأشـراف ٣٤٨/١ رقم ٧٣٥، والبـدء والتاريـخ ٢٢٣/٤، والمحبّر ١١٤ والكـامل في التـاريخ ١٨٨/٢ ـ ١٩١، ونهـايـة الأرب ٢٠١/١٧ ـ ٢٠٣، ومجمـع الـزوائـد ١٤٣/٦، ١٤٤ وعيـون التـواريـخ ٢٢٤/١ ـ ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وسيرة ابن كثير ٢٨٦/٣ ـ ٢٩٦، وعيون الأثر ٨٤/٢ ـ ٨٨، والروض الأنف ١٤/٤ ـ ١٧.
(٨) اللقاح: الإبل الحوامل.

ذي قَـرَد[1] بعضَ الحديث: أنـه كـان أول من نـذِر[2] بهم سَلَمـة بن عمـرو بن الأكوع الأسلميّ، غدا يريد الغابة[3] متوشّحاً قـوسه ونَبْله، ومعـه غلام لـطلحة ابن عُبيـد الله معه فَـرَس له يقـوده، حتى إذا علا ثَنيّـة الـوداع نـظر الى بعض خيولهم، فأشرف في ناحيـة سَلْع، ثم صرخ: واصبـاحاه، ثم خـرج يشتدّ في آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لحِق بالقوم، فجعل يـردّهم بالنَّبْـل، ويقول إذا رمى: خُذْها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرُّضَّع، فـإذا وجّهت الخيل نحـوه انطلق هارباً، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمي رمى، ثم قال: خُـذها وأنـا ابن الأكوع، اليوم يوم الرُّضَّع، قال: فيقول قائلهم: أُوَيْكِعنا هو أول النهار[4].

تسابق الفرسان: قال: وبلغ رسـولَ الله ﷺ صياح ابن الأكـوع، فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع، فترامت الخيول الى رسول الله ﷺ.

وكـان أول من انتهى الى رسـول الله ﷺ من الفـرسـان: المقـداد بن عمرو، وهو الـذي يقال لـه: المقداد بن الأسـود، حليف بني زُهْرة، ثم كـان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعـد المقداد من الأنصـار، عبّاد بن بِشْـر ابن وقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء، أحـد بني عبد الأشهـل، وسعد بن زيـد، أحد بني كعب بن عبـد الأشهل، وأُسَيـد بن ظهير، أخـو بني حارثـة بن الحارث: يُشَكّ فيه، وعُكاشة بن مِحصَن، أخو بني أسد بن خُزَيمة، وأبـو عيّاش، وهـو عُبيد بن زيد بن الصامت، أخو بني زُرَيق. فلمـا اجتمعوا الى رسـول الله ﷺ أمّر عليهم سعد بن زيد، فيما بلغني، ثم قـال: أخرج في طلب القـوم؛ حتى ألحقك في الناس[5].

وقـد قـال رسـولُ الله ﷺ، فيمـا بلغني عن رجـال من بني زُرَيق، لأبي

---

(١) ذو قرد: قال السهيلي: بضمّتين، هكذا ألفيته مقيّداً عن أبي عليّ. والقرد في اللغـة الصوف الرديء، يقال في مثـل: عثرت على المغـزل بآخـرة فلم تدع بنجـد قردة. (الـروض الأنف ١٤/٤).

(٢) نَذِر: علم به فحذره.

(٣) الغابة: قال ابن سعد: هي على بريد من المدينة بطريق الشام.

(٤) تاريخ الطبري ٥٩٦/٢، ٥٩٧، الطبقات الكبرى ٨١/٢.

(٥) الطبري ٦٠١/٢.

عيّاش: «يا أبا عيّاش، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً، هو أفرس منك فلحِق بالقوم»؟ قال أبو عياش: فقلت يا رسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربت الفرس، فوالله ما جرى بي خمسين ذِراعاً حتى طرحني، فعجبت أنّ رسول الله ﷺ: يقول «لو أعطيته أفرس منك»، وأنا أقول: أنا أفرس الناس، فزعم رجال من بني زُريق أنّ رسولُ الله ﷺ أعطى فرس أبي عيّاش مُعاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلْدة، وكان ثامناً، وبعض الناس يعدّ سَلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، ويطرح أُسَيد بن ظُهَير، أخا بني حارثة، والله أعلم أيّ ذلك كان. ولم يكن سَلَمة يومئذ فارساً، وقد كان أول من لحق بالقوم على رِجْليه. فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا[1].

محرز بن نَضْلة ومقتله: قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمرو بن قَتادة: أنّ أول فارس لحِق بالقوم مُحرز بن نَضْلة، أخو بني أسد بن خُزَيمة - وكان يقال لمحرز: الأخرم، ويقال له قمير - وأنّ الفزع لما كان، جال فرس لمحمود بن مَسْلمة في الحائط، حين سمع صاهلة الخيل، وكان فرساً صنيعاً[2] جامّاً[3]، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل، حين رأين الفرس يجول في الحائط بجذع نخْل هو مربوط فيه: يا قُمَير، هل لك في أن تركب هذا الفَرَس؟ فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطينه إيّاه. فخرج عليه، فلم يلبث أن بذّ الخيل بجمامه[4]، حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال: قفوا يا معشر بني اللكيعة[5] حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قال: وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرِيّه[6]

(١) تاريخ الطبري ٦٠١/٢، ٦٠٢، والحديث في مجمع الزوائد ١٤٢/٦، ١٤٤ وقال الهيثمي: في الصحيح بعضه، رواه الطبراني وفيه موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي وهو ضعيف.

(٢) الفرس الصنيع: الذي يخدمه أهله، ويقومون عليه.

(٣) يقال: جمّ الفرس، إذا تُرك ولم يُركب.

(٤) الجِمام: كالسحاب، الراحة، والباء هنا للسببية.

(٥) اللكيعة: اللئيمة.

(٦) يقصد بالآريّة هنا الموضع الذي يُربط به الفرس.

من بني عبد الأشهل فلم يُقتل من المسلمين غيره.

قال ابن هشام: وقُتل يومئذ من المسلمين مع محرز، وقّاص بن مجزّز المُدْلجيّ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم.

أفراس المسلمين: **قال إبن اسحاق**: وكان اسم فرس محمود: ذا اللّمّة[١].

قال ابن هشام: وكان اسم فرس سعد بن زيد: لاحق[٢]، واسم فرس المقداد بعزجة[٣]، ويقال: سبحة، واسم فرس عُكّاشة بن مِحْصَن: ذو اللّمّة[٤]، واسم فرس أبي قتادة: حزوة[٥]، وفرس عبّاد بن بِشْر: لمّاع[٦]، وفرس أُسَيد بن ظُهَير: مسنون[٧]، وفرس أبي عيّاش: جُلوة[٨].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض من لاأتّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك: أنّ مُجزّزاً إنّما كان على فَرَس لعُكّاشة بن مِحْصَن، يقال له الجناح[٩]، فقُتِل مُجزّز واستُلبت الجناح.

قتلى المشركين: ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربْعيّ،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٠٢، ٦٠٣.

(٢) فضل الخيل للدمياطي ١٧٨ و١٨٣، الحلبة ١٥٢ و١٥٩ و١٨٦.

(٣) فضل الخيل ١٦٨، ١٦٩، عقد الأجياد ٣٢٦، المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبة ٤٥.

(٤) فضل الخيل ١١٧ و١٧١، ١٧٢، أنساب الخيل للكلبي ٣٠، وحلبة الفرسان ١٥٣، المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبة ٨١.

(٥) فضل الخيل ١٧٤، الحلبة ٦٣.

(٦) فضل الخيل ١٧٥، المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبة ١٨٨.

(٧) المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبة ١٩٥.

(٨) الحلبة ٥٥ والبعزجة: شدّة جري في مغالبة، كأنه منحوت من بعج إذا شقّ، وعزّ، أي: غلب. وأما سبحة فمن سبح إذا علا عُلُوّاً في اتّساع ومنه: سبحان الله، وسَبَحات الله: عظمته وعلوّه، لأن الناظر المفكر في الله سبحانه يسبح في بحر لا ساحل له، وأما حزوة: فمن حزوت الطير إذا زجرتها، أو من حزوت الشيء إذا أظهرته، قال الشاعر:

ترى الأمعز المحزو فيه كأنه ... من الحر واستقباله الشمس مسطح

وجلوة: من جلوت السيف، وجلوت العروس، كأنها تجلو الغم عن قلب صاحبها. ومسنون من سننت الحديدة إذا صقلتها. (الروض الأنف ٤/١٥).

(٩) المخصّص (الخيل ١٩٦)، الحلبة ١٣٤.

أخو بني سَلِمة، حبيب بن عُيينة بن حصْن، وغشَّاه بُرده، ثم لحِق بالناس.

وأقبل رسولُ الله ﷺ في المسلمين.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم.

قال ابن إسحاق: فإذا حبيب مُسَجّى بُبرد أبي قَتَادة، فاسترجع الناس وقالوا: قُتل أبو قتادة، فقال رسولُ الله ﷺ: ليس بأبي قتادة، ولكنّه قتيلٌ لأبي قَتَادة، وضع عليه بُرْده، لتعرفوا أنه صاحبه.

وأدرك عُكّاشة بن محصَن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار، وهما على بعير واحد، فانتظمهما بالرمح، فقتلهما جميعاً، واستنقذوا بعض اللقاح، وسار رسولُ الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَد، وتلاحق به الناس، فنزل رسولُ الله ﷺ به، وأقام عليه يوماً وليلة؛ وقال له سَلَم بن الأكوع: يا رسول الله، لو سرّحتني في مائة رجل لاستنقذت بقيّة السرْح، وأخذت بأعناق القوم؟ فقال له رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني: إنّهم الآن لَيُغبَقون[1] في غَطَفان.

تقسيم الفَيْء بين المسلمين: فقسّم رسولُ الله ﷺ في أصحابه في كل مئة رجل جَزُوراً، وأقاموا عليها، ثم رجع رسولُ الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة[2].

لا نَذْر في معصية: وأقبلت امرأة الغِفاريّ[3] على ناقة من إبل رسول الله ﷺ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر، فلما فرغت، قالت: يا رسول الله، إنّي قد نذرت لله أن أنحرها إن نجّاني الله عليها؛ قال: فتبسّم رسولُ الله ﷺ، ثم قال: بئس ما جَزَيْتها أنْ حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين، إنّما هي ناقة من

(١) الغبق: شرب اللبن بالعشيّ.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٣، ٦٠٤.

(٣) اسمها «ليلى».

إبلي، فارجعي الى أهلك على بركة الله[1].

والحديث عن امرأة الغفاريّ وما قالت، وما قال لها رسولُ الله ﷺ، عن أبي الزُّبير المكّي، عن الحَسَن بن أبي الحَسَن البصْريّ.

ما قيل من الشعر في يوم ذي قَرَد: وكان مما قيل من الشِعر في يوم ذي قَرَد قول حسّان بن ثابت:

لـولا الـذي لاقتْ[2] وَمسّ نُسُـورهـا ... بجَنـوب سايَـةَ أمس ِ في التّقْـوادِ
لَـلَقينـكـم يحـمِلْنَ كُـلّ مُـدَجّـج ... حـامي الحقيقـة مـاجِدِ الأجـداد
ولَـســرّ أولادَ الـلّـقـيـطة أنّـنـا ... سِـلْمٌ غَـداة فـوارس الـمِـقْـداد
كُنّـا ثمـانيـة وكـانـوا جَحْفـلاً ... لجِبـاً فشُكّـوا بـالـرِّمـاح بَـداد
كـنّـا من الـقـوم الـذين يَـلُونَـهـم ... ويُـقَـدّمـون عِـنـان كـلّ جـواد
كـلّا وربّ الـرّاقصـات الى مِـنى ... يَقْـطَعن عُـرْض مخـارِمِ الأطْـواد[3]
حتى نُبيـل[4] الخيلَ في عَـرَصـاتِكم ... ونَـؤوب بـالـمَـلَكـاتِ والأولاد
رَهْـواً بـكـلّ مُـقَـلّص وطِـمـرّةٍ ... في كـلّ مُعْتـرك عَـطَفْن ووادي[5]
أفـنـى دوابـرهـا ولاح مُتُـونَـهـا ... يـومٌ تُـقـادُ بـه ويـومُ طِـراد
فـكـذاك إنّ جيـادَنـا مَلْبـونـةٌ[6] ... والـحـربُ مُشْعَلة بـريـح غَـواد
وسيـوفنـا بيضُ الـحـدائـد تَجْتلي ... جُنَنَ الحديد وهـامَـةَ المُـرْتـاد[7]
أخـذ الإلـهُ عـليـهـمُ لـحَـرامـه ... ولـعِـزّة الـرحـمـن بـالأسْـداد
كـانـوا بـدارٍ نـاعمـين فبُـدِّلـوا ... أيـامَ ذي قَـرَد وُجُـوه عـبـاد

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٥٤٨.

(٢) الضمير في لاقت وما بعدها للخيل، والنسر كالنواة في باطن حوافر، وفي الفرس عشرون عضواً، كل عضو منها يسمّى باسم طائر، النسر والنعامة والهامة والسمامة والسعْدانة وهي الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغُراب والصرد والصّقْر والحرب والناهض، وهو فرخ العقاب والخطاب الخ. (الروض الأنف ٤/١٩)

(٣) الراقصات: الإبل. والرقص للإبل: نوع من المشي. المخارم: الطرق. الأطواد: الجبال.

(٤) نُبيل الخيل: نجعلها تبول.

(٥) الرهو: المشي في تُؤدة. المُقَلّص: المشمّر. طمرّة: فرسة سريعة. روادي: سريعة.

(٦) ملبونة: تسقي اللبن.

(٧) تجلى: تقطع. الجُنَن: الأسلحة. والمُرتاد: المحارب.

قال ابن هشام: فلما قالها حسّان غضب عليه سعد بن زيد، وحلف أن لا يكلّمه أبداً؛ قال: انطلق إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد! فاعتذر إليه حسّان وقال: والله ما ذاك أردت، ولكنّ الرويّ وافق اسم المقداد؛ وقال أبياتاً يُرضي بها سعداً:

إذا أردتُم الأشدّ الجَلْدا أو ذا غَناء فعليكم سَعْدا
سعد بن زيد لا يُهَدّ هدّا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْن شيئاً.

وقال حسّان بن ثابت في يوم ذي قرد:

أَظَنّ عُيَيْنَةُ إذ زارها بأنْ سوف يَهْدِم فيها قُصورا
فأُكْذِبْت ما كنتَ صدّقْته وقُلتم سَنَغْنَمُ أمراً كبيرا
فعِفْتَ المدينة إذ زُرْتها وآنَسْت للأُسْد فيها زئيرا
فولّوْا سِراعاً كشدّ النّعام ولم يكشفوا عن مُلِطّ حصيرا[1]
أميرٌ علينا رسولُ المليك أحبب بذاكَ إلينا أميرا
رسولٌ نُصدّق ما جاءه ويتلُو كتاباً مُضيئاً مُنيرا

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قَرَد للفوارس:

أتحسَبُ أولادُ اللّقيطة أنّنا على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
وإنّا أُناسٌ لا نرى القتْل سُبّة ولا نَثْني عند الرّماح المداعس[2]
وإنّا لَنَقْري الضّيف من قَمَع الذُّرا ونَضْرب رأسَ الأبْلخ المُتشاوس[3]
نَرُدّ كُماة المُعْلَمين إذا انتخَوْا بضرْب يُسَلّي نخْوة المُتَقاعِس[4]

---

(١) مُلَط: من قولهم: الطّت النّاقة بذَنَبها إذا وضعته بين فخذيها؛ يريد أنهم لم يستطيعوا الإغارة على العير ولم يكشفوا ما تستتر به.
(٢) المَداعس: المطاعن.
(٣) قمع الذرا: أعالي الأسنمة. الأبلخ: المتعاظم. المتشاوس: الجريء في القتال.
(٤) انتخوا: تكبّروا. المتقاعس: الراكب رأسه.

بكلّ فتىً حامي الحقيقة ماجدٍ … كريمٍ كسِرْحان الغَضاة مُخالس[1]
يَذُودون عن أحْسابهم وتِلادِهم … ببِيضٍ تقُدّ الهامَ تحت القَوانِس
فسائِلْ بني بدْر إذا ما لَقِيتَهم … بمَا فعل الإخوانُ يوم التَّمارُس
إذا ما خَرجتمْ فاصدقوا من لَقِيتُم … ولا تَكْتُموا أخباركم في المجالس
وقولوا زَلَلْنَا عن مَخالب خادر … به وحَرٌ ففي الصدر ما لم يُمارِس[2]

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «وإنّا لَنُقْري الضَّيفَ» أبو زيد.

قال ابن إسحاق: وقال شدّاد بن عارض الجُشَميّ، في يوم ذي قَرَد: لعُيَينة بن حصْن، وكان عُيَيْنة بن حصْن يُكَنّى بأبي مالك:

فهلاّ كررتَ أبا مالك … وخيلُك مُدْبرة تُقْتَلُ
ذكرتَ الإيابَ إلى عَسْجَر … وهَيْهات قد بعُد المُقْفَل[3]
وطَمَّنْتَ نَفسَك ذا مَيْعة … مِسحّ الفضاء إذا يُرْسَل[4]
إذا قَبَّضَتْه إليك الشمَا … لَ جاشَ كما اضطَرم المِرْجَل
فلما عرفتم عِبادَ الإلـ … ـه لم يَنْظر الآخرَ الأول
عرفتم فَوارِس قد عُوِّدُوا … طِرَاد الكُماة إذا أسهلوا[5]
إذا طَرَدُوا الخيلَ تَشْقَى بهم … فِضاحاً وإن يُطْرَدوا ينْزِلوا
فيعتصموا في سواء المُعَا … م بالبِيض أخلَصَها الصَّيْقَل

---

(١) السرحن: الذئب. وغضاة: جمعها غضا: شجر خشبه من أصلب الخشب وجمره شديد الالتهاب، ويقال ذئب الغضا: مَثَل يُضرب في الخداع والاحتيال.

(٢) الخادر: الأسد الذي يلازم الخدْر وهو بيته. الوَحَر: الحقْد.

(٣) عَسْجَر: موضع بمكة.

(٤) «ذامَيْعة»: ذو نشاط. المسح: الكثير الجري.

(٥) أسهلوا: نزلوا السهل.

غزوة بني المُصْطَلِق[1]

في شعبان سنة ستّ

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جُمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المُصْطَلِق من خُزاعة[2]، في شعبان سنة ست[3].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفَاريّ؛ ويقال: نُمَيلة بن عبدالله اللَّيْثيّ.

سببها: **قال ابن إسحاق**: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، وعبدالله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حِبّان، كلٌّ قد حَدّثني بعضَ حديث بني المُصْطَلِق، قالوا: بلغ رسولَ الله ﷺ أنّ بني المُصْطَلِق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضِرار أبو جُويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ. فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم، حتى لقِيهم على ماء لهم يقال له:

---

(١) انظر عنها في: المغازي لعروة ١٩٠، ١٩١، المغازي للواقدي ١/٤٠٤ وما بعدها، الطبقات الكبرى ٢/٦٣ - ٦٥، تاريخ خليفة ٨٠، تهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٣٣٦، أنساب الأشراف ١/٣٤١ رقم ٧٢٩، الدرر ٢٠٠ وما بعدها، المحبّر ١١٤، الكامل في التاريخ ٢/١٩٢ - ١٩٤، نهاية الأرب ١٧/١٦٤ - ١٦٦، تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٢/٦٠٤ - ٦١٠، مجمع الزوائد ٦/١٤٢، ١٤٣ عيون الأثر ٢/٩١ - ٩٦، سيرة ابن كثير ٣/٢٩٧ - ٣٠٣، عيون التواريخ ١/٢٢٨ - ٢٣٠.

(٢) وهم بنو جُذيمة بن كعب من خُزاعة، فجذَيمة هو المُصطلق وهو مفتعل من الصَّلْق، وهو رفع الصوت. (الروض الأنف ٤/١٧).

(٣) الطبري ٢/٦٠٤.

المُرَيْسيع[1]، من ناحية قُدَيد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المُصْطَلِق، وقتل من قتل منهم، ونفّل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه[2].

استشهاد ابن صُبابة خطأ: وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صُبابة؛ أصابه رجل من الأنصار من رهْط عُبادة بن الصّامت، وهو يرى أنه من العدوّ، فقتله خطأ[3].

الفتنة بين المهاجرين والأنصار: فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة للناس، ومع عمر بن الخطّاب أجير له من بني غِفَار، يقال له: جَهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسِنان بن وبر[4] الجُهَنيّ، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجُهَنيّ: يا معشر الأنصار، وصرخ جَهجاه: يا معشر المهاجرين[5]: فغضب عبدالله بن أُبيّ بن سلول، وعنده رهْط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حَدَث، فقال: أُوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، واللهِ ما أعُدُّنا وجلابيب قريش[6] إلّا

---

(١) المُرَيْسيع، وهو ماء لخُزاعة، وهو من قولهم: رسعت عين الرجل: إذا دمعت من فساد.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٠٤، الكامل ٢/١٩٢.

(٤) وقيل إنه: سنان بن تميم، من جُهينة بن سود بن أسلم حليفي الأنصار. (الروض الأنف انظر الروض الأنف ٤/١٥.

(٥) وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما، قال: دعوها فإنّها منتنة، يعني: إنّها كلمة خبيثة، لأنّها من دعوى الجاهلية، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً، فإنّما ينبغي أن تكون الدعوة يا للمسلمين؛ فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجّه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يُجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبي موسى الأشعريّ في جلده النابغة الجَعْديّ خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر، فأقبل يشتدّ بعصبة له. والقول الثاني: إنّ فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلّا في حدّ، والقول الثالث: اجتهاد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سدّ الذريعة وإغلاق باب الشرّ، إما بالوعيد، وإما بالسجن وإما بالجلْد.

فإن قيل: إنّ النبيّ ﷺ لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها؟ قلنا: قد قال: دعوها فإنّها منتنة، فقد أكّد النّهي، فمن عاد إليها بعد هذا النّهي، وبعد وصف النبيّ ﷺ لها بالإنتان وجب أن يؤدّب. (الروض الأنف ٤/١٧).

(٦) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين.

كما قال الأول: سَمِّنْ كلبَك يأكلْك، أما واللهِ لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْـرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. ثم أقبل على مَن حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بـأنفسكم، أحْللتموهم بـلادكم، وقاسمتمـوهم أموالكم، أمـا والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه، فأخبره الخبـر، وعنده عمر بن الخطّاب، فقال: مُـرْ به عبّـاد بن بِشْر فلْيقتلْه. فقـال له رسـول الله ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أنّ محمداً يَقتل أصحـابه! لا ولكنْ أذِّن بالرحيل»، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحـل فيها، فـارتحل الناس[1].

نفاق ابن أُبَيّ: وقد مشى عبـدالله بن أُبَيّ بن سَلُول إلى رسول الله ﷺ، حين بلغه أنّ زيد بن أرْقم قـد بلغه مـا سمع منـه، فحلِف بالله: مـا قال، ولا تكلّمت به. ـ وكان في قومه شريفاً عـظيماً ـ، فقـال من حضر رسـولَ الله ﷺ من الأنصار من أصحابـه: يا رسـول الله، عسى أن يكون الغـلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال، حَدَباً على ابن أُبَيّ بن سلول، ودفْعاً عنه[2].

قـال ابن إسحاق: فلمّـا استقـلّ رسـول الله ﷺ وسـار، لقيـه أُسَيْـد بن حُضَيْر، فحيّاه بتحيّة النّبوّة وسلّم عليـه، ثم قال: يـا نبيّ الله، والله لقد رحت في سـاعة منكَـرَة، ما كنت تـروح في مثلها؛ فقـال له رسـول الله ﷺ: «أَوَ ما بلغَك ما قـال صاحبكُم»؟ قـال: وأيّ صاحب يـا رسول الله قـال: «عبدالله بن أُبَيّ»؛ قال: وما قال؟ قال: «زعم أنه إنْ رجع إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ»، قال: فأنت يا رسول الله والله تُخرجه منهـا إن شئت، هو والله الـذّليل وأنت العزيز؛ ثم قال: يا رسول الله، ارفقْ به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنّ قومَه لينظمون له الخَرَز ليُتَوِّجوه، فإنّه ليرى أنّك قد استلبته مُلكاً[3].

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٠٥، ٦٠٦، الكـامل في التـاريخ ٢/١٩٣، تـاريخ الإسـلام (المغازي) والحديث أخرجـه البخاري في كتـاب التفسير (٦/٦٥، ٦٦)، سورة المنافقـون، ومسلم في كتاب البرّ والصلة (٢٥٨٤) باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٦.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٠٦، الكامل ٢/١٩٣.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتّى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدْر يومهم ذلك حتّى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنّما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبدالله بن أُبَيّ.

ثم راح رسول الله ﷺ بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النقيع؛ يقال له: بقعاء[1]. فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوّفوها؛ فقال رسول الله ﷺ: «لا تخافوها، فإنّما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفّار». فلما قدِموا المدينةَ وجدوا رِفاعة بن زيد بن التابوت، أحد بني قَيْنُقاع وكان عظيماً من عظماء يهود، وكهفاً للمنافقين، مات في ذلك اليوم[2].

ما نزل في ابن أُبَيّ: ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أُبَيّ ومن كان على مثل أمره، فلما نزلَت أخذ رسول الله ﷺ بأُذُن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذي أوفى الله بأُذُنه[3]. وبلغ عبدَ الله بنَ عبدالله بن أُبَيّ الذي كان من أمر أبيه.

موقف عبدالله من أبيه: قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن قَتادة: أنّ عبدالله أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنّه بلغَني أنّك تريد قتل عبدالله بن أُبَيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فمُرْني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منّي، وإنّي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تَدَعْني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أُبَيّ يمشي في النَاس، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله ﷺ: «نترفّق به ونُحسن صحبته ما بقي معنا»[4].

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٦٠٧ «نقيع». وهما قولان. انظر معجم البلدان.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٧ وانظر الحديث عند مسلم (٢٧٨٢) كتاب صفات المنافقين واحكامهم.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٠٧، الكامل في التاريخ ٢/١٩٣، ١٩٤، البخاري ٦/٦٥.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٦٠٨، الكامل في التاريخ ٢/١٩٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحَدَث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنّفونه؛ فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؛ أما واللهِ لو قتلته يوم قلتَ أقتُلْه. لأُرْعِدتْ له آنُف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته» قال: قال عمر: قد والله علمتُ لأمرُ رسول الله ﷺ أعظمُ بركةً من أمري[1].

مخادعة مِقْيَس: قال ابن إسحاق: وقدِم مِقْيَس بن صُبابة من مكّة مسلماً، فيما يظهر: فقال يا رسول الله، جئتك مسلماً، وجئتك أطلب دِيةَ أخي، قُتل خطأً. فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صُبابة؛ فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتدّاً؛ فقال في شِعر يقوله:

شفى النفسَ أنْ قد بات بالقاع مُسْنَداً ... تُضَرِّجُ ثَوْبَيْه دماءُ الأخادِعِ[2]
وكانت همومُ النَّفْس من قبل قتْلِهِ ... تُلِمُّ[3] فتَحْميني وطاءَ المَضاجِعِ
حللْتُ به وِتْرِي وأدركت ثُؤرَتي[4] ... وكنتُ إلى الأوثان أوّل راجِعِ
ثأرتُ به فِهْراً وحمَّلْت عَقْلَه ... سَراةَ بني النَّجّار أربابَ فارِعِ[5]

وقال مِقْيَس بن صُبابة أيضاً:

جَلَّلْتُه ضربةً لها وشَلٌ[6] ... من نافعِ الجَوْفِ يعلُوهُ وينصرِمُ
فقلتُ والموتُ تغشاهُ أَسِرَّتُه[7] ... لا تَأْمَنَنَّ بني بكرٍ إذا ظُلِموُا

قال ابن هشام: وكان شعار المسلمين يوم بني المُصْطَلِق: يا منصور، أمِت أمِت.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٠٨، ٦٠٩، الكامل في التاريخ ٢/١٩٤.
(٢) الأخادع: يريد الأخدعان: وهما عِرْقان بالقفا.
(٣) تُلمّ: تحيط، أو تحلّ.
(٤) الوتر: طلب الثأر. والثؤرة: الثأر.
(٥) فارع: حصن لبني النجّار بالمدينة.
(٦) الوشل: القطر. ويريد بناقع الجوف: الدم.
(٧) الأسِرّة: التكسّر الذي يكون في جلد الوجه والجبهة.

قتل بني المُصْطَلِق: **قال ابن إسحاق**: وأصيب من بني المُصْطَلِق يوْمئذ ناس، وقتل عليّ بن أبي طالب منهم رجلَين، مالكاً وابنَه، وقتل عبدالرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم، يقال له: أحمر، أو أُحَيْمر.

جُويرية بن الحارث رضي الله عنها: وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبْياً كثيراً، فشا قَسْمه في المسلمين؛ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضِرار، زوج رسول الله ﷺ.

قال ابن اسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُبَير، عن عُروة بن الزُبير، عن عائشة. قالت: لما قسّم رسول الله ﷺ سبايا بني المُصْطَلِق، وقعت جُويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشمّاس، أو لابن عمٍّ له، فكاتَبَتْه على نفسها، وكانت امرأة حُلوةُ مُلَّاحة[1]، لا يراها أحد إلاّ أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها. قالت عائشة: فوالله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجْرتي فكرِهتها: وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضِرار سيّد قومه، وقد أصابني من البلاء، ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيْس بن الشمّاس، أو لابن عمٍّ له، فكاتَبْتُه على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي؛ قال: «فهل لك في خيرٍ من ذلك»؟ قالت: «وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي عنك كتابتك وأتزوّجك»؛ قالت: نعم يا رسول الله؛ قال: «قد فعلت»[2].

---

(١) المُلّاحة: الشديدة الملاحة.

(٢) وكان نظره عليه السلام لجُوَيرية حتى عرف من حُسنها ما عرف، فإنّما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة، ولو كانت حُرّة ما ملأ عينه منها، لأنه لا يُكره النظر إلى الإماء، وجائز أن يكون نظر إليها لأنه نوى نكاحها، كما نظر الى المرأة التي قالت له: إنّي قد وهبت لك نفسي يا رسول الله، فصعّد فيها النظر ثم صوّب، ثم أنكحها من غيره، وقد ثبت عنه عليه السلام الرُخْصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها، وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة: لو نظرت إليها فإنّ ذلك أحرى أن يؤدم بينكما، وقال مثل ذلك لمحمد بن مَسْلمة حين أراد نكاح ثُبيتة بنت الضَحّاك، وقد أجازه مالك في إحدى الروايتين عنه، وفي مُسْنَد البزّار، من طريق أبي بكرة: لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل التزويج، وأورد في الباب قوله=

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أنّ رسول الله ﷺ قد تزوّج جُويرية ابنة الحارث بن أبي ضِرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إيّاها مائة أهل بيت من بني المُصْطَلِق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركةً منها[1].

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِق ومعه جُويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدِم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضِرار بفداء ابنته؛ فلما كان بالْعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيّبهما في شِعْبٍ من شِعاب العقيق، ثم أتى إلى النبيّ ﷺ وقال: يا محمد، أصبتُم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيّبْتَهما بالعقيق، في شِعب كذا وكذا؟» فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك محمد رسول الله، فوالله ما اطّلَع على ذلك إلاّ الله، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبيّ ﷺ، ودُفعت إليه ابنته جُويرية، فأسلمت، وحسُن إسلامها؛ فخطبَها رسول الله ﷺ إلى أبيها، فزوّجه إيّاها، وأصدقها أربعمائة دِرْهم.

قال ابن اسحاق: وحدّثني يزيد بن رُومان: أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أنّ القوم قد همّوا بقتله، ومنعوه ما قِبَلهم من صدقتهم، فأكثر المسلمون في ذِكر غزوهم، حتى هَمَّ رسول الله ﷺ بأن يغزوهم، فبيناهم على ذلك قدِم وفْدهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه

= عليه السلام لعائشة: أُريتكِ في المنام يجيء بك المَلَك في سُرقة من حرير، فكشفت عن وجهك، فقال: هذه امرأتك، فقلت: إن يكن من عند الله يُمْضه. وهذا الاستدلال حَسَن. (الروض الأنف ٤/١٩)، والخبر في تاريخ الإسلام (المغازي).

(١) الطبقات الكبرى ١١٨/٨، تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٦١٠/٢.

لنُكْرمه، ونؤدّي إليـه ما قِبَلنـا من الصدقـة، فانشمـر[1] راجعاً، فبلغنـا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنّا خرجنا إليه لنقتله، ووالله ما جئنا لـذلك، فـأنزل الله تعـالى فيه وفيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَـاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُـوا أَنْ تُصِيبُوا قَـوْماً بِجَهَـالَةٍ، فَتُصْبِحُـوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَـادِمِينَ. وَاعْلَمُـوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُـولَ اللهِ لَـوْ يُطِيْعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ...﴾ إلى آخر الآية[2].

وقـد أقبل رسـول الله ﷺ من سفره ذلـك، كما حـدّثني من لا أتّهـمَ عن الـزُّهْرِيّ، عن عُـروة، عن عائشـة رضي الله عنهـا، حتى إذا كـان قـريبـاً من المدينة، وكانت معه عائشة في سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا.

---

(١) انشمر: أسرع.

(٢) سورة الحجرات ـ الآية ٦.

خبر الإفْك في غزوة بني المُصْطَلِق[1]

قال ابن إسحاق: حدّثنا الزُّهْرِيّ، عن علقمة بن وقّاص، وعن سعيد بن جُبير، وعن عُروة بن الزُّبير، وعن عُبيد الله بن عبدالله بن عُتبة، قال: كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعت لك الذي حدّثني القوْم.

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُّبير، عن أبيه، عن عائشة وعبدالله بن أبي بكر، عن عَمْرة بنت عبدالرحمن، عن عائشة، عن نفسها، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فكلٌّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدّث بعضهم ما لم يحدّث صاحبه، وكلٌّ كان عنها ثقة، فكلّهم حدّث عنها ما سمع، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها معه؛ فلما كانت غزوة بني المُصْطَلِق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهنّ معه، فخرج بي رسول الله ﷺ.

قالت: وكان النّساء إذ ذاك إنّما يأكلن العُلَق[2] لم يهِجْهُنّ اللحم

(1) انظر عنه في: صحيح البخاري ٥/٥٥ ـ ٦١ باب حديث الإفك، وتاريخ الطبري ٢/٦١٠ ـ ٦١٩، والكامل في التاريخ ٢/١٩٥ ـ ١٩٩، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وسيرة ابن كثير ٣/٣٠٤ ـ ٣١١، وعيون الأثر ١٧/٩٦ ـ ١٠٣، وعيون التواريخ ١/٢٣٠ ـ ٢٣٧.

(2) العُلَق: جمع علقة: ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية.

فيثقُلْن، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هَوْدَجي، ثم يأتي القوم الذين يرحِّلون لي ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدّونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجّه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة فنزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي، وفي عُنُقِي عِقْدٌ لي، فيه جَزْع ظِفار[1]، فلما فرغت انسَلّ من عُنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحْل ذهبت ألتمسه في عُنقي، فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتّى وجدته، وجاء القوم خلافي، الذين كانوا يرحّلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، وهم يظنّون أنّي فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مجيب. قد انطلق الناس.

قالت: فتلفَّفت بجلبابي، ثم اضطّجعت في مكاني، وعرفت أنْ لو قد افتُقدت لرُجِع إليّ، قالت: فوالله إني لمضطّجعة إذ مرّ بي صَفْوان بن المعطّل السُلَميّ، وقد كان تخلّف عن العسكر لبعض حاجته[2]، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ!

---

(١) الجَزْع: الخَرَز. ظِفَار: مدينة باليمن يُنسب إليها هذا الخَرَز.

(٢) وهو صفوان بن ربيضة بن خُزاعي بن محارب بن مُرّة بن ذَكْوان بن ثعلبة بن بهْثة بن سُليم السُّلمي. الذَكْوانيّ، يُكنّى أبا عمرو، وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين، حتى يأتيهم به، ولذلك تخلّف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا، وقد رُوي في تخلّفه سبب آخر، وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحّة هذا حديث أبي داود أنّ امرأة صفوان اشتكت به الى النبيّ - ﷺ - وذكرت أشياء منها أنه لا يصلّي الصبح، فقال صفوان: يا رسول الله إنّي امرؤ ثقيل الرأس لا استيقظ حتى تطلع الشمس. فقال له النّبيّ عليه السلام: فإذا استيقظت فصلّ، وقد ضعّف البزّار حديث أبي داود هذا في مُسنَده. وقُتل صفوان بن المعطّل شهيداً في خلافة معاوية، واندقّت رِجْله يوم قُتل. فطاعن بها، وهي متكسّرة حتى مات، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمشاط. (الروض الأنف ٤/٢٠).

وأنا متلفِّفة في ثيابي؛ قال: ما خلَّفك يرحمكِ الله؟ قالت: فما كلَّمته، ثم قرَّب البعير، فقال: اركبي، واستأخر عنِّي. قالت: فركبتُ، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً، يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتُقِدْتُ حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما أطمأنّوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتعج[1] العسكر، ووالله ما أعلم بشيءٍ من ذلك.

ثم قدِمْنا المدينة، فلم ألبثْ أن اشتكيتُ شكوىً شديدة، ولا يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ، وإلى أبَويّ لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلّا أنّي قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لُطْفه بي، كنت إذا اشتكيت رحِمني، ولَطَّف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أمّي تمرّضني ـ **قال ابن هشام**: وهي أم رُومان، واسمها زينب بنت عبد دهمان، أحد بني فِراس بن غَنْم بن مالك بن كِنانة ـ قال: «كيف تِيكُم»، لا يزيد على ذلك.

قال ابن إسحاق: قالت: حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي: لو أذنْتَ لي، فانتقلت إلى أمّي، فمرّضَتْني؟ قال: «لا عليك». قالت: فانتقلت إلى أمّي، ولا عِلم لي بشيءٍ مما كان، حتى نَقِهتُ من وجعي بعد بضعٍ وعشرين ليلة، وكنّا قوماً عُرْباً لا نتّخذ في بيوتنا هذه الكُنُفَ التي تتّخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنّما كنّا نذهب في فُسَح المدينة، إنّما كانت النّساء يخرجن كلّ ليلة في حوائجهنّ، فخرجت ليلةً لبعض حاجتي ومعي أمّ مسْطَح بنت أبي رُهْم بن المُطّلب بن عبدَ مناف، وكانت أمّها بنت صخر بن عامر بن كعب بن تَيْم، خالة أبي بكر الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: قالت: فوالله إنّها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطها[2]؛ فقالت: تعِس مِسْطَح! ومِسْطَح لَقَب واسمه عوف، قالت: قلْت: بئس لَعَمْر الله ما قلتِ لرجلٍ من المهاجرينَ قد شهِد بدراً، قالت: أَوَ ما بلغكِ الخبرُ يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل

(١) ارتعج: اضطّرب. وفي تاريخ الطبري ٢/٦١٢ «فارتجّ».
(٢) مِرْطها: كساؤها.

الإفـك، قالت: قلت: أَوَقـد كان هـذا؟ قالت: نعم واللهِ فقـد كان. قـالت: فوالله ما قـدرت على أن أقضي حاجتي، ورجعت، فـوالله ما زلت أبكي حتّى ظننت أنّ البكاء سيصدع كبـدي قالت: وقلت لأمي: يغفـر الله لكِ، تحـدّث الناس بما تَحدّثوا به، ولا تذكرين لي من ذَلك شيئاً! قالت: أي بُنَية، خفّضي عليكِ الشأن، فوالله لقَلَّما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبّها، لها ضرائـر، إلّا كثَّرْن وكثَّرَ الناس عليها.

قـالت: وقد قـام رسول الله ﷺ في النـاس يخطبهم ولا أعلم بـذلـك، فحمـد الله وأثنى عليـه، ثم قـال: «أيُّهـا النـاس، مـا بـال رجـال يُؤْذُونني في أهلي، ويقـولون عليهم غيـر الحقّ، واللهِ ما علمت منهم إلّا خيـراً، ويقولـون ذلك لرجـلٍ والله ما علمت منـه إلّا خيراً، ومـا يدخـل بيتاً من بيـوتي إلّا وهو معي».

قـالت: وكان كُبْـر ذلك[1] عنـد عبـدالله بن أُبَيّ بن سَلول في رجـال من الخزرج مع الذي قال مِسْطَح وحَمْنَة بنت جحش، وذلك أنّ أختها زينب بنت جحش كـانت عند رسـول الله ﷺ، ولم تكن من نسائـه امـرأة تنـاصيني[2] في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدِينهـا فلم تقل إلّا خيـراً، وأما حَمْنة بنت جحش، فـأشاعت من ذلـك ما أشـاعت، تضادّني[3] لأختهـا، فشقِيت بذلك.

فلما قال رسـول الله ﷺ تلك المقالـة، قال أُسَيْـد بن حُضَير: يـا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمُرْنا بـأمرك، فـوالله إنّهم لأهلٌ أن تضـرب أعناقهم؛ قـالت: فقام سعـد بن عُبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلًا صالحاً فقال: كذبتَ لَعَمْر الله، لا نضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلّا أنك قـد عرفت أنهم من الخـزرج، ولو كـانوا

---

(١) كُبْر ذلك: إثمة.

(٢) في الأصول: تناصبني ولكن قـال السهيلي في الروض الأنف أنّ الحـديث في تناصيني من المناصاة، أي: المساواة. (الروض الأنف ٤/٢١).

(٣) في تاريخ الطبري ٢/٦١٤ «تضارّني». بالراء.

من قومك ما قلت هذا، فقال أُسَيْد: كذبت لَعَمْر الله، ولكنّك منافق تجادل عن المنافقين: قالت: وتساور الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شرّ. ونزل رسول الله ﷺ، فدخل عليَّ.

قالت: فدعا عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأسامة بن زيد، فاستشارهما: فأمّا أسامة فأثنى عليّ خيراً، وقاله: ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلاّ خيراً، وهذا الكذِب والباطل؛ وأما عليّ فإنه قال: يا رسول الله إنّ النساء لكثير، وإنّك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية، فإنَّها ستصدُقُك. فدعا رسول الله ﷺ بُرَيْرَة ليسألها؛ قالت: فقام إليها عليّ بن أبي طالب، فضربها ضرباً شديداً، ويقول: اصدقي رسولَ الله ﷺ؛ قالت؛ فتقول: والله ما أعلم إلاّ خيراً، وما كنت أعِيب على عائشة شيئاً، إلاّ أنّي كنت أعجن عجيني، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله[1].

قالت: ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ، وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي، وهي تبكي معي، فجلس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «يا عائشة، إنّه قد كان ما قد بلغكِ من قول الناس، فاتّقي الله، وإنْ كنت قد قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده؛ فواللهِ ما هو إلاّ أن قال لي ذلك، فقلّص[2] دمعي حتى ما أحسّ منه شيئاً، وانتظرت أبَوَيّ أن يجيبا عنّي رسولَ الله ﷺ، فلم يتكلّما قالت: وايْمُ الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأناً من أن ينزّل الله فيّ قرآناً يُقرأ به في المساجد، ويُصَلّي به، ولكنّي قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذّب به الله عنّي، لِما يعلم من براءتي، أو يُخبر خبراً؛ فأما قرآن ينزل فيّ، فواللهِ لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك. قالت: فلما لم أر أَبَوَيّ يتكلّمان، قالت: قلت لهما: ألا تجيبان رسولَ الله ﷺ؟ قالت: فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه؛ قالت: والله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام؛ قالت: فلما أن استعجما عليّ، استعبرت

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٦١٥ «فيأتي الداجن فيأكله».

(٢) في تاريخ الطبري ٢/٦١٥ «فتقلّص».

فبكيت؛ ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً. والله إنّي لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة، لأقولنّ ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدّقونني. قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره؛ فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، واللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1]. قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشّاه من الله ما كان يتغشّاه، فسُجِّي بثوبه ووُضعت له وسادة من أدَمَ تحت رأسه، فأمّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت ولا باليت، قد عرفت أنّي بريئة، وأنّ الله عزّ وجلّ غير ظالمي، وأمّا أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجنّ أنفسهما، فَرَقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس، قالت: ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ، فجلس، وإنه ليتحدّر منه مثل الجُمان[2] في يوم شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: «أبشِري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك»، قالت: قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس، فَخَطَبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمِسْطَح بن أثاثة، وحسّان بن ثابت، وحَمْنَة بنت جحش، وكانوا ممّن أفصح بالفاحشة، فضُربوا حَدّهم[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يسار، عن بعض رجال بني النَّجّار: أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له إمرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنتِ يا أمّ أيّوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خيرٌ منك[4].

قالت: فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ، لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً

(١) سورة يوسف ـ الآية ١٨.
(٢) الجُمان: اللؤلؤ.
(٣) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٢/٦١١ ـ ٦١٦، وفي تفسير الطبري باختلاف ١٨/٧١ - ٧٤.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٦١٧.

لَكُمْ بَلْ هُوَ خيرٌ لَكُمْ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وذلك حسَّان بن ثابت. وأصحابه الذين قالوا ما قالوا.

قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبدالله بن أُبَيّ وأصحابه.

قال ابن هشام: والذي تولّى كِبْره عبدالله بن أُبَيّ، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق في هذا الحديث قبل هذا. ثم قال تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوه ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾[2]: أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته، ثم قال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[3].

فلما نزل هذا في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال، أبو بكر، وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مِسْطَح شيئاً أبداً، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال لعائشة، وأدخل علينا، قالت: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلَا يأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَى وَالمَسَاكِينَ والمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ، واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4].

قال ابن هشام: يقال: كِبْره وكُبْره في الرواية، وأما في القرآن فكِبْره بالكسر.

قال ابن هشام: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُم﴾ ولا يأل أولوا الفضل منكم ـ قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدِيّ:

ألا ربَّ خصمٍ فيك ألوى ردَدْتُه ... نصيح على تَعْذَاله غيرُ مُؤْتَلِ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: ولا يأتل أُولوا الفضل: ولا يحلف

(١) سورة النور ـ الآية ١١.
(٢) سورة النور ـ من الآية ١٢.
(٣) سورة النور ـ الآية ١٥.
(٤) سورة النور ـ الآية ٢٢.

أولوا الفضل، وهو قول الحسن بن أبي الحَسَن البصْرِيّ، فيما بَلَغَنَا عنه.

وفي كتـاب الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُـونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾[1] وهـو من الألية، والأَلية: اليمين. قال حسّان بن ثابت:

آليتُ مـا في جميع النـاس مجتهـداً منّي أَلِـيّـة بـرٍّ غَـيـر إفْـنَـادِ[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له، سأذكرها إن شـاء الله في موضعها. فمعنى: أن يؤتوا في هذا المذهب: أن لا يؤتوا، وفي كتـاب الله عزّ وجـلّ: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[3] يـريـد: أن لا تضلّوا: ﴿وَيُمْسِـكُ السَّمَـاءَ أَنْ تَقَـعَ عَلَى الأَرْضِ﴾[4] يريد أن لا تقع على الأرض.

وقال ابن مفرّغ الحِمْيريّ:

لاذَعَـرْتُ السَّـوَامَ في وَضَـحِ الصُّبْـ ـحِ مُـغـيـراً ولا دُعِـيـتُ يـزيـدا
يـوم أُعـطِي مخـافـة المـوت ضَيْمـاً والمنـايـا يـرصُـدْنني أنْ أَحِيـدا

يريد: أن لا أحيد؛ وهذان البيتان في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: قالت: فقال أبو بكر: بلى والله، إنّي لأحبّ أن يغفر الله لي، فَرَجَعَ إلى مِسْطَح نفقته التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قـال ابن إسحاق: ثم إنّ صفـوان بن المُعَطّل اعتـرض حسّان بن ثـابت بالسيف، حين بلغه مـا كان يقـول فيه، وقـد كان حسّـان قال شعـراً مع ذلـك يعرّض بابن المعطّل فيه، وبمن أسلم من العرب من مُضَر، فقال:

أمسى الجلابيبُ قد عزُّوا وقد كثـروا وابنُ الفُـرَيْعـةِ أمسى بَيْضَـةَ البلدِ[5]

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٢٦.
(٢) الإفناد: الكذب.
(٣) سورة النساء ـ الآية ١٧٦.
(٤) سورة الحج ـ الآية ٦٥.
(٥) الجلابيب: لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم. بيضة البلد: أي منفرد.

قَــد ثَكِلَتْ أمُّــهُ من كنتَ صــاحِبَــهُ	أو كــان مُنْتَشِبــاً في بُــرْثُنِ الأســد[1]
مــا لقتيلي الـذي أغْـدُوا فـآخـذه	من دِيــةٍ فيــه يُعْـطاهــا ولا قَــوَدِ
مــا البحرُ حين تَهبُّ الـريـحُ شـامِيَـةً	فَيَغْـطَئِـلُ ويَـرْمي العِبْـر بـالـزَّبــد[2]
يــومــاً بــأغْلَبَ منّي حينِ تُبْصِـرُني	مِلْغيْظٍ أفري كفَرْيِ العـارض البَردِ[3]
أمّــا قــريشٌ فــإنّي لن أُسَــالِمَهـمْ	حتى ينيبُــوا من الـغيّــاتِ لـلرُّشــدِ
ويتركـوا الـلّاتَ والعُـزّى بمعْــزِلـةٍ	ويسجُــدُوا كلّهم للواحــد الصَّمَــدِ
ويشهـدوا أن مــا قــال الـرسـولُ لَهُمْ	حقٌّ ويُـوفـوا بعهــدِ الله والــوُكُــدِ

فاعترضه صفوان بن المعطّل، فضربه بالسيف، ثم قـال: كما حـدّثني يعقوب بن عُتبة:

تَـلَقَّ ذُبــاب السّيفِ عـنّي فــإنّني	غـلامٌ إذا هُـوجِيتُ لست بشـاعـرِ[4]

قـال ابن إسحاق: وحـدّثني محمد بن إبـراهيم بن الحارث التَّيْميّ: أنَّ ثــابت بن قيس بن الشّمــاس وثب على صفــوان بن المعـطّل، حين ضــرب حسّان، فجمع يـديه إلى عُنقـه بحبل، ثم انـطلق به إلى دار بني الحـارث بن الخزرج، فلقِيه عبد الله بن رَواحة، فقال: ما هذا؟ قال: أمـا أعجبك ضـرْب حسّان بالسيف! والله ما أراه إلّا قد قتله، قال له عبـدالله بن رواحَة: هـل علم رسـول الله ﷺ بشيءٍ مما صنعت؟ قـال: لا والله؛ قال: لقـد اجترأت، أطلِق الـرجلَ، فـأطلقه، ثم أتـوا رسولَ الله ﷺ، فـذكروا ذلـك له، فـدعـا حسّـان وصفـوان بن المعطّل؛ فقـال ابن المعطّل: يـا رسـول الله: آذاني وهجـاني، فاحتملني الغضب، فضربته، فقال رسول الله ﷺ لحسّان: «أحسِن يا حسَّان، أتشوّهت[5] على قومي أنْ هداهم الله للإسلام»، ثم قال: أحسِن يـا حسَّان في

(١) البرثن: يد الأسد مع أصابعه.
(٢) يغطئلّ: يتحرّك. العِبْر: جانب البحر.
(٣) أفري: أقطع. العارض البَرِد: السحاب الحامل للبَرَد. والأبيات حتى هنا في تاريخ الطبري ٢/٦١٨.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٦١٨.
(٥) أتشوّهت على قومي: أقبحت ذلك من فِعلهم حين سمّيتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله. هكذا قال السهيلي في (الروض الأنف ٤/٢٢).

الذي أصابك»، قال: هي لك يا رسول الله[1].

قال ابن هشام: ويقال: أَبْعَدَ أن هداكم الله للإسلام.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن إبراهيم: أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضاً منها بَيْرُحاء، وهي قصر بني جُدَيلة اليوم بالمدينة، وكانت مالاً لأبي طلحة بن سهل تصدَّق بها على آل رسول الله ﷺ، فأعطاها رسول الله ﷺ حسَّانَ في ضربته وأعطاه سيرين، أمَة قبطيّة، فولدت له عبدَالرحمن بنَ حسّان، قال: وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن ابن المعطّل، فوجدوه رجلاً حَصُوراً، ما يأتي النساء، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً[2].

قال حسّان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِريبةٍ … وتُصْبح غَرْثَى من لحوم الغَوافل[3]

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦١٩.

(٣) حَصَان: فَعال بفتح الحاء يكثر في أوصاف المؤنّث: وفي الأعلام منها، كأنهم قصدوا بتوالي الفَتَحات مشاكلة خفّة اللفظ لخفّة المعنى، أي المسمّى بهذه الصفات خفيف على النفس، وحَصَان من الحصن والتحصّن، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها، وقالت جارية من العرب لأمّها:

يا أمّتا أبصرني راكب … يسير في مسحَنْفر لاحبِ
جلعت أحثي التراب في وجهه … حَصَناً وأحمي حوزة الغائبِ

فقالت لها أمها:

الحَصَن أدنى لو تآبيته … من حثْيك التُرْب على الراكب

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات الإيضاح. والرزان والثقال بمعنى واحد، وهي القليلة الحركة.

وقوله: وتصبح غَرْثَى من لُحوم الغوافل، أي خميصة البطن من لُحوم الناس، أي اغتيابهم وضرب الغَرث مثلاً، وهو عدم الطعم وخُلُوّ الجوف وفي التنزيل ﴿أيُحبّ أحدُكم أنْ يأكُلَ لَحْمَ أخيه ميتاً﴾ ضرب المثل لأخذه في العِرْض بأكل اللحم. لأنّ اللحم ستْر على العظْم، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستْره.

وقال: ميتاً، لأن الميت لا يحسّ، وكذا الغائب لا يسمع ما يقوله فيه المغتاب، ثم هو في التحريم كأكل لحم الميت. =

عـقيلة حيّ مـن لُـؤَي بـن غـالـبٍ		كِـرام المساعي مجـدُهم غيـر زائـل
مهـذَّبـة قـد طَيّبَ الله خِيَـمهـا[1]		وطهَّـرهـا من كـل سـوء وبـاطـل
فـإنْ كنتُ قد قلت الـذي قد زعمتم		فـلا رَفعتْ سَـوْطي إليّ أنـامـلي
وكيف ووُدّي مـا حَييتُ ونُصْـرتـي		لآل رسـولِ الله زَيْـن المحـافـل
لـه رَتَبٌ عـالٍ على النـاس كلّهمْ		تقـاصَـرُ عنـه سَـوْرَة المُتَـطَاول
فـإنّ الـذي قـد قيـل ليسَ بِـلائطٍ		ولكنّـه قـولُ امـرىء بي مـا حِـل[2]

قال ابن هشام: بيتـه: «عقيلة حيّ» والـذي بعـده، وبيتـه: «لـه رتب عال»، عن أبي زيد الأنصاريّ.

قال ابن هشام: وحـدّثني أبو عُبيـدة: أنّ امرأة مـدحت بنت حسّان بن ثابت عند عائشة، فقالت:

حَـصَـان رَزَان مـا تُـزَنّ بـرِيبـةٍ		وتُصْبِح غَرْثى من لُحوم الغـوافِـلِ

فقالت عائشة: لكن أبوها.

قال ابن إسحاق: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسّان وأصحابه في فِرْيتهم على عائشة ـ **قال ابن هشام.** في ضرْب حسّان وصاحبيه ـ.

لقـد ذاق حسّـان الـذي كـان أهلَه		وحَمْنـةُ إذ قـالـوا هجيـراً ومِسْـطَحُ
تعـاطَوْا بـرَجْم الغيب زوجَ نبيّهم		وسَخْطة ذي العرش الكريم فأُتْرِحُوا[3]
وآذوا رسـولَ الله فـيـهـا فَـجُـلّلوا		مَخـازي تَبْقى عُمّمـوهـا وفُضِّحُـوا
وصُبّت عليهم مُحْصَـدات كـأنّهـا		شآبيبُ قَطر من ذُرى المُزْنِ تَسْفَح[4]

= وقوله: من لحوم الغوافل، يريد: العفائف الغـافلة قلوبهنّ عن الشرّ، كما قال سبحـانه: ﴿إنّ الّذينَ يَرْمُونَ المُحصنَات الغَافلاتِ المؤمِناتِ﴾ جُعلن غافلات، لأنّ الذي رُمين بـه من الشرّ لم يَهْمَمْنَ به قطّ ولا خطر على قلوبهنّ، فهنّ في غفلة عنه، وهـذا أبلغ ما يكـون من الوصف بالعفاف. (الروض الأنف ٤/٢٣).

(١) الخِيَم: الطبع.

(٢) لائط: لاصق. ماحل: ماشي بالنميمة.

(٣) أُترحوا: من التَرَح وهو الحزن.

(٤) مُحصَدات. صفة لموصوف محذوف يعني سياطاً. والمحصدات: المفتولة. الشآبيب: الدفعات من المطر. تسفح: تسيل.

أمر الحديبية(١) في آخر سنة ستّ، وذِكْر بيعة الرضوان(٢)

والصلح بين رسول الله ﷺ وبين سُهيل بن عمرو:

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوّالاً وخرج في ذي القعدة معتمِراً، لا يريد حرباً.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبدالله اللّيثيّ.

قال ابن إسحاق: واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول

---

(١) يقال فيها: الحُديبية بالتخفيف، وهو الأعرف عند أهل العربية. قال الخطّابي: أهل الحديث يقولون: الحُديبيّة بالتشديد، والجُعْرّانة كذلك، وأهل العربية يقولونهما: بالتخفيف. وقال البكري: أهل العراق يشدّدون الراء والياء في الجُعرّانة والحُدَيبيّة، وأهل الحجاز يخفّفون. وقال أبو جعفر النّحاس: سألت كلّ من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحُديبية، فلم يختلفوا على أنّها بالتخفيف. (الروض الأنف ٣٣/٤).

(٢) أنظر عنها في: تاريخ الطبري ٦٢٠/٢ - ٦٣٩، وتاريخ خليفة ٨١، المحبّر ١١٥، المغازي لعروة ١٩٢ - ١٩٤، الدرر ٢٠٥ وما بعدها، جوامع السيرة ٢٠٧ وما بعدها، وصحيح البخاريّ ٦١/٥ - ٧٠، وصحيح مسلم، في الجهاد ٩٠ - ٩٧ صفحة ١٤٠٩ - ١٤١٣، والطبقات الكبرى ١٩٥/٢ - ١٠٥، والمغازي للواقدي ٥٧١/٢ - ٦٣٣، والبدء والتاريخ ٢٢٤/٤، ٢٢٥، وأنساب الأشراف ٣٤٩/١ - ٣٥٢، والمعرفة والتاريخ ٢٥٨/٣، والكامل في التاريخ ٢٠٠/٢ - ٢٠٦، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ١١٣/٢ - ١٣٠، ونهاية الأرب ٢١٧/١٧ - ٢٣٣، ومرآة الجنان ١١/١، وسيرة ابن كثير ٣١٢/٣ - ٣٣٧، ومجمع الزوائد ١٤٤/٦ - ١٤٧، وعيون التواريخ ٢٣٨/١ - ٢٤٧.

الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحِق به من العرب، وساق معه الهَدْي، وأحرم بالعُمْرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنّما خرج زائراً لهذا البيت ومعظّماً له[1].

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم بن الزُّهْريّ، عن عُروة بن الزُبير، عن مِسْوَر بن مَخْرمة، ومروان بن الحَكَم أنهما حدّثاه قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحُدَيبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه الهَدْي سبعين بُدْنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كلّ بُدْنة عن عشرة نفر[2].

وكان جابر بن عبدالله، فيما بلغني، يقول: كنّا أصحاب الحُدَيبية أربع عشرة مئة[3].

قال الزّهْريّ: وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بعُسْفان لقِيه بِشْر بن سُفيان الكعبيّ - قال ابن هشام: ويقال بُسْر - فقال: يا رسول الله هذه قريش، قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذ المطافيل[4]، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طُوَى[5] يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى كُراع الغَميم[6] قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا ويْح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة، فما تظنّ قريش، فوالله لا أزال

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٢٠.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٢٠.
(٣) أخرج نحوه البخاري في كتاب المغازي (٥/٦٣) باب غزوة الحديبية، ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٥٦) باب استحباب مبايعة الإمام. (ج ٣/١٤٨٤)، وانظر: تاريخ الطبري ٢/٦٢١، وتاريخ الإسلام (المغازي).
(٤) استعار العُوذ المطافيل للنساء مع أولادهنّ. والعُوذ هي الإبل حديثة النتاج. والمطافيل التي معها أولادها.
(٥) ذو طُوى: موضع قرب مكة.
(٦) كُراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة»[1]، ثم قال: «مَن رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التي هم بها»؟[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنّ رجلاً من أسلم قال: أنا يا رسول الله، قال: فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل[3]، بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شقّ ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ للناس: «قولوا نستغفر الله ونتوب إليه»، فقالوا ذلك، فقال: «والله إنّها للحِطّة[4] التي عُرضت على بني إسرائيل. فلم يقولوها»[5].

قال ابن شهاب: فأمر رسول الله ﷺ فقال: «اسلكوا ذات اليمين بين ظهريْ الحمش، في طريق تُخرجه على ثنيّة المرار مهبط الحُدَيبية من أسفل مكة، قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قَتَرَة[6] الجيش قد خالفوا عن طريقهم، رجعوا راكضين إلى قريش، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا سلك في ثنيّة المرار بركت ناقته، فقالت الناس: خلأت[7] الناقة، قال: «ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. لا تدعوني قريش اليوم إلى خطّة يسألونني فيها صلة الرّحِم إلاّ أعطيتهم إياها». ثم قال للناس: «انزلوا»؛ قيل له: يا رسول الله: ما بالوادي ماء ننزل عليه، فأخرج سهماً من كِنانته، فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل به في قَلِيب من تلك القُلُب. فغرزه في جوفه، فجاش الماء بالرواء[8] حتى ضرب الناس عنه بعَطَن[9].

---

(١) السالفة: صفحة العنق.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٢٢ و٦٢٣.
(٣) الأجرل: كثير الحجارة.
(٤) وهو قوله تعالى: ﴿وقُولُوا حِطّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم﴾ ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهمّ حُطّ عنّا ذنوبنا.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٦٢٣.
(٦) القَتَرة: الغبار.
(٧) خلأت: بركت وحرنت عن المشي.
(٨) في تاريخ الطبري ٢/٦٢٤ «بالريّ».
(٩) العَطَن: مبرك الإبل حول الماء. والخبر في تاريخ الطبري ٢/٦٢٣، ٦٢٤.

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم: أنّ الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جُندب بن عُمَير بن يَعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أبي حارثة، وهو سائق بُدن رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: أفصى بن حارثة.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي بعض أهل العلم: أنّ البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

وقد أنشدت أسلم أبياتاً من شعر قالها ناجية، قد ظنّنا أنه هو الذي نزل بالسهم، فزعمت أسلم أنّ جارية من الأنصار أقبلت بدلْوها، وناجية في القَلِيب يميح على الناس[1]، فقالت:

يـأيّها المائحُ دَلْوي دُونَكا ... إنّي رأيتُ النَّاس يَحْمَدُونَكا
يُثْنونَ خيراً ويمجّدونكا

قال ابن هشام: ويُرْوَى:

إنّي رأيت الناس يمدحونكا

قال ابن إسحاق: فقال ناجية، وهو في القَلِيب يميح على الناس:

قد علمتْ جاريةٌ يَمَانِيهْ ... أنّي أنا المائحُ واسْمي ناجِيَهْ
وطَعنةٍ ذاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَهْ[2] ... طَعنتُها عند صدورِ العادِيهْ

فقال الزُّهْريّ في حديثه: فلما اطمأنّ رسول الله ﷺ أتاه بُدَيل بن ورقاء الخُزاعيّ، في رجالٍ من خُزاعة، فكلّموه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنّما جاء زائراً للبيت، ومعظّماً لحرمته، ثم قال لهم نحواً مما قال لِبِشْر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش،

---

(١) يميح على الناس: يملأ دلاءهم.
(٢) الواهية: المسترخية من اتّساعها.

إنكم تَعْجَلون على محمـد، إنّ محمداً لم يـأت لقتال، وإنّمـا جاء زائـراً هذا البيت، فاتّهموهم وجَبَهوهم[١] وقالوا: وإن كان جـاء ولا يريـد قتالاً، فـوالله لا يدخلها علينا عَنوةً أبداً، ولا تحدّث بذلك عنّا العرب.

قـال الزُّهْـريّ: وكانت خُـزاعة عَيْبـة نُصْـح[٢] رسـول الله ﷺ، مسلمهـا ومشركها، لا يُخفون عنه شيئاً كان بمكة.

قال: ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حفص بن الأخْيَف، أخابني عامر بن لُؤَيّ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبـلاً قال: هـذا رجل غـادر، فلما انتهى إلى رسـول الله ﷺ وكلّمه، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبُدَيـل وأصحابـه؛ فرجـع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ.

ثم بعثـوا إليـه الحُلَيس بن علقمـة أو ابن زَبّـان، وكـان يـومئـذٍ سيّـد الأحـابيش، وهو أحـد بني الحارث بن عبـد مَناة بن كِنـانـة، فلمـا رآه رسـول الله ﷺ قال: «إنّ هذا من قوم يتألّهون، فابعثـوا الهَدْي في وجهـه حتى يراه»، فلما رأى الهَدْي يسيل عليه من عُرْض[٣] الوادي في قلائده[٤]، وقد أكل أوبـاره من طول الحبس عن محلّه، رجع إلى قـريش، ولم يصل إلى رسـول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك. قال: فقالوا له: اجلس، فإنّمـا أنت أعرابيّ لا علم لك[٥].

قـال ابن إسحاق: فحـدّثني عبـدالله بن أبي بكـر: أنّ الحُلَيس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حـالفناكم، ولا على هـذا عاقدناكم. أَيُصَدّ عن بيت الله من جاء معظّماً له! والذي نفس الحُلَيس بيده، لَتُخَلُّن بين محمد وبين ما جـاء له، أو لأنفـرنّ بالأحـابيش نفرةَ رجـلٍ واحد. قال فقالوا له: مَه، كُفّ عنّا يا حُلَيس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به[٦].

---

(١) جبهوهم: واجهوهم بما يكرهون.
(٢) عَيْبة نُصح الرجل: موضع سِرّة.
(٣) عرض الوادي: جانبه.
(٤) القلائد: ما يعلق في أعناق الإبل علامة على أنها هدى.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٦٢٨.
(٦) تاريخ الطبري ٢/٦٢٨.

قال الزُّهْـريّ في حديثـه: ثم بعثوا إلى رسـول الله ﷺ عُروة بن مسعـود الثقفي؛ فقال: يا معشر قريش، إنّي قـد رأيت ما يلقى منكم مَن بعثتمـوه إلى محمـد إذ جاءكم من التعنيف وسـوء اللفظ، وقد عـرفتم أنكم والد وإنّي ولـد ـ وكـان عُروة لسبيعـة بنت عبد شمس ـ وقـد سمعت بالـذي نـابكم، فجمعت ومن أطاعني من قومي، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي؛ قالوا: صـدقت، ما أنت عندنا بمُتَّهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه ثم قال: يـا محمد، أجمعت أوشـاب النـاس(١)، ثم جئت بهم إلى بيضتـك لتفضّهـا(٢) بهم، إنّها قريش قد خرجت معهـا العُوذ المـطافيل. قـد لبسوا جلود النمـور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنوة أبداً. وايْم الله، لكأنّي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً. قال: وأبو بكر الصِّدّيق خلف رسول الله ﷺ قاعد؛ فقال: امصُص بظْر اللّات(٣)، أنَحْنُ ننكشف عنـه؟ قال: من هـذا يا محمـد؟ قال: هـذا ابن أبي قُحافة، قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافـأتك بهـا، ولكنْ هذه بها، قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلّمه. قـال: والمغيرة بن شُعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ، في الحديد. قال: فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول: اكفُف يدك عن وجه رسـول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك؛ قال: فيقول عُروة: ويْحك! ما أفظعك وأغلظك! قال: فتبسّم رسـول الله ﷺ؛ فقال لـه عُروة: من هـذا يا محمـد؟ قـال؛ هـذا ابن أخيـك المغيرة بن شُعبة؛ قال: أي غدر، وهل غسلت سوءتك إلّا بالأمس.

قال ابن هشام: أراد عُروة بقوله هذا أنّ المغيـرة بن شُعبة قبـل إسلامـه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك، من ثقيف، فتهايج الحيّان من ثقيف: بنو مالك رهْط المقتولين، والأحلاف رهْط المغيرة، فودَى عُـروة المقتولين ثـلاث عشرة دِية، وأصلح ذلك الأمر.

---

(١) أوشاب الناس: أخلاطهم.
(٢) بيضة الرجل: عشيرته. ويفضُها: يهلكها.
(٣) جاء في شرح نهاية الأرب ١٧/ ٢٢٤ (٥): أقام أبوبكر رضي الله عنه معبود عروة، وهو صنمه اللات مقام أمّه، لأن عادة العرب الشتم بلفظ الأم، فأبدله الصدّيق باللات، فنزّله منزلة امرأة تحقيراً لمعبوده.

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ؛ فكلّمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلّم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً.

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضّأ إلاّ ابتدروا وضوءه، ولا بصق بصاقاً إلاّ ابتدروه. ولا يسقط من شعره شيء إلاّ أخذوه. فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إنّي قد جئت كسرى في مُلكه. وقيصر في ملكه، والنجاشيّ في ملكه، وإنّي والله ما رأيت ملكاً في قوم قطّ مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيءٍ أبداً، فرُوا رأيكم(١).

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسول الله ﷺ دعا خِراش بن أُميَّة الخُزَاعيّ، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعيرٍ له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلّوا سبيله، حتى أتى رسول الله ﷺ(٢).

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض من لا أتّهم، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس: أنّ قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسينَ رجلاً، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأُخِذوا أخْذاً، فأُتِي بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلّى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل.

ثم دعا عمر بن الخطّاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إنّي أخاف قريشاً على نفسي. وليس بمكة من عدِيّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها، وغلظتي عليها، ولكنّي أدلّك على رجل أعزّ بها منّي، عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنه إنّما جاء زائراً لهذا البيت، ومعظّماً لحُرْمته(٣).

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/٦٢٧، ونهاية الأرب ١٧/٢٢٦، وتاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٣١، تفسير الطبري ٢٦/٥٣، ٥٤.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣١.

قال ابن إسحاق: فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فَطُفْ فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أنّ عثمان بن عفان قد قُتِل[1].

بَيْعة الرضوان

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ، قال حين بلغه أنّ عثمان قد قُتِل: لا نبرح حتى نُناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بَيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبدالله يقول: إن رسول الله ﷺ يبايعنا على الموت، ولكنْ بايعنا على أن لا نَفِرّ.

فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلاّ الجَدّ بن قيس، أخو بني سَلِمة، فكان جابر بن عبدالله يقول: والله لكأنّي أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته. قد ضبأ[2] إليها، يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أنّ الذي ذكر من أمر عثمان باطل[3].

قال ابن هشام: فذكر وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشّعبيّ: أنّ أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سِنان الأسديّ.

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به عمّن حدّثه بإسناد له، عن ابن أبي مُلَيْكة عن ابن أبي عمر: أنّ رسول الله ﷺ بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٦٣١، ٦٣٢.

(٢) ضبأ إليها: احتمى بها.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٣.

أمر الهدنة: قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: ثم بعثت قريش سُهيل بن عمرو، أخا بني عامر بن لُؤَيّ، إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: أئتِ محمداً فصالحه، ولا يكن في صُلحه إلاّ أن يرجع عنّا عامه هذا، فوالله لا تحدّث العرب عنّا أنه دخلها علينا عَنوة أبداً(1). فأتاه سُهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى سُهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلّم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

فلما التأم الأمر ولم يبق إلاّ الكتاب، وثب عمر بن الخطّاب، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أَوَلسنا بالمسلمين؟ قال. «بلى»، قال: أَوَليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»، قال: فَعَلام نُعطي الدنيّة(2) في دِيننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غَرْزه(3)، فإنّي أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألستَ برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أَوَلسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أَوَليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»؛ قال: فعلام نُعطي الدنيّة في دِيننا؟ قال: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيّعني»! قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدّق وأصوم وأصلّي وأُعْتِق، من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلّمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً(4).

شروط الصلح: قال: ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: أكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال: فقال سُهيل: لا أعرف هذا، ولكن أكتب: باسمك اللّهمّ، فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهمّ، فكتبها، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله

---

(1) تاريخ الطبري ٢/٦٣٣، نهاية الأرب ١٧/٢٢٩.
(2) الدنيّة: الذّلّ.
(3) إلزَمْ غَرْزه: أي الزم أمره.
(4) تاريخ الطبري ٢/٦٣٤، نهاية الأرب ١٧/٢٢٩، ٢٣٠.

سُهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل: لوْ شهدت أنّك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال: رسول الله ﷺ: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سُهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهنّ الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه، وإنّ بيننا عيبة مكفوفة[1]، وأنه لا إسلال ولا إغلال[2]، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

فتواثبت خُزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم وأنّك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمتَ بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب، السيوف في القرُب، لا تدخلها بغيرها[3].

أبو جندل بن سُهيل: فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسُهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سُهيل أبا جَندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلبيبه[4]، ثم قال: يا محمد، قد لجّت[5] القضيّة بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: صدقت، فجعلَ ينْتِرُه[6] بتلبيبه، ويجرّه ليردّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأُرَدّ إلى المشركين

(١) عيبة مكفوفة: أي صدور منطوية على ما فيها.
(٢) الإسلال: السرقة خفية. الإغلال: الخيانة.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٤، ٦٣٥.
(٤) في تاريخ الطبري ٢/٦٣٥ «بلببه».
(٥) لجّت: تمّت.
(٦) يَنْتِره: يجذبه جذباً شديداً مع جفاء.

يفتنوني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جَنْدل، آصبرْ واحتسِب، فإنّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله؛ وإنّا لا نغدر بهم»، قال: فوثب عمر بن الخطّاب مع أبي جَندل يمشي إلى جنبه؛ ويقول: إصبر يا أبا جندل، فإنّما هم المشركون، وإنّما دمُ أحدهم دمُ كلب. قال: ويُدْني قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضنّ الرجل بأبيه، ونفذت القضية[1].

من شهدوا على الصلح: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشْهَد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكر الصِّدّيق، وعمر بن الخطّاب، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن سُهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقّاص، ومحمود بن مَسْلمة، ومِكْرز بن حفص، وهو يومئذٍ مُشرك، وعليّ بن أبي طالب وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة[2].

الإحلال: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحلّ، وكان يصلّي في الحَرَم، فلما فرغ من الصلح قام إلى هدْيه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه، فيما بلغني، في ذلك اليوم خِراش بن أُميّة بن الفضل الخُزاعيّ[3]، فلما رأى الناس أنّ رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حلق رجال يوم الحُدَيبية، وقصّر آخرون. فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلّقين» قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلّقين»، قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلّقين»، قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: «والمقصّرين»، فقالوا: يا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٣٥، ٦٣٦، نهاية الأرب ١٧/٢٣٢.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٣٦، نهاية الأرب ١٧/٢٣٢.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٧.

رسـول الله: فلِمَ ظـاهـرت الترحيم للمحلّقين دون المقصّـرين؟ قـال: «لم يشكُّوا»[1].

وقـال عبـدالله بن أبي نَجِيـح: حـدّثني مجـاهـد، عن ابن عبـاس: أنّ رسـول الله ﷺ أهدى عـام الحُدَيبيـة في هدايـاه جملاً لأبي جهـل، في رأسه بُرَة[2] من فضة، يغيظ بذلك المشركين[3].

نزول سورة الفتح: قال الزُّهْريّ في حديثه: ثم انصـرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً، حتى إذا كـان بين مكة والمـدينة، نـزلت سورة الفتـح: **﴿إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِينـاً لِيَغْفِرَ لَـكَ الله مَا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَـا تَأَخَّـرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾**[4].

ثم كـانت فيه وفي أصحـابـه، حتى انتهى من ذكـر البيعـة، فقـال جـلّ ثناؤه: **﴿إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّمَا يُبَايِعُونَ الله، يَدُ الله فَوْقَ أَيْـدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَـإنَّمَـا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِـهِ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَـا عَـاهَـدَ عَلَيْـهُ الله، فَسَيُؤْتِيـهِ أَجْـراً عَظِيماً﴾**[5].

---

(١) أخـرج بنحـوه البخـاري في كتـاب الحـج (١٨٨/٢، ١٨٩) بـاب الحلق والتقصيـر عنـد الإحلال، عن عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن نافع، عن عبدالله بن عمـر. ومسلم في كتاب الحج (٣١٦) باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصيـر، عن يحيى بن يحيى، ومحمـد بن رمـح، عن الليث، وعن قتيبـة، عن ليث، عن نـافـع. و(٣١٧) عن يحيى بن يحيى، قال قرأت على مالك، عن نـافع، عن عبـدالله بن عمر. و(٣١٨) و(٣١٩) و(٣٢٠) عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهيـر بن حرب وابن نميـر وأبي كُريب، جميعـاً عن ابن فضيل، قال زهير: حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة. وأبو داود في كتاب المناسك (١٩٧٩) باب الحلق والتقصير. والترمـذي في كتاب الحـج (٩١٦) باب ما جاء في الحلق والتقصير. وابن ماجـة في كتاب المنـاسك (٣٠٤٣) و(٣٠٤٤) و(٣٠٤٥) باب الحلق. والدارمي في المناسك، باب (٦٤). ومالـك في الموطـأ كتاب الحـج (٨٩٦) بـاب الحـلاق. وأحمـد في المسنـد ٢١٦/١ و٢٥٣ و١٦/٢ و٣٤ و٧٩ و١١٩ و١٣٨ و١٤١ و١٥١ و٢٠/٣ و٨٩ و٧٠/٤ و١٦٥ و١٧٧ و٣٨١/٥ و٣٩٣/٦ و٤٠٢ و٤٠٣ وانـظر: تاريخ الطبري ٦٣٧/٢. وظاهرتَ: قوّيت وأكّدت.

(٢) البُرة: حلقة تجعل في أنف البعير ليذلّ بها وكانت في العادة من خشب أو شعر.

(٣) تاريخ الطبري ٦٣٨/٢، نهاية الأرب ٢٣٣/١٧.

(٤) سورة الفتح ـ الآيتان ١ و٢.

(٥) سورة الفتح ـ الآية ١٠.

ثم ذكر من تخلّف عنه من الأعراب، ثم قال: حين استفزّهم للخروج معه فأبطئوا عليه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهْلُونا﴾[1]. ثم القصّة عن خبرهم، حتى انتهى إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذٰلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ﴾[2]. . . ثم القصّة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولي البأس الشديد.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي نَجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: فارس. قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن الزُّهْريّ أنه قال: أولوا البأس الشديد: حنيفة مع الكذّاب.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً. وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها، وَكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيماً. وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ، وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً. وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللهُ بِها، وَكانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[3].

ثم ذكر محبسه وكفّه إيّاه عن القتال، بعد الظفر منه بهم، يعني النفر الذين أصاب منهم وكفّهم عنه، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَكانَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾. ثم قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾[4].

قال ابن هشام: المعكوف: المحبوس، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

---

(١) سورة الفتح ـ من الآية ١١.
(٢) سورة الفتح ـ من الآية ١٥.
(٣) سورة الفتح ـ الآيات ١٨ ـ ٢١.
(٤) سورة الفتح ـ الآية ٢٤ وبعض الآية ٢٥.

وكأنّ السّموط عكّفه السّلـ ـك بعطفَيْ جَيْداء أمِّ غزال[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2]، وَالمَعَـرَّة: الغُرْم، أي أن تصيبـوا منهم مَعَرَّة بغير عِلم فتُخرجوا دِيَته، فأَمَّا إثم فلَم يَخشه عليهم.

قال ابن هشام: بلغني عن مجاهد أنه قال: نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المغيرة، وسَلمة بن هشام، وعيّاش بن أبي زبيعة، وأبي جندل بن سُهيل، وأشباههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال تبارك وتعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّـذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ، حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ﴾ يعني سُهيل بن عمرو حين حمى أن يُكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأَنَّ محمداً رسول الله، ثم قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[3] أي التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾. أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف؛ يقول: محلّقين رءوسكم، ومقصّرين معه لا تخافون، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيباً﴾[4] صُلح الحُدَيبية.

يقول الزُّهْريّ: فما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنّما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووُضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكلَّم أحدٌ

(١) السموط: جمع سمط: وهو القلادة.
(٢) سورة الفتح - من الآية ٢٥.
(٣) سورة الفتح - من الآية ٢٦.
(٤) سورة الفتح - الآية ٢٧.

بالإسلام يعقل شيئاً إلّا دخل فيه، ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر[1].

قال ابن هشام: والدليل على قول الزُّهْريّ أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى الحُدَيبية في ألفٍ وأربعمائة، في قول جابر بن عبدالله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف.

أمر المُسْتَضْعَفين بمكّة بعد الصلح

قصّة أبي بصير: **قال ابن إسحاق**: فلما قدم رسول الله ﷺ أتاه أبو بصير عُتبة[2] بن أسيد بن جارية، وكان ممن حُبس بمكة، فلما قدِم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، والأخنس بن شرِيق بن عمرو بن وهْب الثقفي إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤَيّ، ومعه مولى لهم، فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس؛ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمْتَ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإنَّ الله جاعل لك ولِمَن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلقْ إلى قومك»؛ قال: يا رسول الله، أتردّني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال: «يا أبا بصير، انطلق فإنّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً».

فانطلق معهما، حتى إذا كان بذي الحُلَيفة[3]، جلس إلى جدار، وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير: أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم؛ قال: أنظر إليه؟ قال: انظر، إن شئت. قال: فاستلّه أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعاً، قال: «إنّ هذا الرجل قد رأى فزعاً»؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال: «ويْحك! مالك»؟ قال: قتل

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٣٨.

(٢) وقيل: عُبيد.

(٣) ميقات أهل المدينة. بينها وبين المدينة ستة أميال.

صاحبكم صاحبي. فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشّحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، وفت ذمّتك، وأدّى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه، أو يُعبث بي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «ويل أمّهِ مِحَشّ حرب[1] لو كان معه رجال»[2]!

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص، من ناحية ذي المَروَة، على ساحل البحر، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: «ويل أمّه مِحَشّ حرب لو كان معه رجال»، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً، وكانوا قد ضيّقوا على قريش، لا يظفرون بأحد منهم إلاّ قتلوه، ولا تمرّ بهم عِير إلاّ اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ، تسأله بأرحامها إلاّ آواهم، فلا حاجة لهم بهم. فآواهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه المدينة[3].

قال ابن هشام: أبو بصير ثقفيّ.

قال ابن إسحاق: فلما بلغ سُهيلَ بنَ عمرو قتل أبي بصير صاحبَهم العامريّ، أسند ظهره إلى الكعبة، ثم قال: والله لا أؤخّر ظهري عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل؛ فقال أبو سفيان بن حرب: والله إنّ هذا لهو السَّفه، والله لا يُودَى[4] فقال في ذلك موهب بن رياح أبو أُنَيْس، حليف بني زُهْرة:

قال ابن هشام: أبو أنيس أشعريّ.

أتاني عن سهيلٍ ذَرْءُ[5] قَولٍ فأيقظني وما بي من رُقادِ
فإنْ تكُنِ العِتابَ تريد منّي فعاتِبْني فما بك من بعادي

(١) وفي الصحيح: ويل أمّه مِسْعَر حرب، ويقال حششت النار، وأرّثتها، وأذْكيتها، وأثقلتها وسعّرتها بمعنى واحد.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٣٨، ٦٣٩، نهاية الأرب ١٧/٢٤٥، ٢٤٦.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٩، نهاية الأرب ١٧/٢٤٦، ٢٤٧.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٦٣٩.
(٥) ذرء: طرف.

اتُوعِدني وعبدُ مَنافَ حولي — بمخزوم أَلَهْفاً مَن تُعادي
فإنْ تغمِزْ قناتي لا تجدني — ضعيف العُود في الكُرَب الشِّداد
أُسامي الأكْرمين أباً بقَوْمي — إذا وَطِيء الضعيفُ بهم أرادي[1]
هم منعوا الظواهرَ غيرَ شَكٍّ — إلى حيثُ البواطنُ فالعوادي
بكلِّ طِمِرَّة وبكلِّ نَهْدٍ — سَوَاهِمَ قد طُوِينَ من الطِّراد[2]
لهم بالخَيْف قد علِمَتْ مَعَدٌّ — رِوَاق المجْدِ رُفِّعَ بالعماد[3]

فأجابه عبدالله بن الزِّبَعْرَى، فقال:

وأمسى مَوْهَب كحِمار سَوء — أجاز ببلدةٍ فيها يُنادي
فإنّ العبدَ مثلك لا يُناوي[4] — سهيلًا ضلّ سعْيكَ من تُعادي
فأَقْصِر يا بنَ قَيْن السُّوء عنه — وعَدِّ عن المَقالة في البلاد
ولا تذكر عِتاب أبي يزيد — فهيهات البحور من الثِّماد[5]

أمر المهاجرات بعد الهدنة

قال ابن إسحاق: وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أمُّ كُلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط في تلك المدّة، فخرج أخَواها عمارة والوليد ابنا عُقبة، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردّها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحُدَيبية، فلم يفعل، أبى الله ذلك.

قال ابن إسحاق: فحدّثني الزُّهْريّ، عن عُروة بن الزُّبير، قال: دخلت عليه وهو يكتب كتابًا إلى ابن أبي هُنَيدة، صاحب الوليد بن عبدالملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ، اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ**

(١) أرادي: أرامي.
(٢) الطِمِرّة: الفرس السريعة. النّهد: الغليظ. طُوين: ضعفن. والطِّراد: الهجوم.
(٣) الخيف: موضع في مِنى. الرواق: بيت كالخيمة يحمل على عمود طويل.
(٤) لا يناوي: لا يُعادي.
(٥) الثماد: الماء القليل.

فَلَا ترجِعُوهُنَّ إلَىٰ الكُفَّارِ، لاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ، وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ، وَآتوهُمْ مَا أَنْفقُوا، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[1].

قال ابن هشام: واحدة العِصَم: عِصْمة، وهي الحبل والسبب. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

إلى المرء قيس نطيل السُّرى ونأخذ من كلّ حيٍّ عِصم

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَاسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ، وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا، ذٰلِكُمْ حُكْمُ الله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

قال: فكتب إليه عُروة بن الزُّبير: إنّ رسول الله ﷺ كان صالح قريشاً يوم الحُدَيبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذْن وليّه؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أبى الله أن يُرْدَدْن إلى المشركين إذا هُنّ امتُحِنّ بمحنة الإسلام، فعرفوا أنّهنّ إنّما جئن رغبة في الإسلام، وأمر بردّ صدقاتهنّ إليهم إن احتبسن عنهم، إنْ هم ردّوا على المسلمين صَدَاق من حُبسوا عنهم من نسائهم، ذلك حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم. فأمسك رسول الله ﷺ النساء وردّ الرجال، وسأل الذي أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حُبسوا منهنّ، وأن يردّوا عليهم مثل الذين يردّون عليهم، إن هم فعلوا، ولولا الذين حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسول الله ﷺ النساء كما ردّ الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحُديبية لأمسك النساء، ولم يردُدْ لهنّ صداقاً، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد.

قال ابن إسحاق: وسألت الزُّهْريّ عن هذه الآية، وقول الله عزّ وجلّ فيها: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَىٰ الكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ، فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَت

(١) سورة الممتحنة ـ من الآية ١٠.
(٢) سورة الممتحنة ـ من الآية ١٠.

أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[1] فقال: يقول: إن فات أحداً منكم أهله إلى الكفّار، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم، فعوّضوهم من فَيءٍ إن أصبتموه؛ فلما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾... إلى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾، كان ممّن طلّق عمر بن الخطّاب، طلّق امرأته قُريبة بنت أبي أُميَّة بن المغيرة، فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شِرْكهما بمكة، وأمّ كُلثوم بنت جَرْوَل أم عُبيدالله بن عمر الخُزاعيّة، فتزوّجها أبو جهم بن حُذيفة بن غانم، رجل من قومه، وهما على شِرْكهما[2].

بُشْرى فتح مكة: قال ابن هشام: حدّثنا أبو عُبيدة: أنّ بعض من كان مع رسول الله ﷺ قال له لما قدِم المدينة: ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمناً؟ قال: «بلى، أفقُلْت لكم من عامي هذا»؟ قالوا: لا، قال: «فهو كما قال لي جبريل عليه السلام».

(١) سورة الممتحنة ـ الآية ١١.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٤٠.

ذكر المسير إلى خيبر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطلبيّ قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحُدَيبية ذا الحجّة وبعض المحرّم، وولي تلك الحجّة المشركون[2]، ثم خرج في بقية المحرّم إلى خيبر.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُميلة بن عبدالله الليثيّ، ودفع الراية إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت بيضاء.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دُهر الأسلميّ أنّ أباه حدّثه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع، وهو عمّ سَلَمة بن عمرو بن

---

(١) انظر عن الغزوة في: الطبقات الكبرى ٢/١٠٦ ـ ١١٧، والمغازي ١٩٥، وتاريخ خليفة ٨٢، والمغازي للواقدي ٢/٦٣٣ ـ ٧٠٥، وتاريخ الطبري ٣/٩ ـ ١٦، وأنساب الأشراف ١/٣٥٢ رقم ٧٣٧، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٥، والمحبّر ١١٥، والكامل في التاريخ ٢/٢١٦ ـ ٢٢٤، ونهاية الأرب ١٧/٢٤٨ ـ ٢٦٦، وسيرة ابن كثير ٣/٣٤٤ ـ ٣٨٨، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/١٣٠ ـ ١٤٣، ومرآة الجنان ١/١١، والروض الأنف ٤/٥٩ ـ ٦٦، ومجمع الزوائد ٦/١٤٧ ـ ١٥٥، وعيون التواريخ ١/٢٦٤ ـ ٢٧٠، وانظر صحيح البخاري ٥/٧٢ ـ ٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٥٧.

الأكوع، وكان اسم الأكوع سِنان: أنزل يا ابن الأكوع، فخذ لنا من هناتك[1]، قال: فنزل يرتجز برسول الله ﷺ، فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلّينا
إنّا إذا قوم بَغَوْا علينا ... وإن أرادوا فتنةً أَبَيْنَا
فأنزِلَنْ سكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدام إنْ لاقَيْنا[2]

فقال رسول الله ﷺ: يرحمك الله؛ فقال عمر بن الخطّاب: وجبت والله يا رسول الله، لو أمتعتنا به! فقُتل يوم خيبر شهيداً[3]، وكان قتْله، فيما بلغني، أنّ سيفه رجع عليه وهو يقاتل، فكَلَمه كَلْماً شديداً، فمات منه؛ فكان المسلمون قد شكّوا فيه، وقالوا: إنّما قتله سلاحه، حتى سأل ابن اخيه سَلَمَة بن عمرو بن الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك، وأخبره بقول الناس؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنّه لَشهيد»، وصلّى عليه، فصلّى عليه المسلمون.

قال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتّهم، عن عطاء بن أبي مروان الأسْلميّ، عن أبيه، عن أبي معتّب بن عمرو: أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه، وأنا فيهم: «قفوا»، ثم قال: «اللهمّ ربَّ السموات وما أظللن وربَّ الأرضين وما أقللن، وربَّ الشياطين وما أضللن، وربَّ الرياح وما أذْرَيْن فإنّا نسألك خَيْرَ هذه القرية وخيرَ أهلها وخيرَ ما فيها، ونعوذ

---

(١) هناتك: جمع الهنة: كناية عن كلّ شيء لا تعرف اسمه، أو تعرفه، فتكنّي عنه، وأصل الهنة: هنهة وهنوة. قال الشاعر:

على هنوات شأنها متتابع

وفي البخاري: أنّ رجلاً قال لابن الأكوع: ألا تنزل فتُسمعنا من هنيهاتك، صغّره بالهاء، ولو صغّره على لغة من قال هنوات لقال هنياتك، وإنّما أراد ـ ﷺ ـ أن يحدو بهم، والإبل تُستحثّ بالحداء، ولا يكون الحداء إلّا بشعر أو رجز. (الروض الأنف ٥٩، ٦٠).

(٢) انظر القول باختلاف الألفاظ في: الطبقات الكبرى ٢/١١١، وصحيح البخاري ٥/٧٢ في المغازي، ومناقب امير المؤمنين علي للواسطي ١٢٩، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/٢٤٩، وشرح المواهب اللدنية ٢/٢٦٢، وعيون الأثر ٢/١٣٠، وعيون التواريخ ١/٢٦٤، والكامل في التاريخ ٢/٢١٦، والمغازي للواقدي ٢/٦٣٨ و٦٣٩، ومجمع الزوائد ٦/١٤٨.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

بك من شرِّها وشرِّ أهلها وشرِّ ما فيها، أقدِموا بسم الله»[1]. قال: وكان يقولها عليه السلام لكلِّ قرية دخلها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار، فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً، فركِب وركبنا معه، فركبت خلف أبي طلحة، وإنّ قدمي لَتَمَسّ قدمَ رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمّال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم[2]، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش، قالوا: محمد والخميس[3] معه! فأدبروا هُرّاباً، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، خربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المنذَرين»[4].

قال ابن إسحاق: حدّثنا هارون عن حُميد، عن أنس بمثله.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر

---

(١) أخرج الترمذي حديثاً بنحو ألفاظ الدعاء في كتاب الدعوات (٣٥٨٩) باب ٩٦ قال: حدّثنا محمد بن حاتم المؤدّب، أخبرنا الحكم بن ظُهير، أخبرنا علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: شكا خالد بن الوليد المخزومي الى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق، فقال نبيّ الله ﷺ: «إذا أويت الى فراشك فقُل اللهم ربّ السماوات السبع وما أظلّت، وربّ الأرضين وما أقلّت، وربّ الشياطين وما أضلّت، كن لي جاراً من شرّ خلقك كلهم جميعاً أن يفْرُط عليّ أحد منهم أو أن يبغي. عزّ جارك وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك لا إله إلا أنت». هذا إسناد حديث ليس إسناده بالقويّ. والحكم بن ظُهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث. ويروى هذا الحديث عن النبيّ ﷺ مرسل من غير هذا الوجه.

(٢) المساحي: مجارف الحديد. المكاتل: القُفف الكبيرة.

(٣) الخميس: الجيش.

(٤) أخرج البخاري في المغازي (٧٣/٥) باب غزوة خيبر، قال: حدّثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن حُميد الطويل، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قوماً بليلٍ لم يُغِرْ بهم حتى يُصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس فقال النبيّ ﷺ: خرِبت خيبر إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين.

وانظر: نهاية الأرب ٢٥٠/١٧، ٢٥١، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والطبقات لابن سعد ١٠٩/٢.

سلك على عِصْر[1]، فبُني له فيها مسجد، ثم على الصَّهْبَاء[2]، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه، حتى نَزل بوادٍ يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غَطْفان، ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ.

فبلغني أنَّ غَطَفان لما سمعتْ بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا لِيُظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة[3] سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسّاً، ظنّوا أنّ القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم، فأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر[4].

وتدنّى[5] رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتتحها حصناً حصناً. فكان أوّل حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قُتل محمود بن مَسْلمة أُلقيت عليه منه رحاً فقتلته، ثم القَمُوص، حصن بني أبي الحُقيق، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا، منهنّ صفية بنت حُيَيّ بن أخطب، وكانت عند كِنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، وبنتيْ عمٍّ لها؛ فاصطفى رسول الله ﷺ صفيّة لنفسه.

وكان دِحْية بن خليفة الكلبيّ قد سأل رسولَ الله ﷺ صفيّة فلمّا أصفاها لنفسه أعطاه ابنتيْ عمّها، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين[6].

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر: وأكل المسلمون لحوم الحُمر الأهلية من حُمُرها، فقام رسول الله ﷺ، فنهى الناس عن أمورٍ سمّاها لهم.

---

(١) عِصْر: بكسر أوله، وسكون ثانيه، ورواه بعضهم بالتحريك، والأول أشهر وأكثر، وكل حصن يُستحصن به يقال له عِصْر. وهو جبل بين المدينة ووادي الفُرْع. (معجم البلدان ٤/١٢٨).

(٢) صهباء: اسم موضع بينه وبين خيبر روحة. (معجم البلدان ٣/٤٣٥).

(٣) منقلة: مرحلة.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٩.

(٥) تدنّى: أي أخذ الأدنى فالأدنى. وفي تاريخ الطبري «وبدأ».

(٦) تاريخ الطبري ٣/٩.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن عمرو بن ضَمْرة الفَزَاريّ، عن عبدالله بن أبي سُلَيط، عن أبيه، فقال: أتانا نهي رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحُمُر الإنسية، والقدور تفور بها، فكفأناها على وجوهها(1).

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مكحول: أنّ رسول الله ﷺ وسلم نهاهم يومئذٍ عن إتيان الحبالَى من السبايا، وعن أكل

---

(1) أخرج البخاري في كتاب الخمس ٤/٦١ باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب، فقال: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا عبدالواحد، حدّثنا الشيباني، قال: سمعت ابن أبي أوفى رضي الله عنهما يقول: أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحُمُر الأهلية فانتحرناها فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله ﷺ: اكفئوا القدور فلا تطعموا من لحوم الحُمر شيئاً. قال عبدالله: فقلنا إنّما نهى النبيّ ﷺ لأنها لم تخمّس قال: وقال آخرون: حرّمها البتّة وسألت سعيد بن جبير فقال: حرّمها البتّة.

وأخرج في كتاب النكاح ٥/٧٣ باب غزوة خيبر، قال: أخبرنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عُيينة، حدّثنا أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صبّحنا خيبر بُكْرة فخرج أهلها بالمساحي فلما أبصروا بالنبيّ ﷺ قالوا: محمد والله محمد والخميس فقال النبيّ ﷺ: الله أكبر خربت خيبر إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادي النبي ﷺ أن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس.

وأخرج من طريق عبدالله بن عبد الوهاب، حدّثنا عبدالوهاب، حدّثنا أيوب، عن محمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ جاءه جاءٍ فقال: أكلت الحُمُر فسكت، ثم أتاه الثانية فقال: أكِلت الحُمر فسكت، ثم أتاه الثالثة فقال: أُفْنِيَت الحمر فأمر منادياً فنادى في الناس إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية فأُكفئت القدور وإنها لتفور باللحم. وفي كتاب النكاح ٦/١٢٩ باب نهي رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخراً. ومسلم في كتاب النكاح (٣٠) و(٣١) و(٣٢) باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ، ثم أبيح ثم نُسخ، واستقرّ تحريمه إلى يوم القيامة. وفي كتاب الصيد والذبائح (٢٢(و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦) و(٢٧) و(٢٨) و(٢٩) و(٣٠) و(٣١) و(٣٢) و(٣٣) و(٣٤) و(٣٥) باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية، و(٣٦) و(٣٧) باب في أكل لحوم الخيل. والترمذي في كتاب النكاح (١١٣٠) باب ما جاء في نكاح المتعة. في الأطعمة (١٨٥٤) باب ما جاء في لحوم الحمر الأهلية. والنسائي في الصيد (٧/٢٠٢ ـ ٢٠٤) باب تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية. وابن ماجة في الذبائح (٣١٩٢) و(٣١٩٣). وأحمد في المسند ٢/٢١ و١٠٢ و١٤٣ و١٤٤ و٢١٩ و٤/٤٨ و٨٩ و٩٠ و١٢٧ و١٣١ و١٩٣ و١٩٤ و١٩٥ و٣٠١ و٣٥٥ و٣٨٣، والطبراني في المعجم الكبير ٣/٢٣٨ رقم ٣١٦٤ و٧/٧٥٩٥ و٧٧٧٣ و٧٨٢٤ و٨/٧٥٩٥ و٧٧٩٢ و٧٧٩٣، وابن جُمَيع الصيداوي ١٢٨ رقم ٨٠.

الحمار الأهلي، وعن أكل كلّ ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تُقْسَم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سلّام بن كركرة، عن عمرو بن دينار؛ عن جابر بن عبدالله الأنصاري، ولم يشهد جابر خيبر: أنّ رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحُمر، أذِن لهم في أكل لحوم الخيل[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق مولى تُجيب؛ عن حَنَش الصَّنْعانيّ، قال: غزونا مع رُوَيفع بنَ ثابت الأنصاري المغرب، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جَرْبة، فقام فينا خطيباً، فقال: يا أيّها الناس، إنّي لا أقول فيكم إلّا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله فينا يوم خيبر، قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «لا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماؤه زرْعَ غيره، يعني إتيان الْحَبالى من السبايا، ولا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحلّ لإمرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَغْنَماً حتى يُقْسَم، ولا يحلّ لإمرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابَّةً من فَيْءِ المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه؛ ولا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه»[3].

---

(١) أخرج الترمذي في كتاب الحدود (١٥٠٤) باب في كراهية كل ذي ناب وذي مخلب. و(١٥٠٦) و(١٥٠٧) وفي كتاب الأطعمة (١٨٥٧) باب ما جاء في الأكل في آنية الكفار. والنسائي في الصيد (٧/٢٠٤) باب تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية.

(٢) أخرج نحوه مسلم في كتاب الصيد والذبائح (٣٦) و(٣٧) باب في أكل لحوم الخيل.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب النكاح (٢١٥٨) باب في وطء السبايا، عن النفيلي، عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق، عن حنش الصنعاني، عن رويفع بن ثابت الأنصاري، قال: قام فينا خطيباً، قال: أما إني لا أقول لكم إلا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم حنين قال: «لا يحلّ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماؤه زرع غيره» يعني إتيان الحبالى، «ولا يحلّ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحلّ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يُقسم». و(٢١٥٩) حدّثنا سعيد بن منصور، حدّثنا أبو معاوية، عن ابن إسحاق، بهذا الحديث، قال: «حتى يستبرئها بحيضة» زاد فيه «بحيضة» وهو وهم من =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن عبدالله بن قُسَيط؛ أنه حدّث عن عُبادة بن الصّامت، قال: نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبْر الذَّهَب بالذهب العين، وتبْر الفضّة بالورق العين، وقال: «ابتاعوا تبر الذهب بالورِق العين، وتبر الفضّة بالذَّهَب العين»(1).

قال ابن إسحاق: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنّى الحصون والأموال.

بنو سهْم: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدّثه بعضُ أسلَم: أنّ بني سهْم مِن أسلم أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: والله يا رسول الله لقد جُهِدْنا وما بأيدينا من شيء، فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إيّاه، فقال: «اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوّة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إيّاه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غَناء، وأكثرها طعاماً ووَدَكاً»،

= أبي معاوية. وهو صحيح في حديث أبي سعيد، زاد «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركب دابّة من فيْء المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوباً من فيْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه» قال أبو داود: الحيضة ليست بمحفوظة. وهو وهم من أبي معاوية. وأخرج الترمذي في النكاح (١١٤٠) باب الرجل يشتري الجارية وهي حامل، قال: حدّثنا عمر بن حفص الشيباني البصري، أخبرنا عبدالله بن وهب. أخبرنا يحيى بن أيوب، عن ربيعة بن سليم، عن بُسر بن عبيدالله، عن رويفع بن ثابت، عن النبيّ ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه ولد غيره». وقال: هذا حديث حسن. وقد رُوي من غير وجه عن رُوَيفع بن ثابت. والعمل على هذا عند أهل العلم، لا يرون للرجل، إذا اشترى جارية وهي حامل، أن يطأها حتى تضع. وفي الباب عن ابن عباس وأبي الدرداء، والعِرباض بن سارية، وأبي سعيد. ورواه بسنده ونصّه أحمد في المسند ١٠٨/٤ و١٠٩.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع (٣٣٤٩) باب في الصرف، حدّثنا الحسن بن علي، حدّثنا بشر بن عمر، حدّثنا همام، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن مسلم المكي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: «الذهب بالذهب تِبْرها وعَينها. والفضة بالفضة تبرها وعينها، والبُرّ بالبُر مُدْي بمُدي، والملح بالملح مدي بمدي، فمن زاد أو ازداد فقد أربى، ولا بأس ببيع الذهب بالفضة، والفضّة أكثرهما يداً بيد، وأما نسيئه فلا». وأخرج النسائي نحوه في كتاب البيوع ٢٧٤/٧ و٢٧٥ باب بيع البُرّ بالبُرّ. وفي باب بيع الشعير بالشعير. من طريق قتادة، عن أبي الخليل، عن مسلم المكّي، عن أبي الأشعث الصنعاني عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب تبره وعينه وزناً بوزن والفضة بالفضة تبره وعينه وزناً بوزن..».

فغدا الناس، ففتح الله عزّ وجلّ حصن الصَّعب بن مُعاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً ووَدَكاً منه[1].

مقتل مَرْحَب: قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنيهم الوَطِيح والسُّلالِم، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة[2].

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب الرسول ﷺ يوم خيبر: يا منصور أمِتْ أمِتْ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن سهل بن عبدالرحمن بن سهل؛ أخو بني حارثة، عن جابر بن عبدالله، قال: خرج مرحب اليهوديّ من حصنهم، قد جمع سلاحه، يرتجز وهو يقول:

قد علِمتْ خيبرُ أنّي مَرْحَبُ ... شاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحِيناً أضربُ ... إذا اللُّيوثُ أقبلتْ تَحَرَّبُ[3]
إنَّ حِمَاي للحِمَى لا يُقْرَبُ

وهو يقول: [هل][4] من يبارز؟ فأجابه كعب بن مالك، فقال:

قد علمتْ خيبرُ أنّي كعبُ ... مُفَرِّجُ الغُمَّى جريءٌ صُلْبُ
إذ شبّتِ الحربُ تَلَتْها الحربُ ... معي حسامٌ كالعقيق عَضْبُ
نَطَؤُكُم حتى يذلّ الصَّعبُ ... نُعطي الجزاء أو يفيء النَّهْبُ
بكفِّ ماضٍ ليس فيه عتْبُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريّ:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٠.
(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠.
(٣) تحرّب: مغضبة.
(٤) إضافة من الطبري ٣/١٠.

قــد علمتْ خيبــرُ أنّي كعبُ   وأنّــي مـتى تـشبُ الـحــربُ
ماضٍ على الهَـوْل جـريءٌ صلْبُ   مـعي حـســامٌ كــالعـقيـق عـضْـبُ
بـكـفِّ مــاضٍ لـيس فيــه عـتْـبُ   نــدكُّـكُـم حـتّـى يــذلّ الـصَّـعْـبُ

قال ابن هشام: ومرحب من حِمْيَر.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن سهل، عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا»؟ قال محمد بن مَسْلَمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله، الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس، فقال: «فقم إليه، اللّهمَّ أعِنْهُ عليه». قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمْريّة[1] من شجر العُشَر[2]، فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه، كلّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كلّ واحدٍ منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فَنَنٌ، ثم حمل مرحب على محمد بن مَسْلمة، فضربه، فاتّقاه بالدَّرَقة، فوقع سيفه فيها، فعضَّت به فأمسكته، وضربه محمد بن مَسْلمة حتّى قتله[3].

مقتل ياسر: قال ابن إسحاق: ثم خرج بعدَ مرحب أخوه ياسر، وهو يقول: من يبارز، فزعم هشام بن عُروة أنّ الزُبَير بن العوّام خرج إلى ياسر، فقالت أمّه صفيّة بنت عبدالمطّلب: يُقتل ابني يا رسول الله! قال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله». فخرج الزُبَير فالتقيا، فقتلهُ الزُبير[4].

قال ابن إسحاق: فحدّثني هشام بن عُروة: أن الزُبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عضْباً، قال: واللهِ ما كان صارماً، ولكنّي أكرهته.

---

(١) عُمْرية: عجوز.
(٢) العُشَر: شجر أملس ضعيف العود.
(٣) تاريخ الطبري ٣/١٠، ١١، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٤) تاريخ الطبري ٣/١١.

فتح خيبر على يد عليّ: قال ابن اسحاق: وحدّثني بُرَيدة بن سفيـان بن فروة الأسلميّ، عن أبيه سفيان، عن سَلمة بن عمـرو بن الأكوع، قـال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصِّدّيق رضي الله عنه برايته، وكانت بيضـاء، فيما قـال ابن هشام، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل، فرجع ولم يكُ فتح، وقد جُهِـد، ثم بعث الى عمر بن الخطّاب، فقـاتل، ثم رجـع ولم يك فَتْح، وقد جهِـد، فقال رسول الله ﷺ: «لأعْطِينّ الرايـة غداً رجـلاً يحبّ الله ورسولَـه، يفتح الله على يديه، ليس بفرّار». قال: يقول سَلَمَة، فدعا رسول الله ﷺ عليًّاً رضـوان الله عليه، وهو أرمد، فتَفَل في عينه، ثم قال: «خـذ هذه الـراية، فـامضِ بها حتى يفتح الله عليك»[1].

قال: يقول سَلَمَة: فخرج والله بهـا يأنـح[2] يهرول هـرولة، وإنّـا لخلفه نتبع أثره، حتى ركّـز رايته في رضْمٍ[3] من حجـارة تحت الحصن، فاطّلع إليـه يهـوديّ من رأس الحصن، فقـال: من أنت؟ قـال: أنَـا عليّ بن أبي طـالب. قال: يقول اليهوديّ: علوتم، وما أنـزل على موسى، أو كمـا قال. قـال: فما رجع حتى فتح الله على يديه[4].

قـال ابن إسحاق: حـدّثني عبدالله بن الحسن، عن أبي رافـع، مـولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مـع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنـه، حين بعثه رسول الله ﷺ برايتـه؛ فلما دنـا من الحصن خرج إليـه أهله فقاتلهم، فضـربه رجل من يهود، فطاح ترسه من يده، فتنـاول عليّ عليه السـلام بابـاً كان عنـد الحصن فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتـح الله عليه،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهـاد والسير (١٢/٤) بـاب ما قيـل في لواء النبيّ ﷺ، ومسلم في فضـائل الصحـابة (٢٤٠٧) بـاب من فضائـل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنـه، وانظر طبقـات ابن سعد ١١٠/٢ و١١١، ونهـاية الأرب ٢٥٣/١٧، وتـاريخ الإسـلام (المغازي)، وتاريخ الطبري ١٢/٣.

(٢) يأنح؛ يعلو صوته.

(٣) رَضم ورضام: حجارة أو صخور بعضها على بعض، وهي دون الهضبة، (النهايـة في غريب الحديث ٢٣١/٢).

(٤) مناقب امير المؤمنين علي للواسطي ١٣٢ رقم ٢١٧، تاريخ الإسلام (المغازي).

ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفرٍ سبعة معي: أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه[1].

حديث أبي اليُسْر: قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدة بن سفيان الأسلميّ، عن بعض رجال بني سَلِمة عن أبي اليُسْر كعب بن عمرو، قال والله إنّا لَمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عَشيّة، إذ أقبلت غنمٌ لرجل من يهود تريد حصنهم، ونحن محاصروهم، فقال رسول الله ﷺ: «مَن رجل يُطعمنا من هذا الغنم»؟ قال أبو اليُسْر؛ فقلت أنا يا رسول الله؛ فقال: «فافعل»؛ قال: فخرجت أشتدّ مثل الظليم[2]، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ مولّياً قال: اللّهمَّ أمتِعْنا به؛ قال: فأدركت الغنم وقد دخلت أُولاها الحصن، فأخذت شاتين من أُخراها، فأحتضنتهما تحت يدي، ثم أقبلت بهما أشتدّ، كأنه ليس معي شيء، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ، فذبحوهما فأكلوهما، فكان أبو اليُسْر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكاً، فكان إذا حدّث هذا الحديث بكى، ثم قال: أمتعوا بي، لَعَمْرِي. حتى كنت من آخرهم هُلكاً[3].

صفيّة رضي الله عنها، قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ القَمُوص، حصن بني أبي الحُقيق، أتى رسول الله ﷺ بصفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، وبأخرى معها، فمرّ بهما على قتلى من قتلى يهود؛ فلما رأتهم التي مع صفية صاحت، وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها؛ فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «أعْزبُوا[4] عنّي هذه الشيطانة»، وأمر بصفيّة فحِيزَت خلفه، وألقى عليها رداءه؛ فعرف المسلمون أنّ رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه. فقال رسول الله ﷺ لبلال، فيما بلغني: حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: «أَنُزِعت منك الرحمة يا بلال، حين تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما»؟ وكانت صفيّة قد رأت في المنام وهي عروس بِكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، أنّ قمراً وقع

(١) تاريخ الطبري ١٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، وانظر تاريخ اليعقوبي ٥٦/٢.
(٢) الظليم: ولد النعام.
(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٩/٦: رواه أحمد عن بعض رجال بني سلمة عنه، وبقية رجاله ثقات.
(٤) أعزبوا: أبعدوا.

في حجْرها، فعرضت رؤياها على زوجها؛ فقال: ما هـذا إلّا أنك تمنّين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمة خضّر عينها منها. فأتى بها رسولَ الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر(١).

وأتى رسـول الله ﷺ بكِنانـة بن الربيـع، وكان عنـده كنـز بني النضيـر، فسـأله عنـه، فجحد أن يكـون يعرف مكـانه، فـأتى رسـولَ الله ﷺ رجـل من يهود، فقال لرسول الله ﷺ: إنّي رأيت كِنـانة يـطيف بهذه الخـربة كـل غداة؛ فقال رسول الله ﷺ لكِنانة: «أرأيت إن وجـدناه عنـدك، أأقتلك»؟ قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخِربة فحُفِرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عمّا بقي، فأبى أن يؤدّيه، فأمر بـه رسول الله ﷺ الـزُبير بن العـوّام، فقال: عـذّبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزُبير يقدح بزند في صـدره، حتى أشرف على نفســه، ثم دفعه رسـول الله ﷺ إلى محمد بن مَسْلمـة، فضرب عنقـه بـأخيـه محمود بن مَسْلمة(٢).

صلح خيبر: وحاصـر رسول الله ﷺ، أهـل خيبر في حصنَيهم الـوَطيح والسُّلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلَكة، سألوه أن يسيّرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل. وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشِّقّ ونطاة والكِتيبة وجميع حصـونهم، إلّا ما كـان من ذَينك الحصْنَيْن. فلمـا سمـع بهم أهـل فَـدَك قـد صنعوا ما صنعـوا، بعثوا إلى رسـول الله ﷺ يسألـونه أن يسيّـرهم، وأن يحقن دمـاءهم، ويخلّوا لـه الأمـوال، ففعـل. وكـان فيمن مشى بين رسـول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحَيّصة بن مسعود، أخو بني حارثة، فلما نزل أهل خيبر على ذلـك، سألـوا رسول الله ﷺ أن يعـاملهم في الأموال على النصف، وقـالـوا: نحن أعلم بهـا منكم؛ وأعمرُ لهـا، فصالحهم رسـول الله ﷺ على النصف، على أنّا إذا شئنا أن نُخرجكم أخرجناكم؛ فصالحه أهل فَدَك على مثل ذلـك،

---

(١) الحديث في مجمع الزوائد ١٥٢/٦، ١٥٣ وانظر: تاريخ الطبـري ١٤/٣ وانظر عن زواج النبي ﷺ من صفية، الطبقات لابن سعد ٨/٨٥ وما بعدها، وتسمية أزواج النبي لأبي عبيـدة ٦٦، والاستيعاب ١٨٧/٤، وأسد الغـابة ٤٩٠/٥، والسمط الثمين ١١٨، وإمتـاع الأسماع ٣٢١، والاصابة ٣٣٧/٤.

(٢) تاريخ الطبري ١٤/٣.

فكانت خيبر فَيْئاً بين المسلمين، وكانت فَدَك خالصةً لرسـول الله ﷺ، لأنهم لم يَجْلِبوا عليها بخيلٍ ولا رِكاب[1].

قصّة الشاة المسمومة: فلما اطمأنّ رسول الله ﷺ أهدت لـه زينب بنت الحـارث، امرأة سـلّام بن مِشْكَم، شاة مَصْلِيّـة[2]، وقـد سـألت أيَّ عُضْـو من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيـل لها: الـذراع؛ فأكثـرت فيها من السُّمّ، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها: فلما وضعتها بين يدي رسـول الله ﷺ، تناول الذراع، فلاك منها مُضْغة، فلم يَسُغْها، ومعه بِشْر بن البَـراء بن مَعْرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بِشْر فأسـاغها، وأمـا رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: «إنّ هذا العظْم ليخبرني أنّه مسموم»، ثم دعا بها، فاعترفت فقال: «ما حملكِ على ذلـك»؟ قالت: بلغتَ من قـومي ما لم يخف عليـك، فقلت: إنْ كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبيًّا فسيُخْبَر، قال: فتجـاوز عنها رسول الله ﷺ؛ ومات بِشْر من أكلته التي أكل[3].

قال ابن إسحاق: وحـدّثني مروان بن عثمـان بن أبي سعيد بن المُعَلَّى، قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضـه الذي تُـوُفِّي فيه. ودخلت أم بِشْـر بنت البـراء بن معرور تعـوده: يا أمّ بِشْـر، إنّ هذا الأوان وجـدت فيه انقـطاع أبهـري[4] من الأكلة التي أكلت مع أخيـك بخيبر. قـال: فإن كـان المسلمون ليرون أنّ رسول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النُّبوّة[5].

---

(١) تـاريخ الـطبري ١٤/٣، ١٥، تـاريخ خليفـة ٨٣، فتـوح البلدان ٣٤/١، تـاريـخ الإسـلام (المغازي)، البداية والنهاية ١٩٨/٤.

(٢) مَصْلِيَّة: مسمومة.

(٣) تاريخ الطبري ١٥/٣.

(٤) الأبهر: عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تتشعب الشرايين كلها.

(٥) انظر ما أخرجه البخاري في كتاب المغـازي (٨٤/٥) باب الشـاة التي سُمّت للنبيّ ﷺ في خيبر، و(١٤١/٣) في الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ومسلم (٢١٩٠) في السـلام، بـاب السّمّ، وأبـو داود في الـديـات (٤٥٠٨) و(٤٥٠٩) و(٤٥١٠) و(٤٥١١) و(٤٥١٢) و(٤٥١٣) و(٤٥١٤) بـاب فيمن سقى رجلاً سُمّاً أو أطعمه فمـات أيُقاد منـه؟ وابن ماجـة في الـطب (٣٥٤٦) باب السحـر، وأحمـد في المسنـد ٣٠٥/١، و٣٧٣، والهيثمي في مجمـع الـزوائد ٢٩٥/٨، ٢٩٦ بـاب ما جـاء في الشاة المسمـومة، وقـال: رواه الطبـراني والبزّار، =

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فحاصر أهله ليالي، ثم أنصرف راجعاً إلى المدينة[1].

جزاء الغالّ من الغنيمة: **قال ابن إسحاق**: فحدّثني ثور بن زيد، عن سالم، مولى عبدالله بن مُطيع، عن أبي هُريرة، فقال: فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى نزلنا بها أصيلاً مع مغرب الشمس، ومع رسول الله ﷺ غلام له، أهداه له رفاعة بن زيد الجذاميّ، ثم الضبينيّ[2].

قال ابن هشام: جُذام، أخو لَخمْ.

قال: فوالله إنه ليضع رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غربٌ[3] فأصابه فقتله، فقلنا: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلَّا، والذي نفس محمد بيده: إنّ شملته الآن لتحترق عليه في النار، كان غلّها من فَيْء المسلمين يوم خيبر». قال: فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: يا رسول الله، أصبت شِراكين لنعلين لي؛ قال: فقال: «يُقَدُّ لك مثلهما من النار»[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن عبدالله بن مُغَفّل المُزَنيّ، قال: أصبت من فَيْء خيبر جِراب شحْم، فاحتملته على عاتقي إلى رَحْلي وأصحابي. قال: فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عَليها، فأخذ بناحيته وقال: هَلُمَّ هذا نقسمهُ بين المسلمين، قال: قلت: لا والله لا أُعْطِيكه، قال: فجعل يجابذني الجراب. قال: فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك. قال: فتبسّم رسول الله ﷺ ضاحكاً، ثم قال لصاحب المغانم: «لا أبا لك، خلِّ بينه وبينه». قال: فأرسله، فانطلقت به إلى رَحْلي وأصحابي، فأكلناه[5].

= والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي)، وابن سعد في الطبقات ٢/٢٠٢، ٢٠٣، والطبري في تاريخه ٣/١٥.

(١) تاريخ الطبري ٣/١٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/١٦ «الضُبَيْبيّ» من الضبيب بن جذام، له صحبة.

(٣) سهم غرب: مجهول الرامي، لا يُعرف من أين أتى.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٦ وانظر الحديث عند البخاري في المغازي ٥/٨١ باب غزوة خيبر.

(٥) أخرج البخاري في كتاب الخمس ٤/٦١ باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب. فقال: حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا شعبة، عن حُميد بن هلال، عن عبدالله بن مغفّل رضي الله =

حراسة أبي أيّوب للرسول: قال ابن إسحاق: ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفيّة، بخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جمّلتها لرسول الله ﷺ ومشّطتها وأصلحت من أمرها أمُّ سُليم بنت مِلْحان، أم أنَس بن مالك. فبات بها رسول الله ﷺ في قُبّة له، وبات أبو أيّوب خالد بن زيد، أخو بني النّجّار متوشّحاً سيفه، يحرس رسول الله ﷺ، ويُطيف بالقُبّة، حتى أصبح رسول الله ﷺ؛ فلما رأى مكانه قال: «مالك يا أبا أيّوب»؟ قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكُفْر، فخفتها عليك. فزعموا أنّ رسول الله ﷺ، قال: «اللّهمّ احفظ أبا أيّوب كما بات يحفظني»[1].

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن سعيد بن المسيّب، قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل: «مَن رجل يحفظ علينا الفجر لعلّنا ننام»؟ قال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك. فنزل رسول الله ﷺ، ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلّي، فصلّى ما شاء الله عزّ وجلّ أن يصلّي. ثم استند إلى بعيره، واستقبل الفجر يرمقه، فغلبته عينه، فنام فلم يوقظهم إلاّ مسّ الشمس، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هبّ، فقال: «ماذا صنعت يا بلال»؟ قال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك؛ قال: «صدقت»؛ ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضّأ، وتوضّأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلّم أقبل على الناس فقال: «إذا نسيتم الصّلاة فصلّوها إذا ذكرتموها، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أقِمِ الصّلاة لِذِكري﴾[2].

شعر ابن لُقَيم في فتح خيبر: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ،

= عنه قال: كنا محاصرين قصر خيبر فرمى إنسان بجراب فيه شحم، فنزوت لآخذه فالتفتّ فإذا النبيّ ﷺ فاستحييت منه.

(١) انظر: تاريخ الطبري ١٧/٣.

(٢) سورة طه ـ الآية ١٤ والخبر في تاريخ الطبري ١٧/٣.

فيما بلغني، قد أعطى ابن لُقَيم العَبْسي، حين افتتح خيبر، ما بها من دجاجة أو داجن، وكان فتح خيبر في صفر، فقال ابن لُقَيم العَبْسِيّ في خيبر:

رُميت نطاةٌ[1] من الرسول بفَيلق ... شهباءَ[1] ذات مناكب وفقار
واستيقَنَتْ بالذُّلّ لما شُيِّعَتْ ... ورجال أسْلَم وسطها وغِفار
صبَّحت بني عمرو بن زُرعة غَدْوة ... والشَّقّ[2] أظلم أهلُه بنهار
جرّت بأبطحها الذُّيول فلم تَدعْ ... إلّا الدّجاج تَصيح في الأسحار
ولكلّ حصن شاغِل من خَيْلهم ... من عبد أشهل أو بني النجّار
ومهاجرين قد أعلموا سِيماهم ... فوق المَغافِر[3] لم يَنُوا لِفِرار
ولقد علمتُ ليغلبنّ محمدٌ ... وليثوينّ بها إلى أصفار[4]
فرّت يهود يوم ذلك في الوغى ... تحت العَجاج غمائم الأبصار

قال ابن هشام: فرت: كشفت، كما تفرّ الدّابّة بالكشف عن أسنانها: يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الأبصار، يريد الأنصار.

قال ابن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من نساء المسلمين، أرضخ لهنّ[5] رسول الله ﷺ من الفَيْء، ولم يضرب لهنّ بسهم[6].

قال ابن إسحاق: حدّثني سليمان بن سُحَيم، عن أمية بن أبي الصَّلْت، عن امرأة من بني غفار، قد سمَّاها لي، قالت: أتيت رسولَ الله ﷺ في نسوة من بني غِفار، فقلنا يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر، فنداوي الجرحى، ونُعين المسلمين بما استطعنا، فقال: «على بركة الله». قالت: فخرجنا معه، وكنت جارية حَدَثَة،

---

(١) نطاة: حصن بخيبر. الشهباء: كثيرة العتاد: تلمع الأسلحة فيها كالشهب.
(٢) الشّقّ: حصن بخيبر.
(٣) المغافر: ما توضع على الرؤوس وقاية لها من ضرب السلاح.
(٤) يثوينّ: يقيمنّ. وأصفار: جمع صفر وهو شهر من الشهور العربية.
(٥) أرضخ لهنّ: أعطاهنّ قليلاً من أقلّ من السهم.
(٦) تاريخ الطبري ١٧/٣.

فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة[1] رحْله. قالت: فوالله لَنَزل[2] رسول الله ﷺ إلى الصُّبح وأناخ، ونـزلت عن حقيبـة رَحْله، وإذا بهـا دم منّي، وكـانت أول حيضـة حضتهـا، قـالت: فتقبّضت إلى النـاقـة واسْتحْيَيْت؛ فلمـا رأى رسـول الله ﷺ ما بي ورأى الدم، قال: «ما لكِ؟ لعلّكْ نفِسْتِ»؟ قالت: قلت: نعم، قال: «فأصْلِحي من نفسك، ثم خُذي إنـاءً من ماء، فـاطرحي فيـه ملحاً، ثم أغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك».

قالت: فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر، رضخ لنا من الفَيْء، وأخذ هـذه القـلادة التي تَرين في عنقي فـأعـطانيهـا، وعلّقهـا بيـده في عُنقي، فـوالله لا تفارقني أبداً.

قـالت: فكـانت في عُنُقهـا حتى مـاتت، ثم أوصت أن تُـدفن معهـا. قالت: وكانت لا تَطَّهَّر من حَيضة إلاّ جعلت في طهورها ملحاً، وأوصت به أن يُجعل في غُسلها حين ماتت[3].

شهـداء خيبر: قـال ابن إسحاق: وهـذه تسمية من استشهـد بخيبـر من المسلمين، من قـريش. ثم من بني أميّـة بن عبـد شمس، ثم من حُلفـائهم: ربيعـة بن أكثم بن سَخْبـرة بن عمـرو بن بُكَيْـر بن عـامـر بن غَنْم بن دودان بن أسد، وثقيف[4] بن عمرو، ورِفاعة بن مسروح.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى: عبدالله بن الهُبيب، ويقـال: ابن الهَبِيب، فيمـا قال ابن هشـام، ابن أُهَيْب بن سُحَيم بن غيرَة، من بني سعـد بن ليث، حليف لبني أسد، وابن أختهم.

---

(١) حقيبة رَحْله: هي كلّ ما شُدّ في مؤخّر رَحْل أو قتب. والرحل هو المركب للبعير، وهو أصغر من القتب. وقال ابن الأثير في النهاية: الحقيبة: هي الزيادة التي تُجعل في مؤخّر القتب.

(٢) في سنن أبي داود ١/٨٤ «فوالله لم يزل».

(٣) الحديث بسنده ونصّه في سنن أبي داود، كتاب الطهارة (٣١٣) باب الاغتسال من الحيض، وفي مسند أحمد ٦/٣٨٠.

(٤) هكـذا في الأصل، وفي المغـازي لعروة ١٩٩، وطبقـات ابن سعد ٣/٩٨، وتـاريخ خليفـة ٨٣، وحلية الأولياء ١/٣٥٢، والإصابة ١/٢٠٢ رقم ٩٦٠، وتاريخ الإسلام.

ومن الأنصار ثم من بني سَلِمة: بِشْر بن البراء بن معرور، مات في الشاة التي سُمّ فيها رسول الله ﷺ. وفُضَيل بن النعمان. رجلان.

ومن بني زُرَيق: مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زُريق.

ومن الأوس ثم من بني عبدالأشهل: محمود بن مَسلمة بن خالد بن عَدِيّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة.

ومن بني عمرو بن عوف: أبو ضَيَّاح[1] بن ثابت بن النُعمان بن أُمَيّة بن امريء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، والحارث بن حاطب، وعُروة بن مُرَّة بن سُراقة، وأوس بن القائد[2]، وأُنيف بن حبيب، وثابت بن أثلة، وطلحة [بن يحيى بن مُليل بن ضمرة].

ومن بني غِفار: عمارة بن عُقبة، رُمي بسهم.

ومن أسلم: عامر بن الأكوع، والأسود الراعي، وكان اسمه أسْلَم.

قال ابن هشام: الأسود الراعي من أهل خيبر.

وممن استُشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزُّهْريّ، من بني زُهْرة: مسعود بن ربيعة، حليف لهم من القارة.

ومن الأنصار من بني عمرو بن عوف: أوس بن قَتادة.

حديث الأسود الراعي في خيبر: قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسود الراعي، فيما بلغني: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم له، كان فيها أجيراً لرجلٍ من يهود، فقال: يا رسول الله، أعرض عليّ الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم ـ وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه ـ فلما أسلم قال: يا رسول الله، إنّي كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال: «اضرب في وجوهها، فإنّها سترجع إلى ربّها» ـ أو كما قال ـ فقال الأسود، فأخذ حفنة من الحَصَى، فرمى بها في وجوهها، وقال: ارجعي إلى

(١) قال في المغازي لعروة ١٩٩ «أبو الصباح أو أبو ضياح».
(٢) قيل: القائد، والفاتك، والفاكه. انظر: اسد الغابة ١/١٧٤، الإصابة ١/٨٦.

صاحبك، فوالله لا أصحبك أبداً، فخرجت مجتمعة، كأنّ سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلّى لله صلاة قطّ؛ فأُتي به رسول الله ﷺ، فوُضع خلفه، وسُجّي بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لِمَ أعرضت عنه؟ قال: «إنّ معه الآن زوجته من الحُور العِين»[1].

قال ابن اسحاق: وأخبرني عبدالله بن أبي نَجِيح أنه ذُكر له: أنّ الشهيد إذا ما أصيب تدلّت له زوجتاه من الحُور العِين، عليه تنفضان التراب عن وجهه، وتقولان: ترّب الله وجه من ترّبك، وقتَل من قتلكَ.

حديث الحَجّاج بن علاط السُّلَميّ: **قال ابن إسحاق**: ولما فُتحت خيبر، كلّم رسولَ الله ﷺ، الحَجَّاجُ بنُ عِلاط السُّلميّ ثم البَهْزيّ[2]، فقال: يا رسول الله، إنّ لي بمكة مالاً عند صاحبتي أمّ شَيبة بنت أبي طلحة ـ وكانت عنده، له منها مُعرض بن الحَجَّاج، ومال متفرّق في تُجار أهل مكة، فأْذَنْ لي يا رسول الله؛ فأذِن له، قال: إنه لا بُد لي يا رسول الله من أن أقول قال: «قل». قال الحَجّاج: فخرجت حتى إذا قَدِمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالاً من قريش يتسمّعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز، ريفاً ومَنعة ورجالاً، فهم يتحسّسون الأخبار، ويسألون الرُّكْبان، فلما رأوني قالوا: الحَجّاج بن علاط ـ قال: ولم يكونوا عِلموا بإسلامي ـ عنده والله الخبر ـ أخبرْنا يا أبا محمد، فإنه قد بَلَغَنا أنّ القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز، قال قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسرّكم، قال: فالتبطوا[3] بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حَجّاج؛ قال؛ قلت: هُزِم هزيمة لم

---

(١) الاستيعاب ١/٨٧، ٨٨، الإصابة ١/٣٨، ٣٩ رقم ١٣٢.

(٢) البَهْزي: بفتح الباء الموحّدة وسكون الهاء وبعدها زاي، نسبة الى بهْز بن امريء القيس. . . (اللباب ١/١٩٢) وانظر ترجمته في أسد الغابة ١/٣٨١، والإصابة ١/٣١٣ رقم ١٦٢٢.

(٣) التبطوا: ساروا ملازمين لها.

تسمعوا بمثلها قطّ، وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قطّ، وأُسِر محمد أسراً، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظْهُرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنّما تنتظرون أن يقدَم بهِ عليكم، فيُقتل بين أظْهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي، فإني أريد أن أَقْدَم خيبر، فأصيب من فلّ[1] محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التّجّار إلى ما هنالك.

قال ابن هشام: ويقال: من فَيْء محمد.

قال ابن إسحاقُ: قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحثّ[2] جمْع سمعت به، قال: وجئت صاحبتي فقلت: مالي، وقد كان لي عندها مالٌ موضوع، لعلّي ألحق بخيبر، فأصيب من فُرَص البيع قبل أن يسبقني التّجّار؛ قال: فلما سمع العباس بن عبدالمطّلب الخبر، وجاءه عنّي، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التّجّار، فقال: يا حَجّاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: فقلت: وهل عندك حِفْظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم. قال: قلت: فاستأخر عنّي حتى ألقاك على خلاء، فإنّي في جمع مالي كما ترى، فانصرِف عنّي حتى أفرغ. قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعت الخروج، لقيت العبّاس، فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإنّي أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت، قال: افعل. افعل؛ قلت: فإني واللهِ لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم، يعني صفيّة بنت حُيَيّ، ولقد افتتح خيبر، وانتثل[3] ما فيها، وصارت له ولأصحابه. فقال: ما تقول يا حَجّاج؟ قال. قلت: إي والله فاكتُمْ عنّي، ولقد أسلمت وما جئت إلّا لآخذ مالي، فرِقاً من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظْهِر أمرك، فهو والله على ما تحبّ، قال: حتّى إذا كان اليوم الثالث لبس العبّاس حلّة له،

---

(١) الفلّ: المنهزمون.
(٢) كأحثّ: كأسرع.
(٣) انتثل: استخرج.

وتخلّق[1]، وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلّد لحرّ المُصيبة؛ قال: كلا، والله الذي حلفتم به، لقد افتتح محمد خيبر وتُرِك عروساً على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه؛ قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً، فأخذ ماله، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه، فيكون معه؛ قالوا: يا لعباد الله! انفلت عدّو الله، أما والله لو عَلِمْنا لكان لنا وله شأن. قال: ولم ينشبوا[2] أن جاءهم الخبر بذلك[3].

ما قيل من الشعر في خيبر: قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسّان بن ثابت:

بئسما قاتلت خيابرُ[4] عمّا ... جمعوا[5] من مزارع ونخيل
كرِهوا الموت[6] فاستُبيح حِماهم ... وأقرّوا فعل اللئيم الذليل
أمِن الموت يهربون فإنّ الموت ... ت موت الهُزال غيرُ جميل[7]

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، وهو يعذر أيمن بن أم أيمن بن عُبيد، كان قد تخلّف عن خيبر، وهو من بني عوف بن الخزرج، وكانت أمّه أمّ أيمن

(١) تخلّق: تطيّب بالخلوق وهو أنواع من الطيّب يغلب عليها الزعفران.
(٢) لم ينشبوا: لم يلبثوا غير قليل.
(٣) الخبر بطوله في المعرفة والتاريخ ١/٥٠٧ ـ ٥٠٩، ومسند أحمد ٣/١٣٨، ١٣٩، ومسند أبي يعلى والبزّار ١٦٥، ١٦٦، والمصنّف لعبد الرزاق ١/١٩٧، وتاريخ الطبري ٣/١٧ ـ ١٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٤/١٧، ١٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/٥٧، والمعجم الكبير للطبراني ٣/٢٤٧ ـ ٢٤٩ رقم ٣١٩٦، ونهاية الأرب للنويري ١٧/٢٦٦ ـ ٢٦٨، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والبداية والنهاية ٤/٢١٥ ـ ٢١٧، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٢٢٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٥٥ ورجال أحمد رجال الصحيح. وانظر المغازي للواقدي ٢/٧٠٤، ٧٠٥.
(٤) خيابر: أهل خيبر.
(٥) في البدء والتاريخ «جمعت».
(٦) في البدء والتاريخ «الحرب».
(٧) في البدء والتاريخ ٤/٢٢٧ البيتان الأولان فقط.

مولاة رسول الله ﷺ وهي أم أسامة بن زيد، فكان أخا أسامة لأمّه:

علـى حيـن أن قـالت لأيـمن أُمُّـهُ ... جَبُنْتَ ولم تشهـدْ فـوارسَ خـيبـرِ
وأيْـمنُ لـم يَـجبُـن ولـكـن مُـهْـرَه ... أضرّ به شُرْبُ المـديـدِ المخمَّـر[1]
ولـولا الذي قـد كان من شـأن مُهْره ... لَقـاتـل فيهم فـارسـاً غيـر أعْسـر
ولـكنـه قـد صـدّه فِـعْـل مُهْـره ... ومـا كـان منـه عنده غيـر أيْسَـر

قـال ابن هشـام: أنشـدني أبـو زيـد هـذه الأبيـات لكعب بن مـالـك، وأنشدني:

ولـكنـه قـد صـدّه شـأن مُـهْـره ... ومـا كـان لـولا ذاكم بمـقـصّـر

قال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جَنْدَب الأسلميّ:

يـا لَـعبـادِ اللهِ فـيـمَ يُـرغَـبُ ... مـا هُـوَ إلاّ مـأكـل ومـشـربْ
وجنَّةٌ فيها نعيم مُعْجِبُ

وقال ناجية بن جُنْدَب الأسلميّ أيضاً:

أنـا لِمَن أنكـرني[2] ابـن جُنْـدَبْ ... يـا رُبَّ قِـرْنٍ في مَكَـرّي أنْكَبْ[3]
طاح بمَغْدَى[4] أنْسُرٍ وثعلبْ[5]

قـال ابن هشام: وأنشـدني بعض الرُّواة لِلشعـر قولـه: «في مَكَـرّي»، و«طاح بمَغْدَى».

وقال كعب بن مالك في يوم خيبـر، فيما ذكـر ابن هشام، عن أبي زيـد الأنصاريّ:

---

(١) المديد المخمّر: دقيق يُخلط بالماء ويُترك حتى يخمّر.
(٢) في المغازي للواقدي «أبصرني».
(٣) في المغازي للواقدي: «يا رُبَّ قرن قد تركت انكب». والقِرْن: الذي يقاوم في قتال أو شدّة. (شرح أبي ذر ٣٤٩).
(٤) في المغازي «طاح عليه». وطاح: هلك. (الصحاح ٣٨٩).
(٥) القول في المغازي للواقدي ٧٠١/٢.

ونحن وردْنا خيبراً وفروضَه ... بكلّ فتىً عاري الأشاجع مِذْودِ[1]
جوادٍ لدى الغايات لا واهن القُوَى ... جريء على الأعداء في كلّ مشهدِ
عظيم رماد القِدْرِ في كلّ شَتْوَة ... ضَرُوبٍ بنصل المَشْرَفيِّ المُهنَّد
يرى القتْل مَدْحَا إن أصاب شهادةً ... من الله يرجوها وفوزاً بأحمد
يذود ويحمي عن ذِمارِ محمّدٍ ... ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره من كلّ أمرٍ يَريبه ... يجود بنفسٍ دون نفس محمد
يصدّق بالإنباء بالغيب مخلصاً ... يريد بذاك الفوز والعزَّ في غد

تقسيم خيبر وأموالها: قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أموال خيبر، على الشَّقّ ونَطاة والكتيبة، فكانت الشَّقّ ونَطاة في سُهْمان المسلمين[2]، وكانت الكتيبة خُمْسَ الله، وسهم النبيّ ﷺ، وسهم ذوي القُربى واليتامى والمساكين، وطُعْم أزواج النّبيّ ﷺ، وطُعْم رجال مَشَوْا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فَدَك بالصُّلح؛ منهم مُحَيِّصة بن مسعود، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وَسْقاً[3] من شعير، وثلاثين وسْقاً من تمر، وقُسّمت خيبر على أهل الحُدَيْبية، من شهدِ خيبر، ومن غاب عنها، ولم يغِب عنها إلاّ جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام، فقسّم له رسول الله ﷺ كسهم مَن حَضَرها[4].

وكان وادياها، وادي السُرَير، ووادي خاص[5]، وهما اللذان قُسّمت عليهما خيبر، وكانت نَطاة والشَّق ثمانية عشر سهماً، نَطاة من ذلك خمسة أسهم، والشَّقّ ثلاثة عشر سهماً، وقُسِّمت الشَّقّ ونَطاة على ألف سهم، وثمانمائة سهم[6].

---

(١) الفروض: أماكن في الأنهار يُشرب منها. الأشاجع: عروق ظاهر اليد. مِذْود: مانع.
(٢) انظر ما أخرجه ابو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣٠١٣) باب ما جاء في حكم أرض خيبر.
(٣) الوَسْق: يريد به هنا إمّا حِمل البعير أو ستّين صاعاً. ومن معانيه أيضاً حمل النخلة وليس مُراد هنا.
(٤) تاريخ الطبري ١٩/٣، نهاية الأرب ٢٦٢/١٧.
(٥) قال السهيلي في الروض الأنف: أنه وادي خلص.
(٦) نهاية الأرب ٢٦٢/١٧.

وكانت عدّة الذين قُسّمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمانمائة سهم، برجالهم وخيلهم. الرجال أربع عشرة مئة، والخيل مئتا فارس، فكان لكلّ فرس سهمان، ولفارسه سهم، وكان لكلّ راجل سهم؛ فكان لكلّ سهم رأس جُمع إليه مئة رجل[1]، فكانت ثمانية عشر سهماً جُمع[2].

قال ابن هشام: وفي يوم خيبر عرّب رسول الله ﷺ العُرْبَى من الخيل، وهجّن الهجين.

قال ابن إسحاق: فكان عليّ بن أبي طالب رأساً، والزُّبير بين العوّام، وطلحة بن عُبيد الله، وعمر بن الخطّاب، وعبدالرحمن بن عوف، وعاصم بن عديّ، أخو بني العَجْلان، وأُسَيد بن حُضَير، وسهم الحارث بن الخزرج، وسهم ناعم، وسهم بني بياضة، وسهم بني عُبيد، وسهم بني حَرام من بني سَلِمة، وعُبيد السهّام.

قال ابن هشام: وإنما قيل له عُبيد السّهّام لما اشترى من السّهام يوم خيبر، وهو عُبيد بن أوس، أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

قال ابن إسحاق: وسهم ساعدة، وسهم غِفار وأسلم، وسهم النّجّار، وسهم حارثة، وسهم أوس. فكان أول سهم خرج من خيبر بنَطاة سهم الزُّبَير بن العوّام، وهو الخوع، وتابعه السُّرَيْر ثم كان الثاني سهم بَيَاضة، ثم كان الثالث سهم أُسيد، ثم كان الرابع سهم بني الحارث بن الخزرج، ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخزرج ومُزَينه وشركائهم، وفيه قُتل محمود بن مَسْلمة، فهذه نَطاة.

---

(١) نهاية الأرب ١٧/٢٦٢.

(٢) أخرج ابو داود في كتاب الخراج والإمارة (٣٠١٥) من طريق مجمع بن جارية الأنصاري. وكان أحد القرّاء الذين قرأوا القرآن، قال: قُسّمت خيبر على أهل الحديبية، فقسّمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشرة سهماً، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين، وأعطى الراجل سهماً.

ثم هبطوا إلى الشَّقّ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدِيّ، أخي بني العَجْلان، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ، ثم سهم عبدالرحمن بن عوف، ثم سهم ساعدة، ثم سهم النّجار، ثم سهم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، ثم سهم طلحة بن عُبيد الله، ثم سهم غِفار وأسلم، ثم سهم عمر بن الخطاب، ثم سهما سلمة بن عُبيد وبني حَرام، ثم سهم حارثة، ثم سهم عُبيد السّهّام، ثم سهم أوس، وهو سهم اللفيف، جُمعت إليه جُهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب؛ وكان حَذْوه سهم رسول الله ﷺ، الذي كان أصابه في سهم عاصم بن عَدِيّ.

ثم قسّم رسول الله ﷺ الكَتيبة، وهي وادي خاص[1]، بين قرابته وبين نسائه، وبين رجال المسلمين ونساءٍ أعطاهم منها، فقسّم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مئتي وسْق، ولعليّ بن أبي طالب مئة وسْق، ولأسامة بن زيد مئتي وسْق، وخمسين وسْقاً من نَوى، ولعائشة أمِّ المؤمنين مئتي وسْق، ولأبي بكر بن أبي قُحافة مئة وسْق، ولِعَقِيل بن أبي طالب مئة وسْق وأربعين وسْقاً، ولبني جعفر خمسين وسقاً. ولربيعة بن الحارث مئة وسقٍ، وللصَّلْت بن مَخْرمة وابنيه مئة وسقٍ، للصّلتّ منها أربعون وسقاً ولابي نَبِقة[2] خمسين وسقاً، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وسْقاً، ولقيس بن مَخْرمة ثلاثين وسقاً، ولأبي القاسم بن مَخْرَمة أربعين وسقاً، ولبنات عُبيدة بن الحارث، وابنة الحُصين بن الحارث مئة وسق، ولبني عُبيد بن عبد يزيد ستّين وسقاً، ولابن أوس بن مَخْرمة ثلاثين وسقاً. ولِمسْطَح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقاً، ولأم رُمَيْثة أربعين وسقاً، ولنُعَيم بن هند ثلاثين وسقاً، ولبُحَيْنة بنت الحارث ثلاثين وسقاً، ولعُجَيْر بن عبد يزيد ثلاثين وسقاً، ولأم الحَكَم[3] ثلاثين وسقاً،

---

(١) قال السهيلي في الروض الأنف: وادي خلص.

(٢) هو علقمة بن المطّلب، ويقال: عبدالله بن علقمة، وقال أبو عمر: هو مجهول، وقال ابن الفرضيّ: أبو نَبِقة بن المطّلب بن عبد مناف، واسم أبي نَبِقة: عبدالله، ومن ولده محمد بن العلاء بن الحسين بن عبدالله بن أبي نَبِقة، ومن ولده: أبو الحسين المطّلبي إمام مسجد رسول الله ﷺ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نَبقة بن المطلب بن عبد مناف. (الروض الأنف ٤/٩٦).

(٣) الصحيح أنها أم حكيم وهي بنت الزُبير بن عبد المطّلب أخت ضُباعة، وكانت تحت ربيعة=

ولجُمانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقاً، ولابن الأرقم خمسين وسقاً، ولعبدالرحمن بن أبي بكر أربعين وسقاً، ولحَمْنَة بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولأمّ الزُبَير أربعين وسقاً، ولضُباعة بنت الزُبير أربعين وسقاً، ولابن أبي خُنَيس ثلاثين وسقاً، ولأمّ طالب أربعين وسقاً، ولأبي بصرة[1] عشرين وسقاً، ولنُميلة الكلبيّ خمسين وسقاً، ولعبدالله بن وهْب وابنتيه تسعين وسقاً، لابنيه منها أربعين وسقاً، ولأمّ حبيب بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولمَلْكُو بن عبْدة ثلاثين وسقاً، ولنسائه ﷺ سبع مئة وسق[2].

قال ابن هشام: قمح وشعير وتمر ونَوىً وغير ذلك، قسّمه على قدْر حاجتهم، وكانت الحاجة في بني عبدالمطّلب أكثر، ولهذا أعطاهم أكثر.

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ
نساءه من قمح خيبر

قسّم لهنّ مئة وسق وثمانين وسقاً، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقاً، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً، وللمِقْداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً، ولأمّ رُمَيْثة خمسة أوسُق. شهد عثمان بن عفان، وعبّاس وكتب.

وصيّة الرسول عند موته: قال إبن إسحاق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن ابن شهاب الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبدالله بن عُتبة بن مسعود **قال:** لم يُوصِ رسول الله ﷺ عند موته إلّا بثلاث، أوصى للرَّهاويّين بجادٍّ مئة وسق من خيبر، وللداريّين بجاد مئة وسق، من خيبر، وللسبائيّين، وللأشعريّين بجاد مئة وسق من خيبر، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة؛ وألّا

= ابن الحارث، وأما أمّ الحكم فهي بنت أبي سفيان. وهي من مسلمة الفتح. ولولا ذلك لقلت إنّ ابن إسحاق إيّاها أراد، لكنها لم تشهد خيبر ولا كانت أسلمت بعد. (الروض الأنف ٤/٩٦).

(١) في نهاية الأرب ١٧/٢٦٤ «ولأبي نضرة».

(٢) نهاية الأرب ١٧/٢٦٣، ٢٦٤.

يُترك بجزيرة العرب دينان[1].

خبر فَدَك: قال ابن اسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فَدَك، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر، فبثّوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فَدَك، فقدِمت عليه رُسُلهم بخيبر؛ أو بالطائف، أو بعدما قدِم المدينة، فقبل ذلك منهم؛ فكانت فَدَك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنه لم يُوجَفْ عليها بخيلٍ ولا رِكاب[2].

تسمية النَّفر الداريّين

الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

وهم بنوا الدّار بن حبيب بن نمارة بن لَخْم، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام: تميم بن أوس، ونُعيم بن أوس وأخوه. ويزيد بن قيس،

(١) أخرج ابو داود جزءاً بمعنى الحديث في كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣٠٢٩) باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب. قال: حدّثنا سعيد بن منصور، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ أوصى بثلاثة فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم» قال ابن عباس: وسكت عن الثالثة، أو قال: فأُنسيتها. وقال الحُميدي عن سفيان: قال سليمان: لا أدري أذكر سعيد الثالثة فنسيتها أو سكت عنها؟ و(٣٠٣٢) من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكون قبلتان في بلد واحد». وأخرج أحمد في المسند ١/٢٢٢ مثل الحديث الأول بالسند، عن ابن عباس قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بلّ دمعه، وقال مرة: دموعه، الحصى. قلنا، يا أبا العباس، وما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال: «ائتوني اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع». فقالوا: ما شأنه أهجر. قال سفيان: يعني: هذى، استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» وأمر بثلاث، وقال سفيان مرة: أوصى بثلاث: قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب..» والباقي بمثله.

(٢) أخرج أبو داود في كتاب الخراج.. (٣٠١٦) قال: حدّثنا حسين بن علي العجلي، ثنا يحيى يعني ابن آدم ـ ثنا ابن ابي زائدة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري وعبدالله بن أبي بكر وبعض ولد محمد بن مسلمة، قالوا: بقيت بقية من أهل خيبر تحصّنوا فسألوا رسول الله ﷺ ان يحقن دماءهم ويسيّرهم، ففعل، فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. وانظر تاريخ الطبري ٣/٢٠.

وعرفة بن مالك، سمّاه رسول الله ﷺ عبدالرحمن.

ـ **قال ابن هشام:** ويقال: عزّة بن مالك: وأخوه مُرّان بن مالك.

قال ابن هشام: مروان بن مالك.

قال ابن إسحاق: وفاكه بن نُعمان، وجَبَلَة بن مالك، وأبو هند بن برّ، وأخوه الطّيّب بن برّ، فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله.

فكان رسول الله ﷺ، كما حدّثني عبدالله بن أبي بكر، يبعث إلى أهل خيبر عبدالله بن رَواحة خارصاً[1] بين المسلمين ويهود، فيخْرُص عليهم، فإذا قالوا: تعدّيت علينا، قال: إن شئتم فلكم، وإن شئتم فلنا، فتقول يهود: بهذا قامت السماوات والأرض.

وإنّما خرص عليهم عبدالله بن رَواحة عاماً واحداً، ثم أصيب بمُؤْتة يرحمه الله، فكان جبّار بن صخر بن أُميّة بن خنساء، أخو بني سَلِمة، هو الذي يخْرُص عليهم بعد عبدالله بن رَواحة.

فأقامت يهود على ذلك، لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم، حتى عدَوْا في عهد رسول الله ﷺ على عبدالله بن سهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني الزُّهْرِيّ عن سهل بن أبي حَثْمة، وحدّثني أيضاً بشير بن يَسار، مولى بني حارثة، عن سهلَ بن أبي حَثْمة، قال: أصيب عبدالله بن سهل بخيبر، وكان خرج إليها في أصحابٍ له يمتار منها تمراً، فوُجد في عين قد كُسِرت عُنقه، ثم طُرح فيها؛ قال: فأخذوه فغيّبوه، ثم قدِموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له شأنه، فتقدّم إليه أخوه عبدالرحمن بن سهل، ومعه ابنا عمّه حُويِّصَةُ ومُحَيِّصة ابنا مسعود، وكان عبدالرحمن من أحدثهم سنّاً، وكان صاحب الدم، وكان ذا قَدَم في القوم، فلما تكلّم قبل ابنَيْ عمّه، قال رسول الله ﷺ: «الكُبْرَ الكُبْر».

---

(١) الخارص: الذي يقدّر الشيء نظراً بلا وزن ولا كيل، من الخرص: وهو الظّنّ.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٢٠، نهاية الأرب ١٧/٢٦٥.

قال ابن هشام: ويقال: كبِّر كَبِّر ـ فيما ذكر مالك بن أنس ـ فسكت، فتكلّم هو بعد، فذكروا لرسول الله ﷺ قَتْل صاحبهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «أتسمّون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنسلّمه إليكم»؟ قالوا: يا رسول الله، ما كنّا لنحلف على ما لا نعلم؛ قال: «أفَيَحْلِفون بالله خمسين يميناً ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ثم يبرءون من دمه»؟ قالوا: يا رسول الله، ما كنّا لنقبل أَيْمان يهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم. قال: فوداه[1] رسول الله ﷺ من عنده مائة ناقة[2].

قال سهل: فوالله ما أنسى بكرةً منها حمراء ضربتني وأنا أحوزها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد ين إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ، عن عبدالرحمن بن بُجَيد بن قَيظيّ، أخي بن حارثة، قال محمد بن إبراهيم: وايْم الله، ما كان سهل بأكثر علماً منه، ولكنه كان أسنّ منه، إنه قال له: والله ما هكذا كان الشأن! ولكنّ سهلاً أوهم، ما قال رسول الله ﷺ: «احلفوا على ما لا عِلم لكم به»، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلّمته الأنصار إنه قد وُجد قتيل بين أبياتكم فدُوه، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً، فوداه رسول الله ﷺ من عنده.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن شُعيب مثل حديث عبدالرحمن بن بُجَيد، إلاّ أنه قال في حديثه: دُوه أو ائذنوا بحرب. فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً، فوداه رسول الله ﷺ من عنده[3].

---

(١) وداه: أعطاهم ديته.

(٢) نهاية الأرب ١٧/٢٦٥.

(٣) أخرج البخاري في كتاب الأحكام ٨/١١٩، ١٢٠ باب كتاب الحاكم الى عمّاله والقاضي الى أمنائه، فقال: حدّثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن أبي ليلى. وحدّثنا اسماعيل، حدّثني مالك، عن أبي ليلى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن سهل، عن سهل بن أبي حثمة أنه أخبره هو ورجال من كُبراء قومه أنّ عبدالله بن سهل ومُحيّصة خرجا الى خيبر من جَهْدٍ أصابهم فأخبر مُحيّصة أنّ عبدالله قُتل وطرح في فقير أو عين فأتى يهود فقال: «أنتم والله قتلتموه» قالوا: ما قتلناه والله، ثم أقبل حتى قدم على قومه فذكر لهم وأقبل هو وأخوه حُوَيّصة، وهو أكبر منه، وعبد الرحمن بن سهل فذهب ليتكلّم وهو الذي كان بخيبر فقال=

عمر يُجْلي يهود خيبر: **قال ابن إسحاق**: وسألت ابنَ شهاب الزُّهْـرِيّ: كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبـر نخْلهم، حين أعطاهم النخـل على خرْجها، أبتَّ ذلك لهم حتى قبض، أم أعطاهم إيّاها للضرورة من غير ذلك؟

فأخبرني ابن شهاب: أنّ رسول الله ﷺ افتتـح خيبر عَنـوة بعد القتـال، وكـانت خيبـر ممـا أفـاء الله عـزّ وجـلّ على رسـول الله ﷺ، خمّسهـا رسـول الله ﷺ، وقسّمهـا بين المسلمين، ونزل من نـزل من أهلها على الجـلاء بعـد القتـال، فدعـاهم رسول الله ﷺ، فقـال: إنّ شئتم دفعت إليكم هذه الأمـوال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقرّكم مـا أقرّكم الله، فقبلوا، فكانوا يعملونها. وكان رسول الله ﷺ يبعث عبدالله بن رَواحة، فيقسّم ثمرها، ويعدل عليهم في الخرْص، فلما توفّى الله نبيَّه ﷺ، أقرّهـا أبو بكـر رضي الله عنه، بعد رسـول الله ﷺ بأيـديهم، على المعاملة التي عـاملهم عليها رسـول الله ﷺ، حتى تُوُفّي: ثم أقرّها عمر رضي الله عنـه صدراً من إمـارته. ثم بلغ عمر أنّ رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: «لا يجتمعنّ بجزيرة العـرب دينان»؛ ففحص عمـر ذلك، حتى بلغـه الثَّبَتُ، فـأرسـل إلى يهـود، فقال: إن الله عزّ وجلّ قد أذِنَ في جلائكم، قد بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دِينان»، فمن كـان عنده عهـد من رسـول الله ﷺ من اليهود فليـأتِني به، أُنْفِـذُه له، ومن لم يكن عنـده عهدٌ من رسـول الله ﷺ من اليهود، فليتجهّـز للجلاء، فـأجلى عمـر من لم يكن عنـده

= لمحيّصة: «كبّرْ كبّر» يريد السّنّ، فتكلّم حويّصة ثم تكلّم محيّصة فقال رسول الله ﷺ: «إمـا أن يدوا صاحبكم وإمّـا أن يؤذنوا بحـرب» فكتب رسول الله ﷺ إليهم بـه، فكتِب ما قتلنـاه، فقال رسول الله ﷺ لحُويّصة ومحيّصة وعبد الـرحمن: «اتحلفون وتستحقّـون دم صاحبكم»؟ قالوا: لا. قال: «أفتحلف لكم يهود»؟ قالوا: ليسوا بمسلمين، فوداه رسول الله ﷺ من عنده مـائة نـاقة حتى أُدخلت الـدار. قال سهـل: فركضتني منهـا ناقـة. وأخرجـه مسلم في كتاب القسـامة (٦) بـاب القسامـة، وأبو داود في كتـاب الديـات (٤٥٢٠) باب القتـل بالقسـامـة. والنسائي في القسامة ٨/٥، ٦ باب تبـدئة أهـل الدم في القسـامة. وابن مـاجة في الـديات (٢٦٧٧) باب القسامة. ومالك في الموطّأ، كتاب القسامة (١٥٩١) باب تبدئة أهل الـدم في القسامة.

عهد من رسول الله ﷺ منهم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافع، مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر قال: خرجت أنا والزُبَير والمِقْداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهَدُها، فلما قدِمنا تفرّقنا في أموالنا، قال: فعُدِي عليّ تحت الليل، وأنا نائم على فراشي، ففُدعت[2] يداي من مِرْفقي، فلما أصبحت استصرخ عليّ صاحباي، فأتياني فسألاني: من صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدري؛ قال: فأصلحا من يدي، ثم قدِما بي على عمر رضي الله عنه؛ فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس، إنّ رسول الله ﷺ كان عامل يهودَ خيبر على أنّا نُخرجهم إذا شئنا، وقد عَدَوْا على عبدالله بن عمر ففدعوا يديه، كما قد بلغكم، مع عدْوِهم على الأنصاريّ قبله، لا نشكّ أنّهم أصحابه، ليس لنا هناك عدوّ غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فلْيَلحق به، فإني مُخْرجُ يهودَ، فأخرجهم.

عمر يقسم وادي القرى: قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر، عن عبدالله بن مَكنف، أخي بني حارثة، قال: لما أخرج عمر يهودَ من خيبر ركب في المهاجرين والأنصار، وخرج معه جبَّار بن صخر بن أميّة بن خنساء، أخو بني سَلِمة، وكان خارِصَ أهل المدينة وحاسِبَهم - ويزيد بن ثابت، وهما قسّما خيبر بين أهلها، على أصل جمَاعة السُّهْمان، التي كانت عليها.

وكان ما قسّم عمر بن الخطّاب من وادي القرى، لعثمان بن عفّان خَطَر، ولعبدالرحمن بن عوف خطر، ولعمر بن أبي سلمة خَطَر، ولعامر بن أبي ربيعة خَطَر، ولعمرو بن سُراقة خَطَر، ولأَشْيَم خَطَر.

قال ابن هشام: ويقال: ولأسلم ولبني جعفر خَطَر، ولِمُعَيْقيب خَطَر، ولعبدالله بن الأرقم خَطَر، ولعبدالله وعُبيدالله خَطَران، ولابن عبدالله بن

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٠، ٢١، نهاية الأرب ١٧/٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) الفدع: اعوجاج في المفاصل، كأنها أزيلت عن أماكنها.

جحش خَـطَر، ولابن البُكَير خَـطَر، ولمعتمِر خَـطَر، ولزيـد بن ثـابت خَـطَر، ولأُبَيّ بن كعب خَـطَر، ولمُعَاذ بن عَفْـراء خَـطَر، ولأبي طلحـة وحسن خَـطَر، ولجبّـار بن صخْـر خَـطَر، ولجابـر بن عبـدالله بن رئّـاب خَـطَر، ولمـالـك بن صعصعة وجابر بن عبدالله بن عمرو خَطَر، ولابن حُضير خَطَر، ولابن سعد بنُ مُعاذ خَطَر، ولسـلامة بن سـلامة خـطر، ولعبدالـرحمن بن ثابت وأبي شَـرِيك خَطَر، ولأبي عبس بن جبر خَطَر، ولمحمد بن مسلمة خطر، ولعُبادة بن طارق خَطَر.

قال ابن هشام: ويقال لقَتادة.

قـال ابن إسحاق: ولجبـر بن عَتِيـك نصف خَـطَر، ولأبنيْ الحـارث بن قيس نصف خَطَر، ولابن حزمة والضّحّاك خَـطَر، فهذا مـا بَلَغَنَا من أمـر خيبر ووادي القرى وَمَقاسِمها.

قال ابن هشام: الخَطَر: النصيب. ويقال أخطر لي فلان خَطَراً.

قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

والمهاجرين معه

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عُيَيْنة، عن الأجلح، عن الشَّعبيّ: أنّ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قدِم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فقبّل رسول الله ﷺ بين عينيه[1]، والتزمه وقال: «ما أدري بأيّهما أنا أُسَرّ: بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر»؟

قال ابن إسحاق: وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشيّ عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ، فحملهم في سفينتين، فقدِم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحُدَيبية.

من بني هاشم بن عبد مَناف: جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب، معه امرأته أسماء بنت عُميس الخثعميّة، وابنه عبدالله بن جعفر، وكانت وَلَدته بأرض الحبشة. قُتل جعفر بمُؤْتة من أرض الشام أميراً لرسول الله ﷺ، رجل.

---

(١) احتجّ بهذا الحديث الثوريّ على مالك بن أنس في جواز المعانقة، وذهب مالك إلى أنه مخصوص بالنبيّ ﷺ، وما ذهب إليه سفيان من حمل الحديث على عمومه أظهر، وقد التزم النبيّ ﷺ زيدَ بن حارثة، حين قدِم عليه من مكة. وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام: «تمام تحيتكم المصافحة»، ومنها حديث آخر أنّ أهل اليمن حين قدِموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبيّ ﷺ: إنّ أهل اليمن قد سنّوا لكم المصافحة، وحديث آخر معناه تنزل على المتصافحين مائة رحمة تسعون منها للبادىء. وعن مالك فيها روايتان: الإباحة والكراهة، ولا أدري ما وجه الكراهية في ذلك.. (عن السهيلي في الروض الأنف ٤/٦٧).

ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف: خالد بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس، معه امرأته أمينة بنت خَلَف بن أسعد ـ قال ابن هشام: ويقال: هُمَينة بنت خَلَف ـ وابناه سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد، ولدتهما بأرض الحبشة. قُتل خالد بمرج الصُّفَّر في خلافة أبي بكر الصِّدّيق بأرض الشام؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أميّة بن محرِّث الكِناني، هلكت بأرض الحبشة. قُتل عمرو بأجنادَيْن من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أميّة أبو أُحَيْحة:

ألا ليت شِعْري عنك يا عمرو سائلاً ... إذا شبّ واشتدّت يداه وسُلِّحا
أتترك أمرَ القومِ فيه بَلابل ... تكشف غيظاً كان في الصَّدْرِ مُوجَحا[1]

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص، حين أسلما، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّريبة، من ناحية الطائف، هلك في مالٍ له بها:

ألا ليت مَيْتاً بالظُّرَيْبة شاهدُ ... لما يَفْتَري في الدِّين عمرو وخالد
أطاعا بنا أمرَ النّساء فأصْبحا ... يُعينان من أعدائنا من نُكابد

فأجابه خالد بن سعيد، فقال:

أخي ما أخي لا شاتمٌ أنا عِرْضَه ... ولا هو من سوء المقالة مُقْصِرُ
يقول إذا اشتدّت عليه أموره ... ألا ليت ميْتاً بالظُّرَيْبة يُنشَرُ
فدع عنك ميتاً قد مشى لسبيله ... وأقبِل على الأدنى الذي هو أفقرُ

ومُعَيْقيب بن أبي فاطمة، خازن عمر بن الخطّاب على بيت مال المسلمين، وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وأبو موسى الأشعريّ عبدالله بن قيس، حليف آل عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

---

(١) البلابل: الاضطراب موجحاً: مستوراً.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ: الأسود بن نوفل بن خُوَيلد. رجل.

ومن بني عبدالدّار بن قُصَيّ: جَهم بن قيس بن عبد شُرَحْبيل، معه أبناه عمرو بن جَهم، وخُزيمة بن جهم، وكانت معه امرأته أمّ حَرْملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة، وابناه لها. رجل.

ومن بني زُهرة بن كِلاب: عامر بن أبي وقّاص، وعُتبة بن مسعود، حليف لهم من هُذَيل. رجلان.

ومن بني تيم بن مُرّة بن كعب: الحارث بن خالد بن صخر، وقد كانت معه امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبيلة، هلكت بأرض الحبشة. رجل.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عثمان بن ربيعة بن أُهْبان. رجل.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب، مَحْمِيّة بن الجَزء، حليف لهم من بني زبيد، كان رسول الله ﷺ، جعله على خُمْس المسلمين. رجل.

ومن بني عديّ بن كعب بن لؤيّ: مَعْمَر بن عبدالله بن نَضْلة. رجل.

ومن بني عامر بن لُؤيّ بن غالب: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبدشمس، معه امرأته عَمرة بنت السّعديّ بن وقدان بن عبد شمس. رجلان.

ومن بني الحارث بن فِهْر بن مالك: الحارث بن عبد قيس بن لَقِيط. رجل. وقد كان حمل معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشيّ مع عمرو بن أميّة الضَّمْريّ في السفينتين، فجميع من قدِم في السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلاً.

وكان ممّن هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يقدَم إلاّ بعد بدر، ولم يحمل

النجاشيّ في السفينتين إلى رسول الله ﷺ، ومن قدِم بعد ذلك، ومن هلك بأرض الحبشة، من مهاجرة الحبشة:

من بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف: عُبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، أسد خُزَيمة، حليف بني أُميّة بن عبد شمس، معه إمرأته أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وابنته حبيبة بنت عُبيد الله، وبها كانت تُكَنَّى أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكان اسمها رَملة، خرج مع المسلمين مهاجراً، فلما قدم أرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام، ومات هنالك نصرانيّاً، فخلّف رسول الله ﷺعلى امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُروة، قال: خرج عُبيدالله بن جحش مع المسلمين مسلماً، فلما قدِم أرض الحبشة تنصّر، قال: فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال: فقّحنا وصأصأتم، أي قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد. وذلك أنّ ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضُرب ذلك له ولهم مثلاً: أي أنّا قد فتحنا أعيننا فأبصرنا، ولم تفتحوا أعينكم فتُبصِروا، وأنتم تلتمسون ذلك.

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبدالله، رجل من بني أسد بن خُزيمة، وهو أبو أُميّة بنت قيس التي كانت مع أمّ حبيبة؛ وامرأته بركة بنت يَسار، مولاة أبي سُفيان بن حرب، كانتا ظئريْ[1] عُبيد الله بن جحش؛ وأم حبيبة بنت أبي سفيان، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة. رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ: يزيد بن زَمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، قُتل يوم حُنَين مع رسول الله ﷺ شهيداً؛ وعمرو بن أُميّة بن الحارث بن أسد، هلك بأرض الحبشة. رجلان.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: أبو الروم بن عُمير بن هاشم بن عبد

(١) الظئر: من تُرضع غير ولدها.

مَناف بن عبدالدار؛ وفِراس بن النضْر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مَناف بن عبدالدار. رجلان.

ومن بني زهْرة بن كِلاب بن مُرّة: المطّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم، هلك بأرض الحبشة، ولدت له هنالك عبدالله بن عبدالمطّلب، فكان يقال: إنه كان لأوّل رجلٍ ورث أباه في الإسلام. رجل.

ومن بني تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ: عمرو بن عثمان بن كعب بن سعد بن تَيْم، قُتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقّاص. رجل.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب: هَبّار بن سفيان بن عبدالأسد، قُتل بأجنادَين، من أرض الشام، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وأخوه عبدالله بن سفيان، قُتل عام اليرموك بالشام، في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، يُشكّ فيه أقتل ثَمَّ أمْ لا؛ وهشام[1] بن أبي حُذيفة بن المغيرة، ثلاثة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: حاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب بن وهبْ بن حُذافة بن جُمُح، وابناه محمد والحارث، معه امرأته فاطمة بنت المجلّل. هلك حاطب هنالك مسلماً، فقدِمت امرأته وابناه، وهي أمّهما، في إحدى السفينتين؛ وأخوه حطّاب بن الحارث، معه امرأته فُكَيْهة بنت يسار، هلك هنالك مسلماً، فقدِمت امرأته فُكَيْهة في إحدى السفينتين، وسفيان بن مَعْمَر بن حبيب، وابناه جُنادة وجابر وأمّهما معه حَسَنة، وأخوهما لأمّهما شُرَحْبيل بن حَسَنة؛ وهلك سفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه. ستة نفر.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدالله بن الحارث بن

---

(١) هشام بن أبي حُذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، واسم أبي حُذيفة مِهْشَم، وذكر الواقدي هشاماً. هذا فيمن قدِم من الحبشة غير أنه قيل فيه: هاشم، ولم يذكره موسى بن عُقبة، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة. (الروض الأنف ٤/٦٧).

قيس بن عَـدِيّ بن سعد[1] بن سهم الشـاعر، هلك بـأرض الحبشة، وقيس بن حُذافة بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم، قُتل يوم اليمـامة في خـلافة أبي بكـر الصِّدّيق رضي الله عنه، وعبدالله بن حُذَافَة بن قيس بن عـديّ بن سعد بن سهم، وهـو رسول رسـول الله ﷺ إلى كسـرى. والحـارث بن الحـارث بن قيس بن عـدِيّ؛ وَمَعْمَـر بن الحارث بن قيس بن عـدِيّ؛ وبِشْر بن الحـارث بن قيس بن عَدِيّ؛ وأخ له من أمّه من بني تميم، يقـال له: سعيـد بن عمرو، قُتِـل بأجنـادَين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛ وسعيد بن الحارث بن قيس، قُتل عام اليرموك في خلافة عمـر بن الخطّاب رضي الله عنـه، والسائب بن الحـارث بن قيس، جُرح بالـطائف مع رسـول الله ﷺ، وقُتـل يـوم فِحْـل[2] في خـلافـة عمـر بن الخطّاب رضي الله عنـه، ويقـال: قُتـل يـوم خيبـر، يُشـكّ فيـه، وعُميـر بن رئـاب بن حُذَيفـة بن مِهْشَم بن سعد بن سهم، قُتـل بعين التمر مـع خالـد بن الوليد، مُنْصَرفه من اليمـامة، في خـلافة أبي بكـر رضي الله عنه. أحـد عشر رجلاً.

ومن بني عـديّ بن كعب بن لُؤَيّ: عُروة بن عبـدالعُزّى بن حُـرثـان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عـدِيّ بن كعب، هلك بأرض الحبشـة؛ وعَدِيّ بن نضلة بن عبدالعُزّى بن حرثان، هلك بأرض الحبشة. رجلان.

وقد كان مع عديّ ابنه النُّعمان بن عديّ، فقدِم النعمان مع من قـدِم من المسلمين من أرض الحبشـة، فبقي حتى كـانت خـلافـة عمـر بن الخـطّاب، فاستعمله على مَيْسان، من أرض البصرة، فقال أبياتاً من شعر، وهي:

ألا هـل أتى الحسنـاءَ أنّ حليلَهـا   بمَيْسـان يُسْقَى في زُجاج وحَنْتَم[3]

---

(١) وقد ذكرت بعض النسخ هنا وفيما سيأتي: «سعيد» وهو تحريف. قال السهيلي في الروض الأنف: «وحيثما تكرّر نسب بني عـديّ بن سعـد بن سهم يقـول فيـه ابن إسحـاق «سعيـد» والناس على خلافه، إنّما هو سعد وإنما سعيد بن سهم أخـو سعد، وهـو جدّ آل عمـرو بـن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، وفي سهم سعيدآخر وهو ابن سعيد المذكور».

(٢) فِحل: موضع بالشام: كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم.

(٣) الحنتم: جرار مصبوغة بخضرة.

إذا شئتُ غنّتْني دهـاقينُ قـريـةٍ ... ورقّـاصـةٌ تجـذُو على كـلِّ مَنْسِم[1]
فـإنْ كنت نَدْمـاني فبـالأكبـر اسقِني ... ولا تَـسْقِـني بـالأصـغـر المُـتثـلّم
لـعـلّ أميـرَ الـمـؤمـنـين يـسُـوءه ... تنـادُمنـا في الجَـوْسَق المتهـدِّم[2]

فلما بلغت أبياته عمرَ، قال: نعم والله، إنّ ذلك ليسوءني، فمن لقِيه فليُخْبره أنّي قد عزلته، وعزله. فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال: والله يا أمير المؤمنين، ما صنعت شيئاً مما بلغك أنّي قلته قطّ، ولكنّي كنت امرءاً شاعراً، وجدت فضلاً من قول، فقلت فيما تقول الشعراء؛ فقال له عمر: وايْم الله، لا تعمل لي على عملٍ ما بقيت، وقد قلتَ ما قلت.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر: سُلَيط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر. وهو كان رسول رسول الله ﷺ إلى هَوْذة بن عليّ الحنفيّ باليمامة. رجل.

ومن بني الحارث بن فِهْر بن مالك: عثمان بن غَنْم بن زُهير بن أبي شدّاد؛ وسعد بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أميّة بن ظَرب بن الحارث بن فِهْر، وعِياض بن زُهير بن أبي شدّاد. ثلاثة نفر.

فجميع من تخلّف عن بدر، ولم يقدَم على رسول الله ﷺ مكة، ومن قدِم بعد ذلك، ومن لم يحمل النجاشيّ في السفينتين، أربعة وثلاثون رجلاً.

الهالكون منهم: وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة:

من بني عبد شمس بن عبد مَناف، عُبيدالله بن جحش بن رئاب حليف بني أميّة، مات بها نصرانياً.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ: عمرو بن أُميّة بن الحارث بن أسد.

---

(١) الدهاقين: رؤساء الأقاليم. تجثو: تبرك على ركبتيها. والمَنْسِم: في الأصل طرف خفّ البعير. فاستعاره هنا لطرف قدمها.

(٢) الجَوْسَق: الحصن.

ومن بني جُمَح: حاطب بن الحارث؛ وأخوه حطّاب بن الحارث.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدالله بن الحارث بن قيس.

ومن بني عدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ: عُروة بن عبدالعُزَّى بن حُرثان بن عوف، وعدِيّ بن نضلة. سبعة نفر.

ومن أبنائهم، من بني تَيْم بن مُرّة: موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر. رجل.

مهاجرات الحبشة: وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء، من قدِم منهنّ ومن هلك هنالك ستّ عشرة إمرأة، سوى بناتهنّ اللاتي وُلدن هنالك، من قدِم منهنّ ومن هلك هنالك، ومن خرج به معهنّ حين خرجن:

من قريش، من بني هاشم: رُقية بنت رسول الله ﷺ.

ومن بني أُميّة: امّ حبيبة بنت أبي سفيان، مع ابنتها حبيبة، خرجت بها من مكة، ورجعت بها معها.

ومن بني مخزوم: أم سَلَمة بنت أبي أُمَيّة، قدِمت معها بزينب ابنتها من أبي سَلَمة ولدتها هنالك.

ومن بني تَيْم بن مُرّة: رَيْطة بنت الحارث بن جُبيلة، هلكت بالطريق. وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك: عائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث، هلكن جميعاً، وأخوهنّ موسى بن الحارث، من ماء شربوه في الطريق، وقدِمت بنت لها ولدتها هنالك، فلم يبق من ولدها غيرها، يقال لها فاطمة.

ومن بني سهم بن عمرو: رَملة بنت أبي عوف بن ضُبيرة.

ومن بني عديّ بن كعب: ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: سَودة بنت زَمعة بن قيس؛ وسهلة بنت سُهيل بن عمرو، وابنة المجلّل، وعَمرة بنت السعديّ بن وقدان، وأمّ كلثوم بنت سُهيل بن عمرو.

ومن غرائب العرب: أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان الخثعمية، وفاطمة بنت صفوان بن أُميّة بن محرِّث الكِنانية، وفُكَيْهة بنت يَسار، وبركة بنت يَسار، وحَسَنَة، أمّ شُرَحْبيل بن حَسَنة.

من ولد من أبنائهم بالحبشة: وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة.

من بني هاشم: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

من بني عبد شمس: محمد بن أبي حُذيفة، وسعيد بن خالد بن سعيد، وأخته أمَةَ بنت خالد.

ومن بني مخزوم: زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد.

ومن بني زُهرة: عبدالله بن المُطّلب بن أزهر.

ومن بن تَيْم: موسى بن الحارث بن خالد، وأُخواته عائشة بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث.

الرجال منهم خمسة: عبدالله بن جعفر، ومحمد بن أبي حُذيفة، وسعيد بن خالد، وعبدالله بن عبدالمطّلب، وموسى بن الحارث.

ومن النساء خمس: أَمة بنت خالد، وزينب بنت أبي سَلَمة، وعائشة وزينب وفاطمة، بنات الحارث بن خالد بن صخر.

١ ـ فهـرس
أوائـل الآيـات الكريمة
حسب ورودها في الجزء

فهرس أوائل الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس
قوافي الأشعار والأراجيز

٤ ـ فهرس الأعلام

أ

ب

ح

ش

غ

ل

م

٥ ـ فهرس الأماكن والبلدان

فهرست الجزء الثالث
من سيرة ابن هشام

السيرة النبوية

لابن هشام

"المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ"

علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها

أستاذ دكتور

عمر عبد السلام تدمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الجزء الرابع

الناشر

دار الكتاب العربي

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الكتاب العربي

فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلكس: L.E.٤٠١٣٩ كتاب برقيا: الكتاب ص. ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

عُمرة القضاء[1]

في ذي القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهري ربيع وجُمادَيَيْن ورجباً وشعبان [وشهر] رمضان وشوّالاً، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ. ثم خرج في ذي العقدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرة القضاء، مكان عُمرته التي صدّوه عنها.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عُوَيف بن الأضبط الدّيلي.

ويقال لها عُمرة القَصَاص[2]، لأنهم صدّوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة

(١) انظر عنها في: المغازي للواقدي ٢/٧٣١ ـ ٧٤١، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٢٠ ـ ١٢٣، والمحبّر لابن حبيب ١١٥، والمغازي لعروة ٢٠١ ـ ٢٠٣، وتاريخ الطبري ٣/٢٣ ـ ٢٦، وأنساب الأشراف ١/٣٥٣ رقم ٧٣٩، وتاريخ خليفة ٨٦، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٨، والكامل في التاريخ ٢/٢٢٧، ٢٢٨، وصحيح البخاري ٥/٨٤ ـ ٨٦، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/١٤٨، ١٤٩، وسيرة ابن كثير ٣/٤٢٨ ـ ٤٤٥، وعيون التواريخ ١/٢٧٢ ـ ٢٧٤، ومرآة الجنان ١/١١، والروض الأنف ٤/٧٦ ـ ٧٨.

(٢) عُمرة القَصَاص: وهذا الاسم أَوْلى بها لقوله تعالى: ﴿ **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ** ﴾ وهذه الآية فيها نزلت، فهذا الاسم أَوْلى بها، وسُمّيت عُمرة القَضاء. لأنّ النبيّ ﷺ قاضَى قريشاً عليها، لا لأنه قضى العُمرة التي صُدّ عن البيت فيها، فإنها لم تك فسدت بصدّهم عن البيت، بل كانت عُمرة تامّة متقبَّلَة، حتى إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحِلّ احتملها الريح، فألقتها في الحرم، فهي معدودة في عُمَر النبيّ ـ ﷺ ـ وهي أربع: =

في الشهر الحرام من سنة ستّ، فاقتصّ رسول الله منهم، فدخل مكة في ذي القعدة، في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه، من سنة سبع.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾(1).

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه في عُمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدّثت قريش بينها أنّ محمداً وأصحابه في عُسرة وجَهْد وشدّة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتّهم، عن ابن عباس، قال: صفّوا له

= عُمرة الحُدَيبية. وعُمرة القضاء، وعُمرة الجعْرانة، والعُمرة التي قرنها مع حجّه في حجّة الوداع فهو أصحّ القولين أنه كان قارناً في تلك الحجّة وكانت إحدى عُمَره عليه السلام في شوّال كذلك. روى عُروة عن عائشة وأكثر الروايات أنّهنّ كنّ كلّهنّ في ذي القعدة إلّا التي قرن مع حجّه، كذلك روى الزُّهْريّ، وانفرد مَعْمَر عن الزُّهْريّ بأنه عليه السّلام كان قارناً، وأنّ عُمَره كُنّ أربعاً بعُمرة القران.

وأما حجّاته عليه السلام فقد روى التِّرْمذيّ أنه حجّ ثلاث حجات ثنتين بمكة، وواحدة بالمدينة وهي حجّة الوداع، ولا ينبغي أن يضاف إليه في الحقيقة إلّا حجّة الوداع، وإن كان حجّ من الناس إذا كان بمكة كما روى الترمذي، فلم يكن ذلك الحجّ على سُنّة الحجّ، وكماله، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحجّ منقولاً عن وقته، كما تقدّم في أول الكتاب، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية، ويؤخّرونه في كل سنة أحد عشر يوماً، هذا هو الذي منع النبيّ - ﷺ - أن يحجّ من المدينة، حتى كانت مكة دار إسلام، وقد كان أراد أن يحجّ مَقْفَلَه من تَبُوك، وذلك بإثر فتح مكة بيسير، ثم ذكر أنّ بقايا المشتركين يحجّون، ويطوفون عُراة فأخّر الحجّ، حتى نبذ إلى كلّ ذي عهد عهده، وذلك في السنة التاسعة، ثم حجّ في السنة العاشرة بعد امّحاء رسوم الشِرك، وانحسام سير الجاهلية، ولذلك قال في حجّة الوداع: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض».

والعُمرة واجبة في قول أكثر العلماء، وهو قول ابن عمر وابن عباس، وقال الشعبيّ: ليست بواجبة، وذكر عنه أنه كان يقرئها: ﴿ وَأَتِمُّوا ٱلحَجَّ وَٱلعُمْرَةُ لِله ﴾ بالرفع - أي رفع لفظ العُمرة على جعل ﴿ وَٱلعُمْرَةُ لِله ﴾ كلاماً مستأنفاً لا يعطفها على الحجّ، وقال عطاء: هي واجبة إلّا على أهل مكة، ويكره مالك أن يعتمر الرجل في العام مراراً، وهو قول الحسن وابن سيرين، وجمهور العلماء على الإباحة في ذلك، وهو قول عليّ وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد. قالوا: يعتمر الرجل في العام ما شاء. (الروض الأنف ٤/٧٦، ٧٧).

(١) سورة البقرة - الآية ١٩٤.

عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه؛ فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع[1] بردائه، وأخرج عضُدَه اليمنى، ثم قال: «رحِم امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوّة»[2]، ثم استلم الركن، وخرج يهرول[3] ويُهرول أصحابه معه، حتى إذا واراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرها. فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنّون أنها ليست عليهم. وذلك أنّ رسول الله ﷺ إنّما صنعها لهذا الحيّ من قريش للذي بَلَغه عنهم، حتى إذا حجّ حجّة الوداع فلزِمها، فمضت السُّنَّةُ بها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العُمرة دخلها وعبد الله بن رَواحة آخذ بخطام[4] ناقته يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيلهْ ... خلُّوا فكلّ الخير في رسولهْ
يا ربِّ إنّي مؤمن بقيلِهْ[5] ... أعرف حقَّ الله في قبولهْ
نحن قتلناكم على تأويلهْ ... كما قتلناكم على تنزيلهْ[6]
ضرْباً يُزيل الهامَ عن مَقِيلهْ ... ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليلهْ[7]

---

(١) اضطبع: أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطّى به الأيسر.

(٢) روى البخاري في كتاب المغازي ٥/٨٦ باب عمرة القضاء، عن طريق أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما قدِم النبيّ ﷺ لعامه الذي استأمن قال: «ارْمُلوا»، ليُرِي المشركين قوّتهم، والمشركون من قبل قعيقعان

(٣) يهرول: من الهرولة وهي فوق المشي ودون الجري.

(٤) الخطام: حبل تُقاد به الناقة.

(٥) قِيله: قوله.

(٦) ويُروى: اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء، وهو جائز في الضرورة نحو قول امرىء القيس:

فاليوم أشربْ غير مستقب

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا اتّصل بضمير الجمع، فقد رُوِي عن ابن عمرو أنه كان يقرأ «يأمرْكم وينصرْكم». (الروض الأنف ٤/٧٧).

(٧) انظر القول بألفاظ مختلفة وترتيب مختلف للأبيات في: الطبقات الكبرى ٢/١٢١، وتاريخ الطبري ٣/٢٤، والمغازي لعروة ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ =

قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمّار بن ياسر في غير هذا اليوم[1]، والدليل على ذلك أنّ ابن رَواحة إنّما أراد المشركين، والمشركون لم يقرّوا بالتنزيل، وإنّما يُقتل على التأويل من أقرّ بالتنزيل.

زواج الرسول بميمونة: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبان بن صالح، وعبد الله بن أبي نَجِيح، عن عطاء بن أبي رباح، ومجاهد أبي الحَجّاج، عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ تزوّج ميمونة بنت الحارث[2] في سفره ذلك وهو حرام، وكان الذي زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب[3].

قال ابن هشام: وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل، وكانت أم الفضل تحت العباس، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس[4]، فزوّجها رسول الله ﷺ بمكة، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأتاه حُوَيطب بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبدودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل، في نَفَر من قريش، في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكّلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة؛ فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج عنّا؛ فقال النبيّ ﷺ: «وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهُركم، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه». قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنّا. فخرج رسول الله ﷺ، وخَلّف أبا رافع مولاه على ميمونة، حتى أتاه بها بسَرِف[5]، فبنى بها رسول الله ﷺ

= ١/٢٧٣، وعيون الأثر ٢/١٤٩، والكامل في التاريخ ٢/٢٢٧، والمغازي للواقدي ٢/٧٣٦، ديوان ابن رواحة ١٠٠.

(١) قالهما يوم صفّين، وهو اليوم الذي قُتل فيه عمار، قتله أبو الغادية الفَزاريّ وابن جزء اشتركا فيه. (الروض الأنف ٤/٧٧).

(٢) وأمّها: هند بنت عَوف الكِنانية. (الروض الأنف ٤/٧٧).

(٣) الطبقات لابن سعد ٢/١٢٢، المغازي لعروة ٢٠١، تاريخ الطبري ٣/٢٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) المغازي لعروة ٢٠١.

(٥) مكان قرب التنعيم وبسَرف كانت وفاتها رضي الله عنها حين ماتت، وذلك سنة ثلاثٍ وستّين، =

هنالك، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجّة[1].

ما جاء من القرآن في عُمرة القضية: قال ابن هشام: فأنزل الله عزّ وجلّ عليه، فيما حدّثني أبو عبيدة: **﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلحَقِّ، لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾**[2] يعني خيبر.

= وقيل سنة ستّ وستين، وصلّى عليها ابن عباس، ويزيد بن الأصمّ: وكلاهما ابن أُخت لها، ويقال: فيها نزلت **﴿ وامرأة مؤمنة إنْ وَهَبَتْ نفسَها للنبيّ ﴾** في أحد الأقوال، وذلك أنّ الخاطب جاءها، وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ. واختلف الناس في تزويجه إياها أكان مُحرِّماً أم حلالاً، فروى ابن عباس أنه تزوّجها مُحرِماً، واحتجّ به أهل العراق في تجويز نكاح المُحْرِم، وخالفهم أهل الحجاز، واحتجّوا بنهيه عليه السلام عن أن يَنكح المُحْرِم أو يُنكِح، وزاد بعضهم فيه: أو يخطب من رواية مالك، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصمّ أنّ النبيّ ﷺ تزوّج ميمونة وهو حلال، وخرّج الدارقطني والترمذيّ أيضاً من طريق أبي رافع أنّ النبيّ ﷺ تزوّج ميمونة، وهو حلال. وروى الدارقُطني من طريقٍ ضعيف عن أبي هريرة أنه تزوّجها وهو مُحرِم كرواية ابن عباس. وفي مُسند البزّار من حديث مسروق وعائشة رضي الله عنها، قالت: تزوّج رسول الله ﷺ ـ وهو مُحرم، وإنْ لم تُذكر في هذا الحديث ميمونة، فنكاحها أرادت، وهو حديث غريب، وخرّج البخاري حديث ابن عباس، ولم يعلّله هو، ولا غيره، وروى عن سعيد بن المسيّب أنه قال: غلط ابن عباس أو قال وهم، ما تزوّجها النبيّ ﷺ إلاّ وهو حلال، ولما أجمعوا عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ ـ تزوّجها مُحرماً، ولم ينقل عنه أحد من المحدّثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه الدارقطني في السُنَن من طريق أبي الأسود يتيم عُروة، ومن طريق مطر الورّاق عن عِكرمة، عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ تزوّج ميمونة، وهو حلال، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره، فقف عليها، فإنّها غريبة عن ابن عباس، وهناك مَن يتأوّل قول ابن عباس: تزوّجها مُحرماً، أي: في الشهر الحرام، وفي البلد الحرام، وذلك أنّ ابن عباس رجل عربيّ فصيح، فتكلّم بكلام العرب، ولم يُرد الإحرام بالحجّ، وقد قال الشاعر:

قتلوا ابن عفّان الخليفة مُحرِماً ... ودعا فلم أرَ مثله مخذولا

وذلك أنّ قتله كان في أيام التشريق، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس، أو لا.. (الروض الأنف ٤/٧٧، ٧٨).

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٥.

(٢) سورة الفتح ـ الآية ٢٧.

ذكر غزوة مُؤْتَة[1]
في جُمادى الأولى سنة ثمانٍ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رَواحة

قال ابن إسحاق: فأقام بها بقيّة ذي الحجّة، وولّى تلك الحجّة المشركون، والمحرّم وصفراً وشهري ربيع، وبعث في جُمادى الأولى بعْثَه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن الزُبير، عن عُروة بن الزُبير، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مُؤتةفي جُمادى الأولى سنة ثمانٍ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «إنْ أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإنْ

---

(١) وهي مهموزة الواو، وهي قرية من أرض البلقاء. من الشام، وأما الموتة بلا همزة، فضرب من الجنون. وفي الحديث أنّ النبيّ ـ ﷺ ـ كان يقول في صلاته: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همْزه ونفْخه ونَفْثه» وفسّره راوي الحديث، فقال: نَفْثه: الشِعر، ونفْخه: الكِبْر، وهمْزه: الموتة. (الروض الأنف ٤/٧٨).

وانظر عن الغزوة في: صحيح البخاري ٥/٨٦ ـ ٨٨، والمغازي لعروة ٢٠٤ ـ ٢٠٦، الدرر لابن عبد البرّ ٢٢٢، جوامع السيرة ٢٢٠، الطبقات الكبرى ٢/ ١٢٨ ـ ١٣٠، المغازي للواقدي ٢/٧٥٥ ـ ٧٦٩، المحبّر ١٢٣، تاريخ الطبري ٣/٣٦ ـ ٤٢، البدء والتاريخ ٤/٢٣٠ ـ ٢٣٢، تاريخ خليفة ٨٦، ٨٧، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٨، ٢٥٩، الكامل في التاريخ ٢/٢٣٤ ـ ٢٣٨، نهاية الأرب ١٧/٢٧٧ ـ ٢٨٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ٢/١٥٣ ـ ١٥٦، مرآة الجنان ١/١١ ـ ١٥، سيرة ابن كثير ٣/٤٥٥ ـ ٤٩٣، عيون التواريخ ١/٢٧٩ ـ ٢٨٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/٦٥.

أصيب جعفر فعبد الله بن رَواحة على الناس».

فتجهّز الناس ثم تهيّئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودّع الناس أمراء رسول الله وسلّموا عليهم. فلما ودّع عبد الله بن رَواحة من أمراء رسول الله ﷺ بكى؛ فقالوا: ما يُبكيك يا بن رَواحة؟ فقال: أما واللّهِ ما بي حبّ الدنيا ولا صَبَابة بكم، ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ، يذكر فيها النّار ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾[1]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؛ فقال المسلمون: صَحِبكُم اللَّهُ ودفع عنكم، وردّكم إلينا صالحين؛ فقال عبد الله بن رَواحة:

لكنّني أسأل الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تقْذِف الزَّبَدا[2]
أو طعنةً بيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهزةً[3] ... بحَرْبةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا
حتّى يقال إذا مرُّوا على جَدَثي[4] ... أرشده الله[5] من غازٍ وقد رَشَدا[6]

قال ابن إسحاق: ثم إنّ القوم تهيّئوا للخروج، فأتى عبد الله بن رَواحة رسول الله ﷺ فودّعه، ثم قال:

فثبّتَ اللَّهُ ما آتاك من حُسْنٍ ... تثبيت موسى ونصْراً كالّذي نُصِرُوا
إنّي تفرَّسْت فيك الخيرَ نافلة ... واللَّهُ يعلمُ أنّي ثابتُ البصر
أنت الرسول فمن يُحْرَم نوافِلهُ ... والوجْهَ منه فقد أزرى به القَدَرُ[7]

---

(١) سورة مريم ـ الآية ٧١.
(٢) الفَرْغ: السَّعَة. والزبد: في الأصل الرغوة، ويراد هنا شدّة تدفّق الدم.
(٣) المُجْهِزة: التي تُجْهِز عليه، أي تُسرع في قتله.
(٤) الجدث: القبر.
(٥) في تاريخ الطبري ٣٧/٣ «أرشدك الله». وفي تاريخ الإسلام (المغازي) «يا أرشد الله».
(٦) انظر الأبيات في: تاريخ الطبري ٣٧/٣، والمغازي لعروة ٢٠٤، ٢٠٥، والبداية والنهاية ٢٤٢/٤، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ ٢٧٩/١، ٢٨٠، وعيون الأثر ١٥٣/٢، والكامل في التاريخ ٢٣٥/٢، ومجمع الزوائد ١٥٧/٦، ونهاية الأرب ٢٧٨/١٧ (وفيه بيت واحد) وكذا في طبقات ابن سعد ١٢٨/٢، وديوان ابن رواحة ٨٨.
(٧) انظر الأبيات مع اختلاف الألفاظ في: ديوان ابن رواحة ٩٤، والمغازي لعروة ٢٠٥، والبداية والنهاية ٢٤٢/٤، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ومجمع الزوائد ١٥٨/٦.

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العِلم بالشِعر هذه الأبيات:

أنت الرسول فمن يُحرَمْ نَوافلَهُ والوجْهَ منه فقد أزرى به القدرُ
فثبّت اللَّهُ ما آتاك من حَسنٍ في المرسَلين ونصْراً كالذي نُصِروا
إنّي تفرَّسْت فيك الخيرَ نافلةً فراسةً خالفتُ فيك الذي نظروا

يعني المشركين؛ وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رَواحة:

خَلَفَ السّلامُ على امرىءٍ ودّعْتُهُ في النَّخْل خيرَ مُشَيِّع وخليلِ

ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان[1]، من أرض الشام، فبلغ الناسَ أنّ هِرَقْل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، في مائة ألف من الروم، وانضمّ إليهم من لخْم وجذام والقَيْن وبهراء وبَليّ مئة ألف منهم، عليهم رجل من بَليّ ثم أحد إراشة يقال له: مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكّرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بعدد عدوّنا، فإمّا أنْ يمدّنا بالرجال، وإمّا أن يأمرنا بأمره، فنمضي له.

قال: فشجّع الناس عبدُ الله بن رَواحة، وقال: يا قوم، والله إنّ التي تكرهون، للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة. ما نقاتلهم إلّا بهذا الدّين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسْنَيَيْن إمّا ظهور وإمّا شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رَواحة. فمضى الناس؛ فقال عبد الله بن رَواحة في محبسهم ذلك:

جَلَبْنا الخيلَ من أجإ وفرع[2] تُغَرُّ من الحشيش لها العُكُوم[3]

---

(١) مَعان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. (معجم البلدان ١٥٣/٥).
(٢) في تاريخ الطبري ٣٨/٣ «من آجم قُرْح».
(٣) أجأ: أحد جبلي طيء والجبل الآخر سُلمى. وفرع: مكان بأجأ. تُغَر: تُطْعم مرة بعد أُخرى. =

حَذَوْناها من الصَّوّان سِبْتاً[1] أَزَلَّ كأن صفحَتَه أديم
أقامت ليلتين على مَعَانٍ فأعْقِبَ بعد فترَتها جُمُوم[2]
فَرُحْنا والجيادُ مُسوّماتٌ تَنَفَّسُ في مَناخرها السُّمومُ
فلا وأبي مآبَ لتأتِيَنَّها وإنْ كانت بها عَرَبٌ ورومُ
فعبّأنا أعنّتها فجاءتْ عوابِسَ والغُبارُ لها بَريم[3]
بذي لَجَبٍ كأنّ البَيْضَ فيه إذا بَرَزَتْ قوانِسُها النجومُ[4]
فراضِيَةِ المعيشةِ طَلَّقَتْها أسِنَّتُها فتَنْكِح أو تَئيمُ[5]

= والعُكُوم: جمع عُكم وهو الجبّ.

(١) أي حَذَوناها نعالاً من حديد جعله سِبْتاً لها، مجازاً. وصوّان من الصوْن، أي: يصون حوافرها، أو أخفافها، إنْ أراد الإبل، فهو فعال من الصوْن، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوّان يبس الأرض، أي لا سبْت له إلاّ ذلك، ووزنه فعلان من قولهم: نخلة خاوية أي يابسة، وأنشد أبو علي:

قد أوبيت كل ماء فهي صاوية

ويشهد لمعنى الصوّان هنا قول النابغة الذبياني:

برى وقْع الصوان حدّ نسورها

وعين الفعل في صوان ولامه واو، وأدخل صاحب العين في الصاد والواو والياء هذا اللفظ، فقال: صوى يصوي: إذا يبس، ونخلة صاوية، ولو كان مما لامه ياء، لقيل في صوّان صيّان، كما قيل طيّان وريّان، ولكن لما انقلبت الواو ياء من أجل الكسرة ظنّ الحرف من ذوات الياء. (الروض الأنف ٤/٧٩، ٨٠).

(٢) مَعان: بفتح الميم، وهو اسم موضع، وذكره البكري بضم الميم، وقال: هو اسم جبل، والمعان أيضاً: حيث تُحبس الخيل والركاب، ويجتمع الناس، ويجوز أن يكون مَن أمعنت للنظر، أو من الماء المَعِين، فيكون وزنه فعالاً، ويجوز أن يكون من العون، فيكون وزنه مفعلاً، وقد جنّس المعري بهذه الكلمة، فقال:

مَعان من أحبّتنا معان تجيب الصاهلات بها القيان

و(الروض الأنف ٤/٧٩).

والفترة: السكون. الجُمُوم: اجتماع القوّة.

(٣) البريم في الأصل: الخيط المفتول الذي فيه لونان مختلطان، يريد أنّ لون الخيل اختلط بلون التراب.

(٤) بذي لجب: أي بجيش ذي لَجَب. واللجب اختلاط الأصوات. البَيْض: ما يوضع على الرأس من الحديد ليحميه. والقوانس: أعالي البَيض.

(٥) تئيم: تبقى دون زوج.

والأبيات في تاريخ الطبري ٣/٣٨.

قال ابن هشام: «ويُروى: جلبنا الخيل من آجام قُرْح»، وقوله: «فعبّأنا أعنتها» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رَواحة في حجْره، فخرج بي في سفره ذلك مُرْدفي على حقيبة رَحله، فو الله إنه لَيسير ليلة إذ سمعته وهو يُنشد أبياته هذه:

إذا أدّيْتني وحملْتِ رحْلي ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساء[1]
فشأنُكِ أنعُمٌ وخلاكِ ذَمٌّ ... ولا أرجِعْ إلى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادَروني ... بأرض الشام مُشْتَهيَ الثَّواءِ
وردَّكِ كلُّ ذي نَسَبٍ قريبٍ ... إلى الرحمنِ مُنقطِعُ الإخاء
هنالك لا أبالي طَلْعَ بَعْلٍ[2] ... ولا نخْلٍ أسافِلُها رِواءِ[3]

فلما سمعتهنّ منه بكيت. قال: فخفقني بالدِّرَّة، وقال: ما عليك يا لُكَع[4] أن يرزقني الله شهادةً وترجِع بين شُعبتي الرحْل!.

قال: ثم قال عبد الله بن رَواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز:

يا زيدَ زيدَ اليَعْمُلات الذُّبَّلِ[5] ... تطاوَلَ الليلُ هُدِيتَ فانزِلِ[6]

لقاء الروم وحلفائهم: **قال ابن إسحاق**: فمضى الناس، حتى إذا كانوا بتخوم[7] البَلْقاء لقيتهم جموع هِرَقْل، من الروم والعرب، بقرية من قُرى البَلقاء

---

(١) الحِساء: جمع حسى: ماء يختفي في الرمل حتى يجد مكاناً صلباً فيستقر.

(٢) البعل: من يشرب بعروقه من الزرع دون ريّ.

(٣) الأبيات في تاريخ الطبري ٣/٣٨، ٣٩، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٥، ٢٣٦، ومنها ثلاثة أبيات في عيون الأثر ٢/١٥٤، وأربعة أبيات في المغازي للواقدي ٢/٧٥٩، والبيت الأول في مجمع الزوائد ٩/١٥٨، وكلها في عيون التواريخ ١/٢٨١.

(٤) اللُّكَع: اللئيم أو الأحمق.

(٥) اليَعْمُلات: النوق السريعة. والذُّبَّل: التي أهزلها السير.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٩.

(٧) التخوم: الحدود الفاصلة بين البلاد.

يقال لها مَشَارِف[1]، ثم دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ لها المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرة، يقال له: قُطبة بن قَتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عُباية بن مالك.

قال ابن هشام: ويقال عُبادة بن مالك.

مقتل زيد بن حارثة: قال ابن إسحاق: ثم التقى الناس واقتتلوا، فقاتل زيدبن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط[2] في رماح القوم[3].

مقتل جعفر: ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه[4] القتال اقتحم[5] عن فرس له شقراء، فعقرها[6]، ثم قاتل القوم حتى قُتل. فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام.

وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، **قال**: حدّثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأنّي أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل[7] وهو يقول:

---

(1) انظر معجم البلدان ٥/١٣١ و٢٢٠.
(2) شاط: توزع.
(3) تاريخ الطبري ٣/٣٩.
(4) ألحمه: وقع فيه فلم يجد له مخرجاً.
(5) اقتحم عن فرسه: رمى نفسه من عليها.
(6) عقرها: ضرب قوائمها بسيفه. ولم يُعب ذلك عليه. فدلّ على جوازه مخافة أن يأخذها العدوّ، فيقاتل عليها المسلمين، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم، وقتلها عبثاً. غير أنّ أبا داود خرّج هذا الحديث فقال: حدّثنا النُفَيلي قال: حدثنا محمد بن مَسلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن عبّاد، عن أبيه عبّاد بن عبد الله بن الزُبير، قال: حدّثني: أبي الذي أرضعني، وهو أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغزاة غزاة مؤتة، قال: والله لكأنّي انظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل.
قال: أبو داود: وليس هذا الحديث بالقويّ، وقد جاء فيه نهي كثير عن أصحاب النبيّ ﷺ. (الروض الأنف ٤/٨٠).
(7) سنن أبي داود ٣/٢٩ (٢٥٧٣) كتاب الجهاد باب في الدابة تعرقب في الحرب. وهو في فتح=

ياحبّذا الجنّة واقترابها طيّبةً وبارداً شرابُها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذْ لاقيتُها ضرابُها[1]

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل العلم: أنّ جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، فأخذه بشماله فقُطعت، فاحتضنه بعضُدَيه حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء[2].

= الباري لابن حجر ٥١١/٧، والطبقات لابن سعد ٣٧/١، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١١٨/١، وأسد الغابة لابن الأثير ٣٤٣/٣، وشرح المواهب للزرقاني ٢٧١/٢، ٢٧٢ ورواه الطبراني كما قال عروة في مغازيه ٢٠٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٧/٦، والطبراني في المعجم الكبير ١٠٦/٢ رقم ١٤٦٢.

(١) تاريخ الطبري ٣٩/٣، نهاية الأرب ٢٨٠/١٧.

(٢) وروي عِكرمة، عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ قال: «دخلت الجنة البارحة، فرأيت جعفراً يطير مع الملائكة، وجناحاه مضرّجان بالدم». وعن سعيد بن المسيّب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مُثّل لي جعفر وزيد وعبد الله بن رَواحة في خيمة من دُرّ على أسرة، فرأيت زيداً وعبد الله وفي أعناقهما صدود، ورأيت جعفراً مستقيماً. فقيل لي: إنهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما، ومضى جعفر، فلم يعرض، وسمع النبيّ - ﷺ - فاطمة حين جاء نعي جعفر تقول: واعمّاه، فقال: على مثل جعفر، فلْتَبْكِ البواكي. وكان أبو هريرة يقول: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر. وقال عبد الله بن جعفر: كنت إذا سألت عليّاً حاجة، فمنعني أقسم عليه بحقّ جعفر فيعطيني.

وممّا ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحي الطائر وريشه، لأنّ الصورة الآدمية أشرف الصُّوَر، وأكملها، وفي قوله عليه السلام: «إنّ الله خلق آدم على صورته» تشريف له عظيم، وحاشا لله من التشبيه والتمثيل، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوّة روحانية، أُعطيها جعفر كما أُعطيتها الملائكة، وقد قال الله تعالى لموسى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ فعبّر عن العضُد بالجناح توسّعاً، وليس ثَمّ طَيران، فكيف بمن أُعطي القوّة على الطيران مع الملائكة أخلِق به إذاً: أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يُتوهّم من أجنحة الطير، ولكنها صفات ملكية لا تُفهم إلّا بالمعاينة، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا، ولم يُر طائر له ثلاثة أجنحة، ولا أربعة، فكيف بستمائة جناح، كما جاء في صفة جبريل عليه السلام، فدلّ على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر، ولا ورد أيضاً في بيانها خبر، فيجب علينا الإيمان =

ويقال: إنّ رجلاً من الروم ضربه يومئذٍ ضربة، فقطعه بنصفين[1].

مقتل عبد الله بن رَواحة: قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد قال: حدّثني أبي الذي أرضعني، كان أحد بني مُرّة بن عوف، قال: فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَواحة الراية، ثم تقدّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردّد بعض التردّد، ثم قال:

أقسمتُ يا نفسُ لَتَنْزِلَنّهْ ... لتنزِلَنْ أو لَتُكْرَهِنَّهْ
إنْ أجلب الناس وشدُّوا الرَّنَّهْ[2] ... مالي أراكِ تكرهين الجنّهْ
قد طال ما قد كنتِ مطمئنّهْ ... هل أنتِ إلّا نُطْفَةٌ في شَنَّهْ[3]

وقال أيضاً:

يا نفسُ إلّا تُقْتَلي تموتي ... هذا حمامُ الموت قد صُليت
وما تمنَّيْتِ فقد أُعْطِيتِ ... إنْ تفعلي فِعْلَهُما هُدِيتِ[4]

= بها، ولا يفيدنا علماً إعمال الفِكْر في كيفيتها، وكل امرىء قريب من معاينة ذلك. (الروض الأنف ٤/٨٠).

والحديث ضعيف لجهالة راويه، وأخرجه الترمذي في المناقب (٣٧٦٧) باب مناقب جعفر، والحاكم في المستدرك ٣/٢٠٩ و٢١٣ وفيه بإسناد صحيح على شرط مسلم. وابن حجر في فتح الباري ٧/٧٦ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مرّ بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم أبيض الفؤاد». وفي صحيح البخاري (٣٧٠٩) من طريق الشعبي أن ابن عمر رضي الله عنه كان إذا سلّم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. انظر سير أعلام النبلاء ١/٢١٢ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/١٠٧ رقم ١٤٦٦.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٢٩.

(٢) الرَّنّة: صوت فيه ترجيع يشبه البكاء.

(٣) النُطفة الماء القليل الصافي. الشنّة: السقاء البالي، ضُرب بذلك مثلاً بقِصَر العُمر.

والقول في: تاريخ الطبري ٣/٣٩، ٤٠، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وديوان ابن رواحة ١٠٨، ومجمع الزوائد ٦/١٥٩، والبدء والتاريخ ٤/٢٣١، وعيون التواريخ ١/٢٨٢، وسنن سعيد بن منصور ٢/٢٩٧.

(٤) القول في ديوان ابن رواحة ٨٧، وتاريخ الطبري ٣/٤٠، ونهاية الأرب ١٧/٢٨١، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ومجمع الزوائد ٦/١٥٩.

يريد صاحبيه: زيداً وجعفراً؛ ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعِرْق[1] من لحم فقال: شدّ بهذا صُلبَك، فإنّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهس[2] منه نهسة، ثم سمع الحَطْمة[3] في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيـا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدّم، فقاتل حتى قُتل.

امارة خالد: ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بني العَجْلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم. وخاشى[4] بهم، ثم انحاز وانْحِيز عنه، حتى انصرف بالناس[5].

الرسول يتنبّأ بما حدث: **قال ابن إسحاق:** ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني: «أخذ زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً»؛ قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيّرت وجوه الأنصار، وظنّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رَواحة فقاتل بها حى قُتل شهيداً»؛ ثم قال: «لقد رُفعوا إليّ في الجنة، فيما يرى النائم، على سُرُر

---

(١) العِرْق: عَظْم عليه بعض اللحم.

(٢) انتهس: أخذ اللحم بمقدَّم أسنانه ونَتْشه.

(٣) الحَطْمة: كسْر الناس لبعضهم.

(٤) والمخاشاة. المحاجزة، وهي مفاعلة من الخشية، لأنه خشي على المسلمين لقلّة عددهم فقد قيل: كان العدوّ مائتي ألف من الروم، وخمسين ألفاً من العرب، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين، وفي قول ابن إسحاق: وكان العدوّ مائة ألف وخمسين ألفاً: وقد قيل: إنّ المسلمين لم يبلغ عددهم في ذلك اليوم ثلاثة آلاف، ومن رواه: حاشَى بالحاء المهملة، فهو من الحشي، وهي الناحية، وفي رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قُتيبة في المعارف أنه سئل عن قوله: حاشى بهم، فقال: معناه: انحاز بهم. (الروض الأنف ٤/٨١).

(٥) تاريخ الطبري ٣/٣٩، ٤٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/٢٨١، ٢٨٢، الكامل في التاريخ ٢/٢٣٧، ٢٣٨.

من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رَواحة ازوراراً[1] عن سريرَيْ صاحبيه، فقلت: «عمّ هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردّد عبد الله بعض التردّد، ثم مضى»[2].

حزن الرسول على جعفر: قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن أمّ عيسى الخُزاعية، عن أمّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، عن جدّتها أسماء بنت عُمَيْس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين منّاً ـ قال ابن هشام: ويُروى أربعين منيئة ـ وعجنت عجيني، وغسّلت بَنيّ ودهنتهم ونظّفتهم. قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «ائتيني ببني جعفر»؛ قالت: فأتيته بهم، فتشمّمهم وذرفَتْ عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، ما يُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم، أصيبوا هذا اليوم». قالت: فقمت أصيح، واجتمعت إليّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: «لا تُغفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنّهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم»[3].

---

(١) الازورار: الميل.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٦٠ رواه الطبراني ورجاله ثقات. وانظر الطبقات لابن سعد ٢/١٣٠، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٢، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) وهذا أصل في طعام التعزية وتسميه العرب: الوضيمة، كما تسمّي طعام العرس: الوليمة، وطعام القادم من السفر: النقيعة، وطعام البناء: الوكيرة، وكان الطعام الذي صُنع لآل جعفر فيما ذكر الزُبير، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال: فعمدت سلمى مولاة النبيّ ﷺ إلى شعير، فطحنته، ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً، قال عبد الله، فأكلت منه، وحبسني النبيّ ﷺ مع إخوتي في بيته ثلاثة أيام. (الروض الأنف ٤/٨١، ٨٢).

والحديث روى بعضه ابن ماجه، ورواه أحمد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٦١: وفيه امرأتان لم أجد مَن وثّقهما ولا جرحهما، وبقية رجاله ثقات. انظر: المسند لأحمد ٦/٢٧٠، وابن ماجه في الجنائز (١١٦١) باب ما جاء في الطعام يبعث لأهل الميت. ومسند الشافعي ١/٢٠٨، والأم له أيضاً ١/٢٧٤، وسنن الدارقطني ١٩٠ و١٩٧، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/٦١، وسنن أبي داود في الجنائز (٣١٣٢) باب صنع الطعام لأهل الميت، وسنن الترمذي في الجنائز (٩٩٨) باب في الطعام يصنع لأهل الميت، وأخرجه ابن ماجه أيضاً في الجنائز (١٦١٠) باب ما جاء في الطعام يُبعث إلى أهل الميت. وكلهم من طريق: سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر. وقد صحّحه الحاكم في المستدرك ١/٣٧٢ ووافقه الذهبي في التلخيص، وهو كما قالا. (سير أعلام النبلاء =

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ، قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله الحزن. قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله، إنّ النساء عَنَّيْنَنا وفَتَنَّنا: قال: «فارجع إليهنّ فأسكِتْهنّ». قالت: فذهب ثم رجع، فقال له مثل ذلك ـ قال: تقول وربما ضرّ التكلّف أهله ـ قالت: قال: «فاذهب فأسكتهنّ، فإنْ أبَيْن فاحث في أفواههنّ التراب»، قالت: وقلت في نفسي: أبعدك الله! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمطيعٍ رسولَ الله ﷺ. قالت: وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثي في أفواههنّ التراب(1).

قال ابن إسحاق: وقد كان قُطبة بن قَتادة العُذْريّ، الذي كان على ميمنة المسلمين، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله، فقال قُطبة بن قتادة:

طعنتُ ابنَ زافلة بن الإرا ... ش برُمحٍ مضى فيه ثم انحطم
ضربتُ على جِيده ضَربةً ... فمال كما مال غُصن السَّلَم(2)
وسُقْنا نساءَ بني عمّه ... غَداة رقوقين(3) سَوْق النَّعَم

قال ابن هشام: قوله: «ابن الإراش» عن غير ابن إسحاق.
والبيت الثالث عن خلّاد بن قُرّة؛ ويقال: مالك بن رافلة.

ما قالته كاهنة حَدَس: **قال ابن إسحاق**: وقد كانت كاهنة من حَدَس حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً، قد قالت لقومها من حَدَس، وقومها بطن يقال لهم بنو غَنْم ـ أنذركم قوماً خُزْراً(4)، ينظرون شَزْراً(5)، ويقودون

= 211/1) وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير 108/2 رقم 2472.
(1) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب مَن جلس عند المصيبة يُعرف فيه الحزن. ومسلم في الجنائز (935) باب التشديد في النياحة. والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي).
(2) السلم: شجر العَضَاة. نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة.
(3) رقوقين: اسم موضع.
(4) الخُزر: من يضيّقون عيونهم وينظرون.
(5) الشزْر: نظر العداوة.

الخيل تترى[1]، ويهريقون دماً عَكْراً. فأخذوا بقـولها، واعتـزلوا من بين لَخْم؛ فلم تزل بعُد أثْرى حَدَس. وكان الذين صَلَوُا الحـربَ يومئـذ بنو ثعلبـة، بطن من حَـدَس، فلم يزالـوا قليلاً بعـد. فلما انصـرف خـالـد بـالنـاس أقبـل بهـم قافلاً[2].

الرسول يلتقي بالأبطال: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن جعفر بن الـزُبير، عن عُـروة بـن الـزُبيـر، قـال: لمـا دَنَـوا من حـول المـدينـة تلقّـاهم رسـول الله ﷺ والمسلمون. قـال: ولقيهم الصبيان يشتـدّون، ورسول الله ﷺ مقبـل مع القـوم على دابّة، فقـال: «خذوا الصبيـان فاحملوهم، أعـطوني ابنَ جعفر»، فأُتي بعبـد الله فأخـذه فحمله بين يديـه. قال: وجعـل الناس يحثُـون على الجيش التـراب، ويقولـون: يا فُـرّار، فررتم في سبيـل الله! قال: فيقـول رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفُرّار، ولكنّهم الكُرّار إن شاء الله تعالى»[3].

قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني عبـد الله بن أبي بكـر، عن عـامـر بن عبد الله بن الزُبير، عن بعض آل الحارث بن هشـام وهم أخوالـه، عن أمّ سَلَمة زوج النبـيّ ﷺ، قـال: قـالت أمّ سَـلَمَـة زوج النبيّ ﷺ، قـال: قـالـت أمّ سَلَمَة بن هشام بن العاص بن المغيرة: مالي لا أرى سَلَمة يحضـر الصلاة مـع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخـرج، كلما خـرج

---

(١) في تاريخ الطبري ٤١/٣ «بُتْراً».

(٢) تاريخ الطبري ٤١/٣، ٤٢.

(٣) ورواية غير ابن إسحـاق أنهم قالـوا للنبيّ ﷺ: نحن الفرّارون يـا رسول الله؟ فقـال: «بل أنتم الكـرّارون»، وقال لهم: «أنـا فئتكم»، يريـد: أنّ مَن فرّ متحيّـزاً إلى فئة المسلمين فـلا حرج عليه، وإنّما جاء الوعيد فيمن فرّ عن الإمام، ولم يتحيّز إليه، أي لم يلجأ إلى حوزته، فيكون معه، فالمتحيّـز متفَيْعل من الحَـوْز، ولو كـان وزنه متفعّـلاً كما يـظنّ بعض الناس لقيـل فيه: متحوّز: ورُوي أنّ عمر رضي الله عنه حين بلغه قتل أبي عُبيد بن مسعود وأصحابـه في بعض أيام القادسية، قال: هلاّ تحيّزوا إلينا، فإنّا فيئة لكل مسلم. (الروض الأنف ٨١/٤).

والحـديث أخرجـه ابن سعد في الـطبقات ١٢٩/٢، والـطبري في تـاريخه ٤٢/٣، وابن الأثير في الكامل ٢٣٨/٢، والنويري في نهاية الأرب ٢٨٢/١٧، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي).

صاح به الناس: يا فُرّار، فررتم في سبيل الله، حتى قعد في بيته فما يخرج[1].

ما قيل من الشِعرفي غزوة مُؤتة: قال ابن إسحاق: وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم، قيس بن المسحر اليَعْمُريّ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس:

فوالله لا تَنْفَكُّ نفسي تلومُني ... على موقفي والخيلُ قابعةٌ قُبْلُ[2]
وقفتُ بها لا مستجيراً[3] فنافذاً ... ولا مانعاً من كان حُمَّ له القتْلُ
على أنَّني آسيتُ نفسي بخالدٍ ... ألا خالدٌ في القوم ليس له مِثْلُ
وجاشَتْ إليَّ النفس من نحو جعفرٍ ... بمؤتة إذ لا ينفع النابلَ النَّبْلُ
وضَمَّ إلينا حَجْزَتَيْهم[4] كلَيْهِما ... مُهاجرةٌ لا مشركون ولا عُزْلُ

فبيّن قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره، أنّ القوم حاجزوا وكرهوا الموت، وحقّق انحياز خالد بمن معه.

قال ابن هشام: فأما الزُّهْريّ فقال فيما بَلَغنا عنه: أمَّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد، ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى قفل إلى النبيّ ﷺ.

قال ابن إسحاق: وكان مما بُكي به أصحاب مُؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ **قول** حسّان بن ثابت:

تأوّبني[5] ليلٌ بيثربَ أعسرُ ... وهَمٌّ إذا ما نَوّم الناسُ مُسْهِرُ
لِذكْرَى حبيب هيّجتْ ليَ عَبرةً ... سَفُوحاً وأسبابُ البكاء التذكر

---

(١) تاريخ الطبري ٤٢/٣، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) القُبْل: إقبال نظر كل من العينين على الآخر.
(٣) في سيرة ابن كثير ٤٧٤/٣ «مُستَحيزاً».
(٤) حجزتيهم: ناحيتهم.
(٥) تأوّبني: عاودني ورجع إليّ.

بَـلَى إنّ فِقــدان[1] الـحـبيب بـليّــةٌ　　　وكم من كـريم يُبـتَلَى ثـم يصبـر
رأيـتُ خيـارَ الـمؤمـنيـن تـواردُوا　　　شَعـوبَ وخلْفـاً بعـدهمْ يتـأخّـر
فـلا يُـبْعِـدنّ اللهقـتلى تـتـابَـعُـوا　　　بمؤتـةَ منهم ذو الجنـاحين جعفـر
وزيــدٌ وعبـد الله حيـن تتـابـعـوا　　　جميعـاً وأسبـابُ المنيــةِ تَخْـطِر
غــداةَ مضَـوا بـالمؤمنين يقـودُهم　　　إلى المـوت ميمـونُ النقيبـة أزهـر
أغــرُّ كضـوء البـدر من آل هــاشم　　　أبيٌّ إذا سِيمَ الـظُّلامـةَ مجْسَـر[2]
فـطاعن حتّى مــال غيــر مُـوَسَّـد　　　لـمعُـتَـركٍ فيــه قَـنــاً متكَـسِّـر[3]
فصــار مـع المستشهــدين ثــوابُـهُ　　　جِنــانٌ وملتـفُّ الحـدائـقِ أخضـر
وكنّـا نـرى في جَعفــر من محمـد　　　وفَــاءً وأمـراً حــازمـاً حين يــأمـر
فمـا زال في الإسلام من آل هـاشم　　　دعــائـمُ عــزٍّ لا يُـزلْـن ومَـفْـخَـر
همُ جبـلُ الإسـلام والنـاسُ حـولهم　　　رِضــامٌ إلى طـودٍ يَـرُوق ويقهـر[4]
بهــاليـلُ[5] منهم جعفــر وابن أمّــه　　　عَـليٌّ ومنـهم أحـمــدُ الـمـتـخيَّـر
وحـمــزة والعبّــاس منهم ومنهـمُ　　　عَقيـلٌ ومـاء العـود من حيث يُعصر
بهم تُفْــرَج لـلأواء في كــل مـأزقٍ　　　عَماسٍ[6] إذا ما ضاق بالناس مَصدر
هــمُ أولـيــاءُ الله أنــزل حُـكـمــه　　　عليهم، وفيهم ذا الكتـاب المطهّـر

وقال كعب بن مالك:

نــام العيـونُ ودمــع عينـك يَهْمُــلُ　　　سحّاً كما وكَفَ الطّبابُ[7] المُخْضلُ
فـي ليـلة وردتْ عـليّ هُـمـومُـهـا　　　طــوراً أحِــنّ وتــارةً أتــمـلـمـل

(١) في ديوان حسّان «بلاء وفقدان».
(٢) المِجْسَر: المقدام الجسور.
(٣) في ديوان حسّان «فيه القنا يتكسّر».
(٤) الرِضام: الحجارة المرضومة، وهي المجموعة فوق بعضها. الطود: الجبل.
(٥) البهاليل: السادة.
(٦) العمَاس: المظلم.
(٧) الـطَباب: جمـع طَبابـة، وهي سير بين خـرزتين في المزادة، فـإذا كان غيـر مُحكم وكف منه الماء. (الروض الأنف ٤/٨٣).

واعتادني حزنٌ فبتّ كأنّني ... بناتِ نَعْشٍ والسِّماكِ مُوكَّل[1]
وكأنّما بين الجوانح والحَشَى ... مما تأوّبني شهاب مُدخَل
وَجْداً على النفر الذين تتابعوا ... يوماً بمؤتة أسندوا لم يُنقلوا
صلّى الإلهُ عليهم من فتيةٍ ... وسقى عظامهمُ الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسَهمْ ... حَذَرَ الرَّدى ومخافةَ أن يَنْكُلُوا
فمضوا أمام المسلمين كأنّهمْ ... فُنُقٌ عليهنّ الحديد المُرْفَلُ[2]
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قُدّامَ أوّلهمْ فنعم الأول
حتى تفرّجتِ الصفوفُ وجعفرٌ ... حيث التَقَى وعْثُ[3] الصفوف مُجدّل
فتغيّر القمر المُنير لفقده ... والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادتْ تأفل
قَرْمٌ[4] عَلا بُنيانُه من هاشمٍ ... فَرْعاً أشَمَّ وسؤدَداً ما يُنْقل
قومٌ بهم عصَم الإله عباده ... وعليهمُ نزل الكتابُ المُنْزَل
فَضَلوا المعاشر عِزّة وتكرُّماً ... وتغمَّدتْ أحلامُهُمْ من يَجهل
لا يُطْلِقون إلى السَّفاهِ حُباهُمُ ... ويُرَى خطيبهُمُ بحقٍّ يَفصِل
بِيضُ الوجوه تُرَى بُطونُ أكُفِّهمْ ... تنْدَى إذا اعتذرَ الزمانُ المُمْحِل
وَيهَديهمْ رضي الإله لخلقِهِ ... وبحَدّهمْ نُصِر النبيُّ المرسَل

وقال حسّان بن ثابت يبكي جعفرَ بن أبي طالب رضي الله عنه:

ولقد بكيتُ وعَزَّ مُهْلَكُ جعفرٍ ... حِبِّ النَّبيِّ على البريّةِ كلّها
ولقد جزِعت وقلتُ حين نُعِيتَ لي ... مَنْ للجِلادِ لدى العُقاب وظلّها[5]

---

(١) بنات نعش نوعان: الكبرى وهي سبعة كواكب تُشاهد جهة القطب الشمالي. والصغرى: سبعة كواكب قرب بنات نعش الكبرى. والسِّماك: هما سماكان. نجمان نيّران أحدهما في الشمال ويُعرف «بالرامح» والثاني في الجنوب ويعرف «بالأعزل». والمعنى أنه من طول سهره بات يرعى النجوم.
(٢) الفُنُق: فحول الإبِل. المُرْفَل: السابغ.
(٣) الوعث: الالتحام.
(٤) قَرْم: سيد.
(٥) العُقاب: اسم راية من رايات الرسول عليه السلام.

بـالبِيض حين تُسَلّ من أغمـادها ... ضَـرْباً وإنهـالِ الـرمـاحِ وعلّها[1]
بعـد ابن فـاطمـةَ المُبارك جعفـرٍ ... خيـر الـبـريّـة كـلّهـا وأجلّهـا
رُزْءاً وأكـرمهـا جميعـاً محتـداً ... وأعـزّهـا مُـتـظلّمـاً وأذلّـهـا
للحقّ حين ينـوبُ غيـر تَنَحُّـل ... كـذِباً، وأنْـداها يـداً، وأقلّها[2]
فحشاً، وأكثـرها إذا ما يُجْتَدَى[3] ... فضْـلاً، وأبْـذلها نـدَى، وأبلّهـا
بـالعُـرف غيـرَ محمـدٍ لامثلُه ... حيٌّ من أحيـاء البـريّـة كـلّهـا[4]

وقـال حسّان بن ثـابت في يوم مؤتـة يبكي زيدَ بن حـارثـة وعبـد الله بن رَواحـة:

عينِ جُـودي بـدمعـك المنـزورِ[5] ... واذكُـري في الـرّخاء أهل القبـورِ

---

(١) الإنهال: الشرب الأول. وعلّها: شربها الثاني.
(٢) في هـذا البيت والبيتين اللذين قبله والبيت الذي بعـده تضمين، فقولـه: وأذلّها، ثم قـال في أول بيت آخر: للحقّ، وكذلك قال في البيت الآخر: وأقلّها، وقال في الذي بعده فحشاً..
وذكر قُدامة في كتاب (نقد الشعر) أنه عيب عند الشعراء، ولَعَمْري إنّ فيه مقالاً، لأنّ آخر البيت يوقف عليه، فيوهم الذّمّ في مثل قوله: وأذلّها، وكذلك. وأقلّهـا، وقد غلب الـزبرقـان على المخبّل السعديّ بكلمة قالها وإنْ كان المخبّل أشعر منه، ولكنّه لما قال يهجوه:
وأبـوك بـدر كـان ينتـهـز الـخـصـي ... وأبـي الـجـواد ربـيـعـة بـن قـتـال
وصل الكلام بقوله: وأبي، فقال له الزّبْرقان: فلا بأس إذاً، فضحك من المخبّل، وغلب عليه الزبرقان، فإذا كان هذا معيّباً في وسط البيت، فأحرى أن يُعاب في آخره، إذا كان يوهم الذم ولا يندفع ذلك الوهم إلاّ بالبيت الثـاني، فليس هذا من التحصين على المعـاني والتوقي للاعتراض. (الروض الأنف ٤/٨٣، ٨٤).
(٣) الاجتداء: طلب المعروف.
(٤) البيت في الديوان لفظه:
غـلْ خَيْـر بعـدَ محمـدٍ لا شِبـهُـهُ ... بَـشَـرٌ يُـعـدُّ مـن الـبـريّـة جُـلُّهـا
(٥) النـزر: القليل، ولا يحسن ههنـا ذِكْر القليـل، ولكنه من نـزرت الـرجـل إذا ألححت عليه، ونزرت الشيء إذا استنفدته ومنه قول عمر ـ رحمه الله ـ نزرت رسـول الله ـ ﷺ ـ والأصحّ فيـه التخفيف.
قال الشاعر:
فـخـذ عفـو مَـن تـهـواه لا تـنـزرنـه ... فـعنـد بلوغ الـكـدرنـق الـمـشـارب
(الروض الأنف ٤/٨٤).

واذكـري مؤتـةً ومـا كـان فيـهـا ... يـوم راحـوا في وقعـة التـغـويـر
حيـن راحـوا وغـادروا ثَـمَّ زيـداً ... نِعْم مـأوى الضَّـرِيـكِ[1] والمـأسـور
حِبَّ خيـرِ الأنـام طُـرّاً جميعـاً ... سيِّـد النـاس حُبُّـه في الصَّـدور
ذاكُـمُ أحـمـدُ الـذي لاسِـواه ... ذاك حُـزنـي لـه معـاً وسـروري
إنَّ زيـداً قـد كـان منّـا بـأمـر ... لـيس أمـر المكـذّب المغـرور
ثـم جُـودي للخـزرجي بـدمـع ... سـيِّـداً كـان ثـمّ غـيـر نَـزُور[2]
قـد أتـانـا من قتلهم مـا كفـانـا ... فبحُـزْن نَـبِيـت غيـر سُـرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مُؤْتة:

كَفَى حُـزْنـاً أنّي رجعتُ وجعفـر ... وزَيـد وعـبـدُ الله في رَمْس أقْبُـرِ
قَضَـوا نحبَهمْ لمـا مَضَـوا لسبيلهم ... وخُـلِّفْتُ لـلبلوى مـع المتـغيّـر[3]
ثـلاثـة رَهْط قُـدّمـوا فتقـدّمـوا ... إلى وِرْد مَكْـروه من المـوت أحمـر

تسمية شهداء مؤتة[4]: وهذه تسمية من استُشهد يوم مُؤتة.

من قـريش، ثم من بني هاشم: جعفـر بن أبي طـالب رضي الله عنـه، وزيد بن حارثة رضي الله عنه.

ومن بني عدِيّ بن كعب: مسعود بن الأسود[5] بن حارثة بن نضلة.

ومن بني مالك بن حِسْل: وهْب بن سعد بن أبي سرح.

ومن الأنصـار ثم من بني الحـارث بن الخـزرج: عبـد الله بن رَواحـة، وعبّاد بن قيس.

---

(١) الضريك: الفقير.
(٢) النَزُور: قليل العطاء.
(٣) المتغيّر: الباقي.
(٤) انـظر أسماءهم في: المغـازي لعروة ٢٠٦، والمغـازي للواقدي ٢/٧٦٩، ومجمـع الزوائـد ٦/١٦١، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والبداية والنهـاية ٤/٢٥٩، ونهـاية الأرب ١٧/٢٨٣، وعيون الأثر ٢/١٥٦.
(٥) في تاريخ الإسلام (المغازي): «مسعود بن سويد».

ومن بني غُنْم بن مالك بن النّجّار: الحارث بن النُعمان بن أساف بن نضْلة بن عبد بن عوف بن غُنْم.

ومن بني مازن بن النجّار: سُراقة بن عمرو بن عطيّة بن خنساء.

قال ابن هشام: وممن استُشهد يوم مؤتة، فيما ذكر ابن شهاب:

من بني مازن بن النجّار: أبو كُلَيب وجابر، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما لأبٍ وأم.

ومن بني مالك بن أفصى: عمرو وعامر، ابنا سعد بن الحارث بن عبّاد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى.

قال ابن هشام؛ ويقال أبو كلاب[1] وجابر، ابنا عمرو.

---

(١) وهو المعروف عندهم، وقيل أبو كليب، قال أبو عمر: لا يُعرف في الصحابة أحد يقال له: أبو كليب. (الروض الأنف ٤/٨٤) وأنظر تاريخ الإسلام (المغازي).

ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمانٍ[1]

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جُمادى الآخرة ورجباً.

ما وقع بين بني بكر وخُزاعة: ثم إنّ بني بكر بن عبد مَناة بن كِنانة عَدَت على خُزاعة، وهم على ماءٍ لهم بأسفل مكة يقال له: الوتير، وكان هاج ما بين بني بكر وخُزاعة أنّ رجلاً من بني الحضْرميّ، واسمه مالك بن عبّاد ـ وحلف الحضْرميّ يومئذ إلى الأسود بن رَزْن[2] ـ خرج تاجراً، فلما توسّط أرض خُزاعة، عَدَوْا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فعَدَت بنو بكر على

(١) انظر عن فتح مكة المكرّمة في:
المغازي لعروة ٢٠٨ ـ ٢١٢، والمغازي للواقدي ٢/٧٨٠ ـ ٨٧١، وصحيح البخاري ٥/٨٩ ـ ٩٨، وتاريخ خليفة ٨٧، والمحبّر ١٩٥، والطبقات الكبرى ٢/١٣٤ ـ ١٤٥، وتاريخ الطبري ٣/٤٢ ـ ٦٥، وأنساب الأشراف ١/٣٥٣ ـ ٣٦٤، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٥٩ ـ ٢٦١، والبدء والتاريخ ٤/٢٣٢ ـ ٢٣٥، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٩ ـ ٢٥٥، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٧ ـ ٣١٤، ومجمع الزوائد ٦/١٦١ ـ ١٧٨، وسيرة ابن كثير ٣/٥٢٦ ـ ٥٩٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/١٦٣ ـ ١٨٤، وعيون التواريخ ١/٢٨٨ ـ ٣١٣، ومرآة الجنان ١/١٥، والروض الأنف ٤/٩٥ ـ ١٢١، وتاريخ اليعقوبي ٢/٥٨ ـ ٦١.

(٢) ذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أنّ أبا الوليد أصلحه: رزنا بكسر الراء، قال: والرِّزْن: نقرة في حجر يمسك الماء، وفي كتاب العين: الرزن أكَمَة تُمسك الماء، والمعنى متقارب، وذكر أنّ بني رَزْن من بني بكر، وقد قيل فيه: الدئل. (الروض الأنف ٤/٩٥).

رجل من خُزاعة فقتلوه، فعدت خُزاعة قُبيل الإسلام على بني الأسود بن رَزْن الديلي - وهم منْخر بني كِنانة وأشرافهم - سَلْمى وكلثوم وذُؤَيب - فقتلوهم بعَرَفة عند أنصاب الحَرَم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني رجل من بني الدّيل، قال: كان بنو الأسود بن رَزْن يُودَّوْن في الجاهلية دِيتَين دِيَتَين، ونُودَّى دِيةً دِيةً، لفضلهم فينا[2].

قال ابن إسحاق: فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صُلح الحُدَيبية بين رسول الله وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم، كما حدّثني الزُّهْريّ، عن عُروة بن الزُبير، عن المِسْوَر بن مَخْرمة ومروان بن الحَكَم، وغيرهم من علمائنا: أنه من أحبّ أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعقدهم فليدخل فيه؛ فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خُزاعة في عقد رسول الله وعهده[3].

قال ابن إسحاق: فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر من خُزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رَزْن، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بني بكر تابعه حتى بيَّت خُزاعة وهم على الوتير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت بني بكر قريشٌ بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخْفياً، حتى حازوا[4] خُزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكر: يا نوفل، إنّا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال: كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا

(١) أنصاب الحرم هنا: حجارة توضع بين الحلّ والحرم للفصل بينهما.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٣.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٤٣.
(٤) حازوا: ساقوا.

ثـأركم، فلَعَمْري إنّكم لتُسْرَقون في الحـرم أفلا تصيبـون ثـأركم فيـه؟! وقـد أصابوا منهم ليلة بيّتوهم بالوتير رجلاً يقال لـه مُنبّه وكـان منبّه رجفـلا مفئوداً[1] خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، وقال له منبـه: يا تميم، انـجُ بنفسـك فأمّـا أنا فـوالله إنّي لميّت، قتلوني أو تـركـوني، لقـد انْبَتَّ[2] فؤادي، وانطلق تميم فأفلت، وأدركـوا منبّهاً فقتلوه، فلمـا دخلت خُزاعـة مكة، لجئـوا إلى دار بُدَيل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقـال له رافـع[3]؛ فقال تميم بن أسـد يعتذر من فراره عن منبّه:

لـمـا رأيتُ بـنـي نُـفـاثـةَ أقبـلوا ... يَغْشَـوْن كـلّ وتـيـرة وحجـاب[4]
صخْـراً ورَزْنـاً لا عَـريبَ سِـواهُمُ ... يُـزْجُـون كـلَّ مـقلّص خَـنّـاب[5]
وذكـرتُ ذَحْـلاً[6] عنـدنـا متقـادمـاً ... فيمـا مضى من سـالف الأحـقـاب
ونَشَيْتُ[7] ريـحَ المـوتِ من تِلْقـائهم ... ورهِـبْتُ وَقْـع مُـهَـنَّـد قَـضّـاب
وعــرفتُ أنّ منْ يَثْقَفـوه يتـركـوا ... لحمـاً لِمُجْـريـةٍ وشـلْوَ غُـراب[8]
قــوّمتُ رجْـلاً لا أخـاف عِثارَهـا ... وطـرحت بـالمتْن[9] العـراء ثيـابي
ونجـوتُ لَا ينجـو نجـائي أحقَبٌ ... عِـلْجٌ أقَبُّ مـشـمّـر الأقْـراب[10]

---

(١) مفئوداً: ضعيف الفؤاد.
(٢) انْبَتّ: انقطع.
(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٤ وتاريخ الإسلام (المغازي).
(٤) الوتيرة: الأرض الممتدة. الحجاب: ما اطمأنّ من الأرض.
(٥) لا عريب: لا أحد. المقلّص: الفرس طويل القوائم، مُنْضَمّ البطن. الخنّاب: واسع المِنْخَرين.
(٦) الذَّحْل: طلب الثأر.
(٧) نَشَيْت: شممت.
(٨) المُجْرية: اللبؤة التي لها جراء أي أبناء، الشلْو: بقية الجسد.
(٩) المتن: ظهر الأرض.
(١٠) نجوت: أسرعت. والأحقب: حمار الوحش أبيض العجْز. علْج: غليظ. أقبّ: ضامر البطن. مشمّر الأقراب: مُنقبض الخواصر.

تَلْحَى ولو شهِدَتْ لكان نكيرُها   بَولاً يُبلّ مشافرَ القَبْقابِ[1]
القومُ أعلم ما تركت مُنَبِّهاً   عن طِيب نفْس ٍ فاسألي أصحابي

قال ابن هشام: وتُروى لحبيب بن عبد الله الأعلم الهُذْليّ. وبيته: «وذكرت ذحلاً عندنا متقادماً» عن أبي عُبيدة، وقوله «خنّاب» و «علج أقبّ مشمّر الأقراب» عنه أيضاً.

قال ابن إسحاق: وقال الأخزر بن لُعْط الدِّيليّ، فيما كان بين كِنانة وخُزاعة في تلك الحرب:

ألا هل أتى قُصْوى الأحابيش أنّنا   رَدَدْنا بني كعب بأفْوَق ناصِل[2]
حبسناهم في دارة العبد رافعٍ   وعند بُدَيلٍ مَحْبِساً غير طائل
بدار الذّليل الآخذِ الضَّيْم بعدما   شَفَيْنا النفوسَ منهُمُ بالمَناصِل
حبسناهُمُ حتّى إذا طال يومُهم   نفحْنا لهم من كلّ شِعْبٍ بوابل[3]
نذبحهم ذبْحَ التّيوس كأنّنا   أُسودٌ تَبارَى فيهمُ بالقواصل
همُ ظلمونا واعتدَوْا في مسيرهم   وكانوالدى الأنصاب أولَ قاتل
كأنّهم بالجِزْع إذ يطردونهم   قفاثور حُفّان النعام الجوافل[4]

(١) تلْحَى: تلوم، المشافر: الجوانب. القَبقاب: الفرْج.
(٢) الأحابيش: من تعاهدوا مع قريش وليسوا منهم. الأفوق: السهم الذي انكسر طرفه الذي يلي الوَتَر. والناصل: الذي زال نصْله.
(٣) نفحنا: وسعنا. والشِعْب: ما استوى بين الجبلين. الوابل: في الأصل المطر الشديد وأراد به هنا الدفعة من الخيل.
(٤) الجِزع: ما انعطف من الوادي. قفاثور، يعني: الجبل، وقفا ظرف الفعل الذي قبله، وقال: قفاثور: ولم ينوّن لأنه اسم علم مع ضرورة الشعر، قيل، ولو قال: قفاثور بنصب الراء، وجعله غير منصرف، لم يبعد لأنّ ما لا تنوين فيه، وهو غير معرَّفٍ بألِفٍ ولامٍ ولا إضافة، فلا يدخله الخفض لئلاّ يشبه ما يضيفه المتكلّم إلى نفسه، وقفاثور بهذا اللّفظ تقيّد في الأصل، وظاهر كلام البرقي في شرح هذا البيت أنه بفاثور لأنه قال: الفاثور سَبِيكة الفضة، وكأنه شبّه المكان بالفضّة لنقائه واستوائه، فإنْ كانت الرواية كما قال، فهو اسم موضع، والفاثور: خِوَان من فضّة، ويقال: إبريق من فضة. قيل ذلك في قول جميل: =

فأجابه بُدَيل بن عبد مَناة بن سَلَمة بن عمرو بن الأجبّ، وكان يقال له: بُدَيل ابن أم أصرم، فقال:

تفاقَدَ قومٌ يفخرون ولم نَدَعْ ... لهم سيّدا يَنْدُوهُمُ[1] غيرَ نافِل
أمِنْ خِيفَة القوم الأُلَى تزدريهمُ ... تُجيز الوَتِير[2] خائفاً غير آئِل
وفي كل يوم نحن نحبو[3] حِباءنا ... لعقْل ولا يُحبَى لنا في المعاقل
ونحن صبَحنا بالتَّلاعة داركمْ ... بأسيافنا يَسبقْن لوم العواذل
ونحن منعنا بين بَيْض وعِتْودٍ ... إلى خَيْف رَضْوَى من مَجَرّ القنابل[4]
ويومَ الغَميم قد تكَفَّتَ ساعياً ... عُبَيْسٌ فجعناهُ بجَلْد حُلاحل[5]
أإن أجْمَرت في بيتها أمُّ بعضكم ... بجُعموسها تنزُونَ أنْ لم نُقاتل[6]

= وصدر كفاثور اللُّجَيْن وجِيد

وفي قول لَبيد:

حقائبهم راح عتيق ودرمك ... ومَسْك وفاثورية وسلاسل

وكما قال البرقي: ألفيته في نُسَخٍ صحيحة سوى نُسخة الشيخ، وإنْ صحّ ما في نسخة الشيخ فهو كلام حُذف منه ومعناه: قفَا فاثور، وحسُن حذف الفاء الثانية، كما حسُن حذف اللام الثانية في قولهم: علماء بني فلان لا سيما مع ضرورة الشعر، وترك الصرف، لأنه جعله اسم بقعة، ومن الشاهد على أنّ فاثور اسم بقعة قول لَبِيد:

ويوم طعنتم فاسمعدت وفودكم ... بأجماد فاثور كريم مصابر

أي أنا كريم مصابر، ولذلك قال البكري ولم يذكر فيه اختلافاً. وقال هو اسم جبل يعني فاثور. وقال ابن مقبل:

حيِّ محاضرهم شتّى وجمعهم ... دَوْم الإياد، وفاثور إذا انتجعوا

وقال لَبِيد:

ولدى النُّعمان منّي موطنٌ ... بين فاثور أفاق فالدخل

وحُفّان النَّعام: صغارها، وهو مرفوع لأنه خبر كأن. (الروض الأنف ٤/٩٦).

(١) يندوهم: يجمعهم في النادي.
(٢) الوتير: ماء لخزاعة.
(٣) نحبو: نُعطي.
(٤) بيض منازل بني كِنانة. والعِتْوَد: ماء لهم. الخَيْف: ما انحدر من الجبل. رضوى: جبل بالمدينة.
(٥) الغميم: مكان بين مكة والمدينة. تكَفَّتَ: حاد. عُبيس: اسم رجل. الحُلاحل: السيّد.
(٦) أجمرت: ضرب من الحَدَث يسمج وصفُه ويقبح الجُعْمُوس: العُذْرة.

كــذبتم وبـيتِ الله مــا إن قَـتَـلتُـم ولكنْ تـركْنـا أمـركم في بـلابـل[1]

قال ابن هشام: قوله «غيـر نافـل»، وقولـه «إلى خَيْف رَضْوى» عن غيـر ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وقال حسّان بن ثابت في ذلك:

لحـا الله قومـاً لم نـدعْ من سَـراتهم لهم أحـداً يَنْـدوهُمُ غـيـرَ نـاقبِ
أُخُصْيَيْ حمـارٍ مات بـالأمس نوفـلاً متى كنتَ مِفْلاحـاً عـدوّ الحقـائبِ

خُزاعة تستنجد بـالرسـول: قال ابن إسحـاق: فلما تـظاهرت بنـو بكـر وقـريش على خُزاعـة وأصابـوا منهم ما أصـابوا، ونقضـوا مـا كـان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثـاق بما استحلّوا من خُـزاعة، وكـانوا في عقـده وعهـده، خرج عمـرو بن سـالم الخُـزاعي، أحـد بني كعب، حتى قـدِم على رسول الله ﷺ المدنية، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس، فقال:

يــا ربّ إنّــي نــاشــد مـحـمّــداً حــلْفَ أبيـنــا وأبيــه الأتْــلَدا[2]
قــد كــنـتــمُ وُلْــداً وكـنّــا والــداً ثُـمّـتَ أسـلمنـا فـلم نَنْـزِع يــدا[3]
فــانصُرْ هــداك الله نصـراً اعتَــدا وادعُ عــبــادَ الله يــأتــوا مــددا
فــيـهــم رســول الله قــد تـجــرّدا إنْ سِـيم خسفـاً وجهُـه تـربَّـدا
في فَيْلقٍ كـالبحـر يجـري مُـزْبـدا إنّ قــريشــاً أخلفـوك الـمـوعــدا
ونـقـضــوا مـيـثــاقــك الـمـؤكّــدا وجــعـلوا لــي فــي كَــدَاءٍ رُصّــدا

---

(١) البلابل: وساوس الأفكار.

(٢) الأتلد: القديم.

(٣) يريد أنّ بني عبد مَناف أُمهم من خُزاعة، وكذلك: قُصيّ أمـه: فاطمـة بنت سعد الخُـزاعية، والوَلد بمعنى الوُلد: وقوله: ثُمَّتَ أسلمنا هو من السلم لأنهم لم يكـونوا آمنـوا بعد، غيـر أنه قـال: رُكّعاً وسُجّـداً، فـدلّ على أنـه كـانَ فيهم من صلّى لله، فقُتـل، والله أعلم. (الـروض الأنف ٤/٩٧).

وزعـمـوا أنْ لـسـتُ أدعـو أحَـدَا وهـمْ أذلّ وأقـلّ عـددا
هـمْ بيّتـونـا بـالـوتيـر هُـجَّـدا وقـتّـلونـا رُكّـعـاً وسُـجَّـدا[1]

يقول: قُتِلنا وقد أسلمنا.

قال ابن هشام: ويُروى أيضاً:

فانصر هداك الله نصراً أيِّدا

قال ابن هشام: ويُروى أيضاً:

نحن ولدناك فكنت ولداً

قال ابن إسحاق: **فقال رسول الله ﷺ**: «نُصِرت يا عمرو بن سالم». ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنان[2] من السماء، فقال: إنّ هذه السحابة لَتَسْتَهِلّ بنصر بني كعب»[3].

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء في نفرٍ من خُزاعة حتى قدِموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد قال رسول الله ﷺ للناس: «كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشدّ العقد، ويزيد في المدّة»[4]. ومضى بُدَيل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعُسْفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ، ليشدّ العقد، ويزيد في المدّة، وقد رهبوا الذي صنعوا؛ فلما

---

(١) الأبيات بألفاظ مختلفة في تاريخ الطبري ٣/٤٥، ومجمع الزوائد ٦/١٦٣، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٧، ٢٨٨، والمغازي للواقدي ٢/٧٨٩، وسيرة ابن كثير ٣/٥٢٧، والبدء والتاريخ ٤/٢٣٣ (ثلاثة أبيات)، وأنساب الأشراف ١/٣٥٣، ٣٥٤ (أربعة أبيات)، والكامل في التاريخ ٢/٢٤٠، وعيون الأثر ٢/١٦٤، ١٦٥، وعيون التواريخ ١/٢٨٨، ٢٨٩.

(٢) عَنان: سحاب.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٤٥، تاريخ الإسلام (المغازي)، الطبقات الكبرى ٢/١٣٤، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٦٤ بلفظ: إنّ هذا السحاب لينصبّ بنصر بني كعب.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٥، المغازي للواقدي ٢/٧٩٢.

لقي أبو سفيان بُدَيل بن ورقاء، قال: من أين أقبلت يا بُدَيل؟ وظن أنه قد أتى رسولَ الله ﷺ، قال: تسيّرت في خُزاعة في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي؛ قال: أوَ ما جئتَ محمداً؟ قال: لا؛ فلما راح بُديل إلى مكة، قال أبو سفيان: لئن جاء بُديل المدينة لقد علف بها النَّوَى، فأتى مبرك راحلته، فأخذ من بعرها ففتّه، فرأى فيه النَّوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُديل محمداً[1].

أبو سفيان يطلب الصلح: ثم خرج أبو سفيان حتى قدِم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بُنية، ما أدري أرغِبْتِ بي عن هذا الفراش أم رغِبْتِ به عنّي؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مُشرك نجس، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابك يا بُنيّة بعدي شرّ. ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلّمه أن يكلّم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطّاب فكلّمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجد إلّا الذّرّ لجاهدتكم به. ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها، وعندها حسن بن عليّ، غلام يدبّ بين يديها، فقال: يا عليّ، إنّك أمسُّ القوم بي رَحِماً، وإنّي قد جئت في حاجة، فلا أرجعنّ كما جئت خائباً، فاشفعْ لي إلى رسول الله، فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنية محمد، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنَيّ ذلك

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٦.

أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ[1] قال: يا أبا الحسن، إنّي أرى الأمور قد اشتدّت عليّ، فانصحني، قال: والله ما أعلم لك شيئاً، ولكنّك سيّد بني كنانة، فقم فأجرْ بين الناس، ثم الحقْ بأرضك، قال: أَوَ ترى ذلك مُغْنياً عنّي شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظنّه، ولكني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إنّي أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدِم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلّمته، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قُحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطّاب، فوجدته أدنى العدوّ.

قال ابن هشام: أعدى العدوّ.

قال ابن إسحاق: ثم جئت عليّاً فوجدته ألْين القوم، وقد أشار عليّ بشيءٍ صنعته، فوالله ما أدري هل يُغني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبِمَ أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت. قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك[2].

---

(١) وقد ذكر أبو عُبيدة هذا محتجّاً به على من أجاز أمان الصبيّ وجواره، ومن أجاز جواز الصبيّ إنّما أجازه إذا عقل الصبيّ، وكان كالمراهق.

وقولها: ولا يجير أحد على رسول الله، وقد قال عليه السلام: يجير على المسلمين أدناهم، فمعنى هذا ـ والله أعلم ـ كالعبد ونحوه يجوز جواره، فيما قيل، مثل أن يجير واحداً من العدو أو نفراً يسيراً، وأما أن يجير على الإمام قوماً يريد الإمام غزوهم وحربهم، فلا يجوز ذلك عليهم، ولا على الإمام، وهذا هو الذي أرادت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ والله أعلم، وأما جوار المرأة وتأمينها فجائز عند جماعة الفقهاء إلّا سحنون وابن الماجشون، فإنهما قالا: هو موقوف على إجازة الإمام، وقد قال عليه السلام لأمّ هانيء: قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء، وروى معنى قولهما عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وأما جوار العبد، فجائز إلّا عند أبي حنيفة، وقول النبيّ ﷺ: «ويجير على المسلمين أدناهم» يدخل فيه العبد والمرأة. (الروض الأنف ٤/٩٧).

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٦، ٤٧، تاريخ الإسلام (المغازي)، المغازي للواقدي ٢/٧٩٣، ٧٩٤.

الاستعداد لفتح مكة: وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرّك بعض جهاز رسول الله ﷺ؛ فقال: أي بُنَيّة: أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهّزوه؟ قالت: نعم، فتجهّز؛ قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري، ثم إنّ رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجدّ والتهيّؤ، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها»[1]. فتجهّز الناس.

فقال حسّان بن ثابت يحرّض الناس، ويذكر مُصاب رجال خُزاعة:

عَناني ولم أشهد[2] ببطحاءَ مكّةٍ ... رجالُ بني كعب تُحَزُّ رقابُها
بأيدي رجالٍ لم يَسُلّوا سيوفهم ... وقتلى كثيرٌ لم تُجَنّ ثيابُها[3]
ألا ليت شِعري هل تَنالنّ نُصرتي ... سُهَيلَ بن عمرو وخْزُها وعقابُها[4]
وصفوان عَوْدحنّ من شُفْراسْتِه[5] ... فهذا أوان الحرب شُدّ عصابُها
فلا تأمننّا يا بن أمّ مُجالدٍ ... إذا خُلبتْ صِرْفاً وأعصَل نابُها[6]
ولا تجزعوا منّا[7] فإن سيوفنا ... لها وقعة بالموت يُفتح بابُها[8]

قال ابن هشام: قول حسّان:

«بأيدي رجال لم يَسُلّوا سيوفهم».

يعني قريشاً، «وابن أمّ مجالد» يعني عكرمة بن أبي جهل.

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٧، المغازي للواقدي ٢/٧٩٦، نهاية الأرب ١٧/٢٩١، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) في الديوان: «ورغبنا فلم نشهد»، وفي تاريخ الطبري «أتاني ولم أشهد».
(٣) تُجنّ: تستر، يريد أنهم قُتلوا ولم يستروا بالدفن.
(٤) في تاريخ الطبري «حَرُّها وعقابها».
(٥) في تاريخ الطبري «وصفوان عَوْداً حُزّ من شُفْراسْته».
(٦) أعصل: اعْوَجّ.
(٧) في تاريخ الطبري «منها».
(٨) ديوان حسّان ٤١، ٤٢، تاريخ الطبري ٣/٤٨.

حاطب يحذّر أهل مكة: قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُبير، عن عُروة بن الزُبير، وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بَلْتَعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مُزَينة، وزعم لي غيره أنّها سارة، مولاة لبعض بني عبد المطّلب، وجعل لها جُعلاً على أن تبلّغه قريشاً، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به؛ وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء مما صنع حاطب، فبعث عليَّ بن أبي طالب والزُبير بن العوّام رضي الله عنهما، فقال: أدركا امرأةً قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم، فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيقة، خُلَيقة[1] بني أبي أحمد، فاستنزلاها، فالتمساه في رَحْلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها عليّ بن أبي طالب: إنّي أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتُخْرِجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشِفنَّكِ. فلما رأت الجِدّ منه، قالت: أعرِض، فأعرض، فحلّت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ: فدعا رسول الله ﷺ حاطباً، فقال: «يا حاطب، ما حملك على هذا»؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إنّي لمؤمن بالله ورسوله، ما غيّرت ولا بدّلت ولكنّي كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصلٍ ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله، دعني فلأضربْ عُنُقه، فإنّ الرجل قد نافق: فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدريك يا عمر، لعلّ الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم». فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ .. إلى

---

(١) في تاريخ الطبري «حليفة» بالحاء المهملة. والمثبت بالخاء المعجمة، يتفق مع المغازي للواقدي. وهما موضعان قرب المدينة ذكرهما ياقوت في المعجم.

قوله. ﴿لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بَرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[1]. إلى آخر القصة.

خروج الرسول إلى مكة: قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رُهْم، كُلْثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خَلَف الغِفاريّ[2]، وخرج لعشرٍ مَضَيْن من رمضان، فصام رسول الله ﷺ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكدِيد، بين عُسْفان وأمَج أفطر.

قال ابن إسحاق: ثم مضى حتى نزل مَرّ الظَّهْران في عشرة آلاف من المسلمين، فسبّعت سُلَيم وبعضهم يقول: ألّفت سُلَيم، وألّفَتْ مُزَينة[3]، وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلّف عنه منهم أحد، فلما نزل رسول الله ﷺ مَرّ الظَّهْران، وقد عُمّيت الأخبار عن قريش، فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حِزام، وبُدَيل بن ورقاء، يتحسّسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون

---

(١) أول سورة الممتحنة. والخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٨، ٤٩، وتفسيره ٢٨/٣٩، والمغازي للواقدي ٢/٧٩٧، ٧٩٨، ونهاية الأرب ١٧/٢٩١، ٢٩٢، وتاريخ الإسلام (المغازي).
أما حديث «لعلّ الله اطّلع إلى أهل بدر» ،فقد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسِيَر (٤/٧٢، ٧٣) باب الجاسوس، وفي المغازي (٥/١٨٤، ١٨٥) باب غزوة الفتح. ومسلم في فضائل الصحابة (٧/١٦٧) باب من فضائل أهل بدر وقصّة حاطب بن أبي بلتعة.

(٢) في الطبقات لابن سعد ٢/١٣٥ استخلف: عبد الله بن أمّ مكتوم. وفي المغازي للواقدي ٢/٧٩٩ ان الرسول ﷺ أرسل أبا رُهْم كلثوم بن الحصين إلى بني الحصين إلى بني غِفار وضمرة. ولم يذكر الواقدي الخليفة على المدينة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٦٤ وهو أبو رُهم.

(٣) سبّعت: أي صارت سبعمائة. وألّفت: صارت ألفاً.

به، وقد كان العباس بن عبد المطّلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق[1].

قال ابن هشام: لقيه بالجُحْفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ، فيما ذكر ابن شهاب الزُّهْريّ.

إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أُميّة: **قال ابن إسحاق**: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أُميّة بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنِيق العُقاب[2]، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلّمته أمّ سَلَمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمّك وابن عمّتك وصهرك، قال: «لا حاجة لي بهما، أما ابن عمّي فهتك عِرْضي، وأمّا ابن عمّتي وصِهْري فهو الذي قال لي بمكة ما قال». قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُنَيّ له[3]. فقال: والله لَيأذننّ لي أو لآخذنّ بيدي بُنَيّ هذا، ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموت عطَشاً وجوعاً، فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رقّ لهما، ثم أذِن لهما؛ فدخلا عليه، فأسلما[4].

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه، فقال:

لَعَمْرُكَ[5] إنّي يوم أحملُ رايةً ... لتَغْلِبَ خيلُ الّلات خيلَ محمدِ
لكالمُدْلجِ[6] الحَيْرَان أظلم ليلُه ... فهذا أواني حين أُهْدَى وأهتدي

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٠، مجمع الزوائد ٦/١٦٤، ١٦٥.
(٢) أنظر: معجم ما استعجم ٥٩٥.
(٣) لعلّه يكون جعفراً، فقد كان آنذاك غلاماً مدركاً وشهد مع أبيه حُنَيناً ومات في خلافة معاوية. (الروض الأنف ٤/٩٨).
(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٦٥، تاريخ الطبري ٣/٥٠، ٥١، نهاية الأرب ١٧/٢٩٧، ٢٩٨، وانظر المغازي للواقدي ٢/٨١٠، ٨١١، ورواه الحاكم في المستدرك ٣/٤٣، ٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وتابعه الذهبي في التلخيص.
(٥) في تاريخ الطبري «لعمري».
(٦) المُدْلج: السائر ليلاً.

هـداني هـادٍ[1] غيـرَ نفسي ونـالني ... مـع الله مـن طَـرَّدْتُ كـلَّ مُـطَرَّدِ
أصُـدُّ وأنـأى جـاهـداً عن محمـدٍ ... وأُدْعَى وإنْ لم أنتسبْ من محمـد
همُ مـا همُ من لم يقـل بهـواهُـمُ ... وإنْ كـان ذا رأي يُـلَمْ ويُـفَـنَّـدِ[2]
أريـد لأُرْضِيهـمْ ولسـتُ بـلائطٍ[3] ... مـع القوم مـا لم أُهْدَ في كـلّ مَقْعد
فـقـل لثَـقِيـفٍ لا أريـد قتـالـهـا ... وقـل لثقيفٍ تلك: غَيـري أوْ عِـدي
فما كنتُ في الجيش الذي نال عامراً ... وما كان عن جرًّا[4] لساني ولا يدي
قبـائـل جـاءتْ من بـلادٍ بعيـدةٍ ... نـزائعُ جـاءت من سهـامٍ وسُـرْدُدِ[5]

قال ابن هشام: ويُروَى «ودلّني على الحقّ من طرَّدتُ كلَّ مُطَرَّد».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله:

«ونالني مع الله من طرَّدت كلّ مُطَرَّد» ضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «أنت طردتني كلّ مُطَرَّد»[6].

فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظَّهْران، قال العباس بن عبد المطّلب: فقلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة

---

(١) في تاريخ الطبري «وهادٍ هداني».
(٢) يُفنّد: يكذّب.
(٣) اللائط: الملصق.
(٤) جرّا: من جرّاء.
(٥) سَهام: كسحاب. وسرْدُد: بضم أوله وسكون ثانيه ودال مهملة مضمومة، ويُروى بضمّ أوله وفتح الدال الأولى، وهما موضعان من أرض علكّ.
والأبيات في:
تاريخ الطبري ٣/٥١، والمستدرك للحاكم ٣/٤٤، وتلخيص المستدرك للذهبي ٣/٤٤، ونهاية الأرب للنويري ١٧/٢٩٨، وسيرة ابن كثير ٣/٥٤٤، ومنها الأبيات الثلاثة الأولى في: الكامل في التاريخ ٢/٢٤٣، وعيون الأثر ٢/١٦٨، وعيون التواريخ ١/٢٩٢، وفي تاريخ الإسلام (المغازي) أربعة أبيات.
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٤٤، وتابعه الذهبي في التلخيص ٣/٤٥، تاريخ الطبري ٣/٥١، الكامل في التاريخ ٢/٢٤٣، ٢٤٤.

رسـول الله ﷺ البيضاء، فخـرجت عليهـا. قـال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعليّ أجـد بعض الحَطّابـة أو صاحب لبن أو ذا حـاجة يـأتي مكة، فيخبـرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليـه فيستأمنـوه قبل أن يـدخلها عليهم عَنـوةً. قـال: فـو الله إنّي لأسيـر عليهـا، وألتمس مـا خـرجت لـه، إذ سمعت كـلام أبي سفيـان وبُديـل بن ورقاء، وهمـا يتراجعـان، وأبو سفيـان يقول: مـا رأيت كالليلة نيراناً قطّ ولا عسكراً، قال: يقول بُـدَيل: هـذه والله خُزاعـة حمشتها[1] الحرب. قال: يقول أبو سفيـان: خُزاعـة أذلّ وأقلّ من أن تكـون هذه نيـرانها وعسكـرها؛ قـال: قلت: نعم؛ قال: مـالك؟ فـداك أبي وأمّي؛ قـال: قلت: ويحـك يا أبـا سفيان، هـذا رسول الله ﷺ في النـاس، واصباح قـريش والله. قال: فما الحيلة؟ فـداك أبي وأمّي؛ قال: قلت: والله لئن ظفـر بك ليضـربَن عُنقـك، فاركب في عجـز هذه البغلة حتى آتي بـك رسول الله ﷺ فـأستـامنـه لك؛ قال: فركب خلفي ورجع صاحباه؛ قال: فجئت به كلّما مررت بنـارٍ من نيـران المسلمين قالـوا: من هذا؟ فـإذا رأوا بغلة رسـول الله ﷺ وأنـا عليهـا، قالوا: عمّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال: من هذا؟ وقام إليّ؛ فلمـا رأى أبا سفيـان على عجز الـدّابّة، قال: أبو سفيان عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغيـر عقـد ولا عهد، ثم خـرج يشتدّ نحـو رسول الله ﷺ، وركضتُ البغلة، فسبقتـه بمـا تسبق الـدّابّـة البـطيئـة الـرجـل البـطيء. قـال: فـاقتحمت عن البغلة، فـدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر، فقال: يا رسـول الله، هذا أبـو سفيان أمكن الله منـه بغيـر عقـد ولا عهـد، فـدعني فـلأضـربْ عُنقـه، قـال: قلت: يا رسول الله، إنّي قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ، فأخذت بـرأسه، فقلت: والله لا ينـاجيه الليلة دوني رجـل؛ فلما أكثـر عمر في شـأنـه، قـال: قلت: مهلاً يا عمر، فو الله أن لـو كان من بني عـدِيّ بن كعب ما قلت هـذا، ولكنّـك قد عـرفت أنه من رجـال بني عبد مَنـاف، فقـال: مهـلاً يـا عبـاس فـوالله

(١) حمشتها: هيَّجْتها، وأحرقتها.

لإسلامُك يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطّاب لو أسلم، وما بي إلاّ أنّي قد عرفت أنّ إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ: «اذهب به يا عباس إلى رَحْلك، فإذا أصبحت فأْتني به»، فذهبت به إلى رَحْلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: «ويْحك يا أبا سفيان، ألم يأْنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله»؟ قال: بأبي أنت وأميّ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنّي شيئاً بعد، قال: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله»؟ قال: بأبي أنت وأمّي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه واللَّهِ فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً. فقال له العباس: ويْحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عُنقك. قال: فشهد شهادة الحَقّ، فأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجل يحبّ الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمِن، ومن أغلق بابه فهو آمِن، ومن دخل المسجد فهو آمِن»، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل[1]، حتى تمرّ به جنود الله فيراها». قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي، حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه[2].

عرْض الجيش على أبي سفيان: قال: ومرّت القبائل على راياتها، كلّما مرّت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سُلَيم، فيقول: مالي ولسُلَيم، ثم تمرّ القبيلة فيقول: يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: مُزَينة، فيقول: مالي ولمُزَينة، حتى نفدت القبائل، ما تمرّ به قبيلة إلاّ يسألني عنها، فإذا أخبرته

---

(١) الخطم: الأنف، شيء يخرج من الجبل يضيق به الطريق، فتتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضاً.

(٢) تاريخ الطبري ٥٢/٣ ـ ٥٤، مجمع الزوائد ١٦٥/٦ ـ ١٦٧، نهاية الأرب ٢٩٩/١٧ ـ ٣٠١، الكامل في التاريخ ٢٤٤/٢ ـ ١٤٦، عيون الأثر ١٦٨/٢ ـ ١٧٠.

بهم، قال: مالي ولبني فلان، حتى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

قال الحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُرِيّ:

ثمّ آحجُرا أعني ابنَ أمّ قَطَام ولــه فــارســيّــة خــضــراء

يعني الكتيبة، وهذا البيت في قصيدة له.

وقال حسّان بن ثابت الأنصاريّ:

لمـا رأى بدراً تسيـل جِـلاهُـهُ بكتيبـة خضراء من بَلْخَزْرجِ

وهذا البيت في أبياتٍ له قد كتبناها في أشعار يوم بدر.

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصار، رضي الله عنهم، لا يُـرى منهم إلّا الحَدَق من الحديد، فقال: سبحان الله: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَـل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغَداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنّها النُّبوَّة. قال: فنعم إذن.

قال: قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بـأعلى صوتـه: يـا معشر قـريش، هذا محمـد جـاءكم فيمـا لا قِبَـل لكم بـه، فمن دخـل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هنـد بنت عُتبة، فـأخذت بشـاربه، فقـالت: اقتلوا الحَمِيت الدَّسِم الأحمس[1] قُبّح من طليعـة قوم قـال: ويلكم لا تغرّنّكم هذه من أنفسكم فإنّه قد جاءكم ما لا قِبَـل لكم به، فمن دخـل دار أبي سفيان فهو آمِن، قالوا: قاتلك الله! ومـا تُغني عنّا دارك، قـال: ومن أغلق عليه بـابه

---

(١) الحَميت: الـزّق، نَسَبه إلى الضّخم والسُّمْن، والأحمس: الـذي لا خير عنـده، من قـولهم: عامٌ أحمس إذا لم يكن فيه مطر، وزاد عبد بن حُميد في حديثه أنها قالت: يا آل غالب اقتلوا الأحمق، فقال لها أبو سفيان: والله لتُسْلمـنَّ أو لأضـربنّ عنقك، وفي إسـلام أبي سفيان قبـل هند وإسلامها قبل انقضاء عدّتها، ثم استقرًا على نكـاحهما، وكـذلك حكيم بن حِـزام مع امـرأته حجّة للشافعي، فـإنّه لم يفـرّق بين أن تَسلم قبله أو يُسلم قبلها، مـا دامت في العدّة. وفـرّق مالك بين المسألتين على ما في الموطأ وغيره. (الروض الأنف ٤/ ٩٩).

فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمِن، فتفـرّق النّاس إلى دُورهم وإلى المسجد[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكـر: أنّ رسول الله ﷺ لمـا انتهى إلى ذي طُوَى وقف على راحلته معتجراً بشقّة بُـرْدٍ حِبَرَة[2] حمـراء، وإنّ رسـول الله ﷺ ليضع رأسـه تواضعـاً لله حين رأى ما أكـرمه الله بـه من الفتح، حتى إنّ عُثْنُونه ليكاد يمسّ واسطة الرَّحْل[3].

إسلام أبي قُحافة: قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير، عن أبيه، عن جدّته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طُوى قال أبو قُحافة لابنةٍ[4] من أصغر ولده: أي بُنَيّة، اظهري بي على أبي قُبيس[5]، قالت: وقد كُفّ بصره، قالت: فأشرفتُ بـه عليه، فقـال: أي بُنَية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مقبلاً ومدبـراً، قال: أي بُنَيـة، ذلك الـوازع يعني الذي

---

(١) أخرج الحديث بطوله: الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٥/٣ ـ ١٦٧ وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. وانظر تاريخ الطبري ٥٢/٣ ـ ٥٤، والكامل في التاريخ ٢٤٤/٢ ـ ٢٤٦، ونهاية الأرب ٢٩٩/١٧ ـ ٣٠٢، وعيون الأثر ١٦٨/٢ ـ ١٧٠، وعيون التواريخ ٢٩٣/١ ـ ٢٩٦، وسيرة ابن كثير ٥٤٦/٣ ـ ٥٥١، وبعضه في الطبقات الكبرى ١٣٥/٢، وشرح السّنة للبغوي ١٤٨/١١، ١٤٩ وأخرج البخاري بعضاً منه في المغازي (٩١/٥) باب أين ركز النبيّ ﷺ الراية يوم الفتح، عن عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه.

(٢) بُرْد حِبَرَة: بكسر الحاء وفتح الباء كعِنَبَة، وهي مفردة والجمع حِبَر وحِبَرات كعنبة وعِنَب وعِنَبات، ويقال: بُرد حِبَرَة على الوصف وبُرْد حِبَرَة على الإضافة، وهو أكثر في استعمالهم، ويقال بُرد حبير على الوصف وهو ثوب يمان يكون من قطن أو كتّان مخطّط محبّر أي مزيّن، والتحبير والتزيين والتحسين. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج ١ ق ٢ ٦١/٢).

(٣) أخرج الحاكم نحوه في المستدرك ٤٧/٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) واسمها: أم فروة زوجة تميم الداري ومن بعده الأشعث بن قيس، أو هي قريبة تزوجها قيس بن سعد بن عبادة.

(٥) أبو قبيس: جبل بمكة.

يأمر الخيل، ويتقدّم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، قالت: فقال: قد والله إذن دُفعت الخيل. فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطّت به، وتلقّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، قالت: وفي عنق الجارية طوق من ورق[1]، فتلقّاها رجل فيقتطعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلّا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه»؟ قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت. قال: قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم»، فأسلم[2]، قالت: فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثغامة[3]، فقال رسول الله ﷺ: «غيّروا هذا من شعره»[4]، ثم قام أبو بكر

---

(١) الطوق: القلادة تطوّق العنق. الورق: الفضة.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٤٦/٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وتابعه الذهبي في التلخيص، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٣/٦، ١٧٤، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) الثغامة. واحدة الثغام، نبات أبيض الشجر والزهر، يشدّد بياضه إذا يبس.

(٤) هو على الندب، لا على الوجوب، لما دلّ على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغيّر شيبه، وقد رُوي من طريق أبي هُريرة أنه خضب. وقال من جمع بين الحديثين: إنما كانت شيبات يسيرة يغيّرها بالطِّيب. وقال أنس: لم يبلغ النبيّ ﷺ حدّ الخضاب. وفي البخاري عن عثمان بن موهب: قال: أرتني أم سَلَمة شعراً من شَعر رسول الله ﷺ - وفيه أيضاً عن ابن موهب قال: بعثني أهلي بقدح إلى أم سَلمة، وذكر الحديث، وفيه اطّلعت في الجلجل فرأيت شعرات حُمراً، وهذا كلام مشكل وشرحه في مُسند وكيع بن الجراح قال: كان جلجلاً من فضّة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله ﷺ.

فإن قيل فهذا يدلّ على أنه كان مخضوب الشيب، وقد صحّ من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنّما كانت شُعيرات تُعدّ.

فالجواب: أنه لما توفي خضب من عنده شيء من شعره: تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك قال الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له، وكان أبو بكر يخضِب بالحنّاء والكتم، وكان عمر يخضِب بالصُّفْرة، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر.

وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق في شَيْب أبي قُحافة: وجنّبوه السواد وأكثر العلماء على كراهة الخضاب بالسواد من أجل هذا الحديث، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهي لمن خضب بالسواد، وقيل: أول من خضب بالسواد فرعون وقيل: أول من خضب به من العرب عبد المطّلب، وترخّص قوم في الخضاب بالسواد منهم محمد بن علي، ورُوي عن عمر أنه قال: أخضبوا بالسواد، فإنه أنكى للعدوّ، وأحبّ للنساء. وقال=

فأخذ بيد أخته، وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي، فلم يجبه أحد، قالت: فقال: أي أُخَيّة، احتسبي طوقك، فوالله إنّ الأمانة في الناس اليوم لقليل[1].

دخول مكة: **قال ابن إسحاق:** وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح أنّ رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طُوَى، أمر الزُّبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدى، وكان الزُّبير على المجنّبة اليسرى، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل في بعض الناس من كَداء[2].

قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أنّ سعداً حين وجّه داخلاً، قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلّ الحُرمة، فسمعها رجل من المهاجرين ـ **قال** ابن هشام: هو عمر بن الخطّاب ـ فقال: يا رسول الله: اسمع ما قال سعد بن عُبادة، ما نأمن أن يكون له في قريش صَولة، فقال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب: «أدركه، فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها»[3].

= ابن بطّال في الشرح: إذا كان الرجل كهلاً لم يبلغ الهرم جاز له الخضاب بالسواد، لأنّ في ذلك ما قال عمر رضي الله عنه من الإرهاب على العدوّ والتحبّب إلى النساء، وأما إذا قوّس واحْدَوْدَبَ فحينئذ يُكره له السواد، كما قال رسول الله ـ ﷺ في إبي قُحافة: غيّروا شيبه، وجنّبوه السواد. (الروض الأنف ٤/١٠٠) وحديث غيّروا هذا الشيب أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٣٨.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/٤٦، ٤٧، التلخيص ٣/٤٦، ٤٧، مجمع الزوائد ٦/١٧٣، ١٧٤ وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات.

(٢) كداء بفتح الكاف والمدّ، وهو بأعلى مكة. وكُدى وهو من ناحية عَرَفة، وبمكة موضع ثالث يقال: كُدا بضمّ الكاف والقصر، وأنشدوا في كدَاء وكُدي:

أقفرت بعد عبد شمس كَداء فكُدى فالركن فالبطحاء

وبكَداء وقف إبراهيم عليه السلام حين دعا لذرّيته بالحرم. كذلك روى سعيد بن جُبير، عن ابن عباس. فقال: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ فاستجيبت دعوته، وقيل له: أذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً. ألا تراه يقول يأتوك» ولم يقل يأتوني، لأنها استجابة لدعوته فمن ثم ـ والله أعلم ـ استحبّ النبيّ ﷺ إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لأنه الموضع الذي دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم. (الروض الأنف ٤/١٠٠، ١٠١).

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٦.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح في حديثه: أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد، فدخل من اللِّيط، أسفل مكة، في بعض الناس، وكان خالد على المجنِّبة اليمنى، وفيها أسلم وسُليم وغِفار ومُزَينة وجُهَينة وقبائل من قبائل العرب. وأقبل أبو عُبيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين ينصبّ لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذَاخِر، حتى نزل بأعلى مكة، وضُربت له هنالك قبّته[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، وعبد الله بن أبي بكر: أنّ صفوان بن أُميّة، وعِكْرمة بن أبي جهل، وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا، وقد كان حِماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر، يعدّ سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ، ويصلح منه، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله إنّي لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال:

إن يُقبلوا اليوم فما لي علّه ... هذا سلاح كامل وألّه[2]
وذو غِرَارَيْن[3] سريعُ السَّلّه

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسُهيل وعِكرمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كُرْز بن جابر، أحد بني محارب بن فِهْر، وخُنَيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بني مُنقذ، وكانا في خيل بن الوليد فشذّا عنه فسلكا طريقاً غير طريقه فقُتلا جميعاً، قُتل خُنيس بن خالد قبل كُرْز بن جابر، فجعله كُرز بن جابر بين رِجْليه، ثم قاتل عنه حتى قُتل، وهو يرتجز ويقول:

(١) تاريخ الطبري ٥٧/٣.
(٢) الالة: الحربة ذات السنان الطويلة.
(٣) غِرارين: حدّين.

قد علمت صفراء من بني فهر نقيّة الوجه نقيّة الصدرْ[1]
لأضربنّ اليوم عن أبي صَخِرْ

قال ابن هشام: وكان خُنيس يُكنّى أبا صخر، قال ابن هشام: خُنيس بن خالد، من خُزاعة[2].

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الله بن أبي نَجيح وعبد الله بن أبي بكر، قالا: وأصيب من جُهينة سلمة بن المِيْلاء، من خيل خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين ناس قريب من أثني عشر رجلاً، أو ثلاثة عشر رجلاً، ثم انهزموا، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلقي عليّ بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدتِ يوم الخندمهْ إذ فرّ صفوان وفرّ عِكرمهْ
وأبو يزيد قائم كالموتِمَهْ واستقبلتهم بالسيوف المسلمه[3]
يقطعنْ كلَّ ساعدٍ وجُمجمهْ ضرباً فلا يُسمعُ إلّا غمغمهْ
لهم نهيتٌ خلفنا وهمهمهْ[4] لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه[5]

---

(١) قوله: من بني فهر بكسر الهاء وأبو صَخِر: هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن، فإنّ منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل في الوقف، وذلك إذا كان الاسم مرفوعاً أو مخفوضاً، ولا يفعلون ذلك في النصب وعلله مستقصاة في النحو. (الروض الأنف ٤/١٠١، ١٠٢).

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٧، ٥٨.

(٣) وقوله: وأبو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة، فيه حجّة لعثمان بن سعيد بن عبد الله المصري المشهور بوَرْش حيث أبدل الهمزة ألفاً ساكنة، وهي متحرّكة، وإنّما قياسها عندالنحويين أن تكون بين بين ومثل قوله: وأبو يزيد، قول الفرزدق.
فارعي فزار لا هناك المرتع
وإنّما هو هناك بالهمزة وتسهيلها بَين بَين فقلبها ألِفاً على غير القياس المعروف في النحو، وكذلك قولهم المنساة وهي العصا، وأصلها الهمزة، لأنها مفعلة من نسأت، وهي في التنزيل كما ترى في قوله تعالى: «ما دلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل مِنْسَأَتَه». (الروض الأنف ٤/١٠٢).

(٤) النهيت والهمهمة: أصوات.

(٥) الخبر والرجز في تاريخ الطبري ٣/٥٨.

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشِعر قوله «كالموتمه» وتُروى للرّعّاش الهُذلي.

شعار المسلمين يوم فتح مكة: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحُنين والطائف، شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عُبيد الله.

من أمر النبيّ بقتلهم: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد عهِد إلى أمرائه من المسلمين، حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يقاتلوا إلاّ من قاتلهم، إلا أنه قد عهِد في نفر سمّاهم أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد، أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

وإنّما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتدّ مشركاً راجعاً إلى قريش، ففرّ إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيّبه حتى أُتي به رسول الله ﷺ بعد أن أطمأنّ الناس وأهل مكة، فاستأمن له. فزعموا أنّ رسول الله ﷺ صمت طويلاً، ثم قال: «نعم»، فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: «لقد صمتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عُنقه». فقال رجل من الأنصار: فهلاّ أو مأت إليَّ يا رسول الله؟ قال: «إنّ النّبي لا يقتل بالإشارة»[1].

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاّه عمر بن الخطّاب بعض أعماله، ثم ولاّه عثمان بن عفّان بعد عمر.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خَطَل، رجل من بني تَيْم بن غالب: إنّما أمر بقتله أنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدّقاً، وبعث معه رجلاً من

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٨٥٩، تاريخ الطبري ٣/٥٨، ٥٩، تاريخ الإسلام (المغازي)، سيرة ابن كثير ٣/٥٦٤، عيون الأثر ٢/١٧٥، شفاء الغرام ٢/٢٢٥ (بتحقيقنا).

الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تَيْساً، فيصنع له طعاماً، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتدّ مشركاً.

وكانت له قينتان: فرتني وصاحبتها، وكانتاتغنّيــانبهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه[1].

والحُـويـرث بن نُقيــذ بن وهْب بن عبـد بن قُصَيّ، وكــان ممن يؤذيـه بمكة[2].

قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطّلب حمل فاطمة وأم كلثوم، ابنتي رسـول الله ﷺ من مكة يـريد بهمـا المدينـة، فنخس بهما الحُـويرث بن نُقيذ، فرمى بهما إلى الأرض.

قــال ابن إسحـاق: ومِقْيس بن حُبـابة[3]: وإنّمـا أمر رسـول الله ﷺ بقتله، لقتل الأنصاريّ الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركاً.

وسـارة[4]، مـولاة بعض بني عبـد المـطلب، وعكـرمـة بن أبي جهـل. وكانت سارة ممن يؤذيــه بمكة، فأما عِكْـرمة فهـرب إلى اليمن وأسلمت امرأتـه أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ، فـأسلم[5]. وأما عبد الله بن خَطَل، فقتله سعيد بن حُريث المخزومي وأبـو برزة الأسلميّ،

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٨٥٩، ٨٦٠، تاريخ الطبري ٣/٥٩، تاريخه الإسلام (المغازي) سيـرة ابن كثير ٣/٥٦٤، عيون الأثر ٢/١٧٦، شفاء الغرام ٢/٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) تاريخ الطبـري ٣/٦٠، أنساب الأشـراف ١/٣٥٧ رقم ٧٤٣، الـطبقـات الكبـرى ٢/٩٨، المغازي للواقدي ٢/٨٢٥.

(٣) في تـاريخ الـطبري ٣/٦٠، وتـاريخ الإسـلام (المغازي) ٥٥٢ (بتحقيقنـا)، ومعجم الشعراء للمرزباني ٤٦٧، والمحبّر ٢٤٠ «صُبابة»، وفي حماسـة البحتري ص ١٧٦ «ضُبـابة» بـالضاد المعجمة.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٥٩.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٥٩، المغازي للذهبي ٥٥٢.

اشتركا في دمه[1]، وأما مِقْيس بن حُبابة فقتله نُميلة بن عبد الله، رجل من قومه، فقالت أخت مِقْيس في قتله:

لَعَمْري لقد أخزى نُميلةُ رهْطَهُ   وفجَّع أضيافَ الشتاء بمقيَسِ
فللَّه عيناً من رأى مثلَ مِقْيَسٍ   إذا النُّفَساءُ أصبحتْ لم تُخَرَّسِ[2]

وأما قَيْنتا ابن خَطَل فقُتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمّنها، وأما سارة فاستؤمن لهافأمّنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطّاب بالأبطح فقتلها، وأما الحُويرث بن نُقيذ فقتله عليّ بن أبي طالب[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مُرّة، مولى عَقِيل بن أبي طالب، أنّ أمّ هانىء بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة، فرّ إليّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هُبيرة بن أبي وهْب المخزومي، قالت: فدخل عليٌّ عليٌّ بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إنّ فيها لَأثرَ العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشّح به ثم صلّى ثماني ركعات من الضُّحَى ثم انصرف إليّ، فقال: «مرحباً وأهلاً يا أمّ هانيء، ما جاء بك»؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ؛ فقال: قد أجَرْنا من أجَرْتِ، وأمّنّا من أمّنْتِ، فلا يقتلهما»[4].

---

(١) الطبري ٣/٦٠.

(٢) التخريس: نوع من الطعام يُصنع للمرأة بعد ولادتها. واسمه خُرس وخُرسة: بضمّ الخاء، وإنما أرادت به زمن الشدّة. أنظر القول في الطبري ٣/٦٠.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الحيض (١/١٨٢، ١٨٣) باب تستّر المغتسل بثوب ونحوه، وكتاب صلاة المسافرين وقصرها (٢/١٥٧، ١٥٨) باب استحباب صلاة الضحى وأنّ أقلّها ركعتان وأكملها ثمان ركعات، وابن سعد في الطبقات ٢/١٤٤، ١٤٥.

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزُهير بن أبي أُميّة بن المُغيرة.

الرسول يدخل الحرم: قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُبير، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة، أنّ رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمأنّ الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبْعاً على راحلته، يستلم الركن بمِحْجَن[1] في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففُتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عِيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناس[2] في المسجد[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كلّ مأثره[4] أو دم أو مال يُدَّعَى فهو تحت قدميَّ هاتين إلّا سِدانة[5] البيت وسقاية الحاجّ، ألا وقتيل الخطأ شبه العَمْد بالسَّوط والعصا، ففيه الدِّية مغلَّظة، مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها: يا معشر قريش؛ إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب»، ثم تلا هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ﴾**[6]... الآية كلّها. ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أنّي

---

(١) المِحْجَن: عصا معقوفة الرأس.
(٢) استكفّ: اجتمع.
(٣) أنظر الطبقات الكبرى ٢/١٣٦ و١٣٧، والمغازي للواقدي ٢/٨٣٣، وأنساب الأشراف ١/٣٦١، والمغازي للذهبي ٥٥٢.
(٤) المأثرة: الخصلة التي تُتوارث ويتحدّث بها الناس من المكارم.
(٥) السدانة: خدمة البيت الحرام.
(٦) سورة الحجرات: الآية ١٣.

فـاعلٌ فيكم»؟ قـالوا: خيـراً، أخٌ كريم وابن أخ كـريم؛ قال: «إذهبـوا فـأنتم الطُّلَقاء»[1].

ثم جلس رسـول الله ﷺ في المسجـد؛ فقـام إليـه عليّ بن أبي طـالب ومفتاح الكعبة في يده؛ فقال؛ يا رسول الله؛ اجمـع لنا الحجـابة مـع السّقايـة صلّى الله عليك[2]؛ فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحـة»؟ فدُعي لـه، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان؛ اليوم يوم برّ ووفاء».

قـال ابن هشام: وذكـر سفيـان بن عيينـة أنّ رسـول الله ﷺ قـال لعليّ: «إنّما أعطيكم ما تُرزءون لا ما تَرْزءون»[3].

قـال ابن هشام: وحـدّثني بعض أهـل العلم؛ أنّ رسـول الله ﷺ دخـل البيت يوم الفتح؛ فرأى فيه صُوَر الملائكة وغيرهـم؛ فرأى إبراهيم عليه السلام مصـوَّراً في يـده الأزلام[4] يستقسم بهـا، فقـال: «قـاتلهم الله، جعلوا شيخنـا يستقسم بـالأزلام، ما شـأن إبراهيم والأزلام! ﴿**مَـا كَـانَ إِبْـرَاهِيمُ يَهُـودِيّـاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِمَـاً، وَمَا كَـانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[5]. ثم أمـر بتلك الصُّوَر كلّها فطُمِست[6].

قال ابن هشام: وحدّثني أنّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعـه بلال، ثم

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٠، ٦١ والحديث أخـرجه أحمـد في المسند ٢/١١ من طـريق سفيان، عن ابن جدعان، عن القاسم بن ربيعة، عن ابن عمر. و٣/٤١٠ من طـريق هشام، عن خـالد، عن القـاسم بن ربيعـة بن جـوشن، عن عقبـة بن أوس، عن رجـل من أصحـاب النبيّ ﷺ. والـذهبي في تاريـخ الإسلام (المغـازي) ٥٥٦، ٥٥٧ من طـريق ابن عُيَيْنـة، عن عليّ بن زيد، عمّن حدّثه عن ابن عمر. والإسناد ضعيف.

(٢) في المغازي للواقدي ٢/٨٣٣ أنّ الذي قال ذلك هو العباس بن عبد المطّلب.

(٣) قال أبو علي: إنّما معناه إنّما أعطيتكم ما تمنّون كالسقاية التي تحتاج إلى مؤن، فـأمّا السـدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها، يعني كسوة البيت. (شرح أبي ذر ٣٧١).

(٤) الأزلام: السهام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية.

(٥) سورة آل عمران ـ الآية ٦٧.

(٦) أخبار مكة لـلأزرقي ١/١٦٥، شفاء الغرام ١/٢٥٣ و ٢٥٤.

خرج رسول الله ﷺ وتخلّف بلال، فدخل عبد الله بن عمر على بلال، فسأله: أين صلّى رسول الله ﷺ؟ ولم يسأله كم صلّى؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه، وجعل الباب قِبَل ظهره، حتى يكون بينه وبين الجدار قدْر ثلاث أذرُع ثم يصلّي، يتوخّى بذلك الموضع الذي قال له بلال[1].

قال ابن هشام، وحدّثني: أنّ رسول الله ﷺ؛ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذّن، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أُسَيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتّاب بن أُسَيد: لقد أكرم الله أُسَيْداً ألاّ يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه مُحِقّ لاتّبعتُه، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلّمت لأخبرت عنّي هذه الحصى، فخرج عليهم النّبيّ ﷺ، فقال: «قد علِمتُ الذي قلتم»، ثم ذكر ذلك لهم؛ فقال الحارث وعتّاب: نشهد أنّك رسول الله والله ما اطّلع على هذا أحد كان معنا، فنقول أخبرك.

قال ابن إسحاق: حدّثني سعيد بن أبي سندر الأسلميّ، عن رجل من قومه، قال: كان معنا رجل يقال له أحمر بأساً، وكان رجلاً شجاعاً، وكان إذا نام غطّ غطيطاً مُنْكَراً لا يخفى مكانه، فكان إذا بات في حيّه بات معتنزاً[2]، فإذا بيّت الحيّ[3] صرخوا يا أحمر، فيثور مثل الأسد، لا يقوم لسبيله شيء؛ فأقبل غَزِيٌّ من هُذَيل[4] يريدون حاضره[5]؛ حتى إذا دنَوا من الحاضر قال ابن الأثوع[6] الهُذليّ: لا تَعْجَلوا عليَّ حتى أنظر، فإن كان في الحاضر أحمر فلا

---

(١) شفاء الغرام ١/٢٢٦.
(٢) معتنزاً: منفرداً.
(٣) بيت: غزى ليلاً.
(٤) فيهم جُنَيدب بن الأدلع. (المغازي للواقدي ٢/٨٤٣).
(٥) الحاضر: النازلون على الماء.
(٦) في المغازي «جُنيدب بن الأدلع».

سبيل إليهم، فإنّ له غطيطاً لا يخفى، قال: فاستمع، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره، ثم تحامل عليه حتى قتله، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم؛ فلما كان عام الفتح، وكان الغد من يوم الفتح، أتى ابن الأثوع[1] الهُذليّ حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس،وهو على شِرْكه، فرأته خُزاعة، فعرفوه، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدار مكة، يقولون: أأنت قاتل أحمر؟ قال: نعم، أنا قاتل أحمر، فَمَه؟ قال: إذ أقبل خِراش بن أُميّة مشتملاً على السيف، فقال: هكذا عن الرجل[2]، ووالله ما نظنّ إلّا يريد أن يفرّج الناس عنه. فلما انفرجنا عنه حمل عليه، فطعنه بالسيف في بطنه، فو الله لكأنّي أنظر إليه وحشوته[3] تسيل من بَطنِهِ، وإنّ عينيه لترنقان[4] في رأسه، وهو يقول: أقد فعلتموها يا معشر خُزاعة؟ حتى انجعف[5] فوقع. فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر خُزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثُر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدِيَنَّه»[6].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلميّ، عن سعيد بن المسيّب، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خِراش بن أُميّة، قال: «إنّ خِراشاً لَقَتّال»؛ يعيبه بذلك.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن أبي سعيد المَقْبُريّ، عن أبي شُرَيح الخُزاعيّ، قال: لما قدِم عمرو بن الزُبير[7] مكة لقتال أخيه عبد الله بن

---

(١) في المغازي «جُنيدب بن الأدلع».
(٢) أي تنجّوا عنه.
(٣) حشوته: ما اشتمل عليه جوفه من الأحشاء.
(٤) ترنقان؛ قربتا على الانغلاق.
(٥) انجعف: سقط بكل ثقله.
(٦) الخبر في المغازي ٢/٨٤٣، ٨٤٤ بنحوه.
(٧) هذا وهم من ابن هشام: وصوابه: عمرو بن سعيد بن العاص بن أُميّة، وهو الأشدق... وإنّما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكّائي في روايته، من أجل أنّ عمرو بن الزبير كان معادياً لأخيه عبد الله ومُعيناً لبني أُميّة. (الروض الأنف ٤/١١٥). وقد صحّح الذهبي الوهم في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٦.

الزُبير، جئته، فقلت له: يا هذا، إنّا كنّا مع رسول الله ﷺ، حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خُزاعة على رجل من هُذيل فقتلوه وهو مُشْرِك، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فقال: «يا أيها الناس إنّ الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة؛ فلا يحلّ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك فيها دماً. ولا يَعْضِد[1] فيها شجراً لم تحلّل لأحدٍ كان قبلي، ولا تحلّ لأحدٍ يكون بعدي، ولم تحلّل لي إلاّ هذه الساعة، غضباً على أهلها. ألا، ثم قد رجعتْ كحُرمتها بالأمس، فليبلّغ الشاهدُ منكم الغائب، فمن قال لكم: إنّ رسول الله قاتل فيها، فقولوا: إنّ الله قد أحلّها لرسوله، ولم يحلّلها لكم، يا معشر خُزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثُر القتل إنْ نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدِيَنّه، فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النَّظَرين. إن شاءوا فَدَم قاتله، وإن شاءوا فعَقْله» ثم وَدَى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خُزاعة، فقال عمرو لأبي شُرَيح: انصرف أيها الشيخ، فنحن أعلم بحُرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالع طاعة، ولامانع جزية، فقال أبو شُرَيح: إنّي كنت شاهداً وكنت غائباً، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلّغ شاهدُنا غائبنا، وقد أبلغتك، فأنت وشأنك[2].

قال ابن هشام: وبلغني أنّ أول قتيل وَدَاه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْدب ابن الأكوع، قتلته بنو كعب، فَوَداه بمائة ناقة.

تخوّف الأنصار من بقاء الرسول بمكة: قال ابن هشام: وبلغني عن يحيى بن سعيد: أنّ النّبيّ ﷺ حين فتح مكة ودخلها، قام على الصَّفا يدعو

---

(١) يعضد: يقطع.

(٢) الحديث مُتّفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم (١٧٦/٦ و ١٧٧) باب: ليبلّغ الشاهد الغائب. وفي الحج، باب لا يعضد شجر الحرم، وفي المغازي (٩٨/٥) باب منزل النبيّ ﷺ يوم الفتح، ومسلم في الحج (١٣٥٤) باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها... وانظر تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٦ (بتحقيقنا) وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١٠٧/١.

الله، وقد أحدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يُقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: «ماذا قلتم»؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله؛ فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النّبي ﷺ: «معاذ الله! مَعاذ الله! المحيا محياكم، والممات مماتكم»(١).

كسر الأصنام: قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل الرواية في إسنادٍ له، عن ابن شهاب الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص؛ فجعل النبيّ ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾(٢) فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلّا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلّا وقع لوجهه. حتى ما بقي منها صنم إلّا وقع(٣)، فقال تميم بن أسد الخُزاعيّ في ذلك:

وفي الأصنــام معتَبـرٌ وعلم   لمن يرجو الثوابَ أو العِقابا

إسلام فَضَالة: قال ابن هشام: وحدّثني: أنّ فَضالة بن عُمير بن الملوَّح اللّيثي أراد قتل النبيَّ ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: أفضالة؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدّث به نفسك»؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبيّ ﷺ، ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة

---

(١) أخرج نحوه مسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٨٠) باب فتح مكة، وأبو داود في الخراج والإمارة (٣٠٢٤) باب ما جاء في خبر مكة. وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٥، ٥٤٦.

(٢) سورة الإسراء ـ الآية ٨١.

(٣) أخرج البخاري بنحوه في كتاب المظالم والغصْب، باب هل تُكْسَر الدّنان التي فيها الخمر..؟ (١٠٨/٣) وفي كتاب المغازي، باب أين ركَز النبيّ ﷺ الراية يوم الفتح، وفي تفسير سورة بني إسرائيل، باب: وقل جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً. ومسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٨١) باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، والترمذي في التفسير (٣١٣٧) باب ومن سورة بني إسرائيل. وابن سعد في الطبقات ١٣٦/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٩ و ٥٥٠.

يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إليّ منه. قال فَضَالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدّث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا: وانبعث فضالة يقول:

قالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلامُ
لوما رأيتُ محمداً وقَبيلَه ... بالفتح يوم تُكسّر الأصنامُ
لرأيتِ دينَ الله أضحى بيّناً ... والشِركَ يغشى وجهه الإظلامُ[1]

الأمان لصفوان بن أُميّة: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن جعفر، عن عُروة بن الزُبير قال: خرج صفوان بن أميّة يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عُمير بن وهْب: يا نبيّ الله إنّ صفوان بن أُميّة سيّد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمّنْه صلّى الله عليك، قال: «هو آمِن»، قال: يا رسول الله فاعطني آيةً يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عُمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان فداك أبي وأمّي، الله الله في نفسك أن تُهلكها، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به، قال: ويْحك! اغرب عنّي فلا تكلّمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمّي، أفضل الناس، وأبرّ الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمّك، عزّه عزّك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إنّي أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم، فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إنّ هذا يزعم أنك قد أمّنتني قال: صدق، قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين، قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر[2].

---

(١) الدرر في المغازي والسير لابن عبد البر، أسد الغابة ١٨٢/٤، ١٨٣، الإصابة ٢٠٧/٣ رقم ٦٩٩٤، التاريخ الكبير ١٢٤/٧ رقم ٥٥٨.

(٢) تاريخ الطبري ٦٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٣٤.

قال ابن هشام: وحدّثني رجل من قريش من أهل العلم أنَّ صفوان قال لعُمَير: ويْحك! اغرب عنّي، فلا تكلّمني، فإنّك كذّاب، لِما كان صنع به، وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر.

إسلام رءوس أهل مكة: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ: أنّ أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، وفاختة بنت الوليد ـ وكانت فاختة عند صفوان بن أُميّة، وأمّ حكيم عند عِكْرمة بن أبي جهل ـ أسلَمَتا، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله ﷺ لعِكرِمة، فأمّنه فلحِقت به باليمن، فجاءت به، فلما أسلم عِكْرمة وصفوان أقرّهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول[١].

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: قال: رمى حسان: ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه:

لَا تعْـدمَنْ رجـلاً أحلَّك بُغْضُـهُ ... نجـرانَ في عَيْشٍ أَحَـذَّ لئيم[٢]

فلما بلغ ذلك ابن الزِّبَعْرَى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم، فقال حين أسلم:

يـا رسول المليـكِ إنّ لسـاني ... راتقٌ مَـافَتَقْتُ إذْ أنـا بُـورُ[٣]
إذْ أباري الشيطان في سَنَنِ الغيِّ ... ومَـنْ مـالَ مـيـلَه مَـثْـبـور[٤]
آمَـنَ اللحْـمُ والعـظامُ لـربّـي ... ثمّ قلبي[٥] الشهيدُ أنتَ النّذير
إنّـني عـنـك زاجـرٌ ثَـمَّ حَـيّـا[٦] ... مـن لُـؤَيٍ وكـلُّهُـمْ مَـغْـرُور

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى أيضاً حين اسلم:

---

(١) تاريخ الطبري ٦٣/٣.
(٢) الأحذّ: القليل.
(٣) الراتق: السادّ. بور: هالك.
(٤) أباري: أجاري. مثبور: هالك.
(٥) في تاريخ الطبري ٦٤/٣ «نفسي».
(٦) في تاريخ الطبري ٦٤/٣ «ثم حيٌّ».

منع الرقادَ بلابلٌ وهمومُ والليلُ مُعْتلِجُ الرِّواق بَهيمُ[1]
ممّا أتاني أن أحمدَ لامَني فيه فبِتُّ كأنّني محمومُ
يا خيرَ من حملَتْ على أوصالها عَيْرانةٌ سُرُوحُ اليديْنِ غَشُومُ[2]
إنّي لمعتذرٌ إليك من الذي أسديتُ إذْ أنا في الضّلال أهيم
أيّامَ تأمرني بأغْوى خُطّةٍ سَهْمٌ وتأمُرُني بها مخزوم
وأمُدُّ أسباب الرَّدَى ويقودُني أمرُ الغُواةِ وأمرهم مشئوم
فاليومَ آمنَ بالنّبيّ محمدٍ قلبي ومخطىءُ هذه محروم
مضتِ العداوةُ وانقضتْ أسبابُها ودَعَتْ أواصرُ بيننا وحُلُوم
فاغفر - فِدى لك والداي كلاهما - زَلَلي، فإنك راحم مرحوم
وعليك من عِلْم المليك علامة نور أغَرُّ وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبّةٍ برهانَه شَرَفاً وبُرْهان الإله عظيم
ولقد شَهِدت بأن دينَكَ صادقٌ حقٌّ وأنك في العباد جسيم
والله يشهد أنّ أحمد مُصْطفىً مُستقبل في الصالحين كريم
قَرْم علا بُنيانه من هاشم فَرْع تمكن في الذُّرا وأُرُوم[3]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها له.

هُبيرة يبقى على كُفْره: قال ابن إسحاق: وأما هُبيرة بن أبي وهْب المخزوميّ فأقام بها حتى مات كافراً[4]، كانت عنده أمّ هانيء بنت أبي طالب، واسمها هند، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانيء:

أشاقتكَ هندٌ أم أتاك[5] سؤالُها كذاكَ النَّوى أسبابُها وانفتالُها[6]

---

(١) البلابل: وساوس الأحزان. معتلج: مضطرب. والبهيم: شديد الإظلام.
(٢) العَيْرانة: الناقة الشديدة تشبه العير. سُرُحُ اليدين: شديدتهما، غشوم: لا تردّ عن وجهها.
(٣) قَرْم: سيّد، والأُروم: الأصول.
(٤) تاريخ الطبري ٦٤/٣، أنساب الأشراف ٣٦٢/١ رقم ٧٥٦.
(٥) في تاريخ الطبري ٦٤/٣ «أم نآك».
(٦) انفتالها: تقلّبها.

وقد أرَّقَتْ في رأس حِصْن ممنَّع بنجرانَ يَسري بعد ليلٍ خيالُها
وعـاذلـةٍ هَبَّتْ بليـلٍ تلومني وتعذلني بالليل ضـلّ ضـلالُها
وتزعم أنـي إنْ أطعتُ عشيرتي سأُرْدى وهل يُرْدينِ إلاّ زِيالُها[1]
فإنّي لمنْ قوم إذا جدَّ جِدُّهم على أيّ حالٍ أصبح اليوم حالُها
وإنّي لحامٍ من وراء عشيرتي إذا كان من تحت العوالي مجالها[2]
وصارت بأيديها السيوف كأنّهـا مخاريق[3] وِلدانٍ ومنهـا ظِلالُهـا
وإنّي لأَقْلَى الحاسدينَ وفعلَهُمْ على الله رزقي نفسُها وعِيالُها
وإنّ كلام المرء في غير كُنْهِهِ لكالنَّبْل تهوي ليس فيها نِصالُها
فإنْ كنتِ قد تابعت دِينَ محمدٍ وعـطَّفت الأرحامَ منـك حبالُهـا
فكوني على أعلى سحيقٍ بهَضْبةٍ مُلَمْـلَمَـةٍ[4] غَبـراءَ يَبْسٍ بِـلالُهـا[5]

قال ابن إسحاق: ويُروى: «وقطّعت الأرحامَ منك حبالها».

عدّة من فتح مكة: **قال ابن إسحاق**: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني سُليم سبعمائة. ويقول بعضهم: ألف، ومن بني غِفَار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة؛ ومن مُزَينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد[6].

ما قيل من الشعر في فتح مكة: وكان مما قيل من الشِعر في يوم الفتح قول حسّان بن ثابت الأنصاري:

عَفَتْ ذاتُ الأصـابـع فـالجـواءُ إلى عـذراءَ منـزلهـا خَـلاَءُ[7]

---

(١) أردى: أهلك. زِيالها: ذهابها.
(٢) العوالي: المراح.
(٣) المخاريق: ما يلعب به الأطفال من الخِرَق المفتولة.
(٤) ململمة: مستديرة.
(٥) في المغازي للواقدي ٢/٨٤٩ «يَبْسٍ تِلالها».
(٦) تاريخ الطبري ٣/٦٤، ٦٥.
(٧) عفت: تغيرت. ذات الأصابع، والجواء: موضعان بالشام. وبالجواء كان منزل الحارث بن =

دِيارٌ من بني الحسحاس قَفْرٌ　　تُعفّيها الروامسُ والسماء[1]
وكانت لا يزالُ بها أنيس　　خِلال مُروجِها نَعَمٌ وشاء[2]
فدعْ هذا، ولكن من لِطَيْفٍ　　يؤرِّقني إذا ذهب العشاء
لشعثاءَ التي قد تيّمَتْه　　فليس لقلبه منها شِفاء[3]
كأنّ خبيئة من بيت رأس　　يكون مِزاجها عسلٌ وماء[4]
إذا ما الأشْرِباتُ ذُكِرْن يوماً　　فهنّ لطيب الراح الفِداء
نوليها الملامة إن ألَمْنا　　إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاء[5]
ونشربها فتتركُنا ملوكاً　　وأُسْداً ما يُنهنهنا اللقاء[6]
عدِمْنا خيلَنا إنْ لم تروْها　　تثير النقعَ موعدُها كَدَاء[7]
ينازعن الأعنّةَ مُصْغيات　　على أكتافها الأسلُ الظّماء[8]
تظلّ جيادُنا متمطِّراتٍ　　يُلَطِّمهنّ بالخُمُر النساء[9]

= أبي شَمِر الغسّاني. وكان حسّان كثيراً ما يرد على ملوك غسّان يمدحهم. وعذراء: قرية على بريد من دمشق قُتل بها حجْر بن عدِيّ وأصحابه. (الروض الأنف ٤/١١٦).

(١) بنو الحسحاس: حيّ من بني أسد. وقوله الروامس والسماء، يعني: الرياح والمطر والسماء لفظ مشترك يقع على المطر، وعلى السماء المعروفة ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله:

إذا سقط السماء بأرض قوم　　رعيناه وإن كانوا غِضابا

لأنه يحتمل أن يريد مطر السماء، فحذف المضاف، ولكنْ إنّما عرفناه من قولهم في جمعه سمى، وهم يقولون في جمع السماء: سماوات وأسمية، فعلمنا أنه اسم مشترك بين شيئين (الروض الأنف ٤/١١٦، ١١٧).

(٢) النَعَم: الإبل، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والإبل، والشاء والشوي اسم للجميع كالضأن والضنين والإبل والإبيل، والمعزوالمعيز، وأما الشاة، فليست من لفظ الشاء لأنّ لام الفعل منها هاء وأبو الحسحاس: حيّ من بني أسد.

(٣) شعثاء: اسم امرأة وهي زوجته، وبنت كاهن الأسلمية.

(٤) الخبيئة: الخمر المضنون بها، وبيت رأس: موضع بالأردن.

(٥) نوليها الملامة: نرجع إليها اللوم. المَغْث: الضرب بالكفّ. واللِحاء: السباب.

(٦) ينهنهنا: يزجرنا.

(٧) كَدَاء: موضع بمكة.

(٨) المصغيات: المنحرفة للطعن. الأسل: الرماح.

(٩) متمطّرات: متسابقات. يلطمهنّ: يضربهنّ. يقول السهيلي في الروض: قال ابن دُريد في =

فإما تُعرضوا عنّا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغِطاء
وإلّا فاصبِرُوا لجلاد يوم يُعين الله فيه من يشاء
وجبريلٌ رسولُ الله فينا ورُوح القُدس ليس له كِفاء[1]
وقال الله قد أرسلْتُ عَبْداً يقول الحقَّ إنْ نفع البلاء[2]
شهدتُ به فقوموا صدِّقوهُ فقلتم: لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيَّرْتُ جُنْداً همُ الأنصار عُرْضَتُها اللقاء[3]
لنا في كلّ يومٍ من مَعَدٍّ سِباب أو قتال أو هجاء
فنُحْكِمُ بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلِط الدماء[4]
ألا أبلِغْ أبا سُفيان عنّي مُغَلْغَلَةً فقد بَرِح الخفاء[5]
بأنّ سيوفنا تركتْكَ عبداً وعبدُ الدّار سادتُها الإماء
هجوتَ محمداً وأجبتُ عنهُ وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجُوه ولستَ له بكفءٍ فشرُّكما لخيركما الفِداء[6]
هجوتَ مباركاً بَرّاً حنيفاً أمينَ الله شِيمتهُ الوفاء
أمَن يهجو رسولَ الله منكمْ ويمدحه وينصرهُ سواء؟!
فإنّ أبي ووالده وعِرضي لعِرْض محمدٍ منكم وقاء

= الجمهرة، كان الخليل يروي «يلطلمهنّ» وينكر «يلطّمهنّ» ويجعله بمعنى ينفض النساء بخُمُرِهنّ ما على الخيل من الغبار. (أنظر الروض ٤/١١٨).

(١) كفاء: مثل.

(٢) البلاء: الاختبار.

(٣) عرضتها: عادتها.

(٤) نحكم: تمنع.

(٥) المغلغلة: الرسالة المكتوبة.

(٦) فشرّكما لخيركما الفداء: في ظاهر اللفظ بشاعة. لأنّ المعروف أن لا يقال هو شرّهما إلّا وفي كليهما شرّ، وكذلك: شر منك، ولكن سيبويه قال في كتابه: تقول مررت برجل شرّ منك: إذا نقص عن أن يكون مثله، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول، ونحو منه قوله عليه السلام: شرّ صفوف الرجال آخرها» يريد: نقصان حظّهم عن حظّ الأول، كما قال سيبويه، ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشرّ. والله أعلم. (الروض الأنف ٤/١١٨).

لسـاني صـارم لا عَيبَ فيـه وبحـري لا تكـدّره الـدِّلاء[1]

قال ابن هشام: قالها حسّان يوم الفتح. ويُروى: «لساني صارم لا عتب فيه».

وبلغني عن الزُّهْريّ أنه قال: لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخيل بالخُمر تبسّم إلى أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زُنيم الدّيليّ يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخُزاعيّ:

أأنت الذي تُهْدَى مَعَدٌّ بأمره بل الله يَهْديهمْ وقال لك اشهدِ
وما حملتْ من ناقةٍ فوق رَحْلِها أبـرَّ وأوفى ذمة من محمـد
أحثَّ على خيرٍ وأسبغ نـائلاً إذا راح كالسيف الصّقيل المهنّد
وأكْسَى لبُرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرَّد[2]
تعلَّم رسولَ الله أنّك مُـدْركي وأنّ وعيداً منك كالأخذ باليد[3]

---

(١) أنظر الأبيات باختلاف الألفاظ في ديوان حسّان ٤ ـ ١٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٢، ٥٤٣ و ٥٤٤، والبداية والنهاية ٣١٠/٤، وعيون التواريخ ٣١٠/١ ـ ٣١٢، وشفاء الغرام ٢٢١/٢، وعيون الأثر ١٨١/٢، ١٨٢. وانظر صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٩٠) باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) الخال: نوع من البرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وخسمّي بالخال الذي بمعني الخيلاء. (الروض الأنف ١١٨/٤) والسابق: الفرس السابق. والمتجرّد: بهذا المعنى أيضاً.

(٣) هذا البيت معناه من أحسن المعاني. وقد أخذه النابغة فقال:

فـإنـك كـالـليـل الـذي هـومـدركي وإنّ خلت أنّ الـمُـنْـتَـأى عـنـك واسـع
خـطاطيف حجن في جبالٍ متينـة تـمـدّ بـهـا أيـد إلـيـك نـوازع

فالشطر الأول كالبيت الأول من قول النابغة، والشطر الثاني كالبيت الثاني، لكنه أطبع منه، وأوجز. وقول النابغة كالليل؛ فيه من حُسن التشبيه ما ليس في قولي الديلي، إلاّ أنه يسمج مثل هذا التشبيه في النبيّ ﷺ، لأنه نورٌ وهُدى، فلا يُشبّه بالليل، وإنّما حسُن في قول النابغة أن يقول كالليل، ولم يقل كالصبح، لأنّ الليل تُرهب غوائله، ويُحذر من إدراكه ما لا يُحذر من النهار، وقد أخذ بعض الأندلسيين هذا المعنى، فقال في هربه من ابن عبّاد:

كـأنّ بـلاد الله وهـي عـريـضـة تـشـدّ بـأقـصـاهـا عـليَّ الأنـامـلا =

تعلّم رسـولَ الله أنّك قـادر على كل صِرْمٍ مُتْهِمين ومُنجد[1]
تعلّم بـأنّ الـركْبَ ركبُ عُـويمـر هُمُ الكـاذبون المُخْلِفُـو كـلَّ مـوعـد
ونَبَّـوْا رسـولَ الله أنّي هـجـوتـهُ فـلا حملتْ سَوطي إليّ إذن يـدي
سِوى أنّني قـد قلتُ ويـلُ أمّ فِتيةٍ أُصيبـوا بنحس لا بـطلْق وأسْعُـد[2]
أصـابهمُ مَنْ لم يـكنْ لـدمـائـهمْ كِـفـاءً فعـزتْ عـبـرتي وتـبلّدي[3]
فـإنّك قـد أخفرتَ إنْ كنتَ ساعياً بعبـد بـن عبـد الله وابـنـة مَهْـود
ذُؤيب وكُلثـوم وسَلْمى تـتـابعـوا جميعـاً فـإلّا تـدمَع العين أكمـد
وسَلمى، وسَـلمى ليس حيٌّ كمثله وإخـوتِـهِ وهـل ملوك كـأعبُـد؟!
فـإنّي لا دِيـنـاً فـتـقـتُ ولا دمـاً هـرقْتُ تبينْ عـالِمَ الحقّ واقصِـد

فأجابه بُديل بن عبد مَناف بن أمّ أصرم، فقال:

بكى أنسٌ رَزْنـاً فـأعـولَـهُ البُكـا فـألا عَـدِيّـاً إذ تُـطَلُّ وتُـبعـدُ[4]
بكيتَ أبـا عَبْسٍ لقُـرب دمـائهـا فتُعـذِرَ إذْ لا يـوقـدُ الحـربَ مـوقـد
أصـابـهم يـومَ الـخنـادِمِ[5] فِـتيـةٌ كِـرامٌ فسـل، منهم نُفيـلٌ ومعبـد
هنـالـك إنْ تسفـحْ دموعُـك لا تُلم عليهم وإن لم تدمع العينُ فـاكمدوا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال بُجير بن زُهير بن أبي سلْمى في يوم الفتح:

نَـفَـى أهـلَ الـحَـبَلَّق كـلَّ فَـجٍّ مُـزَيـنـةُ غـدْوةً وبنـو خُـفـاف[6]

= فـأيـن مَفَـرُّ الـمـرءِ عـنـك بـنـفـسـه إذا كـان يـطوي في يـديـك المـراحـلا
(الروض الأنف ٤/١١٩).
(١) الصرم: البيوت المجتمعة. مُتْهِمين ساكنين تِهامة، مُنْجد: من سكن في نجد.
(٢) الطُلْق: الأيام السعيدة.
(٣) تبلُّدي: تحيُّري.
(٤) تُطَلّ: يبطل دمها ويصير هدْراً.
(٥) الخنادم: أراد يوم الخندمة. والخندمة: جبل بمكة.
(٦) الحَبَلَّق: أرض يسكنها قبائل من مُزينة، وقيس، والحَبَلَّق: الغنم الصغار، ولعلّه أراد بقوله: أهل الحَبَلَّق أصحاب الغنم، وبنو عثمان هم مُزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أدّ بن طابخة، =

ضربناهم بمكّة يوم فتح النّبيّ الخيرِ بالبِيضِ الخِفاف
صَبَحْناهم بسبعٍ من سُلَيم وألف من بني عُثْمان وافِ[1]
نَطا أكتافهمْ ضرباً وطعناً ورشقاً بالمريّشةِ اللّطاف[2]
ترى بين الصفوف لها حفيفاً كما انصاع الفُواق من الرّصاف[3]
فرُحْنا والجيادُ تجول فيهمْ بأرماحٍ مُقَوَّمة الثقاف
فأبنّا غانمينَ بما اشتهينا وآبوا نادمينَ على الخلاف
وأعطينا رسول الله منّا مواثِقَنا على حُسن التصافي
وقد سمعوا مقالتنا فهمّوا غداة الروع منّا بانصراف

قال ابن هشام: وقال عبّاس بن مِرْداس السّلميّ في فتح مكة:

منّا بمكّة يوم فتحِ محمدٍ ألفٌ تسيل به البِطاح مُسَوَّمُ
نصروا الرسولَ وشاهدوا أيامه وشعارُهُمْ يوم اللقاء مقدَّم
في منزلٍ ثبتت به أقدامُهمْ ضَنْكٍ كأنّ الهامَ فيه الحَنْتَم[4]
جرَّت سنابكَها بنجد قبلَها حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكّنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مِزْحَم[5]
عَودُ الرياسة شامخٌ عِرنينُهُ متطلّعٌ ثُغَرَ المكارم خِضْرِم[6]

= ومُزَينة أمّهم بنت كلب بن وبرة بن تغلِب بن حلوان بن الحاف بن قُضاعة، وأختها: الحَوْأب التي عُرف بها ماء الحوأب المذكور في حديث عائشة حين قال رسول الله ﷺ لنسائه ما معناه: من منكنّ تنبحها كلاب الحَوأب. فنبحت الكلاب عائشة رضي الله عنها في قصّة وقعة الجمل، وأصل الحوأب في اللغة القدح الضخم الواسع، وبنو خفاف بطن من سُليم. (الروض الأنف ٤/ ١١٩).

(١) بسبع: أي بسبعمائة.
(٢) المريّشة: السهام ذات الريش وهي أسرع في الرمي.
(٣) الفُواق: الفوق وهو طرف السهم. والرّصاف جمع رصفة: ما يُلوى على طرف السهم.
(٤) الضنْك: الضيق. الهام: الرؤوس. الحنتم: الخضل.
(٥) مِزْحم: كثير المزاحمة، يقصد أن حظّهم عظيم.
(٦) العَوْد في الأصل المسنّ من الإبل، ويريد به هنا أنه قديم في المجد مطلقاً. العِرْنين: طرف الأنف. الخِضْرم: الكريم.

إسلام عباس بن مِرداس: قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مِرْداس، فيما حدّثني بعض أهل العلم بالشِعر، وحديثه أنه كان لأبيه مِرداس وثن يعبده، وهو حجر كان يقال له ضَمار، فلما حضر مِرداس قال لعباس: أي بُنيّ، اعبدْ ضَمارَ فإنه ينفعك ويضرّك، فبينا عباس يوماً عند ضَمار، إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول:

قُلْ للقبائل من سُليمٍ كلّها ... أودى ضمارِ وعاش أهلُ المسجد
إنّ الذي ورِث النُّبوَّةَ والهُدَى ... بعد ابنِ مريمَ من قُريشٍ مُهتدي
أودى ضَمَارِ وكان يُعبدُ مرةً ... قبل الكتاب إلى النبيّ محمدِ

فخرق عباس ضَمار، ولحِق بالنبيّ ﷺ فأسلم.

قال ابن هشام: وقال جعدة بن عبد الله الخُزاعيّ يوم فتح مكة:

أكعب بن عمرو دعوةً غير باطل ... لِحَيْنٍ له يوم الحديد مُتاحِ[1]
أُتيحتْ له من أرضه وسمائه ... لتقتله ليلاً بغير سلاح
ونحن الأُلَى سَدَّتْ غزال خيولنا ... ولِفْتاً سددناه وفجَّ طِلاح[2]
خَطَرنا وراء المسلمين بجحفل ... ذوي عضُد من خيلنا ورِماح

وهذه الأبيات في أبيات له.

وقال بُجيد بن عمران الخُزاعيّ:

وقد أنشأ الله السّحابَ بنصرنا ... رُكامَ صَحابِ الهيْدَبِ المتراكِبِ[3]
وهِجْرتنا في أرضنا عندنا بها ... كتابُ أتى من خير مُمْلٍ وكاتب
ومن أجلنا حلّت بمكة حُرْمة ... لندرك ثأراً بالسيوف القواضب[4]

---

(١) الحَيْن: الهلاك. مُتاح: مقدَّر.

(٢) غزال: اسم موضع، منعه هنا من التنوين وقد ينوَّن. ولفت: موضع أيضاً، وكذلك فجّ طلاح.

(٣) الهيدب: القريب من الأرض. المتراكب: الذي يركب بعضه بعضاً.

(٤) القواضب: القواطع.

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كِنانة[1]
ومسير عليّ لتلافي خطأ خالد

قال ابن إسحاق: وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تِهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، فوطيء بني جُذَيمة، فأصاب منهم[2].

قال ابن هشام: وقال عباس بن مِرداس السّلميّ في ذلك:

فإنْ تك قد أمَّرت في القوم خالداً ... وقدّمته فإنّه قد تقدّما
بجُندٍ هداه الله أنت أميرُه ... نُصيب به في الحقّ من كان أظلما

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حُنَين، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

---

(١) وتُعرف أيضاً بغزوة الغميط وهو ماء لبني جُذَيمة. كما ذكر السهيلي في الروض الأنف ٤/١٢٠ انظر عنها في: المغازي للواقدي ٣/٨٧٥، وتاريخ الطبري ٣/٦٦، وتاريخ خليفة ٨٧، ٨٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٤٧، ونهاية الأرب ١٧/٣١٦، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٧، وعيون التواريخ ١/٣١٣، وعيون الأثر ٢/١٨٥، وسيرة ابن كثير ٣/٥٩٣، والمحبّر ١٢٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٦١.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٦٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٧.

قـال ابن إسحـاق: فحـدّثني حكيم بن حكيم بن عبّـاد بن حنيف، عن أبي جعفـر محمد بن علي، قـال: بعث رسول الله ﷺ خـالد بن الـوليـد حين افتتح مكة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب: سُليم بن منصور، ومُدلج بن مُرّة، فوطِئوا بني جُذيمـة بن عامـر بن عبد مَنـاة بن كِنانـة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح، فإنّ الناس قد أسلموا[1].

قـال ابن إسحـاق: فحـدّثني بعض أصحـابنـا من أهـل العلم من بني جذيمة، قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منّـا يقال لـه جَحْدَم: ويلكم يا بني جذيْمة! إنه خـالد والله! مـا بعد وضـع السلاح إلاّ الإسـار، وما بعد الإسار إلاّ ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قـومه، فقـالوا: يـا جَحْدَم، أتـريد أن تسفـك دماءنـا؟ إنّ النـاس أسلمـوا ووضعوا السلاح، ووضعت الحرب، وأمن الناس. فلم يـزالوا بـه حتى نزعـوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد[2].

قـال ابن إسحـاق: فحـدّثني حكيم، عن أبي جعفـر محمـد بن عليّ، قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكُتّفوا، ثم عـرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ، رفع يـديه إلى السماء، ثم قال: «اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»[3].

الـرسول يتبّـرأ من فعل خـالـد: قـال ابن هشـام: حـدّثني بعض أهـل العلم، أنه حدّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت كـأنّي لقمت لقمة من حَيْس[4] فـألتذذت طعمَهـا، فاعتـرض في حلقي

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٦٦، ٦٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٦٧.

(٣) أخرج نحوه البخاري في كتاب المغازي (٥/١٠٧) باب بعث النبيّ ﷺ خـالد بن الـوليد إلى بني جـذيمة. وانـظر: تاريخ الطبـري ٣/٦٧، ومسند أحمـد ٢/١٥١، والمغازي للواقـدي ٣/٧٨٨١ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٢٤٨، وتاريخ الإسـلام (المغازي) للذهبي ٥٦٧، ٥٦٨.

(٤) الحيس: تمر يُخلط بسمن ودقيق ويُعجن.

منها شيء حين ابتلعتها، فأدخل عليّ يده فنزعه»؛ فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: يا رسول الله، هذه سريّة من سراياك تبعثها، فيأتيك منها بعض ما تحبّ، ويكون في بعضها اعتراض، فتبعث عليّاً فيسهّله.

قال ابن هشام: وحدّثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: هل أنكر عليه أحد؟ فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة[1]، فنهمه[2] خالد، فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطّرب، فراجعه، فاشتدّت مراجعتهما؛ فقال عمر بن الخطّاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم، مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال: ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: يا عليّ، اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك؛ فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فوَدَى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه لَيَدِي لهم ميلَغَة الكلب[3]، حتى إذا لم يبق شيء من دمٍ ولا مال إلّا وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا. قال: فإنّي أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطاً لرسول الله ﷺ، مما يعلم ولا تعلمون، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال: أصبت وأحسنت! قال: ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه، حتى إنه ليرى مما تحت

---

(١) الربعة من الرجال: الذي بين الطويل والقصير.

(٢) نهمه: زجره.

(٣) ميلغة وميلغ: مسقاة تصنع من خشب ليلغ فيها الكلب، والجمع مَيَالغ ومَوَالغ. (النهاية ٤/ ٢٣٠).

مَنْكِبيه(١)، يقول: «اللهمّ إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، ثلاث مرات.(٢)

قال ابن إسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال: ما قلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حُذافة السّهميّ، وقال: إنّ رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام(٣).

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: لما أتاهم خالد، قالوا: صبأنا صبأنا(٤).

قال ابن إسحاق: وقد كان جَحْدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببني جذيمة: يا بني جذيمة، ضاع الضرب، قد كنت حذّرتكم ما وقعتم فيه. قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف، فيما بلغني، كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنّما ثأرت بأبيك. فقال عبد الرحمن: كذبت، قد قتلت قاتل أبي، ولكنّك ثأرت بعمّك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شرّ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أُحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا رَوْحته(٥).

ما كان بين قريش وبني جذيمة في الجاهلية: وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زُهْرة، وعفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس قد

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٦٧، ٦٨ «حتى أنه لَيُرى بياضُ ما تحت منكبيه».
(٢) تاريخ الطبري ٣/٦٧، ٦٨ الطبقات لابن سعد ٢/١٤٨، المغازي للواقدي ٣/٨٨٢، نهاية الأرب ١٧/٣١٦ و ٣١٩ و ٣٢١، ٣٢٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٨، سيرة ابن كثير ٣/٥٩٢، عيون التواريخ ١/٣١٥، عيون الأثر ٢/١٨٦.
(٣) الطبري ٣/٦٨.
(٤) من معاني صبأ: خرج من دِين إلى دِين ويقصدون أنهم تركوا دينهم ودخلوا في الإسلام.
(٥) تاريخ الطبري ٣/٦٨.

خرجوا تُجّاراً إلى اليمن، ومع عفّان ابنه عثمان. ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة بن عامر، كان هلك باليمن، إلى ورثته، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه فقُتل عوف، والفاكه بن المغيرة ونجا عفّان بن أبي العاص وابنه عثمان، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة، ومال عوف بن عبد عوف، فانطلقوا به، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهمّت قريش بغزو بني جذيمة، فقالت بنو جذيمة: ما كان مصاب أصحابكم عن ملإ منّا، إنّما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قِبَلنا من دمٍ أو مال، فقبلت قريش ذلك، ووضعوا الحرب.

وقد قال قائل من بني جذيمة، وبعضهم يقول: امرأة يقال لها سلْمى:

ولولا مقالُ القومِ للقوم أسلمُوا ... للاقت سُليمٌ يوم ذلك ناطِحا
لماصَعَهُمْ بُسْرٌ وأصحَابُ جَحْدَمٍ ... ومُرَّةُ حتى يتركوا البَرْكَ ضابحا[1]
فكائن ترى يوم الغُميصاء من فتىً ... أصيب ولم يُجْرح وقد كان جارحاً[2]
ألظَّتْ بخُطّابِ الأيامَى وطُلّقت ... غداتَئذٍ منهنّ من كان ناكحاً[3]

قال ابن هشام: قوله «بُسْر»، «وألظّت بخُطّاب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عباس بن مِرداس، ويقال بل الجَحّاف بن حَكيم السُّلميّ:

دعي عنك تَقْوال الضّلالِ كفَى بنا ... لكبش الوغى في اليوم والأمس ناطحا
فخالد أولى بالتعذّر منكُم ... غداة علا نَهْجا من الأمر واضحا
مُعاناً بأمر الله يُزْجي إليكمُ ... سَوانحَ لا تكبُو له وبوارحا

(١) المماصعة: مضاربة بالسيوف. البرك هنا: الإبل الباركة.
(٢) الغميصاء: بلد.
(٣) أَلَظَّت: لزمت.

نَعَوْا مالكا بالسهل لما هبطْنه عوابسَ في كابي الغُبار كوالحا[1]
فإنْ نكُ أثكلناكِ سَلْمى فمالكٌ تركتُم عليه نائحاتٍ ونائحا

وقال الجَحّاف بن حكيم السُّلَميّ:

شهِدْنَ مع النّبيّ مُسَوَّماتٍ حُنَيْناً وهْيَ داميةُ الكِلام[2]
وغزوةَ خالد شهدت وجَرّت سنابكَهُنّ بالبلدِ الحرام
نُعَرِّض للطِّعان إذا التقينا وجُوها لا تُعرَّضُ لِلّطام
ولست بخالعٍ عنّي ثيابي إذا هزّ الكُماةُ ولا أُرامي
ولكنّي يَجُولُ المُهْرُ تحتي إلى العَلواتِ بالعضب الحسام

خبر ابن أبي حَدْرَد بني جذيمة: قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزُّهْريّ، عن ابن أبي حدرد الأسلميّ، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتى من بني جذيمة، وهو في سنّي، وقد جُمعت يداه إلى عنقه برُمَّة[3]، ونِسْوَة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى؛ فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة، فقائدي إلى هؤلاء النِّسْوة حتى أقضي إليهنّ حاجة، ثم تردّني بعد، فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله لَيَسيرٌ ما طلبت، فأخذت بُرمَّته فقدته بها، حتى وقف عليهنّ، فقال: اسلمي حُبَيش، على نَفَدٍ من العيش[4]:

أَرَيْتكِ إذ طالبتُكُم فوجدتُكُم بحَلْيَةَ أو ألفيتُكُمْ بالخَوانِق[5]
ألَم يكُ أهلاً أن يُنوَّلَ عاشقٌ تَكلّف إدْلاجَ السُّرَى والودائق[6]
فلا ذنبَ لي قد قلت إذ أهلُنامعاً أثيبي بوُد قبل إحدى الصفائق[7]

---

(١) كابي: مرتفع. الكوالح: العوابس.
(٢) الكِلام: الجراح.
(٣) الرُّمّة: الحبل البالي.
(٤) نفد العيش: فناؤه.
(٥) الحَلْية والخوانق: موضعان.
(٦) الإدلاج: السير ليلاً. الودائق: جمع وديقة: شدّة الحرّ.
(٧) الصفائق: النوائب.

أثيبي بـوُدٍ قبـل أن تَشْحَطَ النَّـوى ... وينـأى الأميرُ بـالحبيبِ المفـارق
فـإنّـي لا ضيـعـتُ سـرَّ أمـانـةٍ ... ولا راق عينـي عنـكِ بـعـدَكِ رائق
سوى أنّ مـا نـال العشيرة شـاغـلٌ ... عن الـوُدّ إلاّ أن يكـونَ التـوامقُ[1]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكر البيتين الآخرين منها له.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزُّهـريّ، عن ابن أبي حَـدْرَد الأسلميّ قـال: قـالت: وأنت فحُيِّيت سبعـاً وعشراً، وِتْراً وثمانياً تَتْرَى. قال: ثم انصرفت به. فضربت عُنقه.

قـال ابن إسحـاق: فحـدّثني أبـو فـراس بن أبي سنبلة الأسلمي، عن أشياخ منهم، عمّن كان حضرها منهم، قالوا: فقامت إليه حين ضربت عُنقه، فأكبّت عليه، فما زالت تقبّله حتى ماتت عنده[2].

قال ابن إسحاق: وقال رجل من بني جذيمة:

جـزى الله مُـدْلجـاً حيث أصبحت ... جـزاءة بُؤْسَى حيث سـارتْ وحلّتِ
أقـامـوا على أقضـاضنـا يَقْسِمـونهـا ... وقـد نَهلَتْ فينـا الـرمـاح وعلّت
فـو الله لـولا دِيـن آل محـمـد ... لقـد هـربت منهم خيـول فـشلّت
ومـا ضـرّهم أن لا يُعينـوا كتيبـة ... كـرِجْـل جَـراد أرسلت فـاشْمعلّت[3]
فـإمّـا ينيبـوا أو يثـوبـوا لأمـرهم ... فـلا نحن نجـزيهم بمـا قـد أضلّتِ

فأجابه وهْب، رجل من بني ليث، فقال:

دعَـوْنـا إلى الإسـلام والحقّ عـامـراً ... فمـا ذنبنـا في عـامـر إذ تَـوَلَّـتِ

---

(١) التوامق: شدّة الحبّ.
وانـظر الأبيات بـاختـلاف الألفـاظ في: طبقـات ابن سعـد ٢/١٤٩، المغـازي للواقـدي ٣/٨٧٩، وتـاريخ الـطبـري ٣/٦٩، والأغـاني ٧/٢٨٩، ٢٩٠، ونهـايـة الأرب ١٧/٣٢٢، ٣٢٣، وتـاريـخ الإسـلام (المغـازي) ٥٦٩، وسيـرة ابن كثيـر ٣/٥٩٥، وعيـون التـواريـخ ١/٣١٧، وعيون الأثر ٢/١٨٧.
(٢) أنظر المصادر السابقة.
(٣) رِجل الجراد: الجماعة منهم. اشمعلّت: تفرّقت.

وما ذنبنا في عامر لا أبا لَهُمْ ... لأنْ سَفِهَت أحلامهُم ثم ضلّت

وقال رجل من بني جذيمة:

ليهني بني كعب مُقدَّم خالد ... وأصحابه إذ صبَّحتنا الكتائب
فلا تِرةٌ[1] يسعى بها ابن خُوَيْلد ... وقد كنتَ مكفياً لَوَ آنّك غائب
فلا قومُنا يَنْهَوْن عنا غُواتِهم ... ولا الداءُ من يوم الغُميصاءِ ذاهبُ

وقال غلام من بني جذيمة، وهو يسوق بأمّه وأُختَين له وهو هارب بهن من جيش خالد:

رَخَّينَ أذيالَ المُروط وأرْبَعْنْ ... مَشى حَيِيّاتٍ كأَنْ لم يُفْزَعْنْ[2]
إن تُمنَعِ اليومَ نِساءٌ تمنَعْنْ

وقال غِلمة من بني جذيمة، يقال لهم بنو مُساحِق، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم:

قد علِمَتْ صفراءُ بيضاءُ الإطِلْ ... يحوزُها ذو ثَلَّةٍ وذو إبِلْ[3]
لأُغْنِين اليومَ ما أغنَى رجل

وقال الآخر:

قد علمتْ صفراءُ تُلْهي العِرْسا ... لا تملأ الحيزومَ منها نَهْسا[4]
لأضربنّ اليومَ ضَرْباً وَعَسا ... ضَرْبَ المحِلِّينَ مَخاضاً قعْسا[5]

وقال الآخر:

---

(١) التِرَة: طلب الثأر.
(٢) المروط: أثواب من خَزّ. وأربعْن: أقمن.
(٣) الإطل: الخاصرة، ثلّة: جماعة الغنم.
(٤) الحَيْزوم: وسط الصدر. النهس: نهش اللحم بمقدّم الأسنان.
(٥) الوعس: السريع. المُحِلّين: الخارجين من الحرم إلى الحِلّ. المخاض: الإبل الحوامل القعس: الممتنعة عن السير.

أقسمتُ ما إن خادِرٌ ذو لِبَدهْ　　شَثْنُ البَنانِ في غداةٍ بِرْدَه[1]
جَهْمُ المُحَيّا ذو سِبال وَرْدَهْ　　يُرْزِمُ بين أيكةٍ وجَحْدَه[2]
ضارٍ بتأكال الرجال وحْدَهْ　　بأصدقَ الغداةَ منّي نَجْدَه

خالد يهدم العُزَّى: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزَّى وكانت بنخلة، وكانت بيتاً يعظّمه هذا الحيّ من قريش وكِنانة ومُضَر كلّها، وكانت سَدَنتها وحجّابها بني شيبان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم، فلما سمع صاحبها السّلميّ بمسير خالد إليها، علّق عليها سيفه، وأسند في الجبل[3] الذي هي فيه وهو يقول:

أيا عُزَّ شُدِّي شدّة لا شَوَى لها　　على خالدٍ ألْقي القناعَ وشمِّري[4]
يا عُزَّ إنْ لم تقتلي المرءَ خالداً　　فبوئي بإثمٍ عاجلٍ أو تنصّري[5]

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابن شهاب الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة[6].

قال ابن إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان[7].

---

(١) الخادر: الأسد المختبيء في خِدْره. شثن: غليظ.
(٢) السبال: شارب الأسد. يُرْزِم: يصيح، الأيكة: الشجرة الكثيفة الأغصان والجَحْدة: قليلة الأغصان.
(٣) أسند في الجبل: ارتفع فيه.
(٤) لاشوى لها: أي لا تذر شيئاً.
(٥) في كتاب الأصنام للكلبي ٢٦:

أَعُزّاءُ شُدّي شَدَّةً لا تُكَذّبي　　على خالدٍ ألْقي الخِمَارَ وشمِّري
فإنّكِ إلاّ تقتُلي اليومَ خالداً　　تَبُوئي بذلٍ عاجلاً وتَنَصَّري

(٦) تاريخ الطبري ٣/٦٩.
(٧) تاريخ الطبري ٣/٦٩.

غزوة حُنَين في سنة ثمانٍ ـ بعد الفتح(1)

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه مكة، جمعها مالك بن عوف النصْري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلّها، واجتمعت نصر وجُشَم كلّها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم، وفي بني جُشَم دُرَيد بن الصِّمّة شيخ كبير، ليس فيه شيء إلّا التّيمّن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرّباً، وفي ثقيف سيّدان لهم، في الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتّب، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك، وأخوه أحمر بن الحارث، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصْري. فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس(2) اجتمع إليه الناس، وفيهم دُرَيد بن الصّمّة في

(1) انظر عنها في: المغازي لعروة ٢١٤، والمغازي للواقدي ٣/٨٨٥، والطبقات الكبرى ٢/١٤٩، وتاريخ الطبري ٣/٧٠، وتاريخ خليفة ٨٨، والمحبّر ١١٥، وصحيح البخاري ٥/٩٨، وأنساب الأشراف ١/٣٦٤، والبدء والتاريخ ٤/٢٣٥، والكامل في التاريخ ٢/١٨٧، وعيون التواريخ ١/٣٢١، والروض الأنف ٤/١٣٨، وسيرة ابن كثير ٣/٦١٠، ومجمع الزوائد ٦/١٧٨، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٦١، وتاريخ اليعقوبي ٢/٦٢ ـ ٦٤.

(2) ويقال لها أيضاً غزوة أوطاس سُمّيت بالموضع الذي كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشيء=

شِجار[1] له يُقاد به، فلما نزل قال: بأيّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأَوْطاس قال: نعم مجال الخيل! لا حَزْنٌ ضَرس[2]، ولا سهلٌ دَهِس[3]، مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير. وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودُعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبُكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولِمَ ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كلّ رجل منهم أهله وماله، ليقاتل عنهم، قال: فانقضّ به[4]. ثم قال: راعي ضأن، والله! وهل يردّ المنهزم شيء؟ إنّها إنْ كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحدّ والجدّ، ولو كان يوم علاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانك الجَذَعان[5] من عامر، لا ينفعان ولا يضرّان؛ يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بَيضة[6] هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى متمنّع بلادهم وعليا قومهم، ثم القِ الصباء[7] على متون الخيل، فإن كانت لك لحِق بك من وراءك، وإن كانت

= وطْساً إذا كدّرته، وأثّرت فيه. والوطيس: نُقْرة في حجر توقد حوله النار، فيطبخ به اللحم، والوطيس التّنور، وفي غزوة أوطاس قال النبيّ ﷺ: الآن حمي الوطيس، وذلك حين استعرّت الحرب، وهي من الكلم التي لم يُسبق إليها ﷺ. (الروض الأنف ٤/١٣٨).

(١) الشِجار: مركب أصغر من الهودج مكشوف أعلاه.

(٢) الحَزْن. المرتفع. ضرِس: ما فيه حجارة مدبّبة.

(٣) دهِس: ليّن التراب.

(٤) انقضّ به: زجره.

(٥) الجَذَعان: مثنّى جَذَع. الشابّ الحَدَث، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان عن التجربة.

(٦) البيضة: الجماعة.

(٧) الصباء: يقصد بهم المسلمون.

عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر عقلك. واللهلتُـطيعنَّني يا معشر هوازن أو لأتّكئنّ على هـذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكـره أن يكون لـدُرَيد بن الصِّمّـة فيها ذِكْـر أو رأي؛ فقالوا: أطعناك؛ فقال دُرَيد بن الصِّمّة: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني:

يـاليتـني فـيهـا جَـذَع أخـبّ فـيـهـا وأَضـع[1]
أقـود وطـفـاء الـزمـع كـأنـهـا شـاة صـدع[2]

قال ابن هشام: أنشدني غير واحد من أهل العلم بالشِعر قوله:

«يا ليتني فيهـا جَـذَع»

قـال ابن إسحاق: ثم قـال مالـك للناس: إذا رأيتمـوهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدّوا شدّة رجل واحد[3].

قـال: وحـدّثني أُميّـة بن عبد الله بن عمرو بن عثمـان أنـه حُـدّث: أنّ مالك بن عـوف بعث عيونـاً من رجالـه، فأتـوه وقد تفـرّقت أوصالهم، فقـال: ويلكم! ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالاً بِيضاً على خيل بُلق، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فو الله ماردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد[4].

قـال ابن إسحـاق: ولمـا سمـع بهم نبيّ الله ﷺ بعث إليهم عبـد الله بن أبي حَـدْرَد الأسلميّ، وأمره أن يـدخل فِي النـاس، فيقيم فيهم حتى يعلمَ علمهم، ثم يأتيه بخبرهـم، فانطلق ابن أبي حَدْرد، فدخل فيهم، فـأقام فيهم،

---

(١) الجَذَع: الشاب الحدث، ويريد به هنا قوّة الشباب.

(٢) الوطفاء: طويلة الشعر. والشاة: الوعل. صدع: متوسّط بين العظيم والحقير.

(٣) الخبر في تـاريخ الطبـري ٣/٧١، ٧٢، الأغـاني ١٠/١٠ و٣١، تهـذيب تـاريـخ دمشق ٥/٢٢٩، ٢٣٠، نهـايـة الأرب ١٧/٣٢٤، ٣٢٥، معجم البلدان ١/٢٨١، الكـامـل في التـاريخ ٢/٢٦١، ٢٦٢، المغـازي للواقـدي ٣/٨٨٦ ـ ٨٨٩، البـدء والتـاريـخ ٤/٢٣٥، ٢٣٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٧٢، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٢، نهاية الأرب ١٧/٣٢٦، تاريخ الإسـلام ٥٧٤.

حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطّاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبي حَدْرد. فقال ابن أبي حَدْرد: إنْ كذبتني فربّما كذَّبتَ بالحقّ يا عمر، فقد كذّبت من هو خير منّي. فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حَدْرد؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت ضالاًّ فهداك الله يا عمر»[1].

استعارة أدراع صفوان: فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم، ذُكر له أنّ عند صفوان بن أُميّة أدراعاً له وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مُشْرك فقال: «يا أبا أُميّة، إعِرْنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غداً»، فقال صفوان: أغصْباً يا محمد؟ قال: بل عارية ومضمونة حتى نؤدّيها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح؛ فزعموا أنّ رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل[2].

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل رسول الله ﷺ عتّاب بن أُسَيد بن أبي العيص بن أُميّة بن عبد شمس على مكة، أميراً على من تخلّف عنه من الناس، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن[3].

قصيدة ابن مرداس: فقال عباس بن مِرداس السُّلَميّ:

أصابتِ العامَ رِعْلاً غُولُ قومِهِمُ ... وسْطَ البيوت ولَونُ الغُول ألوان[4]

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٧٣، تاريخ الإسلام (المغازي) م ٥٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٧٣، الطبقات الكبرى ٢/١٥٠، المغازي للواقدي ٣/٨٩٠، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٢، نهاية الأرب ١٧/٣٢٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٧٣ وبعض الخبر في الكامل في االتاريخ ٢/٢٦٢، تاريخ الإسلام ٥٧٢.

(٤) رعل: قبيلة من سليم. وفي الحديث قنت رسول الله ﷺ يدعو على رعل وذَكْوان وعُصَيَّة،=

يـا لـهفَ أمِّ كـلابٍ إذ تُبيّـتـهـم خيـلُ ابن هَـوْذَة لا تُنْهَى وإنســان[1]
لا تَلْفِـظُوهـا وشُـدُّوا عقْـد ذِمّتكم أن ابـنَ عمّـكُمُ سـعـدٌ ودُهْمـان[2]
لن تَـرْجعـوهـا وإن كـانت مُجلّلة مـا دام في النَّعَم المـأخـوذ ألبـان
شنعـاء جُلِّل من سـوآتهـا حَضَنٌ وسـال ذو شَـوْغـرٍ منها وسُلْوان[3]
ليست بـأطيبَ ممـا يشتـوي حَـذَفٌ إذ قـال: كلُّ شـواء العَيرِ جُـوْفـان[4]
وفـي هـوازن قـومٌ غيـرَ أنّ بـهـمْ داء اليمـاني فإنْ لم يغْدِروا خـانـوا
فيهم أخٌ لـو وَفَـوا أو بَـرّ عهـدُهُمُ ولـو نهكْنـاهُم بـالـطّعن قـد لانـوا
أبـلِغْ هـوازنَ أعـلاهـا وأسفَلهـا منّي رسـالـة نُصْـح فيـه تِـبيـان
إنّـي أظنّ رسـول الله صـابـحكـم جيشـاً لـه في فضـاء الأرض أركـانُ
فيهم أخـوكم سُلَيم غيـرَ تـاركِكمْ والـمسلمـون عبـادُ الله غـسّـان
وفي عِضـادتـه اليُمنى بنـو أسـدٍ والأجـربـان بنـو عَبْس وذُبيـان[5]
تكـاد تـرجفُ منـه الأرض رهْبتـه وفـي مقـدِّمـة أوس وعـثمـان

قال ابن إسحاق: أوس وعثمان: قبيلا مُزَينة.

قال ابن هشام: من قوله «أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها» إلى آخرها، في هـذا اليوم، وما قبل ذلك في غير هـذا اليوم، وهمـا مفصولتـان، ولكنّ ابن إسحاق جعلهما واحدة.

ذات أنواط: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني ابن شهاب الزُّهْريّ، عن سِنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، أنّ الحارث بن مالك، قال

= وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة، وقد مضى حديثهم فيما تقدّم من السيرة، الغُول: الداهية.

(١) إنسان: قبيلة من قيس ثم من بني نصر. وقيل هم من بني جُشَم بن بكر.

(٢) سعد ودهمان: ابنا نصر بن معاوية بن بكر.

(٣) حضن: جبل في نجد. ذو شوغر وسلوان: واديان.

(٤) حذف: اسم رجل. العير: حمار الوحش. الجوفان: غرموله.

(٥) سمّاها بالأجربين تشبيهاً بالأجرب الذي لا يُقرب.

خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حُنين، قال: وكانت كفّار قريش ومَن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلّقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، قلتم، والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى: **﴿اجْعَلْ لَنَا إلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قومٌ تَجْهلُونَ﴾**[1]. إنها السُّنن، لتركبُنَّ سُنن مَن كان قبلكم».

ثبات الرسول وبعض الصحابة: قال ابن إسحاق؛ فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلنا وادي حُنَين انحدرنا في وادٍ من أودية تِهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحداراً، قال: وفي عماية الصبح[2]، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيّئوا وأعدّوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطّون إلّا الكتائب قد شدّوا علينا شدّة رجلٍ واحد، وانشمر الناس راجعين، لا يلوي أحد على أحد.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: أين أيها الناس؟ هلمّوا إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله. قال: فلا شيء، حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلّا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطّلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه،

(١) سورة هود ـ الآية ٢٩.
(٢) عماية الصبح: ظلامه قبل أن يتبيّن.

والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد. وأيمن بن عُبيد، قُتل يومئذ[1].

قال ابن هشام: اسم ابن أبي سفيان بن الحارث بن جعفر، واسم أبي سفيان المغيرة، وبعض الناس يعدّ فيهم قثم بن العباس، ولا يعدّ ابن أبي سفيان.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: ورجل من هوازن على جملٍ له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتّبعوه[2].

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جُفاة أهل مكة الهزيمة، تكلّم رجال منهم بما في أنفسهم من الضّغْن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإنّ الأزلام لَمَعَه في كِنانته. وصرخ جَبَلة بن الحنبل ـ قال ابن هشام؛ كلدة بن الحنبل ـ وهو مع أخيه صفوان بن أُميّة مُشرك في المدّة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطُل السّحرُ اليوم! فقال له صفوان: اسكت فضَّ الله فاك، فو الله لأن يربني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن[3].

---

(١) إن قيل: كيف فرّ أصحاب رسول الله ﷺ عنه حتى لم يبق معه منهم إلّا ثمانية، والفرار من الزحف من الكبائر، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل. قلنا: لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلّا في يوم بدر، كذلك قال الحسن ونافع مولى عبيد الله ابن عمر وظاهر القرآن يدلّ على هذا، فإنه قال: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يومئذٍ دُبُرَهُ﴾ فيومئذ إشارة إلى يوم بدر، ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفارّين يوم أُحُد وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا الله عَنْهُمْ﴾ وكذلك أنزل يوم حُنَين: ﴿ويَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله ﴿غفورٌ رحيمٌ﴾ وفي قول ابن سلام: كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر، وأيضاً فإنّ المنهزمين عنه عليه السلام رجعوا لِحِينهم، وقاتلوا معه حتى فتح الله عليهم. (الروض الأنف ٤/١٤١).

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٧٤،المغازي للواقدي ٣/٨٩٨،تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٦.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٧٤، ٧٥، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣.

حسّان يهجو كَلَدة: قال ابن هشام: وقال حسّان بن ثابت يهجو كَلَدة:

رأيت سـواداً من بـعيـدٍ فـراعني ... أبـو حَنْبـلٍ ينـزو على أمّ حنْبـل

كـأنّ الـذي ينـزو بـه فـوق بـطْنهـا ... ذراعُ قَلُوصٍ من نِتـاج ابن عزْهِـلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين، وذكر لنـا أنه هجـا بهما صفـوان بن أُميّة، وكان أخا كَلَدة لأمّه.

شيبة بن طلحة يحاول قتل الـرسول: قـال ابن إسحاق: وقـال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدّار: قلت: اليوم أدرك ثأري، وكان أبوه قُتل يوم أُحُد، اليوم أقتل محمداً. قال: فأدرت برسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتّى تغشّى فؤآدي، فلم أطق ذاك، وعلمت أنه ممنوع منّي[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل مكة، أنّ رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكة إلى حُنَين، ورأى كثـرة من معه من جنـود الله: «لن نُغلب اليوم من قلّة».

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أنّ رجلاً من بني بكرٍ قالها[2].

النصر: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن كثيـر بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطّلب، قال: إنّي لَمَع رسول الله ﷺ آخذٌ بحكمة بغلته البيضـاء قد شجـرتها بهـا، قال: وكنت امـرءاً جسيماً شـديد الصـوت، قال. ورسول الله ﷺ يقول حين رأى مـا رأى من الناس: «أين أيهـا الناس»؟ فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال: «يا عباس اصرخ، يا معشرَ الأنصار: يا معشر أصحابِ السَّمُرَة»، قال: فأجابوا: لبّيـك، لبّيك! قـال: فيذهب الـرجل ليثني بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيـأخذ درعـه، فيقذفهـا في عنقه، ويـأخذ سيفـه وتـرسـه ويقتحم عن بعيـره، ويخلّي سبيله، فيؤمّ الصـوت، حتى ينتهي إلى

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٧٥، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٥.

رسـول الله ﷺ. حتى إذا اجتمع إليـه منهم مائـة، استقبلوا الناس، فـاقتتلوا، وكانت الدعوى أولِ ما كـانت: يالـلأنصار. ثم خلصت أخيـراً: يا للخـزرج. وكانوا صُبراً عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنـظر إلى مجتَلَد القوم وهم يجتلدون، فقال: «الآن حمي الوطيس»[1].

قـال ابـن إسحـاق: وحـدّثـني عـاصـم بن عـمـر بن قَتـادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قـال: بينا ذلـك الرجـل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيـأتيه عليّ بن أبي طـالب من خلفه، فضرب عرقوبَيْ الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصـاريّ على الرجل، فضربه ضـربة أطنَّ قـدمه[2] بنصف سـاقه، فـانجعف عن رَحْله، قال: واجتلد النـاس، فـو الله مـا رجعت راجعـة النـاس من هـزيمتهم حتى وجـدوا الأسارى مكتَّفين عند رسول الله ﷺ.

قـال: والـتفـت رسـول الله ﷺ إلى أبـي سفـيـان بن الـحـارث بن عبد المطّلب وكان ممّن صبر يـومئذ مـع رسول الله ﷺ، وكـان حَسَن الإسلام حين أسلم، وهـو آخذ بثَفَـر بغلته[3]، فقـال: «من هذا»؟ قـال: أنا ابن أمّـك يا رسول الله[4].

أم سُليم في المعركة: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني عبد الله بن أبي بكـر: أنّ رسـول الله ﷺ التفتـه فـرأى أمّ سُلَيم بنت مِلْحـان[5] وكـانت مـع زوجهـا أبي طلحـة[6] وهي حـازمـة وسْـطَهـا ببُـرْد لهـا، وإنّهـا لحـامـل بعبـد الله بن

(١) تاريخ الطبري ٣/٧٦، الطبقات لابن سعد ٢/١٥١، المغازي للواقدي ٣/٨٩٩، ٩٠٠، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣، ٢٦٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٢) أطنَّ قدمه: أطارها وسمع لضربه طنين.

(٣) الثفر: سير من جلد يوضع في مؤخّرة السَّرْج.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٧٦.

(٥) واسمها: مُلَكية. ويقال: رُميلة، وقيل سُهيلة.

(٦) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام.

أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة، وقد خشيت أن يعزّها[1] الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خِزامته[2] مع الخطام، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمّ سُلَيم»؟ قلت: نعم، بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنّهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله ﷺ: «أوَ يكفي الله يا أمّ سُليم»؟ قال: ومعها خِنْجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخِنْجر معك يا أمّ سُلَيم؟ قالت: خِنجر أخذته، إنْ دنا منّي أحد من المشركين بعجته به قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سُلَيم الرُّميصاء[3].

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ، حين وجّه إلى حُنَين، قد ضمّ بني سُلَيم الضّحّاك بن سفيان الكِلابيّ، فكانوا إليه ومعه، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه.

أقدِمْ مُحاجُ إنّه يومُ نُكُرْ مثلي على مثلكَ يحمي ويَكُرّ
إذا أُضيعَ الصَّفُّ يوماً والدُّبُرْ ثم احْزَأَلّتْ[4] زُمَرٌ بعد زُمَر
كتائبٌ يكِلُّ فيهنّ البصرْ قد أطْعَنُ الطعنة تَقْذي بالسُّبُر[5]
حين يُذَمُّ المستكينُ المنجَحِرْ وأطعنُ النجلاء تَعْوي وتَهِر[6]
لها من الجوف رَشاشٌ مُنهمِرْ تَفْهَقُ[7] تاراتٍ وحيناً تنفجر
وثعلبُ العامِلِ[8] فيها منكسِرْ يا زَيدُ يابن هَمْهَم أين تفرّ

(١) يعزّها: يغلبها.
(٢) الخزامة: حلقة من شعر تُجعل في أنف البعير.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٧٦، ٧٧ والحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير (١٣٤/١٨٠٩) باب غزوة النساءمع الرجال، وأبو داود في الجهاد (٢٧١٨) باب في السلب يُعطي القاتل. وأحمد في المسند ٣/١٠٩ و ٩٠/و ٢٧٩ و ٢٨٦.
(٤) أحزألت: ارتفعت.
(٥) السبر: جمع سبير وهو الفتيل يسبر به الجرح.
(٦) النجلاء: الطعنة الواسعة. تعوي وتَهِر: أي يُسمع لخروج الدم منها أصوات كالعواء والهرير.
(٧) تفهق: تَنفتح.
(٨) الثعلب: عصا الرمح الداخلة في السنان. العامل: أعلى الرمح.

قـد نفِـذ الضّرس وقـد طـال العُمُـرْ قـد علم البيضُ الـطويـلاتُ الخُمُـر
أنّـي فـي أمـثـالـهـا غـيـرُ غَـمِـرْ إذ تُخْـرجُ الحاصنُ من تحت السُّتُـرْ

وقال مالك بن عوف أيضاً:

أقـدم مُـحـاجُ إنـهـا الأسـاورة ولا تـغـرنّـك رِجْـلُ نـادره[1]

قال ابن هشام: وهذان البيتان لغير مالك بن عوف في غير هذا اليوم.

من قتـل قتيلاً فله سَلَبُـه: **قـال ابن إسحـاق**: وحـدّثني عبـد الله بن أبي بكـر، أنـه حُـدّث عن أبي قتـادة الأنصـاريّ قـال: وحـدّثني من لا أتّهم من أصحـابنا، عن نـافع مـولى بني غفَار أبي محمـد، عن أبي قتادة، قـالا: قـال أبو قتادة: رأيت يوم حُنين رجُلين يقتتلان: مسلمـاً ومشركـاً، قال: وإذا رجـل من المشـركين يريـد أن يعين صاحبـه المشرك على المسلم. قـال: فـأتيتـه، فضربت يده فقطعتها، واعتنقني بيده الأخرى، فو الله ما أرسلني حتى وجـدت ريح الدم ـ ويُروى: ريح الموت، فيما قال ابن هشام ـ وكاد يقتلني، فلولا أنّ الدم نزفه لقتلني، فسقط، فضربته فقتلته، وأجهضني عنه القتال، ومرّ به رجل من أهـل مكّة فسلبـه، فلما وضعت الحـرب أوزارها وفـرغنـا من القـوم، قـال رسـول الله ﷺ: «من قتل قتيـلاً فله سَلَبُه»، فقلت: يـا رسـول الله، والله لقـد قتلت قتيلاً ذا سلب، فأجهضني عنه القتال، فما أدري من استلبه؟ فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسـول الله، وسلب ذلك القتيـل عندي، فـأرْضه عنّي من سَلَبه، فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: لا والله، لا يرضيه منه، تعمد إلى أسد من أسد الله، يقـاتل عن دين الله، تقـاسمه سَلَبـه؟! اردُدْ عليه سَلَب قتيله، فقال رسول الله ﷺ: «صَدَق فاردُدْ عليه سَلَبه». فقال أبو قتادة: فأخذته

---

(١) الأساورة: قادة الفرس. النادرة: أي التي قد ندرت أي انفصلت وبعدت.

(٢) وفي هـذا الحديث من الفقـه أنّ السَلب للقاتـل حُكماً شـرعياً جعـل ذلـك الإمـام لـه، أو لم يجعله، وهـو قول الشـافعي. وقال مـالك: إنّمـا ذلك إلى الإمـام لـه أن يقـول بعـد معمعـة الحرب: من قتل قتيلاً فله سَلبه، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئـلاّ يخالط النيّة غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى.

منه، فبِعْتُه، فاشتريت بثمنه مَخْرَفاً(1) فإنّه لَأولُ مال اعتقدته(2).

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أبي سَلَمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: لقد استلب أبو طلحة يوم حُنَين وحده عشرين رجلاً(3).

الملائكة تحضر القتال: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، أنه حُدّث عن جُبير بن مُطْعِم، **قال:** لقد رأيت ـ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون ـ مثل البِجاد(4) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مبثوث، قد ملأ الوادي لم أشكّ أنها الملائكة، ثم لم يكن إلّا هزيمة القوم(5).

قال ابن إسحاق: ولما هزم الله المشركين من أهل حُنَين، وأمكن

---

(1) مَخْرَف بفتح الراء وكسرها نخلة، وأما كسر الميم فإنّما هو للمِخْرَف، وهي الآلة التي تُخترف بها التمرة أي تُجتنى. و بفتح الميم معناه البستان من النخل، هكذا فسّروه، وفسّره الحربيّ، وأجاد في تفسيره، فقال: المَخْرَف: نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عَشر. فما فوق ذلك، فهو بستان أو حديقة، ويقوّي ما قاله الحربيّ ما قاله أبو حنيفة الدِّيَنوَرِيّ، قال: المَخْرف؛ مثل الخروفة: هي النخلة يخترفها الرجل لنفسه ولعياله، وأنشد:

مثل المخارف من خيلان أو هجرا

قال: ويقال للخروفة: خريفة أيضاً. (الروض الأنف ٤/١٤٢).

(2) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس (٤/١١٢ ـ ١١٣) باب من لم يخمّس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سَلَبه، وفي المغازي (٥/١٩٦) باب قول الله تعالى: **ويوم حُنَينٍ إذ أعجبتكم كثرتكم.** وأبو داود عن القعنبي في كتاب الجهاد (٢/٧٠) باب في السلَب يُعطى القاتل، رقم (٢٧١٧). ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل (٤١/١٧٥١)، ومالك في الموطّأ، كتاب الجهاد، ما جاء في السلب في النقل ـ ص ٣٠١ رقم ٩٨١، الذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٤، ٥٨٥.

(3) تاريخ الطبري ٣/٧٧ والحديث صحيح أخرجه أبو داودفي الجهاد ٢٧١٨ باب في السلب يعطي القاتل، والدارمي في السير (٤٣)، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٥، وابن الأثير في الكامل ٢/٢٦٥.

(4) البِجاد: الكساء.

(5) الطبري ٣/٧٧.

رسولَه ﷺ منهم، قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللاّتِ والله أحقُّ بالثّباتِ

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر:

غلبت خيلُ الله خيلَ اللاّتِ وخيلُه أحقُّ بالثباتِ

قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هوازن استحرّ القتل من ثقيف في بني مالك، فقُتل منهم سبعون رجلًا تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، وكانت رايتهم مع ذي الخمار[1]، فلما قُتل أخذها عثمان بن عبد الله، فقاتل بها حتى قُتل[2].

قال ابن إسحاق: وأخبرني عامر بن وهْب بن الأسود، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ قتْله، قال: أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشاً[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس: أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانيّ أغرل[4]، قال: فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد يسلبه، فوجده أغرل. قال: فصاح بأعلى صوته: يا معشر العرب: يعلم الله أن ثقيفا غرل. قال المغيرة بن شعبة: فأخذت بيده، وخشيت أن تذهب عنّا في العرب، فقلت: لا تقل ذاك، فداك أبي وأمّي، إنّما هو غلامٍ لنا نصرانيّ. قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى، وأقول له: ألا تراهم مُختّنين كما ترى[5].

قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمّه وقومه من الأحلاف،

---

(١) هو عوف بن الربيع.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٧٧.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٧٧.
(٤) الأغرل: غير المختتن.
(٥) تاريخ الطبري ٣/٧٨،الكامل في التاريخ ٢/٢٦٥، المغازي للواقدي ٣/٩١١.

فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين: رجل من غيرة، يقال لـه وهْب، وآخر من بني كبّة، يقال له الجُلاح: فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجُلاح: «قتل اليوم سيّد شباب ثقيف، إلاّ ما كان من ابن هُنَيدة»، يعني بابن هُنَيدة الحارث بن أوَيس[1]:

فقال عباس بن مِرْداس السُّلَميّ يذكر قارب بن الأسود وفِراره من بني أبيه، وذا الخمار وحبْسه قومه للموت:

ألا مَن مُبْلِغٌ غَيْلانَ عنّي ... وسوف - إخال - يأتيه الخبيرُ[2]
وعُروة إنّما أُهْدِي جواباً ... وقولاً غير قولِكُما يسير
بأنّ محمداً عبدٌ رسول ... لربّ لا يضِلُّ ولا يَجُور
وجدناه نبيّاً مثلَ موسى ... فكلّ فتى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ
وبئس الأمرُ أمرُ بني قَسِيٍّ ... بوَجٍّ[3] إذْ تُقُسِّمَتِ الأمور
أضاعوا أمرَهم ولكلّ قومٍ ... أميرٌ والدوائرُ قد تدور
فجئنا أُسْدَ غاباتٍ إليهِمْ ... جنودُ الله ضاحيةً[4] تسير
يؤمُّ الجمْعَ جمعَ بني قَسِيٍّ ... على حَنَقٍ نكاد له نطير
وأُقْسِمُ لو هُمُ مكثوا لسِرْنا ... إليهمْ بالجنود ولم يَغُوروا[5]
فكُنّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمّ حتّى ... أبحْناها وأُسلِمَتِ النصور[6]

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٧٨ وفيه «الحارث بن أوس».
(٢) الفعل المستقبل هو: يأتيه، وإن كان حرف (سوف) داخلاً على إدخال في اللفظ فإنّما يدلّ عليه من الاستقبال إنّما هو الفعل الثاني كما قال:
وما أدري وسوف إخال أدري
وذلك أنّ إخال في معنى: أظنّ، وليس يريد أنه يظنّ فيما يستقبل، وأنّما يريد أن يخال الآن أن سيكون ذلك. (الروض الأنف ٤/١٤٢).
(٣) قسيّ: اسم ثقيف. وجّ: واد بالطائف.
(٤) ضاحية: ظاهرة.
(٥) لم يغوروا: لم يذهبوا.
(٦) لِيّة: موضع قريب من الطائف. النصور: قيل إنها جمع ناصر وقيل: هم بنو نصر من هوازن. رهط مالك بن عوف النصْريّ يقال لهم النصور، كما يقال لبني المنذر: المناذرة.

ويومٌ كان قبلُ لدى حُنَين ... فأقلع والدماء به تمور
من الأيام لم تَسمع كيوم ... ولم يَسْمع به قومٌ ذُكور
قتلنا في الغُبار بني حُطَيْطٍ ... على راياتها والخيل زُورُ[1]
ولم يك ذو الخِمار رئيسَ قوْم ... لهم عقل يعاقب أو مَكير
أقام بهمْ على سَنَن المنايا ... وقد بانتْ لمُبْصِرها الأمور
فأفلَتَ مَن نجا منهم جَريضاً ... وقُتِّلَ منهم بشرٌ كثير[2]
ولا يُغْني الأمورَ أخو التواني ... ولا الغَلق الصُّرَيرة الحَصُور[3]
أحانهُمُ وحان وملَّكوهُ ... أمورَهُمُ وأفلتَتِ الصُّقُور
بنو عوف تَميح بهمْ جِيادٌ ... أُهينَ لها الفَصافِص والشعير[4]
فلولا قاربٌ وبنو أبيه ... تُقُسِّمت المزارع والقُصور
ولكنّ الرياسة عُمِّموها ... على يُمْنٍ أشار به المشير
أطاعوا قارِباً ولهم جدود ... وأحلام إلى عِزٍّ تصير
فإنْ يُهْدَوْا إلى الإسلام يُلْفَوْا ... أُنوفَ الناس ما سمر السمير
وإنْ لم يُسْلِموا فهم أذانٌ ... بحرب الله ليس لهم نصير
كما حَكَّتْ بني سعد وحرْبٌ ... برهْط بني غزِيّة عَنْقفير[5]
كأنّ بني معاويةَ بن بكْرٍ ... إلى الإسلام ضائنة تخور
فقلنا أسلِمُوا إنّا أخوكمْ ... وقد برأتْ من الإِحَنِ الصُّدُور
كأنَّ القومَ إذ جاءوا إلينا ... من البغضاء بعد السِّلم عُور

---

(١) زور: مائلة.
(٢) الجريض: من يغصّ بريقه. والجمع: جرضى.
(٣) الغلِق: ضيّق الخُلُق. الصريرة: مصغَّر الصرورة وهو الذي لم يتزوّج، والحصور: الذي لا يأتي النساء.
(٤) تميح: تمشي مشْياً مستوياً. الفصافص: جمع فصفصة: النبات الذي تأكله المواشي رطباً.
(٥) العنقفير: الداهية.

قال ابن هشام: غيلان: غيلان بن سَلَمَة الثقفي، وعُروة: عُروة بن مسعود الثقفي.

مقتل دُرَيد: قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون، أتوا الطائفَ ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوْطاس، وتوجّه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلاّ بنو غِيَرَة من ثقيف، وتبعَت خيلُ رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

فأدرك ربيعة بن رُفَيع بن أهْبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يَرْبوع بن سَمَّال بن عوف بن امريء القيس، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة[1] وهي أمّه، فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لذعة فيما قال ابن هشام - دُرَيْد بن الصِّمّة، فأخذ بخِطام جَمله وهو يظنّ أنه امرأة، وذلك أنه في شِجار له، فإذا برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، و إذا هو دُرَيد بن الصِّمّة ولا يعرفه الغلام، فقال له دُرَيد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السّلميّ، ثم ضربه بسيفه، فلم يُغْن شيئاً، فقال: بئس ما سلّحتك أمّك: خذ سيفي هذا من مؤخّر الرَّحْل، وكان الرَّحْل في الشِجار، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإنّي كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمّك فأخبِرْها أنّك قتلت دُرَيد بن الصِّمّة فربَّ والله يومٌ قد منعتُ فيه نساءك. فزعم بنو سُلَيم أنّ ربيعة لما ضربه فوقع تكشّف، فإذا عجانه[2] وبطون فخِذيه مثل القرطاس، من ركوب الخيل أعراء[3]؛ فلما رجع ربيعة إلى أمّه أخبرها بقتْله إيّاه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمّهاتٍ لك ثلاثاً[4].

فقالت عَمرة بنت دُرَيد في قتل ربيعة دُرَيْداً:

---

(١) في تاريخ الطبري ٧٩/٣ «لذعة». أنظر: أسد الغابة ٢١١/٢ وتجريد أسماء الصحابة ١٧٩/١، ١٧٩/١، والإصابة ٥٠٧/١.

(٢) العجان: الإسْت.

(٣) أعراء: جمع عرى وهو الفَرَس لاسَرْج له.

(٤) تاريخ الطبري ٧٨/٣، ٧٩، الأغاني ٣١/١٠، ٣٢، المغازي للواقدي ٩١٤/٣، ٩١٥.

لَعَمرُكَ ما خشيتُ على دُرَيْدٍ ... ببطن سُمَيْرَةٍ جيش العَنَاق[1]
جزى عنه الإله بني سُليمٍ ... وعقَّتْهُمْ بما فعلوا عَقاقِ
وأسْقانا إذا قُدْنا إليهم ... دماء خِيارهم عند التّلاقي
فربّ عظيمة دافعتَ عنهم ... وقد بلغت نفوسهمُ التراقي
ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهمْ ... وأخرَى قد فككتَ من الوثاق
ورُبّ مُنَوِّهٍ بك من سُليم ... أجبتَ وقد دعاك بلا رَماق[2]
فكان جزاؤنا منهم عُقُوقاً ... وهَمّاً ماع منه مُخُّ ساقي
عَفَت آثار خيلك بعد أيْنٍ ... بذِي بقرٍ إلى فيْفِ النُّهاقِ[3]

وقالت عمرة بنت دُريد أيضاً:

قالوا قلنا دُرَيداً قلت قد صدقوا ... فظلّ دمعي على السِّرْبالِ ينحدرُ
لولا الذي قهر الأقوامَ كلّهمُ ... رأت سُلَيم وكعب كيف تأتمر
إذنْ لصبّحهم غِبّاً وظاهرةً ... حيث استقرّتْ نواهُمْ جحفلٌ ذَفِر[4]

قال ابن هشام: ويقال اسم الذي قتل دُريداً: عبد الله بن قنيع بن أهْبان بن ثعلبة بن ربيعة.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجّه قِبَل أوْطاس أبا عامر الأشعريّ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم، فناوشوه القتال فرُمي أبو عامر بسهم فقُتل؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعريّ، وهو ابن عمّه فقاتلهم، ففتح الله على يديه وهزمهم. فيزعمون أنّ سَلَمة بن دُرَيد هو الذي رمى أبا عامر الأشعريّ بسهم[5]: فأصاب رُكبته، فقتله، فقال:

---

(١) سُمَيْرة: وادٍ قرب حُنَين. العَنَاق: الأمر الشديد.
(٢) الرَماق: بقية الحياة.
(٣) ذو بقر: موضع. فيف: قفر. النهاق: موضع.
(٤) الغبّ في الأصل: أن تَرِد الإبل الماءَ يوماً بعد يوم. وظاهرة: أن ترده كلّ يوم. ذَفِر: ذو رائحة كريهة من صدأ الحديد. والأبيات في الأغاني ١٠/٣٣ بإختلاف في الألفاظ.
(٥) تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٩.

إنْ تسـألـوا عنّي فـإنّي سَلَمـهْ ابنُ سَمَـادِيـرَ لـمنْ تـوسَّـمـهْ
أضربُ بالسيف رؤوس المُسْلِمهْ[1]

وسمادير: أمّه.

واستحـرّ القتْل من بني نصـر في بني رئـاب، فـزعمـوا أنّ عبـد الله بن قيس ـ وهو الذي يقال له ابن العَوْراء، وهو أحـد بني وهْب بن رئاب ـ قال: يا رسـول الله هلكت بنو رئـاب. فزعمـوا أنّ رسـول الله ﷺ قـال: «اللهم اجبُـرْ مصيبتهم»[2].

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومـه، على ثنِيّـة من الـطريق، وقـال لأصحـابـه: قفـوا حتى تمضي ضعفـاؤكم، وتلحق أُخراكم، فوقف هناك حتى مضى من كان لحِق بهم من منهزمة الناس[3]؛ فقال مالك بن عوف في ذلك:

ولـولا كـرَّتـان عـلى مُـحـاجٍ لضـاق على العضـاريط الـطريقُ[4]
ولـولا كَـرُّ دُهْـمـانَ بـن نـصْـر لـدى النّخـلاتِ مُنْـدَفَع الشّـديق[5]
لآبـتْ جـعـفـرٌ وبـنـو هِـلال خـزايـا مُحقِبيـن على شـقـوق[6]

قال ابن هشام: هذه الأبيات لمالك بن عـوف في غير هـذا اليوم. ومـا يدلّك على ذلك قول دُرَيد بن الصّمّة في صدر هذا الحـديث: ما فعلت كعب وكلاب؟ فقالوا له: لم يشهدها منهم أحد. وجعفرٌ بن كلاب.

وقال مالك بن عوف في هذه الأبيات: «لآبت جعفر وبنو هلال».

قال ابن هشام: وبلغني أنّ خيـلاً طلعت ومالـك وأصحابـه على الثنيّة، فقـال لأصحابـه: ماذا تـرون؟ فقالـوا: نرى قـومـاً واضعي رمـاحَهم بين آذان

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٠.
(٢) المغازي للواقدي ٣/٩١٦.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٨٠.
(٤) محاج: فرس مالك: العضاريط: الأُجَراء.
(٥) الشديق: وادٍ من وديان الطائف.
(٦) محقبين: مردفين. شقوق: أي على مشقّة.

خيلهم، طويلة بوادهم[1]؛ فقال: هؤلاء بنو سُليم، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي. ثم طلعت خيل أخرى تتبعها؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً عارضي رماحهم، أغفالاً[2] على خيلهم فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم. فلما انتهوا إلى الثنيّة سلكوا طريق بني سُلَيم. ثم طلع فارس؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى فارساً طويل الباد، واضعاً رُمْحه على عاتقه، عاصباً رأسه بمُلاءة حمراء فقال: هذا الزُبَير بن العوّام وأحلِف باللّات لَيخالطنّكم، فاثبتوا له. فلما انتهى الزُبير إلى أصل الثنيّة أبصر القوم، فصمد لهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها[3].

قال ابن إسحاق: وقال سَلَمة بن دُرَيد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم:

نسَّيْتِني ما كنت غيرَ مُصابيةٍ ... ولقد عرفْتِ غَداة نَعْف الأظْرُب[4]
أنّي مَنَعْتُك والرُّكُوبُ مُحبَّبٌ ... ومشيتُ خلفكِ مثلَ مشي الأنكب[5]
إذ فرّ كلّ مهذَّب ذي لِمّةٍ ... عن أُمّه وخليله لم يُعْقِب

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه: أنّ أبا عامر الأشعريّ لقي يوم أوْطاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهمّ اشهدْ عليه، فقتله أبو عامر، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم إشهد عليه، فقتله أبو عامرُ ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك،حتى قتل تسعة، وبقي العاشر؛ فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر، وهو يدعوه إلى

(١) بوادهم: جمع بادٍ وهو باطن الفخذ.
(٢) أغفالاً: غير معلّمين بعلامة.
(٣) المغازي للواقدي ٩١٦/٣، ٩١٧.
(٤) النعْف: أسفل الجبل. الأظرب: الجبل الصغير.
(٥) الأنكب: المائل إلى جهة.

الإسلام ويقول: اللهمّ اشهدْ عليه؛ فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليَّ، فكفّ عنه أبو عامر، فأفلت؛ ثم أسلم بعد فحسُن إسلامه. فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شريد أبي عامر». ورمى أبا عامر أخَوان: العلاء وأوفى ابنا الحارث، من بني جُشَم بن معاوية، فأصاب أحدُهما قلبه، والآخر رُكبته، فقتلاه. وولي الناس أبو موسى الأشعريّ فحمل عليهما فقتلهما[1]، فقال رجل من بني جُشَم بن معاوية يَرْثيهما:

إنّ الرَّزِيّة قَتْل العلاءِ ... وأوفى جميعاً ولم يُسْنَدا[2]
هما القاتلان أبا عامرٍ ... وقد كان ذا هَبّة أربَدا[3]
هُما تركاه لدى مَعْرَكٍ ... كأن على عِطْفه مُجْسَدَا[4]
فلم تر في النّاس مثليهما ... أقلَّ عِثارا وأرمى يدا

المَنْهيُّ عن قتلهم: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني بعض أصحابنا: أنّ رسول الله ﷺ مرَّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصّفون[5] عليها فقال: «ما هذا»؟ فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد: فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «أدرِكْ خالداً، فقل له: إنّ رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عَسِيفاً»[6].

الشَّيْماء أخت الرسول: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني بعض بني سعد بن بكر أنّ رسول الله ﷺ قال يومئذٍ: إنْ قدِرتم على بجاد، رجل من بني سعد بن بكر، فلا يُفْلِتَنَّكُم، وكان قد أحدث حَدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشَّيْماء، بنت الحارث بن عبد العُزَّى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنّفُوا عليها في السيّاق: فقالت للمسلمين: تعلموا والله أنّي

---

(١) أنظر الخبر في المغازي للواقدي ٣/٩١٥، ٩١٦.
(٢) لم يُسْنَدا: لم يبق فيهما رمق.
(٣) ذاهَبّة: له سيف ذو هَبّة: والهبّة الاهتزاز.
(٤) المُجْسَد: المصبوغ بالجساد وهو الزَّعْفران.
(٥) متقصّفون: مجتمعون في ازدحام.
(٦) العسيف: الأجير.

لأُخْتُ صاحبكم من الرضاعة؛ فلم يصدّقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن عُبيد السَّعديّ، قال: فلما انتُهي بها إلى رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله، إنّي أختك من الرضاعة، قال: «وما علامة ذلك»؟ قالت: عضّة عضَضْتَنِيها في ظهري وأنا متورّكتُكَ. قال: فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه، وخيَّرها، وقال: إن أحببتِ فعندي محبّة مُكْرَمَة، وإنْ أحببتِ أن أمتِّعْك[1] وترجعي إلى قومك فعلتُ، فقالت: بل تمتّعني وتردّني إلى قومي، فمتّعها رسول الله ﷺ، وردّها إلى قومها: فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول، وجارية، فزوّجت أحدهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيّة[2].

ما أنزل الله في حُنَيْن: **قال ابن هشام**: وأنزل الله عزّ وجلّ في يوم حُنين: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ الله فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ**﴾: إلى قوله ﴿**وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ**﴾[3].

شهداء حُنَين[4]: **قال ابن إسحاق**: وهذه تسمية من استُشهد يوم حُنَين من المسلمين:

من قريش ثم من بني هاشم: أيمن بن عُبيد.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، جمح به فرس له يقال له الجناح، فقُتل.

ومن الأنصار: سُراقة بن الحارث[5] بن عديّ، من بني العَجْلان.

---

(١) أي أعطيك ما يمتّعك أي ما يكون فيه متعتك وانتفاعك.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٨١ وانظر عن الشيماء بنت الحارث في: الاستيعاب ٤/٣٤٤، وأسد الغابة ٥/٤٨٩، والإصابة ٤/٣٤٤ رقم ٦٣٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٠.

(٣) سورة التوبة ـ آية ٢٥.

(٤) أنظر الأسماء في: المغازي لعروة ٢١٩ وفيها نقص، والطبقات الكبرى ٢/١٥٢، وتاريخ خليفة ٨٨، ٨٩، والمغازي للواقدي ٣/٩٢٢، ومجمع الزوائد ٦/١٩٨، ١٩٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٩، وتاريخ الطبري ٣/٨١، والكامل في التاريخ ٢/٢٦٦وفيه نقص.

(٥) الطبقات الكبرى ٢/١٥٢ وفي تاريخ الإسلام «سراقة بن حباب».

ومن الأشعريّين: أبو عامر الأشعريّ.

سبايا حُنَين وأموالها: ثم جُمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حُنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغِفَاريّ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجِعْرانة، فحُبست بها(١).

ما قيل من الشعر يوم حُنَين: وقال بُجير بن زُهير بن أبي سُلْمى في يوم حُنَين:

لولا الإلهُ وعبدُه وَلَّيتُمُ ... حين استخفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جبان
بالجِزع يومَ حَبَا لنا أقْرانُنا ... وسَوابحٌ يَكْبُون للأذقان(٢)
من بين ساعٍ ثوبهُ في كفّه ... ومقطَّرٍ بسنابكٍ ولَبَان(٣)
والله أكرمنا وأظهرَ دِيننا ... وأعزّنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرَّق جمْعَهم ... وأذلّهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام: ويروي فيها بعض الرواة:

إذ قام عمُّ نبيّكم ووليّه ... يدعون: يا لَكتيبة الإيمان
أين الذين همُ أجابوا ربَّهمْ ... يوم العُرَيض وبيعة الرِّضْوان

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرْداس في يوم حُنَين:

إنّي والسّوابح يومَ جَمْعٍ ... وما يتلو الرسولُ من الكتاب
لقد أحببتُ ما لَقِيتْ ثقيفٌ ... بجنْب الشِّعْب أمسِ من العذاب
همُ رأسُ العدوّ من أهل نجْدٍ ... فقتلهُمُ ألذُّ من الشراب
هزمنا الجمعَ جمعَ بني قَسيٍّ ... وحكّتْ بَرْكَها ببني رئاب(٤)
وصِرْماً من هِلال غادرتهمْ ... بأوْطاس تُعفَّر بالتراب(٥)

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٨١.
(٢) الجِزع: ما انعطف من الوادي. حبا: اعترض. سوابح: أي خيل سوابح: وهي المسرعة. يكْبون: يسقطون.
(٣) مقطّر: مُلقى على قطره، أي جنبه. ولَبَان الفرس: صدره.
(٤) البرك: الصدر، ويريد بحكّة بركها: شدّة وطأة الحرب.
(٥) الصرم: الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحيّ.

ولـو لاقَيْنَ جمـعَ بـني كـلابٍ   لـقـامَ نسـاؤهـم والنَّـقْـع كـابـي
ركَضْنـا الخيـلَ فيهـم بيـن بُـسٍّ   إلى الأوْرال تَنْحِطُ بـالـنّهـاب[1]
بـذي لَجَـبٍ رسـولُ الله فيـهـم   كـتـيـبـتـهُ تَـعـرَّض لـلضِّـراب

قال ابن هشام: قوله «تعفّر بالتراب»: عن غير ابن إسحاق.

فأجابه عطيّة بن عُفَيف النصْريّ، فيما حدّثنا ابن هشام، فقال:

أفـاخـرةٌ رِفـاعـةُ فـي حُـنَـيـنٍ   وعبـاسُ بن راضعـةِ اللِّجـاب[2]
فـإنَّـك والـفِجـارَ كـذات مِـرْطٍ   لـربَّـتِـهـا وتـرفُـلُ في الإهـاب

قال ابن إسحاق: قال عطيّـة بن عُفَيِّف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن في يوم حُنَين. ورفاعة من جُهينة.

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

يـا خـاتم النُّبـاءِ إنّـك مُـرسـلٌ   بـالحقّ كـلّ هُـدى السبيـلِ هُـداكـا
إنّ الإلـه بـنـى عـلـيـك مـحـبّـةً   في خَلْقـه ومـحـمـداً سمّـاكـا
ثمّ الـذين وَفَـوا بمـا عـاهـدتَهم   جنـدٌ بعـثْتَ عليهـمُ الضَّحّـاكـا
رجُـلاً بـه ذَرَبُ[3] السّـلاح كـأنـه   لـمـا تـكـنَّـفَـه الـعـدوُّ يـراكـا
يغشى ذوي النّسب القـريب وإنّمـا   يبغي رضـا الـرحمن ثم رضـاكـا
أُنـبـيـكَ أنّـي قـد رأيـت مَـكـره   تحت العَجاجـة يـدمَـغُ الإشـراكـا
طَـوْراً يـعـانق بـالـيـدين وتـارةً   يَفْـري الجمـاجمَ صـارمـاً بتّـاكـا[4]
يغشى بـه هـامَ الكُمـاة ولـو تـرى   منـه الـذي عـاينتُ كـان شفـاكـا
وبـنـو سُليـم مُـعْنِـقـون أمـامـه   ضـرْبـاً وطعْنـاً في العـدوّ دِراكـا[5]

---

(١) بسّ والأوْرال: مكانان. تنحطّ: تخرج أنفاسها عالية.
(٢) اللِّجاب: العَنز.
(٣) الذَرَب: الحدّة.
(٤) بتّاك: قاطع.
(٥) مُعْنِقون: مُسرعون. دراك: متتابع.

يمشون تحت لوائه وكأنّهم   أُسْدُ العَرِين أرَدْن ثمّ عِراكا[1]
ما يرتَجُون من القريب قرابة   إلّا لطاعة ربّهم وهواكا
هذي مشاهدُنا التي كانت لنا   معروفةً ووليُّنا مولاكا

وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

إما تَرَيْ يا أُمَّ فرْوَةَ خيلَنا   منها مُعطلةٌ تُقاد وظُلّع[2]
أوهى مقارعةُ الأعادي دمَّها   فيها نوافذُ من جِراح تَنْبع
فلربَّ قائلةٍ كفاها وقْعُنا   أزْمَ الحروبِ فسِرْبُها لا يُفزَع[3]
لا وفْدَ كالوفْد الأُلَى عقدوا لنا   سبباً بحبْل محمدٍ لا يُقْطع
وفد أبو قطن حُزابةُ منهمُ   وأبو الغيوث وواسِعٌ والمِقْنع
والقائد المائة التي وفَّى بها   تسْعَ المئين فتَمّ ألفُ أقرع[4]
جمعتْ بنو عوف ورهْط مُخاشِن   ستًّا وأحْلب من خُفاف أربع
فهناك إذ نُصِرَ النّبيّ بألْفِنا   عقدَ النّبيّ لنا لواءَ يَلْمَع
فُزْنا برايته وأوْرَث عقْدُه   مجدَ الحياةِ وسُودداً لا يُنْزَع
وغداةَ نحن مع النّبي جناحُه   ببطاح مكّة والقَنا يتهزَّع[5]
كانت إجابتُنا لداعي ربِّنا   بالحقّ منّا حاسرٌ ومُقَنَّع
في كل سابغةٍ تخيَّر سرْدَها   داودُ إذ نسج الحديدَ وتُبَّع[6]
ولنا على بئرَيْ حُنَين موكبٌ   دَمَغَ النّفاقَ وهضبةٌ مما تُقْلع
نُصِر النّبيّ بنا وكنّا معشراً   في كلّ نائبة نَضُرُّ وننفع
ذُدْنا غداتَئِذٍ هوازنَ بالقَنا   والخيلُ يغمرُها عَجاجٌ يَسْطع
إذ خاف حدَّهم النبيُّ وأسندوا   جمعاً تكاد الشمس منه تخشع

(١) العراك: المدافعة.
(٢) الظُلع: العرَج.
(٣) الأزم: الشدّة.
(٤) ألف أقرع: أي ألف بالتمام.
(٥) يتهزّع: يضطّرب.
(٦) السابغة: الدروع الكاملة. السرْد: النسْج. تُبّع: لقب ملوك اليمن القدماء.

تُدعى بنو جُشَمٍ وتُدعى وسْطَه ... أبناءُ نصرٍ والأسنّةُ شُرَّع[١]
حتّى إذا قال الرسولُ محمدٌ ... أبني سُلَيْم قد وفَيْتُمْ فارفعوا
رُحْنا ولولا نحنُ أجحفَ بأسُهم ... بالمؤمنين وأحرزوا ما جمَّعوا[٢]

وقال عبّاس بن مِرداس أيضاً في يوم حُنَين:

عفا مجْدَلٌ من أهله فمُتَالِعُ ... فمِطْلَا أريك قد خَلَا فالمَصانعُ[٣]
ديارٌ لَنا يا جُمَيْل إذ جُلُّ عيشِنا ... رخيٌّ وصرف الدار للحيّ جامع
حُبَيِّبَةٌ ألْوَتْ بها غُرْبة النَّوَى ... لِبَيْنٍ فهل ماضٍ من العيش راجع
فإنْ تبتغي الكفّارَ غيرَ مَلُومة ... فإنّي وزيرٌ للنّبيّ وتابع
دعاني إليهم خيرُ وفْد عَلِمتُهم ... خُزَيمة والمَرّار منهمُ وواسع
فجئنا بألفٍ من سُلَيم عليهمُ ... لَبوسٌ لهم من نسْج داودَ رائع
نبايعُهُ بالأخشَبَيْنِ وإنّما ... يدَ الله بين الأخشبَيْنِ نُبايع[٤]
فجُسْنا مع المهديّ مكّة عَنْوةً ... بأسيافنا والنقْعُ كابٍ وساطع[٥]
عدنيّةً والخيل يَغْشَى مُتونَها ... حميمٌ وآنٍ من دمِ الجوْف ناقع[٦]
ويومَ حُنَين حين سارت هوازنٌ ... إلينا وضاقتْ بالنفوس الأضالع
صَبَرْنا مع الضَّحّاك لا يستفزّنا ... قِراعُ الأعادي منهمُ والوقائع
أمامَ رسول الله يخفِقُ فوقنا ... لواءٌ كخُذْرُوف السّحابة لامع[٧]
عشيّةَ ضحاكُ بنُ سُفيانَ مُعْتَصٍ ... بسيف رسول الله والموت كانع[٨]

---

(١) الأبناء: الجماعة ليست من أصل واحد.
(٢) أجحف: نقص.
(٣) مجدل: مكان. متالع: جبل للمطلاء. الأرض السهلة. أريك: موضع. المصانع: ما يجتمع فيها ماء المطر كالأحواض.
(٤) الأخشبان: جبلان بمكة.
(٥) جُسْنا: وَطِئْنا. المهديّ: نبيّ الهُدَى محمد ﷺ. كاب: مرتفع. ساطع: متفرّق.
(٦) الحميم هنا: العَرَق. آنٌ: حارّ. ناقع: كثير.
(٧) خُذْرُوف السّحابة: طرفها.
(٨) مُعْتَصٍ: ضارب. كانع: مقترب.

نَـذود أخـانـا عن أخينـا ولـو نَـرَى مَصـالاً لكُنّـا الأقـربينَ نتـابـع[1]
ولـكـنّ دِيـنَ الله ديـنُ مـحـمـد رضينـا بـه، فيـه الهـدى والشـرائـع
أقـام بـه بعـد الضّلالـة أمـرنـا ولـيس لأمـرٍ حـمَّـه الله دافـع

وقال عباس بن مِرداس أيضاً في يوم حُنَين:

تَقَـطَّع بـاقي وصْـلِ أمِّ مُـؤَمَّـلِ بعـاقبة واستبـدلَتْ نيَّـةً خُلْفـاً[2]
وقـد حَلَفَتْ بالله لا تقـطَعُ القُـوَى[3] فمـا صَـدَقَتْ فيـه ولا بـرّت الحَلْفـا
خُفـافيَّـةٌ بـطْنُ العقيق مَـصِيفُهـا وتحتـلّ في البادين وَجْـرَة فالعُـرْفا[4]
فـإنْ تَـتْبـع الـكـفّـارَ أمُّ مؤمَّـلِ فقـد زوّدَتْ قلبي على نأيهـا شـغفـا
وسـوف يُنَبِّيهـا الـخبيـرُ بـأنّنـا أَبَيْنـا ولم نـطلُبْ سـوى ربِّنـا حِلْفـا
وأنّـا مع الهـادي النّبي محمـدٍ وفينـا ولم يستـوفهـا معشـرٌ أَلْفـا
بـفتْيـانِ صِـدْقٍ من سُـلَيم أعـزَّةٍ أطاعوا فمـا يعْصون من أمـره حرْفـا
خُفـافٌ وذَكْـوانٌ وعَـوفٌ تَخَـالهم مَصـاعِبَ زافَتْ في طرُوقَتهـا كُلْفا[5]
كأنّ النّسيج الشُّهْبَ والبـيض مُلْبَسٌ أسُوداً تلاقَتْ في مراصدهـا غُضْفا[6]
بنـا عـزَّ دِينُ الله غيـرَ تَـنَحُّـلٍ وزِدْنـا على الحيّ الذي معه ضِعْفـا
بـمكّـة إذ جئنـا كـأنّ لـواءنـا عُقـابٌ أرادتْ بعد تحليقهـا خَـطْفـا

---

(١) يريد أنـه من بني سُليم، وسُليم من قيس، كما أنّ هـوازن من قيس، كلاهمـا ابن منصور بن عِكرمة بن خصفة بن قيس، فمعنى البيت: نقاتل إخوتنا ونذودهم عن إخـوتنا من سُليم، ولـو نرى في حكم الدّين مَصالاً مفعلاً من الصّولة، لكنّا مع الأقربين هوازن.
ولـكـنّ ديـن الله دِيـنُ مـحـمـد رضينـا بـه فيـه الهـدى والـشـرائـع
(الروض الأنف ٤/١٤٤).

(٢) النية: من النوى وهو البُعد. وخلفاً يجوز أن يكون مفعولاً منـأجله أي: فعلت ذلك من أجل الخلف، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكّداً للاستبدال، لأنّ استبدالها بـه خُلْف منها لمـا وعَدَتْـه به، ويقوي هذا البيتَ البيتُ الذي بعده. (الروض الأنف ٤/١٤٥).

(٣) القُوَى: قُوَى الحبل هنا: وهو العهد، وهذا هو الخُلْف المتقدّم ذكره.

(٤) خُفافيّة: نسبة إلى بني خُفاف. العَقيق: وادٍ بالحجاز. وجْرَة والعُرْف: موضعان.

(٥) مَصاعِب: فُحُول. زافت: تحرّكت. الطَرُوق: التي يطرقها الفحول. كُلْف: سُود.

(٦) الشُهْب: التي يخالط بياضها حُمرة. غُضْف: مسترخية الآذان.

على شُخَّص الأبصار تحسِبُ بيْنها إذا هي جالت في مَرَاودِها عزْفا[1]
غداةَ وطِئْنا المشركين ولم نَجِدْ لأمر رسول الله عدْلاً ولا صَرْفا
بمعترك لا يُسْمَع القوم وسْطه لنا زَجْمَة إلَّا التَّذامُرَ والنَّقْفا[2]
ببيضٍ نُطيرُ الهامَ عن مُسْتقرّها ونَقْطِفُ أعناقَ الكُماة بها قطْفا
فكائن تركْنا من قتيل مُلَحَّبٍ[3] وأرملةٍ تدعو على بعْلِها لهْفا
رِضا الله نَنْوي لا رِضا الناس نبتغي ولله ما يَبْدُو جميعاً وما يخفى

وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

ما بالُ عينِكَ فيها عائرٌ سَهِرٌ مثلُ الحَمَاطةِ أغضى فوقَها الشُّفُر[4]
عينٌ تأوَّبها من شجْوِها أرقٌ فالماءُ يغْمُرُها طوْراً وينحدر
كأنه نظْم دُرٍّ عند ناظمةٍ تقطَّع السِّلكُ منه فهو مُنتثر[5]
يا بُعْدَ منزلِ مَنْ ترجو مودَّته ومن أتى دونه الصَّمَّانُ فالحَفَر[6]
دع ما تقدّم من عهد الشباب فقد ولّى الشباب وزار الشيب والزَّعر[7]
واذكُرْ بلاء سُلَيم في مواطنها وفي سُلَيم لأهل الفخْر مفتَخر
قومٌ همُ نصروا الرحمن واتّبعوا دِينَ الرسول وأمرُ الناس مُشْتجِر
لا يغرسون فَسِيلَ النَّخل وسْطهم ولا تخاوَرُ في مشتاهُم البقر[8]
إلّا سوابِحَ كالعِقْبان مُقْرَبةً في دارةٍ حولها الأخطارُ والعَكَر[9]

---

(١) المراود: جمع مِرْوَد وهو الوتد. العزف: الصوت.
(٢) الزجمة: الصوت. التذامر: الحضّ. والنقف في الأصل: كسر الحنظلة واستخراج حبوبها، ويريد به هنا كسر رؤوس الأعداء.
(٣) مُلحَّب: مقطّع اللحم.
(٤) الحماطة: تبْن الذُرَة خاصة. أغضى فوقها: أغمض عليها جفنيه. الشفر: منبت الشعر في جفن العين.
(٥) منتثر: متفرّق.
(٦) الصّمّان والحَفْر: موضعان.
(٧) الزَّعَر: قلّة الشعر أو تفرُّق الشعر فوق الرأس.
(٨) الفسيل: صغار النخل. أي هم ليسوا أهل زرع ولا رُعاة بقر وإنّما جُلّ عملهم الحرب.
(٩) السوابح: الخيل السريعة. والعُقبان: جمع عقاب. طائر من الجوارح قويّ المخالب أعقف.

تُـدْعَى خُفافٌ وعَـوْفٌ في جـوانبهـا ... وحيٌّ ذَكْـوان لا مِيـلٌ ولا ضُجُـر[1]

الضّـاربـون جنـود الشِّـرْك ضـاحيـةً ... بـبـطـن مـكّـة والأرواحُ تـبـتـدر

حـتّى دَفَعْنا وقتـلاهـمْ كـأنّـهُـمُ ... نخْـلٌ بـظاهِـرة الـبطحـاء مُنْقَعـر

ونحن يـوم حُنَين كـان مشهـدُنـا ... لـلدِّيـن عـزّا وعـنـد الله مُـدَّخَـر

إذ نـركبُ المـوتَ مخضرّاً بـطائنُـه ... والخيـلُ ينجابُ عنهـا ساطـعٌ كَدِر[2]

تحت اللّواء مـع الضّحّـاك يَقْـدُمنـا ... كما مشى اللّيثُ في غاباته الخَـدِر[3]

في مـأزِق من مَجَـرّ الحـربِ كَلْكَلُها ... تكـاد تـأفُـلُ منـه الشمس والقمـر[4]

وقـد صبَـرْنـا بـأوْطـاسٍ أسِنَّتَـنـا ... لله نـنصُـر مَـن شِئـنـا ونَـنْـتَـصِـر

حـتـى تـأوب أقـوام مـنـازلـهـم ... لـولا المليك ولـولا نحن ما صـدروا

فمـا تـرى معشـراً قلُّوا ولا كثُـروا ... إلّا قـد أصـبـح منّـا فـيـهـم أثـر

وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

يـا أيُّهـاالـرّجـلُ الـذي تَهْـوي بـه ... وجْنَـاءُ مُجمَـرةُ المَنـاسم عِـرْمِسُ[5]

إمّـا أتـيتَ عـلى النّبيّ فـقـلْ لـه ... حقّـاً عليـك إذا اطمـأنّ المجلس

يا خيرَ من ركـبَ المَطِيَّ ومن مَشى ... فـوق الـتـراب إذا تُـعَـدُّ الأنـفُس

إنّـا وَفَيْنـا بـالـذي عـاهـدْتَـنـا ... والخيـلُ تُقْدَعُ بـالكُمـاة وتُضْـرَس[6]

إذا سـالَ من أفنـاء بُـهْثَـةَ كُـلّهـا ... جمـعٌ تَظَلُّ بـه المخـارِم تَـرْجُس[7]

= المنقـار حادّ البصـر. يُطلق على المـذكّر والمؤنّث. مقـربة: قـريبة من الـدور محافـظة عليها لكرمها. الدارة: ما أحاط بالشيء. الأخطار: جماعات الإبل. العكر: الإبل الكثيرة.

(١) المِيْلُ: الذين لا سلاح معهم.

(٢) ساطع: أي غبار ساطع وهو المتفرّق.

(٣) الخادر: الداخل في خدْره وهو أكمة الأسد.

(٤) الكلكل: الصدر.

(٥) الـوجناء: الضخمـة. المُجْمَرَة: مجتمعـة الجسم. المناسم: مَقـادم خفّ البعير. العِـرْمِس: الشديدة.

(٦) تُقْدع: تُكَفّ. تضرَس: تجرح.

(٧) بُهْثة: حيّ من سُلَيم. المخارم: الطرق الجبلية. تَرْجُس: تتحرّك.

حتى صَبَحْنـا أهلَ مكـة فَيْلقـاً شَهبـاءَ يـقـدُمُهـا الهُمـامُ الأشـوَس[1]
من كـلِّ أغْلَبَ من سُلَيـمٍ فـوقَـهُ بيضـاءُ مُحكَمـة الـدَّخـال وقَـوْنَس[2]
يُـروِي القناة إذا تجـاسر في الـوغَى وتـخـالُـه أسَـداً إذا مـا يَـعْـبس
يغْشى الكتيبـةَ مُعْلِمـا وبـكـفِّـه عضْبٌ يقُـدُّ بـه ولَـدْنٌ مِـدْعَس[3]
وعلى حُنَيْنٍ قـد وفى من جمْعنـا ألفٌ أمدّ بـه الـرسول عَـرَنْـدَس[4]
كـانـوا أمـام الـمؤمـنـين دَريئـةً والـشمسُ يـومئـذٍ عـليهـم أشْمُس
نمضي ويحـرُسُنـا الإلـه بحفْـظه والله ليس بضـائـع من يـحـرُس
ولقـد حُـبسنـا بـالمنـاقب مَحْبسـا رضـي الإلـه بـه فـنِعْم المحبِس
وغـداةَ أوْطـاسٍ شـدَدْنـا شَـدَّةً كفَتِ العـدوَّ وقيل منهـا: يا احْبِسـوا
تـدعـو هـوازنُ بـالإخَـاوة بيننـا ثَـدْيٌ تَـمُـدّ بـه هـوازنُ أيْـبَس
حتى تَـركْنـا جمعَـهـم وكـأنّـه عيْـرٌ تَعـاقَبُـه السبـاعُ مُفَـرَّس

قال ابن هشام: أنشدني خَلَف الأحمر قوله: «وقيل منها يا احْبسوا».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

نصـرنـا رسـولَ الله من غَضَبٍ لـه بـألْفِ كَمِيٍّ لا تُعَـدُّ حـواسـرُه[5]
حملْنـا لـه في عـامِـل الـرُّمْح رايـةً يـذودُ بها في حَـوْمة المـوت ناصـرُه
ونحن خضبْنـاهـا دمـاً فهْـو لـونُهـا غـداةَ حُنَين يومَ صفـوانُ شـاجِـرُه[6]
وكنّـا على الإسـلام ميمنـة لـه وكـان لنـا عَقْـدُ اللواءِ وشـاهـره
وكنّـا لـه دون الجنـودِ بِـطانـةً يـشـاورُنـا فـي أمـره ونُـشـاوره
دعـانـا فسمّـانـا الشِّعـارَ مُقـدَّمـاً وكنّـا لـه عَـوْنـاً على من يُنـاكـره[7]

---

(١) الأشوس: الذي ينظر نظر المتكبّر.
(٢) القَوْنَس: أعلى بَيضة الحديد.
(٣) العَضْب: السيف القاطع. لَدْن: ليّن. مِدْعَس: طعان.
(٤) عَرَنْدَس: شديدة.
(٥) الحواسر: الذين لا دروع عليهم.
(٦) شاجَره: خالَطه بالرمح.
(٧) أصل الشعار: الثياب التي تلي الجسد. كناية عن القِرب.

جـزى الله خيـراً من نبيّ محمـداً وأيّـده بـالـنصـر والله نـاصـره

قال ابن هشام: أنشدني من قولـه: «وكنّا على الإسلام» إلى آخرهـا، بعض أهل العلم بالشِعر، ولم يعرف البيت الـذي أوله: «حملنـا له في عـامل الـرمح رايـة». وأنشدني بعـد قولـه: «وكان لنـا عقد اللواء وشـاهره»، «ونحن خضبناه دماً فهو لونه».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

من مُبْلغٍ الأقـوام أنّ محـمـداً رسـول الإلٰـه راشـدٌ حيث يمّمـا
دعـا ربَّـه واستنصر الله وحـدَه فـأصبـح قـد وفّى إليـه وأنْعمـا
سَـرَينـا وواعـدنا قُـدَيـداً محمـداً يـؤمّ بنـا أمـراً مـن الله مُحْكـمـا
تمـارَوا بنـا في الفجْـر حتى تبينـوا مـع الفجْـر فتيانـاً وغـابـاً مُقـوّماً[١]
على الخيـل مشـدُوداً علينـا دُروعُنـا ورجْـلاً كَـدُفّـاع الأتيّ عـرمـرمـا[٢]
فـإنّ سَـراة الحيّ إنْ كنتَ سـائـلاً سُليمٌ وفـيهـمْ منـهمُ مـن تَسـلّمـا[٣]
وجُنـدٌ من الأنصـار لا يَخْـذُلُونـه أطـاعـوا فمـا يَعْصُـونـه مـا تكّلمـا
فإنْ تك قـد أمَّرتَ في القـوم خالـداً وقـدّمْـتَـه فـإنّـه قـد تـقـدّمـا
بـجُنْـدٍ هـداهُ الله أنـت أميـرُه تصيب بـه في الحقّ من كان أظلما
حـلفتُ يـمينـاً بـرّة لـمحـمَّـدِ فـأكملْتُهـا إلْفـاً من الخيـل مُلْجمـا
وقـال نـبيّ الـمؤمـنيـن تـقـدّمـوا وحُبّ إلينـا أن نكـون الـمقـدمـا
وبتنـا بنهي المستـديـر ولم يكُـنْ بنـا الخـوفُ إلاّ رغبـةً وتَحَـزُّمـا
أطعْنـاك حتى أسلم النـاسُ كـلُّهم وحتى صَبَحْنا الجمعَ أهـل يَلَمْلَما[٤]

---

(١) تماروا: شكوا. الغاب: الرماح.

(٢) الأتيّ: السيل. العرمرم: الكثير.

(٣) يريد بمن تسلّما: أنّ في سُليم من اعتزى إليهم من حلفائهم، فتسلّم بذلك، كما تقول تقيّس الرجل، إذا اعتزى إلى قيس. أنشد سيبويه:

وقيس عيلان ومن تقيّسا

(الروض الأنف ١٤٧/٤).

(٤) يلملم: ميقات حُجّاج اليمن ومن أتوا عن طريقها.

يضِلّ الحِصانُ الأبلقُ الوَرْدُ وسْطه ... ولا يطمئنّ الشيخُ حتى يُسَوَّما[1]
سَمَوْنا لهم وِرْدَ القَطا زفّهُ ضُحىً ... وكلُّ تراهُ عن أخيه قد أحْجما[2]
لدُنْ غُدْوةً حتى تركْنا عشيّةً ... حُنَيناً وقد سالَتْ دوافعُه دما[3]
إذا شئتَ من كلٍّ رأيت طِمِرَّة ... وفارسَها يهوي ورُمْحاً محطَّما[4]
وقد أحْرَزت منّا هوازنُ سَرْبَها ... وحُبَّ إليها أن نَخِيبَ ونُحْرما[5]

قال ابن إسحاق: وقال ضمضم بن الحارث بن جُشَم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عصِيّة السُّلمي في يوم حُنَين: وكانت ثقيف أصابت كِنانة بن الحَكَم بن خالد بن الشريد، فقتل به محجناً وابن عمّ له، وهما من ثقيف:

نحن جلبْنا الخيل من غير مَجْلَب ... إلى جُرَشٍ من أهل زيّان والفَم
نُقَتِّل أشبال الأسود ونبتغي ... طواغِيَ كانتْ قبلنا لم تُهدَّم
فإنْ تفْخَروا بابن الشّريد فإنّني ... تركتُ بوجٍّ مأتما بعد مأتم
أباتُهُما بابن الشّريد وغَرَّه ... جواركُم وكان غيرَ مُذَمَّم
تصيب رجالاً من ثقيفٍ رماحُنا ... وأسيافُنا يَكلِمْنَهُمْ كلّ مَكْلم

وقال ضمضم بن الحارث أيضاً:

أبلغْ لديكَ ذوي الحلائل آيةً ... لا تأمَنَنّ الدَّهْر ذاتَ خِمارِ
بعد التي قالت لجارةِ بيتها ... قد كنتُ لو لبثَ الغَزِيُّ بدارِ
لما رأت رجلاً تسفَع لونَه ... وغْرُ المَصِيفَةِ والعِظام عواري[6]

---

(١) الأبلق: الذي يختلط لونه بالسواد والبياض. والوِرْد: المُشرب بالحُمرة. يسوم: يعلم.
(٢) القطا: طائر. زفّه: أسرع به.
(٣) دوافع. مجاري السيل.
(٤) الطِمِرّة. الفَرَس السريعة.
(٥) السَّرَب. المال الراعي.
(٦) تسفّع: تغيّر إلى السفعة. وهي سواد مُشبع بحُمْرة. الوغر: شدّة الحرّ. المصيفة: الأرض شديدة الحرارة.

مُـشُطَ الـعِــظام تــراه آخِــرَ لــيـلِهِ مُـتَسربــلًا فــي دِرْعــه لِـغــوار(١)
إذ لا أزالُ عــلـى رِحــالــةِ نَــهْــدةٍ جــرداءَ تُلحِق بــالـنّـجــاد إزاري(٢)
يــومــاً على أثــرِ النّـهــابِ وتــارَةً كُـتَيبتْ مُجـاهــدةً مــع الأنـصــار
وزُهــاء كــلّ خـمـيلة أزهـقـتُـهـا مَـهَـلًا تـمـهَّـلهُ وكــلّ خَـبــار(٣)
كيمــا أُغيّـر مــا بهــا من حــاجــة تَــوَدُّ أنّـي لا أؤوب فَـجَــار(٤)

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة، قال: أسـر زُهير بن العجـوة الهُذَليّ يوم حُنين، فكُتّف فرآه جميل بن مَعْمَر الجُمَحيّ، فقال له: أأنت المـاشي لنا بالمغايظ؟ فضرب عُنقه؛ فقال أبو خِراش(٥) الهُذَليّ يرثيه، وكان ابن عمّه:

عَجّفَ أضيـافي جميـلُ بن مَعْـمـرٍ بــذي فَجَـرٍ تــأوى إليـه الأرامــلُ
طـويل نِجـادِ السيف ليس بِـجَيْـدر إذا اهتزّ واسترخَتْ عليه الحمائـل(٦)
تــكــادُ يــداه تُــسْــلمــانِ إزارَه من الجُـود لمـا أذْلَقَتْه الشمـائــل(٧)
إلى بيتـه يـأوي الضَّـريـك إذا شَتَـا ومُسْتَنْبِـح بـالي الـدَّريسَيْنِ عـائـل(٨)
تــروّح مـقــروراً وهبّـت عشِـيـة لهـا حـدَبٌ تحتـشُّـه فـيــوائــل(٩)
فمـا بـالُ أهـل الـدار لم يتصـدّعـوا وقـد بان منهـا اللَّوذعيُّ الحُلاحِـل(١٠)

---

(١) مشط العظام: قليل اللحم الذي عل عظْمه. لغوار: للإغارة.
(٢) الرحالة: السرْج. نهدة: غليظة. النجاد: حمائل السيف.
(٣) الخميلة: الموضع الكثير الشجر. الخبار: مالان واسترخى من الأرض.
(٤) فَجَار: تستعمل في النداء عادة فيقال يا فَجَار للمرأة الفاجرة.
(٥) واسمه خُويلد بن مُرّة. شاعر إسلاميّ مات في خلافة عمر.
(٦) الجيدر: القصير.
(٧) يريد أنه من كثرة سخائه يوشك أن يتجرّد من إزاره يعطيه ساءله والشمائل: الرياح الباردة التي تأتي من ناحية الشمال. أذلقته: أجهدته.
(٨) الضريك: الفقير. المستنبح: من يطرق ديار القوم ليلاً فينبح، فتجاوبه كلاب الحيّ ليعرف مكان العمران. الدريسان: الثوبان الخلِقان. عائل: فقير.
(٩) المقرور: الذي أصابه القرّ وهو البرد. والحدب في الأصل. انحدار الماء بشدّة شبّه به الريح المضطّربة. تحتثه: تسوقه سوقاً سريعاً. يوائل: يطلب موئلاً، أي يطلب ملجئاً.
(١٠) لم يتصدّعوا: لم يتفرّقوا. اللوذعيّ. الفصيح. الحُلاحل: السيد.

فأقسم لو لاقيته غير موثق ... لآبك بالنَّعْفِ الضِّبَاعُ الجيائل(١)
وأنّك لو واجَهْته إذ لَقيتَه ... فنازلته أو كنتَ ممّن ينازل
لظلّ جميلٌ أفحشَ القوم صِرْعة ... ولكنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ للمرء شاغل
فليس كعهْدِ الدار يا أمَّ ثابتٍ ... ولكنْ أحاطتْ بالرِّقاب السّلاسل
وعاد الفتى كالشيخ ليس بفاعل ... سوى الحقّ شيئاً واستراح العواذِل
وأصبح إخوانُ الصَّفا كأنّما ... أهالَ عليهمْ جانبَ الترابِ هائل
فلا تحسبي أنّي نسيت لياليا ... بمكّة إذ لم نَعْد عمّا نحاول
إذ الناسُ ناسٌ والبلادُ بغرة ... وإذْ نحن لا تثْني علينا المداخل(٢)

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فِراره:

منع الرُّقادُ فما أغمّضُ ساعةً ... نعَمٌ بأجزاعِ الطّريق مُخَضْرَمُ(٣)
سائل هوازنَ هل أضُرُّ عدوَّها ... وأُعِينَ غارمَها إذا ما يَغْرَم
وكتيبةٍ لبَّسْتُها بكتيبة ... فئَتَين منها حاسرٌ ومُلأّم
ومُقدَّمٍ تعيا النفوسُ لِضيقه ... قُدّمتُه وشُهودُ قومي أعلم(٤)
فوردْته وتركتُ إخواناً له ... يردُون غمْرته وغمْرتُه الدّم
فإذا انجلتْ غمراتُه أورثتني ... مجدَ الحياة ومجْدَ غُنْم يُقْسم
كلّفتموني ذنْبَ آل محمدٍ ... والله أعلم من أعقّ وأظلم
وخذلتموني إذ أقاتلُ واحداً ... وخذلتموني إذ تقاتل خَثْعَم
وإذا بنيت المجدَ يهدم بعضُكم ... لا يستوي بانٍ وآخرُ يهدم
وأقبَّ مِخْماصِ الشتاء مسارعٍ ... في المجد يَنْمَى للعُلى مُتكَرِّم(٥)

(١) آبك: رجع إليك. النعف: أسفل الجبل. الجيائل: جمع جيئل: الضبع أيضاً.
(٢) بغرّة: بغفلة.
(٣) النَّعم: الإبل: المخضمرة: مقطوعة أطراف الآذان.
(٤) المقدم: الموضع الذي لا يتقدّم فيه إلاّ الأبطال.
(٥) الأقبّ: ضامر الخصر. والمخماص: كذلك.

أكْـرَهـت فـيـهِ ألَّـةً يَـزنـيّـة   سَحْمـاءَ يَقْدُمُهـا سِنـان سَلْجَم[1]
وتـركـت حَـنَّـتـه تـرُدُّ ولـيَّـه   وتقـولُ ليس على فُلانـةَ مَـقـدم[2]
ونصبْتُ نفسي لـلرمـاح مُـدَجّجـا   مثـل الـدّرِيّـة تُسْتَحلّ وتُشْـرم[3]

قـال ابن إسحاق: وقـال قـائـل في هـوازن أيضـاً، يـذكـر مسيـرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه:

أذكُـرْ مسيـرَهم للنّـاس إذ جمعـوا   ومـالـكٌ فـوقـه الـرايـاتُ تخـفـق
ومـالـك مـالـكُ مـافـوقـه أحـدٌ   يـوم حُنَيـن عليـه الـتـاجُ يـأتَلِق
حتى لقُوا الناس حين البأسُ يقدُمُهم   عليهـمُ البَيْضُ والأبـدان والـدَّرَق
فضاربوا النـاسَ حتى لم يروْا أحـداً   حـول النّبيّ وحتّى جنَّـهُ الغسـق
ثُـمَّتَ نُـزِّل جبـريـلٌ بنصـرهمُ   من السمـاء فمهـزوم ومُعْتَنَـق[4]
منّـا ولـو غيـرُ جبريـل يقـاتلنـا   لـمنَّعتْنـا إذنْ أسيـافُنـا الـعُتُـقُ
وفـاتنـا عُمـر الفـاروق إذ هُـزِمـوا   بـطعنةٍ بـلَّ منهـا سَـرجَـه العلق[5]

وقالت امرأة من بني جُشَم ترثي أخوين لها أصيبا يوم حُنَين:

أعَـيـنـيَّ جُـوداً عـلى مـالـكٍ   مـعـاً والـعـلاءِ ولا تَـجْـمُـدا
هـمـا الـقـاتـلان أبـا عـامـر   وقـد كـان ذا هَـبَّـةٍ أربـدا
هـمـا تـركـاه لـدى مُجْـسَـد   يـنـوءُ نـزيـفـاً ومـا وُسِّـدا[6]

وقال أبو ثواب زيد بن صُحار، أحد بني سعد بن بكر:

ألا هـل أتـاك أنْ غلبتْ قـريشٌ   هـوازنَ والـخـطوب لهـا شُـروطُ

---

(١) ألّة: حَرْبة. يَزِينيّة: منسوبة إلى ذي يزن الْحِميريّ وهو أحد ملوك حِمْيَر. سحماء: سوداء. سلجم: طويل.
(٢) حنته: زوجته.
(٣) الدرية: هي الدريئة: حلقة تُنْصب فيتعلّم عليها الطعن.
(٤) المعتنق: الأخير.
(٥) العلق: الدم.
(٦) المجسد: المصبوغ بالجساد وهو الزّعفران. والمراد أنّ ثوبه قد صُبغ بالدم.

وكُنّا يا قريش إذا غضِبْنا | يجيء من الغِضاب دمٌ عَبيط[١]
وكنّا يا قريش إذا غضِبنا | كأنّ أُنوفنا فيها سَعوط
فأصبحنا تسوِّقُنا قريشٌ | سِياق العِير يحْدُوها النَّبيط[٢]
فلا أنا إنْ سئلتُ الخسفَ آبٍ | ولا أنا أنْ أليِنَ لهمْ نَشيط
سيُنقلُ لحْمها في كلّ فجٍّ | وتكتَب في مسامعها القُطوط[٣]

ويُروى «الخطوط»، وهذا البيت في رواية أبي سعد.

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثُواب زياد بن ثواب. وأنشدني خَلَف الأحمر قوله: «يجيء من الغضاب دمٌ عبيط»، وآخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عبد الله بن وهْب رجل من بني تميم، ثم من بني أُسَيد، فقال:

بشرط الله نضرب من لَقينا | كأفضل ما رأيتَ من الشروط
وكنّا يا هوازنَ حين نَلْقَى | نَبُلّ الهامَ من عُلَق عَبِيط
بجمعكُمُ وجمع بني قَسِيّ | نحُكُّ البَرْكَ كالوَرَق الخَبيط[٤]
أصَبْنا من سراتِكُمُ ومِلْنا | بقتل في المُباين والخَليط
به المُلْتاثُ مفترشٌ يديهِ | يمُجُّ الموتَ كالبَكْر النَّحِيط[٥]
فإنْ تك قيْسُ عَيْلانٍ غِضاباً | فلا ينْفكُّ يُرغِمُهم سَعُوطي

وقال خَدِيج بن العَوْجاء النَّصْريّ:

---

(١) العبيط: الطريّ.
(٢) النبيط: في الأصل قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردنّ أقاموا دولة عاصمتها البتراء ثم أُطلقت هذه الكلمة على أخلاط الناس وعوامّهم.
(٣) القطوط: الكتب التي تُجمع فيها الأعمال.
(٤) الكلكل: صدر البعير. الورق الخبيط: الذي ضُرب بالعصا ليسقط. شبّه شدّة الحرب بما سبق.
(٥) الملتاث: اسم رجل. البَكْر: الفتى من الإبل. والنحيط: من يردّد النَّفَس في صدره فتسمع له صوتاً.

لـمـا دنـونـا من حُـنَيـن ومـائـه ... رأينـا سـواداً منكـرَ اللّون أخْصَفـا[1]
بملومـةٍ شهبـاءَ لـو قـذفُـوا بهـا ... شماريخَ من عُزْوَى إذن عادَ صفْصفا[2]
ولـو أنّ قـومي طـاوعتْني سَـراتُهم ... إذنْ مـا لقينـا العـارض المتكشِّفـا[3]
إذنْ مـا لقينـا جُنْـدَ آل مـحمّـد ... ثمـانين ألفـاً واستمـدُّوا بخنـدِفـا[4]

---

(١) سواداً: أشخاصاً. الأخصف: الملوّن.

(٢) الملمومة: الكتيبة المجتمعة. شهباء: كثيرة السلاح. الشماريخ: أعالي الجبال. صفصفاً: مستوياً بالأرض.

(٣) العارض: السحاب. المتكشّف: الواضح. يشبّه به جنود المسلمين.

(٤) خندف: اسم قبيلة.

ذِكْر غزوة الطائف[1] بعد حُنين في سنة ثمانٍ[2]

ولما قدِم فلّ[3] ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال.

ولم يشهد حُنيناً ولا حصارَ الطّائف عُروة بنُ مسعود، ولا غَيْلَان بن

(١) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النَّسَب أنّ الدمون بن الصدف، واسم الصدف. ملك بن مالك بن مرتع بن كِنْدة من حَضْرَمَوت أصاب دماً من قومه، فلحِق بثقيف، فأقام فيهم، وقال لهم: ألا أبني لكم حائطاً يُطيف ببلدكم، فبناه. فسمّي به الطائف، وذكره البكري هكذا قال: وإنّما الدمون بن عبد بن مالك بن دهقل،وهو من الصدِق، وله ابنان أدركا النبي - ﷺ وبايعاه، اسم أحدهما: الهُمَيل، والآخر. قبيصة، ولم يذكرهما أبو عمر في الصحابة، وذكرهما غيره. (الروض الأنف ٤/ ١٩١).

(٢) أنظر عنها في: المغازي لعروة ٢١٦ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٦٤، والمغازي للواقدي ٣/ ٩٢٢، وتاريخ خليفة ٨٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٥٨، وتاريخ الطبري ٣/ ٨٢، وصحيح البخاري ٥/ ١٠٢، وصحيح مسلم ٣/ ١٤٠٢، وجوامع السيرة لابن حزم ٢٤٢، والدرر في المغازي والسير لابن عبد البرّ ٢٤٣، ونهاية الأرب للنويري ١٧/ ٣٣٥، وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ٥٩١،وأنساب الأشراف ١/ ٣٦٦،والكامل في التاريخ ٢/ ٢٦٦، ومجمع الزوائد ٦/ ١٩٠، والمحبّر لابن حبيب ١١٥، ومرآة الجنان ١/ ١٥، والبدء والتاريخ ٤/ ٢٣٧، وعيون الأثر ٢/ ٢٠٠، وعيون التواريخ ١/ ٣٣٣، وسيرة ابن كثير ٣/ ٦٥٢، ومعجم البلدان ٤/ ١١، ١٢.

(٣) الفَلّ: الجيش المنهزم.

سَلمة، كانا بجُرَش، يتعلّمان صنعة الدّبّابات والمجانيق والضُّبُور[1].

ما قيل من الشِعْر في غزوة الطّائف: ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرِغ من حُنين؛ فقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف:

قضينا من تِهامة كلَّ رَيْب ... وخيبرَ ثمّ أجْممْنا السُّيوفا[2]
نخيّرُها ولو نطقتْ لقالت ... قواطِعُهُنَّ: دَوْساً أو ثقيفا
فلستُ لحاضِن إنْ لم ترَوْها ... بساحة داركم منّا أُلُوفا
وننتزِعُ العُروش ببطن وَجٍّ ... وتُصبحُ دُوركم منكم خُلُوفا
ويأتيكم لنا سَرَعان خيلٍ ... يُغادر خلْقَه جمعاً كثيفا
إذا نزلوا بساحتكُم سمعتُم ... لها ممّا أناخ بها رَجيفا
بأيديهم قواضب مُرْهَفات ... يُزرْنَ المصْطَلِين بها الحُتُوفا
كأمثال العقائق أخلَصَتْها ... قُيونُ الهنْد لم تُضْرَبْ كَتِيفا[3]
تخال جَدِيَّة الأبطال فيهم ... غداةَ الزَّحْف جادِيّاً مَدُوفا[4]
أجدَّهُمُ أليسَ لهم نَصيحٌ ... من الأقوام كان بنا عَريفا[5]
يُخَبِّرهُمْ بأنّا قد جمعنا ... عِتاقَ الخيل والنُّجُبَ الطرُوفا[6]
وأنّا قد أتيناهم بزَحْفٍ ... يُحيط بسورِ حِصْنهم صُفوفا
رئيسهم النبيُّ وكان صُلْباً ... نقيّ القلب مُصْطَبِراً عَزُوفا

---

(١) الدّبابة: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبّون بها إلى الأسوار لينقبوها. والمنجنيق: آلة حربية من آلات الحصار ترمي الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانق ومجانيق ومنجنيقات. والضُبُور: مثل رؤوس الأسفاط يُتّقى بها في الحرب عند الانصراف، وفي العين: الضبْر جلود جلود يُغشَى بها خشب يُتّقى بها في الحرب. (الروض الأنف ١٦٢/٤) وانظر الخبر في: تاريخ الطبري ٨٤/٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٢.

(٢) أجممنا: أرحْنا.

(٣) الكتيف: الصفائح الحديد.

(٤) الجديّة: الدماء السائلة. الجاديّ: الزعفران. مَدُوف: مخلوط.

(٥) أجدّهم: أجدّ منهم. عريفاً: عارفاً.

(٦) الطروف: نجيبة الأصل.

رشيدَ الأمر ذو حُكْمٍ وعِلْمٍ وحِلْم لم يكن نَزِقاً خفيفاً
نُطيعُ نبيَّنا ونطيع ربّاً هو الرحمن كان بنا رؤوفا
فإنْ تُلْقوا إلينا السَّلمَ نقبل ونجعلْكم لنا عَضُداً ورِيفا[١]
وإنْ تأبَوْا نُجاهدْكم ونصبرْ ولا يكُ أمرُنا رعِشاً ضعيفا[٢]
نجالِد ما بقينا أو تُنيبوا إلى الإسلام إذْعاناً مُضيفا[٣]
نجاهد لا نُبالي مَن لقينا أأهلكْنا التِّلادَ أم الطَّريفا[٤]
وكم من مَعْشَرٍ ألَبُوا علينا صميمَ الجِذْم منهم والحَليفا
أتونا لا يرَوْن لهم كِفاءً فجدّعْنا المسامِعَ والأُنُوفا
بكلِّ مهنَّدٍ لَيْنٍ صقيل يسوقُهُمُ بها سَوْقاً عنيفا
لأمر الله اللاتُ والعُزَّى ووَدٌّ ونسلُبُها القلائدَ والشُّنُوفا[٥]
فأمسَوْا قد أقرُّوا واطمأنّوا ومن لا يمتنعْ يقبل خُسوفاً

فأجابه كِنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عُمير، فقال:

من كان يَبغينا يريد قتالَنا فإنّا بدار مَعْلَمٍ لا نَريمُها
وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى وكانت لنا أطواؤُها وكُرُومها[٦]
وقد جرَّبتنا قبلُ عمرو بنُ عامرٍ فأخبَرَها ذو رأيِها وحليمُها[٧]

---

(١) الريف في الأصل: الأرض المخصِبة المُنْزرِعة خارج المدن. والمراد أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدّين عَيْشهم من رِيفهم.
(٢) الرعِش: المتقلّب.
(٣) مضيف: ملجيء.
(٤) التلاد: المال الموروث: الطريف: المال المستحدَث.
(٥) الشنوف والأشناف جمع شنف: حلية تُعلّق في أعلى الأُذن.
(٦) الأطواء: جمع طوى وهي البئر، جُمعت على غير قياس توهّموا سقوط ياء فعيل منها إذ كانت زائدة.
(٧) إنّما قال هذا جواباً للأنصار، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وعمرو هو مُزَيْقياء، وعامر هو ماء السما، ولم يرد أنّ الأنصار جرّبتهم قبل ذلك، وإنّما أراد أخوتهم، وهم خُزاعة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر في أحد القولين، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة، وقال البكريّ في معنى هذا البيت: إنّما أراد بني عمرو بن عامر بن صعصعة، وكانوا مجاورين لثقيف وأمّهم عَمرة بنت عامر بن الظرب العدوانيّ، وأختها زينب كانت تحت =

وقـد علمتْ إنْ قـالتِ الحقَّ أنّنـا ... إذا مـا أبتْ صُعْرُ الخـدود نُقيمُهـا[1]
نـقـوِّمهـا حـتى يَـلينَ شـريـسُهـا ... ويُعْـرف للحـقّ المبيـن ظَلُومـهـا
عـلينـا دلاصٌ مـن تُـراثِ مُحـرِّق ... كلَوْن السمـاء زيَّنَتْهـا نُجـومهـا[2]
نـرفّـهـهـا عَـنّـا بِبيضٍ صـوارمٍ ... إذا جُـرِّت في غمْرة لا نَـشيمُهـا[3]

قـال ابن إسحـاق: وقـال **شـدّاد** بن عـارض الجُشَميّ في مسيـر رسول الله ﷺ إلى الطائف:

لا تنصـروا الّـلاتَ إنّ الله مُهلِكُهـا ... وكيف يُنْصَـر منْ هُـو ليس يَنتصِـرُ
إنّ التي حُـرّقت بـالسُّـدّ فـاشتعلتْ ... ولم يقـاتَـلْ لـدى أحجـارهـا هَـدَرُ
إنّ الـرسـول متى ينـزلَ بـلادكُمُ ... يـظْعَنْ وليس بهـا من أهلهـا بَشَـرُ

الطريق إلى الطائف: **قال ابن إسحاق**: فسلك رسـول الله ﷺ على نخلة اليمـانيّـة، ثم على قَـرْن، ثم على المُلَيْـح، ثم على بُحْـرَة الـرُّغـاء من لِيَّة[4]، فابتنى بها مسجداً فصلّى فيه[5].

قـال ابن إسحاق: فحـدّثني عمرو بن شُعيب: أنّـه أقـاد يـومئذٍ بُبْحَـرة الرُّغاء، حين نـزلها، بـدم وهو أول دم أُقيـد به في الإسـلام، رجل، من بني ليث قتل رجلاً من هُذَيل، فقتله بـه؛ وأمر رسـول الله ﷺ، وهو بلِيّـة، بحصن مالك بن عوف فهُدِم، ثم سلك في طريق يقال لهـا الضَّيْقَة، فلمـا توجّـه فيها رسـول الله ﷺ سأل عن اسمهـا، فقـال: «مـا اسم هـذه الـطريق»؟ فقيـل لـه

= ثقيف، وأكثر قبائل ثقيف منها، وكانت ثقيف قد أنزلت بني عمرو بن عامر في أرضهم ليعملوا فيهـا، ويكـون لهم النصف في الـزرع والثمـر، ثم إنّ ثقيفـاً منعتهم ذلـك، وتحصّنـوا منهم بالحائط الذي بَنَوه حول حاضرهم، فحاربتهم بنـو عمرو بن عـامر، فلم يـظفروا منهم بشيء، وجلوا عن تلك البلاد. (الروض الأنف ٤/١٦٣).

(١) صعر خدّه: أماله إلى جهة تكبراً.
(٢) دلاص: الدروع اللينة. محرّق: عمرو بن عامر، لأنه أول من حرق العرب بالنار.
(٣) لانشيمها: لانغمدها.
(٤) أسماء أماكن بالطائف.
(٥) المغازي للواقدي ٣/٩٢٤.

الضَّيْقة، فقال: بل هي اليُسرى، ثم خرج منها على نَخْب، حتى نزل تحت سِدْرة يقال لها الصادرة، قريباً من مال رجلٍ من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ: «إمّا أن تخرج، وإمّا أن نُخْربَ عليك حائطك»؛ فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه[1].

القتال: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فضرب به عسكره، فقُتل به ناسٌ من أصحابه بالنبل، وذلك أنّ العسكر اقترب من حائط الطائف، وكانت النَّبْلُ تنالهم، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم؛ فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة[2].

قال ابن هشام: ويقال سبع عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة[3]، فضرب لهما قُبّتين، ثم صلّى بين القُبّتين. ثم أقام، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلّى رسول الله ﷺ عمرو بن أُميّة بن وهْب بن معتّب بن مالك مسجداً، وكانت في ذلك المسجد سارية، فيما يزعمون، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدّهر إلّا سُمع لها نقيض[4]، فحاصرهم رسول الله ﷺ، وقاتلهم قتالاً شديداً، وتراموا بالنبل[5].

قال ابن هشام: ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق. حدّثني من أثق به أنّ رسول الله ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق، رمى أهلَ الطائف.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشَّدْخة عند جدار الطائف، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبّابة، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف

(١) تاريخ الطبري ٨٣/٣، نهاية الأرب ٢٣٦/١٧، المغازي للواقدي ٩٢٤/٣، ٩٢٥.
(٢) تاريخ الطبري ٨٣/٣، المغازي للواقدي ٩٢٧/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٢.
(٣) والأخرى زينب بنت جحش. (تاريخ الطبري ٨٣/٣).
(٤) نقيض: صوت المحامل.
(٥) تاريخ الطبري ٨٤/٣، تاريخ الإسلام ٥٩٤.

ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد مُحْماة بالنّار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنَّبل، فقتلوا منهم رجالاً، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون[1].

أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف: وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة إلى الطائف، فناديا ثقيفاً: أنْ أمّنونا حتى نكلّمكم، فأمّنوهما، فدعوا نساء من نساء من قُريش وبني كِنانة ليخرجْن إليهما، وهما يخافان عليهنّ السّباء فأبَيْن، منهنّ آمنة بنت أبي سفيان، كانت عند عُروة بن مسعود، له منها داود بن عُروة[2].

قال ابن هشام: ويقال إنّ أمّ داود ميمونة بنت أبي سُفيان، وكانت عند أبي مُرّة بن عُروة بن مسعود، فولدت له داود بن أبي مُرّة.

قال ابن إسحاق: والفراسية بنت سُويد بن عمرو بن ثعلبة، لها عبد الرحمن بن قارب، والفقيميّة أُميمة بنت الناسيء أُميّة بن قلع؛ فلما أَبَيْنَ عليهما، قال لهما ابن الأسود بن مسعود: يا أبا سفيان ويا مغيرة: ألا أدلّكما على خير مما جئتما له، إنّ مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علِمْتُما، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف، نازلاً بوادٍ يقال له العَقيق، ليس بالطائف مال أبعد رشاء، ولا أشدّ مُؤْنة، ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود، وإنَّ محمداً إنْ قطعه لم يعمّر أبداً، فكلّماه فليأخذْ لنفسه، أو ليدعه لله والرَّحِم، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يجهل؛ فزعموا أنَّ رسول الله ﷺ تركه لهم[3].

أبو بكر يفسّر رؤيا للرسول ﷺ: وقد بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصِّدِّيق وهو محاصر ثقيفاً: يا أبا بكر، إنّي رأيت أنّي أهديت لي قَعْبة مملوءة زُبْداً، فنقرها ديك، فهُراق ما فيها». فقال أبو بكر: ما أظنّ أنْ تدرك

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٤.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٨٤، المغازي للواقدي ٣/٩٢٩.
(٣) المغازي للواقدي ٣/٩٢٩.

منهم يومك هذا ما تريد. فقال رسول الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلك»[1].

ارتحال المسلمين عن الطائف: ثم إنّ خُوَيلة بنت حكيم بن أُميّة بن حارثة بن الأوقص السّلميّة، وهي امرأة عثمان، قالت: يا رسول الله، أعطني إنْ فتح الله عليك الطائف حُليّ بادية بنت غَيْلان بن مظعون بن سَلِمة، أو حُليّ الفارعة بنت عُقَيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف[2].

فذُكر لي أنّ رسول الله ﷺ قال لها: «وإنْ كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خُوَيلة»؟ فخرجت خُويلة، فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: ما حديث حدّثَتْنيه خُويلة، زعمت أنّك قلته؟ قال: «قد قلته»؛ قال: أو ما أُذِن لك فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال: أفلا أُؤذِّن بالرحيل؟ قال: «بلى». قال: فأذّن عمر بالرحيل[3].

فلما استقلّ الناس نادى سعد بن عُبيد بن أسيد . بن أبي عمرو بن عِلاج: ألا إنّ الحيّ مقيم، قال: يقول عُيينة بن حصْن: أجل، والله مَجَدَةً كراماً؛ فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عُيينة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ! فقال: إنّي والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكنّي أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أتطئها[4]، لعلّها تلِد لي رجلاً، فإنّ ثقيفاً قوم مناكير[5].

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني من لا

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٤، ٨٥ نهاية الأرب ١٧/٣٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي (١٠٢/٥) باب غزوة الطائف. ومسلم في كتاب السلام (٢١٨٠/٣٢) باب منع المخنّث عن الدخول على النساء الأجانب. ومالك في الموطّأ، كتاب الأقضية (رقم ١٤٥٣) باب ما جاء في المؤنّث من الرجال ومَن أحقّ بالولد. والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٧، والنويري في نهاية الأرب ١٧/٣٣٨.

(٣) المغازي للواقدي ٣/٩٣٥، ٩٣٦، تاريخ الطبري ٣/٨٥، نهاية الأرب ١٧/٣٣٨.

(٤) في تاريخ الطبري «أتبطّنها».

(٥) تاريخ الطبري ٣/٨٥، المغازي للواقدي ٣/٩٣٧، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٧.

أتهم، عن عبد الله بن مِكْدَم، عن رجالٍ من ثقيف: قالوا: لما أسلم أهل الطائف تكلّم نفر منهم في أولئك العبيد، فقال رسول الله ﷺ: «لا، أولئك عُتقاء الله»؛ وكان ممّن تكلّم فيهم الحارث بن كَلَدة[1].

قال ابن هشام: وقد سمّى ابن إسحاق مَن نزل من أولئك العبيد.

شِعر للضّحّاك بن سفيان وسببه: قال ابن إسحاق: وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدَّوْسيّ، وكان قد أسلم، وظاهَرَ رسولَ الله ﷺ على ثقيف، فزعمت ثقيف، وهو الذي تزعم به ثقيف أنها من قيس: أنّ رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس: خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه، فلقي أُبَيّ بن مالك القُشَيريّ فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله، فقام في ذلك الضّحّاك بن سفيان الكلابيّ، فكلّم ثقيفاً حتى أرساوا أهل مروان، وأطلق لهم أبي بن مالك، فقال الضّحّاك بن سفيان في شيء كان بينه وبين أُبَيّ بن مالك:

أتنسى بلائي يا أُبيّ بن مالك ... غداةَ الرسولُ مُعْرِضٌ عنك أشوس[2]
يقودك مروان بن قيس بحبلهِ ... ذليلاً كما قِيد الذلول المُخَيّس[3]
فعادتْ عليكَ من ثقيفٍ عصابةٌ ... متى يأتهم مستقبسُ الشرّ يُقبسُوا
فكانوا همُ المولى فعادت حلومُهمْ ... عليك وقد كادتْ بك النفس تبأس

قال ابن هشام: «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحاق.

الشهداء يوم الطائف[4]: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استُشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف.

من قريش، ثم من بني أُميّة بن عبد شمس: سعيد بن العاص بن أُميّة، وعُرْفُطَة بن جَنّاب، حليف لهم، من الأسد بن الغوث.

---

(١) المغازي للواقدي ٣/٩٣٢.
(٢) الأشوس: من يعرض بنظره إلى جهة أخرى.
(٣) المخيّس: المذلّل.
(٤) أنظر: تاريخ الطبري ٣/٨٥، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٧، ٥٩٨، والمغازي للواقدي ٣/٩٣٨، وعيون الأثر ٢/٢٠٢، ٢٠٣، ومجمع الزوائد ٦/١٩٠.

قال ابن هشام: ويقال: ابن حُباب.

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْم بن مُرّة: عبد الله بن أبي بكر الصِّدّيق، رُمي بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومن بني مخزوم: عبد الله بن أبي أُميّة بن المغيرة، من رمية رُميها يومئذ.

ومن بني عدِيّ بن كعب: عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بني سهم بن عمرو: السائب بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ، وأخوه عبد الله بن الحارث.

ومن بني سعد بن ليث: جُليحة بن عبد الله.

واستُشهد من الأنصار: من بني سَلِمة: ثابت بن الجذع.

ومن بني مازن بن النّجّار: الحارث بن سهل بن أبي صعصعة.

ومن بني ساعدة: المنذر بن عبد الله.

ومن الأوس: رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان بن معاوية.

فجميع من استُشهد بالطّائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً، سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث(١).

قصيدة بُجَير بن زُهير في حُنَين والطائف: فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار، قال بُجَير بن أبي سُلْمى يذكر حُنَيناً والطّائف:

كانت عُلالة يوم بطنِ حُنينٍ ... وغداةَ أوْطاس ويوم الأبرق(٢)

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٥.

(٢) العُلالة: جري بعد جرْي، أو قتال بعد قتال، يريد: أنّ هوازن جمعت جمْعها عُلالةً في ذلك اليوم، وحذف التنوين من عُلالة ضرورة، وأضمر في كانت إسمها، وهو القصة وإنْ كانت الرواية بخفض يوم. فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصْب، ولكنّ ألفيته في النسخة المقيّدة، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز في عُلالة مع إضافتها إلى يوم، على أن تكون كان تامّة مكتفية باسم واحد، ويجوز أن تجعلها إسماً علماً للمصدر مثل برّة وفجار، ويُنصب =

جمعتْ بـإغـواء هـوازنُ جَمْعهـا فـتبـدّدوا كـالـطائـر الـمتـمـزّق
لم يمنعـوا منّـا مقـامـاً واحـداً إلاّ جِـدارَهُـمُ وبـطنَ الـخـنـدق
ولقـد تعـرَّضْنـا لكيمـا يخـرُجُـوا فـتحـصَّـنـوا منّـا بـبـابٍ مُغْـلق
تـرتـدّ حَسْـرانـاً إلى رَجْراجـةٍ شهْبـاءَ تَلْمـعُ بـالمنـايـا فَيْلق[1]
ملمومـةٍ خضـراءِ لـو قَـذَفُـوا بهـا حَضَنـا لـظلّ كـأنّـه لم يُخْـلَق[2]
مشْيَ الضّـراءِ على الهَـرَاسِ كـأنّنـا قُـدْرٌ تَفـرَّقُ في القيـاد وتـلتقـي[3]
في كـلّ سـابغـة إذا مـا استحْصنت كـالنِّهْي هبّتْ ريحُـه المتـرقـرق[4]
جُـدُلٌ تَـمَسُّ فُضـولُـهنَّ نِـعـالنـا مـن نَسْـج داودٍ وآلِ مُـحَـرِّق[5]

= يوم على الظرف كما تقيّد في النسخة. (أنظر الروض الأنف ٤/١٦٥).

(١) حسراناً، جمع: حسير وهو الكليل. والرجراجة: الكتيبة الضخمة من الرجرجة، وهي شدّة الحركة والاضطراب. وفيلق: من الفلق، وهي الداهية.

(٢) ملمومة: مجتمعة. خضراء: تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد. حضن: اسم جبل.

(٣) الضراء: الكلاب. والهراس: نوع من الشوك، والكلاب إذا مشت في الهراس ابتغت لأيديها موضعاً ثم تضع أرجلها موضع أيديها. شبّه الخيل بها. والقُدْر: الوعول المسنّة.

(٤) النِّهْي: الغدير سُمّي بذلك لأنه ماء نهاه مما ارتفع من الأرض من السَّيلان فوقف.

(٥) الجُدُل: المنسوجة نسجاً مُحكَماً. آل محرِّق: آل عمر بن هند ملك الحِيرة.

أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا المؤلَّفة قلوبُهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها[1]

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دَحْنَا[2] حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهمّ اهدِ ثقيفاً وأتِ بهم»[3].

ثم أتاه وفد هوازن بالجِعْرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبْي هوازن

(١) أنظر: تاريخ الطبري ٣/٨٦، والمغازي للواقدي ٣/٩٤٣ - ٩٤٩، والمغازي لعروة ٢١٨، ومجمع الزوائد ٦/١٨٦، والكامل في التاريخ ٢/٢٦٨، ونهاية الأرب ١٧/٣٣٩، والطبقات الكبرى ٢/١٥٢، ١٥٣، وعيون الأثر ٢/١٩٣.

(٢) دَحْنَا: بفتح أوله وسكون ثانيه. من مخاليف الطائف، (معجم البلدان ٢/٤٤٤).

(٣) أخرج الترمذيّ نحوه في المناقب (٤٠٣٤) باب في ثقيف وبني حنيفة، عن أبي سلمة يحيى بن خلف، عن عبد الوهاب الثقفي، عن عبد الله بن عثمان بن خُثيم، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادْع الله عليهم. فقال: «اللهمّ اهْدِ ثقيفاً». هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه أحمد في المسند ٣/٣٤٣ عن عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن الصباح، عن إسماعيل بن زكريا، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبد الرحمن بن سابط، وأبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد ثقيفاً» قال عبد الله: وسمعته أنا من محمد بن الصباح، فذكر مثله، وانظر: المغازي للواقدي ٣/٩٣٧، والطبقات لابن سعد ٢/١٥٩، ونهاية الأرب ١٧/٣٣٨، والكامل في التاريخ ٢/٢٦٧، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٦.

ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدْرى ما عدّته.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو: أنّ وفد هوازن أتوْا رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنّا أصلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، فامنُنْ علينا، منَّ الله عليك. قال: وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زُهير، يُكَنَّى أبا صُرَد، فقال: يا رسول الله، إنّما في الحظائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك[1] اللاتي كنّ يكفلنك، ولو أنّا مَلَحْنا[2] للحارث بن أبي شَمِر، أو للنُّعمان بن المنذر، ثم نزل منّا بمثل الذي نزلت به، رجَوْنا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين[3].

قال ابن هشام: ويُروى ولو أنّا مالَحْنا الحارثَ بنَ أبي شَمِر، أو النعمان بن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم»؟ فقالوا: يا رسول الله، خيّرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل تردّ إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحبّ إلينا؛ فقال لهم: «أما ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم، وإذا أنا صلّيت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم»؛ فلمّا صلّى رسول الله ﷺ بالناس الظُّهر، قاموا فتكلّموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «وأما ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم». فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عُيينة بن حصْن: أما أنا وبنو فَزارة فلا، وقال عباس بن مِرداس: أما أنا وبنو سُلَيم فلا.

---

(١) يقصد: حليمة السعدية فهي من بني سعد بن بكر.

(٢) ملحنا: أرضعنا.

(٣) تاريخ الطبري ٨٦/٣، الكامل في التاريخ ٢٦٨/٢.

فقالت بنو سُليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال: يقول عباس بن مِرداس لبني سُلَيم: وهَّنْتُموني.

فقال رسول الله ﷺ: أمّا من تمسك منكم بحقّه من هذا السبي فله لكل إنسان ستّ فرائض، من أول سبي أصيبه. فردّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو وجزة يزيد بن عُبيد السّعديّ: أنّ رسول الله ﷺ أعطى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جارية، يقال لها رَيطة بنت هلال بن حيّان بن عُميرة بن هلال بن ناصرة بن قُصَيّة بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطى عثمان بن عفّان جارية، يقال لها زينب بنت حيّان بن عمرو بن حَيّان، وأعطى عمر بن الخطّاب جارية، فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله ابن عمر، قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمَح، ليُصْلحوا لي منها، ويهيّئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها، قال: فخرجت من المسجد حين فرغت، فإذا الناس يشتدّون، فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: ردّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا؛ فقلت: تلكم صاحبتكم في بني جُمَح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها، فأخذوها[3].

قال ابن إسحاق: وأما عُيينة بن حصْن، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً إنّي لأحسب لها في الحيّ نسباً، وعسى أن يعظم فداؤها، فلما ردّ رسول الله ﷺ السبايا بستّ فرائض، أبى أن يردّها، فقال له زُهير أبو صُرَد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثدْيها

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٧، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٩، نهاية الأرب ١٧/٣٤٢.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٨٧، ٨٨.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٨٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٩.

بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد[1]، ولا دَرُّها بماكد[2]. فردّها بستّ فرائض حين قال لـه زُهير مـا قال؛ فزعموا أنّ عُيينـة لقي الأقرع بن حـابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنّك والله ما أخذتها بيضاء غريرة، ولا نَصَفاً وثيرة[3].

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال رسول الله ﷺ «أخـبروا مالكاً أنه إنْ أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيتـه مائـة من الإبل»؛ فـأُتي مالـك بذلـك، فخرج إليه من الـطائف. وقد كـان مالـك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أنّ رسول الله ﷺ قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر براحلته فهُيِّئت له، وأمر بفَرَسٍ له، فأتى به إلى الطائف، فخرج ليلاً، فجلس على فرسه، فـركضه حتى أتى راحلتـه حيث أمر بهـا أن تُحبس، فركِبهـا، فلحِق بـرسـول الله ﷺ، فـأدركـه بـالجِعْرانـة أو بمكة، فـردّ عليه أهله ومـاله، وأعـطاه مائـة من الإبـل، وأسلم فحسن إسـلامه؛ فقـال مالـك بن عوف،حـين أسلم:

مـا إن رأيـتُ ولا سمـعـتُ بـمـثـله ... في النـاسِ كلّهم بـمثـل محمـدِ
أوفى وأعـطى للجزيـل إذا اجتُـدي ... ومتى تشـأْ يخبـركَ عمّـا في غـد
وإذا الـكـتيبـة عـرَّدَتْ أنيـابُهـا ... بـالسَّمْهـريّ وضـربِ كـلّ مُهنَّـد
فـكـأنّـه لـيـثٌ عـلى أشـبـالـه ... وسْطَ الهَبـاءةِ خـادرٌ في مـرصَـد[4]

فـاستعمله رسـول الله ﷺ على من أسلم من قـومـه؛ وتلك القبـائـل: ثُمالة،وسلِمة[5]، وفهم، فكـان يقاتـل بهم ثقيفـاً، لا يخرج لهم سَرْح إلّا أغار

---

(١) الواجد: الحزين.
(٢) الماكد: الغزير.
(٣) الغريرة متوسّطة السّنّ، وكذلك النَصَف أيضاً. والوثيرة: السمينة. والخبر في تاريخ الطبري ٨٨/٣، والمغازي للواقدي ٩٥٣/٣، ٩٥٤.
(٤) تـاريخ الـطبري ٨٩/٣، نهـاية الأرب ٣٤٥/١٧، والـواقـدي ٩٥٦/٣.
(٥) قـال السهيلي: هكذا تقيّـد في النسخة ـ بكسـر اللام ـ؛ والمعـروف في قبائـل قيس سَلَمـة ـ بالفتح ـ (الروض الأنف ١٩٧/٤).

عليــه، حتى ضيّق عليهم فقال أبــو مِحْجَن[1] بن حبيب بن عمـرو بن عُميـر الثقفي:

هــابتِ الأعــداءُ جــانبنــا ثــمّ تَغْــزونــا بــنــو سَلِمــهْ
وأتــانــا مــالــكٌ بــهــمِ نــاقضــاً للعهــد والحُـرُمَــهْ
وأتَــوْنــا فــي مــنــازلــنــا ولــقــد كنّــا اوْلي نقـمَــهْ[2]

قــال ابن إسحــاق: ولمـا فـرغ رسـول الله ﷺ من ردّ سبـايــا حُنَين إلى أهلها، ركب، واتّبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسمْ علينا فيأنا من الإبِل والغنم، حتى ألجئوه إلى شجرة، فـاختُطفت عنـه رداءه؛ فقـال: «أدّوا علي ردائي أيّهـا الناس، فـوالله أن لو كـان لكم بعدد شجـر تِهامـةَنَعَمــاًلقسّمتـه عليكم ثم ما ألفيتموني بخيـلاً ولا جبانـاً ولا كذّابـاً»، ثم قام إلى جُنْب بعيـر، فأخـذ وَبَـرةً من سَنامه، فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها، ثم قال: «أيّها الناس، والله مـالي من فَيْئكم ولا هذه الـوَبَرَة إلاّ الخُمْس، والخُمْس مـردود عليكم، فـأدّوا الخِيـاط والمَخيط[3]، فإنَّ الغُلول[4] يكـون على أهله عاراً ونـاراً وشنـاراً[5] يـوم القيـامة[6]. قـال: فجـاء رجـل من الأنصـار بكُبَّـةٍ من خيـوط شَعْـر، فقـال:

---

(١) اسمـه: مالـك بن حبيب، وقيل عبـد الله بن حبيب بن عمرو بن عُميـر بن عوف بن عقـدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفي.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٨٩، نهاية الأرب ١٧/٣٤٥، المغازي للواقدي ٣/٩٥٥، ٩٥٦.

(٣) الخياط. الخيط: والمخيط آلة الخياطة (الإبرة).

(٤) الغلول: الخيانة.

(٥) الشنار: الأمر القبيح الشنيـع.

(٦) أخـرجه الحـاكم في المستدرك ٣/٤٩ من طـريق مكحـول، عن أبي سـلام الباهلي رضي الله عنه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أخذ رسـول الله ﷺ يوم حنين وبـرة من جنب بعيـر ثم قـال: «**يـا أيهـا النـاس إنـه لا يحـلّ ممـا أفـاء الله عليكم قـدر هــذه إلا الخمس** والخمس مـردود عليكم، فـأدّوا الخيط والمخيط وإيّـاكم والغلول فـإنــه عـار على أهله يــوم القيامة، وعليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه بـابٍ من أبواب الجنة يُـذهب الله به الهمّ والغمّ». قال: وكان رسول الله ﷺ يكره الأنفال ويقول: «ليردّ قويّ المؤمنين على ضعيفهم».

يا رسول الله، أخذت هذه الكُبة أعمل بها بَرذَعة بعيرٍ لي دَبر؛ فقال: «أمّا نصيبي منها فلك» قال: أمّا إذْ بلغت هذا فلا حاجة لي بها، ثم طرحها من يده»[1].

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن أبيه: أنّ عُقَيل بن أبي طالب دخل يوم حُنَين على امرأته فاطمة بنت شَيبة بن ربيعة، وسيفه متلطّخ دماً. فقالت: إنّي قد عرفت أنك قد قاتلت، فماذا أصبتَ من غنائم المشركين؟ فقال: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمِع منادي رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شيئاً فليردّه، حتى الخِياط والمخْيط. فرجع عُقيل، فقال: ما أرى إبرتك إلّا قد ذهبت، فأخذها، فألقاها في الغنائم.

قال ابن إسحاق: وأعطى رسول الله ﷺ المؤلَّفة قلوبُهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألّفهم ويتألّف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حِزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلَدة، أخا بني عبد الدّار مائة بعير.

قال ابن هشام: نُصير بن الحارث بن كَلدة، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سُهيل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حُوَيطب بن عبد العُزّى بن أبي قيس مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي، حليف بني زُهْرة مائة بعير، وأعطى عُيينة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير. وأعطى مالك بن عوف النصْري مائة بعير، وأعطى صفوان بن أميّة مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المِئِين[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٩، ٩٠، وبعض الخبر في الكامل لابن الأثير ٢/٢٧٠، تاريخ الإسلام ٦٠٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٩٠، الكامل في التاريخ ٣/٢٦٩، ٢٧٠.

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش، منهم مخرمة بن نوفل الزُّهْريّ، وعُمير بن وهْب الجُمَحيّ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لُؤَيّ، لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفت أنها دون المائة، وأعطى سعيد بن يَرْبوع بن عَنْكَثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السَّهميّ خمسين من الإبِل.

قال ابن هشام: واسمه عدِيّ بن قيس.

قال ابن إسحاق: وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها، فعاتب فيها رسول الله ﷺ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ:

كانت نِهاباً تلافيتُها ... بكَري على المهر في الأجْرَعِ

وإيقاظيَ القومَ أن يرقدوا ... إذا هجع الناسُ لم أهجَعِ

فأصبحَ نهْبي ونهْبُ العُبَيْـ ... ـديـن عُيَيْنةَ والأقرع[1]

وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرَإ ... فلم أُعْط شيئاً ولم أمنع

إلّا أفائِلَ أُعْطِيتُها ... عديدَ قوائمها الأرْبع[2]

وما كنتُ حِصْنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان شيخي[3] في المَجْمَع

وما كنتُ دونَ امريءٍ منهما ... ومن تَضَعِ اليوم لا يُرْفَع[4]

قال ابن هشام: أنشدني يونس النَّحْويّ:

فما كان حصْن ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اذهبوا به، فاقطعوا عنّي لسانه»، فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطْع لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ[5].

---

(١) العبيد: فرس عباس بن مرداس.

(٢) الأفائل: أصاغر الإبل.

(٣) شيخي: أبي. وفي تاريخ الطبري «يفوقان مرداس».

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلّفة قلوبهم على الإسلام. (١٠٦٠/١٣٧) وانظر الأبيات باختلاف في الألفاظ في: المغازي للواقدي ٣/٩٤٦، ٩٤٧، وتاريخ الطبري ٣/٩٠، ٩١، ونهاية الأدب ١٧/٣٣٩، ٣٤٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٢، والمغازي لعروة وغيره، ففيها أبيات أكثر، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٠.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٩١.

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ عباس بن مِرداس أتى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت القائل»:

«فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعُيينة»[1]؟

فقال أبو بكر الصِّدّيق: بين عُيينة والأقرع؛ فقال رسول الله ﷺ: هما واحد»؛ فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَه**﴾[2].

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل العلم في إسنادٍ له، عن ابن شهاب الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس، قال: بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حُنَين.

من بني أُميّة بن عبد شمس: أبو سفيان بن حرب بن أُميّة، وطُلَيق بن سفيان بن أُميّة، وخالد بن أُسَيْد بن أبي العِيص بن أُميّة.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيّ: شَيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عُميلة بن السّباق بن عبد الدار، وعِكرِمة بن عامر بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار.

ومن بني مخزوم بن يقظة: زهير بن أبي أُميّة بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والسائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني عدِيّ بن كعب: مُطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة، وأبو جهم بن حُذَيفة بن غانم.

---

(١) لم ينطق عليه الصلاة والسلام البيت موزوناً لأنه لا يقول الشِعر وإن كان يستمعه ويستجيده. يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وما علّمناه الشعر وما ينبغي له**﴾

(٢) سورة يّس ـ الآية ٦٩.

ومن بني جُمَح بن عمرو: صفوان بن أُميّة بن خَلَف، وعُمير بن وهْب بن خلف.

ومن بني سهم: عديّ بن قيس بن حُذافة.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: حُوَيْطب بن عبد العُزّى بن أبي قيس بن عبد ودّ وهشام بن عَمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب.

ومن أفناء القبائل: من بني بكر بن عبد مَناة بن كِنانة: نوفل بن معاوية بن عُروة بن صخر بن رزن بن يَعْمر بن نَفَاثة بن عدِيّ بن الدّيل.

ومن بني قيس، ثمّ من بني عامر بن صعصعة، ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب، ولَبِيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بني عامر بن ربيعة: خالد بن هوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحرملة بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو.

ومن بني نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يَرْبوع.

ومن بني سُليم بن منصور: عباس بن مِرداس بن أبي عامر: أخو بني الحارث بن بُهثة بن سُلَيم.

ومن بني غَطفان، ثم من بني فَزارة: عُيَيْنة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر.

ومن بني تميم ثم من بني حنظلة: الأقرع بن حابس بن عقال، من بني مجاشع بن دارم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ: أنّ قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله، أعطيت عُيينة بن حصْن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جُعَيل بن سُراقة الضمْريّ؟! فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسُ محمد بيده لجُعَيل بن سُراقة خيرٌ من طِلاع[1] الأرض، كلّهم مثل عُيَيْنة بن حصْن والأقرع بن حابس، ولكنّي تألّفتهما،

(١) طلاع الأرض: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل.

ووكّلت جُعَيل بن سراقة إلى إسلامه[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو عُبَيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر، عن مقسم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نَوْفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي، حتّى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلّقاً نعله بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلّمه التميميّ يوم حُنَين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم، يقال له ذو الخُوَيْصرة، فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم: فقال رسول الله ﷺ: «أجل، فكيف رأيت»؟ فقال: لم أرك عدلت؛ قال فغضب النّبيّ ﷺ، ثم قال: «ويحك! إذا لم يكن العدل عندي، فعند من يكون»!؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا أقتله؟ فقال: «لا، دعه فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدِّين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّميّة يُنظر في النصْل[2]، فلا يوجد شيء، ثم في القِدْح[3]، فلا يوجد شيء. ثم في الفُوق[4]، فلا يوجد شيء، سبَق الفَرْث[5]، والدمَ[6].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن عليّ بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عُبيدة، وسمّاه ذا الخُوَيْصرة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، عن أبيه بمثل ذلك.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٩١، الكامل في التاريخ ٢/٢٧٠، ٢٧١.
(٢) النصل: حديد السهم.
(٣) القدح: السهم.
(٤) الفُوق: طرف السهم.
(٥) الفَرَث: ما يوجد في الكرش.
(٦) أخرج نحوه البخاري في كتاب المغازي (١٠٦/٥ باب غزوة الطائف، ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٦٢/١٤٠) باب إعطاء المؤلّفة قلوبهم على الإسلام. و(١٠٦٣/١٤٢) باب ذكر الخوارج وصفاتهم، وأخرجه أبو داود، والترمذي وابن ماجه، والنسائيّ، والدارميّ، ومالك، وأحمد، في مواضع كثيرة. (أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٢٠٤/٦) وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٣، ٦٠٤، وتاريخ الطبري ٩٢/٣، والكامل في التاريخ ٢٧١/٢.

قال ابن هشام: ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى في قريش وقبائل العرب ولم يُعط الأنصار شيئاً، قال حسّان بن ثابت يعاتبه في ذلك:

زادت همومٌ فماء العين منحدرُ ... سحّاً إذا حفلتْهُ عَبرةُ دِرَرُ[1]
وجْداً بشمّاء إذ شمّاء بَهْكَنَةٌ ... هيفاءُ لادَنَسٌ فيها ولا خَوَر[2]
دعْ عنك شمّاءَ إذ كانت مودَّتُها ... نزْراً وشرّ وِصالِ الواصل النَّزِر[3]
وأتِ الرسول فقل يا خيرمؤتَمَن ... للمؤمنين إذا ما عُدّد البشر
علامَ تُدْعَى سُلَيمٌ وهْي نازحةٌ ... قُدّام قوم هُمُ آوَوْا وهم نَصَروا
سمّاهُمُ الله أنصاراً بنصرهم ... دِينَ الهُدى وعَوانُ الحرب تستعِر
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وما خامُوا وما ضجروا[4]
والناس ألبٌ علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوفَ وأطراف القَنا وَزَرُ[5]
نُجالدُ النّاس لا نُبقي على أحدٍ ... ولا نُضيّعُ ما تُوحي به السُّوَر
ولا تهرّ جُناةُ الحرب نادِيَنا ... ونحن حين تلظَّى نارُها سُعُر[6]
كما ردَدْنا ببدر دون ما طَلَبُوا ... أهلَ النفاق وفينا ينزل الظَّفَر
ونحن جُندك يوم النَّعْف من أُحُد ... إذْ حزَّبتْ بَطراً أحزابَها مُضَر
فما وَنينا وما خِمْنا[7] وما خَبَرُوا ... منّا عِثاراًوكلّ الناس قد عثروا

قال ابن هشام: حدّثني زياد بن عبد الله، قال: حدّثنا ابن إسحاق: قال: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن محمود بن لَبيد، عن أبي سعيد الخُدْريّ، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم، حتى كثُرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقد لقي والله

---

(١) حفلته: جمعته. دِرَر: سائلة.
(٢) بَهْكَنَة: كثيرة اللحم. هيفاء: ضامرة الخصْر.
(٣) النزر: القليل.
(٤) اعترفوا: صبروا. ما خاموا: ما جبُنوا.
(٥) ألْبٌ: مجتمعون. الوَزَر: الملجأ.
(٦) لا تَهِرّ: لا تكره. جُناة الحرب: الخائضون غمارها. سُعُر: الذين يوقدون نارها.
(٧) خِمْنا: جَبُنّا.

رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عُبادة، فقال: يا رسول الله: إنّ هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفَيْء الذي أصبتَ، قسّمت في قومك، وأعطيت عطايا عِظاماً في قبائل العرب. ولم يك في هذا الحيّ من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد»؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلّا من قومي. قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة». قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحيّ من الأنصار: ما قالةٌ بلغتني عنكم، وجِدَة[1] وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتِكم ضُلّالاً فهداكم الله، وعالةً فأغناكم الله، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم»! قالوا: بلى، الله ورسوله آمَن وأفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟لله ولرسوله المَنّ والفضل. قال ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم، فلَصدَقْتم ولصُدِّقتم: أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم، في لُعاعة[2] من الدنيا تألّفت بها قوماً ليُسلِموا، ووكّلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أنيذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم»؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْباً وسلكت الأنصارُ شعباً، لسلكتُ شِعبَ الأنصار. اللهمّ ارحَمِ الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار».

قال فبكى القوم حتى أخْضَلوا لِحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قِسماً وحظّاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرّقوا[3].

---

(١) الجِدَة: مصدر وجد، أي وجدتم في أنفسكم شيئاً. وفي تاريخ الطبري «موجدة».

(٢) اللعَاعة: الخصْب: أو شجرة خضراء شبّه بها نعيم الدنيا.

(٣) تاريخ الطبري ٩٣/٣، ٩٤، المغازي لعروة ٢١٩، المغازي للواقدي ٩٨٧/٣، ٩٥٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٣، فتح الباري ٥١/٨، الكامل في التاريخ ٢٧١/٢، ٢٧٢، نهاية الأرب ٣٤٦/١٧، ٣٤٧.

عُمْرة الرسول من الجِعْرانة[1]
واستخلافه عتّاب بن أُسَيْد على مكة، وحجّ عتّاب بالمسلمين سنة ثمان

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجِعْرانة معتمراً، وأمر ببقايا الفَيْء فحُبس بمَجَنّة[2]، بناحية مَرّ الظَّهْران، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته انصرف راجعاً إلى المدينة، واستخلف عَتّاب بن أُسيد على مكة، وخلّف معه مُعاذ بن جبل، يفقّه الناس في الدِّين، ويعلّمهم القرآن[3]، واتُّبع رسول الله ﷺ ببقايا الفَيء[4].

قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال: لما استعمل النبيّ ﷺ عَتّاب بن أُسَيْد على مكة رزقه كلّ يوم دِرْهماً، فخطب الناس، فقال: أيّها الناس، أجاع الله كبِدَ من جاع على دِرْهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ دِرْهماً كلّ يوم، فليست بي حاجة إلى أحد[5].

---

(1) تاريخ الطبري ٩٤/٣، المغازي للواقدي ٩٥٨/٣ وما بعدها، المحبّر ١١٥، البدء والتاريخ ٢٣٨/٤، تاريخ خليفة ٨٩، الكامل في التاريخ ٢٧٢/٢، نهاية الأرب ٣٤٨/١٧، سيرة ابن كثير ٦٩٢/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١١.
(2) مَجَنّة: بالفتح وتشديد النون، بمَرّ الظهران أسفل مكة. (معجم البلدان ٥٨/٥).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٧٠/٣.
(4) تاريخ الطبري ٩٤/٣، المغازي للواقدي ٩٥٨/٣، الكامل في التاريخ ٢٧٢/٢، نهاية الأرب ٣٤٨/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١١٢.
(5) أنظر عن عتّاب بن أُسَيْد: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٤٦/٥، وطبقات خليفة ١١، ٢٧٧، =

قال ابن إسحاق: وكانت عُمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فقدِم رسول الله ﷺ المدينة في بقيّة ذي القعدَة أو ذي الحجّة(١).

قال ابن إسحاق: وقدِم رسول الله ﷺ المدينة لستّ ليالٍ بقِين من ذي القعدة فيما زعم أبو عمرو المدني.

قال ابن إسحاق: وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه،

= وتاريخ خليفة ٨٧، ٨٨، ٩٢، ٩٧، ١١٧، ١٢٣، ٤٦، ٦٣، ٦٦، وأنساب الأشراف له ١/٤١٨، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٨، ٥٢٩، ونسب قريش لمصعب ١٨٧، ٣١٢، ٤١٨، وأخبار مكة للأزرقي ١/٢٨٥، ٢/١٥١، ١٥٣، والتاريخ الكبير للبخاري ٧/٥٤ رقم ٢٤٤، والمعارف لابن قتيبة ٧٣، ٩١، ١٦٣، ٢٨٣، والأخبار الموفّقيات للزبير بن بكار ٣٣٣، وتاريخ الطبري ٣/٧٣، ٩٤، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٤٢، ٤١٩، ٤٢٧، ٤٧٩، ٥٩٧، ٦٢٣، ٤/٤٩، ٩٤، ١١٠، والمستدرك للحاكم ٣/٥٩٤، ٥٩٥، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١٣، ١٤٥، ١٦٦، والمعجم الكبير للطبراني ١٧/١٦١، ١٦٢، والعقد الفريد لابن عبد ربّه ٦/١٥٨، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/٣٣٨، وعيون الأخبار لابن قتيبة ١/٢٣٠، ٢/٥٥، والخراج وصناعة الكتابة لقُدامة ٢٦٦، والاستيعاب لابن عبد البرّ ٣/١٥٣، ١٥٤، وثمار القلوب للثعالبي ١٢، ٥١٩، والجرح والتعديل ٧/١١ رقم ٤٦، ومشاهير علماء الأمصار ٣٠ رقم ١٥٥، والزيارات للهروي ٩٤، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١ ج ١/٣١٨، ٣١٩ رقم ٣٨٦، والكاشف للذهبي ٢/٢١٢، ٢١٣ رقم ٣٧٠٦، وتلخيص المستدرك له ٣/٥٩٤، ٥٩٥، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٣٤، وشفاء الغرام للقاضي الفاسي ١/٩٠، ١٢٥، ١٣٨، ٢/٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٧ (بتحقيقنا)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٧/٨٩، ٩٠ رقم ١٩١، وتقريب التهذيب ٢/٣ رقم ١، والإصابة ٢/٤٥١ رقم ٥٣٩١ رقم ٥٣٩١، والبدء والتاريخ للمقدسي ٥/١٠٧، والوفيات لابن قنفذ ٤١، وخلاصة تذهيب التهذيب للخزرجي ٢٥٧.

(١) أخرج البخاري في كتاب الحج (٣/٣) أبواب العمرة، باب كم اعتمر النبيّ ﷺ، ومسلم في كتاب الحج، باب بيان عدد عُمَر النبيّ ﷺ وزمانهنّ (١٢٥٣/٢١٧). وأبو داود في الحجّ (١٩٩٤) باب العُمَر. والترمذي في الحج (٨١٤) باب ما جاء: كَم اعتمر النبيّ ﷺ. وابن ماجه في المناسك (٣٠٠٣) باب كم اعتمر النبيّ ﷺ، وأحمد في المسند ١/٢٤٦، ٣٢١، ٢/١٣٩، ٣/١٤٣، ٢٥٦، ٤/٢٩٧، والطبري في تاريخه ٣/٩٤، ٩٥، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١١، وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمَر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجّته. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وحجّ بالمسلمين تلك السنة عَتّاب بن أُسَيد، وهي سنة ثمانٍ، وأقام أهل الطائف على شِرْكهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع[1].

(١) تاريخ الطبري ٣/٩٥، وانظر المغازي للواقدي ٣/٩٥٩، ٩٦٠، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٣.

أمْرُ كعْب بن زُهير بعد الانصراف عن الطّائف(١)

ولما قدِم رسول الله ﷺ من مُنْصرفه عن الطائف كتب بُجير بن زُهير بن أبي سُلْمَى إلى أخيه كعب بن زُهير يخبره أنّ رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة، ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأنّ من بقي من شعراء قريش، ابن الزِّبَعْرى(٢) وهبيرة بن

(١) أنظر عن كعب بن زهير في: الاستيعاب ٣/٢٩٧ ـ ٣٠٢، وطبقات الشعراء لابن سلام ٨٣، والأغاني ١٧/٨١ ـ ٩١، ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٤٣، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢/٩١، ٥/٢٩١، والمستدرك للحاكم ٣/٥٧٨ ـ ٥٨٦، والمعجم الكبير للطبراني ١٩/١٧٦ ـ ١٧٩، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/١٦١، ٢٧٥، وأسد الغابة لابن الأثير ٤/٢٤٠، ٢٤١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ج ١ق ٢/١٦٧ رقم ٨٧، وأمالي المرتضى ١/٩٧، ٤١٨، ٤٢٤، ٥٥٨، ٢/١٦٧، والتذكرة السعدية للعبيدي ٢٤٠، ٢٤١، وثمار القلوب للثعالبي ٦١، ١٣١، والأمالي للقالي ١/١٦٠، ٢٠٦، ٢/٢، ٣/٢٣، ٢٤، ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ١٦٥ ـ ٦٢١، ولباب الآداب لابن منقذ ٢٢٠، والإصابة ٣/٢٩٥، ٢٩٦ رقم ٧٤١١، ومعجم الشعراء في لسان العرب للدكتور ياسين الأيوبي ٣٤٧ رقم ٨٨٩، وإمتاع الأسماع للمقريزي ٤٩٤، وشرح قصيدة ابن زهير للتبريزي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون ١/٢١٧، ٢١٨، والبصائر والذخائر للتوحيدي ٣/٤٤٦، وأدب الدنيا والدين ٥٢، والحماسة للبحتري ٢١٧، والطبقات لخليفة ٣٩، وتاريخ الآداب العربية لبروكلمان ١/١٥٦، وسيرة ابن كثير ٣/٦٩٩ ـ ٧٠٩، وعيون التواريخ ١/٣٤١ ـ ٣٤٤، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٤ ـ ٢٧٦، وعيون الأثر ٢/٢٠٨ ـ ٢١٥، والروض الأنف ٤/٩٩ ـ ١٧٣، وانظر الديوان، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠، وجمْهرة أنساب العرب ٢١، والتذكرة الفخرية ٤٠، ٤٥١.

(٢) ابن الزِّبَعْرَى: هو عبد الله بن الزِّبَعْرى بن قيس بن عديّ القرشيّ السهميّ الشاعر، كان من

أبي وهْب، قدهربوا في كـل وجه، فإنْ كـانت لك في نفسـك حاجـة، فطِرْ إلى رسـول الله ﷺ، فإنـه لا يقتل أحـداً جاءه تـائباً، وإن أنت لم تفعـل فـانـجُ إلى نجائك من الأرض[1] .

وكان كعب بن زُهير قد قال:

ألا أبـلِغـا عـنّي بُـجَـيـراً رسـالـةً فهل لك فيـا قلت ويْحك هـل لكا؟
فـبـيّنْ لنـا إنْ كنتَ لستَ بفـاعـلٍ عـلى أيّ شيءٍ غير ذلـك دلّـكـا
عـلى خلقٍ لم ألْفَ يـومـاً أبـاً لـه عليـه ومـا تلفى عليـه أبـا لـكـا
فـإنْ أنت لم تفعـلْ فلستُ بـآسـف ولا قـائـلٍ إمّـا عثـرتَ: لَعـاً لكـا[2]
سقـاك بهـا المـأمـون كـأسـاً رَوِيّـة فـأنهلك المـأمـون منهـا وعلّكـا[3]

قال ابن هشام: ويُروى «المأمور» وقوله «فبيّن لنا» عن غير ابن إسحاق.

وأنشدني بعض أهل العِلم بالشعر وحديثه:

مـن مُبلغ عـنّي بُـجَـيـراً رسـالـةً فهل لك فيما قلت بالخَيف[4] هل لكا

= أشعر قريش في الجاهلية، وأسلم بعد الفتح وحسُن إسلامه. أنظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١/٢٣٥ - ٢٤٤، وأسد الغابة ٣/٢٣٩، والإصابة ٢/٣٠٨ وغيره.

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٥، وأخرج الحاكم في المستدرك بعضه من حديث طويل. ٣/٥٧٩، ٥٨٠، والأغاني ١٧/٨٦، ٨٧.

(٢) لعاً لك: كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة. أنشد أبو عُبيه.

فـلا لعـاً لبنـي فـلان إذا عثـروا

الروض الأنف ٤/١٩٩.

(٣) ويروى: المحمود في غير رواية ابن إسحاق، أراد بالمحمود: محمّداً - ﷺ وكـذلك المـأمون والأمين كـانت قريش تسمّي بهمـا النبيّ ﷺ قبـل النبـوّة (الروض الأنف ٤/١٩٩). النهـل: الشرب الأول. والعلل الشرب الثاني.

وانـظر الأبيات بـاختلاف الألفـاظ والترتيب في: ديوان كعب بن زهير - ص ٣ طبعـة دار الكتب المصـرية. ١٩٥٠، والأغـاني ١٧/٨٦، والمستدرك للحاكم ٣/٥٨٩، والاستيعـاب ٣/٢٩٨، والإصـابة ٣/٢٩٥ رقم ٧٤١١، وتـاريخ الإسـلام (الذهبي) ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، وأسد الغابة ٤/٢٤٠، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٤، وعيون الأثـر ٢/٢٠٨، وسيرة ابن كثيـر ٣/٦٩٩.

(٤) الخَيف: خُيف مِنَى.

شربت مع المأمون كأساً رَوِيّةً — فنهلك المأمونُ منها وعلّكا
وخالفتَ أسباب الهُدى واتّبعته — على أيّ شيءٍ ويْب[1] غيرك دلّكا
على خلق لم تُلْفِ أُمّاً ولا أباً — عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
فإنْ أنت لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ — ولا قائل إمّا عثرتَ: لَعاً لكا

قال: وبعث بها إلى بُجير، فلما أتت بُجيراً كره أن يكتمها رسولَ الله ﷺ فأنشده إيّاها، فقال رسول الله ﷺ لما سمع «سقاك بها المأمون»: «صدق وإنّه لكَذُوب، أنا المأمون». ولما سمع: «على خلق لم تُلْفِ أمّاً ولا أباً عليه» قال: «أجل، لم يَلْفَ عليه أباه ولا أمّه».

ثم قال بُجير لكعب:

من مُبلِغٌ كعباً فهل لك في التي — تلومُ عليها باطلاً وهْي أحزمُ
إلى الله ـ لا العُزّى ولا اللاّت ـ وحدَه — فتنجو إذا كان النجاء وتَسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمُفْلتٍ — من الناس إلاّ طاهرُ القلبِ مسلم
فدِين زُهير وهو لا شيءَ دِينُه — ودِينُ أبي سُلْمَى عليّ محرّم[2]

قال ابن إسحاق: وإنّما يقول كعب: «المأمون»، ويقال: «المأمور» في قول ابن هشام لقول قريش الذي كانت تقوله لرسول الله ﷺ.

كعب بن زُهير وقصيدته: **قال ابن إسحاق**: فلما بلغ كعْباً الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوّه، فقالوا: هو مقتول. فلمّا لم يجد من شيءٍ بُدّاً، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوُشاة به من عدوّه، ثم خرج حتى قدِم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جُهَينة، كما ذُكر لي، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلّى الصبح، فصلّى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له

---

(١) ويْب: هلاك. أي هلكت هلاك غيرك.
(٢) أنظر: تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٦، وعيون الأثر ٢/٢٠٨، ٢٠٩، وسيرة ابن كثير ٣/٧٠٠، والمستدرك للحاكم ٣/٥٨٢، ٥٨٣.

إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله فقم إليه فأستامِنْه، فـذُكِر لي أنـه قام إلى رسول الله ﷺ، حتى جلس إليه، فوضع يـده في يده، وكـان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسـول الله، إنّ كعب بن زُهير قـد جاء ليستـأمن منك تـائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»؛ قال: أنا يا رسول الله كعب بن زُهير[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنه وثب عليه رجـل من الأنصـار، فقـال يـا رسول الله، دعني وعـدوَّ الله أضرب عُنقـه؛ فقـال رسول الله ﷺ: «دعه عنك فإنّـه قد جـاء تائبـاً، نازعـاً عمّا كـان عليه». قـال: فغضب كعب على هذا الحيّ من الأنصار، لِما صنع به صـاحبهم، وذلك أنـه لم يتكلّم فيه رجل من المهاجرين إلّا بخـير، فقال في قصيـدته التي قـال حين قـدِم عـلى رسـول الله ﷺ:

بـانتْ سُعـادُ فقلبي اليـوم متبْـولُ ... مُتيَّمٌ إثْـرَهـا[2] لم يُفـدْ[3] مكبـول[4]
ومـا سعـادُ غـداة البَـيْنْ إذْ رحلوا ... إلّا أغنُّ غَضِيض الـطَّرْف مكحول[5]
هَـيْفـاءُ مُـقبـلةٌ عـجْـزاءُ مُـدبـرةٌ ... لا يُشتـكَى قِصرٌ منهـا ولا طُـول[6]
تجلو عـوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كـأنّـه مُـنْـهَـلٌ بـالـرّاح مَعْـلول[7]

---

(١) الخبر باختصار في الأغاني ١٧/٨٩، وقد أخرجه الطبراني في حديث طويل.
(٢) في الأغاني «عندها».
(٣) في الديوان، والأغـاني، والشعر والشعـراء، وغيره «يُجـز». وفي تاريـخ الإسلام (المغـازي) «يُلفَ». والمثبت يتّفق مع المستدرك للحاكم.
(٤) ومعنى البيت: بانت: أي فارقت فراقاً بعيداً. والمتْبول: الذي أسلمه الحبّ وأضنـاه. ويُفَد: يخلّص من الأسْر. والمكبول: الذي لا يجد فكاكاً من القيد، المكبَّل.
(٥) غداة البَيْن: صبيحة الفراق. أغنّ: أي ظبي أغنّ في صوته حُسْن. غضيض الطَّرْف: فـاتره. مكحول: أسود الجفون.
(٦) هيفاء: ضامرة البطن والخصْر. العجْزاء: ضخمة العجز. لا يُشتكَى: لا يُعاب.
(٧) تجلو: تصقل وتُظْهر وتكشف. العوارض: الأسنـان التي تظهـر عند الضَّحِـك: الظَلْم: مـاء الأسنان وبريقهـا ورقّتها وهـو أيضاً الثلج شُبّهت بـه الأسنان. المُنْهَـل: المسقى وهو الشـرب الأول. الراح: الخمر: معلول: اسم مفعول من علّه، والعَلَل الشرب الثاني.

شُجَّتْ بـذي شَبَـم من ماء مَحْنِيَـةٍ | صافٍ[1] بأبطحَ أضْحَى وهو مشمول[2]
تَنْفي الـريـاحُ القَـذَى عنه وأفـرطَـهُ | من صَـوْب غاديـة[3] بيضٌ يَعـالِيـل[4]
فيـالهـا[5] خُلَّة[6] لـو أنّها صَـدَقَتْ | بـوعـدهـا أو لـو أنّ النُّصْحَ مقبـول
لكنّهـا خُـلَة قـد سِيطَ مـن دمهـا | فجْعٌ ووَلْـعٌ وإخْـلافٌ وتَبْديـل[7]
فـما تـدوم عـلى حـال تكـونُ بهـا | كـما تَـلَوَّنُ في أثـوابهـا الـغُـول[8]
ومـا تمسَّك بـالعهد[9] الـذي زَعَمَتْ | إلاّ كـما يُمْسِـكُ المـاءَ الغـرابيـلُ[10]
فـلا يغُـرَّنْـكَ مـا مَنَّت ومـا وعـدتْ | إنّ الأمـانيَّ والأحـلامَ تـضليـل[11]
كـانت مـواعيـدُ عُـرْقـوبٍ لهـا مَثَلاً | ومـا مـواعيـدُهـا إلاّ الأبـاطيـل[12]

---

(١) في تاريخ الإسلام (المغازي) «صادٍ». وفي المستدرك للحاكم ٣/ ٥٨٠ «من ماء أبطح».
(٢) معاني البيت: شُجَّت: مُزجت حتى انكسرت سورتها.
ذو شَبَم: ماء شديد البرد.
محْنِيَة: منعطف الوادي، ماؤه أصفى وأبرد وألذّ.
أبطح: مسيل واسع فيه حصى دقيق.
أضحى: أخذ في وقت الضحى قبل أن يشتدّ الحرّ
مشمول: ضربته ريح الشمال حتى برد.
(٣) في المستدرك، وتاريخ الإسلام «سارية».
(٤) تنفي: تُبعِد. القذى: كل غريب يقع في الماء من تبن ونحوه. أفرطه: سبق إليه وملأه. صوب: مطر سحابة. غادية: مبكرة. بِيض يَعاليل: حُباب يعلو وجه الماء أو الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر (الروض ٤/ ١٧٠).
(٥) في المستدرك «سقياً لها» وفي تاريخ الإسلام «أكرِمْ بها».
(٦) الخُلّة: الصديقة والخليلة.
(٧) سِيط: خلط. فَجْع: إصابة. وَلْع: كذب في إخفاء المحبّة. إخلاف: خُلف الوعد. أي أن هذه الصفات قد خلطت بدمها.
(٨) الغول: ساحرة الجنّ تظهر في الفَلاة بألوانٍ شتّى، تضلّل منْ يتبعها.
(٩) في المستدرك «بالوصل».
(١٠) الغرابيل: مفردها غربال.
(١١) فلا يغرَّنْك: فلا يخدعنْك. ما منَّت: أي ما منّتك به من الوصل. الأماني: ما يرجوه الإنسان من الآمال. تضليل: سبب في ضلال الإنسان: عن وجه الصواب.
(١٢) عُرقوب: رجل اشتهر بخُلف الوعد فضُرب به المثل، قال علقمة:
وعـدتَ وكـان الـخُـلْفُ منـك سـجـيّـةً | مواعيدَ عُرقوب أخاه بيثرب.
والأباطيل: جمع باطل، جمعه على غير القياس.

أرجــو وآمُــلُ أن تــدنــو مــودَّتُـهــا ... ومـا إخـالُ لَـدَيْنـا منـكِ تَنْـويـل[1]

أمستْ سعــاد بــأرض لا يُبـلِّغهــا ... إلّا الـعِتـاقُ النّجيبات المَـراسيل[2]

ولــن يُــبَــلِّـغــهــا إلّا عُــذافِــرةٌ ... لهــا عــلى الأَيْن إرْقــال وتَبْغيـل[3]

من كـلّ نضّاخـة الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ ... عُـرْضتُها طـامِسُ الأعـلام مجهـول[4]

تــرمـي الغيــوبَ بـعينَيْ مُفْــردٍ لَهَـقٍ ... إذا تــوقّــدتِ الحِـزّانُ والمِـيـل[5]

ضـخْمٌ مُـقَلَّدُهــا فَـعْمٌ مُـقيَّـدُهــا ... في خَلْقها عن بناتِ الفَحْل تفْضيل[6]

غَلبــاءُ وجْنــاءُ عُـلْكــومٌ مُــذَكَّــرةٌ ... في دفّـهــا سَعَــةٌ قُـدّامُـهــا مِيــل

وجلدُهــا من أُطُوم مــا يُـؤيِّسُــه ... طِـلحٌ بضـاحيـةِ المَتْنَـيْنِ مَهْـزول[8]

حـرفٌ، أخوهــا أبوهــا[9] من مُهَجَّنَـةٍ ... وعمُّهــا خـالُهــا قَـوْداءُ شِمْليـل[10]

---

(١) تـدنو: تُـظْهر، إخـال: بكسر الهمـزة لغة تميم بمعنى أبّـان. تنويـل: الـوصـل والعطاء.

(٢) العتاق: جمع عتيق: الكريم. النجيبات: جمـع نجيبه: الخفيفـة السريعـة. المراسيـل جمع مرسال. السريعة أيضاً.

(٣) العذافرة: الناقة القوية العظيمة. الأَين: التعب. إرقال وتبغيل: ضربان من العَدْو السريع.

(٤) نضّاخة: كثرة رشح العَرَق. الذِّفْرَى: نُقْرة توجد خلف أُذُن الناقة. عُرْضَتُها: هِمّتها: طامس: دارس. الأعلام: العلامات التي تكون في الطريق ليُهتَدى بها.

يصف نـاقته بـالسرعـة والنشاط حتى تعـرق وهي متعوّدة على الأسفـار تعـرف الـطُرق بـلا علامات.

(٥) الغيوب: آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون. مفرد: ثور وحشيّ تفرّد في الصحـراء. لهق: أبيض. الحزان: الأمكنة الغليظة الصُلبة فيهـا حصباء كثيـرة. الميل: الكثبـان الضخمة من الرمال.

(٦) مقلّد: موضع القلادة من العُنق. فَعْم: ممتلىء. مقيّد: مـوضع القيـد، أي قوائمهـا، وبنات الفحل: الإناث من الإبل المنسوبة إلى أبيها.

(٧) غلباء: غليظة العُنق. وجْناء: عظيمـة الوجنتين: عُلْكـوم: شديـدة. مُذَكَّـرة: تشبه الذَّكَر في عظَم الخِلْقة: الدفّ: الجَنْب. قُدّامها مِيل: كناية إمّا عن سعَة الخطوْ أو طول العُنُق.

(٨) الأُطُوم: السُلَحْفاة البحرية أو الـزَّرافة غليـظة الجِلْد. يؤيسه: يؤثّـر فيه. طلح: حشـرة صغير تلزق بالجلد وهي ما يُعرف بالقرّاد. الضاحية: الناحيـة الظاهـرة للشمس. المتنين: ما اكتنف صلْبها عن يمين وشمال. ومهزول: صفة لطلح. أي قراد مهزول.

والمعنى إنّ جلد هذه الناقة غاية في الملاسة فلا يؤثّر فيه القراد ولذلك هو مهزول.

(٩) في المستدرك، وتاريخ الإسلام «حرف، أبوها أخوها».

(١٠) حـرفٌ: أي هي حـرف، أو كـأنّهـا حـرف، فعلى الأوّل يكـون الحـرف: الضـامـرة، وعلى =

يمشي القراد عليها ثم يزلقه   منها لَبانٌ وأقرابٌ زهاليل[1]
عَيرانة قذفت بالنَّحض عن عُرض   مِرفقها عن بنات[2] الزور مفتول[3]
كأنّما فات[4] عينيها ومَذبحها   من خَطْمها ومن اللّحْيَيْن برطيل[5]
تُمِرّ مثل عَسيب النَّخل ذا خصل   في غارزٍ لم تَخَوَّنْهُ الأحاليل[6]
قَنْواء في حُرَّتيها للبصير بها   عتقٌ مبينٌ وفي الخدَّين تسهيل[7]
تُخْدي على يَسُرات هي لاحقة   ذوابل مَسُّهُن الأرض تحليل[8]
سمر العجايات يتركْنَ الحَصَى زيماً   لم يقهِنَّ رؤوسَ الأكم تنعيل[9]
كأنّ أوْب ذِراعيها وقد عرِقَتْ   وقد تلفّع بالقور العساقيل[10]

= الثاني يكون شبّهها بحرف الجبل وهي القطعة الخارجة منه. أبوها أخوها، وعمّها خالها: أي مُداخلة النَّسَب كريمته لم يدخل في نسبها غريب. المهجَّنة: كريمة الأبوين. قَوْداء: طويلة الظَهْر والعُنق. شِمْلِيل: سريعة في خفّة.

(١) يُزلقه: يُسقطه. لَبَان: صدر. أقراب: خواصر. زهاليل: جمع زهلول. أملس. والمعنى: أنّ هذه الناقة لنعومتها لا يثبت القراد على جسدها.

(٢) في المستدرك ٥٨١/٣ «ضلوع».

(٣) عيرانة: أي هي ناقة تشبه عِير الوحش في قوّته وسرعته ونشاطه. النحض: اللحم.
والمعنى: أنّ مرفق تلك الناقة بعيد عمّا حوالي الصدر من الأضلاع فتكون محفوظة عن الضغط لأنّ مِرفقها بعيد عن أضلاعها.

(٤) في المستدرك «قاب».

(٥) فات: تقدّم؛ مذبحها: مكان الذبح من الرقبة. الخطْم: الأنف وما حوله. اللحْيان: العظْمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى. برطيل: حجر مستطيل. أو مِعْوَل من حديد.

(٦) عسيب النخل: جريده الذي لم ينبُت عليه الخُوص. ذا خصل: أي ذيْل له لفائف من الشَعْر. الغارز: الضرع. تخوّنه: تُنْقِصه. الأحاليل: مخارج اللبن مُفرده: إحليل.

(٧) القَنْواء: مَحْدودَبة الأنف. الحُرَّتان: الأذُنان. عتْق: كرْم. مبين: واضح. تسهيل: سهولة، أي لا خشونة فيهما.

(٨) تُخْدي: تُسرع، يَسِرات: أي قوائم يَسِرات واليَسِرات: الخِفاف. لاحقة: سابقة. الزوابل: الرماح الصُلْبة. تحليل: قليل.
والمعنى، أنّ هذه الناقة سريعة لا تمسّ الأرض إلّا مسّاً سريعاً لشدّة عدْوها.

(٩) العجايات: الأعصاب المتّصلة بالحافر. زِيماً: متفرّقة. الأكَم: الأرض المرتفعة. التنعيل: هو شدّ النعل على ظُفْر الدّابّة ليَقِيَها الحجارة.

(١٠) الأوْب: سرعة تقلّب وروجوع ذِراعيها. تلفّع: إلْتحَفَ. القور: جمع قارة: الجبل الصغير. العساقيل: السراب.

يوماً يظلّ به الحرباء مصطخداً ... كأنّ ضاحيه بالشمس مملول[1]

وقال للقوم حاديهم ـ وقد جعلت ... ورق الجنادب يركضْن الحصا ـ قيلوا[2]

شدّ النهار ذراعاً عَيطل نَصَف ... قامت فجاوبها نكِدٌ مثاكيل[3]

نوّاحة رخْوة الضّبْعين ليس لها ... لمّا نعَى بِكْرَها النّاعون معقول[4]

تَفْري اللّبانَ بكَفَّيْها ومِدْرَعها ... مشقّق عن تراقيها رعابيل[5]

تسعى الغُواة جنابَيها وقولُهُم[6] ... إنّك يابن أبي سُلْمى لمقتول[7]

وقال كلّ صديقٍ كنتُ آمُله ... لا أُلْهِيَنَّكَ إنّي عنك مشغول[8]

فقلت: خلّوا سبيلي لا أبا لكم[9] ... فكلّ ما قدّر الرحمن مفعول[10]

---

(١) الحرباء: نوع من الدّواب الصغيرة. مصطخداً: محترقاً بحرارة الشمس. ضاحيه: ما برز للشمس منه، مملول: محروق.

(٢) الحادي: سائق الإبل. ورق: جمع أوراق أو ورقاء. وهو الأخضر الذي يضرب إلى السواد. الجنادب جمع جندب: نوع من الجراد. يركضن: يدفعن. قيلوا: خذوا راحتكم وقت القيلولة.

(٣) شدّ النهار: وسطه. عَيْطل: طويلة. نَصَف: متوسّطة السّنّ وهو غاية قوّتها. نكِد: من لا يعيش لهنّ ولد. مثاكيل: جمع مثكال. كثيرة فَقْد الأولاد.
والمعنى: يشبه سرعة حركة يدي هذه الناقة بيدي امرأة قوية تلطم خديها فيجاوبها نسوة ثكالى فيشتد لطمها.

(٤) نوّاحة: كثيرة النَّوْح. صيغة مبالغة من نائحة. رخْوة: مسترخية. الضّبْعين: العَضُدَين. بِكْر: الولد الأول. الناعون: المخبرون بالموت. معقول: عقل.
والمعنى: شبه هذه الناقة بتلك المرأة في تلك الأحوال فالناقة في هذه الحالة ليس لها عقل تدرك به التعب والإعياء.

(٥) تفري: تقطع. اللبان: الصدر. المِدْرَع: القميص. التراقي: جمع تَرْقُوَة. عِظام الصدر. رعابيل: قطع أي: أنّ هذه المرأة لِذَهاب عقلها تقطّع قميصها بأناملها. فقميصها مشقوق يُظهر عظام الصَّدْر، يشبّه بها النّاقة في ذهاب عقلها فلا تحسّ بمشقّة السَّير.
وهكذا استقصى كعب أوصاف الناقة في الأبيات السابقة وانتقل بعد ذلك إلى قول المُرْجِفين به.

(٦) في المستدرك ٣/٥٨١: «يسعى الوشاة جنابيها وقيلهم».

(٧) الغُواة: المفسدون. جنابَيها: حواليها. مقتول: متوعَّد بالقتل.

(٨) إملة: أترجّاه وأتمنّى إعانته. لا أُلْهِيَنَّك: أي لا أشغلك عمّا أنت فيه من الخوف فاعمل لنفسك واتّكل عليها.

(٩) في المستدرك: «خلّوا الطريق يديها لا أبالكم».

(١٠) خلّوا سبيلي: اتركوني لأقف بين يدي النبيّ ﷺ فإنّي أعلم أنه يقبل التائب ولن يطالبني بما =

كلّ ابنِ أُنثى وإنْ طالت سلامتُهُ يوماً على آلةٍ حَدْباء[١] محمول
نُبِّئْتُ أنَّ رسول الله أوعدني والعفوُ عند رسول الله مأمول[٢]
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل[٣]
لا تأخذنّي بأقوال الوُشاة ولم أُذْنِب ولو كثُرت فيَّ الأقاويل[٤]
لقد أقوم مقاماً[٥] لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل:
لظلَّ يَرْعد إلاّ أنْ يكون له من الرسول بإذن الله تنويل[٦]
حتى وضعتُ يميني ما أنازعه في كفّ ذي نَقِماتٍ قِيلُه القيل[٧]
فلَهُو أخْوَف عندي إذ أكلّمه وقيل إنّك منسوب ومسؤول[٨]
من ضَيغمٍ بضراء الأرض مَخْدَرُهُ[٩] في بطن عَثّر غِيلٌ دونه غِيل[١٠]
يغدو فيلحم ضرْغامين عَيْشُهما لحمٌ من الناس معفور خراديل[١١]

= كان قبل إسلامي.

(١) آلة حدباء: نعش.

(٢) نُبّئت: أخبرت. أوعدني: تهدّدني بالقتل. مأمول: مَرْجُوّ.

(٣) هداك: هدَاك ربّك للصفح عنّي والعفو، أوزادك هُدى. فإنه لا يدعو له بالهدى لأنه هو الهادي المهديّ. نافلة: زيادة لأنّ القرآن هديّة زائدة عن النبوّة ومنحة الرسالة.

(٤) لم أذنب: لم أخطىء في حقّك.

(٥) مقام: مجلس النبيّ ﷺ: يقوم: يحضر.
والمعنى. أنّ الشاعر حضر مجلسه ﷺ فشعر بالهيبة ولو حضر هذا المجلس الفيل لاضطّرب من شدّة الأمر.

(٦) يرعد: تأخذه الرعدة بسبب الخوف. تنويل: عطاء.

(٧) لا أنازعه: أي أطيعه. نَقِمات: جمع نقمة: السطْوة. قِيلهُ القيل: قوله النافذ.

(٨) أخْوَف: أي هوﷺ أشدّ إخافة وإرهاباً. منسوب ومسئول: أي منسوب إلى أشياء قلْتها ومسئول عنها.

(٩) في المستدرك: «من خادر شيك الأنياب طاع له». وفي تاريخ الإسلام: «من ضيغم من ليوث الأسد مسكنه».

(١٠) الضيغم: الأسد. ضراء الأرض: الأرض التي بها شجر. مخدر: غابة الأسد. عَثّر: مكان تكثُر فيه السباع. والغيل: الأجمة، وهي الشجر الكثير الملتفّ.

(١١) يغدو: يخرج أول النهار للصيد. يلحم: يطعم لحماً: ضرغامين: مثنى ضرغام: شبل الأسد. معفور: ملقى في التراب. خراديل: مقطّع قِطَعاً صغيرة. (وفي المستدرك: ضرغامين عندهما لحم من القوم منثور».

إذا يساور قِرْناً لا يحلّ له ... أن يترك القرن إلّا وهو مفلول[1]
منه تظلّ سباع الجوّ نافرةً ... ولا تمشّى بواديه الأراجيل[2]
ولا يزال بواديه أخو ثقةٍ ... مضرّج البزّ والدُّرسان مأكول[3]
إنّ الرسول لنورٌ يُستضاء به ... مهنّد من سيوف الله مسلول[4]
في عُصْبة من قريشٍ قال قائلهم ... ببطْن مكة لما أسلموا زولوا[5]
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا مِيلٌ معازيل[6]
شُمُّ العَرانين إبطالٌ لَبوسُهمُ ... من نسْجِ داود في الهيْجا سَرَابيل[7]
بيض سوابغ قد شُكّت لها حلَقٌ ... كأنّها حلَق القفعاء مجدول[8]
لَيسوا مفاريح إنْ نالتْ رِماحُهم[9] ... قوماً وليسوا مجازِيعاً إذا نيلُوا[10]
يمشونَ مشْي الجمال الزُّهْر يَعْصِمُهم ... ضَرْبٌ إذا عرَّد السُّود التَّنابيل[11]

(١) يساور: يواثب ويصارع. القرن: المماثل في الشجاعة. مفلول: المكسور المهزوم.
(٢) الجو: ما بين السماء والأرض: نافرة: بعيدة. الأراجل: جماعات من الرجال. جمع أرجال. التي هي جماعة الرجال.
(٣) أخو ثقة: الواثق بنفسه. مضرّج: مخضب بالدماء. البزّ: السلاح. الدُّرْسان: مفرده دريس: الخَلِق من الثياب.
(٤) يُستضاء به: يهتدي به إلى نور الحقّ. مهنّد: سيف طُبع في الهند. مسلول: مُخْرَج من غِمْده.
(٥) العُصْبة: الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. زولوا: فعْل أمرٍ من زال التامة أي التي لها فاعل. أي تحوّلوا وانتقلوا.
(٦) الأنكاس: المُهانون. ولا كُشُفٌ: أي لا ينكشفون في الحرب بمعنى لا ينهزمون. المِيل: الذين لا يحسنون الركوب. معازيل: لا سلاح معهم.
(٧) شُمّ: جمع أشمّ. وهو من في قصبة أنفه عُلّو مع استواء أعلاه، علامة العزّة والسّيادة. اللَّبوس: ما يُلبس من السلاح. من نسج داود: أي منسوجة وهي الدروع. الهيجا: الحرب. سرابيل: دروع.
(٨) بيض: مَجْلُوَّة. سوابغ: طويلة ضافية. شُكّت: أُدخِل بعضها في بعض. القفعاء: نبات يشبه الحسك يتفرّع على سطح الأرض له شوك تشبه به حلق الدرع، مجدول: مُحكَم صُنعه.
(٩) في المستدرك ٥٨٢/٣ «لا يفرحون إذا زالت رماحهم». وفي تاريخ الإسلام ٦٢٠: «لا يفرحون إذا نالت سيوفهم».
(١٠) مفاريح: كثيرو الفرح. والمفرد مفراح. نالت: أصابت. مجازيع: كثيرو الجزع. والمفرد مجزاع. نيلوا: أصيبوا.
(١١) الزُّهْر: البِيض. يعصمهم: يمنعهم. عرَّد: أعرض عن خصمه. التنابيل: القصار.

لا يقع الطَّعن إلاّ في نُحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل[1]

قال ابن هشام: قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله ﷺ المدينة. وبيته: «حرفُ أخوها أبوها» وبيته: «يمشي القراد»، وبيته: «عيرانة قذفت»، وبيته: «تمرّ مثل عَسِيب النخْل»، وبيته: «تَفْري اللبان»، وبيته: «إذا يساور قِرنا»، وبيته: «لا يزال بوادِيه»: عن غير ابن إسحاق.

كعب يسترضي الأنصار بمدحهم: قال ابن إسحاق: وقال عاصم بن عمر بن قَتادة: فلما قال كعب: «إذا عرّد السود التنابيل»، وإنّما يريدنا معشر الأنصار، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع، وخصّ المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته، غضبت عليه الأنصار؛ فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ، وموضعهم من اليمن[2]:

من سرّه كرم الحياة فلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ من صالحي الأنصار[3]
ورثوا المكارمَ كابراً عن كابرٍ إنّ الخيار هم بنو الأخيار
المُكَرِهين السَّمْهَريَّ بأذرُعٍ كسوالف الهنديّ غير قِصار[4]
والناظرين بأعُينٍ محمرَّةٍ كالجمر غيرِ كليلةِ الأبصار[5]
والبائعين نفوسهمْ لنبيِّهم للموت يوم تَعانُقٍ وكرار[6]

---

(١) حياض الموت: موارد الهلاك، ويقصد به ساحات القتال: تهليل: تأخّر.
وانظر القصيدة في ديوان كعب ٦ - ٢٥، وشرحها للخطيب التبريزي بتحقيق سالم الكرنكوي، وأكثرها في المستدرك للحاكم ٣/ ٥٨٠ - ٥٨٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٨ - ٦٢١، ومنها ستة أبيات في التذكرة الفخرية للإربلي ٤٥١، ومنها ثلاثة أبيات في الاستيعاب ٣/ ٢٩٩، وبيتان في الإصابة ٣/ ٢٩٦، وسبعة أبيات في الأغاني ١٧/ ٨١، ٨٨، ٨٩، وخمسة في الكامل في التاريخ ٢/ ٢٧٥، ومنها اثنا عشر بيتاً في الشعر والشعراء ١/ ٨٩، ٩٠، وأكثرها في عيون الأثر ٢/ ٢٠٩ - ٢١٢، وخمسة عشر بيتاً في المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ١٧٨ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣/ ٥٨٤، ٥٨٥.

(٣) المِقْنب: جماعة الخيل. والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم.

(٤) السّمهريّ: الرمح. سوالف. حواشي. الهنديّ: السيف المنسوب إلى الهند.

(٥) بأعين محمرّة: يريد أنّ الشجاع إذا غضب احمرّت عيناه.

(٦) تعانق: يريد به التحام الشجعان في ميدان القتال.

والـذائـدين النّـاسَ عن أديـانهم | بـالمَشْـرفيّ وبـالقَنَـا الخـطّار[1]
يتـطهّـرون يَـرَوْنَـهُ نُسكـاً لهم | بـدمـاء من عَلِقُـوا من الكـفّـار[2]
دَرِبـوا كمـا درِبَتْ ببـطنِ خفيـة | غُلْب الـرِّقاب من الأسـود ضواري[3]
وإذا حَـلَّلت لـيمنعـوك إليـهـم | أصبحت عنـد معاقـل الأعفـار[4]
ضـربـوا عليّـاً يوم بـدر ضـربـةً | دانـت لـوقعتهـا جميـع نِـزار[5]
لـو يعـلم الأقـوام عـلمي كـلّه | فيهم لصـدّقني الـذين أُمـاري[6]
قـوم إذا خَـوَتِ النُّجـومُ فـإنّـهم | لـلطارقيـن النـازليـن مقـاري[7]
في الغُـرّ من غسّـان من جُـرْثـومـة | أعْيَـت مَحَـافِرهـا على المنقار[8]

قـال ابن هشام: ويقـال إنّ رسول الله ﷺ قـال له حين أنشـده: «بـانت سعاد فقلبي اليوم متبول». لولا ذكرت الأنصارَ بخير، فإنّهم لذلك أهْـل، فقال كعب هذه الأبيات. وهي في قصيدة له.

قال ابن هشام: وذُكـر لي عن عليّ بن زيد بن جُـدْعان أنـه قال: أنشـد كعب بن زُهير رسول الله ﷺ في المسجد: «بانت سعادُ فقلبي اليوم متْبول»

---

(١) المشرفيّ: السيف. القَنا: الرماح. الخطّار: المهتزّ.
(٢) يرونه: يعتقدونه. نسكاً: عباده.
(٣) درِبوا: تعوّدوا. خفية: مكان تكثُر فيه الأسود. غُلْب: غلاظ.
(٤) الأعفار: الوعول الصغيرة يُضرب بها المثل لامتناعها في قمم الجبال.
(٥) ضربوا عليّاً: يريد به عليّاً بن مسعود بن مازن الغسّاني.
(٦) أُماري: أُجادل.
(٧) خَوَت: سقطت ولم تمطر. مقاري: المقاري: الجِفان التي يُصنع فيها الطعام.
(٨) وتروى: النقار.
والأبيات في دوان كعب ـ ص ٢٥، ومنها ستة أبيات في الأغاني ١٧/٩٠، وثلاثة في الشعر والشعراء ١/٩٠، ٩١، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٦، وفي عيون الأثر ٢/٢١٢ أربعة عشر بيتاً بزيادة بيت عمّا هنا. وفي المعجم الكبير للطبراني ستة أبيات ١٩/١٧٩، وفي سيرة ابن كثير ٣/٧٠٧، ٧٠٨ إحدى عشر بيتاً، وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم اثنان وعشرون بيتاً (٣/٥٨٥، ٥٨٦) وفي تلخيص المستدرك للذهبي واحد وعشرون بيتاً (٣/٥٨٥، ٥٨٦).
وحديث كعب بن زهير بطوله في المستدرك ٣/٥٧٨ ـ ٥٧٦، وتابه الذهبي في تلخيصه.

غزوة تَبُوك(1)
في رجب سنة تسع

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال زياد بن عبد الله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ، قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجّة إلى رجب، ثم أمر الناس بالتهيّؤ لغزو الروم. وقد ذكر لنا الزُّهْريّ، ويزيد بن رُومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قَتادة، وغيرهم من علمائنا، كلٌّ حدّث في غزوة تَبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدّث ما لا يحدّث بعض؛ أنّ رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيّؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عُسْرة الناس، وشدّةٍ من الحَرّ، وجدْب من البلاد. وحين طابت الثمار، والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم

---

(1) أنظر عنها في: المغازي لعروة ٢٢٠، والمغازي للواقدي ٣/ ٩٨٩، وتاريخ خليفة ٩٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٦٥، وتاريخ الطبري ٣/ ١٠٠، والدرر في المغازي لابن عبد البر ٢٥٣، وجوامع السيرة لابن حزم ٢٤٩، والبدء والتاريخ ـ للمقدسي ٤/ ٢٣٩، وأنساب الأشراف ١/ ٣٦٨ رقم ٧٦٦، والمحبّر لابن حبيب ١١٦، والمستدرك ٣/ ٥٠، ونهاية الأرب للنويري ١٧/ ٣٥٢، وعيون الأثر لابن سيّد الناس ٢/ ٢١٥، وعيون التواريخ للكتبي ١/ ٣٤٤، وسيرة ابن كثير ٤/ ٢٧٦ ـ ٢٨٢، ومرآة الجنان لليافعي ١/ ١٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١٩١ ـ ١٩٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٦٧، ٦٨.

عليه، وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوة إلّا كنّى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له(1)، إلّا ما كان من غزوة تبوك، فإنّه بيّنها للناس لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهّب الناس لذلك أهْبته، فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم(2).

إئذن لي ولا تَفْتِنّي: فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جَهازه ذلك للجَدّ بن قيس أحد بني سلمة: «يا جَدّ، هل لك العامَ في جلاد بني الأصفر(3)؟ فقال: يا رسول الله، أَوَ تأذَنْ لي ولا تَفْتِنّي؟ فوالله لقد عرف قومي أنّه ما من رجل بأشدّ عجباً بالنساء منّي، وإنّي أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذِنْت لك». ففي الجَدّ بن قيس نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي ولا تفْتِنِّي، أَلا فِي ٱلفِتْنَةِ سَقَطُوا، وإِنَّ جَهَنَّم لَمُحِيطَةٌ بِٱلكَافِرِينَ﴾(4). أي إن كان إنّما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر، بتخلُّفه عن رسول الله ﷺ، والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّم لَمِنْ وَرَائِهِ﴾(5).

شأن المنافقين: وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحَرّ، زهادةً في الجهاد وشكّاً في الحقّ، وإرجافاً برسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي ٱلحَرِّ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(6).

---

(1) يصمد له: يقصده.
(2) تاريخ الطبري ٣/١٠٠، ١٠١.
(3) بنو الأصفر، هم الروم البيزنطيّون.
(4) سورة التوبة ـ الآية ٤٩.
(5) تاريخ الطبري ٣/١٠١.
(6) سورة التوبة ـ الآيتان ٨١ و٨٢ والخبر في تاريخ الطبري ٣/١٠١، ٢٠٢، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٧.

قال ابن هشام: وحدّثني الثقة عمّن حدّثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جدّه، قال: بلغ رسول الله ﷺ، أنّ أناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلم اليهوديّ، وكان بيته عند جاسوم، يثبّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، فبعث إليهم النبيّ ﷺ طلحة بن عُبيد الله في نفرٍ من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سُويلم، ففعل طلحة. فاقتحم الضّحّاك بن خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رِجْله، واقتحم أصحابه، فأفلتوا. فقال الضّحّاك في ذلك:

كادت وبيتِ الله نارُ محمدٍ ... يَشيط بها الضّحّاك وابن أُبَيْرِقِ
وظَلْتُ وقد طبّقتُ كِبْسَ[1] سُوَيلمٍ ... أنوء على رِجْلي كسيراً ومِرْفقي
سلامٌ عليكم لا أعودُ لمثلِها ... أخاف ومن تَشْمل به النارُ يُحْرَقِ

حضّ الأغنياءِ على النفقة: **قال ابن إسحاق:** ثم إنّ رسول الله ﷺ جَدّ في سفره، وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحضّ أهل الغِنَى على النفقة والحملان في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغِنَى واحتسبوا[2]، وأنفق عثمان بن عفّان في ذلك نفقةً عظيمة، لم يُنفق أحد مثلها[3].

ما أنفقه عثمان: **قال ابن هشام:** حدّثني من أثق به: أنّ عثمان بن عفّان أنفق في جيش العُسْرة في غزوة تَبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان فإنّي عنه راضٍ».

البكّائون والمعذّرون والمتخلّفون: **قال ابن إسحاق:** ثم إنّ رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ، وهم البكّائون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف: سالم بن عُمير، وعُلبة بن زيد، أخو بني

---

(١) كِبْس: بيت صغير.
(٢) احتسبوا الأجر عند الله.
(٣) تاريخ الطبري ١٠٢/٣ وفيه «لم ينفق أحد أعظم من نفقته».

حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، أخو بني مازن بن النّجار، وعمرو بن حمام بن الجَمُوح، أخو بني سَلِمة، وعبد الله بن المغفّل المُزَني ـ وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله بن عَمرو المُزَني ـ وهَرَميّ بن عَبْدَكْ، أخو بني واقف، وعِرْباض بن سارية الفَزَاريّ. فاستحملوا رسول الله ﷺ، وكانوا أ هل حاجة، فقال: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فتولّوا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾(١).

قال ابن إسحاق: فبلغني أنّ ابن يامين بن عُمَير بن كعب النضْريّ لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفّل وهما يبكيان، فقال: ما يُبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه؛ فأعطاهما ناضحاً(٢) له، فارتحلاه، وزوّدهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ(٣).

قال ابن إسحاق: وجاء المعذّرون من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يعذرْهم الله تعالى. وقد ذُكر لي أنّهم نفر من بني غِفار.

ثم استتبّ(٤) برسول الله ﷺ سفرُه، وأجمع السير، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النّيّة عن رسول الله ﷺ، حتى تخلّفوا عنه، عن غير شكٍّ ولا ارتياب؛ منهم: كعب بن مالك بن أبي كعب، أخو بني سَلِمَة، ومُرارة بن الربيع، أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أُميّة، أخو بني واقف، وأبو خَيْثمة، أخو بني سالم بن عوف، وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ، لا يُتّهمون في إسلامهم(٥).

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ٩٢ والخبر في تاريخ الطبري ١٠٢/٣، وطبقات ابن سعد ١٦٥/٢.
(٢) الناضح: الجمل الذي تُسقى عليه الماء.
(٣) تاريخ الطبري ١٠٢/٣، تاريخ الإسلام ٦٣٠ وفيه «شيئاً من لبن».
(٤) استتبّ: انتظم وتتابع.
(٥) المحبّر لابن حبيب ٢٨٤، ٢٨٥، تاريخ الطبري ١٠٣/٢، المغازي للواقدي ٩٩٦/٣، ٩٩٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣١، الكامل في التاريخ ٢٧٨/٢.

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنيّة الوداع.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمد بن مَسْلمة الأنصاريّ.

وذكر عبد العزيز بن محمد الداروَرْديّ، عن أبيه: أنّ رسول الله ﷺ استعمل على المدينة، مَخْرجه إلى تَبُوك، سِباع بن عُرفُطة[1].

قال ابن إسحاق: وضرب عبد الله بن أُبيّ معه على حِدَة عسكره أسفل منه، نحو ذباب[2]، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين. فلما سار رسول الله ﷺ تخلّف عنه عبد الله بن أُبَيّ، فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرّيب[3].

المنافقون يُرْجِفون بعليّ: وخلّف رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه، إلى أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالاً له، وتخفُّفاً منه. فلما قال ذلك المنافقون، أخذ عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو نازل بالجُرْف[4]، فقال: يا نبيّ الله، زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتني أنّك استثقلتني وتخفّفْت منّي! فقال: «كذبوا، ولكنّي خلّفْتك لِما تركتُ ورائي، فارجعْ فاخلُفْني في أهلي وأهلِك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنّهَ لا نبيّ بعدي»، فرجع عليّ إلى المدينة؛ ومضى رسول الله ﷺ على سفره[5].

---

(١) تاريخ الطبري ١٠٣/٣.

(٢) ذباب: جبل بالمدينة.

(٣) تاريخ الطبري ١٠٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣١.

(٤) الجرف: مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في المغازي (١٢٩/٥) باب غزوة تبوك وهي غزوة العُسْرَة. ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٤/٣٣) باب من فضائل عليّ بن أبي طالب، والترمذي في المناقب (٣٨٠٨)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٤/٣، ٢٥، والكلابي في المسند (وهو ملحق بكتاب مناقب أمير المؤمنين علي) لابن المغازلي - ص ٢٧٦ رقم ٢٩؛ ٣٠ وابن الأثير في جامع الأصول ٦٤٩/٨، وابن جُمَيع الصيداوي في معجم الشيوخ ٢٤٠، ٢٤١ رقم =

قـال ابن إسحاق: وحـدّثني محمد بن طلحـة بن يزيـد بن رُكانـة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعليّ هذه المقالة.

قـال ابن إسحاق: ثم رجـع عليّ إلىٰ المـدينـة، ومضى رسـول الله ﷺ على سفره.

أبو خَيْثَمة وعُمير بن وهْب يلحقان بالرسول: ثم إنّ أبا خَيْثمة رجع بعد أن سـار رسول الله ﷺ أيـاماً إلى أهله في يـوم حـارٍّ، فـوجـد امـرأتين لـه في عريشين لهما في حائطه[1] قد رشّت كلّ واحدة منهما عريشها، وبـرّدت له فيـه مـاء، وهيّأت لـه فيه طعـاماً. فلمـا دخل، قـام على باب العـريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسـول الله ﷺ في الضّحّ[2] والـرّيح والحَـرّ، وأبو خَيْثمـة في ظلٍّ بـاردٍ، وطعام مهيَّـأ، وامرأة حسنـاء، في مالـه مقيم، ما هـذا بـالنَّصَف! ثم قـال: والله لا أدخـل عـريش واحـدة منكمـا حتـى ألحـق برسول الله ﷺ، فهيّئا لي زاداً، ففعلتا. ثم قدّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسـول الله ﷺ حتى أدركه حين نـزل بتَبُوك. وقـد كان أدرك أبـا خَيثمـة عُمير بن وهْب الجُمَحيّ في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دَنَـوا من تَبوك. قـال أبو خيثمـة لعُمَير بن وهْب: إنّ لي ذنبـاً، فـلا عليـك أن تخلف عنّي حتى آتي رسـول الله ﷺ، ففعـل حتى إذا دنـا من رسـول الله ﷺ وهـو نـازل بتبـوك، قـال النـاس: هـذا راكب على الـطريق مُقبـل؛ فقـال رسول لله ﷺ: «كن أبا خَيْثَمة»؛ فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خَيْثَمة. فلما أناخ أقبل فسلّم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أَوْلَى لك[3] يا أبـا

= ١٩٦، (بتحقيقنـا) ـ الحاشيـة رقم ٥، والطبـري في تاريخـه ١٠٣/٣، ١٠٤، والـذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣١ و٦٣٢.

(١) الحائط: البستان.

(٢) الضّحّ: الشمس.

(٣) أولى لك: كلمة تهديد معناها الويل لك.

خَيْثَمة». ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر؛ فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير[1].

قال ابن هشام: وقال أبو خَيْثَمة في ذلك شعراً، واسمه مالك بن قيس:

لما رأيتُ الناسَ فيْ الدِّين نافقوا ... أتيت التي كانت أعفّ وأكرما
وبايعتُ باليُمْنى يدِي لمحمدٍ ... فلم أكتسب إثْماً ولم أغش حُرما
تركت خضيباً في العريش وصرْمةً ... صفايا كِراماً بُسْرها قد تحمّما[2]
وكنتْ إذا شكّ المنافقُ أسمحت ... إلى الدِّينِ نفسي شطره حيث يمّما

ما حدث بالحِجْر: **قال ابن إسحاق:** وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحِجْر نزلها، واستقى الناس من بئرها. فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تَشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضّئوا منه للصلاة، وما كان من عجينٍ عجنتموه فاعلفُوه الإبلَ، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجنّ أحد منكم الليلة إلاّ ومعه صاحب له». ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلاّ أنّ رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعيرٍ له، فأمّا الذي ذهب لحاجته فإنه خُنِق على مَذْهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح، حتى طرحته بجبلي طيّء. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلاّ ومعه صاحبه»! ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشُفي؛ وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيّء، فإنّ طيّئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدِم المدينة[3].

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباس بن سهل

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/١٠٤، والمغازي للواقدي ٣/٩٩٨، والكامل في التاريخ ٢٧٤/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٣، ونهاية الأدب ١٧/٣٥٤، ٣٥٥، وانظر المغازي لعروة ٢٢٠.

(٢) الصرمة: جماعة النخل. البُسر: التمر: قبل نُضْجه. وتحمّما: قارَب أن يطيب.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١٠٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٧، ٦٣٨ وفيه قال: هكذا منكر مرسل.

ابن سعد السّاعديّ، وقد حدّثني عبد الله بن أبي بكر أن قد سمّى له العباس الرجلين، ولكنّه استودعه إيّاهما، فأبى عبد الله أن يسمّيهما لي.

قال ابن هشام: بلغني عن الزُّهْريّ أنه قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالحِجْر سجّى ثوبه على وجهه، واستحثّ راحلته، ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاّ وأنتم باكون، خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم»(١).

قال ابن إسحاق: فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء(٢).

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن محمود بن لَبيد، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرَفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إنْ كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمّه وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحِجْر ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويْحك، هل بعد هذا شيء؟! قال: سحابة مارّة(٣).

تقول ابن اللّصَيْت: قال ابن إسحاق: ثم إنَّ رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يقال له عُمارة بن حَزْم، وكان عُقَبيّاً بدْريّاً، وهو عمّ بني عمرو بن حزم، وكان في رَحْله زيد بن اللُّصَيْت القينُقاعيّ، وكان منافقاً.

(١) هم المعذَّبون أصحاب الحِجْر، من ثمود الذين كذّبوا النبيّ صالحاً عليه السلام. وكانت دارهم تسمّى «الحجر». بوادي القرى بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٢١).
(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠٥.
(٣) تاريخ الطبري ٣/١٠٥، ١٠٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤١.

قال ابن هشام: ويقال: ابن لُصَيْب (بالباء).

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن محمود بن لَبِيد، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل، قالوا: فقال زيد بن اللُصَيْت، وهو في رَحْل عُمارة وعُمَارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبيّ، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعُمارة عنده: «إنّ رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبيّ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإنّي والله ما أعلم إلاّ ما علّمني الله وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شِعْب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامِها، فانطلقوا حتى تأتوني بها»، فذهبوا، فجاءوا بها. فرجع عُمارة بن حزم إلى رَحْله، فقال: والله لعجب من شيء حدّثناه رسول الله ﷺ آنفاً، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللُّصَيْت؛ فقال رجل ممن كان في رِحْل عُمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عُمارة على زيد يجا[1] في عنقه ويقول: إليَّ عباد الله، إنّ في رَحْلي لَدَاهية وما أشعرُ! أخرج أي عدوَّ الله من رَحْلي، فلا تصحبْني.

قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أنّ زيداً تاب بعد ذلك؛ وقال بعض الناس لم يزل مُتَّهماً بشرٍّ حتى هلك[2].

خبر أبي ذَرّ: ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلّف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله تخلّف فلان: فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خيرٌ فَسَيُلْحِقَهُ الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل؛ يا رسول الله لقد تخلّف أبو ذَرّ[3]، وأبطأ به بعيره؛ فقال: «دعوه فإن يك

---

(١) يجا: يطعن.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤١، ٦٤٢، الواقدي ٣/١٠١٠.

(٣) أبو ذَرّ: اسمه جندب بن جُنادة. وقيل بُرَير بن عشرقة. وقيل جُندب بن عبد الله. وقيل جُنْدب بن السكَن.

فيه خيرٌ فسيُلْحِقُه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، وتلوَّم[١] أبو ذَرّ على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً. ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده؛ فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذَرّ»[٢]، فلمّا تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذَرّ؛ فقال رسول الله ﷺ: «رحِم الله أبا ذَرّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده»[٣].

وقال ابن أسحاق: فحدّثني بُرَيدة بن سفيان الأسلميّ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن عبد الله بن مسعود، لما نفى عثمان أبا ذَرّ إلى الرَّبَذَة[٤]، وأصابه بها قَدَرُه، لم يكن معه أحد إلاّ امرأته وغلامه، فأوصاهما أن اغسلاني وكفّناني، ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول رَكْبٍ يمرّ بكم فقولوا: هذا أبو ذَرّ صاحب رسول الله ﷺ، فأعينوا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به. ثم وضعاه على قارعة الطريق؛ وأقبل عبد الله بن مسعود في رهْطٍ من أهل العراق عُمّار، فلم يَرُعْهم إلاّ بالجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الإبل تطؤها، وقام إليهم الغلام. فقال: هذا أبو ذَرّ صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه. قال: فاستهلّ عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فواروه، ثم حدّثهم عبد الله بن مسعود حديثه، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تَبُوك[٥].

---

(١) تلوّم: تمهّل.
(٢) كن أبا ذَرّ: لفظة الأمر، ومعناه الدعاء: كما تقول: أسلِم سلّمك الله.
(٣) تاريخ الطبري ١٠٧/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٢.
(٤) الرَّبَذة: بالتحريك، قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام. (معجم البلدان ٢٤/٣).
(٥) تاريخ الطبري ١٠٧/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٢، ٦٣٣، الكامل في التاريخ ٢٨٠/٢، المغازي للواقدي ١٠٠٠/٣، ١٠٠١.

تخويف المنافقين للمسلمين: قال ابن إسحاق: وقد كان رهْط من المنافقين، منهم وديعة بن ثابت، أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع، حليف لبني سَلِمة، يقال له: مُخشِّن بن حُمَيِّر ـ قال ابن هشام: ويقال مَخْشِيّ ـ يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جِلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟! والله لكأنّا بكم غداً مُقَرَّنين في الحبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال مخشّن ابن حُمَيِّر: والله لودِدْت أنّي أقاضَى على أن يُضرب كلُّ رجل منّا مائة جلدة، وإنّا ننفلِتُ أن يُنزَّل فينا قرآن لمقالتكم هذه[1].

وقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ لعمّار بن ياسر: «أدرِكِ القومَ، فإنّهم قد احترقوا، فسلْهم عمّا قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتم كذا وكذا». فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم: فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها[2]: يا رسول الله، إنّما كنّا نخوض ونلعب؛ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾[3]. وقال مخشّن بن حُمَيّر: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي؛ وكأنّ الذي عفى عنه في هذه الآية مخشّن بن حُمَيّر، فتسمّى عبد الرحمن، وسأل الله تعالى أنْ يقتله شهيداً لاَ يُعلم بمكانه، فقُتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر[4].

الصلح مع صاحب أَيْلة: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تَبوك، أتاه يُحَنّة ابن رُؤْبة، صاحب أَيْلة، فصالح رسول الله ﷺ، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٠٨ وفيه «أن ينزل الله فينا قرآناً لمقالتكم هذه»؛ المغازي للواقدي ٣/١٠٠٣، ١٠٠٤.
(٢) الحَقَب: حزام يُشدّ به على حقْو الجمل.
(٣) سورة التوبة ـ الآية ٦٥.
(٤) تاريخ الطبري ٣/١٠٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٢ نهاية الأدب ١٧٠/٣٦٠.

جَرْباءَ وأذْرُح،[1] فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتاباً، فهو عندهم[2].

فكتب ليُحَنّة بن رُؤْبة:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبيّ رسول الله ليُحَنَّة بن رُؤْبة وأهل أَيْلة، سُفنهم وسَيّارتهم في البرّ والبحر: لهم ذمّة الله، وذمّة محمد النبيّ، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حَدَثاً، فإنّه لا يحول ماله دون نفسه، وإنّه طيّب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحلّ أن يُمنعوا ماءً يردونه، ولا طريقاً يريدونه، من برٍّ أو بحر»[3].

خالد وأُكَيْدِردُومة[4]

ثم إنَّ رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أُكَيْدِردُومة، وهو أُكَيْدِر بن عبد الملك، رجل من كِنْدة كان ملكاً عليها، وكان نصرانيّاً؛ فقال رسول الله ﷺ لخالد: «إنّك ستجده يصيد البقر». فخرج خالد، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فباتت البقر تحكّ بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت

---

(١) جَرْباء: موضع من أعمال عمّان بالبلقاء من أرض الشام. وأذْرُح من أعمال الشراة في أطراف الشأم ثم من نواحي البلقياء. وبين أذرُح والجرباء ميل واحد وأقلّ. (معجم البلدان ٢/١١٨).

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٣.

(٣) المغازي للواقدي ٣/١٠٣١ وزاد فيه: «هذا كتاب جُهَيم بن الصَّلْت وشُرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله ﷺ». وانظر إمتاع الأسماع للمقريزي ١/٤٦٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧٠، وكنز العمال ٥/عمود ٥٦٩٧، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله - ص ٨٩٥.

(٤) أنظر: المغازي للواقدي ٣/١٠٢٥، ١٠٢٦، والطبقات الكبرى ٢/١٦٦، وتاريخ الطبري ٣/١٠٩، وتاريخ خليفة ٩٢،٩٣ والبدء والتاريخ ٤/٢٤٠، وأنساب الأشراف ١/٣٨٢، ٣٨٤ رقم ٨٢٣، والكامل في التاريخ ٢/٢٨١، والمحبّر لابن حبيب ١٢٥، ونهاية الأرب ١٧/٣٥٦، وعيون الأثر، ٢/٢٢٠، وسيرة ابن كثير ٤/٣٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٥، وعيون التواريخ ١/٣٥٠، ٣٥١.

مثل هذا قطّ؟ قال: لا والله! قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد. فنزل فأمر بفرسه، فأُسْرِج لـه، وركب معه نفر من أهل بيتـه، فيهم أخ يقال لـه حسّان. فركب، وخرجـوا معه بمطاردهم. فلما خـرجوا تلقّتهم خيـل رسول الله ﷺ، فأخذتْه، وقتلوا أخاه؛ وقد كان عليه قِباء من ديباج مخوَّص بـالذَّهب، فـاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه[1].

قـال ابن إسحـاق: فحـدّثني عـاصم بن عمـر بن قَتـادة، عن أنس بن مـالـك، قـال: رأيت قِبـاء أُكَيْـدِر حين قُـدِم بـه على رسـول الله ﷺ، فجعـل المسلمون يلمسونه بأيديهم، ويتعجّبون منه، فقال رسـول الله ﷺ: «أتعجبون من هـذا؟ فوالذي نفسي بيده لَمَناديـل سعـد بن مُعـاذ في الجنّـة أحسـن من هذا»[2].

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ خالداً قـدِم بأُكَيْـدِر على رسول الله ﷺ، فحقن له دمه، وصـالحه على الجـزية، ثم خلّى سبيله، فـرجع إلى قـريته[3]؛ فقـال رجـل من طيّء: يقال لـه بُجير بن بَجْـرة، يذكـر قول رسـول الله ﷺ لخالـد: «إنـك ستجده يصيـد البقر»، ومـا صنعت البقر تلك الليلة حتى استخـرجتـه، لتصديق قول رسول الله ﷺ:

تبـارك سـائق البقـرات إنّي ... رأيت الله يهـدي كـلَّ هـاد
فمن يك حائـداً عن ذي تَبوك ... فـإنّـا قـد أُمِـرْنـا بـالجهـاد

فأقام رسول الله ﷺ بتَبوك بضـع عشرة ليلة، لم يجـاوزْها، ثم انصـرف قافلاً إلى المدينة.

وادي المشقّق وماؤه: وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَل[4]، ما يروي

---

(١) تـاريخ الـطبـري ٣/١٠٨، ١٠٩، تـاريخ الإسـلام (المغـازي) ٦٤٥، المغـازي للواقـدي ٣/١٠٢٥، ١٠٢٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠٩، أنساب الأشراف ١/٣٨٢، ٣٨٣.

(٣) الطبري ٣/١٠٩.

(٤) الوشل: الماء القليل يسيل من صخر أو جبل.

الراكب والراكبين والثلاثة بوادٍ يقال له وادي المشقّق؛ فقال رسول الله ﷺ: «من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه». قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه؛ فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه، فلم يرَ فيه شيئاً. فقال: «من سبقنا إلى هذا الماء»؟ فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان؛ فقال: «أوَلم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه»! ثم لعنهم رسول الله ﷺ، ودعا عليهم. ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصبّ في يده ما شاء الله أن يصبّ، ثم نضحه به، ومسحه بيده. ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به، فانخرق من الماء ـ كما يقول من سمعه ـ ما إنّ له حسّاً كحسّ الصواعق، فشرب الناس، واستقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله ﷺ: «لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعنّ بهذا الوادي، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه»[1].

ذو البجادين ودفنه وتسميته: قال: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ، أنّ عبد الله بن مسعود كان يحدّث، قال: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: فرأيت شُعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتّبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المُزَنيّ قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر يُدْنيانه إليه وهو يقول: «أدنيا إليّ أخاكما»، فدلّياه إليه، فلما هيّأه لشقّه قال: «اللهمّ إنّي أمسيت راضياً عنه، فارض عنه». قال: يقول عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحُفرة[2].

قال ابن هشام: وإنّما سُمّي ذا البجادين، لأنه كان ينازع إلى الإسلام، فيمنعه قومه من ذلك، ويضيّقون عليه، حتى تركوه في بجادٍ ليس عليه غيره،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٠٩، ١١٠.
(٢) الاستيعاب ٢/٢٩٣، الإصابة ٢/٣٣٩.

والبجاد: الكساء الغليظ الجافي، فيضرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريباً منه، شقّ بجاده باثنين، فاتَّزر بواحدٍ، واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ، فقيل له: ذو البجادين لذلك[1]؛ والبجاد أيضاً: المسح، قال ابن هشام: قال امرؤ القيس:

كأن أبانا في عَرانين وَدْقِه ... كبير أُناسٍ في بجاد مزمّل

حديث أبي رُهْم في تبوك: قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزُّهْريّ عن ابن أُكَيْمة اللَّيْثيّ، عن ابن أخي أبي رُهْم الغِفاريّ، أنه سمع أبا رُهْم كُلْثوم بن الحُصَين، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة، يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريباً من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دَنَت راحلتي من راحلة رسول الله ﷺ فيفزعني دُنُوُّها منه، مخافة أن أصيب رِجْله في الغَرْز، فطفقت أحوز[2] راحلتي عنه، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق، ونحن في بعض الليل، فزاحمتْ راحلتي راحلةَ رسول الله ﷺ ورِجْله في الغَرز، فما استيقظت إلّا بقوله: «حس»[3]، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. فقال: «سر»، فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمّن تخلّف من بني غِفار، فأخبره به؛ فقال وهو يسألني: «ما فعل النفر الحُمْر الطِّوال الثطاط»[4] فحدّثته بتخلُّفهم. قال: «فما فعل النفر السُّود الجِعاد القِصَار»؟ قال: قلت: والله ما أعرف هؤلاء منّا. قال: «بلى، الذين لهم نعم بشبكة شدْخ»[5]؛ فتذكّرتهم في بني غِفار، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم

---

(١) الاستيعاب ٢/٢٩٣، وانظر الإصابة ٢/٣٣٩.

(٢) أحوز: أُبْعِد.

(٣) حس: كلمة تقال عند وجود الألم، فهي كلمة تخرج من الصوت كالأنين ليست اسماً أو اسم فعل مثل: صَه ومَه. وانظر للروض الأنف ٤/١٩٧.

(٤) الثطاط، مفرده ثطّ: صغير نبات شعر اللّحية. قال الشاعر:

كهامة الشيخ اليمانيّ الثطّ

(الروض الأنف ٤/١٩٨).

(٥) شبكة شدخ: موضع من بلاد غِفار.

رهْط من أسلم كـانـوا حلفـاء فينـا، فقلت: يـا رسـول الله، أولئـك رهْط من أسلم، حلفاء فينا؛ فقال رسول الله ﷺ: «مـا منع أحـد أولئك حين تخلّف أن يحمـل على بعير من إبله امـراءاً نشيطاً في سبيـل الله؟ إنّ أعـزّ أهلي عليّ أن يتخلّف عنّي المهاجرون من قريش والأنصار وغِفَار وأسلم».

أمر مسجد الضرار عند القُفُول من غزوة تبوك[1]

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أَوان[2] بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد بنينا مسجداً لذي العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنّا نحبّ أن تأتينا، فتصلّي لنا فيه؛ فقال: «إنّي على جناح سفر، وحال شُغل»، أو كما قال ﷺ: «ولو قد قدِمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلّينا لكم فيه».

فلما نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم، أخا بني سالم بن عوف، ومَعن بن عدِيّ، أو أخاه عاصم بن عدِيّ، أخا بني العَجْلان فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه، فاهدماه وحرِّقاه». فخرجا سريعين حتى أتَينا بني سالم بن عوف، وهم رهْط مالك بن الدُّخْشُم، فقال مالك لمعن: أَنْظِرني حتى أخرج إليك بنار من

---

(١) أنظر: المغازي للواقدي ٣/١٠٤٥، تاريخ الطبري ٣/١١٠، السنن الكبرى للبيهقي ٩/٣٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٧، سيرة ابن كثير ٤/٣٨، عيون الأثر ٢/٢٢٢.

(٢) ذو أوان: ويقال ذات أوان. موضع بطريق الشام (معجم البلدان ١/٢٧٥، وفاء الوفا للسمهودي ٢/٢٥٠).

أهلي. فدخل إلى أهله، فأخذ سعفاً من النخل، فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرّقاه وهدماه، وتفرّقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]. . إلى آخر القصة.

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذام بن خالد، من بني عُبيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أُخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب من بني أُميّة بن زيد، ومعتَّب بن قُشَير، من بني ضُبَيعة بن زيد، وأبو حُبيبة بن الأزعر، من بني ضُبَيعة بن زيد، وعبّاد بن حُنيف، أخو سهل بن حُنيف، من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مجمّع بن جارية، وزيد بن جارية، ونبْتَل بن الحارث، من بني ضُبَيعة، وبَحْزَج، من بني ضُبيعة، وبجاد بن عثمان، من بني ضُبَيعة، ووديعة بن ثابت، وهو من بني أُميّة بن زيد رهْط أبي لُبابة بن عبد المنذر[2].

مساجد الرسول: وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مُسمَّاة: مسجد بتَبوك، ومسجد بثنيّة مدران[3]، ومسجد بذات الزّراب[4]، ومسجد بالأخضر[5]، ومسجد بذات الخِطْمِيّ[6]، ومسجد بألاء، ومسجد بطرف البتْراء. من ذنب كُواكِب[7]، ومسجد بالشّق، شَقّ تارا[8]،

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ١٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١١١، المغازي للواقدي ٣/١٠٤٥ ـ ١٠٤٧.

(٣) مِدْران: موضع في طريق تبوك من المدينة. (معجم البلدان ٥/٧٦).

(٤) بناه ﷺ في مسيره إلى تبوك من المدينة. (معجم البلدان ٣/١٣٥).

(٥) الأخضر: منزل قرب تبوك بينه وبين وادي القرى. (معجم البلدان ١/١٢٣).

(٦) الخِطْمِيّ: بناه ﷺ في مسيره إلى تبوك من المدينة. (معجم البلدان ٢/٣٧٩).

(٧) كُواكب: بضم الكاف الأولى وكسر الثانية. جبل بعينه معروف تُنحت منه الأرحية. وقد تُفتح الكاف. (معجم البلدان ٤/٤٨٦).

(٨) شِقّ: بكسر أوله، ويُروى بالفتح. اسم موضع. والشق: من حصون خيبر. وشق من قرى فدك تُعمل فيها اللُّجُم. (معجم البلدان ٣/٣٥٥) وتاراء: بالراء. موضع بالشام. (معجم البلدان ٢/٦).

ومسجد بذي الجيفة[1]، ومسجد بصدر حَوْضَى[2]، ومسجد بالحِجْر[3]، ومسجد الصّعيد[4]، ومسجد بالوادي، اليوم، وادي القرى، ومسجد بالرَّقعة من الشِّقة، شُقّة بني عُذْرَة[5]، ومسجد بذي المَرْوة، ومسجد بالفَيْفاء[6]، ومسجد بذي خُشُب[7].

أمر الثلاثة الذين خُلِّفوا وأمر المعذَّرين في غزوة تبوك

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد كان تخلّف عنه رهْط من المنافقين، وتخلّف أولئك الرَهْط الثلاثة من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أُميّة؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا تكلّمنّ أحداً من هؤلاء الثلاثة، وأتاه من تخلّف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله ﷺ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله. واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة[8].

قال ابن إسحاق: فذكر الزُّهْريّ محمد بن مسلم بن شهاب، عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أنّ أباه عبد الله، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره، قال: سمعت أبي كعب بن مالك يحدّث حديثه حين

---

(١) ذو الجيفة: موضع بين المدينة وتبوك. (معجم البلدان ٢/٢٠١).

(٢) حَوْضَى: بالفتح ثم السكون، مقصور، بوزن سَكْرَى. اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن.. إلى جنب جبل في ناحية الرمل.. وقد أكثرت شعراء هُذَيل من ذكر هذا في شعرهم فإن لم يكن في بلادهم فهو قريب منها. وفي نوادر أبي زياد: حَوْضَى نجد من منازل بني عُقيل. (معجم البلدان ٢/٣٢١).

(٣) الحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٢١).

(٤) الصعيد: وادٍ قرب وادي القرى. (معجم البلدان ٣/٤٠٨).

(٥) الرُّقْعَة: بالفتح ثم السكون موضع قرب وادي القرى. (معجم البلدان ٣/٥٨).

(٦) فَيْفَاء: بالفتح. من الفَيْف: المفازة التي لا ماء فيها من الاستواء والسعة، وقيل: الفيفاء الصحراء الملساء، وقد أضيف إلى عدّة مواضع منها: فيفاء الخبار. وهو بالعقيق. (معجم البلدان ٤/٢٨٥).

(٧) خُشُب: بضمّ أوّله وثانيه. وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة. (معجم البلدان ٢/٣٧٢).

(٨) تاريخ الطبري ٣/١١١.

تخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وحديث صاحبيه، قال: ما تخلّفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قطّ، غير أنّي كنت قد تخلّفت عنه في غزوة بدر، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلّف عنها، وذلك أنّ رسول الله ﷺ إنّما خرج يريد عير قريش، حتى جمع الله بينه وبين عدوّه على غير ميعاد، ولقد شهدْت مع رسول الله ﷺ العَقَبة، وحين تواثقنا على الإسلام، وما أحبّ أنّ لي بها مشهد بدر، وإن كانت غزوة بدر هي أذْكَر في الناس منها. قال: كان من خبري حيت تخلّفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنّي لم أكن قطّ أقوى ولا أيسر منّي حين تخلّفت عنه في تلك الغزوة، ووالله ما اجتمعتْ لي راحلتان قطّ حتى اجتمعتا في تلك الغزوة، وكان رسول الله ﷺ قلّما يريد غزوة يغزوها إلاّ ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حَرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، واستقبل غزو عدوّ كثير، فجلى الناس أمرهم ليتأهّبوا لذلك أهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد، والمسلمون من تَبَع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ، يعني بذلك الديوان، يقول: لا يجمعهم ديوان مكتوب.

قال كعب: فقلَّ رجل يريد أن يتغيّب إلاّ ظنّ أنه سيُخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحي من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحِبَّت الظلال، فالناس إليها صُعر[1]؛ فتجهّز رسول الله ﷺ، وتجهّز المسلمون معه، وجعلت أغدو لأتجهّز معهم، فأرجع ولم أقض حاجة، فأقول في نفسي، أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمّر الناس بالجدّ، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهّز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهّز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفرط[2] الغزو، فهممت أن

(١) صعر: مفرده: أصعر وهو المائل.
(٢) تفرط: فات.

أرتحل، فأدركهم وليتني فعلت، فلم أفعل، وجعلت إذا خرجت في النـاس بعد خروج رسول الله ﷺ، فـطفت فيهم، يحزنني أنّي لا أرى إلاّ رجـلاً مغموصـاً[1] عليـه في النفـاق، أو رجــلاً ممن عــذر الله من الضعفـاء، ولم يــذكــرني رسـول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقـال وهو جـالس في القوم بتبـوك: «ما فعـل كعب بن مالك»؟. فقـال رجل من بني سَلِمـة: يا رسـول الله، حبسه بُـرْداه، والنظر في عِطْفَيه؛ فقال له مُعاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله مـا علِمْنا منه إلاّ خيراً؛ فسكت رسول الله ﷺ.

فلمّا بلَغني أنّ رسول الله ﷺ قد توجّه قافلاً من تبوك، حضـرني بثّي[2]، فجعلت أتـذكر الكـذب وأقول: بمـاذا أخرج من سخـطة رسـول الله ﷺ غـداً وأستعين على ذلـك كلَّ ذي رأي من أهلي؛ فلمـا قيـل إنّ رسـول الله ﷺ قـد أظـلّ[3] قادمـاً زاح[4] عنّي البـاطـل، وعـرفت أنّي لا أنجـو منـه إلاّ بـالصـدق، فأجمعت أن أصْدُقَه، وصبَّح رسـول الله ﷺ المدينـة، وكان إذا قـدِم من سفرٍ بدأ بالمسجد، فركـع فيه ركعتين، ثم جلس للنـاس، فلما فعـل ذلك، جـاءه المخلَّفون، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وإيمـانهم، ويستغفر لهم، ويكـل سرائـرهم إلى الله تعـالى، حتى جئت فسلّمت عليـه، فتبسّم تبسُّم المغضب، ثم قـال لي: «تعـاله» فجئت أمشي، حتى جلست بين يـديه، فقـال لي: «ما خلَّفـك؟ ألـم تكن اتبعت ظهرك»؟ قال: قلت: إنّي يا رسول الله، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أنّي سـأخرج من سخـطه بعُذر، ولقـد أعطيت جـدلاً، لكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حـديثاً كـذباً لتـرضينّ عنّي، وليوشكنّ الله أن يُسْخِطك عليّ، ولئن حدّثتك حديثاً صـدْقاً تجـد عليّ فيه، إنّي لأرجـو

---

(١) مغموصاً: مطعوناً.

(٢) بثّي: حزني.

(٣) أظلّ: أشرف.

(٤) يقال زاح وانزاح: إذا ذهب، والمصدر زيوحاً وزَيحاناً.

عُقباي من الله فيه، ولا والله ما كان لي عُذْر، والله ما كنت قطّ أقوى ولا أيسر منّي حين تخلّفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدقْت فيه، فقم حتى يقضي الله فيك». فقمت، وثار معي رجال من بني سَلِمة، فاتّبعوني فقالوا لي: والله ما علِمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخَلَّفون، قد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا بي حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ، فأكذّب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا أحد غيري؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل مقالتك، وقيل لهما مثل ما قيل لك، قلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العمريّ، من بني عمرو بن عوف، وهلال بن أبي أُميّة الواقفي؛ فذكروا لي رجلين صالحين، فيهما أسوة، فصمتُّ حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيُّها الثلاثة، من بين من تخلّف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيّروا لنا، حتى تنكّرت لي نفسي والأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما، وأما أنا فكنت أشَبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج، وأشهد الصلوات مع المسلمين، وأطوف بالأسواق، ولا يكلّمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ، فأسلّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي، هل حرّك شفتيه بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلّي قريباً منه، فأساوقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عنّي حتى إذ طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قَتادة. وهو ابن عمّي، وأحبّ الناس إليَّ، فسلّمت عليه فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قَتادة، أنشدك بالله، هل تعلم أنّي أحبّ الله ورسوله؟ فسكت. فعدت فناشدته، فسكت عنّي، فعدت فناشدته، فسكت عنّي، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، ووثبت فتسوّرت الحائط. ثم غدوت إلى السوق، فبينا أنا أمشي بالسوق، إذا نَبْطي[1]

(١) النّبط، قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردنّ عاصمتهم (البتراء).

يسأل عنّي من نبط الشام، ممن قدِم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ قال: فجعل الناس يشيرون له إليّ، حتى جاءني، فدفع إليّ كتاباً من ملك غسّان، وكتب كتاباً في سرقة(١) من حرير، فإذا فيه: «أما بعد فإنه قد بَلَغنا أنّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة. فالحقْ بنا نُواسِك»(٢). قال: قلت حين قرأتها: وهذا من البلاء أيضاً، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع فيّ رجل من أهل الشِرْك. قال: فعمدت بها إلى تنّور، فسجرته(٣) بها. فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله يأتيني، فقال: إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: قلت: أطلّقها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربْها، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: إلحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض. قال: وجاءت امرأة هلال ابن أُميّة رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنّ هلال بن أُميّة شيخ كبير ضائع لا خادم له، أفتَكْره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربنّك»؛ قالت: والله يا رسول الله ما به من حركة إليّ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوّفت على بصره. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنتَ رسولَ الله لامرأتك، فقد أذِن لامرأة هلال بن أُميّة أن تخدمه؛ قال: فقلت: والله لا أستأذنه فيها ما أدري ما يقول رسول الله ﷺ في ذلك إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شابّ. قال: فلبثنا بعد عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة، من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، ثم صلّيت الصبح، صبح خمسين ليلة، على ظهر بيتٍ من بيوتنا، على الحال التي ذكر الله منّا، قد ضاقت علينا الأرض بما رَحُبت، وضاقت عليّ نفسي، وقد كنت ابتنيت خيمة في ظهر سَلْع، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على

---

(١) السرقة: الشقة.

(٢) نواسك: أي يكون فينا المواساة لك.

(٣) سجرته: أحرقته بلهب النار.

ظهر سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشِر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء الفرج.

قال: وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلّى الفجر، فذهب الناس يبشّروننا، وذهب نحو صاحبي مبشِّرون، وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم، حتى أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس؛ فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشّرني، نزعت ثوبيّ، فكسوتهما إيّاه بشارة، والله ما أملك يومئذٍ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، ثم انطلقت أتيمّم رسول الله ﷺ، وتلقّاني الناس يبشّرونني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عُبيد الله فحيّاني وهنّاني، ووالله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلمّا سلمت على رسول الله ﷺ قال لي ووجهه يبرق من السرور: «أبشِر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمِن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «بل من عند الله» قال: وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأنّ وجهه قطعة قمر. قال: وكنّا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إنّ من توبتي إلى الله عزّ وجلّ أن أنخلع من مالي، صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: «أمسِك عليك بعض مالك، فهو خير لك». قال: قلت: إنّي مُمسك سهمي الذي بخيبر؛ وقلت: يا رسول الله، إنّ الله قد نجّاني بالصدق، وإنّ من توبتي إلى الله أنّ لا أحدّث إلّا صدقاً ما حَييت، والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلاني الله، والله ما تعمّدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإنّي لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

وأنزل الله تعالى: ﴿لَقَد تابَ الله عَلَى النَّبيِّ والمُهاجِرينَ والأنصارِ الَّذِينَ اتَّبعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْد ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إنَّهُ بِهِم رَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِين خُلِّفُوا﴾... إلى قوله: ﴿وكُونُوا مَع الصَّادِقِينَ﴾[1].

قال كعب: فواللهِ ما أنعم الله عليّ نعمة قطّ بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله ﷺ يومئذ، أن لا أكون كَذَبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإنّ الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد، قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بالله لَكُم إذا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعرضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ، إنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ. فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ الله لاَ يَرْضَىٰ عَنِ ٱلقَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾[2].

قال: وكنّا خُلِّفنا ـ أيّها الثلاثة ـ عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له ليعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرَنا، حتى قضى الله فيه ما قضى، فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾.

وليس الذي ذكر الله من تخليفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيّانا. وإرجائه أمرنا عمّن حلف له، واعتذر إليه، فقبل منه[3].

---

(١) سورة التوبة ـ الآيات ١١٧ ـ ١١٩.

(٢) سورة التوبة ـ الآيتان ٩٥ و ٩٦.

(٣) وإنّما اشتدّ غضبه على من تخلّف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاث منهم، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية، لكنه في حقّ الأنصار خاصة كان فرض عَين، وعليه بايعوا النبيّ ﷺ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق، وهم يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

ومن تخلّف منهم يوم بدر إنّما تخلّف، لأنهم خرجوا لأخذ عِير، ولم يظنّوا أن سيكون قتال، فلذلك كان التخلّف عن رسول الله ﷺ في هذه الغزاة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم. (الروض الأنف ١٩٨٤). =

أمر وفد ثقيف وإسلامها

في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان وقدِم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف.

وكان من حديثهم أنّ رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم، اتّبع أثره عُروة ابن مسعود الثقفي، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ - كما يتحدّث قومه - «إنهم قاتلوك»، وعرف رسول الله ﷺ أنّ فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال عُروة: يا رسول الله أنا أحبّ إليهم من أبكارهم.

قال ابن هشام: ويقال: من أبصارهم.

قال ابن إسحاق: وكان كذلك محبّباً مُطاعاً: فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه، لمنزلته فيهم؛ فلما أشرف لهم على علّيّة له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رَموْه بالنَّبل من كلّ وجه، فأصابه سهم فقتله. فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم؛ يقال له أوس بن عوف، أخو بني سالم بن مالك. وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم، من بني عتّاب ابن مالك. يقال له وهْب بن جابر، فقيل لعُروة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلّا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرحل عنكم، فادفنوني معهم، فزعموا

= والحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وعلى الثلاثة الذي خلّفوا﴾ (١٣٠/٥) ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٢٧٦٩/٣) وأحمد في المسند ٤٥٤/٣ و ٤٥٦ - ٤٦٠ و ٣٨٧/٦ - ٣٩٠، والطبراني في المعجم الكبير ٤٢/١٩ وما بعدها رقم ٩٠ و ٩١ و ٩٥، وعبد الرزاق في المصنّف (٩٧٤٤)، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٥٣ - ٦٥٨.

أنّ رسـول الله ﷺ قـال فيـه: «إنّ مثَله في قـومـه لَكَمَثَـل صـاحب يـاسين في قومه»[1].

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُروة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا[2].

حـدّثني يعقـوب بن عُتبـة بن المغيـرة بن الأخنس: أنّ عمـرو بـن أُميَّـة، أخا بني عـلاج، كان مهـاجـراً لعبـد يـاليـل بن عمـرو، الـذي بينهمـا شيء، وكـان عمـرو بن أُميّـة من أدهى العـرب، فمشى إلى عبـد يـاليـل بن عمرو، حتى دخل داره، ثم أرسل إليه أنّ عمرو بن أُميّة يقول لك: أخـرج إليّ قال: فقال عبد ياليل للرسول: ويلك! أعمرو أرسلك إليّ؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفـاً في دارك، فقال: إنّ هـذا الشيء ما كنت أظنّـه، لَعَمْرو كـان أمنـع في نفسه من ذلك، فخرج إليه، فلما رآه رحّب به، فقال له عمرو: إنه قد نـزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل مـا قد رأيت، قـد أسلمت العـرب كلّها، وليست لكم بحـربهم طاقـة، فـانـظروا في أمـركم. فعنـد ذلـك ائتمـرت ثقيف بينهـا، وقـال بعضهم لبعض: أفـلا تـرون أنـه لا يـأمن لكم سرب[3]، ولا يخرج منكم أحد إلاّ اقتُطع، فأتمروا بينهم، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً، كما أرسلوا عُروة، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو بن عُمير، وكان سنّ عُروة بن مسعـود، وعرضـوا ذلك عليـه، فأبى أن يفعـل، وخشي أن يُصنـعِ به إذا رجـع كما صنـع بعُـروة. فقـال: لست فـاعـلاً حتى تـرسلوا معي

(١) يحتمل قولـه ﷺ، كمثل صـاحب ياسين أن يـريد بـه المذكـور في سورة يـاسين، الذي قـال لقومه: ﴿اتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فقتله قومه، واسمـه حبيب بن مُري، ويحتمـل أن يريـد صاحب الياس، وهو اليسع، فَإنّ الياس يقال في اسمه: ياسين أيضاً، وقال الـطبري: وهـو الياس بن ياسين، وفيه قال تبارك وتعالى: ﴿سلام على إل ياسين﴾. (الروض الأنف ١٩٩/٤).

(٢) أنظر: الطبقات الكبرى ٣١٢/١، والمحبّـر ١٠٥، ١٠٦، وتاريخ الطبـري ٩٧/٣، وأنساب الأشراف ٤٤١/١، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦٧ ـ ٦٧٢.

(٣) السرب: القطيع من الحيوان أو الفريق من النّساء أو جماعة النخل وهو أيضـاً الطريق والقلب والصدر.

رجالاً، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل الحَكَم بن عمرو بن وهْب بن معتّب، وشُرحبيل بن غَيْلان بن سَلَمة بن معتّب، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بِشْر بن عبد دَهْمان، أخا بني يَسار، وأوس بن عوف، أخا بني سالم بن عوف ونُمير بن خرشة بن ربيعة، أخا بني الحارث. فخرج بهم عبد ياليل، وهو ناب القوم[1] وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلاّ خشيةً من مثل ما صُنع بعُروة بن مسعود، لكي يشغل كلّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهْطه.

فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قَناة، ألفَوْا بها المغيرة بن شُعبة، يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رعيتها نُوَباً على أصحابه رسول الله ﷺ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيّين، وضَبر[2] يشتدّ، ليبشّر رسول الله ﷺ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدِموا يريدون البيعة والإسلام، بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطاً، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيره: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ، ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ. فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه، فروّح الظُّهر معهم، وعلّمهم كيف يحيّون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلاّ بتحية الجاهلية. ولما قدِموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده، كما يزعمون، فكان خالد ابن سعيد بن العاص، هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ، حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يَطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية، وهي اللاّت، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه

(١) ناب القوم: سيدهم.
(٢) ضبر: وثب.

سنة سنة، ويأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدَمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمًّى، وإنّما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلّموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروِّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام؛ فأبى رسول الله ﷺ إلاّ أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة، فإنه لا خير في دينٍ لا صلاة فيه»[1]، فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أمّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنّاً، وذلك أنه كان أحرصهم على التّفقّه في الإسلام وتعلّم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنّي قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقّه في الإسلام، وتعلّم القرآن[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عيسى بن عبد الله بن عطيّة بن سفيان بن ربيعة الثقفي، عن بعض وفدهم. قال: كان بلال يأتينا ـ حين أسلمنا وصمْنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان ـ بفِطْرنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسحور، وإنّا لنقول: إنّا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد تركت رسول الله ﷺ يتسحّر، لتأخير السحور، ويأتينا بفطرنا، وإنّا لنقول: ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد. فيقول: ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده في الجفنة، فيلتقم منها.

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير ٤٥/٩ رقم ٨٣٧٢ من طريق حمّاد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف لما قدموا على النبيّ ﷺ انزلهم المسجد ليكون أرقّ لقلوبهم، فاشترطوا على النبيّ ﷺ أن لا يُحشروا ولا يُعشّروا ولا يُجبوا ولا يستعمل عليهم من غيرهم فقال النبيّ ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع».

(٢) تاريخ الطبري ٩٧/٣ ـ ٩٩.

قال ابن هشام: بفطورنا وسحورنا.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن أبي هند، عن مُطرّف بن عبد الله ابن الشِّخير، عن عثمان بن أبي العاص، قال: كان من آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال: «يا عثمان، تجاوز في الصلاة، واقدُر الناسَ بأضعفهم، فإنّ فيهم الكبير، والصغير، والضعيف، وذا الحاجة»(١).

هدْم اللّات: **قال ابن إسحاق**: فلما فرغوا من أمرهم، وتوجّهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسول الله ﷺ معها أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة، في هدم الطاغية. فخرجا مع القوم، حتى إذا قدِموا الطائف أراد المغيرة بن شُعبة أن يقدّم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: أدخل أنت على قومك؛ وأقام أبو سفيان بماله بذي الهَدم فلما دخل المغيرة بن شُعبة علاها يضربها بالمِعْوَل، وقام قومه دونه، بنو معتّب، خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أصيب عُروة، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً يبكين عليها ويقلن:

لتبكيــن دُفَّـاع أسلمهـا الرَّضَّاع(٢)

لـم يـحسنـوا المِصـاع(٣)

قال ابن هشام: «لتبكين» عن غير ابن أسحاق.

قال ابن إسحاق: يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهالك! آهالك! فلما هدمها المغيرة، وأخذ مالها وحُلِيَّها أرسل إلى أبي سفيان وحُلِيّها مجموع، وما لها من الذَّهب والجَزْع(٤).

وكان أبو مُلَيح بن عُروة وقارب بن الأسود قدِما على رسول الله ﷺ قبل

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩/٤١ رقم ٨٣٥٨ بالسند المذكور، واللفظ: «أمّ قومك وأقدرهم بأضعفهم فإنّ فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة».

(٢) الرّضّاع: اللئام. كالرّضّع جمع راضع، وهو اللئيم الذي رضع اللؤم من ثدي أمّه، يريد أنه وُلد في اللؤم.

(٣) المِصاع: القتال بالسيوف.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٠٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٢.

وفد ثقيف، حين قُتل عُروة يريدان فراق ثقيف، وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً، فأسلما؛ فقال لهما رسول الله ﷺ: «وخالكما أبا سفيان بن حرب»، فقالا: وخالنا أبا سفيان بن حرب.

فلما أسلم أهل الطائف ووجّه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدْم الطاغية، سأل رسول الله ﷺ أبو مُليح بن عُروة أن يقضي عن أبيه عُروة دَيناً كان من مال الطاغية، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فاقضه، وعُروة والأسود أخوان لأب وأم؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الأسود مات مشركاً». فقال قارب لرسول الله ﷺ: فقال قارب لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لكن تصِل مسلماً ذا قرابة، يعني نفسه، إنّما الدَّيْن عليّ، وإنّما أنا الذي أُطلب به، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دَيْن عُروة والأسود من مال الطاغية؛ فلما جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان: إنّ رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عُروة والأسودَ دينهما، فقضى عنهما[1].

كتابه عليه السلام لثقيف: وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبيّ، رسول الله، إلى المؤمنين: إنّ عِضاه[2] وجّ وَصَيْده لا يُعْضَد[3]، من وُجد يفعل شيئاً من ذلك، فإنه يُجلد وتُنزع ثيابه، فإن تعدّى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبيّ محمد، وإنّ هذا أمر النّبيّ محمد رسول الله».

وكتب خالد بن سعيد: «بأمر الرسول محمد بن عبد الله، فلا يتعدّه أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ»[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٠٠٠ وفيه «فقضى منه ديْنهما».

(٢) العِضاه: شَجَر له شوك.

(٣) لا يُعضَد: لا يُقطع أي أنه حرام على غير أهله كتحريم مكة والمدينة، وقيل وجّ: هي الطائف وقيل إنها وادٍ بها.

(٤) إمتاع الأسماع للمقريزي ٤٩٣/١، ٤٩٤، مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ٢٤٠، رقم ١٨٢.

حجّ أبي بكر بالناس سنة تسع
واختصاص النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة عنه

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع، ليقيم للمسلمين حَجَّهم، والناس من أهل الشِّرك على منازلهم من حجّهم. فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين.

ونزلت براءة في نقْض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يُصدّ عن البيت أحدٌ جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشِرك، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص، إلى آجال مسمّاة، فنزلت فيه وفيمن تخلّف من المنافقين عنه في تبوك، وفي قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون، منهم من سُمّي لنا ومنهم من لم يُسمَّ لنا، فقال عزّ وجلّ: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِنَ المُشْرِكِينَ﴾: أي لأهل العهد العام من أهل الشِرك ﴿فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي الله، وأَنَّ الله مُخْزِي ٱلكَافِرِينَ. وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ ٱلنَّاسِ يَوْمَ الحجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾:

أي بعد هذه الحجّة ﴿فَإِنْ تُبْتُم فَهُوَ خيرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِيْ الله، وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيم. إلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي العهد الخاصّ إلى الأجل المسمَّى ﴿ثُمَّ لَمْ يُنْقِصُوكُمْ شَيْئاً، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ، فَإِذَا ٱنْسَلَخَ ٱلأَشْهُرُ ٱلحُرُمُ﴾: يعني الأربعة التي ضرب لهم أَجَلاً ﴿فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، وَخُذُوهُمْ واحْصُرُوهمْ وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ، فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم ﴿ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ ٱللهِ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ، ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾.

ثم قال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم في الحرمة، ولا في الشهر الحرام ﴿عَهْدٌ عِنْدَ ٱللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ ٱلمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وهي قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم ٱلحُدَيبية، إلى المدّة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نقضها إلَّا هذا الحيّ من قريش، وهي الدّيل من بني بكر بن وائل، الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدّته ﴿فَمَا ٱسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: أي المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدّة من أهل الشرك العام ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّاً وَلا ذِمَّة﴾.

قال ابن هشام: الإلّ: الخلف. قال أوس بن حجر، أحد بني أسيِّد بن عمرو بن تميم:

لولا بنو مالك والإلّ مرقبة ... ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت في قصيدة له. وجمعه: آلال، قال الشاعر:

فــلا إلّ مــن الآلال بيــنــي وبينــكم فــلا تــألُــن جهــداً

والـذّمّة: العهـد. قال الأجـدع بن مالـك الهمداني، وهـو أبو مسـروق الأجدع الفقيه:

وكـان علينا ذمّـة أن تجـاوِزوا من الأرض معروفاً إلينا ومنكراً

وهذا البيت في ثلاثة أبيات له، وجمعها: ذمم.

﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ. ٱشْتَرَوْا بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً، وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ أي قـد اعتـدوا عليكم ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ، وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

اختصـاص علي بتـأدية بـراءة: **قـال ابن إسحـاق:** وحـدّثني حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنيف، عن أبي جعفر محمـد بن عليّ رضوان الله عليـه، أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبـا بكر الصِّـدّيق ليقيم للناس الحجّ، قيل له: يا رسول الله لـو بعثت بها إلى أبي بكـر، فقال: «لا يؤدّي عنّي إلاّ رجل من أهل بيتي»[2]، ثم دعا عليّ بن أبي طالب رضـوان الله عليه، فقال له: اخرج بهـذه القصّة من صـدر براءة، وأذّن في النـاس يوم النّحـر إذا اجتمعوا بمِنًى، وأنـه لا يدخـل الجنة كـافر، ولا يحـجّ بعـد العـام مُشْرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهـو له إلى مدّته، فخرج عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ

---

(١) سورة التوبة ـ من أول السورة حتى الآية ١١.

(٢) أخرج نحوه الترمذي في المناقب (٣٨٠٣) باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنـه، عن إسماعيل بن موسى، أخبرنـا شريـك، عن أبي إسحاق، عن حُبشيّ بن جُنـادة قال: قـال رسـول الله ﷺ: «عليّ منّي وأنا من عليّ ولا يؤدّي عنّي إلاّ أنـا أو عليّ». وقال: هـذا حديث حسن غريب صحيح. وابن ماجه في المقـدّمة (١/٤٤) رقم (١١٩) بـاب فضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وأحمد في المسند ٤/١٦٤ و ١٦٥.

العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا. فأقام أبو بكر للناس الحجّ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجّ، التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذّن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدّته؛ وأجّل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمّة إلاّ أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدّة، فهو له إلى مدّته. فلم يحجّ بعد ذلك العام مُشْرك، ولم يَطُف بالبيت عريان(١).

ثم قدِما على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدّة إلى الأجل المسمّى.

الأمر بجهاد المشركين: قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أ هل الشرك، ممن نقض من أهل العهد الخاص، ومن كان من أهل العهد العام، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلاً إلاّ أن يعدوَ فيها عادٍ منهم، فيقتل بعدائه، فقال: **﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمَاً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللهُ﴾**: أي من بعد ذلك **﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ، وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**(٢).

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٦٨، ١٦٩.

(٢) سورة التوبة ـ الآيات ١٣ ـ ١٦.

قال ابن هشام: وليجة: دخيل، وجمعها: ولائج؛ وهو من ولج يلج: أي دخل يدخل، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[1]: أي يدخل، يقول: لم يتّخذوا دخيلاً من دونه يسرّون إليه غير ما يُظهرون، نحو ما يصنع المنافقون، يُظهرون الإيمان للذين آمنوا ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾[2] قال الشاعر:

واعلم بأنّك قد جعلت وليجة ساقوا إليك الحتْفَ غير مشُوب

القرآن يردّ على قريش ادّعاءهم عمارة البيت: **قال ابن إسحاق**: ثم ذكر قول قريش: إنّا أهل الحرم، وسُقاة الحجّ، وعُمّار هذا البيت، فلا أحد أفضل منّا؛ فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: أي أنّ عمارتكم ليست على ذلك، وإنّما يعمر مساجد الله أي من يعمرها بحقّها ﴿مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ، وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أي فأولئك عُمّارها ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ وعسى من الله: حقّ.

قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَاهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ ٱللَّهِ﴾[3]

ثم القصّة عن عدوّهم، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وذلك أنّ الناس قالوا: لتنقطعنّ عنّا الأسواق، فلتهلكنّ التجارة، وليذهبنّ ما كُنّا نصيب فيها من المرافق، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي من وجه غير ذلك ﴿إِنْ شَاءَ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٤٠.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٤.
(٣) سورة التوبة الآية ١٧ و ١٨ ومن ١٩.

الآخِر، وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا آلكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا آلجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1]: أي ففي هذا عوض ممّا تخوّفتم من قطع الأسواق، فعوّضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب، من الجزية.

ما نزل في أهل الكتابين: ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشرّ والفِرْية عليه، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيراً مِنَ آلأَحْبَارِ وَآلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلنَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ آللهِ، والَّذِين يَكْنِزُونَ آلذَّهَبَ وَآلفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ آللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

ما نزل في النَّسيء: ثم ذكر النَّسيء، وما كانت العرب أحدثت فيه. والنّسيء ما كان يُحلّ ممّا حرّم الله تعالى من الشهور، ويحرّم مما أحلّ الله منها؛ فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ آللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ آللهِ يَوْمَ خَلَقَ آلسَّمٰوَاتِ وَآلأَرْضَ. مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ذٰلِكَ آلدِّينُ آلقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي لا تجعلوا حرامها حلالاً، ولا حلالها حراماً؛ أي كما فعل أهل الشرك ﴿إِنَّمَا آلنَّسِيءُ﴾ الذي كانوا يصنعون ﴿زِيَادَةٌ فِي آلكُفْرِ، يُضَلُّ بِهِ آلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ آللهُ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ آللهُ، زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ، وَآللهُ لَا يَهْدِي آلقَوْمَ آلكَافِرِينَ﴾.

ما نزل في تبوك: ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها، وما أعظموا من غزو الروم، حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى جهادهم، ونفاق من نافق من المنافقين، حين دُعوا إليه من الجهاد، ثم ما نُعي من إحداثهم في الإسلام، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا آلَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ آنْفِرُوا فِي سَبِيلِ آللهِ آثَّاقَلْتُمْ إِلَى آلأَرْضِ﴾، ثم القصّة إلى قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ٣٤.

آلله إذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَينِ إِذْ هُمَا فِيْ ٱلغَارِ﴾[1].

ما نزل في أهل النفاق: ثم قال تعالى لنبيّه ﷺ، يذكر أهل النّفاق: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ آسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: أي إنّهم يستطيعون ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلكَاذِبِينَ﴾؟... إلى قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً، وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ، يَبْغُونَكُمُ ٱلفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[2].

قال ابن هشام: أوضعوا خلالكم: ساروا بين أضعافكم، فالإيضاع: ضرب من السير أسرع من المشي؛ قال الأجدع بن مالك الهمداني:

يصطادك الوَحد المُدِلّ بشأوه ... بشريج بين الشدّ والإيضاع[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وكان الذين استأذنوه من ذوي الشرف، فيما بلغني، منهم: عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول، والجَدّ بن قيس؛ وكانوا أشرافاً في قومهم، فثبّطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه، فيُفسِدوا عليه جُنده، وكان في جُنده قوم أهل محبّة لهم، وطاعة فيما يدعونهم إليه، لِشَرَفهم فيهم. فقال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ، وَٱللهُ عَلِيمٌ بِـٱلظَّالِمِينَ، لَقَدِ آبْتَغَوا ٱلفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾: أي من قبل أن يستأذنوك، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلأُمُورَ﴾: أي ليخذلوا عنك أصحابك ويردّوا عليك أمرك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ ٱلحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ آئْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي ٱلفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، وكان الذي قال ذلك، فيما سُمّي لنا، الجَدّ بن قيس، أخو بني سَلِمة، حين دعاه

---

(١) سورة التوبة ـ الآيات ٣٦ ـ ٤٠.

(٢) سورة التوبة ـ من الآيات ٤٢ ـ ٤٧.

(٣) يريد بالوحد: الفرس الواحد. شأوه: سبقه. الشريج: النوع. الشدّ والإيضاع نوعان من الجري.

رسول الله ﷺ إلى جهاد الروم. ثم كانت القصة إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[1]: أي إنّما نيّتهم ورضاهم وسخطهم لدُنياهم.

ما نزل في أصحاب الصدقات: ثم بيّن الصدقات لمن هي، وسمّى أهلها، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَفِي الرِّقَابِ، وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِنَ اللهِ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

ما نزل فيمن آذوا الرسول: ثم ذكر غِشّهم وأذاهم النبيَّ ﷺ، فقال: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وكان الذي يقول تلك المقالة، فيما بلغني، نَبْتَل بن الحارث أخو بني عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنّما محمد أُذُن، من حدَّثه شيئاً صدّقه، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾: أي يسمع الخير ويصدّق به.

ثم قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3]. ثم قال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾[4]، وكان الذي قال هذه المقالة وديعة بن ثابت، أخو بني أُميّة بن زيد، من بني عمرو بن عوف، وكان الذي عُفي عنه، فيما

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٤٧ ـ ٥٨.
(٢) سورة التوبة الآية ٦٠.
(٣) سورة التوبة ـ الآيتان ٦١ و ٦٢.
(٤) سورة التوبة ـ الآية ٦٥ وبعض ٦٦.

بلغني: مخشّن بن حُمَيّر الأشجعيّ، حليف بني سَلِمة. وذلك أنه أنكـر منهم بعض ما سمع.

ثم القصّة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلكُفَّارَ وَٱلمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلمَصِيرِ، يَحْلِفُـونَ بِاللهِ مَا قَالُوا، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ٱلكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمـا لَمْ يَنالُـوا، وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُـهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾... إلى قولـه: ﴿مِـنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾(١). وكان الذي قال تلك المقـالة الجُـلاس بن سُويـد بن صامت، فرفعها عليه رجل كان في حجْره، يقال له عُمير بن سعد، فأنكرها وحلف بالله مـا قالهـا، فلما نـزل فيهم القرآن تـاب ونزع، وحسُنَت حـاله وتـوبتـه، فيمـا بلغني.

ثم قـال تعـالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَـاهَـدَ اللهَ لَئِنْ آتَـانَـا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّـدَّقَنَّ وَلَنَكُـونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾(٢)، وكـان الذي عـاهد الله منهم ثعلبـة بن حاطب، ومعتب بن قُشير، وهما من بني عمر بن عوف.

ثم قـال: ﴿الَّـذِينَ يَلْمِـزُونَ ٱلمُـطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّـدَقَـاتِ، وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، سَخِـرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣) وكان المطَّوِّعونَ من المؤمنين في الصدقـات عبد الـرحمن بن عوف، وعـاصم بن عـديّ أخـا بني العَجْـلان، وذلـك أن رسـول الله ﷺ رغّب في الصـدقة، وحضّ عليهـا فقام عبـد الرحمن بن عـوف، فتصدّق بـأربعـة آلاف دِرهم، وقام عاصم بن عديّ، فتصدّق بمائة وسْق من تمر، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء، وكان الذي تصدّق بجهده أبو عُقَيل أخـو بني أُنَيف، أتى بصاعٍ من تمر، فأفرغها في الصدقة، فتضاحكوا بـه، وقالـوا: إنّ الله لغنيّ عن صاع أبي عُقَيل.

(١) سورة التوبة ـ الآيتان ٧٣ و ٧٤.
(٢) سورة التوبة ـ الآية ٧٥.
(٣) سورة التوبة ـ الآية ٧٩.

ثم ذكر قول بعضهم لبعض، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد، وأمر بالسير إلى تبوك، على شدّة الحَرّ وجدب البلاد، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي ٱلحَرّ؛ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾. إلى قوله: ﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ﴾(١).

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أُبَيّ: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْرِيّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس، قال؛ سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما تُوفي عبد الله بن أُبَيّ، دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحوّلت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أتصلّي على عدوّ الله عبد الله بن أُبَيّ بن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أعدّد أيامه، ورسول الله ﷺ يتبسّم حتى إذا أكثرتُ قال: يا عمر، أخِّر عنّي، إنّي قد خُيِّرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿آستغفِر لَهُمْ أو لا تَسْتَغْفِرْ، إنَّ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ آللهُ لَهُمْ﴾(٢)، فلو أعلم أنّي إن زدْت على السبعين غُفر له، لزدْت. قال: ثم صَلّى رسول الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فرغ منه. قال؛ فعجبت لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم. فوالله ما كان إلّا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٣) فما صلّى رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى.

ما نزل في المستأذنين والمعذّرين والبكّائين ومنافقي الأعراب: قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ آسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾(٤). وكان ابن أُبَيّ من أولئك، فنعى الله ذلك

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٨١ ـ إلى بعض آية ٨٥.
(٢) سورة التوبة ـ من الآية ٨٠.
(٣) سورة التوبة ـ الآية ٨٤.
(٤) سورة التوبة ـ من الآية ٨٦.

عليه، وذكره منه، ثم قال تعالى: ﴿لَكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَأُولَئِكَ لَهُمُ ٱلخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلمُفْلِحُونَ. أَعَدَّ الله لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا. ذَلِكَ ٱلفَوْزُ ٱلعَظِيمُ. وَجَاءَ ٱلمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا الله وَرَسُولَهُ﴾[1]... إلى آخر القصّة. وكان المعذِّرون، فيما بلغني نفراً من بني غِفار، منهم خفاف بن أيماء بن رَحضة، ثم كانت القصّة لأهل العُذْر، حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوكَ لِتَحْمِلَهُمْ، قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾. وهم البكّائون.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ ٱلخَوَالِفِ، وَطَبَعَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الخوالف: النساء. ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم، فقال: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللهَ لَا يَرْضَى عَنِ ٱلقَوْمِ ٱلفَاسِقِينَ﴾[2].

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربّصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾: أي من صدقة أو نفقة في سبيل الله ﴿مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ، عَلَيْهِم دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ، وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

ما نزل في المخلِصين من الأعراب: ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَنْ يُؤمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ الله وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ٨٨ ـ ٩٠.
(٢) سورة التوبة ـ الآيات ٩٢ ـ ٩٦.
(٣) سورة التوبة ـ الآية ٩٨.
(٤) سورة التوبة ـ ومن الآية ٩٩.

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار: ثم ذكر السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، وفضلهم، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إيّاهم، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال: ﴿رَضِيَ آللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[1]، ثم قال تعالى: ﴿وممَّن حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقونَ وَمِنْ أهل المدينة مَرَدُوا على النِّفاقِ﴾: أي لجّوا فيه: وأبوا[1] غيره ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، والعذاب الذي أوعده الله تعالى مرّتين، فيما بلغني غمّهم بما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه، عذاب النار والخلد فيه. ثم قال تعالى: ﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخر سَيِّئاً، عَسَى الله أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إنَّ الله غفورٌ رَحِيم﴾.

ثم قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهم بِها﴾. إلى آخر القصّة. ثم قال تعالى: ﴿وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ الله: إمَّا يُعَذِّبُهُمْ وإمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، وهم الثلاثة الذين خُلّفوا، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم. ثم قال تعالى: ﴿إنَّ الله آشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُم بأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾[2] ثم كان قصّة الخبر عن تبوك، وما كان فيها إلى آخر السورة.

وكانت براءة تُسمّى في زمان النبيّ ﷺ وبعده المبعثِرة، لما كشفت من سرائر الناس. وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

حسّان يعدّد مغازيه ﷺ شِعراً

وقال حسّان بن ثابت يعدّد أيام الأنصار مع النبيّ ﷺ، ويذكر مواطنها معه في أيام غزوه:

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ١٠٠.

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ١٠١ ـ ١١١.

قال ابن هشام: وتُروى لابنه عبد الرحمن بن حسّان:

ألستُ خيرَ مَعَدّ كلّها نَفَراً ... ومعشراً إنْ هم عُمُّوا وإن حُصِلوا[١]
قوم همُ شَهِدوا بدْراً بأجْمعهم ... مع الرسول فما ألَوا وما خذلوا[٢]
وبايعوه فلم ينكُث به أحدٌ ... منهم ولم يكُ في إيمانهم دَخَل[٣]
ويومَ صبَّحهم في الشِّعب من أُحُدٍ ... ضربٌ رصينٌ كحَرّ النار مشتعل[٤]
ويم ذي قَرَد يوم استثار بهم ... على الجياد فما خاموا وما نكلوا[٥]
وذا العُشَيرة جاسوها بخَيلهم ... مع الرسول عليها البِيضُ والأسل[٦]
ويومَ وَدَّان أجْلَوا أهله رَقَصاً ... بالخيل حتى نهانا الحَزْن والجبل[٧]
وليلةً طلبوا فيها عدوَّهم ... لله والله يَجْزيهم بما عملوا
وغزوةً يوم نجْدٍ ثمّ كان لهم ... مع الرسول بها الأسلاب والنفل
وليلةً بحُنَين جالدُوا معه ... فيها يَعُلُّهم بالحرب إذ نهلوا[٨]
وغزوة القاع فرّقنا العدوَّ به ... كما تُفرّق دون المَشْرب الرَّسَلُ[٩]
ويوم بُويع كانوا أهلَ بَيْعته ... على الجِلاد فآسَوْه وما عَدَلوا
وغزوةَ الفتح كانوا في سريّته ... مُرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويومَ خيبر كانوا في كتيبته ... يمْشون كلّهُم مُستبسل بَطَل
بالبِيض تُرْعش في الأيمان عاريةً ... تعْوَجّ في الضَّرب أحياناً وتعتدل
ويومَ سار رسول الله محتسباً ... إلى تبوكَ وهم راياتُه الأُوَل

---

(١) حصلوا: أصلها بتشديد الصاد وخففها لضرورة الشعر. ومعنى حصلوا: جمعوا.
(٢) ألَوا: قصروا.
(٣) دخل: فساد.
(٤) رصين: ثابت.
(٥) خام: جبن وتراجع.
(٦) جاسوها: وطئوها. البيض: السيوف. الأسل: الرماح.
(٧) الرقص: نوع من المشي. الحزن: الأرض الغليظة المرتفعة.
(٨) يعلّهم: يكرّر عليهم، من العلل وهو الشرب الثاني. نهلوا: شربوا الشرب الأول.
(٩) الرَسل: الإبل.

وساسةُ الحرب إنْ حربٌ بَدَتْ لهم ... حتّى بدا لهمُ الإقبال والقفل[1]
أولئك القوم أنصارُ النبيّ وهم ... قومي أصير إليهم حين أتّصل
ماتوا كِراماً ولم تُنْكَثْ عُهودهم ... وقتلُهم في سبيل الله إذ قُتلوا

قال ابن هشام: عجز آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

كنّا ملوك الناس قبل محمدٍ ... فلمّا أتى الإسلامُ كان لنا الفضلُ
وأكرَمنا الله الذي ليس غيرَه ... إلَهٌ بأيّامٍ مضتْ ما لها شَكْل
بنَصْر الإله والرسول ودِينه ... وألَبَسْناه اسماً مضى ما له مِثل
أولئك قومي خيرُ قومٍ بأسرهم ... فما عدّ من خيرٍ فقومي له أهل
يُربّون بالمعروف معروف من مضى ... وليس عليهم دون معروفهم قُفْل[2]
إذا اختُبطوا لم يُفحشوا في نديّهم ... وليس على سُؤّآلهم عندهم بُخْل[3]
وإن حاربوا أو سالموا لم يُشَبَّهوا ... فحربهم حتْفٌ وسِلْمهم سهل
وجارُهم مُوفٍ بعلياءَ بيتُه ... له ـ ما ثوى فينا ـ الكرامة والبذل
وحاملُهم مُوفٍ بكل حَمالة ... تحمّل لا غُرْم عليها ولا خَذْل
وقائلُهم بالحقّ إن قال قائلٌ ... وحلْمهمُ عَوْد وحُكمهمُ عدل[4]
ومنّا أمير المسلمين حياتَه ... ومن غسّلته من جَنابته الرُّسل[5]

قال ابن هشام: وقوله: «وألبسناه اسماً» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

قومي أولئك إنْ تسألي ... كرام إذا الضيف يوماً ألم

---

(١) القَفْل: الرجوع.
(٢) يربون: يصلحون.
(٣) اختبطوا: قصدوا.
(٤) عود: متكرّر.
(٥) أمير المسلمين: هو سعد بن مُعاذ فإنّ الأنصار تزعم أنّ الرسول قال للمسلمين جميعاً مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيّدكم. أما من غسّلته الملائكة. هو حنظلة المدعو غسيل الملائكة وهو أنصاريّ.

عــظامُ الــقُـدور لأيـســارهــم — يـكبــون فـيهــا الـمُسِنّ السَّـنِـم[١]
يـؤاســون جـارَهـم فــي الـغِـنـى — ويــحْــمــون مــولاهــم إنْ ظُـلـم
فــكــانــوا مـلوكــاً بــأرضـيـهــمُ — يُـنــادون عــضْـبــاً بــأمــر غُـشُـم
ملوكــاً على الـنــاس، لم يُـملكــوا — من الــدهــر يــومــاً كحِــلّ الـقَسَم[٢]
فــأنــبُــوا بـعــادٍ وأشــيــاعِــهــم — ثــمــودَ وبــعـض بــقــايــا إرَم[٣]
بيثـرِبَ قــد شيّــدوا في النَّخيــل — حُـصــونــاً ودُجِّن فـيهــا الـنعـم[٤]
نــواضــحَ قــد عـلّمتهــا الـيهــو — دُ: عَــلْ ـ إلــيــك وقَــوْلاً هَــلُـم[٥]
فيمــا اشتَهْوا من عـصيــرِ الـقِـطا — ف والعيشِ رخــواً عــلى غيــرهــم
فــسِــرْنــا إلـيــهــم بــأثــقــالـنــا — على كــلّ فَحْــل هِـجــانٍ قــطِم[٦]
جَـنَبْنــا بـهــنّ جيــاد الــخُيــو — ل قــد جَـلّلوهــا جِـلالِ الأَدَم[٧]
فـلمــا أنــاخُــوا بـجـنْـبيْ صِــرار — وشــدُّوا الـسُّــرُوج بـلَيّ الــحُـزُم
فمــا راعهم غيــرُ مـعْـجِ الخيــو — ل والــزَّحفُ من خلفهم قـد دَهِم[٨]
فــطاروا سِــراعــاً وقــد أفــزِعــوا — وجئـنــا إلـيــهــم كــأسْــد الأجُــم
عـلى كــل سَلْهبــة في الـصَّبــا — ن لا يَـشْتـكيـن نـحــولَ الـسّــأم[٩]
وكّــل كُــمَــيْــتٍ مُــطار الــفــؤآد — أمينِ الفصُــوص كمثــل الــزُّلـم[١٠]
عــليـهــا فــوارسُ قــد عُــوّدوا — قِــراعَ الكُمــاة وضــرْبَ البُهــم[١١]

---

(١) الأيسار: من يدخلون في الميسر. السنم: عظيم السنام.
(٢) حلّ القسم: يُراد بها المدّة القصيرة.
(٣) أنبوا: أنبئوا.
(٤) دجن: اتخذت في البيوت.
(٥) النواضح: الإبل التي يُسقى عليها الماء. عل: كلمة تزجر بها الإبل.
(٦) الهجان: الأبيض. قطم: المشتهي الضراب.
(٧) جَنَبْنا: قدنا إلى جنبنا. جللوها: غطوها. الأدم: الجلد.
(٨) معج: سرعة.
(٩) السلهبة: الفرس السريعة.
(١٠) مطار: ذكي. أمين الفصوص: ماقوي من العظام. الزلم: القدح.
(١١) البهم: الأبطال الشجعان.

ملوك إذا غَشَمُوا في البلاد ... لَا يَنْكُلون ولكن قُدُم[1]
فأَبْنا بساداتهم والنساء ... وأولادُهم فيهمُ تُقْتَسم
ورِثنا مساكنهم بعدَهم ... وكنّا ملوكاً بها لم نَرِمْ
فلما أتانا الرسولُ الرشيـ ... ـد بالحقّ والنور بعد الظلم
قلنا صدقتَ رسولَ المليك ... هلمَّ إلينا وفينا أقِم
فنشهدَ أنّك عبدُ الألـ ... ـه أُرسِلت نوراً بدين قِيَم
فأنا وأولادُنا جُنَّةٌ ... نَقِيك وفي مالنا فاحْتكِم
فنحن أولئك إن كذبوك ... فنادِ نداءً ولا تَحْتَشم
وناد بما كنتَ أخفيتَه ... نداءً جِهاراً ولا تكتم
فصار الغُواةُ بأسيافهم ... إليه يظنّون أن يُخْتَرَم[2]
فقُمنا إليهم بأسيافنا ... نجالدُ عنه بُغَاةَ الأمَم
بكلّ صقيل له مَيْعةٌ ... رقيقِ الذّباب عضوضٍ خَذِم[3]
إذا ما يصادِفُ صُمّ العظا ... م لم ينْبُ عنها ولم ينْثَلم
فذلك ما ورَّثتنا القُرو ... م مجْداً تليداً وعِزّاً أَشَمّ[4]
إذا مرّ نسْلٌ كفَى نَسلُه ... وغادر نسلا إذا ما انفصم[5]
فما إنْ من الناس إلّا لنا ... عليه وإن خاس فضلُ النّعم[6]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريّ بيته:

فكانوا ملوكا بأرْضِيهم ... يُنادون غُضْباً بأمر غُشُم

وأنشدني:

بيثربَ قد شيّدوا في النَّخيل ... حصوناً ودُجِّن فيها النَّعم

---

(١) غشموا: اشتدّ ظلمهم.
(٢) يخترم: يهلك.
(٣) له مَيْعة أي مصقول يشبه المائعات في بريقه وصفائه. الذباب حدّ السيف خذم: قاطع.
(٤) القروم: السادة. التلبد: القديم. الأشمّ: العالي.
(٥) الفصم: القرض.
(٦) خاس: غدر.

وبيته. . . «وكل كُميت مطار الفؤاد» عنه.

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كلّ وجه.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تُسمّى سنة الوفود.

قال ابن إسحاق: وإنّما كانت العرب تَربّص بالإسلام أمر هذا الحيّ من قريش وأمر رسول الله ﷺ، وذلك أنّ قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتُتحت مكة، ودانت له قريش، ودوّخها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عزّ وجلّ: أفواجاً، يضربون إليه من كلّ وجه، يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللهِ أَفْوَاجاً، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾[1]: أي فاحمد الله على ما أظهر من دِينكَ، واستغفره إنه كان تَوَّاباً.

قدوم وفد بني تميم ونزول الحُجُرات[2]

رجال الوفد: فقدِمت على رسول الله ﷺ وفود العرب، فقدِم عليه

(١) سورة النصر.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١١٥، الطبقات الكبرى ١/١٩٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٥، تاريخ خليفة ٩٣، والكامل في التاريخ ٢/٢٨٧، ونهاية الأرب، ١٨/٣٢، وعيون الأثر ٢/٢٠٣، وسيرة ابن كثير ٤/٧٩، وعيون التواريخ ١/٣٦٥.

عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدَس التميميّ، في أشراف بني تميم، منهم الأقرع بن حابس التميمي والزّبرقان بن بدر التميميّ، أحد بني سعد، وعمرو ابن الأهتم، والحَبْحاب بن يزيد[1].

قال ابن هشام: الحُتات وهو الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاوية ابن أبي سفيان، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين، بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة بن عُبيد الله والزُّبير بن العوّام، وبين أبي ذَرّ الغِفَاريّ والمِقْداد بن عمرو البُهْرانيّ، وبين معاوية بن أبي سفيان والحتات بن يزيد المجاشعيّ فمات الحتات عند معاوية في خلافته، فأخذ معاوية ما ترك وراثة بهذه الأُخُوَّة، فقال الفرزدق لمعاوية:

أبوك وعمّي يا معاوي أورثا تراثاً فيحتاز التراث أقاربه
فما بالُ ميراثِ الحتاتِ أكَلْتَه وميراث حرب جامد لك ذائبه[2]

قال ابن إسحاق: وفي فد بني تميم نُعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم، أخو بني سعد، في وفدٍ عظيم من بني تميم.

قال ابن هشام: وعُطارد بن حاجب، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة ابن زيد بن تميم، والأقرع بن حابس، أحد بني دارم بن مالك، والحُتات بن يزيد، أحد بني دارم بن مالك، والزّبرقان بن بدر، أحد بني بهدلة بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم، وعمرو بن الأهتم، أحد بني مِنْقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم، وقيس بن عاصم، أحد بني مِنْقر بن عُبيد بن الحارث.

قال ابن إسحاق: ومعهم عُيَينة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر الفَزاريّ،

---

(١) أنظر عنه في الاستيعاب ١/٣٩٦، الإصابة ١/٣١١ رقم ١٦١٢، أسد الغابة ١/٣٧٩ وهو بضم الحاء المهملة، وفتح التاء المخفّفة.
(٢) الاستيعاب ١/٣٩٦، أسد الغابة ١/٣٧٩، الإصابة ١/٣١١.

وقد كان الأقرع بن حابس، وعُيَينة بن حصْن شهِدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنيناً والطائف.

أصحاب الحُجُرات: فلما قدِم وفد بني تميم كانا معهم، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجُراته: أنْ اخرُج إلينا يا محمّد، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك. فأذَن لشاعرنا وخطيبنا؛ قال: قد أذِنت لخطيبكم فليقُل.

كلمة عطارد: فقام عُطارد بن حاجب فقال:

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنّ، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عدداً، وأيسره عدّة، فمن مثلنا في الناس وأولي فضلهم؟! فمن فاخر فليعدّد مثل ما عدّدْناه، ولو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنّا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنّا نُعرف بذلك.

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمرٍ أفضل من أمرنا، ثم جلس(1).

ثابت بن قيس يردّ على عُطارد: فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشمّاس، أخي بني الحارث بن الخزرج: «قم، فأجِب الرجلَ في خطبته». فقام ثابت، فقال:

الحمد لله الذي السمٰوات والأرض خلْقه، قضى فيهنّ أمره، ووسِع كرسيُّه علمه، ولم يك شيء قطّ إلاّ من فضله، ثم كان من قدرته أنْ جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حَسَبَاً، فأنزل عليه كتابه وأتمّه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوي

---

(1) تاريخ الطبري ١١٦/٣، الطبقات الكبرى ٢٩٤/١.

رحِمِه، أكرم الناس حَسَباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالاً. ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتْله علينا يسيراً. أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم[1].

الزِّبرقان يفتخر بقومه؛ فقام الزبرقان بن بدر، فقال:

نَحْنُ الكرامُ فلا حَيٌّ يُعادِلُنا ... منّا الملوكُ وفينا تُنْصَب البيَعُ[2]
وكم قَسَرْناه من الأحياء كلّهم ... عند النِّهابِ وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ
ونحن نُطْعم عند القحْط مطعَمنا ... من الشِّواء إذا لم يؤنس القَزَعُ[3]
بما ترى الناس تأتينا سَراتُهُم ... من كلّ أرضٍ هُوياً ثم تَصْطَنِعُ[4]
فننحر الكُوم عَبْطاً في أرُومَتِنا[5] ... للنازلين إذاً ما أنزلوا شبعوا
فلا تَرانا إلى حيّ نُفاخرهمْ ... إلّا استفادُوا وكاد الرأسُ يُقْتَطع
فمن يفاخرنا[6] في ذاك نعرفه ... فيرجع القوم[7] والأخبار تُستمع
إنّا أبيْنا ولا يأبَى لنا أحد ... إنّا كذلك عند الفخر نرتفع[8]

قال ابن هشام: ويُروى:

منّا الملوك وفينا تُقسم الربع[9]

ويُروى:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١١٦، الطبقات الكبرى ١/٢٩٤.
(٢) البِيَع: أماكن العبادة.
(٣) القزع: السحاب ليس فيه مطر.
(٤) هوياً: سراعاً.
(٥) الكوم: النوق عظام الأسنمة. عبطاً: بلا سبب. الأرومة: الكرم.
(٦) في تاريخ الطبري «يقادرنا».
(٧) في تاريخ الطبري «القول».
(٨) الربع والمرباع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.
(٩) الأبيات كلها ما عدا الأخير، في تاريخ الطبري ٣/١١٦، ١١٧، ومنها أربعة أبيات في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٦.

من كلّ أرض هواناً ثم نتبع

رواه لي بعض بني تميم، وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها للزّبرقان.

حسّان يردّ على الزّبرقان: قال ابن إسحاق: وكان حسّان غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ قال حسّان: جاءني رسوله، فأخبرني أنه إنّما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول[1]:

مَنَعنا رسولَ الله إذ حلّ وسْطَنا ... على أنف راض من معد وراغم[2]
منعناه لمّا حلّ بين بُيُوتنا ... بأسيافنا من كلّ باغ[3] وظالم
ببيتٍ حَريدٍ عِزّه وثَراؤه ... بجابيةِ الجَوْلانِ وسْطَ الأعَاجم[4]
هل المجد إلاّ السّؤدُد العَوْد والنّدَى[5] ... وجاهُ الملوك واحتمالُ العظائم[6]

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ، وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرّضت في قوله، وقلت على نحو ما قال. قال: فلما فرغ الزّبرقان، قال رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت: «قُم يا حسّان، فأجِب الرجلَ فيما قال». فقام حسّان، فقال:

إنّ الذّوائبَ[7] من فِهرٍ وإخْوتهم ... قد بيّنوا سُنّة للناس تُتَّبعُ
يرضى بهم كلُّ من كانت سريرتُه ... تقوى الإله وكلُّ الخير يُصْطنع
قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوَّهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سَجِيّةٌ[8] تلك منهم غير مُحدَثَةٍ ... إنّ الخلائق فاعلم شَرُّها البِدَع

---

(١) الأبيات في الديوان ـ ص ٢٤٦.
(٢) في تاريخ الطبري «على كل باغ من معدٍّ وراغم».
(٣) في تاريخ الطبري «عاد».
(٤) الحريد: الفريد في العزّ. الجَوْلان: بلد بسوريا والمراد أنّ عزّهم قديم متّصل بحضارة الغساسنة في الشام.
(٥) السودد: المجد. والعَود: المتكرّر.
(٦) الديوان، تاريخ الطبري ١١٧/٣.
(٧) الذوائب: السادة الأشراف.
(٨) السجيّة: الطبيعة.

إن كـان في الناس سبّـاقون بعـدهُمُ — فـكـلُّ سبْـقٍ لأدنى سـبقِـهِمْ تَـبَـع
لا يـرقـعُ النَّـاس مـا أوْهَـتْ[1] أكُفُّهمُ — عنـد الدفـاع ولا يُـوهُـون مـا رقعـوا
إنْ سـابَقُوا النَّـاس يومـاً فـاز سَبْقُهمُ — أو وازنوا أهلَ مجدٍ بالنَّـدى مَتَعُوا[2]
أعِفَّـةٌ ذُكِـرت في الـوحي عِفَّتُهـمْ — لا يَـطبعـونَ ولا يُـرْدِيهمُ طمـع[3]
لا يَبْخَـلُون على جـارٍ بـفـضـلهـمُ — ولا يَمَسُّهم مـن مَـطْمَـع طَبَـع[4]
إذا نَـصَبْنَـا لحيٍّ لم نَـدِبّ لـهم — كمـا يدِبُّ إلى الـوحْشِيَّـة الـذّرع[5]
نَسْمـو إذا الحـربُ نـالَتْنا مخـالبُهـا — إذا الزَّعانِفُ من أظْفـارها خَشَعـوا[6]
لا يفخـرون إذا نـالـوا عـدوّهم — وإن أصيبـوا فـلا خُـورٌ ولا هُلع[7]
كـأنّهم في الـوَغَى والمـوتُ مُكْتَنِعٌ — أُسـدٌ بحَلْيـة في أرسـاغهـا فَـدَع[8]
خـذْ منهم مـا أتى عَفْـواً إذا غَضِبـوا — ولا يكن همَّـك الأمـرُ الـذي منعـوا
فإنّ في حربهم - فـاترُك عَـدَاوَتَهمْ - — شـرّاً يُخـاضُ عليـه السَّمُّ والسَّلَع[10]
أكـرِمْ بقـومٍ رسـول الله شِيعَتـهم — إذا تـفـاوتت[11]الأهـواء والـشِيَـع
أهـدَى لهم مِـدْحـتي قـلبٌ يُؤازِرُهُ — فيمـا أحَبَّ لسـانٌ حـائـكٌ صنـع
فـإنّـهـم أفـضـلُ الأحـيـاء كـلّهـمُ — إن جَدّ بالناس جِدُّ القوْلِ أو شَمَعوا[12]

---

(١) أوهت: هدمت.
(٢) متعوا: زادوا وارتفعوا.
(٣) لا يطبعون: لا يتدنّسون.
(٤) طبع: دنس.
(٥) نصبنا: أظهرنا العداوة. الذرع: ولد بقرة الوحش.
(٦) نسمو: ننهض. الزعانف: يريد بها: أطراف الناس. خشعوا: تذللوا.
(٧) في تاريخ الطبري «لا فخر إن هم أصابوا من عدوّهم».
(٨) الخور: الضعفاء.
(٩) مكتنع: قريب. حلية: مكان باليمن كانت تكثر فيه الأسود. الأرساغ جمع رسغ: مفصل ما بين الساق والقدم. فدع: اعوجاج.
(١٠) السلع: نبات سام.
(١١) في تاريخ الطبري «تفرّقت».
(١٢) شمعوا: هزلوا: والأبيات في الديوان، وتاريخ الطبري (١١٨/٣، ١١٩ ومنها أربعة أبيات في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٧.

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد:

يرضى بها كلّ من كانت سريرتُهُ ... تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

شعر آخر للزّبرقان بن بدر: وقال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم بالشِعر من بني تميم: أنّ الزّبرقان بن بدر لما قدِم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم قام فقال:

أتيناك كيما يعلم النّاسُ فضْلَنا ... إذا احتفلوا عند احتضار المواسم

بأنّا فُروع الناس في كلّ موطن ... وأنْ ليس في أرض الحجاز كدارم

وأنّا نَذُود المعلّمين إذا آنْتَخوا ... ونضرب رأسَ الأصْيد المتفاقم[1]

وأنّ لنا المِرباعُ في كلّ غارةٍ ... نُغير بنجدٍ أو بأرض الأعاجم

شِعر آخر لحسّان في الردّ على الزّبرقان: فقام حسّان بن ثابت فأجابه، فقال:

هل المجد إلاّ السُّؤدُد العَوْد والنَّدى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائم

نصْرنا وآوينا النبيّ محمداً ... على أنْف راضٍ من مَعَدٍّ وراغم

بحيّ حَرِيدٍ أصلُهُ وثَراؤُه ... بجابية الجَوْلان وسْط الأعاجم

نصرناه لمّا حلّ وسْط ديارنا ... بأسيافنا من كلّ باغٍ وظالم[2]

جعلنا بَنِينَا دونه وبناتنا ... وطِبْنا له نفساً بفَيْء المغانم

ونحن ضربنا الناسَ حتى تتابعوا ... على دينه بالمُرْهِفات الصَّوارم

ونحن ولدنا من قريش عظيمَها ... ولَدْنا نَبيَّ الخير من آلِ هاشم[3]

بني دارم لا تفخَروا إنّ فخركم ... يعودُ وبالاً عند ذِكر المكارم

هبلتُمْ علينا تَفخَرون وأنتم ... لنا خَوْلٌ ما بين ظِئْرٍ وخادم؟[4]

---

(١) المعلّمون: الشجعان الذين يضعون عليهم علامة يُعرفون بها. الأصيد: المتكبّر. المتفاقم: المتعاظم.

(٢) انظر شرح الأبيات السابقة.

(٣) ذلك أنّ امّ عبد المطّلب. من أهل يثرب.

(٤) هبلتم: ثكلتم. الخَوَل: العبيد والخدم. الظئر: المُرْضعة غير ولدها.

فـإن كنتم جئتـم لحقْن دمـائكـم وأمـوالكم أن تُقسَمـوا في المقـاسم
فـلا تـجـعـلوا لله نـدّاً وأسْـلِمـوا ولا تلبســوا زيَّـاً كـزِيِّ الأعــاجم

إسلام الوفد: قال ابن أسحاق: فلما فرغ حسّان بن ثابت من قوله، قال الأقـرع بن حابس: وأبي، إنّ هـذا الرجـل لمُؤْتّى له[1]، لخـطيبُه أخْـطَبُ من خطيبنا، ولَشاعرُه أشْعَر من شاعرنا، ولأَصواتُهم أحلى من أصواتنا. فلما فـرِغ القوم أسلموا، وجوّزهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوائزهم[2].

شعر ابن الأهتم في هجاء قيس: وكان عمرو بن الأهتم قـد خلفه القـوم في ظهرهم[3]، وكان أصغرهم سنّاً، فقال قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو ابن الأهتم: يا رسول الله، إنه قد كان رجل منّا في رجالنا، وهو غـلام حَدَث، وأُزْرِي به، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعـطى القوم، فقـال عمرو بن الأهتم حين بلغه أنّ قيساً قال ذلك يهجوه:

ظَلِلْتُ مفتـرِشَ الهَلْبـاء[4] تَشتِمُـني عند الرسـول فلم تَصدُقْ ولم تُصِبِ
سُـدْنـاكم سُــودَداً رَهْـواً وسُــودَدُكم بـادٍ نـواجـذَه مُقْـعٍ على الــذَّنَب[5]

قال ابن هشام: بقي بيت واحد تركناه، لأنه أقذع فيه[6].

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[7].

---

(١) مُؤَتّى له: أي موفَّق.
(٢) تاريخ الطبري ٣/١١٩.
(٣) ظهرهم: إبلهم.
(٤) الهلباء في الأصل: شعر الذنب ويريد به هنا مؤخرته.
(٥) رهْوا: متّسعاً. النواجذ: الأسنان. مُقْع: جالس على الذَّنَب: يريد به هنا مؤخّرته.
(٦) في تاريخ الطبري ٣/١١٩ بيت ثالث:
إنْ تُـبْـغِـضُـونـا فـإنّ الـروم أصلكُـم والـروم لا تـملك البـغـضـاءَ لـلعـرب
(٧) سورة الحجرات ـ الآية ٤.

قصة عامر بن الطفيل وأَرْبَد بن قيس في الوفادة عن بني عامر

رؤساء الوفد: وقدِم على رسول الله ﷺ وفد بني عـامر، فيهم عـامر بن الـطُّفَيل، وأربـد بن قيس بن جزء بن خـالـد بن جعفـر، وجبـار بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم.

عامر يـدبّر الغـدر بالـرسول: فقـدِم عامـر بن الـطُّفيـل عدوّ الله، على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عـامر، إنّ النـاس قد أسلموا فأسلم قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقِب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد: إذ قدِمنـا على الرجـل، فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلـك فاعْلُهُ بـالسيف؛ فلما قـدِموا على رسـول الله ﷺ، قال عـامر بن الـطُّفيل: يـا محمد، خـالّني[1]، قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده». قال: يا محمد خالّني. وجعل يكلّمه وينتـظر من أربد ما كان أمـره به، فجعـل أربد لا يُحِيـر شيئاً؛ قـال: فلما رأى عـامر مـا يصنع أربد، قال: يا محمد خالّني قال: «لا، حتّى تؤمن بالله وحده لا شريك لـه». فلما أبى رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنّها عليك خيلاً ورجـالاً؛ فلما ولّى قـال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ اكفني عـامر بن الـطُّفَيل». فلمـا خرجـوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامر لأربد: ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجـل هو أخـوف عندي على نفسي منـك. وأَيْمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا أبالك؛ لا تَعْجل عليّ، والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلّا دخلتَ بيني وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك،أفأضربك بالسيف؟

موت عامر بدعاء الرسـول عليه: وخـرجوا راجعينَ إلى بـلادهم، حتى

---

(١) خالّني: أي اتّخذني خليلاً.

إذا كـانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطُّفيل الطاعـون في عُنُقه، فقتله الله في بيت امـرأة من بني سلول، فجعل يقـول: يـا بني عـامـر، أغُـدّة كغُدّة البَكْر[1] في بيت امرأةٍ من بني سلول[2]؟!.

قال ابن هشام: ويقال أغُدّة كغُدّة الإبل، وموتاً في بيت سَلُوليّة.

موت أربد بصاعقة: قال ابن إسحاق: ثم خـرج أصحابـه حين واروه، حين قدِموا أرض بني عامر شاتين، فلما قدِموا أتاهم قومهم فقالوا: مـا وراءك يـا أربد؟ قـال: لا شيء والله، لقد دعـانا إلى عبـادة شيء لودِدْت أنـه عنـدي الآن، فأرميه بالنّبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معـه جمل لـه يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جَمَله صاعقة، فأحرقهما. وكان أربد بن قيس أخا لَبيد بن ربيعة لأمّه.

ما نزل في عامر وأربد: قال ابن هشام: وذكر ريد بن أسلم، عن عطاء ابن يسـار، عن ابن عباس قـال: وأنزل الله عـزّ وجلّ في عـامـر وأربـد: ﴿الله يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَـزْدَادُ﴾[3] إلى قولـه: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[4].

قـال: المعقِّبات: هي من أمـر الله يحفظون محمـداً، ثم ذكر أربـد وما قتله الله بـه، فقال: ﴿وَيُـرْسِلُ ٱلصَّـوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَـاءُ﴾ إلى قـولـه: ﴿شَدِيدُ ٱلْمُحَالِ﴾[5].

شعر لَبيد في بكاء أربد: قال ابن إسحاق: فقال لَبيد يبكي أربد:

مـا إن تُعـدِّي المَنـونُ من أحـدِ ... لا والـدٍ مُـشْـفِـقٍ ولا ولـدِ

---

(١) الغدة: مرض يصيب الإبل تموت منه. البكر: الفتى من الإبل.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٥/٤٠) باب غـزوة الرجيـع ورعل وذكـوان وبئر معـونة وحديث عضل والقارة.. الخ.
(٣) سورة الرعد ـ الآية ٨.
(٤) سورة الرعد ـ آخر الآية ١١.
(٥) سورة الرعد ـ من الآية ١٣.

أخشى علـى أرْبَـدَ الحُـتـوفَ ولا أرهـبُ نَـوْءَ السِّـمـاكِ والأسـدِ
فـعـيـنُ هـلّا بَكَـيـتِ أرْبَـدَ إذْ قُمنـا وقـام النّسـاء في كَبَـد[1]
إن يَـشْغَبـوا لا يُـبـالِ شغْبُـهـمُ أو يقصِـدوا في الحُكُـوم يَقْـتصِـد
حُـلْوٌ أريـبٌ وفـي حـلاوتـه مُـرٌّ لـطيـفُ الأحـشـاء والـكـبِـد
وعـيـن هـلا بـكـيـت أربـد إذ ألـوت ريـاح الشتـاء بـالـعضـد
وأصـبـحـتْ لاقِـحـاً مُـرَّمـةً حتّـى تـجـلّتْ غـوابـرُ المُـدَد[2]
أشـجـعُ مـن لـيـثِ غـابـةٍ لَحِـم ذو نَـهْمـةٍ في العُـلا ومُـنْـتَـقَـد[3]
لا تـبـلُغُ الـعيـنُ كُـلَّ نَـهْـمتـهـا ليلةَ تُـمْسـي الجيـادُ كـالقِـدَاد[4]
البـاعـثُ الـنَّـوْحَ في مـآتِـمـهِ مثـلَ الـظِّبـاء الأبكـارِ بـالجـرَدِ[5]
فجَّعني الـبـرقُ والصَّـواعـقُ بـالـ ـفـارس يـوم الكـريهـة الـنَّجُـد
والحـارِبِ الجـابـرِ الحـريبَ إذا جـاءَ نَـكيـبـاً وإن يَـعُـد يَـعُـد[6]
يعفـو على الجَهْـدِ والسؤالِ كمـا يُنبتُ غيثُ الـربيـع ذو الـرَّصَـد[7]
كـلّ بـنـي حُـرَّةٍ مـصـيـرُهُـمُ قُـلٌّ وإن أكـثـرَتْ مـن الـعـددِ
إن يُـغْبَـطُوا يُـهْـبَـطُوا وإن أُمِرُوا يـومـاً فـهـم لـلـهـلاك والـنَّـفَـد

قال ابن هشام: بيته: «والحارب الجابر الحريب» عن أبي عُبيدة، وبيته: «يعفو على الجهد»: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لَبِيد أيضاً يبكي أربد:

ألا ذهـب المُـحـافِظُ والمُـحـامي ومـانـعُ ضَيْمِها يـومَ الخِصـامِ
وأيـقـنـتُ الـتـفـرُّقَ يـومَ قـالـوا تُقُسِّـم مـالُ أرْبَـدَ بـالسـهـام

(١) الكَبَد: المشقّة.
(٢) مصرّمة: لا لبن فيها. الغوابر: البقايا.
(٣) لحم: كثير أكل اللحم. منتقد: يصير بالأمور.
(٤) القِدَد: السيور تصنع من الجلد.
(٥) النَّوْح: جماعة النساء النائحة. الجرد: الأراضي القاحلة.
(٦) الحارب: السالب. والنكيب: المصاب.
(٧) يعفو: يعطي. الرصد: الكلأ القليل.

تُـطيرُ عـدائـدَ الأشـراك شَفْعـاً ... ووِتْـراً والـزّعـامـة لـلغُـلام(١)
فـودِّع بـالـسّـلام أبـا حُـرَيـزٍ ... وقـلْ وداعُ أرْبَـدَ بـالـسـلام
وكـنـتَ إمـامَـنـا ولـنـا نِـظامـاً ... وكـان الجَـزْعُ يُحْفظُ بـالـنّـظام(٢)
وأربـدُ فـارس الهَيْجـا إذا مـا ... تقعَّـرت الـمشـاجـرُ بـالـفِئـام(٣)
إذا بَـكَـر الـنّـسـاء مُـرَدَّفـاتٍ ... حـواسِـرَ لا يُجِئْنَ على الخِـدام(٤)
فـواءَلَ يـومَ ذلـك مَـن أتـاه ... كمـا وأَلَ المُحِـلُّ إلى الـحـرام(٥)
ويَحمـدُ قِـدْرَ أرْبَـدَ مَن عَـرَاهـا ... إذا مـا ذُمَّ أربـابُ الـلِّحـام
وجـارتُـهُ إذا حَـلَّتْ لَـدَيْـه ... لـهـا نَـفَـلٌ وحظٌ مِـن سَـنـام
فـإن تقعُـدْ فـمكْـرُمـةٌ حَـصـانٌ ... وإن تَـظْعَـنْ فمُحْسِنـةُ الكـلام
وهـل حُـدِّثْتَ عن أَخَـوَيْـن دامـا ... علـى الأيـام إلاّ ابـنـي شَمـام(٦)
وإلاّ الـفـرقَـدَيـن وآلَ نـعْشٍ ... خـوالـدَ مـا تُحَـدَّثُ بـانْهِـدام(٧)

قال ابن هشام: وهي في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال لَبيد أيضاً يبكي أربد:

انْـعَ الـكـريـمَ لـلكـريـم أربـداً ... إنْـعَ الـرئيسَ والـلَّطيـف كَبِـدا
يُحْـذِي ويُعْـطي مـالـه ليُحمـدا ... أدْمـاً يُـشبَّـهْنَ صُـواراً أبَّـدا(٨)
السـابِـلَ الفضـلِ إذا مـا عُـدِّدا ... ويـمـلأ الجـفـنـةَ مَلْئـاً مَـددا(٩)

---

(١) العدائد: الأنصباء. الأشراك: الشركاء.
(٢) الجزع: الخرز اليماني.
(٣) المشاجر: نوع من الهودج. الفئام: ما يفرش في الهودج.
(٤) يجئن: يعطين. الخدام مفردها خدمة، الساق.
(٥) وأل: ألجأ.
(٦) ابنا شمام: جبلان.
(٧) الفرقدان: نجمان نيران. وآل نعش يقصد بنات نعشى الكبرى والصغرى: مجموعات من النجوم.
(٨) يحذى: يعطى. الأدم: الإبل البيض. الصور: القطيع من بقر الوحش. أبّدا: نافرة.
(٩) الجفنة: وعاء يصنع من خشب الأبنوس.

رِفْــهَــاً إذا يــأتــي ضَــرِيــكٌ وَرَدا   مــثــلُ الــذي يَــقْــرُو جُــمُــدا[1]
يــزدادُ قُــربــاً منهــمُ أنْ يُــوعَــدا   أورثْــتَــنــا تُــراثَ غــيــرِ أنــكَــدا
غِــيَّــاً ومــالاً طــارِفــاً ووَلَــدا   شَــمْرَخــاً صُقــوراً يــافعــاً وأمــردا[2]

وقال لَبِيد أيضاً:

لــن تُــفــنــيــا خَــيــراتِ أر   بَــد فــابْــكــيــا حــتَّــى يــعــودا
قــولا هُــو الــبــطل الــمُــحــا   مي حــيــن يُكْــسَــون الــحــديــدا
ويــصُــدُّ عــنّــا الــظّــالــمــيــ   ــن إذا لَــقِــيــنــا الــقــومَ صِــيــدا[3]
فــاعــتــاقَــه ربّ الــبــريّـ   ـة إذ رأى أن لا خــلــودا[4]
فــثَــوى ولــم يُــوجَــع ولــم   يُــوصَــب وكــان هــو الــفــقــيــدا

وقال لَبِيد أيضاً:

يــذكّــرني بــأرْبــدَ كــلُّ خصْم   ألــدَّ تُــخــالُ خُــطَّــتــه ضِــرارا[5]
إذا اقــتصــدوا فــمقْــتصــد كــريــمٌ   وإن جــارُوا ســواءَ الــحــقّ جــارا
ويــهــدي القــومَ مــطَّلِعــاً إذا مــا   دليــلُ القــوم بــالمَــوْمــاة حــارا[6]

قال ابن هشام: آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لَبِيد أيضاً:

أصبحتُ أمْشي بعد سلمى بن مالكٍ   وبعــد أبي قَيس وعُــروة كــالاَجَبّ[7]
إذا مــا رأى ظِــلَّ الغُــراب أضجّــه   حِذاراً على باقي السّناسن والعَصَبْ[8]

قال ابن هشام: وهذان البيتان في أبيات له.

---

(١) رفها: متكرراً. الضريك: الفقير. الغيل: أكمة الأسد. يقرو: يتتبع. جمد: اسم جبل.
(٢) شرخاً: شباباً. اليافع: الغلام قارب البلوغ. والأمرد: الذي لما تنبت لحيته.
(٣) الصيد: المتكبرون.
(٤) اعتاقه: أعاقه عن أن يبلغ غايته.
(٥) ألد: قوى الخصومة.
(٦) الموماة: الصحراء.
(٧) الأجب: مقطوع السنام.
(٨) أضجه: صاح عليه. السناسن: فقار الظهر.

قدوم ضِمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق: وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، يقال له ضِمام بن ثعلبة.

إسلامه: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن الوليد بن نُوَيفع، عن كُرَيب، مولى عبد الله بن عباس، عن ابن عباس، قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضِمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدِم عليه، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه؛ وكان ضِمام رجلاً جلْداً أشعر ذا غديرتين(١)، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطّلب؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب». قال: أمحمد؛ قال: نعم؛ قال: يابن عبد المطّلب، إنّي سائلك ومُغَلِّظُ عليك في المسئلة، فلا تجدنّ في نفسك، قال: «لا أجد في نفسي، فسَل عمّا بدا لك»، قال: أنشدك الله إلٰهك وإلٰه مَن كان قبلك، وإلٰه من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه» قال: «اللّهم نعم»، قال: فأنشدك الله إلٰهك وإلٰه مَن كان قبلك، وإلٰه من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن نصلّي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللّهم نعم»، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة. الزكاة والصيام والحجّ وشرائع الإسلام كلّها، ينشده عند كل فريضة منها، كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنّي أشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله؛ وسأؤدّي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيره راجعاً. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنْ صدق ذو العَقيصتين دخل الجنة».

دعوة قومه للإسلام: قال: فأتى بعيره فأطلقَ عقاله، ثم خرج حتى قدِم

---

(١) غديرتين: ذُؤَآبتين من شَعْر.

على قومه، فاجتمعوا إليه. فكان أول ما تكلّم به أن قال: بئست اللّات والعُزّى! قالوا: مَه يا ضِمام اتّق البَرَص، اتّق الجُنون! قال: ويلكم! إنّهما والله لا يضرّان ولا ينفعان، إنّ الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، وما نهاكم عنه. قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلّا مسلماً.

قال: يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافدٍ قدِم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة[1].

قدوم الجارود[2] في وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس.

قال ابن هشام: الجارود بن بشْر بن المُعَلّى في وفد عبد القيس وكان نصرانياً.

إسلامه: قال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتّهم، عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلّمه: فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه، ورغّبه فيه، فقال: يا محمد، إنّي قد كنت على دِين، وإنّي تاركٌ ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه». قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ

---

(١) قصّة ضِمام في الصحيحين من حديث أنس. أخرجه البخاري في كتاب العلم (١/٢٣) باب القراءة والعرض على المحدّث. ومسلم في كتاب الإيمان (١٧/٢٣) باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين.. وانظر طبقات ابن سعد ١/٢٩٩، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٠.

(٢) أنظر عنه في أسد الغابة ١/٢٦٠، ٢٦١، والاستيعاب ١/٢٤٧ ـ ٢٤٩، والإصابة ١/٢١٦، ٢١٧، رقم ١٤٠٢.

الحملان، فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه». قال: يا رسـول الله، فإنّ بيننا وبين ضَوالٍّ من ضَوالّ الناس؛ أَفَنَتَبَلّغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا، إيّاك وإيّاها، فإنّما تلك حَرَق النار».

موقفه من ردّة قومه: فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قـومه، وكـان حَسَن الإسلام، صلْباً على دينـه، حتى هلك وقد أدرك الـردّة، فلما رجـع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغَرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر[1]، قام الجارود فتكلّم، فتشهد شهادة الحقّ، ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس، إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسـوله، وأكفِّـر[2] من لم يشهد[3].

قال ابن هشام: ويُروى: وأكفي من لم يشهد.

إسـلام المنذر بن سـاوي: قال ابن إسحـاق: وقد كـان رسـول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرميّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبدي، فأسلم فحسُن إسلامه، ثم هلك بعـد رسول الله ﷺ قبـل ردّة أهل البحـرين، والعلاء عنده أميراً لرسول الله ﷺ على البحرين[4].

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مُسَيلمة الكذّاب

وقـدِم على رسـول الله ﷺ وفـد بني حنيفـة، وفيهم مُسَيلمــة بن حبيب الحنفي الكذّاب.

قال ابن هشام: مُسيلمة بن ثُمامة، ويُكَنّى أبا ثُمامة.

قال ابن إسحاق: فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار،

---

(١) أسمه المنذر: وسُمّي الغرور لأنه غرّ قومه يوم حرب الرّدة (الروض الأنف).

(٢) في تاريخ الطبري ١٣٧/٣ «وأنهى».

(٣) تاريخ الطبري ١٣٦/٣، ١٣٧، تـاريخ الإسـلام (المغازي) ٦٨٢، وانـظر طبقات ابن سعـد ٣١٤/١، ٣١٥.

(٤) تاريخ الطبري ١٣٧/٣.

ثم من بني النجّار، فحدثني بعض علمائنا من المدينة: أنّ بني حنيفـة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه. معه عَسِيب من سَعَف النّخْل، في رأسه خُـوصات؛ فلمـا انتهى إلى رسول الله ﷺ، وهم يستـرونه بـالثياب، كلّمـه وسألـه، فقال لـه رسول الله ﷺ: «لـو سـألتني هـذا العَسِيب ما أعطيتُكَه»[1].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني شيـخ من بني حنيفة من أهـل اليمامـة أنّ حديثه كان على غير هذا، زعم أنّ وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وخلّفوا مُسَيلمة في رِحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالـوا: يا رسـول الله إنّا قـد خلّفنا صاحباً لنا في رِحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: «أما إنه ليس بشرِّكم مكاناً»[2]؛ أي لحِفْظه ضَيْعة أصحابه، وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ.

تنبّؤ مُسَيلمة: قال؛ ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ: وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتـدّ عدوّ الله وتنبّـأ وتكذّب لهم، وقـال: إنّي أُشْرِكت في الأمر معه. وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتموني لـه: أما إنّه ليس بشرّكم مكاناً، ما ذاك إلّا لِمـا كان يعلم أنّي قـد أشركت في الأمـر معـه، ثم جعل يسجـع لهم الأسـاجيـع، ويقـول لهم فيمـا يقـول مضـاهـاة[3] للقـرآن: «لقـد أنعم الله على الحُبْلَى، أخـرج منهـا نَسْمــة تسعى، من بين صِفاق[4] وحَشَى». وأحلّ لهم الخمر والزّنـا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مـع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبيّ، فـأصفقت[5] معه حنيفـة على ذلك، فـالله أعلم أيّ ذلك كان[6].

---

(١) تاريخ الطبري ١٣٧/٣ وفيه «لو سألتني هذا العَسِيب الذي في يدي ما أعطيتك».
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣١٧/١.
(٣) مضاهاة: مشابهة.
(٤) الصفاق ما رقّ من البطن.
(٥) أصفقت: اجتمعت.
(٦) تاريخ الطبري ١٣٧/٣، ١٣٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٢، ٦٨٣، وانـظر طبقات ابن =

قدوم زيد الخيل في وفد طيّء

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيّء، فيهم زيد الخيل، وهو سيّدهم، فلما انتهوا إليه كلّموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام، فأسلموا، فحسُن إسلامهم، وقال رسول الله ﷺ، كما حدّثني من لا أتّهم من رجال طيّء: ما ذكر لي رجل من العرب، بفضل، ثم جاءني، إلّا رأيته دون ما يقال فيه، إلّا زيد الخيل: فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه، ثم سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقطع له فَيْداً وأرَضِين معه؛ وكتب له بذلك. فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه: فقال رسول الله ﷺ: «إن يَنْج زيد من حُمَّى المدينة» فإنه قال: قد سمّاها رسول الله ﷺ باسم غير الحُمَّى، وغير أم مَلْدَم[1] فلم يُثبته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له فَرْدَة، أصابته الحُمَّى بها فمات، ولما أُحسّ زيد بالموت قال:

أَمُـرْتَحِل قومي المَشارقَ غُـدْوةً ... وأُتـرَكُ في بيتٍ بفَـرْدة مُنْجِدِ

ألا رُبَّ يومٍ لو مرِضْتُ لَعَادني ... عوائـدُ من لم يُبْـرَ منهنّ يَجْهَدِ

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه، التي قطع له رسول الله ﷺ، فحرَّقتها بالنار[2].

قدوم عديّ بن حاتم

وأما عديّ بن حاتم فكان يقول، فيما بلغني: ما من رجل من العرب

= سعد ٣١٦/١، ٣١٧.

(١) والاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحُمَّى، وهو أمّ كَلَبة، قاله أبو عُبيدة في مقاتل الفرسان، ولم أره، ولكن رأيت البَكْريّ ذكره في باب أفرده من أسماء البلاد، ولها أيضاً اسم سوى هذه الأسماء ذكره ابن دُرَيد في الجمهرة، قال: سَبَاط، من أسماء الحُمّى على وزن رَقاش، وأما أم مَلْدَم، فيقال بالدال، وبالذال وبكسر الميم وفتحها، وهو من اللدْم وهو شدّة الضرب، ويحتمل أن يكون أم كلبة هذا الاسم مغيّراً من كُلبة بضمّ الكاف، والكُلبة شدّة الرّعْدة، وكلب البرد شدائده، (أنظر الروض ٢٢٧/٤٥).

(٢) تاريخ الطبري ١٤٥/٣، ١٤٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٦، ٦٨٧، وانظر الطبقات لابن سعد ٣٢١/١.

كان أشدّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منّي، أمّا أنا فكنت امرءاً شريفاً وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع[1]، فكنت في نفسي على دين وكنت ملكاً في قومي، لما كان يصنع بي. فلمّا سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربيّ، راعياً لإبلي: لا أبا لك، أعدُد لي من إبلي أجمالاً ذُللاً[2] سِماناً، فاحتبسْها قريباً منّي، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذني، ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة، فقال: يا عديّ. ما كنتَ صانعاً إذ غشِيَتْك خيلُ محمد، فاصنعه الآن، فإنّي قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: فقلت: فقرّب إليّ أجمالي، فقرّبها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام؛ فسلكت الجوشية، ويقال: الحوشية - فيما قال ابن هشام - وخلفت بنتاً[3] لحاتم في الحاضر؛ فلما قدِمت الشام أقمت بها.

أَسْر الرسول ابنة حاتم: وتُخالفني خيل لرسول الله ﷺ، فتصيب ابنةَ حاتم، فيمن أصابت، فقُدِم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيّء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، قال: فجُعِلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد، كانت السبايا يُحْبَسْن فيها، فمرّ بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه وكانت امرأة جَزْلةً، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد فامنُن عليّ منَّ الله عليك. قال: «ومن وافدك»؟ قالت: عديّ بن حاتم. قال: «الفارّ من الله ورسوله»؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مرّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست منه، فأشار إليّ رجل من

---

(١) أي أخذ ربع الغنيمة وكذلك كان يفعل الرؤساء في الجاهلية.

(٢) الذلل: السهلة. وهي الجمال السهلة التي قد رُوِّضت.

(٣) يقول السهيلي: اسمها سفانة، لأني وجدت في خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه سخائه قالت: فأخذ حاتم عديّاً يعلّله من الجوع، وأخذت أنا سفانة، ولا يُعرف لعديّ ولد، انقرض عِقبه، ولحاتم عقِب من قِبَل عبد الله بن حاتم، ذكره القُتْبيّ، ولا يُعرف له بنت إلّا سفانة، فهي إذاً هذه المذكورة في السيرة. والله أعلم. (الروض الأنف ٤/٢٢٨).

خلفه أنْ قومي فكلّميه، قالت: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنُن عليّ منّ الله عليك؛ فقال رسول الله ﷺ: «قد فعلت، فلا تَعْجلي بخروجٍ حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتّى يبلّغك إلى بلادك، ثم آذنيني». فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلّمه، فقيل: عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدِم ركب من بَلّي أو قُضاعة، قالت: وإنّما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت: فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدِم رهْطٌ من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدِمت الشام.

قال عديّ: فوالله إنّي لقاعدٌ في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة[1] تصوّب إليّ تؤمُّنا، قال: فقلت: ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلمّا وقفت عليّ انْسَلَحَت[2] تقول: القاطع الظالم، احتملْتَ بأهلك وولدك، وتركت بقيّة والدك عورتك، قال: قلت: أي أُخَيَّة، لا تقولي إلّا خيراً، فوالله مالي من عُذر، لقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها ـ وكانت إمرأة حازمة ـ ماذا تَرين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبيّاً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذلّ في عزّ اليمن، وأنت أنت. قال: قلت: والله إنّ هذا الرأي[3].

قال: فخرجت حتى أُقدِم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلّمت عليه، فقال: «من الرجل»؟ فقلت: عديّ بن حاتم؛ فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقِيَتْه امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها؛

---

(١) الظعينة: المرأة في الهودج.
(٢) انْسَلَحت: أخذت تَلوم.
(٣) في تاريخ الطبري ١١٤/٣ «إن هذا للرأي».

قال: قلت في نفسي: والله ما هـذا بملك؛ قال: ثم مضى بي رسـول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم محشوّة ليفاً، فقذفها إليّ؛ فقال: «اجلس على هذه»، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها. فقال: «بـل أنت،» فجلست عليهـا، وجلس رسول الله ﷺ بـالأرض؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: «إيه يا عديّ بن حـاتم! ألم تك ركـوسيّاً»؟ قـال: قلت بلى، قـال: «أولم تكن تسير في قـومك بـالمِرْبـاع»؟ قال: قلت: بلى، قال: «فإنّ ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك»؛ قـال قلت: أجل والله، وقـال: «وعـرفت أنه نبيّ مُـرْسَل، يَعلم مـا يُجهل»؛ ثم قـال: «لعلَّك يـا عـديّ إنّمـا يمنعك من دخولٍ في هذا الدّين ما ترى من حـاجتهم، فوالله ليـوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ ولعـلّك إنّما يمنعك من دخـولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخـرج من القـادسيـة على بعيـرهـا حتى تـزور هـذا البيت، لا تخـاف؛ ولعلّك إنّمـا يمنعـك من دخولٍ فيـه أنك تـرى أنّ المُلْك والسلطان في غيـرهـم، وايْم الله ليوشكنّ أن تسمع بـالقصور البِيض من أرض بـابل قـد فُتحت عليهم»؛ قال: فأسلمت.

وكان عديّ يقـول: قد مضت اثنتـان وبقيت الثالثـة، والله لتكوننّ، قـد رأيت القصور البِيض من أرض بابـل قد فُتِحت، وقـد رأيت المرأة تخـرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت، وايْم الله لتكون الثالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه(١).

(١) تاريخ الطبري ١١٢/٣ ـ ١١٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٨٧، ٢٨٨
والحديث أخرجه ابن حجر في الإصابة ٤٦٨/٢ رقم ٥٤٧٥، وأخـرج البخاري نحـوه في كتـاب المناقب (١٧٥/٤، ١٧٦) بـاب علامـات النبوّة في الإسـلام، من طريق النضـر، عن أسرائيل، عن سعد الطائي، عن مُحِلّ بن خليفة، عن عديّ بن حاتم.

قدوم فروة بن مُسَيْك المُراديّ

قال ابن إسحاق: وقدِم فروة بن مُسَيْك المُراديّ على رسول الله ﷺ مفارِقاً لملوك كِنْدة، ومُباعداً لهم، إلى رسول الله ﷺ.

وقد كان قُبيل الإسلام بين مراد وهَمْدانْ وقعة؛ أصابت فيها هَمْدان من مُراد ما أرادوا؛ حتى أثخنوهم في يوم كان يقال له: يوم الردْم[1]، فكان الذي قاد هَمْدان إلى مُراد: الأجدع بن مالك في ذلك اليوم.

قال ابن هشام: الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حُريم الهمداني.

قال ابن إسحاق: وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مُسَيك:

مَرَرْنا على لُفَاةَ[2] وهُنَّ خُوصٌ[3] ... ينازعن الأعِنَّة يَنْتَحينا[4]
فإنْ نَغلِبْ فغلّابونَ قِدْماً ... وإن نُغْلَبْ فغيرُ مُغَلَّبينا[5]
وما إن طِبْنا جُبْنٌ ولكن[6] ... مَنَايانا وطُعْمةُ حيناً فحينا
كذاك الدَّهْرُ دولته سِجالٌ ... تَكرُّ صُروفُهُ حيناً فحينا
فبينا ما نُسَرُّ به ونَرْضى[7] ... ولو لُبِسَت غَضَارَتُه[8] سِنِينا

(١) في تاريخ الطبري ٣/١٣٤ و ١٣٥ «الرَّزْم».

(٢) لُفاة: بالضمّ في أوله كما أثبته ياقوت في معجم البلدان ٥/١٩، وأثبته البكري بكسر أوله في معجم ما استعجم ٤/١١٥٩.

(٣) خُوص: غائرات العيون.

(٤) ينتحين: يعترضن ويتعمّدْن.
وهذا البيت لم يرد في المطبوع من تاريخ الطبري، فربّما سقط سهواً.

(٥) المعنى: أن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعوّدنا عليه منذ القدم، أما وقد انهزمنا مرة فلن تتكرّر. وذلك أن همدان ظهرت عليهم في يوم الردم. وفي تاريخ الطبري ٣/١٣٥:
وان تُهزَم فغيرُ مُهَزَّمينا

(٦) في تاريخ الطبري:
وإن نُقتل فلا جُبْنٌ ولكن
وطبنا: شأننا وعادتنا.

(٧) في تاريخ الطبري:
فبيناهُ يُسَرُّبه ويَرضى

(٨) الغضارة: الطراوة.

إذ انـقـلـبـت بـه كـرّاتُ دهْـرٍ   فـألفيتَ آلألَى غُـبِـطوا[1] طَحِينـا
فمن يُغْبَط بـرَيْـب الـدَّهْـر مِنهم   يجِـدْ رَيْبَ الـزَّمـان لـه خَئـونـا
فـلو خَـلَدَ الـمـلوكُ إذن خَـلَدْنـا   ولـو بـقـي الـكـرام إذَن بـقِـيـنـا
فـأفْنى ذلكُمْ سَـرَوات[2] قـومي   كـمـا أفْـنـى الـقـرونَ الأوّلـيـنـا

قال ابن هشام: أول بيت منها، وقوله: «فإن نُغْلَب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ولما توجّه فروة بن مُسَيْك إلى رسول الله ﷺ مفارِقاً لملوك كِنْدة، قال:

لمـا رأيت ملوك كِنْـدَة أعـرَضَـت   كالرِّجْل خان الرِّجْل عِـرْقُ نسائها[3]
قـرَّبْتُ[4] راحلتي أؤُمُّ محمـداً   أرجـو فـواضِلها وحُسْنَ ثـرائها

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة: «أرجو فواضله وحسن ثنائها».

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال له رسول الله ﷺ، فيما بلغني: «يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردْم»؟ قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردْم لا يسوء ذلك! فقال رسول الله ﷺ له: «أما إنّ ذلك لم يزدْ قومك في الإسلام إلاّ خيراً».

واستعمله النبيّ ﷺ على مُراد وزُبَيد ومَذحِج كلّها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى تُوُفّي رسول الله ﷺ[5].

---

(١) غُبِطوا: حسُنت حالتهم.
(٢) سَرَوات: أشراف.
(٣) عِرْق النسا: عرق مستبطن في الفخذ، وهو مقصور، مدّه لضرورة الشعر.
(٤) في تاريخ الطبري «يمّمْت».
(٥) تاريخ الطبري ٣/١٣٤ ـ ١٣٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٩.

قدوم عمر بن مَعَد يكرب في أناسٍ من بني زُبَيْد

وقدِم على رسول الله ﷺ عمرو بن مَعدِ يكرب في أناسٍ من بني زُبيد، فأسلم؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشُوح المراديّ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس إنّك سيّد قومك، وقد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز، يقول إنّه نبيّ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإنْ كان نبيّاً كما يقول، فإنّه لن يخفى عليك، وإذا لقِيناه آتّبعناه، وإن كان غير ذلك علِمنا عِلْمه، فأبى عليه قيس ذلك، وسفّه رأيه، فركب عمرو بن مَعدِ يكرب حتى قدِم على رسول الله ﷺ، فأسلم، وصدّقه، وآمن به.

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عَمْراً، وتحطّم عليه[1]، وقال: خالفني وترك رأيي فقال عمرو بن مَعدِ يكرب في ذلك:

أمرتك يوم ذي صنعا ... ء أمراً بادياً رَشَدُهْ
أمرْتُكَ باتّقاء الله ... والمعروف تتعده[2]
خرجتَ من المنَى مثل الـ ... ـحمير غره وتده[3]
تمنّاني على فرسٍ ... عليه جالساً أسدُه
عليَّ مُفاضةٌ كالنَّهْـ ... ـي أخلصَ ماءَه جَدَدُه[4]
تَرُدُّ الرُّمحَ مَثْنيّ السِّـ ... ـنانِ عوائراً قِصَدُه[5]
فلو لاقيْتني للقيـ ... ـتَ[6] لَيثاً فوقه لِبدُه[7]

---

(١) تحطّم عليه: اشتدّ عليه.
(٢) في تاريخ الطبري «مَا تعده».
(٣) في تاريخ الطبري:
خرجت من المنى مثل الـ ... ـحمار أعاره وَتِدُه
(٤) مُفاضة: أي درع مُفاضة، وهي الواسعة. النَّهْي. غدير الماء. الجَدَد: الأرض الصلبة.
(٥) عوائر: متطايرة. القِصَد: القِطَع المتطايرة من الرمح.
(٦) في تاريخ الطبري «فلو لاقيتني لاقيت».
(٧) اللِبَد: الشعر الذي على أكتاف ورءوس الأسودْ. المفرد: لِبدَة.

تـلاقي شَنْبثاً شَثْنَ الـ ـبـراثِنِ نـاشِـزاً كَتَـدُه[1]
يسـامي القِرْنَ إنْ قِـرْنٌ تـيـمَّـمـهُ فـيـعـتـضِـدُه[2]
فـيـأخـذُه فـيـرفـعُـه فيخـفِـضُـه فـيقـتـصِـدُه[3]
فـيـدْمَغـه فـيـحـطِمُـهُ فـيخْـضِـمـه فـيـزدرِدُه[4]
ظلومُ الشِّـرْك فيمـا أحـ رزَتْ أنـيـابُـهُ ويـدُه[5]

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة:

أمـرتـك يـوم ذي صنعا ء أمـراً بـيِّـنـاً رَشَـدُه
أمـرتـك بـاتِّـقـاء الله تـأتـيـه وتَـتَّـعِـدُه
فكنت كـذي الحمير غـر رَه مـمـا بـه وتـدُه

ارتداد عمرو بعد موت الرسول: قال ابن إسحاق: فـأقام عمـر بن مَعد يكـرب في قومـه من بني زُبَيد وعليهم فـروة بن مُسَيك، فلمـا تُوُفِّي ﷺ ارتـدّ عمرو بن مَعد يكرب وقال حين ارتدّ:

وجـدنـا مُـلْك فـروةَ شَـرَّ مُـلْكٍ حِـمـاراً سـافَ مُنْخـره بـثَـفْـر[6]
وكـنـتَ إذا رأيـتَ أبـا عُـمَـيْـرٍ تـرى الحُـوَلَاء من خُبْثٍ وغـدْر[7]

قال ابن هشام: قوله بشفر، عن أبي عُبيدة.

---

(١) الشَنْبَث: الذي لا يزايل خصْمه. الشَثن: غليظ الأصابع. البـراثن: مخالب الأسـد. ناشـز: مرتفع. الكَتَد: ما بين الكتفين.

(٢) يعتضده: يضعه تحت عضُده فيصرعه.

(٣) يقتصده: يصرعه.

(٤) يدْمَغه: يشجّ رأسه حتى يصل الجرح إلى أمّ دماغه. يخطِمُه: يكسره. يخضمه: يـأكله. يزدرده: يبتلعه.

(٥) زاد في تاريخ الطبري خمسة أبيات ٣/١٣٤ عما عنا. وفي تـاريخ الـطبري ٣/١٣٤ «مُنْخَرهُ بقَذْر».

(٦) سلف: شمّ. الثفر: البهائم كالرَّحِم للنساء.

(٧) الحُوَلاء: ما يخرج من الأخلاط مع الولـد ساعـة الولادة، يشبّه من يهجوه أنـه في الخبث والقذارة مثل الحُوَلاء.

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كِنْدَة

قال ابن إسحاق: وقدِم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس، في وفد كِنْدَة، فحدّثني الزُّهْري بن شهاب أنه قدِم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً من كِنْـدة، فـدخلوا على رسـول الله ﷺ مسجـدَه، وقـد رجَّلوا[1] جُمَمَهم[2] وتكحّلوا، وعليهم جُبَب الحِبَرَة، وقد كفَّفـوها[3] بـالحرير، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «ألم تُسْلِموا»؟ قالـوا: بلى، قال: «فما بال هـذا الحريـر في أعناقكم»، قال: فشَقُّوه منها، فألقوْه.

ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله نحن بنو آكل المُـرار، وأنت ابن آكـل المُـرار، قـال فتبسّم رسـول الله ﷺ، وقـال: «نـاسبـوا بهـذا النّسب العباسَ بن عبد المـطّلب، وربيعة بن الحارث»، وكان العبـاس وربيعة رجُلين تاجرين وكـانا إذا شـاعا في بعض العـرب، فسُئلا ممّن همـا، قالا: نحن بنـو آكل المُرار، يتعزّزان بذلك، وذلك أنّ كِنْدة كانـوا ملوكاً. ثم قـال لهم: «لا، بـل نحن بنو النضْـر بن كِنانـة، لا نقفـوا[4] أُمَّـنا، ولا ننتفي من أبينـا»، فقـال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يا معشر كِنْدَة؟ والله لا أسمع رجـلاً يقولهـا إلاّ ضربته ثمانين[5].

قال ابن هشام: الأشعث بن قيس من ولد آكل المُـرار من قِبل النسـاء، وآكل المُرار؛ الحارث بن عمرو بن حُجْر بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كِنْدي، ويقال كِنْدة، وإنّما سُمّي آكل المُـرار، لأنّ

---

(١) رجّلوا: مشّطوا.

(٢) الجُمَمْ جمع: جُمّة. مجتمع شَعر مُقَدَّم الرأس.

(٣) كفّفوا: طرّزوا حروفها.

(٤) لا نقفوا أُمّنا: لا نتبع نَسَبَ أمّنا. وقـد أصاب الأشعث في بعض قـوله فقـد كان من جـدّات الرسول ﷺ من هي من ذلـك القبيل، منهنّ دعـد بنت سريـر بن ثعلبة بن الحـارث الكِنْديّ، وهي أمّ كلاب بن مُرّة، وقيل: بل هي جدّة كلاب، أمّ أمّه هند. (الروض الأنف ٢٢٨/٤).

(٥) تاريخ الطبري ١٣٨/٣، ١٣٩.

عمرو بن الهبولة الغسّاني أغار عليهم، وكان الحارث غائباً، فغنم وسبى، وكان فيمن سبى أمّ أناس بنت عوف بن مُحلّم الشيباني، امرأة الحارث بن عمرو فقالت لعمرو في مسيره: لكأنّي برجل أدلم[1] أسود، كأنّ مشافره مشافر بعير آكل مُرار[2] قد أخذ برقبتك، تعني الحارث، فسُمّي آكل المُرار، والمُرار: شجر. ثم تبِعه الحارث في بني بكر بن وائل، فلحِقه، فقتله، واستنقذ امرأته، وما كان أصاب. فقال الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُريّ لعمرو بن المنذر، وهو عمرو بن هند اللخميّ:

وأقدناك ربّ غسّان بالمنـ ـذر كرْهاً إذ لا تُكال الدماءُ

لأنّ الحارث الأعرج الغسّاني قتل المنذر أباه، وهذا البيت في قصيدة له. وهذ الحديث أطول مما ذكرت، وإنّما منعني من استقصائه ما ذكرت من القطْع[3]: ويقال بل آكل المُرار: حُجْر بن عمرو بن معاوية، وهو صاحب هذا الحديث، وإنّما سُمّي آكل المُرار، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المُرار[4].

قدوم صُرَد بن عبد الله الأزْدي مُسلِماً

وقدِم على رسول الله ﷺ صُرَد بن عبد الله الأزدي، فأسلم، وحسُن إسلامه في وفدٍ من الأزد، فأمّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه. وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشِرك، من قِبَل اليمن.

قتاله أهل جُرَش: فخرج صُرَد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ، حتى نزل بجُرَش، وهي يومئذ مدينة معلّقة، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد

(١) الأدلم: مسترخي الشفتين.
(٢) المُرار: نبات شديد المرورة إذا أكله البعير تقبّضت شفتاه من المرارة.
(٣) أي قطع سيرة رسول الله ﷺ.
(٤) أنظر أيضاً عن وفد كندة: الطبقات لابن سعد ١/٣٢٧.

ضَـوَتْ[1] إليهم خثعم، فدخلوهـا معهم حين سمعـوا بسيـر المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منـه ثم رجع عنهم قـافلاً، حتى إذا كـان إلى جبل لهم يقـال له شَكْـر، ظنّ أهـل جُـرَش أنـه إنّمـا ولّى عنهم منهـزمـاً، فخـرجـوا في طلبـه، حتى إذا أدركـوه عـطف عليهم، فقتلهم قتْـلاً شديداً.

إخبار الرسول بما حدث: وقد كـان أهل جُـرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يـرتادان وينـظران، فبينا همـا عند رسـول الله ﷺ عشيّة بعـد صلاة العصـر، إذ قال رسـول الله ﷺ: «بأيّ بـلاد الله شَكْر»؟ فقـام إليـه الجُرَشيّان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كَشْر؛ وكذلك يسمّيه أهل جُرَش، فقال: «إنّه ليس بكَشْر، ولكنّه شَكْر»؛ قالا: فما شـأنه يـا رسول الله؟ قال: إنّ بُدْن الله لَتُنْحَـر عنده الآن»، قـال: فجلس الرجـلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويْحكما! إنّ رسول الله ﷺ لينعي لكما قومَكما فقوما إلى رسـول الله ﷺ، فاسـألاه أن يدعـو الله أن يرفـع عن قومكمـا؛ فقامـا إليه فسـألاه ذلك، فقـال: «اللّهم ارفـع عنهم»، فخـرجـا من عنـد رسـول الله ﷺ راجعَين إلى قومهمَا، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صُـرَد بن عبد الله، في اليوم الذي قال فيه رسـول الله ﷺ ما قـال، وفي السـاعـة التي ذكر فيهـا ما ذكر.

إسلام أهل جرش: وخرج وفـد جُرَش حتى قـدِموا على رسـول الله ﷺ فـأسلمـوا، وحمى لهم حِمىً حـول قـريتهم، على أعـلام معلومـة، للفَـرَس والراحلة وللمثيرة، وبقرة الحرْث، فمن رعاه من الناس فما لهم سُحْت؛ فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد. وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهليـة، وكانوا يَعْدُون[2] في الشهر الحرام:

---

(١) ضَوَت: لجأت.

(٢) في تاريخ الطبري «يغزون».

يا غزوةً ما غَزَوْنا غيرَ خائبةٍ فيها البغالُ وفيها الخيلُ والحُمُرُ
حتى أتينا حُمَيْراً في مصانعها[1] وجمعَ خَثْعَمَ قد شاعت[2] لها النُّذُر
إذا وضعتُ غليلاً[3] كنت أحمِلُه فما أبالي أدانوا بعْدُ أم كفروا[4]

قدوم رسول ملوك حِمْيَر بكتابهم

وقدِم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حِمْيَر، مقدَمه من تَبوك، ورسولهم إليه بإسلامهم، الحارث بن عبد كلال ونُعيم بن عبد كلال. والنعمان قَيْل[5] ذي رُعين ومعافر وهمدان؛ وبعث إليه زُرعة ذو يزن مالك بن مُرّة الرَّهاويّ بإسلامهم، ومفارقتهم الشِّركَ وأهلَه.

كتاب الرسول إليهم: فكتب إليهم رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله النبيّ، إلى الحارث ابن‌عبد كُلال، وإلى نُعيم بن عبد كُلال، وإلى النعمان، قَيْل ذي رُعَين ومَعافر وهمْدان. أما بعد ذلكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقَلَبنا[6] من أرض الروم، فلقِينَا بالمدينة، فبلّغ ما أرسلتم به، وخبّرنا ما قِبَلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتْلكم من المشركين، وأنّ الله قد هداكم بهُداه[7]، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خُمس الله، وسهم الرسول وصفيّه[8]، وما كُتب على المؤمنين من الصدقة من العَقار[9]، عُشر ما سَقَت العين وسَقَت

(١) المصانع: القرى.
(٢) في تاريخ الطبري «ساغت».
(٣) الغليل: حرارة الجوف.
(٤) تاريخ الطبري ٣/١٣٠، ١٣١.
(٥) القَيْل: ملك إقليم.
(٦) في تاريخ الطبري ٣/١٢٠ «مقفلَنَا».
(٧) في تاريخ الطبري ٣/١٢١ «بهداة».
(٨) أصل الصفيّ: ما يصطفيه القائد من الغنيمة قبل القسمة.
(٩) العقار: الأرض.

السماء، وعلى ما سَقى الغَرْب[1]، نصف العُشر؛ وأنّ في الإبـل الأربعين ابنة لَبُون، وفي ثلاثين من الإبـل ابن لَبُون ذكَـر، وفي كل خمس من الإبـل شاة، وفي كل عشر من الإبـل شاتـان[2]، وفي كلّ أربعين من البقـر بقرة؛ وفي كـلّ ثـلاثين من البقر تَبيـعٌ، جَذَعٌ أو جَـذَعـة؛ وفي كـلّ أربعين من الغنم سـائمـة وحدها، شاة. وإنّها فريضة الله التي فـرض على المؤمنين في الصدقـة؛ فمن زاد خيراً فهو خير له، ومن أدّى ذلـك وأشهد على إسـلامه، وظـاهر المؤمنين على المشركين، فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذمّـة الله وذمّة رسوله، وإنّه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ، فـإنه من المؤمنين، لـه ما لهم، وعليه ما عليهم؛ ومن كان على يهوديّته أو نصرانيّته فإنه لا يُرَدّ[3] عنهـا، وعليه الجزية، على كلّ حال ذكر أو أنثى، حرٍّ أو عبد، دينـار وافٍ، من قيمة المعافر[4] أو عِوَضه[5] ثياباً، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ﷺ فـإنه لـه ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله.

أما بعد، فـإنّ رسول الله محمـداً النبيّ أرسل إلى زرعـة ذي يزن أنْ إذا إتاكم[6] رُسلي فأوصيكم بهم خيراً: مُعاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالـك ابن عُبادة، وعُقبة بن نمر، ومالك بن مُرّة وأصحـابهم. وأن اجمعُوا مـا عندكم من الصدقة والجزية من مخالِفيكم، وأبلِغُوها[7] رُسُلي، وإنّ أميرهم مُعـاذ بن جبل، فلا ينقلبنّ إلّا راضياً.

أما بعد. فإنّ محمداً يشهد أن لا إله إلّا الله وأنـه عبده ورسـوله، ثم إنّ مـالـك بن مُـرَّة الـرَّهـاويّ قـد حـدّثني أنـك أسلمت من أول حِمْيَـر، وقتلت

(١) الغرب: الدلو.
(٢) ما بين القوسين ساقط من طبعة دار الجيل ٤/١٧٥.
(٣) في تاريخ الطبري «لا يُفْتَن».
(٤) المعافر: نوع من ثياب اليمن. وعبارة الطبري «أو قيمته من المعافر».
(٥) في تاريخ الطبري «عرضُهُ».
(٦) في تاريخ الطبري «أتتكم».
(٧) في تاريخ الطبري «وبلّغوها».

المشركين فأبشر بخيرٍ وآمرك بِحِمْيَر خيراً، ولا تخونوا ولا تَخَاذلوا[1]، فإنّ رسول الله هو وليّ[2] غنيّكم وفقيركم، وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته، إنّما هي زكاة يزكّي بها[3] على فقراءِ المسلمين وابن السبيل. وإنّ مالكاً قد بلّغ الخَبَر، وحفظ الغيب، وآمركم به خيراً، وإنّي قد أرسلت[4] إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم[5] وأولي عِلمهم، وآمرك بهم خيراً، فإنّهم منظور إليهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[6].

وصيّة الرسول مُعاذاً حين بعثه إلى اليمن: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث: أنّ رسول الله ﷺ حين بعث مُعاذاً، أوصاه وعهِد إليه، ثم قال له: «يسّر ولا تعسّر وبشّر ولا تنفّر[7]، وإنّك ستقدم على قوم من أهل الكتاب، يسئلونك ما مفتاح الجنة؛ فقل: شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له»؛ قال: فخرج مُعاذ، حتى إذا قدِم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ، فأتته امرأة من أهل اليمن، فقالت: يا صاحب رسول الله؛ ما حقّ زوج المرأة عليها؟ قال: ويْحكِ! إنّ المرأة لا تقدر على أن تؤدّي حقّ زوجها، فاجهدي نفسك في أداء حقّه ما استطعت، قالت: والله لئن كنتَ

---

(١) في تاريخ الطبري «تخذلوا».

(٢) في تاريخ الطبري «مولى».

(٣) في تاريخ الطبري «لا تحلّ لمحمد ولا لأهله، إنّما هي زكاة يتزكّى بها».

(٤) في تاريخ الطبري «بعثت».

(٥) في تاريخ الطبري «ديني».

(٦) نصّ الكتاب في تاريخ الطبري ١٢٠/٣ - ١٢٢، وتاريخ اليعقوبي ٨٧/٢ - ٨٩، وكنز العمال، ٢ عمود ٦١٦٠، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله - ص ١٨٠ - ١٨٢ رقم ١٠٩ باختلاف في الألفاظ وبعض العبارات.

(٧) أخرج مسلم في كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، من طريق أبي أسامة، عن بُرَيدة بن عبد الله، عن أبي بُردة، عن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أموره قال: «بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا». وفي حديث عن أنس (١٧٣٤/٨) قال رسول الله ﷺ: «يسّروا ولا تعسّروا وسكّنوا ولا تنفّروا». والبخاري في كتاب العلم ٢٥/١ باب ما كان النبيّ ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كيلا ينفِروا. وأبو داود في كتاب الأدب (٤٨٣٥) باب في كراهية المراء.

صاحب رسول الله ﷺ إنّك لتعلم ما حقّ الزوج على المرأة. قال: ويْحَكِ؟ لو رجعتِ إليه فوجدته تنثعب[1] منخراه قَيْحاً ودماً، فمصصْتِ ذلك حتى تُذْهبيه ما أدَّيتِ حقَّه[2].

إسلام فروة بن عمرو الجُذاميّ

قال ابن إسحاق: وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذاميّ، ثم النُّفاثي، إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، وأهدى له بغلةً بيضاء. وكان فروة عاملاً للروم على مَن يليهم من العرب، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام.

حبْس الروم له وشِعره ومقتله: فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه، طلبوه حتّى أخذوه، فحبسوه عندهم، فقال في محبسه ذلك:

طرقت سُلَيمى مُوهِناً أصحابي ... والرومُ بين الباب والقِرْوان[3]
صدّ الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممتُ أن أُغفي وقد أبكاني
لا تكحُلِنَّ العينَ بعديَ إثْمداً ... سَلْمى ولا تَدينَنّ للإتْيان
ولقد علمت أبا كُبَيشة أنّني ... وسْطَ الأعِزّة ولا يُحصَ لساني[4]
فَلئِن هلكتُ لتفقِدُنَّ أخاكم ... ولئن بَقيتُ لَتعْرِفُنَّ مكاني
ولقد جمعت أجلّ ما جمَع الفتى ... من جَوْدة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصَلْبه على ماءٍ لهم، يقال له عَفْراء بفلسطين، قال:

ألا هل أتى سلمى بأنّ حَليلها ... على ماء عَفرا فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يَضْرِب الفحلُ أُمَّها ... مُشَذَّبة أطرافُها بالمناجل[5]

---

(١) تنثعب: تسيل.
(٢) أنظر حلية الأولياء ١/٢٤٠، ٢٤١ في وصية الرسول ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن.
(٣) الموهن: نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه. قروان: مثل صفوان: حُويض من خشب تسقى فيه الدّوابّ وتلغ فيه الكلاب وفي المثل ما فيها لاعي قِرْو: أي لاعق قِرْو.
(٤) لا يُحصَ: لا يُقطع.
(٥) المشذَّبة: التي أزيلت أغصانها.

فزعم الزُّهْريّ بن شهاب، أنهم لمّا قدّموه ليقتلوه. قال:

بلِّغ سَــراةَ المسلمين بــأنّني ... سَلْم لـربّي أعـظُمي ومقـامي

ثم ضربوا عُنقه وصلبوه علي ذلك الماء، يرحمه الله تعالى.

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خـالد بن الـوليد لمّـا سار إليهم

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجْران وأمـره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلْهم، فخرج خالد حتى قدِم عليهم، فبعث الرُكبان يضربـون في كـلّ وجه، ويـدعون إلى الإسـلام، ويقولـون: أيها النـاس، أسلِموا. فـأسلم الناس، ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام فيهم خـالد يعلّمهم الإسـلام وكتاب الله وسُنّة نبيّه ﷺ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إنْ هم أسلموا ولم يقاتلوا.

ثم كتب خـالـد بن الـوليـد: إلى رســول الله ﷺ، «بسم الله الـرحمن الرحيم. لمحمد النبيّ رسـول الله ﷺ من خـالـد بن الوليـد، السلام عليـك يا رسول الله وبركـاته، فـإنّي أحمد إليـك الله الذي لا إلـه إلاّ هو، أمـا بعد: يـا رسول الله صلّى الله عليك، فإنّك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم الاّ أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمتُ فيهم، وقبلت منهم، وعلّمتهم معالم الإسلام وكتـاب الله وسُنّة نبيّـه، وإن لم يُسلموا قاتلتهم. وإنّي قـدِمْت عليهم فدعـوتهم إلى الإسلام ثـلاثة أيـام، كما أمـرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم رُكبـاناً قـالوا: يـا بني الحـارث، أسلِمـوا تَسلَموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مُقيمٌ بين أظهُرهم، آمـرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، وأعلّمهم معالم الإسلام وسُنّة النبيّ ﷺ حتى يكتب إليّ رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته»[1].

(١) النص في إمتاع الإسماع للمقريزي ٥٠١/١، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد=

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبيّ رسول الله إلى خالد بن الوليد. سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد: فإنّ كتابك جاءني مع رسولك تخبر أنّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلاّ الله. وأنّ محمداً عبد الله ورسوله، وأنْ قد هداهم الله بهُداه، فبشِّرْهم وأنذِرهم، وأَقْبِل ولْيُقْبِل معك وفْدُهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»(1).

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول: فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحُصَيْن ذي الغُصَّة(2)، ويزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد الله بن قُراد(3) الزِّياديّ، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضِّبابيّ(4).

فلما قدِموا على رسول الله ﷺ فرآهم. قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنّهم رجال الهند». قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب؛ فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلّموا عليه، وقالوا: نشهد أنّك رسول الله، وأنه لا إله إلاّ الله، قال رسول الله ﷺ: «وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله»، ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا، فسكتوا،

= حميد الله ١٣١ رقم ٧٩.

(١) النص في صبح الأعشى للقلقشندي ٦/٣٦٧، ومجموعة الوثائق ١٣٢ رقم ٨٠، وانظر طبقات ابن سعد ١/٣٣٩.

(٢) ذو الغُصّة: سُمّي بذلك لغُصّةٍ في حلْقه لا يكاد يبين منها، واسمه الحُصَين بن يزيد بن شداد الحارثي. ذكره عمر بن الخطّاب يوماً فقال: لا تزاد امرأة في صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذي الغُصَّة. (الروض الأنف ٤/٢٢٨).

(٣) في تاريخ الطبري ٣/١٢٧ «قُريظ».

(٤) الضِّبابيّ من ضباب بكسر الضّاد في بني الحارث بن كعب بن مَذْحِج، وضِباب أيضاً في قريش وهو ابن حُجير بن عبد بن مُعَيص بن عامر أخو حُجْر بن عبد. والضِباب في بني عامر بن صعصعة، وهم ضِباب ومُضَبّ وحِسْل وحُسَيل بنو معاوية بن كلاب، وأما الضَباب بالفتح ففي نسب النابغة الذبياني ضَباب بن يربوع بن غَيظ؛ وأما الضُباب بالضم فزَيد ومُنَجّا ابنا ضُباب من بني بكر، ذكره الدارقُطْني. (الروض الأنف ٤/٢٢٨، ٢٢٩).

فلم يراجعْه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المَدَان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا، قالها أربع مِرار؛ فقال رسول الله ﷺ: «لو أنّ خالداً لم يكتب إليّ أنّكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم»؛ فقال يزيد بن عبد المَدَان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، قال: «فمن حمدتم»؟ قالوا: الله عزّ وجلّ الذي هدانا بك يا رسول الله؛ قال: «صدقتم». ثم قال رسول الله ﷺ: «بم كنتم تَغلبون من قاتلكم في الجاهلية»؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً؛ قال: «بلى»، قد كنتم تغلبون من قاتلكم»؛ قالوا: كنّا نغلب من قاتلنا؛ يا رسول الله إنّا كنّا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «صدقتم». وأمّر رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيس بن الحُصَين.

فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقّيةٍ من شوّال؛ أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلّا أربعة أشهر، حتى تُوُفي رسول الله ﷺ، ورحِم وبارك، ورضي وأنعم[1].

الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهده إليهم: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولّى وفدهم عمرو بن حزم، ليفقّههم في الدّين، ويعلّمهم السُّنَّة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمر: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله **﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾**[2] عهد من محمد النبيّ رسول الله لعمرو ابن حزم، حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كلّه فإنّ الله مع الذين ٱتّقَوْا والذين هم مُحسنون، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله، وأن يبشّر الناس بالخير، ويأمرهم به ويعلّم الناس القرآن، ويفقّههم فيه وينهى الناس،

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/١٢٦ ـ ١٢٨، وطبقات ابن سعد ١/٣٣٩، ٣٤٠.
(٢) أول سورة المائدة.

فـلا يمسّ القرآن إنسـان إلّا وهو طـاهر، ويخبـر الناس بـالـذي لهم، والـذي عليهم، ويلين للنـاس في الحقّ، ويشتـدّ عليهم في الـظلم، فـإنّ الله كـره الـظُلم، ونهى عنه، فقـال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَىٰ ٱلظَّالِمِينَ﴾[1]، ويبشّـر النـاس بالجنة وبعملها، ويُنذر الناس النار وعملهـا، ويستألف النـاس حتى يفقهوا في الدّين، ويعلّم الناس معالم الحجّ وسُنّتـه وفريضتـه، وما أمـر الله به، والحجّ الأكبر: الحجّ الأكبـر، والحجّ الأصغر: هو العُمـرة؛ وينهى النـاس أن يصلّي أحد في ثوب واحدٍ صغير، إلّا أن يكون ثوبـاً يثني طرفيـه على عاتقيه وينهى النـاس أن يحتبي أحد في ثـوب واحد يفضي بفرْجه إلى السمـاء؛ وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه؛ وينهى إذا كـان بين الناس هَيْج عن الدعـاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عزّ وجـلّ وحده لا شـريك لـه؛ فمن لم يـدع إلى الله؛ ودعا إلى القبـائل والعشـائر فليقـطفوا بالسيف؛ حتى تكـون دعواهم إلى الله وحـده لا شريـك له؛ ويـأمر النـاس بإسبـاغ الـوضـوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجُلهم إلى الكعبين ويمسَحون بـرءوسهم كما أمرهم الله؛ وأمر بالصلاة لوقتها؛ وإتمام الركوع والسجود والخشوع؛ ويغلّس بالصبح؛ ويهجـر بالهـاجرة حين تميـل الشمس، وصلاة العصـر والشمس في الأرض مـدبرة؛ والمغـرب حين يقبل الليـل؛ لا يؤخّـر حتى تبـدو النجـوم في السماء؛ والعشاء أول الليل؛ وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها؛ والغُسْل عنـد الـرواح إليهـا؛ وأمـره أن يـأخـذ من المغانم خُمس الله؛ ومـا كُتب على المؤمنين في الصدقة من العَقار عُشر ما سقت العَين وسقت السماء؛ وعلى مـا سقى الغَرْب نصف العُشر؛ وفي كلّ عَشْر من الإبل شاتـان، وفي كلّ عشـرين أربع شياه، وفي كـلّ أربعين من البقر بقـرة؛ وفي كلّ ثـلاثين من البقر تَبيـع؛ جَذَع أو جَذَعَة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة. فإنها فريضـة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة. فمن زاد خيراً فهـو خير لـه، وأنه

---

(١) سورة هود ـ الآية ١٨.

من أسلم من يهوديّ أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه، ودان بدين الإسلام. فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيّته أو يهوديّته فإنه لا يُردّ عنها، وعلى كلّ حالم: ذكرٍ أو أنثى، حرٍّ أو عبدٍ، دينار وافٍ أو عِوضه ثياباً. فمن أدّى ذلك، فإنّ له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منع ذلك، فإنّه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً، صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته»[1].

قدوم رفاعة بن زيد الجُذاميّ

وقدِم على رسول الله ﷺ في هدنة الحُدَيبية، قبل خيبر، رفاعة بن زيد الجُذاميّ ثم الضُّبَيْبيّ، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً، وأسلم، فحسُن إسلامه، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه وفي كتابه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد. إنّي بعثته إلى قومه عامّة، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله ورسوله، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين»[2].

فلما قدِم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا، ثم ساروا إلى الحَرَّة: حَرّة الرجْلاء، ونزلوها.

قدوم وفد همْدان

قال ابن هشام: وقدِم وفد همدان على رسول الله ﷺ، فيما حدّثني من أثق به، عن عمرو بن عبد الله بن أُذينة العبدي، عن أبي إسحاق السّبيعيّ، قال: قدِم وفد همدان على رسول الله ﷺ، منهم مالك بن نَمَط، وأبو ثور، وهو

(١) تاريخ الطبري ٣/١٢٨، ١٢٩،، وفتوح البلدان ١/٨٣، ٨٤، وإمتاع الأسماع ١/٥٠١، ٥٠٢، ومجموعة الوثائق ١٧٣ ـ ١٧٥ رقم ١٠٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٤٠، صبح الأعشى ٦/٣٨٢، والمغازي للواقدي ٢/٥٥٧، والمعجم الكبير للطبراني ٥/٤٦ رقم ٤٥٦٢، ومجموعة الوثائق ٢٣٣، ٢٣٤ رقم ١٧٥.

ذو المشعار، ومالك بن أيفع، وضِمام بن مالك السَّلماني، وعُميرة بن مالك الخارفيّ، فلقوا رسول الله ﷺ مَرْجِعه من تَبوك وعليهم مقطَّعات الحِبَرَات[(١)]، والعمائم العدنية، برحال المَيْس[(٢)] على المَهْرية[(٣)] والأرحبية[(٤)] ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم، يقول أحدهما:

همدان خير سوقه وأقْيَال ليس لها في العالمين أمثال[(٥)]
محلّها الهضْب ومنها الأبطال لها إطابات بها وآكال[(٦)]

ويقول الآخر:

إليك جاوزْن سوادَ الرِّيف في هَبَوات الصَّيف والخريف[(٧)]
مخطَّمات بحبالِ اللِّيف

فقام مالك بن نَمَط بين يديه، فقال: يا رسول الله، نصية[(٨)] من همدان، من كلّ حاضر وبادٍ، أتوْك على قُلُص نَواجٍ[(٩)]، متَّصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مِخْلاف خارف ويام وشاكر[(١٠)] أهل السود والقود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الإلهات الأنصاب، وعهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع، وما جرى اليعفور بصَلَع[(١١)].

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه:

---

(١) المقطّعات: المخيطة. الحِبَرات: بُرود يمنية.
(٢) المَيْس: خشب متين تُصنع منه الرحال.
(٣) المهرية: إبل نجيبة تُنسب إلى مُهرة قبيلة باليمن.
(٤) الأرحبية: تُنسب إلى أرحب: مكان.
(٥) السوقة: الشعب. والأقيال: رؤساء الأقاليم.
(٦) الإطابات: ما طاب من الأموال. والآكال: ما يأخذه الملك من الشعب كالضرائب.
(٧) السواد: القرى. الهبوات: الغبار.
(٨) النصية: خيار القوم.
(٩) القُلُص: الإبل الشابة. نَواج: مسرعة.
(١٠) المخلاف المدينة، وما بعدها أسماء قبائل. وأضاف ابن سعد في الطبقات ١/٣٤١ «أهل الهضْب» و«حقاف الرمل».
(١١) لعلع: مجموعة من الجبال. اليعفور: ولد الظبية. صلع: مكان.

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من رسول الله محمد، لِمِخْلاف خارف وأهل جِناب الهضْب وحِقاف الرمل، مع وافدها ذي المشعار مالك بن نَمَط، ومن أسلم من قومه، على أنّ لهم فِراعها ووِهاطها[١]، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون عِلافها ويرعون عافيها[٢]، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله، وشاهدُهم المهاجرون والأنصار»[٣]. فقال في ذلك مالك بن نَمَط:

ذكرت رسول الله في فحمة الدُّجى ... ونحن بأعلى رَحْرَحان وصَلْدَدِ[٤]
وهُن بنا خُوصٌ طلائحُ تَغْتلي ... بِرُكبانها في لاحبٍ متمدِّد[٥]
على كلّ فَتْلاءِ الذِّراعين جَسْرَةٍ ... تمرّ بنا مرّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَد[٦]
حلفتُ بربِّ الراقصات إلى مِنًى ... صوادرَ بالرُّكْبان من هضَب قَرْدَدِ[٧]
بأنّ رسول الله فينا مُصَدَّق ... رسول أتى من عند ذي العرش مُهتدي
فما حملتْ من ناقةٍ فوق رَحْلها ... أشدَّ على أعدائه من محمّد
وأعطى إذا ما طالِبُ العُرْف جاءه ... وأمضَى بحدّ المَشْرفيّ المهنَّد

---

(١) فِراعها: أعاليها. وِهاطها: أسافلها.

(٢) العلاف: ثمر الطح. عافها: ما كثُر من نباتها.

(٣) والنص في مجموعة الوثائق يختلف عما هنا:

«لكم فِراعها ووِهاطها وعَزازها، تأكلون عِلافها وترعون عَفاءها. لنا من دِفْئهم وصِرامهم ما سلّموا بالميثاق والأمانة. ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحَوري، وما عليهم فيها الصالغ والقارِح».

أنظر النص في صبح الأعشى ٤/٣٧٤، والعقد الفريد ١/١٣٤، شرح المواهب ٤/١٧٠، ١٧١، وأسد الغابة ٤/٢٩٤، ٢٩٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/٨٩، ولسان العرب (مادة ـ حور)، ومجموعة الوثائق ١٩١، ١٩٢ رقم ١١٣.

(٤) رَحْرحان: وصَلْدد: موضعان.

(٥) الخُوص: غائرات العيون. طلائح: متعبة. تغتلي: تَنْشط في سيرها. اللاحب: الطريق الواضح.

(٦) الجَسْرة: الناقة القويّة على السير. الهجف: ذَكَر النَّعام القويّ وكذلك الخَفَيْدد.

(٧) الراقصات: الإبل الراقصات، والرقص: ضرب من السير. الصوادر: الرواجع. والقَرْدَد: الأرض المرتفعة.

ذكر الكذّابَين مُسَيْلمة الحنفي والأسود العنْسيّ

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلّم في عهد رسول الله ﷺ الكذّابان مُسَيْلمة بن حبيب باليمامة في بني حنيفة، والأسود بن كعب العنْسي بصنعاء(١).

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيط، عن عطاء بن يَسار أو أخيه سليمان بن يَسار، عن أبي سعيد الخُدْريّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: «أيّها الناس، إنّي قد رأيت ليلة القدر، ثم أُنسيتُها، ورأيت في ذراعيّ سِوَارَين من ذهب، فكرهتهما، فنفختهما فطارا، فأوّلتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة»(٢).

الرسول يتحدّث عن الدّجّالين: قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجّالاً، كلّهم يدّعي النبوّة»(٣).

خروج الأمراء والعمّال على الصَّدقات

قال ابن أسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعمّاله على الصدقات، إلى كلّ ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بن أبي أُميّة بن المغيرة إلى صنعاء. فخرج عليه العنْسيّ وهو بها، وبعث زياد بن لَبِيد، أخا

---

(١) أنظر عن ردّة الأسود في المعرفة والتاريخ ٣/٢٦٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في تعبير الرؤيا (٣٩٢٢) باب تعبير الرؤيا، عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدّثنا محمد بن بشر، حدّثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت في يدي سوارين من ذهب، فنفختهما فأوّلتهما هذين الكذّابين: مسَيْلمة والعنْسي». وأحمد في المسند ٢/٣٣٨ و ٣٤٤، ورواه البخاري في المغازي ٥/١٢٠ قصة الأسود العنسي.

(٣) أخرج أحمد في المسند ٢/١٠٤ من طريق إياد يعني ابن لقيط، عن عبد الرحمن بن نعيم الأعرجي، في حديث عمر رضي الله عنه عن المتعة، وفيه: «والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليكوننّ قبل المسيح الدّجال كذّابون ثلاثون أو أكثر..».

بني بياضة الأنصاريّ، إلى حضْرَمَوت وعلى صدقاتها؛ وبعث عـديّ بن حاتم على طيّء وصدقاتهـا، وعلى بني أسد؛ وبعث مـالـك بن نُـوَيرة - قـال ابن هشـام: اليَرْبُـوعي - على صدقـات بني حنظلة، وفـرّق صدقـة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منهـا، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضْرميّ على البحرين، وبعث عليّ بن أبي طـالب رضـوان الله عليـه إلى أهـل نجـران، ليجمـع صـدقتهم ويقـدم عليـه بجزيتهم[1].

كتاب مُسَيْلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسيلمة بن خبيب، قد كتب إلى رسـول الله ﷺ: «من مُسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله: سلام عليـك؛ أما بعـد، فإنّي قـد أُشْركت في الأمر معك، وإنّ لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون»[2].

فقدِم عليه رسولان له بهذا الكتاب.

قـال ابن إسحـاق: فحـدّثني شيـخ من أشجـع، عن سلمـة بن نُعيم بن مسعود الأشجعيّ، عن أبيه نُعيم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه؛ «فما تقولان أنتما»؟ قالا: نقول كما قال، فقـال: «أما والله لـولا أنّ الرُسُل لا تُقتل لضربت أعناقكما».

ثم كتب إلى مسيلمة: بسم الله الرحمن الـرحيم، من محمد رسـول الله إلى مُسَيلِمة الكذّاب: السَّلام على من اتّبع الهدى. أما بعـد، فإنّ الأرض لله يُورِثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين»[3].

وذلك في آخر سنة عشر.

---

(١) تاريخ الطبري ١٤٧/٣.

(٢) تاريخ الطبري ١٤٦/٣، وإمتاع الأسماع ٥٠٨/١، صبح الأعشى ٤٦٨/٧، مجموعة الوثائق ٢٥٦، ٢٥٧ رقم ٢٠٥.

(٣) تاريخ الطبري ١٤٦/٣، مجموعة الوثائق ٢٥٧ رقم ٢٠٥.

حَجَّة الوداع[1]

تجهّز الرسول: قال ابن إسحاق: فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهّز للحجّ، وأمر الناس بالجهاز له.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ، قالت؛ خرج رسول الله ﷺ إلى الحجّ لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة[2].

استعماله على المدينة أبا دُجانة: قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دُجانة السّاعديّ ويقال: سِباع بن عُرْفُطة الغِفاريّ[3].

حكم الحائض في الحجّ: قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الرحمن بن

---

(١) أنظر عنها في: تاريخ الطبري ٣/١٤٨ - ١٥٢، والمغازي لعروة ٢٢٢، وصحيح البخاري ٥/١٢٣ - ١٢٨، والمغازي للواقدي ٣/١٠٨٨ - ٢ : ١٨، وتاريخ خليفة ٩٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٧٢ - ١٧٩، وأنساب الأشراف ١/٣٦٨ - ٣٧١، والبدء والتاريخ ٤/٢٤٢، والكامل في التاريخ ٢/٣٠٢، ٣٠٣، وعيون التواريخ ١/٣٩٤، وعيون الأثر ٢/٢٧٢ - ٢٧٥، وسيرة ابن كثير ٤/٢١١ - ٤٢٦، ونهاية الأرب ١٧/٣٧١ - ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٧٠١ - ٧١١.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٤٨، تاريخ الإسلام ٧٠١.

(٣) أنظر عنه في طبقات ابن سعد ٢/١٣ رقم ٣٠٨٠.

القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: لا يذكر ولا يذكر الناس إلّا الحجّ، حتى إذا كان بسَرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدْي، وأشراف من أشراف الناس، وأمر الناس أن يَحلّوا بعُمْرة، إلّا من ساق الهَدْي؛ قالت: وحضْت ذلك اليوم، فدخل عليّ وأنا أبكي؛ فقال: «ما لكِ يا عائشة؟ لعلك نفِسْتِ؟ قالت: قلت: نعم، والله لودِدْت أنّي لم أخرج معكم عامي في هذا السفر؛ فقال: لا تقولِنّ ذلك، فإنّك تقضين كلّ ما يقضي الحاجّ إلّا أنّك لا تطوفين بالبيت». قالت: ودخل رسول الله ﷺ بمكة، فحلّ من كان لا هدْي معه، وحلّ نساؤه بعُمرة، فلما كان يوم النَّحْر أُتيت بلحم بقرٍ كثير، فطُرح في بيتي، فقلت: ما هذا؟ قالوا: ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر، حتى إذا كانت ليلة الحَصْبة، بعث بي رسول الله ﷺ مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التنعيم، مكان عُمرتي التي فاتتني[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله ابن عمر، عن حفصة بنت عمر، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعُمرة، قلن: فما يمنعك يا رسول الله أن تحلّ معنا؟ فقال: «إنّي أهديت ولبّدت[2]، فلا أحلّ حتى أنحر هدْيي»[3].

---

(١) الحديث في صحيح البخاري في كتاب المغازي (٥/١٢٣، ١٢٤) باب حجّة الوداع، عن إسماعيل بن عبد الله، حدّثنا مالك، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع، فأهلَلْنا بعُمرة، ثم قال لنا رسول الله ﷺ: «من كان عنده هدْي فليُهِلّ بالحجّ مع العمرة ثم لا يحلّ حتى يحلّ منهما جميعاً» فقدمْت معه مكة وأنا حائض ولم أطُف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوت إلى رسول الله ﷺ فقال: «انقضي رأسك وامتشطي وأهلّي بالحجّ ودعي العمرة»، ففعلت، فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما إلى التنعيم فاعتمرت، فقال: هذه مكان عُمْرتك. قالت: فطاف الذين أهلّوا بالعُمرة بالبيت وبين الصف والمرْوَة ثم حلّوا ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منىً وأمّا الذين جمعوا الحجّة والعمرة فإنّما طافوا طوافاً واحداً. والخبر في تاريخ الطبري ٣/١٤٨.

(٢) لبّد: جعل في رأسه ﷺ صمغاً لئلّا يتشعّث.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/٢٨٥ بسنده ونصّه، وانظر له ٢/١٢٤.

موافاة عليّ في قفوله من اليمن رسول الله في الحجّ: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح: أن رسول الله ﷺ كان بعث علياً رضي الله عنه إلى نَجْرَان، فلقِيه بمكة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، فوجدها قد حلّت وتهيّأت، فقال؛ ما لكِ يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحلّ بعُمرة فحللنا. ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله ﷺ: «انطلِق فطُفْ بالبيت، وحلّ كما حلّ أصحابك»؟ قال: يا رسول الله إنّي أهللتُ كما أهللتَ؛ فقال: «ارجع فاحلل كما حلّ أصحابك»؛ قال: يا رسول الله، إنّي قلت حين أحرمت: اللّهم إنّي أُهِل بما أهلّ به نبيّك وعبدك ورسولك محمد ﷺ؛ قال: «فهل معك من هدْي»؟ قال: لا. فأشركه رسول الله ﷺ في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ، حتى فرغا من الحجّ ونحر رسول الله ﷺ الهدْي عنهما(1).

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عَمرة، عن بُرَيدة بن طلحة بن يزيد بن رُكانة، قال: لما أقبل عليّ رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة، تعجّل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جُنده الذين معه رجل من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كلّ رجل من القوم حُلّة من البزّ الذي كان مع عليّ رضي الله عنه. فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل؛ قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدِموا في الناس؛ قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ. قال: فانتزع الحلل من الناس، فردّها في البزّ، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صُنع بهم(2).

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن مَعْمَر

---

(1) تاريخ الطبري ٣/١٤٨، ١٤٩.
(2) تاريخ الطبري ٣/١٤٩.

ابن حـزم، عن سليمان بن محمـد بن كعب بن عُجرة، عن عمّتـه زينب بنت كعب، وكـانت عنـد أبي سعيـد الخُـدْرِيّ، عن أبي سعيـد الخُـدْرِيّ، قـال: اشتكى الناس عليّاً رضوان الله عليه، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبـاً، فسمعته يقـول: «أيها النـاس، لا تشكوا عليّاً، فوالله إنـه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يُشكى»[1].

خُطبة الوداع: قال ابن إسحـاق: ثم مضى رسول الله ﷺ على حجّـه، فـأرى الناس منـاسكهم، وأعلمهم سُنَن حَجّهم، وخطب النـاس خُطبتـه التي بيَّن فيها ما بيّن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيّهـا الناس، اسمعـوا قولي، فـإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعـد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيّها الناس، إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلتقـوا ربَّكم، كحُرمـة يومكم هـذا، وكحُرمـة شهركم هـذا، وإنّكم ستلقَـون ربَّكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى من ائْتَمَنـه عليهـا، وإنّ كـلَّ ربـا مـوضـوع، ولكن لكم رؤوس أمـوالكم، لا تَـظلِمون ولا تُـظلمون قضى الله أنّـه لا ربا، وإنّ ربـا عباس بن عبـد المطّلب موضوع كلّه، وأنّ كلّ دم كان في الجـاهلية مـوضوع، وأنّ أوّل دمـائكم أضع دم ابن ربيعـة بن الحارث بن عبـد المطّلب، وكـان مسترضَعـاً في بني ليث، فقتلته هُذَيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أمـا بعد أيّهـا الناس، فـإنّ الشيطان قد يئس من أن يُعبـد بأرضكم هـذه أبداً، ولكنّـه إن يُطَع فيمـا سوى ذلـك فقد رضي بـه مما تحقـرون من أعمـالكم فـاحـذروه على دينكم، أيّهـا الناس: ﴿**إنَّ النَّسيءَ زِيَادَةٌ فِي ٱلكُفْـرِ، يُضَلّ بِـهِ ٱلَّذِينَ كَفَـرُوا، يُحلُّونَهُ عَـاماً ويُحرِّمُونَهُ عَاماً، لِيُواطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱلله، وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ ٱلله**﴾ وإنَّ الزَّمَانَ

---

(١) أخـرجه أحمـد في المسنـد ٣/٨٦ بـالسنـد نفسـه، والنص، دون «من أن يُشكى». وتـاريـخ الطبري ٣/٢١٤٩.

(٢) سورة التوبة ـ الآية ٣٧.

قَدِ ٱسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللهُ السَّمٰوات والأرض، و﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِنْدَ ٱللهِ إِثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ ٱللهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[1] ثلاثة متوالية، ورجب مُضَرٍ[2]، الذي بين جُمادى وشعبان. أما بعد أيُّها الناس، فإنّ لكم على نسائكم حقّاً؛ ولهنّ عليكم حقّاً، لكم عليهنّ أن لا يُوطِئْن فَرْشَكم أحداً تكرهونه، وعليهنّ أن لا يأتين بفاحشة مبيِّنة، فإن فعلْن فإنّ الله قد أذِن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غير مُبَرِّح[3]، فإنِ انتهيْن فلهنّ رزقهنّ وكِسْوتهنّ بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنّهنّ عندكم عَوَانٍ[4] لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإنّكم إنّما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله، فاعقلوا أيّها الناس قولي، فإنّي قد بلّغت، وقد تركت فيكم ما إنِ اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً، أمراً بيِّناً، كتابَ الله وسُنَّة نبيّه، أيّها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمُنّ أنّ كلّ مسلم أخٌ للمسلم، وأنّ المسلمين إخوة، فلا يحلّ لامرىء من أخيه إلّا ما أعطاه عن طِيب نَفْسٍ منه، فلا تظلمُنَّ أنفسكم، اللّهمّ هل بلّغتُ»؟.

فذُكر لي أنّ الناس قالوا: اللّهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمّ اشْهد»[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ٣٦.

(٢) رجب مُضَر، إنّما قال ذلك لأنّ ربيعة كانت تحرّم شهر رمضان، وتسمّيه: رجباً من رَجَبْت الرجل ورجَّبته إذا عظّمته، ورجّبت النخلة إذا دعّمتها، فبيّن عليه السلام أنه رجب مُضَر لا رجب ربيعة، وأنه الذي بين جُمادى وشعبان. (الروض الأنف ٤/٢٤٨).

(٣) غير مبرح: غير شديد.

(٤) عوان: أسيرات، مفردها: عانيه.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحج (١٤٧/٢١٨) من حديث طويل في باب حجّة النبيّ ﷺ. وأبو داود في المناسك (١٩٠٥) باب صفة حجّة النبيّ ﷺ. والطبري في التاريخ ٣/١٥٠، ١٥١، وابن سعد ٢/١٨١.

بعَرَفة، ربيعة بن أُميّة بن خَلَف قال: يقول لـه رسول الله ﷺ: قـل يا أيّهـا الناس، إنّ رسول الله ﷺ يقول: «هلا تدرون أيّ شهر هذا»؟ فيقـول لهم، فيقولـون: الشهر الحرام، فيقـول: «قل لهم: إنّ الله حـرّم عليكم دماءكم وأمـوالكم إلى أن تلْقَـوا ربَّكم كحُـرْمـة شهـركم هـذا»، ثم يقـول: «قـل يا أيّها النـاس، إنّ رسـول الله ﷺ يقول: هـل تدرون أيّ بلد هـذا»؟ قـال: فيصـرخ بـه، قـال: فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقـول: قل لهم: «إنّ الله قـد حرّم عليكم دمـاءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحُرمة بلدكم هذا»، قال: ثم يقول: قل: «يأيّها النـاس، إنّ رسول الله ﷺ يقـول: «هل تـدرون أيّ يوم هـذا»؟ قال: فيقـولـه لهم. فيقـولون: يـوم الحجّ الأكبـر، قال: فيقـول: قل لهم: إنّ الله قـد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحُرْمة يومكم هذا»[1].

قـال ابن إسحـاق: حـدّثني ليث بن أبي سُلَيم، عن شهـر بن حَـوْشب الأشعـريّ، عن عَمـرو بن خـارجـة قـال: بعثني عتّـاب بن أُسَيْـد إلى رسـول الله ﷺ في حاجـة، ورسول الله ﷺ واقف بعَـرَفـة، فبلّغتـه، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإنّ لغامها[2] ليقع على رأسي، فسمعتـه وهو يقـول: «أيّها الناس، إنّ الله أدّى إلى كـلّ ذي حقٍّ حقّه وإنّـه لا تجوز وصيّـة لوارث، والـولد للفـراش، وللعاهـر الحَجْر[3]، ومن ادّعى إلى غيـر أبيـه أو تـولّى غيـر

---

(١) تـاريخ الـطبري ١٥١/٣، ١٥٢، وأخـرج البخـاري في كتـاب الحـدود (١٥/٨) بـاب ظهـر المؤمن حِمىً إلّا في حدٍّ أو حقٍّ. قال: حدّثني محمد بن عبـد الله، حدّثنـا عاصم بن عليّ، حدّثنا عاصم بن محمد، عن واقـد بن محمد سمعت أبي، قـال عبد الله: قـال رسول الله ﷺ في حجّة الوداع: «ألا أيّ شهر تعلمونه أعظم حرمة. قالوا: ألا شهرنا هذا. قال: ألا أيّ بلدٍ تعلمونه أعظم حرمة. قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: ألا أيّ يوم تعلمونه أعظم حرمة. قـالوا: ألا يومنا هذا. قال: فإنّ الله تبارك وتعالى قد حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ألا بحقّها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلّغت، ثـلاثاً، كـلّ ذلك يجيبـونه ألا نعم قال: ويحكم أو ويلكم لا ترجعُنّ بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ.

(٢) اللغام: الرغوة التي تخرج من فم الناقة.

(٣) حديث الولد للفراش، عند البخاري في البيـوع من حديث عـائشة رضي الله عنهـا، في باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه. (٤٩/٣) وأخرجها في كتاب الوصايا (١٨٧/٣) باب =

مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرْفاً ولا عدلاً».

تعاليم الرسول عليه السلام للحاجّ: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح: أنّ رسول الله ﷺ حين وقف بعَرَفة، قال: «هذا الموقف، للجبل الذي هو عليه وكل عَرَفة موقف». وقال حين وقف على قزح[1] صبيحة المُزْدَلِفة: «هذا الموقف، وكلّ المُزْدَلِفة موقف». ثم لما نحر بالمنحر بمِنَى قال: «هذا المنحر، وكلّ مِنَى منْحر»[2] فقضى رسول الله ﷺ الحجّ وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجّهم: من الموقف، ورمْي الجمار، وطواف بالبيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حرّم عليهم، فكانت حجّة البلاغ، وحجّة الوداع، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لم يحجّ بعدها[3].

= قول الموصي لوصيّه تَعاهدْ ولدي وما يجوز للوصيّ من الدعوى. وفي المغازي ٩٦/٥ باب. مقام النبيّ ﷺ بمكة زمن الفتح. وفي الفرائض ٩/٧ باب الولد للفراش حرّة كانت أو أَمَة. و (١٢/٧) باب من ادّعى أخاً أو ابن أخ. والأحكام (١١٦/٨) باب من قُضي له بحق أخيه فلا يأخذه.. وهو في صحيح مسلم، وسنن أبي داود، والجامع الصحيح للترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، وسنن الدارمي، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد. (انظر معجم ألفاظ الحديث ١٠٩/٥ مادّة فرش).

(١) قزَح: جبل بالمُزْدَلِفة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج (١٤٩) باب ما جاء أن عرفة كلها موقف: عن عمر بن حفص بن غياث، عن أبيه، عن جابر، في حديثه أن رسول الله ﷺ قال: «نحرت هاهنا، ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم. ووقفت هاهنا وعرفة كلها موقف. ووقفت هاهنا، وجمْع كلها موقف». وأبو داود في كتاب مناسك الحج (١٩٠٧) باب صفة حجّة النبيّ ﷺ. و (١٩٣٥) باب الصلاة بجَمْع. والنسائي في المناسك ٢٥٦/٥ باب رفع اليدين في الدعاء بعرفة. و ٢٦٥/٥ باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة. والترمذي في كتاب الحج (٨٨٦) باب ما جاء أن عرفة كلها موقف. وابن ماجة في كتاب المناسك، (٣٠١٠) و (٣٠١٢) باب الموقف بعرفة و (٣٠٤٨) باب الذبح. والدارمي في المناسك، باب (٥٠)، ومالك في الموطأ (٨٧٨) و (٨٧٩) باب الوقوف بعرفة، والمزدلفة. وأحمد في المسند ٧٢/١، ٧٥، ٨٦، ٨١، ١٥٧، ٣٢١/٣، ٣٢٦، ٨٢/٤.

(٣) تاريخ الطبري (١٥٢/٣).

بعث أُسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق: ثم قفل رسول الله ﷺ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجّة والمحرَّم وصفر، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة مولاه، وأمره أن يُوطيء الخَيل تُخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهّز الناس، وأوعب(١) مع أُسامة بن زيد المهاجرون الأوّلون(٢).

بعْث رسول الله ﷺ إلى الملوك

قال ابن هشام: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رُسُلاً من أصحابه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

قال ابن هشام: حدّثني من أثق به، عن أبي بكر الهُذليّ قال: بلغني أنّ رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التي صُدّ عنها يوم الحُدَيبية، فقال: «أيُّها الناس إنّ الله قد بعثني رحمة وكافّة، فلا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريُّون على عيسى بن مريم»، فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريُّون يا رسول الله؟ قال: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأمّا من بعثه بعثاً قريباً فرضي وسَلِم، وأمّا من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتثاقلون وكلّ واحد منهم يتكلّم بلغة الأمة التي بُعث إليها».

أسماء الرسل وأسماء من أرسل إليهم:(٣) فبعث رسول الله ﷺ رُسُلاً من أصحابه، وكتب معهم كتُباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام. فبعث دِحْية بن خليفة الكلبيّ إلى قيصر، ملك الروم، وبعث عبد الله بن حُذافة السَّهْميّ إلى كسرى، ملك فارس، وبعث عمرو بن أُميَّة الضَّمْريّ إلى

---

(١) أوعب: اجتمع.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٨٤.

(٣) أنظر: تاريخ خليفة ٧٩، البدء والتاريخ ٤/٢٢٨، ٢٢٩.

النّجاشيّ، ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المُقَوْقِس، ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السَّهْميّ إلى جَيْفر وعيّاد ابني الجلندي الأزْديّين، ملكي عُمان، وبعث سَليط بن عمرو، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، إلى ثُمامة بن أثال، وهَوْذة بن عليّ الحنفيَّين، ملكيْ اليمامة، وبعث العلاء بن الحضْرميّ إلى المنذر بن ساوي العبدي، ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهْب الإسديّ إلى الحارث بن أبي شَمِر الغسّانيّ، ملك تخوم الشام.

قال ابن هشام: بعث شجاع بن وهْب إلى جَبَلَة بن الأيهم الغسّانيّ، وبعث المهاجر بن أبي أُميّة المخزوميّ إلى الحارث بن عبد كَلال الحِمْيَرِيّ، ملك اليمن.

قال ابن هشام: أنا نسيت سَلِيطاً وثُمامة وهَوْذة والمنذر.

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصري: أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال: فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزُّهْري فعرفه، وفيه: أنّ رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: «إنّ الله بعثني رحمة وكافّة، فأدّوا عنّي يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريّون على عيسى بن مريم»، قالوا: كيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ قال: «دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأمّا من قرُب به فأحبّ وسلم، وأما من بعُد به فكره وأبى، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكلّ رجل منهم يتكلّم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم».

أسماء رُسُل عيسى: قال ابن إسحاق: وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريّين والأتباع، الذين كانوا بعدهم في الأرض: بطرس الحَوَاريّ، ومعه بُولُس، وكان بولس من الأتباع، ولم يكن من الحواريّين إلى رومية، وأندرائس ومنتا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس، وتوماس إلى أرض بابل، من أرض المشرق، وفيلبُّس إلى أرض قَرْطاجَنّة وهي إفريقية،

ويُحنَّس، إلى أفْسُوس، قرية الفِتْية أصحاب الكهف، ويعقوبُس إلى أورشليم وهي إيلياء، قرية بيت المقدس، وابن ثلماء إلى الأعرابية، وهي أرض الحجاز، وسيمُن إلى أرض البربر، ويهوذا، ولم يكن من الحواريّين، جُعل مكان يُودس.

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبْعاً وعشرين غزوة منها، غزوة ودّان، وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بُواط، من ناحية رَضْوَى، ثم غزوة العُشَيرة، من بطن يَنْبُع، ثم غزوة بدر الأولى، بطلب كُرْز بن جابر، ثم غزوة بني سُلَيم، حتى بلغ الكُدْر، ثم غزوة السَّويق، بطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غَطفان، وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة بَحْران، معدن بالحجاز، ثم غزوة أُحُد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة الرقاع ومن نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دُومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قُرَيظة، ثم غزوة بني لِحْيان، من هُذَيل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة بني المُصْطلِق من خُزاعة، ثم غزوة الحُدَيبية، لا يريد قتالاً، فصدَّه المشركون، ثم غزوة خَيبر، ثم غزوة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حُنَين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تَبُوك. قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأُحُد، والخندق، وقُريظة، والمُصْطلِق، وخَيبر، والفتح، وحُنين، والطائف[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٥٣، وانظر المعرفة والتاريخ ٣/٢٦١، ٢٦٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/٦٩ وغيره.

ذكر جملة السّرايا والبعوث

وكانت بُعوثه ﷺ وسراياه ثمانياً وثلاثين، من بين بعث وسريّة: غزوة عُبيدة بن الحارث أسفل من ثنيّة ذي المَرْوة، ثم غزوة حمزة بن عبد المطّلب ساحل البحر، من ناحية العِيص؛ وبعض الناس يقدّم غزوة حمزة قبل غزوة عُبيدة؛ وغزوة سعد بن أبي وقّاص الخرّار، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدة، وغزوة محمد بن مَسلمة: كعب بن الأشرف، وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَويّ الرجيع، وغزوة المنذر بن عمرو بئر مَعُونة، وغزوة أبي عُبيدة بن الجرّاح ذا القَصَّة، من طريق العراق، وغزوة عمر بن الخطّاب تربة من أرض بني عامر، وغزوة عليّ بن أبي طالب اليمن، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي، كلب ليث، الكَدِيد، فأصاب بني الملوَّح[1].

غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوّح: وكان من حديثها أنّ يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس، حدّثني عن مسلم بن عبد الله بن خبيْب الجُهَني، عن المنذر[2]، عن جُنْدب بن مَكيث الجُهَني، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي، كلب بن عوف بن ليث، في سريّة كنت فيها، وأمره أن يشنّ الغارة على بني الملوّح، وهم بالكَديد، فخرجنا، حتى إذا كنّا بقُدَيد لقينا الحارث بن مالك، وهو ابن البرصاء الليثي، فأخذناه، فقال: إنّي جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلّا إلى رسول الله ﷺ؛ فقلنا له: إن تك مسلماً فلن يضيرك رباط ليلة، وإن تك على غير ذلك كنّا قد استوثقنا منك، فشددناه رباطاً، ثم خلّفنا عليه رجلاً[3] من أصحابنا أسود، وقلنا له: إن عازّك[4] فاحتزّ رأسه.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٥٤ وفيه «وأصاب بلمُلوّح».

(٢) المنذر، ليس في السند عند ابن سعد ٢/١٤٢.

(٣) عند ابن سعد «رويجلاً».

(٤) عازّك: غالبك. وفي طبقات ابن سعد: «نازعك».

قال: ثُمّ سرنا حتى أتينا الكَديد عند غروب الشمس، فكنّا[1] في ناحية الـوادي، وبعثني أصحابي ربيئـة[2] لهم، فخرجت حتى آتي تـلاً مشرفاً على الحاضر[3]، فأسندت فيه[4]، فعلوت على رأسه، فنـظرت إلى الحاضـر، فوالله إنّي لمنبـطح على التلّ، إذ خـرج رجل منهم من خِبـائه، فقـال لامرأتـه: إنّي لأرى على التـلّ سواداً مـا رأيتـه في أول يـومي، فـانـظري إلى أوعيتـك هـل تفقدين منها شيئاً، لا تكون الكـلاب جرّت بعضهـا؛ قال: فنـظرت، فقالت: لا، والله ما أفقد شيئاً؛ قال: فناوليني قوسي وسهمين، فناولته، قـال: فأرسـل سهماً، فوالله ما أخطأ جنبي، فأنزعه، فأضعه، وثبتّ مكاني، قـال: ثم أرسل الآخر، فوضعه في منكبي، فأنزعه فأضعه، وثبتّ مكـاني، فقال لامـرأته: لـو كـان ربيئة لقـوم لقد تحـرّك، لقد خـالـطه سهمـاي لا أبـا لـكِ، إذا أصبحتِ فابتغيهما، فخذيهما، لا يمضغهما عليّ الكلاب. قال: ثم دخل.

قال: وأمهلناهم، حتى إذا اطمأنّوا وناموا، وكان في وجه السَّحَـر، شَنَنّا عليهم الغـارة، قال: فقتلنـا، واستقْنا النَّعَم، وخـرج صريـخ القوم، فجـاءنـا دهم[5] لا قِبَـل لنا بـه، ومضينـا بـالنَّعَم، ومـررنـا بـابن البـرصـاء وصـاحبـه، فاحتملناهما معنا؛ قال: وأدركنا القوم حتى قربُـوا منّا، قـال: فما بيننـا وبيْنهم إلّا وادي قُدَيد، فأرسل الله الـوادي بالسيـل من حيث شاء تبـارك وتعالى، من غير سحابة نراها، لامطر، فجـاء بشيء ليس لأحدٍ بـه قوّة، ولا يقـدر على أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، وإنّا لنسوق نَعَمَهم، ما يستـطيع رجـل أن يُجيز إلينا، ونحن نحدوها سراعاً، حتى فُتنـاهم فلم يقـدروا على طلبنـا.

قال: فقدِمنا بها على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحـدّثني رجل من أسلم، عن رجـل منهم: أنّ شعار

---

(١) عند ابن سعد «فكمنّا».

(٢) الربيئة: الطليعة الذي يتجسّس الأخبار.

(٣) الحاضر: من ينزلون على الماء.

(٤) أسندت: ارتفعت.

(٥) الدهم: الجماعة الكثيرة.

أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلة: أمت أمت. فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها:

أَبَى أبو القاسمِ أنْ تَعَزَّبى ... في خَضِلٍ نباتُهُ مُغْلَوْلِبِ[1]

صُفرٍ أعاليهِ كَلَونِ المُذهَبِ[2]

قال ابن هشام: ويروى: «كلون الذهب».

تم خبر الغزاة، وعدت إلى ذكر تفاصيل السَّرايا والبعوث.

تعريف ببعض الغزوات: قال ابن إسحاق: وغزوة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بني عبد الله بن سعد من أهل فَدَك؛ وغزوة أبي العَوْجاء السُّلميّ أرض بني سُلَيم، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً؛ وغزوة عُكّاشة بن مِحْصَن الغَمرة؛ وغزوة أبي سَلَمة بن عبد الأسد قَطَناً، ماء من مياه بني أسد، من ناحية نجد، قُتل بها مسعود بن عُروة، وغزوة محمد بن مَسلمة، أخي بني حارثة، القُرطاء من هوازن؛ وغزوة بشير بن سعد بني مُرَّة بفَدَك، وغزوة بشير ابن سعد ناحية خيبر[3]، وغزوة زيد بن حارثة الجَمُوم من أرض بني سُليم، وغزوة زيد بن حارثة جُذام، من أرض خُشَيْن.

قال ابن هشام: عن نفسه، والشافعي، عن عمرو بن حبيب، عن ابن إسحاق: من أرض حِسْمَى[4].

غزوة زيد بن حارثة إلى جُذام[5]: قال ابن إسحاق: وكان من حديثها كما حدّثني من لا أتّهم، عن رجال من جُذام كانوا علماء بها، أنّ رفاعة بن زيد

---

(١) تعزّبي: تَغيّبي في المرعى. الخَضِلّ: الأخضر المُبتَلّ. المُغْلَوْلِب: الكثير.

(٢) الخبر والرجز في طبقات ابن سعد ٢/١٤٢، ١٢٥، وانظر البدء والتاريخ ٤/٢٣٠، والمحبّر ١١٩، وتاريخ خليفة ٧٨، وأنساب الأشراف ١/٣٧٩، رقم ٨٠٤.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/١٥٥ «وغزوة بشير بن سعد أيضاً إلى يُمْن وجناب بلد من أرض خيبر، وقيل يُمن وجَبَار، أرض من أرض خيبر.

(٤) وهي كذلك في تاريخ الطبري ٣/١٥٥.

(٥) المحبّر ١٢١، تاريخ اليعقوبي ٢/٧١، أنساب الأشراف ١/٣٧٧ رقم ٧٩٠.

الجُذاميّ، لما قدِم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يلبث أن قدِم دِحْية بن خليفة الكلبيّ من عند قيصر صاحب الروم، حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شَنَار، أغار على دِحية بن خليفة الهُنَيد بن عوص، وابنه عوص بن الهُنَيد الضّلعيّان. والضّليع: بطن من جُذَام، فأصابا كلَّ شيء كان معه، فبلغ ذلك قوماً من الضُبَيْب، رهْط رفاعة بن زيد، ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهُنَيد وابنه، فيهم من بني الضُّبَيْب، النُّعمان بن أبي جعال، حتى لقوهم، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قُرَّة بن أشقر الضَّفاري ثم الضّلعيّ، فقال: أنا ابن لُبْنَى، ورمى النُّعمان بن أبي جعال بسهم، فأصاب رُكبته؛ فقال حين أصابه: خذها وأنا ابن لُبْنَى، وكانت له أمّ تدعى لُبْنَى، وقد كان حسّان بن ملّة الضُّبَيْبي قد صحِب دِحْية بن خليفة قبل ذلك، فعلّمه أمَّ الكتاب.

قال ابن هشام: ويقال: قُرّة بن أشقر الضّفاريّ، وحيّان بن ملّة.

قال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتّهم، عن رجالٍ من جُذام، قال: فاستنقذوا ما كان في يد الهُنَيد وابنه، فردّوه على دِحْية، فخرج دِحْية، حتى قدِم على رسول الله ﷺ، فأخبره خبره، واستسقاه دم الهُنَيد وابنه، فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة، وذلك الذي هاج غزوة زيد جُذام، وبعث معه جيشاً، وقد وجّهت غَطَفان من جُذام ووائل ومن كان من سَلامان وسعد بن هذيم، حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله ﷺ، حتى نزلوا الحَرَّة الرَّجْلاء[1]، ورفاعة بن زيد بكُراع رَبّه[2]، لم يعلم ومعه ناس

(١) حَرَّة الرَّجْلاء: الصلبة الشديدة، وقيل هي التي أعلاها أسود وأسفلها أبيض. ويقال للطريق الخشن. رجيل. وهو علم لحَرّة في ديار بني القَيْن بن جَسر بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٤٦).

(٢) كُراع رَبّه: بالضّم في أوله. وكراع كل شيء: طَرَفه. وما سال من أنف الجبل أو الحَرَّة. وربّة: بلفظ ربّة البيت أو ربّة المال أي صاحبته. في ديار جُذام. كذا ضبطه ابن الفرات بخطّه. (معجم البلدان ٤/٤٤٣).

من بني الضُّبَيب، وسائر بني الضُّبَيْب بوادي مَدَان[1]، من ناحية الحَرَّة، مما يسيل مشرِّقاً، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأَوْلاج[2]، فأغار بالماقص من قِبَل الحَرَّة، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس، وقتلوا الهُنَيد وابنه ورجلين من بني الأجنف.

قال ابن هشام: من بني الأحنف.

قال ابن إسحاق: في حديثه: ورجلاً من بني الخصيب. فلما سمعت بذلك بنو الضُّبَيب والجيش بفَيْفاء[3] مَدانٍ ركب نفر منهم، وكان فيمن ركب معهم حسّان بن ملّة، على فرسٍ لسُوَيد بن زيد، يقال لها العُجاجة، وأُنَيف ابن ملّة على فرس لملّة يقال لها: رُغال؛ وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شَمِر، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش، قال أبو زيد وحسّان لأُنَيف بن ملّة: كُفَّ عنّا وانصرف، فإنّا نخشى لسانك، فوقف عنهما، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثّب، فقال: لأنا أضَنّ بالرجلين منك بالفرسين، فأرخى لها، حتى أدركهما، فقالا له: أما إذا فعلت ما فعلت فكُفَّ عنّا لسانك، ولا تشأمنا اليوم، فتواصوا أن لا يتكلّم منهم إلّا حسّان بن ملّة، وكانت بينهم كلمة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال: بوري أو ثوري؛ فلما برزوا على الجيش، أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسّان: إنّا قوم مسلمون، وكان أول من لقِيهم رجل على فرس أدهم، فأقبل يسوقهم، فقال أُنَيف: بوري، فقال حسّان: مهلاً. فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسّان: إنّا قوم مسلمون، فقال له زيد فاقرءوا أمّ الكتاب، فقرأها حسّان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش أنّ الله قد حرّم

---

(١) المَدَان: بفتح أوله. وادٍ في بلاد قضاعة بناحية حَرَّة الرجلاء، وقيل الرجْلَى، يسير مشرقاً من الحَرَّة. (معجم البلدان ٥/٧٤).

(٢) الأَولاج: بالفتح. أنظر معجم البلدان ١/٢٨٢.

(٣) فَيْفاء: بالفتح، وتكرير الفاء. المفازة التي لا ماء فيها، وجمعها الفيافي. (معجم البلدان ٤/٢٨٥).

علينا ثغرة[1] القوم التي جاءوا منها إلّا من خَتَر[2].

قال ابن إسحاق: وإذا أخت حسّان بن ملّة، وهي امرأة أبي وَبَر بن عديّ بن أُميّة بن الضُّبَيب في الأسارى، فقال له زيد: خذها، وأخذت بحِقْويه[3] فقالت أم الفزر الضلْعية: أتنطلقون ببناتكم وتَذَرون أمّهاتكم؟ فقال أحد بني الخصيب: إنّها بنو الضُّبَيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم، فسمعها بعض الجيش، فأخبر بها زيد بن حارثة، فأمر بأخت حسّان، ففُكَّت يداها من حقْويه، وقال لها: اجلسي مع بنات عمّك حتى يحكم الله فيكنّ حكمه، فرجعوا، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه؛ فأمسوا في أهليهم، واستعتموا ذوداً[4] لسُوَيد بن زيد، فلما شربوا عتمتهم[5] ركبوا إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة: أبو زيد بن عمرو، وأبو شمّاس بن عمرو، وسُويد ابن زيد، وبَعْجة بن زيد، وبَرْذَع بن زيد، وثعلبة بن زيد، ومُخرَّبة بن عدِيّ، وأُنَيف بن ملّة، وحسّان بن ملّة، حتى صبّحوا سَحَراً رفاعة بن زيد بكراع رَبّه، بظهر الحَرّة، على بئر هنالك من حَرَّة ليلى، فقال له حسّان بن ملّة: إنّك لجالس تحلب المِعْزَى ونساء جُذام أسارى قد غرّها كتابك الذي جئت به، فدعا رفاعة بن زيد بحملٍ له، يشدّ رَحْله وهو يقول:

هل أنت حيٌّ أو تنادي حيّاً

ثم غدا وهم معه بأُميّة بن ضَفارة أخي الخصيبيّ المقتول، مُبكرين من ظهر الحَرَّة، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليالٍ، فلما دخلوا المدينة، وانتهوا إلى المسجد، نظر إليهم رجل من الناس، فقال: لا تُنِيخوا إبِلَكم، فتقطع أيديهنّ، فنزلوا عنهنّ وهنّ قيام، فلمّا دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم

---

(١) الثغرة: ما يحمونه من جانبهم.
(٢) ختر: نقض العهد.
(٣) حقْويه: خصريه.
(٤) استعتموا: انتظروا إلى العتمة. الذود. جماعة الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة.
(٥) عتمتهم: لبنهم الذي يشربونه في التعتمة.

ألاح[1] إليهم بيده: «أن تعالَوا من وراء الناس»، فلما استفتح رِفاعة بن زيد المنطق، قام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، إنّ هؤلاء قوم سَحَرة، فردّدها مرَّتين، فقال رِفاعة بن زيد: رحِم الله من لم يحذنا[2] في يومه هذا إلاّ خيراً. ثم دفع رِفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ كان كتبه له. فقال: دونك يا رسول الله قديماً كتابُه، حديثاً غدره. فقال رسول الله ﷺ: «اقرأه يا غلام، وأعْلِنْ»، فلما قرأ كتابه استخبره، فأخبروهم الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «كيف أصنع بالقتلى»؟ - ثلاث مرات -. فقال رفاعة: أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرّم عليك حلالاً ولا نحلّل لك حراماً، فقال أبو زيد بن عمرو: أطلِق لنا يا رسول الله من كان حيّاً، ومن قُتل فهو تحت قدميّ هذه؛ فقال له رسول الله ﷺ: «صدق أبو زيد، اركب معهم يا عليّ»، فقال له عليّ رضي الله عنه: إنّ زيداً لن يطيعني يا رسول الله، قال: فخذ سيفي هذا، فأعطاه سيفه، فقال عليّ: ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو، يقال له مِكْحال، فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبي وَبَر، يقال لها: الشَّمِر، فأنزلوه عنها، فقال: يا عليّ، ما شأني؟ فقال: ما لهم عرفوه فأخذوه، ثم ساروا فلقوا الجيش بفَيْفاء الفَحْلتين، فأخذوا ما في أيديهم[3]، حتى كانوا ينزعون لَبِيد المرأة من تحت الرَّحْل؛ فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم:

وعاذلةٍ ولم تعذُل بطِبّ[4] ... ولولا نحنُ حُشّ بها السَّعيرُ
تُدافع في الأسارى بابنَتَيها ... ولا يُرْجَى لها عِتْق يسير
ولو وُكِلَتْ إلى عُوصٍ وأوسٍ ... لحار[5] بها عن العِتْق الأمور

---

(١) ألاح: أشار.
(٢) لم يحذنا: لم يعطنا.
(٣) الخبر في طبقات ابن سعد ٢/٨٨ بعنوان سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمى.
(٤) بطبّ: برفق.
(٥) حار: رجع.

ولــو شهِــدَتْ ركــائبَنَــا بمصْــرٍ ... تُحــاذِرُ أن يُعَــلَّ[1] بهــا المسيــر
وَرَدْنــا مَــاءَ يثــربَ عن حِفــاظٍ ... لــرَبْــع إنّــه قَــرَب ضَــريــر[2]
بكــلّ مُجــرَّب كــالسِّيــد نَهْــدٍ ... على أقتــاد نــاجيــة صَبــور[3]
فِــدًى لأبــي سُلَيمــي كــلُّ جيش ... بيثْــربَ إذ تنــاطحت النُّحُــور
غــداةَ تَــرَى المُجَــرَّب مُستكينــاً ... خــلافَ القــومِ هــامتُــه تــدور

قال ابن هشام: قوله: «ولا يُرجَى لها عِتْق يسير». وقوله: «عن العِتْق الأمور». عن غير ابن إسحاق.

تمّت الغزاة، وعُدنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبعوث.

غزوة زيد الطَّرَف: **قال ابن أسحاق**: وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطَّرَف من ناحية نخل. من طريق العراق[4].

غزوة زيد بن حارثة بني فَزَارة: وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادي القرى؛ لقي به بني فَزَارة، فأصيب بها ناس من أصحابه، وارتُثَّ[5] زيد من بين القتلى، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مَداش، وكان أحد بني سعد بن هُذَيل، أصابه أحد بني بدر[6].

قال ابن هشام: سعد بن هُذَيم.

قال ابن إسحاق: فلما قدِم زيد بن حارثة آلى أن لا يمسّ رأسَه غُسْلٌ

---

(١) يُعلّ: يكرر.
(٢) الربع: ورود الإبل إلى الماء لأربعة أيام. القرب السير في طلب الماء. ضرير: مضر.
(٣) السيد: الذئب. النهد: الغليظ. أقتاد: أدوات الرحل. الناجية: أي ناقة صبور.
(٤) كانت في جمادى الآخرة سنة ست من مُهاجَر الرسول ﷺ. انظر عنها في الطبقات لابن سعد ٢/٨٧، والمحبّر ١٢٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧٢، وأنساب الأشراف ١/٣٧٧ رقم ٧٨٩.
(٥) ارتُثَّ: حُمل جريحاً من المعركة وبه رمق.
(٦) كانت الغزوة في شهر رجب سنة ست من مهاجر الرسول ﷺ. طبقات ابن سعد ٢/٨٩) والمحبّر ١١٩، وتاريخ خليفة ٧٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧١، وأنساب الأشراف ١/٣٧٧، ٣/٨ رقم ٧٩١ و ٧٩٤، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٢.

من جَنابة حتى يغـزو بني فَزارة، فلمـا استبلّ من جـراحته بعثـه رسول الله ﷺ إلى بني فَزارة في جيش، فقتلهم بوادي القرى، وأصاب فيهم، وقتل قيس بن المُسَحّر اليَعْمُريّ مَسْعَدة بن حكمة بن مالك بن حُـذيفة بن بـدر، وأُسرت أمّ قِرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كانت عجوزاً كبيـرة عند مـالك بن حُـذيفة بن بدر، وبنت لها، وعبد الله بن مَسْعدة. فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحّر أن يقتل أمّ قِرفة، فقتلها قتلاً عنيفاً، ثم قـدِموا على رسـول الله ﷺ بابنـة أمّ قِرفـة وبابن مَسْعَدة.

وكـانت بنت أمّ قِرْفـة لسَلَمـة بن عمـرو بن الأكْـوع، وكـان هـو الـذي أصابها، وكانت في بيت شرفٍ من قومها، كانت العرب تقول: «لو كنت أعـزّ من أم قِرْفة ما زِدْت». فسألها رسول الله ﷺ سَلَمة، فوهبها له، فأهداها لخاله حَزْن بن أبي وهْب، فولدت له عبد الرحمن بن حَزْن.

فقال قيس بن المسحّر في قتل مَسْعَدَة:

سعيتُ بـورد مثـل سعْي ابن أمّـه وإنّي بـوردٍ في الحيـاة لثـائـر(١)
كَـرَرْتُ عليـه المُهْـرَ لمّـا رأيتُـهُ علـى بـطلٍ من آل بـدرٍ مُـغـاوِر
فـركّبْتُ فيـه قَعْضَبِيّـاً كـأنّـه شِهـابٌ بمَعْـراة يُـذَكّى لِنـاظِـر(٢)

غـزوة عبـد الله بن رواحـة لقتل اليُسَيـر بن رِزام: وغـزوة عبـد الله بن رَواحـة خيبر مـرّتين: إحداهمـا التي أصـاب فيهـا اليسيـر بن رِزام. قـال ابن هشام: ويقال ابن رازم(٣).

وكان من حديث اليُسَيـر بن رِزام(٤) أنه كـان بخيبر يجمـع غَطفـان لغزو

(١) الثائر: الآخذ بثأره.
(٢) قَعْضَبِياً: سِناناً منسوب إلى قَعْضَب، رجـل كـان يصنعهـا. مَعْـراة: مكـان لا يستـره شيء. يُذكَّى: يُشْعل.
(٣) وفي طبقات ابن سعد ٩٢/٢ «زارم» بتقديم الزاي.
(٤) في طبقات ابن سعد «أُسَيْر بن زارم».

رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رَواحة في نفر من أصحابه، منهم عبد الله بن أُنَيس، حليف بني سَلِمَة؛ فلما قدِموا عليه كلّموه، وقرّبوا له، وقالوا له: إنّك إنْ قدِمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك، فلم يزالوا به، حتى خرج معهم في نفرٍ من يهود، فحمله عبد الله بن أُنيس على بعيره، حتى إذا كان بالقَرْقَرَة من خيبر، على ستّة أميال، ندم اليُسَير بن رِزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ، ففطِن به عبد الله بن أُنيس، وهو يريد السيف، فاقتحم به، ثم ضربه بالسيف فقطع رِجْله، وضربه اليُسَير بمِخْرَش[1] في يده من شَوْخَط[2]، فأمَّه[3] ومال كلّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله، إلاّ رجلاً واحداً أفلت على رِجْليه، فلما قدِم عبد الله ابن أُنَيس على رسول الله ﷺ تفل على شجَّته، فلم تقحْ ولم تُؤْذِه[4].

غزوة ابن عُتَيك خيبر: وغزوة عبد الله بن عُتَيك خيبر، فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحُقَيْق[5].

غزوة عبد الله بن أُنَيس لقتل خالد بن سُفيان بن نُبَيح الهُذَليّ: وغزوة عبد الله بن أُنَيس خالد بن سفيان بن نُبيح، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلة أو بعُرَنَة، يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه، فقتله[6].

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُبَير، قال: قال

---

(١) المِخْرش: عصا معقوفة.
(٢) الشوحط: نوع من الشجر.
(٣) أمّه: اصاب امّ رأسه.
(٤) أنظر الغزوة في طبقات ابن سعد ٢/٩٢ بعنوان «سرية عبد الله بن رواحة إلى أُسَيْر بن زارم». وهي في تاريخ الطبري ٣/١٥٥، والمحبّر ١١٩، ١٢١، وتاريخ خليفة ٧٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧٤.
(٥) أنظر الغزوة في طبقات ابن سعد ٢/٩١ ويسمّيها سرية عبد الله بن عَتيك إلى أبي رافع. وتاريخ الطبري ٣/١٥٥، أنساب الأشراف ١/٣٧٦ رقم ٧٧٩ و ١/٣٧٨ رقم ٧٩٥.
(٦) تاريخ الطبري ٣/١٥٦، المحبّر ١١٩، تاريخ خليفة ٧٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٧٤، أنساب الأشراف ١/٣٧٦ رقم ٧٨٠، البدء والتاريخ ٤/٢٢٢.

عبد الله بن أُنَيس: دعاني رسول الله ﷺ، فقال: «إنه قد بلغني أنّ ابن سُفيان بن نُبيح الهُذَليّ يجمع لي الناس ليغزُوَني، وهو بنخلة، أو بعُرَنَة، فأتِه فاقتُلْه». قلت: يا رسول الله، انعتْه لي حتى أعرفه. قال: «إنّك إذا رأيته أذكَرَكَ الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنّك إذا رأيته وجدت له قُشَعْريرة». قال: فخرجت متوشّحاً سيفي، حتى دفعت إليه وهو في ظعن[1] يرتاد لهنّ منزلاً، وحيث كان وقت العصر: فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله ﷺ من القُشَعْريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه، أومىء برأسي، فلما انتهيت إليه، قال: مَن الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أجل، إنّي لفي ذلك. قال: فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم خرجت، وتركت ظعائنه مُنْكَبَّاتٍ عليه؛ فلما قدِمت على رسول الله ﷺ فرآني، قال: «أفلح الوجه»؛ قلت: قد قتلته يا رسول الله ﷺ. قال: «صدقت».

ثم قام بي، فأدخلني بيته، فأعطاني عصاً، فقال: «أمسِك هذه العصا عندَك يا عبد الله بن أُنَيْس». قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أُمسِكها عندي. قالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أُمسِكها عندي. قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لِمَ ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لِمَ أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة. إنّ أقلّ النّاس المتخصِّرون[2] يومئذٍ»، قال: فقرنها عبد الله بن أُنَيْس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أُمِر بها فضُمَّت في كَفَنه، ثم دُفنا جميعاً[3].

---

(١) الظعن: النساء في الهوادج.

(٢) المتخصّرون: المتّكئون على المخاصر. مفردها مخصرة العصا.

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ١٥٦/٣، ١٥٧.

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أُنَيس في ذلك:

تـركتُ ابنَ ثَـوْر كـالحـوارِ وحـولـه ... نـوائـحُ تَفْـري كـلَّ جَيْبٍ مُقَـدَّدِ[1]
تنـاولتُـهُ والـظُّعْنُ خلفـي وخلفَـهُ ... بـأبيضَ من مـاءِ الحـديـدِ مُهَنَّـدِ[2]
عَجُـومٍ لِهـامِ الـدَّارِعين كـأنَّـه ... شِهـابُ غضًى من مُلْهَبٍ مُتَـوَقِّـدِ[3]
أقـول لـه والسيـفُ يَعْجُم رأسَـهُ ... أنـا ابنُ أُنَيْس فـارسـاً غيـرَ قُعْـدُدِ[4]
أنـا ابنُ الذي لم يُنْـزِلِ الدّهْـرَ قِدْرَه ... رحيبُ فِنـاءِ الـدّارِ غيـرُ مُـزَنَّـدِ[5]
وقلتُ لـه خُـذْهـا بضربـة مـاجـدٍ ... حَنيـف على ديـن النبيّ محـمـد
وكـنـتُ إذا هـمّ الـنـبـيّ بـكـافـر ... سبقتُ إليـه بـالـلسـانِ وبـاليـد

تمّت الغزاة، وعُدنا إلى خبر البعوث.

بعض غزوات أُخَر: قال ابن إسحاق: وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة مُؤْتة من أرض الشام، فأُصيبوا بها جميعاً[6].

وغزوة كعب بن عُمَير الغِفَاريّ ذات أطلاح، إلى أرض الشام، أُصيب بها هو وأصحابه جميعاً[7].

وغزوة عُيَيْنة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر بني العنبر من بني تميم[8].

غـزوة عُيَيْنة بن حصْن بني تميم: وكـان من حديثهم أنّ رسـول الله ﷺ

---

(١) الحوار: ولد الناقة. تفري: تقطع.
(٢) الظعن: الهوادج، فيها النساء.
(٣) عجوم: عضوض: الغضى: شجر سريع الالتهاب.
(٤) غير قعدد: غير لئيم.
(٥) المزند: البخيل.
(٦) طبقات ابن سعد ٢/١٢٨ ـ ١٣٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٧٢، أنساب الأشراف ١/٣٨٠ رقم ٨٠٨.
(٧) المحبّر ١٢٠، طبقات ابن سعد ٢/١٢٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٧٥، أنساب الأشراف ١/٣٨٠ رقم ٨٠٧، البدء والتاريخ ٤/٢٣٠.
(٨) تاريخ الطبري ٣/١٥٧، المحبّر ١٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٧٤.

بعثه إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم أُناساً، وسبى منهم أُناساً[١].

فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنّ عليَّ رَقَبة من ولد إسماعيل. قال: «هذا سبْي بني العنبر يقدُم الآن، فنُعطيك منهم إنساناً فتُعْتِقينه».

قال ابن إسحاق: فلما قُدِم بسبْيهم على رسول الله ﷺ، ركب فيهم وفد من بني تميم، حتى قدِموا على رسول الله ﷺ، منهم ربيعة بن رُفَيع، وسَبْرة بن عمرو والقعقاع بن مَعْبد، ووَرْدان بن مُحرز، وقيس بن عاصم، ومالك بن عمرو، والأقرع بن حابس، وفراس بن حابس؛ فكلّموا رسول الله ﷺ؛ فأعتق بعضاً، وأفدى بعضاً. وكان ممّن قُتل يَومئذٍ من بني العنبر: عبد الله وأخوان له، بنو وهْب، وشدّاد بن فراس، وحنظلة بن دارم، وكان ممّن سُبي من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكأس بنت أرِيّ، ونَجْوَة بنت نهد، وجُمَيعة بنت قيس، وعَمرة بنت مَطر[٢]. فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عتّاب:

لَعَمْري لقد لاقت عديُّ بن جُنْدَب ... من الشر مَهواةً شديداً كَئودها[٣]
تكنّفها الأعداء من كلّ جانبٍ ... وغُيِّب عنها عِزُّها وجُدُودها[٤]

قال ابن هشام: وقال الفرزدق في ذلك:

وعندَ رسول الله قام ابنُ حابسٍ ... بخُطَّةِ سَوّارٍ إلى المجْد حازم[٥]
له أطلَقَ الأسرى التي في حِبالهِ ... مُغَلَّلَةً أعناقُها في الشَّكائم
كفى أُمّهات الخالفينَ عليهمُ ... غِلاءَ المُفادي أو سِهامَ المَقاسِم[٦]

---

(١) تاريخ الطبري ١٥٧/٣ وفيه «وسبى منهم سبياً».
(٢) تاريخ الطبري ١٥٧/٣، المحبّر ١٢٥.
(٣) المهواة: المكان المنخفض بين جبلين. الكئود: الصعبة.
(٤) الجدود: الخطوط.
(٥) الخطة: الخصلة. السوار: الوثاب.
(٦) الخالفين: المتخلفين.

وهـذه الأبيـات في قصيـدة لـه. وعـديّ بن جُنْدَب من بني العنبـر، والعنبر بن عمرو بن تميم.

غـزوة غـالب بن عبـد الله أرض بني مُـرّة: قـال ابن إسحـاق: وغـزوة غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث - أرض بني مُرّة، فأصـاب بها مـرداس بن نَهِيك، حليفاً لهم من الحُـرَقَة، من جُهَينـة، قتله أُسامـة بن زيد، ورجـل من الأنصار[1].

قال ابن هشام: الحُرَقة، فيما حدّثني أبو عبيدة.

قال ابن إسحاق: وكان من حديثه عن أُسامة بن زيد، قـال. أدركته أنـا ورجـل من الأنصار فلمـا شهرنـا عليه السـلاح، قال أشهـد أن لا إله إلّا الله. قال: فلم ننزع عنه حتى قتلناه؛ فلما قدِمْنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبـره؛ فقال: «يا أُسامة، مَن لك بلا إله إلّا الله»؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنـه إنّما قالها تعوُّذاً بها من القتل. قال: «فمَن لك بها يا أُسامـة»؟ قال: فـوالذي بعثـه بـالحقّ ما زال يـردّدها عليَّ حتى لـودِدْت أنّ مـا مضى من إسـلامي لم يكن، وأنّي كنت أسلمت يومئذ، وأنّي لم أقتلْه؛ قال: قلت: أنظِرْني يـا رسول الله، إنّي أُعـاهد الله أن لا أقتـل رجلاً يقـول لا أله إلّا الله أبـداً، قال: تقـول بعدي يا أُسامة»؛ قال: قلت بعدك[2].

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل[3]: وغزوة عمـرو بن العاص ذات

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٥٧.

(٢) طبقـات ابن سعد ٢/١١٩ بعنـوان: «سريـة غالب بن عبـد الله الليثي إلى المَيْفعة»، وتـاريخ الطبري ٣/١٥٧، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٨، وأنساب الأشراف ١/٣٧٩ رقم ٨٠١.

(٣) أنـظر عنها في: المغـازي لعروة ٢٠٧، والمغـازي للواقدي ٢/٧٦٩، وجـوامع السيـرة ٢٠، وتـاريخ الـطبري ٣/١٥٨، وطبقـات ابن سعـد ٢/١٣١، وعيـون الأثـر ٢/١٥٧، والبـدايـة والنهاية لابن كثير ٤/٢٧٣، والمحبّر لابن حبيب ١٢١، ١٢٢، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٢، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٣، ٢٨٤، والبدء والتاريخ ٤/٢٣٢، وأنساب الأشراف ١/٣٨٠، ٣٨١ رقم ٨١٠، وعيـون التواريـخ ١/٢٨٥، ٢٨٦، وتـاريـخ الإسـلام (المغـازي) ٥١٣ - ٥١٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧٥.

السلاسل من أرض بني عُذْرة. وكان من حديثه أنّ رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام. وذلك أنّ أُمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بَلِيّ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال له السلسل، وبذلك سُمّيت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمدّه، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عُبيدة بن الجرّاح في المهاجرين الأوّلين، فيهم أبو بكر وعمر؛ وقال لأبي عُبَيدة حين وجّهه: «لا تختلفا»، فخرج أبو عُبيدة حتى إذا قدِم عليه، قال له عمرو إنّما جئتَ مَدَداً لي؛ قال أبو عُبيدة: لا، ولكنّي على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عُبيدة رجلاً ليّناً سَهْلاً، هيّناً عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مَدَد لي؛ فقال أبو عُبَيدة يا عمرو، إنّ رسول الله ﷺ قال لي: «لا تختلفا»، وإنّك إن عصيتني أطعتُك(1)؛ قال: فإنّي الأمير عليك، وأنت مَدَد لي، قال: فدونك. فصلّى عمرو بالناس.

قال: وكان من الحديث في هذه الغزاة، أنّ رافع بن أبي رافع الطّائيّ، وهو رافع بن عُميرة، كان يحدّث فيما بلغني عن نفسه، قال: كنت امرءاً نَصرانياً، وسُمِّيت سَرْجَس، فكنت أَدَلّ النّاس وأَهْداهم بهذا الرمل، كنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية، ثم أُغير على إبل الناس، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه، حتى أَمُرّ بذلك الماء الذي خبّأت في بيض النعام فأستخرجه، فأشرب منه؛ فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فقلت: والله لأختارنّ لنفسي صاحباً، قال: فصحِبت أبا بكر، قال: فكنت معه في رَحْله، قال: وكانت عليه عَباءة له فَدَكِيّة، فكان إذا أنزلنا بسطها وإذا ركِبْنا لبسها، ثم شكّها عليه بخلالٍ له، قال: وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كُفّاراً: نحن نبايع ذا

---

(1) المغازي لعروة ٢٠٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥١٣، ٥١٤.

العَباءة؟! قال: فلما دَنَونا من المدينة قافلين، قال قلت: يا أبا بكر، إنّما صحِبتُك لينفعني الله بك، فانصحْني وعلّمني، قال: لو لم تسألني ذلك لفعلت، قال آمرك أن توحّد الله ولا تُشْرك به شيئاً، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ هذا البيْت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمّر على رجل من المسلمين أبداً. قال: قلت: يا أبا بكر، أما أنا والله فإنّي أرجو أن لا أُشرك بالله أحداً أبداً، وأمّا الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله، وأما الزكاة فإن يكُ لي مال أؤدِّها إن شاء الله، وأما رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله، وأما الحجّ فإنْ أستطع أحجّ إن شاء الله تعالى، وأما الجَنابة فسأغتسِل منها إن شاء الله، وأما الإمارة فإنّي رأيت الناس يا أبا بكر لا يَشْرُفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلّا بها، فلِمَ تنهاني عنها؟ قال: إنّك إنّما استَجْهَدْتني لأجهد لك، وسأُخبرك عن ذلك: إنّ الله عزَّ وجلَّ بعث محمداً ﷺ بهذا الدّين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً، فلما دخلوا فيه كانوا عُوَّاذ الله وجيرانه، وفي ذمّته فإيّاك لا تَخْفِرِ الله في جيرانه فيُتْبعك الله في خَفْرته، فإنّ أحدكم يُخفر في جاره، فيظلُ ناتئاً عَضَلُه غَضِباً لجاره إن أُصيبت له شاة أو بعير، فالله أشدّ غضباً لجاره. قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلما قُبض رسول الله ﷺ، وأُمّر أبو بكر على الناس، قال: قدِمت عليه، فقلت له: يا أبا بكر، ألم تَكُ نهيتني عن أن أتأمّر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك؛ قال: فقلت له: فما حملك على أن تلي أمرَ الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بُدّاً، خشيت على أُمة محمد ﷺ الفُرقة.

قال ابن إسحاق: أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حدّث عن عوف بن

---

(١) لا تخفر الله: لا تنقض عهده.

مالك الأشجعيّ، قال: كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فصحِبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم على جَزُور لهم قد نحروها، وهم لا يقدرون على أن يُعْضُوها[1]، وقال: وكنت امرءاً لبقاً جازراً، قال؛ فقلت: أتُعطوني منها عُشَيراً[2] على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذت الشفرتين، فجزّأتها مكاني، وأخذت منها جزءاً، فحملته إلى أصحابي، فاطّبخناه فأكلناه. فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: أنّى لك هذا اللحم يا عوف؟ قال: فأخبرتهما خبره فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيّآن ما في بطونهما من ذلك؛ قال: فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ، قال: فجئته وهو يصلّي في بيته؛ قال فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته؛ قال: «أعَوْفَ بنَ مالك»؟ قال: قلت نعم، بأبي أنت وأُمّي؛ قال: «أصاحب الجَزُور»؟ ولم يزدني رسول الله ﷺ على ذلك شيئاً.

غزوة ابن أبي حَدْرَد بطن إضَم[3] وقتل عامر بن الأضبط الأشْجَعيّ: قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضَم في نفر من المسلمين، فيهم أبو قَتادة الحارث بن رِبْعيّ، ومحلِّم بن

---

(١) يعضوها: يقتسموها أجزاء.

(٢) العشير: جزء من عشرة أجزاء.

(٣) أنظر عنها في تاريخ الطبري ٣/١٥٨، وطبقات ابن سعد ٢/١٣٣ وهي باسم «سرية أبي قتادة بن ربعيّ الأنصاري إلى بطن إضم»، والبدء والتاريخ ٤٤/٢٢٨، والمحبّر ١٢٢، وأنساب الأشراف ١/٣٨١ رقم ٨١٣، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧٥، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٥، ٢٨٦، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١/٣٥٦، وعيون الأثر ٢/١٦١، ١٦٢ وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٢٠.

وإضَم: بالكسر ثم الفتح، ماء يَطَؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السُمَيْنة. ويقال: هو وادٍ بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، ويُسمّى من عند المدينة: القناة، ومن أعلى منها عند السدّ يسمّى الشظاة، ومن عند الشظاة إلى أسفل يُسمّى إضماً إلى البحر. (معجم البلدان ١/٢١٤، ٢١٥).

جثّامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنّا ببطن إضَم، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعيّ، على قَعُودٍ له ومعه مُتَيع[1] له، ووطْب من لبن[2]. قال: فلما مرّ بنا سلّم علينا بتحيّة الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلّم بن جثّامة، فقتله لشيءٍ كان بينه وبينه، وأخذ بعيره، وأخذ مُتَيعه. قال: فلما قدِمْنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر، نزل فينا: ﴿ يَا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَتَبَيَّنُوا، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِناً، تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[3]... إلى آخر الآية.

قال ابن هشام: قرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً ﴾ لهذا الحديث.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، قال: سمعت زياد بن ضُمَيرة بن سعد السُّلميّ يحدّث، عن عُروة بن الزُّبير، عن أبيه، عن جدّه، وكانا شهدا حُنَيناً مع رسول الله ﷺ، قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ الظهرَ، ثم عمد إلى ظلّ شجرة، فجلس تحتها، وهو بحُنَين، فقام إليه الأقرع بن حابس، وعُيَيْنة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر، يختصمان في عامر بن أضبط الأشجعيّ: عُيَينة يطلب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غطفان، والأقرع بن حابس يدفع عن محلّم بن جَثّامة، لمكانه من خِنْدف، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ، ونحن نسمع، فسمعنا عُيَيْنة بن حَصْن وهو يقول: والله يا رسول الله ﷺ لا أدعه حتى أُذيق نساءه من الحُرْقة مثل ما أذاق نسائي، ورسول الله ﷺ يقول: «بل تأخذون الدِّيَةَ خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا»، وهو يأبى عليه، إذ قام رجل من بني ليث، يقال له: مُكيثر، قصير مجموع ـ قال ابن هشام: مُكَيْتل ـ فقال: والله يا رسول الله ما

(١) المُتَيع: تصغير متاع.
(٢) الوطْب: وعاء اللبن.
(٣) سورة النساء ـ الآية ٩٤.

وجدت لهذا القتيل شبهاً في غُرّة الإسلام[1] إلّا كغَنم وردت فرُميت أولاها، فنفرت أُخْراها، اسْنُن اليوم، وغيّر غداً قال: فرفع رسول الله ﷺ يده. فقال: «بل تأخذون الدِّية خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا». قال: فقبِلوا الدِيَة. قال ثم قالوا: أين صاحبكم هذا، يستغفر له رسول الله ﷺ قال: فقام رجل آدم[2] ضَرْب[3] طويل، عليه حُلّة له، قد كان تهيّأ للقتل فيها، حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له: «ما اسمك»؟ قال: أنا محلّم بن جثّامة، قال: فرفع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: «اللهمّ لا تغفر لمحلّم بن جثّامة، ثلاثاً. فقام وهو يتلقّى دمعه بفضل ردائه. قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا: إنّا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا[4].

قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتّهم عن الحَسَن البصْريّ، قال: قال رسول الله ﷺ حين جلس بين يديه: «أمّنته بالله ثم قتلته»!؟ ثم قال له المقالة التي قال: قال: فوالله ما مكث محلّم بن جثّامة إلّا سبعاً حتى مات، فلفَظَتْه - والذي نفس الحسن بيده - الأرض ثم عادوا له فلفَظَتْه الأرض، ثم عادوا فلفَظَتْه، فلما غلب قومه عمدوا إلى صُدَّين[5] فسطَحوه بينهما، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه. قال: فبلغ رسول الله ﷺ شأنه، فقال: «والله إنّ الأرض لتطّابق على مَن هو شرّ منه، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُرْم ما بينكم بما أراكم منه».

قال ابن إسحاق: وأخبرنا سالم أبو النَّضْر أنه حُدّث: أنّ عُيَيْنة بن

---

(١) غُرّة الإسلام: أوله.
(٢) الآدم: الأسمر.
(٣) ضرْب: خفيف اللحم.
(٤) أنساب الأشراف ١/٣٨٥، ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥٤، ٤٥٥، والبداية والنهاية ٤/٢٢٤، ٢٢٥، وسنن أبي داود ٤/١٧١، ١٧٢ في كتاب الآيات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم، وتاريخ خليفة ٨٥.
(٥) صُدَّين: جبلين.

حصْن وقيساً حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم: يا معشر قيس، منعتم رسول الله ﷺ قتيلاً يستصلح به الناس، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ، فيلعنكم الله بلعنته، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لَتُسَلِّمنّه إلى رسول الله ﷺ فليصْنَعَنَّ فيه ما أراد، أو لآتينَّ بخمسين رجلاً من بني تميم يشهدون بالله كلّهم، لقُتل صاحبكم كافراً؟ ما صلّى قطّ، فلأُطُلَّنَّ دمه[1] فلما سمعوا ذلك، قبلوا الدِّيَة.

قال ابن هشام: محلّم في هذا الحديث كلّه عن غير ابن إسحاق، وهو محلّم بن جثّامة بن قيس الليثيّ.

وقال ابن إسحاق: ملجّم، فيما حدّثناه زياد عنه.

غزوة ابن أبي حَدْرَد[2] لقتل رِفاعة بن قيس الجُشَميّ: قال ابن إسحاق: وغزوة ابن أبي حدرد الأسلميّ الغابة[3].

وكان من حديثها فيما بلغني، عمّن لا أتّهم، عن ابن أبي حدرد، قال: تزوّجتُ امرأة من قومي؟ وأصدقتها مائتيْ درهم، قال: فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي؛ فقال: «وكم أصدقت»؟ فقلت: مائتي درهم يا رسول الله، قال: «سبحان الله، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن وادٍ ما زدتم. والله ما عندي ما أعينك به»؟ قال: فلبثت أياماً، وأقبل رجل من بني جُشَم، يقال له: رِفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة، في بطنٍ عظيم من بني جُشَم، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يريد أن يجمّع قيساً على حرب رسول الله ﷺ وكان ذا اسم في جُشَم وشرف. قال: فدعاني رسول الله ﷺ

---

(١) أطُلَّنَّ دمه: أجعل دمه باطلاً فلا يؤخذ بثأره.

(٢) أنظر عنها في تاريخ الطبري ٣/ ٣٤، ٣٥، وتاريخ خليفة ٨٥، والمحبّر ١٢٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥٢، ٤٥٣.

(٣) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام، وفيه أموال لأهل المدينة. (معجم البلدان ٤/ ١٨٢).

ورجلين معي من المسلمين، فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم. قال: وقدّم لنا شارفاً[١] عجفاء فحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضَعْفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم، حتى استقلّت وما كادت ثم قال: تبلّغوا عليها واعتقبوها.

قال: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشية[٢] مع غروب الشمس. قال: كمنت في ناحية، وأمرت صاحبيَّ، فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم؛ وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبّرت وشددت في ناحية العسكر فكبّرا وشُدّا معي. قال: فوالله إنّا لكذلك ننتظر غِرَّة[٣] القوم، أو أن نصيب منهم شيئاً. قال: وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء، وقد كان لهم راعٍ قد سرّح في هذا البلد، فأبطأ عليهم حتى تخوَّفوا عليه. قال: فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس، فأخذ سيفه، فجعله في عُنقه، ثم قال: والله لأتبعنّ أثر راعينا هذا، ولقد أصابه شرّ؛ فقال له نفر ممّن معه: والله لا تذهب، نحن نكفيك؛ قال: والله لا يذهب إلّا أنا، قالوا: فنحن معك، قال: والله لا يتبعني أحد منكم قال: وخرج حتى يمرّ بي. قال: فلما أمكنني نفحته بسهمي، فوضعته في فؤاده. قال: فوالله ما تكلّم، ووثبت إليه، فاحتززت رأسه. قال: وشددت في ناحية العسكر، وكبّرت، وشدّ صاحباي وكبّرا. قال: فوالله ما كان إلّا النجاء ممّن فيه، عندك، عندك، بكلّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خفّ معهم من أموالهم. قال: واستقنا إبلاً عظيمة، وغنماً كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ. قال: وجئت برأسه أحمله معي. قال: فأعانني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً في صَداقي، فجمعتُ إليَّ أهلي[٤].

---

(١) الشارف: الناقة المُسِنَّة.

(٢) عشيشة: تصغير عشية على غير القياس.

(٣) الغِرّة: الغفلة.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٤، ٣٥ (حوادث سنة ٨ هـ.)، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥٢، ٤٥٣، البداية والنهاية ٤/٢٢٣، ٢٢٤، عيون الأثر ٢/١٦٢، ١٦٣.

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دُومة الجندل: قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهم، عن عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطّاب، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتمّ، قال: فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم: كنت عاشر عشرة رهْط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ. وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومُعاذ بن جبل، وحُذَيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخُدْريّ، وأنا مع رسول الله ﷺ، إذ أقبل فتىً من الأنصار، فسلّم على رسول الله ﷺ، ثم جلس، فقال: يا رسول الله، صلى الله عليك، أيّ المؤمنين أفضل؟ فقال: «أحسنهم خُلُقاً»؛ قال: فأيّ المؤمنين أكْيس؟ قال: «أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس»، ثم سكت الفتى، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا نزلن بكم - وأعوذ بالله أن تدركوهنّ - إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوا بها إلّا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا؛ ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلّا أُخذوا بالسنين[1] وشدّة المؤنة وجَوْر السلطان؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلّا مُنعوا القطْر من السماء، فلولا البهائم ما مُطِروا؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلّا سُلّط عليهم عدوّ من غيرهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أئمّتهم بكتاب الله وتجبّروا فيما أنزل الله إلّا جعل الله بأسهم بينهم»[2].

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهّز لسريّةٍ بعثه عليها، فأصبح وقد اعتمّ بعمامة من كرابيس[3] سوداء، فأدناه رسول الله ﷺ منه، ثم نقضها، ثم

---

(١) السنن: الجدْب.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (٤٠٢١٩) باب العقوبات، عن محمود بن خالد الدمشقي، عن سليمان بن عبد الرحمن أبي أيوب، عن ابن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمر، بنحوه.

(٣) الكرابيس: الأقطان. واحده كربوس.

عمّمه بها، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك، ثم قال: «هكذا يا بن عوف فاعتمّ، فإنّه أحسن وأعرف»، ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء. فدفعه إليه، فحمد الله تعالى. وصلّى على نفسه، ثم قال: خُذه يا بن عوف، اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتِلوا مَن كفر بالله، لا تغلّوا[1] ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد الله وسيرة نبيّه فيكم». فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء[2].

قال ابن هشام: فخرج إلى دُومة الجندل.

غزوة أبي عُبيدة بن الجرّاح إلى سيف البحر[3]: قال ابن إسحاق: وحدّثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصّامت، عن أبيه، عن جَدّه عُبادة بن الصّامت، قال: بعث رسول الله ﷺ سريّة إلى سِيف البحر، عليهم أبو عُبيدة بن الجرّاح، وزوّدهم جراباً من تمر، فجعل يقوّتهم إيّاه، حتى صار إلى أن يعدّه عليهم عدداً، فقال: ثم نفد التمر حتى كان يعطي كلّ رجل منهم كلّ يوم تمرة. قال: فقسّمها يوماً بيننا. قال: فنقصت تمرة عن رجل، فوجدنا فقْدها ذلك اليوم. قال: فلما جَهدنا الجوع أخرج الله لنا دابّة من البحر، فأصبنا من لحمها ووَدَكها[4]، وأقمنا عليها عشرين ليلة، حتى سمنّا وابتللنا[5]، وأخذ أميرنا ضلعاً من أضلاعها، فوضعها على طريقه، ثم أمر بأجسم بعيرٍ معنا، فحمل عليه أجسم رجل منّا، قال: فجلس عليه، قال:

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٨٩.

(٢) لا تغلّوا: لا تخونوا في المغنم.

(٣) سيف البحر بكسر أوله. ساحلة أو جانبه. وتُعرف الغزوة أيضاً سَريّة الخبط. أنظر عنها في: المغازي للواقدي ٢/٧٧٤، وطبقات ابن سعد ٢/ ١٣٢، وتاريخ الطبري ٣/٣٣، وأنساب الأشراف ١/٣٨١ رقم ٨١١، والبدء والتاريخ ٤/٢٣٢، والمحبّر ١١٨، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٤، ٢٨٥، وشرح المواهب ٢/ ٢٤٠، وعيون الأثر ٢/ ١٦٠، والبداية والنهاية ٤/٢٧٦، وعيون التواريخ ١/٢٨٦، ٢٨٧، والسيرة الحلبية ٢/٣١٥، وذكرها الطبري، ثانية باختصار ٣/١٥٨.

(٤) الوَدَك: الشحم، والدَّسم.

(٥) ابتللنا: أخذنا الراحة.

فخرج من تحتها وما مسّت رأسه. قال: فلما قدِمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عمّا صنعنا في ذلك من أكلنا إياه، فقال: «رزقٌ رزقكُمُوه الله»[1].

بعث عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه: **قال ابن هشام:** ومما لم يذكره ابن إسحاق[2] من بُعوث رسول الله ﷺ وسراياه بعث عمرو بن أُميّة الضَّمْري، بعثه رسول الله ﷺ، فيما حدّثني مَن أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب بن عدِيّ وأصحابه إلى مكة، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب، وبعث معه جبّار بن صخر الأنصاريّ فخرجا حتى قدِما مكة، وحبسا جملَيهما بشِعب[3] من شعاب يأجَج[4]، ثم دخلا مكة ليلاً؛ فقال جبار لعمرو: لو أنّا طفنا بالبيت وصلّينا ركعتين؟ فقال عمرو: إنّ القوم إذا تعشّوا جلسوا بأفنيتهم؛ فقال: كلّا، إن شاء الله؛ فقال عمرو: فطفنا بالبيت، وصلّينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنّا لنمشي بمكة إذ نظر إليّ رجل من أهل مكة فعرفني، فقال عمرو بن أُميّة: والله إنْ قدِمَها إلّا لشرّ؛ فقلت لصاحبي: النّجاء، فخرجنا نشتدّ، حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علَونا الجبل يئسوا منّا، فرجعنا، فدخلنا كهفاً في الجبل، فبتنا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح (١٩٣/٥) باب إباحة ميتة البحر.

(٢) يقول السهيلي في الروض الأنف (٢٥٣/٤) وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان بن العاص رحمه الله في هذا الموضع قال: نقلت من حاشية نسخة من كتاب السِيَر منسوبة بسماع أبي سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخوته محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصّه: وجدت بخطّ أخي قول ابن هشام: هذا مما لم يذكره ابن إسحاق (هو غلط منه) قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية فيما حدّث أسد عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق، والقائل في الحاشية: وجدت بخطّ أخي هو: أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم. وفي الكتاب المذكور قول أبي بكر المذكور في غزوة الطائف بعد قوله: فولدت له داود بن أبي مرة. إلى هاهنا، انتهى سماعي من أخي، وما بقي من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه.

(٣) الشِعب: الطريق بين جبلين.

(٤) يأجَج: جبل بمكة.

فيه، وقد أخذنا حجارة دوننا؛ فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرساً له، ويخلي عليها[1]، فغشِينا ونحن في الغار. فقلت؛ إن رآنا صاح بنا، فأخذنا فقتلنا.

قال: ومعي خنجر قد أعددته لأبي سفيان، فأخرج إليه، فأضربه على ثدْيه ضربة، وصاح صيحة أسْمعَ أهل مكة، وأرجع فأدخل مكاني، وجاءه الناس وهو بآخر رمق فقالوا: مَن ضربك؟ فقال: عمرو بن أُميّة، وغلبه الموت، فمات مكانه، ولم يدلل على مكاننا، فاحتملوه. فقلت لصاحبي، لما أمسينا: النّجاء؛ فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدِيّ؛ فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أُميّة، لولا أنّه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أُميّة، قال: فلما حاذى الخشبة شدّ عليها، فأخذها فاحتملها، وخرجا شدّاً، وخرجوا وراءه، حتى أتى جرفاً بمهبط مسيل يأجَج، فرمى بالخشبة في الجُرف، فغيّبه الله عنهم، فلم يقدروا عليه، قال: وقلت لصاحبي: النّجاء النّجاء، حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه، فإنّي سأشغل عنك القوم، وكان الأنصاريّ لا رجلة له[2].

قال: ومضيت حتى أخرج على ضجنان، ثم أويت إلى جبل، فأدخل كهفاً، فبينا أنا فيه، إذ دخل عليّ شيخ من بني الدّيل أعور، في غُنَيمة له، فقال: مَن الرجل؟ فقلت: من بني بكر، فمَن أنت؟ قال: من بني بكر. فقلت: مرحباً، فاضطّجع، ثم رفع عقيرته، فقال:

ولستُ بمسلمٍ ما دمتُ حيّاً ولا دانٍ لدِين المُسْلمينا

فقلت في نفسي: ستعلم، فأمهلته، حتى إذا نام أخذت قوسي، فجعلت سِيَتها[3] في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم، ثم

---

(١) يخلي: يجمع الخلي. وهو ما ينبته الربيع.

(٢) لا رِجلة له: ضعيف المشي على رِجليه.

(٣) سيتها: طرفها.

خرجت النَّجاء، حتى جئت العَرج[1]، ثم سلكت رَكُوبه[2]، حتى إذا هبطت النقيع[3]، إذا رجلان من قريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عيناً إلى المدينة ينظران ويتحسّسان، فقلت استأسرا، فأبيا، فأرمي أحدهما بسهم فأقتله، وأستأمر الآخر، فأُوثقه رباطاً، وقدِمت به المدينة[4].

سريّة زيد بن حارثة إلى مَدْين: قال ابن هشام: وسرية زيد بن حارثة إلى مَدْين[5]. ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن، عن أُمّه فاطمة بنت الحسين بن عليّ رضوان الله، أنّ رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مَدْين، ومعه ضُمَيرة مولى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سَبْياً من أهل مِيناء[6]، وهي السواحل، وفيها جماع من الناس، فبيعوا، ففُرِّق بينهم، فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون، فقال: «ما لهم»؟ فقيل: يا رسول الله، فُرِّق بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تبيعوهم إلاّ جميعاً»[7].

قال ابن هشام: أراد الأُمهات والأولاد.

سريّة سالم بن عُمير لقتل أبي عَفَك[8]: قال ابن إسحاق: وغزوة

---

(١) العرج: واد بالحجاز.

(٢) ركوبة: ثنية بين الحرمين.

(٣) النقيع: موضع ببلاد مزينة.

(٤) الخبر في طبقات ابن سعد ٢/٩٣، ٩٤، وأنساب الأشراف ١/٣٧٩، ٣٨٠ رقم ٨٠٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧٣، والمحبّر ١١٩.

(٥) مَدْيَن: بفتح أوله وسكون ثانيه. على بَحْر القُلْزُم محاذية لتبوك على نحوٍ من ستّ مراحل. (معجم البلدان ٥/٧٧) أنظر عن الغزوة في عيون الأثر ٢/١٠٩.

(٦) ميناء: بالكسر ثم السكون. هي السواحل وهي من أوائل نواحي مصر. (معجم البلدان ٥/٢٤٥، ٢٤٦).

(٧) الحديث له شاهد عند ابن ماجه في كتاب التجارات (٢٢٤٨) باب النهي عن التفريق بين السبي. رواه من طريق جابر، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود قال: كان النبيّ ﷺ إذا أُتي بالسبي أعطى أهل البيت جميعاً، كراهية أن يفرّق بينهم.

(٨) المغازي للواقدي ١/١٧٤، ١٧٥، طبقات ابن سعد ٢/٢٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ١٣٨، عيون الأثر ١/٢٩٢، نهاية الأرب ١٧/٦٦، أنساب الأشراف ١/٣٧٣ رقم ٧٧٣.

سالم بن عُمَير لقتل أبي عَفَك، أحد بني عمرو بن عوف ثم من بني عبيدة، وكان قد نجم [1] نفاقه، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سُويد بن صامت، فقال:

لقد عشت دهراً وما إنْ أرى ... من الناس داراً ولا مَجْمعا
أبرّ عهوداً وأوفى لمن ... يعاقد فيهم إذا ما دعا[2]
من أولاد قَيْلة[3] في جمْعهم ... يهدّ الجبالَ ولم يخضعا[4]
فصدَّعهم راكبٌ جاءهم ... حلال حرام لشتّى معا[5]
فلو أنّ بالعزّ صدَّقتُمُ ... أو الملك تابعتُمُ تُبَّعا [6]

فقال رسول الله ﷺ: مَن لي بهذا الخبيث، فخرج سالم بن عُمير، أخو بني عمرو بن عوف، وهو أحد البكّائين، فقتله؟ فقالت أُمامة المزَيرية [7] في ذلك:

تُكَذِّب دينَ اللهِ والمرءَ أحْمَدا ... لعمرُ الذي أَمْنَاكَ أن[8] بئسَ ما يُمْني [9]
حباك حنيفٌ آخرَ الليلِ طعنةً ... أبا عَفَكٍ خُذْها على كِبَرِ السِّنِّ[10]

---

(١) نجم: وضح.
(٢) البيت في مغازي الواقدي:
أجمّ عقولاً وآليّ إلى ... مُنيبٍ سِراعاً إذا ما دعا
(٣) قَيْلة: أم الأوس والخزرج.
(٤) هذا البيت ليس عند الواقدي.
(٥) البيت عند الواقدي:
فسلَّبهم أمرهم راكبٌ ... حراماً حلالاً لشتّى معا
(٦) البيت عند الواقدي: وصدَّهم فرّقهم.
فلو كان بالمُلك صدَّقتُمُ ... وبالنصر تابعتُمُ تُبَّعا
(٧) وفي مغازي الواقدي ١ / ١٧٥ «النَّهْديّة».
(٨) عند الواقدي «إذ».
(٩) أَمْناك: أنساك.
(١٠) في مغازي الواقدي زيادة بيت ثالث:
فإنّي وإنْ أعلمْ بقاتلك الذي ... أباتك حِلْسَ الليل من إنس آوجِنّي

غزوة عُمَيْر بن عديّ الخطْميّ لقتل عَصْماء بنت مروان[1]: وغزوة عُمير بن عدِيّ الخطْميّ[2] عَصْماءَ بنت مروان، وهي من بني أُميّة بن زيد، فلما قُتل أبو عَفَك نافقت، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفُضَيل، عن أبيه، قال: وكانت تحت رجل من بني خطمة، ويقال له يزيد بن زيد فقالت، تَعيب الإسلام وأهلَه:

باسْتِ بني مالكٍ والنَّبيتِ ... وعَوْف وباسْتِ بني الخزرجِ
أطعتم أتاويَّ[3] من غيركم ... فلا من مُراد ولا مَذْحِج
ترجُّونه بعد قتْل الرُّءوسِ ... كما يُرتَجَى مَرَقُ المنضَج
ألا أنفٌ يبتغي غِرَّةً[4] ... فيقطعُ من أملِ المُرتجِي[5]

قال: فأجابها حسّان بن ثابت، فقال:

بنو وائل وبنو واقف ... وخطْمة دون بني الخزرجِ
متى ما دعت سَفَهاً ويْحَها ... بعَوْلتها والمنايا تَجِي
فهزَّت فتىً ماجداً عِرْقُهُ ... كريمُ المداخلِ والمخرجِ
فضرَّجها من نَجيع الدّما ... ء بعد الهدوِّ فلم يُحْرجِ[6]

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «ألا آخِذٌ لي من ابنة مروان»؟ فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عُمير بن عدِيّ الخطْميّ، وهو عنده؛ فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنّي قد قتلتها. فقال: «نصرت الله

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٧٢ - ١٧٤، طبقات ابن سعد ٢/٢٧، ٢٨، أنساب الأشراف ١/٣٧٣ رقم ٧٧٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ١٣٦، عيون الأثر ١/٢٩٣.

(٢) هو عُمير بن عديّ بن خرشة بن أميّة بن عامر بن خطمة، كان أبوه شاعراً، وهو أول من أسلم من بني خطْمة. ولم يشهد بدراً لضرارته. (الإصابة ٣/٣٣، ٣٤).

(٣) الأتاوي: الغريب.

(٤) الأنف: المترفع. الغرة: الغفلة.

(٥) هذا البيت ليس عند الواقدي.

(٦) الهدو: منتصف الليل: أو بعد ساعة منه. يحرج: يأثم.

ورسوله يا عُمير»، فقال: هل عليّ شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: «لا ينتطح فيها عَنْزان»(1).

فرجع عُمير إلى قومه، وبنو خطْمة يومئذٍ كثير مَوْجُهم(2) في شأن بنت مروان، ولها يومئذٍ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عُمير بن عدِيّ من عند رسول الله ﷺ؛ قال: يا بني خطْمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكِيدوني جميعاً ثم لا تُنظِرونِ. فذلك اليوم أول ما عزّ الإسلام في دار بني خطْمة، وكان يستخفي بإسلامهم فيهم مَن أسلم، وكان أول مَن أسلم من بني خطْمة عُمير بن عديّ، وهو الذي يُدعى القارىء، وعبد الله بن أوس، وخُزَيمة بن ثابت، وأسلم يوم قُتلت ابنة مروان، رجال من بني خطْمة، لما رأوا من عزّ الإسلام.

أسْر ثُمامة بن أُثَال الحنفي وإسلامه(3): بلغني عن أبي سعيد المَقْبُريّ، عن أبي هريرة أنه قال: خرجتْ خيل لرسول الله ﷺ، فأخذت رجلًا من بني حنيفة، لا يشعرون مَن هو، حتى أتوا به رسول الله ﷺ؛ فقال: «أتدرون مَن أخذتم؛ هذا ثُمامة بن أُثال(4) الحنفي، أحسِنوا إساره». ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله؛ فقال: «اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه»، وأمر بلَقْحته(5) أن يُغدى عليه بها ويُراح؛ فجعل لا يقع من ثُمامة موقعاً ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول: «أسلِم يا ثُمامة»، فيقول: إيهاً(6) يا محمد، إن تقتل

---

(1) لا ينتطح فيها عنْزان: أي إنّ الأمر شأنه هيّن، لا يكون فيه طلب ثار ولا اختلاف.

(2) موجهم: اختلاطهم واختلافهم.

(3) تاريخ الطبري ٣/١٥٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٠، ٣٥١ باسم: «سرية نجد». قيل إنها كانت في المحرّم سنة ستّ»، وذكرها ابن كثير في بداية حوادث سنة ستّ من الهجرة، وقال هي سرية محمد بن مسلمة قِبَل نجد. (البداية والنهاية ٤/١٤٩)، أنساب الأشراف ١/٣٧٦ رقم ٧٨١.

(4) أُثال: بضمّ الهمزة. (الإكمال ١/١٧ بالهامش).

(5) اللقَحة: الناقة التي لها لبن.

(6) إيهاً: حسْبك.

تقتل ذا دمٍ وإن تُرِدِ الفداءَ فسلْ ما شئت، فمكث ما شاء الله أن يمكث؛ ثم قال النبيّ ﷺ يوماً: «أطلِقوا ثُمامة»، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع، فتطهّر فأحسن طهوره، ثم أقبل فبايع النبيّ ﷺ على الإسلام؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام، فلم ينل منه إلاّ قليلاً، وباللقحة فلم يُصب من حلابها إلاّ يسيراً فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «ممّ تعجبون»؟ أمِن رجل أكل أول النهار في مَعِيٍ كافر، وأكل آخر النهار في مَعِيّ مسلم! إنّ الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المسلم يأكل في معيٍّ واحد».

قال ابن هشام: فبلغني أنه خرج معتمِراً، حتى إذا كان ببطن مكة لبّى، فكان أول مَن دخل مكة يلبّي، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اخترت علينا، فلما قدّموه ليضربوا عُنقه؛ قال قائل منهم: دَعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم، فخلّوه، فقال الحنفيّ في ذلك:

ومنّا الذي لبّى بمكة مُعلناً ... برغم أبي سفيان في الأشْهُر الحُرُمِ

وحُدِّثت أنه قال لرسول الله ﷺ، حين أسلم: لقد كان وجهك أبغض الوجوه إليّ، ولقد أصبح وهو أحبّ الوجوه إليّ. وقال في الدّين والبلاد مثل ذلك.

ثم خرج معتمراً، فلما قدِم مكة، قالوا: أصَبَوْت يا ثُمام؟ فقال: لا، ولكنّي اتّبعت خير الدّين، دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبّة من اليمامة حتى يأذَن فيها رسول الله ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصِلة الرَّحِم، وإنّك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يُخلّي بينهم وبين الحَمْل[1].

---

(١) أخرج البخاري في كتاب المغازي ١١٧/٥، ١١٨ باب وفد بني حنيفة وحديث ثُمامة بن أثال، قال: حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا الليث، قال: حدّثني سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبيّ ﷺ خيلاً قِبَل نجد، فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبيّ ﷺ فقال: =

سريّة علقمة بن مجزّز[1]: وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مُجّزز.

لما قُتل وقّاص بن مجزّز المُدْلِجيّ يوم ذي قَـرَد، سأل علقمـة بن مجزّز رسول الله ﷺ أن يبعثه في آثار القوم، ليدرك ثأره فيهم.

فـذكر عبـد العزيـز بن محمـد، عن محمـد بن عمـرو بن علقمـة، عن عمـرو بن الحَكَم بن ثـوبـان، عن أبي سعيـد الـخُـدْريّ، قـال: بعـث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزّز ـ قال أبو سعيد الخُـدْريّ: وأنا فيهم ـ حتى إذا بلغنـا رأس غَزاتنـا أو كنّا ببعض الـطريق، أذِن لطائفـة من الجيش، واستعمل عليهم عبد الله بن حُذافة السَّهْميّ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وكـانت فيه دُعابة، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً، ثم قال للقوم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى؛ قال: أفما أنا آمـركم بشيءٍ إلّا فعلتموه؟ قـالوا: نعم، قال: فإنّي أعزم عليكم بحقّي وطاعتي إلّا تـواثبتم في هذه النـار؛ قال: فقام بعض القوم يحتجز[2]، حتى ظنّ أنهم واثبون فيها، فقال لهم: اجلسـوا،

= ما عندك يا ثُمامة؟ فقال: عندي خير يـا محمد، إن تقتلني تقتـل ذا دمٍ، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تـريد المـال فسلْ منه ما شئت. فتُـرك حتى إذا كان الغـد، ثم قال لـه: ما عندك يا ثُمـامة؟ فقـال: ما قلت لـك إن تُنعم تُنعم على شاكـر، فتركـه حتى كان بعـد الغد، قـال: ما عندك يا ثُمامة؟ قال: عندي ما قلت لك. فقـال: أطلقوا ثُمـامة، فـانطلق إلى نجْـلٍ قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمداً رسـول الله، يا محمـد، والله ما كـان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهـك، فقـد أصبـح وجهـك أحبّ الوجـوه إليّ. والله ما كـان من بلدٍ أبغض إليّ من بلدك، فـأصبـح بلدك أحبّ البلاد إليّ، وإنّ خيلك أخذتني وأنا أريد العُمرة، فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر. فلما قَـدِم مكة قـال لـه قـائـل: صَبَـوْتَ! قـال: لا والله، ولكنْ أسلمت مـع محمـد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبّة حنطة حتى يأذن فيها النبيّ ﷺ.

وأخـرجه مسلم في كتـاب الجهاد والسيـر، باب ربط الأسيـر وحبسـه وجـواز المنّ عليـه.

وانظر: الإصابة ١/٢٠٣ في ترجمة ثمامة.

(١) المغـازي للواقدي ٣/٩٨٣، طبقـات ابن سعد ٢/١٦٣، تـاريخ الإسـلام (المغازي) ٦٢٣، ٦٢٤، أنساب الأشراف ١/٣٨٢ رقم ٨٢١، عيون الأثر ٢/٢٠٧ (وفيه سرية علقمة بن محرز المـدلجي إلى الحبشة)، عيـون التواريـخ ١/٣٦٠، ٣٦١ (وفيـه علقمـة بن مجـزر)، البـدء والتاريخ ٤/٢٣٩، نهاية الأرب ١٧/٣٥١.

(٢) يحتجز: يشدّ ثوبه على خصره.

فإنّما كنت أضحك معكم، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدِموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «مَن أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه»(١).

وذكر محمد بن طلحة أنَّ علقمة بن مجزّز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيداً.

سرية كُرْز بن جابر لقتل البجليّين(٢) الذين قتلوا يَساراً: حدّثني بعض أهل العلم، عمّن حدّثه، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: أصاب رسول الله ﷺ في غزوة محارب وبني ثعلبة عبداً يقال له يَسار، فجعله رسول الله ﷺ في لِقاحٍ له كانت ترعى في ناحية الجمّاء(٣)، فقدِم على رسول الله ﷺ نفر من قيس كبّة من بُجَيلة، فاستوبئوا، وطحلوا(٤)، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها»، فخرجوا إليها.

فلما صحُّوا وانطوت بطونهم، عَدَوْا على راعي رسول الله ﷺ يَسار، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللِقاح. فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كُرْز بن جابر، فلحِقهم، فأتى بهم رسولَ الله ﷺ مَرْجِعَه من غزوة ذي قَرَد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسَمَلَ أعيُنَهم(٥).

---

(١) المغازي للواقدي ٣/٩٨٤، طبقات ابن سعد ٢/١٦٣، سنن ابن ماجه ٢/٩٥٥، ٩٥٦ في كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله (٢٨٦٣) وهو بالسند المذكور هنا، وبنصّه باختلاف في الألفاظ، وآخره «من أمركم منهم بمعصية الله فلا تطيعوه». وهو في مسند أحمد ٣/٦٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٩٣ (وفيه: سرية كُرز بن جابر الفِهريّ إلى العُرَنيّين).

(٣) الجمّاء: جُبَيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجُرْف. (معجم البلدان ٢/١٥٨).

(٤) استوبئوا: أصيبوا بالأوبئة. طحلوا: أصيبوا بداء الطحال.

(٥) طبقات ابن سعد ٢/٩٣، المغازي للواقدي ٢/٥٦٨، تاريخ خليفة ٥٧، أنساب الأشراف ١/٣٧٨، ٣٧٩ رقم ٧٩٦، نهاية الأرب ١٧ج٢١٣، ٢١٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٦، ٣٥٧، البداية والنهاية ٤/١٧٩، ١٨٠، عيون التواريخ ١/٢٥٣، وقد أخرج البخاري حديث هذه الغزوة في كتاب المغازي، باب قصّة عُكْلُ وعُرَيْنة (٥/٧٠، ٧١) ومسلم في =

غـزوة عليّ بن أبي طـالب إلى اليمن[1]: وغـزوة عليّ بن أبي طـالب رضوان الله عليه إلى اليمن، غزاها مرّتين.

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث خالـد بن الوليـد في جُندٍ آخر، وقال: «إنِ التقيتمـا فالأمير عليّ بن أبي طالب».

وقد ذكر ابن إسحاق بعْث خالـد بن الوليـد في حديثه، ولم يذكـره في عدّة البعوث والسَّرايا، فينبغي أن تكون العدّة في قوله تسعة وثلاثين.

بعث أُسـامة بن زيـد إلى أرض فلسطين وهـو آخـر البعـوث: **قـال ابن إسحاق**: وبعث رسول الله ﷺ أُسامة بن زيـد بن حارثـة إلى الشام، وأمـره أن يوطىء الخيل تخـوم البلقاء والـداروم، من أرض فلسطين، فتجهّـز النـاس، وأوعب مع أُسامة المهاجرون الأولون[2].

قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

= كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والدّيـات، (٣/١٢٩٦ ـ ١٢٩٨) باب حكم المحـاربين المـرتدّين. (١٦٧١) وانـظر كتاب الحـدود عند البخـاري، وكتاب المحاربين من أهل الكفر والـرِّدّة، بـاب: لم يُسَق المحـاربـون والمـرتـدّون حتى مـاتـوا. وبـاب سمْـر النبيّ ﷺ أعين المحاربين.

(١) طبقات ابن سعد ٢/١٦٩، ١٧٠، المغـازي للواقدي ٣/١٠٧٩ ـ ١٠٨٣، أنسـاب الأشراف ١/٣٨٤ رقم ٨٢٦، البدء والتاريخ ٤/٢٤١، المحبّر ١٢٥.

(٢) سبق أن ذكر المؤلّف هذا الخبر بعد خطبة الوداع. فليُراجع.

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: فبينا الناس على ذلك ابتُديء رسول الله ﷺ بشكواه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليالٍ بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتُديء به من ذلك، فيما ذكر لي، أنه خرج إلى بقيع الغرقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتُديء بوجعه من يومه ذلك.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن جُبير، مولى الحَكَم بن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مُوَيْهبة، مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: «يا أبا مُوَيهبة، إنّي قد أُمِرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي»، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهُرهم، قال: «السّلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنيء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفِتَن كقِطع الليل المظلم، يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى»؛ ثم أقبل عليّ، فقال: «يا أبا مُوَيهبة، إنّي قد أُوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخُلْد فيها، ثم الجنّة، فخُيِّرْت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنّة قال: فقلت: بأبي أنت وأمّي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخُلْد فيها، ثم الجنة؛ قال: لا والله يا أبا مُوَيْهبة، لقد اخترت

لقاء ربّي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه[1].

تمريضه في بيت عائشة: قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة، عن محمد بن مسلم الزُّهْري؛ عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صُداعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه». قالت: ثم قال: «وما ضَرُّكِ لو مُتِّ قبلي، فقمتُ عليكِ وكفَّنْتُكِ، وصلَّيتُ عليكِ ودفنْتُك»؟ قالت: قلت: والله لكأنّي بك، لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي، فأعْرستَ فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسّم رسول الله ﷺ، وتتامّ به وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى استعزّ به[2]، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهنّ في أن يمرض في بيتي، فأذِنَّ له[3].

ذِكْر أزواجه ﷺ[4]

قال ابن هشام: وكنَّ تسعاً: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٠٤، تاريخ الطبري ٣/١٨٨، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧١٦، ٧١٧، أنساب الأشراف ١/٥٤٤، نهاية الأرب ١٨/٣٦٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٥، سيرة ابن كثير ٤/٤٤٣، ٤٤٤.

(٢) استعزّ به: غلبه.

(٣) أنظر: طبقات ابن سعد ٢/٢٣٢، والمصنّف لعبد الرزاق ٥/٤٢٩، ٤٣٠، ومصنّف ابن أبي شيبة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، ودلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٢٣، وتاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩ و١٩٥، وأنساب الأشراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، والكامل في التاريخ ٢/٣١٨، ونهاية الأرب ١٨/٢٦٣، ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة ـ بتحقيقنا) ٥٤٧، ٥٤٨، سيرة ابن كثير ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٧، وعيون الأثر ٢/٣٣٦، والمغازي لعروة ٢٢٢، والبدء والتاريخ ٤/٢٤٢.

(٤) أنظر عن عدد أزواج النبيّ ﷺ وأسمائهن:
تسمية أزواج النبيّ ﷺ، لأبي عبيدة معمر بن المثنّى ـ ص ٤٤ وما بعدها، وطبقات ابن سعد ٨/٥٢ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٣/١٦٠ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ٢/٨٤ ـ ٨٦، والمحبّر لابن حبيب ٧٧ ـ ٩٩، وأنساب الأشراف ١/٣٩٦ وما بعدها، والاستيعاب لابن عبد البر ١/٤٤ وما بعدها، وذيل المذيل للطبري ٦٠٠ وما بعدها، وصفة الصفوة لابن=

الخطّاب، وأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأُمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة، وسَوْدة بنت زمْعة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رئاب، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن، وجُويرية بنت الحارث بن أبي ضِرار، وصفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، فيما حدّثني غير واحد من أهل العلم.

خديجة: وكان جميع مَن تزوّج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة: خديجة بنت خُوَيلد، وهي أول مَن تزوّج، زوّجه إيّاها أبوها خُويلِد بن أسد، ويقال أخوها عمرو بن خُوَيلد[1]، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة، فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلّهم إلاّ إبراهيم، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك[2]، أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار، فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة، وكانت قبل أبي هالة عند عَتِيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله، وجارية.

قال ابن هشام: جارية من الجواري، تزوّجها صَيْفيّ بن أبي رفاعة.

عائشة: وتزوّج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم

= الجوزي ١/٧٧، ونهاية الأرب ١٨/١٧٠ وما بعدها، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٣٠٧ - ٣١٠، وتهذيب الكمال للمزّي ١/٢٠٣، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١ ج ٢/٣٤١، وتاريخ الإسلام للذهبي (السيرة - بتحقيقنا) ٥٩٢ - ٥٩٩، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٩٣ وما بعدها، وتهذيب تاريخ دمشق ١/٢٩٣، وتاريخ دمشق (السيرة) ١٣٦ - ١٩٨، والسير والمغازي لابن إسحاق ٢٤٥ - ٢٦٩، والسمط الثمين للمحبّ الطبري ١٣٩ وما بعدها.

(١) وقيل بل عمرو بن أميّة عمّها وكان شيخاً كبيراً وهو الصحيح، على ما في نهاية الأرب ١٦/٩٨ وعند ابن سعد في الطبقات ١/١٣٢ هو عمرو بن أسد بن عبد العُزّى، وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق لأسد لصُلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو بن أسد شيئاً.
وينفي الواقدي الأقوال الأخرى فيقول: «فهذا كله عندنا غلط ووهْم. والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار. وأنّ عمّها عمرو بن أسد زوّجها رسول الله ﷺ. (طبقات ابن سعد ١/١٣٣).

(٢) هو أبوهالة بن زُرارة بن نبّاش بن زُرارة بن حبيب بن سلامة. . (تاريخ الطبري ٣/١٦١).

يتـزوّج رسول الله ﷺ بكْـراً غيرهـا، زوّجه إيّـاها أبـوها أبـو بكـر، وأصـدقهـا رسول الله ﷺ أربعمائة دِرْهم[1].

سَوْدَة: وتزوّج رسول الله ﷺ سَودة بنت زُمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مـالك بن حِسْـل بن عامـر بن لُؤَيّ، زوّجه إيّـاها سليط بن عمـرو، ويقال أبـو حـاطب بن عمـرو بن عبـد شمس بن عبـد ود بن نصـر بن مالك بن حسل، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

قال ابن هشام: ابن إسحاق يخالف هذا الحديث، يذكر أنّ سليـطاً وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت[2].

وكـانت قبله عنـد السكـران بن عمـرو بن عبـد شمس بن عبـد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل.

زينب بنت جحش: وتـزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئـاب الأسدية. زوّجه إيّاهـا أخوهـا أبو أحمـد بن جحش، وأصدقهـا رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكـانت قبله عند زيـد بن حارثـة، مولى رسـول الله ﷺ ففيها أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾[3].

أُمّ سَلَمَـة: وتـزوّج رسـول الله ﷺ أُمّ سَلَمـة بنت أبي أُميّـة بن المغيـرة المخـزوميّة واسمهـا هند؛ زوّجـه إيّاهـا سَلَمة بن أبي سَلَمـة ابنها، وأصـدقها

---

(١) أنظر؛ صحيح البخاري في فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، بـاب تزويـج النبيّ ﷺ عائشـة. وفي النكاح، باب إنكاح الرجل ولده الصغار. وباب تزويج الأب ابنتـه من الإمام، وبـاب الدعـاء للنساء اللاتي يهـدين العروس للعـروس. وباب من بنى بـامرأة وهي بنت تسـع سنين. وباب البنـاء بالنهـار بغير مـركب ولا نيران. ومسلم (١٤٢٢) في النكـاح، باب تـزويج الأب البكـر الصغيـرة، وأبو داود في النكـاح (١٢٢١) باب في تـزويج الصغـار، ورقم (٤٩٣٣، ٤٩٣٤، ٤٩٣٥، ٤٩٣٦، ٤٩٣٧) في الأدب، بـاب في الأرجوحـة. والنسائي (٦/٨٢) في النكـاح، باب إنكاح الرجل ابنته الصغيرة. و(جامع الأصول لابن الأثير ١١/٤٠٧).

(٢) أنـظر السير والمغـازي لابن إسحاق ٢٥٤ وفيـه أنّ النبيّ ﷺ تزوّجهـا بعد خـديجـة رضي الله عنها، ثم تزوّج عائشة بعدها. (٢٥٥).

(٣) سورة الأحزاب من الآية ٣٧، وانظر عنها في السير والمغازي لابن إسحاق ٢٦٢.

رسول الله ﷺ فراشاً حشْوه ليف، وقـدْحاً، وصحْفـة، ومجشّة[1]؛ وكـانت قبله عند أبي سَلَمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله، فولدت له سَلَمة وعمر وزينب ورُقيَّة[2].

حفصـة: وتزوّج رسـول الله ﷺ حفصة بنت عمـر بن الخطّاب، زوّجـه إيّاها أبوها عمر بن الخطّاب، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائـة دِرهم، وكانت قبله عند خُنيس بن حُذافة السَّهْميّ[3].

أم حبيبـة: وتـزوّج رسـول الله ﷺ أُمّ حبيبـة، واسمهـا رَمْلة بنت أبي سفيـان بن حرب، زوّجـه إيّاهـا خـالـد بن سعيـد بن العـاص، وهمـا بـأرض الحبشة، وأصدقها النجاشيّ عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند عُبيد الله بن جحش الأسديّ[4].

جُوَيْرية بنت الحارث: وتزوّج رسول الله ﷺ جُـوَيْريـة بنت الحارث بن أبي ضِرار الخُزاعيّة، كانت في سبـايا بني المُصْـطَلقِ من خُزاعـة، فوقعت في السهم لثـابت بن قيس بن الشمّاس الأنصـاريّ، فكاتبهـا على نفسهـا، فـأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتـابتها. فقـال لها: «هـل لكِ في خيـرٍ من ذلك»؟ قـالت: وما هـو؟ قال: «أقضي عنـك كتـابتـك وأتـزوّجـك»؟ فقـالت: نعم، فتزوّجها.

قـال ابن هشام: حـدّثنا بهـذا الحديث زيـاد بن عبـد الله البكّـائي، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُروة، عن عائشة.

قـال ابن هشـام: ويقـال: لمـا انصـرف رسـول الله ﷺ من غــزوة بني المصطلق ومعه جُوَيرية بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جُويـرية إلى

---

(١) المجشّة: الرَّحى.

(٢) أنظر: السير والمغازي لابن إسحاق ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) السير والمغازي ٢٥٧.

(٤) السير والمغازي ٢٥٩، تاريخ الطبري ١٦٥/٣.

رجل من الأنصار وديعة وأمره بـالاحتفاظ بهـا، وقدِم رسـول الله ﷺ المدينـة، فـأقبل أبـوها الحـارث بن أبي ضِرار بفـداء ابنته، فلمـا كان بـالعقيق نظر إلى الإبـل التي جاء بهـا للفداء، فـرغب في بعيرين منهـا، فغيّبهما في شِعْبٍ من شعـاب العقيق، ثم أتى النبيَّ ﷺ، فقـال: يـا محمـد، أصبتم ابنتي، وهـذا فِداؤها، فقال رسول الله ﷺ: «فـأين البعيران اللّذان غيَّبْت بـالعقيق في شِعْب كذا وكذا»؟ فقال الحارث: أشهـد أن لا إله إلاّ الله، وأنّـك رسول الله، صلّى الله عليك، فوالله ما اطّلع على ذلك إلاّ الله تعـالى، فأسلم الحـارث، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجـاء بهما، فـدفع الإبـل إلى النبيّ ﷺ، ودفعت إليه ابنته جُويرية، فأسلمت وحسُن إسلامها، وخـطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوّجه إيّاها، وأصـدقها أربعمـائة درهم، وكـانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عمّ لها يقال له عبد الله.

قـال ابن هشـام: ويقـال اشتـراهـا رسـول الله ﷺ من ثـابت بن قيس، فأعتقها وتزوّجها، وأصدقها أربعمائة درهم[1].

صفيّـة بنت حُيَيّ: وتزوّج رسـول الله ﷺ صفيّـة بنت حُيَيّ بن أخـطب، سباها من خيبر، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسول الله ﷺ وليمة، مـا فيها شحم ولا لحم، كـان سـويقـاً وتمـراً، وكـانت قبله عنـد كِنـانـة بن الـربيـع بن أبي الحُقَيق[2].

ميمـونة بنت الحـارث: وتزوّج رسـول الله ﷺ ميمونـة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَير بن هُـزَم بن رُوَيبة بن عبـد الله بن هلال بن عـامر بن صعصعـة، زوّجـه إيّاهـا العباس بن عبـد المطّلب، وأصـدقها العبّـاس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصـر بن مالـك بن حِسْل بن عـامـر بن لُؤَيّ؛ ويقـال: إنّهـا التي وهبت

---

(١) أنظر السير والمغازي ٢٦٣.

(٢) السير والمغازي ٢٦٤.

نفسها للنبيّ ﷺ، وذلك أنّ خِطبة النبيّ ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾[1].

ويقال: إنّ التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ زينب بنت جحش، ويقال أمّ شَرِيك، غَزِيّة بنت جابر بن وهْب من بني مُنقذ بن عمرو بن مُعَيص بن عامر بن لُؤَيّ، ويقال: بل هي امرأة من بني سامة بن لُؤَيّ، فأرجأها رسول الله ﷺ[2].

زينب بنت خُزَيمة: وتزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت خُزَيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مَناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تُسمّى أُم المساكين؛ لرحمتها إيّاهم، ورقّتها عليهم، زوّجه إيّاها قُبَيصة بن عمرو الهلاليّ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم. وكانت قبله عند عُبيدة[3] بن الحارث بن عبد المطّلب بن عبد مَناف، وكانت قبل عُبيدة عند جهْم بن عمرو بن الحارث، وهو ابن عمّها.

فهؤلاء اللاّتي بنى بهنّ رسول الله ﷺ إحدى عشرة، فمات قبله منهنّ ثنتان: خديجة بنت خُوَيلد، وزينب بنت خُزَيمة. وتُوُفّي عن تسع قد ذكرناهنّ في أول هذا الحديث، وثنتان لم يدخل بهما: أسماء بنت النُّعمان الكِنْديّة، تزوّجها فوجد بها بياضاً فمتّعها[4] وردّها إلى أهلها[5]، وعَمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثةَ عهدٍ بكُفْر؛ فلما قدِمت على رسول الله ﷺ، استعاذت من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «منيعٌ عائذ الله»، فردّها إلى أهلها.

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥٠.

(٢) السير والمغازي ٢٦٦.

(٣) في السير والمغازي ٢٥٨: وكانت قبله عند الحصين بن الحارث أو عند أخيه الطُفيل بن الحارث بن عبد المطّلب بن عبد مناف.

(٤) متعها: أعطاها ما تتمتّع به.

(٥) طبقات ابن سعد ١٤٨/٨ المحبّر ٩٦، تسمية أزواج النبيّ ٦٩.

ويقال: إنّ التي استعاذت من رسول الله ﷺ كِنْدية بنت عمّ لأسماء بنت النُّعمان، ويقال إنّ رسول الله ﷺ دعاها، فقالت: إنَّا قوم نُؤْتَى ولا نأتي؛ فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها(١).

القُرَشيات منّهنّ: القُرَشيات من أزواج النبيّ ﷺ ستّ: خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ.

وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب.

وحفصة بنت عمر بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ.

وأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرْب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

وأُمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ.

وسَوْدة بنت زُمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ(٢).

العربيّات وغيرهنّ: والعربيات وغيرهنّ سبع: زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعمر بن صبرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خُزَيمة.

وميمونة بنت الحارث بن حَزن بن بُجَير بن هُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن

---

(١) اختلف أهل العلم في الزوجات اللّاتي طلّقهن وأسباب ذلك. أنظر: تسمية أزواج النبيّ ٦٩ و ٧٠، وطبقات ابن سعد ١٤١/٨، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، وذيل المذيّل للطبري ٦١٤، والمحبّر لابن حبيب ٩٦، وأسد الغابة لابن الأثير ٥٦٤/٥، وتاريخ الإسلام (السيرة) للذهبي ٥٩٤، ٥٩٥، وعيون الأثر ٣١١/٢، والسمط الثمين ١٢٦.

(٢) تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٣، تسمية أزواج النبي لأبي عبيدة ٧٧.

هـلال بن عـامـر بن صعصعـة بن معـاويـة بن بكـر بن هـوازن بن منصـــور بن عِكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان.

وزينب بنت خُزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمـرو بن عبد مَنـاف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية.

وجُوَيرية بنت الحارث بن أبي ضِرار الخُزاعيّة، ثم المُصْطَلِقيّة.

وأسماء بنت النعمان الكِنْديّة.

وعَمرة بنت يزيد الكلابية.

ومن غير العربيّات: صَفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، من بني النضير[1].

---

(١) رُوي عن قَتادة أن رسـول الله ﷺ تـزوّج خمس عشـرة امـرأة، ودخـل بثـلاث عشـرة منهنّ، واجتمع عنده منهنّ إحدى عشرة وقُبض عن تسـع. تسمية أزواج النبيّ ﷺ لأبي عبيـدة ٧٧، المحبَّر ٩٨، تاريخ الإسلام (السيرة)٥٩٢.

ويقول خادم العلم الشريف الفقير إلى الله تعالى محقّق هذا الكتاب «عمر بن عبـد السلام تـدمـري» إنّ المؤلف ـ رحمــه الله ـ لم يـذكــر في الأزواج: «قُتَيلة» وهي أخت الأشعث بن قيس، ومات قبل أن يخبـرهـا فبرّأها الله منه (طبقات ابن سعد ١٤٧/٨، ١٤٨. تسمية أزواج النبيّ ﷺ ٧٢، ٧٣، تاريخ الإسلام (السيرة ٥٩٣٢) و«فاطمة بنت الضحّاك» وقد اختُلف في اسمها. (تسمية أزواج النبي ٧٠، وذيل المذيّـل ٦١١ و٦١٢، وطبقات ابن سعـد ١٤١/٨، وتاريخ الإسلام (السيرة ٥٩٤٢).

و«سناء بنت الصلْت السلميّة» وماتت قبل أن يصـل إليها. (تسميـة أزواج النبيّ ٧٣، ٧٤، المحبَّر ٩٣، طبقات ابن سعد ١٤٩/٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٥، أسد الغابة ٤٨٢/٥) وقيل «سناء بنت سفيـان الكلابيـة» في خبر لا يصـحّ. (طبقات ابن سعـد ١٤٩/٨) و«مُلَيكة بنت كعب» وكانت تُذْكـر بجمالٍ بـارع، فقيل إنهـا استعاذت منه ﷺ فطلّقهـا. (طبقات ابن سعـد ١٤٨/٨، ١٤٩، تاريـخ الإسلام (المغـازي) ٥٩٥، ٥٩٦) و«العاليـة بنت ظبيان» من بني كلاب، وفارقها. (طبقات ابن سعـد ١٤٣/٨، تاريـخ الإسلام (السيـرة) ٥٩٦) و«خولـة بنت هُـذَيل الثعلبيـة» حُمِلت إليه من الشـام فماتت في الـطريق، فنكح خـالتها «شَـرَاف بنت فضـالـة». فمـاتت في الـطريق أيضـاً. (طبقـات ابن سعــد ١٦٠/٨، ١٦١، نهـايــة الأرب ١٩٨/١٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٦).

قال الحافظ الذهبي بعد ذِكره لأسماء زوجات النبيّ ﷺ: «هذا ونحوه إنّما أوردتـه للتعجُّب لا للتقدير». (تاريخ الإسلام ـ السيرة ـ ٥٩٧).

وقـال ابن عبـد البـرّ في الاستيعـاب ٣٤/١: «وأمّــا اللواتي اختُلف فيهنّ ممّن ابتنى بهـا

تمريض رسول الله ﷺ في بيت عائشة

قال ابن إسحاق: حدّثني يعقوب بن عُتبة، عن محمد بن مسلم الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عُتبة، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ، قالت: فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجُلين من أهله: أحدهما الفضل بن العبّاس. ورجل آخر، عاصباً رأسه، تخطّ قدماه حتى دخل بيتي.

قال عبيد، فحدّثت هذا الحديث عبدَ الله بنَ العباس، فقال: هل تدري من الرجل الآخر قال: قلت: لا؟ قال: عليّ بن أبي طالب[1].

اشتداد المرض: ثم غمر رسول الله ﷺ، واشتدّ به وجعه، فقال: «هريقوا عليَّ سبع قِرَب من آبارٍ شتّى، حتى أخرج إلى الناس فأعْهد إليهم، قالت: فأقعدناه في مِخْضَب[2] لحفصة بنت عمر، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول: «حسبكم حسبكم»[3].

خطبة للنبيّ وتفضيله أبا بكر: **قال ابن إسحاق**: وقال الزُّهْريّ: حدّثني أيّوب بن بشير: أنّ رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلّم به أنه صلّى على أصحاب أُحُد، واستغفر لهم، فأكثر

وفارقها، أو عقد عليها ولم يدخل بها، أو خطبها ولم يتمّ له العقد معها، فقد اختُلف فيهنّ وفي أسباب فراقهنّ اختلافاً كثيراً، يوجب التوقّف عن القطع بالصحة في واحدة منهنّ».

(١) أنظر: طبقات ابن سعد ٢٣٢/٢، والمصنّف لعبد الرزاق ٤٢٩/٥، ٤٣٠، ومصنّف ابن أبي شيبة ٥٦٠/١٤ رقم ١٨٨٨٥، وأنساب الأشراف ٥٤٤/١، ٥٤٥، ودلائل النبوّة للبيهقي ٧٢٣/٢، وتاريخ الطبري ١٨٨/٣، ١٨٩، ١٩٥، ٥٤٥، ونهاية الأرب ٦٢٣/١٨، ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٧، ٥٤٨، وسيرة ابن كثير ٤٤٥/٤ ـ ٤٤٧، وعيون الأثر ٣٣٦/٢.

(٢) المِخْضَب: إناء يُغتَسل به.

(٣) أخرجه البخاري في الوضوء (٥٧/١) باب الغُسْل والوضوء في المِخْضَب والقدح والخشب والحجارة، وفي الطب (١٨/٧) باب (حدّثنا بشر بن محمد..) في المغازي (١٣٩/٥) باب فرض النبيّ ﷺ ووفاته. وأحمد في المسند ١٥١/٦ و٢٢٨، والطبري في التاريخ ١٨٩/٣، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٩.

الصلاة عليهم، ثم قال: «إنّ عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله». قال: ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد، فبكى وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فقال: «على رِسلك يا أبا بكر»، ثم قال: «انظروا هذه الأبواب اللافظة[1] في المسجد، فسُدُّوها إلّا بيت أبي بكر، فإنّي لا أعلم أحداً كان أفضل في الصُّحْبة عندي يداً منه»[2].

قال ابن هشام: ويُروى: إلّا باب أبي بكر.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبي سعيد بن المُعَلّى: أنّ رسول الله ﷺ، قال يومئذ في كلامه هذا: «فإنّي لو كنت متَّخِذاً من العباد خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً، ولكنْ صُحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده»[3].

أمْره بإنفاذ بعث أُسامة: وقال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُروة بن الزُّبير وغيره من العلماء، أنّ رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أُسامة بن زيد، وهو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أُسامة: أمّر غلاماً حَدَثاً على جِلّة المهاجرين والأنصار.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «أيّها الناس، أنفِذوا بعث أُسامة، فَلَعَمْري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنّه لخَليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقاً لها»[4].

---

(١) اللافظة: النافذة.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة (١/١١٩، ١٢٠) باب الخَوْخة والممرّ في المسجد، وفي فضائل أصحاب النبيّ ﷺ (٤/١٩٠، ١٩١) باب قول النبيّ ﷺ: سُدُّوا الأبواب إلّا باب أبي بكر. والترمذي في المناقب (٣٧٣٥) مناقب أبي بكر الصّديق رضي الله عنه. و(٣٧٤٠)، وأحمد في المسند ٢/٢٦ و٣/١٨، وعبد الرزاق في المصنّف ٥/٤٣١، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٤٧، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٩.

(٣) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٣٩) باب رقم (٥١).

(٤) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبيّ ﷺ (٤/٢١٣) باب ذكر أسامة بن زيد، وفي =

قال: ثم نزل رسـول الله ﷺ، وانكمش[1] الناس في جَهـازهم، واستعزّ برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أُسامة، وخـرج جيشه معـه حتى نزلـوا الجُرْف، من المـدينـة على فـرسخ، فضـرب بـه عسكـره، وتتـامّ إليـه النـاس، وثقُـل رسول الله ﷺ، فأقام أُسامة والناس، لينظروا ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ.

وصايته بالأنصار: وقال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني عبد الله بن كعب بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال يوم صلّى واستغفر لأصحاب أُحُد، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذٍ: «يا معشر المهاجرين، استـوصوا بـالأنصار خيـراً، فإنّ النـاس يزيـدون، وإنّ الأنصار على هيئتهـا لا تزيـد، وأنهم كانـوا عيْبتي[2] التي أويت إليها، فأحسِنوا إلى مُحسنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم»[3].

قال عبد الله: ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته، وتتامّ به وجعه، حتى غُمر.

اللُّدود[4]: قـال عبد الله: فـاجتمـع إليـه نسـاء من نسـائـه: أُمّ سَلَمـة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهنّ أسماء بنت عُمَيس، وعنده العباس

= المغازي (٥/٨٤) باب غزوة زيد بن حارثة. و (٥/١٤٥) باب بعث النبيّ ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهمـا في مـرضـه الـذي تُـوفّي فيـه. وفي كتـاب الأيمـان (٧/٢١٧) بـاب قـول النبيّ ﷺ: وايْم الله. وفي الأحكام (٨/١١٧) باب من لم يكترث بطعن من يعلم في الأمـراء حديثاً.

ومسلم في فضائل الصحابة (٦٣ و ٢٤٢٦/٦٤) باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما. والترمذي في المناقب (٣٩٠٤) باب مناقب زيـد بن حارثـة رضي الله عنه. وأحمـد في المسند ٢/٢٠، ٨٩، ١٠٦، ١١٠ وابن سعـد في الطبقـات ٢/١٩٠، والـذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٧١٤.

(١) انكمش الناس في جهازهم: أسرعوا فيه.
(٢) عيبتي: مكمن سرّي.
(٣) أخـرجه أحمـد في المسند ٣/٢٤١ من حـديث أنس بن مالـك قـال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «استوصوا بالأنصار خيراً أو قـال معروفـاً. اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم». وابن سعد ٢/٢٥١.
(٤) اللدود: مجموعة من سبعة أدوية مخلوطـة يُجعل في جـانب الفم في داخله ويُحكّ بـالأصبع قليلاً.

عمّـه، فأجمعـوا أن يلدّوه، وقال العبـاس: لألُدَّنّـه. قال: فلدّوه، فلمـا أفـاق رسول الله ﷺ، قال: «مَن صنع هذا بي»؟ قالوا: يا رسول الله، عمّـك، قال: «هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض»، وأشار نحو أرض الحبشة؛ قال: «ولِمَ فعلتم ذلك»؟ فقال عمّه العباس: خشينا يا رسول الله ﷺ أن يكون بك ذات الجَنْب، فقال: «إنَّ ذلك لَدَاء مـا كان الله عـزّ وجلّ ليقـذفني به، لا يبقَ في البيت أحد إلاّ لُدَّ إلاّ عمّي»، فلقد لُدَّت ميمونة وإنّها لَصائمـة، لقَسَم رسول الله ﷺ، عقوبةً لهم بما صنعوا به[1].

دعاؤه لأُسامة بالإشـارة: قال ابن إسحـاق: وحدّثني سعيـد بن عُبيد بن السبـاق، عن محمد بن أُسـامـة، عن أبيـه أُسـامـة بن زيـد، قـال: لمـا ثقُـل رســول الله ﷺ هبــطتُ وهبط النــاس معي إلى المــدينــة، فـدخلت على رسول الله ﷺ، وقد أصمت فلا يتكلّم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فأعرف أنه يدعو لي[2].

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب الزُّهْريّ: حدّثني عُبيد بن عبد الله بن عُتبة، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ كثيـراً ما أسمعـه يقول: «إنّ الله لم يقبض نبياً حتى يخيّره، قـالت: فلما حُضـر رسول الله ﷺ كـان آخر كلمـة سمعتها وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى[3] من الجنة»، قـالت: فقلت: إذاً والله

---

(١) أنـظر طبقات ابن سعـد ٢/٢٣٢، والمصنّف لعبد الـرزاق ٥/٤٢٩، ٤٣٠، ومصنّف ابن أبي شيبـة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، وأنسـاب الأشـراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، ودلائـل النبـوّة للبيهقي ٢/٧٢٣. وتاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ونهاية الأرب ١٨/٢٦٣، ٢٦٤، وتـاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٨، وسيرة ابن كثير ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٧، وعيون الأثر ٢/٣٣٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٤٣ بنحـوه.

(٣) اللهم الـرفيق الأعلى: وهذا منتـزع من قولـه تبارك وتعـالى: ﴿فَـأُولَـئِـكَ مَـعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ إلى قولـه سبحانـه: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقـاً﴾ فهذا هـو الرفيق الأعلى، ولم يقل الرُّفقاء لأنّ هل الجنة يدخلونهـا على قلب رجل واحـدٍ، وهي تتضمّن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن، فإنه قال: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾ وهم أصحـاب الصراط المستقيم، وهم أهـل لا إلـه إلاّ الله، قـال الله تعـالى: ﴿إهْـدِنَـا الصِّـرَاطَ =

لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: «إنّ نبيّاً لم يُقبض حتى يُخيّر»[1].

أبو بكر يصلّي بالناس: قال الزُّهْري: وحدّثني حمزة بن عبد الله بن عمر، أنّ عائشة قالت: لما استعزّ برسول الله ﷺ قال: «مُرُوا أبا بكر فليُصَلّ بالناس». قالت: قلت: يا نبيّ الله، إنّ أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن. قال: «مُرُوه فلْيُصَلّ بالناس». قالت: فعدت بمثل قولي، فقال: «إنّكنّ صواحب يوسف، فمُرُوه فلْيُصَلّ بالناس»، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلّا أنّي كنت أحبّ أن يصرف ذلك عن أبي بكر، وعرفت أنّ الناس لا يحبّون رجلاً قام مقامه أبداً، وأنّ الناس سيتشاءمون به في كلّ حَدَث كان، فكنت أحبّ أن يُصرف ذلك عن أبي بكر[2].

= ﴿الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم بيّن في الآية المتقدّمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم، وهم الرفيق الأعلى الذين ذكرهم ـ رسول الله ﷺ ـ حين خُيِّر فاختار، وبعض الرُّواة يقول عن عائشة في هذا الحديث. فأشار بإصبعه، وقال: في الرفيق، وفي رواية أخرى أنه قال: اللهم الرفيق، وأشار بالسبّابة، يريد التوحيد، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عليه السلام من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ولو لم يُشِر، ولكن ذكرنا هذا لئلاّ يقول القائل: لم لم يكن آخر كلامه: لا إله إلا الله. وأول كلمة تكلّم بها رسول الله ﷺ وهو مسترجع عند حليمة أن قال: الله أكبر. قاله الواقدي.

وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال: «الصلاة وما ملكت أيْمانكم»، حرّك بها لسانه وما يكاد يبين، وفي قوله. مَلَكَت أيمانكم قولان: قيل: أراد الرفق بالمملوك، وقيل: أراد الزكاة، أنها في القرآن مقرونة بالصلاة، وهي من مِلْك اليمين، قاله الخطّابي».

(١) أخرجه البخاري في المغازي (١٣٨/٥، ١٣٩) باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته، وفي الرقائق (١٩٢/٧) باب سكرات الموت، وفي الدعوات (١٥٥/٧) باب دعاء النبيّ ﷺ: اللّهم الرفيق الأعلى. ومسلم في السلام (٢١٩١) باب استحباب رقْية المريض. وفي فضائل الصحابة (٢٤٤٤) باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. وابن ماجه في الجنائز (١٦١٩) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ. ومالك في الموطأ ١٥٩ رقم (٥٦٥) جامع الجنائز. وأحمد في المسند ٤٥/٦، ٤٨، ٧٤، ٨٩، ١٠٨، ١٢٠، ١٢٦، ٢٠٠، ٢٣١، ٢٧٤، وابن سعد في الطبقات ٢١٠/٢ والبلاذري في أنساب الأشراف ٥٤٨/١، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان (١٧٤/١، ١٧٥) باب من أسمع الناس تكبير الإمام، وباب الرجل يأتمّ بالإمام ويأتمّ الناس بالمأموم. وباب إذا بكى الإمام في الصلاة. وأخرجه ابن =

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب: حدّثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، قال: لما استُعِزّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفرٍ من المسلمين، قال: دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: «مُرُوا من يصلّي بالناس». قال: فخرجت فإذا عمر في الناس. وكان أبو بكر غائباً؛ فقلت: قم يا عمر فصلّ بالناس قال: فقام، فلما كبّر، سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلاً مجهراً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون»؛ قال: فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلّى عمر تلك الصلاة، فصلّى بالناس. قال: قال عبد الله بن زَمْعة. قال لي عمر: ويْحك، ماذا صنعت بي يا بن زَمْعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلّا أنّ رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صلّيت بالناس. قال: قلت والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ولكنّي حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحقّ مَن حضر بالصلاة بالناس[1].

اليوم الذي قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: وقال الزُّهْريّ: حدّثني أنس بن مالك. أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ، خرج إلى الناس، وهم يصلُّون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسول الله ﷺ، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فَرَحاً

= ماجه في إقامة الصلاة (١٢٣٢) باب ما جاء في صلاة رسول الله ﷺ في مرضه. وأحمد في المسند ٦/٢١٠، وابن سعد في الطبقات ٢/٢١٧، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٥، والطبري في التاريخ ٣/١٩٧، والبلاذري في الأنساب ١/٥٥٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ـ السيرة ٥٥٢.

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٢٠، ٢٢١.

به، وتفرّجوا[1]، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم؛ قال: فتبسّم رسول الله ﷺ سروراً لِما رأى من هيئتهم في صلاتهم، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئةً منه تلك الساعة، قال: ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أنّ رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد، أنّ رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة: «أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون»، فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته، لم يشكّ المسلمون أنّ رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر، ولكنّه قال عند وفاته: إن أَسْتَخْلف فقد استخْلف مَن هو خير منّي، وإن أتركهم فقد تركهم مَن هو خير منّي، فعَرف الناس أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً، وكان عمر غير مُتَّهم على أبي بكر[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، قال: لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلّي بالناس، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرّج الناس، فعرف أبو بكر أنّ الناس لم يصنعوا ذلك إلّا لرسول الله ﷺ، فنكص عن مُصَلّاه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره، وقال: صلّ بالناس، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلّى قاعداً عن يمين أبي بكر، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس، فكلّمهم رافعاً صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: «أيها الناس، سُعِّرت

---

(١) أي أفرجوا له مكاناً. وتوسّعوا.

(٢) أنظر طبقات ابن سعد ٢/٢١٧، تاريخ الطبري ٣/١٩٨.

(٣) أنظر طبقات ابن سعد ٢/٢٧٤، وأخرجه البخاري في الأحكام (١٢٦/٨) باب الاستخلاف. ومسلم في الإمارة (١٨٢٣) باب الاستخلاف وتركه. وأبو داود في الخراج والإمارة (٢٩٣٩) باب في الخليفة يستخلف. والترمذي في الفتن (٢٣٢٧) باب ما جاء في الخلافة. وأحمد في المسند ١/١٣، ٤٣، ٤٦، ٤٧، وتاريخ الإسلام ٥٨٤.

النار، وأقبلت الفِتَن كقِطع الليل المظْلم، وإنّي والله ما تمسكون عليّ بشيء؛ إنّي لم أحلّ إلاّ ما أحلّ القرآن؛ ولم أُحرِّم إلاّ ما حرّم القرآن».

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال له أبو بكر، يا نبيّ الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب، واليوم يوم بنت خارجة، أفآتيها؟ قال: نعم؛ ثم دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[1].

شأن عليّ والعبّاس قبل وفاته: قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عباس، قال: خرج يومئذ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال أصبح بحمد الله بارئاً، قال: فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا عليّ، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ، كما كنت أعرفه في وجه بني عبد المطّلب؛ فانطلِقْ بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا، أمرناه فأوصى بنا الناس. قال: فقال له عليّ: إنّي والله لا أفعل؛ والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحدٌ بعده[2].

فتُوُفّي رسول الله ﷺ حين اشتدّ الضّحاء من ذلك اليوم.

سِواك الرسول قبل وفاته: قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة، عن الزُّهْريّ، عن عُروة، عن عائشة، قال: قالت: رجع إليّ رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حِجْري، فدخل عليّ رجل من آل أبي بكر، وفي يده سِواك أخضر. قالت: فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظراً عرفت أنه يريده قالت: فقلت: يا رسول الله، أتحبّ أن أُعطيك هذا السِواك؟ قال: «نعم»، قالت: فأخذته فمضغته له حتى ليّنته، ثم أعطيته

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٩٨، ١٩٩.
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٢٤٥ بلفظ مقارب.

إياه: قالت: فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسِواك قطّ، ثم وضعه[1]، ووجدت رسول الله ﷺ يثقُل في حجْري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة»: قالت: فقلت: خُيِّرت فاخترتَ والذي بعثك بالحقّ. قالت: وقُبض رسول الله ﷺ[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّاد، قال: سمعت عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ بين سَحْري وفي دولتي، لم أظلم فيه أحداً فمن سَفَهي وحداثة سنّي أنّ رسول الله ﷺ قُبض وهو في حِجْري، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدم[3] مع النساء، وأضرب وجهي[4].

مقالة عمر بعد وفاته: قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: لما تُوُفّي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطّاب، فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله ﷺ قد تُوُفّي، وإنّ رسول الله ﷺ ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات؛ ووالله ليرجعنّ رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعنّ أيدي رجالٍ وأرجلهم زعموا أنّ رسول الله ﷺ مات[5].

---

(١) فيه من الفقه: التنظّف والتطهّر للموت، ولذلك يُستحبّ الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب أحد أصحابه ﷺ حيثما أراد المشركون قتله وقصّته موجودة. فيما سبق من السيرة ـ لأنّ المصلّي مُناج لربّه؛ فالنظافة من شأنهما. وكان السواك المذكور في هذا الحديث من عَسِيب نخل فيما روى بعضهم، والعرب تستاك بالعسيب، وكان أحبّ السواك إلى رسول الله ﷺ صرع الأراك. (الروض الأنف ٢٧١/٤).

(٢) أخرج البخاري في المغازي (١٤٢/٥) نحوه في باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته. والطبري ١٩٩/٣، والبلاذري في أنساب الأشراف ٥٤٩/١، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦١.

(٣) ألتدم: أضرب صدري.

(٤) رواه أحمد في المسند ٢٧٤/٦، والطبري في تاريخه ١٩٩/٣، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٢.

(٥) الطبري في تاريخه ٢٠٠/٣.

شأن أبي بكر بعد وفاته: قال وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلّم الناس، فلم يلتفت إلى شيءٍ حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسول الله ﷺ مُسَجًّى في ناحية البيت، عليه بُرْد حِبَرَة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم أقبل عليه فقبّله، ثم قال: بأبي أنت وأُمّي، أمّا الموتة التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً. قال: ثم ردّ البُرْد على رسول الله ﷺ، ثم خرج يكلّم الناس، فقال: على رِسلك يا عمر، أنصِتْ، فأبى إلاّ أن يتكلّم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيّها الناس، إنه مَن كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومَن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت. قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزِي ٱللهُ ٱلشَّاكِرِينَ** ﴾[1].

قال: فوالله لكأنّ الناس لم يعلموا أنّ هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ؛ قال: وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنّما هي في أفواههم؛ وقال: فقال أبو هريرة: قال عمر: والله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر تلاها، فعُقِرت[2] حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رِجلاي، وعرفت أنّ رسول الله ﷺ قد مات[3].

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٤.

(٢) عُقِرت: دُهِشت فلم أستطع التقدّم أو التأخر.

(٣) أخرج نحوه البخاري في الجنائز ٢/٧٠، ٧١ باب الدخول على الميّت بعد الموت. . ، وفي المغازي ٥/١٤٢، ١٤٣ باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته. والنسائي في الجنائز ٤/١١ باب تقبيل الميت. وأحمد في المسند ٦/١١٧.

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق: ولما قُبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحيّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل عليّ بن أبي طالب والزُبير بن العوّام وطلحة بن عُبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقيّة المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أُسَيد بن حُضَير، في بني عبد الأشهل، فأتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر؛ فقال: إنّ هذا الحيّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، قد انحازوا إليه، فإنْ كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم، ورسول الله ﷺ في بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلِق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، حتى ننظر ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار، أنّ عبد الله بن أبي بكر، حدّثني عن ابن شهاب الزُهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عوف، قال: وكنت في منزله بمِنَى أنتظره، وهو عند عمر في آخر حجّة حجّها عمر، قال: فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر، فوجدني في منزله بمِنَى أنتظره، وكنت أُقْرِئه القرآن، قال ابن عباس، فقال لي عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلاً أتى أميرَ المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلّا فلتة فتمّت، قال: فغضب عمر، فقال: إنّي إن شاء الله لقائم العشيّة في الناس، فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرَهم، قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإنّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإنّهم هم الذين يغلبون على قُربك، حين تقوم في الناس، وإنّي أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كلّ مطير، ولا يَعوها ولا يضعوها على موضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنّها

دار السُّنَّة، وتخلص بأهل الثقة وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكِّناً، فيعي أهل الفقه مقالتك، ويضعوها على مواضعها، قال: فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

عمر يذكر البيعة لأبي بكر: قال ابن عباس: فقدِمْنا المدينة في عقِب ذي الحجّة، فلما كان يوم الجمعة عجّلت الرَّواح حين زالت الشمس، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل جالساً إلى ركن المنبر فجلست حذْوه تمس ركبتي رُكبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطّاب فلما رأيته مقبلاً، قلت لسعيد بن زيد: ليقولنّ العشيّة على هذا مقالة لم يقلْها منذ استُخلف، قال: فأنكر عليّ سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذّنون، قام فأثنى على الله بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإنّي قائل لكم اليوم مقالة قد قُدّر لي أن أقولها، ولا أدري لعلّها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فلا يحلّ لأحد أن يكذب عليّ؛ إنّ الله بعث محمداً، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجْم، فقرأناها وعلمناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان يقول قائل: والله ما نجد الرجْم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله، وإنّ الرجم في كتاب الله حقّ على مَن زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، وإذا قامت البيّنة، أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنّا قد كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم إلا أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تُطْروني كما أُطْري عيسى بن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله»؛ ثم إنّه قد بلغني أنّ فلاناً قال: والله لو قد مات عمر بن الخطّاب لقد بايعت فلاناً، فلا يغرنّ امرءاً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمّت، وإنّها قد كانت كذلك إلاّ أنّ الله قد وقى شرّها، وليس فيكم مَن تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فإنّه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه تَغِرّة أن يُقتلا، إنه كان من خبرنا

حين تُوُفّي الله نبيّه ﷺ أنّ الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلّف عنّا عليّ بن أبي طالب والزُبَير بن العوّام ومَن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمّهم حتى لقِينَا منهم رجلان صالحان، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم، وقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قالا: فلا عليكم ألّا تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم. قال: قلت: والله لنأتينّهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزَّمّل فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: سعد بن عُبادة، فقلت: ماله؟ فقالوا: وجع. فلما جلسنا نشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منّا، وقد دفّت دافّة[1] من قومكم، قال: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا، ويغْصبونا الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلّم، وقد زوَّرت[2] في نفسي مقالة قد أعجبتني، أُريد أن أُقدِّمها بين يدي أبي بكر، وكنت أُداري منه بعض الحدّ[3]، فقال أبو بكر: على رِسلك يا عمر، فكرهت أن أُغضبه، فتكلّم، وهو كان أعلم منّي وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلّا قالها في بديهته، أو مثلها أو أفضل، حتى سكت؛ قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين؛ فبايعوا أيَّهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدة بن الجرّاح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها، كان والله أن أُقدّم فتُضرب عنقي، لا يقرّبني ذلك إلى إثم، أحبّ إليّ من أن أتأمّر على قومٍ فيهم أبو بكر.

---

(١) الدّافة: الجماعة من الناس تأتي من بلد إلى بلد.

(٢) زوّرت: أعددت.

(٣) الحدّ: الحِدّة التي كان يتّصف بها عمر رضي الله عنه.

قال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلها[1] المُحَكَّك وعُذَيْقُها المُـرَجَّب[2]، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال: فكثُر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى تخوّفتُ الاختلاف، فقلت: ابسطْ يـدك يا أبـا بكر، فبسط يـده، فبايعتـه، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونَزَوْنا[3] على سعد بن عُبادة، فقال قـائل منهم: قتلتم سعد بن عُبادة، قال: فقلت: قتل الله سعد بن عُبادة[4].

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: أخبرني عُروة بن الزُّبَير أنّ أحد الرجلين اللذين لقـوا من الأنصار حين ذهبـوا إلى السقيفة عُـويم بن سـاعـدة، والآخـر معن بن عَدِيّ، أخو بني العَجْلان. فأما عُويم بن ساعدة، فهو الذي بلغنـا أنه قيل لرسول الله ﷺ من الذين قال الله عزّ وجـلّ لهم: ﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ** ﴾[5]؟ فقـال رسول الله ﷺ: «نِعم المـرء منهم عُـويم بن سـاعــدة». وأمـا معن بن عَــدِيّ، فبلَغنـا أنّ النـاس بكــوا على رسول الله ﷺ حين توفّـاه الله عزّ وجـلّ، وقالـوا: والله لودِدْنـا أنّا متنـا قبله إنّا نخشى أن نُفتتن بعـده. قال معن بن عـدِيّ: لكنّي والله ما أُحبّ أنّي مُتّ قبله حتى أصدّقه ميّتاً كما صدّقته حيّاً؛ فقُتل معن يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر، يوم مُسَيْلمة الكذّاب[6].

خطبة عمر بعد البيعة لأبي بكر: قال ابن إسحاق: وحـدّثني الزُّهْـريّ، قال: حدّثني أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفـة وكان الغـد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلّم قبل أبي بكـر، فحمد الله وأثنى عليه بما هـو أهله، ثم قال: أيهـا الناس، إنّي كنت قلت لكم أمس مقـالة مـا كـانت مما وجـدتها في كتـاب الله، ولا كانت عهـداً عهد إليّ رسـول الله ﷺ

---

(١) الجُذَيل: تصغير جَذْل: عود من الحطب في مبرك الإبل تحتكّ به فتستريح.
(٢) العُذَيق: تصغير عذْق النخلة: والمُرَجّب من الترجيب وهو بناء يساعده لكثرة حمله.
(٣) نزونا: وثبنا.
(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٢٠٣ ـ ٢٠٦.
(٥) سورة التوبة ـ الآية ١٠٨.
(٦) تاريخ الطبري ٣/٢٠٦، ٢٠٧.

ولكنّي قد كنت أرى أنّ رسول الله ﷺ سيدبّر أمرنا؛ يقول: يكون آخرنا وإنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لِما كان هداه له، وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامّة، بعد بيعة السقيفة.

خطبة أبي بكر بعد البيعة: فتكلّم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنّي قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت فقوّموني؛ الصدق أمانة، والكذِب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتى أُريح عليه حقّه إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحقّ منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلّا ضربهم الله بالذُّلّ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قطّ إلّا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حسين بن عبد الله، عن عِكرِمة، عن ابن عباس، قال: والله إنّي لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدِّرَّة، وما معه غيري، قال وهو يحدّث نفسه، ويضرب وحشي[2] قدمه بدِرَّته، قال: إذ التفتَ إليَّ، فقال: يا بن عباس هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين تُوُفّي رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم، قال فإنّه واللهِ، إن كان الذي حملني على ذلك إلّا أنّي كنت أقرأ هذه الآية: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾[3]، فوالله، إن كنت لأظنّ أنّ رسول الله ﷺ سيبقى في أُمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنّه

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢١٠.

(٢) وحشي: خارج.

(٣) سورة البقرة ـ الآية ١٤٣.

لَلَّذي حملني على أن قلتُ ما قلت[1].

جُهاز رسول الله ﷺ ودَفْنه

مَن تولّى غسله: قال ابن إسحاق: فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه، أقبل الناس على جَهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا: أنّ عليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطّلب، والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وأُسامة بن زيد، وشُقران مولى رسول الله ﷺ، هم الذين ولوا غَسْله، وأنّ أوس بن خَوْلِيّ، أحد بني عوف بن الخزرج، قال لعليّ بن أبي طالب: أنشدك الله يا عليّ وحظّنا من رسول الله ﷺ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل فجلس، وحضر غسْل رسول الله ﷺ، فأسنده عليّ بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه، وكان أُسامة بن زيد وشُقران مولاه، هما اللذان يصبّان الماء عليه، وعليّ يغسّله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلّكه به من ورائه، لا يُفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وعليّ يقول: بأبي أنت وأُمّي، ما أطيبك حيّاً وميّتاً. ولم يُرَ من رسول الله ﷺ شيء مما يُرى من الميّت[2].

كيفية غَسْله: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّاد، عن عائشة، قالت: لما أرادوا غَسْل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه. فقالوا: والله ما ندري أنُجَرِّد رسولَ الله ﷺ من ثيابه كما نُجَرِّد موتانا، أو نغسّله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلّا ذقنه في صدره، ثم كلّمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون مَن هو: أن اغسلوا النبيَّ وعليه ثيابه، قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ، فغسّلوه وعليه قميصه،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢١١.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢١١، ٢٩٢، طبقات ابن سعد ٢/٢٧٧، وله شاهد في سنن ابن ماجه في كتاب الجنائز (١٤٦٧) باب ما جاء في غسل النبيّ ﷺ.

يصبّون الماء فوق القميص، ويدلّكونه والقميص دون أيديهم[1].

تكفينه: قال ابن إسحاق: فلما فُرغ من غَسل رسول الله ﷺ كُفِّن في ثلاثة أثواب، ثوبين صُحَاريّين[2] وبُرد حِبَرة، أُدرج فيها إدراجاً، كما حدّثني جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليَ بن الحسين والزُهْريّ، عن عليّ بن الحسين[3].

القبر: قال ابن إسحاق: وحدّثني حسين بن عبد الله، عن عِكرِمة، عن ابن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عُبيدة بن الجرّاح يَضْرَح[4] كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سُهيل هو الذي يحفر لأهل المدينة، [وكان][5] يلْحَد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عُبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة، اللّهمّ خِرْ لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلَحَد لرسول الله ﷺ[6].

الصلاة عليه ودفنه: فلما فُرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وُضع في سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه. فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبيّ إلاّ دُفن حيثُ يُقبض»؛ فرُفع

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢١٢/٣، وأخرجه أبو داود في الجنائز (٣١٤١) باب في سير الميّت عند غسله، وأحمد في المسند ٢٦٧/٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٥٦٩/١، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٤، ٥٧٥.
وأخرجه ابن ماجه في الجنائز (١٤٦٦) باب ما جاء في غسل النبيّ ﷺ، من طريق يزيد بن عبد الله أبي بردة، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُريدة، عن أبيه، وقال الهيثمي: إسناده ضعيف لضعف أبي بردة.

(٢) ثوب صُحاريّ: منسوب إلى صُحار، وهي مدينة باليمن.

(٣) تاريخ الطبري ٢١٢/٣، وانظر طبقات ابن سعد ٢٨٤/٢.

(٤) يَضْرح: يشقّ الأرض ليجعلها ضريحاً.

(٥) عن تاريخ الطبري ٢١٣/٣.

(٦) تاريخ الطبري ٢١٣/٣.

فراش رسول الله ﷺ الذي تُوُفّي عليه، فحُفِر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلّون عليه أرسالاً، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أُدخِل النساء، حتى إذا فرغ النساء أُدخِل الصّبيان، ولم يؤمّ الناس على رسول الله ﷺ أحد(١).

ثم دُفِن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء(٢).

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن امرأته فاطمة بنت عُمارة، عن عَمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة، عن عائشة رضي الله عنها: جوف الليل من ليلة الأربعاء.

من تولّى دفْنه: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقُثَم بن عباس، وشُقران مولى رسول الله ﷺ(٣).

وقد قال أوس بن خَوْليّ لعليّ بن أبي طالب: يا عليّ، أنشدك الله، وحظّنا من رسول الله ﷺ، فقال له: انزل، فنزل مع القوم، وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله ﷺ في حُفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، فدفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً.

قال: فدُفنت مع رسول الله ﷺ(٤).

أحدث الناس عهداً به: وقد كان المغيرة بن شُعبة يدّعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ يقول: أخذت خاتمي، فألقيته في القبر، وقلت:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢١٣، وأخرجه ابن ماجه في الجنائز (١٦٢٨) باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ. وابن سعد في الطبقات ٢/٢٨٩، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٨، ٥٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢١٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٢١٣، المعارف لابن قتيبة ١٦٦، طبقات ابن سعد ٢/٣٠٠، أنساب الأشراف ١/٥٧٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨١.

(٤) تارخ الطبري ٣/٢١٤، المعارف ١٦٦، أنساب الأشراف ١/٥٧٦.

إنّ خاتمي سقط منّي، وإنّما طرحته عمداً لأمسّ رسول الله ﷺ، فأكون أحدث الناس عهداً به ﷺ[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني أبي إسْحاق بن يَسار، عن مِقْسَم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نَوْفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أُخته أمّ هانىء بنت أبي طالب، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكب له غُسْل، فاغتسل، فلما فرغ من غُسْله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا الحسن، جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا عنه؟ قال: أظنّ المغيرة بن شُعبة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ. قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك؛ قال: كذب؛ قال: أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قُثَم بن عباس[2].

خميصة الرسول السوداء: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، أنّ عائشة حدّثته، قالت: كان على رسول الله ﷺ وسام خميصة[3] سوداء حين اشتدّ به وجَعُه، قالت: فهو يضعها مرّةً على وجهه، ومرّة يكشفها عنه، ويقول: «قاتل الله قوماً اتّخذوا قُبور أنبيائهم مساجد»، يحذَر من ذلك على أُمّته[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن عائشة، قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: «لا يُتْرك بجزيرة العرب دِينان»[5].

---

(١) الحديث منقطع. وهو في طبقات ابن سعد ٣٠٢/٢ و٣٠٣، وأنساب الأشراف ٥٧٧/١، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٢.
(٢) تاريخ الطبري ٢١٤/٣.
(٣) خميصة سوداء: ثوب خزّ أو صوف معلّم.
(٤) تاريخ الطبري ٢١٤/٣، وأخرج نحوه البخاري في الجنائز (٩١/٢) باب ما يُكره من اتخاذ المساجد في القبور.
(٥) تارخ الطبري ٢١٥/٣.

افتتان المسلمين بعد موته: قال ابن إسحاق: ولما تُوُفّي رسول الله ﷺ عظُمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول: لما تُوُفّي رسول الله ﷺ عظُمت به مصيبة المسلمين. فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول: لما تُوُفّي رسول الله ﷺ وسلم ارتدّ العرب، واشرأبّت اليهودية والنصرانية، ونَجَم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقْد نبيّهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم أنّ أكثر أهل مكة لما تُوُفّي رسول الله ﷺ همُّوا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك، حتى خافهم عتّاب بن أُسيد[1]، فتوارى فقام سُهيل بن عمرو، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إنّ ذلك لم يزد الإسلام إلّا قوّة فمن رابنا ضربنا عُنُقه، فتراجع الناس وكفّوا عمّا همُّوا به، وظهر عتّاب بن أُسَيْد[1].

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطّاب: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمّه».

حسّان بن ثابت يرثي الرسول: وقال حسّان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ فيما حدّثنا ابن هشام، عن أبي زيد الأنصاريّ:

بِطَيْبة رَسْمٌ للرسول ومعهدُ ... منير وقد تَعْفو الرسوم وَتَهْمُد[2]
ولا تمتحي الآياتُ من دار حُرمةٍ ... بها منبر الهادي الذي كان يَصْعد
وواضحُ آثارٍ وباقي معالمٍ ... ورَبْع له فيه مُصلّى ومسجد
بها حُجُرات كان ينزلُ وسْطَها ... من الله نورٌ يُستضاء ويوقد
معارف لم تُطْمَس على العهد آيُها ... أتاها البِلَى فالآي منها تَجدّد
عرفت بها رَسْم الرسول وعهدَه ... وقبراً بها واراه في التُّرْب مُلْحِد

(١) كان عتّاب والياً على مكة. أنظر عنه في عمرة الجعرانة من هذا الجزء.
(٢) الرسم: ما بقي من آثار الديار. تعفو: تدرس، تمهد: تبلي.

ظللت بها أبكي الرسولَ فأسْعدَت عيونٌ ومِثْلاها من الجفن تُسْعد[1]
يُذَكِّرْن آلاءَ الرسولِ وما أرى لها مُحْصياً نفسي فنفسي تبلّد
مُفَجِّعَةً قد شفَّها فَقْدُ أحمد فظلّت لآلاء الرسول تُعَدِّد[2]
وما بلغت من كلّ أمر عَشيرَه ولكنْ لنفسي بعدُ ما قد تَوَجَّد[3]
أطالتْ وقوفاً تذْرِفُ العين جُهدَها على طَلَل القبرِ الذي فيه أحمد
فبُوركتَ يا قبرَ الرسول وبُوركَتْ بلادٌ ثَوى فيها الرشيدُ المُسدّد
وبُورك لَحْدٌ منك ضمّن طيّبا عليه بناءٌ من صفيح مُنَضَّدُ[4]
تَهِيل عليه التُّرْبَ أيدٍ وأَعْيُنٌ عليه وقد غارت بذلك أسْعُد
لقد غيَّبوا حِلْماً وعلماً ورحمة عشيّة عَلّوهُ الثرى لا يُوسَّد
وراحوا بحُزنٍ ليس فيهم نبيُّهم وقد وهَنت منهم ظُهور وأعضُد
يُبَكُّون من تبكي السموات يومه ومن قد بَكَته الأرضُ فالناس أكمد
وهل عَدَلت يوماً رزيّةُ هالكٍ رزيّةَ يومٍ ماتَ فيه محمد؟!
تقطّع فيه منزلُ الوحي عنهمُ وقد كان ذا نورٍ يغور ويُنجد[5]
يدلّ على الرحمن مَن يقتدي به ويُنقِذ من هول الخزايا ويُرشد
إمام لهم يَهديهمُ الحقَّ جاهداً معلّم صدْق إن يُطيعوه يُسْعَدوا
عفُوٌّ عن الزّلّاتِ يَقْبل عُذْرَهم وإن يُحسنوا فالله بالخير أجْود
وإنْ نابَ أمرٌ لم يقوموا بحمْله فمن عنده تيسير ما يتشدّد
فبينا هم في نعمة الله بينهم دليلٌ به نَهْج الطريقة يُقْصد
عزيز عليه أن يَجُوروا عن الهدى حريصٌ على أن يَستقيموا ويهتدوا
عَطوفٌ عليهم لا يُثَنّي جناحَه إلى كَنَف يحْنو عليهم ويَمْهَد[6]

---

(١) أسعدت: أعانت.
(٢) شفّها: أضعفها.
(٣) عشيره: عشره. توجد: من الوجد وهو الحزن.
(٤) الصفيح: الحجارة. منضّد: بعضه فوق بعض.
(٥) يغور: من الغور وهو ما انخفض من الأرض وينجد من النجد وهو ما ارتفع من الأرض.
(٦) الكنف: الجانب.

فبينـا هم في ذلـك النّـور إذ غـدا إلى نورهم سَهمٌ من الموت مُقصِد[1]
فـأصبح محمـوداً إلى الله راجعـاً يُبَكّيه حتى المرسـلات ويُحْمد[2]
وأمست بـلادُ الحُرْم وَحشـاً بقاعُهـا لغَيبـة مـا كـانت من الـوحي تَعْهـد
قفـاراً سوى معمـورة اللّحدِ ضـافَهـا فقيـدٌ يُبَكّيـه بَـلاط وغَـرقـد[3]
ومسجـده فـالمُـوحشـاتُ لفقـده خـلاءٌ لـه فيـه مقـام ومَقعـد
وبـالجمرة الكبـرى لـه ثَمَّ أَوْحشتْ ديـارٌ وعَـرْصـات ورَبْع ومـولـد
فبكّـي رسـولَ الله يـا عيـنُ عبـرةً ولا أعـرفَنْك الـدهـر دمعك يجْمـد
ومـالـك لا تبكين ذا النعمـة التي على النـاس منها سـابغ يُتَغَمّـد
فجُـودي عليـه بـالـدمـوع وأَعْـوِلي لفقـد الـذي لا مثلُه الـدهـرَ يـوجـد
ومـا فقـد المـاضُـون مثـلَ محمـد ولا مثله حتى القيـامـة يُفْقَـدِ
أَعـفَّ وأوفَـى ذمّـة بـعـد ذمّـةٍ وأقـربَ منـه نـائـلاً لا يُنَكّـد[4]
وأبـذلَ مـنـه الـطّريـف وتـالِـد إذا ضنّ مِعْـطاء بمـا كـان يُتْلَد[5]
وأكـرم صِيتاً في البيـوت إذا انتمى وأكـرَم جَـدّاً أبـطحيـا يُسَـوَّد[6]
وأمنـعَ ذِروات وأثبـت في الـعُـلا دعـائم عـزّ شـاهقـات تُشَيّـد[7]
وأثبتَ فـرعـاً في الفـروع ومَنْبتـاً وعُـوداً غذاه المُـزْن فالعُـوُد أغيد[8]
ربّـاه وليـداً فـاستـمّ تـمـامُـه على أكـرم الخيـرات ربٌّ ممجّـد
تنـاهت وصـاة المسلميـن بكـفـه فلا العلم محبوس ولا الـرأي يفند[9]

---

(١) مقصد: مصيب: اسم فاعل من أقصد.
(٢) المرسلات: الملائكة.
(٣) ضافها: نزل بها. البلاط: ما استوى من الأرض: الغرقد: شجر.
(٤) لا يُنَكّد: لا يكدّر.
(٥) الطريف: ما استُحدث من المال. التالد: المال الموروث. يتلد: يكتسب قديماً.
(٦) الصيت: الذِكْر الحسن. الأبطحيّ: المنسوب إلى أبطح مكة.
(٧) الذروات: الأعالي.
(٨) المزن: السحاب. أغيد: ناعم.
(٩) يفند: يخطأ.

أقــول ولا يُـلْقى لـقــولـيَ عــائــب … من الـنـاس إلّا عازب العقـل مُبْعد[١]
وليس هــوايَ نــازعــاً عن ثنــائــه … لـعلّي بــه فـي جنّــة الـخُلْد أَخْلد
مـع المصطفى أرجـو بـذاك جِـواره … وفي نَيْـل ذاك اليـوم أسعى وأجهــد

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، يبكي رسول الله ﷺ:

مــا بــال عينك لا تنـام كـأنّمــا … كُحِلَتْ مــآقيهــا بـكُحْــل الأَرْمَــدِ
جَـزَعاً على المَهْـديّ أصبح ثـاويـاً … يـا خيـر من وطيء الحَصى لا تبعـد
وجهي يقيــك التُّـرْبَ لهفي ليتـني … غُيِّبت قبلك في بقيــع الـغــرقــد[٢]
بــأبي وأُمّي مَـنْ شَهِــدتُ وفــاتَــه … في يــوم الاثنين الـنبـيّ المـهتــدي
فــظللت بــعــد وفــاتــه متـبـلّداً … مــتـلدّدا يــا لـيـتــني لــم أُولــد
أأُقيم بعــدَكَ بــالـمــديـنــة بينهم … يــا ليتني صُبّحت سَمَّ الأسـود[٣]
أو حــلّ أمــر الله فـينــا عــاجــلاً … في رَوحــةٍ من يــومنــا أو من غــد
فـتقــوم ســاعـتنــا فـنَلقـى طيّبــاً … مَحْضــاً ضـرائبـه كـريم المَحتِــد[٤]
يــا بِكْـرَ آمنــةَ المبـاركَ بِكْـرُهـا … ولــدتـه مُحْصَنَـة بسعــد الأسْعُــد
نــوراً أضــاء على البــريّـة كلّهــا … من يُهــد للنّــور المبــاركَ يَهتــدي
يــا ربّ فــاجمعنــا معــاً ونبيَّـنــا … في جنّــة تَشْني عيــون الـحُسَّـد[٥]
في جنّــة الفــردوس فــاكتُبهــا لنــا … يــا ذا الجـلال وذا العــلا والسُّودَد
واللهِ أسمــع مــا بقيت بـهــالــكِ … إلا بـكيتُ على الـنّبيّ محمــد[٦]
يــا ويــح أنـصــار النّـبـيّ ورهْــطِه … بعــد المغيَّب في ســواء الـمَلْحــد
ضــاقت بالأنصــار الـبـلادُ فـأصبحـوا … سُــوداً وجــوهُـهم كلون الإثـمــد
ولــقــد وَلــدنــاه وفـيــنــا قــبـرُه … وفضــول نِعمته بنــا لـم نجحَــد[٧]

(١) عازب العقل: بعيد العقل غائبه.
(٢) بقيع الغرقد: مدافن أهل المدينة.
(٣) صبّحت سمّ الأسود: أي سقيت صباحاً سمّ الأسود، والأسود نوع من الحيّات.
(٤) الضرائب: الطبائع. المحتد: الأصل.
(٥) تَشْني: تُبعد.
(٦) والله أسمع: أي والله لا أسمع.
(٧) يريد بولدنا: أنّ أخوال والد الرسول الله ﷺ من بني النّجّار.

والله أكـرمـنـا بـه وهـدى بـه ... أنصـاره في كـلّ سـاعـة مَشْهـد
صلّى الإلـه ومن يَحُفّ بعـرشـه ... والـطيّبـون على المُبـارك أحمـد

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ:

نَبِّ المسـاكينَ أنّ الخيـر فـارقهم ... مـع النبيّ تـولّى عنهُـمُ سَحَـرا(١)
من ذا الـذي عنده رَحْلي وراحلتي ... ورزقُ أهلي إذا لم يُؤْنِسـوا المَطَرا
أم من نُعـاتِب لا نخْشَى جنادعَـه ... إذا اللسـان عتا في القـول أو عثرا(٢)
كـان الضّياء وكـان النـورَ نَتْبَعُـه ... بعـد الإلـه وكـان السمـع والبصـرا
فـليتـنـا يـوم واروه بـمـلْحـدِه ... وغـيّبـوه وألـقَـوا فـوقَـه المَـدَرا
لـم يتـرك الله منّـا بـعـده أحـداً ... ولـم يعِشْ بـعـده أُنثـى ولا ذَكَـرا
ذلّـت رقـابُ بني النّجّـار كلّهـمِ ... وكـان أمراً من أمـر الله قـد قُـدِرا
واقتسم الفَـيْءَ دون النـاس كـلّهِم ... وبـدّدوه جِهـاراً بـينـهـم هَـدَرا

وقال حسّان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ أيضاً:

آليت مـا في جميع النـاس مجتهـداً ... منّـي ألـيـةَ بَـرٍّ غيـر إفـنـاد(٣)
تـالله مـا حَمَلَتْ أنثى ولا وضعتْ ... مثـلَ الـرسـول نبيّ الأمّـة الهـادي
ولا بـرا الله خـلقـاً مـن بَـريّـتـه ... أوفـى بـذمّـة جـارٍ أو بـميـعـاد
منَ الـذي كـان فينـا يُستضـاءُ بـه ... مبـاركَ الأمـر ذا عـدلٍ وإرشـاد
أمسى نسـاؤك عـطّلْن البيـوت فمـا ... يضـربْن فـوق قَفَـا سِتْـرٍ بـأوتـاد
مثـل الـرواهِب يَلبسن المبـاذلَ قـد ... أيقنّ بـالبؤس بعد النعمـة البـادي(٤)
يـا أفضـل النـاس إنّي كنت في نَهَـر ... أصبحت منه كمثل المفرد الصادي(٥)

قال ابن هشام: عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق.

---

(١) نبّ:نبيء: سهّل فعل الأمر بحذف الهمزة ثم بناه على حذف حرف العلّة كما يبنى المُعْتلّ.
(٢) الجنادع: أوائل الشرّ.
(٣) الألية: اليمين. الإفناد: الخطأ والعيب.
(٤) المباذل: الأثواب التي تُستعمل يومياً أو الأثواب الخَلِقة.
(٥) الصادي: الشذيد العطش.

(بعون الله تعالى وتـوفيقه، فقـد تمّ تحقيق السيرة النبـويّة لابن هشـام، والتعليق عليهـا، وتخريـج أحاديثهـا، وضبط نصّها، وصنعـة فهارسهـا، على يـد طـالب العلم العبد الفقيـر إلى الله تعالى «عمـر عبد السـلام تدمـري» الأستاذ الدكتور في الجامعة اللبنانية، الطرابلسيّ مولداً وموطناً، بمنزله بساحـة النجمة بطرابلس الشام ـ حرسها الله ـ وكان البدء في التحقيق يـوم الجمعة ٢٥ شـوّال ١٤٠٧ هـ. الموافق ٢٢حزيران ١٩٨٧ وكان الفراغ من التحقيق مساء الأربعاء ٢٥ من ذي الحجّـة ١٤٠٧ هـ. المـوافق ١٩ من آب ١٩٨٧، والحمـد لله وحده).

١ ـ فهرس الآيات الكريمة
حسب ورودها في الجزء

٢ ـ فهرس أوائل الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس
قوافي الأشعار والأراجيز

٤ ـ فهرس الأعلام

خ

د

ذ

غ

ف

ن

هـ

٥ ـ فهرس الأماكن والبلدان

ـ ٦ ـ
فهرس المصادر والمراجع
المعتمدة في التحقيق

أ

١ ـ **أخبار مكة** ـ للأزرقي.

٢ ـ **أدب الدنيا والدين** ـ للماوردي.

٣ ـ **إرشاد الساري**، شرح البخاري.

٤ ـ **الإستبصار** ـ للمراكشي.

٥ ـ **الإستيعاب** ـ لابن عبد البرّ.

٦ ـ **أُسد إلغابة** ـ لابن الأثير.

٧ ـ **الإشتقاق** ـ لابن دُرَيد.

٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ـ لابن حجر.

٩ ـ **الأصنام** ـ للكلبي.

١٠ ـ **الأعلام** ـ لخير الدين الزركلي.

١١ ـ **الأغاني** ـ لأبي الفرج الأصبهاني.

١٢ ـ **الإكتفاء** ـ للكلاعي.

١٣ ـ **الأمّ** ـ للإمام الشافعي.

١٤ ـ **الأمالي** ـ لأبي علي القالي.

١٥ ـ **أمالي المرتضى** ـ للشريف المرتضى.

١٦ ـ الإمتاع والمؤآنسة ـ للمقريزي .
١٧ ـ **الأموال** ـ لأبي عبيد بن سلام .
١٨ ـ **أنساب الأشراف** ـ للبلاذُري .
١٩ ـ **أنساب الخيل** ـ للكلبي .
٢٠ ـ **إنسان العيون** ـ لنور الدين الحلبي .

ب

٢١ ـ **البداية والنهاية في التاريخ** ـ لابن كثير.
٢٢ ـ **البدء والتاريخ** ـ للمطهّر المقدسي .
٢٣ ـ **بصائر ذوي التمييز** ـ للفيروز ابادي .
٢٤ ـ **البصائر والذخائر** ـ للتوحيدي .
٢٥ ـ **بلوغ الأرب في أحوال العرب** ـ للآلوسي .
٢٦ ـ **البيان والتبيين** ـ للجاحظ .

ت

٢٧ ـ **تأويل مشكل القرآن** ـ للبيضاوي .
٢٨ ـ **تاج العروس** ـ للزَّبيدي .
٢٩ ـ **تاريخ الآداب العربية** ـ لبروكلمان .
٣٠ ـ **التاريخ** ـ لابن مَعِين .
٣١ ـ **التاريخ** ـ لأبي زُرْعة .
٣٢ ـ **تاريخ الإسلام (السيرة النبوية)** للذهبي ، (بتحقيقنا) .
٣٣ ـ **تاريخ الإسلام (المغازي)** ـ للذهبي ، (بتحقيقنا) .
٣٤ ـ **تاريخ بغداد** ـ للخطيب البغدادي .
٣٥ ـ **تاريخ خليفة** ـ لخليفة بن خيّاط .
٣٦ ـ **تاريخ الخميس** ـ للديار بكري .
٣٧ ـ **تاريخ دمشق** ـ (السيرة النبوية) ـ لابن عساكر.
٣٨ ـ **تاريخ الرسل والملوك** ـ للطبري .

٣٩ ـ **التاريخ الكبير** ـ للإمام البخاري.

٤٠ ـ **تاريخ اليعقوبي** ـ لابن واضح اليعقوبي.

٤١ ـ **تذكرة الحُفّاظ** ـ للذهبي.

٤٢ ـ **التذكرة الحمدونية** ـ لابن حمدون.

٤٣ ـ **التذكرة السعدّية** ـ للعبيدي.

٤٤ ـ **التذكرة الفخرية** ـ للإرْبليّ.

٤٥ ـ **تسديد القوس** ـ لابن حجر.

٤٦ ـ **تسمية أزواج النبيّ وأولاده** ـ لأبي عبيدة.

٤٧ ـ **تفسير ابن كثير**.

٤٨ ـ **تفسير البغوي**.

٤٩ ـ **تفسير الطبري**.

٥٠ ـ **تفسير القرطبي**.

٥١ ـ **تفسير مجاهد**.

٥٢ ـ **تقريب التهذيب** ـ لابن حجر.

٥٣ ـ **تلخيص المستدرك** ـ للذهبي.

٥٤ ـ **تلقيح فهوم الأثر** ـ ابن حجر.

٥٥ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** ـ للنووي.

٥٦ ـ **تهذيب تاريخ دمشق** ـ لابن عساكر.

٥٧ ـ **تهذيب التهذيب** ـ لابن حجر.

٥٨ ـ **تهذيب سيرة ابن هشام** ـ لعبد السلام هارون.

٥٩ ـ **تهذيب الكمال** ـ للمِزّي.

ث

٦٠ ـ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ـ للثعالبي.

ج

٦١ ـ **جامع الأصول** ـ ابن الأثير.

٦٢ ـ **الجامع الصحيح** ـ للترمذي.
٦٣ ـ **الجرح والتعديل** ـ لابن أبي حاتم الرازي.
٦٤ ـ **جمهرة الأمثال** ـ لأبي هلال العسكري.
٦٥ ـ **جمهرة أنساب العرب** ـ لابن حزم.
٦٦ ـ **جمهرة اللغة** ـ لابن دُرَيد.
٦٧ ـ **جمهرة النسب** ـ لابن الكلبي.
٦٨ ـ **جوامع السيرة** ـ لابن حزم.

ح

٦٩ ـ **حاشية على تفسير الجلالين** ـ للصاوي.
٧٠ ـ **حلبة الفرسان وشعار الشجعان** ـ لابن هُذَيل الأندلسي.
٧١ ـ **الحلبة في أسماء الخيل** ـ للتاجي الصاحبي.
٧٢ ـ **حلية الأولياء** ـ لأبي نُعيم الأصبهاني.
٧٣ ـ **حياة الحيوان** ـ للدُمَيْري.

خ

٧٤ ـ **خزانة الأدب** ـ للبغدادي.
٧٥ ـ **الخصائص الكبرى** ـ للسيوطي.
٧٦ ـ **خلاصة تذهيب التهذيب** ـ للخزرجي.

د

٧٧ ـ **الدُرَر في المغازي والسير** ـ لابن عبد البَرّ.
٧٨ ـ **الدُّرّ المنثور** ـ للسيوطي.
٧٩ ـ **دلائل النُّبُوَّة** ـ لأبي نُعيم.
٨٠ ـ **دلائل النُّبُوَّة** ـ للبَيْهَقي.
٨١ ـ **دُوَل الإسلام** ـ للذهبي.
٨٢ ـ **ديوان الأعشى** ـ ميمون بن قيس.
٨٣ ـ **ديوان أُميّة بن أبي الصَّلْت**.

٨٤ ـ **ديوان حسّان بن العجّاج**.

٨٦ ـ **ديوان زهير بن أبي سلمى**.

٨٧ ـ **ديوان كعب بن زهير**.

٨٨ ـ **ديوان لَبِيد بن ربيعة**.

د

٨٩ ـ **ذِكْر أخبار أصبهان** ـ لأبي نُعَيم.

ر

٩٠ ـ **ربيع الأبرار** ـ للزمخشري.

٩١ ـ **الروض الأُنُف** ـ للسُهَيلي.

ز

٩٢ ـ **زاد المعاد** ـ لابن قيّم الجوزيّة.

٩٣ ـ **الزاهر** ـ لابن الأنباري.

س

٩٤ ـ **سُبُل الهدى والرشاد** ـ للصالحي.

٩٥ ـ **السّمْط الثمين** ـ للمُحبّ الطبري.

٩٦ ـ **السُنَن** ـ لابن ماجه.

٩٧ ـ **السُنَن** ـ لأبي داود.

٩٨ ـ **السُنَن** ـ للدارقُطْني.

٩٩ ـ **السُنَن** ـ للدارمي.

١٠٠ ـ **السُنَن** ـ لسعيد بن منصور.

١٠١ ـ **السُنَن الكبرى** ـ للبَيْهَقي.

١٠٢ ـ **سِيَر أعلام النُبلاء** ـ للذهبي.

١٠٣ ـ **السِيَر والمغازي** ـ لابن إسحاق.

١٠٤ ـ **السيرة النبوية** ـ لابن كثير.

١٠٥ ـ **السيرة النبوية** ـ للحلبي .

١٠٦ ـ **السيرة النبوية** ـ للدكتور عبد المهدي بن عبد الهادي .

ش

١٠٧ ـ **شذَرات الذهب** ـ لابن العماد الحنبلي .

١٠٨ ـ **شرح ديوان الحماسة** .

١٠٩ ـ **شرح السُّنَّة** ـ للبَغَوي .

١١٠ ـ **شرح السيرة** ـ لأبي ذَرّ الخشني .

١١١ ـ **شرح شواهد المغني** ـ للسيوطي .

١١٢ ـ **شرح القصائد العشر** ـ للتبريزي .

١١٣ ـ **شرح قصيدة الأعشى** .

١١٤ ـ **شرح قصيدة كعب بن زهير** ـ للتبريزي .

١١٥ ـ **شرح معاني الآثار** ـ للطحاوي .

١١٦ ـ **شرح المواهب اللَّدُنّية** ـ للزُرقاني .

١١٧ ـ **شرح نهج البلاغة** ـ لابن أبي الحديد .

١١٨ ـ **الشعر والشعراء** ـ لابن قُتيبة .

١١٩ ـ **الشفاء** ـ للقاضي عِياض .

١٢٠ ـ **شفاء الغرام** ـ للقاضي الفاسي ، (بتحقيقنا) .

ص

١٢١ ـ **صُبْح الأعشى** ـ للقلقشندي .

١٢٢ ـ **الصِّحاح في اللغة** ـ للجوهري .

١٢٣ ـ **الصحيح** ـ للإمام البخاري .

١٢٤ ـ **الصحيح** ـ للإمام مسلم .

١٢٥ ـ **صفة الصفوة** ـ لابن الجوزي .

ض

١٢٦ ـ **ضعيف الجامع** ـ للألباني .

ط

١٢٧ ـ **الطبقات** ـ لخليفة بن خيّاط.

١٢٨ ـ **طبقات الشعراء** ـ لابن سلّام.

١٢٩ ـ **طبقات فحول الشعراء** ـ للجُمَحي.

١٣٠ ـ **الطبقات الكبرى** ـ لابن سعد.

ع

١٣١ ـ **العِبَر في خبر من غَبَر** ـ الذهبي.

١٣٢ ـ **العِبَر في المبتدأ والخبر** ـ لابن خلدون.

١٣٣ ـ **عِقْد الأجياد** ـ للأمير الجزائري.

١٣٤ ـ **العِقْد الثمين** ـ للقاضي الفاسي.

١٣٥ ـ **العِقْد الفريد** ـ لابن عبد ربّه.

١٣٦ ـ **عيون الأثر** ـ لابن سيّد الناس.

١٣٧ ـ **عيون التواريخ** ـ لابـن شاكر الكُتَبي.

ف

١٣٨ ـ **فتح الباري** ـ لابن حجر.

١٣٩ ـ **فتوح البلدان** ـ للبلاذري.

١٤٠ ـ **فردوس الأخبار** ـ للديلمي.

١٤١ ـ **فضل الخيل** ـ للدمياطي.

ك

١٤٢ ـ **الكاشف في أسماء الرجال** ـ للذهبي.

١٤٣ ـ **الكامل في الأدب** ـ للمبرّد.

١٤٤ ـ **الكامل في التاريخ** ـ لابن الأثير.

١٤٥ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** ـ لابن عَدِيّ.

١٤٦ ـ **الكُتّاب والشعراء**.

١٤٧ ـ **كشف الخفاء** ـ للجراحي.

١٤٨ ـ **كشف الظنون** ـ لحاجي خليفة.
١٤٩ ـ **كنز العمّال** ـ للمتّقي الهندي.
١٥٠ ـ **الكُنَى والأسماء** ـ للدولابي.

ل

١٥١ ـ **لُباب الآداب** ـ لأُسامة بن منقذ.
١٥٢ ـ **اللُّباب في تهذيب الأنساب** ـ لابن الأثير.
١٥٣ ـ **لسان العرب** ـ لابن منظور.

م

١٥٤ ـ **مجاز القرآن** ـ لأبي عبيدة.
١٥٥ ـ **مجمع الأمثال** ـ للمَيْداني.
١٥٦ ـ **مجمع الزوائد** ـ للهيثمي.
١٥٧ ـ **مجموعة الوثائق السياسية** ـ للدكتور محمد حميد الله.
١٥٨ ـ **محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر** ـ لعلي دده.
١٥٩ ـ **المحبَّر** ـ لابن حبيب البغدادي.
١٦٠ ـ **المحتسب** ـ لابن جني.
١٦١ ـ **المختصر في أخبار البشر** ـ لأبي الفِداء.
١٦٢ ـ **المخصّص** ـ لابن سيده.
١٦٣ ـ **مِرْآة الجِنان** ـ لليافعي.
١٦٤ ـ **مروج الذهب** ـ للمسعودي.
١٦٥ ـ **المستَخْرَج من كتاب التاريخ** ـ لابن مَنْده ـ (مخطوطة كوبريللي ٢٤٢).
١٦٦ ـ **المستدرك على الصحيحين** ـ للحاكم النيسابوري.
١٦٧ ـ **المُسْنَد** ـ لأبي يَعْلَى.
١٦٨ ـ **المُسْنَد** ـ للإمام أحمد.
١٦٩ ـ **المُسْنَد** ـ للبزّار.

١٧٠ ـ **المُسْنَد** ـ للشافعي .
١٧١ ـ **المُسْنَد** ـ لعبد الوهاب الكلابي .
١٧٢ ـ **مشاهير علماءه الأمِصْاء** ـ لابن حبّان .
١٧٣ ـ **المشترك وضعاً والمفترق صقعاً** ـ لياقوت الحموي .
١٧٤ ـ **المصنَّف** ـ لابن أبي شيبة .
١٧٥ ـ **المصنَّف** ـ لعبد الرزّاق .
١٧٦ ـ **المعارف** ـ لابن قُتَيبة .
١٧٧ ـ **معجم الأدباء** ـ لياقوت الحموي .
١٧٨ ـ **معجم ألفاظ الحديث** ـ للمستشرقين .
١٧٩ ـ **معجم البلدان** ـ لياقوت الحموي .
١٨٠ ـ **معجم الخيل العربية** ـ للدكتور عبد الله الجبوري .
١٨١ ـ **معجم الشعراء** ـ للمرزباني .
١٨٢ ـ **معجم الشعراء في لسان العرب** ـ للدكتور ياسين الأيّوبي .
١٨٣ ـ **معجم الشيوخ** ـ لابن جُمَيْع الصيداوي (بتحقيقنا) .
١٨٤ ـ **المعجم الصغير** ـ للطبراني .
١٨٥ ـ **المعجم الكبير** ـ للطبراني .
١٨٦ ـ **معجم ما استعجم** ـ للبكري .
١٨٧ ـ **معجم المؤلّفين** ـ لكحّالة .
١٨٨ ـ **المعربِ** ـ للجواليقي .
١٨٩ ـ **المعرفة والتاريخ** ـ للفَسَوي .
١٩٠ ـ **المعلَّقات السبْع** ـ للزَوْزني .
١٩١ ـ **المعمَّرين** ـ للسجستاني .
١٩٢ ـ **المعين في طبقات المحدّثين** ـ للذهبي .
١٩٣ ـ **المغازي** ـ لعُروة بن الزُبير .
١٩٤ ـ **المغازي** ـ للواقدي .

١٩٥ ـ **المغني في الضعفاء** ـ للذهبي.
١٩٦ ـ **المفردات** ـ للراغب الأصبهاني.
١٩٧ ـ **مقاتل الطالبيّين** ـ لأبي نعيم.
١٩٨ ـ **مقدّمة مُسْنَد بَقِيّ بن مَخْلَد** ـ للدكتور أكرم ضياء العمري.
١٩٩ ـ **مناقب عليّ** ـ للواسطي.
٢٠٠ ـ **مناقب عمر بن الخطّاب** ـ لابن الجوزي.
٢٠١ ـ **المنتخب من ذيل المذيّل** ـ للطبري.
٢٠٢ ـ **المنمَّق** ـ لابن حبيب البغدادي.
٢٠٣ ـ **موارد الظمآن** ـ للهيثمي.
٢٠٤ ـ **موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي** (من تأليفنا).
٢٠٥ ـ **ميزان الإعتدال في نقد الرجال** ـ للذهبي.

ن

٢٠٦ ـ **نسب قريش** ـ لمُصْعَب الزبيري.
٢٠٧ ـ **النقائض، لجرير والفرزدق** ـ لأبي عبيدة.
٢٠٨ ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ـ للنويري.
٢٠٩ ـ **النهاية في غريب الحديث** ـ لابن الأثير.

هـ

٢١٠ ـ **هدْي الساري في مقدّمة فتح الباري** ـ لابن حجر.
٢١١ ـ **هديّة العارفين** ـ للبغدادي.

و

٢١٢ ـ **الوافي بالوَفَيات** ـ للصفدي.
٢١٣ ـ **الوفا بأخبار المصطفى** ـ لابن الجوزي.
٢١٤ ـ **وفاء الوفا** ـ **للسمهودي**.
٢١٥ ـ **الوَفَيات** ـ لابن قُنْفذ.
٢١٦ ـ **وَفَيات الأعيان** ـ لابن خلّكان.

٧ ـ فهرس مواضيع
الجزء الرابع من سيرة ابن هشام